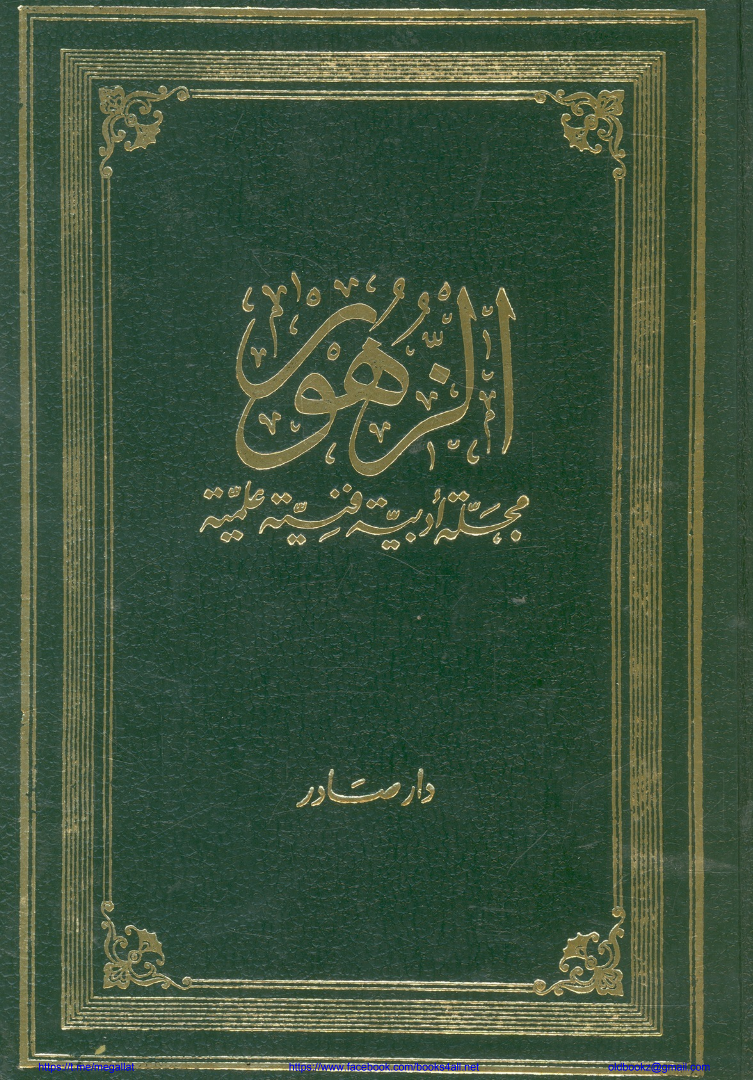
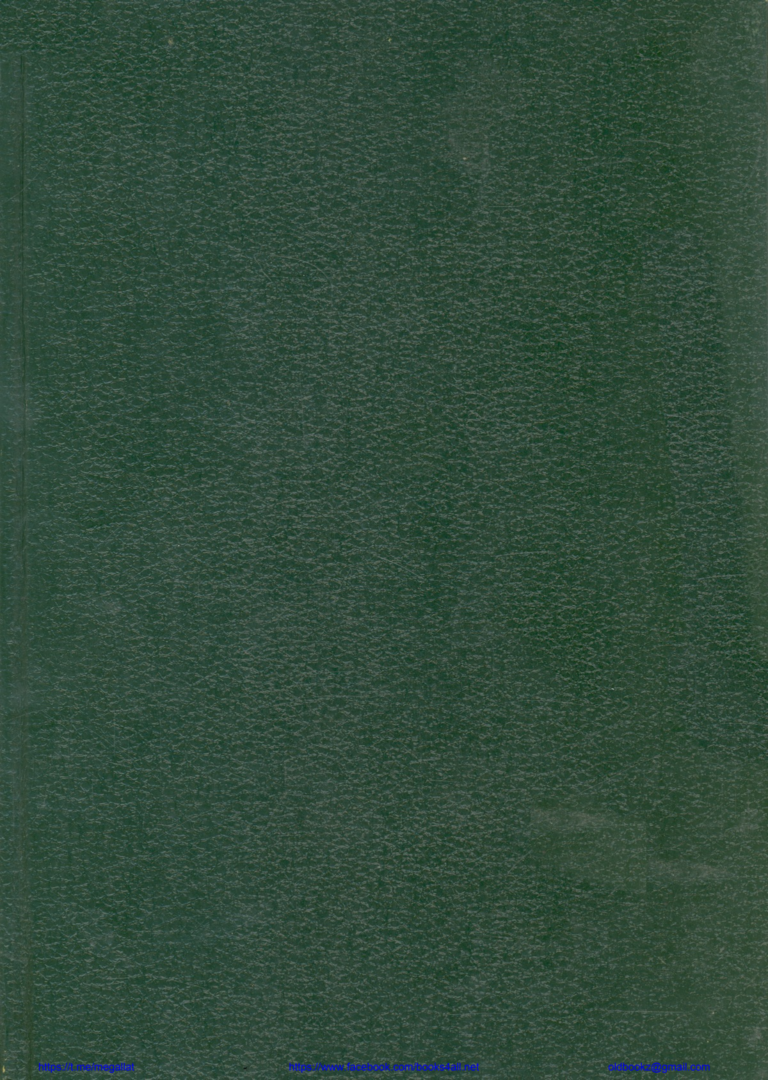
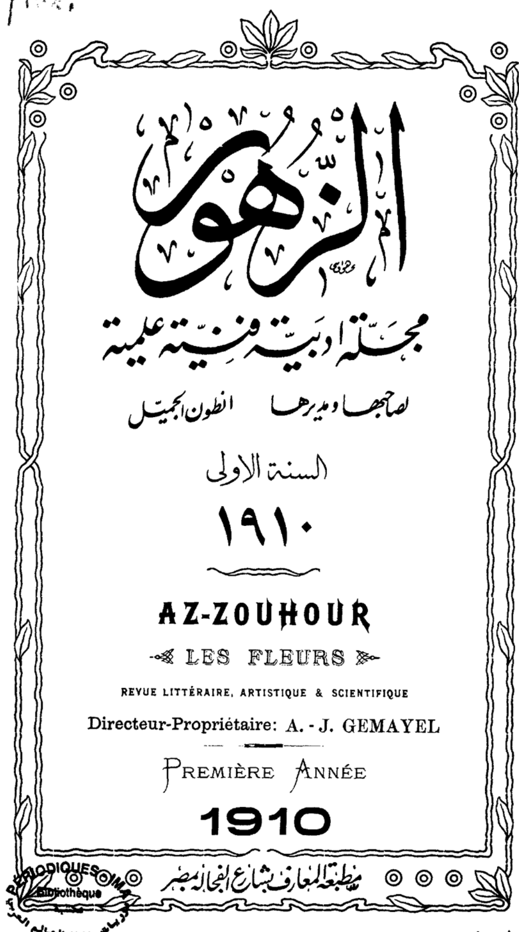

الزهور
مجلة أدبية فنية علمية
دار صادر





الزهور

مجلة ادبية فنية علمية

لصاحبها ومديرها انطون الجميل

السنة الاولى

١٩١٠

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

Directeur-Propriétaire: A.-J. GEMAYEL

PREMIÈRE ANNÉE

1910

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر



الجزء الاول　　　اول مارس (اذار) ١٩١٠　　　السنة الاولى

ما هي هذه المجلة ؟

بدت منذ مدةٍ من الزمن في كلّ الاقطار العربيـة طوالع حركةٍ فكرية ، ونهضةٍ ادبية ، لا يسعُ المكابرَ إنكارُها . فلقد نفض الناطقون بالضاد غبار الخمولِ عنهم ، وافاقوا من سباتهم العميق ، فألقوا نظرةً الى مجاوريهم ابناء سائر اللغات ، فرأوهم قد ساروا شوطاً بعيداً في مضمار الآداب والفنون ، ونظروا الى العربِ اجدادِهم ، فرأوا انفسهم قد قصروا عنهم أيمَّا تقصير : فلا السيوفَ المشرفية ، ولا الرماحَ الهندية ، ولا الجيادَ الأعوجية ، يفاخرون بها الاقران ، ويفتحون بها الامصار والبلدان . . . ولا البيانَ الدرّيّ ، ولا الشعرَ السحري ، ولا الهوى العذري ، يخلبون به الالباب ويستولون به على ممالك الاذهان . . .

رأوا ان قد دالت من يدهم دولة الحسام ، ودولة الاقلام ، وادركوا أنَّ الاحفادَ كادوا يضيعون ذلك الارث المجيد الذي خلَّفهُ لهم الاجداد . فهالهم ما رأوا وما أدركوا عند ما تفتحت منهم العيون ، بعد مرّ الاجيال

والقرون. فنهضوا نهضة من يريد ان يعتاضَ بالاجتهاد، عمَّا اضاعه من الاوقات. واخذوا ينسجون بجدٍ ونشاط ثوباً يسترون به عُريَهم قبلَ أن تسقطَ اسمالُهم البالية. ونفخوا الرمادَ الذي ذرَّتهُ الايامُ على نار اذهانِهم ليُوقدوا من القَبَسِ الباقي مصباحهم

هذه هي النهضة التي سَرتْ روحها بين غروب القرن التاسع عشر وبزوغ القرن العشرين في مصر والشام والعراق والمغرب وسائر البلاد التي تتفاهم بالعربية

بين غسق القرن الغابر، وغلس القرن الحاضر، بزغت شمسُ هذه النهضة الفكرية، في سماء البلاد العربية. بعد أن تقدمها شهابٌ من النور، في السنين السالفة كما يتقدم شروقَ البدور

ولقد كان لاعلانِ الدستور في الممالك العثمانيـة كبيرُ تأثيرٍ في هذه الحركة. فان نوره الابلج بدّد ما تبقى من السحب، في سمـاء العرب. فراق الجو، وانقشعت غيومه، وصفا اديمه. بعد ان كادت غياهب الاستبداد تطفئ كل نورٍ ونار

نبغ في الاقطار العربية كتَّاب أعلام، وشعراء عظام. اخذوا أهبتهم ونزلوا الى الميدان. فجال فريق منهم جولاتٍ صادقة ذكرتنـا مفاخرَ الماضين، فقلنا: إن اولاء الابناء من اولئك الاباء. وهم — وان كان عددهم قليلاً — سيكونون لنـا خير اساتذة يؤملون بارجاع العصور الذهبية، للآداب العربية

ونزل فريقٌ الى المضمار على غـير ما يكفي من التمرين والترويض

فجالوا غيرَ آمنين كبوة حصانهم ، او نبوة حسامهم . ومثل هؤلاء في حاجة الى التنشيط وزيادة التمرين تحت ادارة من يروّض جيادهم ويثقف سلاحهم

وأنّى يكون ذلك وكل فريق من الكتاب يجري في مضماره بعيداً عن الفريق الآخر فلا يرى اقراناً من ربع غير ربعهِ يجاريهم ، ولا يلاقي فرساناً من حي غير حيه يباريهم . . ؟

أنّى يكون ذلك ويكاد كتّابُ القطر الواحد يجهلون حتى اسماء كتّاب القطر الثاني . لان لا صلة بينهم ولا رابطة تربطهم . فحملة الاقلام في مصر يكادون لا يعرفون شيئاً عن زملائهم في الشام ، وهؤلاء يعرفون دون القليل عن كتاب العراق . وقس على ذلك في سائر الاقطار العربية

ولقد تذهب هذه النهضة الجميلة بلا جدوى ، وتضيع هذه المساعي الافرادية بلا فائدة اذا لم تتضام وتتضافر ليتولَّد منها قوة واحدة كبيرة تنهض بالاداب العربية

واذا ظلّت الحالُ على هذا المنوال يظلُّ الكتّاب في الامصار كالجُزُرِ المبعثرَة في عرض البحار : لا رابط يربطُ بعضها ببعض ليستمدَّ بعضُها من بعض . فلا تفي كلُّ واحدة بحاجات اهليها ، فتنضُب وتجدب ويهجرها من فيها

ولذلك فكّرنا في العمل على سدّ هذا الفراغ الذي يشعر به الجميع وعزمنا بعون الله على انشاء مجلة خاصة ـ على قدر الامكان ـ بهذا الموضوع وبعد مفاوضة السواد الاعظم من مشاهير حملة الاقلام في مصر والشام .

علىنا النفس بان نجعلَها المضمار العام الذي ينزل اليه فرسانُ الادب، ليجروا اشواطهم جنباً الى جنب ، فيكون هناك مباراة وتمرين واقتداء ولا فائدة بلا هذه الامور

او هي تكون السفينة التي تصل الجُزُرَ بعضها ببعض ، فتحمل الى هذه ما تحتاج من تلك ، وتحمل الى تلك ما تحتاج من هذه . وهكذا يتم التعاون والتساند الادبي

نحن لم يخفَ علينا ما في ذلك من الصعوبة والمشقة ، ولم تُغرّر بنا النفس حتى نتوهم اننا — على ضعفنا — قادرون على سدّ هذا الفراغ . لكننا عرضنا هذه الفكرة على ائمة الادب في القطرين المصري والسوري فانسنا منهم ارتياحاً كبيراً الى هذا المشروع وتنشيطاً عظيماً على تحقيقه . ولما رأينا حينذاك انّ لدينا القوة اللازمة من الانصار والمساعدين اقدمنا على تحقيق هذه الامنية متكلين على موفق الامور

يفهم القارئ مما تقدم مجمل موضوع هذه المجلة الجديدة وخطتها . فهي تعلل النفس بان تكون صلة تعارف بين كتاب العرب في كل الاقطار ، وذلك بنشر ما تجود به قرائحهم الوقّادة من النفثات الرائقة ، وفتح الميدان وسيعاً بوجههم ليتباروا فيه في موضوعات مختلفة . وسننشر تباعاً رسوم حملة الوية الادب ونفتح باباً خصوصياً للتراسل والتباحث فيما بينهم وبالاجمال نتوخى كل ما له علاقة بالحركة الفكرية وما يهم الادباء الاطلاع عليه . ولا حاجة الى القول اننا سنقتصر في هذه النشرة على الادبيات والفنيات مبتعدين عن السياسيات والمذهبيات

واليك اهم الابواب التي سنطرقها في هذه المجلة :

١ً باب للمقالات التي يدبجها مشاهير الكتاب في مواضيع متنوعة

٢ً « في رياض الشعر » – ننشر تحت هذا العنوان عرائس القصائد التي تجود بها قرائح فحول شعرائنا

٣ً « في جنائن الغرب » — ننشر تباعاً في هذا الباب خير ما يؤخذ عن آداب اليونان والرومان والفرنساويين والانكليز والالمان والايطاليان والروس وغيرهم من الغربيين قديماً وحديثاً لان ذلك يكسب لغتنا ثروة طائلة من المعاني الجديدة والمباني الحديثة . وسنعتمد في ذلك على تعريب فريق من الكتاب العارفين بهذا الفن

٤ً « في حدائق العرب » – ننشر فيه صفحات مطوية من خير ما قاله الغابرون من كتاب العرب لان لدينا كنوزاً مدفونة نحن في اشد الحاجة الى الانتفاع بها . وسنعمل على قدر الامكان ليكون نشر هذه الصفحات بمناسبة الحوادث الحاضرة وعلى مقتضى سير الامور حوالينا

٥ً « اشواك وازهار » — باب خصوصي للانتقاد والملاحظات على الحوادث الجارية والتعليق عليها بقلم اديبٍ متفنن يريد ان يكتم اسمه

٦ً « حديقة الاخبار » — نورد في هذا الباب ملخص الحوادث وخصوصاً التي لها علاقة بحياة الكتاب

٧ً باب خصوصي لدرس كل كتاب نفيس يظهر في عالم المطبوعات درساً ادبياً على طريقة الاوربيين في نقد كتبهم . او البحث بحثاً وافياً في حياة كاتب من ائمة الكتبة الاقدمين او المحدثين

٨ً الروايات — ولما كان الجمهور قد اصبح كثير الميل الى الروايات الخيالية المعروفة باسم « الرومان » لم نشأ ان نحرمه ذلك . ولكن لكي نقرن اللذة بالفائدة الواجب استخراجها من كل مطالعة لم نرضَ بتلك الروايات التافهة التي يضعها بعض تجار الكتب في ايدي القراء . بل عمدنا الى اختيار نخبة من طرائف الروايات الاوربية الشهيرة التي وضعها اشهر كتاب الغرب ووكلنا تعريبها الى من نعرف فيهم الكفاءة اللازمة

وسننشر تباعاً اشياء كثيرة عن الادب والفنون والعلوم والتاريخ والاجتماع وغير ذلك مما يهم القراء الاطلاع عليه

المحررون — قلنا ان غايتنا الاولى من هذه النشرة ايجاد صلة التعارف بين كتاب الاقطار العربية وتعريف عموم القراء بمشاهير كتبتنا لما في ذلك من الفوائد التي لا تخفى على احد ولرغبة جمهور كبير في معرفة وحفظ ما تجود به القرائح العربية . ولذلك لم يكن بالامكان الاقتصار على فريق قليل من المحررين . وعليه فقد اردنا ان نضمن لنفسنا مساعدة كل من احرزوا شهرة في عالم الكتابة فكان في مقدمتهم من اقترح علينا هذا الفكر وهم ليسوا بالنفر القليل . ثم كتبنا الى فريق اخر فورد منهم الجواب بالايجاب مع الارتياح العظيم الى هذا المشروع وقد لبوا هذا الطلب عن طيبة خاطر غيرةً منهم على الادب ، وحرصاً على كنوز العرب . وكان بودنا نشر الكتابات العديدة التي تلقيناها من مشاهير كتابنا لما فيها من التنشيط ولكن ضيق المقام يضطرنا الى الاكتفاء بنشر اسمائهم الكريمة فقط مرجئين نشر جواباتهم الى فرصة اخرى . وهكذا يمكننا ان نبشر القراء منذ

الآن بمساعدة الكتبة الآتية اسماؤهم مرتبة على حروف الهجاء :

ابرهيم افندي الحوراني
ابرهيم افندي شدودي (الدكتور)
احمد بك شوقي
الشيخ احمد حسن طباره
احمد افندي الكاشف
احمد افندي محرم
احمد افندي نسيم
الشيخ اسكندر العازار
اسماعيل باشا صبري
الياس افندي فياض
امين افندي الريحاني
امين افندي الغريّب
بشاره افندي عبد الله الخوري
توفيق افندي حبيب
حافظ افندي ابرهيم
حفني بك ناصف
خليل افندي مطران
داود افندي بركات
شبلي افندي شميل (الدكتور)
شبلي بك ملاط
فليكس افندي فارس
الشيخ عبد القادر المغربي
محمد افندي امام العبد
محمد افندي كرد علي
محمد افندي مسعود
محمد افندي السباعي
الشيخ محيي الدين الخياط
السيد مصطفى لطفي المنفلوطي
نعوم بك شقير
نقولا افندي رزق الله
ولي الدين بك يكن
يوسف افندي نخله ثابت

وهناك ايضاً عددٌ كبير من ائمة الكتبة في مصر والشام وبغداد وتونس وطرابلس الغرب والجزائر واميركا الخ قد باشرنا مفاوضتهم بهذا الشان لتتم الغاية المطلوبة . فيجد القارئ ان شاء الله في « مجلة الزهور » خير ما تجود به الاقلام العربية في كل الاصقاع فيكون له فيها احسن مجموعة ادبية جامعة يحق الاحتفاظ بها

السباقات — وستفتح المجلة سباقات تتناول مواضيع شتى وتجعل الحكم فيها لنخبة من اعلام الادباء . منها سباقان كبيران : الواحد في موضوع شعري ، والثاني في موضوع نثري . وتُعدُّ للمجلّين في هذا المضمار مداليات وجوائز ثمينة

الاشتراك — ولما كانت غايتنا تعميم هذه النشرة على قدر الامكان فقد جعلنا بدل الاشتراك زهيداً للغاية تتحمله كل الجيوب . وقيمته :

في القطر المصري　:　اربعون غرشاً صاغاً
في الممالك العثمانية　:　ثلاثة ريالات مجيدية
وفي الخارج　:　خمسة عشر فرنكاً

وجعلنا للمعاهد العلمية واساتذتها وللاندية الادبية حسم ٣٠ في المئة

حقوق المشترك — يحق لكل مشترك في « مجلة الزهور » :

١ حسم ٥٠ في المئة من ثمن كل كتاب تنشره المجلة
٢ حسم ٢٥ في المئة من ثمن كل كتاب يُطلب عن يد ادارتها
٣ الكتاب الخصوصي الذي تنشره المجلة سنوياً يُرسل اليه مجاناً
٤ نشر اعلان خصوصي لا يتجاوز السطرين مرة في السنة
٥ الاشتراك في كل سباق تفتحه المجلة وذلك دون مقابل
٦ حضور الاحتفالات الادبية التي تقيمها ادارة المجلة بمساعدة المعاونين بالتحرير

هذا بعض الشيء عن خطة هذه المجلة الجديدة ، والغاية التي ترمي اليها ، والابحاث التي ستتناولها بمساعدة خير من حرّر ، واشهر من حبّر من كتابنا المصريين . فعسى ان تلاقي رضى القراء وارتياحهم اليها . فيلاقوا فيها فائدة لاذهانهم ، وتفكهةً لخواطرهم ، وعلى الله الاتكال في كل الاعمال

السباق الشعري الكبير

« لسنة ١٩١٠ »

الموضوع — : « وأمّا شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرّ فلا تأكلْ منها . فانَّك يومَ تأكلُ منها تموتُ موتاً »

(سفر التكوين ف ٢ : ع ١٧)

« قال اهبُطوا بعضكمْ لبعضٍ عدُوٌّ ، ولكمْ في الأرضِ مُستقرٌّ ومتاعٌ إلي حينٍ »

(سورة الاعراف : ٧)

بعد صدور الحكم بالموت على الانسان الاول ، جلس آدم وحواء في البرية عند المساء ، يتسآلان : « ما هو الموت ؟ » كيف تصوراه .. ؟ نظم قصيدة في تصوراتهما هذه

الموعد — : آخر موعد لقبول القصائد المختصة بهذا الموضع ٣٠ افريل (نيسان) من السنة الجارية

الحكم — : ويكون الحكم النهائي في الموضوع لحضرة الشاعرين الكبيرين : سعادة اسماعيل باشا صبري وحافظ افندي ابرهيم

السباق النثري الكبير

« لسنة ١٩١٠ »

الموضوع — : كتابة نبذة لا تتجاوز عشر صفحات من قطع هذه المجلة في « الوسائل الواجب اتخاذها لترقية آداب اللغة العربية » بعد ايراد لمحة وجيزة في ما كانت عليه ايامَ الجاهلية وعلى عهدِ الخلفاء

الموعد — : آخر موعدٍ لقبول ما يُرسل الينا في هذا الشأن ١٥ مايو (ايار) من السنة الجارية

الحكم - : وسيحكم بين الباحثين كاتبان اختصاصيان وهما : سعادة القانوني حفني بك ناصف ، مدرّس الاداب العربية في الجامعة المصرية ، وحضرة الباحث الشيخ محمد المهدي المدرّس بمدرسة القضاء الشرعي

***

الجوائز — : سيمنح الفائزون في كل سباقٍ من هذين السباقين جوائز ثمينة متنوعة سنذكرها في عددٍ آتٍ

الشروط — : على كل من يرغب في الاشتراك في أحد هذين السباقين او في كليهما ان يُراعي الشروط الآتية :

١ً — ان يكون مشتركاً في المجلة - والآفعليه ان يُرسل طوابع بريد بقيمة فرنكين لنفقات المراسلات

٢ً — ان يوقع ما يكتبه بتوقيع مستعار . ويكتب اسمه الحقيقي وعنوانه مع اسمه المستعار في ورقة يضعها في ظرفٍ مختوم يدوّن على ظاهره اسمه المستعار فقط ويضع هذا الظرف مع قصيدته او مقالته في ظرفٍ ثان ويُرسله خالص اجرة البريد بعنوان « مجلة الزهور » . شارع الفجالة نمرة ١ بمصر

٣ً — ان يذكر اذا كان يريد، عند نشر الكتابات في المجلة، ان يُصرّح باسمه الحقيقي او يُكتفى باسمهِ المستعار

٤ً — ان لا يتأخر بارسال موضوعه عن الموعد المضروب لكل سباق



صاحب السمو عباس باشا حلمي الثاني خديو مصر

حج سمو خديوي مصر في هذا العام الى البيت الحرام وعاد محفوفاً باليمن والبركات . وقد تبارت قرائح شعرائنا في وداعه واستقباله. فكان موسم شعرٍ ذكَّرنا سوق عكاظ · ولا جدال في ان خير ما قيل في حج امير مصر قصيدة سعادة احمد بك شوقي امير الشعر . وقصيدة حضرة حافظ افندي ابرهيم نابغة مصر . وقد جئنا على بعض ما فيهما من الدرر الغوالي في ما يأتي من المقال :



احمد بك شوقي

شاعر الامير

١

شوقي والبوصيري (١)

« البردة وطرازها »

قصيدة البوصيري في مدح نبيّ الاسلام من خير ما جادت به قرائح الشعراء معنًى ومبنًى . وقد توالت الاجيال والقرون على هـذه « البردة » الثمينة ، فلم تبلَ جدتها ، ولم تذهب بهجتها ، بل اكسبتها الايام « جلالَ العتقِ والقدمِ » ولقد شاء احمد بك شوقي ان يُلبِسَها طرازاً معلماً فنسج « طراز البردة » بمناسبة عودة سمو امير مصر من حجه المبرور . ولقد كان ذلك يعدُّ — تهجماً — من اي شاعر كان الاّ من امير الشعر . فهو ذو القريحة

(١) الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد البوصيري ولد في ناحية دلاص سنة ٦٠٨ وتوفي في الاسكندرية سنة ٦٩٦

الوقادة والنفس الطويل، القادر على مجاراة فرسان الشعر في اي ميدان كان.
فجاءت قصيدته خير « طراز » يليق ان توشّى به تلك « البردة » البديعة كما سيرى القارئ من المقارنة بين بعض ابيات هذه وتلك . وقد كان بودنا اثبات القصيدتين برمتهما لولا ضيق المقام

لم تخفَ على شوقي بك وعورةُ هذا المسلك فتنصل قائلاً :

المادحون وارباب الهوى تبعٌ (لصاحب البردة) الفيحاء ذي القدمِ
اللهُ يشهدُ أني لا أُعارضهُ من ذا يعارضُ صوب العارضِ العرمِ ؟

على ان شوقي — رغمَ هذا التنصل الذي قضى به حسن الذوق — قد عارض سلفه ولم يقصّر عنه في اكثر المواقف :

قال البوصيري في الآيات القرآنية

لو ناسبت قدرهُ آياتُه عظماً احيا اسمه حين يُدعى دارس الرممِ
وكلُّ آيٍ اتى الرسلُ الكرامُ بها فانما اتصلت من نورهِ بهمِ
آياتُ حقٍّ من الرحمن مُحدثةٌ قديمةٌ صفة الموصوف بالقدمِ
لم تقترن بزمانٍ وهي تخبرنا عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ

وقال شوقي في مثل هذا المعنى :

جاء النبيون بالآياتِ فانصرمت وجئتنا (بحكيمٍ) غيرِ منصرمِ
آياته كلما طال الزمانُ بها يزينهنَّ جلالُ العتقِ والقدمِ
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً (حديثك) الشهدُ عند الذائق الفهمِ
حلّيتَ من عطلٍ جيدَ الزمان به من كلّ منتثرٍ في حسن منتظمِ
بكل قولٍ كريمٍ أنت قائلهُ تُحيي القلوبَ وتُحيي ميت الهممِ

شريعةٌ لك فجَّرتَ العقولَ بها عن زاخرٍ بصنوفِ العلمِ ملتطمِ

يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها كالحلي للسيفِ او كالوشي للعَلمِ

وجاء في « البردة » عن وصف العالم عند ظهور الدعوة الى الاسلام :

أبانَ مولدُه عن طيب عنصرهِ يا طيبَ مبتدإٍ منه ومختتمِ

يوم تفرّس فيه الفرس انهمُ قد أُنذروا بحلول البؤس والنقمِ

وبات ايوانُ كسرى وهو منصدع كشملِ اصحابِ كسرى غير ملتئمِ

وجاء في « طراز البردة » من بديع الوصف ما نأخذ منه :

اتيتَ والناس فوضى لا تمرُّ بهم الاّ على صنمٍ قد هام في صنمِ

والارض مملوءةٌ جوراً مسخرة لكل طاغيـة في الخلق محتكمِ

مسيطرُ الفرس يبغي في رعيته وقيصرُ الروم من كبرٍ أصمُّ عمي

والخلق يفتكُ اقواهم باضعفهم كالليث بالبهمِ او كالحوت بالبلمِ

أسرى بك الله ليلاً اذ ملائكه والرسلُ في (المسجد الاقصى) على قدمِ

لما خطرتَ به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدرِ او كالجندِ بالعلمِ

وهذا المعنى الاخير اخذه شوقي عن البوصيري حيث قال :

فانه شمس فضلٍ هم كواكبها يظهرنَ انوارَها للناس في الظلمِ

وصف صاحب البردة انقشاع غياهب الجهالة امام انوار الرسالة النبوية فقال :

كم جدَّلتْ كلماتُ الله من جدلٍ فيه وكم خصَم البرهانُ من خصمِ

كفاك بالعلم في الأُميّ معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليتمِ

وتحدّاه صاحبُ « الطراز » فكمّل المعنى بنفي الريب والظنون فقال :

والجهلُ موتٌ فان أُوتيتَ معجزة　　فابعث من الجهل اوفابعث من الرجمِ
قالوا غزوتَ ورسلُ الله ما بُعثوا　　لقتل نفسٍ ولا جاءوا لسفك دمِ
جهلٌ وتضليل احلامٍ وسَفسفةٌ　　فتحتَ بالسيفِ بعد الفتح بالقلمِ
لما اتى لك عفواً كلُّ ذي حسب　　تكفّل السيفُ بالجهال والعممِ
والشرّ ان تلقَه بالخيرِ ضقت به　　ذرعاً وان تلقَه بالسيفِ ينحسمِ

وقال البوصيري واصفاً قتال الاعداء فأبدع في الترشيح في الاستعارة :

راعت قلوب العـدى انباءُ بعثته　　كنبأةٍ اجفلت غفلاً من الغنمِ
هم الجبالُ فسلْ عنهم مصادمهم　　ماذا رأى منهمُ في كل مصطدمِ
المصدري البيض حمراً بعدما وردت　　من العدى كلَّ مسودٍ من اللممِ
والكاتبين بسمرِ الخط ما تركت　　اقلامهم حرفَ جسم غيرَ منعجمِ

وقال شوقي وقد اضاف الى ذلك شيئاً من الفلسفة الاجتماعية :

علمتهم كل شيء يجهلون به　　حتى القتال وما فيه من الذممِ
دعوتهم لجهادٍ فيـه سؤددهم　　والحربُ اسٌّ نظام الكون والاممِ
لولاه لم نرَ للدولات في زمن　　ما طال من عمدٍ او قرَّ من دعمِ
بالامس مالت عروشٌ واعتلت سررٌ　　لولا القنابل لم تثلم ولم تصمِ

وجاءَ في « البردة » من مدح الخلفاء ما لا يقارب ما جاء على لسان صاحب « الطراز » حيث قال عن العرب وخلفائهم :

دعْ عنك روما واثينا وما حوتا　　كل اليواقيت في بغدادَ والتومِ
وخلِّ كسرى وايواناً يدلُّ به　　هوى على اثر النيران والايمِ
واترك رعمسيسَ إن الملك مظهره　　في نهضة العدل لا في نهضة (الهرمِ)

دار الشرائع روما كلما ذكرت (دار السلام) لها القت يد السلم
ما ضارعتها بياناً عند ملتئم ولا حكتها قضاءً عند مختصم
ولا احتوت في طراز من قياصرها على رشيدٍ ومأمونٍ ومعتصم
يطأطىء العلماء الهامَ ان نبسوا من هيبةِ العلمِ لا من هيبة الحكم
ويمطرون فما في الارض من محلٍ ولا بمن بات فوقَ الارض من عدم
خلائف الله جلُّوا عن موازنةٍ فلا تقيسنَّ املاك الورى بهم
من في البرية (كالفاروق) معدلة و(كابن عبدالعزيز) الخاشع الحشم
و(كالامام) اذا ما فضَّ مزدحماً بمدمعٍ في مآقي القوم مزدحم
او (كابن عفان) والقرآن في يده يحنو عليه كما تحنو على الفطم

الى غير ذلك من التاريخ المسبوك باجمل قالب شعري . . .

واشار (محمد) البوصيري الى اسمه فقال :

فان لي ذمة منه بتسميتي (محمداً) وهو اوفى الخلق بالذمم

واشار (احمد) شوقي الى اسمه ايضاً فقال :

يا (احمدَ) الخير لي جاه بتَسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول سمي

وهناك ايضاً معان كثيرة نسج عليها الشاعران ابياتاً شائقة كنا نود ذكرها لنبين مجرى الافكار من جيل الى جيل ، ولكن في ما تقدم كفاية لاطلاع القراء على طريقة شاعر الامس وشاعر اليوم، فيرون ان « طراز » شوقي كان « لبردة » البوصيري « كالحلي للسيفِ او كالوشي للعلمِ »

٢

حافظ والفرزدق (١)

قال حافظ من قصيدته مخاطباً أمير مصر :

تذكر زين العابدين وجدَّه ... وما كان من قول الفرزدق فيهما

وقول الفرزدق فيهما مشهور ، ورواية الخبر ، انه لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام . فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام . فبينما هو كذلك اذ أقبل زينُ العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان من أجمل الناس وجهاً وأطيبهم ارجاً . فطاف بالبيت . فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر . فقال رجل من أهل الشام لهشام : « من هذا الذي هابه الناسُ هذه الهيبة ؟ » فقال هشام : « لا أعرفه » مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً فقال « أنا أعرفه » . ـ فقال الشامي : ومن هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

هذا ابن فاطمة إنْ كنتَ جاهلَهُ ... بجدّه اولياءُ الله قد خُتموا

وليس قولُكَ «من هذا ؟» بضائرِهِ ... العربُ تعرف من انكرتَ والعجمُ

(١) همام بن غالب بن صعصعة الملقب بالفرزدق ولد سنة ٣٨ هـ . و ٦٥٩م وتوفي في البصرة سنة ١٢٠ هـ . و ٧٢٩ م .

هذا هو قول الفرزدق في زين العابدين الذي يشير اليه حافظ والذي تذكره الركن عند استلام العباس له .

تمنى حافظ أن يسير في ركب أميره ، فقال :

ولو أنني خُيّرتُ لاخترتُ ان أُرى لعيسك وحديــــ حادياً مترنما

فلو فرضنا أن الزحام كان شديداً حتى تعذر على أمير مصر أن يصل الى الحجر وكان حافظ قد سار امامه « حادياً مترنماً » بقوله :

مشت كعبة الدنيا الى كعبة الهدى يفيض جلالُ الملك والدينِ منهما

وفي الركب شمسٌ[1] انجبت انجب الورى فتى الشرق مولانا الاميرَ المعظما

تَسير الى شمس الهدى في طفاوة من العز تحدوها الزواهر أينما

لتنحَّى الناسُ لهذا الامير وشاعره ولو كان فيهم صفوة العظماء وخيرة الامراء

واذا قابلنا بين قصيدة حافظ وقصيدة الفرزدق فقد لا تفضلُ هذه تلك . وشاعر زين العابدين معروف بجزالة شعره وفخامته وشدة اسره حتى قُدّم على الشعراء الاسلاميين .

وصف الفرزدق ممدوحه بالكرم فقال :

كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهما يُستوكَفان ولا يعروهما عدمُ

ما قال (لا) قط إلاّ في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعمُ

همُ الاسود اذا ما أزمةٌ أزمت والاسدُ اسدُ الشرى والبأس محتدمُ

وقال حافظ

---

(١) صاحبة العصمة والدولة والدة سموّ الامير

حللت بأكناف الجزيرة عابراً فانضرتَ واديها وكنتَ لها سَما

دعوا بكَ واستسقوا فلبي دعاءهم من الأفق هتانٌ من المزن قد هما[1]

رجعتَ وقد داويتَ بالجود فقرهم وكنت لهم في موسم الحجِّ موسما

وجدتَ وجادت ربةُ الطهر والتقى على العام حتى أخصب العام منكما

فلم تبقيا فوق الجزيرة بائساً ولم تتركا في ساحة البيت معدما

واذا كان الفرزدق قد أجاد وأبدع في مدح أجداد ممدوحه فان حافظاً لم يقصر عنه في هذا الباب أيضاً حيث قال

سليل ملوك يشهد الله أنهم أقاموا عمود الدين لما تهدما

ائن بات بالمجد المؤثل مغرما لقد كان (ابراهيم) بالمجد مغرما

وان نام حب المكرمات فؤاده لقد كان (اسماعيل) فيها متيما

وان سكنت تقوى المهيمن قلبه فقد كان منها قلب (توفيق) مفعما

وان بات نهاضاً بمصر الى الذرى فمن جده الاعلى (علي) تعلما

٣

الامراء والشعراء

« امس واليوم »

كان الامراء قدماً يدَّعون ان كرمهم علّم الشعراءَ الشعر. وكان الشعراء يجيبون بان شعرهم علَّم الامراء الكرم. ولقد يكون الفريقان صادقين في ما يقولان

---

(١) المطر الذي نزل على انحاء الجزيرة في هذا العام ساعد الشاعر على ايجاد هذا المعنى

وكان الشعراء بالامس يقفون على أبواب الملوك والعظماء لينشدوهم الشعر ، ونراهم اليوم المقربين الجالسين في الصدر

واقد نظم شوقي بك هذا المعنى فابدع واجاد . ولشاعر امير مصر ولع بشعر ابن هاني شاعر هارون الرشيد وقد اطلق على منزله في « المطرية » اسم « كرمة ابن هاني » وكان هذا المنزل مزداناً بابهج الزينات ليلة عودة سمو الخديوي من الحج فاتفق ان سموه مرَّ تلك الليلة امام « كرمة ابن هاني » فالفى شاعره واقفاً على الباب فقال له :

« يا شوقي اعجبتني قصيدتك كما أعجبتني زينتك » فارتجل شوقي بك الابيات الآتية التي اشرنا اليها ، كحاشية لطراز البردة :

زينُ الملوكِ الصيدِ مرَّ بزينتي	كرماً وبابُ الله طاف ببابي
يا ليلةَ القدرِ التي بُلّغتها	ما فيكِ بعد اليوم من مرتابِ
ما كنت اهلاً للنوال وانما	نفحات أحمد فوقَ كل حسابِ
لما بلغت السؤل ليلةَ مدحه	بعث الملوك يعظمون جنابي
بدران بدرٌ في السماء منورٌ	واخوه فوق الارض نور رحابي
هذا (ابن هاني) نال ما قد نلتُ من	حسبٍ نُدلُّ به على الاحسابِ
قد كان يسمى للرشيد وبابه	فسعى الرشيد اليه وهو ببابي

***

أما حافظ فقد مثل بحضرة الامير يوم وصوله وقام في السرادق الفخيم الذي نصبته لجنة الاحتفال في ساحة سراي عابدين فأنشده قصيدته التي سلفت الاشارة اليها . وكان الامير يصغي الى منشده بكل انتباهٍ ،

فيقول بعد كل بيت مدحٍ : « استغفر الله » وبعد كل بيت دعاءٍ : « ان شاءَ الله . »

فاكرمْ بالملوك والامراء الذين يعرفون قدر الادب والادباء . . . !

الصحافة والصحافيون

كان حاملُ القلم كحامل السيف في يمين كليهما سلاحٌ ماضٍ ... وأصبح حاملُ القلم ، في العصر الحديث ، كالقابض على الصولجان : كلاهما نافذُ الكلمة ، مرعيُّ الجانب

ولكن لا يتمُّ ذلك للكاتب ، إلاَّ اذا فهم حقيقةَ مهمتهِ ، وأدرَكَ شرف مهمتهِ . فاذا لم يكنْ « كلُّ من هزَّ الحسام بضاربٍ » فكذلك ليس « كلُّ من هزَّ اليراعَ بكاتبٍ » وأبعدُ حملةِ الاقلام نفوذاً الآن هم الصحافيون ، بفضل انتشار الصحف واقبال الكبير والصغير عليها . وعليه يجب ان تكون الصحافة ـ كما قال أحد كبار المفكرين ـ « شجرة الحقيقة يغرّدُ على افنانها الكتّاب الصادقون » وانه ليسرّنا ان ندوّنَ على صفحات « الزهور » كلمتين في هذا الموضوع : احداهما لاميرٍ شرقيٍّ كبير ، والثانية لشريفٍ غربيٍّ خطير

١

قام دولة الامير الجليل حسين باشا كامل عم سمو الجناب العالي الخديوي في إحدى جلسات « مجلس شورى القوانين » ووجّهَ الى رجال الصحافة كلماتٍ قلَّما سمعنا مثلها في الشرق من كبرائنا ، قال :

« إن كلَّ امةٍ متمدنة يجب عليها ان تحترمَ الصحافة ، ونودُّ أن تكونَ معها يداً في يد ، لتتعلم منها وتستفيد مما ينشرُ فيها من الفوائد ...

نتمنى أن يكون التعليمُ في مصر إجبارياً حتى يصبحَ الكلُّ يُطالعون الصحفَ ويستفيدون منها ويتنوَّرون بما فيها ..

« مكثتُ نحو الثمان سنوات تلميذاً في أوروبا ، فرأيت أنَّ تنوُّر العامة جاء من مطالعة الصحف ..

« الجرائد أكبر من أن تكون مهنة لتعيش أصحابها ، بل هي أشرف من ذلك ولها فوائد عامة عديدة

« انا نعتبركم جزءاً منا حيث تحضرون جلساتنا ونقبل بارتياح ان تنتقدوا أعمالنا .. وأنتم جميعاً تعلمون مقدار احترامي لكم .. »

٢

وعقدَ مؤخراً في انكلترا « مؤتمر الصحافة » فألقى اللورد مورلاي خطاباً نقتطف منه الفقرات الآتية :

« الانشاء هو تأليفُ المقالاتِ والكتب الضارة والمفيدة . وهو كالتصوير اليدوي يأتي بالصور الجميلة والقبيحة

« مهنةُ الصحافةِ شريفة وشاقة . قال كارليل : الصحافي ، سواء كان قائداً للرأي العام أم لم يكن ، أليس هو واحداً من حكام العالم ؟

« ولا يُفهمُ بالصحافي من يُحسنُ اللغةَ جيداً ولا من هو كثيرُ التأنق ولا من يُرسل الكلامَ على عواهنهِ بل الصحافيُّ الحقيقيُّ المفيدُ هو الذي يُحافظُ على ادبِ الكتابة وآدابِ الاجتماع . ويكفي أن تجتمع في المنشىء ، فضيلتان : « معرفة الحقوق والبساطة » . وجوهرُ الصحافةِ والانشاء قائم في ثلاثة أشياء : حسن النية والخبرة والمقدرة

« الصحافـة والانشاء يحتاجان الى روية أكثر من الخطابة . لان ما يقولهُ الخطيبُ ينسى حالاً . وأما مايقولهُ الصحافي فيبقى مكتوباً ليُطالعَ ويراجَع ويُنتقد . ومثله كلام المنشيء : وانما الصحافيُّ يحتاجُ الى ذكاء متقدٍ والى رزانةٍ اعظم مما يحتاجه المنشيء لانَّ هذا يمكنه ان يراجعَ وان يشاورَ . واما الصحافي فليس له من الوقتِ ما يمكنه من المراجعة والمشاورة . والمنشيء يُنشيء في موضوعٍ اوفنٍ واحد . وأمَّا الصحافيُّ فتعرض له كلُّ المواضيع وكلُّ الفنون . فيجب ان يكونَ راجحَ العقل ، كثيرَ الادراك ، سريعَ التحصيل ذا حنكةٍ وحكمةٍ ليحصل على رضى الجمهور . ويكون رأيه هو الاصح وحزبهُ هو الاقوى ويكون هو المحور الذي تدور حوله الاراء — وعلى الصحافي ان يكونَ فوق الطبيب والفقيه والصناعيّ والعالم والجنديّ والسياسيّ والملك وان يكونَ بعيداً عن اغراض الجميع ، ولا يتخذ الا الحقَّ له غرضاً

« الصحافي ليس خادماً في مكتب ، بل هو مديرُ الافكار بوجهٍ عام : واذا خطر له مرةً ان يفضل الجزئي على الكلي ، والعرضَ على الجوهر ، والغرضَ على الحقيقة ، فليتصوَّر ان امامهَ الرأيَ العام يكذّبهُ . وحينذاك تتضح له المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه ، ويفهم اهمية مركزه فيحافظ عليه

« الانشاء كلامٌ منزَل كالناموس ، اذا قيل مرةً فلا يجوز بعدَ ذلك إزالة حرفٍ منه . هكذا يجب ان تكونَ الصحافة لتكونَ مفيدةً . والصحافيُّ المفيدُ هو الذي يقرأ ويُحسن الاستنتاج ، ويفهمُ معنى الاستقلال والمسؤولية

« وليس الانتقاد في شيء من الطعن . ولا يجب ان يخاطب المنتقد بلهجة العداء . والهجوُ هو ما يلجأ اليه الاعداء . وذلك محطّ من شأن الصحافة

« والصحافة الحديثة تستدعي العناية بالتهذيب . والتهذيب هو عمادُ السلم والاتحاد والسياسة والاجتماع المصري . ولا يحافظ على الحقوقِ الا المهذّبون »

﴿ نكبة باريس ﴾

طغى نهر السين على مدينة باريس، فنشر في تلك الربوع الجميلة الدمارَ والخراب ولسنا في حاجه الى ايراد تفصيل هذا الخطب الجسيم ، فقد اطلع القراء على ذلك في الصحف اليومية . واذا كانت عاصمة فرنسا مهبط الجمال وكل فنون الجمال، فيليق بالشعراء ان يسكبوا عليها في مصابها دمعة الاسف :

١

يا فرنسا لا عدمنا مننًا ... لكِ عند العلمِ والفنّ جساما

لطفَ الله بباريس ولا ... لقيت الاّ هناءً وسلاما

روَّعت قلبي خطوبٌ روَّعتْ ... ساهرَ الاحياء فيها والنياما

أنا لا ادعوا على (سين) طغى ... إنّ (للسين) وان جارَ ذماما

لست بالناسي عليه عيشةً ... كانت الشهدَ واحباباً كراما

شوقي (١)

(١) من قصيدة له في وصف اسبوع الطيران الذي اقيم في مصر وقد اشار فيها عرضاً الى نكبة فرنسا ام هذا الاختراع العجيب



ولي الدين بك يكن

٢

باريس عاصمة ملك حُذِيتْ على غير منوال

اذا أطرى الواصفون بلدةً قالوا : هي الجنةُ ، أنهارُها جارية ، وبناياتها شامخة ، ورياضها يانعة ، واشجارها ثامرة ، واعوادها زاهرة ... أوصافٌ ابتذلتها اقلامُ الكاتبين ، ووقفت عندها بديهات الشعراء

أما باريس فلا تتناولها هذه الاوصاف . كل شيء هو دون

ما وُصفَ به ، الا باريس فهي فوق ما وصفتْ به

قال اكثرُ الناس : الجمالُ غريبٌ لا وطن له ... كذبوا . باريس وطنُهُ ومشرقُ شمسهِ

الذين رأوا باريس عرفوا محاسنها وهم فيها . وابناؤها عرفوا محاسنها وهم فيها . فلما فارقوها إمّحتْ صورُها من اذهانهم إلا قليلاً بقي بها ما تحتملها العقولُ وانضوى ما لا تحتمله . هذه محاسن ترتعُ فيها النفوسُ والنواظرُ معاً . وفيها مايدخلُ النفوسَ لا عن طريق الاستشمار، بل عن طريق الادراك . وحين تزايلُ الابصارَ اشكالها تزايلُ البصائرَ خيالاتها

الطرقاتُ السوّية ، والقصورُ العالية ، والمصابيحُ المتلألئة، والجسورُ الممتدّة، والكنائس المرتفعة ، والدُمى المنصوبة ، والمصانعُ العاملة والأندية الحافلة يتأوّد بينها برجُ ايفل،[1] كأنه خطيب الحرية بين تلك العجائب، بل كأنه حارس القضاء موكل بسكان البانثيون [2]

سبحانك اللهم ما اكبر قدرتك ، بل ما افصحها وابلغها من قدرة..!

البلدة الطيبة التي فرعت الحوادث مروتها ، ثم ضحكت لها وجوهها، ربيبة العزّ على اختلاف انواعه : عز الجمال ، وعز العلم ، وعز الدولة. اختلفتْ

---

(١) برج عظيم في باريس يبلغ علوه ٣٠٠ متر بناه المهندس الذي اطلق عليه اسمه

(٢) البانثيون كما يدل اسمه اليوناني الاصل هيكل « لجميع الآلهة » بناه في رومة القائد الشهير اغريبا صهر اغسطس قيصر . والبانثيون في باريس بناية فخيمة يدفن فيها عظماء الرجال

فيها مواكب الابهة . دخلها هنري الرابع فاتحاً . وعاودها بونابرت ظافرًا ولكن تهادت فيها انطوانت [1] الى ميدان القصاص . وهي بعد ذلك رقت ودقت وحلت : فكانت الفاتنةَ يوم فرحها ، وكانت الفاتنةَ يوم ترحها

وان مواقع الجياد ، يوم دخلها غليوم الاول ، لهي مواقع القُبل من شفاه عشاقِها . ذلك اديمٌ تنبو عنه الشقوة ، ويترقرق عليه النعيم

لم يسعدني الزمان بزورةٍ لها ، وكم اشتقتها ، وكم اشتاقها . . . ! وانما عشقتها الروح ، ولم ترها العين . وما كان عشقي لها على قدر ما نعتها به الناعتون فاقول : « الاذن تعشق قبل العين احياناً » ولكن عشقي لها على قدر معرفتي بها

بيني وبينها الفدافد والبحار . لم يستجلِ مرآتها ناظراي . غير أنّ نفسي حلَّقت بسمائها وخواطري جالت في ارجائها

كلما انشدتُ بيتاً لهوغو أو لموسه ، خِلتني أنشدُ شعرها وأترجم لذاتي عنها

حين أُبصر الباريسي الظريف في حديثهِ الطيب ، وشمائله المليحة ، أذكر باريس . . . وحين أُشاهدُ الباريسية في شعرها الذهبي ، وعينيها السماويتين ، وحديثها العذب ، إخالُ جزءًا من باريس يتكلم ، بل أحسَبُ روحَ باريس تمثّلتْ لعينيَّ لتوحي اليَّ معانيَ الشعر . ولترسل من أعماق روحي كوامنَ الاعجاز . . .

---

(١) ماري انطوانت قرينة لويس السادس عشر ملك فرنسا اعدمت سنة ١٧٩٣ ابَّان الثورة الفرنسوية الكبرى

تتغيرُ باريس ما بين غمضة عينٍ وانتباهتها : هكذا ينبغي ان تكون . . . للجمال فيها كلَّ آونةٍ شأنٌ جديد « الجمالُ فيها موضه » فلو تأملوا إحدى فاتناتها ، لألفوها صباحاً كالخوخةِ كللها الندى ، وفاح لها شذا . ولرأوها ظهراً ، وقد تمشت فيها حرارة الشمس حتى لتجانبها الشفاه اشفاقاً ، بعد اذ تطامنها لثماً . ولوجدوها مساءً وقد جمد قشرُها وبرد ، حتى لتزلَّ عنها الثنايا اذا حاولتْ لها عضاضاً

الله في باريس وفي فتن باريس ! عروس اوربا « الغالية » ، بنت التمدين ، المثال الاجمل لكل شيء : يتشبه الناس بأبنائها . يلبسون كملابسهم ، ويأكلون كما كلهم ، ثم ينطقون بالسنتهم ، ثم يغتذون بعلامهم كذلك كانت باريس ، وكذا ستكون

*
* *

تعالوا نبكي على باريس في اطلالها ورسومها ، وفي اشلاء مواتها ، وفي قصورها المتداعية . ابتدرتها سوابق عبرات السماء بمتصلة الشآبيب ، وانشق لها صدر الغمام عن كل متداني الهيدب غداةَ اقبل عليها «السين» في اواذيه المتدافعة ، وازباده المترامية

كم مقلة بالامس يتكلم إنسانها عن الصبا ، جاد غربها اليوم بواكفٍ هتان . وكم وجنة رقّ عليها ماء الشبابُ ، خدّدتها مسبلات الدموع

عبست تلك الوجوه الضاحكة ، وخلت هاتيك المغاني الآهلة ، وعُطلت مصانعُ طالما اجادت تميقَ المحاسن في كل البلاد ، وباتت بلادُ الله تندب حسناءها . . .

قال احدُ ادباء الفرنسويين « لكل امرىء وطنان : وطنه الاصلي ووطنه باريس» فليبكِ اذن على باريس كلُّ الناس ، فهي وطن كل الناس من حقها على من اكرمت وفادتهم ورحبت بهم منزلاً ، ونثروا عليها التبرَ وهي حالية، ان يكرموها في مصابها، وان ينثروا عليها التبر وهي عاطلة سأبكي باريس مستمدِاً دموع الغمائم ، مستعيناً بعيون النيّرات . فان تنفدِ الدموع، فانّ من الاسى ما يُجدده الشوق، وينميه الغرام. سلامٌ على باريس في مصابها . سلام عليها في جلبابها الاسود . وكأنها العذراء بعثت لتدعو العالم الى السجود . . . .　　　ولي الدين يكن

الغد

السيد مصطفى لطفي المنفلوطي أشهر من ان يعرف . فلقد نالت كتاباته الرائقة شهرة بعيدة وتناقلتها صحف القطرين . وهو مباشر الآن طبع كتاب تحت عنوان « النظرات » جمع فيه ما نشره على صفحات الجرائد والمجلات . وسيكون هـذا الكتاب النفيس خير متحفٍ جمع بين اسلوب الاقدمين وتفنن المحدثين . وسنعود اليه بالتفصيل بعد بروزه من عالم الطباعة الى عالم المطالعة . ونحن واثقون بان كل قارئ سيضمه في مكتبته الى كتبه الثمينة . وقد تفضل صاحبه بان يترك لنا اختيار ما نريد من « الملازم » التي نجز طبعها لنحلي به العـدد الاول من هذه المجلة . ولذلك أُتيح لنا ان نتحف القراء بالمقالة الاولى من كتاب « النظرات » وهي تحت العنوان المتقدم :

عرفتُ أني فكرتُ ليلة الأمس فيما اكتبُ اليومَ ، وعرفتُ أني ممسكٌ الساعةَ قلمي بين أصابعي ، وأنَّ بين يديَّ صحيفةً بيضاءَ ، تسودُّ

قليلاً قليلاً ، كلما أجريتُ القلمَ فيها . ولكنني لا أعلمُ هل يبلغُ القلمُ مداه ، او يكبو [١] دونَ غايته . وهل أستطيع ان أُتمّ رسالتي هذه او يعترض عارضٌ من عوارضِ الدهرِ في سبيلها . لأني لا أعرفُ من شؤونِ الغد شيئاً . ولأن المستقبلَ بيد الله

عرفتُ أني لبستُ اثوابي في الصباحِ وأني لا أزالُ ألبسُها حتى الآنَ . ولكني لا أعلمُ هل أخلعُها بيدي ، او تخلعُها يدُ الغاسل

الغدُ شبحٌ مبهمٌ يتراءى للناظرِ من بعيدٍ فربما كان ملَكاً رحيماً . وربما كان شيطاناً رجيماً . بل ربما كان سحابةً سوداءَ ، اذا هبتْ عليها ريحٌ باردةٌ ، حللتْ اجزاءَها ، وفرّقت ذراتِها ، فاصبحتْ كأنما هي عدمٌ من الاعدام التي لم يسبقها وجود

الغدُ بحرٌ خضمٌ زاخرٌ يعبُّ عُبابُه [٢] ، وتصطخب امواجُه [٣] ، فما يُدريكَ إن كان يحملُ في جوفه الدرَّ والجوهر ، او الموتَ الاحمر

لقد غمَضَ الغدُ عن العقول ودقّ شخصهُ عن الانظار ، حتى لو ان انساناً رَفعَ قدمَه ليضعها لا يدري أيضعُها على عتبةِ القصر ، او على حافة القبر

الغد صدر مملوء بالاسرار الغِزار تحوم حوله البصائر وتَتَسقّطُه [٤] العقول وتستدرجهُ الانظار ، فلا يبوحُ بسرٍّ من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال

---

(١) هذه الحواشي للمؤلف : كبا يكبو كبوا سقط على وجهه

(٢) يعب عبابه يرتفع موجه (٣) اصطخبت الامواج ارتفعت اصواتها

(٤) تسقط الخبر اخذه شيئاً فشيئاً

كأني بالغدِ وهو كامنٌ في مكمنـه ، رابضٌ في مجثمه [١] متلفعٌ بفضل إزاره ، ينظر الى آمالنا وأمانينا نظراتِ الهزوءِ والسُّخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفافِ والازدراء

يقول في نفسه لو علِمَ هذا الجامعُ انه يجمع للوارث ، وهذا الباني انه يبني للخراب ، وهذا الوالدُ انه يلدُ للموت ، ما جمعَ الجامعُ ولا بَنىَ الباني ولا ولَد الوالد

ذَلل الانسانُ كلَّ عقبة في هذا العالم ، فاتخذَ نفقاً [٢] في الارض ، وصعد بسُلم الى السماء ، وعقدَ ما بين المشرق والمغرب باسبابٍ من حديد وخيوطٍ من نحاس [٣]

انتقلَ بعقله الى العالَم العُلويّ فعاش في كواكبه ، وعرف اغوارها وانجادها وسهولها وبطاحها وعامرها وغامرها ورَطبها ويابسها

وضعَ المقاييس لمعرفـة أبعادِ النجوم ومسافات الاشعةِ ، والموازينَ لوزن كُرَةِ الارض مجموعةً ومتفرقة

غاص في البحار فعرف اعماقها وفحصَ تُربتها وأزعجَ سكانها ونبش دفائنها وسلبها كنوزها وغلبها على لآلِئها وجواهرها

نفذَ من بين الاحجار والآكام [٤] الى القرون الخالية فرأى اصحابَها

---

(١) مجثم الطائر موضع جثومه اي تلبده بالارض (٢) النفق السرب في الارض ينتهي بمخرج • يشير الى نفق القطارات الحديدية في بطن الارض في بعض البلاد (٣) الاسباب الحبال وكل ما يوصل بين الشيئين • يشير الى اتصال العلائق بين اقطار الارض بسبب قضبان الحديد واسلاك الكهرباء (٤) يشير الى ما وقف عليه العلماء من الحقائق التاريخية بعد الاطلاع على الآثار التاريخية

وعرف كيف يعيشون ، واين يسكنون ، وماذا يأكلون ويشربون

تسرَّب من منافذ الحواسّ الظاهرة الى الحواس الباطنةِ فعرف النفوس وطبائعها . والعقول ومذاهبها . والمدارك ومراكزها . حتى كاد يسمع حديثَ النفس ودبيب المنى

اخترقَ بذكائهِ كلَّ حجاب ، وفتح كلَّ باب ، ولكنه سقطَ أمامَ بابِ الغد عاجزاً مقهوراً لا يجرأ على فتحه ، بل لا يجسُرُ على قرعه ، لانه باب الله . والله لا يُطلعُ على غيبه احداً

أيها الشبح الملثَّمُ بلثام الغيب . هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثامَ قليلاً لنرى لمحةً واحدةٍ من لمحات وَجهك ، أوْ لاَ ، فاقتربْ منا علنا نستطيعُ ان نستشفَّ خيالَك من وراء هذا اللثام المسدولِ فقد طارت قلوبُنا شوقاً اليك ، وذابت اكبادنا وجداً عليك

ايها الغد . ان لنا آمالاً كباراً وصغاراً ، وأماني حِساناً وغير حسان . فحدّثنا عن آمالِنا أين مكانها منك . وخبّرنا عن امانينا ماذا صنعتَ بها . أأذلَلتَها وأهنتها ، ام كنتَ لها من المكرمين

لا لا . صُنْ سرك في صدرك ، وابقِ لثامَك على وجهك ، ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا وأمانينا حتى لا تَفجعنا فيها ، فتفجعنَا في ارواحنا ونفوسنا فانما نحن احياءٌ بالآمال وان كانت باطلة. وسعداء بالاماني وان كانت كاذبة

وليست حياةُ المرء الا أمانيا　　اذا هي ضاعت فالحياةُ على الأثر

مصطفى لطفي المنفلوطي

ساعة الوداع

لسعادة اسماعيل باشا صبري

اترى انتَ خاذلي ساعةَ التو ديع يا قلبُ في غدٍ أم نصيري
ويكَ قلْ لي متى اراك بجنبي راضياً عن مكانِكَ المهجورِ
ساعة البين قطعةٌ انت قُدّتْ للمحبّين منْ عذابِ السعيرِ
لا تحيني روحي الفداءُ لماحيـ ـكِ غداً مِنْ صحيفةِ المقدورِ

ازهار واشواك

حول « الزهور »

رغبت إليَّ ادارة هذه المجلة في تحرير هذا الباب ، وغاية هذه المجلة شريفة ، فاضطُررت الى إجابة هذا الطلب . على اني احجمت كثيراً قبلما اقدمت . لاني اذا كنتُ سأجني ازهاراً طيبة يروقني ويروق قرّائي شذاها ومرآها ، فلقد اجني ايضاً كثيراً من الاشواك ، فيؤلمني وخزها ويؤلمهم ، ولربما يُدميني ويُدميهم . ولكنّ القراءَ الكرام سيرضون عني كما انا راض الآن بهذه المهمة الشاقة

سأجني من انوار الرياض شهداً وبلسماً وعنبراً فيه لذة للذوق ، ومداواة للجرح ، وطيب للناس . وما هذا وذاك وذلك إلا من جني الزهور ، فقد جاءَ في « تاج العروس » في مادة « عنبر » انه شمع عسلٍ ببلاد الهند مرعى نحله من « الزهور » الطيبة يكتسبُ طيبه منها .

فسأسكب عنبراً وبلسماً ، اذا رايت في الحوادث والاعمال « زهوراً طيبة » وإلاّ كان جنيي صاباً وعلقماً

وجاءَ في « لسان العرب » انّ « الزهور » تلألؤ السراج الزاهر . فعسى ان يقطر ما اجنيه زيتاً صافياً يزيد تلألؤَ هذه المجلة الزاهرة ، لا سائلاً عكراً يبعث دخاناً تدمع له العيون ، وتشمئزّ منه الانوف . وعلى كلٍّ فجلُّ رغائبي ان تتوثق عرى الصداقة شيئاً فشيئاً بيني وبين قرّائي الاحباء . فنتبادل ما نشاء من الافكار بين الازهار والاشواك . فنبتسم معاً ونتألم معاً . متذكرين انّ لا ورد بلا شوك . وان اشواكاً كثيرة بلا ورد

ادمون روستان وحافظ ابرهيم :

ادمون روستان هو احد كبار شعراء فرنسا في هذه الايام . ذكره طبّق الافاق ، ورواياته مُثلت على اكثر مراسح العالم ، فصفقوا لها في كل عواصم اوربا ، وهتفوا لمؤلفها في اميركا واسيا وافريقيا . أَلّف فاشتهر ، وصنّف فاغتنى ، فما احسن حظه وما أسعدَ نجمه . . ! جمع من رواية « الايجلون » او فرخ النسر ومن رواية « سيرانو ده برجراك » ما يقدر بالملايين من الفرنكات . وها قد انجز الآن رواية « شانتكلير » وهي رواية غريبة الشكل والوضع ، لان كل اشخاصها من الحيوانات . . . غير الناطقة . لكن بلاغة مؤلفها انطقتها بما تكاد تعجز عنه الحيوانات الناطقة . بيد اني لا انظر الآن الى هذا الامر . بل اريد ان يعرف القراء ان مدير مجلة « الالوستراسيون » قد اشترى حقّ نشر هذه الرواية في مجلته بمبلغ . . .

زهيد لا يتجاوز المليون فرنك : اربعة فصول : لا يتجاوز الفصل ٥٠٠ شعر — بمليون فرنك . فيكون ثمن الشعر الواحد من اشعار روستان يباع بخمسمئة فرنك اي بعشرين جنيهاً وثمن الكلمة اذا قدرنا عشر كلمات في كل بيت جنيهان فضلاً عما ينال المؤلف من تمثيل روايته . واذا عرفت انها ستمثل كاسلافها الوفاً من المرات تعرف ان روستان يقبض ثمن الحرف الواحد من اشعاره مالاً جزيلاً قد لا يناله كتابنا من الصحفات الطويلة فحرفه اذن يساوي مجلداً من كتبنا . . . الرائجة

يُعدُّ روستان عندهم بمثابة حافظ ابرهيم عندنا . فهل يا ترى تعود قصيدة من حافظ بل ديوانه برمتهِ بما يعود بيت من روستان على صاحبه . ؟ مسكين حافظ تنقده مجلاتنا وجرائدنا كلمات « النابغة ، وشاعر مصر » ثمن قصائده وتنقد روستان مجلة واحدة مليون فرنك ثمن رواية واحدة.. هنالك يدفعون لروستان درراً وجواهر ، وهنا نكتفي بان نجد الدرر والجواهر في نفثات شعرائنا . فشعراؤنا اذن أغنياء ، فنأخذ منهم ، وشعراؤهم فقراء ، فيعطونهم . فيا ليتني كنت شاعراً افرنجياً تجود عليَّ الجرائد والمجلات بالدرر لا شاعراً عربياً تجد الجرائد والمجلات تلك الدرر في اشعاري . . !

***

النادي العائلي :

اسمه لطيف ذلك النادي الذي اسسه في بيروت فريق من الافاضل والادباء . واول عمل عرفناه عنه الطف . . . جعل جائزةً قدرها خمسمئة فرنك للكاتب الذي يؤلف خير رواية تمثيلية في موضوع وطني

النادي يشترط ان تكون الرواية مؤلفة لا معربة . ورواياتنا المؤلفة تعد على اصابع اليد الواحدة لا اليدين والجائزة التي وضعها النادي زهيدة لا تعادل المليون الذي يقبضه روستان عن روايته . ولكنه خطا خطوة حسنة يستحق عليها كلمة « برافو » وها نحن نقولها لرئيسه الفاضل وسكرتيره الاديب واعضائه الكرام . ونهنئ سلفاً الكاتب الذي سينال « قصب السبق » كما كان يقول العرب . ويا ليتني اعرف كيف تُنسَّقُ المشاهد والفصول لانزل الى هذا الميدان . ومثل هذا الثناء جديرٌ ببلدية الاسكندرية ، فقد منحت جوق سليم افندي عطا الله مئة جنيه مساعدة له : عطاء . . . البلدية قليلٌ بجانب عطاء . . . الله . ولكنها باكورة تنشيط البلديات والحكومات الشرقية للاجواق العربية وكل باكورة لذيذة..

جنون الطبيعة :

الطبيعة تجنُّ كالافراد ، وترتكب مثلهم في حالة الجنون جرائم وفظائع . وجنونها هائل في هذه المدة ، ثارت العناصر الواحد تلو الثاني على بني البشر : زلزلت الارض فانجابت بمن فيها ، وتفجّرت نيرانها فاودت بمن عليها ، وزمجرت العواصف فاهلكت واغرقت ، وارغت المياه وازبدت فجرفت واقتلعت ، فكأنّ داء « الهيستيريا » قد هزَّ المادة فتمردت على العقل المتسلط عليها ، المستبدّ بها . فيا لله من جنون الطبيعة . . ! ويا لله من تمرّدها . . . !

ماصر

حديقة الاخبار

— وافقت الدول على تمديد اجل المحاكم المختلطة في مصر الى خمس سنوات ابتداءً من غرة فبراير المنصرم

— في التاسع من الشهر الغابر افتتحت الجمعية العمومية المعقودة للنظر في مسألة اطالة امتياز قناة السويس

— قرر سعادة زغلول باشا ناظر المعارف تعليم اختزال الخط . وكانت الحلقة الاخيرة من سلسلة مآثره في نظارة المعارف المصرية قبل ان يغادرها

— ظهر في مصر حزبٌ سياسي جديد « الحزب الدستوري » وزعيمه عطوفة ادريس بك راغب

— اجتمع فريق من كريمات السيدات في سراي صاحبة الدولة الاميرة عين الحياة هانم افندي وألفن جمعية باسم « محمدعلي » جد العائلة الخديوية العلوية لحماية الاطفال والامهات فاكرم بالاحسان حليةً للحسان

— جرى في عين شمس اسبوع الطيران . فراينا النسور البشرية تحلق في الجو . فتذكرنا قول شوقي عن البشر

حين ضاق البرُّ والبحرُ بهم   اسرجوا الجوَّ وساموه اللجاما

وقول الرصافي :

طائرٌ في الفضاء طولاً وعرضاً   بجناحٍ من القوى غير باد

— في ٢٠ الماضي اطلق ابرهيم ناصف الورداني على رئيس النظارة

بطرس باشا غالي خمس رصاصات . وثاني يوم توفي الرئيس رحمه الله .
وتألفت الوزارة الجديدة كما يأتي : محمد باشا سعيد للرئاسة والداخلية . سعد
باشا زغلول للحقانية . رشدي باشا للخارجية حشمت باشا للمالية . يوسف
سابا باشا للمالية . وسري باشا للاشغال والحربية والبحرية — سعيد اصغر
النظار سناً صار رئيسهم . فحقق قول الشاعر « بنتاؤور » الذي هنأه يوم
توليه نظارة الداخلية بقوله :

اهلاً سعيد وسهلاً　　انت الكبيرُ الصغيرُ
دعنا نقلْ عن قريبٍ　　انت الكبيرُ الكبيرُ

— استقال دولة البرنس حسين باشا كامل من رئاسة مجلس
الشورى والجمعية العمومية .



الجزء الثاني		اول ابريل (نيسان) ١٩١٠		السنة الاولى

نظرةٌ الى ما فوقنا

« مذنّب هالي »

مالت الشمسُ الى المغيب ، وكاد قرصها الذهبيُّ يتوارى وراء خط الأفق المحمر ، فانعكستْ اشعتُها الصفراء ، في مياه البحار الزرقاء ، حتى خيِّلَ الى الناظر ان تلك البحارَ مرآةٌ صافية مرصعة بالزمرّد والفيروز ، وأن امواجَها تُدحرجُ في طياتِها المائعة فضةً وذهباً فتتكسّر على الشاطىء العابس لفراق عروس النهار ، وابنة الانوار ، التي كانت تملأُ القلوبَ بهجةً واملاً . ولا يلبث ان يشوب هذا المنظر كدرةٌ تتحول شيئاً فشيئاً الى سواد قاتم لان الليل قد مدَّ رواقَه على نصف الكرة الأرضية ... واذ ذاك يظهر البدرُ من المشرق بطلعتهِ البهية ، تحفهُ الزهرة ونجمة المساء ونجمة الراعي وسائر الاجرام السماوية ، وهو يخطرُ بينها دلالاً ، ويميسُ اختيالاً . وتأخذُ السماء تزهر زهورًا بكواكب لامعة ، ونجوم ساطعة ، طالما تغزَّل بمحاسنها الشعراء فعشقوها ، وبحث في كنه اسرارها العلماء وما فقهوها : حياةٌ جديدة تبدو في العلى فتدعو النفسَ الى الطيران اليها ...

تُستحبُّ الجواهرُ والحجارةُ الكريمة في جيد النساء ، لكنَّك تجدُها ابهى واسنى في صدر السماء ، فاين بهاءُ الجواهر ، من بهاء الكواكب ؟

وكأنَّ اجرامَ النجوم لوامعاً دررٌ نُثرنَ على بساطٍ ازرقِ

صاغها الخالقُ ونثرها في الفضاء ، وهي لاتزالُ من ذاك الحين الى ما شاءَ الله تسيرُ على خطةٍ وُضعتْ لها ...

لمت فوق رووس افرادٍ أعلام ، وشعوبٍ عظام ، اتخذوها سميراً فنفت عنهم الاكدار ، واستنطقوها فاوحتْ اليهم رائع الحكَم ورقيق الاشعار .. دُرستْ تلك الشعوب ودُفنتْ تحت اطلال مدنيتها المندثرة ، والكواكب لا تزالُ تسطعُ وتضيءُ محدّثةً بعظمة الحي الباقي ...

فيا ايها الليل الرهيب ، الساطع بأنوارٍ لاتُعَدّ .. قد كتب في طيّاتكَ السوداء بحروف الكواكب سرٌّ عجيب ... لولاك لما كانت اعيننا تشاهد سكان السماء ، بل كنا على كرتنا الصغيرة نجهلُ ما يحدقُ بنا

ايها الليلُ المقدّس إن كنتَ تحجبُ عنا النور ، فانت تبدي لنا الحقيقة باجلى مظاهرها ، وتسكبُ على قلوبنا التَعبة بلسمَ الراحةِ والسلوان ، تنسينا ما ينتابنا على هذه الارض من الاكدار والكروب وما يدهمنا من الدواهي والخطوب . تنسينا ما يحدقُ بنا من الشقاء والفساد .

نحنُ نحبكَ ايها الليلُ لأنك صادقٌ لاتخدعنا . نحبُّك لانك تصلنا بعالَمٍ خفيّ يلذُّ لنا ان نتصوره احسن من عالمنا . نُحبك لانك تُشعل في افئدتنا نورَ الامل وتجعلنا من سكان اللانهاية ونحن في هذه البقعة المحدودة ...

فأيُّ كتاب تلذُّ مطالعته اكثر من كتاب السماء . واية قصيدة تروق معانيها اكثر من القصيدة المسطرة بحروف الكواكب الزهراء على لوح القبة الزرقاء

وهذا الكتاب سنطالعهُ ايها القارئ العزيز من حين الى حين ، ونقلّب صفحاتهِ المرّةَ بعد المرّة . فيكون لنا خيرَ سلوى . وسترى ان التمتع باسرار هذه الكواكب لا يقلُّ لذّةً عن التمتع بمرآها

واول ما نبدأُ به اليوم ايراد شيء عن مُذنّب هاللَي لان قرب ظهوره يتطلب منا تقديم هذا البحث على سواه

⁂

ريع سكان الارض من نباء ظهور مُذنَّب هاللَي واصطدامه القريب بكرتنا . واخذ الكثيرون ينذروننا بخراب العالم في ذاك اليوم المشوم . وقد أُطلق على ذلك المذنب اسم الفلكي الانكليزي الذي ضبط حساب ظهوره . وسيظهر هذه السنة تماماً في ١٨ مايو (ايار) الساعة الرابعة عشرة من الوقت الفلكي الذي يبتدئ عند الظهر اعني الساعة الثانية من صباح ١٩ مايو ويجتاز فيساعةٍ من الزمن الكرة الشمسية التي يبلغ قُطرُها ١٠٨ مرات قُطر كرتنا وتدلُّ الحسابات الفلكية على أن المذنّب سيكون على مسافة ١٢٨ مليون كيلومتر من الشمس اعني على مسافة ٢٣ كيلومتراً من كرتنا الارضية . فاذا كان ذنبه يبلغ هذا الطول فانه يمسنا في طريقه وهذا ليس من المحال . فمن المذنّبات ما يبلغ طول ذنبها ٤٠ او ٥٠ او مئة مليون كيلومتر . على ان مذنب هاللي ليس من هذا النوع فهو من

المذنبات المتوسطة . لكن قد لوحظ ان ذنبه يختلف طولاً كل مرة يظهر فيها . ولم يتمكن العلماء حتى الآن من تقرير ذلك

وهذا المذنب يظهر مرّة كل ٧٥ سنة بعد ان يكون قد اجتاز في الفضاء خمسة مليارات من الكيلومترات وقد ظهر منذ سنة ٤٦٧ قبل المسيح ثلاثين مرة

واذا قدَّرنا أنَّ ذنبَ هالي يبلغ طولاً كافياً ليمسّنا في طريقه فما سوف تكون نتيجة ذلك ؟

الجواب متوقفٌ على معرفة الغاز المتركب منه هذا الذنب . فقد يكون من الغازات السامَّة كالسيانوجين (المركب من الازوت والكربون) فيقضي على سكان نصف الكرة الارضية خنقاً . وتُحدث صدمته بنا هياجاً في العناصر فيتأثر منها سكان النصف الثاني من كرتنا ، فتثور البحار ، وتخسف الجبال الى غير ذلك من النكبات التي تنشأ عن كل تبلبلٍ يطرأُ على نواميس الطبيعة . على أنَّ العلاّمة فلاماريون قد نفى ذلك وسكن الخواطر القلقة ، مستنداً الى الادلة الآتية :

اولاً : انه ليس من المقرر ان يبلغ طول الذنب ارضنا هذه

ثانياً : ان اذناب المذنبات على غاية الدقة حتى انها لا تزال شفافة ولو بلغ ثِخَنُها عدة ملايين من الكيلومترات فنظلّ قادرين على رؤية النجوم من خلالها

ثالثاً : انه لم يتقرر اذا كان السيانوجين الموجود في قلب المذنب ممتداً الى ذنبه

رابعاً: تسير كرتنا بسرعة ١٠٦ الاف كيلومتر في الساعة ويسير المذنب سيراً معاكساً لسيرنا سرعته ١٧٠ الف كيلومتر . فيكون مرور الكرة الارضية في ذلك الذنب اشبه بمرور قنبلة المدفع في الغيمة . فلا يتأثر الهواء الذى ننشقه من الغازات السامة الى درجة تجعل حياتنا في خطر

وعليه فيرى القارئ ان انتهاء العالم الذي تنبأوا عنه لم يحِن حينهُ ولم تأتِ ساعته — حتى في ١٨ مايو القادم ...

عجائب غرائب

نقرأ في كتاب « الف ليلة وليلة » من عجائب الحوادث ، وغرائب الاوصاف ، ما لا نصدّق احتمال وجودهِ او وقوعهِ ، وننسب هذه الامور المدهشة الى مخيّلة الكاتب التي غالت فوصفت ما لا وجود له إلاّ في عالم الخيال . وقد نكون في ذلك واهمين ، وقد تكون هذه الامور واقعية . وكل ما في الامر ان المنشئ قد عوّل في وصفه على عبارةٍ قوية ، او على استعارة تمثل دقائق الامور ، فبهرَنا اسلوبهُ الكتابي ، وأثّر فينا تعبيرُه المجازي . ولو وصفنا على هذا النمط منزلاً من منازلنا الحاضرة وما فيه مما نعدُّهُ من لوازم المعيشة ، او لو روينا على هذا الاسلوب حادثة من حوادثنا اليومية وذكرنا علاقة التلغراف او التلفون بها مثلاً لما رأى الفلاح والقرويُّ الساذج بينها وبين مرويات « الف ليلة وليلة » من فرق عظيم . على أننا ألِفنا هذه المناظر وتلك الحوادث ، فلم يبقَ لها فينا من تأثير شديد . ولكن من لم

برَها ولم يتعودها يلاحظ في وصفها ما لا نلاحظه ويبهره من دقائقها ما لا نلتفت اليه . يشهد بذلك الكتاب الذي وضعه احد الصينيين وجاء فيه على تفاصيل سفره الى باريس . ويرى فيه القارئ من الغرائب والعجائب ما يحمله على التصور انه يطالع فصلاً من كتاب الف ليلة وليلة او اسفار السندباد البحري

عاد الرحّالة الفرنسوي المسيو جاك باكو من رحلة قام بها في الصين، واستصحب معه الى باريس رجلاً من التيبت كان دليله في اسفارهِ في الاصقاع الصينية . فكتب الرجل بلغتهِ ما تمَّ له في سفرهِ الى اوربا ،وعلّق ملاحظاتهِ على ما رأى وسمع . وتُرجم الكتاب الى الفرنسوية فاحببنا ان نقتطف عنه بعض الشيء

عنوان الكتاب : رحلة المدعو اجروب غمبو من باتونغ مع الرجل الفرنسوي العظيم (با) وفيه تفصيل ما جرى لي من الحوادث

ثم يبدأ بسرد هـذه الحوادث باسلوب ساذج وكما ترتسم على لوح مخيلتهِ ...

... « وصلنا الى تخوم الهند . فوجدت أن شكلَ الناس هناك غيرُ شكلنا ، ولغتَهم واشغالَهم غيرُ لغتنا وعاداتنا . فتذكرت اخي وبكيت ، وعزمت على الرجوع من حيث اتيت . ولكنت فعلت لولا اننا كنا نُسافر بلا تعب ونحن جالسون على مقاعد حريرية متلذذون باطيب المآكل ...

... وفي اليوم الخامس عشر من القمر الخامس نزلنا في بيت كبير يسير في البحر نهاراً وليلاً لأنهُ يستضيء بنور الكواكب في سُراه »

وعند وصولهم الى مرسيليا نزلوا في فندق من فنادق المدينة وصفه الصيني قال :

« في هذا البيت مسافرون كثيرون ، وكلٌّ واحدٍ منهم في غرفةٍ له. وفي هـذه الغرف نُصبت اسرّةٌ مغطّاة باقمشةٍ من حرير والى جانبها طاولاتٌ مزخرفةٌ وعليها اشياء جميلة . وكنا نجلس للأكل على مائدةٍ كبيرة . فنتناول صباحاً شيئاً من اللبن والقهوة المُحلاّة بالسكّر ونأكل في الظهر وفي المساء لحوماً واسماكاً واثماراً وحلوياتٍ . ويجبُ على كلّ واحدٍ قبل الاكل ان ينفضَ الغبار عنه ويغسلَ يديه . ولا شك في ان أبناء وطني سيتهمونني بالكذب ويُسمونني كلباً دنساً ، عند ما سأروي لهم هـذه الامور الغريبة ، ويضعون اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا هذه الخرافات . . .

« ويوم الاحد بعد وصولنا قال لي سيدي الفرنسوي : — نحن قد بلغنا هذه المدينة بسلامة ، وبالقرب منا كنيسة يصلّي فيها القسيس فلنذهب اليها

فذهبتُ معه بفرحٍ عظيم ، ورايتُ في الكنيسةِ قديسين وعذارى ، فجثوت على ركبتيَّ وصليت قائلاً « : ايها الاله القدير الموجود في كل مكان ، انا أجثو امامك يامن خلق هذا العالم واشكرك لانك حميتني ، إذ أنا الآن امامك بكل عافية وسلامة وليس بي من ألم . اطلب منك ان تنظر اليَّ دائمًا لتحميني »

ثم زار المدينة فكتب « : النساء هنا جميلاتٌ كالرجال ، وملابسُ الجميع نظيفة . ولم ارَ في هذه البلاد حبوبًا لان الناس لا يأكلون الاّ لحمـاً

وخضاراً وحلوياتٍ . وعددُ السكان يزيد عن عدد سكان ثلاث مقاطعات في التيبت وكلُّهم اغنياء ، وليس بينهم فقير . ولا احدٌ يضر احداً . ولولا اخي واختي لقضيت ايامي هنا »

ثم ذكر سفرَهُ الى باريس في السكة الحديدية «فقال : لو سافرنا على الطريقة الصينية ، لقضينا عشرين يوماً . لكنَّ يوماً واحداً يكفي على الطريقة الفرنسوية . وقد جلسنا في بيوتٍ صغيرة مرتفعةٍ على عجلات من حديد ، وسمعنا صفيراً حاداً واخذت النار تحرك المجلات والبيوت الصغيرة تجري كالريح على طريقٍ من حديد ، مخترقةً الجبال والوديان والاحراج ، بل كانت تدخل في الارض وتخرج (يشير الى النفق = تونل)

وعلى هذه الطريقة وصل اجروب الى منزل سيده في باريس . فاسمع كيف يصفه ، وقابل بينه وبين قصورِ الجانِ والمرَدَةِ التي نقرأ وصفَها في كتاب الف ليلة وليلة

« ... المنزلُ مركبٌ من تسعةِ طوابق قائمة فوق بعضها بعض الى علو شاهق ، وفيها اكثرُ من مئةِ غرفةٍ ، وارضُها من الخشب الجميل اللامع ، وقد فُرِشَتْ فوقهُ الطنافسُ البديعة . ولا يُسمح بالدخول الى هذا القصر إلاّ لمن كان نظيفَ الثياب . وهنالك علبةٌ كبيرة تَسَعُ ثلاثةَ انفارٍ تحرّكها قوةٌ غريبة فتصعد بك الى حيث تشاء (يشير الى المصعد : اسانسور) وفي الجدران أزرارٌ صغيرةٌ ، تَضغطُ عليها باصبعك ، فتبعث نوراً او ماء او حرارة . والغريب ان ليس هنالك نارٌ ولا زيتٌ ولا عينُ ماء . فيا لله من هذه العجائب التي تحيّرُ العقول ... »

هذا تأثير مدنيتنا الحديثة على ابن التيبت الساذج . ولا مجال هنا لايراد كل ملاحظاتهِ على ما رأى وشاهد . وله اراء وافكار في حالتنا الاجتماعية لا تخلو من دقة النظر . وقد ذكر عرَضاً علائق الرجال بالنساء فقال :

« ... وفي هذه البلاد يجلس الرجالُ والنساءُ معاً حول مائدة . ويقدم الرجل ذراعهُ للمرأة ، فيتأبطُ ذراعها ويدخلان بهذه الصورة الى غرفةِ الطعام . وحبُّ الرجال للنساء شديد ، فهم يحنون ظهورهم لمخاطبتهنّ باعذبِ الاصواتِ ، والابتسامةُ على ثغورهم . واذا زَنتْ عندهم امرأة متزوجةٌ فلا يقتلها زوجها كما يفعل الرجلُ الشريفُ في بلادنا او في الصين ، بل هو يكاد لا يكترث للامر . لكن الناس يضحكون كلما مرَّ ويقولون ان جبينه يشبه جبين الثور !!! ولم افهم المقصود من ذلك ...؟ »

فالذي يطالع هذا الوصف مع ما فيه من الحقيقة ، ولم تسبق له معرفةٌ باسرار الكهرباء والبخار ، يتصور انه يطالعُ سِفراً من الاسفار التي نسميها خرافات

عنترة وعبلة

« يغزوان باريس »

طالعتُ صحف باريس وما فيها عن رواية « عنتر » التي مثلت في ملعب إمارة « مونتي كارلو » وملعب « الأُديون » — وعنتر رواية نظمها بالشعر الفرنساوي العالي شكري افندي غانم — فما اطربني نجاح صديقي المؤلف في نظمها كما اطربني تخيلُ عنترة بطلِ البوادي والقفار ، ونزيل

المضارب والخيام ، آكل الجشب ، ولابس الخشن ، في ثوبٍ من الخزّ يهزّ بكلامهِ قلبَ باريس ، بل قلبَ اوربا ، كما يهزّ قلبَ العربِ في شطر اسيا وشطر افريقيا ، ببيتٍ من الشعرِ قد لا يناظرُه بمثله فيكتور هوغو ، ولا يلاحقه شكسبير ، ولا يُدانيه دانتي

أجل انه ليطربني اليومَ من بطل البادية ، وربيب القفر ، وقوفه في أُم الحضارة ، ناظراً الى خليلتهِ عبلة ، وغانم يضع في فيه بلغةِ باريس ، قوله بلغةِ بني عبس :

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ　　مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لانها　　لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

فيملي بهذا الشعر على ابطالِ الغرب كيف تكونُ الابطال ، ويملي على عشاقهم كيف تكون رجولة العشاق ، بل يملي على كتّابهم كيف يحلّق الكاتبُ في سماء الخيال ، حتى تكادَ تتقطّع دون الوصولِ اليه البصائرُ والابصار

واذا انشد قوله « أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ » تمثل لعيني السامع إقدامُ الشجاع ، ونزاهة الكريم ، ومروءة الجواد ، وشهامة الغطريف . فلا تأنف باريس ان تعشق البدويَّ الاسود لفضائله ، والفضيلةُ ملك الانسانيةِ كلها ، فهي ليست بدويةً ولا حضرية فاينما وُجدتْ ملكت وسادتْ ، واينما أُذيعتْ أُكرمت وأُجلتْ . وكرمُ الخلال وكرامة النفوس في أمة ، تظهر وتبدو في لغتها وآدابها ، وفي اناشيدها واشعارها . فلا تعيبها نبراتُ لهجة ، ولا مخارجُ حروف ، ما دامتِ الالفاظُ وعاءً للمعاني ،

وما دامت المعاني في ألفاظ اللغات كالدرر في الصدَف . ولا تكون قيمتها بقائلها بل بنفسها . واذا دلّت على شيء فعلى فضل الامة الذائعة فيها، والمأثورة عنها . وما قول عنترة العرب الا حجة :

تُعيّرُني العدا بسوادِ جلدي وبيض شمائلي تمحو السوادا

فتلك الشمائل البدوية لا تنكرها الفضائل الحضرية ، ولا العلوم الفلسفية ، ما دامت حكمةُ الأمم مستمدّة من اخلاقها لتهذيب اخلاقها ، ودام قدرُ الأمم مرفوعاً بفضائلها ، كما يرفعُ قدرَ العربِ إعلانُ فضائلهم بين من جهلهم

واني موقنٌ بان ناظماً كغانم ، في بطلٍ كعنترة ، يستوحي روحَ ابن شدّاد بالفرنساوية ، لا يعجزُهُ أن يفتحَ للعربية باريس ، وان يغزو بجمالها اوربا ، اذا صال وجال ، وهو يردد ويُنشدُ مع العبسي :

حصاني كان دلّالَ المنايا فخاضَ غبارَها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً يُداوي راس من يشكوالصداعا
أنا البطلُ الذي خُبّرتَ عنه وقد عاينتني فدعِ السماعا

فأي قلبٍ يجمد ، واي كبدٍ تقسو لمثل هذا الكلام ؟ بل اى اريج يفوقُ اريجَ زهرياتِهِ ، اذا وصفَ الربيعَ الواصفون ، وغناه المغنون وابن شدّاد هو القائل :

زار الربيعُ رياضنا وزها بها فنباتها جليت بانواع الحلي
فالروضُ بين تألفٍ وتهفهفٍ وتعطفٍ وتصرفٍ وتململِ

بل ما اجملَ الباريسية يلبسها غانم دثار البدوية ، ويطلق لسانها

بشعرٍ له نوطة في القلب ، وعلوقٌ بالنفس ، وبه دِركٌ للحاجة ، يدقُّ معناه ، ويلطف مبناه ، وتعطف حواشيه ، وتنير معانيه . كأنه اشراك القلوب ، اذا بسط لها ترتمي عليه ولا تنفلتُ منه ...

ألا ان لنا من كنوز آبائنا العرب الغطاريف حلياً لو لبسناها خالصةً من الصدإ لبهرت لها عيون المتمدنين ؛ وسلاحاً لو جردناه مشحوذ الغرار ، لاستسلم له كل عاتٍ عنيد . ولكنّا قصرنا وعجزنا حقبةً من الدهر عن ان نزدانَ امام العالم المتمدِن بذياك الحلي الباهر . فقال الجاهلون مزدرين : عربٌ هؤلاء وما هي قيمة العرب ؟ ولغة هي العربية ؛ وأين هي من سامي اللغات ورقيقها ؟؟

ولكننا قد أفقنا اليوم من السبات ، وعرفنا قيمةَ ما بقي من تراثنا ولم تلعب به يد الشتات ، فأبرز مردروس الف ليلة وليلة للعالم الاوروبي بوشاحٍ افرنجي ، فغضَّ الروائيون ابصارَهم حياءً لسناها وبهائها . وأبرز آخر شعر حسن بن الخيام بثوب انكليزي فتعشقه بعضهم حتى العبادة . والبس الريحاني رباعيات ابي العلاء رداء سكسونياً ، فكبروا له وهللوا ، وسبحوا وحمدلوا . واليوم أنزل غانم الى باريز عنترة البطلَ المغوار وعبلة الحسناء . فجاءتنا صحفهم تطري بطل العرب بل آداب العرب وتقاليدهم .

فالريحاني ومردروس وغانم واضرابهم وامثالهم هم اليوم ابطال العرب ، يفتحون بعقول اجدادهم بلاد الغرب للشرق . ويعلون مقام أمتهم في العالم المتمدن . فاذا كثر عديد هؤلاء الابطال . رُدَّ الى العربِ شرفُهم الذي ابتُذِل بالضعف والضياع . ومجدُهم الذي دُفن مع ملكهم وأُلحد مع

زهوهم حتى استنكروا على العارفين . وكادوا يخفون عن عيون المنقبين الباحثين . وصارت كلمة « عربي » في اوربا واميركا سباباً للعرب والمستعربين

وقد قرأت في الصحف ان الذين شهدوا عنترة وعبلة كانوا الافاً جنوا بهما سروراً وفرحاً . فلم تبقَ في نفسي ريبة بأن اولئك الالوف الذين سمعوا كلام عنترة قد عرفوا مجد العرب وفضائلهم فلا يجسر واحد منهم — او هو يدعو على لسانه بالقطع — ان يعيب العربيَّ اجداده ونسبه بعد ما عرف شيئاً عن مجد اولئك الاجداد ونسبهم

فمن مصر اذن بل من الشرق العربي امدّ مع كل اديب يدي الى مصافحة غانم وشكره والثناء عليه . فليس الغزاة من يفتحون البلاد بالمدفع والحسام فقط، بل اجلُّ منهم وانبل من يفتحون القلوب بالبراعة ويملكونها بخالب الفصاحة — وغانم منهم　　داود بركات

(الزهور) انا نسدي شكري افندي غانم خالص التهاني على فوزه الباهر ولا نمدحه الآ بما اطراه به الاجانب انفسهم فقد كتبت مجلة الالوستراسيون في عدد ١٩ فبراير الفائت ما يأتي : في ملعب الأُديون رواية جديدة تستحق ان تنجح — وقد نجحت نجاحاً ساطعاً — فهي ترضي العين والاذن والعقل ، مؤلفها عربيٌّ باريسيٌّ وهو رئيس الغرفة التجارية العثمانية في باريس .... وقد احيا شكري غانم باشعار لطيفة صافية منسجمة انسجام الماء ذكر عنترة البطل العربي الشاعر العاشق » ومثل ذلك قالت الطان والفيغارو والجورنال وغيرها من امهات الصحف

وقد حادث احد الصحافيين السيد علياً سلطان جزائر القُمور عن رحلته في فرنسا وسأله عما راقه مما رأى وسمع في عاصمة التمدن والجمال فقال: ان رواية عنتر هي خير ما رايت وسمعت ...

فمع ابن باريس ومع ابن القُمور نحيي الغانم ناشر أمجاد العرب ...

﴿ بذور للزارعين ﴾

لتكن غايتك اكبر من مقدرتك ، فيصبح عملك اليوم احسن من عملك البارح ، وعمل الغد احسن من عمل اليوم

الفضيلة الكبرى في الاعمال هي ان يكون كل عملٍ بذاتهِ الغاية والواسطة . وان تكون لذتهُ فيهِ لا في نتيجتهِ

الناسُ اشباح تحركها الاغراض والاهواء . وتتقاذفها في بحار الحب والبغض الرياحُ والانواء

النفوس ادويةٌ يشترك في مزجها الله والانسان . فمنها المرَّة ، ومنها الحلوة ، ومنها الحامضة ، ومنها — وهذه اكرهُ من كل الادوية — مالا طعم ولا لون لها

ان من يكتفي بمسحةٍ من العلم والحكمة كمن يكتفي بغسل وجهه اذا دخل الحمام . وليس بالامر الصعب على مثل هذا ان يفوزَ بقصب السبق إما في الثقالة وإمَّا في الرعونة . واذا ركب الى غرضهِ فرسَ سيبويه يعودُ وفي يدهِ القصبتان ، فنقرأُ اذ نراه التعويذتين

امين ريحاني

في رياض الشعر

دمعة

سكبها كبيرُ شعرائنا سعادة اسماعيل باشاصبري يومَ مقتل المرحوم بطرس باشا غالي ، فجاءت درًّا مسبوكاً في ابيات غراء تفضل سعادته بارسالها الى المجلة وكان العدد الاول قيدَ الطبع . ونحن ننشرها الآن موقنين ان مثل هذه الاقوال تكون خير بلسمٍ على كل قلبٍ مكلوم واشدّ رابطٍ للسلام . وما احسنَ السلام . . .

لهفَ الرياساتِ على راحلٍ قد كان مـلءَ العينِ والمسمعِ
لهف العلى قد عطّلت من سنا بدرٍ هوى من أوجها الارفعِ
تبكي المرؤاتُ على بطرسٍ ذاك الهـمام الماجدِ الاروعِ
فتّشتُ – لما لم أجدْ مقاتي كفوءًا – عن الفضل ليبكي معي
فقيل لي قد سار في إثرهِ يومَ دفنَّاهُ ولم يرجـعِ
يا مجرياً دمعَ الملا أبحرًا أدركهمو يامرقىءَ الادمـعِ
يا نازلاً بين وفودِ البلى آنستهمْ يا مـوحشَ الأربعِ
عينيَ فيك اليوم قبطيةٌ تروي الأسى عن مسلمٍ موجعِ
يهيمُ من وجدٍ ومن لوعةٍ في الجانبِ الأيسر من أضلعي
ويحفظ العهـدَ كما شاءَه احمـد سمحاً واسع المشرعِ
يامن سقاني الجمّ من ودّهِ هـذا ودادي كلهُ فاكرعِ
يا حامل القلب الكبير الذي لم ينقضِ الميثاقَ قم واسمعِ

اسماعيل صبري

﴿ الزهرات الثلاث ﴾

أنشدها ناظمها الشاعرُ المصري في حفلة عُقدت لتوديع عزتلو القاضي النزيه الفاضل عبد الهادي بك الجندي بمناسبة انتقاله من المحلة الى طنطا . وقد صاغها الشاعر من بحر جديد الشطر الاول فيه اربع « فاعلاتن » والشطر الثاني « فاعلاتن » واحدة . وتفضل باهداء هذه الزهرات النضرة الى مجلة الزهور :

صبَّح الازهارَ طيفٌ مَلَكيٌّ يبهرُ
بالزهور
يا لها بكراً كحور الخلدِ هبَّتْ تخطرُ
في البكورِ

قلَّدت جبهتَها في نَسقٍ زاهي البياضِ
تاجَ عهنِ
وأعارَتْ ثوبَها من خيرِ الوانِ الرياضِ
كلَّ حسنِ

أملٌ بادٍ وسعدٌ مستعيرٌ شخصَ نورِ
للعيونِ
وبهاءٌ في حياءٍ مستعيرٌ للظهورِ
بالظنونِ

نجم صبحٍ كلُّ آنٍ يجتلى فيه سناه
فهو فجرُ

مَنْ تكونين حماكِ اللهُ يا هذي الفتاه ؟
— أنا مصرُ

***

دَرَتِ الازهارُ ما جاءَتْ له تلك العروسْ
من مرامِ
إنّ للازهارِ ابصارًا ترى سرَّ النفوسْ
من لمامِ

فأحسّتْ ذاك منهنَّ وقالت قولَ فكرِ
لا لسان
أفمنكنّ ثلاثٌ يتقدمنَ لأجرِ
يا حسان ؟

***

قالت الوردةُ : ما للعدل مثلي من مثالِ
فاجتليني
في بياضي واحمراري آيتا الحكم الحلالِ
فاجتنيني

قالتِ الزنبقةُ الغرَّاء : إني رسمُ حسنِ
للنزاهه

هي شكلي وقوامي ولها عفةُ نفسي
والنباهه

قالتِ السوسنةُ البيضاء شفافاً سناها
عن سماحه
أنا والرحمةُ كالمرآةِ والوجه اشتباها
وصباحه

* * *

بعد ذاك اجتمعتْ تلك المحبباتُ الحسانُ
للهديه
في نظامٍ اكسبتهنَّ به تلك البنانُ
صوغَ حليه

حليةٌ باليدِ زانتكَ بها مصرُ الفتاه
رسم حالِ
رسم أبهى ما بهِ يحلّى على الدهرِ القضاه
من خلالِ

خليل مطران

يا شعراء الشآم

يا طائر البانِ أثرتَ الغرامْ هل انتَ مثلي مُغرَمٌ يا حمامْ
جدَّدتَ بي دائي وغادرتني كأنني سقمٌ بصدرِ السقامْ
لو فرَّقوا ما بي على أُمةٍ عزريلُ لا يُحسنُ فيها القيامْ
جسمٌ كظنِّ المرءِ في ربِّهِ لا تُدرِكُ الناسُ له من نظامْ
كأنني إنْ تعصف الريحُ في ركبِ ابنِ داوودو بُردَي «لثام»[1]
وانْ ضعفي عزَّ[2] بأسيهما لا الغازُ بي قام ولا الجنُّ قامْ
حظٌّ كحظِّ البدرِ عند الضُّحى وعزمةٌ جازتْ طباقَ الغمامْ
وعزَّةٌ قد اكبرتْ ربَّها عن صحبةِ الجيشِ وحمل الحُسامْ[3].
وسيرةٌ مثل افترارِ الحيا او كابتسامِ البدرِ تحتَ الظلامْ
لا كنتَ لي يا ادبي حرفةً إنْ كانَ من يعاليك قدراً يُضامْ
مصرُ بنا ضاقتْ فما حالُكم في ارضكم يا شعراءَ الشآمْ ؟ ؟ ؟

لو انصفتنا قومنا طأطأتْ ـ إن قيل راحوا او غدوا ـ كلُّ هامْ
هل انتمُ في ارضكم مثلنا ترونَ سُحبَ الجودِ تبدو جهامْ
لا يُخرجُ الموسرُ من مالهِ لنفسهِ إلَّا بقدرِ الطعامْ
(لولا بنياتٌ كزغبِ القطا ونسوةٌ خطي عليها جُسامْ
وحبُّ ارضٍ طال عودي بها وبعضُ قومٍ في رباها كرامْ

---

(١) لثام هو الطيارُ الشهير . (٢) عزَّ : غاب (٣) يشير الى مغادرتهِ الجيش حيث كان ضابطاً

لما وضعنا الدهرَ رحلاً بها　　ولا ضربنا في رباها خيامْ
ولا انتجعنا الشام حتى نرى　　نضارة العيشِ وطيب المقامْ

عبد الحليم المصرى

أرسل الينا حضرة الشاعر الاديب هذه الابيات وطلب جواباً عليها من شعراء سوريا . ثمّ جاءنا منه كتاب يذكر فيه اجتماعه بصديقهِ محمد افندي إمام العبد وتلاوة هذه القصيدة عليه قال « ... فما وصلتُ الى ذكر الشعراء في مصر حتى نال منه الوجدان واغرورقتْ عيناه وارتدّ حزنُهُ الى فؤادي بعد أن ارتسم على اسارير الجبهة ، فأخذ يقرأ هذه السطور الخيالية بلسان الشاعرية ويُسابقه في النطق بها لسان الدمع ... » وقد نظم المصري في ذلك بيتين اضافهما الى قصيدتهِ وهما :

أصبحتُ لا أصبحتُ في حالة　　وهكذا أمسى صديقي إمامْ
ان كان هذا الحظُّ لا ينجلي　　يا دولةَ الشعرِ عليكِ السلامْ

وموعدنا العدد القادم ان شاء الله في نشر جواب شعراء سوريا ليطلعونا على ما هم عليه ... »

في حدائق العرب

ننشر في هـذا الباب صفحات مطوية لمشاهير الكتّاب الغابرين . لأن في كتبهم ومخطوطاتهم التي نسجت عليها عناكب الايام كنوزاً نحن في اشد الحاجة اليها . وها نحن نورد اليوم ملخص فصل كتبه فارس الشدياق منذ ٥٥ سنة عن الالقاب والمغالاة في الكتابة . وقلما قرأنا كاتباً عربياً فيه ملكة الملاحظة — التي يفاخر بها الافرنج ويقولون انها سرُّ الإجادةِ في الانشاء - اقوى مما هي في الشدياق ولا نتعرض لمبادي الرجل واطواره بل نورد شيئاً من قلمه لبيان اسلوبه الكتابي. وهو مأخوذٌ من كتابه « الساق على الساق » المطبوع في باريس على نفقة المرحوم رافائيل كحلا الدمشقي

وصل « الفارياق » — وهو اسمٌ مستعار لنفس المؤلف — الى مصر فهداه احد الظرفاء الى شاعر مصري له وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان . وهنا نترك الكلام للمؤلف :

الالقاب والمغالاة

(قال الظريف) نصحي لك ان تكتبَ كتاباً الى هـذا العلاّمة وتلتمس منه فيما تطري به عليـه مواجهتَه . واذا تكرّم بذلك فاذكر له حينئذ ما أنت تعاينه واستنجدْ به . فـلا بدّ من ان يجيبك ، فانه رجلٌ متصفٌ بمكارم الاخلاق ويحبُّ دغدغة الافتخار . ولا سيما انه يرغب في مجالسة ذوي الادب وتيسير اسباب معيشتهم . فتطلفْ اليه في المقال، وانا ضامن لك ان تفوزَ منه بالآمال . فشكره الفارياق على نصيحته ورجع الى محله راضياً مستبشراً . فلمَّا جنّ الليلُ أخذ القلم والقرطاسَ وكتب مانصُّهُ:

أهدي سلاماً لو حمله النسيمُ لعطر الافاق ، ولو جُعلَ للبدر هالةً لما اعتراه المحاق ، ولو مُزجت به الصهباءُ لما اعقبَ شربها صداعا ، ولو استفّهُ مريض او لعقهُ لما لقي برحاءً وأوجاعا ، ولو علّق على شجرةٍ لزهتْ في الحال اوراقها ولو في الخريف ، ولو سقيه الروضُ لانبتَ من كل زهرٍ بهيج طريف ، ولو جُعل على أوتار عودٍ لاطربت دون عازف ، ولو تغنى به في مجلس لأغنى عن المشموم والمعازف ، ولو علق في الآذان لكان شنوفا ، ولو صُقل به سيفٌ كليل لجاءَ رهيفا ، ولو مثّل لكان حدائقَ ورياضا ، وسلسبيلاً ومحاضا ، ولو نيط بالعمائم لاغنى عن التمائم ، ولو تختم به ولهان لاجزأه مجزأ السلوان ، ولو كتب على رجام لألهى الثاكل عن النواح ، او على خصر هيفاء لقام لها مقام الوشاح ، او على انف مزكوم لما أحوجه الى السعوط ، او على ساق أعرج لكان له من قفزه سبق وفروط ، او على لسان ابكم لانحلّت عقدته ، او على كف بخيل لهان عليه في البذل ذهبُهُ وفضته . . . وتحيات فاخرة ، ذكية عاطرة ، أرق من النسيم ، وأشهى من العافية على قلب السقيم ، واجلى للعين من الاثمد ، واغلى للناقد من العسجد ، وأصفى من الماء الزلال ، واعلق بالقلب من امل الوصال . . . وازهر من نُور الصباح ، وازهى من نَور الاقاح ، واثمن من الجوهر النفيس ، واعز عند البستي من التجنيس ، وعند ابي العتاهية من الزهديات ، وعند ابي نواس من الخمريات ، وعند الفرزدق من الفخريات ، وعند جرير من الغزليات ، وعند ابي تمام من الحكم ، وعند المتنبي من جزل الكلم . تُهدى الى الجناب المكرم ، المقام المحترم ، ملاذ الملهوفين ، مستغاث

المضيمين ، منهل القاصدين ، مورد الطالبين ... الخ

﴿ ثم ذكر حاجته اليه ﴾ ... قال الفارياق :

فلما بلغت الرسالة الى المذكور وطالع ما في شرح السلام من التشابيه المكافة ، لم يتمالك ان ضحك منها وقهقه ، وقال لبعض جلسائه ممن ألمّ بالادب : سبحان الله قد رايتُ اكثر الكتّاب يتهوسون في اهداء السلام والتحيات الى المخاطب كأنما هم مهدون اليه عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمان . فتراهم يشبهونه بما ليس يشبهه ، ويغرقونه في الاغراق ، ويغلونه في الغلو ، حتى يأتي مبلولاً محروقاً ... وما ادري ما الذي حسّن لارباب فن الانشاء ان يضيعوا وقتهم بهذه الاستعارات والتشبيهات المبتذلة ، وبنظم الفقر المتماثلة في المعنى . مع ان العالِم يتأتى له ان يبدي علمه بعبارةٍ واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ بليغة المعنى . وهذه ألف ومئتا سنة قد مضت وما زلنا نرى زيداً يلوك ما لفظه عمرو ، وعمراً يمضغ ما قاله زيد . وقد سرى هذا الداء في جميع الكتاب

(ثم استطرد الكاتب بعد كلام بمعنى ما تقدم الى ذكر الالقاب بطريقة التهكمية المعتادة قال :)

« حدُّ اللقب عند المشرقيين أنَّهُ هنةٌ ناتئة ، اوزنمة او علاوة زائدة متدلدلة تُناط بكونيّة الانسان ، وعليه قولُ صاحب القاموس العلاق الالقاب لانها تعلّق على الناس . وعند المغربيين اي عند الافرنج انه جُليدة تكوّرُ في الجسم . وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة ، وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها . فاما الجليدة فلا

يمكن فصلها عن الجسم إلاَّ بايصال الضرر الى صاحبه . وحاشية ذلك ، إذِ الشرحُ لا بدَّ له من حاشية ، ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة ، والجليدة عند الافرنج متوارثة كابراً عن صاغر . مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندي والاغا بل الملك انما هو محصورٌ في ذات الملقب بهِ فلا ينطلقُ منه الى ولده ، فقد يمكن ان يكونَ ابنُ الوزير او الملك كاتباً او نوتياً . اما عند الافرنج فلا يصحُّ ان يُقال لابن المركيز إلاّ مُريكيز ...

واصل الزنمة والجليدة في الغالب أ كالٌ يحدث في ذوي الامر والنهي ، لهيجان الدم عليهم . فلا يمكن تسكين هذا الهيجان وحك ذلك الاكال إلاَّ بإحداث الهنة او الجليدة . والغرض من كل ذلك انفراد شخصٍ عن غيره بصفةٍ ما

... واعلم ان الخواجا والمعلم والشيخ ليست ألقاباً معدودة في الهنات ولا في الجليدات . وانما هي خرقة تسترُ عورةَ الاسم الذي أُطلق على المسمى ، وهي غير مخيطةٍ فيهِ ولا مكفوفة ، ولا مسرَّجة ولا ملفوفة . بل هي كالبطاقة شُدَّت الى لابسها ليعرفَ بها سعرهُ . إلاَّ انه كثيراً ما يقع الغلط في الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة ....

فارس الشدياق

اول ممثّل شرقي

ونعني به « جورج افندي ابيض » ، أو كما تسميه جرائد اوربا « المسيو ابيض الممثل المصري الفتى »

لاتدهشْ ايها القارئ لهذا العنوان ، ولا تستغرب هذا الوصف اذا ما وصفنا به هذا الشاب مع كثرة الاجواق ووفرة الممثلين عندنا . فهو اول ممثل تخرّج في المدارس العالية ودرس هذا الفن على اربابهِ في اوربا شأن الممثلين في الغرب

اذاعت الجرائدُ المحلية خبر قدومه القريب الى الاسكندرية ومصر مع جوق فرنسوي . ورحبت به تلك الصحف ترحيباً يستحقه ، كما ودّعته صحفُ باريس باطيب كلمات الوداع ، واحرّ كلمات التنشيط ، وما فتحتُ هذه الايام جريدة فرنسوية حتى رأيت فيها رسم ابيض وقرأت فيها ثناءً جماً على حسن استعداده

قالت الطان : احرز الفن التمثيلي الفرنسوي نجاحاً جديداً بتخريج هذا الشاب الاجنبي الذي اعرب عن صفات بديعة

وقالت الماتان : سيسمع المصريون لاول مرة رواياتنا الجميلة على لسان ممثل مصري

وقالت الجورنال : فتى كان بالامس مجهولاً وسيصبح غداً مشهوراً

وافاضت هـذه الجرائد وغيرها كالفيغارو والبتي جورنال وجريدة المراسح في الكلام عن ممثلنا الجديد

شكري غانم فتح الملاعب الفرنسوية بروايته ، وجورج ابيض استولى عليها بالقائه ...

عرفتُ جورج ابيض منذ سنتين وقابلته طويلاً ثاني مرة منذ سنة قبل رجوعهِ الى باريس لتأليف الجوق العائد الينا به الآن . وقد سمعته يمثّل قِطعاً من اشهر الروايات في بعض المجالس الخصوصية . فرأيتُ منه ممثلاً بارعاً قادراً ، ينشد الشعر بفخامةٍ وجزالةٍ في الصوت ، ولطافةٍ ورشاقة في الحركة ، وحدة وبريق في العينين ، فتتغلغل نبراتهُ من السمع الى القلب ، وتستوقف حركاتُه النظر ، وتنفذ نظراته في الفؤاد ، حتى اذا ما ترك المرسح وعاد يُحدّثك ، رأيت فيه شاباً لطيفاً طيب المعشر ، بل تكاد تجد فيه شيئاً من البرودة والجمود

وقد خصته الطبيعة بصفات ثمينة للمثل ، فهو عذبُ النطق فصيحهُ ، عريضُ الصدر قويهُ ، يتدفق صحةً وعافية ، يُحب فنّه الجديد حباً اشبه العبادة ، وقد قرن كلّ ذلك بارادة شديدة حملته على تذليل كل الصعاب للوصول الى تحقيق امنيته ، ومضاهاة الغربيين في فن الالقاء

وقف على المرسح لاول مرة في مدرسة الحكمة في بيروت حيث مثّل وهو تلميذ صغير دورًا في رواية « الدراهم الحمراء » فسرَّ واعجب من سمعه . وجعل التمثيل منذ ذاك العهد نصب عينيه

كبر التلميذ وانهى دروسه ، ودخل العالم « ذلك المرسح الكبير » حيث تمثل امامنا كلّ يومٍ الف رواية ...

واتفق منذ خمس سنوات انه لما كان رئيساً لمحطة سيدي جابر أُقيمت

حفلة خيرية في الاسكندرية تحت رعاية سمو الجناب الخديوي ، مثلت فيها رواية « البرج الهائل » وكان جورج ابيض يمثل فيها دور « بوريدان » . فسرَّ سمو امير مصر من حسن استعـداد الشاب وما عرف عن ميله الى مزاولة تشخيص الروايات . فارسله الى باريس ، ليتقنَ هذا الفن ، ويطلّعَ على دقائق اسراره

ذهب الشاب الى عاصمة الفن الكبرى وملء قلبه السرور وملء صدره النشاط . فقضى هنـاك خمس سنوات يدرس ويتمرن على ايدي الممثل الاشهر « سلفان » حتى اصبح الاستاذ مراراً كثيرة يعهد بادواره الى تلميذهِ

قال لي ابيض قبيل سفره الاخير : « انا ذاهب هـذه المرة لاعود اليكم بجوق سأؤلفه هناك فاعرض على ابناء وطني نتيجة جدي وكدي فعسى ان يرضوا بها » .

وتلقيت منه رسالة في هذا الاسبوع يقول فيها : « ها قد انجزتُ وعدي ، ووصلت الى غايتي . وفي اخر الشهر تقابلني في الاوبرا الخديوية ان شاء الله » وهناك سنقابله ، وهناك سنصفق له اعجاباً ، في روايات : بريتانيكوس وأوديب الملك والبورغراف وهوراس واندروماخ الخ ...

ومهما اخلصنا له التهاني الآن ، ومهما اسمعناه من كلمات الاطراء فهي لا تعادل ما سنقابله به يوم يبرز لنا في رواية عربية مع جوق وطني ، فيومذاك فقط يكون قد قام بالخدمة المطلوبة ...

في جنائن الغرب

ننشر تباعاً تحت هذا العنوان خير ما يؤخذ عن آداب الغر بيين قديماً وحديثاً ، لان ذلك يكسب لغتنا ثروةً طائلةً من المعاني والافكار الجديدة ' ويطلعنا على مجرى الحركة الادبية عند الامم

﴿ رواية شانتكلير ﴾

ومن لم يسمع برواية شانتكلير ؟ فان ذكر مؤلفها — ادمون روستان — قد طبّق الافاق . وحديثها قد شغل الصحف والاندية والمجتمعات الادبية لما فيها من الجمال الفتان والتفنن الغريب

﴿ ١ — حول الرواية ﴾

قضى روستان عدة سنين في تنسيق مشاهد هذه الرواية وصياغة اشعارها والعالمُ الادبيُّ ينتظر بذاهب الصبر شقيقة روايتيْ « الا يجلون » و « سيرانو ده برجراك » إلى ان كان الشهر الماضي فبرزت رواية شانتكلير على ملعب « بورت سان مارتن » فقوبلت بهتاف اعجاب لم تصادفه رواية قبلها وتردّد صداها من باريس الى شمالي اوربا وجنوبها ، والى شرقها وغربها ، بل تجاوز البحار وبلغ اربعة انحاء المعمور

عمد المؤلف الى الحيوانات وجعلها اشخاصاً ناطقة في روايته بما بهر الابصار وخلب الالباب من رونق المناظر وجزالة الشعر

وقد عرف القرّاء ان مدير مجلة الالوستراسيون قد حفظ لنفسه حق نشر هذه الرواية في مجلته مقابل مبلغ مليونٍ من الفرنكات . وافادنا روتر

ان الريش الذي لزم لملابس الممثلين كلف خمسين الف فرنك وكلفت الاسلاك والاقمشة اربعين الفاً . وبلغ وزن الريش تسعمئة كيلو وبلغت ألوانه المختلفة اثنين وثلاثين لوناً . وقد وُضع منه على رأس مدام سيمون (ممثلة دور الدجاجة) ما يساوي خمسمئة فرنك . وكلف ريش الديك (بطل الرواية) الفاً ومئتي فرنك . أما الستارات فهي ابدع ما شوهد على ملعب تمثيل . فما قول الشيخ سلامه واسكندر افندي فرح ؟ . .

وفي الرواية من الحيوانات الممثلة مئة وثلاثون حيواناً من ذوات الاجنحة وذوات الاربع منها : ثمانية واربعون نوعاً من الديوك والدجاج وعشرون بومة وثمانية ارانب ومثلها من الضفادع وثلاث حمامات وكلبان وثلاثة وطاويط وفأر وخلد وفراشة ونحل الخ . . .

وقد اشتغل بالملابس اللازمة ثلاثون عاملاً مدة اربعة اشهرٍ تسع ساعات في اليوم اعني ٣٢ الفاً و٤٠٠ ساعة . واشترك في معداتها ارباب ثماني عشرة حرفة من خيّاطين ونساجين ونجارين وحفارين ونقاشين ومزينين الخ .

ومن عرف كل ذلك يفهم معنى قول مدير المرسح عند رفع الستار لتمثل الرواية لاول مرة :

— « إنّ ستمئة الف فرنك معلقة بهذا الستار . . . ! »

وقد بلغت نفقات التلغرافات التي تبودلت بشأن ترجمة « شانتكلير » وتمثيلها في عواصم اوربا عشرين الف فرنك . وستترجم الى تسع عشرة لغة بعد دفع رسوم الترجمة . ومثلت خلال شهر واحد في اماكن مختلفة

بين جبل طارق وبطرسبورج اربعمئة مرة اعني اكثر من ثلاث عشرة مرة في كل ليلة . والمفهوم اننا سنراها قريباً في مصر . فاهلاً ومرحباً ..!

وبلغ دخل المرسح في الليلة الاولى خمسة وثلاثين الف فرنك . ويقدّرون ان ادمون روستان سيربح من تمثيلها ونشرها بالطبع عشرة ملايين فرنك .. فما رأي المؤلفين واصحاب المطابع في مصر وسوريا..؟

وكان المسيو جيتري ممثل دور الديك قد ابى تمثيل دوره دون اشارات بيديه . وكان هذا موضوع خلاف بينه وبين المؤلف . فاتفق ذات يوم ان زار الممثلَ احدُ اصدقائهِ وكان المسيو جيتري في الحمّام ينشد « تحية الشمس » من دوره على خرير الماء فسمعه صديقه فشاقته تلك النبرات الخالية فباغته في غرفة الحمام فوجده ضاماً يديه الى فخذيه رافعَ الرأس شاخص العينين يتلو دوره على افخم اسلوب . فصاح به : « ما ابدعك هكذا ..! » فاقتنع الممثل ورضي باخفاء يديه تحت الجناحين ..

✱ ٢ — الموضوع ✱

أقام اصحابُ الحق بنشر رواية « شانتكلير » قضيةً على بعض المجلات والصحف يتقاضونها مبلغاً وافراً من المال لانها نشرت قبل التمثيل موضوع هذه الرواية وبعض فقرات تمكنت من الحصول عليها . اما وقد برزت الرواية الآن على الملاعب ونشرتها المجلة صاحبة الحق بنشرها ، فلا خوف علينا من القضايا اذا نحن لخصنا موضوعها للقراء وترجمنا لهم بعض مقاطيع منها

الفصل الاول — : يمثّل المرسحُ حوشَ الدجاج في إحدى المزارع . وتبتدئ الرواية بمؤامرةِ الطيور الداجنة على الديك (شانتكلير) لانه قد استبدَّ بسلطتهِ وهو فوق ذلك يدّعي ان الشمس لا تشرق في كلّ صباحٍ إلاّ بفضل صياحه . وبينما ذوات الاجنحةِ على هذه الحال، اذا بطلقاتٍ نارية قد دوت في الفضاء ، ووقعت في الحوش دجاجة برية . فاسرع الديك الى استقبالها وما لبث ان وقع في حبال هواها . وبينما هو يطارحُها أحاديثَ الغرام ، تأخذ هي تصفُ للطيور الداجنة أفضلية عيشة الطيور في الغابات والاحراج ، وتشرح اجملَ شرح معنى الحرية

الفصل الثاني — : يُمثل المرسح جانباً من الغابة في الليل ، وطيور الظلام تتواطئ على الايقاع بالديك ، لأن صياحهُ في كل صباح ينذرُها بطلوع الشمس التي لاتتحملها عيونُ طيور الليل . وبينما طائر البوم يخطب في الجماعـة محرضاً على الفتك بشانتكلير يُسمع صياح الديك معلناً إقبال كتائب النور واندحار جيوش الظلام . وكان الديك قد غادر حوشَ الدجاج في المزرعة ، ولحق بالدجاجة البرية في الغابة . ولما كان قضى ليلتهُ بعيداً عن رفيقاتهِ الداجنات ، متتبعاً اثر عشيقته الجديدة ، أحبَّ ان يستطلعَ طلعَ اخبارهنّ ، فعمد الى زهرة هناك ليكلمهنّ بالتلفون ؟ فعرف ما اصابهنّ من الغمّ والهمّ اثناء غيابه عن مملكته ، فزاده ذلك اعجاباً بنفسهِ. وبينما هو على هذه الحالة أقبلت عليه الدجاجة البرية ، واخذت تعاتبه عتاب الاحباب على انشغالهِ بغيرها عنها . فعاد يبثها ما بين « جناحيه » من لواعج الهيام ...

الفصل الثالث — : لا نزال في الغابة بين اشجار السنديان والصنوبر. وشانتكلير والدجاجة البرية في شهرهما العسلي . وهي لا تزال تُغريهِ بالحرية وتفند قولهُ بان شروقَ الشمس متوقفٌ على صياحهِ . على أنه يبقى متشبثاً برأيه ومعتقداً بان مبعث النورِ من حلقهِ . وكانت جماعة الضفادع قد عرفت بمجيئه وفضّلت صياحه على تغريد البلبل سلطان الغابة فقصدته لتعرضَ عليه إقامته مقام البلبل الفرد . فوعدها الديك خيراً . وقصد البلبل ، وكان هذا واقفاً على غصن شجرة قريبة ، وبينما هو يحادثه أُطلقتْ بندقية فاصاب طلقها البلبلَ ، ووقع على الحضيض وظهر كلبُ الصيّاد « حارس المزرعة » ليأخذَ الطريدة ، فوجد شانتكلير صديقهُ ، فعرض عليه الرجوعَ معه الى المزرعة فأبى الديكُ لان الحرية والحب قد اسرا فؤادَه على ما فيهما من المخاطر . فعاد الكلب حزيناً ، والديك يصفق بجناحيهِ ويصيح منشداً « نشيد الغابة »

الفصل الرابع — : وفيه حلُّ عقدة الرواية على اجمل اسلوب فان الدجاجة البرية — وقد صوّر فيها المؤلف الأُنثى من الحيوانات الناطقة وغير الناطقة — اسكرتِ الديك بحبها وقضت الليل تغازلهُ حتى انه استغرقَ في النوم صباحاً ، واشرقت الشمس وهو لا يعي . ولما أفاق من سباتهِ العميق ، وجد كوكبَ النهار قد اعتلى في الافق على عادتهِ دون الحاجة الى صياحهِ . فحزن واكتأب واضمحلت احلامه واشتد به اليأس حتي قضي عليه ...

﴿ ٣ – مقاطيع من الرواية ﴾

وها نحن نترجم بعض فقر من هذه الرواية الشائقة لتكون انموذجاً . يعرف القارئ منه بعض ما فيها من رقيق الشعور وسامي التصورات . ومن طالع الاصل يجد هذه الترجمة خيالاً ضئيلاً له لانه يشقُّ على المترجم ان يؤدي في ترجمتهِ تلاعب « روستان » في الكلام والمعاني تلاعباً يستحيل احياناً نقله الى لغة غير اللغة التي كتب فيها

﴿ نشيد الشمس ﴾

وهي قصيدة ينشدها الديك في الفصل الاول ليحيي الشمس عند بزوغها :

انا اعبدكِ ايتها الشمس ، انتِ التي تنشّفُ دموع ادقِ النباتات ، وتحوّل الزهرة الذابلة الى فراشة حية عندما يتلاعب هواء جبال « البيرينه » بزهر اللوز في وادي « روسيليون » بعد ان ينثره كما ينثر حظوظ البشر . . .

أعبدكِ يا مَن تدخلُ اشعتها في كل زهرةٍ وفي كل كوخ وتبارك كلَّ جبهة وتنضج كلّ خليّة فهي تتجزأُ ولكنها تبقى كاملةً كحبّ الام

انا اتغنّى بكِ ويمكنك ان تقبليني عابداً لك يا من تنعكس على فقاقيع الدِنان الزرقاء ، وتختارُ عند مغيبها زجاجَ نافذة حقيرة لترسل وداعها الاخير

انت تديرين زهرة « دوّار الشمس [1] » وتضيئين شقيق الذهبي في اعلى القبّة [2] . وعند ما تمرّين من خلال اغصان الزيزفون تعكسين

---

(١) زهرة اطلق عليها العامة هذا الاسم لانها تدور دائماً الى ناحية الشمس

(٢) يشير الى الديك النحاسي الذي يوضع احياناً على القبب ورؤوس المداخن ليدل على مجرى الريح

وتحرّكين على الارض دائرات ساطعة يستوقف جمالها الماشي فلا يجرأ ان يدوسها .

تحوّلين طلاء الآنية الى ترصيع بديع كما تحولين الخرقة الى لواء خفّاق . فالمجد لك في الحقول ، ولك المجد في الكروم . ولتكوني مباركة بين العشب وعلى رتاج القصور ، في عين الضبّ وعلى جناح الاوزّ اللامع . . .

انتِ تشقين لكل مخلوق شقيقاً يمتدُّ وراءه فاوجدتِ لكل شيء ظلاً كثيراً ما يكون ابهى منه وهكذا جعلت كل ما يبهجنا مزدوجاً

اعبدك ياشمس : انت تنثرين ورداً في الهواء ، وتنيرين شعاعاً في الماء ، وتضعين الهاً في الادغال . فتؤلهّين الشجرة الشاحبة . فلولاك ايتها الشمس لبقيت الاشياء على ماهيتها

❋ معنى صياح الديك ❋

في الفصل الثاني تحاولُ الدجاجة البرية ان تعرف من الديك سرّ صياحهِ . فيتمنع عن أن يبوح به ، ثم يتغلب عليه الحبّ فياخذ يشرح ذلك بابياتٍ بديعة كأنه الشاعر يصف مهمته في هذه الدنيا :

الديك — : لاحظيني وانا بذاهب الصبر ومنتهى العجب اجرحُ الارضَ باظافري كأنني افتش دائماً في الارض عن شيء ما . . .

الدجاجة البرية — : تكون على ما اعرف تفتش حينذاك عن شيء من الحبوب

الديك — : لا ليس ذلك ما ابحث عنه . واذا وجدت عرضاً في حينٍ من الاحيان شيئاً من الحَب فاني ادعه لدجاجاتي

الدجاجة — : وعمّ تفتش اذن وانت تبحث في الارض .. ؟

الديك — : افتش عن مكانٍ انشبُ فيه لأصيحَ ، ولا أصيح إلاّ متى تمكنت اظافري في الارض بعد تقليع العشب وإبعاد الحصى . وعند ما تخالطُ نفسي الارضَ الطيبة أغني وأنشد . وهذا بعض سرِّ صياحي . وهو لا يشبه الاغاني التي تُنشد بعـد التفتيش عنها ولكـنه يصعد من الارض اليّ كما تصعد المادة الحيوية الى الشجرة . ويكون ذلك خصوصاً عند ما يقف الفجر متردداً على طرف السماء القاتمة فتتكلّم الارض فيّ ولا ابقى في تلك الساعة طائراً ايّاً كـان . بل أصير النفيرَ الذي ينطلقُ منه صوتُ الارض الى السماء . وهذا الصراخ الذي ينبعث من الارض هـو صراخُ الشوق الى النور ، هو هتاف الحب الشديد الهـائل نحو ذاك الكـائن الذهبي الذي نسميه النهار وهو ما تتوق اليه كل الكـائنات . هو هتاف الرجاء الذي يبعثه الحقل المبتلّ طالباً قوس قزَحٍ لكل بقعةٍ خضراء، والغابة راجيةً نوراً لكل منعطفٍ مظلمٍ فيها

هذا الهتاف الذي يمرُّ بي ليصعد الى السماء الزرقاء هو هتاف كل ما يشعر انه في هاوية وقد غضبت عليه الشمس دون ان يعرف السبب . هو هتاف البرد والخوف والضجر الذي يهتف به كلُّ من اقعده الليل الحالك، هو هتاف الوردة الواجفة وحدها في الظلام ، هو هتاف الهشيم الذي يريد ان ينشف لينُقل الى الرحى، هو هتاف الادوات وقد تركها الحاصد في الخلاء

فباتت تخشى الصدأ ، هو هتاف كل ابيضٍ ناصع ليكونَ لامعاً ساطعاً . هو هتاف كل الحيوانات الطاهرة التي لا تودّ ستراعمالها ، هو هتاف النهر الذي يُريدُ ان تصل عينُ الناظر الى قعره ، هو هتاف الوحل الذي يريد ان ينشف ليعود تربة خصبة ، هو هتاف فخيم ينطلق من المزارع التي تريد ان تشعر بالنبات يتحرك في جوفها ، هو هتاف الشجرة التي تريد ان تزيد على زهرها زهراً ، هو هتاف عنقود العنب الاخضر الذي يريد ان يحمرّ جانبهُ ، هو هتاف الجسر الذي يتشوّف الى خفقان الاقدام عليه ، والى تلاعب ظلّ العصافير بين ظلّ الاغصان فوقه ، هو هتاف كل من يُريد الإنشادَ وخلع ثياب الحداد ، والعودة الى الحياة ... هو هتاف الى النور ينطلق من كل جمال وكل عافية ، ومن كل من يريدان يعمل عمله في النور فيرى ذلك العملَ ويراه الغير

... وعند ما يتصاعد فيَّ هذا النداء للنهار أكبّر نفسي لتكون اكثر اتساعاً وبالتالي اكثر رنيناً . وقبل ان أُطلق هذا النداء اردده في صدري بخشوع ثم ينبعث صياحي واضحاً قاطعاً فخماً حتى ان الأُفق الخافق احمراراً يطيع ندائي هذا . وعبثاً يحاول الليل ان يرضيني بنور الغلس الضئيل فاني لا ازال أصيح حتى اجعل الشمس تتلألأ

﴿ روزفلت في وادي النيل ﴾

مرّ مستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة سابقاً بوادي النيل اثناء عودته من الصيد والقنص في اواسط افريقيا فقال لنا اشياء كثيرة في الخطب والمحاضرات التي القاها واعربنا له عن اشياء كثيرة على صفحات جرائدنا السيارة . وها نحن نثبت شيئاً من كل ذلك

﴿ ١ — ما قال لنا ﴾

* من خطبة القاها في الخرطوم في ١٦ مارس

لاأريد ان ارى كلية من كليات الارسالية جاعلةً غايتها الرئيسية من التعليم مجرّد تخريج طلبة لاحراز الوظائف في مناصب الحكومة . بل اريد ان ارى المتخرج مستعداً للعمل باستقلال وبدون اهتمام باية مساعدة ينالها من راتب يتقاضاه من الحكومة . فان افضل الوطنيين شأناً هو من برع في الهندسة او الزراعة او الصناعة . ومن سؤ الحظ ان يسري في الاذهان سواء في اميركا واوربا وافريقيا فكرة مآلها ان الرجل المتعلم يجب ان يجعل غايته الاولى التوظف في الحكومة .

* من كلام قاله في الوليمة التي اعدها له حضرة الوجيه جورج بك ويصا على النيل

اذا لم استطع ان ازور إلا بلاداً واحدة فاني ازور مصر وافضلها على كل بلاد اخرى ، واذا اردت ان أُرسل ابني لتكميل دروسه بالسياحة والمشاهدة فاني أُرسله الى القطر المصري ليرى آثاره ويقابل بين درجات ماضيه وحاضره . (وتكلم عن اجداد المصريين والسوريين فقال) إنتم

اعرق في العمران منا ، فانه لما كان اسلافكم المصريون والفينيقيون يبنون المدن ويجوبون البحار كان اسلافنا يعيشون في غيابات الجهل وغابات التوحش

* من كلام وجهه الى ممثلي الصحافة المصرية لما زاروه في فندق شبرد في ٢٧ مارس

ان كانت عندي كلمة نصح للمصري فهي ان يعاملَ المسلمُ المسيحيَّ بتمام العدل كما يعامل المسيحيُّ المسلم . اني انصح بهذا هنا ، وحيثما كان لي نفوذٌ أُلحُّ في عمله . ولما كانت القوةُ في يدي لم اكن اسمح للمسيحي بان يظلمَ مسلماً ولا لمسلم بان يظلم مسيحياً وما دام لي شيءٌ من النفوذ لا اسمح بشيء من ذلك .... إن في ايدي رجال الصحافة سلاحاً من امضى السلاح في العصر الحديث فيجب ألاّ يستعملوه إلا لمقاصد حسنة ، فان محرر الجريدة او مراسلها في هذا الزمان انما هو خادم عمومي

* من المحاضرة التي القاها في الجامعة المصرية في ٢٨ مارس

تجنبوا الادّعاء الفارغ كما تتجنبون التعصب الديني والجنسي والسياسي . وأهم من تجنب النقص العلمي ان تتجنبوا النقص الادبي . وعلى الذين يذهبون الى اوربا ان يشعروا ان هناك اموراً كثيرة يجب ان يتعلموها واموراً كثيرة يجب ان يتجنبوها ، فليأتوا الى بلادهم بالحسنات ولينبذوا ظهرياً السيئات واذكروا ان الاخلاق اهم من الصفات ، ولا يفوتنكم ان الامر الخطير هو ان تتم الاعمال بامانةٍ وكفاءة بقطع النظر عن مركز الرجل العامل سواءٌ في ذلك الرفيع والوضيع ما دام عمله للمجموع

٢ – ما قلناه له

* من خطابٍ مفتوح لسعادة الشيخ علي يوسف مدير سياسة المؤيد

ايها الضيف العظيم ! انك الآن تخترق وادي النيل وترى النيل تكتنفه المزارع وازهار الربيع من جانبه وترى الجو رائقاً والهواء صافياً والسكينة تملأ ربوع البلاد ، فلا تظن ان هذه منحة اللورد كرومر التي منحها البلاد في ربع القرن الذي اقامه

* من قصيدة لشوقي بك

قفْ بتلك (القصور) في اليمّ غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضا

كعذارى اخفين في الماء بضا سابحاتٍ به وأبدين بضا

مشرفات على الزوال وكانت مشرفاتٍ على الكواكب نهضا

شاب من حولها الزمانُ وشابت وشبابُ الفنون ما زالَ غضا

صنعةٌ تدهش العقول وفنٌّ كان اتقانه على القوم فرضا

وانا المحتفي بتاريخ مصرٍ من يصُنْ مجدَ قومه صان عرضا

لم تمتْ امةٌ ولا بادَ شعبٌ اقرضوا الذكرَ والاحاديث قرضا

قل لها في الدعاء لو كان يجدي يا سماءَ الجلالِ لا صرتِ ارضا

يا امامَ الشعوب بالامس واليو مَ ستعطى من الثناء فترضى

مصر بالنازلين من ساح (معنٌ) وحمى الجودِ (حاتمُ) الجودِ أفضى

كن ظهيراً لاهلها ونصيراً وابذلِ النصح بعد ذلك محضا

قل لقومٍ على (الولاياتِ) أيقا ظٌ اذا ذاقتِ البريةُ غمضا

شيمة النيل ان يفي وعجيبٌ احرجوه فضيّع العهد نقضا

* من قصيدة لحافظ افندي ابرهيم

قف غداً ايها الرئيس وعلّمْ اهـل مصر حريةَ التعبيرِ
واخبرِ الناسَ كيف سدتم على النا سِ وجئتم بمعجزات الدهورِ
وملكتم اعنة الريح والما ء ودستم على رقاب العصور
قفْ وعدّدْ مآثر العلم واذكرْ نعمَ الله ذكرَ عبدٍ شكورِ
واذا ما ذكرتَ انعمه الكبـــرى فلا تنسَ نعمة الدستورِ
انما النيل والمسيسبي صنوا نِ هما حليتان للمعمورِ
وعجيبٌ يفوزُ هذا باطلا قٍ وهذا في ذلة المأسورِ

* الدكتور شبلي شميّل

احيي فيك مروّض الوحوشِ – وحوش المال في اميركا ووحوش الحيوان في افريقيا – وقد لا تكون مصيباً في هذه ، ولكنك مصيبٌ في تلك ، فاهلاً وسهلاً بقاتل الوحشين ..!

النظرات والريحانيات (١)

ابرز عالم الطباعة الى عالم القراءة في هذا الشهر كتابين نفيسين ، بل

(١) طبع كتاب النظرات في مطبعة المعارف في مصر وهو يطلب من مكتبتها ومن مؤلفه ومن مكاتب العاصمة الشهيرة عدد صفحاتهِ ٤٧٦ صفحة وثمنه عشرون قرشاً صاغاً واجرة البريد ثلاثة قروش وطبع كتاب « الريحانيات » في المطبعة العلميـة في بيروت وهو يطلب من مكتبة صادر في بيروت ومن مكتبة الهلال ومكتبة المعارف باول شارع الفجالة في مصر عدد صفحاته ٢٢٨ وثمنه ٨ قروش صاغ

سفرين جليلين . جادت علينا بالاول وادي النيل ونفحتنا بالثاني جبال لبنان . بعد ان اقحطت هذه وتلك مدة من الزمن ، وبخلت علينا سماؤها بما يشفي الغليل من المزن . المنفلوطي صاحب « النظرات » الصائبات عرفته



السيد مصطفى لطفي المنفلوطي (صاحب النظرات)

مصر وتناقلت نفثاتهِ صحف الاقطار فعرفته البلادُ العربيـة ، والريحاني صاحب « الريحانيات » الزاهرات عرفته سوريا واميريكا ومصر كاتباً عربياً كما عرفه الانكلوساكسون كاتباً انكليزياً ، ولكلا الكاتبين مقامٌ رفيع في قومه ، ومنزلة سامية عند قرائهِ . وهما يتشابهان باشياء ويختلفان باشياء

عرفت الاثنين فعرفتُ فيهما نفسين منزهتين وان اختلفا في المبدأ والنظر الى الامور . يدافع كلٌّ منهما عن رأيه وفكره دون ان يغضبك في رأيك وفكرك ، رائدهما الوئام ، وغايتهما السلام ، يقول لك المنفلوطي

ورضا البعض فيه للبعض سخطٌ　　ورضا الكلِّ غايةٌ لا تُنال

ويقول الريحاني لقارئهِ : « في كل حالٍ لا انسى انك اكلتَ من جفنتي وشربتَ من ابريقي ونمتَ في خيمتي فانت اذن اخي وإن كنت خصمي ، فان افترقنا فكما ترافقنا متحابين لا متخاصمين . » فقد تجد بعد هـذا في اراء الكاتبين واحكامهما في العالم الكتابي او الاجتماعي ما لا يوافق رأيك او حكمك ولكنك لا تغضب ولو رأيت منهما ما يؤلم

قال احد المؤرخين : يختلف الحكم على الثورة الفرنسوية باختلاف المكان الذي نظر الناس اليها منه . فمنهم من رآها وهو في الشارع ، ومنهم من رآها من شرفات بيته ، ومنهم من رآها من اعلى آلة الاعدام ، وكلٌّ يحكم حسب ما رأى

نظر المنفلوطي والريحاني الى المجتمع الانساني ، فحكم عليه كلٌّ منهما حسب المكان الذي وقف فيه لينظر : لم يعرف الاول من بلاد الله الاّ مصر ولكن مصر مجتمع قارات ثلاث فكأنهُ عرف بلاداً كثيرة اذ

عرفها ... وزار الثاني اسيا وافريقيا واوربا واميريكا فعلاً . وبعد هذه السياحة عاد الاثنان الى عيشة الانفراد والخلاء واخذا ينظران الى الانسان ومدنيته من خلال نظّارات الطبيعة الصافية فهزأ الريحاني من سخافات



امين افندي الريحاني (صاحب الريحانيات)

الانسان وضحك ورأى « في زخارف المدنية المعبودة ، مئة مصيبة منقودة » وأنّ المنفلوطي منها وشكا . فكأن قلمه ما وصفه به

فتراه ورقاء تندب شجوًا وتراه رقطاء تنفثُ نارا

ولكنّ الاثنين ، هذا في تألمه وذاك في تهكمه ، قد أحبا الانسانية

حباً جماً ولعل هذا معنى الابتسامة التي لا تفارق ثغر الاثنين : ابتسامة عطفٍ ورحمة

بعض احلام المنفلوطي حقائق ، وبعض حقائق الريحاني احلام ، ولقد تؤلمنا هذه وتلك احياناً ... ويكاد يصح فيهما مع بعض الاستدراك ما قيل قدماً عن راسين وكورنيل : يصفنا الاول كما نحن ، ويصورنا الثاني كما يجب ان نكون . فلهذا نعجب بالاول لانه عرفنا حق المعرفة ، ونحب الثاني لانه يحسنُ الظنّ بنا ... وقلم هذا وذاك

هو جسرٌ تمشي القلوبُ عليه　　لتلاقي بين القلوب قرارا

*
* *

ألبس المنفلوطي معانيه حلة قشيبة فاختالت فيها تيهاً وفخراً ، وباهت بها الحاليات من معاني الاقدمين والمحدثين نثراً وشعراً ، وكسا الريحاني افكاره ثوباً بسيطاً ساذجاً نسجه من خيوط الشمس ولوّنه بالوان الحقول بكل دقة واعتناء ، فرأت العين في الحلة المنفلوطية ما يبهجها ، وشامت في الثوب الريحاني ما يؤنسها . ومن القرويات من تضاهي الاميرات حسناً وجمالاً ... درس صاحب « الريحانيات » لغات الاجانب وعرف كيف يستمدّ منها ما يناجي به النفس ، واكتفى صاحب « النظرات » بلغة اجداده فتمكن ان يستخرج من اسرارها ما يناغي به الروح ولو بالهمس

لقيت السيد المنفلوطي منذ بضعة ايام وفي يدي « الريحانيات » فقال : « ما بيدك ؟ — فقلت : شقيقة النظرات » ودفعت اليه الكتاب فاعاده اليّ ثاني يومٍ وقد كتب في اول صفحةٍ منه :

« نظرت في هذا الكتاب كتاب الريحانيات الذي اعارنيه صديقي ... انطون افندي الجميّل فلم اجد فيه من اللغة العربية إلاَّ حروفها دائماً ، ومفرداتها غالباً ، وجملها نادراً . فلم احفل بذلك كثيراً لاني وجدت فيه من سمو الخيال الشعري ، ودقة المسلك النظري ، ما استوقفني ساعتين كاملتين ، وهي المرة الثانية التي وقفت بها هذه المدة امام كتاب عصري منذ اعوام بعد كتاب روح الاجتماع ... »

وبالحقيقة ان في « النظرات » و « الريحانيات » ما يستوقف القارئ ساعاتٍ . فيحفظ الكتابين في مكتبتهِ ويعود اليهما من حين الى حين ...

***

ديوان المصري [1] — وهو شباب شعر عبد الحليم افندي المصري وشعر شبابه زفّه الى قراء العربية وهو خير هدية يهديها شاب الى امته : باكورة سعيه واجتهاده ... في شعر المصري كل صفات الشباب : نخوة وإباء وهمة واعجاب وحياةٌ تتدفق كالماء الصافي من الصخرة البيضاء . وفي شعره ايضاً عيوب الشباب — ان كان للشباب عيوب — واي سنٍ بلا عيب . بل ربما كان جمال كل سنٍ في ما يعدُّ عيوباً . جرّد الشاب من اندفاعهِ وهوسهِ وعدم مبالاته بالعواقب فترى امامك ما يمجه الذوق كالثمرة الناضجة قبل اوانها . واذا آخذنا « المصري » بشيء فنؤاخذه بمحاولته الخروج في بعض قصائده من رياض الشباب الى كهف الشيخوخة .

---

(١) طبع بمطبعة النظام بمصر عدد صفحاته ١٣٥ وثمنه عشرة قروش صاغ ويطلب من مكاتب العاصمة

فتبدو في شعره آثار التصنع . ولكن إنْ هي إلاّ سحابة صيف تنقشع امام شمس الطبيعة الساطعة . ولسنا نغلط في حكمنا اذا وضعنا المصري في طليعة شعراء الطور الجديد وقد احلّه ديوانه هذا المحل واكسبه منزلةً هو جدير بها . ونحن ندعو له بان « يمتد حبل عمره ، ويشتدّ ازرُ شعره ، لنرى الفرق بين شعر الطفولة وشعر الكهولة »

(ونرجئ الكلام في سائر ما لدينا من المطبوعات الى العدد القادم)

اشواك وازهار

العرَج والفرَج

الجنون فنون : ماتت في برشلونة عاصمة البلاد البرتغالية امرأة عرجاء — والعرج والجنون لا ينفيان الغنى — ماتت عن ثروة طائلة واوصت بمبلغ خمسمئة فرنك لكل اعرج يمشي في جنازتها . فكم من اعرج في ذاك اليوم عدّ نفسه سعيداً وشكر للطبيعة تقصيرها لاحدى قائمتيه ، وكم من سالمٍ تمنى لو بُلي بالعرج ، وكم من محتال تظاهر بالعرج ، فسار في الجنازة وهو يردد قول بطل مقامات بديع الزمان :

تعارجتُ لا رغبةً في العرج ولكن لاقرع باب الفرَج

نيشان الافتخار

قرأت في صحف البريد ان الحكومة العثمانية تنوى انشاء « فرع » لنيشان الافتخار تسميه « نيشان الاستحقاق » ويكون اشبه بوسام

« اللجيون دونور » الفرنسوي ... ما اكثر الاوسمة والنياشين والمداليات عندنا . هي اكثر من الذين يستحقونها . بل نحن نوجدها قبل ايجاد صدور تحتها قلوب شريفة ، لنضع فوقها علامة الشرف . سألني سائل : هل تحمل وساماً ؟ فلم اعرف بما أُجيب : إن قلت « لا » فقد يستحقرني لعدم نيلي ما يناله الجميع بسهولة إعتقاداً منه بعجزي . او قلت « نعم » فقد يستصغرني على خفتي ظناً منه انني سعيت وراء هذا الشرف الموهوم الذي تساوى به كل الناس . وعليه فانه من العار ان تتحلى بوسام كما انه من العار ان تكون عاطلاً منه ... وما غاية الحكومة من « تجديد » نيشان الافتخار وقد كاد يزين كل الصدور

اما لو انه شيءٌ جديد　　لقلنا حبّذاك الافتخارُ
ولكنْ مثله فينا قديماً　　كثيرٌ لا يباعُ ولا يعارُ

اول افريل او كذبة نيسان :

شهر افريل من اجمل شهور السنة ، واسمه مشتقٌّ من فعل لاتيني معناه « تفتّح » اشارة الى تفتُّح الزهر في الرياض والحقول . على ان البشر قد شوهوا طلعته وسوّدوا سمعته بما سموه « كذبة نيسان » او « سمكة افريل » . ويرجع عهد هذه الكذبة الى اواسط القرن السادس عشر حيث اصدر شارل التاسع ملك فرنسا سنة ١٥٦٤ منشوراً قرّر فيه ان يكون ابتداء العام في غرة يناير بدلاً من اول افريل . فاصبحت التهاني والهدايا التي تتبادل في غرة هذا الشهر كاذبة . وقد ذكروا لهذه العادة المألوفة « عادة الكذب الحلال » في هذا اليوم اسباباً غير ما قدّمنا لا مجال

لمدِّها الآن . على ان شيوع هذه العادة عند جميع الشعوب تقريباً لما يدلّ على ميل غريزي في البشرية الى الكذب . فاقمنا له هذا العيد الرسمي . واجمعنا على الاحتفال به على اختلاف مذاهبنا . ومن اشهر الكذبات كذبة جريدة انكليزية نشرت في ٣١ مارس سنة ١٨٤٦ ان سيُقام معرض عام للحمير ثاني يوم (اول افريل) في نقطة معينة من لندرا . فاجتمع جمهور كبير للفرجة واذ ذاك قهقة احد الحاضرين وقال « تمّ المعرض ... » وكم من الناس يعدّون كل يوم « اول افريل »

ماصر

✱ من الادارة ✱

١ نذكر الادباء ان آخر الشهر الجاري هو آخر موعد للسباق الشعري ومنتصف الشهر القادم آخر موعد للسباق النثري (راجع موضوع السباقين وشروطهما في ص ٩ و ١٠ من الجزء الاول)

٢ — نرجو الذين لم يفيدونا عن رغبتهم في الاشتراك ان يفعلوا بعد وصول هذا العدد

٣ — كتب الينا احد الادباء يقول « نلتمس ان لا تعتمدوا على نوابغ الكتاب فقط فان ذلك يحول دون ظهور الباقين . فكم من زهرة غراء ذبلت بين رمال الصحراء ، وكم من درة حسناء ضاعت بين كهوف البحار وتدافع الامواج ... » وكتب الينا كثيرون بهذا المعنى ونحن قد وضعنا هذه الغاية نصب اعيننا منذ انشاء المجلة اذ قلنا : ان عندنا فريقاً من الكتاب في حاجة الى التنشيط والتمرين تحت ادارة اساتذة الكتابة وايمة الكلام (راجع المقدمة ص ٤)

٤ - وفي الختام لا بد من كلمة شكر حميم نسديها لكل الصحف والمجلات في جميع الاقطار العربية لما صاغته من كلمات الترحيب والاستئناس بهذه المجلة . حقق الله الظن بنا　　　　الادارة



الجزء الثالث | اول مايو (ايار) ١٩١٠ | السنة الاولى

نطاق العالم البحري

« السويس و بناما »

هي العقول السامية المدارك تُرينا في عالم الاختراعات ما تزدهي به البلاد ويستفيد منه العباد ، فترتقي بالحضارة والهيئة الاجتماعية في مراقي التقدم والفلاح . . . وقد تجلت تلك العقول البعيدة المرامي في افرادٍ جاؤوا الوجود في احقاب مختلفة وخصوا ما اتاهم الله من ثقوب الفهم ومضاء الفكر بالتنقيب عن اسرار الطبيعة واستخدام قواها ، وتوصلوا بثباتهم الى ما عاد على المجتمع الانساني بالخير الجزيل

من اعظم ما حققه الانسان في الازمنة الحديثة توسيع نطاق فن البحارة وتمهيد سُبُل التجارة في وجه اربابها . فاقتصد الوقت الثمين وقرّب الامكنة البعيدة : شاد المرافئ تُرغم انف الماء الثائر ، ورفع المنائر تهدي حائرات المراكب . فكم من برزَخ نقضه ، وخليج سدّه ، وغديرٍ ايبسهُ . ولم يكن ما في ذلك من المصاعب ليثبّط منه العزائم . فهذه قناة السويس

تكفل لفرديناك ده لسبس ما كفلت اهرام مصر لمن بناها : اسماً ماجداً وذكراً خالداً . وهذه ترعةُ بناما التي يتم فتحها في القريب من الزمن سيكون لها شأن يذكر في تقريب المسافات وتسهيل المواصلات

السويس وبناما بابا اربعة بحور عظام وهما كمنطقة تحدق بالكرة الارضية . عن طريقهما تمرُّ تجارة المعمور واليهما ومنهما مصيرها ومنفذها . وسوف يبقيان الطريق الكبرى اللاحبة بين آسيا واوربا ما دام العالم السياسي على ما هو وبقيت الارض على شكلها

عرف القراء مجمل ما يتعلق بقناة السويس بعد تمحيص هذه المسالة في الجمعية العمومية وقيام مصر من شرقها الى غربها ومن جنوبها الى شمالها للدفاع عن استقلال قناتها ، واننا لذاكرون هنا فقط شيئاً عن ترعة بناما فنقول :

بناما عبارة عن برزخ يعترض بين الاوقيانوسين الاتلنتيكي والباسيفيكي ، واقع بين كولمبيا وكوستاريكا ، جامع بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية ، وقف عقبة في وجه التجارة ويبلغ عرضه ستة وخمسين كيلومتراً بين مدينة كولون ومدينة بناما . والاولى في ٢٢َ و ٩ عرضاً وَ ١٥ و ٨٢ْ طولاً والثانية في ٥٦َ و ٨ْ عرضاً وَ ٣٠ و ٧٩ْ طولاً

وفتحُ هذا البرزخ — اي فصل العالم الجديد الى شطرين — مشروعٌ خطيرٌ جليلُ الفوائد . ولقد عنَّ هذا الفكر لعلماء أعلام وحكّام عظام وخطر لعقول نيّرة ومدارك سامية ان يبرزوه الى حيّز العمل . فنشرته الاقلام والالسنة فكبّر سامعوه وقالوا : هذا من باب المستحيل ...

ومنذ القرن السادس عشر دار في خلد احد البحَّارة نقض هذا البرزخ فاقترح ذلك على الحكومة الاسبانية . وفي هاتيك المدة ايضاً حدَتِ الهمةُ بالسيد فرندو كورتز فاتح البلاد المكسيكية الى القيام بهذا الامر الخطير . فألَّف لجنة من المهندسين وعهد اليهم تخطيط رسم ترعة تجمع بين الاوقيانوسين . وضع الرسوم على صفحات القرطاس ولم يلاقِ في ذاك العهد من يقوم بهـا فيضعها قيد الفعل . فتصرم قرنان كاملان وفتحُ هذه الترعة في عالم الرسوم ، حتى اواخر القرن الثامن عشر اذ اوفد الملك كارلُس الثالث لجنة ترود تلك الاماكن وتنظر في الامر ، فتضاربت الاراء وتفرّقت الكلمة ولم ينجم عن ذلك نتيجة تُذكر . وبعد سنين قلائل عهد ذلك المشروع الى مسيو ده همبلدت فلم يصبْ نجاحاً

وفي السنة الخامسة والعشرين بعد الثمانمئة والالف نال البارون تييري من بوليفار محرّر جمهورية كولمبيا امتيازاً يخوّله حفر ترعة پناما ، فعمل ولم يفلح . ومن مشاهير الرجال الذين بحثوا في هذا المشروع الامبراطور نابليون الثالث . قيل انه كان يقضي ساعات طوالاً وهو في قلعة هام ، يعمل النظر ، ويشغل الفكر في التنقيب عن هذه القضية

ومما تقدم يرى القارئ ان هذا المشروع قد بدا لعقول كثيرة . على ان المتمولين اصحاب الذهب لم يكونوا يعدّون تحقيقه الاّ من باب الاوهام وخطرات البال . ولذلك لم تؤلف قط شركة لهذا الغرض ، ولم تقم عصابة مالية للاخذ بناصر هؤلاء العلماء وبسط يد المساعدة لهم . وكان الاميركان انفسهم ، اصحاب الجد والنشاط ، لا ينظرون الى هذا المسمى الاّ بعين الهزء

والسخرية ، حتى رأوا النجاح مكللاً اتعاب ذاك الهمام المقدام فاتح قناة السويس ، فعقدوا حينئذ لجنةً من حذّاق المهندسين لينظروا في الامر ولكنهم فشلوا في مسعاهم ولم يفوزوا بالمرام. وقام ده لسبس يحاول ان يحقق في پناما ما حققهُ في السويس ، فارسل العالمين ارمان ركلو ولوسيان ويز سنة ١٨٧٩ ، فتفقدا تلك الحزون والبطاح ووضعا الرسوم اللازمة ، ونالا الامتياز من جمهورية كولمبيا ، وألّف هو الشركة المالية بعد ان قدّر المبالغ اللازمة بـ ٦٥٨ مليون فرنك . فتلاعبت الايدي بالمال وكانت هذه الحادثة من اهم المسائل السياسية التي هزّت فرنسا في النصف الاخير من القرن الغابر

وجلُّ ما نتج عن كل هذه الابحاث مدّ خط حديدي بين كولون وپناما في سنة ١٨٥٥

ومن اكبر الاسباب التي حالت دون فتح ترعة پناما ، ميل الاميركان الى ترعة اخرى مارة ببحيرة نيكاراغوا ونهر سان جوان ، وذلك لقتل المشروع الفرنسوي في مهده ، سيما وقد توهم القوم باديء بدء ان حفر هذه الترعة اقل صعوبةً من نقض برزخ پناما . وظلّ الاميركان على هذا الزعم حتى سنة ١٩٠٣ ، حيث عادوا الى الفكرة الاولى بفضل مساعي العالم فيليب بونوڤيلاّ ومستر مرقس حنّا (Marc Hanna) احد النواب ، فظهر للجميع عدم صلاحية نيكاراغوا لجمع الاوقيانوسين نظراً لقوة النهر وعلو الاراضي عن سطح البحر وكثرة المواد البركانية في تلك النواحي . فوضع الاميركان يدهم على هذا المشروع واخذوا على انفسهم تحقيقه بعد التسويف والتأجيل

وهو ناجزٌ عن قريب فيشطر اميركا الى شطرين . هذا وكلٌ يعرف ان اكثر رواج التجارة بين اسيا مهد التمدن القديم واوربا مهد التمدن الحديث، ومن هنا تتأتى اهمية الطرق الجامعة بين القارتين

ولبيان اهمية ترعة يناما لا بدّ لنا من القاء نظرة الى الطريق القديمة والمقابلة بينها وبين طريق الغد فتتضح لنا فوائدها التجارية والسياسية معاً لان التجارة اصبحت اليوم محور السياسة واساس المعاهدات والمحالفات . قال احد كبار السياسيين : « لا تحارب الدول ولا تسالم بعضها بعضاً الاّ في سبيل التجارة ، فالتجارة سلطانة الدنيا . »

١ — الطريق عن البرزخ الافريقي : اقدم طريق من اوربا الى آسيا طريق البرزخ (الافريقي) اعني مصر فالنيل فالبحر الاحمر فالاوقيانس الهندي ، وهذا ما رفع شان الاسكندرية ووفَّر غناها وجعل فيما بعد للبندقية ايضاً نصيباً عظيماً من الثروة . وُجد بين اوراق كتبها نابوليون بين سنة ١٧٨٦ و١٧٩٣ ما يلي تعريبه . « ان مركز التجارة وسوق رواجها انما هي الاسكندرية التي شادها الاسكندر على النيل وهكذا عمرت مصر على عهد البطالسة فقامت مدينة برنيقه (Bérénice) على شواطىء البحر الاحمر ، وكانت تجارة بلاد فارس والهند مع ايطاليا واوربا عن طريق البحر الاحمر فالنيل »... بيد ان هذه الطريق كانت من الصعوبة على جانب عظيم ، سيما وانها بحرية وبرية ، فكانت تستغرقُ وقتاً طويلاً ومصروفاً جزيلاً ، لنقل البضائع من البحر الى البر ومن البر الى البحر

٢ — الطريق عن راس الرجاء الصالح : وفي سنة ١٤٩٨ جاز فسكو

ده غاما راس الرجاء الصالح واختطّ طريقاً بحرية محضة الى المواني الاسيوية فتبعته السفن التجارية وهجرت طريق البحر المتوسط فتأخرت احوال الاسكندرية والبندقية

قال ڤولتير في معرض كلامه عن الآداب : « ان رحلة ڤسكو ده غاما الى مملكة كالكوتا في الهند عن طريق راس الرجاء الصالح قد غيّرت تجارة العالم القديم تغييراً تاماً . وكانت الاسكندرية محور التجارة ورابطة الامم على عهد البطالسة والرومان والعرب بل كانت البلاد المصرية المستودع الوحيد بين الاصقاع الاوربية والامصار الاسيوية ومنها كانت البندقية تستجلب محاصيل الحبوب لاوربا فاغتنت وازدهى فيها العمران ولولا اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح لكانت البندقية الآن من اعظم الدول »

٣ -- الطريق عن ترعة السويس : بيد انه في اواسط القرن التاسع عشر عادت الطريق الى الهند من حيث كانت ، وذلك بنقض البرزخ الافريقي وجمع البحر المتوسط والبحر الاحمر .. تلك امنيةٌ طالما سعى وراءها الفراعنة والبطالسة واشار اليها بونابرت فحققها دهلسبس ، واعاد الى مصر مجدها الغابر وبهاءها السابق اذ عادت كذي قبل الطريق بين اسيا واوربا

٤ - الطريق عن البرزخ الاميركي (پناما) : هذا وفي سنة ١٤٩٢ دعت ناهضة النشاط بكرستوف كولمب الى السير الى الهند عن طريق جديدة . وكان قد ظنّ ـ ونعم الظن ـ انه نظراً لكروية الارض لا بدّ من ان يصل الى الهند عن طريق ثانية مواجهة للطريق الاولى فبدلاً من السفر في البحر المتوسط والاوقيانوس الهندي حاول ان يسافر في

ما ندعوه اليوم الاوقيانوس الباسيفيكي . ولما بدت له ارض عن بعيد ، ظن انه وصل الى الهند ، وهكذا اكتشف اميركا . قال احد المؤرخين : « اميركا جزيرة عظيمة معلقة بالقطب تشطر الاوقيانوس الى شطرين ، فكان اذن كولمب قد اخطأ بظنهِ ولكن يا حبذا الخطأ وما اعظم ما ناله بخطأهِ وقد اكتشف بالوقت نفسه طريقاً جديدة الى اسيا على غير علمٍ منه وذلك بنقض البرزخ الجامع بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية »

وهذا ما سنراه عن قريب فتتصل مياه الاتلنتيكي بمياه الباسيفيكي وتزداد المتاجرة بين اوربا وشعوب الشرق الاقصى

وعليه فان السويس وپناما قد جمعا بين البحار وجعلا للكرة الارضية نطاقاً بحرياً يحيط بها . وهل يخفى على احد ما في ذلك من الاهمية والفوائد الخطيرة ؟ ..

نبوكدنصر الشحاذ

ولِمْ تنبح الكلاب ،
من ذا الذي في الباب ؟
ان في الباب مليكاً دوَّخه الزمان ،
ان في الباب شبحاً محنياً تحت وفاضه متكئاً على هراوتهِ ، يمد يده باكياً ، ويهيم شاكياً ،
شبح مخيف يرتعد كالمحموم ، لا يُعرف أمن البشر هو ام مما فوق او تحت طبقات البشر ،

طيفٌ من اطياف العياء والمذلة ، نهبُ داء وفاقة ، يطوف البلاد كفَّارةً
عما اقترفهُ من الآثام سواه ،
تصرخ فيه معدة ظالمة ، فتذل فيه صورة الصمد المتعال ،
تصفر في رأسه الرياح فتصرعهُ ، فيردد صداها شبح الوساوس والايام ،
يهذي فيتساقط اللعاب من فيهِ ، أسير اسقام واوهام ،
يدق صدره مستعطفاً فيرتجف هيكله الهشيم ارتجاف قصبة في الرياح ،
ان في الباب شحاذاً يستنبح الكلاب ،
ان في الباب مليكاً دوّخهُ الزمان ،

* * *

واليك بخبره من فيهِ —
« أنا نبوكدنصَّر من بين النهرين — نبوكدنصّر الشحاذ . الملك . ملك
بابل وآشور - الله سبحانه يطوّف بي في العالم مثقلاً بما ترونه من
ذلة وفقر ومرض وصرع وجوع واوجاع . . . اعطوني الله يعطيكم »
ولله من ملك تخرق عيناه اللقمة قبل ان تدخل اللقمة فمه ،
لله من ملك طي هذه الاطمار في هذا الهيكل الهشيم المخيف ،
على كتفيه وفاضه ، وعلى ذراعيه مواعينه ، وفي يده هرواة يستعين بها على
الدهر والكلاب ،
لله من ملك على رجليهِ من آثار المفاوز اشواكها ، وفي ساقيهِ جروحها ،
وقد ركمت عليها الاسفار غبارها ،
لله من ملك يتساقط الدم من انفه ، والدمع من عينيهِ ، فيتجمد هذا على

لحيته ، وذاك على صدره ،

يورّد الصرع خدّيه ، فتلتهب الاحلام في محجريه ،

هنالك شيءٌ من الهول ألبسه الدهر قيصاً حاكتها شياطينه ،

بل هنالك غور غدور من ظلمات الزمان ، ونبأ من عصور عقم فيها الهيكل والصولجان ،

وفي ناظريه ساعة الصرع غيظ يحتدم – ولا غيظ من علوا العروش مجداً ،

في ناظريه يتجسم الويل وقد ذاب عظماً وعزاً ووجداً ،

***

ها هو امامك مغمي عليه

قد ذبل الورد في وجهه ، واضطرم الوهم في ناظريه ،

قد ذهب التلجلج من فيهِ والرجف من يديه ، فهو لا يهيم الآن شاكياً ، ولا يمد يده باكياً ،

هو يرغي ويزبد لا كالصريع ، بل كالمليك المنيع ، وقد شخص الى الفضاء يصب عليهِ لظى تغيظه ،

كأن في الفضاء ملكه ، وكأن هنالك نصب عرشه ،

– « انا نبوكدنصر ملك بابل وآشور – تاجي . صولجاني . وزرائي . موعدكم غداً – اليّ بآلة الصيد – لا – لا – اشعلوا الانوار . اين الإِماء الحسان – حركوا الاوتار – تعالي ... تعالي اليّ – ليس الان وقت العبيد – سوقوهم الى السجن – الى النار – الخائنة – الفاسقة – الى النار – آهِ عليّ آهِ عليكِ . آهِ عليّ اواه على ملكي » ..

وهذا مليك دوّخه الزمان ، وعضه الويل في الكبد والوهم في الجنان ،

* * *

ان في الخيال الثائب الى رشده الواقف امامك الآن ، الناطق بخليط من لغات العرب والكلدان ، نبأً من غور ظلمات الزمان ،

ان فيه تجسم ظلم الدهور وعدل الزمان ،

بل فيه تتجسد ارواح من جاروا على الانسان ،

بلى. ان في مثل هذا المتسول الصريع المجنون ، ليتقنص الظالمون ،

* * *

ولِمَ تنبح الكلاب ؟

انما تحيب الكلاب هذا لانباحهم ،

تحييهم على من في الباب. على مليك صرعه الزمان ، على شحاذ عضه الوهم في الكبد والويل في الجنان ،

حتى الكلاب ينحبون ويتساءلون ـ

واين الروح التي نفخها الله في هذا الذي خلقه على شكله ومثاله ؟

واين الكرامة التي تميز البشر عن الحيوان ؟

واين الاباءة التي ترفعه على اسياده الى خالقه ؟

اين من الرجال عزة النفس والحمية والعزم والحزم والنشاط ؟

* * *

ان في الباب شحاذاً من بؤساء الكلدان ممن ارهقهم سيف ابن عثمان ، طوّاف يطوف البلاد متسولاً ـ كفارةً عن ذنوبه وآثامه ؟

كلا - كفّارةً عن جرائر حكامه ،
هو حجة الزمان ، على طغاة الزمان ،
هو دمّل من دماميل مجتمع الانسان ،
هو ثمرة طغيانكم ايها الرؤساء والاسياد والحكام ،
هو صنع يدكم الاثيمة لا صنع يد الله .

امين ريحاني

حَمَلَةُ الاقلام
في
برّ الشام

* ابرهيم الحوراني (محرر النشرة) — غزرت مادتهُ فأتت اقواله (من كل فاكهةٍ بها زوجان)
* الشيخ اسكندر العازار — كلُّ ما كتبهُ و يكتبهُ هو من السهل الممتنع
* ابرهيم ابي خاطر — يسرُّك كخطيب . ولا يسوءُك ككاتب
* امين الريحاني — جمع بين لطافة الهواء . وسلاسة الماء
* امين الغريب (صاحب المهاجر سابقاً وأحد صاحبي النصير حالاً) — أقدر صحافي لارضاء مشتركيه . وترغيبهم في مطالعته
* أسعد رستم — لا يجاريهِ في البريةِ فردٌ في ضروب الفكاهة الرستميه
* أميل الخوري — لو اكمل الشوط لبلغ الغاية
* بشاره الخوري (صاحب البرق) — هو كجريدتهِ . فيهِ من كلِّ فنٍ خبر
* بشير رمضان (صاحب الكوثر) — لم اقرأ لهُ كثيراً . ولكنني أرى في مجلتهِ مادَّة غزيرة
* بطرس مختاره المعلوف — لو رام الشهرة لكان شأنهُ في لبنان الجبل .

شأن حافظ في وادي النيل

* جبر ضومط ــ فكرٌ من ذهب . في قالبٍ من خشب
* جرجي نقولا باز (صاحب الحسناء) ــ أجاد قبل انشاء المجلة . فكان أفضل من كتب في الاجتماعيات
* جورج شاهين عطيه (صاحب المراقب) ــ بين أفكاره السامية ولغتهِ نسب
* جميل المعلوف ــ أنضج كاتبٍ في السياسة
* خليل زينيّه (محرر الثبات) ــ لهُ في كل وادٍ أثر
* داود مجاعص (صاحب الحرية) ــ قلمهُ كمخلبِ الخطاف . إذا نشب أدمى
* سعيد الشرتوني ــ كلُّ شيء منهُ مقبول ــ الاّ الشعر
* الشيخ رشيد نفاع ــ أقوى حافظةً من أبي العلاء
* سليم العقاد (محرّر الاحوال) ــ كاتبٌ مجيدٌ صبور . آثر التستر على الظهور
* شبلي ملاّط (صاحب الوطن) ــ تكاد تلمس حدتهُ من خلال سطوره
* شبل ناصيف دموس ــ شديد اللهجة . طويل النفس
* شكيب ارسلان ــ جال جولةً رفعتهُ الى رتبة المشاهير . ثم أشغلتهُ السياسة عن متابعة التحبير
* عبد الله البستاني ــ قريع وحدهِ في أساليب البلاغة
* عبد الغني العريسي (صاحب المفيد) ــ خير مثالٍ للحمية العربية
* عيسى اسكندر المعلوف ــ كثرت كتابتهُ . فتوزعت مادتهُ
* فارس الخوري ــ يحذو حذو حافظ في شعرهِ . ولكنهُ لن يدانيه في نثرهِ
* فيلكس فارس (صاحب لسان الاتحاد) هو في نثرهِ أشعر منهُ في شعره
* كامل حميه (محرر النفائس) ــ اذا كان الانشاء هو الانسان فاقرأ النفائس...
* محيي الدين الخياط (محرر الإقبال والاتحاد العثماني) ــ هو في شعرهِ فوقهُ في نثره
* مصطفى الغلاييني (صاحب النبراس) ــ أفضل ما تمثه خطيباً

* محمد كرد علي (صاحب المقتبس) ــ لا تعرف منزلة نبيٍّ في وطنهِ
* محمد الباقر (صاحب المنتقد) ــ كلٌّ من سار على الدرب وصل
* نعوم لبكي (صاحب المناظر) ــ تُرى ظلمةٌ خفيفة . من خلال بلاغتهِ اللامعة
* يوسف نخله ثابت ــ هو في تعريبهِ أصحٌّ لغةً من اكثر المنشئين

* * *

هذا ما وصلت اليهِ طاقتي القاصرة . كتبتهُ ورتبتهُ على حروف الهجاء .
وهناك ايضاً قسمٌ كبيرٌ من الكتاب والشعراء المجيدين من النبت الجديد
وسأذكرهم على حدةٍ في مقالةٍ أُخرى ان شاء الله حليم ابرهيم

(بيروت) دموس

ملكة الجمال

« او زهرة لبنان »

إقامة الافراح في ايام المرافع عادة شائعة ، ومن العادة ايضاً في بعض البلاد إقامة ملكة ترأس العيد . وقد جرت هذه السنة في الجمهورية الدومينيكانية حادثة غريبة ، نقتطفها عن الجرائد الاميركية تفكهة للقراء :

أراد فريق من الاهالي ان تكون ملكة العيد في هذا العام الآنسة امانْدا (محبوبة) كريمة الشيخ نجيب العازار او (زهرة لبنان) كما يسميها الوطنيون ، وقد تفردت بلطفها وجمالها . وأراد فريق آخر ان تكون احدى الوطنيات من كريمات اعيان البلاد . وقد حمي الخلاف لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاعياد ، اشترك فيه الوزراء وكبار رجال الحكومة ووجهاء القوم ، واخذت القضية دوراً خطيراً حتى توسط في الامر الجنرال

راموند كاساري رئيس الجمهورية واعلن انتخاب ملكتين فرضي الفريقان

وفي المساء اقام الرئيس ليلة راقصة في المنتدى العالي اكراماً للملكتين، وكانت الراية العثمانية تخفق بجانب الراية الوطنية . وثاني يوم جرى الاحتفال بتتويج الملكتين، وكانت الملكة السورية لابسة ثوباً من الراية الدومينيكانية، والملكة الوطنية لابسة ثوباً مصنوعاً من الراية العثمانية ، وعلى صدرها النجمة والهلال ، والجميع يصيحون « فلتحيي الملكة » وقد شرب رئيس الجمهورية نخب العثمانيين الاحرار ونخب النزالة السورية . وفي اليوم التالي ركبت الملكة السورية يختاً مزيناً ، وعن شمالها الملكة الوطنية ، وراية الهلال تخفق على الساري ، ووراء اليخت مدرعتان من حاميات السواحل تقلان الرئيس والوزراء والاعيان ومئات من الزوارق وكلها رافعة الراية العثمانية . وعند اقتراب اليخت الملكي اطلقت القلعة ٢١ مدفعاً وصدحت الموسيقى بالنشيد العثماني وكانت جميع ايام الاحتفال اعياداً زاهية لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذه البلاد . وقد اطنبت الجرائد بمدح العثمانيين واثنت عليهم لتعاضدهم وشكرت للرئيس حكمته لانه وفق بين كرامة الوطنيين والنزلاء

وقد رأينا صورة الآنسة اللبنانية في الجرائد الاميركية فوجدناها كما وصفوها



في رياض الشعر

ايها العرب

« اين الرجال واين الاسطول »

لم يغنِ تحذيرٌ ولا اغراء　　فقد استوى الاموات والاحياء
اني صرختُ فلم يكن الا صدًى　　مرّت به الارياحُ والانواء
اين الرجال فلم تقع عيني على　　رجلٍ فهل ارضُ الشآم خلاء
اني سمعت هتافهم فاذا به　　عند الحقيقة أنّةٌ وبكاء
يا قومُ ما هذا الجمود فحسبكم　　ان الجمود اذا استطال فناء
قد اطلق الدستور عن ابوابه　　فانحوه فهو محجة بيضاء
ومضى العتاب بقضه وقضيضهِ　　واقتصّ من سوء الظنون إخاء
الله اكبر هل جهلتم انكم　　نهب القويّ وانتم ضعفاء
ساد التنازع في البقاء فلم يعد　　فيه لمن نبذ الجهادَ بقاء
نبكي على الزمن القديم وليتهُ　　في الشرق والزمن الحديث سواء
فلقد سخرنا اليوم من آبائنا　　وكذاك تسخر بعدنا الابناء
اين الحضارة والنضارة والعلى　　بل اين ما جاءت به العلماء
ان الرزية ان تكون بلادكم　　بيد الغريب وانتم الغرباء
اني أرى شركاته اشراكه　　يرمي بها فيصيد كيف يشاء
واذا توطد امره في ارضكم　　فستصبحون وكلكم أجراء
فاض النعيم له وما من نغبة　　فزتم بها لكنكم انضاء

وبحضتموه ولاءكم فسطا على　　خير البلاد ولم يزعه ولاء
اني امرؤ اغتشه وأرى به　　متلوناً من دونه الحرباء
وتمرسي بالدهر أدبني فما　　طاحت بي الاغراض والاهواء
والله لا يضع المدى اوزارهم　　ولئن علا للمصلحين نداء
هتفوا (بتعزيز السلام) وانما　　هي خدعة يرضى بها الجهلاء
أفلم تروا سفناً تنوء بجندهم　　ضاق الفضاء بها وغص الماء
ركبوا البخار فادركوا ما أملوا　　سيان ارض عندهم وسماء
فتقحموا الغمرات لا تتلكأوا　　وتعهدوا الاسطول فهو نجاء
فاذا مدافعه انبرت لخصومة　　وتكلمت خرست لها الاعداء
واذا بوارجه بدت في مأزق　　تنشق عنه الليلة الظلماء
لا ترهبوا من بعده متحزباً　　ترغي وتزبد حوله النصراء
قالوا العدى مثل النطاق عليكم　　يتحفزون وكلهم رقباء
يتربصون بارضكم ريب الردى　　فبلادكم بعيونهم اقذاء
صدقوا بما زعموا ولكن حبذا　　موت اليه تسوقنا العلياء
أفما دروا ان الرشاد أعزنا　　فاليوم لا وهن ولا ابطاء
فاذا أسارير الزمان تجهمت　　وجرى الرصاص تصبه الهيجاء
وتدفقت زيم الجيوش ففيلق　　في فيلق سالت به البيداء
وقف القضاء فما تدور صروفه　　الا وكان لنا عليه قضاء
أحييت يا عصر الرشاد رجاءنا　　ولقد يكون وليس فيه ذماء
جددت عهد (الراشدين) فلم نقل　　من بعدهم قد ماتت الخلفاء

يا ايها العرب الكرام اليكمُ أشكو وقد فدحت بنا الارزاء
هذا هو الاسطول يطلب رحمة منكم فهل في ارضكم رحماء
ان تبخل الدنيا عليهِ فما لكم عذر بذاك وانتم الكرماء
هـذا المجـال لديكم فتشمروا ان الكريم تهزه الآلاء
أيرى (بنو عثمان) من اسطولهم جبلاً أشم له السحاب لواء
يترنح (البسفور) اعجاباً به وتخر نحو (هلاله) الجوزاء
أفتقعدون وللنساء حمية ثارت بهنَّ وهمة شماء
بعنَ الحلي وبذلنَ ما يملكنهُ كرماً فيا ليت الرجال نساء

الخرطوم فؤاد الخطيب

الى امرئ القيس

سائل التاريخ عاماً ثم عاما ايُّ يومٍ خفر العربُ الذماما
ايّ عهد نكثوا آياته اي جارٍ لم يعزوه مقاما
المروآت هدى اعمالهم والوفا الدين الذي فيهم تسامى
عبدوا الاصنام لكن عبدوا قبلها العرض فصانوه كراما
ألّهوا العزة واللات لَدُن جعلوا للنفس بالعزّ اعتصاما

***

القصور الغر تفدي خيماً لبني كندةَ تبتزُّ الخياما
لابن حجرٍ في ذراها خيمة ظللت منهُ الفتى الحرَّ الهماما
ملك في طي يروي ملكه شاعرٌ أبدع حتى لن يراما
امراء الشعر تحني رأسها لامير الشعر حباً واحتشاما

يا أميري ان للعربِ اذا ذِكرِ المجد لآياتٍ جساما
ان تكنْ قد قمتَ فيهم ملكاً كم مليكٍ بعدكَ الدهر أقاما
لم يخلِّد ذكركَ الملكُ كما خلَّد الشعرُ لك الذكرَ دواما
وبكيتَ التاجَ يوماً ذلةً وبكيتَ الطللَ البالي هياما
ما اذلَّ الدمعَ للملكِ وما اشرف الدمعَ اذا سالَ غراما
حبذا العُربُ ومن اندى يداً حبذا العُربُ ومن امضى حساما
اكبرَ التاريخُ ذكراهم لدن ملأَوا الايام اعمالاً عظاما
حيثما كانوا فهم اهل العلى لو هم لا يتحدون الخصاما
انا لو كنتُ امرأَ القيس لهمُ لأجدت القول فيهم والكلاما
قفا نبكِ حبيباً لم أقُلْ بل قفا نبكِ اتحاداً ووئاما

الاستانة — امين تقي الدين

بائعة الزهور

مرَّتْ بزهرِ الياسمِينِ على الرِفاقِ الخُضَّرِ
تختالُ في ثوبٍ سماويٍّ جميلِ المنظرِ
قالتْ وقد مدَّت يدًا بالزهرِ هل من مشتري ؟
قلتُ المحيا منكِ كالبدرِ التمامِ المُسفرِ
والياسمينُ كأنجمٍ نُظمتْ بكفك فانظري
قالتْ صدقتَ وهذه لك « زهرة يا مشتري »

فؤاد سليم

بين شعراء مصر والشام

نشرنا في العدد الماضي قصيدة لعبد الحليم افندي المصري يشكو فيها الى شعراء الشام كساد سوق الادب في مصر و يسألهم عن حالهم في بلادهم (راجع القصيدة ص ٥٩) وننشر اليوم جوابين وردا علينا الاول من سعادة الامير نسيب ارسلان والثاني من حضرة عيسى افندي اسكندر المعلوف

١ — اشتاق وادي النيل

يا بازيَ الجيشِ غداةَ الصدامْ ... من علَّم البيزانَ سجعَ الحمامْ
بلَّغتَ سمعي يا فتى رنَّةً ... قد اخضلت نحري بدمعٍ سجامْ
شرارةٌ من خاطرٍ ثاقبٍ ... كانت لقلبي يا ابن ودي ضرامْ
وطرفة من شاعر نابتٍ ... في مصر يُسقى من نمير الكلامْ
قد صاحب الجيش زماناً وكم ... ابلى لدى الحرب وضنك المقامْ
وانفك عنهُ كافياً نفسهُ ... بالمنطق الفصل رهيف الحسامْ
لا اعرف الشاعر عيناً وقد ... يشفُّ عما يحتويهِ اللثامْ
هيَّجتَ (يا مصريّ) شجوي وما ... احلى جوى اذكيتَهُ في العظامْ
افديك يا بدرَ التمام الذي ... أرَّقني بالهمِ ليلَ التمامْ
في بثّهِ تبدو لنا خلةٌ ... خلة ندب المعيّ همامْ
طابت لريب الدهر اذ مسَّها ... كما تمس الريح بنتَ الخزامْ
يا عاتباً حيناً على حظهِ ... قبلك كم من عاتبٍ في الانامْ
إمّا لقيت الحيف في موطنٍ ... فاصبرْ رعاك اللهُ صبرَ الكرامْ

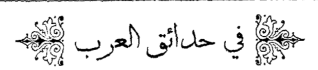
عسى ترى الظلّام مرفضّةً   كالعقد لما انبتّ منهُ النظامْ
الزهرُ قد نمّ بانفاسهِ   لابد ان ينشق عنهُ الكمامْ
اشتاقُ وادي النيل فاعلم بذا   يا من غدا يشتاق ارض الشآمْ
ان سار كلٌّ يبتغي وجههُ   سمعتَ مني في العريشِ السلامْ

بيروت   نسيب ارسلان

٢ - صدى الشكوى

قد ضاق للشعر بمصر المقامْ   وانتابهُ العقمُ ببرّ الشآمْ
لذا ترى « عبد الحليم » اشتكى   وردَّد الشكوى لديهِ « الإمام »
أبناءُ سوريّاً تردُّ الصدى   وتندب الشعر بدمعٍ سجام
يا لهف أعرابٍ على شعرهم   وقد قضى لهفي بداءٍ عقام
قد ضاقت الدنيا على شاعرٍ   حتى تمنَّى أن يحين الحِمام
لكنَّهُ جنى على نفسهِ   جناية المرءِ عليها حرام
أبناءَ سوريّاً ومصر انشدوا   يا دولة الشعر عليكِ السلام

زحله   عيسى اسكندر المعلوف



في حدائق العرب

اجبنُ الناس واحيلُ الناس واشجع الناس

دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فقال عمر : « اخبرْني من اجبنُ من لقيت واحيل من لقيت واشجعُ من لقيت »

قال : « يا اميرالمؤمنين خرجتُ مرةً أُريد الغارةَ ، فبينما انا سائرٌ ، اذا بفرسٍ مشدود ورمح مركوزٍ ، واذا رجلٌ جالسٌ كاعظمِ ما يكونُ الرجال خلقاً ، وهو محتبي بحمائل سيفهِ . فقلت « : خُذْ حـذرَكَ فاني قاتلك — فقال : ومن انت ؟ — قلتُ : انا عمرو بن معدي كرب الزبيدي . . ! » فشهق شهقةً فمات

فهذا يا اميرَ المؤمنين اجبنُ من رأيت

وخرجتُ مرةً حتى انتهيتُ الى حيٍّ ، فاذا انا بفرسٍ مشدود ورمح مركوز ، واذا صاحبه في وهدةٍ يقضي له حاجةً . فقلتُ : « خُذْ حذرك ، فاني قاتلك ـ فقال : ومن انت ؟ » فاعلمته بي . فقال : « يا ابا ثور ، ما انصفتني ، انت على ظهر فرسك وانا على الارض ، فاعطني عهداً انك لا تقتلني حتى اركب فرسي » فاعطيتُه عهداً . فخرج من الموضع الذي كان فيه ، واحتبى بحمائل سيفهِ ، وجلس . فقلت : « ما هذا ؟ ـ فقال : ما انا براكبٍ فرسي ، ولا بمقاتلك ، فان نكثتَ عهدكَ ، فانت اعلمُ بناكث العهد » فتركتُهُ ومضيت

فهذا يا اميرَ المؤمنين احيلُ من رأيت ...

وخرجتُ مرة حتى انتهيت الى موضع كنتُ اقطعُ فيه الطريق . فلم ارَ احداً ، فاجريت فرسي يميناً وشمالاً ، واذا انا بفارسٍ فلما دنا مني فاذا هو غلامٌ حسن ، نبت عذاره ، من اجمل ما رأيتُ من الفتيان واحسنهم . واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة . فلما قرب مني سلّم عليّ ، فرددتُ عليه السلام وقلتُ : « مَنِ الفتى ؟ — قال : الحارث بن سعد فارس الشهباء — فقلت : خذ حذرك فاني قاتلك — فقال : الويل لك ، فمن انت ؟ — قلت : عمرو بن معدي كرب الزبيدي — قال : الذليل الحقير ، واللهِ ما يمنعني من قتلك إلاّ استصغارك »

فتصاغرت نفسي يا اميرَ المؤمنين ، وعظم عندي ما استقبلني به . فقلت : « دعْ هذا ، وخذ حذرك ، واللهِ لا ينصرف إلاّ احدُنا . — فقال : ثكلتكَ امك ، فانا من اهلٍ ما اثكلنا فارسٌ قط — قلتُ : هو الذي تسمعه — قال : اخترْ لنفسك ، فإمّا ان تطردَ لي ، وإمّا ان اطردَ لك » فاغتنمتها منه وقلت : « اطردْ لي » فاطرد وحملتُ عليه ، فظننت اني وضعتُ الرمحَ بين كتفيه ، فاذا هو صارَ حزاماً لفرسهِ ، ثمّ عطف عليّ ، فقنع بالقناة راسي وقال : « يا عمرو خذها اليك واحدةً ، ولولا اني اكرهُ قتلَ مثلك لقتلتك »

فتصاغرتْ نفسي عندي ، وكان الموتُ يا اميرَ المؤمنين احبّ اليّ مما رأيت . فقلت : « واللهِ لا ينصرف إلاّ احدُنا » فعرض عليّ مقالته الاولى ، فقلت له : « اطرد لي » فاطرد ، فظننت اني تمكنتُ منه فاتبعته

حتى ظننتُ اني وضعت الرمحَ بين كتفيه . فاذا هو صار لبباً لفرسه ، ثمّ عطف عليّ فقنع بالقناة راسي وقال : « خذها اليك يا عمرو ثانيةً » فتصاغرت اليّ نفسي وقلت : « والله لا ينصرف إلاّ احدنا فاطردْ لي » فاطرد حتى ظننتُ اني وضعت الرمح بين كتفيه ، فوثب عن فرسهِ فاذا هو على الارضِ فاخطأته . ثمّ استوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة راسي ، وقال : « خذها اليك يا عمرو ثالثة ، ولولا كراهتي لقتلِ مثلك لقتلتك — فقلت : اقتلني احبُّ اليّ . ولا تسمع فرسان العرب بهذا — فقال : يا عمرو انما العفو عن ثلاث . واذا تمكنتُ منك في الرابعة قتلتك » وانشد يقول :

وكدتُ اغلاظاً من الايمان ان عدتَ يا عمرو الى الطعان
لتجدنّ لهبَ السنانْ او لا فلستُ من بني شيبان

فهبته هيبةً شديدة وقلت له : « ان لي اليك حاجةً — قال : وماهي ؟ — قلتُ : اكون صاحباً لك — قال : لستَ من اصحابي . ويحك أتدري اين أريد ؟ — قلت : لا واللهِ — قال : أُريد الموتَ الاحمر عياناً — قلت : أُريد الموت معك — قال : امضِ بنا »

فسرنا يوماً اجمع حتى اتانا الليلُ ومضى شطره فوردنا على حيّ من احياء العرب فقال لي : « يا عمرو في هذا الحيّ الموت الاحمر فإما ان تمسك عليّ فرسي فانزل وآتي بحاجاتي ، واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتيني بحاجتي . — فقلت : بل انزلْ انت ، فانت اخبرُ بحاجتك مني » فرمى اليّ بعنان فرسه ، ورضيت واللهِ يا اميرَ المؤمنين بان اكون له سايساً .

ثمّ مضى الى قبةٍ فأخرجَ منها جاريةً لم ترَ عيناي احسنَ منها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقة ثمّ قال : « يا عمرو إما ان تحميني واقود الناقة ، او احميك وتقودها انت - قلتُ : لا بل اقودها وتحميني انت » فرمى اليّ بزمام الناقة ، ثمّ سرنا حتى اصبحنا . قال: « يا عمرو - قلت : ما تشاء ؟ - قال التفتْ فانظر ، هل ترى احداً ، فالتفتُ فرأيتُ جمالاً فقلت : «اغذذ السير . قال : انظرْ ، ان كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر ، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء قلت : هم اربعةٌ او خمسة - قال : اغذذ السير » ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال : « يا عمرو كنْ عن يمين الطريق ، وقفْ ، وحوّل وجهَ دوابنا الى الطريق » ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا ، واذا هم ثلاثة نفرٍ شابان وشيخ كبير ، وهو ابو الجارية والشابان اخواها . فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ : « خلِّ عن الجارية يا ابنَ اخي - فقال : ما كنتُ لأُخليها ولا لهذا اخذتها - فقال لاحد بنيه : اخرج اليه ، فخرج وهو يجرُّ رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضبُ الزايلِ　　من فارسٍ ملثم مقاتلِ
ينمى الى شيبانَ خير وائلِ　　ما كان يسري نحوها بباطلِ

ثمّ شدّ على ابن الشيخ بطعنةٍ قدّ بها صلبه فسقط ميتاً فقال الشيخ لابنه الآخر: « اخرج اليه فلا خير في الحياةِ على الذل » فاقبل الحارث وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي　　والطعنُ للقرم الشديد الهمةِ

والموتُ خيرٌ من فراق خلتي فقتلتي اليومَ ولا مذلتي

ثمّ شدّ على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً . فقال له الشيخ : « خلِّ عن الظعينةِ يا ابن اخي فاني لستُ كمن رأيت ـ فقال : ما كنتُ لاخليها ولا لهذا قصدت ـ فقال الشيخ : يا ابنَ اخي اخترْ لنفسك ، فان شئت نازلتُك ، وان شئتَ طاردتك » فاغتنمها الفتى ونزل ، فنزل الشيخ وهو يقول :

ما ارتجي عند فنـاءَ عمري سأجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول دهري ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد :

بعد ارتحالي وطـال سفري وقدظفرتُ وشفيت صدري

فالموت خيرٌ من لباس الغدرِ والعـار اهديه لحيّ بكرِ

ثم دنا فقال له الشيخ : « يا ابن اخي ان شئتَ ضربتك فان ابقيتُ فيك بقيةً فاضربني . وان شئت فاضربني فان ابقيتَ فيَّ بقيةً ضربتك » فاغتنمها الفتى وقال : «انا ابدأ — فقال الشيخ : هات» فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد اهوى به الى رأسه ضرب له بطنه بطعنة قدّ منها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس عمه ، فسقطا ميتين . . . . فاخذت ياامير المؤمنين اربعة اسيافٍ واربعة افراسٍ . ثم اقبلتُ الى الناقة فقالت الجارية : ياعمرو الى اين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب، ولست كمن رأيت . فقلت : اسكتي ـ قالت . ان كنت لي صاحباً فاعطني سيفاً او رمحاً فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك ـ فقلت : ما انا بمعطٍ

ذلك وقد عرفت اهلك وجرأة قومك وشجاعتهم » فرمت نفسها عن البعير . ثم اقبلت تقول :

أبعد شيخي ثم بعد اخوتي   يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همة   هلاّ تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت بي قتلتني ، فقتلتها

فهذا ياامير المؤمنين اشجع من رأيت   الاتليدى



سليمان البستاني

في جنائن الغرب

ننشر تباعاً تحت هذا العنوان خير مايؤخذ عن آداب الغربيين قديماً وحديثاً ، لان ذلك يكسب لغتنا ثروة طائلة من المعاني والافكار الجديدة فيطلعنا على مجرى الحركة الادبية عند الامم . وقد كان لما عربناه في العدد الماضي (راجع ص ٦٨) من رواية « شاتتكلير » وقع حسن عند جمهور القراء وتناقلت الترجمة جرائد عديدة . وقد احببنا اليوم ان نأخذ شيئاً من قصة « اندروماك » بمناسبة تمثيل روايتها الفرنسوية على مرسح الاوبرا الخديوية اثناء وجود جوق جورج افندي ابيض في مصر

اندروماك

ثلاثة شعراء كبار طرقوا هذا الموضوع الجليل : هوميرس اليوناني وفرجيل اللاتيني وراسين الفرنسوي . واندروماك هذه امرأة هكطور الطروادي الذي قتله آخيل وقد كانت بين السبايا من نصيب بيرّوس بن آخيل . وابت الاقتران به محافظة على عهد زوجها المقتول

واننا ناقلون شيئاً من الياذة هوميرس ورواية راسين مكتفين بالقليل من الكثير لضيق المقام

١ ـ وداع هكتور لاندروماك

قبل نزول هكطور لمبارزة آخيل اقبل يودع امرأته وولده وهذه القطعة من ارق ما جادت به قرائح البشر . قالت اندروماك لزوجها :

يا شقيَّ البخت ذا البأسُ الوخيمْ　سوفَ يُلقيكَ بلجّات الجحيم

وليَ الإرمالُ والطفلُ يتيمْ

سوفَ تلقاكْ جماهيرُ عـداكْ　　وتلقّيكَ مضاضاتِ الهلاكْ

فلمنْ أبقى اذا متَّ سواكْ

آهِ لو أُلقى الى جوفِ الثرى　　قبلَ أنْ تُلقى على الارضِ قتيلْ

إن تموتنَّ الأسى يخلدُ لي　　وعنا النفسِ ودمـعُ المقلِ

لا أبٌ اسلو بهِ لا أُم لي

انتَ كلُّ الاهلِ لي اذ انتَ حيْ　　آه فارحم وانعطفْ رفقاً عليْ

آهِ فارفقْ بي وبالطفلِ لدَي...

قال : ما يشجيكِ يوليني الشجا　　انّما الموقفُ اضحى حرِجا

نزلَ الروعُ وبي العزمُ أبى　　أن يكونَ الروعُ في القلبِ نزيلْ

بينَ أقوامي وربات السُدُولْ　　لستُ ارضى العار ان تعلُ النصولْ

او عن الهيجاء يثنيني الخمولْ

وانا دوماً بصدرِ الفليقِ　　شأن (فريامٍ) وشأني اتقي

وأقيْ قومي بحدِّ المخفقِ

آه لكنَّ فؤادي والحجى　　ينبئاني أنَّ صمصامي كليلْ

سوف تندكُ (باليون) القلاع　　وتوافينا الملمات الفظاعْ

كلُّ هذا قلبي منه لا يُراعْ...

بيدَ أنَّ الخطبَ كلَّ الخطبِ آه　　أن تكوني في سبيَّات العداه

تذرفينَ الدمعَ عن مرِّ الحياه

تستقينَ المـاءَ كالعبدِ الاسير　　من (مسيسٍ) او ينابيع (هفير)
تنسجين القطنَ والقلبُ كسيرْ

كلُّ بؤسٍ كلُّ رزءٍ وعنا　　كلُّهُ إنْ حلَّ ذا الرزءُ قليـلْ

كلُّهُ لا شيءَ إن صحَّ الصحيحْ　　والذي يلقـاكِ بي هزءًا يصيحْ
تلـكم زوجةُ هكطور الشديد　　خيرِ ما في القومِ من قرمٍ عنيدْ
كمْ له قَرْعٌ بدرّاع الحديد

تلَّ صدرَ الجيشِ تلاً وهُنا　　سبيتْ زوجتُهُ وهو تليلْ

فتصحين وتصلينَ السعيرْ　　تستجيرين ولكن مَنْ يجُيرْ . . .
يا لحودَ الارضِ واريني الترابْ　　قبل ان يدهمني هـذا المصابْ
وأنلني ايهـا الخطبُ البلا　　قبلمـا زوجيَ للسبيِ تنيل »

ثمَّ مدَّ اليـدَ للطفلِ فصد　　جازعاً لمـا رأى تلك العُدَدْ
من نواصٍ سابحاتٍ وزرَدْ
وبصدرِ المرضعِ الطفلُ ارتمى　　فلديـه　　أبواه　　بسما
وبرفقٍ عنه هكطور رمى

ذلك المغفرَ . والطفلَ بدا　　بيديهِ بينَ تقبيلٍ بجيل

ودعا يسأل اسيادَ الانام　　« انتَ يا (زفسُ) وارباباً عظامْ
عونكم اسألُهُ في ذا الغلامْ
فليكن مثليَ هصّارَ الاسودْ　　واذا من موقفِ الحربِ يعودْ

فليقُلْ فوقَ ابيهِ قد سما سلَّ سيفَ الفوزِ يا نعمَ السليلْ

فليجندلْ كلَّ جبَّارٍ ابي فائزاً منه بجُرْزِ السلبِ
تتلقّاه ببادي الطربِ

أُمهُ جاذلةً مما ترى » ثمَّ ألقاه لها مستبشرا
وهي ضمتْهُ لصدرٍ عُطّرا

لبس المغفرَ حالاً ووثبْ ومضتْ تلفتُ من حيث ذَهبْ
تذرف العبرةَ والقلبُ التهبْ

هوميرس : النشيد السادس من الالياذة[1] ـ تعريب
سليمان البستاني

﴿ ٢ ـ وفاء اندروماك ﴾

اندروماك الآن اسيرة بيروس بن آخيل قاتل زوجها وهو يعرض عليها الاقتران به لينقذ لها ولدها والا اضطر الى قتله مرضاة لليونان . وهي بين عامل الحب لابنها وعامل الوفاء لزوجها (من رواية راسين)

اندروماك ـ لا تظهر الضعف فانك في البسالة آية . وانعم باحسانٍ مجرد ، فخير الاحسان ما كان بلا غاية

أيغلبك العشق فتخضع له اضطراراً ولا تخاف في اظهاره عاراً . وتزعم ان اندروماك يطيب لها هذا الغرام ، وهي على ما ترى من الاسر والحزن

(١) اجلُّ اثر ادبي ظهر في القرن العشرين تعريب الياذة هوميرس للعلامة سليمان افندي البستاني نائب بيروت في مجلس المبعوثان

والسقام . واي جمال يلوح لك في عينين حكمت عليهما فمالك بالبكاء ؟ فخلهما واحترمْ مشهد تعاستنا بعد النعمةِ والهناء . وانقذْ غلاماً بات في اسرك ذليلاً ، وكان من قبل جليلاً . وردّه على والدة حزينة باكية ، ولا تجعلها تفديه ببقية مهجة بالية . انقذه ولو ابت امه اجابة طلبك ، فهو جارك وجارُ الكريم لا يضام . فذلك عملٌ يليق بابن آخيل الهمام

بيروس — اعيذكِ من البغض اللازم ، والقصاص الدائم . فقد اسقمتِني بالتجني والصد ، واتلفتني بعدوان ماله حدّ . فان كنتُ قد ابكيتك دمعاً يوم كانت يدي ملطخة بدم اقوامكِ ، فقد ابكيتني دماً في غرامك . وان كنتِ لقيتِ بسببي عذاباً فقد احتملت صنوف العذاب . فانا مطلق الدمع ، مقيد القلب ، أليف السهاد وهي صنوف عَذابٍ في الغرام عِذاب فكفانا يا سيدتي معاقبة تقضي باتلافنا وليكن اعداء ولدك اعدائي سبباً لائتلافنا . (ثمَّ يجدد لها تأكيد حبه ويعرض عليها تلقاء يدها ان يحمي ابنها ويعيده الى مجد ابيه)

اندروماك — سيدي ان جميع هذه الوعود لا تغني في حزني شيئاً . وكنتُ اعدُ بها ابني لو كان ابوه حياً ... فيا ايها الاطلالُ البالية ويا ايتها الاوطان الفقيدة الغالية . إن في قلبنا من الشوقِ اليكِ لناراً حامية . ومن لنا بان نراك بعد موت المقاتلةِ والحامية ... رحماك يا مولاي ان دمعي الهامع لا يسالك غير الرحيل فهو غاية رجاه . فاسمح لي ان اذهب بابني فاخفيه وابكي اباه . وقد علمت ان ميلك الينا يورثك بغض قومك والويل — فارغبْ في هرميون عني (هرميون خطيبته اليونانية)

بيروس ـ .... ليس بامكاني ان ارغب في هرميون واميل اليها ... وقد ملكتك قلبي فلكِ فيهِ الامر والسلطان ، فكيف اهواها وليس لي قلبان : من يرى مالك عندي ولا يظن انكِ الاميرة وانها الاسيرة . اوّاه قول مغرم لو سمعته هرميون لنال فؤادها مناه

اندروماك ـ ألم يكفِها سوء حالي واسري واذلالي . ام تريدان تضرم في قبر هكطور ناراً . اي ذكر رهيب لهكطور من حبا اباك مجداً كما حبوتك بدمعي اشتهاراً

بيروس ـ لقد عزَّ الصبر ولم يبقَ للعفوِ منال ... واعلمي ان بغضي يكون لحبي شديداً . وان الابن يؤخذ باعمالِ امه لا محال فسأسلمه الى اليونان ...

اندروماك ـ يموت ابني .... ابني يموت ولا معين له ولا شافع الاّ دمعي ... وعسى ان يقصر ذلك عذابي ويُريحني ممـا أُلاقيه فألحق به لنلتقي معاً بابيه ....

(راسين) تعريب اديب اسحق

الاميران في سوريا

اميران جليلان زارا سوريا في الشهر الغابر ، وتنقلا بين آثارها وربوعها : البرنس فردريك ايتل نجل اكبر عاهل غربي ، والامير محمد علي شقيق أعظم امير شرقي . جاء الاول القدس الشريف للاحتفال بتدشين المستشفى الالماني ، وزار الثاني سوريا ولبنان سائحاً متجولاً . فكان في زيارة الاميرين اكبر معنى ، واشرف مغزى

١

فلسطين وطن الانبياء ، ومهد الشعر والشعراء :

وقف ارميا في ربوعها راثياً ، فسالت قريحته بارق الاشعار ، وقام على اطلالها نادباً باكياً ، فعلَّم الشعراء كيف يكون الوقوف والبكاء على الاطلال

وأنشد النبيُّ داود متغزلاً بابنة صهيون على المزمار والقيثارة ، فاوقف العالم على سرّ الغزَل والانشاد . . .

ورفع سليمان في اورشليم ، عمد هيكله العظيم ، فعلَّم الملوك كيف تُبنى الهياكل ، وترفع الاعماد . . .

شعوبٌ إثْرَ شعوب ، وملوكٌ تلو ملوك ، توالت على تلك الناحية وعرفت منتهى العظمة والعمران ، وذاقت ثمالة المذلة والهوان

هذه هي فلسطين التي ترحب اليوم بابن عاهلِ الالمان ومواطِن جوت وشولر ، ترحّب وتؤهّل ذاكرة ملوكها وشعراءها ، وقد حفظت في جوفها رفاتهم ، وفي هوائها انفاسهم ، وعلى آثارها وفي هياكلها ذكرهم واسماءهم

ومن تلك الآثار العافية ، والهيا كل الدارسة ، ينبعث صوت الارشاد والذكرى

وفوق اشلاء المدن ، وتراب الممالك التي يدوسها اليوم ابن الامبراطور تُقرأ سطور العظة والعبرة

فعسى ان يكون قد ذكر واتّعظ واعتبر

يصعد الرحّالة النشيط مجرى النيل ليقف على منبعه ، وكذلك صعد الاميرُ الالماني الى جبل الزيتون ليجد الدين هناك سالماً طاهراً ، قبلما تشوب صفاءه كدرة اهواء البشر واغراضهم ، وتفسد طعمه العذب مرارة ترّهاتهم وسخافاتهم

فعسى ان يكون قد فاز بتلك الامنية

وحينئذٍ يعود الى بلاده ، حاملاً في برديه ، كلمة الوئام والسلام ، بعد ما اتعظت نفسه بعواقب العدوان والخصام

ويدرك معنى الثورات والانقلابات ، بعد ان راد بلاداً حدثت فيها الثورات الكبار ، فاكلت العروش ، وقرضت الجماعات والاجيال

ويعرف كيف تساس الامم ، وتقاد الشعوب ، وكيف يكون التاج المرصع على مفرق القياصرة ، بعد ما رأى اكليل الشوك مدمياً جبهة ابن دواود . . .

هذا ما نريد ان يعود به امير الغرب من الشرق ، ولا نريد ان نفهم لزيارته غير ذلك من المعاني

في الماضي ارسل هارون الرشيد مفاتيح البيعة الى كارلُس الاكبر

امبراطور الفرنجة دليل الاتفاق والسلام، واليوم يزور البيعة ابن الامبراطور الاكبر فليكن ذلك دليل التصافي بعد الخصام

٢

مصر وسوريا قطران شقيقان، وبلدان متاخمان. يجمعهما التاريخ وتربطهما اللغة والعادات والتقاليد. ولقد أصبح الادب، أشد رابطة بينهما من صلة النسب

نحن في عصرٍ كثرت فيه المزاحمة، واشتدت المنافسة، حتى كادت كل امة تخشى ان تمشي وحدها، فعاهدت وحالفت للتضافر والتآزر في سيرها العمراني

وكل شيء يمهّد للقطرين المصري والسوري سبل التعاهد والتحالف، ليسيرا جنباً الى جنب في مدارج الرقي، ولا يخفى على احد ما في ذلك من الفوائد الجمة

زار الامير محمد علي ربوع الشام، وقد عرفت الشام ما بينها وبين مصر، فنهضت نهضة واحدة لتكرم مثوى الامير المصري، وهي تكرم في شخصه الكريم كل سكان وادي النيل

ولائم ومآدب، وخطب وقصائد، وجموع هازجة، وجماهير مهللة، في بيروت ولبنان ودمشق وحمص وحماه وحلب وطرابلس وفي كل مدينة حلها الامير ضيفاً كريماً على السوريين

امراء عظام، وضيوف اعلام زاروا سوريا قبل الدستور وبعده، فاستقبلتهم الحكومة استقبالاً رسمياً، ولكن لم يحتفل بهم الاهالي

احتفالاً عاماً اهلياً

لان زائر اليوم ضيف ولا كالضيوف، واميرٌ ولا كالامراء . هو شقيق امير مصر ، ومصر شقيقة سوريا : في الماضي والحاضر والمستقبل ، في السرّاء والضرّاء

صفقت افنان رياض الشام ، واغصان ارز لبنان لوصول الامير المصري
واهتزّت آثار بعلبك وترنحت طرباً للقاء من ربي بجوار الاهرام
وانسابت مياه العاصي والليطاني لتحية ابن النيل

وقامت جبال سوريا تنظر الى سليل ابرهيم باشا لان اسم ابرهيم قد ملأ تلك الانحاء ، وذكر عدله قد سكن قلوب بنيها

ولئن طافها العلَم المصري في يد ابرهيم غازياً ، فهو يطوفها اليوم في يد محمد علي مسالماً مصافياً

في جوار بيروت غابة صنوبر زرعها ابرهيم باشا على ما يقال ليرد عن المدينة غارات الرمال ، فكانت تلك الغابة اكليلاً اخضر على جبهة بيروت

في تلك الغابة استقبلت بيروت حفيد ابرهيم ، وهي لعمري فكرة جميلة ، لم تخفَ على الامير

جلس الامير في ظل تلك الاشجار الباسقة الملتفة الاغصان ، فذكر جده . وسمع بين حفيف الاوراق صوتاً معروفاً ينشده :

لئن بتّ بالمجد المؤثل مغرماً فقد كان ابرهيمُ بالمجد مغرما

و (الزهور) السورية البذرة ، المصرية المنبت ، تنتظم اكليلاً باهراً على جبهة مصر وسوريا ، لتحية ابن مصر نزيل سوريا

ثمرات المطابع

من اكثر ابواب المجلات فائدةً باب درس المطبوعات . لان في ذلك اعلاناً للكتب المفيدة وترويجاً لها لتعميم فائدتها ، وخدمةً لمؤلفيها بافراغ افكارهم ومباديهم في كير البحث لتمييز الجيد من الفاسد . ومن جهة ثانية ترى السواد الاعظم من القراء لا يمكنه وقته او كيسه من مطالعة كلما يطبع ولو كانت رغبته في ذلك شديدة ، فيتيسر له بواسطة المجلة التي يطالعها ان يقف على مجرى الحركة العلمية والنهضة الادبية بمطالعة زبدة الاراء التي يستخلصها له غيره . ولما كان هذا الباب من الاهمية بمكان عظيم لم نشأ ان نحصر تحريره بكاتبٍ واحدٍ لانه يتعذر عليه درس كل ما يظهر من الكتب درساً مدققاً ، فعهدنا الى فريقٍ من الكتاب من اصدقاء هذه المجلة ان يطرقوا هذا الباب مناوبة خدمة للعلم والادب

على طاولتي كتب كثيرة ارسلها اليَّ مدير « الزهور » لأطَّلع عليها واقول كلمتي فيها فأُطلع القراء على مضمونها . وانا اقوم بذلك بكل سرور ، واعد القارىء بالامانة التامة ، ولو اغضبت الصراحة فريقاً من المؤلفين عليَّ ، مع ان غضب الزملاء ليس بالامر الذي يستهان به . واذا شطَّ بي القلم عن جادة الحق ، فذلك عن قصر في النظر وضعف في الرأي ، لا عن هوى في النفس وتحيّز في القلب . وبعد هذه المقدمة ابدأ حديثي عن الكتب التي امامي وهي واردة من انحاء مختلفة :

(النجوى[١]) رسالة وجهها فليكس افندي فارس صاحب جريدة « لسان الاتحاد » الى نساء سوريا ويصح ان توجه الى نساء الشرق بل الى نساء العالم باجمعه . فالمرأة هي هي في كل مكان وزمان ، وان اختلفت في

(١) طبع في مطبعة عيد جدعون واولاده في بيروت . عددصفحاته ١١٢

بعض اطوارها : هي الحاكمة او المحكومة ، والملاك او الشيطان ، والزهرة او الشوكة ، والعسل او الحنظل ، والابتسامة او الدمعة … النساء نصف الجنس البشري تقريباً فالبحث في شؤونهن واجب على كل مفكر .
اردف فارس افندي رسالته برواية . والرسالة والرواية متساويتان من حيث الافكار المسبوكة بالطف قالب شعري . لم اقرأ للشاب شعراً — واقول الشاب لان صورته في صدر كتابه تدل على نضارة العمر — واعتقد انه يجيده لانه في نثره سامي الخيال جميل التصور رقيق الشعور . بل هو يقول عن نفسه انه لا ينظر الى الحياة الاّ من وجه الشعور والعواطف . وقد يتعب القارىء في قراءته لتراكم الصور والاستعارات ويملّ احياناً من وحدة السياق سيما والكتاب لم يقسم الى ابواب بل هو آنة واحدة صعدت من صدر الكاتب دفعة واحدة ولم تنتهِ الاّ في آخر سطر وذلك يدلّ على غزارة مادة وقوة عارضة . فعلى صاحب هذه الصفات الثمينة ان يعرف كيف يستفيد منها … لم يحاول صاحب النجوى ان يكسر سلاسل الاسير بل اراد ان يعلمه « كيف يحرّك قيوده لتسمعه رنيناً مطرباً » وقد حقق ما قال . ولكن هل هنّ يا ترى كثيرات النساء اللواتي قرأنَ هذا السِفر المكتوب لهنّ ؟

وكما ان الجدال شديد حول «النسائيات» في عصرنا هذا فان الحرب قائمة بين الروحيين والماديين . وكل فريق يعمل على تأييد مذهبه ، وتفنيد مذاهب خصمه بالقلم واللسان . وقد نزل الى هـذا الميدان سيادة الحبر الجليل العلاّمة كيريوس بولس ابي مراد متروبوليت دمياط النائب

البطريركي العام في القدس ويافا وجال جولاتٍ تشهد له بطول الباع في كتابه « البرهان السديد [١] » فدافع دفاعاً صادقاً عن « الحقائق التي أقرّها اكابر الفلاسفة وعلمها اساطين العلماء وهي من أمسّ الضرورات لنظام الاجتماع البشري اذ عليها تتأسس الشرائع والسنن التي تساس بها الهيئة الاجتماعية وهي مصدر الواجب والفضيلة وركن الضمير الشخصي واساس التمييز بين الخير والشر » وهنا اترك الكلام لاحد كبار العلماء المسلمين. تصفح هذا الكتاب فقال : «ان صاحب البرهان السديد سديد البرهان ، قوي الحجة ، يحذو حذو الصوفيين في الاسلام ويحلّق في سماء الروحانيات بعد ان يدحض اقوال ذوي المذاهب الذين لا يعرفون غير المادة ، وكتابه جليل في بابه وهو بعيد النظر في الامور »

ولا اخرج عن هذا الموضوع اذا تكلمت عن كتاب اوعن كتب حضرة المفضال الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني وامامي منها كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين [٢] ، وحواشيه المجموعة تحت اسم « الجدوى » ومنظومات « الكون والمعبد » « والطراز المعلم [٣] » واكثر هذه التآليف مسبوكة شعراً سهلاً سيالاً على انه لا يخلو من التطويل وشيء من التكلف وقد ذكرت عند قراءته «فرحات» و«الصائغ» في تغزلاتهم الروحانية على انه اكثر منهما تفنناً في طرق المواضيع المتنوعة. ولقد اعجبني من المؤلف حواشي كتابه التي دلت على معارف جمة في

(١) طبع في بيروت في المطبعة الادبية عدد صفحاته ١٥٤ (٢) طبع في المطبعة الادبية في بيروت (٣) مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

التاريخ والادب والاجتماع قديماً وحديثاً. وكثيراً ما وقفتُ عندها اكثر مما وقفتُ عند المتن . ويظهر ان لهذا الكاتب البليغ في كل فن اثراً . فكتبه تدلُ على اجتهاد قلما عُرف في كتّاب الشرق . وكأنه اراد ان يأخذ على نفسه اعادة من نبغ في حلب الشهباء من اعلام الادباء . فيقضي اوقاته بالتأليف والتصنيف ولا تخلو « النتيجة من امثال فنلون » التي عربها نثراً ونظماً من رشاقة وجزالة في التعبير . ولكنَّ الانشاء الساذج كان اولى بها . وكنتُ قرأت منها شيئاً في مجلة الضياء فاستحسنتها

ومن غرائب الاتفاق انني ما انتهيت من تلاوة البرهان السديد ومؤلفات الاب شلحت حتى فتحتُ « مقدمة السبرمان »[1] تأليف سلامه افندي موسى والسبرمان هو ما يسميه الافرنج Superman او Surhomme اي فوق الانسان وهو مذهب نيتشه الفيلسوف الالماني الرامي الى استئصال الرحمة من بني الانسان لانها ضربة على الانسانية وجريمة فظيعة لانها تخلد الصفات الرديئة في الشعوب فيجب تفسير الحياة بحب القوة وكره الضعف ، والعمل على ترقية الانسان الى درجة السبرمان وذلك بالتحرير الاقتصادي القائم على السوسيالية وبالتحرير الادبي بشكل ينقرض معه الدني ليبقى العالي . وهذا مذهبٌ يطول البحث فيه ولا مجال لي اليوم اذ لا يزال امامي كتب عديدة وأنا مضطرٌ الى ارجاء الكلام عنها الى العدد القادم

ناقد

---

(١) مطبعة الهلال بمصر ثمنة ١٥ مليماً وعدد صفحاته ٢٩

جمالان في معرض

بعد ظهر السبت في ٢٣ ابريل كان افتتاح المعرض السنوي الخامس من معارض الزهور في كازينو سان استفانو في الاسكندرية بحضور سمو الجناب الخديوي. وهو عيد الزهر والجمال . وقد جاءتنا الرسالة الآتية بهذا الموضوع . ومن اولى من مجلة الزهور بالاهتمام بمعرض الزهور :

اخذت الشمس تبزغ ساطعة في افق صافٍ هو جزء من جو انقشعت سحابته التي كانت تبدو تارة سنجابية رامزة الى البرد والعواصف ، وتارة كثيفة سوداء منذرة بالبرق والرعد والمطر — اخذت تبزغ فتتهادى متجلية في هذا الجو اللازوردي مانحة روح الحياة الى الطبيعة . فانجلت عبوستها مسفرة عن مجموع جمال طبيعي رائع كاسف لسواه من الجمال . فهو الحياة في سن الشباب الزاهر ، بل البهاء السائد على القلوب ، بل الرواء الآسر للاميال السامية ، بل الشذا الذي تحرك النسمات مصدره فيعطر الارجاء ، بل الروح التي تمتزج في نفس اليائس فتولد فيه الامل ، وتمرّ بالعبوس المكتئب فتنفس كربته ، ويستنشقها الحزين فتخفف ما به ، وتصل الى معاطس العليل فتنعشهُ ، بل هي التي يراها السعيد فتضاف الى سعادته سعادة اخرى ، وتلمسها انامل الحسناء فترى مستقبلها في نطاق الغبطة ، ويشاهدها المعاقر فيتجلى له الحبب لآلئ ، ويضمها العاشق فيود لو ينزع قلبه فيهديه الى عشيقته ، بل هي التي ينساب الماء في مجاريها فتنمو ، وتنبعث الحرارة الشمسية في عيدانها فتحيا ، ويداعب الهواء البليل اوراقها فيسمع لتلامسها صوت هو الشدو ، اي هي الورد — بين احمر

قانٍ ، واصفر فاقع ، وابيض ناصع -- وقد تفتح . والقرنفل على تباين الوانه وقد برز من اغشيته المخضرة . والياسمين وقد كسا اغصانه التي هي كجدائل العذارى بخيطانه البيضاء . والفل وقد كللت نواصي عيدانه برمز الطهر . والثالوث وقد بدا كانموذج لالوان الكشمير و . و . الى غاية ما هناك من الزهور والرياحين ولا غروَ في هـذا كله فقد اخذت وصيفات الربيع تقرعنَ باب الجمال فلاحت عروس مايو مفترة للوجود عن ذلك المجموع ، قائلة للشاعر تغزل ، وللكاتب تصور وللعاشق تأمل ، وللمصوّر صوّر فان فيّ آية الآيات

***

هوذا البستان والحديقة والحقل بل هوذا المكان الذي بدت فيه هذه الزهور زاهرة يانعة ، ولكن ما هذه اليد الانسانية التي تمتد الى الاغصان فتنزع حلاها منها ، وتنقضُ على العيدان فتنزع منهـا الثمر ، وتغوص في الارض فترفع الشجيرات من اصولها ؟ ؟ . . . .

***

هناك . على ذاك الشاطيء الرملي الذي سوَّرته يد الانسان ليدرأ عن البرّ هجمات البحر ، وحيث يبدو هذا البحر كصحيفة من لجين لانحراف الشمس نحو المغرب فتكسبه لوناً ارجوانياً . هناك حيث امتزج دوي الامواج المزبدة باصوات المئات من الانفس بنغمات الآلات العازفة فينقل الهواء هذه النغمات الى بعد بعيد -- الى هناك حيث نادي «سان استيفانو» الذي هو مصيف الاسكندرية الاكبر -- نقلت تلك اليد هذه الورود

والزهور والرياحين نقلاً ، ورصتها فيه رصاً ، ونسقتها تنسيقاً هندسياً أفرغ في قالب الحسن الوضعي فاطلق على النـادي في ذاك اليوم اسم « معرض الزهور »

* * *

غص النادي بحوى الجمالين . جمال الحسان وجمال الزهور . فتباريا متزاحمين . احدهما خليع طائش وثانيهما ساحر ثابت . يبدو احدهما حيناً من السهام المندفعة من عيون الحسان فيلوح الآخر في الوقت ذاته من رواء الزهور . تمايل الحسان حيناً آخر تمايل الدلال على نغمات الآلات العازفة فتمايل الزهور تمايل الاستمالة للنسمات الهابة . تقع العين على حمرة الخدود فتصادف حمرة الورود . تشاهد بياض الاذرع العاجي والصـدور النقية فيلوح بها الفل وهو يفوق العاج ، والياسمين وهو النقاوة نفسها

* * *

غير انه لتنازع لم يستولِ على مجموع قوانا . فانـنـا لم نلبث حتى فطنا الى حقيقةٍ حجبتها عنا هذه المظاهر التي سحرتنا لاول وهلة . وهي حقيقة قد جردتنا من الاعجاب بالظواهر ، فرأينا البواطن فارتسمت علينا ملامح الامتعاض وقلنا والسويداء مستولية علينا :

بئساً لكما من جمالين قد خرجا عن طورهما الطبيعي ففقدا اعظم مواهبهما السامية

دخلت التصنعات على كليكما فهبطتما من ذروة الاعجاب التي تسنمتماها في نفسنا

دخلت التصنعات على الحسان ميلاً منهن اليها بغية الابداع

فداخلت الانسان الريب المحسوسة في تكوينهن . ودخلت على الزهور قصد اكسابها رونقاً على رونق ففقدت رونقها الاول

***

صدى الآلات العازفة يشنف الاسماع ويجلو هموم الصدور ، ودمدمة الامواج رامزة الى ان البحر ثائر لتقييده بسلاسل حجرية ، والشمس آخذة في الافول وهي كقبة من نار مشتعلة في الافق الغربي . فلنا اثر ذاك الاستنتاج عن سماع العزف واعرضنا عن ذينك الجمالين واستقبلنا الشفق فانطلقت من صدرنا نفسة وقلنا :

« انك الجمال ايها الشفق الطبيعي الذي لن تنالك يد الانسان ولن تدعها انت تصل اليك وانك لمتمثل فعلاً في ابنة الكوخ والزهرة وهي في الحقل »　　　(الاسكندرية)　　　**منا صاوه**

ازهار واشواك

يا شعراء . . !

شعراء مصر يندبون حالهم ، ويتذمرون لكساد سوق الادب في بلادهم ، فيناجون شعراء الشام مستفهمين ، وشعراء الشام يتأوهون لسوء مصيرهم ، وإعراض الناس عن بضاعتهم فيجيبون شعراء مصر آسفين . . . النغمة واحدة في القطرين ، والشكوى متشابهة في البلدين ، وقد أصبح لسان حال الفريقين :

اليومَ من يعلق الرجاء به　　　اكسد شيء في سوقه الادبُ

ومتى كان الشاعرُ سعيداً غير في الخيال ، وإن كان غنياً سوى في التصوّر ؟

ولو كانت الابياتُ تنفعُ شاعراً　　لما كان يبنيها ويسكن بالاجره ...

فتعزّوا يا شعراء ، ولا يأخذنّ منكم اليأس وانتم الاغنياء . ألم يقل شاعركم :

ورأس مالي سحرُ الكلام الذي　　منه يصاغ القريضُ والخطبُ
أغوص في لجةِ البيان فاختـارُ اللآلي منها وانتخبُ
وآخذُ اللفظ فضةً فاذا　　ما صغتهُ قيل انهُ ذهبُ

النظّارة العجيبة

شبّه العلماء العين بالآلة الفوتوغرافية ترتسم عليها كل الصوَر المنظورة . وقد ثبت لاحد العلماء الآن ان العين تحفظ صورة آخر ما ترى على اكمل شكل . لكن الرسم دقيق لا يراه النظر المجرد . فاخترع نظّارة مكبرة لتجسيم هذا الرسم . انت لا تلتفت ايها القارىء الى هذا الاختراع وتعدّه تافهاً ليس وراءه من فائدة كبرى . اما انا فبخلاف ذلك فاني اعدّه اكتشافاً خطيراً اين منه سائر الاكتشافات . اركّب هذه النظّارة ، وانظر في عين ذاك المتظاهر بالورع والتقوى ، فارى رسم المكان الذي كان فيهِ قبل طرقه باب المسجد . وانظر في عين تلك الحسناء العفيفة ، فارى صورة آخر حبيب كانت تغازله وتداعبه . انظر في عين ذلك الكاتب فاقرأ فيها صفحات ذلك الكتاب الذي سرق منه مقالةً ادّعاها ... انظر ... فارى ...

خراب العالم

وما عهد هذا الخراب ببعيد : ثمانية عشر يوماً تنقضي فيقضى علينا بالهلاك حريقاً او غرقاً او تسمماً ـ كما يزعم البعض . وذلك لان مُذَنّب هالي يمسنا بذنبه فيكتسح عالمنا في الفضاء كما تكتسح المكنسة حبة الرمل ... ما اغرب طبع الانسان . كل شيء غير منتظر يولّد فينا الخوف واليأس بدل الفرح والامل : سرٌّ في طبع الانسان لا اعرف فكَّ رموزه . والخوف من ظهور المذنبات قديم العهد تجده في اشعار ڤرجيل وفي كتابات غيره من الاقدمين . وها ان قلوب الاكثرين قد هلعت لقرب ظهور مذنب هالي . ففي اسبانيا ساد الرعب واستولى القنوط على القوم ، وفي الصين ثار الشعب وهاج واخذ يفتك بالاجانب ويسلب وينهب . وفي النمسا خافوا « خوفاً فلسفياً » فباعوا املاكهم واخذوا ينفقون اثمانها على اقامة الافراح والمسرّات لتوديع هذه الحياة . ولعمري ان هذا النوع من الخوف يفضل سواه بكثير . ولقد ذكرني ذلك برسالة كتبها فولتر في مثل هذه الايام منذ مئة وسبع وثلاثين سنة ، وكان الباريسيون ينتظرون ظهور المذنب الذي ننتظره اليوم . فضحك كعادته ضحكاً يرنُّ صداه في أذني الان . فأقهقه معه لان الضحك يجلب الضحك ألا تضحك معي ايها القاريء ... ؟ واذا قضى علينا المذنب فنموت ضاحكين مسرورين

واذا لم يكن من الموت بدٌّ　　فمن العجز ان نموت جِبانا

حديقة الاخبار

— في ٢٦ مارس مثلت الجمعية الحمصية في ملعب اكاديمي اوف موزيك في بروكلين (اميركا) رواية جنفياف وفي ٩ من الشهر الغابر مثل المنتدى السوري الاميركي في نيويورك رواية « ثارات العرب » من قلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد . فالمهاجرون ينشرون اللغة العربية في اقاصي المعمور

— للكاتب التركي عزت مليح بك رواية تمثيلية اسمها « ليلى » وقد نقلت الى اللغة الاسبانية ومثلت في الشهر الغابر في مكسيكو وقد اثنت جرائد البلاد كثيراً على هذه الرواية ومؤلفها الشرقي لاجادته في تنسيق مشاهدها وتمثيل العادات الشرقية

— مثلت رواية « عنتر » تأليف شكري افندي غانم ستين مرة في باريس في ملعب الاوديون وكانت القاعة كل مرة غاصة بالحاضرين . واضطر مدير الملعب الى ايقاف تمثيلها بسبب ارتباطه مع بعض المؤلفين لتمثيل رواياتهم هذه السنة

— في ١٧ ابريل مثل فريق من تلامذة المدرسة المارونية في مصر رواية « اللصوص » من قلم مدير هذه المجلة فاجادوا كثيراً

— زار مصر في هذا الشهر جميل بك معلوف وشبل افندي دموس وكلاهما من الكتبة المعروفين في اميركا فاهلاً ومرحباً

— بعد « كلمة الحق » و « العرب » و « دار الخلافة » صدرت جريدة عربية جديدة في عاصمة السلطنة العثمانية باسم « الحضارة » لمدير سياستها

حضرة عبد الحميد افندي الزهراوي العضو في مجلس المبعوثان ومدير اعمالها شاكر افندي الحنبلي . وهي سياسية ادبية فنية وتصدر يومياً . بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً . اخبارها شائقة وعبارتها رائقة ومدير سياستها كاتبٌ طويل الباع

— وردت مقالة لطيفة في الاكسبرس الاسكندري عن الاندية والصحف : كل الاندية تُريد ان تُرسل اليها الصحف والمجلات مجاناً مع ان « النادي يستفيد من الجريدة لانها اهم الآلات والوسائل التي تعينه على بلوغ غرضه . اما صاحب الجريدة فلا يستفيد من النادي . ونظام الاجتماع يقضي بان يكون النفع متبادلاً ... الاندية في اوربا تخلق الصحف وتمدّها بالمال وتروّجها وتشد إزرها . اما عندنا فيريدون من الجرائد ان تخدم الاندية والمجتمعات وتعضدها وتنشر تقاريرها و . و . و » وتريد ان تشترك فيها لوجه الله ...

— ثلاثة من نخبة كتّابنا حرمت الحكومة القراء من نفثاتهم الشائقة فتركوا الصحافة لدواوين الحكومة : حافظ افندي عوض اصبح في المعية السنية ، والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في نظارة المعارف ، ومحمد افندي مسعود في قلم المطبوعات . نحن نتمنى لهم كل توفيق وتقدم على شرط ان يذكرونا من حين الى حين . واذا كانت مراكزهم الجديدة تحول دون جولاتهم المعروفة في ميادين الصحافة ، فان المجلات الادبية لا تزال مفتوحة في وجههم . فليذكروا العهد ، ولا ينسوا صحبتهم الطويلة للقلم الذي طالما غرّد في يمينهم...

مخبر



الجزء الرابع　　اول يونيو (حزيران) ١٩١٠　　السنة الاولى

الكلمات الاجنبية

في اللغة العربية

من سوء الحظ ليس عندنا مجمع لغوي يبحث في تهذيب لغتنا ويمدُّ لنا مفردات جديدة لما استجدَّ من الاختراعات والاكتشافات شأن سائر الأمم . ولما كان هذا الامر من الاهمية بمكان عظيم لاحياء اللغة وتطبيقها على حاجات زماننا الحاضر رأينا فريقاً من ادبائنا الاعلام يحاولون ان يسدوا هذا الفراغ ببحثهم وتنقيبهم ، فوُفِّقوا في بعض الشيء وفشلوا في البعض الآخر

وقد رأى نادي «دار العلوم» الزاهر منذ سنتين ان يقوم بهذه الخدمة الجلى بوضع مسألة الاسماء للمسميات الحديثة موضع بحثه ومناقشاته . وكان قد وضع عقب انتهاء المناقشات قراراً يكون منهجاً لسيره في التعريب . وذلك بأن يختار عشرة من الاسماء الاعجمية أو العامية فيرسل الى كل عضو من اعضائه نسخة منها ليكتب كلٌّ منهم ما يراه لذلك الاسم من الكلمات

العربية البسيطة أو المركبة . ثم تعاد هـذه الاجابات الى النادي في موعد معين ، وحينذاك تجتمع اللجنة العلمية للنادي فتنظر في ما لديها وتنتقي من الكلمات اقربها مناسبة لمعنى الكلمة الاعجمية أو العامية . ولما اجتمع لدى اللجنة جملة صالحة من تلك المفردات قررت ان تبدأ بنشرها ليطلع عليها اعضاء النادي ويبدوا ما عندهم من الملاحظات . واذا مضى شهر كامل ولم يرد ملاحظات اعتبرت رأياً عاماً لجميع اعضاء نادي « دار العلوم » فكان عليهم ان يصقلوها بألسنتهم واقلامهم حتى تكون لعامة من يشتغلون باللغة العربية

ولم يشأ اعضاء النادي ان يبخسوا من تقـدموهم بالعمل حقهم فان المفردات التي سبقت الجرائد والمجلات الى استعمالها في معنى من المعاني وكانت أفضل من سواها قد أبقوها على ما هي

هذا هو العمل الذي اخذ النادي على نفسه القيام به ولعمر الحق انه لعمل جليل مفيد يستحق القائمون به كل ثناء وشكر

على اننا نطلب من الاعضاء الكرام ان يمدوا أجل البحث حتى يتمكن أدباء معظم الاقطار العربية من الاشتراك فيه ، ليكون الاختيار أصح ، والاستعمال أعم

واننا نعرض اليوم على قرّائنا ما توصل اليه اعضاء النادي من البحث في وضع المفردات طالبين من الادباء ان لا يضنوا بملاحظاتهم حتى تصل بواسطة هذه المجلة الى النادي فتتم الفائدة التي نسعى اليها :

— (استمارة) يرى اعضاء النادي استعمال (استثمارة) وقد وُجدت

هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استيماز بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا اثبات التاء لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استأمر اي أخذ امره

— (انفيتياترو) ترجمت بلفظة (مدرَّج) منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها

— (بلوك نوت) تعريبها (اضامة) ومعناها الاوراق منضمة

— (بويه) نظرت اللجنة فيما يستعمل للتلوين فوجدتهُ على نوعين : نوع يتخلل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة (صبغ) كصبغ الثياب والورق وما اشبه . ونوع يعلو السطوح فاختارت له كلمة (طلاء) كطلاء المباني والاواني وغير ذلك

— (تختة بوش) وهو ما يسميه الافرنج (véranda) وتعريبه (نجيرة) فقد جاء في لسان العرب ان النجيرة سقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره

— (تربيزة او طاولة) رأت اللجنة من هذا المسمى انواعاً : فنها ما هو للاكل وهذا (خوان) ويسمى حين وضع الاكل عليه (مائدة) . ومنها ما توضع عليه الاشياء المختلفة وهذا (منضدة) مشتقة من النضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصصه بعض اللغويين بحرّ المتاع وخياره . ومنها ما هو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة (مكتب) المستعملة

— (ترسينه) ان ما يخرج عن البناء منه ما هو مغطى وهذا يسمى (كُنَّة) ومنه ماهو مكشوف وهذا (طَنَف) والكلمتان في العربية

موضوعتان لما يخرج من الاجنحة في الدار . على ان هناك لفظة تؤدي المعنى وهي (شرفة) وقد كثر استعمالها . وقد ورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة (مستشرف)

(جول) اختارت لها اللجنة لفظة (مرمى) على ان كلمة (محجّ) الشائعة في سوريا تؤدي نفس المعنى

— (خارطة) وصحيحها (خريطة)

— (دوسيه) تعريبها (ملف)

— (شماعة أو تعليقة) وجدت اللجنة لما تُعلق عليه الملابس نوعين . أولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة (غِدان) وهو في اللغة « قضيب تعلق عليه الثياب » . والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة (شِجاب)

— (طابور) الكلمة عربية حُرّفت وصحيحها (تابور)

— (كارت فيزيت) سبق اختيار (بطاقة الزيارة) ولا مانع من الاستغناء عن المضاف اليه فيقال (بطاقة) كما يقول الافرنج (كارت)

وقد رأت اللجنة ايضاً استبدال (سينماتوغراف) بكلمة (خيالة) وهي كل ما ترآى لك من الصور (وفونغراف) بـ (الحاكي)

و (ميموغراف) (بمطبعة النضح) و (تيب ريتر) (بمطبعة الازرار) لانها اتخذت قاعدة عامة في تسمية المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من (مطبعة) مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة (الآلة الكاتبة) او (الكاتبة) فقط اقرب من مطبعة الازرار

هذه نتيجة بحث اللجنة الاول وسنوافي القراء بباقي ابحاثها طالبين منهم ان يوافونا تباعاً بملاحظاتهم على الكلمات المختارة حتى يتم المقصود وتنتشر الكلمات الجديدة في الصحف والمجلات وعلى الالسنة

رجوع الحبيب

« ارفعها الى M. E. H. »

ما جاء الليلُ حتى انهزمتِ الاعداء وفي ظهورهم بِضعُ السيوف ووخز الرماح ، فعاد الظافرون حاملين ألوية الفخر ، منشدين اهازيج النصر ، على توقيع حوافر خيولهم المتساقطة كالمطارق على حصباء الوادي [1]

اشرفوا على الجبّة وقد طلع القمرُ من وراء فم الميزاب ، فظهرت تلك الصخور الباسقة متشامخةً مع نفوس القوم نحو العلاء ، وبانت غابة الأَرْزِ بين تلك البطاح ، كانها وسامُ مجدٍ اثيل علقته الاجيالُ الغابرة على صدر لبنان

ظلوا سائرين ، واشعةُ القمرِ تتلمَّعُ على اسلحتهم ، والكهوف البعيدة تتقلد تهاليلهم ، حتى اذا ما بلغوا جبهةَ العقبة اوقفهم صهيلُ فرسٍ واقف بين الصخور الرمادية ، كأنه قُدَّ منها . فاقتربوا اليه مستطلعين ، واذا بجثةٍ هامدة مرتمية على اديمِ التراب المجبول بنجيع الدماء . فصرخ زعيمُ القوم قائلاً « اروني سيفَ الرجل فاعرف صاحبه »

---

(١) معركة حدثت في آخر القرن الثامن عشر بين سكان شمال لبنان والعرب

فترجّل بعض الفرسان واحاطوا بالمصروع مستفسرين . وبعد هنيهةٍ التفت احدُهم نحو الزعيم ، وقال بصوت أجش « لقد عانقت اصابعه الباردة قبضة السيف بشدةٍ فمن العار أن انزعه »

وقال آخر « لقد لبس السيفُ غمداً من الدماء ، فاختنق فولاذه »

وقال آخر « لقد تجمدت الدماء على الكف والقبضة ، واوثقت الشفرة بالزند فصيرتهما عضواً واحداً »

فترجّل الزعيمُ ، واقترب من القتيل قائلاً « اسندوا رأسه ودعوا اشعة القمر ان ترينا وجهه »

ففعلوا مسرعين ، وبان وجهُ المصروع من وراءِ نقاب الموت ، ظاهرة عليه ملامح البطش والبأس والتجلد ، وجه فارس قوي يتكلم بلا نطق عن شدة رجوليته ، وجهُ متأسفٍ فرحٍ ، وجه من لقي العدو عابساً ، وقابل الموت باسماً ، وجه بطل لبناني حضر موقعة ذلك النهار ورأى طلائع الاستظهار ، ولكنه لم يبقَ لينشد مع رفاقه اهازيج النصر

ولما ازاحوا كوفيته ، ومسحوا غبار المعمعة عن وجهه المصفر ، ذُعر الزعيم وصرخ متوجعاً « هذا ابن الصعبيّ فيا للخسارة . . ! »

فردد القوم هذا الاسم متأوهين ، ثم جمدوا في اماكنهم ، كأن قلوبهم السكرى بخمرة النصر قد فاجأها الصحو ، فرأت أنّ خسارة هذا البطل هي اجسمُ من مجد التغلب وعزّ الانتصار . ومثل تماثيل قد اوقفهم هول المشهد وايبس ألسنتهم فسكتوا ، وهذا كل ما يفعله الموت في نفوس الابطال ، فالبكاء والنحيب حريٌ بالنساء ، والصراخ والعويل خليق

بالاطفال ، ولا يجمل برجال السيف غير السكوت هيبةً ووقاراً — ذلك السكوت الذي يقبض على القلوب القوية مثلما تقبض مخالبُ النسر على عنق الفريسة ، ذلك السكوت الذي يترفع عن الدموع فيزيد بترفعه البلية هولاً وقساوة ، ذلك السكوت الذي يهبط بالنفوس الكبيرة من قمم الجبال الى اعماق اللاجّة . ذلك السكوت الذي يعلن مجيء العاصفة ، وان لم تجيء كان هو نفسه اشدّ فعلاً منها

خلعوا اثواب الفتى المصروع ليروا اين وضع الموتُ يدهُ ، فبانت كلومُ الشفار في صدره ، كأنها افواه مزبدة تتكلم في هدؤ ذلك الليل عن همم الرجال . فاقترب الزعيمُ وجثا مستفحصاً ، فوجد دون سواه منديلاً مطرزاً بخيوط الذهب ، مربوطاً حول زنده ، فتأمله سراً ، وعرف اليد التي غزلت حريره ، والاصابع التي حاكت خيوطه ، فستره بالاثواب وتراجع قليلاً الى الوراء حاجباً وجهه المنقبض بيده المرتعشة . تلك اليد التي كانت تزيح بعزمها رؤوس الاعداء قد ضعفت وارتجفت وصارت تمسح الدموع لانها لامست حواشي منديل عقدت اطرافه اصابع محبوبة حول زند فتى جاء ليشهد يوم الكريهة مدفوعاً ببسالته فصُرع وسوف يرجع اليها محمولاً على اكف رفاقه

وبينما نفس زعيم القوم تتراوح بين مظالم الموت وخفايا الحب ، قال أحد الواقفين « تعالوا نحفر له قبراً تحت تلك السنديانة ، فتشرب اصولها من دمه وتتغذى فروعها من بقاياه ، فتزيد قوةً وتصير خالدةً وتكون له رمزاً فتمثل لهذه الطلول بطشه وبأسه »

فقال آخر « لنحملنَّه الى غابة الأَرز ونقبره بقرب الكنيسة فتظل عظامه محفورةً بظل الصليب الى آخر الدهر »

وقال آخر « اقبروه ههنا حيثُ جُبل التراب بدمائهِ واتركوا سيفه في يمينه واغرسوا رمحه بجانبه وانحروا حصانه على قبره ودعوا اسلحته تؤنسه في هذه الوحدة »

وقال آخر « لا تلحدوا سيفاً مضرّجاً بدم الاعداء ولا تنحروا مهرًا يخوض المنايا ولا تتركوا في الوعر سلاحاً تعود هزَّ الاكف وعزم السواعد، بل احملوها الى ذويه لانها خير ميراث »

وقال آخر « تعالوا نجثو حوله مصلين صلاة الناصري ، فتغفر له السماء وتبارك انتصارنا »

وقال آخر « انرفعه على الاكتاف جاعلين له نعشاً من الرماح والتروس ، فنطوف به في هذا الوادي ناشدين اهازيج النصر ، فيشاهد اشلاء الاعداء وتبتسم شفاهُ جراحه قبل ان يخرسها تراب القبر »

وقال آخر « تعالوا نعليه سرج جواده ونسنده بجماجم القتلى ، ونقلده رمحه وندخله الاحياء ظافراً ، فهو لم يستسلم الى المنية الاّ بعد ان حمّلها من ارواح الاعداء حملاً ثقيلاً »

وقال آخر « تعالوا نودعه لحف هذا الجبل فيكون له صدى الكهوف نديماً وخرير السواقي مؤنساً ، فترتاح عظامه في بريّة يكون فيها وطىء اقدام الليالي خفيف الوقع »

وقال آخر « لا تغادروه ههنا ، ففي البريّة وحشة مملة ووحدة قاسية ،

بل تعالوا ننقله الى جبانة القرية ، فيكون له من ارواح جدودنا رفاقاً يناجونه في سكينة الليل ويقصون عليه اخبار حروبهم واحاديث امجادهم»

فتقدم الزعيم اذ ذاك الى وسط رجاله واسكتهم باشارة ثم قال متنهداً «لا تزعجوه بذكرى الحروب ولا تعيدوا على مسامع روحه الحائمة فوق رؤوسنا اخبار السيوف والرماح ، بل هلموا نحمله ببطء، وهدوء الى مسقط رأسه ، ففي ذلك الحيّ نفسٌ ساهرةٌ تترقب قدومه ، نفس حبيبةٍ تنتظر رجوعه من بين الاسنة ، فلنعيده اليها كيلا تُحرمَ نظرةً من وجهه وقبلةً من جبينه »

حملوه على المناكب ، مطأطئي الرؤوس خاشعي العيون ، ومشوا ببطء محزن يتبعهم فرسه الكئيب يجرُّ مقوده على الارض ويصهل من وقت الى آخر فتجيبه الكهوف بصداها ، كأن للكهوف افئدة تشعر مع البهيم بشدة الضيم والاسى

بين اضلع ذلك الوادي حيث اشعة القمر تسترق خطواتها ، سار موكب النصر وراء موكب الموت ، وقد مشى امامهما طيف الحب جارًّا اجنحته المكسورة

باريس ٤ (ايار) مايو ١٩١٠ جبران خليل جبران

جبران خليل جبران كاتب اشتهرت كتاباته في اميركا وامتاز برقة الشعور وسمو الخيال ثمَّ سافر الى باريس لاتقان فن التصوير . فاصبح يصوِّر بالكلام او بالالوان ما يجيش في خاطره اجمل تصوير . وقد ارسل الينا هذه المقالة اللطيفة من فرنسا بعد ان انقطع مدة عن الكتابة

القطران الشقيقان

في ٨ مايو المنصرم اقام نادي المدارس العليا حفلة شائقة حضرها فريق كبير من وجهاء القطرين المصري والسوري ونجباء التلامذة اكراماً لحضرة جورج افندي ابيض وهو اول ممثل شرقي تلقى اصول التمثيل على اساتذة الفن في باريس وذلك على نفقة حضرة الجناب العالي الخديوي (راجع الجزء الثاني ص ٦٥ من هذه المجلة) فافتتح الحفلة عزتلو القانوني الشهير احمد لطفي بك بكلمات طيبة

والقى المحتفل به مقاطيع عديدة نالت استحساناً كبيراً . وقد دعي الى الكلام صاحب « الزهور » فقال ما يأتي :

هذي يدي عن بني قومي تصافحكم   فصافحوها تصافحْ نفسها العرب

يا كرام السادة . هذا البيت لشاعر الشرق الكبير هو خير ما يستهل به الكلام في مثل هذا النادي الزاهر ، ساعة اراه يضم في هذا المساء نخبة ادباء البلدين ، وعلية قوم القطرين الشقيقين

وكلمات الاخاء والسلام هي خير كلماتٍ تردَّدُ في ساحة تجمَّعَ فيها رجال العلوم وابطالُ الاداب والفنون

فتحية والف سلام يا اعضاء هذا النادي الاعلام ، وتحية والف سلام يا ابناء النيل الكرام . سلام تردّده ربوع الشام من شواطئ البحر الى اعالي لبنان ، فيتراجع صدى هذه التحية ، في كل صدرٍ خفقت بين ضلوعهِ نفس حرة ابية عربية

تحية طالما جاش بها الفؤاد ، وتحركت بها الشفاه ، حتى لم يقوَ الصدرُ على كتمانها في هذا المساء فانبعثت منه طاهرةً خالصةً من كل تكلفٍ

وتصنع ، لان مصدرَها القلب والى القلب مصيرها

فخذوها منا اليكم ايها الاخوان - ومهرُها الصدق ،وصداقها الاخلاص - واحلوها منكم محل الإكرام ، فأنتم الاحرار في بلادكم ، الكرماء لضيوفكم

* * *

ما اجمل اجتماعنا في هذا المساء ، وما ابهى هذا اللقاء للاحتفال بفنٍ من اجمل الفنون ، ولتكريم اول شابٍ شرقي كرّس نفسه لخدمة التمثيل... كان الفرسان في القرون المتوسطة ، قبل النزول الى ميادين القتال ، يختارون « عرّاباً » لهم بطلاً من مشاهير الابطال . وانا ارى رمزاً واشارة الى ذلك في زيارة ابن الابيض لهذا النادي الزاهر ، نادي الشبيبة الراقية المتهذبة . اتى يزوركم وهو على تمام الثقة بانه سيجد في كلٍ منكم « عرّاباً » له في المهمة التي وقف لها نفسه . وهل كان بوسعهِ ان يجد من يقوم بهذه المهمة أحسن من « نادي المدارس العليا » وقد رُفع فوق هذا النادي علَم العلم خفاقاً يهدي كل شاب صراط العمل والاجتهاد ، في خدمة البلاد ؟

اجل يا سادة . جميل هو اجتماعنا في هذا المساء ، وقد زانته الشبيبة ، وصاغت عقد نظامه . فما أجمل الشباب وقد بعث في صدوركم الغيرة على كل مشروع مفيد جليل

صدقَ والله حكيم اليونان اذ قال : « أمة بلا شبيبة كسنة بلا ربيع » فحيا كم الله يا ربيع الامة الزاهر ، وبهاءها الناضر . فلأنتم خير اكليل تزدان به جبهة مصر الفتاة ، وتفاخر به الغير اذا ما الغير فاخر بالشوكة والثروة وبعد الجاه

* * *

فهيا يا اخواني الشبان نتضافر ونتآزر في خدمة كل مشروع جليل نافع . علينا خدمة الاداب والمعارف ، فتحيا البلاد وتنهض . علينا تنشيط العلوم والفنون ، فنعيد الى الشرق العزيز بهاءه المفقود . وننشر في ربوعنا لواء السلام والوئام ، وما أبهى السلام والوئام . . . .

منّي السلامُ على نادٍ سما وزها　　بما حوى من شبابِ العلم والعمل
لا زال تخـدمهُ الايامُ مقبلةً　　فيخدم العلم والدنيـا بلا ملل

ما هو الشعر

الشعر شعور النفس ، وأغنية الحس ، وأنشودة الضمير ، ولسان الوجدان ، وترجمان الجنان ، وصورة العواطف الحساسة الرقيقة في كل انسان بل وحيوان

فهديل الهزار ، وتغريد الكنار ، وسجع الحمام ، وصدح اليمام ، وزمزمة العندليب ، وزقزقة العصفور ، وشدو الشحرور ، وزقاء الديك ، وبغام الربرب ، ورنين الجؤذر ، وحنين الغزال ، وارزام الجمال ، وهمهمة الخيل ، وثغاء الاغنام ، ورغاء الانعام ، بل وفحيح الهوام ، بل ونقيق ربات الغدير ، ونواء السنانير ، وثرثرة الصراصير ، أو (منشدة القصائد في أيام الحصائد) بل وتصدية كل ذي روح ، كلها أنواع من الشعر « على أوزان طبيعية خاصـة » وان درج على خلاف هذه الحقيقة أسرى التقليد في كل عصر ومصر

(بيروت)　　محيي الدين الخياط

في جنائن الغرب

نعرب تباعاً تحت هذا العنوان خير مايؤخذ عن آداب الغربيين قديماً وحديثاً لما في ذلك من الفوائد الجليلة التي لا تخفى على أحد

الفارس

أرسلت الينا هذه القطعة الجميلة لننشرها في هذا الباب سيدة فاضلة غربية • و « الفارس » عنوان قصيدة نظمها في مديح الامير تاج الفخر الشاعر البولوني الشهير آدم ميكيه ويكس Adam Mickiewicz وهو كاتب حماسي أحبه مواطنوه حباً أشبه العبادة ودفنوه بعد موته في قبور ملوكهم • وقد دافع عن وطنه بولونيا مدافعة الابطال الى ان نفاه الروس فذهب بعد اسفار كثيرة الى فرنسا ودرّس في كليتها الكبرى ولما قامت روسيا تهدد تركيا سنة ١٨٥٤ سافر الى الاستانة وتبعه من بولونيا ألوف من المتطوعين للدفاع عن السلطنة العثمانية • وفي السنة التي بعدها أصيب بالكوليرا وتوفي في الاستانة • ولم ينس العثمانيون صديقهم فان « جمعية الاتحاد والترقي » لما احتفلت بتذكار حرب القريم في ١٧ اغسطس (آب) الاخير ، وضعت على البيت الذي توفي فيه هذا الشاعر صفيحة من البرنز ، ونقشت عليها تحت اسمه هذه العبارة « صديق العثمانيين » وكان هذا الوطني الكبير اثناء وجوده في باريس قد أصدر جريدة بعنوان Tribune des Peuples «منبر الشعوب» ما لبثت ان احتجبت • وقد عاود اشياعه اليوم اصدارها في الاستانة وجاءنا البريد الاخير بأول عدد منها • • • واليك قصيدة « الفارس » التي أشرنا اليها :

ما أسعد الفارس العربي عند ما ينطلق من اعلى صخرة منحدراً الى الصحراء ، على جوادٍ تنغرس قوائمه في الرمال بصوتٍ اصم . ويسبح في ذاك البحر اليابس شاقاً امواجه الجامدة بصدرهِ الدلفيني

شدة جريه تزداد بسرعة عظيمة ، حتى انه بعد هنيهة يكاد لا يمسُّ سطح الرمال ، ثم يزدادُ سرعة فيحتجب في دجى النقع ...

فرسي ادهم بلون الغمامة ، وفي غرّته نجمٌ يسطع كالفجر الباسم . والرياح تتلاعب بعرفهِ الشبيه بريش النعام . والبرق يومض من تحت قوائمه المحجلة

طِرْ يا حبيبي المحجل تنحي يا غابات ، ويا جبال افسحي مجالاً ..!

النخل الاخضر يعرضُ عليَّ عبثاً ظلهُ وثمره ، فاني اعرض عنه نافراً ، فيهرب مني خجلاً ، ويتوارى في الواحة ، فيخيل اليَّ انه بحفيف اوراقه يضحك من جراَتي

الصخور الواقفة على حدود الصحراء تحوّل نحوي وجهاً عبوساً كالحاً ، وتردّد صدى عذوي كانها تهددني قائلة : « الى اين يجري هذا الاحمق ، فهنالك لا ملجأ لفرسهِ من سهام الشمس في ظل نخلةٍ خضراء الشعر ، ولا تحت خيمة بيضاء الصدر ، هنالك لا خيمةَ إلاّ القبة الزرقاء ، ولا يرقدُ تحتها إلاّ الصخور ، ولا يَرى فيها سوى النجوم »

على اني لم ازل أجدُّ في الجري . ثم نظرت ثانيةً الى الصخور ، فرأيتها تهربُ وتختبئ خجلاً

بيد ان عقاباً سمع تهديدها وتوهم انه سيأسرني في الصحراء ، فانقضَّ من السماء على اثري ، وحام فوقي ثلاثاً مكللاً راسي باكليلٍ اسود ، وهو يصيح ويصوّت : « اني اشمُّ رائحةَ جثـةٍ . الى اين تجري ايها الفارس الاحمق وايها الفرس المجنون . هل يبحث الفارس هنا عن طريق ؟ وهل

يطلب الفرسُ هنا مرعى له ؟ هنا لا طريقَ إلاّ للرياح ، ولا مرعى إلاّ للثعابين . هنا لا مرقد الا للجثث ولا مسلك إلاّ للعقبان »

وكان العقاب يصوّت ويهددني بمخالبه اللامعة . فتراشقنا بالنظرات ثلاث مرات . فلم يستولِ عليّ الرعب . بل استولى الرعبُ على العقاب . وأنا لم ازل أجدّ في الجري . وعند ما التفتُّ ثانيةً الى العقاب ، وجدتهُ على بعدٍ شاسع ، كأنهُ نقطة سوداء ، معلقة في كبد القبة الزرقاء ، بحجم العصفور ، فالفراشة ، فالبعوضة ، ثم اختفى في زرقة السماء

طِرْ يا حبيبي المحجل القوائم ، تنحي يا صخور ، ويا عقبان افسحي مجالاً . . !

على ان غمامة سمعت تهديد العقاب ، فنشرت أجنحتها البيضاء على وجه السماء الزرقاء ، وجدَّت في أثري : تريد الغمامة ان تكون فارساً جريئاً في الفضاء ، كما أنا فارس جريء فوق الغبراء . . . ثم وقفت فوق رأسي ، وصفرت تهديدها مع زمهرير الريح :

« الى أين يجري هذا الاحمق ؟ هناك الحرارة تذيب صدره . ولا غمامة تغسل رأسه من الرمل المحرق الذي يعلوه ، ولا جدولَ ماءٍ يدعوه اليهِ بخريرهِ الفضي . ولا قطرة واحدة تصل اليهِ من قطرات الندى ، لان الرياح الجافة تتشربها قبل الوصول اليه »

على ان تهديد الغمامة ذهب ادراج الريح ، وأنا لم أزل اجدُّ في السير ، وهي ترتجف في السماء واهنة القوى ، فخنت رأسها ، واتكأت على صخرة . ولما التفتُّ اليها ثانية كان بيننا بعد شاسع وقرأت على وجهها ما يدور في

صدرها . فاحمرّت حنقاً ، ثمّ اصفرت كمداً ، ثمّ اسودت حتى اصبحت كالجثة ، وأُلحدت وراء الصخور

طِرْ يا حبيبي المحجل ، تنحي يا عقبان ، وافسحي مجالاً يا غمائم ..!

وبعد ذلك سرحت الطرف في كل انحاء الافق كانني الشمس ، فلم ارَ حولي أحداً

فالطبيعة هنا راقدة لم يوقظها الانسان قط من سباتها ، والعناصر مستكنة حولي اشبه بحيوانات جزيرة دخلها الانسانُ لاول مرة فلاتخاف منظره ...

يا الله ! انا لست وحدي هنا .. ! ارى هناك جماعةً عند منفرج الرمال . أمسافرون هم . ام لصوص يترصدون المسافرين ؟ ما اشدَّ بياضَ هؤلاء الفرسان . وما اروع بياض مطاياهم ..! اسرعتُ نحوهم فلم يتحركوا، وناديتهم فلم يجيبوا . يا لله ! إنْ همُ إلاّ جثث . هذه « قافلة » كنست الريحُ الرمل عنها فتبدت هياكل عربانٍ على عظام جمالٍ . وكان الرمل يتساقط من ثقوبٍ كانت عيوناً في هذه الاجسام وكاني به يتهددني هامساً :

« الى اين يجرى هذا الاحمق ؟ فما قليل تلاقيه المواصف »

ولكني ما زلت اجدُّ في السير ... تنحي يا جثث الموتى ، ويا زوابع افسحي لي مجالاً .. !

وكانت زوبعة من اشد الزوابع التي تهزّ الاصقاع الافريقية تمشي منفردة على اوقيانس الرمال . فرأتني عن بعد ، فدهشت ووقفت . والتفت على نفسها قائلة :

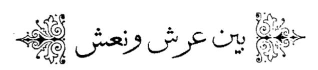
« هذا اي ريح من اخواتي الصغيرات هو ؟ يتجرأ بشكلهِ الحقير وطيرانهِ البطيء على الدخول في الصحراء مملكتي ؟ »

قالت وزأرت هاجمة عليَّ كأنها هرمٌ متحرك . ولما عرفتْ اني استُ الا « انساناً » وانني لا أرجع عن عزمي ، تلظت غيظاً ، وضربت الارض بقوائمها ، فاهتزَّ لها نصف بلاد العرب . وقبضت عليَّ قبضة العقاب على العصفور ، ولطمتني بأجنحتهاالعاصفة ، وأحرقتني بنفسها الملتهب،وقذفتني في الهواء ، وضربت بي الارض . فانتصبتُ ووثبتُ عليها وعاركتها وفككت عقد عجاجها وزقتها ، وعضضتها فطحنتُ بأسناني قطعَ جسمها الرملي.حاولت الزوبعة الافلات من يدي فلم تتمكن وتقطعت ارباً. وسقط رأسها مطراً رملياً وتمددت جثتها العظيمة على قدمي كأنها سور مدينة

فتنفست حينذاك ، ورفعت عينيَّ الى النجوم ونظرت اليها باعجاب . فنظرت اليَّ النجوم بأعينها الذهبية ، لانها لم ترَ غيري في الصحراء . . .

آه ما اعذب التنفس هنا بملء الرئتين . كل هواء بلاد العرب يكاد لا يملأُ صدري . آه ما ألطف تسريح النظر هنا على قدر مدّ البصر ، فان عينيَّ تنفتحان وتريان حتى ما وراء الافق . . ! آه ما ألطف بسط الذراعين هنا بحريةٍ على قدر طولهما . وكأني قادرٌ على ضمّ الدنيا باسرها بين ذراعيَّ من المشرق الى المغرب . . . !

فكري ينطلق كالسهم ، ولا يزال يحلق في العلوّ حتى يغوص في لجة السماوات . وكما ان النحلة تدفن حياتها مع حُمَتها حين تغرسها ، هكذا انا مع فكري اغرس نفسي في السماوات　　　　ادم ميكيه ويكس



بين عرش ونعش

نزل ادوارد السابع ملك انكلترا وامبراطور الهند من العرش الى النعش ، وادرج في الاكفان ، بعد ما جرَّ ذيولَ الارجوان ، وغيّب في ظلمة القبر بعد ما طلع في صدر الايوان . وخلفه ولده وولي عهدهِ جورج الخامس في حكم الملايين من الناس ، بعد ان طاف الممالك والامصار مثل ابيه ، ودرس اميال الشعوب ليعرف كيف تُساس . واذا كان حكم مدام دي جنليس الكاتبة الفرنسوية القائلة « ان الامراء هم اسوأُ تربية من كل الناس بمعنى ان تربيتهم تبعدهم عن معرفة حقائق هذه الحياة » — اذا كان حكمها صحيحاً في اكثر الامراء فهو لا يصح في ادوار ملك الامس ولا في جورج ملك اليوم ، فلقد عرف كلاهما حقائق هذه الدنيا قبل ان قبض على زمام الاحكام ... وقد افاضت الصحف في الكلام عن السلف والخلف ، وعرف القراء كل ما تهمُّ معرفته عن العاهل الراحل والملك الجديد . فاكتفينا بتلخيص فصل من كتاب ألفه ادوار السابع وتُرجم الى الفرنسوية ، عنوانه « تأملات في الموت والابدية » واليك ما قاله الملك — الكاتب المتوفى عن الموت :

الخوف من الموت

لو أُتيح لنا نحن البشر ان نرى منذ مهدنا كل الحوادث وصنوف العـذاب التي تنتظرنا ، لكان خوفنا من الحياة أشد من خوفنا من مغادرة الحياة

كثيراً ما شبهوا هـذه الحياة برحلة نبدأها غير مخيَّرين ، وننهيها مضطرين ، فنركض الى الامام بسرعة وقلق . ونسير في فجر الصباح المكفهر خارجين من ظلام الليل الى ظلام آخر . وهذا عمل الله من البداية الى النهاية

ما هو الموت ؟ هو الانطفاء كالنور ، هو نسيان المرء نفسه وكل حوادث ماضيه كما ينسى الاشباح التي يراها في حلم خاطف ، هو إبرام علائق جديدة بالعالم الرباني ، هو الدخول في منطقة أعلى ، هو خطوة نحو ارتقاء الخليقة لا يقدر عليها الانسان

فلماذا نخاف من الموت وما هو الا انتقال الى حالة أحسن . لماذا ، عند ما نفكر بانحلالنا ، نزيد حباً بالحياة أية كانت ؟

ليس خوفنا من الموت بل من تصورنا للموت . فابعد هذه التصورات عن فكرك ، وانظر الى الموت كما هو ، يقلّ هول الموت في عينيك

لا قيمة للحياة الا اذا استعملناها لاصلاح نفوسنا ، وتزيين عقولنا بأشرف الصفات ، ونشر السعادة حوالينا . وعند ما نعجز عن ذلك لتقدمنا في العمر فنفقد كل أمل بالتقدم في هذه الطريق ، تكون الحياة قد فقدت قيمتها الكبرى

تستولي عليّ قشعريرة باردة عند التفكير في الموت وكأن كل عرق فيّ يحاول مقاتلة الانحلال والانفصال . ومع كل ذلك لا بد من الموت

لماذا جئت هذا العالم ؟ ولماذا لا أرى الموت كما ارى الحياة ، وأنا قد مُنحت كليهما على غير ارادة مني !

ما عساني ان اكون بعد ما أُجرَّد من شكلي الانساني وأُقطع من البشرية ؟ ان هذا الريب أو الشك في ما سوف ينتظرنا هو الذي يملأُنا رعباً . والظلام الذي يغشي المستقبل هو الذي يفرحنا بالنور الآن . نقدّر ما في يدنا حق قدره فنخاف ان نتركه تلقاء شيء لا نعرفه

ولو كان الخالق قد مكننا في هذه الحياة من معرفة الحياة الاخرى ، لما عاد الموت حاجزاً ولكان من ينتظرون ساعتهم الاخيرة نفراً قليلاً

فهذا الرعب هو أشد رابطة تربطنا بهذه الحياة . فالجبان الذي تهوله المصائب لا يردعه عن التخلص من حياته الا ذاك الشك المخيف

لماذا أبكي ؟ ولماذا تنوحون على من فقدتم ؟ هل نحزن على الموتى لانهم تركوا من يحبون ، وغادروا حياة طالما تنعموا بها ؟ ما أقلَّ نفع هذا الحزن وذاك البكاء . . . ! هل نبكي كل مساء أعزاءنا لانهم يرقدون ؟ هل نرثي أنفسنا ساعة النوم ؟ وأي فرق بين الموت والنوم ؟

نعم ان من ينام يبقى له امل باليقظة بقوة مجددة عند شروق الشمس . ولكن هذا الامل — ولو بعيد الاجل — يبقى ايضاً لمن يموت . وعند يقظته يشاهد احبابه واعزاءه ، و بعد قليل يشاهدكم انتم ايضاً . لان اطول حياة هي كلا شيء : سل الشيخ الهرِم ابن السبعين فيقول لك : « مرت حياتي كسبعين دقيقة في الحلم » فعلامَ نبكي اذن ؟

وهذا الريب نفسه لا يخيف الا بقدرما تكون الحياة الاخرى بعيدة ، و يزول تماماً ساعة الدنو منها . ساعة الموت تظهر لنا الحياة قاتمة تافهة ، ويشرق علينا المستقبل تنيره اشعة الابدية . فالانسان عند موته يصفي حسابه مع العالم ويلقي بركته على احباب قلبه ، ثم يعرض عن كل شيء وينضم الى نفسه ليقطع الحد الفاصل بينه وبين الحياة السعيدة : لم يبقَ في الماضي ما يؤنسه ، واصبح في المستقبل كل ما يستميله

ادوارد السابع

في رياض الشعر

بين شعراء مصر والشام

نشرنا في العدد الماضي (ص ١٠٧) قصيدتين لشاعرين من سوريا جواباً على قصيدة عبد الحليم افندي المصري التي شكا فيها من كساد الشعر في مصر وسأل زملاءه في الشام عن حالتهم . (راجع قصيدته ص ٥٩) وننشر اليوم قصيدتين ثانيتين وردتا على المجلة من سوريا بهذا المعنى . وتسرُّنا هذه المراسلة الادبية بين كتاب القطرين فنحن انما انشأنا هذه المجلة لتكون رابطةً ادبية بين الاقطار العربية

١ — يا شعراءَ النيل

يا دهر من أغراكَ بي للحرامْ ما مهجتي مرمىً لكل السهامْ
ان كان ذنب العاشقين الهوى « يا دولة الحب عليكِ السلام »
قد كان لي قلبٌ بهِ صبوةٌ ومقلةٌ ترعى نجومَ الظلام
قد كان — والعهد قريب بنا — مذ جزت بالعشرين عفت الغرام
أصبحت لا أشتاق وادي النقا ولا أُجاري نائحات الحمام
أمسيت لا أبكي بسقط اللوى ولا أناجي فيهِ بدر التمام
قلب يسام الحيف في قومه ما أرَّقتهُ شاغلات الهيام
لأنصف الدهر بأحكامه لو كان للدهر وفاء الذمام
ولارعوى عن غيهِ تائباً لو ينكأُ الدهر قراعُ الملام

***

يا شعراءَ النيـل لا تجزعوا　　قـد صافحتكم شعراء الشآم
لكم بهـم في قومهم أسوة　　ما أغنياء الشام ريٌّ الأوام
لا يبصر الشاعر دينارهم　　عيناً ولا طيفاً له في المنام
يدعوهم الفضـل فلا مسمع　　هم في القصور الساهرون النيام
ما في قصور اليوم من نخوة　　قد كانت النخوة بين الخيام ! !
لهفي على قوم كرام مضوا　　قد انصفوا بالفضل قوماً كرام
يكاد لو نادى بهـم آمل　　في الترب يحيي نخرات العظام
كلام أهـل الشعر في عهدهم　　جواهر واليوم أمسى كلام
لا مصر ترضيهم ولا مصرنا　　ماأطيب السكنى « ببردَي لتام »
لا كنت لي يا موطني مسكناً　　ان كان فيك الحرُّ خلقاً يضام

***

« ان كان هذا الحظ لا ينجلي »　　ما أضيق العيش وأشق المقام

(لبنان)　　ف . نصار

٢ ــ حالتنا

عبدَ الحليم ! عليك الف سلام　　مني ومن شعراء برِّ الشـامِ
عبدَ الحليم ! لقد أثرتَ عزائماً　　في النفسِ قد سئمت من الإقدامِ
أبرزتَ من سحرِ القريضِ فرائدًا　　طربتْ لهنَّ جوانبُ الأهرامِ
ناديتنا متسائلاً مستفهماً　　عن حالةِ الشعراءِ والأقلامِ

***

فعلامَ يا ابنَ النيلِ تندبُ حالةً أنتم بها من أسعدِ الآنامِ ؟ ؟
أتبيتُ في أرض النضارِ وتشتكي من غمرة البأساءِ والآلامِ ؟
أتبيتُ في ربع الامانِ وتختشي من نائبات الدهر والايام ؟

* * *

هلاَّ ركبتَ البحرَ نحو ربوعنا فترى لأَهلِ العلم قلباً دامي
هلاَّ أتيتَ إلى الشآم فتلتقي بحرَ التعصُّبِ والغباوةِ طامي
عجِّلْ تجد روحَ التحاسُدِ عابثاً بمبادىءِ الحكَّام في الأَحكامِ
فاذا الأَديبُ أراد نشرَ معايبٍ طويتْ عن الأَفكارِ والأَفهامِ
يترصَّدون لهُ الوقيعةَ والأَذى ويسدّدون عليهِ سهم ملامِ
وترى الصحافيَّ الجريءَ مهدّداً بالضيمِ منْ حكَّامهِ الظلاّمِ
يبغي التقدُّمَ للبلادِ فينثني عن عزمهِ لمفاسدِ الأَقوامِ
تلقى يراعَ الحرِّ معتقلاً فلا يحيا بغير المدحِ والإكرامِ
إن خطَّ آيات الحقائقِ مرَّةً قامتْ عليهِ قيامة الحكَّامِ
فكأنهُ طيرُ الحمامِ إذا شدا يلقى من القنَّاص كأْس حمامِ ! !

* * *

فإليكَ – يا عبدَ الحليمِ – مثالنا صوَّرتهُ ليلاً ودمعي هامي
فلئن تكنْ مصرُ تضيقُ بكُمْ على رُحْبِ الديارِ فكيف أرضُ الشامِ ؟؟

(بيروت) حليم ابرهيم دموس

شكوى المنفي

(قالها ناظمها حين نفي الى « سيواس » وتخلى عنهُ أصحابه)

حيي ربوعها قطرُ　　يا وطناً هو مصرُ
ما لي اليك سبيلٌ　　هـذا خلاءٌ وبحرُ
غرَّ الاعادي انكساري　　والانكسار يغـرُّ
وسرهم طول نفيي　　ومثـل نفيي يسرُّ
هم يحسبوني اقضي　　عنهم وما لي ذكرُ
هيهات بعـدي رجالٌ　　والفجرُ يتـلوه فجرُ
عينٌ بكت قبـلَ هذا　　وسوف يبسم ثغرُ
ارتجـعي يا أماني　　بالوصل قد طال هجرُ
إنّا عهـدناكِ أوفى　　عهداً اذا خان دهرُ
فبينما أنتِ زُهرٌ　　اذا بك اليوم غُبرُ
فليس يرفع جـدٌّ　　وليس يخفض هذرُ

* * *

مرّت عِذاب الليالي　　وكـلٌّ عذب يمرُّ
التزم الصـبر كرهاً　　وليس للحرّ صـبرُ
وأسلك الحـلم نفسي　　ومسلك الحـلم وعرُ
لبيكَ يا مجدَ قومي　　لبى نداءَك حرٌّ
دافعت دون فروق　　قوماً رحلتُ وقرّوا

سادوا بها فلكلٍّ نهيٌ عليها وأمرُ
ما كنتُ أُغلبُ لولا قومٌ ثبتٌ وفروا
ضاق المجالُ عليهم ضيقاً ولم يغنِ كرُّ
وفي العيونِ ازورارٌ وفي الجوانحِ ذُعرُ
فبتُّ تلقاءَ ليثٍ كانما هو قصرُ
له شباةٌ وظفرٌ ولي شباةٌ وظفرُ
يعدو اليَّ فاعدو اليه زأرٌ فزأرُ
فريعِ في البيدِ ذئبٌ وريع في الجو نسرُ
وظلتِ الحربُ بيني وبينه تستمرُّ
فاضطر للصلح رغماً ومن بغى يُضطرُ
واغتالني بعدُ غدرًا وشيمةُ النذل غدرُ
لا يقصدوني بعذرٍ فما على الجبنِ عذرُ
بيني وبين الاعادي يومٌ اذا طال عمرُ
ان عشتُ ادركتُ وتري او متُّ فالوترُ وترُ
حتامَ اخفض قدري وما تعالاه قدرُ
ان أُمسِ فيه اسيرًا قد يعتري الحرَّ أسرُ

* * *

رضيتُ سيواس دارًا وما بسيواس شرُّ
جنوا عليها فامستْ قد اقفرتْ فهي قفرُ
فلا بها الروضُ خصبٌ ولا بها الزهر نضرُ

اندرست مطرباتي   واصبحت وهي دثرُ
فليس لي ثَمَّ نظم   وليس لي ثَمّ نثرُ
وكم بمصر أديب   يشدو فترقص مصرُ
لهفي على سانحات   كانما هي سحرُ
يقولها قائلوها   فيعتري الناسَ سكرُ

ولي الدين يكن

مقابلة الذم والاغتياب

« لسعادة اسماعيل باشا صبري »

بذرتَ شؤماً ولؤماً   فاحصدْ اناة حليمِ
روث اللسان سمادٌ   في روض كل كريمِ

***

« ولحضرة السيد مصطفى لطفي المنفلوطي في هذا الموضوع »

اذا ما سفيه نالني منه نائل   من الذم لم يحرج بموقفه صدري
أعود الى نفسي فان كان صادقاً   عتبت على نفسي وأصلحت من امري
والا فما ذنبي الى الناس ان طغى   هواها فما ترضى بخير ولا شرِّ



الدكتور شبلي شميل

افكار وآراء [1]

— الاصابة ليست دائماً في جانب الاجماع . فالكثرة ليست حجة قاطعة ، أو هي وحدها برهان القوة الوحشية ، والحقيقة ما كانت أدنى الى الواقع

— الفلسفة — وان كان لا يزال لها بعض المعنى اليوم — فانها ستصبح مبتذلة في مستقبل الايام فالمستقبل اليوم للعلم . وللعلم العملي وحده فقط

— علوم الكلام التي ترمي الى تفسير ما لا يفسر ، وتأويل ما لا يؤوَّل ، قد أضلت عقولاً كثيرة ، وغلت عن العمل أيدياً كثيرة ، فلم تنفع الاجتماع

(١) عن كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » للدكتور شبلي شميل

بشيءٍ ، بل أضرتهُ اذ أضلتهُ واصبحت عالة عليه

— نحن علمنا الانسان ان يكذب ، لاننا عاقبناه على الصدق . وان يسرق لاننا حجبنا عنهُ ما يحتاج اليه

— لا شيء أقدر على تعريف الانسان واجباته للقيام بها مثل معرفته المنافع المترتبة له عليها . فباحترام الحقوق تعرف الواجبات

— يجب صرف قوى الانسان عن تلك المباحث الرثة المضيقة للعقل ، المضللة له ، من فلسفة نظرية ، وتواريخ كنسج العناكب ، وعلوم عالية ككفة الميزان الفارغة ، واقاصيص كقماقم عفاريت الف ليلة وليلة

— لا يستوي المرءُ الا اذا طمست يد العلم ما خطتهُ يد الجهل ، ولم يعد له أثر في المدارس بل صارت المدارس للفنون والصناعات والعلوم الصحيحة والطبيعية فقط

— لست أخشى تخطئة الناس لي اذا كنت اعرفني مصيباً ، ولا يسرني تصويبهم اذا كنت اعرفني مخطئاً

— ان العرش الذي يتبوأه الملوك قائم على قاعدة هي الامة ، فاذا خلت الامة من تحتهم ، هوى بهم ذلك العرش كجلمود صخر حطه السيل من علِ

— الثقة بالنفس غير الاعتداد بها : فالثقة خمير عن روية ، والاعتداد فطير عن استسلام

— ان العالم الطبيعي ، والحاسب الرياضي ، والعامل الميكانيكي ، أقصر كلاماً ، وأفصح بياناً ، وأبسط اسلوباً ، وأثبت حجة واصدق من الاديب

اللغوي ، والعالم اللاهوتي ، والفيلسوف المنطقي ، وسائر علماء الجدل الكلاميين لانه أَلِفَ البرهان الطبيعي الرياضي الذي لا يقبل المغالطة والتمويه

— الانسان ابن التربية وهو فيها ابن هواجسه قبل ان يكون ابن علمه

— أنت تظن انك تحكم لنفسك والحقيقة انك غالباً تنطق عن احكام سواك

— الشرقي اليوم فضلة في الاجتماع لا عمدة ، بل هو شريك سلبي لاقتسام المنفعة ، لا ايجابي للعمل بها . بل هو يقتسمها مرغماً في ورودها اليه من الخارج ، ويقوم في سبيلها معارضاً من الداخل

— اللغات تحيا بحياة الأمم ، وحياة الامم انما تكون بعلومها وصناعاتها ، وحياة العلوم والصناعات بالعلماء والصناع منها ، فاذا خلت أمة منهم ، ذهب استقلالها وكان القضاء عليها أمراً محتوماً

— كن شديد التسامح مع من يخالفك في رأيك ، فان لم يكن رأيه كل الصواب ، فلا تكن أنت كل الخطإِ بتشبثك . وأقل ما في اطلاق حرية الفكر والقول تربية الطبع على الشجاعة والصدق . وبئس الناس اذا قسروا على الجبن والكذب

— الناس حتى اليوم يكرهون البساطة في كل شيء سواء كتبوا أو تكلموا أو عملوا ، ويدخلون الخيال الغريب لا في مباحثهم العلمية والادبية والدينية فقط ، بل في سائر أمورهم الاجتماعيـة . حتى التافهة جداً أيضاً . فان تصوروا ملكاً أو حكاماً أرادوهم بكل مظاهر الابهة ولو ظهروا فيها بمظاهر المساخر ، كأنه لا يصح ان يكونوا ببساطة أزياء العالم . . .

في حدائق العرب

﴿ ليلى العفيفة والبرّاق ﴾

هي ليلى بنت لُكَيز بن مرة بن اسد من ربيعة بن نزار نشأت في حجر أبيها وبرعت بفضلها وكانت تامة الحسن كثيرة الادب وافرة العقل شاع ذكرها عند العرب حتى خطبها كثيرون من سراتهم . وكانت ليلى تكره ان تخرج من قومها وتود لو ان أباها زوَّجها بالبرّاق بن روحان ابن عمها. الا انها لم تعصِ امر ابيها وصانت نفسها تعففاً فلقبت بالعفيفة

وكان والدها يتردد على عمرو بن ذي صهبان ابن احد ملوك اليمن فيجزل عطيتهُ ، ويحسن اكرامهُ ، فخطب منهُ ليلى وجهز اليهِ بالهدايا السنية ، فأنف ان يرد طلبته ، وامل ان يكون الملك فرجاً لشدائد قومه ، وحصناً في جوارهم ، وذخيرةً في عظائم امورهم ، فصعب الامرُ على البرّاق لما بلغه الخبر ، واتى الى ابيه واخوته وامرهم بالرحيل فارتحلوا

وثارت في اثناء ذلك حربٌ ضروس بين بني ربيعة قوم البراق وقبائل قضاعة وطيّ . فاتسع الخرق ودارت الدوائر على بني ربيعة . هذا والبراق معتزلٌ عنهم برجاله لرغبة عمه عنه بابنته ليلى . فاجتمع اليه كُليب بن ربيعة واخوته يستنجدونه فقالوا له : يا أبا النصر قد طمَّ الخطب ولا قرار لنا عليهِ . وأنشده كليب

اليك أتينا مستجيرين للنصرِ　　فشمر وبادر للقتال أبا النصرِ
وما الناس الاَّ تابعون لواحـد　　اذا كان فيهِ آلة المجد والفخرِ

فناد تجبك الصيد من آل وائل　　وليس لكم يا آل وائل من عذرِ

فأجابه البرّاق متهكماً

وهل أنا الا واحـد من ربيعة　　أعزُّ اذا عزُّوا ونخرهمُ نخري
سأمنحكم مني الذي تعرفونه　　أشمر عن ساقي وأعلو على مهري
وأدعو بني عمي جميعاً واخوتي　　الى موطن الهيجاء أو مرتع الكرِّ

ثم ردَّهم خائبين

وبلغ الاعداءَ امتناع البراق من القيام بقومه ، فارسلوا اليه يعدونه بما شاءَ من الكرامة والسيادة فيهم إن آزرهم على قتال ربيعـة . فاخذت البرّاق الغيرة لذلك ، وزال ما كان في قلبهِ من الحقد والضغينة على قومهِ وأجاب بني طي

لعمري لستُ أتركُ آل قومي　　وأرحـل عن فنائي أو أسيرُ
بهم ذلي اذا ما كنت فيهم　　على رغم العدى شرف خطيرُ
أأنزل بينهم ان كان يسرٌ　　وارحل ان ألمَّ بهم عسـيرُ
ألم تسمع اسنتهم لها في　　تراقيكم واضلعكم صريرُ . . .

وامر رجاله بالركوب فركبوا وامتَطَى هو مهرته شبوب وكسر قناته واعطى كلَّ واحدٍ من اخوتهِ كعباً منها وقال لهم : « حثوا افراسكم ، وقلدوا نجائبكم قلائد الجزع في الاستنصار لقومكم »

فامتثلوا رأيه وتفرقوا في احياء ربيعة . واستصرخوا قبائلهم ، فجزعت ربيعة لجزع البرّاق ، وأخذت اهبتها للحرب وتواردت قبائلها من كل فج وعقدوا له الرئاسة في قومه . ثمَّ ساروا الى ديار قضاعة وطيّ فاغاروا عليهم

وانطبقت عليهم فرسان البراق من كل جانب فبرَّحوا بهم القتل وانهزم الباقون ، ثمَّ عاد القوم الى القتال وطالت الحرب بينهم ، تارة لقوم البراق واخرى عليهم ، إلى ان اظفره الله باعدائهِ وامتلأت ايديه من الغنائم وانقادت له قبائل العرب . وكان قد فكَّ اسرى قومه ، واسترجع الظعائن وكانت من جملتهنَّ ليلى ، واصطلحت القبائل بعد ذلك وأقرُّوا للبراق بالفضل والشرف الرفيع

أما عمرو بن ذي صهبان خطيب ليلى فانه ارسل الى لُكَيْز والدها يستنجزه وعده في أمر ابنتهِ . فلم يرَ بداً من اجابة دعواه . الا ان ابناً لكسرى ملك العجم حال دون مرامه فأرسل فرساناً سبوها في طريقها وحملوها الى فارس مرغمة . فبقيت هناك اسيرة لا ترضى بزواج . ولما ضيق عليها العجم وضربوها لتقنع بمراد ملكهم استصرخت بالبراق وباخوتها في قصيدتها المشهورة

فلما بلغ بني ربيعة استنجاد فتاتهم استفزتهم الحمية وخنقتهم العبرة . فحشد البراق الفرسان وسار الى بلاد العجم . ولم يزل يكد ويسعى حيناً بالقتال وآخر بالحيلة حتى خلَّص ليلى من يد مغتصبيها ، وأعادها الى ديار بني ربيعة . فأثنى عليه قومه ثناءً جميلاً وتزوج بليلى وتولى رئاسة قومه زماناً فأعطى وكسا وقرى وصارت ربيعة بحسن تدبيره أوسع العرب خيراً لما حازوه من الغنائم وكانت وفاته قبل الاسلام بقرن ونصف تقريباً

ثمرات المطابع

فلسفة النشوء والارتقاء [١]

قال بعضهم يوماً للدكتور شميل : « انك لمصيبة على الناس ، لمغايرتهم في افكارهم . » فأجابه الدكتور : « اذا جازت الشكوى فمن منا أولى بالشفقة ، أنتم الذين مصيبتكم بي واحدة ، أم انا الذي مصيبته بكم متعددة ! »

هذه النكتة التي رواها الدكتور في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه « فلسفة النشوء والارتقاء » — وهو الجزء الاول من مجموعتهِ التي هي قيد الطبع — تصوّر احسن تصوير موقف الدكتور شميل تجاه البشرية . . . ويعرف ذلك أتمَّ معرفة من جالسهُ وباحثهُ فسمعهُ يتذمر ويتأفف من حالة المجتمع الانساني وخرافاتهِ وسخافاتهِ ، شأن الذين لم يفهمهم معاصروهم . . .

صاحب « كتاب فلسفة النشوء والارتقاء » اشهر من نار على علم ، قضى ثلاثين سنة ونيفاً وهو يحارب ويقاتل بقلمه — لانه لم يكتب الاَّ ليشن الغارة على ما يراه من الاوهام في ابناء جنسهِ — وهو من هذا القبيل أجرأ كاتب عرفناه في الشرق ، وامثاله في الغرب ليسوا بالعدد الكثير : يبحث وينقب ويستقري ، مستنيراً بنور العقل والطبيعة ، ولا يخشى في اعلان نتيجة بحثه واستقرائه ولو كان فيها ما يغضب ويؤلم ويخالف معتقد عموم الناس — وهي كثيراً ما تكون من هذا القبيل . وكفى برهاناً على ذلك

---

(١) طبع بمطبعة المقتطف عدد صفحاته ٣٧٠ ثمنه ستون غرشاً وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شميل . وبدل الاشتراك في المجموعة كلها جنيه واحد

انه قام ينشر في الشرق مذهب داروِن وشرح بخترعيه يوم كان انصار هذا المذهب في أوربا نفسها لا يتجاوزون عدد الاصابع . ولذلك قامت القيامة على هـذا الكاتب الجديد الذي كان يريد ان ينقض كل ما بناه اسلافه . ولكن كل ذلك لم يثبط منه العزائم ولم تزده المعاكسات الا رسوخاً في آرائه حتى الفها الناس منه ولو لم يوافقوا عليها . وتعودوا سماعها الآن من طبيبهم وفيلسوفهم الشيخ بعد ان استكبروها من الشاب منذ ثلاثين سنة . والثبات على المبدأ — أياً كان — والتفاني في سبيله لما يدعو الى الاعجاب بصاحبه . ولو كان الدكتور شميل مؤمناً ، لكان من أحرّ المبشرين واعظم الشهداء . لانه من الفئة المهاجمة في هذه الدنيا لا الفئة المدافعة . ولذلك هو الآن مبشر حار ، ومؤمن متعصب « بعدم الايمان » . وان شئت ، قل هو متعصب في كفره كما ان غيره متعصب في ايمانه . وقد يكون كلا المتعصبين سواء

هو يقول عن نفسه انه « تقلب على مقالب التردد في الاديان من اليقين الى الشك فالنفي » ولكن هذا التردد لم تطل مدته عنده . بل طار به سريعاً الى النتيجة الاخيرة وهي « النفي » ووقف عندها منكراً نافياً داعياً الجميع الى مثل نفيه وإنكاره . وتكاد تجد في ما كتبه منذ ربع قرن مالا لا يزال ينسج عليه اليوم . ولم يحاول قط ان يلبس يدهُ الحديدية قفازاً من المخمل ، ولم يعمد ابداً الى الطرق اللينة . بل انه يجرح بقلمه معتقدات العقل ، كما يجرح بمشرطهِ دمامل الجسم ، ولكن دون استعمال بنج او مخدّر . وهو يقرُّ بذلك اذ يقول (ص ٢٤) : « رأيتُ أن اخوض غمار

البحث غير حافلٍ بالمصاعب التي ستعترضني في هذا السبيل ، وان انخمه بتلك الصراحة الجازرة ، منكباً عن خطة الذين يرون ان الحكمة انما هي المصاداة ، لعلي ازحزح الافكار عن مألوفها ، لعلمي ان تحريك الافكار لا يكون غالباً الاّ بمثل هذه المصادرة العنيفة ... »

وهذه هي طريقته الاصلاحية . ولم نرَ في كتابه الضخم ذكراً للشفقة والرحمة الآمرةً واحدة حيث قال : « لماذا كل هذا الغضب على هـذا الانسان الضعيف الذي اقل احتياج من احتياجاتهِ كافٍ لان يدفعهُ الى ارتكاب الجريمة لان الاحتياج مؤلم ، فالجوع فضاح ، والحاجة قاتلة »

وعليه فاقصد هذا الطبيب الاجتماعي اذا كنت مصاباً بدملٍ او كنت ذا عضوٍ معتل ، فهو يبتره لك بلا شفقة . واذا كنت ذا جرحٍ يحتاج الى بلسمٍ او مسكن ، فاياك والدكتور شميل . فاقل ما هناك انه يكويه بالنار او بحجر جهنم

واذا كان هو يؤلمك فلأنه متألم منك ومن نظامك الاجتماعي في حاضرك وماضيك

اسمع ما يقوله عن الماضي (ص ٦) : « اني لا أتمنى لك تمدناً كتمدن عصر سقراط ، ولا تمدن باني الاهرام ، ولا تمدن الرومان ، حتى ولا تمدن عصر العباسيين ، ولا تمدن الامم النصرانية بعد خروج الاسلام من الاندلس وقبل الثورة الفرنسوية . والا فأكون قد تمنيت لك ان تكون عبداً ذليلاً لا تملك ادنى حرية لا في القول ولا في الفكر ولا في العمل »

وليس هذا كل مبلغ غضبه على النظام الاجتماعي في الماضي بل انه يتمنى لو

احرقت كل منقولات التاريخ وما فيه من التلفيق والكذب (ص ١٠)

أما غضبه على النظام الاجتماعي الحالي فتكاد تقرأه في كل صفحة من المقدمة والخاتمة . ونكتفي بايراد شاهد واحد على ذلك وهو قوله : « صارت علوم اللغة مماحكات لا طائل تحتها ، لا كلاماً وضع للتعبير عن الفكر . والشعر اغراباً لا ابداعاً في وصف الحقائق . وعلوم الفقه سخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل . والطب شعوذة لاستنزال الاسرار وتحويل الاقدار . وعلوم القوانين لاهوتاً ثانياً لا يفهم . وعلم المحاماة مخرقة وتفنناً في المشاغبات لا دليلاً مرشداً الى الحق رادعاً للباطل الخ . . . وعلى هذه المبادئ النخرة شاد الانسان بنيان نظاماته الاجتماعية المتقلقلة »

وبعد ان هدم هذا البنيان اخذ يرشد الى كيفية تشييد بنيان اجتماعي جديد . فجعل الاساس العلوم الطبيعية . فبها « يصح نظر الانسان في لغاته ، وينتظم قياسهُ في دليله ، وتقوى فلسفته بارتباطها ، وتعلو آدابه لانطباقها على العمل ، وتصلح شرائعه . . . ويتسع عقله الخ . . »

ويرى ان هذه العلوم هي « المخل الذي سيتكفل بقلب ما بني من النظامات المتقلقلة والشرائع الحائفة » . أما العلوم الكلامية فالعداوة بينه وبينها شديدة وهو يبشرها بالانقراض القريب متى ترقى النظام الاجتماعي حسب السنّة الطبيعية .

واذا استعملنا مع الدكتور شميل تشبيهاً طبياً ، فلا نكون قد خرجنا عن الموضوع : يستخرج الاطباء المصل الشافي والواقي من الامراض ، بان يلقحوا بمكروب الوباء حيواناً ما . فيتركب في دمه حالاً مادة مقاومة

لسريان الداء بموجب نواميس الطبيعة . ويزيدون كمية التلقيح يوماً فيوماً، حتى تبلغ مقداراً كان يقتل ذلك الحيوان لو لقح به دفعة واحدة . وبزيادة كمية المادة الوبائية ، تزداد كمية المادة المقاومة . ومن هذه الاخيرة يؤخذ المصل الذي يستعمل للتطعيم . . . قلْ ذلك عن مذهب الدكتور شميل ولا تكون بعدت كثيراً عن الحقيقة

أو ان شئت فاحكم عليه كما يحكم هو نفسه على العلماء وقل معه : « ان للعلماء أحلاماً كالعوام ، والعقل خزانة كثيرة الادراج »

هذا ما يسمح المجال ببسطه عن فلسفة الدكتور المتطرفة . ولو أردنا التفصيل لما كفى الكتاب العريض الطويل . أما عبارة الشميل فهي آية في الايجاز مع اداء المطلوب . وقلما قرأنا كاتباً عربياً جاراه في هذا الاسلوب

***

معنى الحياة (١) ـ وكثيرنا يجهل معنى الحياة الحقيقي ولربما كان هذا الجهل سبب ما نراه في مفاوز هذه الدنيا من الرزايا والخطوب ، والتعاسة والشقاء ، والخصام والتنافر ، والضغائن والاحقاد ، ومتى فهمنا هذه الحياة بمعناها الصحيح يسود السلام في العالم ، وتعم المحبة بني البشر ، ويذوق الانسان منتهى السعادة الممكنة . طالع كتاب لورد افبري يتضح لك ذلك تماماً . وترى ان واضع هذا الكتاب من الفلاسفة الذين لم يضيعوا في عالم الاوهام ولا في بهرجة الكلام . ونحن في أشد الحاجة الى مثل هؤلاء

---

(١) طبع في المطبعة الادبية في بيروت ويطلب في مصر من مكتبة المعارف بالفجالة عدد صفحاته ١٥٨ وثمنه ثلاثة غروش صاغ

المفكّرين الذين ينشرون المبادئ الصحيحة ولذلك يسرنا ان نصوغ اجمل كلمات الثناء على حضرة الشاب الذكي النجيب وديع افندي البستاني الذي خدم بلاده احسن خدمة بتعريب هذا السفر النفيس وسبكه في عبارة عربية بليغة سلسة . كما انهُ يسرنا ان نرى الاقبال الذي صادفهُ هذا الكتاب فقد كادت تنفد طبعته الاولى قبل مرور العام عليها . وعن قريب سيطبع ثانية . وقد قررت مدارس المرسلين الاميركان تدريس « معنى الحياة » في مدارسها

***

نفحات الوردتين [١] ـ أو مجموع الفصول الشائقة والمقالات اللطيفة التي دبجها يراع الاديبتين المرحومتين أنيسه وعفيفة كريمتي حضرة اللغوي الشهير الشيخ سعيد الشرتوني . يفوح من هذه المجموعة اريج طيب نشرته هاتان الوردتان قبل ان يذبلها نفَس الموت السام . وخليق بنسائنا وفتياتنا أن يطالعنَ هذه المجموعة النفيسة حتى يعرفنَ الدرجة التي تبلغ اليها الفتاة الشرقية . متى تربت تربية حقيقية وصرفت أوقات فراغها بالدرس والمطالعة بدلاً من قتل وقتها وقواها العقلية بالامور التافهة . فنثني على حضرة الاديب ميخائيل افندي الشرتوني الذي حفظ هذه الفصول الجميلة من الضياع بنشرها بالطبع . ونسأل للاديبتين الراحلتين رحمة واسعة ولحضرة والدها المفضال عزاء وسلوانا

---

(١) طبع بالمطبعة اللبنانية (جسر بيروت — لبنان) عدد صفحاته ٩٦ وثمنه ثلاثة غروش

ازهار واشواك

الحمد لله . . !

الحمد لله ! زال الخطر ، وانقشعت غياهب الهلع ، وتنفس سكان الارض تنفس المتعوب بعد الفرج . وعاد الناس الى مألوف اعمالهم على سطح الكرة الارضية بعد ان وقفت حركتهم في انتظار ذاك « القادم المجهول » . واذا لم يكن بدٌّ من الكلام بصراحة فأقول انني لم أكلف نفسي كتابة حرف واحد حتى ولا التفكير في موضوع حديثي الشهري مع القراء . بقيت هكذا ـ بلا خوف ولا وجل ، ولكن بلا نشاط في العمل ـ حتى مرَّ علينا المذنب مرَّ الكرام فلم يلحق بنا ضرراً . . . هل اشمأزَّ مما لاقاه في أرضنا فلم يشأ ان يلامسنا ؟ أم هو اخذتهُ عوامل الوجد فقبّل الارض خلسة تحت جنح الدجى وهرب غير آمل ان يفوز منها بالوصال ؟ لا أدري والذي أدري انه حمل حقيبته ، ولف ذنبه وغادرنا لسفر بعيد . . . ولما أمنَّا وقفنا نودعهُ على الافق هازئين ساخرين مرددين قول الشاعر العربي

وخوفوا الناس من دهياء مظلمةٍ اذا بدا الكوكب الغربيُّ ذو الذنَبِ
تخرصاً واحاديثاً ملفقةً ليست بنبع اذا عدَّت ولا غربِ

حادثة صغيرة قبل ختام قصة المذنب : منذ اسبوع أيقظني عند الفجر صراخٌ في بيت جاري . وسمعت الجدال الآتي بين الزوجين :

— اين قضيتَ ليلتك ؟ عد من حيث اتيت

— أؤكد لكِ يا عزيزة انني كنت ارقب مذنب هالي

ويظهر ان الزوجة لم ترضَ بهذا العذر لتغيب زوجها فصفعته صفعة على خده ، أرتهُ النجوم . . . والمذنبات في رائعة النهار . . .

التمثيل والكتّاب

بدت في هذه المدة طوالع نهضة مباركة في التمثيل العربي وكثر البحث في الروايات التمثيلية والممثلين وانشاء مدرسة وطنية لتعليم هذا الفن الجميل. ولكني لا ارى سبيلاً الى ترقية هذا الفن إلاّ اذا نزل الكتاب والادباء الى ميدانه لينهضوا به ويعلوا مناره . ولذلك أقترحُ ان تؤلف رواية كبيرة تمثل في الاوبرا الخديوية وتوزع ادوارها كما يأتي : دور الملك لاسماعيل باشا صبري . ودور ابن الملك لاحمد بك شوقي . وحافظ ابرهيم ونقولا رزق الله يمثلان قائدي الجيش . والدكتور شميل يمثل دور الفوضوي عدو المملكة ويعاونه في مساعيه الشيخ يوسف الخازن . ويقوم صاحب « الزهور » بدورٍ من نوع دور « روميو » بلا انشاد . ويكون خليل مطران والشيخ امين الحداد النديمين. وحافظ عوض وداود بركات رسولين. ويمثل ولي الدين بك يكن دور الاسير ويقوم إمام العبد بدور الطيف أو الشبَح المخيف . وتعهد ادوار النساء الى صاحبة فتاة الشرق وصاحبة انيس الجليس وصاحبة الجنس اللطيف والباحثة في البادية . وتختم هذه الرواية بفصلٍ مضحك او « فروتو » يقدمه سليم سركيس والياس فياض ويكون من تأليفهما . ويتلو الدكتور شدودي منولوج « فتاة العصر » ويترأس صاحب « الاكسبرس » الموسيقى الوترية ... انا لست غنياً ولكن اذا

عزم الادباء المذكورون على احياء هذه الليلة فاني ادفع نصف راتبي الشهري لمشترى تذكرة دخول ولو في أعلى التياترو واتولى توزيع الاعلانات على ادارات الصحف واصفق للمثلين مجاناً ...

الحجاج والبكالوريا

عشرات من التلامذة الذين تقدموا هذه السنة لامتحان البكالوريا في مصر سيسقطون والذنب في ذلك على الحجاج . ولو كان ـ حفظه الله ـ عرف ماذا سيصيب فريقاً من شبان القرن العشرين بسببه لدعا على لسانه بالقطع او على الاقل لمنع كتَّاب ديوانهِ من تدوين خطابهِ لاهل العراق لئلاّ يُطلب من طلبة البكالوريا ان يفكوا رموزه للحصول على الشهادة . واليك ايها القارئ ما طلب تفسيره من التلامذة : « ما يقعقعُ لي بالشنان ولا يغمزُ جانبي كتغماز التين ، ولقد فُرِرتُ عن ذكاء ، وفتشتُ عن تجربة ... واللهِ لأحزمنكم حزم السلَمة ، ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل ... » فاذا سهل عليك أن تفهم هذه الاحاجي فيحق لك ان تلوم من قصَّر في ذلك . أما انا فلا أخجل من اعلان جهلي ولو سقطت في كل بكالوريات العالم واتعزّى في فشلي بترديد ما قاله صفي الدين الحلي :

انما الحيزبون والدردبيس　　والطخا والنقاخُ والعلطبيسُ
والسبنتي والحفصُ والهيقُ　　والهجرش والطرقسان والعسطوس
لغةٌ تنفرُ المسامعُ منها　　حين تروى وتشمئزُّ النفوسُ
وقبيحٌ ان يسلكَ النافرُ الوحـ　　ـشيُّ منها ويتركَ المأنوسُ

ان خيرَ الالفاظِ ما طرب السا   معُ منه وطاب فيه الجليسُ
ولذيذُ الالفاظِ مغناطيسُ

ماصر

فكاهة

روت الصحف الاميركية تلغرافاً تلقته جريدة « الورلد » النيويركية، ومفادهُ ان رجلاً عربياً مرَّ بمحطة برلنغام في السادس من الشهر الفائت ، وكانت ساحة المحطة غاصة بالعربات والسيارات وكلها بانتظار قدوم القطار الى ذلك القسم الجميل من المدنية حيث يسكن الاشراف وكبار المتمولين . فاذا بذلك العربي — وقد انقبضت سحنته وامتقع لونه — أخذ يتكلم بحدة شديدة ويردد كلماتٍ لم يفهمها احد من الذين تجمهروا حواليه . وحاول بعضهم ان يستفسره عن سبب تأثرهِ واستيائهِ . فاشار العربي بيده الى واجهة بناية المحطة . فظنَّ القوم ان الرسوم العربية المنقوشة على الواجهة قد اثارت فيه عواطف الذكر وحب الوطن ، فأحدثت هذا التهيج الظاهر على محياه . ولم تعرف الحقيقة حتى وصل أحد الطلبة في مدرسة اللغات الشرقية وعرض نفسه للترجمة . فسمع العربي يتلو الشتائم واللعنات الموجهة الى ادارة السكة الحديدية وخطوطها وعرباتها ومأموريها واصحابها وهو محدّق بنظره الى واجهة البناية كأنهُ يقرأُ عليها ما يقول . فانعم الترجمان النظر في الرسوم ، فادرك سرَّ تهيج العربي ، وقال للمتجمهرين : ان ناقش هـذا الزخرف العربي قد نحت في الحجر سلسلة شتائم لشركة السكة الحديدية.

ويقول هذا العربي انه لا يعرف في لغته كلاماً افظع واسفه من الكلام المنقوش على هذه البناية

فدهش القوم لذلك واستغربوا الامر وقصدوا مهندس الشركة يطلبون الوقوف على سرّ هذا الخبر . فلما سمع الرواية منهم استلق على ظهره ضحكاً وقال : الحمد لله فقد وجد اخيراً من يقرأ هذه اللعنات ويفسر معانيها فيشفي غليلي . وليس في نقش ما رأيتم سهوٌ ولا غلط . فانني انا فعلت ذلك عمداً مني وبعد امعان النظر . وكيفية ذلك انني حين كنتُ ابني هذه المحطة طلبتُ من الشركة جوازاً للسفر مجاناً على خطوطها كما تفعل كل شركة مع موظفيها فأبت اجابة طلبي . فتحصلت على اقبح ما جاء في اللغة العربية من الشتائم ، ونقشته على الواجهة لعنةً ثابتة على كرّ الاعوام . وهكذا قد اثبتُّ هذه اللعنات منقوشة على اجرّ مشويّ في النار ، وحفرتُ انتقامي من الشركة على حجرٍ اصم بازميلٍ من فولاذ ...

كيف نقضي العمر

قد اتفق لكلٍّ منا ان يقف احياناً في آخر نهاره متسائلاً : كيف قضيتُ هذه الاربع والعشرين ساعة التي غارتْ في بحر الزمان . كم اضعتُ منها سدًى . وكم استعملتُ منها في الامور العائدة بالنفع عليّ او على اخواني بني البشر . هل عشتُ حقيقة في هذا النهار ام قتلته قتلاً .. ؟

نتطارح وضميرنا هذه الاسئلة فنجد ان هذه الزيارة مثلاً قد ضيَّعت علينا وقتاً جزيلاً بلا جدوى . او ان تلك الدعوة الى وليمة أو الى محفل

لهو قد اكلت من يومنا شطراً كبيراً . او ان توعكاً في مزاجنا قد اضطرنا الى الراحة . وينتهي حسابنا — بعد إسقاط ساعات النوم— باننا قضينا فقط القليل من الوقت ـ أو دون القليل — في الجد والاعمال النافعة . فنتحقق قول أحد فلاسفة الرومان : إنَّ في حياتنا ساعات تؤخذ منا ، وساعات تُسرق منا ، وساعات تفلت منا

متوسط حياة الانسان سبعون سنة . فاذا اسقطنا منها الوقت الذي يقضيه آكلاً شارباً نائماً لابساً نجد انه لا يبقى له الاّ شيء يسير منها

وضع أحد الاحصائيين حساباً مدققاً لمعدل السنين التي يقضيها الانسان من عمره في لزوميات هذه الحياة فتوصل الى النتيجة الآتية ، باعتبار العمر سبعين سنة :

يقضي الانسان اكثر من ثلث عمره ـ اربع وعشرين سنة ـ نائماً . لأنه اذا كان لا ينام الاّ القليل وهو شيخ فقد كان يرقد الساعات الطوال وهو طفل

وحساب الاوقات التي يقضيها في الاكل والشرب يدل على انه ينفق ست سنوات من عمره آكلاً شارباً

واذا انزلت اوقات النزهة والاكل الخ من سني الدراسة يبقى للدرس الحقيقي ثلاث سنوات فقط

وكذلك يقضي ثلاث سنوات ايضاً في الحمّام وامام المرآة وعند المزيّن ويقضي ثماني سنوات في المتنزهات والملاهي وخمس سنوات في المشي والتنقل . وست ساعات في المطالعة

ومجموع الاوقات التي يصرفها في الكلام والحديث ثلاث سنوات .
ولكن كم من ثرثارة مهذار يقضي الشطر الاكبر من عمره متكلماً
واذا اسقطنا كل هذه السنين من عمر الذي يعيش سبعين سنة نجد
انه لا يبقى للشغل والعمل سوى احدى عشر سنة

قال الشاعر العربي

اذا مرَّ بي يومٌ ولم استفد يداً　　ولم اكتسب علماً فما ذاك من عمري

فما اقصر عمرنا اذن .. !

حديقة الاخبار

— منذ اسبوعين عقد المؤتمر الصحافي الدولي الرابع عشر في عرض البحر امام مدينة تريستة على ظهر الباخرة تاليا . فانتخب للرئاسة مدير جريدة فيينر تاجبلاط ولوكالة الرئاسة مسيو ادريان هبرار مدير جريدة الطان الفرنسوية

— في العاشر من الشهر القادم يعقد عموم الصحافيين السلاف مؤتمراً في مدينة بلغراد عاصمة الصرب لينظروا في حقوق وواجبات الصحافي ويتداولون في الشؤون التي تعود على العنصر السلافي بالنفع . واي امنى ابشر قرائي بقرب انعقاد مؤتمر عام لخدمة الصحافة العربية

— « الجامعة العثمانية » في بيروت جمعية ضمت نخبة من افراد العناصر المختلفة لتعمل على توحيد المصالح وتأليف القلوب . وقد اصدرت جريدة بعنوان « صدى الجامعة العثمانية » مديرها المسئول عبد الكريم

افندي ابو النصر ويحررها فريقٌ من اعضاء الجمعية . عبارتها متينة وغايتها حميدة

— كانت بلاد ما بين النهرين وما يجاورها مهد النهضة في آداب اللغة العربية فيما غبر من الزمان . و بقي لنا من تلك الاعصر الخوالي ما لا يزال يعد حتى يومنا اكبر ثروة في آداب لغتنا . ولم تبرح مآثر بغداد عن بال عربي . بل كنا نتألم عند تذكار الماضي والمقابلة بينه و بين الحاضر . على أن هاتيك البلاد المجيدة قد بدأت تنهض من سباتها العميق ، فقد اتصل بنا ان جماعةً من ادبائها قد عزموا على اصدار صحائف ادبية باسم « الكرخ » و « الرصافة » و « الدجلة » التي طالما تغنى بها شعراء العرب . فنرّحب بهذه النشرات سلفاً مؤملين ان تعيد لنا أمجاد الماضي

— اسس جماعة من ادباء العرب في الاستانة نادياً علمياً ادبياً اطلقوا عليه اسم « المنتدى الادبي » وغايته كما جاء في قانونه المطبوع « تسهيل تعلم اللغات الحية على الطلاّب ، وصرف وجهتهم الى المذاكرات العلمية ، والمسامرات الادبية وتوفير معلوماتهم ، وتوسيع مداركهم ، وحفظ اوقاتهم من الملاهي »

— كتب اللغة كثيرة على ان اقتناءها يصعب على الطلبة والمشتغلين في الكتابة لكبر حجمها او لغلاء اسعارها . وكان قاموس « محيط المحيط » الذي وضعه الاستاذ المرحوم بطرس البستاني من اوفى الكتب واكثرها فائدةً حتى نفد تماماً وعليه فقد عزم نجلا البستاني نجيب بك ونسيب بك على إعادة طبع « محيط المحيط » على طرز القواميس الافرنجية مع اضافة

حواشٍ وتنقيحات كان المؤلف قد زادها قبل وفاتهِ : هذه خدمة جليلة والحاجة اليها ماسة

— سافر امين افندي ريحاني من سوريا قاصداً عاصمة الانكليز لتمثيل روايتهِ « مقتل علي بن ابي طالب » وقد فرغ من تنسيق مشاهدها وافراغها بقالب انكليزي شائق . فاقامت له جريدة « البرق » البيروتية حفلة ادبية في ملعب « زهرة سوريا » خطب فيها بشاره افندي الخوري صاحب « البرق » والشيخ اسكندر العازار وجرجي افندي عطيه صاحب « المراقب » والشيخ ابرهيم منذر . نتمنى للريحاني سفراً سعيداً وتوفيقاً في نشر آداب العرب في بلاد الغرب ولا شك في ان روايته ستصادف الاقبال الذي صادفته ترجمته لرباعيات ابي العلا المعري　　مخبر

من والى القراء

جاءتنا كتب عديدة من مصر وسوريا بين منظوم ومنثور ثناءً على « الزهور » وخطتها وتهنئة لها بوفود الربيع موسمها . فنشكر للادباء رقة شعورهم ونطلب منهم المعذرة على عدم اثبات كتاباتهم وابياتهم بهذا الموضوع

وجاءنا بامضاء « زهره » ان لكل الناس يوماً او اسبوعاً يعيدون فيهِ ولكن « للزهور » فصلاً كاملاً هو عيدٌ لها

وكتب الينا ظريفٌ من البحيرة يقول : «خوفاً من ان تتحقق احلام الفلكيين ويقضي علينا مذنب هالي اسرعتُ في ارسال قيمة الاشتراك لئلاَّ أُطالب بها في الآخرة » وجاءنا من السودان شيءٌ بهذا المعنى

الرجا من المراسلين الذين يوالون المجلة باخبارهم الادبية ان يتكرموا بارسال كتاباتهم قبل نهاية الشهر بعشرة ايام على الاقل وإلاّ اضطررنا الى تأجيلها

طلب منا بعض القراء فتح باب للسؤال والجواب . وهو باب مفتوح من طبيعتهِ . لاننا جعلنا هذه المجلة رابطة بين كتابنا وقرائهم وواسطة للتراسل بين الادباء ، على شرط ان لا يخرج موضوع البحث من موضوع المجلة

لم ترد كتابات عديدة في السباقين النثري والشعري الذين اقترحنا موضوعهما في العدد الاول وسنعلن النتيجة قريباً

حلّ فصل الصيف وفيه يسافر عدد كبير من القراء فالامل ان يرسلوا لنا عنوانهم الجديد لترسل اليهم المجلة

سألنا كثيرون عن كيفية دفع الاشتراك فنفضل ارساله تحويلاً على بوستة مصر

***

وعدنا باصدار عدد خصوصي كبير في كل سنة وقد قرب موعد صدوره . ففاوضنا الكتاب الافاضل الذين يساعدون في تحرير هذه المجلة بشأن الموضوع الذي يتناوله هذا العدد . ففضل السواد الاعظم منهم طرح الامر على جمهور القراء ليختاروا هم الموضوع الذي يرتاحون اليه زيادةً في الفائدة . وها نحن فاعلون . فرجا من اصدقاء « الزهور » أن يرسلوا الينا اقتراحاتهم باقرب وقت لإعداد المعدات اللازمة



الجزء الخامس		اول يوليو (تموز) ١٩١٠		السنة الاولى

النهضة الادبية في العراق

وعدنا عند انشاء هذه المجلة ان نجعلها رابطة تعارف بين ادباء الاقطار العربية وبينا فائدة ذلك في حينه . فان الادباء في مصر والشام يعرفون شيئاً عن بعضهم بعض ولكنهم يكادون يجهلون كل شيء عن زملائهم في العراق وسائر بلاد العرب. ونحن نزف الى القراء اليوم هذه المقالة الشائقة التي اتحفنا بها اديب من ادباء بغداد الذين يشار اليهم بالبنان وفيها الفوائد الجمة عن النهضة الادبية في هاتيك الانحاء وسيوافينا مراسلونا العديدون في كل بلاد عربية بكل ما تهم معرفته في هذا الشأن:

كلٌ من يطالع تاريخ اللغة العربية يتحقق امراً وهو ان هذه اللغة لم تبلغ اوجها الا في عصر العباسيين السعيد ، ثم اخذت بعد ذلك بالانحطاط والهوي شيئاً فشيئاً عند تقلص ظل هذه الدولة الجليلة حتى افضت الى دركٍ ليس وراءه درك . فاخذت حينئذ بالخمود او الجمود . ثم انتقلت الى التقهقر

فالعراق كان من اجل البلاد العربية التي نمت فيها اللغة الفصيحة وسارت فيها سيراً حثيثاً . وفي دياره برّز اولئك العلماء النوابغ اي الكوفيون والبصريون . وفي هذين المصرين قام اكتب الكتاب واشعر الشعراء وابلغ

البلغاء واخطب الخطباء . امـا اليوم فقد تبدّلت الاحوال . ولم يبقَ من هذه البلاد . الا الاسمآء دون الرجال

اما الخيام فانها كخيامهم　　واری رجال الحي غير رجاله

على ان الضربة التي قضت على العراق لم يكن سببها مقصوراً على انحطاط دولة العباسيين فقط كما يتوهمه اغلب الناس . بل زادها هولاً قتل ذوي العلم وذبحهم ذبحاً عن بكرة ابيهم وذلك بعد انقراض دولة بني العباس بقرن ونصف قرن . وهو ما استأصل كل الاستئصال عروق العلم ومنابتهُ فانقطع حينئذ متصل حبل التعليم والتدريس والاخـذ والتلقي والتلقين والتأليف والتصنيف ، ثم افنآء الكتب والاسفار بالاحراق والاغراق في ام العراق ، على وجه شنيع وهذا كله في النائبة الاخيرة التي نزلت بها على يد تيمورلنك في ١٠ تموز سنـة ١٤٠١ للمسيح وتبع بغداد في الرزية ، وقاسمها البليـة البصرة والحلة وسائر مدن العراق الكبرى المشهورة يومئذٍ

ان الرزية لا رزية بعـدها　　فقدان كل اخٍ كضؤ الكوكب

فهذه الرزية العظمى التي لم يقع مثلها في سائر البلاد العربية كالديار الشامية والمصرية والمغربية وغيرهـا هي التي اسكتت نامة العلماء والشعراء والكتاب ردحاً من الزمن ولذا لم يسمع فيه صوت عربي فصيح في العراق كله وساد الجهل في العراق في كل المدة التي ملك فيها بنو تيمور الى ان انتقلت البلاد الى ايدي آل عثمان فاستقرت بيدهم سنـة ١٠٤٨ م، فاخذ الناس حينئذ يتنفسون الصعداء ، مما دهمهم من البرحـاء بدون ان يخافوا رقيباً او جاسوساً

وفي تلك السنة رجع الآلوسيون الى وطنهم بغداد قادمين من جزيرة آلوس مسقط رأس عميدهم الاول وموئلهم في المخاوف والمهالك . وكانوا قد انهزموا اليها في مذبحة تيمورلنك . فلما رجعوا عاد ضياء العلم والادب الى منبعثه ومصدره وحينئذ اخذ العلماء يتواردون من كل واد ونـاد متأثرين الآلوسيين العلماء العظام . فنهم من جاء من ناحية الموصل ومنهم من هبط من ديار الشام ومنهم من أقبل من اقطار مِصر وغيرهم من غيرها

على ان علم العلماء لم يتعدَّ الجوامع والمساجد والكتاتيب . اما تدوينه في الكتب فان العادة كانت قد ضعفت في اصحابهـا ولهذا لا ترى شعراً او اثراً مذكوراً يرتقي الى ذلك العهد

وانما بدأ عهد التأليف ونظم الشعر وقرضه في ايام داود باشا الكبير والوزير الخطير . فانه كان عالماً جليلاً فضلاً عما كان قد امتاز به من الحنكة والدربة في السياسة اذ كان فيها داهية من الدواهي . فهو اذاً الذي انهض همة الكتبة والعلماء والشعراء ، وايقظ فيهم ملكة الادب التي كانت قد خملت فيهم ، وهو الذي حث اهل العلم والفضل والادب على جمع الكتب والمكاتب فعمر لها الخزائن ونظم المدارس وانشأ المساجد والجوامع الى غير ذلك من الاعمال العالية التي تذكرنا مآثر هارون الرشيد او جلائل المأمون

وُلد داود باشا الكبير في نحو سنة ١١٨٨ هـ (= ١٧٧٤ م) في بلاد الكرج وجاء بغداد وكان مملوكاً نصرانياً عمره ١١ سنة جاء به احد النخاسين الى بغداد فاشتراه منه مصطفى بك الربيعي . ثم باعهُ لسليمان باشـا والي بغداد فربّاه احسن تربية وعلمه القرآن ودرّسه العلوم والفنون المشهورة في

ذلك العصر . ولما بلغ عمره ٢٧ سنة اتخذه وليه امين خزنته (خزنداراً) ثم ما زال يتقدم والنجاح حليفه حتى صار والياً على بغداد في ٥ ربيع الثاني سنة١٢٣٢ هـ (= ٢٢ شباط سنة١٨١٧ م) وفي سنة١٢٤٧ هـ (= ١٨٣١م) أكره على السفر الى الاستانة فاقام فيها الى سنة ١٢٦٠ هـ (= ١٨٤٤ م) فأرسله في تلك السنة السلطان عبد المجيد ليكون « شيخ الحرم » فأقام في المدينة يدرس ويعلم الى ان توفي سنة ١٢٦٧ هـ . (= ١٨٥١ م) الا انه لم يؤلف كتاباً سمعنا به

ففي عهد ولاية هذا الوزير الكبير اشتهر شعراؤنا الاولون بعد تلك الفترة الادبية المديدة . واغلب هؤلاء الشعراء غنوا مكارم هذا النابغة نابغة السياسة والعلم وقد نسجوا كلهم على المنوال القديم

فمنهم المُلاَّ جواد البصير . ومن قصيدة له في الوزير المذكور :

بشرى لمن اشرقت في الكون طلعته　　وازهرت في رياض الارض غرته
وبلبل البشر والاقبال حين اتى　　غنى واغنت عن الاقيان نغمته

وفي القصيدة ١٩ بيتاً . . . ومنهم الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر وقال :

انار الدهر وابتهج الوجود　　واقبلت المسرة والسعود
وجاء الحق متضحاً فزاغت　　اباطلهم فهم فيها أُبيدوا

وممن اشتهر بحسن نظمه وتنسيق كلمه صالح التميمي وله اشعار كثيرة وهو الذي انكر على داود باشا ان يقرّظ قصيدة المعلم بطرس كرامه قائلاً انه لا يجوز له ان يقرظ شعراً تنصر ثم انشد :

عهدناك تعفو عن مسيء تعذّرا　　ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

وهل من مسيحي فصيح نعده اذا اينع الشعر الفصيح واثمرا

عداه شبيب والا خصّ وفاته من الزندوالقيصوم ما كان ازهرا

فأجابه بطرس كرامه بقصيدة رنانة كان لها دوي بعيد في صدور الادباء والشعراء استهلالها :

لكل امرىءٍ شأن تباركـَ من برى وخصّ بما قدشاء كلاً من الورى

ولو شآء كان الناس امةً واحد ولم تلقَ يوماً بينهم قط منكرا

فلا يفتخر مرءٌ بعجبٍ يناله تلاداً اذا عن طارف المجد قصرا

ومن شعراء عراقنا الملا عبد الحميد رحبي زاده . والحاج محمد . والسيد حسين ابن السيد سليمان الحلي . وعبد الله افندي البصري . والملا حسين ابن ابرهيم جاوش . وعلي بن امين الشيخلي . ومحمد يس بيك ابن امين بك الموصلي . والشاعر عبد الحميد . ودرويش محمد مصاحب . والحاج صالح اغا عبد الجليل زاده . والملا خليل افندى بكتـاش زاده . والسيد الملا خميس الموصلي . وحسن بن علي العـاملي الفتوني . والملا عبود البصري . ومحمد بن عبد الله الموصلي . ومسعود ابن الوزري . والشيخ عثمان بن سند البصري . والسيد عمر بن رمضان الهيتي . والشاعر الشهير عبد الباقي العمري الموصلي . . . والظاهر ان الوزير داود باشا الف كتاباً هو شرح كتاب لان المغربي احد شعراء بغداد قال فيه يومئذٍ :

شرحٌ تضوع عرفهُ بنضـارةٍ يسبي العقول بنسجه الفتانِ

وحوى مؤلفه العلوم مؤسساً اوضاعها بمصادر الاتقانِ

فكأنه في وقته لكماله بدرٌ يشاركه بكل سنان

صدرُ الصدور وقدوة العلماء مَن　　هو مقصدٌ للوارد اللهفانِ

ومن كواكب تلك الثريا : سالم بك ابن عبدي باشا والي الموصل . والحاج محمد سعيد الجوادي . ومحمد زين الدين الحسني . والشيخ حسن البرزنجي . وباقي افندي العمري . والسيد راضي القزويني . والسيد عبد الغفار الاخرس . وتعداد هؤلاء الشعراء يطول . الا ان يُرصد لكل شاعرٍ ترجمة او لكل بيت اشتهر ابناؤه بالعلم والادب والشعر مقالة فحينئذ يكون قد تم بعض الغرض

وبالجملة يقال ان شعراء العراق اكثر عدداً من شعراء ديار الشام ومصر في هذه الحقبة الاخيرة الا انهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء لاسباب منها : ١ً قلة وسائط الطبع في العراق لعدم اختلاط اهله بالافرنج ــ ٢ً لبعد موقعه عن ديار اهل الجد والسعي ــ ٣ً لان روح الاستبداد في هذه العقود الاخيرة كان قد اطفأ جذوة كل همة وحاول اتلاف كل محترف بالادب او معان له ــ ٤ً ان عدم نشر دواوين اولئك الشعراء او قصائدهم أقعد همة كثيرين عن المجاراة والمسابقة فاضرَّ ذلك بالادب والادباء والشعر والشعراء. وهناك غير هذه الاسباب . . .

ومما يلاحظه كل من يريد ان يتتبع آثار النهضة العلمية والادبية في العراق هو :

١ً ــ ان الشعراء على كثرتهم وتكاثف جمعهم ليس فيهم من يستحق ان يقال عنه انه نبغ في الشعر للسببِ الذي ذكرناه وهو انهم نسجوا على منوال من تقدَّمهم من شعراء انحطاط الشعر في متوسط عصور الهجرة

بان انتحلوا أفكارهم وتصاويرهم وأقوالهم، بل ربما قصائدهم باسرها . ولهذا لم يأتونا بشيءٍ طريف أو ظريف . فلم يمتازوا عنهم بامر يذكر . اللهمّ الا اثنان وهما جميل صدقي افندي الزهاويّ ومعروف افندي الرصافي . وكلاهما حيّ وهما من نوابغ الشعراء العصريين في عهدنا هـذا بل في مقدمتهم . فان شعرهما من احسن ما جاءَ في وقتنا من اي جهة اعتبرته ومن أي موقف وقفت فيه لتنظر الى محاسنه

٢ً — ان العلماء والادباء والكتبة الذين يستحقون ان يطلق عليهم مثل هذه الالفاظ يعدون على الاصـابع أو قلْ هم منحصرون في آل الآلوسيّ والزهاوي والحيْدَري والسوَيديّ والرحبيّ . وقلما سمعنا بمؤلفات غير ابناء هذه البيوتات

٣ً — انك لا ترى في جميع ما سردناه من الاسماء واحداً من النصارى إن بين الادباء وان بين الشعراء . والسبب هو ان النصارى كانوا دائمـاً قليلين في العراق ولم يزدادوا الاّ في نصف القرن الاخير . ولما جاؤوا الى هذه الاقطار، بعد ذبحهم عن آخرهم في القرن الخامس عشر، كانت غايتهم الاولى البيع والشراء والتجارة وتعلم اللغات الاجنبية كالايطالية والبرتوغالية والانكليزية والهندية سعياً وراء غايتهم . وأما العربيـة فلم يتقنوها لعدم احتياجهم اليهـا في أشغالهم او في وظائف الحكومة بخلاف نصارى ديار الشام ومصر فان اللغة العربية من اللغات التي يرتزق منها من يتقنها

واما نصارى هـذا العهد فقد جروا على آثار من تقدمهم من هجر هذه اللغة الجليلة . واذا كان عندنا اليوم من ينظم الشعر فهو لا يستحق ان

يتَّسم بسمة شاعر او ناظم. او يتسم باسم شوَيعرٍ أو شعرور. فان اصرّ على ان يتصف بصفةٍ سميناه « بناظم بعرُوْر » . وأما من جهة الكتابة والتأليف فان وجد بيننا من يقع عليه هذا الاسم فلا يحق له الا من باب الاعارة او الاستعارة

٤ً — وأما اليهود فهم غير معذورين في تعلم العربية لانهم كانوا دائماً منتشرين انتشار الجراد في العراق كله وبعدد عديد، ولم يمحقوا امحاقاً كلياً. ومع ذلك فلا ترى فيهم من يُحسن كتابة جملة عربية، بل ولا من يتكلم كلاماً يفهمه غير اليهودي لشناعة لفظهم وسوء استعمال الكلم في محالها وكراهية لهجتهم وقلق نَبرتهم

هذا وما ذكرتهُ الى هنا هو نظرة عموم لا نظرة استقصاء. ثم انهُ لا بدَّ لي في الختام من ان اذكر كلمة عن حالة اللغة العربية في يومنا هذا أعني بعد نشر الدستور فاقول :

ان لغة جرائدنا (وهي في بغداد تفوت العشر) لغة في منتهى الركاكة ولا ترى فيها واحدة (وهل سمعتَ كلمة « واحدة » فاحفظها لاني لا اقول اكثر) تنهج نهج العربية الفصيحة او تنحوهُ. ومن أغرب الغرائب ان يقع مثل هذا الامر في بغداد دار الفصحاء والعلماء ونوابغ الكتاب والشعراء في سابق العهد. فاذا تصفحتَ احدى هذه الجرائد واردتَ ان تعرف باي لغة تتكلم، لما اهتديت سبيلاً ولو كنتَ دعيميص الرمل أو خرّيتاً من الخراريت. لانك تساءل نفسك وتقول: لعل صاحب المقال تكلم بالتركية او بالكردية او بالفارسية أو بالهندية أو بالعربية العامية ...

والاصح انه تكلم بكل هذه اللغات معاً . وأما من جهة اللحن في الاعراب فهذا من مزايا جرائد العراق باسرها من الموصل الى البصرة بل ومن مميزاتها الخاصة بها اكثر من غيرها . واما من جهة الافكار فهي لا تزال في الطلق والمخاض . فان شاء الله تولد وتنشأ فيصح ان يقال فيها « احياها الذي أنشأها » أو « أنشأناها خلقاً آخر . » او الاولى « إنا أنشأناهن إنشاء »

بغداد سانسنا

(الزهور) نشكر حضرة الاديب الفاضل المتستر تحت هذا الاسم شكراً وافراً ونثني على ادبه ونرحب بكل ما يتحفنا به عن تلك الربوع التي تجلت فيها لغتنا باجمل مجاليها

ايها الفن

« مرفوعة الى M. E. H. »

ايها الفن ، العظيم بتأثيره ، الغريب باعماله ، السامي بجماله واسراره ، انت شبح من مقدرة المبدع الازلي في نفوس النوابغ المبدعين ، انت روح الله المرفرفة بين قلوب البشر واللانهاية ، انت فكرةٌ مستيقظة في هذا العالم النائم بحراكه ، الجامد بسيره

باصابعك الخفية تتناول العناصر وتكوّن منها صوراً واشباحاً واجساماً وانغاماً تبقى ببقاء الزمن وتظل جميلة الى النهاية . . .

ان العدم يصير وجوداً عند ما يمرُّ امامك ، واللاشيء يصبح شيئاً اذ يلامس اطراف اذيالك ، والموت ينقلب حياة بوقوفه لديك . جميع الاصوات

والالوان والخطوط ، وجميع العناصر والارواح والخيالات ، وكل ما تحدثه الطبيعة بحراكها والانسان بكيانه يستسلم الى مشيئتك ويتكون بكيانك ويتمايل مع اميالك

انت تلامس الزمن ، فيتحجر الزمن ، وينقلب تماثيل منتصبة امام وجه الابدية . انت تتنفس في الهواء ، فينسكب الهواء خمرة علوية من بين شفاه المغنين واصابع الموقعين . انت ترتعش بين دقائق النور ، فيسيل النور مع الحبر على اوجه الاسفار والكتب . انت تتناول اشعة الشفق ، والوان قوس القزح ، وتبتدع منهـا صوراً ورسوماً . انت تطأ باقدامك الصخور فترتفع الصخور معابد ومساجد وهيا كل خالدة بخلود الدين

امام عرشك تظل الاجيـال واقفة مستيقظة مترنمة ، فما مضى منها يبقى حاضراً بحضورك ، وما سيأتي منها يطوف الان مرفرفاً حول اذيالك

ان مجد الامم يبقى ما بقيت ، ويذهب ان ذهبت ، لانك من حياة الامم بمقام القلوب من الاجساد : فمصر وآشور وفارس لم يتعالينَ الى السماء الاّ بقربك وما انحدرن الى الهاوية الاّ لبعادك ، واغريقيا وروميه وبيزنطيا لم يعانقن النور الا في ظلالك ، وماهجمن بين لحف الظلام الا لهجرانك — واليوم قد درست الاجيال امجاد تلك الامم وجبروتها لكنها لم تستطع ان تمحو آثار اقدامك عن آثارها ، ولم تقدر ان تمزق بقـايا النقاب السحري الذي القيته على بقاياها ، فالسائر على ضفة النيل يرى اشباحك حائمة بين القصور والهيا كل ، والواقف على الاكروبليس [1] يشاهد شعلات انفاسك

---

(١) Acropole قلعة في اثينا وهي بما فيها من الهيا كل الفخيمة من اجمل الآثار

طائفة فوق الاعمدة والاصنـام ، والناظر الى جدران الخرائب في سبارطا وتدمر وبعلبك ، يقرأ مطالع الموشحات واذيال القصائد التي خطتها انامللك

اذا كان التاريخ مرآة العصور فانت اليد التي جلَت وصقلت اديم تلك المرآة، وان كان العلم سلماً يرفع الانسان الى ما وراء الكواكب فانت العزم الذي يبني ويبقي درجات ذلك السلم . وان كان الدين شعر الحياة ، فانت الوزن الذي يجعل لذلك الشعر رنـة في الصدور ، ونغمة في القلوب

أيها الفن الغريب باسراره ، العجيب بخفاياه ، القوي برقته ، الفاتن بهوله ومهابته ، كيف نصفك وبماذا نشبهك ، وانت روح الوصف وعلّة التشبيه . هل ندعوك عاطفـةً ؟ وانت مولد العواطف والاحساس . ام ندعوك قوة ؟ وانت مظهر القوات والعزائم . نحن نرى مجدك بعيون قلوبنا الشاخصة ، ونسمع اناشيدك بآذان نفوسنا المصغية . ونلثم اطراف اذيالك بشفاه ارواحنا المرتعشة . ولكننا لا نستطيع ان نخطّ حرفاً من حروف اسمك حتى تلامس اصابعنا اصابعك ، ولا نقدر ان نتكلم عن جمالك الا اذا غمست السنتنا بخمرة جمـالك ، فانت بنفسك مظهر لنفسك ، ونحن بقوة الحب الذي وضعته في اعماقنا نقترب من محبة القوة التي وضعها الله في اعماقك

اجعلني ايها الفن خادماً من خدامك المتسلطين على الحياة . وصيرني جندياً من جنودك المنتصرين على الدهور ، ودع حريتي تُستعبد لمشيئتك، والمس نفسي بشعاعك لعلها تقترب من مبدعها ومبدعك

باريس　　　　جبران خليل جبران

في جنائن الغرب

« سويفت » كاتب انكليزي اشتهر بكتابة « رحلات جُلّفر » وبينهاو بين اسفار السندباد البحري بعض المشابهة . وقد اودعها حكماً وابحاثاً عمرانية في قالب فكاهي لذيذ . ويتضمن هـذا الكتاب خبر رحلته الى « ليليبُت » وهي بلاد لا يزيد طول الواحد من سكانها — على ما يزعم — عن اصبعين ، وخبر رحلة الى بلاد « بربدنجناج » التي يسكنها المردة العظام . وقد نشر هـذه الرحلات باللغة العربية حضرة البارع عبد الفتاح صبري بك وكيل المدرسة السعيدية . ونحن نقتطف اليوم شيئاً عن الرحلة الاولى وما شاهد فيها من صغر السكان :

رحلة جُلِّفر الى ليليبُت

(بعد نزولي الى الشاطئ وانتشار خبري في المملكة) حضر سفير عظيم الشأن من بلاط جلالة ملكهم ، فتسلق على اكتاف حجابه حتى وصل الى اخمصي ، وأقبل يمشي نحو رأسي فقطع المسافة في اكثر من ربع ساعة . . . وألقى خطبة لبث فيها اكثر من عشر دقائق كان في أثنائها يشير الى جهة بعيدة علمت بعد ذلك انها عاصمة هاتيك البلاد ، وان الامر قد قرّ على نقلي اليها . . .

ويظهر انهم حالما علموا بوجودي وأنا نائم اوفدوا بريداً الى جلالة الملك ليبلغه ذلك الحادث الجلل فأصـدر أمراً بشد وثاقي وصنع مركبة تحملني الى العاصمة

(فاشتغل مئات من النجارين بصنع مركبة عظيمة تُحمل عليها وجرّها الى

العاصمة الف وخمسمئة جواد ولما وصل اليها طلب منه الملك ان يسمح للمفتشين بتفتيشه)

فأطعت أمره وادخلت رجلين في جيوبي واحداً بعد الآخر فكتبا محضراً بكل الموجودات وهذا نصه ·

١ - قطعة قماش كبيرة للغاية تصلح لان تكون بساطاً جميلاً في حجرة الاستقبال الكبرى بالقصر الملكي

٢ — صندوق عظيم من اللجين مغطى بغطاء من نفس هذا المعدن النفيس لم نقدر على حمله فطلبنا من « الرجل — الجبل » فتحه ونزلنا فيه فوجدناه مملوءًا بأكوام من التراب ، هبَّ هباؤها في الهواء عند دخولنا فجعلتنا نعطس عطساً شديداً مؤلماً

٣ — اضبارة هائلة مطوية على بعضها وفي طول ثلاثة رجال كانت مربوطة بجنزير طويل

٤ — آلة عظيمة مركب في ظهرها عشرون عموداً بطول الاعمدة القائمة في فناء القصر الملكي يحتمل ان يستعملها في ترجيل شعره · · · · · ·

٨ — جنزير عظيم من الفضة معلق باحدى جيوبه وفي نهايته آلة عظيمة ، نصفها من الفضة ، والنصف الاخر من مادة شفافة ظهر لنا من ورائها رموز غريبة ، فمددنا يدنا لجسها فحالت دون ذلك تلك المادة · ثم ادنى هذه الآلة من اذاننا فسمعنا دوياً كدوي الساقية او الطاحون · ولا ندري اذا كانت حيواناً او الهاً يعبد ، لانه قال لنا انه لا يعمل عملاً دون ان ينظر اليها فانها هي التي تحدد اوقات جميع اعماله

(وقد نشبت حرب اثناء وجوده هناك بين ملك هذه الجزيرة وملك الجزيرة المجاورة فلعب صاحبنا دوراً خطيراً واليك تفصيل الخبر كما رواه) :

اخذتُ منظاري وصوبته نحو الجزيرة فوجدت على شاطئها اسطولاً عظيماً مركباً من خمسين سفينة حربية مدرعة تنتهز هبوب الريح الموافقة حتى ترفع مراسيها وتقلع نحو بلادنا . فاستدعيت مهرة الملاحين وعلمت منهم ان البحر لا يزيد على ثمانية اقدام في اعمق جهاته فطلبت ان يصنع لي خمسون سلسلة وعدد كبير من قضبان الحديد كي اثنيها واجعلها صنانير. ولما جاؤوني بما طلبت غصت في البحر وسبحت حتى بلغت الشاطيء الثاني، وشبكت الصنانير في المدرعات بعد ان ربطتها بالسلاسل وقطعت المراسي، وعدت والاسطول خلفي يمخر في العباب سائراً على شكل نصف دائرة كأنه عرضٌ بحري عظيم

وعند عودتي الى البر وجدتُ الملك والوزراء وجميع ارباب المقامات في انتظاري على أحرّ من الجمر وهم يحسبون الف حساب لدهاء اعدائهم واقتدارهم . ولكنَّ نجمَ سعدهم وصل الى السماك عندما برزتُ من الماء قابضاً على السلاسل . فوثبوا فرحاً وسروراً وقلدني الملك في الحال اكبر وسام

ولكن الملك لم يكفهِ هذا الفوز المبين الذي لم تُرَق فيه قطرة دم ، ولم تحرّك من أجلهِ رجل ، ولم ينفق في سبيله درهم ، بل طلب مني ان انتهز فرصةً اخرى وآتيه ببقية السفن حتى لا يبقى للاعداء حولٌ ولا طول . غير ان مروءتي ابت ان أؤاتيه على هذا البغي والجور وان اكون

العامل على استعباده امة حرة عاشت السنين الطوال تأبى الضيم . فراجعت الملك في الامر ، واقمتُ عليه الحجج الدامغة عن ضروب السياسة وعبر التاريخ ، حتى انحاز اغلب الوزراء الى رأيي عندما طرحت المسألة على المجلس . ولكن الملوك لا يقفُ في سبيل اطماعهم حقٌ ولا انصاف ، فتراهم يستعملون كل الوسائط السافلة الدنيئة لبلوغ غاياتهم الجائرة . وينقمون على من يمحض لهم النصح لغير مأربٍ شخصي او منفعة ذاتية . ولم يخالف هذا الملك تلك السنة الشنعاء بل اضمر لي الشر والوقيعة وشاركه في ذلك عدد من الوزراء لغير ذنبٍ اقترفته سوى خدماتي الصادقة

وبعد ان انقضت هذه الحوادث بثلاثة اسابيع حضر ستة سفراء من قبل حكومة الاعداء ليقرروا عقد الصلح وشروطه . فساعدتهم بكل ما استطعت من قوة الحجة حتى وفقوا الى عقد معاهدة غير شائنة ولا جائرة. فحضروا الى بيتي يوماً في زيارة رسمية ليشكروا حسن صنيعي واكدوا لي ان ملكهم يمتلئ سروراً وفرحاً اذا زرتُ بلاده . فوعدتهم انني سأنتهز اول فرصة للتشرف بالمثول بين يدي مليكهم . على ان ملكنا بات من ذاك الحين يرمقني بعين ملؤها الاغضاء والجفاء ، ولم اعرف لهذه المعاملة سبباً إلاَّ اخيراً حيث تبين لي ان بعض الوزراء وشى بي ونقل حديثي مع سفراء الاعداء . فكان ان حنق عليَّ الملك . وصمم على تعذيبي ان لم يقدر على الفتك بي . فشعرت لاول مرةٍ بمبلغ الوشايات والمكايد التي تنجم عن الاحتكاك ببلاط الملوك

تعريب عبد الفتاح صبري　　　　　سويفت

جرنالوفوبيا وجرنالوفاجيا

« كتبها الدكتور شميل لما كان صحافياً يصدر « الشفاء » منذ ٢٥ سنة »

الاول معناه « الخوف » من الجرائد والثاني « التهامها » — وقد نحت لهما بعضهم اسمين عربيين ، فسمى الاول « الجنفرة » من الجرنال والنفور والثاني « الجبلعة » من « البلع » او « الجأكلة » ايضاً من « الاكل » . وهما مرضان لم يسبق لاحد وصفهما . ومن اعراض الاول ان الواحد اذا ورد له جريدة ملفوفة بادر على الفور الى ردها وكتب على غلافها « مرفوض » او « مرضوض لم مرتب » وهو مرض حميد . ومن اعراض الثاني ان الواحد يقبل الجريدة اذا لم يردها في آخر سنتها ولكنه يلتهم ثمنها ، وهو مرض اشد ضرراً من الاول ، وقال بعض المحققين بل المرضان طوران مختلفان لمرض واحد كالخنازيري والسل ولو كره البرفسور بتر[1] . والحق يقال ان الذنب ليس على هؤلاء وحدهم بل على اصحاب الجرائد ايضاً فانهم هنا خلافاً لاوربا يطرحون جرائدهم على الناس خوفاً من انهم لو

---

(١) البروفسور بتر احد مشاهير الاطباء الكلينيكيين الفرنساويين على عهد اول اكتشاف المكروب . فكان اذا كررت عليه لفظة مكروب ثلاث مرات يكاد يغمى عليه . وقد رد ذات يوم على من زعم ان الخنازيري والسل مرض واحد بحجة ان الباشلس الضمي يلتقي في كليهما بقوله « لو اتاك فلاح واهدى اليك تفاحة وكمثراة وانت قلت له انهما ثمر واحد بحجة ان قاعدتهما الحامض التفاحيك لما وسعه الا ان يجيبك بقوله : مع كل احترامي لعلمك ياسيدي العالم لا اصدق الا انهما ثمرتان مختلفتان . اه

حذوا حذو اهل اوربا ولم يرسلوا الجريدة الاَّ لمن يطلبها ويدفع ثمنها سلفاً لربما لم يجدوا مشتركاً — فها نحن قد وصفنا الداء فعلى الطبيب الحاذق ان يصف الدواء —

شبلي شميل

في حدائق العرب

حرب البسوس

كانت العرب تقول في امثالها « أشأم من البسوس » لان هـذه المرأة كانت سبباً في نشوب حرب طاحنة بين القبائل . وتفصيل الخبر ان البسوس هـذه نزلت على ابن اختها جساس بن مُرّة ، فكانت جارة له ، ومعها ابنٌ لها وناقة خوارة مع فصيلها ، واسم الناقة سراب . وقيل ان الناقة لرجلٍ من بني جرْم نزل بالبسوس . فخرج كليب (زوج جليلة أخت جساس) يوماً يتعهد الابل ومراعيها ، فأتاها وتردد فيها . وكانت ابله وابل جساس مختلطة ، فنظر كليب الى سراب فأنكرها . فقال له جساس وكان معه : « هذه ناقة جارنا الجرمي »

فقال : لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى

فقال جساس : لا ترعى ابلي مرعىً إلاَّ وهذه معها

فقال كليب : لئن عادت ، لا ضعنَّ سهمي في ضرعها

فقال جساس : لئن وضعتَ سهمك في ضرعها ، لأَضعنَّ سنان رمحي في صلبك . . . ثم افترقا

وقال كليب لامرأته : أترين أن في العرب رجلاً مانعاًمني جاره ..؟ فقالت : لا أعلمه الا أخي جساساً .. فحدثها بالحديث . وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحيّ منعته وناشدته الله ألاّ يقطع رَحِمَهُ ، وكانت تنهي أخاها جساساً ان يسرّح ابله

وكان كليب ذا زهو شديد لما هو فيه من العز وانقياد القبائل له ، حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى ، واذا جلس لا يمر أحد بين يديه اجلالاً . ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن تغلبي ولا بكريٌّ يجيرُ رجلاً او يحمي حمىً إلاّ بامره . وكان هو يجير على الدهر فلا تخفر ذمته . ويقول : وحش ارض كذا في جواري فلا يهاج . وكان يحمي الصيد فيقول : صيد ناحية كذا في جواري ... فلا يصيب أحدٌ منه شيئاً. وكان قد حمى حمىً لا يطأه انسان ولا بهيمة ، فدخل فيه يوماً فطارت قبّرةٌ من على بيضها فقال لها من ابيات :

لا ترهبي خوفاً ولا تستنكري　　قد ذهب الصيادُ عنكِ فابشري
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري　　فانت جاري من صروف الحذَرِ

واتفق ان كليباً بعد خلافهِ مع جساس خرج الى الحمى فوجد بيض القبّرة قد وطئتها سراب ناقة البسوس فكسرتها ، فغضب وأمر غلامه ان: ارمِ ضرعها .... فخرقه بسهمٍ وقتل فصيلها . وولت سراب ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها . فلما رأت البسوس ما اصاب الناقة ، ضربت وجهها وانتزعت خمارها وصاحت : واذلاه .. !

فقال لها جساس : اسكتي . فلكِ بناقتك ناقة اعظم منها . فابت ان

ترضى . ولما كان الليل ، انشأت تقول ، وهي تخاطب سعداً اخا جساس ، وترفع صوتها لتُسمعَ جساساً :

أيا سعدُ لاتغرر بنفسكِ واحترز ... فانيَ في قومٍ عن الجارِ امواتِ
ودونك اذوادي اليكَ فانني ... محاذرةٌ ان يغدروا ببنيَّاتي
لعمركَ لو اصبحتَ في دار منقرٍ ... لما ضيم سعدٌ وهو جارٌ لابياتي
ولكنني اصبحتُ في دار معشرٍ ... متى يعدُ فيهاالذئبُ يعدُ على شاتي

(وسمّت العرب ابياتها هذه الموثبات) . فقال لها جساس : اسكتي. اني سأقتل جملاً اعظم من هذه الناقة . سأقتل علالاً ... وكان علال فحل ابل كليب . وقد اراد جساس بهذا القول كليباً نفسه

ثم ان جساساً مكث يتندّسُ الخبر عن كليب حتى بلغه ذات يوم انه خرج وليس معه سلاحهُ فتبعه وصرخ به : يا كليب الرمح وراءك ..!

وكان كليب لا يلتفت وراءه من الكبر فقال : ان كنتَ صادقاً فاقبل اليَّ من امامي ... ولم يلتفت اليه فطعنه جساس فارداه . ثم اجتزَّ رأسه

ولما عاد الى الديار سأله مرَّة : ما وراءك يابني ؟

قال : طعنتُ طعنةً لتشغلنَّ شيوخ وائل رقصاً . . . قال : اقتلتَ كليباً .. ؟ فاجاب : اي وأنصابِ وائل ايٌ قتل ...

فقال ابوه : اذن نسلمك بجريرتك ، ونريق دمك في صلاحِ العشيرة ، فلا انا منك ولا انتَ مني . فواللهِ لبئس ما فعلت . فرّقت جماعتك ، واطلتَ حربها ،

وكان همام أخو جساس القاتل ينادم في ذلك الوقت المهلهل [1] أخا كليب المقتول ويعاقر معه الخمرة فجاءته جارية تخبره الخبر. فقال له المهلهل: ما قالت لك الجارية . . ؟ وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً . فذكر له ما قالت الجارية فقال المهلهل : « اليوم خمر وغداً أمر » فشرب همام وهو خائف حَذِرٌ ولما سكر رفيقه عاد الى قومه وتأهبوا للقتال

أما المهلهل فانه رجع الى الحي فرأى القوم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم، فقال : ويحكم ما الذي دهاكم ؟ لقد ذهبتم شرَّ مذهب . أتعقرون خيولكم حين احتجتم اليها ، وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم اليه ؟

ولما اصبح المهلهل غدا الى أخيه فدفنه وقام على قبره يرثيه (من أبيات) :

دعوتك يا كليبُ فلم تجبني　　وكيف يجيبني البلدُ القفارُ
سقاك الغيثُ انكَ كنتَ غيثاً　　ويسراً حين يُلتمس اليسارُ
خذِ العهدَ الأَكيدَ عليَّ عمري　　بتركي كلَّ ما حوتِ الديارُ

---

(١) هو ابو ليلى عدي بن ربيعة ولقب مهلهلاً لانهُ أول من هلهل نسج الشعر أي ارقهُ . وقيل لانهُ هو المنشد :

لما توغل في الكراع هجينهم　　هلهلتُ اثأرُ مالكاً او صنبلاً

هلهلت أي رجّعت الصوت . وكان المهلهل في اول امره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء فسماه اخوه كليب زير النساء أي الذي يميل الى محادثة النساء لغير شرّ على نوع ما يسميه الافرنج Flirt

وهجري الغانياتِ وشربَ كأسٍ　　ولبسي جبـة لا تستعارُ
ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي　　الى أن يخلعَ الليلَ النهارُ
وإلا ان تبيـدَ سراةُ بكـرٍ　　فلا يبقى لها أبداً أثارُ

ثمَّ جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ،وهجر اللهو ، وحرَّم على نفسه الشراب . وأرسل رهطاً من أشراف قومه وذوي اسنانهم ، فأتوا مُرَّة وهو في نادي قومه . فقالوا له :

« انكم أتيتم أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بناب من الابل ، وقطعتم الرَّحِم وانتهكتم الحرمة بيننا وبينكم : وانّا نعرض عليـك خلالاً أربعاً ، لك فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع . إما ان تحيي لنا كليباً ، أو تدفع الينا قاتله جساساً فنقتله به ، أو هماماً فانه كفوءٌ له ، أو تمكنّا من نفسك فان فيك وفاءً لدمه »

فقال لهم مُرَّة : « أما إحيائي كليباً فلست قادراً عليه . وأما دفعي جساساً اليكم ، فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدري أيَّ بلادٍ قصد . وأما همام فانه ابو عشرة واخو عشرة وعمّ عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره . أما أنا فما هو الا ان تجول الخيل جولة فاكون اول قتيل بينها ، فلا أتعجل الموت . ولكن لكم عندي خصلتان : أما احداهما ، فهؤلاء ابنائي الباقون فخذوا ايهم شئتم واقتلوه بصاحبكم . وأما الأخرى ، فاني أدفع لكم الف ناقة سود الحدَق حمر الوبر »

فغضب القوم وقالوا : « قد أسأت ببذل هؤلاء ، وتسومنا اللبن من دم كليب » ونشبت الحرب بينهم وظلت اربعين سنة بسبب ناقة

البسوس . وبقي الحرث بن عباد على الحيادة قائلاً : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » فذهبت مثلاً . وكان مقتل كليب سنة ٤٩٤ للمسيح

من القفص الى العش

في قفصها الجميل ، كانت الحمامة الاسيرة تنوح وتحنُّ الى الحرية . .

ترى امامها الفضاء فسيحاً ، فتحاول الطيران ، فتهشم جناحيها اللطيفين على الحواجز الصلبة ، فيضيق بها رحب الفضاء . . .

تسمع اخواتها صادحاتٍ على الافنان ضحىً واصيلاً ، وهي قُضي عليها ان تئن وتنوح بين قضبان الحديد . . .

ترى الحدائق الغناء والرياض الخضراء والمياه المتسلسلة والجبال الشاهقة والاودية الظليلة ، فتتزايد اشجانها وتتضاعف احزانها لدى جمال الطبيعة كأنه خلق ليتمتع به سواها

هذه هي حالة المرأة الشرقية في امسها

***

يدٌ شفيقة حركها عامل الرحمة ، ففتحت باب القفص وافرجت عن السجينة المسكينة . . . طارت الحمامة الى الشجرة ، فنفضت ريشها وعادت اليها الحياة : غنت لمرأى الزهرة في الوادي ، وهدلت مع هدير النهر المتدفق من الجبل . وقد زقزقت لخلاصها العصافير وغردت لنجاتها الطيور

تنشقت الحمامة من هواء الحرية ما شاءت ، ثم صفقت بجناحيها

ومخرت في الهواء وحلقت في الفضاء

خاف عليها منقذها من توغلها في العلى ، وخشي ان يأخذها الدوار من التحليق في الطيران ، فيرمي بها من شاهق مهشمة الجناحين على الحضيض . فتعود عليها هذه الحرية بشرّ بلية

سبحت الحمامة في الاثير حتى استطلعت خفايا العالمين الادنى والاعلى ، ثم اخذت تنحدر حتى هبطت عشها ، فانتعشت بحرارته المنعشة واستكنّت به حاضنة فراخها المطلّقة

هذه هي حالة المرأة الشرقية في يومها

***

لو أُتيح لهذه الحمامة ان تعبّر لنا عما خالج قلبها الخفوق من العواطف بعد اطلاقها من اسرها ، لفاق تعبيرها وصف ابلغ الشعراء العالمين بخفايا الصدور الواقفين على نبضات القلوب . اما وقد تم لك ذلك ايها القارىء على لسان « فريده هانم » تلك الحمامة الناطقة فاسمع تغريدها واصغ الى شجي غنائها بعد ان كسر الدستور قيودها وحل وثاقها :

« ما الطف الطيران ! . . . وما الطف التحليق في الفضاء ! . . . طيري ايتها الحمامة وحلقي صاعدة في سماء اللانهاية

« طيري الى الاعالي . ففي الاعالي لا يُخشى على جناحك من التهشيم . وفي الاعالي تميزين الاشياء احسن تمييز

« هذه الابراج العزيزة ، الابراج الرفيعة ، الابراج البيضاء . هذه هي في بلادي

« هذه المنازل والاكواخ ، هذه السهول والجبال ، هذه البحيرات المتموجة الصافية ، هذه الالوان الناصعة الزاهية ، هذا الضياء الساطع ، هذا النور اللامع ، هذه انت يا بلادي . فما اجملك وما ابهاكِ ! . . .

« ولكن ، حذراً أيتها الحمامة من الهلاك أفلتِ من قفصك . فانزلي على مهلٍ في عشك

« أنا وجدت عشي هو « العائلة » . فما سوف اكون فيه ؟ سأكون ملكةً فأنظم مملكتي الصغيرة ، وأجملها بألطف الزينات وتحت ادارتي سيكون شعبٌ صغيرٌ ، فأدبر شؤونه واقوده الى غايته بكل سكينة

« اجل ان رحلتي في الهواء قد ولّدت في صدري مثل هذه الاوهام

« عند ما حلقت في الفضاء رأيت كل منزل جزءاً من البلاد . رأيت كل دار مملكة صغيرة تابعة لهذا « الكل » العظيم الذي نسميه « الوطن » ، رأيت كل عائلة قسماً من هذا المجموع الكبير الذي ندعوه « الشعب » أو « الامة »

« أقامتني النواميس الطبيعية والتقاليد الاجتماعية على ادارة المنزل الداخلية ، فأصبح المنزلُ مملكةً لي فيها مصالح أدبرها ، وعقل أقوده ، وصحة احفظها ، واهواء أقاومها ، ومعارف أنشرها

« هذا هو الدور الكبير الذي يجب عليّ ان أمثله في العائلة ، فسأخرج من النطاق الضيق الذي حوصرتُ فيه لأقوم بمهمتي حقّ القيام ، لا لأقلق خواطر أناس يغارون على طهارة العادات ومقام المرأة في الاسلام

« أريد ان امتزج امتزاجاً عقلياً بالعالم الخارجي لاقتبس من معارفه واكتسب من مناظره

« فاطلقوا اذن سراحي وفكوا عقالي وعلموني . . .

« من العائلة يتخذ الوطن رجاله ، ففي العائلة اذن مكانة الشعب ومستقبل البلاد ، وعلى تأثير المرأة في الولد يتوقف مستقبل العائلة العثمانية الكبرى التي تتألف الآن

« فلننتبه الى أنفسنا أيتها النساء اخواتي الساهرات على تلك الرؤوس الصغيرة

« فلننتبه الى تفتيح هذه العواطف كالازهار في تلك القلوب الصغيرة التي تخفق بالقرب من قلوبنا

« بالامس كنا لا ندرك ما يدور في رأس الاخ أو الابن أو الزوج لان حياتهم العقلية والادبية كانت تدور في منطقة غير منطقتنا ،

« فعلينا نحن معشر النساء ان نوجد العائلة : نور واحد ونار واحدة ؟

« والعواطف تترقى بترقي العصور : بالامس كنا زوجات، ووالدات . واليوم صرنا صديقات وأمهات حنونات . . .

« ان ادارة عقل الولد وتكييف قلبه وتهذيب طباعه لما يؤول الى تكوين حياته وحياة البلاد ؛ واذا دفأنا قلبه بحرارة العواطف العائلية كما تدفئ الدجاجة فراخها نكون قد اعددناه لمقاومة عواصف هذه الحياة

« فهيا الى الامام أيتها العائلة الصغيرة : ان الاتفاق قريب ؛ كنتِ حتى الآن تحت سلطة الوالد ؛ ونعم ما كنت عليه لان الاب هو الرأس ؛

ولكن ها أنا ذا مستعدة ايضاً وأنا الأم ، والأم هي القلب . . .

« فان للمرأة في كل عصر من العصور ميزة تميزها وتجعل لها مقاماً كبيراً أو صغيراً في الهيأة الاجتماعية ؛ وبلادنا اليوم ليست بلادنا أمس ، فان أمسنا بعيد عنا بمراحل فيجب ان أتكيف بكيفية جديدة ان أردت ان اجاري عصري هذا ؛ والا فاني أكون طيفَ الماضي في الزمن الحاضر

« ومن مزيج الاستقلال العقلي والتحفظ الذي يعلّمه الدين ستخلق امرأة جديدة تكون الضالة المنشودة والجوهرة المفقودة . . فهيا الى الامام . . . ! الى العلى . . ! »

***

هذه هي النغمات التي وقعتها أوتار قلب تلك الشاعرة الرقيقة ، وهذه هي الانشودة النسائية الجميلة التي دبجتها بالافرنسية يراعة فريدة هانم احببنا ان نتحف بها قراء العربية لما فيها من رقة الشعور وسامي الوجدان

في رياض الشعر

١ — على البحيرة

سل المَها بين إفيانٍ ولوزان [(١)] ماذا فعلنَ بقلبِ المغرمِ العاني
إذْ كنَّ في الفلْكِ كالاقمارِ في فَلَكٍ يُشرفنَ فيه على ألعابِ نيران

(١) Evian و Lausanne مدينتان على بحيرة جنف في سويسرا

فكم من الارضِ سهم للسماء وكم　　سهم تسدَّد لي من تحت اجفانِ
يعلو البحيرةَ من نيرانهـا شررٌ　　كزفرتي حين يجري مدمعي القاني
يذهبنَ بالفُلْكِ ايماناً وميسرةً　　فيها ويطربنَ من توقيع الحانِ
سِربٌ يغنينَ بالافواه مطربة　　وثلةٌ بربابات وعيدانِ
والوُرْقُ في الشاطئ الادنى تجاوبُها　　تبدي افانينَ شدوٍ بين افنانِ

٢ - عيون وعيون

ارجعوا لي يا غيدَ ماريمبادِ (١)　　مهجتي قبل عودتي لبلادي
انني قد شددتُ رحلي واهلي　　في انتظاري فاطلقوا لي فؤادي
ليتني لم أزُرْ حماكم فاني　　في هواكم اضعتُ كلَّ رشادي
وبراني الضنا فصارتْ ثيابي　　فوق جسمي كمضربٍ ذي عمادِ
واتاني السقامُ من حيث ابغي　　صحةً وانهزمتُ قبلَ الجلادِ
حدَّثوا أنَّ في حماكم عيوناً (٢)　　تذرُ الناس ضامري الاجسادِ
صدقوا انها عيونٌ ولكن　　كُحلتْ منذ خلقها بسوادِ
جنبوني ذكرَ العيونِ فقلبي　　في ارتعاشٍ من فعلها وارتعادِ
فهي كالكهرباء تومي بلحظٍ　　فتدقُّ الاجراس في الاكبادِ

حفني ناصف

---

(١) Marienbad في النمسا مشهورة بمياهها المعدنية

(٢) العيون الحارة التي هناك للاستحمام



حفني بك ناصف

وكيل محكمة طنطا

ومدرّس تاريخ الآداب العربية في الجامعة المصرية

الى الحبيب

في الشهر الغابر ضمَّ مجلسُ طربٍ سعادة شاعر الامير شوقي بك وطائفةً من الادباء . وكان المغني ينشد القصيدة التي مطلعها :

يا ليل الصبّ متى غدهُ   أقيامُ الساعة موعدُه (١)

وكان لها وقعٌ عظيم في النفوس . فطلب أحد الحاضرين من امير الشعر ان ينظم شيئاً على هذا النمط للانشاد . فوعد أن يفعل . ثمَّ زارَه المقترح وذ كّره وعده. فلم يتأخر واملى عليه هذه الابيات المنسجمة عذوبة ورقةً فكانت من نصيب قراء « الزهور »

مضناكَ جفاهُ مرقدهُ   وبكاهُ ورحَّم عوَّدُهُ
حيران القلبِ معذبهُ   مقروحُ الجفنِ مسهَّدُهُ
يستهوي الوُرقَ تأوّهــه   ويذيبُ الصخرَ تنهدُهُ
ويناجي النجمَ ويتبعــهُ   ويقيمُ الليل ويقعدُهُ

---

(١) هذه القصيدة لابن الابّار الذي قتله في تونس سنة ٦٥٨ صاحبها المستنصر ومن ابياتها :

منظوم الخدّ مورده   يكسوني السقم مجرّدُه
شفّاف الدّر له جسدٌ   بابي ما أُودع مجسدُهُ
في وجنتهِ من نعمته   جمرٌ بفؤادي موقدهُ
ولاّه الحسنُ وامّره   واتاه السحرُ يؤيدُهُ
يا من سفكت عيناه دمي   وعلى خديه تورده
سأموتُ غداً او بعدَ غدٍ   هل من نظر أتزودهُ . الخ

وقد دخل على الاصل زيادات كثيرة في الانشاد

ويعلّم كل مطوّقة　　شجناً في الدوح تردّده
كم مدَّ لطيفك من شركٍ　　وتأدَّبَ لا يتصيّده
جحدت عيناكَ زكيَّ دمي　　اكذلك خدُّك يجحده
قد عزَّ شهودي اذ رمتا　　فاشرتُ لخدّكَ أشهده
وهممت بجيدك أشركه　　فابى واستكبر أصيده
وهززت قوامك اعطفهُ　　فنبا وتمنّع املده
سببٌ لرضاكَ أمهّده　　ما بالُ الخصر يعقّده
مولاي وروحي في يده　　قد ضيّعها سلمتْ يده
ناقوس القلب يدقُّ له　　وحنايا الاضلع معبده
حسادي فيه اعذرهم　　واحقُّ بعذري حسّده

احمد شوقي

لوعة وانين

« هذه الابيات لشاعر مصر الكبير لم يسبق نشرها »

انا في يأسٍ وهمٍ وأسى　　حاضرُ اللوعة موصولُ الانينْ
مستهينٌ بالذي لاقيتهُ　　وهو لا يدري بماذا يستهينْ
سوَرٌ عندي له مكتوبةٌ　　ودَّ لو يسري بها الروح الامينْ
انني لا آمنُ الرسلَ ولا　　آمنُ الكتبَ على ما يحتوينْ

حافظ ابراهيم

بين الشعراء

نشرنا اجوبة اربعة على قصيدة عبد الحليم افندي المصري (راجع ص ٥٩ و١٠٧ و١٥٧) وننشر اليوم جواباً خامساً ورد من العالم الجديد :

مصرٌ بنا ضاقت فما حالكم ... في ارضكم يا شعراء الشآمْ ...؟

عبد الحليم

يا بلبلَ الشعرِ عليك السلامْ ... شآمُنا مصرٌ ومصرُ الشآمْ

ما لك بالقطرين من منهلٍ ... ولي وراءَ البحرِ طاب المقامْ

قد قيل ان الشعرَ طيارةٌ ... فاركبْ وطِرْ فوق طباق الغمامْ

فالبدرُ مشتاقٌ لوصّافهِ ... فاقصده واضربْ في حماه الخيامْ

او فاحترفْ غير القريض وقلْ ... « يادولة الشعر عليكِ السلامْ »

(البرازيل) فائز السمعاني اللبناني

الكلمات الاجنبية

في اللغة العربية

ذكرنا في العدد الماضي (ص ١٣٧) طائفةً من الكلمات الفصيحة التي وضعتها لجنة دار العلوم بدلاً من الكلمات العامية أو الدخيلة على اللغة . ولا تزال اللجنة مواليةً العمل في هذا البحث المفيد . واليك تابع ما سبق .

واكثر الكلمات هذه المرة كانت اللجنة مسبوقة اليها كما اشارت هي نفسها الى ذلك في التعليق :

– (اسبتالية) قالت اللجنة : « كان من الممكن ان نجاري المتقدمين في اختيارهم كلمة (بيمارستان) ولكنا رأينا ان كلمة (مستشفى) مع ادائها المعنى تماماً اسهل نطقاً من الكلمة الاولى واكثر دوراناً على الالسنة والاقلام »

ونرى ان كلمة (مستوصف) أولى بالتعبير عن الكلينيك (clinique)

ـ (بوفه : buffet) اختارت اللجنة لهذا المعنى كلمة (مقصف) ـ وقد سبق استعمالها ـ لان معنى القصوف في اللغة الاقامة في الاكل والشرب وهذا هو معنى كلمة بوفه . اما استعمال القصف في اللهو فغير عربي . أما خزانة الطعام والشراب فقد استعمل لها المتقدمون كلمة سُكُرْدان »

ويرى صاحب كتاب « العامي والدخيل » — الذي سيجيء الكلام عنه — استعمال كلمة (مِقلَدَة)

(بريمة tire - bouchon) اختارت لها اللجنة كلمة (بزال) ومعناها في اللغة : حديدة يفتح بها الدنّ . وهو قريب من البريمة الحالية ففي هذا الاطلاق توسع

(تلغراف) استحسنت اللجنة الكلمة المستعملة (برق ورسالة برقية)

وشاع استعمال (برقية) – بحذف الموصوف ـ في الجرائد السورية فهي تقول : وردت برقية من الاستانة . . . بمعنى تلغراف . واستعملت ايضاً الفعل (ابرق) بمعنى ارسل تلغرافاً . وفريق من التجار استعملوا فعل (تيّل) فيقولون : تيّلونا اي جاوبونا تلغرافياً

— (تباشير) الكلمة عربية محرفة وصحيحها (طباشير)

— (دبلوم) اختارت لها اللجنة كلمة (شهادة عاليـة) وقالت : « لم توافق اللجنة على (الشهادة النهائية) ولا على (الشهادة العليا) لان الدبلوم ليست كذلك بل بعدها ما هو أعلى منها . أما (شهادة الحذاقة) التي أشار اليها حضرة الاديب الكامل احمد تيمور بك فربما وضعت بعد لما هو ارقى من تلك الشهادة

— (عفارم) اختارت اللجنة كلمة (مرحى) وهي كلمة تقولها العرب للاصابة في الرمي فيمكن التوسع فيها

— (قومسيون) استنسبت كلمة (لجنة) المستعملة لان معنى اللجنة الجماعة يجتمعون في الامر ويرضونه وذلك معنى القومسيون

***

هذه الالفاظ التي وضعتها اللجنـة أو استنسبت وضعها ونشرتها في هذا الشهر

وقد جاء اعتراض على اللجنة بخصوص بعض ما نشرناه لها من الكلمات في العدد الماضي . فان حضرة الاديب محمد افنـدي الصادق حسين لا يستنسب تعريب (تيب ريتر) بمطبعة الازرار ويفضل تعريبها بآلة الكتابة أو الآلة الكاتبة — كما كنا قد ذكرنا — لان ليس في اللفظة معنى المطبعة بل هي كما جاء في دائرة المعارف « آلة الغرض منها ان تقوم مقام القلم في الكتابة »

ولاحظ ايضاً حضرته على كلمة (خريطة) ان معناها العربي لا يؤدي معنى (الخارطة)

أما الكلمتان (غدان) و(شجاب) اللتان وضعتهما اللجنة للتعليقة أو الشماعة كما ذكرنا ذلك في العدد الماضي (ص ١٤٠) فقد سبق اليهما حضرة المدقق رشيد افندي عطيه منذ ١٢ سنة في كتابه « الدليل الى مرادف العامي والدخيل » المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٨ وذكر هذا المعنى بالتفصيل ص ٦٧ . ونحن نلفت أنظار اللجنة الى هذا المؤلَّف النفيس فانه يقع في ٣٦٠ صفحة وهو مبوّب على طريقة المعاجم ، ولا نشك في انها تجد فيه مساعداً على عملها

ثمرات المطابع

تاريخ الادب وحياة اللغة العربيـة [١] : من اجل الخدم التي قامت بها الجامعة المصرية فتح درس جديد في أدب اللغـة العربية . وهو من الدروس التي كنا لا نزال مفتقرين اليها . فقد تلاقي فينا الكاتب النحرير والشاعر المبرّز ، وتراه يكاد يعجز عن ايراد شيء من تاريخ مشاهير كتابنا الماضين ، وذلك لعدم وجود مؤلَّف جامع يرجع اليه في مثل هذه الاحوال . فيضطر الاديب الى اقتناء ومطالعة مجلدات عديدة ضخمة ، وهذا مالا يتسنى الاَّ للقليلين . بخلاف الافرنج ، فان صغار طلبتهم في المدارس يعرفون اسماء

(١) طبع بمطبعة الجريدة على نفقة الجامعة المصرية وهو يطلب من ادارتها

كتّابهم وشعرائهم مع نبذة من حياتهم ومكانتهم في عالم الادب وقيمة مصنفاتهم الى غير ذلك . حتى ان تاريخ ادب اللغة اصبح من مواد دروسهم الاوليـة . ولذلك تستحق ادارة الجامعة كل ثناء على خدمتها هذه . وقد ساعدها في مهمتها وجود اديب نابغـة في هذا الفن ، يُعدُّ دائرة معارف حيّـة لتاريخ آداب اللغة ، وهو سعادة القانوني حفني بك ناصف وكيل محكمة طنطا . وقد جمع الى تضلعه في القوانين والشرائع مقـدرة فائقة في فني النظم والنثر جعلته في طليعة حملة ألوية الادب في وادي النيل . (راجع رسمه وأبياته في هذا العدد ص ٢١٢)

اسندت اليه ادارة الجامعة تدريس تاريخ ادب اللغة فاسندت هذه المهمة الى خير مسند . وقد ظلّ كل هذه السنة يلقي تلك المحاضرات التي عرف قيمتها كل من سمعها ، ثم جمعتها ادارة الجامعة في الكتاب الذي نحن بصدده الآن

وهذا الجزء الاول من تلك المحاضرات يبحث في الحروف العربيـة ومخارجها وصفاتها وترتيبها وخواصها ، كل ذلك في قالب منسجم لطيف . ثم تناول البحث تاريخ الخط قبل الاسلام وبعده . وقد أحببنا ان نقتطف شيئاً من هذا الباب لفائدة القراء . قال :

كان العرب قبل الاسلام أمة بدوية ، لا يهمهم الا تربيـة الابل والشاء ، وانتجاع الكلأ لرعايتها ، وشيء يسير من التجارة لجلب الاقوات والثياب والسلاح اللازم لاقامتهم في البوادي معرضين لافتراس الوحوش الضارية ، واغارات السالبين والآخذين بالثأر ، وحماية القوافل التجارية ،

ومثل هذه المعيشة لا يقتضي انتشار الكتابة والقراءة . واذا وُجدفيهم من يكتب ويقرأ ، فانما هو نزيلٌ هبط اليهم ، أو آيب من سفر بعد طول إقامة في ارض متحضرة . . . وكان الاعرابي يقرع الاسماع برائع الشعر ورائق النثر ، وهو لا يعرف حروف الهجاء ولا اسماء أوجه الاعراب . . . .

. . . ولم يصل الخط إلى ما هو عليه الآن ، إلاّ بعد ان قطع اربعة ادوار . الدور الصوري المادي . الدور الصوري المعنوي . الدور الصوري الحرفي . الدور الحرفي الصرف . . . وذلك ان الناس في اول الامر كانوا يرسمون صور الماديات للدلالة عليها ، فاذا ارادوا ان يدلوا على معنى الاسد رسموا صورة اسد . واذا قصدوا الدلالة على معنى النخل رسموا صورة نخلة . الخ . واذا ارادوا ان يذكروا ان ملك مصر حارب الاشوريين وغلبهم واخذ منهم امرى ، رسموا صورة ملك مصر بالعلامة المصطلح عليها ومعه جنود مدججون بالسلاح ، ورسموا صورة ملك اشور بعلامته المصطلح عليها ومعه جنده ، بعضهم واقعاً على الارض مضرّجاً بالدم وبعضهم تحت سنابك الخيل وبعضهم مولون الادبار ، ورسموا جملةً من الجند مربوطين بالسلاسل يقودهم جندي مصري . . . ولكن الكتابة بهذه الطريقة ناقصة ، لان من المدلولات ما لا صورة له مادية ، كالخوف والحزن والفرح والنسب الاضافية والتوصيفية والنسب الكلامية التي تتصوَّر بين الموضوع والمحمول . فكان الخط شيئاً خيراً من لا شيء . ثم بدا لهم بعد زمنٍ ان يدلوا على المعاني التي لا صور لها بصوَر لوازمها ، فيرسموا الدواة والقلم للدلالة على معنى الكتابة ، والشَعر المسدول للدلالة

على الحزن ، فكانت الكتابة في هذا الدور تتألف من صور ماديات للدلالة عليها ، وماديات اخرى للدلالة على ملزوماتها من المعاني ، وذلك مُشاهدٌ كثيراً في الرسوم المصرية القديمة ، بل هو مشاهدٌ الآن في القرى بين الأُميين ، فاذا حجّ واحدٌ منهم الى مكة ، رسموا على باب داره صورة محمل فوق جملٍ زمامه بيد اعرابي ، ورسموا جملاً آخر عليه هودج ، وربما رسموا سفينة بجانب الجمل للدلالة على أنّ صاحبَ المنزل حجّ وسافر في البرّ والبحر ... ثم ترقّوا الى الدور الحرفي بواسطة الصور ، فاصطلحوا على استعمال صور للدلالة على الحروف التي في صور اسمائها . فاذا قصدوا ان يكتبوا لفظ « غلبت الروم » صوّروا غراباً وليمونة وباباً وتفاحة وابريقاً وليمونة ورحى ووردة ومبرداً (فاذا اخذت الحرف الاول من كل كلمة كان عندك الجملة « غلبت الروم ») وكان قوم قد اصطلحوا على صور مخصوصة بقدر عدد حروف لغتهم ، ثمّ اختصروا تلك الصور مع مرور الايام حتى صارت علامات لا تدلّ إلاّ على اصوات الحروف كما هو الشأن الآن ...

وفي الكتاب رسوم عديدة تشرح للناظر تدرُّج الخط من هذه الرسوم المادية حتى بلغ دوره الحرفي المعروف الآن ... هذا هو الجزء الاول من تاريخ الادب اوحياة اللغة العربية . الذي نثر درره حفني ناصف بك على سامعي محاضراته والتي نظمتها ادارة الجامعة في كتاب مطبوع لتعم الفائدة . واننا ننتظر بفارغ الصبر الاجزاء التالية . لاننا كما تقدم في اشد الافتقار الى مثل هذا الكتاب النفيس . وكلنا يقدر هذه الخدمة حقّ قدرها ويعرف ان ناصفاً هو كفوءٌ لها ...

*
* *

ومن الدروس المفيدة التي تُلقى في دار الجامعة دروس علم الطبيعة ، يُلقيها حضرة الرياضي البارع اسماعيل حسنين بك ناظر مدرسة المعلمين الخديوية . وقد جمعت ادارة الجامعة ايضاً محاضرات الاستاذ العلامة في كتاب على حدة لتعميم الفائدة . وهذا الجزء الاول يبحث في « خواص المادة [1] » واولها التحرك وهو يتناول الحركة المنتظمة والحركة المتغيرة وتحليل الحركات ثمَّ القوى وقياسها وتحليلها الخ ... ولا شك في ان المحاضرات التالية ستتناول البحث في التمدد والانضغاط والمسامية والتجزوء وعدم التدخّل وكلها من خواص المادة العمومية . ونحن في الشرق في اشد الحاجة الى نشر العلوم الرياضية والوقوف على اسرار الطبيعة المحدقة بنا . ويُرجى من ادارة الجامعة ان توسع نطاق هذه الدروس الوضعية . فضلاً عن ان القاءَها باللغة العربية لما يزيد لغتنا مرونةً ويُساعدنا على استعمالها في تدريس العلوم . وقد اظهر حضرة اسماعيل حسنين بك من هذا القبيل براعة فائقة يستحق عليها ثناء كل اديب

*
* *

وطنيات احمد نسيم [2] : هذا هو الجزء الثاني من ديوان احمد افندي نسيم . واحمد افندي نسيم من الشعراء المصريين المعدودين في وادي

---

(١) علم الطبيعة : خواص المادة — طبع بمطبعة الجريدة عدد صفحاته ٨١

(٢) طبع بمطبعة الهلال بمصر عدد صفحاته ٦٢ وثمنه خمسة غروش صاغ . وهو يطلب من مكتبتي الهلال والتآليف



احمد افندى نسيم

النيل . قال فيه اسماعيل باشا صبري :

لك في الشعر يا نسيم معانٍ باهراتٌ تحارُ فيها العقولُ

كلُّ بيتٍ يطلُّ منه على افـــهام اهلِ النهى محيا جميلُ

وقال محمد بك هلال : لا تعجبوا ان رقَّ فهو نسيم

وقال عبد الرحيم بك احمد : للوطنية روحٌ تظهر فى هذا الشعر وهو خير ما يُلقّنُهُ الشباب

وقال اسكندر بك عمون : لا سحر غير هذا

وقال الاستاذ عبد العزيز جاويش :

لك شعرٌ مثل النسيم اذا اعـــتلّ ولكنه شفاء القلوب

وقال عبد العليم افندي صالح المحامي : شعر نسيم ، نسيم الشعر

وقال حافظ افندي ابرهيم : اصبح البحتري غلام نسيم ... وهو يشير الى « نسيم » الغلام الذي كان البحتري يتغزّل به

وقال محمد ابو شادي بك المحامي : الروح شعر للجسد ، وشعرك روح للوجود

وقال خليل افندي مطران : في هذا الشعر ما في اسم صاحبه : من عرف ابي الطيب ونفحات النسيم

وقال الشيخ محمود العطار :

قد هدت قالةَ القريضِ نجومٌ　　طلعت فى سماء شعركَ زُهرا

هذا ما قالهُ فريق من كبار ادباء مصر في زميلهم . واذا كانوا ـ على ما رأيتَ ـ لم يبخسوه حقه من الثناء ، فهم ايضاً لم يكيلوا له هذا الثناء جزافاً . فان نسيماً بات من شعرائنا الاعلام ، اذ جمع الى متانة النظم وإحكام التركيب شعوراً رقيقاً وخيالاً عالياً . وهذه الصفات جعلت له مقاماً معدوداً بين شعراء العصر . وهو ـ خصوصاً في هذا الجزء الثاني من ديوانه ـ شاعر سياسة وجدال ، والسياسة والجدال ، كما يفهمهما الشعراء ، مدعاة الى تحريك ساكن الشعور واثارة كامن الخيال . خذ القصيدة الواحدة من « الوطنيات » تجدها قضية يعرضها صاحب الديوان ، ثم يؤيدها بالادلة الدامغة مفنداً حُجج الخصم ايما تفنيد . ولقد جاءت هذه « الوطنيات » تاريخاً لاهم الحوادث التي جرت هذين العامين في مصر والاستانة : نظر الى تلك الحوادث تارة نظرة حزن واسف ، وتارة نظرة

ابتهاج وفرح — وفي كلا الحالين نظرة شاعر — فدوّنها بمداد يسيل من قلبه المتأثر . وانا نرى النظم بما يحيط بنا من الوقائع اجدر بشعرائنا من التيه في مفاوز مبتذلات الماضي ، ولذلك قلنا ان نسيماً شاعر عصري ...

***

دروس التاريخ الاسلامي [1] — عرفنا الشيخ محيي الدين الخياط كاتباً بليغاً وشاعراً كبيراً ، وها قد نزل الى ميدان التاريخ فكان مؤرخاً مدققاً . ظهر القسم الاول من كتابه في تاريخ الاسلام وهو يشتمل على مجمل تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية . كتبَهُ لطلبة المدارس باسلوب سهل التعبير ، حسن التبويب والتنسيق ، وختم هذا الجزء الاول ببعض الاحاديث النبوية في الاخلاق والعلم والسياسة نقتطف منها : لا فقر أشد من الجهل . ولا مال أعزّ من العقل ، ولا وحشة أشدّ من العجب

اعمل لدنياك كانك تعيشُ ابداً ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غداً

التمسوا الرزق في خبايا الارض ، ان الله يحبُّ معالي الامور واشرافها ويكره دنيئها وسفسافها

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم

آية المنافق ثلاث : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان

(١) طبع في المطبعة العصرية . ويباع في المكتبة الاهلية في بيروت وفي المكتبة السلفية في مصر وثمنه قرش صاغ وربع . عدد صفحاته ٦٢

المُسلم من سلم الناس من يده ولسانه

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدّثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروّته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته

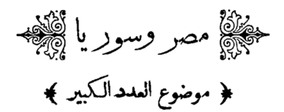
سوء الخُلق شؤم ، وشراركم اسوأُكم خُلقاً

***

واهدى الينا حضرة الفاضل الشيخ عبد الله افندي الرفاعي الكتبي المعروف بطرابلس الشام نسخة من الطبعة الثانية من كتاب « سمير الليالي »[1] تأليف حضرة البارع محمد افندي امين صوفي السكري وهو جزء من اجزاء تالية تبحث في تقويم البلدان وتاريخ الامم ، باسلوب لا يمل معه القارىء . وقد افاض المؤلف خصوصاً في بلاد الدولة العثمانية فاستوفى تاريخها وجغرافيتها . واعادة طبع الكتاب دليل على رواجه

وجاءتنا ايضاً روايتان للاديب مارون افندي عبود محرر جريدة « الحكمة » اللبنانية : الاولى وهي معربة من نوع الرومان رواية « رنه واتالا » الشهيرة للكاتب الفرنسوي شاتوبريان وقد عربها ايضاً فرح افندي انطون . والثانية — وهي تمثيلية مؤلفة — رواية كريستوف كولمب واكتشاف العالم الجديد على يده . عبارة الروايتين طلية منسجمة وتدل على مقدرة كاتبهما وكنا نودّ الافاضة في مرمى الكتابين لولم يمنعنا عن ذلك ضيق المقام وكثرة ما لدينا من المطبوعات

(١) طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام عدد صفحاته ١٩٨ والاشتراك في كل الاجزاء ثلاثة ارباع الريال



مصر وسوريا

﴿ موضوع العدد الكبير ﴾

سألنا القراء في العدد الماضي عن موضوع عدد خاص كبير من الزهور يقوم مقام عددين يصدران في آن واحد في فصل الصيف . وقد جاءتنا اقتراحات عديدة ولكن السواد الاعظم مجمع على اختيار موضوع « مصر وسوريا » لان الزهور دائبة على ايجاد رابطة ادبية بين الاقطار العربية ويجب ان تبدأ بهذين القطرين الشقيقين . وقد كاشفنا المساعدين بتحرير المجلة فاستحسنوا الموضوع كثيراً

وعليه فالعددان القادمان سيظهران معاً في حجم كبير وسننشر فيهما رسوم اشهر الآثار واجمل المناظر الطبيعية في القطرين مع اقوال الكتاب والشعراء الاقدمين والمعاصرين من عرب وافرنج . وستجيء هذه المجموعة — بفضل مشاهير الادباء الذين سيحررونها — كتاباً فريداً في بابه يجدر بكل اديب عربي ان يقتنيه . ونسأل كل القراء ان يوافونا بما لديهم من الكتابات والرسوم الفوتوغرافية بهذا الموضوع لتتم الفائدة

وسيُرسل هذا العدد الخاص مجاناً لكل الذين يكونون قد سددوا قيمة الاشتراك . وثمنه لغير المشتركين ثلاثة فرنكات

ازهار واشواك

الكتّاب على المراسح

كان لما كتبتهُ في العدد الماضي عن التمثيل والكتّاب وقع حسن في أندية الادب ، وتناقله بعض الصحف مستحسناً الاقتراح . ولم يعترض أحد من الادباء على الدور الذي خصصته به . أُلقيت بذرة هذه الفكرة في الاذهان ، فاذا لم تكن قد نبتت فهي لم تمت ، ونحن ننتظر الربيع لنرى . وقد جاءني من بيروت الكتاب الآتي وها هو نصه :

« السلام على حاصد . وبعد فنعم ما ارتأيتم بخصوص التمثيل والكتّاب ولقد أحسنتم في توزيع الادوار على قدر ما نعرف عن أدبائكم . واذا تمّ ابراز هذا الفكر الى حيز الوجود فاننا نعدكم بشدّ الرحال الى وادي النيل لحضور هذه الحفلة الفريدة . ثم ندعوكم الى حفلة من نوعها نقيمها في بيروت وتوزّع أدوارها على أدبائنا : فيمثل الامير شكيب ارسلان دور الملك . والشيخ اسكندر العازار دور النديم والشيخ محيي الدين الخياط دور الوزير ، والاستاذ الحوراني دور بزرجمهر . ويعهد دور قائدَي الجيش الى فليكس فارس وداود مجاعص . أما دور العاشق فكثيرون هم المرشحون له . ويدير صاحب « الحسناء » جوق المغنيات في القصر ، وبشاره الخوري يقوم بدور رئيس الحرس . وأظن ان أدباءنا سيقومون بأدوارهم هذه كما يقوم أدباؤكم بالادوار التي وزعتها عليهم . فابتدؤوا تجدونا لكم لاحقين والسلام »

الامضاء : متطوّع بالحصاد

الاقتراح اذن جميل وأنا عرضته من باب الهزل ، وبت أفكّر به عن جد

حملة الاقلام :

كتب المنفلوطي في نظراته فصلاً عن الكتّاب في مصر . وحذا حليم دموس في هذه المجلة حذوه عن الكتاب في بر الشام . اصاب كلاهما في بعض احكامهما ، واخطأ كلا الاثنين ايضاً في البعض الاخر . وهل في ذلك من شيء عجيب ؟ بل يصح ان يكون ما عددته انا صواباً قد عده غيري خطأ . وعليه فلست غاضباً على الكاتبين لانهما لم يذكراني في عداد الكتاب ، ولا لأنهما اساءا الى كتاب تطربني نفثاتهم او أطريا كتاباً تقتاني سخافاتهم . اذا كان الكثيرون غضبوا لهذه الاسباب فلست انا لها بغاضب ولكن الذي انا لاجله مستاء ناقم هو هلع الكاتبين لقيامة من خطّأهما في ارائهما . فاسرع هذا في سوريا وذاك في مصر الى الاعتذار على صفحات الجرائد . ولقد افقد هذا التنصل كل ما كنت اعتقد فيهما من الشجاعة في المجاهرة بمعتقدهم الادبي . فإما انهما قالا رأيهما في حملة الاقلام عن اعتقاد تام . وليس لهما ان يؤديا حساباً عما كتبا ، او انهما كتبا عن غير اعتقاد — وهذا ما لا اظنه — فكان الاجدر ان لا يكتبا . وهناك سبب آخر لاستيائي من هذين الاديبين وهو انهما فتحا باباً هيهات ان نجد من يسده . فقام كل حامل قلم يبدي لنا رأيه في حملة الاقلام ولو كان الواحد من هؤلاء يأتينا بالشيء المقبول لقلنا لا : بأس من احتكاك الاراء . ولكن هذا يقول لك : الكاتب زيد كاتب بليغ لو كانت عبارته امتن ومعانيه اجمل ... وذاك يقول : الشاعر عمرو شاعر مجيد لو كان اسمى خيالاً واحكم نظماً ... وانا اقول على هذا القياس : لو كنتُ صاحب مئة

الف جنيه واملاك وعقارات لما كنت فقيراً ، او لوكان ابن السبعين في العشرين من عمره لكان شاباً .. ألا رحم الله مسيو ده لاپاليس كما يقول الافرنج ...

اسماء الجرائد :

نحبُّ المناقشة ولو فى لا شيء . ما كدنا ننتهي ـ وهل انتهينا ؟ ـ من البحث فى حملة الاقلام حتى فتح باب جديد بين رصيفين موضوعهُ اسماء الجرائد . ابتدأ الامر بين رصيفين ، ولكن اول الغيث طلٌّ ثمَّ ينهمر ، واول النار شرارة . وها انا اول النافخين فيها . يفكر الكاتب او الصحافي طويلاً فى عنوان كتابه او اسم جريدته ، بل هو يعلق الامال الكبار على ذاك العنوان الخلاب او هذا الاسم الجلاب . وهذا امر بديهي . فكم يُعقد من مجلس عائلي لانتقاء اسم للمولود الجديد تيمناً وتفاؤلاً بمدلوله ... اسماء جرائدنا ومجلاتنا جميلة ، بل هي اجمل منها . وكثيراً ما تكون من باب تسمية العبد « مرجاناً » وليس فيه احمر غير لسانه او تسمية ذاك الثقيل « لطيفاً » او تلك الشنعاء « جميلة » . ولكن « القرد في عين امه غزال » عرّبنا معظم اسماء الجرائد الافرنجية لجرائدنا . فعندنا العلم واللواء كما عندهم الستندرد ، والجريدة كما عندهم الجورنال ، والزمان بدل الطان والتيمس ، والبرق بدل الاكلير وكذلك قل عن الانسانية والعدل والعصر الجديد والوطن . وقد اتخذنا كل اسماء الفضائل لجرائدنا فعندنا الحقيقة والاستقامة والصدق والمحبة والرجاء واخذنا ثلاث كلمات الدستور فعندنا الحرية والاخاء والمساواة . فضلاً عن الاسماء المحلية كالاهرام والمقطم ووادي النيل وابو الهول والارز ولبنان . ومن الجرائد ما لا ينطبق اسمها على حقيقتها . فالاكسبرس مثلاً

جريدة ادبية لطيفة الاسلوب تصدر مرة في الاسبوع مع ان اسمها يفيد معنى جريدة سياسية تتاقى الاخبار قبل سواها وتصدر على الاقل مرتين في النهار واخرى في الليل وكذلك قلْ عن البرق البيروتية ماصر

كل ما يكتب في المجلة مذيلاً بتوقيعي هو لي وأنا المسؤول عنه فلا يبخسني أحدٌ حقي بنسبة بنات فكري الى غيري . فليس « لحاصد » من حطام هذه الدنيا الا باقة أزهار مع كثير من الاشواك

حديقة الاخبار

— غادر هذه الفانية المرحوم شاهين بك مكاريوس أحد أصحاب « المقطم » . وهو من الذين خدموا الصحافة والمعارف في سوريا ومصر الخدمَ الجلى وامتازوا بالجد والنشاط . وقد لبس الحداد عليه عدد كبير من الكتاب في مقدمتهم نجله سليم بك مراسل الدايلي مايل وابن عمه اسكندر افنـدي شاهين رئيس تحرير الوطن وشريكاه الدكتور صروف والدكتور نمر صاحبا المقطم والمقتطف . فنسأل للفقيد الرحمة ولآله الصبر

— أصيب الشاعر المعروف محمد امام العبد بشقيق له . فبادر زملاؤه الى تعزيته في هذا المصاب الأليم فأجابهم شاكراً :

أنتم سلوةُ الحزينِ وأنتم   املُ البائسِ الاسيفِ الحزينِ
جلَّ خطبي وروَّع الحزنُ نفسي   وجرى الدمعُ بعد ذاك الدفينِ
قد خلقتم لي السلوَّ بشــعر   وعزاء على الهموم معينِ

— كان هـذا الشهر شهر المعاهد العلمية . وقد ذكرت الصحف المحلية اسماء الناجحين في امتحانات البكالوريا والحقوق وبينهم كثـيرون من قراء الزهور فنهنئهم

وأقامت المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك حفلة جميلة بمناسبة توزيع الجوائز حضرها عدد كبير من الوجهاء والاعيان . ومثّل طلبة المدرسة المارونية بهذه المناسبة أيضاً رواية عربية حضرها فريق من اعيان المصريين والسوريين . فألقى حضرة الاديب محمود افندي نظيم أبياتاً غراء في القطرين الشقيقين منها :

كلنا اخوةٌ وقد جمّعتنا لغةٌ زادها الشآمُ احتراما

صانها اليازجيُّ ربُّ المعاني « بضياء » أزال ذاك الظلاما

ظللتنا أهـلةٌ خافقاتٌ تنشر الحبَّ بيننا والوئاما

صافحونا على محبـة مصر وبنيها كما نحبُّ الشآما

وأقامت مدرسة الفرير بشبرا مثل هذا الاحتفال الادبي وخيرُ ما جاء فيه قصيدة بليغة المبنى ساميـة المعنى في تربية الاولاد نظم دررها حضرة الاديب الفاضل الاخ اليان باخوم مدير الدروس العربية في تلك المدرسة مخبر

✻ من والى القراء ✻

نشرنا في العدد الثالث (ص ١٢١) مقالة عن البرنس فردريك ايتل في فلسطين . وقد جاءنا البريد الاخير ببعض مجلات وجرائد المانية . وقد نشرت ترجمة تلك المقالة مطريةً « الزهور » وهذا يدلك على اهتمام القوم بكل ما يُقال عنهم

— لدينا مقالات وقصائد كثيرة من مراسلينا الادباء من جهات مختلفة اضطررنا الى ارجائها وسننشرها عن قريب ان شاء الله

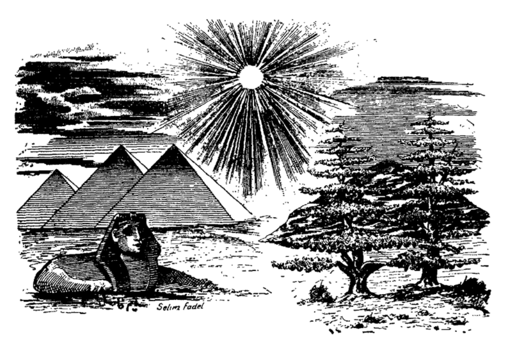
— اهـدى الكثيرون من الغيورين على الادب اعداد المجلة لسنة كاملة الى اصدقائهم قائلين انها خير هدية . فنشكر لهم ادبهم وحسن ظنهم

السنة الاولى



١٩١٠

الجزءان السادس والسابع أغسطس وسبتمبر (آب وأيلول)



مصر وسوريا

قلنا عند صدور الجزء الاول من هذه المجلة ، إننا انما انشأناها لتكون الرابطة الادبية بين الاقطار العربيـة . وذلك بايجاد صلة تعارف وترابط بين ادباء هذه الاقطار وكتّابها وشعرائها ، بنشر رسومهم وما تجود به قرائحهم ، ليتمّ التعاضدُ والتساندُ الادبي ، فنجني الفائدة المبتغاة من تراسل

الادباء وتآزرهم للقيام بالنهضة الحديثة التي بدتْ طلائعهـا في اوائلِ القرنِ العشرين حتى كادتْ تُرجِع الى الاداب العربية عصورها الذهبية

اقدمنا على هذا العمل بعـد مفاوضة السواد الاعظم من أئمة حملة الاقلام ، فأنسنا منهم ارتياحاً عظيماً الى هذا المشروع ، لانهم كانوا يشعرون جميعهم بالحاجة الى التكاتف والتعاون ، لئلاَّ يظلوا منفصلين عن بعضهم بعض ، فلا يعرف الاديبُ المصريُّ شيئاً عن الاديب الشاميّ ، ولا يدري هذا شيئاً عن زميله العراقي ، وقسْ على ذلك

واذا القيت نظرةً الى الاجزاء التي صدرت من هـذه المجلة ، ترى مقدار استحسان القوم لهذه الفكرة ، وإقبال الادباء على تعضيدها بغيةَ تحقيق هذه الامنية الشريفة . وتجد فى كلِ جزءٍ ميداناً تتبارى فيه اقلام الكتّاب من كل صقـع . حتى عُرِفتْ مجلة « الزهور » بهذه الميزة على سائر المجلات ، واصبح يُراسلها العددُ الكبير من ادباء مصر والشام والعراق والجزائر ومراكش . ناهيك بمـا يحملُ الينا البريد من رسائل التنشيط وكلمات الاستحسان

ولقد سهل علينا ادراكُ هذه الغاية خصوصاً فيما يتعلق بمصر وسوريا ، لسهولة المواصلات ، وتشابه التقاليد والعادات بين هذين القطرين الشقيقين ، وسير الحركة الفكرية فيهما في مجرى واحد

ولهذا ما كدنا نعلن عن عزمنـا على إصدار العددِ السنوي الكبير حتى تواردتْ علينا الرسائلُ من القراء ، وكلُّهم مُجمِعون على جعل موضوع هذا العدد الخاص « مصر وسوريا » وكنا قد تركنـا للقراء الكرام

حقّ اختيار الموضوع الذي يروقهم البحث فيه . ولقد سرّنا هذا الاقتراح ايمّا سرور لاننا رأينا فيه استحسانَ العامةِ وجمهورِ القراء لغاية المجلة ، بعد استحسان الخاصة وفئة الادباء . وايقنا بنجاح تلك الفكرة ، وهي التوصلُ شيئاً فشيئاً الى إحكام الرابطة الادبية بين الامصار العربية

هذه هي الاسباب التي حملت ادارة هذه المجلة ايها القارئ العزيز على ان تتقدم اليك بهذا العدد الخاص المتوّج باسم القطرين العزيزين . وهي على يقين تام من انه سيحل منك محل الرضى والارتياح

***

بقي علينا بعد ذلك تقرير كيفية طرق هذا الموضوع الواسع . إذْ ما عسانا ان نقول عن مصر وسوريا . ومصر وسوريا مهدُ الحضارة والمدنية ، والملعبُ الذي تمثلتْ عليه اكبرُ مشاهدِ تاريخِ البشرية بل إنَّ فينيقيا وارضَ الفراعنة هما محورُ التاريخ القديم ، ودائرة قطبه . حولهما كان معترك الامم . وفيهما كان ممر الشعوب في زحفها من الشرق الى الغرب ، أو من الغرب الى الشرق . في هذين القطرين حدثت الحوادث المأثورة ، وفي ربوعهما جرت الوقائع المشهورة . فكانا في ايام الحرب ساحة الهيجاء ، وفي ايام السلم مجتمع العلماء . هذا من الوجهة التاريخية اما من الوجهة الجغرافية فان ذينك القطرين قبل نقض برزخ السويس وبعد نقضه كانا الرابطةَ بين آسيا وافريقيا ، والطريق اللاحبة بين اوربا والهند والعالم الجديد . اما الوجهة السياسية فقد ضربنا عنها صفحاً في بحثنا منذ البداية ، لانَّ مجلتنا غريبة منذ نشأتها عن السياسيات

وعليه فقد وجدنا موضوعَنا واسعاً متراميَ الاطراف ، تضيق المجلدات الضخمة عن استيعاب بعض ابوابه ، سيما وإنه ليس من غايتنا ايراد تاريخ القطرين ووصفهما جغرافياً ، فالكُتُبُ التي تبحثُ في ذلك هي فوق الحصر فضلاً عن ان ذلك خارجٌ عن نطاق مجلة ادبية فنية مثل «الزهور» ولذلك آثرنا طرقَ هذا الموضوع من الوجهة الادبية . فاستكتبنا الادباء الاعلام الذين يُساعدون في تحرير هذه المجلة واضفنا الى كتاباتهم شيئاً من اقوال الكتّاب الغابرين وبعض الشذرات الادبية في هذا الموضوع . وزيّنا ذلك ببعض رسوم المناظر الطبيعية والآثار القديمة في القطرين ، زيادةً في الفائدة والرونق

ولا ندّعي ذكر كل ما يستحق الذكر من الآثار والمناظر وما كُتب فيها قديماً وحديثاً ، لانه لا يخفى ما يستغرقُ ذلك من الفصول الطوال اذ إن لكلِ شبرٍ من هذه الاراضي تاريخاً عظيماً او ان فيه اثراً فخيماً . فضلاً عن أنّ لنا متسعاً في الاعداد القادمة لذكر ما ضاق هذا الجزء عن ايراده سواء كان عن مصر وسوريا او عن سائر الاقطار العربية

***

نعم ان الانسانَ ينظرُ الى ماضيه ، فيخاله احسنَ ممّا كان ؛ والى حاضره ، فيراه اقبح مما هو ؛ والى مستقبله ، فيظنه اسعد مما سيكون ؛ وبحقٍ قال دانتي الشاعر التلياني : « لا حسرة للانسان في ايام تعاستهِ اعظم من ذكره مجدَهُ السالف » ولكن هذا المبدأ الصحيح في كل فردٍ من الهيأة الاجتماعية فاسدٌ اذا ما استعملناه للشعوب ، فالشعوب تحيا

بماضيها الذي تعدُّهُ إرثاً ثميناً من الاجداد . ومن صفحات عزِّها الغابر تتخذ لها قوةً تؤهلّها للحياة الامل . فنحن نذكر اذن ماضينا لننشط في حاضرنا ، ويزداد املنا في مستقبلنا . . . . فعسى ان تؤدي مجلتنا بعض هذه الخدمة

والعربُ اليوم اشبه باليونان من حيث موقفهم إزاءَ الرقي الاجتماعي : ماضٍ مجيـد ، وحاضر مضطرب ، ومستقبل مجهول سيكون كما يشاؤون وعلى مقدار استفادتهم في حاضرهم من عِبر ماضيهم . ونحن اليوم لسنـا في الظلام ولا في النور . ولكـننا واقفون بين هـذا وذاك . فعسى ان يكون ذلك غلساً يعقبه اشراق النهار ، لا غسقاً يتقدم زوال الانوار

ولقد جرى اليونان في هذه السنوات الاخيرة على عادة جميلة ، كان لها اكبرُ تأثيرٍ في إحكام رابطتهم القومية . وهي انهم يُصدرون كتاباً سنوياً يشترك في تحريره كل كتّابهم من جميع الاصقاع التي نزلهـا ابناء العنصر اليوناني ، فيكتب كل واحدٍ منهم فصلاً عن احوال ابناء جنسهِ في البلد الذي استوطنوه ، فيتألف من ذلك مجموعـةٌ ضافيةٌ تتضمن كلَّ ما يجدرُ بابناء العنصر الواحد معرفتهُ عن اخوانهم وحالتهم الادبية والاقتصادية . . . ويجمل بالعرب ، وهم الضاربون في انحاء مختلفـة ، أن يحذوا هـذا الحذو ، فيأتوا مثل هذا العمل الذي لا تُعـدّ فوائدُهُ ، ولا تُحصى منافعهُ . فتكون تلك المجموعةُ اشبهَ بمؤتمرٍ سنويّ — يصعب عقده فعلاً — يتعارفُ بواسطتها اهلُ مصر وسوريا والعراق واليمن ومراكش والجزائر وتونس والمهاجرون منهم الى اميريكا واوستراليا والشرق الاقصى .

ويطلعون على شؤون بعضهم بعض في كل هـذه الاصقاع فيتبادلون المنفعة والفائدة .

ولم يتيسر لهذه المجلة ان تقوم بمثل هذه الخدمة منذ سنتها الاولى ، نظراً الى مشقة هذا العمل ووجوب إعداد العدة اللازمة لهذا المشروع الكبير ، ولكن تلك امنيةٌ من امانيها ستعمل على تحقيقها بمناصرة الفضلاء الغيورين ،

***

وفي هذا العدد — وان كان قاصراً على الادبيات — مقدمة لهذا المشروع الكبير . لأن ترابط الاجزاء الواحد بعد الثاني يؤولُ حتماً الى ترابط الكل

ولقد قسمنا موضوعنا الى ثلاثة اقسام : الاول يبحث في مصر ، والثاني في سوريا ، والثالث يتناول شيئاً من اقوال كتّاب كلّ قطرٍ في الثاني ، مما يزيد توثيق عُرى التقرب بين القطرين

هذه هي الخدمة التي ينبغي ان نقوم بها ، والغاية التي يجب ان نسعى اليها ، ولا نشك في ان كلّ قارئ يودُّ المساعدة على تحقيقها . فإنّ وراء ذلك تقريبَ القلوب ، ونشر السلام والوئام ؛ والله الموفِّق في البداية والختام

مدير المجلة





١

مصر

اسماء مصر

مرجع اسماء مصر الى ثلاث لغات مختلفة : اللغة المصرية ، واللغات السامية ، واللغة اليونانية . فمن الاسماء المصرية «قميت» ومنه اشتق الاسم القبطي الصعيدي « قيمه » والاسم القبطي المَنْفي « خيمي » وقد اختلفوا في معناه فمن قائلٍ انه موقـد ، او مجمرة ، او تنّور . ومن قائلٍ إنه ربوةٌ ذات نار مستعرة . ومن قائلٍ انه اسود . ومن اسمائها « بق » وهو شجر اليسار ، سمّيتْ به لكثرتِهِ فيها قديماً . وكذا « تونهي » ، اي ارض الجميز ، لكونه ينبتُ فيها بكثرة . ولها اسماء اخرى غير ذلك ، منها « آن تاوي » اي اقليم مدينة « آن » الشهيرة الآن بعين شمس

واما اسماؤهـا السامية فهي « مصير » و « مصري » وُجدت في الالواح الاشورية التي وردت من تل العمارنة وتاريخها سنة ١٧٠٠ ق . م . وفي شروط العائلة الاولى البابلية المؤرخـة سنة ٢٠٠٠ ق . م . ذُكرَتْ باسم « موصور » في الآثار الاشورية المنقوشة في عهـد السرجونيين .

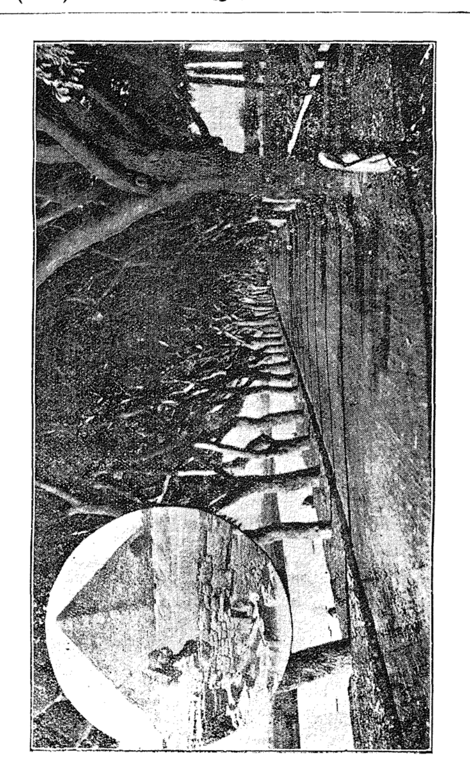
وذُكرتْ في العبريـة باسم « ماصور » وهو مأخوذ من « مصرايم » .
وتُعرَف في العربية بمصر

اما اسماؤها المتعارفة عند اليونان وفي اوربا فهي اجيبتوس [1] Aegyptus
قال بروكش انه مشتق من « حاكابتاح » اسم « منَف » عاصمة
الحكومة المصرية القديمة . لان الاقوام المتوحشة من ملاحي البحر
الابيض كانوا يقيمون في مصر ازماناً طويلة فيسمعون من اهلها اسم
عاصمتهم هذا لانها كانت اكبر مدن مصر واهمها واغناها . فنقلوا اسمها الى
بلادهم وحرّفوه الى « اجيبت ، Egypte » وهو الشائع الآن ... وذهب
بكتيت الى غير ذلك ، فقال إنّ « إ » معناه الماشية و « جوب » معناه
الحارس فيكون معناها الراعي . وقد جُعلا اسماً للعقاب تهكماً به ، ثُمّ
أُطلقا على مصر من قبيل التهكم لإغارة الرّعاة

احمد كمال [2]

---

(١) وقد وردت هذه الكلمة لاول مرة في اشعار هوميرس
(٢) من المحاضرات التي القاها « في الجامعة المصرية » الاثري الشهير
مدير متحف الآثار العربية احمد كمال بك



الاهرام وابو الهول — والطريق المؤدية اليها

فرعون وقومه

هذه قصيدة لسعادة استاذ الشعراء اسماعيل باشا صبري ، وهي من خير ما قيل في آثار مصر . وقد ضمّنها الشاعر نظريةً جديدة ، وهي ان هذه البنايات الفخيمة لم تتمّ الا على يد عمال كانوا يطلبون الاتقان الفني اكراماً للفن لا خوفاً ولا طمعاً . ولا يضارع جلال هذه الابيات وفخامتها الا جلال وفخامة تلك الآثار :

« لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني ... اذا ونى يومَ تحصيلِ العلى وانِ
ولستُ — انْ لم تؤيدْني فراعنةٌ ... منكم — بفرعونَ عالي العرشِ والشانِ
ولستُ جبارَ ذا الوادي اذا سلمتْ ... جبالهُ تلك من غاراتِ اعواني
لا تقربوا النيلَ ان لم تعملوا عملاً ... فماؤه العذبُ لم يُخلقْ لكسلانِ
ردوا المجرَّة كداً دونَ مورده ... او فاطلبوا غيره ريّاً لظمآنِ
وابنوا كما بنتِ الاجيال قبلكمو ... لا تتركوا بعدكم فخراً لانسانِ
امرتكم فأطيعوا امرَ ربّكمو ... لا يُثنِ مستمعاً عن طاعةٍ ثانِ
فالملكُ امرٌ وطاعاتٌ تسابقهُ ... جنباً لجنبٍ الى غاياتِ احسانِ
لا تتركوا مستحيلاً في استحالته ... حتى يميطَ لكم عن وجهِ امكانِ .. »

*
* *

مقالةٌ قد هوتْ من عرش قائلها ... على مناكب ابطالٍ وشجعانِ
مادت لها الارض من ذعرٍ ودان لها ... ما في المقطَّم من صخرٍ وصوّانِ
لو غيرُ فرعونَ القاها على ملإٍ ... في غير مصر لعدّتْ حُلمَ يقظانِ
لكنّ فرعونَ ان نادى بها جبلاً ... لبّتْ حجارته في قبضة الباني
وآزرتهُ جماهيرٌ تسيل بها ... بطاحُ وادٍ بماضي القوم ملآنِ

يبنون ما تقفُ الاجيالُ حائرةً امامهُ بين إعجابٍ وإذعانِ
من كل ما لم يلدْ فكرٌ ولا فُتحتْ على نظائره في الكون عينانِ
ويشبهون اذا طاروا الى عملٍ جناً تطير بامرٍ من سليمانِ
برّاً بذي الامرِ لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خُلقوا طلاَّبَ اتقانِ

***

اهرامهم تلك ـ حيَّ الفنَّ متخذاً من الصخور بروجاً فوق كيوانِ
قد مرّ دهرٌ عليها وهي ساخرةٌ بما يُضعضع من صرحٍ وايوانِ
لم يأخذِ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من اركان ثهلانِ
كأنها — والعوادي في جوانبها صرعى ـ بناء شياطينٍ لشيطانِ
جاءتْ اليها وفودُ الارض قاطبةً تسعى اشتياقاً الى ما خلّد الفاني
فصغَّرت كلَّ موجود ضخامتها وغضّ بنيانها من كل بنيانِ
وعادَ منكرُ فضل القوم معترفاً يثني على القوم في سرٍ واعلانِ
تلك الهيا كل في الامصار شاهدةٌ بانهم اهلُ سبق اهلُ امعانِ
وإنّ فرعونَ في حول ومقدرةٍ وقومَ فرعونَ في الاقدام كفؤانِ
اذا أقام عليهم شاهداً حجرٌ في هيكلٍ قامتِ الاخرى ببرهانِ
كأنما هي — والاقوام خاشعةٌ امامها ـ صحفٌ من عالمٍ ثاني
تستقبل العينَ في اثنائها صورٌ فصيحة الرمز دارتْ حول جدرانِ
لو أنها أُعطيت صوتاً لكان له صدًى يروّع صمَّ الانس والجانِ

***

أين الأُلى سجلوا في الصخر سيرتهم وصغرّوا كلَّ ذي ملكٍ وسلطانِ

بادوا وبادت على آثارهم دولٌ وأُدرجوا طيَّ اخبارٍ واكفانِ
وخلّفوا بعدهم حرباً مخلدةً في الكون ما بين احجارٍ وازمانِ
وزُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا عليهم العلمُ ذاك الجاهلُ الجاني
ويلٌ له هتكَ الاستارَ مقتحماً جلالَ اكرمِ آثارٍ واعيانِ
لَلجهلُ ارجح منه في جهالته اذا هما وُزنا يوماً بميزانِ

اسماعيل صبري

آثار مصر

١ – هيكل انس الوجود

أيها المنتحي (باصوان) داراً كالثريا تريد ان تنقضا
اخلع النعلَ واخفضِ الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غمضا
قفْ بتلك القصور في اليم غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضا
كعذارى اخفينَ في الماء بضاً سابحاتٍ به وابدين بضا
مشرفات على الزوال وكانت مشرفاتٍ على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
رُبَّ نقشٍ كأنما نفض الصا نعُ منه اليدين بالامس نفضا
ودهانٍ كلامع الزيت مرّت أعصرٌ بالسراج والزيتُ وضا
وخطوطٍ كأنها هدبُ ريمٍ حسنت صنعةً وطولاً وعرضا
وضحايا تكاد تمشي وترعى لو اصابت من قدرة الله نبضا

ومحاريب كالبروج بنتها　عزماتٌ من عزمةِ الجنّ امضى
شيدت بعضها الفراعين زلفى　وبنى البعض اجنبٌ يترضى
ومقاصير ابدلت بفتاتِ الـ　ـمسك تربًا وباليواقيت قضا
حظها اليومَ هدةٌ وقديمًا　صرفت في الحظوظ رفعًا وخفضا
سقتِ العالمينَ بالسعد والنحـ　ـسِ الى ان تعاطت النحس محضا
صنعةٌ تُدهش العقولَ وفنٌّ　كان اتقانه على القوم فرضا

***

يا قصوراً نظرتها وهي تقضي　فسكبتُ الدموعَ والحق يُقضى
انتِ طُغرا ومجدُ مصر كتابٌ　كيفَ سامَ البلى كتابك فضا
* وانا المحتفي بتاريخ مصرٍ　من يصنْ مجدَ قومه صان عرضا
لم تمتْ امةٌ ولا بادَ شعبٌ　اقرضوا الذكرَ والاحاديثَ قرضا
ربَّ سرٍ بجانبيك مزالٍ　كان حتى على الفراعين غمضا
قل لها في الدعاء لو كان يجدي　ياسماء الجلال لا صرتِ ارضا
حار فيك المهندسون عقولاً　وتولت عزائم العلم مرضى
أينَ ملكٌ حيالها وفريد　من نظام النعيم اصبح فضا
أين فرعون في المواكب تترى　يُركضُ المالكين كالخيل ركضا
ساقَ للفتح في الممالك عرضاً　وجلا للفخار في السلم عرضا
أين « ازيس » تحتها النيلُ يجري　حكمت فيه شاطئين وعرضا
أسدلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ　في ثراها وارسل الرأس خفضا

يعرض المالكون اسرى عليها　　في قيود الهوان عانين جرضى [١]

مالها اصبحت بغير مجيرٍ　　تشتكي من نوائب الدهر عضا

هي في الاسر بين صخرٍ وبحرٍ　　ملكة في السجون فوق حضوضى [٢]

أين « هوروس » بين سيف ونطع　　أبهذا في شرعهم كان يُقضى

ليت شعري قضى شهيدَ غرامٍ　　أم رماه الوشاةُ حقداً وبغضا

رب ضربٍ من سوطِ فرعون مضٍ　　دونَ فعل الفراق بالنفس مضا

وهلاك بسيفه وهو قانٍ　　دونَ سيفٍ من اللواحظ يُنضى

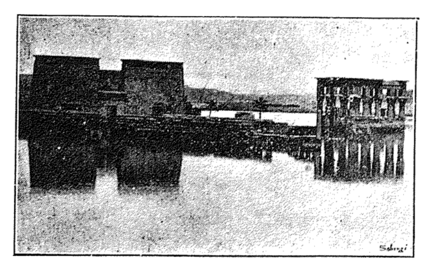
قتلوه فهل لذاك حديثٌ　　أين راوي الحديثِ نثراً وقرضا

شيمة النيل ان يفي وعجيب　　أحرجوه فضيعَ العهد نقضا

حاشه [٣] الماء فهو صيد كريم　　ليت بالنيل يومَ يسقط غيضا

شيدوا المال والعلوم قليلٌ　　أنقذوه بالمال والعلم نقضا [٤]

شوقي



هيكل انس الوجود

(١) مغمومين　(٢) جبل كان العرب ينفون فيه خلعاءهم　(٣) حاثر اي احرج الصيد من كل مكان　(٤) اثر

٢

وقد غمرت المياه قسماً من هذا الاثر البديع المشيد على عمدٍ في ماء النيل بالقرب من شلال اصوان كما ترى في الرسم . حتى بات يخشى ان يذهب الاثر بعد العين . وقد قال الاديب صاحب الامضاء باكياً :

وَقفٌ عليكَ دموعي ايها الطللُ عيني اليك وقلبي للأُلى رحلوا . . .
ارسلتُ بالعينِ في سقياكَ هامية وفي الطلول البوالي ترسلُ المقلُ
يا أيها الطللُ المزوَّرُ (١) جانبهُ هوّنْ عليك كلانا بعدهم طللُ
وقفتَ باليمّ رسماً لا حراكَ به واليمُّ مضطربٌ والموج مقتتلٌ
الدهرُ ملَّ وآيُ الدهرِ كامنةٌ في وجهك الطلق لا يبدو بها مللُ (٢)
قرأتُ فيهن سرَّ العالمينَ فيا شتان ما بين من قالوا ومن عملوا
كانوا اذا ابصروا شمس الضحى سجدوا لها وإن ابصروا شمها الهدى عدلوا
هنالكَ التاجُ كانت كلما سطعتْ بدورُه طأطأتْ هاماتِها الدولُ

عبد الحليم المصري

وآثار مصر من ستة انواع وهي الاهرام والمسلاّت والتماثيل والقصور والهياكل والقبور . واكبر الاهرام واشهرها هرم كيوبس في الجيزة وعلوه ١٣٨ متراً ومن المسلات مسلات كرنك واون والاسكندرية ومن التماثيل تماثيل ممنون ورعمسيس ومن القصور اللبرنث في الفيوم وهو يحتوي على ١٢ قصراً و ٣٠٠٠ غرفة ومن الهياكل هيكل كرنك ولقصر الخ . .

---

(١) المائل (٢) : يشير الى تاريخ بناء القصر المنقوش على مدخله بالعبري

النيل

مصر هدية من النيل

(هيرودُت)

اسم النيل مأخوذ عن اليونان ،واصل الكلمة في لغتهم « نيلوس » ولعل اليونان اخذوها عن الفينقيين او الحثيين او عن القبائل التي كانت في لوبيا او في آسيا الصغرى . اما اسمه عند المصريين بصفته مقدساً فهو « جعپي » وإن اخرجوه عن الالوهية سموه « يومع » ومعناه اليم . او سموه النهر الكبير « أور » ويؤخذ من الرسوم القديمة انه كان يكنىّ بابي الارباب ، ورب الغذاء ، ومخرج المأكولات بخصبه ، ومالىء القطرين بمحصولاته ، ومانح الحياة ، ومزيل المجاعة الخ . وحقاً ان النيل لكذلك

وهو يحدث في مصر ثلاث هيئات : الاولى زمن الفيضان ، فتصبح فيه مدن مصر جزائر وارضها انهاراً ولكن ذلك سيزول بمشروعات الريّ الجديدة . والثانية زمن الانحسار ، فتكون فيه كجنةٍ اغراسها نضرة ومزارعها يانعة خضرة . والثالثة زمن التحريق فتكون الارض فيه قحلة جدبة عليها غبرة . ولقد اصاب احد شعراء العرب اذ قال :

كأنَّ النيلَ ذو فهم ولبّ　　لما يبدو لعين الناس منهُ
فيأتي حين حاجتهم اليه　　ويمضي حين يستغنون عنهُ

وقال ابو الحسين المعروف بابن الوزير مشيراً الى ما ينجم عن الفيضان من الخيرات :

أرى ابداً كثيراً من قليلٍ　　وبدراً في الحقيقة من هلالِ
فلا تعجب فكلُّ خليج ماء　　بمصر مسببٌ لخليجِ مالِ
زيادة إصبعٍ في كل يومٍ　　زيادة أذرعٍ في حسن حالِ

عيد النيل

وكانوا يحتفلون قديماً بعيد النيل احتفالاً عظيماً ، فاذا جاء الانقلاب الصيفي واتى الماء المقدس من اجباب اسوان الى جبل السلسله قامت القسوس المقيمة في هذا الجبل او الملك الحاكم او ابنه فيتقرب بثورٍ او بأوز ، ثم يُلقي في الماء قرطاساً مختوماً من البردى يشتمل على امرٍ فيه اطلاق الحرية له بالزيادة ، لكي يضمن لمصر الخير بفيضانٍ معتدل وكانوا يعتنون بهذا العيد رعايةً للرواية القديمة القائلة ان سعادة السنة او شقاءها موقوف على ذلك المهرجان ، فان حصل منهم في شأنه اهمالٌ او توانٍ ، رفض النيل الامر الصادر اليه ، واغرق الاراضي والجهات . وفي هذا الموسم كان الفلاحون يأتون بالزاد ويأكلون معاً اياماً متوالية ويشربون حتى يثملوا . ويستمرون على ذلك حتى يأتي يوم الموسم الكبير ، فتخرج حينئذ القسوس من المحراب وبينهم تمثال فيزفونه على الشاطئ بالالحان والاصوات المطربة والترتيل والمدائح وصدح الآلات الموسيقية فيقولون ما ملخصه :

« السلام عليك ايها النيل ، يامن ظهرت على هذه الارض وأتيت لاحياء مصر ، انت الذي يختفي مجيئك في الغياهب الى يوم الترتيل بقدومك أنت البحر المفيض بمياهك على البساتين التي اوجدتها الشمس لنا لتحيي جميع ما يكون في شرَق . انت صانع القمح وموجد الشعير ومطيل اجل المعابد . ان تعطلت اصابعك او اعتراك كساد ، اصبحت الالوف من الناس في فاقة . وان نقصت وقت نزولك من السماء ، أفنيت المعبودات والخلق ، وتكدرت الحيوانات وصارت الارض كباراً وصغاراً في عذاب . واذا كانت الحال على عكس ذلك واستجيب دعاء الناس تصيح الارض ابتهاجاً ، وينشرح كل ذي بطن ، ويهتز كل ظهر من الضحك . . يامجلب

الارزاق ومكثر المأكولات ، انت الذي يوجد غلف الحيوانات ، ويعطى كلّ ما لزم لقرابين المعبودات ، انت الذي يهتم بالقطرين فتمتلىء المخازن وتزداد خيرات الفقراء ، انت الذي يستجيب دعاءهم عند تقديم النذور فلا ينقصهم شيء . . . واذا دخلت كنت محاطاً بالاغاني ، واذا خرجت صاحبك التهليل ، واذا رقصوا فرحاً يوم ظهورك من غياهب مكمنك فما ذلك الا لكون عجزك اضمحلال لهم وفساد . . . ومتى تضرعوا اليك لينالوا الماء السنوي شوهد اهالي مصر الوسطى واهالي الوجه البحري مصطفين بعضهم بجانب بعض ، وكان كل امرىء حاملاً لعُدد صنعته ولا ينزوي احد وراء جاره . . . انت منبت الارزاق الحقيقية التي هي رغبة الناس . . . هذا هو كلام الالتماس الذي يجعلك مجيباً لدعائهم واذا تكرمتَ بلجج المحيط السماوي على الانسانية قدّم « نبرى » معبود الحب عندئذ قربانه وسجدت لك كل المعبودات قاطبة . ومتى عجنت يداك شيئا صار ذهباً ، او طوبة صارت فضةً . لا يوكل اللازورد لكن القمح افضل من الاحجار الكريمة . لقد شرعوا في الاغاني على العود ، واخذوا يرتلون لك بتصفيق مستمر لتبتهج من اجلك ذراري اولادك ، وليكثروا من اجلك تراتيل المدح ، كيف لا والنيل هو اله الثروة ، وهو الذي يحيي قلوب النساء الحبالى . ولو تأخر عن اعطاء الغذاء، لزالت السعادة من المساكن ، ووقعت الارض في ضعف شديد . . . »

ولا يزال المصريون حتى اليوم يحتفلون احتفالاً عظيماً بما يسمونه «وفاء النيل» ولقد جرى الاحتفال هذا العام في ٢٥ اغسطس (آب) الماضي بالابهة المعتادة :

وفاء النيل

في هذا اليوم الذي كان فيـه قدماء المصريين يقدمون لك فتاة من أجمل فتياتهم ، ويلبسونها أجملَ الاثوابِ وأثمنَ الحلى ، ويأتون بهـا الى وسط مياهك الهادئة ويطرحونها ضحية في أمواجك اللطيفة ، نأتي نحن ايضاً ابناء القرن العشرين بتقدماتنا وضحايانا

كنت الهاً عظيماً ، لانك كجميع آلهـة البشر قوةٌ عجيبةٌ من قوى الكون ومظهر غريب من مظاهر الارض . فحسبوك الهاً كسائر آلهتهم التي يعبدونها تحب النقمـة وترتاح الى سفك الدماء وتصبو الى الذبائح والضحايا ، لذلك كانوا يزفّون اليـك كل عام فتاة فتانة لتكون لك عروساً أيها الاله وابن الآلهة . . . !

هذا الوحشُ الضاري السفاح الذي يشرب الدماء والاثم كالماء الذي نسميه انساناً قد صنعك انت ايضاً كسائر الآلهة على صورته ومثاله . . .

على نغمات العود والقيثارة والمزمار ، وبين اناشيد الغناء وضجيج الاستحسان كانوا يأتون اليك بأميرةٍ من اميراتهم في ربيع صباها وريعان جمالها يترقرق الحسن في وجنتيها ويتألق الجمال في خديهـا ، ولا يخشون أن يطرحوها في احشائك أنت يا اله الرحمة والصلاح !

* * *

كنت الهاً عظيماً ، ولا تزال الهاً فخماً بيدك الخير والشقاء ، وبين شفتيك الموت والحياة ، تضرب وتشفي ، وتميت وتحيي

لبثت الوفاً من السنين محجباً بحجب الاسرار ومستتراً بستر الألغاز ، فاقتفى البشر آثارك في البيد والقفار ، وتتبعوا مسيرك في الصحارى والرمال ، وناجوك كما ناجوا كل اله سواك ليعلموا من أنت وما انت وهم يحسبون الآن انهم قد كشفوا سرك واوضحوا أمرك — أيخترقون احشاء الارض؟ أيشقون الاطواد الراسيات بعضها بجانب بعض ؟ انهم لمقصرون عن ذلك تقصيراً ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

تسير في عقيقك الفخيم العجيب ، كما تسير الآلهة في طرقهـا ، لا تلتفت يمنةً ولا يسرة — تضحك من ابناء آدم وعلومهم وافراحهم واتراحهم وبخارهم وكهربائيتهم كما يضحك منهم « جوبتير » من نوافذ « أولمبس »

الانسان ابن امس أما انت فكائن منذ الازل وستبقى الى الابد :

عبدوك لان لك نفعاً يرجى وضرًّا يخشى كسواك من الآلهة الاخرى

عبدناك وقد عبدنا قبلك الفلكَ الدائر ، والنجمَ السائر ، والهواءَ والسحاب ، والجو والضباب ، والشموس والاقمار ، والاحراج والاشجار ، والطيور في اوكارها ، والاسماك في بحارها والوحوش في اوجارها

عبدنا من قبلك الخنافس والثيران ، والجبل والبركان والهوام والحشرات ، والاصلال والحيات ، وكل ما سبح في الهواء ، وغاص في الماء ، ودب على الغبراء ،

ولما لم تبقَ مادة في هـذا الكون الذي لا تحيط به العقول ، وليس الى معرفة كنهه من وصول خلقنا من الوهم اكواناً جديدة وقوى عديدة واتخذناها الهاً ومعبوداً ، نخر لها ركعاً وسجودا .

عبدنا آلهة نصفها بشر ونصفها انسان ومخلوقات رأسها اله وجسمها حيوان

ولما لم تكفنا كل هذه الآلهة وهي الكون باسره والوهم بجملته عبدنا الرذائل والارواح ، والشياطين والاشباح ، وعقدنا محالفات مع ابالسة جهنم لنقوى بها على سلطة الاله الاحد والفرد الصمد

فلماذا لا نعبدك انت أيضاً أيها النيل السائر وسطنا بجلال يسحر العقول ، وسر يدعو الى الحيرة والذهول ، الجاري امامنا في منسبط الغبراء ، كما تجري الآلهة في منبسط السماء والمجرة في عقيق الفضاء

***

بيدانا قد انتقلنا الآن من عبادة الاوثان ، ووحّدنا الآلهة والاديان وجعلنا الهنا الاحد ديناراً ، واتخذناه لديننا شعاراً ، هذا النقد ذو الوجهين نظيرنا هو هو الهنا ومعبودنا ، نتبارى الى مسجده ، ونتجارى الى معبده

ولكن أليست مياهك انت يا الهَ الخير والصلاح ومصدر الحياة والفلاح هي التي حولت نضرة مصر نضاراً ، وتربتها تبرا ؛ ألست أنت الذي خلقَ هذا الالهَ الذي تعبده أُمم الارض طراً وتعفر وجهها امامه ليلاً ونهاراً ، فانت انت اذاً اله الالهة !

***

في قلبك اسرار مصر وفي احشائك الغاز كهنتها المنافقين ، وسحرتها المشعوذين ، وفيك حديث ملوكها وغرائب اهرامها ، وعجائب هياكلها ، وفنون بنائها وضروب رسومها وسر مومياتها

دفن في جوفك مجد مصر المؤثل وشرفها الباذخ ومدنيتها القديمة التي وقف العالم أمامها مدهوشاً والتي تحج اليها عظماء الارض وامراؤها وملوكها لتشاهد آثارها فلا ترى الا اطلالاً دارسة وانقاضاً متردمة وهياكل ينعب البوم في خرائبها ومدافن تحوم الغربان حول مواضعها ، يحدق العالم فيها ويستنطق آثارها ويستفسر اسرارها ويجلو عن وجهها الصبوح حجب الخفاء والابهام ، فلا تنطق بحرف ولا تبوح بكلمة بل تنظر اليه شاخصة شخوص ابي الهول في الفضاء واصنام الالهة في الصحراء !

من يقدر في العالم ان يزيح اللثام عن محيا الالاهة « ايزيس » التي هي رمز الطبيعة وقد نُقش على تمثالها ابلغ ما نقشته يدٌ على حجر «. انا هو ما كان وما هو كائن وما سيكون وليس لبشر ان يحسر لثام الابهام عن محياي ! »

*
* *

في أحشائك اسرار هذا الكائن العجيب الذي نسميه بشراً والذي توارت اخباره طي الخفاء والكتمان . ألم تتبسم يا اله مصر يوم مست يدُ الانسان الاول مياهك المقدسة . هلا فقهت حينئذٍ ان هذا الوحش الغريب الذي نفتش الآن عن حلقته المفقودة سوف يصير الهاً نظيرك ؟

شاد على ضفافك عروشاً باذخة ودولاً كبيرة ومدائن غناء ، وبنى لنفسه صرحاً من المجد كان معجزة الاولين واعجوبة الآخرين ، ثم ضاقت احشاؤك بمجده فجر جيوشه وجحافله واجتاح الارض براً وبحراً ودوخ الممالك شرقاً وغرباً ، ودوى العالم بحديث جرأته وتجاوب الجو بصدى

انتصاراته وبسط ظل مجده على أقاليم المعمور ونقش اسمه في صفيحة الكون بين اسماء الآلهة بجانب اسمك لانه ابنك وثمرة احشائك

***

بيدانه الله فان كجميع مصنوعاته اما انت يا من هو صنع الالاهة « ايزيس » فانك شطر منها كنت وكائن وستكون وليس لبشر ان يزيح لثام الابهام عن محياك

تكونتَ من مياه الارض التي تنعقد سحاباً في الجو وتنزل دموعاً كاللؤلؤ على قنن الجبال ، وتتفجر بحاراً في جوف الارض تجري الى اليمّ من حيث ولدت

انك منذ الازل وسوف تبقى الى الابد وليس لملكك انقضاء — سيأتي زمن ينقطع فيه صفير البخار الذي يهزُّ أمواجك ، وتنطفئ شموس الكهربائية التي تنير وجهك ، وتندك هذه البنايات الشامخة القائمة على ضفافك ، وتصمت آلات الطرب واناشيد الغناء على شواطئك ، وينقرض هذا الاله الصغير الذي يطاول مجدك مع اهرامه وهياكله وبواخره وآلاته ومدنه . ومدنيته ليست هي الا ألاعيب صبيانية تزول كما يزول اللاعبون بها وتبقى انت وحدك جارياً في طريقك الابدية ، كما تجري الآلهة في السماء والمجرة في عقيق الفضاء

***

تعود حينئذٍ الى جمالك الطبيعي الذي ورثته من « ايزيس » يوم ولدتك منذ بدء العالم تجري وسط هذا السكون الابدي بعد ان تكون قد

قطعت هذا السد الصبياني الذي وضعه الانسان حاجزاً في طريقك ، كما يقطع الجبار خيطاً من القنب يشده طفل الى ذراعيه

تجري بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، كما انتَ سائرٌ الآن غير مبالٍ بهذا الاله الصغير الذي يجهل سر الآلهة — لا تنبت على ضفافك شجرة معرفة الخير والشر لئلا يأكل منها ويحيا الى الابد فيملأ بلادك هياكل وآلهة وجوك لغطاً وصخباً وشواطئك إثماً وفجوراً كما هو فاعلٌ الآن

تجري حينئذٍ بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، لانك جميل وكل ما حولك جميل من سهول منبسطة وجبال راسية واشجار باسقة وزهور باسمة — تنظر السماء اليك وتنظر اليها وهي كأنها رقعة من زمرد مرصعة بالماس ، تتلألأ دراريها وتتألق انوارها

اذا كانت شجرة معرفة الخير والشر موجودة الآن على ضفافك فاجرفها الى قلب البحر واعماق الاوقيانس لان هذا الآله الصغير الساحر الذي هو بجانبك ، اذا صار الهاً خالداً ، أفسد الارض والجو وشوّش نظام ايزيس واستأثر بالقوة والسلطان واقلق راحته وراحة الاكوان

***

ذهب هذا الاله الصغير امس الى ضفافك ليعبدك كما كانت تعبدك اجداده وجاء بالسفينة التي كانت اسلافه تضع فيها عروسك لتقدمها ضحية لك لانه حسبك كنفسه تحب الانتقام وتصبو الى الضحايا

جاء اليك على نغمات العود والقيثارة والمزمار واصوات الغناء واناشيد السرور كما كان يجيء قديماً منذ الوف من السنين . واذا كان لم يأتِ بفتاة

يقدمها ضحية لك فذلك ليس لانه قد عرفك الان الهاً تحب الخير وتصبو الى الصلاح بل لانه قد اصبح اشد حباً لذاته واكثر استئثاراً من ذي قبل لحفظ الفتاة لنفسه — انه غبي جاهل ولا يزال يصنع الهة اخرى على صورته ومثاله !

هذا وفاؤك ايها النيل فسر في طريقك الابدية وسبيلك الخالد كما تسير الآلهة في السماء والمجرة في عقيق الفضاء   الدكتور سعاده

وهذا نصُّ الحجة التي تكتب سنويًا في الاحتفال بوفاء النيل بحضور فضيلة مفتي الديار المصرية والعلماء والاعيان :

في ليلة كذا الموافق كذا سنة كذا قبطية في المجلس المنعقد بالصيوان المنصوب برأس الخليج الحاكمي بمصر المحروسة لدى . . . . بمحضر كلٍّ من . . . وحضرات الاساتذة . . . وحضرات . . . من اعيان مصر وغيرهم من الفضلاء والوجوه قد تحقق وفاء النيل المبارك بأن بلغ في يوم كذا المرقوم السابق لهذه الليلة كذا ذراعاً وكذا قيراطاً من الذراع المعتاد بمقياس الروضة في القاهرة . وذلك من فيض الله واحسانه وتكرّمهِ ، ورأفةً بعباده ، وقد انشرحت بذلك الصدور وطلب الجميع من المولى الغفور ان يجعلَ النفعَ به عاماً ، ويديم السرور . وقد وجب الخراج على ارباب الاطيان واداء الاموال والمرتبات لجهة الخزينة العامرة حكمَ المعتاد ، والحمد لله على منتهِ ، والمرجو من فيض فضلهِ ان يجرينا على عوائدهِ واحسانهِ ، انهُ وليُّ ذلك والقادر عليه ، وفي يده مقادير كلِّ شيءٍ وكلُّ شيءٍ راجعٌ اليه

والنخلُ كالغيدِ الحسانِ تزينت ولبسنَ من أثمارهنّ قلايدا

ظافر الحداد



النخل على النيل

وللنخيلِ منظرٌ مهيبُ تراعُ في جمالهِ القلوبُ
فوق الضفافِ ظلُّها رهيبُ صفاً بصفٍ زانها الترتيبُ
من كل جبّارٍ عظيمِ القدرِ
تحسبها مرَدةً طوالا تحتَ مظلاتٍ زهتْ جمالا
في النيلِ جاءت تبتغي اغتسالا سحرها النيلُ فلن تزالا
واقفةً هنا بفعلِ السحرِ

الياس فياض

١ — الجزيرة

جزيرة مصرٍ لا عَدَتْكِ مسرةٌ　　　ولا زالتِ اللذاتُ فيكِ اتصالها
فكم فيكِ من شمسٍ على غصن قامةٍ　　　يميتُ ويحيي هجرُها ووصالها

شاعر عربي

٢ — ليالي الجزيرة

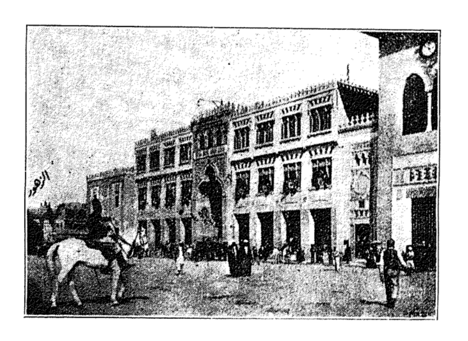
انا في الحبِّ صاحبُ المُعجزاتِ　　　جئتُ للعاشقينَ بالآياتِ
كان اهلُ الغرامِ قبلي أُميـ　　　ـينَ حتى تلقنوا كلماتي
فانا اليومَ صاحبُ الوقت حقاً　　　والمحبّون شيعتي ودُعاتي
ضربت فيهم طبولي وسارت　　　خافقاتٍ عليهم راياتي . . .
فعلى العاشقينَ مني سلامٌ　　　جاءَ مثل السلام في الصلواتِ
يعشق الغصنَ ذا الرشاقةِ قلبي　　　ويحبُّ الغزالَ ذا اللفتاتِ
ياحبيبي وانتَ ايُّ حبيبٍ　　　لا قضى اللهُ بيننا بشتاتِ
ان يوماً تراكَ عيني فيهِ　　　ذاك يومٌ مضاعفُ البركاتِ
انت روحي وقد تملكت روحي　　　وحياتي وقد سلبتَ حياتي
متُّ شوقاً فأحيني بوصالٍ　　　أُخبرِ الناس كيفَ طعمُ المماتِ

***

فرعى اللهُ عهدَ مصرٍ وحيّا　　　ما مضى لي بمصرَ من اوقاتِ
حبذا النيل والمراكبُ فيه　　　مصعداتٍ بنا ومنحدراتِ
هاتِ زدني من الحديث عن النيـ　　　ـلِ ودعني من دجلةٍ وفراتِ
وليالِيَّ « بالجزيرة » و« الجيـ　　　ـزةِ » فيما اشتهيتُ من لذاتي

بين روضٍ حكى ظهور الطواويـــــسِ وجوٍّ حكى بطونَ البُزاةِ
حيثُ مجرى «الخليج» كالحيةِ الرقـــــطاء بين الرياضِ والجناتِ
ونديم كما نحبُّ ظريف وعلى كلِّ ما نُحبُّ مواتي
كل شيءٍ اردتهُ فهو فيه حسن الذاتِ كامل الادواتِ
يا زماني الذي مضى يا زماني لك مني تواتُرُ الزفراتِ

بهاء الدين زهير



محطة مصر

لما انشئت محطة القاهرة الكبرى اقترحت الحكومة المصرية على الشعراء نظم ابيات ترسم على جدران المحطة ، وجعلت جائزةً للذي يحرز قصب السبق ، فنال الافضلية فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد . واليك الابيات التي يراها المسافر منقوشة على باب المحطة :

يا حسن عصرٍ بعباسِ العلى ابتسما حتى الحديدُ غدا ثغراً له وفما
طرائق في ضواحي القطرِ تبلغنا اقصى البلادِ ولم ننقلْ بها قَدَما
مصرٌ كصفحةِ قرطاسٍ بتربتهـا غدا القطارُ عليها الخطَّ والقلما
ارضٌ بها كان خصب النيلِ منتثرًا حتى اتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحبِ منسجماً ولا غنى عن قطارِ النار مضطرما
يجري بها الرزقُ في جسمِ البلادِ كما يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما
محطةٌ هي قلبٌ والخطوطُ بَدَت مثلَ الشرايين فيها والقطارُ دما
مع السلامةِ يا من سارَ مرتحلاً عنا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

نجيب الحداد

الازبكية

كما وصفها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ .

واما بركةُ الازبكية فهي مسكنُ الامراء ، وموطنُ الرؤساء ، قد أحدقت بها البساتينُ الوارفةُ الظلال ، العديمةُ المثال ، فترى الخضرةَ في خلالِ تلك القصورِ المبيضة ، كثياب سندس خضر على اثوابٍ من فضة ، يُوقد بها كثيرٌ من السرجِ والشموع ، فالانسُ بها غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوع ، وجمالها يُدخلُ على القلبِ السرور ، ويذهل العقل حتى كأنهُ من النشوةِ مخمور ، ولطالما مضت لي بالمسرة فيها ايامٌ وليالي ، هنَّ في سمطِ الايامِ من يتيم اللآلي ، وانا انظرُ الى انطباع صورة البدر في وجناتها ، وفيضان لُجَين نورهِ على حافاتها وساحاتها ، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضي لعاب ،

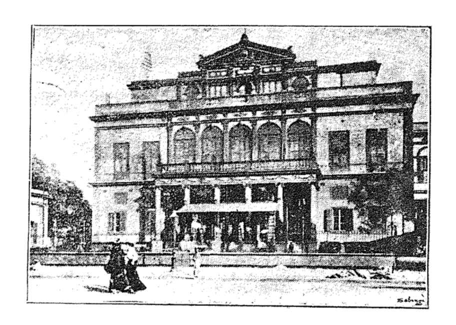
وقد سلّ على حافاتها من تلاعب الامواج كل قرضاب ، وقامت على منابر أدواحها ، في ساحة افراحها ، مغردات الطيور ، وجالباتُ السرور ، ولذيذ العيش بها موصول ، وفيها اقول :

بالأزبكيةِ طابت لي مسراتُ　　ولذَّ لي من بديعِ الانس اوقاتُ
حيثُ المياهُ بها والفُلكُ سابحةٌ　　كأنها الزهرُ تحويها السماواتُ
وقد أُديرَ بها دورٌ مشيدةٌ　　كأنها لبدورِ الحسنِ هالاتُ
مدَّت عليها الروابي خضرَ سندسِها　　وغرّدتْ في نواحيها حماماتُ
والماءُ حين سرى رطب النسيم به　　وحلَّ فيهِ من الادواحِ زهراتُ
كسابغات دروعٍ فوقها نقطٌ　　من فضةٍ واحمرار الورد طعناتُ
مراتعٌ لظباءِ التركِ ساحتها　　وللاسودِ بها فيهنَّ غيضاتُ
وللنديمِ بها عيشٌ تجُدِّدهُ　　ايدي الزمانِ ولا تخشى جناياتُ
يروحُ منها صريع العقل حين يرى　　على محاسنها دارتْ زجاجاتُ
وللرفاقِ بها جمعٌ ومفترقٌ　　لما غدت وهي للندمان حاناتُ

الشيخ حسن العطار

الاوبرا

وقرب حديقة الازبكية قامت الاوبرا الخديوية ، أنشأها المغفور له الخديوي اسماعيل باشا وأول رواية مُثّلت فيها رواية « عائدة » لفردي الشهير وقد حضرتها الامبراطورة اوجيني قرينة نابوليون الثالث :



الاوبرا

وصف مصر

في منتصف القرن الغابر زار مصر الكاتب الشهير فارس الشدياق وكتب عنها فصلين ضافيين نشرهما في كتابه « الساق على الساق في ما هو الفارياق » المطبوع في باريس سنة ١٨٥٥ م و ١٢٧٠ ه على نفقة المرحوم رافائيل كحلا الدمشقي . وعنهما نلخص ما يأتي . وسيرى القارئ ان اكثر هذه الملاحظات لا يزال منطبقاً على ايامنا هذه . قال :

مصر بلد الخير ، ومعدن الفضل والكرم ، اهلها ذوو لطفٍ وادبٍ واحسان الى الغريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يُغني الحزينَ عن التطريب . اذا حيّوك فقد احيوك ، وان سلّموا عليك فقد سلّموك . وان زاروك زادوك شوقاً الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلاً عن مجالسهم . اما علماؤها فان مدحهم قد انتشر في الآفاق ، وفاتَ فخرَ من سواهم وفاق ،

بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه. ما لا يمكن المبالغةُ في اطرائهِ ... وكأنَّ حسن الخُلق ورقة الطبع امرٌ مركوز في جميع اهل مصر، فان لعامتهم ايضاً مخالقة ومجاملة . وكلهم فصيح اللهجة بيّنُ الكلام سريع الجواب، حلو المفاكهة والمطارحة . وكلهم يُحبُّ السماع واللهو، وغناؤهم اشجى ما يكون، فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره، وكذلك آلاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها . ولهم في ضرب العود طرقٌ وفنون تكاد تكون من المغيّبات، غير اني اذم من غنائهم شيئاً واحداً، وهو تكرير لفظةٍ واحدة من بيت او موّال مراراً متعددة حتى تفقدَ السامعُ لذةَ معنى الكلام . ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن . وبعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غناءهم اشبه بالترتيل، وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب في الاندلس ...

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والعز والفخر والكرم والمجد، فكان للمتّسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسى والشِحَن مما لم يُعهدْ في دولة غيرها ...

ومع عظم ما كان يكسبه التجّار واصحاب الحِرَف، وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم كانتِ الاسعار في مصر رخيصةً جداً . فلهذا كنتَ ترى الناس قُصريّهم وعميّهم مقبلين على الشغل واللهو معاً . فالبساتين غاصة باهل الخلاعةِ والقصوف، ومحال القهوة مجمعٌ للاحباب، والاعراس مسموع فيها الغناء وآلاتُ الطربِ من كل طرف . والرجال يخطرون بالخز والديباج، والنساء ينوءنَ بما عليهنَّ من الحلي، والخيل

والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش . . .

والغريبُ يجدُ في مصر ملهى وسكناً ، وينسى عندها اهلاً ووطناً . . . ومن خواصها ان اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافةً وظرافةً ، وادباً وكياسة ، وشمائل مرضية ، واخلاقاً زكية . واسواقها عارية عن ذلك راساً

ومن خواصها ايضاً ان البرنيطةَ فيها تنمى وتعظم . وتغلظ وتضخم ، وتتسع وتطول ، وتعرض وتعمق . . . وكثيراً ما كنتُ اتعجبُ من ذلك واقول : كيف انمى هواءُ مصر هذه البرانيطة وقد طالما كانت في بلادها لا تساوي قارورة الفراش . ولا توازن ناقورة الفَراش . وكيف كانت هناك كالترب ، فاصبحت هنا كالتبر . . . ياهواءَ مصر يا نارَها يا ماءَها يا ترابها صيّري طربوشي هذا برنيطةً ، وان يكن احسن منها عند الله والناس فلم يغنِ عني النداء شيئاً وبقي رأسي مطربشاً ، وطرف دَهري مطرفشاً

ومن خصائصها ايضاً ان البغاثَ بها يستنسر والذباب يستصقر ، والناقة تستبعر ، والجحش يستمهر ، والهرّ يستنمر ، بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة　　　　فارس الشدياق



نابوليون بونابرت

في مصر

... واتى النسرُ ينهبُ الارضَ نهباً　حولَهُ قومهُ النسورُ ظماءُ
يشتهي النيلَ ان يشيدَ عليه　دولةً عرضُها الثرى والسماءُ
حلمت رومة بها في الليالي　ورآها القياصرُ الاقوياءُ
فأتت مصرَ رسلُهم تتوالى　وترامتْ سودانها العلماءُ [1]
ولو استشهد الفرنسيسُ روما　لا تتهم من رومة الانباءُ
قاهرُ العصر والممالك نابليونُ ولّت قوّادُهُ الكبراءُ
جاء طيشاً وراح طيشاً ومن قبلُ اطاشت أُناسها العلياءُ
سكتت عنهُ يومَ عيّرها الاهرامُ لكن سكوتها استهزاءُ [2]
فهي توحي اليه ان تلك « واترلو » [3] فاين الجيوش اين اللواءُ

شوقي

---

(١) رافقت الحملة الفرنسوية بعثة علمية لدرس آثار مصر وهو العلم المعروف عند الافرنج باسم Egyptologie

(٢) يشير الى قول نابوليون بونابرت « ايها الجنود ان اربعين قرناً تشخص اليكم من اعلى هذه الاهرام . . ! » وكان ذلك قبل انتصاره على المماليك سنة ١٧٩٨

(٣) Waterloo هي الموقعة الشهيرة التي انكسر فيها نابوليون في ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٨١٥

٢

سوريا

ما بين اسيا الصغرى للشمال ، والفرات والبادية للشرق ، وقسم من بلاد العرب للجنوب ، وبحر الروم للغرب تمتدُّ سوريا بسلسلة جبالهـا متدرجةً من الغرب حتى تنتهي على بحر الروم ، وممتدةً من الشرق حتى تلامسَ نهرَ الفرات عند شماله ورمال صحراء الشام عند جنوبه . وهذه السلسلة التي تمتد بطولها من اسيا الصغرى حتى بلاد العرب ، من طورس الفاصل حتى الصحراء الجافة ، تظهر للناظر باغرب حركات الطبيعة واجملِ انتساقها ، فهي تحاذي خليج اسكندرونة حتى انطاكية ، ثم تتجـه نحو الجنوب الشرقي حتي بَعلَبَكَّ ، ومن هنالك تتقطع بتلالٍ متتابعـة وتمدُّ ذراعيها لتصافحَ بحر الروم بجبلي لبنان والانتي لبنان

ومن قرب الشاطيء تمدُّ جناحاً كبيراً ينتهي بالكرمل الواقف عمودياً على صفحةِ الماء ، ثم ترتفع على مشهدٍ منه قمة الطور لتسود التلالَ العديدة الواقفة بعلوٍّ متدرج حتى تصل نقطة اختفائهـا على الارض القاحلة ، على الرمال المحرقة ، على الصحراء

تلك هي سوريا وفيها حلب ودمشق وبيروت واورشليم : المدائن الاربع التي تقف كالعواصم لما حولها ، وعليها مدار النظر في مستقبل سوريا وحياتها . وهذه البلاد العزيزة التي رأينا فيها نور الحياة وشاهدنا على قممها

نور الدستور لهي اكثر بلاد الدولة استعداداً للمستقبل المجيـد ، اذا كان اهلها كارضها وقلوبهم كانهارها

هذه البلاد التي تخط بجبليها الكبيرين اثلامَ الاودية العميقة وتطوِّقُ السهولَ لترسلُ اليها ماء الحياة ، هذه البلاد تجمع بوحدتها من انواع الاراضي ما لا تملكه البلدان العديدة بتفرقها على كل الاقاليم

. . . هنالك سهولُ الحر وهنا جبال القر ، هنالك السفوح المعتدلة وهنا القمم الناطحة اطراف الغيوم . فارضنا منبت كل ما يجتمع من الطبيعة في مملكة النبات ، وكل ما تطلب الالفة الكاملة من انواع العقول واستعداد الاجسام . فاذا اوجدتْ لنا السهولُ رجالَ القناعـة والعمل ، دفعتْ لنا الجبالُ بسيلٍ عرِمٍ من اهل الفكر والاطماع ، وقدمت لنا الاوساطُ جيشاً من بني القناعة وصفاء الذهن . لنا السنديان والكرم والازهار . لنا القوة والفائدة والجمال

. . . هذه سوريا التي نراهـا مملوءة من عناية الله لا نكاد نقلب صفحةً من تاريخها ما لم نجد عليها لطخة سوداء نفثها الانسان من مظالمه ومن اطماعه . هذه البلاد الجميلة كانت منذ البدء ارضُ الميعاد لكل شعبٍ ، وكل شعب فيهـا يئن مظلوماً كأنه منفيٌّ غريب في وادي الدموع . كل عنصر كان يظهر على الارض لم يتوارَ من صفحـة الوجود ، قبل مروره بسوريا ، وابقائهِ فيها اثراً شقياً

كل قافلة من رجل الانسانية تركت على ارض سوريا تائهـاً ، وكل معسكر غاز ترك بقية متمردة ، وكل حاكم فيها ابقى عليها سلالة تطمح الى

الحكم ، وهكذا لا تمرُّ ابصارُنا هنيهةً على ارضها ما لم نجدْ في اصغر اقسامها خليطَ اليهود والعجم واليونان والروم والافرنج والعرب . وفيهم الظالم والمظلوم ، المستبدُّ والملتجي ، العناصر الباكية والعناصر الضاحكة ، والاقوام التي تتعصب وتضرب والاقوام التي تتعصب وتحمل الويل . فيهم التركي والعربي البدوي ، النصراني والدرزي ، السني والمتوالي ، السامري والكابي واليزيدي وكلُّ هذه العناصر تظهر للمفكّر كمزيجٍ هائل من الخير والشر ، من التسامح والجور ، من الاخلاص والكذب ، من الشهامة والدناءة . من الايمان بالله والكفر به

. . . كيفما قلّبتَ النظرَ في هذه البلاد العزيزة ، تجد آثارَ الجور وبقايا الحروب القومية الدينيـة ، سرّحْ ابصارك على شاطيء بحر الروم من صيدا الى يافا الى اورشليم ، وقفْ قليلاً على اطلال اليهودية القديمة ، واتبع حدودَ البلاد حتى بلادِ العرب وآسيا الصغرى حتى بريةِ الشام وارض حلب ، فلا تتجاوز ابصارُك هذه الاماكن قبلَ ان تمتلئَ من مشاهد الخرائب والاطلال في كل مكان دلالةً على الجهل وترفُّع الانسان عن ان يكون اخا الانسان : لقد شاهدتْ « صور » اول بحارة تجارية وفتحت موانيها يد الاجتهاد فهدمتها ايدي المظالم . وبنى اليونان مرافئ لوقاية المراكب فالقتها الحكومةُ البائدة في اللجج . وكانت باديةُ الشام جناتِ البلاد وذخر الخلفاء فاصبحت ارجاء ياوي اليها المتشردون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم . صور وصيدا تلك الاماكن التي انبثقت منها تجارة العالم لم يبقَ من اهلها غيرُ ذكرٍ مظلم يكاد يكونُ الحلقةَ

المفقودة لتمدن الانسانية . انطاكية وحمص والرملة وكل هذه المدن القديمة قد اصبحت طللاً يبني فوقه المظلومون اكواخهم ويتوه على رماده بنو الفقر والشقاء

. . . من جعل هذه الارجاء المملوءة بمبادئ الامجاد عفراً تترفع عنه الارجل ومتهدمات ينعق فيها البوم ؟ من هوى بذلك المجد غير الحروب تلك الآفة الهائلة التي تتولد من الاطماع والتعصب والجهل ، ولا تموت الاّ على اطلال القصور أو فوق قبر ظالم او عند الرماد الذي يغطي الشعوب المنقرضة

واي زمان خلت فيه سوريا من طامع يستثمرها او سفّاح يقودُ ابناءها بالسياط وبالسيف ؟ من تحت حكم الجمهوريات الرومانية الى حكم قناصلها الى جور الاسكندر واحكام بومباي ، ومن تسلُّط السلجوقيين الى عصا امبراطرة الغرب الحديدية ، ومن العرب الى يد الافرنج دُفعت شعوب سوريا كالعبيد وسيقت كالنعاج ، وهذه الارض المزهرة المثمرة استثمرها اليونان وهدمها العرب واستعبدها الافرنج . انها لبلاد تضم كلّ قوى الحياة هذه البلاد التاعسة التي ساطتها كل العصور وداست على قلبها كل الشعوب ولم تزل تتنفس وفي عروقها دم وفي صدرها حياة

لا يكاد يوجد مكان كسوريا تتجلى فيه عظمة الخالق في بدائع خلقه وضلال الانسان في آثار تعصبه وقساوته وضلاله . لا توجد بلاد حملت كسوريا استبداد الملوك العديدين وبربرية الجنود وعواصف الحروب . .

لقد تغير وجه سوريا مئة مرة منذ اثنتي عشر قرناً وتتابعت الحكومات العديدة على هذه البلاد ، وكل واحدة منها تدفع اقوامها شوطاً بعيداً عمن

تقدمها في سبيل المظالم والاستبداد

وقد كانت بلادنا محطاً لاعصار الشعوب من كل جهة ، من الشمال ومن الجنوب ، من قفر الرمال ومن قفر الثلوج ، من الحجاز ومن بلاد التتر وكل هولاء الاقوام لم يجتازوا سوريا الا وابقوا عليها أثر العنف ودلائل الدمار . .

(و بعد ان أتى الكاتب على ذكرِ الغزاة الفاتحين الذين اجتاحوا في سوريا قال) :

وفي العاشر من تموز سنة ١٣٢٤ جاءنا فاتح جديد بلا حملة ولا سيف. جاءتنا فتاة تركية بجناحها الذهبي وابتسامتها الخلابة لتجفف الدموع التي اسالها ابوها القاسي . ظهرت ابنة الترك لتضمد جراح سوريا وقد سبرت الاجيال قروحها الى اقصاها . او بالحري جاءتنا فتاة الحرية وهي ابنة العالم كله لا تنتسب لامةٍ ولا لشعب دون اخيه

جاءت محررة الانسانية من قيودها ومطلقة العناصر من اوهامها والاديان من تعصباتها

ملاكٌ في شماله غصنُ السلام ، في يمينه قَبَسُ النور نشاهد على شعاعه ما اخفته عنا ظلمات القرون ، فلننظر الى مجاهل امراضنا نظرة الشجاع الى جراحه ، فان الحرية لا تشفي ولكنها تعطي العليلَ حرية الشفاء

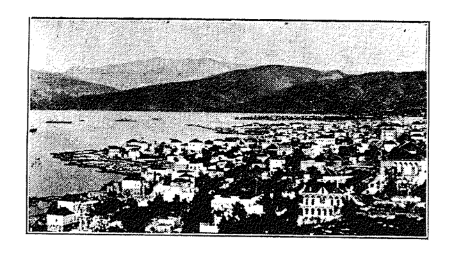
فليكس فارس

بيروت ولبنان [1]

وصلنا الى بيروت وهي من المدن السورية الآهلة بالسكان ، وقد عُرفت عند الاقدمين باسم « بيريت » وأصبحت على عهد اغسطس مستعمرةً رومانيةً وأطلق عليها الفاتح الروماني اسم « جوليا السعيدة Félix Julia» . وقد ميّزت بهذه الصفة ، لخصب ضواحيها وفخامة موقعها، وجمال جوّها العديم المثيل . والمدينة قائمة على رابية جميلة تنحدر شيئاً فشيئاً الى البحر وقد قامت فيه بعض صخورها فرُفعت عليها الحصون التركية . اما ميناؤها فهي كناية عن لسان ارض يمتد في البحر ويقي المراكب من الرياح الشرقية . وكلُّ هذه البقعة وما حواليها من الروابي مكللة بخضرة جميلة ، وترى شجر التوت قائماً على مدرجات من الارض . وشجر الخروب والتين والدلب والبرتقال والرمان تلقي ظلّ اوراقها المختلفة الالوان على تلك الانحاء . ووراءها الزيتون ذو الورق الرمادي يزركش هذا المنظر الاخضر البديع . وعلى مسافة ميل من المدينة انتصبت سلسلة جبال لبنان وفيها الاخاديد التي يضيع فيها النظر . وتنحدر في طياتها مجاري الماء الى صور وصيدا او الى طرابلس واللاذقية . وقمم تلك الجبال المتفاوتة العلو تضيع في السحب البيضاء او تسطع من انعكاس اشعة الشمس فتشبه جبال الألب وثلوجها الابدية

---

(١) كتب هذه النبذة الشاعر الفرنسوي الشهير لامارتين في رحلته الى الشرق سنة ١٨٣٢



بيروت وجبل لبنان

ان ارز لبنان اشهر اثر طبيعي في العالم . تناولت شهرته الدين والعلم والتاريخ : فورد ذكره مراراً في التوراة ، وعمد الانبياء في تشبيهاتهم واستعاراتهم الى الارز ، ومن الارز اتخذ سليمان الخشب لبناء هيكل الاله الاحد . . .

الارز أقدم شاهد على الاعصر الخوالي ، بل ان هذه الشجرات تعرف التاريخ احسن مما يعرف التاريخ نفسه ولو كان يمكنها الكلام لروت لنا احاديث الحكومات والديانات والشعوب المنقرضة

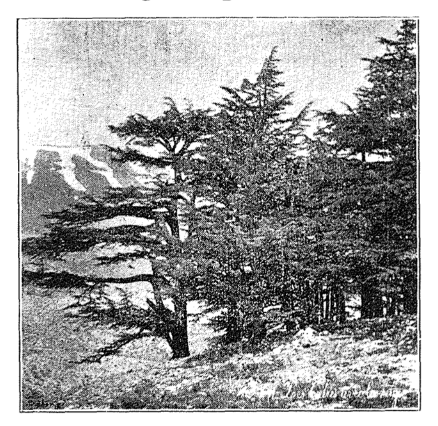
وهل من هيكل اجمل من هذا الهيكل . . ! وهل من مذبح اقرب من السماء من هذا المذبح ؟ لقد اظلت تلك الاغصان الباسقة اجيالاً عديدة من الناس وكلها تسبح الله باسماء مختلفة وتعبده في مظاهره الطبيعية . وانا ايضاً صليت امام الارز . وكان الهواء يرتل بين الافنان ويتلاعب بشعري وينشف على جفوني دموع التأثر والاخبات

لامارتين

وقال لامارتين في غير هذا المكان من كتابه : لو اتيح لي ان ادبّر حياتي كما أُريد . لقضيت عمري صيفاً على قمم لبنان وشتاءً عند سفحه . وقد قال «الصمّة» الشاعر العربي مثل ذلك في نجد :

بنفسي تلك الارضُ ما اطيب الربى   وما احسن المصطافَ والمتربعا

والمصطاف مكان الصيف والمتربع مكان الربيع



ارز لبنان

يا بني أُمي اذا حضرتْ   ساعتي والطبُّ اسلمني
فاجعلوا في الارز مقبرتي   وخذوا من ثلجه كفني

داود عمون

ذكرى لبنان

برزت تميس كخطرة النشوان ... هيفاء مخجلة غصون البان
تستعبد الحر الابي بمقلة ... دب الفتور بجفنها الوسنان...
لم أنس في قلبي صعود غرامها ... اذ نحن نصعد في ربى لبنان
حيث الرياض يهزعطف غصونها ... شدو الطيور باطرب الالحان
لبنان تفعل بالحياة جنانه ... فعل الزلال بغلة الظمآن
وترد غصن العيش بعد ذبوله ... غصناً يميد بفرعه الفينان
فكأن لبنانا عروس اذ غدا ... يزهو بنشر غدائر الاغصان
جبل سمت منه الفروع وأصله ... تحت البسيطة راسخ الاركان
تهفو الغصون به النهار وفي الدجى ... تهفو عليه ذوائب النيران
وترى النجوم على ذراه كأنها ... من فوقه درر على تيجان
لله لبنان الذي هضباته ... ضحكت مغازلة مع الوديان
يجري النسيم الغض بين رياضه ... مرخى الذيول معطر الاردان
لبست ربى لبنان ثوبا اخضراً ... وزهت بحيث الحسن احمرقان
نثر الربيع بهن زهراً مؤنقاً ... يزري بنظم قلائد العقيان
فبرزن من وشي الطبيعة بالحلى ... فكأنهن بحسنهن غوان
وكأن « صنيناً » اطل مراقباً ... يرنو لهن بمقلة الغيران

معروف الرصافي

شمالي لبنان

نقتطف عن رحلة الطبيب العالم الدكتور امين الجميّل الى تلك الانحاء الجميلة ما لا يضيق عنه نطاق هذه المجلة . قال :

بعين الطبيب وبأذنه فحصت هذه البقعة الجميلة ، وبمداد الوطنية أسطر رسالتي . وكنت اود ان أُعطى موهبة الشعر ساعة من الزمن فقط ، لامثّلَ جمال لبنان للناظر اليه من الباخرة ، لان للشاعر وحده ان يشخّص لنا عظمة هذا الجبل الذي اقدامه في زرقة البحر ، ورأسه في زرقة السما ، جرودُه مغطاة بمنطقة ناصعة البياض من ثلوج الشتاء ، وسواحله تكسوها خضرة الليمون والبساتين . وبين ثلوج دائمة في الاعالي ، وربيع دائم في الساحل ، تلالٌ مشجرة ، ووديان مخصبة ، وقرى زاهرة ، واديارٌ عامرة . وفي كل مكانٍ منه شعبٌ نشيط عُرِف بسمو الذكاء ، كما اشتهر بكرم الاخلاق وشرف المبادىء ، وصدق العقائد ، في سوريا كما في مصر واوربا واميركا

ايّ نوع من الجمال بخلت بهِ الطبيعة على لبنان العزيز ؟ وقد جعلت فيه انواع الحيوانات البرية والبحرية ، والنباتات والازهار من الأرز حتى الليمون والبلح ، والمناخات كلها من الحار الى البارد ، ومن الرطب الى الجاف ، والهواء النقي والمياه العذبة والمناظر العجيبة ، فجرودُه بديعة للاصطياف ، وسواحله عجيبة للاشتاء ، وبين هذه وتلك مسافة ساعتين فقط . . . !

فما اكرم الطبيعة علينا وما ابخلنا عليها

وقد كانت الذاكرة تنتقل بنا الى الايام التاريخية ، ايام عزّ « جُبيل » ومتاجرة الفينيقيين ومرور ملوك الاشوريين واعمال الرومانيين أو الصليبيين الخ الخ عند ما كنا نمر امام النقط والاماكن التي فيها هذه الآثار العظيمة كنهر الكلب ونهر ابرهيم والمعاملتين والبلمند

. . . سلكنا طريق زغرتا ، فمررنا بجانب حدائق طرابلس الغناء ، ذات الدخل العظيم ، ثم ارتقينا اعلى المدينة ووصلنا الى لبنان . وكل هذه الاراضي ذات خصب عجيب لانها جمعت كل ما يلزم للنبات : تربة جيدة وحرارة قوية ومياه غزيرة . وهناك ترى من أهم واجمل ما يوجد من الزيتون

ولم نلبث ان وصلنا الى « زغرتا » القائمة على تلّ لطيف تحيط بها سهول ووديان ذات تربة كلها خصب وآخر ما يمتد اليه الطرف جبال قريبة مشجرة واعلاها يغطيه الثلج

وقد نشأ من الزغرتاويين رجالٌ عظام منهم البطريرك جرجس عميره واسطفان الدويهي وجبرائيل الصهيوني ويوسف بك كرم الشهير

ويمرّ بهذه البلدة نهر « رشعين » ومياهه تفيض الخيرات على بساتين زغرتا وحدائقها

وبالاختصار ان الطبيعة دللت كثيراً اهالي زغرتا ، وبعكس ما ينتجه الدلال ترى الزغرتاويين ابطالاً وابناء ابطال واباء ابطال : امس واليوم وغداً . . .

. . . اين واحسرتاه ! فرسان اللبنانيين ؟ اين شجاعة رجالنا اين حماستهم في الحروب وشهرتهم في الوغى . اين اقدامهم على العظائم ؟ اذا

أُعلنت حربٌ على المملكة ، اين اسود لبنان ؟ وان اراد عدوٌّ مهاجمة لبنان والاعتداء على امتيازه وحقوقهِ فمن هم حماته

ومن لا يذُدْ عن حوضهِ بسلاحه   يهدَّم ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ

فلو قام « ابو سمرا » او « الشنتيري » من القبر فاين هم الابطال الذين كانوا يقتحمون معهم اهوال دفاع شريف . فانه لم يبقَ عندنا جماعة مدربة مستعدة الا في زغرتا وفي بعض البقع الدرزية

. . . ولا يتوهمنَّ السامع ان الشجاعة تنفي رقة الشعور ، ولطف الحاسات « فقلب الاب الحقيقي هو حقاً قلب اسد » وقد تحققت ذلك أيضاً في زغرتا ، فان هؤلاء الرجال والنساء الذين يقال عنهم « سواعد من حديد قلوب حديد رجال من حديد » هم احنّ الناس على الاولاد واكثرهم عطفاً على المرضى . ولم ارَ في البلاد ذكر الموتى مكرماً ومحبوباً اكثر منه في هذه البقعة حتى كدنا نقول انهم يكرمون الموتى الى درجة تقتل الاحياء . . .

الدكتور امين الجميل

قال المتنبي :

احبُّ حمصاً الى خُناصرةٍ   وكلُّ نفسٍ تحبُّ محياها

حيث التقى خدُّها وتفاح لبـ   ـنان وثغري على حميّاها

صنّين

جبلٌ يناجي في العلوّ الهَهُ ويُعيدُ صوتُ نسيمهِ التلحينا
يا حبذا النبعُ المبرّدُ سفحهُ فكأنهُ الالماسُ سال مصونا
سفحٌ تدّفق ماؤهُ مترقرقاً بين الحصى اكرمْ بذاك معينا
فترى المياه خفيفةً في جريها وحصى العقيقِ لدى المياه رزينا
وهضابهُ الشماء تجثو هامُها لخريره وتخالُ ذاك أنينا
كم من مليكٍ قد أقام بجيشهِ فجنى ثمارَ النصرِ منهُ مبينا
ولكم عليلٍ في رباه قد شفي داءٍ ألمَّ بهِ وكان دفينا
وبقربهِ الآثارُ تُنبئُ أنهُ طحنَ النوائبَ كالدهور طحينا
حيثُ المعابدُ للفنيقيين قد دُرستْ وزانتْ سفحهُ تزيينا
والشمس مُذ جنحت لمغربها بدتْ جاماً لغرفِ البحرِ جاءَ مُعينا
بعث الضبابَ البحرُ يجري صاعدًا جريَ المياهِ اليهِ حيناً حينا
فكأنَّ ذاكَ الحَزنَ سهلٌ أفيحٌ من بعد ما كان السهولُ حزونا
اكرمْ بهاتيك المناظرِ أنها حنّتْ لها كلُّ القلوبِ حنينا
من كان يشتمُ الغلوَّ فقلْ لهُ حبُّ المواطنِ قد دعوْهُ دينا
جاريتُ نظمَ ابن الحسينِ بوصفهِ وذكرتُ سيفَ الدولة المدفونا [1]
واذا صعدتَ عليهِ اعلى قمةٍ نلتَ الجنانَ وحزتَ عليّينا

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) إشارة الى مغارة كبيرة قرب صنين تسمى بمغارة سيف الدولة حتى عهدنا هذا . والمراد بابن الحسين المتنبئ الشاعر المشهور

طرابلس الشام

في سنة ١١١٢ هجرية اي منذ مائتين وعشرين سنة تقريباً زار الشيخ عبد الغني النابلسي مدينة طرابلس

والشيخ عبد الغني هـذا مفخرة من مفاخر دمشق الشام وواسطة العقد الذي ينتظم علماءها الاعلام :

كان رحمه الله عالماً فقيهاً اصولياً صوفياً اديباً شاعراً وهو مشهور بالولاية وله قدم وذوق في علم الاحوال . وقد ألف في معظم فنون زمانه حتى فن الفلاحة والزراعة . فـلا غرو اذا احتفل به اهل طرابلس الاحتفال اللائق بعلمه وفضله وشهرته التي ملأت الخافقين

وكان سبب زيارته طرابلس دعوة من حاكمها اذ ذاك أرسلان محمد باشا « قصداً للنفع العام »

تولى ارسلان محمد باشا الحكم في طرابلس بعـد سقوط اسرة آل سيفا الشهيرة في تاريخ سوريا والتي حكمت في طرابلس وعكار وعرقه وما يلي ذلك من النواحي حقبةً من الزمان ثم زال حكمها سنة ١٠٦٨ هجرية

ولما وصـل الشيخ النابلسي الى طرابلس الشام ذهب تواً الى « دار السعادة » وهو اسم لمنزل الامير ارسلان باشا المشار اليـه . لـكن الامير كان قد اعدّ لنزول الشيخ داراً اخرى وهي دار حسين جلبي آغاة مينا طرابس . والذي يسمع وصف هذه الدار يخال نفسه في عالم الف ليلة وليلة وانه يقرأ فصلاً من فصولهـا : « فقد كانت تلك الدار كجنة النعيم دار

القرار . تنتعش فيها الارواح . وتبتهج بهـا الاشباح . وهي محتوية على بيوت فاخرة . واماكن كثيرة عامرة . ذات مياه رائقـة واحواض دافقة . وفي ساحة هذه الدار بركة ماء طولها اربعة عشر ذراعا . وعرضهـا سبعة اذرع وباعا . وامامها مقعدان . لطيفان . وعليهما عرائش العنب . وبينهما فسقية صغيرة من الرخام الابيض يتدفق ماؤها كأنها كاس بلور زانه الحبب . وبأرجاء هذه الدار بساتين واشجار . ورياحين وازهار . ما بين ياسمين وسيسبان . واشجار نارنج وفاغية وريحان ...» وكنت منذ ايام سمعت مدير مينا طرابلس يساوم في اجرة دار يريد سكناها في المينا فلم يشأ ان يدفع سوى ثلاثة ريالات في الشهر . اما آغاة المينا منذ مائتين وعشرين سنة فقد كانت له — عدا الدار التي مرَّ وصفها — دار اخرى في المينا لا تقل شيئاً عن تلك الدار : فقد كانت « قصراً رفيعاً . ومكاناً مشرفاً بديعاً . وهو مطل على البحر المتلاطم بالامواج . وشبيه في سموه بهاتيك الابراج . وجهاته مطلقة . وجوانبه على هاتيك البساتين والمرج الاخضر مشرقة »

وقوله « هاتيك الابراج » إشارة الى ابراج او مسالح سبعةٍ مبنية على شاطئ البحر امام طرابلس الشام . كانت تشحن بالسلاح والذخائر والمقاتلة لحماية الثغر من عدوٍ مهـاجم او قرصان متلصص . وبين البرج والبرج الف خطوة أو اكثر او أقل . وهذه الابراج من بناء الصليبيين . لكنّ المسلمين لما استولوا عليها كانوا يرمّمونها ويزيدون فيها ما يكسبهـا قوة ومَنَاعة . وفي بعض هـذه الابراج محرابٌ للصلاة ، ومن ثمَّة ذهب بعضهم الى ان هذه الابراج مما شيده المسلمون . لكن التحقيق انها من

آثار الصليبيين . ولم يبقَ منها اليوم سوى برجين ماثلين في الساحة التي اتخذت الآن محطة كبرى للسكة الحديدية التي تصل طرابلس بحمص وتم بعد بضعة اشهر . وعما قريب يعفى اثر البرجين المذكورين من لوح الوجود كما عفى اثر سائر الابراج التي اشتراها الاهلون من الحكومة وشادوا عليها وبانقاضها مخازن وبيوتاً

لبث الشيخ النابلسي في طرابلس زهاء خمسة عشر يوماً . وقد اجتمع بفضلائها وعلمائها . وتجوّل في أرياضها ومتنزّهاتها . وأحصى جوامعها وحماماتها . ولما ركب زورقاً للنزهة في البحر ورأى أشكال القوارب . ومختلف هيئاتها سأل عن كل واحد منها وسرد أسماءها . فكانت عشرين نوعاً

وكان اذا ذكر حماماً قال ان مسلخه كبير أو صغير وفيه حوض من رخام أو ليس فيه . وذهب بعض الفضلاء الى انه يريد بكلمة المسلخ المكان الذي فيه يسلخ المغتسلون ثيابهم اي ينزعونها . وقد اعاد هذه الكلمة مراراً . فكأنها كانت شائعة في زمانه . ولا نعلم ان كانت تستعمل اليوم في دمشق بهذا المعنى أولا ؟

وكانت تجري بين الشيخ النابلسي وبين علماء طرابلس وفقهائها مذاكرات ومباحثات ومطارحات . وكان معظمها او كلها يدور حول غرائب الابحاث ونوادر المسائل النحوية والفقهية كمسائل الوقف والطلاق وغير ذلك . فكان كل منهم يذكر قولاً رآه في بعض الكتب لبعض الفقهاء ويطلب رأي النابلسي في المسألة أو هو يطلب رأيهم فيما اشكل عليهم أمره

ومما يستدعي الملاحظة ان علماء طرابلس أو علماء ذلك العصر كانوا

مفتونين بحب كتب العلم ، يتنافسون باقتنائها ويتباهون بنوادرها . فكان الشيخ النابلسي كلما زار فاضلاً في داره عرض عليه ما عنده من نفائس الكتب ونوادر الاسفار العلمية والادبية ويأخذ كل منهم في سرد ما يعلمه من هذا القبيل

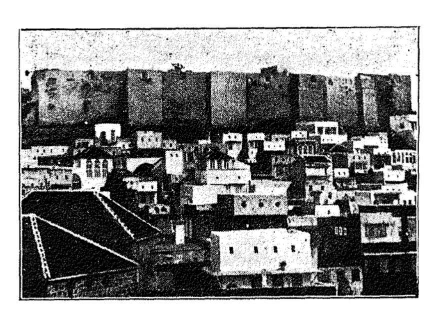
ومما يلاحظ أيضاً ان مدة الخمسة عشر يوماً التي قضاها النابلسي في طرابلس - وكانت كلها مذاكرات ومباحثات — لم يجرِ فيها ذكر لمدارس التعليم — فلم يُذكر تلميذ ولا مدرسة . ولا للعائلة - فلم تذكر امرأة ولا تربية ولا بيت . ولا للصناعة والتجارة — فلم تذكر حرفة ولا بضاعة ولا حانوت . ولا للعادات والتقاليد — فلم يذكر شيء من امور الافراح والمآتم والحفلات الاخرى حتى كأن طرابلس في ذلك العصر ليس فيها تلميذ ولا امرأة ولا صانع ولا تاجر ولا شيء من مميزات كل هيئة اجتماعية أو ان الكلام في هذه الاشياء ليس مما يُهتم به أو هو مما لا يحسن ان يدور الحديث بشأنه بين رجال الطبقة العالية

وأغرب من جميع ما ذكر أنه لم يجرِ حديث بينهم عن شؤون السياسة واخبار الحكومة واحوال الدولة ، فلم تذكر اسلامبول ولا اسم السلطان ولا محاربة ولا معاهدة ولا وزارة ولا شيء من هذا القبيل . مع أن الطبقة التي يجالسها الزائر الكريم من اعلى طبقات طرابلس في العلم والوجاهة والنفوذ والاتصال بالمقامات العالية خارج طرابلس . فهم الحكام الاداريون . والقضاة والمفتون

فما اكبر الفرق بين زمننا هذا الذي يذكر فيهِ اسم الحكومة وشؤونها

الوفاً من المرات كل يوم — وذلك الزمن الذي لم اسمعهم ذكروا فيه شيئاً من هذا القبيل مدة خمسة عشر يوماً . فسبحان مغيّر الاطوار . ومقلب الليل والنهار

المغربي



طرابلس وقلعتها

قال الاديب صاحب الامضاء يصف موقعاً بديعاً قامت في سفحه مدينة طرابلس الشام موطن اسرتهِ . وتظهر البلدُ للمشرف من هذا الموقع وقد انسحبت وراءها البساتين وجرى من خلفها البحرُ يرتجفُ وليس بينها و بين السماء في نظر العين إلاَّ ان تتخطاه :

يا صخرةً حملتنا في ذرى جبلٍ　　اليهِ مَعطفُ قلبي حين ينعطفُ

إن شبّهوا بكِ قلباً قاسياً فأنا　　اراكِ قلباً بنا من حبهِ شغَفُ

كم في لياليكِ انفاسٌ يكادُ بها　　قلبي ـ وقد ذكرَ الاحبابَ ـ يُختَطفُ

آنستُ من مسّها في مهجتي سحرًا　　مسّ اللحاظِ تحيّينا وتنصرفُ

كأنَّ اضواءها في القلبِ من طربٍ   مواقعُ الامل المظنون تنكشفُ
تواقفتْ ومضتْ تهوي على عجلٍ   كالطيرِ صفَّ(١) ولكن لم يكد يقفُ

* * *

اعليتِنا الجوَّ نستجلي محاسنهُ   كأننا لسماء الله نزدلفُ
نلوح في «عين» «راء» نحوكِ اطَّلعتْ   «كهمزة» رفعتها فوقها «ألفُ»
نرى طرابُلسَ تبدو كالحمامةِ في   وكرٍ لها اظهرتهُ روضةٌ أُنُفُ
والبحرُ يحكي ذراعاً للسماء بهِ   تزحزحُ الارض عنها فهو يرتجفُ
مناظرٌ ما اختلفنا في محاسنها   والحسنُ انواعهُ فيهنَّ يختلفُ
فيا طرابُلسُ حيتكِ المنى بلداً   بي من هوى الحسنِ فيهِ فوقَ ما اصفُ
أحسُّ بين ضلوعي كلما خطرتْ   ذكراكِ أنَّ اليكِ القلبَ ينحرفُ

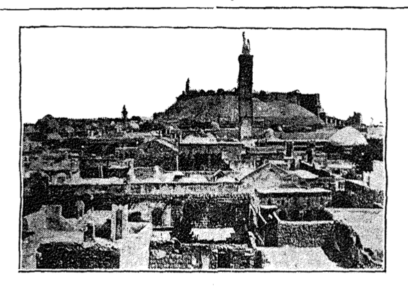
مصطفى صادق الرافعي

يافا

قال البهاء زهير ملغزاً في مدينة يافا

بعيشك خبرني عن اسم مدينةٍ   يكون رباعياً اذا ما كتبتهُ
على انه حرفان حين تقولهُ   ومعناه حرف واحد ان قلبتهُ

(١) صفَّ الطائر: بسط جناحيهِ في السماء



حلب وقلعتها

قلعة الشهباء

هي قلعة شامخة الذرى اكبَّ عليها الدهر وانزلها في الحضيض والسفال ، فعادت اطلالاً بالية ورسوماً دارسة وخرَبًا صامتة ، تحدّث الورى بعظمة الجدود وتناجي النفوس بقدرة الخالق في الوجود والكائنات

عندها تقف الالوف طويلاً بين متنزه يلهو بالمادة ، ومفكّر يدرس في كتاب الوجود ، ومعتبرٍ يتأمل بمصير الامور ، ومهندس يشتغل بالمقادير والاشكال ، وراوٍ محقق يستنطق الآثار ليسجلها ذكرى وعبرة للآتين والكل لا يجسر ان يلفظ كلمته الاخيرة في واضع اساسها ورافع ابراجها

على ممرّها اللاحب جرتِ الغُزاةُ غازيًا اثر غازٍ ، وتدفقت الاجناد فيلقاً تلو فيلق ، متسابقين متزاحمين متدافعين بين مشتبك القنا وعلى صليل السيوف ، وتحت مثار العِثير ، وعلى هتاف الظفر ونحيط الذعر والاندحار الى . . . مجد النصر ومجد الفتح . الى . . . هوة الابدية ولهوات العدم

فوق حصونها الهائلة كم بكت من مقل وكم سالت من دماء ، وكم تحققت من

آمال وكم خابت من اماني ، وكم انحطت من عروش وكم انعقدت من تيجان ، وكم استرسلت من نفوس الى الحياة . . . الى الخلود . حتى انهزم الوهم مطارداً امام الحقيقة كما ينهزم الظلام امام الصبح وتطارَدُ الذرات امام الرياح الزعازع

في ثنايا بقاياها الرميمة تختبئ معلولات الدهور من بابل الى آشور الى مصر . ومن مكدونية الى رومية الى بوزنطية . ومن العرب الى الجراكسة الى الاتراك . من قرون الظلمة الى اعصر النور ، وحبُّ السؤدد وحب الانانية دافع الى تنازع البقاء . الى تنازع الاثرة . والدنيا ملأى بالتناقض والشر والاباطيل

على ابوابها وحناياها نقشت الاجيال اسطراً من مثل المؤيد والمظفر والمجاهد والمرابط والعالي المولوي والاميري الشمسي وسيد الملوك وغياث الدنيا والدين ومحيي العدل في العالمين ، الى الفاظ اخرى اتّهوا بها المادة وعبدوا اميالها وقدسوا فظائعها فحرقوا لها بخور الضمائر والشواعر فيا للغرور ويا للجهالة . . !

من انقاضها التي بعثرتها ايدي الاحداث وجدرانها التي داستها ارجل الاجيال وانفاقها المنحنية تحت وطأة السنين صدى يتردّدُ في فضائها ويتجاوب في انحائها فيروي تلاطم الاهوآء واصطدام المطامع وما جرَّ احتكاكها والتحامها على الانسان من الويلات والمصائب . . .

هنا معقلٌ شادتهُ ايدٍ طامعة في الخلود ، وهنا هيكل تعبدت فيهِ نفوس فطرت على التدين ، وهنا عقول غشّى عليها الجهل فما ادركت من صفات الالوهية سوى العظمة والجلال ، وهنا امارات وقفت على هذه الخرائب وقوف الحياة على شفير الموت ، وهنا حلقات من سلسلة الانسان مرت امامها كمرور الايام امام الابد القائم

عقبَ الجلبةَ الصمتُ العميق ، وتلا الضجةَ . السكينةُ البالغة ، فلا يقلقها الا حفيف اجنحة الطير ولا يزعجها غير وقع ارجل الحشرات ، وفي هذا الليل الابدي والجمود المطلق تبدو الحقيقة الازلية جلية من خلال زخارف العصور ، وتنجلي الحكمة السرمدية بسنائها المتألق الباهر من طيّات طبقات الاجيال المتلاشية

لفتة الى هذه الآثار ، ووقفة على هذه الاطلال ، وتأمل معي ببقية عادية

طرقتها بوائق الدهور . فعندها تتضآل الطبيعة دون العلة الاولى القادرة ، ومن ورائها تبرز المبادئ السامية بروز الغزالة وهي توآسي البشرية المتألمة وتعزّيها في بهرة ارتماضها وتعاستها وتمزق عن ابصارها الحجب الكثيفة المنسدلة على غايتها الاخيرة

فهي الآن كالجبار المسجّى باكفانه البيضآء ، او كالمستغرق في منامهِ المسرور باحلامهِ ، فلن تستيقظ من رقدتها الابدية . وقد كانت كالحارس الموكل اليهِ الامن والمناضل عن الملك والقطين . فباتت كالخطيب المنذر بالقضآء المنبئ عن المنقلب والزوال ، فيعرف منهُ الحيّ العاقل حقارة البقآء ويتحقق كاذب الآمال

ومنها صوت الطبيعة يرنُّ في اودية القلوب بما يحققهُ الاختبار ان المركب الى انحلال وان الحيوة كالظل والخبر السائر ، او كالسفينة الجارية على المآء المتموج التي بعد مرورها لا تجد اثرها ولا خط حيزومها في الامواج ، او كالطائر يطير في الجو فلا يبقى دليلٌ على مسيرهِ ، يضرب الريح الخفيفة بقوادمهِ ، ويشق الهوآء بشدة سرعتهِ ورفرفة جناحيه ثم لا تجد لمروره من علامة ، او كسهم يُرمى الى الهدف فيخرق بهِ الهوآء ولوقته يعود الى حاله حتى لا تعرف ممر السهم (سفر الحكمة ٥ : ٩)... وقد خطت فوقها يد الاجيال باحرف من نور (هو الحي الباقي)

***

من البائن المعروف ان القلعة الموصوفة قد كانت في طرف حلب ينحدر من جنوبها سور يحيط بالمدينة وينتهي طرفهُ الى جانب القلعة الشمالي وهذا السور كان يعرف بالرومي لبناء الروم لهُ ويشتمل على ١٢٨ برجاً ضخماً بقي بعض ابرجة منها الى اواخر القرن الماضي . فأمر جميل باشا المشهور بهدمها فهدمت عن آخرها

والقلعة الآن في أواسط المدينة وهي قائمة على ربوة صناعية ركمتها الايدي ، وشادت فوقها القلعة على شكل هرمي او هيئة اهليلجية يبلغ قطر قمتها ٥٠ متراً ومحيط قاعدتها ٤٠٠ متر وتعلو عن سطوح المنازل المحاذية لها ٦٠ متراً وعن سطح البحر ٥٠٠ متر وفي اعلى القلعة منارة مسجدها الجامع ترتفع عن سطحها ٤٠ متراً وجوانب القلعة مسفوحة رصفها الملك الظاهر بالحجارة الهرقلية المنحوتة والآن

قد استولى الخراب على اكثرها . ومن حولها خندق واسع منقور في الصخر الابيض يفصل القلعة عن الابنية المجاورة لها ويُغمر عند الحاجة بالمياه فيتعذر على الجيش المحاصر اجتيازه . وفي قمتها سور يحيط بها كأنهُ الاكليل يعصب هامها قامت فوقهُ بروج ومرامٍ كان الجنود يرمون منها العدو المهاجم باصناف القذائف والسهام وهذا السور قد تهدم فلم يبقَ منهُ الا القليل قائماً ينبئ عن عظم شأنهِ وضخامة بنيانهِ

وعلى جانبي القلعة الجنوبي والشمالي برجان هائلان مربعا الشكل شادهما الامير سيف الدين چكم ولما خربا جدّد بنيانهما الملك الاشرف قانصوه الغوري في سنة ٩١٤ — ٩١٥ هـ وهما الآن اصلح حالاً من سائر ابنية القلعة التي استولى عليها الخراب والدمار الى حد التعطيل الفاحش والتشويه الشنيع

ولا يُصعد الى هذه القلعة الا من جهتها الجنوبية ومدخلها متقن الصنعة عجيب البنيان يجتازه الداخل على جسر ممتد الى المدينة يستند على ست حنايا ضخمة مرتفعة . وعلى باب المدخل برجان على جانبٍ من المناعة والضخامة وعليهما نقوش بديعة تزينهما وعلى طولها كتابة عربية من الخط النسخي المملوكي ، تبهر النظر وتستلفت الخواطر ، يُستفاد منها ان السلطان خليل بن قلاوون أمر بعمارة هذا المدخل بعد اهمالهِ واشرافهِ على الدثور في سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م)

ولهذا المدخل عدة ابواب يتخللها دركاوات بآزاج معقودة[١] وحنايا منضودة ، وكان لكل باب اسفسلار[٢] ونقيب واماكن لجلوس الجند وار باب الدولة ، وعلى هذه الابواب نقوش وكتابات عديدة جميلة تخلب الالباب ومن حولها شرفات ومرامٍ لآلات الحرب وادوات الكفاح تزيد هذا المدخل العجيب رونقاً وجمالاً

واذا تجاوز الداخل باب المدخل صاعداً الى القلعة ومارّاً بالابواب والدركاوات الواسعة المعابر كثيرة الزوايا المستقيمة ، ينتهي الى الباب الاوسط فيرى على طرفيهِ ثعبانين طويلين يلتفان على بعضهما وفي اعلاه كتابة جميلة مآلها ان الملك الظاهر

(١) الدركاوات مفردها دركاه وهو القصر وآزاج جمع ازج وهو بيت يبنى طولاً . وكلاهما اعجمي (٢) تعريبه متولي الامر او متولي الحجر

غياث الدين غازي هو الذي حصن القلعة وشاد على مدخلها البرجين السابق ذكرهما وجعل لهُ ثلاثة ابواب من حديد . ولما ينتهي الداخل الى الباب الاخير يرى على جانبيهِ اسدين عظيمين ناتئين ، والى الجانب الايمن مزار يُعزى الى الخضر وكان ينسب للخليل (ابرهيم) يقصدهُ بعض المسلمين ، بالنذور والهدايا

ومتى بلغ الداخل قمة القلعة يبدو لهُ صحنها مركوماً بالاتربة والحجارة الضخمة ويرى ابرجة متهدمة وحنايا متشعثة وشرفات متداعية ، اخنى عليها الدهر فدرست محاسنها وتعطلت زخارفها . وفي أواسط قمتها باب الجامع وعليه انواع الوشي والنقوش العربية . وعلى جانبها الجنوبي دار العز او دار الشخوص لكثرة ما كان فيها من التماثيل والزخارف وفي صحنها ركام من القنابر القديمة ومنها يُدخل الى نادٍ للملك الظاهر طولهُ الشمالي ٢٥ متراً في عرض ٧ امتار وطوله الجنوبي ٢٥ متراً في عرض ١٥ متراً ، وفي صدره نافذة كبيرة مستطيلة مربعة تطل على المدخل والمدينة واطارها وتطاريفها الخارجية دقيقة الصنعة محكمة النقوش يروق العين منظرها

وفي أواسط قمة القلعة منحدر مسدود الآن كان يُنزل منه الى انفاقها السفلية حيث كنيسة النصارى باقٍ بعض رسومها ماثلة من مثل حنية الكاتدرا واعمدة وحنايا اخرى . والى جانبها الغربي مخازن حديثة البناء تحوي اصناف الذخائر والادوات الحربية والى جانبها بئر الماء المعروفة بالساتورة كان ينحدر اليها ب ١٢٥ درجة وعمقها الآن ٤٧ متراً . وذلك كله لا يناسب المدخل في شيء من حسنهِ ونقوشهِ وتصاويرهِ وكتاباته المختلفة

ومن قمة القلعة تنكشف لك المدينة مركومة بعضها فوق بعض ومن اعلى منارتها ينبسط نظرك الى مدى بعيد تجد منهُ منظراً بديعاً فاتناً يترك في النفس أثراً من السرور والانبساط وترى ما يكتنف حلب من الغياض والرياض الخضراء والسهول الخصيبة الواسعة وما يحيط بها من الربى والتلال احاطة الهالة بالقمر او السوار بالمعصم كأنها الحصون والمعاقل تحصنها وترد عنها الغارات العشواء

***

ذهب غالب مؤرخي العرب الى ان اول من بنى القلعة سلوقوس الاول الملقب بنيقاطور احد قواد الاسكندر الذي ملك على سوريا سنة ٣٠١ قبل المسيح . وارتأى اهل التحقيق ان بناتها الحثيون الذين استولوا على سوريا الشمالية في القرن السابع عشر (ق م) واستندوا الى ما خلّفهُ هذا الشعب القوي من الكتابات والتماثيل والرسوم العديدة في هذه النواحي ، واستدلوا فيما استدلوا عليه بما بين هذه القلعة و بين قلاع حمص وحماه وحارم من التشابه العظيم

والحق يقال ان سلوقوس اصلح القلعة فقط ، لما رمم بحلب بعض الترميمات ، و بنى فيها ابنية جديدة واطلق عليها اسم بيريا او باروًا . ولما فتحها كسرى انوشروان وشاد سورها بنى في القلعة مواضع

وعندما فتح ابن عبيدة حلب كانت قلعتها مرممة الاسوار بسبب زلزلة اصابتها قبل الفتح فاخربت اسوار البلد وقلعتها ولم يكن ترميمها محكمًا فنقض بعضهُ و بناهُ . وعني بها بنو امية و بنو العباس فتركوا فيها آثاراً ولما هاجم نيقفور ملك الروم حلب سنة ٣٥١ ه امتنعت القلعة عليه وكان قد اعتصم بها جماعة من العلويين والهاشميين فحمتهم ، ولم يكن لها يومئذٍ سور عامر فكانوا يتقون سهام الروم بالاكف والبرادع

ولما تولاها الامراء الحمدانيون بنى بها سيف الدولة وابنهُ سعد الدولة مواضع وكذلك شاد بها بنو دمرداش دوراً وجددوا اسوارها وكذلك عني عماد الدين آق سنقر وولده عماد الدين زنكي بتحصينها وكذلك بنى بها طغتكين برجاً من جنوبها ومخزناً للذخائر وكذلك شاد فيها نور الدين زنكي ابنية كثيرة

ولما ملكها الملك العادل سيف الدين الايوبي بنى بها برجاً وداراً لولده فلك الدين . ولما ملكها الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها و بنى فيها مصنعاً للماء ومخازن للغلات وسفح تلها ورصفه بالحجر الهرقلي واعلى بابها وجعل له جسراً ممتداً منه الى البلد ، وجعل للقلعة ثلاثة ابواب من حديد و بنى فيها داراً عرفت بدار العز قامت على دار للملك نور الدين زنكي كانت تسمى دار الذهب ولما احترقت سنة ٦٠٩ ه جدد بنيانها وسماها دار الشخوص لكثرة ما كان من زخارفها

وفي سنة ٦٢٢ ﻫ (١٢٢٥ م) تهدم منها عشرة ابراج مع بدنياتها فاهتم الاتابك شهاب الدين طغرلبك بعمارتها من اسفل الخندق الى قمتها . وفي سنة ٦٢٨ ﻫ (١٢٣٠ م) هاجمها التتر وهدموا اسوارها واستلبوا ما كان بها من الذخائر والمجانيق . وفي سنة ٦٥٩ ﻫ (١٢٦٠ م) اعادوا الكرة اليها فاخربوها خراباً شنيعاً ، واحرقوا المقامين فيها حتى لم يبقَ فيها من مكان للسكنى كما قال ابن الخطيب

واستمرت القلعة خراباً الى ان جدد عمارتها الملك الاشرف خليل بن قلاوون على ما سبق ذكره وذلك في سنة ٦٩٠ ﻫ (١٢٩١ م) ولما فتح تمرلنك حلب في سنة ٨٠٣ ﻫ (١٤٠٠ م) استباح القلعة نهباً وحرقاً فاستمرت ايضاً خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً اليها من قبل السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨٠٧ ﻫ (١٤٠٤ م) فامر ببنائها والزم الناس بالعمل فيها حتى عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس ، بحيث كان الامراء يحملون الاحجار على متونهم . و بنى البرجين الذين على باب القلعة و بنى على سطحهما القصر الماثل الآن وذلك سنة ٨٠٩ﻫ و بنى البرجين اللذين في سفح القلعة من جنوبيها وشماليها (وقد سبق وصفهما)

ولما تمرد علي باشا جان بولاد على الدولة العلية سار مراد باشا لقتاله واخضاعه في سنة ١٠١٧ ﻫ (١٦٠٧ م) وتبع اثاره وحاصر المدينة فافتتحها واقام المنجنيقات على القلعة وراسل رؤساء المحافظين عليها واعداً اياهم بمناصب وخلع ، فاغتروا بها وسلموه القلعة ، فقتلهم عن آخرهم وفرَّ جان بولاد الى الاستانة طائعاً وقبل سنة ٣٥١ ﻫ (٩٦٢ م) لم يكن سورها محكماً ولم يكن مقام الملوك بها فاهتمَّ بعد ذلك من تولاها من الملوك والامراء بعمارتها وتحصينها وعصي فيها فتح القاعي على مولاه مرتضى الدولة لؤلؤ ثم سلمها الى نواب حلب ، فعصي فيها ايضاً عزيز الدولة فاتك على الحاكم الى ان قُتل بها فصار الملك الظاهر وولده المستنصر يوليان والياً بالقلعة وآخر بالمدينة خوفاً من ان يجري ما جرى من عزيز الدولة . فلما ملك بنو دمرداش حلب سكنوا في القلعة وجرى مجراهم من جاء بعدهم من الملوك والامراء

ووصفها رهط من اهل الرحل والجغرافية من مثل ابن حوقل الذي اشتهر سنة

٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) فقال انها « غير طائلة ولا حسنة العمار » وشمس الدين المقدسي نحو سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) فذكر منها « سعتها ومناعتها وما فيها من خزائن السلطان» وابن الطيب السرخسي في رحلته سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) فذكر « سورها وبئرها التي ينزل اليها في ١٣٠ مرقاة ودير النصارى فيها » وابن بطلان البغدادي في سفرته سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م)فذكر منها « مسجدها وكنيستها » الى غير هؤلاء ممن اجمعوا فيها على ما قاله الرحالة ابن جبير والمسفار ابن بطوطة من امتناعها وارتفاعها ومطاولتها الايام والاعوام ، وقد قال فيها الخالدي شاعر سيف الدولة :

وخرقاء قد قامت على من يرومها ... بمرقبها العالي وجانبها الصعبِ
يجرُّ عليها الجوُّ جيب غمامةٍ ... ويلبسها عقداً بانجمهِ الشهبِ
اذا ما سرى برقٌ بدت من خلالهِ ... كما لاحت العذراء من خللِ السحبِ
فكم من جنودٍ قد اماتت بغصةٍ ... وذي سطوات قد ابانت على عقبِ

روى بيشوف الجرماني في تاريخهِ عن احد حاخامي اليهود قال : انهُ رأى في القلعة كتابة عبرية مفادها (انا يوآب بن سرويا اخذت هذه القلعة) . . ويوآب هذا تولى قيادة جيوش داود في سنة ١٠٥٥ ق م فاذا صحت هذه الرواية كانت هذه الكتابة اكثر قدمية من سائر كتابات القلعة ، ورجحت ما قالهُ المحققون من انها من بنايات الحثيين . واما الكتابات الباقية فهي عربية لا تتعدى القرن السابع للهجرة

وقد كان يتولى حراسة القلعة نفر من الشعب ويعرفون حتى الآن ببيت القلعجي الى ان انقرضت وجاقات الانجكارية وانتظمت احوال العسكرية ، فتولت المحافظة عليها الى ان عاد امرها في هذه السنة الى رجال الملكية . وقد تعاقبت عليها الرجوف والزلازل مرات عديدة يطول ايرادها وآخرها في سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٧٢ ، فتشعثت اسوارها وتهدمت ابراجها ، واصبحت اخربة دارسة واطلالاً بالية . وقد اهمل امرها من عهد بعيد فعادت الى ما تشاهد عليه الآن مما سبق وصفه في هذه المقالة فسبحان من بيده تصريف الامور واليه المصير

القس جرجس منش

وصف دمشق

جاء ذكر الشيخ النابلسي ص٢٨٠ وهذه ابيات مختارة من قصيدته في وصف الشام

ان سامَكَ الخطبُ المهولُ فاقلقا　　فانزلْ بارض الشام واسكن جلّقا

بلدٌ سمت بين البلاد محاسناً　　ونمتْ بهاءً واستزادت رونقا

ان تعشقوا وطناً فذي اولى بكم　　دون البلاد بان تُحبَّ وتُعشقا

خيرُ الأناس اناسها يرعون أنـــواع الوداد ويحفظون الموثقا

طابت هواءً للنفوس وماؤها　　عذبٌ زلالٌ سائغ لمن استقى

يا حسنَ واديها وطيبَ شميمهِ　　قد فاحَ عرفُ الزهر فيه وعبّقا

وتراسلتْ اطياره بين الربى　　سَحراً فهيّجت الفؤاد الشيّقا

كيف اتجهت يخرُّ نحوك ماؤه　　واليكَ يركعِ كلّ غصنٍ اورقا

يا حبذا اشراق مرجتها التي　　أضحى غنيُّ الهمّ فيها مملقا

وتلاعبتْ فرسانها وتراكضت　　ما بينها تعلو الجياد السبّقا

ضحكت ازاهرها على اغصانها　　فأتى النسيم يُميلهن وصفّقا

سُقيت دمشق الشام صوبَ غمامة　　اشفى على غيطانها فتدفقا

كم نزهةٍ للعين فيها قد زهت　　وسرَت على طرف الهموم فاطرقا

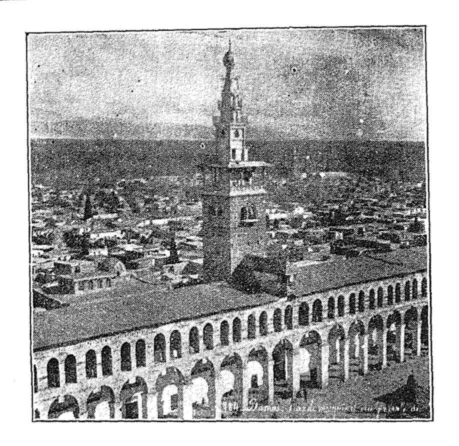
لم ترضَ عيني غيرها من منظرٍ　　ولذا ترى قلبي بها متعلقا

هي منشإِي لا حاجرٌ وطويلعٌ　　ومحلُّ أنسي لا الغوير ولا النقا

وطني واول ما وطئتُ بها الثرى　　لا زال عيشي عن حماها مطلقا

لُذ يا فؤادُ بما بها من معشرٍ　　ان سامك الخطبُ المهول فاقلقا

الشيخ عبد الغني النابلسي



دمشق الشام والجامع الاموي

الجامع الاموي

هو من أشهر جوامع الاسلام حسناً واتقانَ بناء وغرابة صنعةٍ واحتفال تميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفاً من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه ، فامتثل أمره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في

التأنق فيه وأُنزلت جُدُره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجاراً وفرعت اغصاناً منظومة بالفصوص ببدايع الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف . فجاء يغشي العيون وميضاً و بصيصاً . وكان مبلغ النفقة فيه احد عشر الف دينار ومئتي ألف دينار

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب مئتا ألف خطوة وهما ثلاث مئة ذراع . وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع . فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرين مرجعاً . و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب ، سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة خطوة ، والخطوة ذراع ونصف . وقد قامت على ثمانية وستين عموداً منها اربع وخمسون سارية وثماني أرجل جصية تتخللها . واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذى يلي الصحن وأربع ارجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن فاذا استقبلتها ابصرت منظراً رائعاً ومرأى هائلاً ، يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ، ونصف جدار البلاط على يمين والنصف والثاني على شمال جناحيه ، وسعة هذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء

منيفة على كل علو كأنها معلقة في الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الاعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كلهُ . ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر واحسنها . وفيه مجتمع اهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كلَّ عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد . فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ . ولا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون .

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملوّنة كأنها الروضة حسناً وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة ، يقال انها كانت مخزناً لمال الجامع ، ولهُ مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على ما ذُكر لنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر الف درهم مؤمنية او نحوها . وقبة اخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد أُلصق أبدع الصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يرمي الماء علوًّا فيرتفع وينثني كأنه قضيب من لُجَين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافاً واستحساناً ، ويسمونه قفص الماء .

والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة

وكان هذا الجامع المبارك ظاهراً وباطناً منزلاً كله بالفصوص المذهبة مزخرفاً بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة ، فادركه الحريق مرتين ، فتهدم وجُدِّد وذهب اكثر رخامه فاستحال رونقه ، وأُسلِمُ ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها . ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة ، يتقد ذهباً كلها وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة كأنها مخروطة لم يرَ شيءٌ اجمل منها ، وبعضها احمر كأنها مرجان . فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو الذي وجّه به الى الشام . وتفتح الخزانة كلّ يومٍ إثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله

وعن يمين الخارج من باب جيرون ، في جدار البلاط الذي أمامه ، غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودُبّرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين مصورين من صفر ، قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدّان

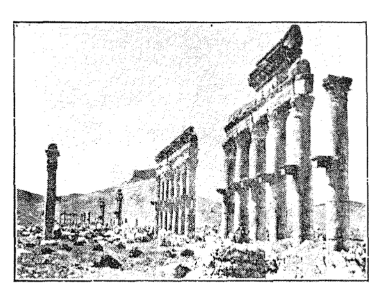
عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر . ولا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشر دائرة من النحاس مخرمة ، وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها دربٌ بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس الميقاتة ...

ابن جبير زار دمشق سنة ٥٨٠ ﻫ

قال النابغة الذبياني يمدح النعمان

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من احدِ
إلاّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قمْ في البرية فاحددها عن الفَنَدِ
وخيّسِ الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمرَ بالصفّاح والعمَدِ

ولا احاشي : ولا استثني — واحددها عن الفند : صنها عن الظلم — خيّس : ذلّل — الصفـاح : حجارة عراض رقاق — العمد : السواري من الرخام وهي الاساطين واحدها اسطوانة



تَدْمُر

« ملكة الصحراء [١] »

اذا سرت في بادية الشام وقاربت الوصول الى حاشية منها ، تظهر لك عن بعد شاسع من خلال الحجب الهوائية الشفافة نقطة سوداء في الشمال الغربي من حمص وحماه ، فتنتعش نفسك وتشعر بقرب آثار الحياة ، بعد ان تكون سرت اياماً في ظل الموت محاطاً بسكون الطبيعة الراقدة . ولا تكاد تتقدم قليلاً الى الامام حتى تنقشع الحجب شيئاً فتتسع تلك النقطة وتنجلي بعد حين عن دائرة خضراء غير منتظمة ، ولا تزال الدائرة آخذة بالوضوح والانتشار ذات اليمين وذات اليسار كلما

(١) من « دليل لبنان وسوريا » الذي أنشأه اخيراً حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد وهو سيمثل قريباً للطبع في نحو ألف صفحة مزيناً بزهاء مائة رسم تمثل أشهر وأجمل ما في لبنان وسوريا من الآثار القديمة والمناظر الطبيعية

اسرعت الخطى ، الى ان تشرف عليها وتقف برهة مستنشقاً الصعداء فاذا بك امام اثر من آثار الجبابرة الذين كان يتغنى بمدحهم شعراء اليونان . ترى جبلاً منتصباً على طرق البادية كسورٍ منيع اقامته يد الطبيعة هناك لصدّ الغارات عن مملكة زنوبيا يتدفق من جوفه نبع غزير تنساب مياهه الكبريتية في بقعة خضراء منبسطة امام الجبل بين بساتين غضة حافلة باشجار الفاكهة على اختلاف انواعها وحقول واسعة زرعت بانواع الحبوب ومروج خضراء تتخللها وهي مرعى خصيب تغشاه قطعان الماعز والضان . تقف وتسرح النظر حيناً في تلك البقعة الجميلة ، فتتمثل لك الطبيعة ضاحكة باسمة الثغر فتؤنس وحشتك وتنفس كربتك وتنسيك هذه الابتسامة اللطيفة من « عروس البادية » كل ما لقيته قبل وصولك اليها ومصافحتك لها من عبوسة واكفهرار في باديتها القاحلة الجرداء . وفي وسط هذه البقعة الجميلة ركام من الخرابات ، تتخللها ابنية فخيمة متهدمة آية في الابداع واعمدة ضخمة متناسقة تناطح السحب ، ممتدة على مسافة بعيدة كصف من الجبابرة اقامتهم ملكة المشرق حراساً على باب باديتها اوكأنما هي ايدٍ مدتهـا اليك ملكة الصحراء من وراء حجب التاريخ لتصافح ضيفاً كريماً جاء يحييها في مقر ملكها . فتقف حائراً مبهوتاً وترى مجالي العظمة والجلال بادية على تلك الآثار الضخمة . فتدرك انها آثار قوة هائلة حلّت في تلك البقعة من البادية ردحاً من الدهر ، فدانت لها الممالك وانقادت اليها الشعوب

تلك آثار تدمر موطن زنوبيا ، ملكة المشرق وعدوة الرومان ، ومنقذة سوريا من رق العبودية ، . . وأهم آثار تدمر واقعة في سفح ربوة ممتدة

من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي على مسافة ثلاثة فراسخ ، وهي مؤلفة من آثار هيكل عظيم جعله العرب في القرون الوسطى قلعة حصينة ، والى جوانبها كثير من آثار الهياكل والقصور الفخيمة ، بينها انقاض من عهدين مختلفين : بعضهـا سابقٌ لعهد بخت نصر وهي ركام من الابنية المتهدمة المبعثرة والبعض يرتقي عهده الى القرون الثلاثة الاولى بعـد المسيح . ومعظمها قائم الى اليوم وليس فيها كتابة ما سابقة لعهد المسيح او لاحقة لعهد ديوكليسيانوس . ومن هذه الآثار اعمـدة تفوق الحصر لا يقل علو الواحد منها عن ١٥ متراً ووراءها قصور متهدمة وابواب وسراديب واروقة ومماشٍ واقواس . والارض مفشاة باحجار واعمدة محطمة على اكثرها نقوش بديعة . وفي الجهة الغربية من الهيكل الكبير كثير من المدافن وُجد على بعضها كتابات فينيقية ويونانية . وفي السهل الواقع جنوبي النبع مدافن اخرى مقفلة باحجار ضخمة لم تستخرج كنوزهـا الى الآن . وفي سفح الجبل كثير من هذه المدافن اهمها وأفخمها ما كان واقعاً على الضفة اليمنى من النهر في سفح جبل بلقيس او «ملكة سبا» ومن آثار تدمر سور يستنيانوس وهو سور ضخم تتخلله ابراج شامخة ، شيّد اكثرها الفاتح الروماني لصدّ اغارات العرب عن المدينة . وعلى قمة الجبل حصن قديم يعرف بقلعة « ابن معن » وهو من عهد فخر الدين المعني الامير اللبناني المشهور الذي بسط سلطته على سائر بلاد الشام ، وهو مشرف على تدمر وضواحيهـا فتراها منسبطة امامك بهياكلها وقصورها وما بقي من اعمدتها وترى هيكل الشمس قائماً في وسطها كقلعة عظيمة . وفي الجهة الغربية منه الآكام القائمة

عليها مدافن الملوك والعظماء تنبسط امامها بادية الشام التي تحدها على بعد شاسع جبال متقطعة تتخللها معابر القوافل التي كانت تسير الى عهد قريب في تلك الفلوات بين دمشق وبغداد . وبالاجمال ليس بين المدن القديمة مدينة جامعة بين كثرة الآثار القديمة وضخامة الابنية وفخامتها ودقة نقوشها واهميتها التاريخية كمدينة تدمر الا مدينة بعلبك فهما أثران يعدّان من اعجب آثار الاقدمين في سائر الاقطار قاطبةً

وكان لتدمر في الاعصر الخالية شأن خطير وقد كان وقوعها على طريق القوافل التي كانت تسير بين دمشق وبغداد من أهمّ الاسباب التي مهدت لها السبيل الى بلوغها شأواً بعيداً من الحضارة والعمران فكانت مركزًا تجاريًا متوسطاً بين اوربا وداخلية آسيا تشحن اليها المنسوجات الحريرية من الهند ومحصولات الارض من البلاد الاسيوية المجاورة لها فترسل منها الى اوربا . اما قبل المسيح فلم يكن لها من الشأن ما كان للمدن السورية الاخرى ولم يرد ذكرها في التوراة بين تلك المدن وجل ما ذكر في سفر الملوك وفي سفر الاخبار ان سليمان الحكيم بنى تدمر وشيد فيها هيكلاً عظيماً لبعال وسماها تدمر اي مدينة النخل لكثرة ما كان هناك منه

وفي ايام السلوقيين خلفاء الاسكندر كانت خط الاتصال بين انطاكية وسلوقيه « اللاذقية » عاصمتي مملكتهم وسميت لعهدهم بلميرا Palmyre مترجمة عن اسمها الاصلي . وفي ايام الرومانيين ازهرت بمتاجرها وصناعاتها وضاهت اعظم المدن السورية ولاسيما في القرن الثالث للمسيح اذ كان يحكمها اودينات الذي أدّى خدماً جليلة للرومانيين

في حروبهم ضد سابور ملك الفرس . فقهره في عدة مواقع دموية جرت له معه ورده الى ما وراء الفرات . فمنحه الرومانيون لقب ملك مكافأة له على ولائه وشجاعته واعترفوا له بحقوق الملكية . وكانت زوجته زنوبيا (وتعرف عند العرب بزبيدة) من ارقى بنات جنسها في ذلك العصر وكان لها اليد الطولى في رفع منزلته عند الرومان بما اوتيت من الحنكة والدهاء السياسي . ولم يكن يعرض له امر الاّ شاورها به ووقف على رأيها فيه . فتضافرا على رفع شأن المملكة . ومات اودينات سنة ٢٦٧ م . مقتولاً بيد احد كتبة سرّه تاركاً الحكم لزوجته زنوبيا . وكانت هذه الملكة تدّعي انها من نسل كليوبطرا ملكة مصر . وقيل انها بنت امير عربي . وكانت تتكلم لغة وطنها فينيقيا وتجيد اللغة القبطية واليونانية واللاتينية . فادخلت المدنيـة اليونانية والرومانية الى عاصمة ملكها بانشائها مدارس كبرى كان يؤمها طلاب العلوم بحيث لم يكد يمر الدور الاول من حكمها حتى كانت تدمر من ارقى مدن العالم

ولما نودي بها ملكة على تدمر منحها مجلس الشيوخ الروماني لقب اوغسطس وانتحلت لقب ملكة تدمر وملكة المشرق ولم يكد يستتب لها الامر حتى طمعت بخلع نير الرومانيين فجيشت الجيوش واخذت تطاردهم من آسيا وكانت ذات جرأة غريبة واقدام عجيب ، تسير الى الحرب في طليعة الجيش وكان عدده ٧٠ الفاً . وما زالت كذلك حتى ملكت سوريا باكملها من اقاصي بلاد الشام حتى بلاد فارس . وقد زحفت على مصر واستحوزت على قسم منها واستولت ايضاً على اقاليم اخرى من الامبراطورية الرومانية الضخمة وحالفت الفرس ، فحسدها القياصرة والملوك ، واشفقوا منها على

ممالكهم ان تضمها الى مملكتها الجديدة وظلوا يراقبون حركاتها بعين الحذر وهم مترددون بين محاربتها وموالاتها الى ان تبوأ اورليانوس العرش فحصر همه في اخضاعها . وسار بجيوشه الى المشرق وقاتلها في عدة مواقع ، اشهرها موقعتان في سهل انطاكية وسهول حمص استظهر فيهما عليها ، وبلغ الى تدمر لحاصرها واشار على ملكتها بالتسليم فابت فشدّد الحصار على المدينة وسلم اهلها سنة ٢٧٢ . اما زنوبيا فركبت هجيناً تريد بلاد فارس فقبض عليها فرسان الرومانيين عند باب المدينة ، واخذها اورليانوس اسيرة الى رومية وعاملها معاملة ملكة عظيمة الشأن مفاخراً بالنصر الذي أحرزه على اكبر ملكة كانت تهتز لها اعصاب الامبراطورية الرومانية فاعدّ لها قصراً فخماً في مدينة تيڤولي بالقرب من رومية فقضت حياتها فيه تحف بها العظمة والجلال

وقد اجمع المؤرخون على انها كانت فتاة فائقة الجمال شديدة النزوع الى الحروب والفتوحات ، واشتهرت بحذقها وسموّ مداركها وشدة بأسها حتى جرت اوصافها مجرى الامثال في الاعصر الخالية . وفي لبنان آثار عديدة منسوبة الى زبيدة منها اقنية الماء الممتدة من نهر بيروت الى المدينة ومن نهر ابرهيم الى جبيل ومن نهر قديشا الى كورة طرابلس

ثم قام ديوكلتيانوس ويستنيانوس فحاولا اعادة تدمر الى مجدها السالف فاخفق سعيهما . ومذ ضربها اورليانوس تلك الضربة النجلاء قضى على شهرتها وتاريخها قضاءً مبرماً فاخذت من ذلك الحين بالانحطاط الى ان باتت أثراً بعد عين وغاصت في لجة عميقة من النسيان قروناً طوالاً كانت

فيها قرية حقيرة لا شأن لها يعرّفها علماء الجغرافية بكونها حداً لبادية الشام في الشمال الغربي من حمص وحماه

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان معظم سكان تدمر وضواحيها كان في ايام زنوبيا مؤلفاً من العرب بدليل ان اكثر الاسماء الواردة في الكتابات اليونانية القديمة التي وجدت في تدمر عربية محضة ومثلها الكتابات التي وجدوها في حوران فانها عربية اللفظ والمعنى وان تكن مكتوبة باحرف يونانية . وفي بعض التواريخ ان تدمر ظلت في امن من غزوات العرب المسلمين دهراً طويلاً ولكنها قاست الشدائد في حروب الامويين والعباسيين سنة ٧٤٥ م . وما يليها . وقد زارها العالم الفرنساوي ڤواني سنة ١٧٥٨ فوصفها ابدع وصف ومزق ما كان مسدولاً على تاريخها من الحجب الكثيفة والفتَ وصفه لها انظار العلماء والسياح فطفقوا يتقاطرون اليها من كل حدب وصوب لمشاهدة آثارها العجيبة

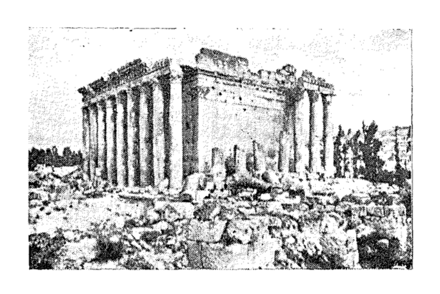
فحبذا لو كانت حكومتنا الدستورية الجديدة تمثل بالحكومات الاوربية فتصرف بعض عنايتها الى الآثار القديمة الحافلة بها البلاد السورية فان في جمع هذه الآثار في متاحف خصوصية من الفوائد المادية ما لا يقل قيمة في اعتبار الامم المتمدنة عما في ذلك من عبر التاريخ البالغة والفوائد الادبية للبلاد التي تشتمل على آثار جليلة كآثار تدمر وبعلبك ودمشق والقدس وغيرها مما يعرض لنا كل يوم ان نورده مثلاً من الامثلة المديدة على بلوغ التمدن الشرقي اقصى درجات الكمال في زمن كانت اوربا تتخبط في دياجي الجهل والانحطاط		بولس مسعد

نهر الصفا

وهو النبع المتـدفق من عين زحلتا في جبل لبنان ، أرسل الينا وصفه هذا البديع سعادة الامير ارسلان

يا صاحبيَّ قفـا على نهر الصفا ... نهرٌ لدينا بات اشهرَ من « قفا »
باكرتهُ طَرِبَ الفؤاد وقد رمى ... فلقُ الصباح لثامَهُ فتكشفا
نهرٌ حسبتُ اديمُهُ بلورةً ... وهّاجةً او نصلَ سيفٍ مرهفا
ورشفتُ ريقة مائه معسولةً ... فافترَّ عن ثغر الحَبَابِ تلطفا
نضح النهارُ عليه ذوبَ لُجينهِ ... وكساهُ مخضرُّ العشابة مطرفا
وحباهُ مؤتلقُ الحصى بجواهرٍ ... أضحى بهنَّ مختّماً ومشنّفا
متمايلُ الاعطاف قد غنّت لهُ ... طيرُ السماء مثقّلاً ومخفّفا
ومقلدٌ بالسدّ جيـداً اغيداً ... ومزنّرٌ بالجسر خصراً اهيفا
اقبلت انظرُ في بديع حدورهِ ... غزلَ المياهِ موشماً وملفّفا
عجت غواربُه فتحسب انه ... اسدٌ يزمجر في الدجى متغطرفا
كم سرحةٍ تلقاه يخبط جذعها ... اهوتْ اليهِ من الغصون مثقّفا
وتكلّلت ازبادُهُ فكأنها ... سرب الحمام البيضِ طار فزفرفا
والدوح ترشقهُ ببندقِ حبها ... فيذوبُ من رشقاتهنَّ تخوفا
نهرٌ جزيل المكرمات تقسَّمت ... نعماه بين الضفتيـن فانصفا
يسقي النبـات بجانبيه كأنه ... دمعُ الحزينِ يبلّ جفناً اوطفا
لما رأيت سهادهُ لا ينقضي ... ايقنت ان وسادَهُ صلد الصفا

نسيب ارسلان



بعلبك

زار المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي قلعة بعلبك فحفر على باب هيكل «باخوس» بيتين من الشعر هما :

يا بَعْلَبَكُّ فريدة الازمان بالصنع والاتقان والبنيانِ
لم تبقكِ الايام في حدثانها الاّ لتظهرَ قدرة الرحمانِ

ثم زارها الشيخ اسكندر العازار فكتب تحتهما بيتين على سبيل المعارضة :

يا معقلاً فيه العقول تحيرت يا معبداً لمفرّق الاديانِ
لم تبقك الايامُ في حدثانها الاّ لتظهر قدرة الانسانِ

ثم زارها الشيخ يوسف ابو صعب فكتب تحت الاربعة ابيات بيتين :

يا بعلبك عروسة الازمان ونديمة المريخ والميزانِ
لولا الذي في النفسِ منه بقيةٌ لأعدتُ فيكِ عبادة الاوثانِ

قلعة بعلبك

إيه آثارَ بعلبَكَّ سـلامٌ ... بعدَ طول النوى وُبعـدِ المزارِ
ووُقيتِ العفاءَ من عَرَصَاتٍ (١) ... مقوياتٍ (٢) اواهلٍ بالفخارِ
ذكَّرتني طفولتي واعيدي ... رسمَ عهدٍ عن اعيني متواري ...
خرب حارت البرية فيها ... فتنـة السامعين والنظَّار
معجزات من البناء كبار ... لاناسٍ ماء الزمانِ كبار
البستها الشموسُ تفويف درّ ... وعقيق على رداء نضارِ
وتحلَّت من الليالي بشاما ... تٍ كتنقيط عنبرٍ في بهارِ
وسقاها الندى رشاش دموعٍ ... شربتها ظوامئ الانوار
زادها الشيبُ حرمةً وجلالاً ... توَّجتها به يدُ الاعصارِ
ربَّ شيبٍ أتمَّ حسناً واولى ... واهن العزم صولةَ الجبَّارِ
معبدٌ للاسرار قام ولكن ... صنعـهُ كان اعظمَ الاسرار
مثَّل القوم كلَّ شيءٍ عجيب ... فيه تمثيلَ حكمةٍ واقتدار
صنعوا من جمادِهِ ثمراً يُجـ ... ـنى ولكن بالعقل والابصارِ
وضروباً من كل زهرٍ أنيقٍ ... لم تفتها نضارة الازهارِ
وشموساً مضيئة وشعاعاً ... باهراتٍ لكنها من حجارِ
وطيوراً ذواهباً آيباتٍ ... خالدات الغـدّو والابكارِ
في جنانٍ معلقات زواهٍ ... بصنوف النجوم والانوارِ

(١) ديار (٢) خاليات من السكان

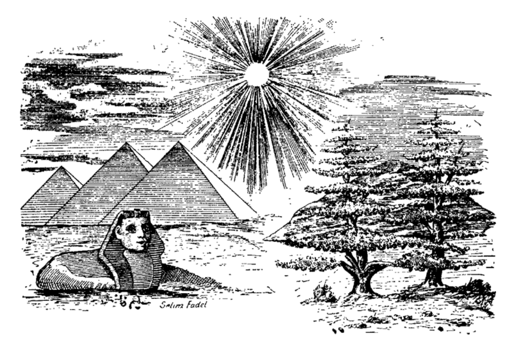
واسوداً يخشى التحفّز منها　ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب　باديات الانيـاب غير ضواري
في عرانينهـا دخانٌ مثارٌ　وبالحاظها سيولُ شرارِ
تلك آياتهم وما برحت في　كلّ آنٍ روائع الزوّارِ
ضمّها كلها بديع نظام　دقّ حتى كأنهـا في انتثارِ
في مقامٍ للحسنِ يُعبَدُ بعد الـ　ـعقلِ فيه والعقلُ بعد الباري

***

اهل فينيقيا سـلامٌ عليكم　يومَ تفنى بقية الادهارِ
لكم الارضُ خالدين عليهـا　بعظيم الاعمـال والآثارِ
خضتمُ البحرَ يوم كان عصياً　لم يسخّر لقوةٍ من بخارِ
وركبتم منـه جواداً حروناً　قلقاً بالمرّس المغوارِ
ان تمادى عدواً بهم كبحوه　واقالوه ان كبا من عثارِ
واذا ما طغى بهم اوشكوا ان　يأخـذوا لاعبينَ بالاقتارِ
غير صعب تخليد ذكر على الار　ض لمن خلّدوه فوق البحارِ
شيـدوها للشمس دار صلاةٍ　واتمّ الرومانُ حليَ الدارِ
نحتوا الراسيات نحتَ صخورٍ　وابانوا دقائق الافكارِ
واجادوا الدُمى فجـاز عليهم　انهـا الآمرات في الاقدارِ
سجـدوا للذي هُمُ صنعوهُ　سجدات الاجلالِ والاكبارِ
بعـد هـذا اغاية فترجّى　لتمامٍ ام مطمعٌ في افتخارِ

خليل مطران

٣ بين مصر وسوريا



حييتَ يا وطناً تصبو القلوبُ الى ارجائه وبه الارواح تغتبطُ
شمسُ المعارفِ في علياه جامعةٌ اطرافه وهي فيما بينها وسَطُ
ففي ذرى الارز حبلٌ من اشعتها يُلقى وحبلٌ على الاهرام منبسط

ابراهيم اليازجي

القطران الشقيقان

حفرت معاولُ الفعلة ترعة السويس ، فكانت كالمبضع بتر شرياناً بين عضوين في جسم واحد ، طالما توارد فيه الدم صعوداً من مصر الى سوريا ونزولاً من سوريا الى مصر . فاذا كانت سوريا قد انفصلت عن مصر بثغرة لا تزيد فجوتها عن ٦٥ متراً ، فلا تقولنّ إن يدَ ده لسپس

غلبت الطبيعـة . فالطبيعة لا تُغالب ، واذا ما غولبت غلبت . ولكن الانسان كان قبل مدنيتهِ يُخضع الطبيعة ويذللها ، فصار بعد ازدهار المدنية يستخدم بعلمه قواها وقوتهـا ، ولكنه يحسّ من نفسه انه خاضع لتلك القوات والقوى

اذا كان مصرائيم وكنعان قـد اجتازا برزخ السويس من سوريا الى مصر ، فصيرا منـاقعها حقولاً ، وبحيراتها سهولاً ، وأكامها مـدناً ، وروابيها دساكر وقرى . واذا كان توتمس وقواده قد عبروا ذلك البرزخ الى سوريا واكتسحوا الامصار ، وثلوا العروش ، ونصبوا لهم نصباً على ضفة الفرات ، فان سلاتس زعيم الرعاة قد نهج نهجهم فاجتاز البرزخ الى مصر ونصب على ضفات النيل هياكل وتماثيل . واذا كانت عبـادة الاله اودنيس والالاهة الزهرة قد ترامت من قنن لبنان الى هضاب اصوان ، فان عبادة الاله اوزيريس والالاهة ايزيس قد استفـاضت من شاطىء بحيرة المنزلة الى شاطىء العاصي . واذا كان الغزاة والفاتحون قد عدّوا سوريا قلعة مصر ، فان الصناع والتجار الاسيويين قدحسبوا مصر مزرعة سوريا ، فهبطها يعقوب بابنائه يمترون ، وجاءها الفينيقيون يتجرون

ظن الرومان انهم اذا قالوا في الهيا كل والمساجد ان ابن مصر من جالية النوبة لا من جالية فينيقيا واليمن ، غرسوا في فؤاده حب الاسود الافريقي لحسبانه اخاً ، واقتلعوا من صـدره حب الفينيقي والاشوري الابيض لحسبانه غريباً . ولكن الطبيعة التي لا تخضع الاّ لنظامها ابت على المصريين ان ينقادوا الى الكتب التي قالوا لهم انها مقدسة . على ان

لغة تلك الكتب بنبراتها ومقاطعها فينيقية سورية . بل ابت طبيعة الارض عليهم ان يكونوا الا اخوة السور بين اصقاء دارهم ، بل ابت التقاليد الواحدة الاّ ان يكونوا متحدين فلم ينل الرومان من تعاليمهم منالاً لان كل ما يخالف ناموس التكوين والوجود فانٍ ، وما ينجم عنه — وكان ثمرته — خالدٌ باقٍ

* * *

انقضت العصور المظلمة ، وباعدت الايامُ والاقدارُ بين اللغتين ، وفرَّقت بين الدولتين والالهتين ، الى ان جمع بينهما عيسى بتعاليمه . ثمَّ تلاه محمد بفرقانه . فازداد تفاعل القطرين واحتكاكهما ، وعاد احدهما طريق الآخر في البشارة بالدين ، والفتح بالقوة . فما انبعث نورٌ من مصر إلا ليكون وهجه في سوريا ، وما تلألأ ضوء في سوريا ، الا ليكون اول سطوعه في مصر . وما استفاض علمٌ في احداهما الا لتكون اول بوارقه في الاخرى . وذلك كان شأنهما من يوم كوِّنتا ، وذلك سيكون شأنهما ما دامت الارض على تكوينها والافلاك على دورانها

واذا كانت قناة السويس قد عُدَّت في هـذا العصر ثغرةً فاصلة فتحتها يد المدنية ، فان تلك اليد الفاصلة نفسها قد وثَّقت روابط الصلة ، وأحكمت عرى التواصل بأثير الهواء وثبج الماء ، فلا تُعدُّ القناةُ الآن فاصلاً . ومن على حافتيها يتخاطب المتقابلان ، ومن فوق مائها يتصافح الاخوان ومن ذا الذي يمنع الهواءَ ان يهبّ ، والماءَ ان يصبّ

علَّم عبد الملك بن مروان المصريين لغة العرب فصاروا عرباً ، وعلَّم خلفاؤه السوريين هذه اللغة فصاروا بها اخوة المصريين ، فاجتمع لهم

من روابط الاخاء والوئام والاتحاد اللغة والجوار ، ان لم نزد عليهما الدين .
واذا ما تفاهم الناسُ تحابُّوا ، والكلمة التي تحتقرها اذا حدثت ، هي التي تعلم الامم ، لان بها يبرز الفكر جلياً للسامعين ، فمن كلّمتَهُ بلسانه كنت اخاه بذلك اللسان ونقلت الى رأسه ثمار عقلك ، والى صدره خوافي صدرك . وتأخذ منه ما عنده وتعطيه ما عندك . تتأدب بأدبه ويتأدب بأدبك ، وتتعلم من علمه وتعلمه من علمك ، وفكرٌ لا يبرز بحلة الكلام وجوده كعدمه

هكذا كان شأن البلدين بعد الفتح الاسلامي وصيرورة لغتهما لغة واحدة . فما نبت فنّ في احدهما حتى جنى الآخر ثماره ، وما ظهر عِلم او عالِم حتى كان للاثنين معاً . فاذا قلّبت صفحات التاريخ ، وتراجم النوابغ ، ظهرت لك هذه الحقيقة ناصعة ، حتى كأن حبل المدنية واللغة في القطرين سلكٌ كهربائي ، اذا ارتجّ طرفه في بلد ارتج سائره في البلد الآخر ؛ واذا اضاء مصباحاً في القاهرة ، اضاء مثله في دمشق وبغداد . واذا ما ضربت السياسة للاوطان حدوداً ، فان العلم لا وطن له وان كان للعالِم وطن . واذا صحّ ان يُقال بين الامم الاخرى ان حدود الوطن باللغة ، فان هذا لا يصح بين مصر وسوريا ولغتهما واحدة

حكم محمد علي مصر وانشأ المدارس ، ونقل العلم الى لغة العرب ليعلم مصر ، ولكنه علمّ بلاد العرب كلها ذلك العلم . وكان يكفيهم منه ان ينقله الى لغتهم ليتفهموه . ففي رؤوس جبل لبنان وفي اطراف سوريا تجد في خزانات الكتب كتب الطب للرشيدي ، والجغرافيا لكاوت بك ، والفلك لمختار باشا ، والهندسة لوهبي بك ، والزراعة لاحمد ندى الخ . وفي اطراف تلك

البلاد تجد اطباء شيوخاً ومهندسين هرمين تلقوا العلوم في مدارس مصر

وبدت النهضة الادبية في سوريا منذ خمسين عاماً ، فانتفعت بها مصر : فصحف البستاني ومجلاته وكتبه وقواميسه ودائرة معارفه ، ومؤلفات الشدياق ، وكتب اليازجي ، وتصانيف فانديك ، ومطبوعات اليسوعيين والاميركان وتآليفهم كانت لسوريا ومصر معاً . وهذه مجلات مصر وسوريا وصحف كلتيهما كأنها مجلات الأخرى وصحفها . وهؤلاء كتاب مصر وسوريا وعلماؤهما كلٌّ واحد منهم كاتب كلا القطرين وعالمه

تصعد الجبل في سوريا او تهبط الوادي ، فتسمع المغنين يتغنون بقصيدة شوقي ، او منظومة حافظ . وتطوف الارجاء هنا ، فتسمع الادباء يتحدثون بمؤلفات اليازجي او الشرتوني او البستاني ، وتطالع المجلات وفصولها فلا تجد فرقاً بين كاتب مصري ومصنِّف سوري . واذا تدرجت في البحث والتنقيب ونزلت الى صميم الشعب وحياض العامة ، رأيت التقاليد بالاغاني والاناشيد والرقص والعزف واللهو والحزن والمآكل والملابس والافراح والمآتم والاثاث والفرش وتدبير المنزل نقل بعضها او اكثرها او كل جديد متقن منها من بر الشام الى بر مصر ، او من بر مصر الى بر الشام . فهما في اللغة والرقعة الجغرافية بلد واحد وان لم تكونا في السياسة كذلك

فاذا كانت «الزهور» قد أُنشئت لزيادة التعارف بين ادباء القطرين وعلماء المصرين ، فانما هي قد رمت الى غاية جليّ وغرضٍ نبيل ، قد يكون اقلُّ منافعهِ سرعان التعارف والترابط بين الادباء ، حتى يزداد الشعبان نفعاً بها ، بفضل لغتهما الواحدة

داود بركات

تحية الشعراء

١ — من شعراء مصر الى سوريا

لمصر ام لربوع الشام تنتسبُ هنا العلى وهناك المجدُ والحسبُ
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلب الهلال عليها خافق يجبُ
امُّ اللغات غداة الفخر امهما وان سألت عن الاباء فالعربُ
اذا المت بوادي النيل نازلةٌ باتت له راسيات الشام تضطربُ
لو اخلص النيل والاردنُّ ودَّهما تصافحت منهما الامواه والعشبُ
بالواديين تمشى الفخر مشيته يحف ناحيتيه الجود والدأبُ
نسيم لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكبُ
في الشرق والغرب انفاس مسعرةٌ تهفو اليك واكباد بها لهبُ
هذي يدي عن بني مصرٍ تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على ربوعها من بنيها سادةٌ نجب

حافظ ابرهيم

يحنُّ لمصر من سكن الشآما ونحن نود لو كانت مقاما
منابت لا تجف بها الخزامى ولا تشكو ازاهرها الأواما
وارض تنبت اليوم المعالي وكانت تنبت الرسل الكراما
على لبنان زهريّ الهضابِ على الاردنّ خمريّ الحباب
على القدس المفضل في الكتاب على تلك القصور على القباب
سلامٌ متيمٍ لولا الليالي تقيده لما بعث السلاما
عبدنا الله لا خوف انتقام ولكن قيل عدنٌ في الشآم
فاكثرنا الصلاة مع الصيام لتجمعنا الشآم لدى الزحام
ولو لم نعتقد صدق المقال لما صلى فتىً منا وصاما

عبد الحليم المصري

٢ — من شعراء سوريا الى مصر

ايه يامصر انت منزل قوم اخذوا قسطهم من المدنيه (١)
قد هجرنا لاجلك الوطن الأول مهوى اهوائنا الاصليه
واتخذنا لنا اخلاء من اهلك اهل النهى وصدق النيه
نشأت بيننا الصلات قديماً وسنبقى ما دامت الذريه
بيننا يجمع اللسان اذا فرّق بين الطوائف الاجنبيه
كم نعمنا فيما مضى وشقينا فاقتسمنا حظوظنا بالسويه
بين مصر والشام عهد قديم هو عهد الاخاء والوطنيه
عقدته السماء والارض والنا سُ فكان الوثيقة الادبيه
فلتعش مصر وليعش ساكنوها وعليك السلام ياسوريه

نقولا رزق الله

سلامٌ على الوادي الخصيب ونيله على نبته غضاً على قومه غرا
بني النيل انتم ألين الناس جانباً وابسطهم كفاً وارحبهم صدرا
بني النيل انا ان اقمنا وان نسر نرد لبني النيل السعادة واليسرا
وهذي ايادينا نصافحكم بها فانتم لها اوفى وانتم بها احرى

الدكتور ابرهيم شرودى

مصر العزيزة دام العز منتسباً لقومك الغر من فرع ومن سلف
ابناؤك اليوم من ابناء شرقهم مكان هادي السرى في المهمه القذف
قد مُدّن الغرب من آثار ملكهم واشرق الشرق من سيارة الصحف
كرام نفسٍ الى حلم الى ادبٍ واهل عزم الى ظرفٍ الى لطف

امين البستانى المحامى

---

(١) انشدت في الحفلة الجميلة التي اقامها الاديب سليم افندي سركيس لاكرام الشاعر حافظ ابرهيم

... واي شيء بمصر لا يتيمنا مصرٌ حوت كل ما شاق الورى وسبى
واعشق الانس يجلو لي دجى كربي وفي الكنانة انسٌ يكشف الكربا
واعشق الزهو في هـذي الحياة وما الفيتُ في مصر الاّ الزهوَ والطربا
واعشق اللغة الفصحى وقد ضربت في مصر اللغة الفصحى لها طنبا
وفي الكنانةِ هـذا كلهُ وانا أحبها ولو اني لا ارى سببا
دارٌ اذا قال فيها نازحٌ وطني أحبُّ منها الى قلبي فقد كذبا
أهدي السلام (لشوقيها) و(حافظها) و (للخليل) ومن يبقى من الادبا

رشيد مصوبع

الحركة الادبية

كانت سوريا في النصف الاخير من القرن الغابر مهدَ كتّابٍ مشاهير وادباء اعلام كان لهم اليد الطولى في نهضة اللغة العربية والاداب الشرقيــة ، ولما ضاق عليهم هذا المضمار في ربوع الشام ، هاجروا زرافات الى وادي النيل ، فكانت الديارُ المصرية خير مسرح تجلّت عليه عرائس افكارهم وبرزت اليــه نفائس خواطرهم . بل وجـدوا في تلك الديار التي حلوها على الرحب والسعة تـكملة لسليقتهم . وهكذا اذا كانت الشام قد انبتتهم فان مصر اتمتهم وانضجت افكارهم فانتجت اينع الاثمار بعد ان كانت حملت الطف الازهار . وما عهد اليازجي والنقاش والحداد واديب اسحق وغيرهم ببعيد . وعليه فيصعب على من شاء ان يكتب تاريخ الاداب العربية الحديث ان يفرق بين القطرين ويميز بين كتّاب البلدين . وجلُّ الكتّاب ان لم نقل كلهم قد نشقوا نسيم لبنان العليل ورشفوا ماء النيل السلسبيل . فيحق لكلا القطرين ان يدّعيهم

وكانت ريح الاستبداد العاصفة قد شتتت شمل السوريين ونثرتهم في كل انحاء العالم ، فطرحتهم مطارح النوى الى اقصى بلاد الله ، فعرفوا مجاهل افريقيا ومفاوز

اميركا و بطاح اوستراليا . ولما كان السوري ميالاً بطبيعته الى الكتابة والتحرير حمل معه الى المهجر طرسه وقلمه فانشأ الصحف والمجلات وخدم اللغة العربية اينما نزل ، والبريد يحمل الينا في كل اسبوع جرائد شتى ومطبوعات متنوعة من مراكش وكندا والولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل والارجنتين الخ

ولما سكنت عاصفة الاستبداد التي كادت تجتاح كل عقل مفكر وقلم محبر ، هبَّ نسيم الحرية اللطيف فرد الى سوريا بعض ابنائها بعد ان كان قد خيِّل ان لا تلاق بعد ذاك الفراق . فرأت بيروت صاحب « المهاجر » النيويركي وصاحب « المناظر » البرازيلي وصاحبي « الراوي » و « المصوّر » الاسكندريين ورأت دمشق صاحب « المقتبس » وطرابلس المغربي ورحبت حلب بادبائها و بغداد بشعرائها . . . ولكن الكثيرين قُضي عليهم في ارض منفاهم ، فخمدت انفاسهم وتقطعت اوصابهم ، فكان لحدهم في ارض غير التي هُزَّ عليها مهدهم . . . وان سوريا لتذكرهم اليوم وفي عينها دمعة محرقة لانها تشعرُ بالحاجة اليهم لانارة العقول وتثقيف الاذهان في طور الانتقال الصعب الذي تمرُّ به الآن، وهي تقول : رحمة وسلام على من مات ، واهلاً وسهلا بمن عاد . . ! بل هي تلقي نظرة ملؤها الشكر الى شقيقتها مصر التي حفظت لها ابناءها واثمار احشائها . وتدعو الكتاب المصريين لزيارة ربوعها ، فان التضييق الذي كان يقصيهم عنها قد اندرس وزال ، فيلاقون كل حفاوة واكرام ، ويشعرون عند ما يطأون الارض السورية انهم ليسوا بالاغراب فان كتاباتهم قد سبقتهم واعدت لهم السبيل ، فصبيان المدارس يروون شعرهم ونثرهم ، والكتاب يوردون رأيهم وقولهم . ولنعم النسب نسب الادب

ولقد وقفت مجلتنا نفسها على القيام بهذه الخدمة منذ نشأتها ، وهي دائبة بمعاونة الادباء ، الذين يقلدون جيدها بدرر نفثاتهم ، على متابعة هذه الخطة التي نالت رضى العموم . ولهذا نحن نقدم اليك ايها القارىء العزيز هذا العدد الكبير ، وقد بذلنا المجهود في تزيينه بالرسوم العديدة وتحليته بانفس ما جادت به قرائح الكتّاب ونحن موقنون بانك سترتاح الى هذا الموضوع الجليل وتقدره حق قدره

لانك بواسطته ستعرف اشياء كثيرة عن البلدين المتجاورين او القطرين الشقيقين، والتعـارف يؤولُ الى التحابّ والتوادّ ، وعن ذلك ينجم التضامن في المصالح والتساند في المرافق ، ومن احوج منا الآن الى التضامن والتساند

فالى قادة الافكار في القطرين نوجه خصوصاً الدعوة الى العمل على زيادة الترابط في الشؤون المادية والادبية . ويا حبذا لو تألفت لجان في مصر تزور سوريا ولجان في سوريا تزور مصر . فتدرس هذه وتلك الاسباب التي توثق عرى التآلف للاخذ والرد شأن الاقطار الاخرى في الغرب ، عسى ان تنبعث من احتكاك هاتين المدنيتين القديمتين شرارة توقد مصباح المدنية الحديثة في مصر وسوريا فينير الظلام الذي كدنا نضيع في دياجيه ، بعد ان كان اجدادنا المصريون القدماء والفينيقيون ينيرون العالم بفنونهم وصنائعهم . فيحق ان نعيد حينذاك الآية « من الشرق النور » النور الطبيعي والنور الادبي

***

وفي هـذه المناسبة لا يسعنا الا اسداء صميم شكرنا وشكر قراء « الزهور » العديدين لكل الادباء الذين ساعدوا بنوعٍ خاصٍ في تدبيج هـذه المجموعة ، معتذرين للذين اضطرنا ضيق المجال الى تأجيل كتاباتهم الرائقة ، فان الموضوع كما قدّمنا واسع الاطراف لا يمكن استيعابه في كتاب واحد ولنا في سائر اعداد المجلة متسع كافٍ لايراد ما تأخر هذه المرة





الجزء الثامن　　اول اكتوبر (ت ١) ١٩١٠　　السنة الاولى

غلاء المعيشة

موضوعٌ يستحق البحث والتمحيص ، وداءٌ يدعو الى إعمال الفكرة لاستئصال جراثيمه التي تمكنت من جسم الامة فباتت تنخره نخراً حتى كادت تقضي عليه

ولسنا نطرق هذا البحث كالابحاث التي تطرقهـا المجلات من حين الى حين فتضرب على اوتارها على نغمٍ واحد ، او يعمد اليها الكتّاب والمنشئون متى جمدت قريحتهم وأُغلق عليهم إيجاد موضوع يطلقون ليراعهم فيهِ العنان ، بل نطرق هـذا الموضوع لانه حديث السواد الاعظم من الشعب والشاغل الاكبر للافكار . ومن لم يقل به علناً أصبح يهدس به سراً . فان مجموع الشعب لا يشتغل بالاحزاب والمضاربات ولا يهتم للتصريحات السياسية والانباء البرقية . ولكنهُ يصرف جل كلامه واهتمامه الى الغلاء المحدق به من كل جهة : غلاء المأكول . غلاء المشروب . غلاء المسكن ، غلاء الملبس . الخ

كل شيء غالٍ : الحياة غاليـة . والموت غالٍ . . ! وليس ذلك من

قبيل المبالغة . فان الجمعيات الخيرية قد صارت تدفع منذ مدة لدفن الموتى الفقراء اضعاف ما كانت تدفع من ذي قبل

***

ماذا يفيد ما ندعوه «تمدناً عصرياً» ان لم يكن وراءه الاّ رفاهية الاغنياء وبذخهم — وهم القليلون — وشقاء الفقراء وبؤسهم — وهم الكثيرون ؟ وهل نعدّ تمدناً او حضارة او رقياً تلك الحركة الآئلة الى هناء الافراد وعناء المجموع ؟

يتبادر الى الذهن ان رواج المعاملات وكثرة المعامل وسهولة المواصلات التي تقرّب بين شواسع الاقطار الى غيرما جاد به العصر من الاكتشافات والاختراعات المسهلة ابواب الارتزاق لما كان يجب ان يؤدي الى محاربة الغلاء وزيادة الرخص وتوفير اسباب الهناء والسعادة في الطبقة الوسطى . فهل نحن حاصلون على ذلك ؟ وهل كانت النتيجة كذلك في اطراف المعمور ؟ قليلة هي البلدان التي فازت بهذه الامنية . فاننا نرى على الغالب ان كل هذه الامور الآنفة الذكر لم تجر الا رفه ذوي اليسار وتنعم اصحاب الدرهم ، بعد ان ساعدتهم على ابتزاز الاموال واحتكار ثروة العباد

من احسن محاسن الشرائع السهر على مصالح الافراد والعمل على الذود عن حقوقهم ومرافقهم . وكل حكومة عاقلة عادلة تدرك واجباتها وتفهم انها القيّمة على الرعية ... وما الطف واسمى ما كان يقول هنري الرابع ملك فرنسا : « اود لو تمكن كل شعبي من ان يطبخ اللحم في كل

اسبوع ويذوق شيئاً من رغد العيش ... »

وقد اطلعنا مؤخراً على احصاء ظهر عن نفقات المعيشة في فرنسا فاخذنا منه ان هذه النفقات ظلت تتصاعد منذ اول القرن التاسع عشر حتى سنة ١٨٨٣ وانها اخذت منذ ذاك العهد تتناقص تدريجاً . وما ذلك الا بفضل الحكومة الساهرة على كل الطبقات من رعاياها فان معدل نفقات المآكل كان في منتصف القرن الغابر ١٠٥٢ فرنكاً سنوياً فنزل في سنة ١٩٠٣ الى ٩١٥ فرنكاً . والفرق عظيم اذا قابلنا بين النفقات في بلادنا منذ خمسين سنة و بينها اليوم ورأينا الصعود الفاحش الذي طرأ عليها حتى اصبحت اضعاف اضعاف ما كانت عليه

وما رأينا صعوداً في الاحصاء المذكور عن فرنسا الاَّ على اجار المنازل وهناك اسباب شتى لا تخفى قضت بذلك . على ان الكثيرين يسعون الى ترخيصها حتى تسهل المعيشة من هذا القبيل ايضاً . فان شركات متعددة نهضت تشتري الاراضي وتبني فيها المساكن الملائمة لتأجيرها بأثمان غاية في الاعتدال . ويا حبذا لو رأينا عندنا مثل هذه الشركات ونحن في أمسّ الحاجة اليها

قلنا ان نفقات المعيشة في فرنسا نقصت في نصف القرن الغابر . وان الدخل قد زاد زيادة تذكر فان الماهيات ارتفعت حتى ١١١ في المئة عما كانت عليه . ومن المعروف ان الشعب الفرنساوي بات الآن من اسعد الشعوب واغناها . ولا نبحث عن سبب غناه في غير ما تقدم

***

واذا نظرنا الى باقي البلاد نرى ان نفقات المعيشة قد ازدادت . ومعدل هذه الزيادة ١٥ في المئة في كل من انكلترا والمانيا والنمسا . بيد ان الفرق بيننا وبينهم هو انهم باتوا يهتمون ويشكلون اللجان من الاقتصاديين الخبيرين لمداواة هذا الداء ونحن جامدون لا نخطو خطوة في سبيل هذا الاصلاح الضروري تاركين للطبيعة ان تطبب مرضنا هذا . فالطبقة الموسرة لا يهمها زيادة بضع مئات من الجنيهات على نفقتها ، والطبقة المتنورة على حد قول المثل « عينها بصيرة ويدها قصيرة » .. هذا والشعب المسكين كاد يرزح تحت اعباء حمله الثقيل

اما وقد ضرب الغلاء اطنابه في اكثر الانحاء، فلننظرنّ في الاسباب الداعية اليه والعلاج الواقي منه

ان هذه الاسباب منها اقتصادية ومنها سياسية ومنها ادبية اما الاسباب الاقتصادية فهي ناجمة عن حماية التجارة التي لا يزال معمولاً بها في اكثر البلدان . ولا ننكر ان هذه الحماية قد تجرُّ نفعاً ولكنها في الغالب تساعد اصحاب المعامل والاراضي الواسعة دون سواهم بضرب الرسوم الفاحشة على الواردات الاجنبية فيصبحون ولا مزاحم لهم يتقاضون الاسعار الباهظة عن سلعهم واغلالهم والناس مضطرون الى قبولها . واذا اضفنا الى ذلك زيادة الطلب على كل الاصناف نرى ان غلاء المعيشة هو معلول طبيعي لهذه العلة

اما الاسباب السياسية او الادارية فهي زيادة الماهيات واجرة العملة . وليست هذه الزيادة مبنية على مقاسمة الارباح بين العامل وصاحب

العمل بل ناتجة عن الاعتصابات المتعددة فزاد ثمن الاشياء لزيادة اجور العمال وتنقيص ساعات العمل وقد رأينا مثلاً في السنة الماضية صعود اسعار الفحم مع ان مناجمه غنية متوفرة لان إضراب الفعلة عن العمل شهوراً طويلة قد قلل المحصول

وهناك ايضاً اسباب ادبية لها تأثير في الغلاء اكثر مما يظنه البعض. فانه قد سادت في عصرنا روح المساواة والتماثل في المعيشة . فابن هذه الايام يجهد نفسه وكثيراً ما يبذل ماء وجهه ليجاري جاره في الاكل والشرب والملبس والمسكن وكل مظاهر الابهة والفخفخة ولو كان بين ثروة هذا وذاك بون شاسع

وقد نزلت النساء الى هذا الميدان فكان لهن النصيب الاوفر . وغني عن البيان ما يتأتى عن هذه المنافسة من غلاء الاسعار وزيادة النفقات

اما ملافاة هذه الاسباب ومداواة هذا الداء فامرٌ منوط بالحكومات والافراد : على الحكومات ان تسعى لازالة السببين الاولين اعني الاقتصادي والسياسي وذلك برفع حماية التجارة شيئاً فشيئاً واستبدالها بحرية المبادلة المطلقة ثم بضمانة حرية العمل للعمال وسن القوانين لوقايتهم ... وعلى الافراد نبذ هذه الاضاليل والاوهام فليست المساواة الحقيقية قائمة على بعض مظاهر خارجية بل هي مبنية على مساواة الحقوق والواجبات . وعليهم أيضاً الرجوع الى بعض البساطة القديمة ففيها هناء اكبر ورغد اكثر ونعيم اوفر ...

في رياض الشعر

« يا ليل الصبّ متى غدُهُ ؟ »

نشرنا ص ٢١٣ معارضة شوقي بك للقصيدة المشهورة «يا ليل الصب ...» فكان لها أجمل وقع بين الادباء . وجاءنا على أثر ذلك معارضات ثلاث حال دون نشرها تخصيص الجزء الماضي بموضوع « مصر وسوريا » والمعارضة الاولى من سعادة اسماعيل باشا صبري والثانية من عزتلو ولي‌الدين يكن بك والثالثة من سعادة الامير نسيب ارسلان

١

اقريبٌ من دنفٍ غدهُ　　فالليلُ تمرَّد اسودُهُ

والتفَّت تحت عجاجته　　بيضٌ في الحيّ تؤيدُهُ

حربٌ عندي لسمرّها　　شوقٌ ما زلتُ أردده

هل من راقٍ لصريع هوى　　هل من آسٍ يتعهدهُ

حتى مَ يساورهُ كمد　　يبلي الاحشاءَ تجددهُ

والى مَ يصارعهُ ألمٌ　　ان همَّ يقوم ويقعدهُ

في القصر غزال تكبرُهُ　　غزلانُ الرمل وتحسدهُ

صفرت كفي منه ومضى　　وقد امتلأت مني يدهُ

كم صغتُ التبر لهُ شركاً　　وقضيت الليل أنضّدهُ

واشاور (شوقي) بل ادبي　　هل اقصر ام أتصيدهُ

مولاي أُعيذك من ضرم　　لا يرحم قلباً موقدهُ

ادرك بحياتك من رمقي　　ما بات هواك يهدده

قد بان الحبُّ لذي عينـــــين وهـذا الشوق يؤكدهُ
(شوقي) جوّد في الشعر وقل آمنتُ بانك اوحدهُ

اسماعيل صبري

٢

الحسنُ مكانكِ معبدهُ واللحظ فؤادي مغمدهُ
يا سيـدتي هذا حرٌّ لم يُعرَفْ قبلكِ سيـدهُ
الليلُ وطيفكِ يعرفهُ ان كان فؤادكِ يجحدهُ
كم يوحي طرفكِ لي غزلاً وانا في شعري أُنشدهُ
وتساجاني الاطيارُ هوًى في الدوح أبيت اردده
للصبح سناؤكِ ابيضهُ لليـل غرامي اسودهُ
احببتُ قلاك فطلقـه عندي عذبٌ ومقيدهُ
ان ضلَّ حنانكِ عن قلبي فانا بولوعي ارشدهُ
قد بات دلالكِ يخذلهُ وجمالكِ كان يؤيدهُ
زيدي تيهاً ازددْ كلفاً كلفي ان رثَّ اجدده
(شوقي) ان بنت يضاعفهُ (صبري) ان جرت يؤكده
خلان هما شمسا فلكٍ طرفي مع طرفكِ يرصدهُ
فصلي بالله ولو حلماً «مضناكِ جفاه مرقدهُ»
وعديه اليوم ولو كذباً الصبُّ يماطلهُ غـدهُ

ولي الدين يكن

٣

مضناكَ عصاهُ تجلّدُهُ هل انت بعطفك منجدهُ
منهوك الجسم بهِ كمدٌ احناءُ الاضلع موقدهُ
ترجيع الورق يهيّجهُ ووميض البرق يسهّدُهُ
ولهُ نفَس لو ما خفقت احشاهُ لعزّ تردّدهُ
ان تهجرهُ فعزاءك في دنفٍ يتهامس عوّدُهُ
لا يسري طيفك في غلسٍ قد زوّر نورك فرقدُهُ
ما حال فؤادي في شغفي يستبكي الصخر توجدُهُ
اذ يغدو الصدغ يصدّعهُ ويروح الخدّ يخدّدُهُ
ويكرّ الطرف فياسرُهُ فيقوم الفرع يصفّدُهُ
والصدُّ لهُ جرح جللٌ لولا الآمال تكمّدُهُ
افدي مولاي فكل فتى يُشقيهِ الحبُّ ويُسعدُهُ
كم فزتُ بمرأى طلعته فوزاً يتقطّعُ حسّدُهُ
وسكرتُ براحِ شمائله سكراً ما فاه معربدُهُ
غصن أغرتني رقّتهُ أترى شكواي تؤوّدُهُ
والشعر صداحٌ في ولهٍ يهوى الاغصانَ مغرّدُهُ

نسيب ارسلان



اسماعيل باشا صبري

وكيل نظـارة الحقانية سابقاً

تقلَّب سعادته في اسمى مناصب الحكومة المصرية فعُرف بالهمة والحزم واصالة الرأي . وخاض ميدان الادب فكان من المجلّين ، وتسابقت الصحف والمجلات الى نشر مبتكرات افكاره العالية ، فأطلق عليه الادباء لقب « استاذ الشعراء » وهو لا يزال يحلّي « الزهور » منذ ظهورها بنفثات يراعه الشائقة حتى اصبحت له المكانة الكبرى عند قرائها

الحَمَل والذئب والليث

نظم عزتلو الفاضل ابرهيم بك العرب شيئًا كثيراً من الحكايات على ألسنة الحيوانات على نسق الشاعر الفرنسوي لافونتين . وقد بعث الينا ببعض تلك الحكايات ننشر منها اليوم الحكاية الصغيرة الآتية :

حَمَلٌ ابصرَ ذئباً بالفلا　　　ورأى الشرَّ بدا من مُقلِهْ
فاعترتهُ رجفهٌ من خوفهِ　　　وتمشَّى حائراً في خَبَلَهْ
فاحتمى بالليث كي يحفظهُ　　　ورأى في الليثِ اقصى أملهْ
فأتاه الحتفُ من مأمَلِهِ　　　وانقضى ما يرتجي من أجلهْ
ربَّ من ترجو به دفعَ الاذى　　　عنك يأتيك الأذى من قِبَلِهْ

العرب

تمدن المرأة العصرية

في ٢٣ يوليو (تموز) أقيمت حفلة شائقة في حديقة الازبكية بمصر اكراماً لعيد الدستور العثماني . وقد مثّل فريق من الادباء رواية « ابطال الحرية » وفي ختام الحفلة تلت حضرة الآنسة الاديبة هدى كيورك « تحية العلَم » بنطق فصيح . فأُعجب بها كل الحاضرين وقد أرسلت الينا المقالة الآتية فدلت على براعتها في فن الانشاء كما كانت قد دلت على مهارتها في فن الالقاء . واننا نثبت مقالتها بمزيد السرور طالبين من فتياتنا ونسائنا ان يطرقن هذه المواضيع الاجتماعية لما يترتب على بث هذه الافكار من المنافع الجمة

من زمن ليس ببعيد كنا نسمع الرجل المتعلم يئن ويبعث من صدره التنهدات لحالة الجهل المستولية على المرأة . وقد بقي مدة آسفاً متحسراً

لعدم وجود أنثى تعادله في المعارف ، وتماثله في الافكار ، لترفع قدر بنات جنسها وتبين تأثيرها ادبياً في الهيئة الاجتماعية ، نافية ما نسب اليها من ضعف المدارك وجهل الواجبات . وقد دامت هذه الحالة المحزنة مدة طويلة دون ان يُسمع صوت يبشر بطريقة تربية حديثة تبدّد ظلام الجهل المتلبّد ، وتقشع غيومه الكثيفة الى ايامنا هذه حيث لاح لنا نور العلم من خلال المدارس التي شيّدت في كل الانحاء وصارت المخرّجات منها تعدّ بالالوف والمئات . غير ان الرجل الذي كان يئن بالامس من جهل المرأة وضعف ادراكها ، اصبح اليوم يتحسر على تقدمها ومعارفها . وتمنى لو بقيت على الجهل التام بدلاً من ان تذوق العلم غير الصحيح الناشيء عن التربية العصرية المقتبسة من قشور التمدن الغربي الحديث . فلنبحث الآن عن الحقيقة لنرى ما هي الخطة التي اتخذناها لنرتقي في التمدن ونكتسب ثمار العلم

يلوح لي بان اول شيء عرفناه نحن معشر النساء من انواع التمدن هي آفاته واولها « المودة » . فقد تبعناها وبذلنا جهدنا في تتميم شروطها متمثلات بنساء الغرب ، وواضعات كل ارادتنا في قبضة ايديهنّ لتدرننا كيفما شئنَ وشاءت اذواقهنّ . فكم من جاهلة منا عدت نفسها سعيدة وترنمت وهماً لعدم تأخرها في شيء عن مماثلة الغربيات ولكن فيما يتعلق بالمودة فقط . وكم من اخت لها ازدرت بنصائح العقلاء والمسنين واستهزأت بشخصهم إذ لم تجد عليهم رداءً مطابقاً للمودة . فتنكرهم ان كانوا اهلها وتجحدهم ان كانوا محسنين اليها ، وكل هذا عملاً بامر المودة ... ولو ان

هذه الآفة بقيت عند ارباب الثروة واليسار لهان امرها وقلّ ضررها ، غير انها تخطت كل الحدود ودخلت حتى بيوت المسكنة والفقر فرأينا الرجل الذي يصل ليله بنهاره في الكدح والجد ليقوم باود معاشه ، اصبح اليوم مضطراً مجبوراً الى ان يكرس ما يربحه ثمن رداء تنتظره ابنته هدية باردة ، وهي جالسة على منصة حكمها ودلالها ، لانها تبعت المودة هي ايضاً فلا ترتضي بحالة والديها ولا تكتفي بما لديهم من وسائل المعيشة . استنزفوا عرق جبينهم لتربيتها في المدارس الكبرى طمعاً في تعليمها الواجب لتكون فخرهم في حياتهم فكانت النتيجة آيلة الى خرابهم . فقد خيبت آمالهم ولم تكتسب سوى المودة والتقليد

نفختها روح الكبرياء وملكها حبُّ التشبه بالكبراء ، فظنت نفسها ارفع قدراً من والديها فأتتهم آمرة متحكمة . واذ لم يتمموا رغائبها ويجيبوا مطالبها خشنت اخلاقها ، واوقعت الاضطراب والكدر في المنزل غاضبةً على هذا مستهزئة بذاك الى ان يستملك الحزن قلبها فتضيع الشجاعة وتقطع الرجاء وتقول لليأس مرحباً

مثل هذه الاعمال جعلتنا سخرية عند العقلاء وحملتهم على الاعتقاد باننا سبب عنائهم وشقائهم وقاطعات سلك تقدمهم

اطلقوا علينا هذا الحكم ونحن في القسم الاول من حياتنا

واما الحكم الثاني فيكون نتيجة الحكم الاول . فاذا دخلت احدانا ميدان الحياة وحصلت القليل من الثروة نراها ماثلت صاحبات الالوف والملايين في لبسها وبذخها . فاشتغلت في زينتها ولهوها . وتخلت عن

ادارة بيتها . والقت كل هذه المهمات على عاتق الخدم لتحرص على راحتها وتتفرغ لسرورها . وإذا ارادت ان تولي سياسة منزلها بعض الاهتمام نراها تسيء التصرف لانها لم تتعلم اصول التدبير والادارة العائلية بل كانت في شاغل عنها في تدبير زينتها والتفنن في زيها

واذا رزقها الباري مولوداً لتحميه بعنايتها وتحرص عليه ساهرة على مستقبله ، ترمي به الى المراضع فيشبّ على ايدي المربيات دون ان تسمعهُ كلمة نصح او تأديب . وربما دفعها حب الذات والملذات الى تأخيره عن المدرسة اذا كانت ماليتها لا تقوى على اسرافها ونفقات ابنها ، فتكون قد ضحت مستقبله على مذبح جهلها وحب ذاتها . وهكذا تنفق مالها وتتلف آدابها وتحط من قدرها وتضيع مستقبل عمرها وهي تجري وراء المودة والتقليد . ومع هذا كله لا تريد ان تفتح اذنها لغير كلمات الثناء والاطراء . والويل لمن يقول امامها ان النساء سبب الشقاء ...

هذه هي حاله اكثرنا في هذا العصر وهذه هي ثمرات علمنا وتمدننا أبمثل هذا الاستعداد وعلى هذا المنوال نتهيأ لتربية الاحداث ، وارضاع الناشئة من لبن المبادي ما صفي وراق ، لنحفظها من ادران الفساد ونبثّ فيها روح المرؤة وعزة النفس والغيرة على الوطن : فاننا اذا لم نطرح هذه الترّهات والسفاسف الى قعر البحار فنسعى الى الحاجيات قبل الكماليات ونعمل على حفظ كيان الحياة قبل تزيينها ، فلا يمكننا ان نقوم بمهمتنا في هذه الحياة بل نعيش تعيسات ونسبب تعاسة غيرنا . وعليهِ فلا يصح ان نتعلم التطريز ونترك الخياطة ، وان نهتمّ بالموسيقى ونهمل تدبير

المنزل ، وان نعتني بالرقص قبل تربية الاولاد ، وان نبرع في التصوير ولا ندري مشاركة الرجال في تذليل مصاعب الحياة ، وان نقرأ الروايات الخيالية قبل التواريخ

نحن لم نتشبه بالغربية سوى بمادة واحدة عرضية وذات نتائج مضرة لان اختنا الغربية اذا تبعت المودة تكون عرفت قبل ذلك كل ما تجب معرفته فلا يُخشى عليها والحالة هذه من التهور في دركات الهلاك . فلماذا نحن لا نماثلها في معارفها كما نسعى لمماثلتها في ازيائها . لماذا لا نأخذ عنها مثلاً نشاطها وجدها وتعلقها بلغتها وحسن عاداتها ؛ هل رأينا قط فتاةً غربيةً اتقنت لغةً اجنبية قبل لغتها ؛ أما نحن الشرقيات فقد اصبحت عندنا عادة مألوفة بل قاعدة مكتوبة ان نتقن ايّة لغة كانت اجنبية ولا نعلق ادنى اهمية على لغتنا . ولماذا ؛ لان للمودة دخلاً ايضاً في هذا الباب . فقد رأينا فلانة عملت هكذا فتبعناها وتوهمنا ان اللغة الافرنسية او الانكليزية ارق والطف من العربية ... فما هذا الجهل وما هذه الاوهام . فلا كانت ايام ادّت بنا الى هذه الحالة ومكنت الغربية من ان تسخر بنا وتستخف بعقلنا ، فهي بتمسكها بلغتها وارتقاء معارفها جعلتنا نحتاج اليها ونخشى ان تنتهي باستعبادنا ونحن لم نزل غافلات غير عارفات انه باحياء لغتنا نحيا وباعتبارنا أصلنا نُعتبر ... لننظر الى الرجال نرَ على أية حالة من الرقي والتقدم هم فكل يوم نسمع بعالم كبير منهم ومصلح مفكر بينهم يسير وتتبعه الالوف سعياً وراء الاصلاح هذا ونحن متقاعدات متكاسلات مع اننا لو احيينا فينا روح الحمية واقبلنا بنشاط على طلب المعارف لما قصرنا عن اخواننا

الرجال في إعداد ما يقوم عليه الترقي والعمران . فلنشمر اذاً عن ساعد الجد والهمة لنكتسب علماً واستفادةً كلما زادت في عمرنا ساعة فنعدّ للوطن رجالاً يؤيدون اعمالنا ونبين للعصور الحاضرة والآتية كيف تسير المرأة مع الرجل فتدركه

هدى اسكندر كبورك

المال والجمال

كل ما يُحبُّ ويُعبد ، يُملّ فيُهمَل إلا المال والجمال ..

بالاصفر الوهّاج تمهدت سبل العمران وقامت المشاريع العظام ، وطالما كان صلة العقد بين الدارين

وجاء في حديث الاقدمين ان ربة الفجر تزوجت طيثون لجماله وزفس منحه الخلود . الواحد ربٌّ ثان ، والآخر صفةٌ من صفات الرحمن

أقنومان في جوهر واحد وللناس في عبادتهما مذاهب

بينا الملكة تطل من الاعالي ، تبتسم لها الخليقة معجبة بمنظرها الفتان

صوادح الطير تحييها بالتغريد وبنو الانسان بالتمجيد

تبزغ الشمس فاللجين يذوب على فروع المشرق ، وقبيل الغروب تغزل الشمس خيوطاً من عسجد

فكأنها تغازل الطبيعة بغمزات ساحرات ، مودعة فيها روح الحياة

من ثم يسفر القمر مستنيراً بنور ملكة النور ، وقد جمع بين بعض صفات الاقنومين ، فكان زينة العالمين في سكينة الليل الهادي

وهناك من قطب الى قطبٍ ، ومحيط فحيط ، تسير النجوم وتدور مشعشعةً بانوارها الذهبية ، حيث الأفق يبدو :

« بساط زمردٍ نُثرت عليه　　دنانير تخالطها دراهم »

وما أبدع المذنبات حين تفيض بسيال من نضار !

تشرق الشمس وتغيب ومثلها القمر والنجوم وكلٌّ يمثل الجوهر الفرد باشرف التشابيه ، فبذا المنوال

وما ادراك ما الجوهر الفرد ؟ هو ربة الجمال ؛ الاهة الغنى والثروة !

***

وماذا نرى ؛ أمجد ابن الانسان ؟ علامَ تطاولت الاعناق وحدقت الاحداق ؟ ما هذا الموكب السامي الانور ؟

هذا موكب حمَلة العرش ! وما عرش بلقيس ...

وهو السدة العظمى ، مرصعة بالدر والجوهر . فسناؤها يأخذ بالابصار !

وها قد نصبوا العرش ! ولمن نصبوه ؟

لملكة النور ، ملكة اللجين والعسجد

ومن هي تلك

هي ربة الجمال ، الاهة الغنى والثروة !

***

اي سكان المدينة ! الابواق الابواق !

فاسمعي يا سماء ، وانصتي ايتها البرية الصامتة ...

الملكة هابطة على عرشها المجيد . كأنها وحيٌ منزَل من روح الله الجميلة

فينوس تتجلى في سحابتها الذهبية ، محفوفة بالاهة الهواء ، فهي فتنة الآلهة

ابولون ومينيرفا في ركابها ، جوبيتير يرنو اليها شغفاً من اعلى قمم جبال إيدا

فاتنة الفلاسفة وسالبة عقول الحكماء تنجلي بمظاهر جبروتها

مخرسة البلغاء ، ومنطقة الخرساء تتسنم اريكة ملكوتها

فلا سلطان فوق سلطانها ، وامام عرشها تخضع القوات

كنوز ابن داود تحت سلطتها ، ومفاتيح الجنان في يدها

فالملوك في اعتابها ، والعظماء على ابوابها يسترحمون ويستعطفون

تفعل ما تريد ، فتعزّ وتذُل ولاجلها قام تنازع البقاء

تصلي نيران الحروب ، فتسير القلاع في البحار ، والجبال في القفار ، والقصور في الهواء

تغزو فتقهر ، وتبرم الصلحَ كيف تشاء

نشاهد بها فتاة الدهر فلا تشيب ، مالكة نواصي الزمان وقائدة اعنة العصور من جيل الى جيل

ومن هي تلك ؟

هي ربة الجمال ، الاهة الغنى والثروة !

*
* *

هي الالف والياء ، سلطانة الايات والمعجزات ، كانت وحدها العامل الاكبر على اظهار مواهب البشر

فاقيموا لها الاعياد ، واشعلوا الشموع حول كنوزها ، واوقدوا المباخر
قدموا القرابين على مذابح اقدامها ، وارفعوا الاصوات بالصلوات
فالحياة منها ولها ، وبها نسعد ونشقى
سبحوها بصنوج الهتاف وآلات الطرب ، قدسوا اسمها وخبروا بكل عجائبها
فالارض والسماء بذكرها تحدثان !
ومن هي تلك ؟
هي ربة الجمال ، الاهة الغنى والثروة وغاية متمنيات بني الانسان
فالسلام لكِ يا لذة الانام ومحبوبة الارباب
السلام لكِ يا حياة النفوس ومعبودة القلوب
السلام لكِ والمجد ايتها الملكة الجميلة والغنية ...

(انطاكية) سمعان بطرس اللادقاني

الخريف (١)

ظهرت سحابة في كبد القبة الزرقاء ، وابتلَّ جناح الهواء ، واغرورقت مقلة السماء ، فوقعت على الارض بعض نقط ماء ... تركت السنونو الديار مهاجرةً الى اقطار شاسعة ، وهبَّ نسيمٌ بارد فألوى سنابل الحقلِ واحنى غصون الاشجار الباسقة . عري وجه الارض من دبيبها وصارت الدنيا كهلة وقد ولت ايام شبابها فقلنا : « ها الخريف قد اقبل والصيف قد أدبر ... »

---

(١) ابتدأ فصل الخريف في ٢٢ سبتمبر الماضي

عبس وجه الطبيعة ، واكفهرت طلعة السماء فاستحالت زرقتها سواداً ، واتشحت بثوب الغيوم الكالح حداداً ، وجادت المزنُ حزناً بدمعها الصافي ، فبرّد بعضَ ما فيها من الحرّ والحرقة ، فسالت في ما قي الارض حمراء اسفاً ووجداً على هجر شبابها

اصفرّ العشب الاخضر من لوعة هذا الفراق ، وبكت الشجر فتساقطت منها الاوراق ، واصبحت تلطم جذعها بغصونها الجرداء ، وحيث كنت تسمع تغريد الطيور الشجي الرخيم ، لا تسمع الآن إلاّ حفيفاً رائماً اشبه بزفرات المهجور الحزين . اذ ان ريح الشمال قد هبّت وكان لهبوبها في الغاب صدى نوح وعويل ، واخذت تتلاعبُ بالاوراق الذابلة المتناثرة كتلاعب الرزايا بالانام

وكأنَّ الطيور قد أنفت هذا المشهد ، فأخذت تشقُّ الفضاء ولسان حالها يقول : « نحن رسل الزهو والزهر ، ووفود الصفاء والبشر ... لا نألف الا الرياض الخضرة والحدائق النضرة ، والا تحوّل تغريدنا الى نوحٍ ورثاء ، واصبح اشبه بنعيق البوم والغربان. فنعود متى عاد الربيع .. »

اما تأثير هذا الفصل في النفوس فشديد . وليس باقل من تأثيره في الطبيعة . فيشعر الانسان بانقباض يستولي على فؤاده ، ويسمع في داخل صدره صوتاً ينذره بقرب فصل الشتاء فصل الشيخوخة ، فيتساءلُ حزيناً : « وهل ارى فصل الربيع ثانيةً ؟ هل ارى الاشجار تخضرُّ والاطيار تعود ... » فيستسلم لهذه الافكار التي تغذي النفوس بغذاء الحقيقة ، وتروي القلوب التي حرقها الظمأ الى المجهول . ويا نعم ما قال الشاعر :

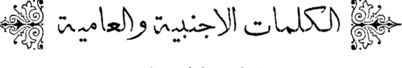
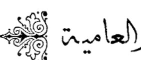
إنَّ فصل الخريف وافى الينا　　يتهادى في حليةٍ كالعروسِ
غيره كان للعيون ربيعاً　　وهو ما بيننا ربيعُ النفوسِ

ومن امعن النظر في حياة الانسان يراها كفصول السنة :

فصل ربيع مزهرٍ مثمر ، يطيب فيه الهواء ويروق اديم السماء . تشرق شمس الهناء ، والاقبال فتبدّد غياهبَ الكروب ، ويسطع على الافق بدر السعادة والامال ، فيضيء ظلمةَ القلوب ، فتتفتح ازهار الصفاء ، وتنضج اثمار الرجاء ...

وفصل شتاء محزن تتلبّدُ غيومُ الشدائد في سماءٍ مظلمة ناقمة ؛ فتمطر ثلجاً تجمدُ له حركة القلوب الخافقة ، وتسيل دموع الاعين الحارة . تعصف رياحُ الجزع فتتلاعب باوراق الآمال الذابلة ، وتقصف رعود المصائب فترمي القلب البشري بصاعقة اليأس القاتلة

تلك هي حياة الانسان : عسر ويسر ، راحة وشقاء ، شدة ورخاء ، ورد وشوك ، طلوع ونزول ، شروق وافول ، حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، ابتسامة ثغر ونقطة دمع ، ابتهاج الربيع وكآبة الخريف

﴿ في اللغة العربية ﴾

نشرنا في الجزء الرابع من الزهور ص ١٣٧ وفي العدد الخامس ص ٢١٥ الكلمات العربية التي باشر « نادي دار العلوم » وضعها لبعض الكلمات الاجنبية او العامية وأبدينا ما عنَّ لنا من الملاحظات بشأن هذه الاوضاع . واقترحنا

حينذاك على اعضاء النادي ان يفسحوا المجال لسائر ادباء الاقطار العربية حتى يتسنى لهم مشاركتهم في الرأي تعميماً للفائدة . وجعلنا مجلة الزهور المنتشرة في البلاد العربية واسطة لمبادلة الآراء في هذا الموضوع . فتناقلت الصحف والمجلات بحثنا هذا وذيلتهُ بما عرض لها من الملاحظات . وقد جاءنا من أحد مراسلينا في بغداد كلامٌ بهذا الشأن نعرضهُ على أعضاء نادي دار العلوم . وقد عرف القراء هذا الكاتب من مقالاته الشائقة « النهضة الادبية في العراق » ص ١٨٥ التي كان لها وقع عظيم في بلاد العرب . قال :

تلقى العلماء في بغداد احسن التلقي ما اخذه نادي دار العلوم على نفسه من تتبّع الالفاظ الاعجمية والعامية لوضع مقابل او مرادفٍ لها في العربية واول شيء يعنّ لنا في هذا الصدد انه يحسن باعضاء النادي ان يشركوا سائر اهل الديار العربية في هذا العمل الخطير ليكون الجميع يداً واحدة في استحسان الموضوعات الحديثة أو دفعها والا وقع النزاع وانتفى الانتفاع

ثم لا بد من ان تفسّر الكلمة الافرنجية او العامية قبل ان يوضع لها مرادف في العربيـة . بل ويحسن ان يكتب مرادفها بالافرنجية ، واذا كانت افرنجية ان تُكتب باحرف تلك اللغة ليُهتدى اليها . والا فقد تكون اللفظة شائعة في ديار مصر ومجهولة في ما سواها . كما هو الامر في الحروف الآتية : « استمارة ، وبلوك نوت ، وجول ، وترسينة وغيرها » فاننا لم نفهم المطلوب منها

واما (انفيتياترو) فان وجودهُ وجوداً طبيعياً في البلاد الصخرية أو الجبلية من بلاد اليمن والحجاز وديار مُضَر وربيعة وبكر مما حدا العرب الى وضع حرفٍ يؤدي معناه . وقد سموه « جَدِيرَة » واللفظة الى اليوم معروفة

في بلاد اليمن وديار مُضَر والجزائر هـذا فضلاً عن ان اللفظة فصيحة في هذا المعنى فقد جاء في الصحاح « ويقال للحظيرة من صَخْرٍ . جديرة » ولا يمكنهم ان يعرّفوها يومئذ احسن من هذا التعريف . ومن مادة ج د ر اشتقوا الجدير وهو مكان قد بُني حواليـه جدار (الصحاح) والجدار هو الحائط . وكل درج من درج هذا الميدان المدرَّج عبارة عن جدار لما قبله

(بوية) المشهور في معنى البوية ما يقابله بالفرنسية cirage وهو بالعربية « الأدلَم » وقد استعملوا ايضاً في هذا المعنى الفارسية « الأرَنْدَج » واما اذا ارادوا به ما تدهن به الحيطان وغيرها من آنية واوعية فهو في الاول والثاني : الدِهان ويقابله بالفرنسية vernis, badigeon

(خارطة) لم ترد الخريطة بمعنى الخارطة لهذا المخطط الارضي . الا ان يكون ذلك من باب المعرّب الحديث . وانما قالوا فيها « تخطيط الارض . او رسم الارض او مُصَوَّر الارض . » ومن ذلك عناوين بعض الكتب في الجغرافية مع رسومها . الا ان الخريطة قد وردت بمعنى charte أو portefeuille في كلام المولّدين

(طابور) ليست هذه الكلمة محرَّفة عن العربية « تابور » وانما هذه هي نفس التركية طابور فحرَّفها المحدثون بصورة تابور ، والتركية من اصل بولونيّ فالكلمة اذاً لم تدخل في لسان آل عثمان الاَّ بعد سنة ١٥٦١ واما في كتب العرب فلم ترد « تابور » الا بعد شيوع اللفظة التركية بين العثمانيين والذي استزلّ اهل النادي لقول بعربية اللفظة وجودها في تاج العروس بلا تنبيه على عجمتها . بيد ان صاحب التاج كثيراً ما يغفل عن

اصل اللفظة . والاَّ فسائر امهات اللغة ودواوينها القديمة لا تذكرها

(دوسيه) المستعمل في العراق في هذا المعنى « الاضبارة » وقد جاءت بهذا المعنى في كتب العرب. واما « ملف » فلا تؤدي هذا المؤدى الاَّ ببعض تكلف

هذا ما بدا لنا وهو فوق كل علم عليم

(بغداد) سائسنا

حالة آداب العرب

﴿ في عصر الجاهلية وعلى عهد الخلفاء ﴾

اقترحنا على الادباء في الجزء الاول من « الزهور » كتابة نبذة عن « الوسائل الواجب اتخاذها لترقية اللغة العربية » بعد ايراد لمحة وجيزة فيما كانت عليه ايام الجاهلية وعلى عهد الخلفاء . فاستحن الموضوع كثيرون ، ولكن الذين حاولوا الكتابة فيه كانوا قليلين ، لانه يقتضي بحثاً وتدقيقاً عظيمين . وكان المجلي في هذا الميدان حضرة الباحث المدقق عيسى افندي اسكندر المعلوف ، فأفاد فيما كتب ، وأجاد فيما اقترح ، وها اننا ننشر اليوم مقدمته عما كانت عليه اداب العرب في عصر الجاهلية وعلى عهد الخلفاء مرجئين القسم الثاني ، وهو ما يجب اتخاذه من الوسائل لترقية تلك الآداب الى العدد الآتي :

العرب من القبائل السامية التي انتشرت في شبه الجزيرة المنتسبة اليهم ، وقد بقوا سحابة عصور طويلة بلا كتابة فحفظت آثارهم باشعارهم ورواتهم ، وعُرفوا بفرعين عظيمين البائد والباقي : فالقبائل البائدة طمست آثارها كعاد وثمود وطسم وجديس ممن اقاموا في عمان والبحرين واليمامة

واشتهر منهم لقمان الحكيم صاحب الامثال التي يقال ان اصلها من الشعر المقفى ولغتها حِمْيَرية . والقبائل الباقية هي بنو قحطان وبنو عدنان ويعرفون بالعرب العاربة وكانت كتابتهم الحميرية او القلم المسند القديم انتشرت في اليمن فكانت لغة القبائل البادية وعرفت بلغة قحطان وقد وجدت آثارها في جبل الصفا في حوران وفي مأرب (اليمن) وحروفها منفصلة ولما اعتمد الاسلام على لغة قريش العدنانية تغلبت على اللغات الاخرى وأماتتها . واللغات السبع المشهورة بالفصاحة في العرب العرباء هي : لغة قريش وهذيل وهوازن واليمن وطيّ وثقيف وبني تميم . ومن القلم الحِمْيَري اشتق الكوفي ثم النسخي وفروعه الى عهدنا

وكانت نهضة العرب قبل الاسلام بنحو قرن اي في اثناء القرن السادس للميلاد ولقد رقاهم احتكاكهم بالحبشة والفرس والروم من مناوئيهم

وكان الشعر في اول أمره عندهم مقاطيع وارجازاً فقصَّدهُ المهلهل ، وأول من اطال الرجز وقصَّده الاغلب العجلي بزمن النبي (صلعم) ثم العجاج . وسئل ابو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال نعم ليسمع عنها . قيل وهل كانت توجز ؟ فقال نعم ليُحفظ عنها ... ومن اقدم اشعارهم احتضار جدهم يعرب بن قحطان ، ومنظومات الحارث بن مضاض الاصغر الجرهمي وشدّاد بن عاد ، وعاد بن عوض وثمود بن عابر وزرقاء اليمامة وربيعة بن نزار والزباء وعامر بن حليس والمرقش الاصغر الى أن نبغ اصحاب المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات فكانت المعلقات من الطبقة الاولى وما يليها من الثانية الخ

وكان شعرهم في الجاهلية طبيعياً ، وصفوا فيه الظواهر الجوية ، ومحاسن الاخلاق والعادات ، ومنهم من احب الروية ومنهم من فضل البداهة ، وكان مذهبهم الشعري صحيحاً يتجنبون فيه السرقة والكذب . وقال الاصبهاني في الاغاني : ان موضع شعراء الجاهلية واحد من البلاغة الاّ انه غلب على ذي القروح (امرىء القيس) التجمُّل بالمعاني وبديع الوصف ، وعلى النابغة الاسترسال في البراعة ، وعلى زُهير العناية بتقويم الالفاظ . وانفرد من هم دون طبقتهم باشياء مثل ابي دؤاد بوصف الخيل ، وعلقمة بوصف الوحش ، وأوس بن حَجَر بوصف الخمر ، الى غير ذلك مما اكثرت من امثلته في كتابي (الطرف الادبية في تاريخ اللغة العربية)

ومن خطبائهم المشهورين عبد شمس الملقب بسبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقس بن ساعدة الايادي اسقف نجران ، وسحبان وائل الباهلي ، وكعب بن لؤي بن غالب ، وعامر بن الظرب العدواني ، واكثم بن صيفي وعبد المطلب بن هاشم جد النبي (صلعم) وغيرهم

وعقدوا لهم اسواقاً لتناشد الاشعار والقاء الخطب والمباحثة والمماجدة اهمها سوق عكاظ . ولم يعرفوا من العلوم الاّ نتفاً من النجامة ومن التاريخ ولا سيما الانساب ، ونبغ بينهم تراجمة عرفوا اللغات الاعجمية مثل زيد بن حماد المنتهي نسبه الى زيد مناة الذي تقرب من الاكاسرة واقطعوه قطائع وولده عدي بن زيد وغيرهما

ثم صارت الخلافة الاسلامية الى الخلفاء الراشدين منهم فنبغ رأسهم النبي بالخطابة والقول الفصل وهكذا اخلافه وصحابته وعرفت الكتابة في

هذا العهد ، وتحضرت العرب وكان الشعر على منوال الجاهلي ولكنهُ أُدخلت فيه صناعة المديح والالفاظ الدينية فنبغ فيه الشعراء المخضرمون كعبدالله ابن رواحة ومالك بن نويرة والعباس بن مرداس وكعب بن زهير وحسان ابن ثابت الانصاري والخنساء ، ثم الشعراء المسلمون مثل عمرو بن معدي كرب الزبيدي والنمر بن تولب التغلبي وأبي ذؤيب الهذلي والنابغة الجعدي وغيرهم . وكان للخلفاء اشعار وتواقيع وخطب ورسائل بليغة ، ووضع ابو الاسود الدؤلي علم النحو باشارة الامام علي بن ابي طالب الى غير ذلك

ثم جاءت الخلافة الاموية فوضعت النقط والحركات . وكان الشعر عليه مسحة من صبغة الجاهلية ولكنهُ مال الى الحضارة والتبسط بالمدح والاطراء فنبغ فيه القطامي النصراني وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت بن زيد وابن خماعة وليلى الاخيلية واشهرهم ثلاثة الفرزدق وجرير والاخطل النصراني . واشتهر من خطبائهم اياس بن معاوية وزياد ابن ابيه وابن القرية الهلالي وخالد بن صفوان التميمي ونحوهم

اما الكتابة فقد حوّلت في هذا العصر الى العربية في الدواوين ، بعد ان كانت بالاعجمية في الشام ومصر والعراق . وكبير كتّاب هذا العصر عبد الحميد كاتب مروان الجعدي واليه ينسب وضع آداب هذا الفن . وكان للخلفاء من الحِكَم والاقوال المأثورة ما يأخذ بمجامع القلوب بلاغة

واشتهر عندهم علم الانساب ، ومن اكبر رواتهم حماد الطائي . وعرف الغناء عن الفرس . والفقه والطب وبنيت المستشفيات وعرّبت المصنفات الاعجمية من طبية وكيماوية الى غير ذلك

اما العصر الذهبي للعربية فهو عصر العباسيين من سنة ٧٥٠ م — ١٢٥٨ م وقد قسمته في كتابي (الطرف الادبية) الى نهضتين نهضة المشرق ونهضة المغرب. فازهرت في المشرق بغداد والبصرة وبخارى ودمشق والقاهرة والاسكندرية بالعلوم والآداب واشتهر خلفاؤهُ بمعاضدة العلم ولا سيما هرون الرشيد وولده المأمون ، حتى قال بعض المستشرقين : ان هرون كان يستصحب في سفراته مائة عالم . ولقب أوغسطس اللغة العربية حتى لقد اهدى القيصر نيقيفور الى الرشيد كتباً كثيرة عربية . ولما كتب المأمون المعاهدة بينهُ وبين ميخائيل الثالث امبراطور القسطنطينية على اثر الحرب المشهورة بينهما كان من جملة شروطها أن يرسل اليه الكتب النادرة الثمينة فارسلها وعرّبت . وكان في بغداد « ديوان الترجمة » للتعريب و « بيت الحكمة » للمطالعة . وكان العلماء يتسابقون الى خدمة الخلفاء ويرحلون في طلب العلم وقراءة الكتب على مؤلفيها أو طلبتهم ويأخذون إجازات بما اتقنوه منها . وأزهرت في المغرب قرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية وصقلية وفاس ومراكش والقيروان ولا سيما بمعاضدة الخلفاء اخصهم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكَم المستنصر . وكانوا ينافسون المشرق بترقية المعارف حتى ان الحكم الثاني الاندلسي اشتهر باستنساخ الكتب ، فأرسل الف دينار الى ابي الفرج الاصبهاني ثمن اول نسخة من الاغاني ، ليظهرهُ في الاندلس قبل ظهوره في المشرق فقرىء فيها قبله . وقد حمله مؤلفه الى سيف الدولة بن حمدان فلم يعطِهِ اكثر من الف دينار فاستنزرها الصاحب بن عبَّاد لانه كان يُكبر الكتاب

وهكذا تبارت الدولتان الشرقية والغربية بتعريب الكتب العلمية وتعزيز المكاتب وتشييد المدارس وتقريب العلماء والمترجمين والشعراء . وكان معظم الاطباء المعربين في المشرق من النساطرة المسيحيين وفي الاندلس من الاسرائيليين . وكانت المدرسة المستنصرية في بغداد وكلية قرطبة والقيروان مباءة للعلماء

فوضع في المشرق فنُّ العروض والقوافي ، وضعه الخليل بن احمد الفراهيدي . واشتهر سيبويه بالنحو والاصمعي بالرواية واسحق الموصلي وولده ابرهيم بالغناء وابو نؤاس وابو العتاهية والمعرّي وديك الجن بالشعر . واشهر شعراء هذا العصر ثلاثة المتنبيء وابو تمام والبحتري كما فصَّل ذلك ابن الاثير في مثله السائر

ووُضع في المغرب فنّ الموشحات المنسوب الى مقدم بن معافر الفريري واخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وغيره فاشتهر من شعراء المغرب ابن خفاجة وابن هانيء وابن حمديس وابن سهل وابن عمار وابن وهبون وابن صارة وابن رضوان وحفصة بنت حمدون والرميكية وابنتها بثينة وابن باجة وابن بقي وابن زهر وغيرهم

وعلى الجملة فقد كان الاندلسيون نحو ثمانية قرون اساتذة للاوربيين ، ونبغ من ادباء ملوكهم المعتضد بالله العبادي وولده المعتمد وغيرهما ولهم شعر رائق

ومن مشاهير كتاب المغرب ابن عبد البر وابن الابار وابن رشيق وابن زيدون وابن زمرك وابن ابي رندقة الطرطوشيّ وعائشة بنت احمد

واسماء العامرية والشلبية وغيرهم

ومن فلاسفة الشرقيين ابن سينا ، والفارابي والرازي ومن الغربيين ابن رشد وابن الطُفيل وغيرهما من كبار الاطباء والعلماء ممن لا محل لاستيفاء تراجمهم الآن

ولقد نالت العربية في عصر الدولتين الشرقية والغربية مجدها وامتدت آدابها مع غزوات أهلها في القارات الثلاث آسيا وافريقية واوربا ، ومعظم اوربا التي بسط العرب عليها جناح سطوتهم اسبانيا وصقلية.وايطاليا الجنوبية

واقتبس الاوربيون عن العرب العلوم مثل البابا سيلبسترس الثاني (جيربرت) وفريدريك الثاني امبراطور المانيا والبرت الكبير وغيرهم

ولقد سمي هذا العصر بالعباسي تغليباً مع ان دولاً كثيرة نشأت في اثنائه مثل دولة بني حمدان في حلب ، وبني بويه في فارس ، وبني ساسان في ما وراء النهر ، والفاطمية في مصر ، والاموية في الاندلس . وقامت في تلك الاثناء الدولة السلجوقية فشيدت المدرسة النظامية في بغداد ، واقامت المستشفيات والمراصد . وشيد الفاطميون بمصر دار الحكمة للعلوم ومكتبة كبيرة . ثم جاءت الدولة الايوبية على عقب الفاطمية فشيدت المدارس في بغداد وحلب والمستشفياب في مصر والمراصد في دمشق وغيرها وكانت رغبات الشعب في العلم ومساعدات الحكومة هي الباعث الاكبر على النجاح

ثم غُلِبت الامة العربية على المُلك في القرون المتأخرة فكثرت غزوات الصليبيين والترك والتتر حتى تأخرت لغتهم بمزاحمة لغة الفاتحين لها وذلك من سنة ١٢٥٨ م الى اوائل القرن التاسع عشر . ومع ذلك فقد نبغ في هذا

العصر المتأخر شعراء من أشهرهم ابن العفيف التلمساني وصفي الدين الحلي وابن الوردي وابن نباتة وابن النحاس وابن معتوق والنابلسي والشيخ احمد البربير ومن المسيحيين المطران سليمان الغزي والمطران جرمانوس فرحات والخوري نقولا الصائغ وغيرهم

ومن الكتاب ابن خلدون المغربي وابن جزي الغرناطي . ومن المؤلفين كثير لا محل لاستيفاءهم وحسبنا ان نشير اليهم ففي العلوم اللسانية ابن مالك الاندلسي صاحب الالفية وابن عقيل والاشموني شارحاها والصبان محشيّها . وفي العلوم البيانية واللغوية جلال الدين السيوطي الذي الف في جميع الفنون العربية ، والخفاجي صاحب طراز المجالس وشفاء الغليل وشرح درة الغواص . وابن منظور صاحب لسان العرب والفيروز بادي صاحب القاموس والزبيدي صاحب تاج العروس

وفي التاريخ والجغرافيـة والرحلة ابو الفداء وابن جبير وابن بطوطة والحسن القرطبي المعروف بالاسد الافريقي . وياقوت صاحب معجم البـلدان والمقريزي والمسعودي ومن النصارى ابن العبري وابن الفضل الانطاكي والسمعاني والدويهي والبطريرك مكاريوس الحلبي المعروف بابن الزعيم وولده الارشدياكون بولس وغيرهم . وفي الرياضيات ابن الهائم وابو بكر الجمّال المصري وغيرهم . ومما امتاز به هذا العصر اختراع المطبعة فكان للعربية نصيب منهـا في اوربا فطبعت بحروفها كتب كثيرة في ايطاليا وفرنسا وانكلترا والاستانة وحلب ولبنان ومالطة الخ

ولما تنفس القرن التاسع عشر انتشرت بيننـا الطباعة فاعتزت بها

آداب العربية ونبغ كثير من المؤلفين والعلماء والمعرّبين فنشروا لنا من المؤلفات ما هو جدير بالمطالعة وان كانت لا تزال قاصرة عن حاجاتنا فان فيها دليلاً على نهضتنا وكفى بجرائد المهجر في اميركا الشمالية والجنوبية ومطابعه ومؤلفاته شاهداً عدلاً على أن العربية جدَّدت شبابها واستعادت نهضتها . فماذا يجب اتخاذه لترقية آداب هذه اللغة ؟ (هذا ما نراه في الجزء الثاني)

عيسى اسكندر المعلوف

في جنائن الغرب

العزلة

طالما كنتُ اجلسُ في الجبل تحت ظل شجرةٍ من بلوط ، وقد خيَّم الحزن على صدري ، فكنتُ أسرّحُ الناظرَ في السهول التي نشرت امامي احاسن محاسنها يتلو بعضها البعض وقد اخذت زخرفها وأُزينت وانبتت من كل زوج بهيج ، وقد آذنت ذُكاء بالغروب مرتدية حلتها الصفراء تعلوها الكآبة . ولا ادري ان كان ما ألمَّ بها توجعاً ورحمةً لي ، او من ألم البين والفراق

امامي النهرُ يُزمجر بامواجه الزاخرة المزبدة ، وينسابُ كالافعى وسط الرياض ، وهناك البحيرة الساكنة كالمرآة الصقيلة . وقد ارتسم كوكب المساء على صفحات الماء . وكانت الجبالُ التي تحوطني متوجة بغابات قاتمة رمى عليها الشفق اشعته الاخيرة

لم تكُ هذه المناظر الجميلة لتروقني او تنفحني ببعض سرور ينعش القلب ، بل كنتُ أشاهدُ الارضَ كظلٍ متنقل ، كما ان شمس الاحياء لا تدفيء الاموات

كنت انقل الناظر من اكمة لا كمة ومن الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب فلم اظفر بهناء يخفف ما بي من ألم الكآبة والوحشة

ماذا تفيدني هذه الوديان والقصور والا كواخ التي لا اعبأ بها إذ لا اجدُ بها ضالتي المنشودة ، وما كانت لتشرح صدري هذه الانهار والصخور والغابات مع ما انا فيه من الانفراد والعزلة . وإن غاب عن عيني عزيزٌ واحدٌ فالدنيا باجمعها تكون امامي قفرة موحشة

لا احفلُ بشمسٍ تتبعها عيني في مسيرها من الشرق الى الغرب جارية في سماء صافية او مكفهرة اذ لا انتظر شيئاً من الايام

ولو استطعتُ ان اتبعها في مجراها لكنتُ اشرف على الجو والصحاري ولكني لا ارغب في شيء من جميع ما تنيرهُ ولا اطلب امراً من هـذا العالم العظيم

ولكن ربما كان بعد هذا الكون عالم آخر تضيئه الشمس وتظلله سماءٌ أخرى ، ولو تسنى لي ان اترك جثماني في الارض واصعد بروحي الى السماء لانظر بعيني ما اراه في الاماني والاحلام ، فهناك انتشي من رحيق المنبع الذي آملهُ واجد ما أتطلبه من الامل والحب ، وهذا غاية ما تشتهيه الانفس ، وليس له اسم في المقام الدنيوي . فِلمْ بعد ذاك امكث في الدنيا دار النفي اذ لا علاقة لي بها ولا شأن لي فيها

مثلي كمثل الورق الذابل حينما يتساقط في المروج فتحمله الريح الى الوديان فاحمليني مثلها ايتها الشمأل العاتية .

(تعريب محمد كامل حجاج) لامارتين

الوصايا الصحية

تحمل الينا التلغرافات يومياً انباء مزعجة عن فتكات الكوليرا في انحاء اوربا . وقد بات الوباء على الابواب يتهددنا . فيجب علينا اتقاءً لشره ورداً لغاراته ، ان نتدرَّع بقانون الصحة فيكون لنا حرزاً حريزاً . وقد زوّدنا حضرة الفاضل صاحب الامضاء في « تقويم البشير » بخير الوصايا ، فعلينا ان نعمل بها ، قال :

العلم يقول والعمل والاختبار يؤيدان قوله : « احفظ وصاياي لتحفظ لك صحتك فتعيش طويلاً معافى سعيداً ويكثر نسلك ويقوى وطنك وهاك هذه الوصايا :

— ١ —

الامراض المُعديَّة — ان اكثر الامراض ، بل كافة الامراض المُعدية والاوبئة ، انما سببها ميكروبات اي كائنات حيـة وضعها العلماء في عالم النبات (الا بعضها القريب من عالم الحيوان) في طائفة الطحلب . اما صغرها فتتناه كثرّتها . وهي تتكاثر بسرعة عجيبة هائلة اذا وجدت غذاءً مناسباً وشروطاً موافقة من الرطوبة وبعض الحرارة وغيرهما . ولكل مرض مُعدٍ ميكروبٌ خاص به يفرز سماً اين منه غالباً سم الافعى . ولكن اعلمْ ولا تنسَ قط ان الاسلحة التي نحارب بها الميكروبات ، وبها نمنع انتشار الاوبئة ، كما تمنع اوربا الراقية انتشار الكولرا والطاعون والجدري ، هي :

١ سلامة البنيـة بالمحافظة على القوى الطبيعية الموروثة والمكتسبة ، ذلك بالمعيشة المرتبة والمأكل الوافي والنوم الكافي ، مع تجنب الاتعاب الشاقة عقليةً كانت او جسدية ، والابتعاد عن الشهوات والمنكرات ، لانها تُضعف ما وضعته فينا الطبيعة من قوة الدفاع لمقاومة الامراض . الشرِه السكير الفاسق الفاسد السيرة والسريرة الزاني هو ذاك الرجل الذي عناه سِنكا الفيلسوف بقوله : « الانسان لا يموت بل يقتل ذاته »

٢ النظافة التي هي ركن القانون الصحي . وفضل النظافة على التنظيف كفضل الوقاية على المعالجة ، او علم حفظ الصحة (الهيجين) على الطب . نظافة مدينة او شارع او مكان او ثوب او مياه هي مقياسها الصحي

٣ التطعيم وتجـديده لبعض الامراض لا سيما الجدري لانهُ الواقي العجيب من هـذا الداء الوبيل . وقد اتضح ان اللقاح المضاد للدفتيريا والطاعون جزيل الفوائد ابّان الاوبئة كواقٍ من هذين المرضين . ونحن بانتظار اكتشاف لقاح لباقي الامراض المعدية لا سيما السل والتيفوئيدية

٤ عَزل المصاب بمرضٍ معدٍ عن السلماء ، لان أغلب الامراض ، ان لم تنتقل بواسطة البعوض او الذباب أو الماء كالوبالة (الملاريا) والهواء الاصفر ، فهي تسري الى السليم باللمس والمخالطة كعدوى الخناق (الدفتيريا) والجدري والتعفنات الجراحية والشهقة والحصبة . ويعيَّن لخدمة المصاب بالجدري ونحوه من الامراض التي لا تصيب الانسان عادة الأَمرة واحدة من أُصيب قبلاً بذلك المرض فاكتسب بذلك مناعةً او معافة

٥ التطهير اي ملاشاة الجرثومة في مصدرها وينبوعها اما بالنار لاحراق

ما هو قليل الثمن أو بالغليان أو بالمستحضرات التي تقتل الميكروبات كمحلول السليماني او حامض الفينيك او الفرمول او سولفات النحاس مثلاً لغسل الناقهين من بعض الامراض المُعدية كالجدري او لبصاق المصدورين، وكحليب الكلس لجدران الغرف وخاصة لبرازات المصابين بالتيفوئيدية او الكوليرا أو الدوسنطاريا. او بالمطاهر والمخانق البخارية او بالهواء السخن الذي يُطهر الثياب والفرش والاثاث بقوة الحرارة

فمن فعل ذلك بات آمناً ونظر الى الاوبئة نظره الى ذئب ضمن قفص، وفهم كيف ان الاوبئة التي كانت قديماً تجرف، حيث تدخل، ربع أو نصف الخليقة، اصبحت الآن اصاباتها تُعدّ على الاصابع وكيف ان التجارة والاتصالات تخلصت من المحاجر (الكورنتينات)

— ٢ —

الارض - اما الارض التي على سطحها تقضي حياتنا فيُشترط فيها الابتعاد عن التربة الكثيرة التشرب للرطوبة، لان الاماكن الرطبة هي منابت التعفن كالتربة الدلغانية التي تكثر فيها المياه الآسنة والمستنقعات. فهناك تتفشى الحميات الدورية والخبيثة والتسمم الملاري، فتئول في اماكن كثيرة الى انحطاط البنية وانقراض السكان. وقد تعلمنا آخراً ان الجرثومة المسببة كل ذلك كجرثومة الحمى الصفراوية تنتقل الى الانسان بلدغ البعوض. ومناخ اراضٍ كهذه يُصلح بملاشاة المستنقعات وتحديد التربة وفتح قنوات لصرف ما يأسن من الماء ولتجفيفه وبالاختصار بالزراعة. لاشِ البعوض برش قليل من البترول على سطح حياض الماء (جرام عن

كل متر مربع من سطح حوض ماء) وتلافهُ بإسدال شباك ضيّقة الثقوب على النوافذ وباستعمال الكلل (الناموسيات) عند النوم الى غير ذلك من الوسائل المعلومة

– ٣ –

الهواء – بلا هواء من يمكنه ان يعيش دقيقة ؟ على انه ان كان الهواء لازماً فمن اللازم ايضاً ان يكون الهواء نقياً . اهرب من الهواء الفاسد والمحبوس كما تهرب من الحية لانه هو ايضاً سام . واسعَ وراء الهواء المطلق الصافي لانه من اهم الشروط الصحية للمريض والسليم بل هو من السل الذي ترتعد منه فرائصك احسن واقٍ وانجعُ شافٍ . وقد لقّح بعضهم حيوانات بباشلّس السل ، ثم اطلق بعضها في الفلاء وحبس البعض الآخر ، فالأُولى سلمت والثانية أُصيبت بالداء . فاختر اذن الاماكن القليلة الازدحام وتجنَّبِ الغبار ، لانه يحمل كثيراً من الميكروبات ، تنزه اوقات الفراغ في البرية او على شاطيء البحر وفي غابات الصنوبر واحراج الايكالبتوس لان الاشجار تمتصّ الرطوبة وتنقّي التربة بجذورها وتصفي الهواء باوراقها ، انما لا يجوز ان تسدّ غضاضة الاشجار النوافذ . الهواء الحار مزعج للفكر والجسم ، والمناخ الحار مُضعفٌ تكثرُ فيه التعفنات والحشرات المؤذية كالبعوض والبق والذبان والبراغيث وله امراض خاصة تكوّن قسماً من الباتولوجيا هاماً . الاستدفاء على المنقل أضرّ كثيرين لانه يصدر من الاشتعال غاز سام هو أُكسيد الكربون (الحامض الفحمي) وهو يسبب سنوياً موت اناس عديدين

— ٤ —

المشرب والمأكل — الماء تحتاج اليه في كل حين اي لمشربك وطبخك ولتنظيف بيتك واصناعتك وبستانك . الماء ضروري لحمّامك وحمّامك ضروري لصحتك . والماء البارد ينشط ويدفىء شتاءً ويخفض الحرارة صيفاً والماء السخن ينظّف ويسكّن . ولكي يكون الماء كافياً ، يجب ان يكون وافراً ، وعلى كل حال يجب ان يكون نقياً سليماً من كل ميكروب منذ خروجه من ينبوعه . ولا بد لهذا الينبوع من حرَم ووسائل كافية تقيه من ارتشاح اقذار ما يجاوره من التربة حين سقوط الامطار . ولتوزع المياه منقولة ضمن انابيب حديدية محكمة لا تتحلب اليها الاوساخ لا سيما برازات الانسان . واذا لم يكن الماء نقياً وعند الاضطرار ولاقل ريب رشحه بمرشحة شمبرلان او بالاحرى إغلِه فتسلم من الكوليرا والدوسنطاريا والتيفوئيدية وبعض الديدان التي هي مائية الاصل . على انا نبشر القراء بان العلم اكتشف اكتشافاً عظيماً خطيراً وهو ان بواسطة مرور اشعة مصباح كهربائي زيبقي على الماء يمكنك ان تطهره بالحال وتقتل ميكروباته بدون ان تُفقد ذلك الماء شيئاً من لذته وفوائده لان اشعة الطيف التي هي ما وراء البنفسجي المعروفة جيداً لدى من درس الطبيعيات ، هي ذات قوة عجيبة لقتل الميكروبات . وهذا الاكتشاف هو الآن موضوع مباحث عديدة ذات نتائج سامية

ليتك لا تأخذ مشروباً الاّ الماء لان المسكرات سموم . والسمّ لا يخرج من خزانة الصيدلي الاّ بامر الطبيب . كيف لا وهي تضر الجسم

ضررها العقل والدين والآداب والاقتصاد وتضعف اكثر الاعضاء ، وتؤثر في البنين وتسمّ الدم : أسكر بعضهم ديكاً فتحول لون عرفه من احمر جميل الى ازرق اسود اي لون تسمّم الدم . وبالاختصار ان شرب المسكر هو الطريق الرحب المؤدي الى الخمارة والقهوة وملعب القمار والمستشفى او المأوى والمارستان فالمقبرة

وليكن طعامُك صالحاً من حيث الكمية والتحضير تغلب فيه المواد النباتية على اللحوم (اصطلحوا ان يضعوا الحليب والالبان والبيض بمصاف المواد النباتية وهي من أنسب المأكل من كل الوجوه) . اللحوم سريعة الفساد خصوصاً في بلادنا الحارة وتتوفر فيها الجراثيم لا سيما لحم الخنزير . الحبوب بالاجمال تغذّي جيداً وهي سهلة الهضم اذا هُرِسَت ناعماً ونضج طبخها . واما الخضر والثمار فتشتمل على مواد مغـذية غير وفيرة ، ومعظم تركيبها من الماء ، الا انها لذيذة وموافقة جداً . احذر المهيجات كالبهارات والمسكرات والخردل فهي تجعل المعدة بليدة فريضة . ولا يدفعنك الى الطعام شرهٌ او شرب عرق بل شهوة طبيعية نسميها القابلية أوجدتها العناية لتعويض ما يُفقدنا اياه العمل . وما تأكله برغبة تهضمه بسهولة . المعدة مثل كل اعضائنا تتعب مما تكرهه والسخرة تزعجها . وليكن الطعام ملائماً للعمل والظروف كحليب الام وحده للرضيع . والاطعمة اللينة لمن فقد اضراسه وصعب مضغه . امضغ جيداً ، لان الباري تعالى لم يضع الاضراس الا لوظيفةٍ لها هامـة . قليلون ينالهم الاذى لقلة طعامهم واما كثيرون فيتخمون ويمرضون لشراهتهم . وما ملأ الانسان وعاء شراً من بطنه . لا

تُدخل الطعام على الطعام . خفف عشاءك تحمدْ منامك

— ٥ —

المسكن — لسكناك انتقِ محلاً رفيعاً ممتزلاً بعيـداً عن كل مكان وسخ خطر وان امكن في وسط حديقة واجعل جدرانه من حجر او قرميد وارفع حضيضه ، وافصله عن رطوبة التربة القائم عليهـا بطبقة عديمة الامتصاص كالحجرية . والرطوبة منبت العفونة والعفونة مرض وبالاحرى المرض عفن . وسّع غرفه وقلل سكانهـا ، ولتكن الشبابيك عديدة عالية وسيعة اشبه بابواب منها بشبابيك ، وافتحها وسيعاً وكثيراً وطويلاً ومتقابلة ما استطعت سبيلاً . . . كيف تُنشئ نوافذ فتسدها بالبردايات ؟ الا تعلم المثل الشهير : البيت الذي تدخله الشمس لا يدخله الطبيب . الميكروبات مثل كل محبي الأذى ترغب في الظلام . فالشمس هي المطهّر الاقوى والاعمّ والارخص . اقول للعامة لافهمها فوائد الشمس . « افتحوا نوافذكم لدخول الشمس كما لو كان لدخول ليرات انكليزية » لا تستكثر من الاثاث لغير لزوم فانه قد يصبح مأوى للغبار وعشاً للميكروبات . والقانون الصحي قد قضى عليها كما قضى عليها قانون الاقتصاد اذ قال « من يشتري الفضولي لا يلبث ان يبيع الضروري » . كرّس ثمنهـا للاشياء المفيدة الصحية . النور الاصطناعي يزاحمك على الهواء النقي الحيي فنمْ اذاً في الظلام . تعوّد ابقاء نافذة مفتوحة في غرفة المنـام . ونم ضمن كلّة (ناموسية) تقيك البعوض . ضَع المستراح خارجاً أو منفصلاً عن البيت وليكن فيه النور والهواء وافرين وليكن حضيضه وجدرانه صقيلة تلافياً للاوساخ . بادر

وضعْ لبيتك فاصلاً مائياً Siphon اي انبوباً معرّجاً كحرف ل العربي أو ں الفرنساوية النائمين . لانه عجيب الفائدة اذ يمنع الغازات الفسادية وكل رائحة وكم هي غزيرة في بلادنا الحارة ! وبواسطته ترى الآن المستراحات لا تفترق من هـذا القبيل عن قاعات الاستقبال او لتنزل البرازات الى صناديق حديدية محكمة او فلترسل مع كل الاقذار الى الاسراب لتتطهر اخيراً بتسميدها البساتين والاراضي المزروعة

— ٦ —

الثياب — لا تلبس للزخرف بل للاحتشام واتقاء البرد والعناصر الخارجية . البرد أشد وطأة والتبرُّد اكبر اذى لشديدي التحفظ وكثيري التلفف من غيرهم ، فهم اقل تصلباً تجاه تقلبات الطقس

احذر الاربطة والملابس الضيقة التي تعوق دورة الدم ونمو الاعضاء. احذري ايتها السيدة المشدّ (الكورسه) فهو قفص يحبس الاعضاء الرئيسية ، وهو عثرة في سبيل قيامها بوظائفها ولانه يزيح بعضها عن مكانه ويعوق نمو جميعها . لا تكنسي بثيابك الطويلة الاوحال والغبار حيث جراثيم الامراض وبصاق المسلولين ، بل اسهري على ثوبك ان يكون نظيفاً اكثر منه ان يكون على آخر مودة . الحذاء الضيق يضايق الرجل ويشوهها ويسبب المسامير بل انزعاجاً في الجسم

— ٧ —

الاخلاق والعادات — تجنب البطالة كتجنبك الاشغال الشاقة جسدية كانت او عقلية ، فالجسدية تفقدك النشاط وتضاد نمو الاعضاء بينما

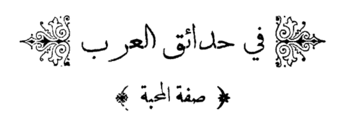
هي ام الرذائل والهموم ، والكسل هدّام القوى العقلية والجسدية . والعقلية تنهك قواك وتجعلك مُمداً للامراض وتضعف الاعصاب . العمر ينفد والشغل لا يفرغ . اشتغل باعتدال لان الشغل يسلي ويقوي الاعضاء وينشط ويضاد السمن والنقرس والحصى التي تجلبها الحياة الساكنة الحياة الجلسوية . استرح في كل اسبوع يوماً تاماً طبقاً للوصية ونمْ واشتغل واسترح ثمان ساعات من كل يوم . لا تحول ليالك الى نهار لتقضي سهراتك بما يحرمه الدين او القانون الصحي كلعب القمار . أرح بالك وأشغل جسمك تلك نصيحة اراني باحتياج الى اعطائها كلَّ يوم مراراً . اسعَ وراء اكتساب الخصال الحميدة والمبادىء الشريفة . تعوَّد العادات الحسنة وعودها خاصة لبنيك ، فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر . عوّد اولادك النشاط وقلة التنعم ... صلّبوهم تدريجاً . ربوهم يا شرقيون على الرجولية الحقيقية : الفسق والغضب وكل ما يخلُّ بالآداب ينخر العافية ويذهب بالهناء ويأتي بالشيخوخة قبل الاوان ، كما قال ابن سيراخ منذ القدم . الزنى يدهورك في لجة الامراض المخيفة ويلبسك ثوب العار كمرض الزهري الذي ينتقل الى النسل ، فالآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون . ولذلك لا عجب اذا اعتبرنا الزواج فرضاً مقدساً على المرء تجاه نفسه وطنه وتجاه الانسانية . فالمرأة حياة الرضيع وملجأ الصغير ومسرّة الشاب وشريكة الكهل وعضد الشيخ . ونكرر التحذير من السكر والاشربة الكحولية . خَفْ من أخذ اول كأس عرق او كونياك كما يجب ان تخاف من إمضاء اول كمبيالة او اول كفالة . التدخين يضر غالباً ولا يفيد

ضع نصب عينيك النظافة والاعتدال في كل الاحوال : نظافة التربة نظافة الماء نظافة المسكن والملبس نظافة الشارع نظافة الجسم نظافة ... اعتدال في العمل اعتدال في المأكل والمشرب اعتدال في ... « نظافة واعتدال » هاك تكراراً مختصر قانون الصحة

ونحن نعتقد ان المحافظة على الصحة فرض واجب وان تعريض الذات او القريب للامراض المُعدية جريمة او جناية ...

علمتَ فاعملْ . لان العلم بلا عمل ، كجسم بلا روح ، او كشجرة بلا ثمر

الدكتور امين الجميّل



في حدائق العرب

صفة المحبة

قال ابو بكر الورّاق : سأل المأمونُ عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو . فقال : يا امير المؤمنين اذا تقادحت جواهرُ النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منها لمحةُ نورٍ تستضيء بها بواطنُ الاعضاء ، وتتحرّك لاشراقها طبائع الحياة ، فيصوَّر من ذلك خلقٌ حاضرٌ للنفس متصل بخواطرها يُسمّى الحب

وسئل حمّاد الراوية عن الحب ما هو . فقال : الحبُّ شجرة اصلها الفكر ، وعروقها الذكر ، واغصانها السهر ، واوراقها الاسقام ، وثمرتها المنية

وقال معاذ بن سهل : الحبُّ أصعبُ ما رُكب ، واسكرُ ما شُرب ،

وافظعُ ما أُتقي ، وأحلى ما اشتهي ، واوجع ما بطن ، واشهى ما علن .
وهو كما قال الشاعر :

وللحبّ آفاتٌ اذا هي صرحت تبدت علاماتٌ لها غررٌ صفرُ
فباطِنُهُ سقمٌ وظاهِرُهُ جوًى واوله ذكرٌ واخرُهُ فكرُ

وقالوا : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك سرفاً .

من كل حديقة زهرة

* لم ينقرض أكَلَةُ البشر عن وجه الارض : ذهب مبشران الى جزائر هيبريد الجديدة ، وقالا للسكان : « أحبوا بعضكم بعضاً » فاجابوهما « نحن نحب بعضنا بعضاً ونحب خصوصاً البيض » واكلوهما . وفي الكنغو قبض الوطنيون المتوحشون على ضابطين بلجيكيين واكلوهما . واكل اهالي النيجر طبيباً انكليزياً ذهب ليدرس امراض تلك البلاد فاحلّهُ القوم في معدهم . وفي جزائر الاميروته ذهب خمسة من الالمان فريسة الاهالي

* دخل التلغراف اللاسلكي في طور الاختراعات العمليـة التي يستخدمها الانسان في حاجاته . واصبحت المراكب في عرض البحار تخاطب البرّ وتتلقى اخباره على مسافة مئات من الكيلومترات . ومن أعلى برج ايفل يتخاطب الفرنسويون مع اخوانهم في مراكش وقد انتفعوا بذلك كثيراً في الحملة المراكشية الاخيرة . وفي العـام الماضي كان اثنان من الاميركان مسافرين كلٌّ في مركب بعيـد عن الثاني فتمكنا بواسطة التلغراف اللاسلكي او تلغراف مركوني من لعب الشطرنج

* اخذ الاميركان يصطنعون السيكار من ورق الكتابة . فينقعون الورقة مدة في عصير التبغ ، ثم يضعونها في مكابس خصوصية لقطعها وتضليعها حتى تخدع العين بمرآها وتلف على شكل السيكار المعروف ، ويقول ذوو الخبرة في التدخين ان هذا التبغ الاصطناعي لذيذ الطعم ، زكي الرائحة

* في اوربا اليوم ١٦٠ مدينة يزيد عدد سكان الواحدة على مئة الف . منها ٢٥ مدينة تضم الواحدة اكثر من نصف مليون نسمة . و ٧ يزيد سكان الواحدة منها على المليون وهي لندرا وباريس وبرلين وفيينا وبطرسبورج وموسكو والاستانة

* يلزم ١٢٠ كيلو من البارود لحشو المدفع الجديد الذي من قياس ٣٠٥ مليمترات

* سوق الزواج في المكسيك كاسدة اكثر منها في كل بلاد . فان عدد المتزوجين كل سنة يبلغ ٨٩ فقط عن كل عشرة آلاف ساكن . ونسبة المتزوجين في فرنسا الى هذا العدد ١٦٠

* باريس اكثر المدن قهوات وخمارات وبارات ومعدل عددها ١١ لكل الف نسمة ويليها سان فرنسيسكو وفيها ٩ قهوات او خمارات لكل الف نسمة وبرلين ٨ ونيويرك ٤ ولندرا ٢ . وفي بطرسبورج قهوة لكل الفي نسمة . فهل للحكومة ان تحصي قهوات مصر لنرى نسبتها الى الاهالي ؟

* في نيويرك ١٩٫٢٤٣ فابريقة او معملاً تشتغل بـ ٣٥٠ صناعة مختلفة وقد بلغ دخلها في السنة الماضية ١١ مليار فرنك

* دلّ الاحصاء الاخير في روسيا على ان عدد سكانها ١٦٠ مليوناً

وقد زاد الروس ٢٥ مليوناً في الثلاث عشرة سنة المنقضية

* يصح ان يُطلق على سنة ١٩١٠ اسم سنة المذنبات . فلا يزال القراء يذكرون مذنب هالي وما ألقاه من الرعب في النفوس . . وسيظهر لنا قبل انقضاء السنة ٦ مذنبات ولكنها كلها اصغر من الذي تقدم

بين هنا وهناك

اجتمع صاحب « الزهور » ببعض ادباء بيروت ، فدار الحديث على الادب هنا وهناك ، ولما كان « ملاحظ » جريدة « البرق » البيروتية قد وفى هـذا الاجتماع حقه من الوصف ، فقد رأينا نقل ما كتب :

وكانت شمس الاربعاء على جناح الشفق يوم اجتمع في مكتب البرق « عصابةٌ » من الادباء :

انطون الجميّل وامين تقي الدين وامين الغريب والياس فيّاض ويوسف ثابت وشكري السودا وبشاره الخوري وهلم جرا — هؤلاء كانوا من اركان العصابة

وصاح بهم صائح : هلموا فقد ضاق صدرُ الغرفة : وبعد دقائق كنا في روضة جمعت الطيبات الصوالح وسمحت بثلاثة اصحاب هم نصر الله الحداد وشكري ارقش وداود مجاعص فقلنا ، وكأنا كنا على ميعاد :

— هات يا فياض هجاءك في سركيس

— سمعاً وطاعة

الذي علق في ذهني انشره احتراماً لذكر المقدوح فيه وهو من اقترح هذا الهجاء لنفسه ودفع جائزة عليه

دونكم هذه الابيات القلائل :

عجباً تحاول ان تنالَ هجاء　　　أتراك قبل اليوم نلتَ ثناء

أين «المشيرُ» واين ايامٌ مضت　　　اصليت فيها الخافقين عداء

أنسيت تلك الحرب حين أثرتها　　　وحملتَ تلك الحملة الشعواء

اذ تستعدُّ من الجياد يراعةً　　　ومن السلاح وقاحةً وبذاء

واذِ الورى يتجنبونك مثلما　　　يتجنبون العنزةَ الجرباء

الى ان يقول « لا فضَّ فوه »

يا ويح ذا الادب الذي أُعطيته　　　لو كنت قد أعطيت معه حياء

تاللهِ ما والاك الاَّ خائفٌ　　　من ذا اللسان الطعنَ والايذاء

والودُّ إن تكنِ المخافةُ أسهُ　　　فالعنكبوتُ أشدُّ منهُ ولاء

لا تغترزْ بعريض شهرتك التي　　　ملأت بك الاقطارَ والارجاء

فالشرُّ اسرعُ ما يكون تفشياً　　　والخير يمشي مشيةً عرجاء

هـذا هجاؤك يا سليم وإنهُ　　　ليسوُّني اني اقولُ هجاء

ما كنت انحو نحوه لو لم تكن　　　عينتَ جائزةً له غرّاء

وكما علمتَ فاننا في أزمةٍ　　　لم تبقِ بيضاء ولا صفراء

فعساك تقترحُ المديح لكي ترى　　　مني مديحاً كالصباح ضياء

لكنني لا استجيدُ لك الثنا　　　الا اذا ضاعفتَ لي الاعطاء

فهجاء مثلك ليس فيه تكلفٌ　　　وارى مديحك كلفةً وعناء

وتناول بعد ذلك بلبل رياض الطرب عوده وانشد « يا ليل الصب متى غدهُ » وانشد « وقفةً ايها القمر »

لا ارى تقريظاً لعود السودا ألطف من كلمة قالها فيه الريحاني . منها ما تقرأ :

« ما بين أناملك والاوتار ، سحر يسحر حتى السحار
ما بين انامك والاوتار ، عرائس الحان وابكار
تلبسهنَ من يديك الوردَ سربالاً ، وتكللهنَّ بالجلنار
ويرنحهنَ النزر من خمر انفاسك ، ويذيبهنَّ الاكثار
ما بين انامك والاوتار ، اغصان انغام واوتار
ولدى اهتزاز الغصن تنوّر الليالي وتزهو الاسحار
وتجتمع حول العود ارواح المحبين من شاسع الامصار
فان سلك عودك لكسلكِ البرق يُزيل المسافة بين الاقطار
وان لفي وقتك الموسيقي العجيب زمان نعيمٍ مضى وليالي وصلٍ طوالٍ قصار
فقد جئتنا والله في فنك بآيات ومعجزاتٍ كبار
وقد خيّلَ لي وانت تداعب تلك الاسلاك وتطايبها بان مرسح الاوبرا على صدرك يُدار
فتراءت لي الغواني والراقصات كأنهنَّ لهيبٌ من نار . »

وكان الجميّل صلةً مجسمة بين ادباء القطرين المصري والسوري بما كان يسمعنا من اشعارهم ويطرفنا من مأثورهم حتى سكرنا بالخمرتين

ملاحظ

✽ من والى القراء ✽

كان للعدد الكبير الذي أصدرناه مخصصاً بموضوع « مصر وسوريا » احسن وقع لدى عموم المشتركين وقد جاءتنا كتب كثيرة من انحاء مختلفة وكلها تطري الفكرة التي حملتنا على نهج هذه الخطة والعمل على التقريب بين القطرين الشقيقين . ونحن نرى بمزيد السرور انتشار هذه الروح بين قراء « الزهور » ونشكرهم على مؤازرتهم لتحقيق هذه الامنية كما اننا نشكر الصحف العربية في مصر وسوريا واميركا على ما خطته بهذه المناسبة من كلمات الثناء. فانما هذه الافكار تحيا وتعيش بتداولها بين الادباء والعقلاء

* تأخر هذا العدد عن موعد صدوره لاسباب خصوصية دعت صاحب المجلة الى خارج مصر ، فرأينا ان نضمه الى العدد الذي بعده ونرسلهما الى المشتركين في آن واحد

* احتفل الاخوان المسلمون في هذا الشهر بعيد الفطر السعيد أعاده الله بالهناء واليمن والبركات

* بامضاء « الزهرة الذابلة » تلقينا كتاباً جميلاً املاه قلب حسّاس وخطته يد لطيفة اثنت فيه على « الزهور » ومنشئها وكتّابها ، وتمنّت لها حياةً طويلة ليظلّ « عشّاق الادب يزينون بها مكاتبهم كما تزيّن العروس رأسها بزهر الليمون » . . . سلمتِ ايتها الزهرة المستترة من الذبول ، وجادك الندى بقطراته المنعشة . ولكن اين الذبول من الزهرة التي تفوحُ بمثلِ شذاكِ العطِرِ



الجزء التاسع　　اول نوفمبر (ت ٢) ١٩١٠　　السنة الاولى

العمال والحكومات

العمَّال هم العدد الاوفر في الامم ، والعامل الاكبر على رقي الشعوب ، عليهم مدار قيام الكون ، وبهم تقدُّم بني الانسان في معارج العمران

هم معدن ثروة البلاد وغناها ، ومنهم مصدر نفوذها وسلطتها ، وينبوع مجدها وعلاها ، بل هم أعصاب البشرية ومجموع حياتها وقواها

هم الذين بعملهم الدائم وجهادهم المتتابع وسعيهم المتواصل يسيرون بسفينة بلادهم سيراً حثيثاً اميناً في بحر تنازع البقاء المتلاطم غير هيابين ولا نخورين . فلا تقعد بهمتهم العواصف العاصفة ، ولا تثبّط عزيمتهم الرياح الثائرة والامواج الهائجة ، بل يواصلون الجد بثبات وحزم . . . ولا يفاخرون بعملهم ولا يباهون بخدماتهم شأن كبار القوم

هم لا تصيبهم مزنُ الالقاب والرتب وعلامات الشرف المصطلح عليها ، هم لا يؤبد رسمهم بالتماثيل النحاسية والانصبة المرمرية ، لكنهم يصبُّونها من قلوبهم ومهجهم ليمجد بها غيرهم . هم لا يخلد اسمهم في التاريخ بل يكتبون صفحاته بدماء افئدتهم ليعظَّم فيها سواهم . هم لا يكللون

باكاليل الغار بل يغرسونها بعرق الجبين ويجنونها بكد اليمين ليزينوا بها جبهة رؤسائهم

اما هم فجلّ ما اليه يتوقون هو ما يسدون به رمقهم ويسترون عورتهم. فلا يتقاضون الانسانية جزاء تفانيهم الدائم واستهلاكهم المستمر الاّ ما يعولون به عيالهم

العَمَلَةُ هم الاحرف الصغيرة التي تُنضَّد منها قصيدة البشرية، وتتألف منها انشودة الكون. وما الكبار والحكام والمتمولون سوى احرف العنوان الكبيرة التي تستلفت الابصار وتستوقف القارىء ولا معنى ولا مدلول لها الاّ بما يليها من صغير الحروف

بل قل انّ العملة هم أشبه باولئك البحارة الذين يشتغلون في داخل الباخرة. يوقدون ويديرون ويحركون. ولا يرى احدٌ لهم عملاً حتى انهم انفسهم لا يرون نتيجة عملهم اذ هم في قعر المركب مدفونون

بيد ان سير السفينة الماخرة في عباب الماء، تحت زرقة السماء، نحو الارض البعيدة، هو معلول شغلهم، والفضل فيه راجع اليهم . . .

نحن لا ننكر ان اولئك البحارة لا يصلحون بلا القبطان، كما ان الجنود لا يقوون بلا القائد. لكنهُ قد يفوت الكثيرين فينسون او يتناسون انهُ لولا البحارة لما وُجد القبطان، ولولا العساكر لما كان القائد. كما انهُ لولا حروف الكتابة الصغيرة، لما وُجدت حروف العنوان الكبيرة. وهذه سنة الخلاق في خلقه

تنبهت الحكومات الراقية الى هذه الطبقة الاكثر عدداً الأقل حظاً،

وفهمت اي فراغ تملأ في الكون ؟ واية دعامة هي للثروة الحقيقية والتقدم الصحيح فوجهت اليها عناية خاصة ، وسنّت لها قوانين ونظامات حافظة ، ونعم ما هي فاعلة

على ان العمال لم يلفتوا الحكومات اليهم الاّ بفضل ما اظهروهُ من التضامن والتعاضد والتكاتف، فألفوا النقابات والجمعيات ، وأسسوا صناديق التوفير والتأمين ، حتى اصبحوا هيئة منظمة ذات حول وطول . اذا دعوا سُمعت دعواهم ، وان طالبوا أجيبت مطالبهم ...

ساءت حالهم ، ونكبوا بالضيق والعسر وباتوا في انحاء المعمور اجمع عرضةً للهلاك شقاء وبؤساً وليس من يمدُّ لهم يد المساعدة . الاّ الافراد القليلون . فهبوا هبة واحدة ، وعملوا على تنظيم شؤونهم المادية والاجتماعية ، فنالوا المنزلة التي يستحقونها في المجتمع الانساني . وما اشرف منزلة العامل من منزلة . . . !

ولكن القوة تولّد البطر ، والسطوة تنتج الاستبداد ، ويد الغايات تمتد الى كل مجموع . اعتصب العمال فنالوا مطالبهم الحقة احياناً ، ورأى بعض الزعماء فيهم قوةً تدكُّ العروش ، وتهزُّ التيجان على الرؤوس ، فاتخذوهم آلة لنيل مآربهم الملتوية . فرأينا الاعتصاب تلو الاعتصاب بحق وبغير حق وتلك الحركة التضامنية — الجميلة في بدايتها — تتحوّل احياناً الى ثورة فوضوية لا رادع لها ولا وازع . فتعرقل التجارة ، وتقطع المواصلة ، وتضرُّ بالزراعة ، وتوقف دولاب الصناعة ، وتقوم عقبةً كؤوداً في وجه سير العمران . وكثيراً ما صار هذا التضامن تضامناً اجبارياً أدهى وأضرّ

من التخاذل . وهذا الاعتصاب المتكرر في فرنسا وانكلترا والمانيا والولايات المتحدة قد سبّب هذه السنة من الاضرار ما لا يُقدَّر

على ان هذه الحركة لم تبدُ الا في تلك الدول التي تعدّ في طليعة الامم الراقية ، حيث تنبه الشعب وادرك ما له من الحقوق — وان نسي احياناً ما عليه من الواجبات . ولما كانت الحكومة صورة الشعب رأينا تلك الحكومات — وان هالها هياج العمال — تسعى الى تحسين حالهم وصيانة مصالحهم وصدّ اصحاب رؤوس المال عن اهتضام حقوقهم . فلئن تعدى العمال احياناً حدودهم مدفوعين بيد تعمل في الخفاء ، فان طول الحيف الذي كثيراً ما يلحق بهم يشفع لهم ويجعلهم دائماً جديرين بكل اهتمام

ولذلك رأينا مجلس نواب المانيا يقرر المباشرة حالاً بكثير من الاشغال العمومية المنوي انشاؤها في المستقبل ، وذلك لتشغيل الذين لا يجدون شغلاً

وسمعنا مناقشات مجلس العموم في انكلترا تتناول امر العملة ومسألة إعالتهم في شيخوختهم وفاقتهم

وقرأنا منشورات الرئيس روزفلت المندّدة بالشركات والنقابات المدافعة عن حقوق العمال والفعلة المهضومة . فقامت لها اميركا وقعدت

وشاهدنا حكومة فرنسا لدى تشكيلها وزارتها الاخيرة قد اوجدت نظارة خاصة دعتها « نظارة العمل » للنظر في شؤون العمال والذود عن مرافقهم ومصالحهم والسعي في ترقية احوالهم المتوقف عليها رقي البلاد . .

لعمري اننا سائرون حسب سنة الارتقاء الى زمن — عساه ان يكون قريباً — تصبح فيه نظارات العمل ارفع شأناً واكثر خطارة من نظارات

الحربية والبحرية . . .

فهلاَّ تنظر حكوماتنا الشرقية ، وهلاَّ يرى قادةُ الافكار منا الحاجة الى ترقية حال عمالنا والسهر على مصالحهم ، والذود عن حقوقهم فلا يبقوا في ايدي اصحاب العمل آلة مسيّرة ، حتى اذا ما ادّت الخدمة المطلوبة او تعطل سيرها طُرحت خارجاً

وسنأتي في العدد القادم على بعض ما يتعلق بالاعتصابات

كيف ترتقي

اللغة العربية

نشرنا في الجزء السابق ص ٣٤٣ القسم الاول من مقالة حضرة صاحب الامضاء وفيه لمحة عن حالة الآداب العربية في ايام الجاهلية وعلى عصر الخلفاء . وهذا هو القسم الثاني وفيه بحثٌ في الوسائل الواجب اتخاذها لترقية هذه اللغة :

ان ارتقاء آداب اللغة العربية يجب ان يتمّ بسلّمٍ ذات ثماني درجات ، لا غنى للواحدة عن الاخرى فيها ولا يمكن الوصول الى قمة نجاحها بغيرها وهي : الدولة والامة والمدارس والصحافة والتأليف والمجتمعات العلمية والمكاتب . واليك الكلام على كلٍّ منها باختصار

(١) الدولة — لا خفاء ان اللغة ترتقي بارتقاء الدولة فهي التي تذود عن حوضها وتحمي ذمارها . ومن يجهل نهضة العباسيين في الشرق ، والامويين في الاندلس ، والفاطميين في القاهرة ، والايوبيين في بلاد العرب . بل من يجهل نهضة الغربيين بحكوماتهم ، وتعزيزهم للغاتهم

باستخراج دفائن الكتب من الخزائن القديمة ونقلها الى لغاتهم ، وتقريب العلماء واجراء الرزق عليهم ، وارسال النسّاخ الى كل اقليم ينسخون ما فاتهم من المؤلفات حتى ملأُوا المكاتب ورقوا آداب اللغة وعقدوا لذلك مجامع من علماء استقدموهم من أطراف مملكتهم . فهكذا ترقي الدولة آداب لغتها وترفع منار آدابها ، وتنشرها بين ظهراني الناطقين بها ، فتساعد المؤلفين وتمنحهم امتيازات لحفظ حقوق مؤلفاتهم استثماراً لها . فتكثر الرغبات في وضع المؤلفات العائدة على العربية بالنفع والمرقية لآدابها والناشرة للعلوم العصرية فيها . وطالما نرى عندنا ان زيداً يؤلف كتاباً فيغير بعض عباراته عمرو ويطبعه . أو انه ينسج على منواله مستميناً باسلوبه ويزاحمه فيه . فعلى آداب العربية السلام وعلى اللغة العفاء . بل طالما نرى المدارس والمؤلفات لا نظام يوحّد مبادئها فلا أمل في احياء اللغة بيننا على هذه الخطة

(٢) الامة — يجب ان تكون حريصة على لغتها شديدة الغيرة عليها . ومن سوء الحظ ان معظم المتعلمين عندنا والمعلمين ينظرون الى لغتهم شزراً . فكيف ينتظرون من الحكومة ان تساعدهم ؟ واذا لم يعتقد كلّ عربي انه من المعيب ان يتعلم الانسان اللغات الاعجمية وهو يجهل لغته ، فلا أمل في الاصلاح . ولربّ معترض يقول وما النفع من لغتنا العربية مع كساد بضاعتها ؟ فاقول لمثل هذا المعترض ان الناطق باللغة العربية لا يستغني ، مهما تيسرت له الذرائع خارج موطنه ، عن العودة اليه . فبأيّ لغة يخاطب قومه ويكاتبهم ويخطب فيهم ويفاوضهم ؟ واذا شاء كتابة شيء في موضوع واراد تعريبه فايّ لباس يُلبسه وباي قالب يسكبه .

أليست اللغة العربية هي التي اوحت الى شاعرها ان يقول بلسانها :

كلامي عقارٌ عُتّقت ثم رُوّقت ... وبعض كلام العارفين عصيرُ
اذا ظهرت يوماً بزاةُ خواطري ... فما لعصافيرِ الطريق صفيرُ

وهي التي وصفها الآخر بقوله :

ذكرت فصغرها العذول جهالةً ... حتى بدت للناظرين فكبرا

(٣) المدارس — المدارس قديمة في العالم من زمن فلاسفة اليونان. ومن اقدم ما قام عند العرب منها « كلية القيروان » في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب في افريقية ، اسست في القرن التاسع للميلاد ونشرت العلم في اوربا ، ثم الجامع الازهر سنة ٣٥٩ ﻫ (٩٧٠ م) والمدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٣٠ ﻫ (١٢٣٣ م) ، فضلاً عن مدارس هرون الرشيد في بغداد والمدن الشرقية ومدارس الاندلس في قرطبة وغيرها من المغرب. ومدارسنا الحاضرة قلما تعتمد في تدريسها العلوم على اللغة العربية بل تدرّسها بالافرنجية وهذه ضربة قاضية باماتة اللغة وتوقيف نموها والاجهاز عليها ، لان اللغة اشبه بشجرة ، تقطع بعض فروعها ، وتنبت عساليج جديدة وتؤبر (تطعم) ليتم خصبها . فالأولى بنا ان ننقل العلوم العصرية على اختلافها الى لغتنا العربية فتتوسع اللغة الفاظاً وتكثر الاوضاع فيها ويشتد ازرها . وان قيل ان دون ذلك عقابات تعترضنا ، فقل ان المرء من مهّد العوائق وذلل المصاعب . فهذه كتب مطبعة بولاق في اول عهدها ، وكتب المدرسة الكلية الاميركية في بيروت في بدء نشأتها ، شاهدٌ على سهولة التعريب ووضع الالفاظ للمسميات الغريبة في العلوم الطبية والرياضية

والطبيعية ، يساعدنا على ذلك الاشتقاق والنحت في العربية وهما من امتن دعائمها للمتأمل المحقق . وربما اعجزنا وضع كلمة عربية لمسمى افرنجي فيكفي ان نبقيه على اصله بعد تقريبه من الصيغ العربية كما فعل المعرّبون في عهد الدولة العباسية وما بعدها ، فأدخلوا الفاظاً كثيرة اغنت اللغة

(٤) **الصحافة** — ليست الصحافة بيننا بمتجاوزة اول القرن التاسع عشر الماضي وقد اخذت على نفسي البحث في تاريخها (بمجلة النعمة) الارثوذكسية في دمشق ونشرت الدور الاول منها من سنة ١٨٠٠ — ١٨٧٠ م وسأتابع البحث فيه والنظر في ما افادتنا الصحافة في ادوارها . وقد قدّرتُ ان ما أُنشئ من الجرائد ، ـ ميتةً وحيةً ـ باللغة العربية حتى الان زهاء ثمانمائة جريدة . ولكن الجرائد الحية لا تكاد تتجاوز المائتين بين مجلة وجريدة في جميع اطراف المعمور . فهل افادتنا وتفيدنا الصحافة ؟

قال العلاّمة مكولي الانكليزي « ان كتّاب الجرائد هم مشتركوها » فاذا نظرنا الى حالة المشتركين بصحائفنا ، لا نستطيع ان نحكم بترقي الصحافة لقلة الرغبة في الجرائد ولعدم تمييز المفيد منها عن المضر . كيف لا ولن يزال تهجُّم كتّابنا على فن الصحافة وليس لديهم رأس مال علمي ولا مادي كافٍ هو السبب الاولي في انحطاطها . وقلما اجتمع للصحافي المال والعلم معاً . فبانفراد احدهما تتحول الجرائد اما الى تجارية لتحصيل المال ، وإما الى اكتساب الشهرة للمتمول . وفي الامرين الغرور بالنفس فليس اذن من اغراضها الاولية خدمة الشعب واللغة . فضلاً عن ان كثيراً منها تصرف جلّ اهتمامها الى التحامل والتشنيع وبث روح الشحناء

فتضيع الفائدة المنتظرة منها ، وتقلُّ ثقة الشعب بها . اللهمَّ الا بعض الجرائد التي اتخذت لها خطة معتدلة وتثبتتْ في رواية اخبارها ووضعت الصدق نصب اعينها . ولكنها قليلة لا تستطيع سدَّ الثلم التي تخرقها تلك

واحسن دواء لذلك انشاء مدارس للصحافة ومؤتمرات لها تبحث في اسباب ترقيها كما هو جارٍ عند الامم الراقية . فتكون الجرائد صادقة المبادئ ومنشئوها ومراسلوها يوافقون مبادئها . فلا ينشئ مجلة او جريدة الاَّ من ترشح لهذا الفن ردحاً من الزمن وعرف أُصولهُ . وحبذا لو عرَّب بعض ادبائنا اليوم كتاباً في فنّ الصحافة من كتب الافرنج . وان كنا نخسر فيه رواية غرامية تثير نقعاً وتمنع نفعاً . فيستلفت الانظار الى آداب الصحافة

(٥) المطابع — الطباعة حديثة عندنا لا تتجاوز القرنين والعقد الاول من الثالث . أما الافرنج فقد عرفوا الطباعة العربية على اثر اختراع المطبعة عندهم ، وطبعوا كثيراً من المؤلفات التي لن تزال الى اليوم نادرةً مرتبةً مفيدة . ومعظم مطابعنا الآن انشئت بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الماضي وكثر عددها . ولكننا نرى معظمها تجارية ، تطبع الكتب دون مقابلة على اصلها ولا تدقيق باصلاحها ، فتخرج مشحونة بالاغلاط غير متقنة الطبع ولا الورق ولا الترتيب ، مع غلاء في اثمانها فلا يقبل الناس على ابتياعها فيدَّعي واضعوها كساد بضاعة العلم

فما افضل الذرائع المتخذة لترخيص اثمان المطبوعات والاقتصاد بالحروف العربية ، لتروج الطباعة والكتب ويقبل الادباء على التأليف والناس على المطالعة . ومما اذكرهُ بأسف ان المرحوم الشاعر الناثر رزق الله

حسون الحلبي الذي نشرت ترجمته في مقتطف هذه السنة ، كتب مقالات ضافية ، استنسخت احداها وهي في الاقتصاد المطبعي باختصار بعض حروف ليقل عددها فيسهل العمل على المنضّد (الصفّيف) وترخص نفقات الطبع ، فلم يلبِّ دعوته أحد . ومثله فعل المرحوم العلاّمة الشيخ ابرهيم اليازجي في وضع الحروف الاقتصادية ، قبل مغادرته سوريا وانتقاله الى مصر والحرف باقٍ في مطبعة خليل افندي سركيس الأدبية لم ينضَّد منه الاّ صورة اعلان في الجرائد على اثر وضعه ، وشروح « نجعة الرائد » التي طبعت اولاً في تلك المطبعه وأعدمت عند حريقها

ومما تؤاخذ عليه مطابعنا عدم وضع فهارس للكتب فيتشوَّش الطلب على المطالع وتنكمش نفسهُ وينقبض صدرهُ . فضلاً عن انها اذا طبعت كتاباً كان قد طُبع في اوربا وذيّل بحواشٍ وفهارس وملاحظات مفيدة ، حذفت كل هذه الزوائد ، زاعمة انها فضلات ، مع ان لها المقام الاول في التأليف . وما ذلك الاَّ لاننا نقصد السرعة في العمل للكسب لا لخدمة اللغة . واذكر انني رأيت « كشف الظنون » طبع اوربا وعليه تعاليق مفيدة ولهُ فهارس تقرّب على المطالع بعيد مطالبه . ثم رأيتهُ مطبوعاً في مصر والاستانة وليس فيه غير فهرس المواضيع . وكذلك كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » فانهُ مطبوع في اوربا بتعاليق وفهارس ومجدَّد طبعهُ في مصر منذ بضع سنوات وليس فيهِ الاَّ فهرس صغير جداً . وهكذا قل في رحلة ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما وهذا مثلاً كتاب « حياة الحيوان الكبرى للدميري » المطبوع في مصر لا يفهم منهُ المطالع شيئاً ،

حتى يقرأهُ تباعاً صفحةً صفحةً . مع انهُ لو كلّف أحدٌ بدرسه ووضع فهارس لما حواهُ من المباحث الكثيرة في أعلام الحيوانات والتراجم والاقاصيص والفكاهات والاشعار والاسجاع ، لقربت الفائدة من مطالعته

ومع ذلك فقد رأيت قليلاً من الكتب المطبوعة في مصر قد ابقيت فهارسها مثل (طبقات الاطباء) لابن أبي أصيبعة وغيره

ولا يجب ان ننسى عناية كثير من المطابع المصرية والبيروتية في الاتقان والترتيب والنظافة . ولكن نحبُّ أن يعمَّ هذا السعي المحمود بيننا ترغيباً للمطالعين وتقريباً للاستفادات . وأهم ما نستلفت اليه المطابع اصلاح الاغلاط والتدقيق

(٦) **التاليف** — نريد بالتأليف ما يشمل وضع الكتب وتلخيصها او تعريبها . ونحن في أشد حاجة ماسَّة الى وضع كتب مدرسيَّة على نظام موحَّد،وكتب تهذيبيَّة ومعجمات غنية بالاوضاع والاصطلاحات والحدود العلمية ، معرضة عن الالفاظ المائتة والبذيئة . والى مؤلفات في العلوم الطبيعية كالفلك والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والكيمياء والفلسفة الطبيعية والطب والجراحة والصيدلة والنبات الخ . والى مؤلفات في العلوم الادبية كالاقتصاد السياسي وعلم الاخلاق والتربية والعمران وآداب السلوك والتاريخ وفلسفته والآثار القديمة وتدبير المنزل وتاريخ الاكتشافات والاختراعات

ومن أهم ما يجب التأليف فيه « تاريخ آداب الغربية » فان للافرنج

كتباً كثيرة في هذا الفن . وليس بين ايدينا كتاب وافٍ يبحث عن لغتنا وترقيها وانحطاطها

ومن أمثل ما يعلل عن تأخرنا في التأليف ، عدم اقبالنا على غير القصص والروايات. فهذه « نجعة الرائد » وضعها مؤلفها منذ عشرات من السنين ، ولم يباشر طبعها حتى آنس بعض الاقبال عليها والمساعدة في نشرها ، فمات قبل اتمام طبعها ، وطوي الجزء الثالث منها الى أجل غير مسمى . ومثلها كتاب « تنوير الاذهان في علم الحيوان » لزميله الدكتور بشاره زلزل الذي مات قبل ان يُتم بعض كراريس منه . ولو كان طبعهُ منذ اعوام لأنجزهُ بحياته ، واستفدنا من اوضاعه العلمية وفي هذين الكتابين غنىً للغة

ومما اذكرهُ من هذا القبيل اني وضعت منذ عشر سنوات ونيف كتاباً في تاريخ آداب اللغة العربية سميته « الطرف الادبية » وانفقت وقتاً طويلاً لجمعه من تضاعيف اسفار افرنجية وعربية ، وهو الى الآن مطويٌّ امرهُ وربما بقي هكذا الى يوم النشور

(٧) المجامع العلمية — عُرفت هذه الاجتماعات باسم الاكاديميات نسبة الى اكاديموس اول من انتبه الى البحث في الاجتماعات . واول من اسس مجمعاً علمياً افلاطون في القرن الخامس قبل الميلاد . وعقد العرب سوق عكاظ ومربد البصرة لهذه الغاية . وعرفت الاكاديميات في اوربا في النصف الاول من القرن السابع عشر بعناية الكردينال ريشيليو ، وزير لويس الثالث عشر ملك فرنسا . ومن اللجان العربية « اللجنة العلمية

المصرية » أسها نابليون سنة ١٧٩٨ م ولن تزال الى عهدنا . وانشأ الامركان في بيروت مع بعض المواطنين « الجمية السورية » سنة ١٨٤٧ م فبقيت بضع سنوات وعطلت . و بعد سنة ١٨٨٠ أعيـدت باسم « المجمع العلمي الشرقي » وعطلت ايضاً . ثم انشئت « الدائرة العلمية » في مدرسة الحكمة المارونية وعطلت . وسنه ١٨٩٣ انشأ المصريون مجمعاً لغوياً علمياً للبحث في الاوضاع العربية فقرروا فيه بعض الفاظ وتعطل . والى الآن لم يقم مجتمع علمي يسمى في الاوضاع والتعريب وحاجات اللغة . ولعل ادباءنا يسعون اليوم بسد هذه الثلمة اذا اجتمعت كلمتهم وتوحدت مبادئهم وانتخبوا اعضاءه من كل ملة ومشرب وموطن والاَّ فلا مجتمع عربي يذكره التاريخ فــي آدابنا العربية

(٨) المكاتب — المكاتب قديمة في العالم كثيرة النفع للغات . وقد اعتنى العرب بتأسيس كثير منها في ايام نهضتهم ، كمكتبة قرطبـة ، ومكاتب بغداد ودمشق والقاهرة . ويذكر المؤرخون انهُ كان في صدر القرن الخامس للهجرة نحو سبعين مكتبة في الاندلس . ولقد اعدمت النكبات مكاتبنا ، وما بقي من نفائس المؤلفات حمله الافرنج الى بلادهم فاغنوا مكاتبهم بآثارنا . ولولا وجود المكتبة الخديوية بمصر وبعض مكاتب الاستانة ودمشق وفاس و بغداد وحلب و بيروت وطور سينا ، لكانت المكاتب عندنا اثراً بلا عين . على اننا في حاجة شديدة الى انشاء مكتبة عامة في احدى مدننا الكبرى تضم شتات المؤلفات الشرقية بقية الدارجين من قومنا ، فنستنسخها من مظانها ونجمع شملها ، فنحفظ كثيراً

من الكتب التي لا توجد الاّ نسخة منها في احدى المكاتب فاذا نكبت خسر العلم خسارة كبيرة . ويجب تنظيم جمعية لطبع الكتب النفيسة والتدقيق بمعارضة نسخها ومقابلتها كما فعلت شركة طبع الكتب المصرية في طبع « المخصص » لابن سيده في ١٧ مجلداً « وفتوح البلدان » للبلاذري وغيرهما

هذه السلم المثمنة الدرجات التي يمكن ان نصعد عليها الى قمة مجد اللغة وفي اعتقادنا ان المرتقي عليها لا يجب ان يترك درجة الاَّ ويمر بها ، لان الطفرة محال . والله يتولى من امورنا السداد ، ويفتح لنا ابواب النجاح خدمة للغة التي تفتخر باننا ننطق بضادها ، بمنه وكرمه

لبنان عيسى اسكندر المعلوف

الحرية

زرت صاحباً لي منذ ايام ، فالفيت لديه بلبلا سجينا في قفص ، يغرد نشيداً محزناً كأنه من قلب مزقه ألم الفراق ، ويضرب اسلاك سجنه بجناحيه آملاً ان يرى له مخرجاً من ذلك المضيق . ولم يزل يغرد شاكياً ويصيح باكياً ، ويتنقل في قفصه بسأم ، ويضرب الاسلاك بالم ، حتى اخذ منه التعب مأخذه فانساه طريف التعب تليد الاسر .

وقد زرت صاحبي هذا اليوم . فوجدت القفص خالياً من الفريد . فسألته عنه ، فانبأني انه قد انتحر

تذكرت هذه الحادثة حينما امسكت بيدي القلم للكتابة في الحرية . فما تمالكت عن ذكرها عبرة للذين يصبرون على الضيم ، ويرضون بالاستعباد ، وقد خلقهم الله احراراً

ذلك البلبل تعوّد ان ينتقل من غصن الى غصن ، ويطير من فنن الى فنن يغرّد اينما شاء ، وحيثما اراد . فلما انتقل من هذا الجو الفسيح الذي لا يستنشق فيه سوى نسيم الحرية البليل ، وهوائها العليل ، الى ذلك القفص الذي يضيق به ، بذل جهده في ان يتخلص منه . فلم يمكنه . وعز عليه ان يعيش سجيناً فانتحر . ويا ما ابلغ قول مصطفى كامل « لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة »

ان هذا درس مفيد للانسان . اذ هو احرى بان يتمثل بقول عنترة العبسي

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ان الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز احسن منزل

عند ذلك تذكرت قول احد الادباء « لو عرف الانسان قيمة حريته المسلوبة منه ، وادرك حقيقة ما يحيط بجسمه وعقله من السلاسل والقيود لانتحر كما ينتحر البلبل اذا حبسه الصياد في القفص وكان خيراً له من حياة لا يرى فيها شعاعاً من اشعة الحرية ولا تهب عليه نسمة من نسماتها » .

فالحرية هي معنى الحياة . ودليل الرقي . وعنوان المجد . ودعامة السعادة . ورائد الآمال . وروح الاستقلال .

الحرّية هي سرُّ الوجود ، سرُّ القوة سر الثبات في العمل ، سر نجاح الامم ، سر تقدم الشعوب ، سر نظام الحكومات

الحرّية كما قال حافظ ابرهيم « هي معنى الوجود ، ففي فقدها سجن النفوس ، وعقال العقول وقيد الافكار »

الحرية كما قال المنفلوطي « هي شمس يجب ان تشرق في كل نفس ، فمن عاش محروماً منها عاش في ظلمة حالكة يتصل اولها بظلمة الرحم وآخرها بظلمه القبر . هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بحياة التماثيل المتحركة في ايدي الاطفال بحركة صناعية »

الحرية كما قال مصطفى كامل «هي بنت الحقيقة، وما انتشرت الحقيقة في امة الاّ وارتفعت كلمتها وعلا شأنها . هي نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم وانتشر العدل »

هذه هي الحرية . لا مثلما يتوهمها البعض من انها لا تكون الاّ مع الغنى والجاه . ولو انقشعت سحابة الجهل عن عيون هؤلاء الاغبياء، ورُفع حجاب الوهم عن ابصارهم وبصائرهم لتمثلوا بقول الشاعر :

انا ان عشت لست اعدم قوتاً　　واذا مت لست اعدم قبرا

همتي همة الملوك ونفسي　　نفس حرٍ ترى المذلة كفرا

وعدو الحرية الوحيد هو الجبن ، لانهُ يفقد الانسان قيمته في نظر الناس ، ويمحو ثقته في نفسه ، ويجعله يحتمل اثقال الاسر بلا تأفف او نزوع الى التخلص من قيوده

بلى هو الذي يسدل على الانظار ستاراً فلا ترى من خلاله تمثال الحرية ويضرب على الاسماع ، فلا تصغي الى نداء الداعين اليها

الجبن كما قال فيلسوف الشرق الشيخ محمد عبده « هو الذي اوهى

دعائم الممالك فهدم بناءها ، وقطع روابط الامم فحلّ نظامها. هو الذي يغلق ابواب الخير في وجوه الطالبين . ويطمس معالم الهداية عن انظار السائرين يسهل على النفوس احتمال المذلة ويخفف عليها المسكنـة ويهون حمل نير العبودية »

فلا بدَّ لطالب الحرية من خلع رداء الجبن كما قال ابن قلاقس :

ظهر ذات الحجول ان طُلبَ المجـ　　ـدُ والاَّ فبطن ذات الحجال
عزَّ سفحٌ به الاسودُ ودَلَّت　　قنةٌ ما بها سوى الاوعال

فيجب ان يكون كل منا ذلك الاسد الرئبال الذي يزود عن حوضه ، لا ذلك الوعل الذي يقع فريسة في يد اول صياد

ولا نصبح امام الامم آسادا . الاَّ اذا كنا احرارا

اتبره (السودان)　　　　　　　　　　عز الدين صالح

مصطلحات علم الحيوان

عُنِيَ كثير من الكتَّاب والادباء في هذا العصر بتعريب كُتُب الافرنج ، لِمَا وصل اليه هؤلاء من العلوم والفنون والاختراعات والاكتشافات ، حتى دانت لهم الطبيعة وعناصرها على اختلاف انواعها ، بينما بقينا نحن متأخرين عنهم بمراحل لا تُقاس ، لاهين بامور ليست من العلم بشيء . فوجب علينا الآن ان ندركهم ونستدرك ما فات منَّا ، سائرين سيراً حثيثاً بل طائرين طيراناً ، وان لا نبق ناكصين على اعقابنا في الميدان الذي جرى فيه اجدادنا في سابق العهد لئلاَّ يسبقنا الاقوام في كل يوم

ونحن نتأخر عنهم كلَّ يوم . ومن ثمَّ تحتم علينا ان نأخذ عنهم العلم الى حيثما أوصلوهُ كما اخذوهُ عنا الى حيثما كنا قد اوصلناهُ

ومن جملة العلوم التي نأخذها اليوم عنهم علم الحيوان . فقد اوصلوهُ اليوم الى درجة لا غنى لنا عنها . لكن لما أخذ كتَّابنا بتعريب كُتُبهم ، تصرَّفوا بها كأَنَّ اجدادنا لم يعنوا بهذا العلم ابداً ، ولهذا نقلوا عنهم الفاظاً اصطلاحية بالفاظها الفرنجية كأَنَّ من سبقنا لم يضع لها ما يراد منها في العربية . ومن ثمَّ وجب العمل على اعادتها بدون ان تقبل ابداً ادخال الغريب الاعجمي في لغتنا ، كما انهُ يجب علينا ان نأخذ عن الاقدمين الالفاظ الاصطلاحية التي وضعوها في هذا المعنى ، وأن لا نصطلح شيئاً جديداً هو دونهُ في التأدية والمراد . ولهذا أحببنا ان نورد شيئاً في هذا الباب ليكون بمنزلة المثال يُقاس عليه . من ذلك :

ان المحدثين سموا الطيور التي تتردَّد الى المياه بالطيور المائية وهي من الافرنجية oiseaux aquatiques وسماها الاقدمون من الناطقين بالضاد : « بنات الماء » والمفرد ابن الماء ، قال في المرصع : «ابن الماء . . . يطلق على كل ما يألف الماءَ من اجناس الطير »

وسمُّوا الطيور الطويلة الساق التي تخوض في الماء الضحضاح «الطيور الشاطئيَّة او الخوائض او الساحليَّة او الطويلة الساق» وهي بالفرنسوية les échassiers وسماها الاقدمون الشَّاهَمرُك او الشاهمَرَج والجمع شاهمَرْكات او شاهمَرْجات وقد وردت مراراً في كتبهم من ذلك في المخصَّص لابن سيدة قال : وطير الماء اكثر من مائتي لون زعموا . والعرب لا تعرف

اكثرها . قال صاحب العين : واسماؤها عندنا بالنبطيـة لانها في البطائح في بلاد النَبَط . والشاهمرجات ايضاً ضروب والوان . اه . والكلمة فارسية مركبة من « شاه » اي ملك او كبير او طويل و « مُرْغ » اي طائر ومعناهُ الطائر الطويل أو الملكيّ اي الطويل الساق . وقد وردت مراراً لا تحصى في كتاب الحيوان للجاحظ

وسموا الطيور التي تشبه البط والوزّ والتمّ « الكفيَّة اليـد » معرّبين بذلك كلمة les palmipèdes والعرب سموها « السوابح »

وسموا الطيور التي تقتـات الحبوب اي les granivores « أ كلة الحبوب » وسماها العرب « بهائم الطير » قال الجاحظ : « والبهيمـة (من الطير) ما أكلت الحبّ خالصاً » (كتاب الحيوان ١:١٥)

وسموا الطيور التي تقتات الحب واللحم معاً « آكلات الكلّ » ويقابلها بالفرنسية omnivores وسمتها العرب « المُشتَرِك » قال الجاحظ (١:١٥) المشترك عندهم كالعصفور فانهُ ليس بذي مخلب معقَّف ولا مِنسَرٍ وهو يلقط الحب وهو مع هذا يصيد النحل اذا طار ويصيد الجراد ويأكل اللحم ولا يزقّ فراخهُ كما تزق الحمام بل يلقمها كما تلقم السباع من الطير فراخها ، وأشباه العصافير من المشترك كثير » اه

وسموا الطيور التي تقتات اللحم « أ كلة اللحم » اي carnivores وسماها العرب « سباع الطير » قال الجاحظ (١:١٥) « والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصاً . » اه

وسموا الطيور التي يصطاد بها « طير الصيد » وهي من الافرنجيـة

les oiseaux de proie وسماها العرب « العتاق والأحرار والجوارح » (عن الجاحظ ١ : ١٤)

وسموا ما يطير من الحشرات « حشرات طائرة » ويريدون بذلك اللفظ الافرنجي insectes volants وسماها العرب « الهَمَج » قال الجاحظ (١٤:١) الهمج ليس من الطير ولكنـه مما يطير والهمج فيما يطير كالحشرات فيما يمشي » اهـ

وسموا الحيوانات التي تقتات الروث والرجيع والاوساخ « أكلة الرجيع » وهم يعربون لفظة coprophages وسماها العرب « الجلاّلات » وقد ذكرها الجاحظ في عدة مواطن من كتابه

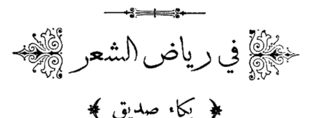
هذا كله من قبيل الاصطلاحات العامة ونحن لم نذكر الاّ برضاً من عدّ . واما من جهة الالفاظ الخاصة باسماء الحيوان والطير فان المحدثين قد ذهبوا فيها مذاهب . فمنها ما اخطأوا في تعريبها كقولهم في cigogne بَجَع والاصح هو اللقلَق . والبجع pélican ونحن اول ما نبـه العلماء على هذا الوهم الفظيع في مجلة الصفاء وكقولهم في vautour عُقَاب وفي aigle نسر والاصح ان يعكس الوضع ، اي ان يقال في vautour نسر وفي aigle عقاب . وكذلك كنا نحن اول من نبه على هذا الغلط في مجلة بيروتية. ومثل هذا الوهم كثير قد وقع لبعضهم وقد نبهنا عليه في المجلات ومنهُ ما هو باقٍ في كتبهم يحتاج الى تنبيه

ومن اسماء الطير والحيوان ما وضع لهُ المحدثون الفاظاً جديدة لا عهد للعرب بها، مع ان العرب عرفوا تلك الطيور او تلك الحيوانات باسماء أخرى

شائعة في كتبهم . كتسميتهم للمكّاء وهو بالفرنسية engoulevent باسم « ماصّ المعْز » مع ان العرب عرفوهُ باسماءٍ متعددة منها المكّاء والاخرج وخاطف الرياح . — ومن هذا القبيل تسمية المحدثين للحيوان المعروف عند الافرنج باسم lynx « لنكس » كأَن العرب لم يعرفوا هذا الحيوان . والحال انهم عرفوهُ باسم « وَشَق » ولنا كلام طويل في هذا البحث اي بخصوص كون هذه الكلمة تعني اللفظة الافرنجية lynx

هذا ونحن نقف عند هذا الحدّ لان الموضوع واسع الاكناف رَحْب الساحة ، وقد اكتفينا بالاشارة تنبيهاً للغافل وتذكيراً للعاقل اذ قد قيل : « وذكِّر فان الذكرى تنفع » كما قد قيل : « واسمع غير مُسمَع »

بغداد ساانستا



في رياض الشعر

بكاء صديق

فقدت مصر في هذا الصيف قاضياً من خير قضاتها بوفاة المرحوم اسماعيل بك ماهر القاضي في المحكمة المختلطة بالاسكندرية . فبكاهُ سعادة اسماعيل صبري باشا بابيات رقيقة — وكان رفيقه في المدرسة وعشير صباهُ — قال :

أناعيَ ماهرٍ لم تدرِ ماذا … أثرتَ من الشجون الكامنات

نعيتَ اليَّ اياماً تقضت … باسماعيل غراً صافياتِ

ألا مَن للضعيف اذا تقاضى … ولم يرَ شخصه بين القضاةِ

ومن للعدل ان رفعت بناةٌ … دعائمهُ ولم يكُ في البناةِ

أماهرُ ان وعد الله حقٌّ ... وما جزعي عليك من التقاةِ
فما لي والاناة ملاك نفسي ... هلعتُ ولم تجمّلني اناتي
ومالي ان أُمرتُ ببعض صبرٍ ... رأيت الصبر احدى المعجزاتِ
أماهرُ كنتَ فيما مرَّ انسي ... فمن لي في الليالي الباقياتِ
وكنتَ اذا شكوتُ تبيت وجداً ... تردّد ما يريبك من شكاتي
وتسأل ساري النسمات عني ... حنوًّا والبروق الوامضاتِ
ومن يفقدْ شبيهك يبكِ دنيا ... تولت بالمودة والمقاتِ
كذبتكَ لو صدقتك بعض ودي ... لهدّ جوانبي صوت النعاةِ
ولاستقصت حيال النعش عيني ... وراءك راحلاً همم البكاةِ
برغمي أن تقاص منك ظلٌّ ... وقاني حقبةً لفح الحياةِ
وأن نضبت خلالٌ كنت منها ... أعُبُّ لديك في عذبٍ فراتِ
وأن صفرت يميني من ودادٍ ... غنيتُ به ليالي خالياتِ
أخي ما حياتي الا سلامٌ ... يزورك في المساء وفي الغداةِ
والا الدمع اثره عقيقاً ... على ذكرى حلاك الغائباتِ
قضيتَ فكنت اسرعنا مسيراً ... الى غرف الجنان العالياتِ

شكوى المتيَّم

عاد سمو امير مصر من الاستانة ، فرحب به شعراؤنا بقصائد جميلة حلوا بها جيد الصحف . وجادت قريحة نابغة مصر بيتيمة من شعره المعروف ، افتتحها بابيات غزلية ، وهي :

كم تحتَ أذيالِ الظلامِ متيَّمُ ... دامي الفؤادِ وليلُهُ لا يعلمُ

ما انتَ في دنياكَ أولُ عاشقٍ　　راميه لا يحنو ولا يترحَّمُ
أهرمتني يا ليلُ في شرخ الصبا　　كم فيكَ ساعات تُشيبُ وتهرمُ
لا أنت تقصر لي ولا انا مقصرٌ　　أتعبتني وتعبتَ هل من يحكمُ
لله موقفنا وقد ناجيتها　　بعظيمِ ما يخفي الفؤادُ ويكتمُ

***

قالت من الشاكي — تسائلُ سربها　　عني — ومن هذا الذي يتظلمُ
فاجبنها وعجبنَ كيف تجاهلتْ　　هو ذلك المتوجعُ المتألمُ
انا من عرفتِ ومن جهلت ومن له　　لولا عيونكِ حجةٌ لا تُفحمُ
أسلمتُ نفسي للهوى وأظنها　　مما يجشمها الهوى لا تسلمُ
وأتيتُ يحدو بي الرجاء ومن أتى　　متحرّماً بفنائكم لا يحرمُ
أشكو لذات الخال ما صنعت بنا　　تلك العيونُ وما جناه المعصمُ
لا السهم يرفقُ بالجريح ولا الهوى　　يبقي عليه ولا الصبابة ترحمُ
لو تنظرين اليه في جوف الدجى　　متململاً من هول ما يتجشَّمُ
يمشي الى كنف الفراش محاذراً　　وَجلاً يؤخّر رجلهُ ويقدّمُ
يرمي الفراش بناظريه وينثني　　جزعاً ويُقدم بعد ذاك ويحجمُ
فكأنهُ واليأس ينسفُ نفسهُ　　للقتل فوقَ فراشه يتقدمُ
رُشقت به في كل جنب مدية　　وانساب فيه بكل رُكنٍ أرقمُ
فكأنهُ في هولهِ وسعيرهِ　　وادٍ قد اطلعت عليهِ جهنمُ
هذا وحقكِ بعض ما كابدتهُ　　من ناظريكِ وما كتمتكِ اعظمُ
قالت أهذا أنتَ ويحك فاتئد　　حتى مَ تُنجدُ في الغرام وتتهمُ

كم نفثةٍ لك تستثير بهـا الهوى هاروتُ في اثنائها يتكلَّمُ
إنا سمعنا عنكَ ما قد رابنـا وأطال فيكَ وفي هواك اللَّومُ
فاذهب بسحرك قد عرفتُكَ واقتصد فيما تزين للحسان وتوهمُ
أصغت الى قول الوشاة فاسرفت في هجرها وجنت عليَّ واجرموا
حتى اذا يئس الطبيب وجاءها أني تلفتُ تنـدَّمت وتندموا
وأتت تعود مريضهـا لا بل اتت مني تشيّع راحلاً لو تعلمُ

حافظ ابرهيم

⁂

﴿ على ضريح فتاة ﴾

يا تراب الحبيب فيكَ فتـاة كلٌّ ارواحنا تحنُّ اليها
هي كانت عليكَ ألطف ظلٍّ ايها التربُ لا تثقّلْ عليها

اسكندر العازار

⁂

﴿ على ضريح فتى ﴾

شقيقك غيّب في لحـدهِ وتطلعُ يا بدرُ من بعـدهِ
فهلاَّ خُسفتَ فكان الخسوفُ لباس الحداد على فقدهِ

(لاحد شعراء العرب)



الملك مانويل الثاني

وُلد سنة ١٨٨٩ وجلس على عرش البرتغال في فبراير سنة ١٩٠٨

سقوط عرش

جلس الملك الفتى على عرش صُبغ ارجوانه بالدماء ، وتكلل بتاج غاصت جواهرهُ بالدموع . ولا سند لهُ ولا عضد سوى حنان والدة يحوم فؤادها حولهُ ، كما تحوم الدجاجة حول فراخها وقد هددها العقاب الكاسر . ولكن انى لحنان الام — مع كل ما فيه من القوة — إن يسند تاجاً هاوياً او يدعم عرشاً متداعياً ، وقد تحوّل نحوهما تيار الشعب الجارف

ثقل التاج على هامة الملك الضعيف فاحناها ، وتدحرج بين يديه فكاد يكون لهما قيداً . وثقل الملك على العرش الذي نخرته الدسائس والمكايد فهبط به هبوطاً كاد يودي بحياته

سقط الملك مانويل الثاني وسقطت معهُ اسرة براغنس التي ملكت في البرتغال منذ سنة ١٦٤٠ وقامت الجمهورية على اطلال الملكية . كما ان هذه كانت قد بنت صرحها على خرائب ما تقدمها من الحكومات . فان الفينيقيين هم اول من استعمر تلك البلاد المعروفة في القدم باسم لوزيتانيا نسبة الى الشعب اللوزيتاني الذي كان يسكنها ، ثم دالت دولة ابناء فينيقيا وقامت دولة القرطجنيين فظلوا اسياد البلاد حتى برز النسر الروماني فظل فيها نافذ الامر سبعة قرون اثنين منها قبل المسيح ، وخمسة بعدهُ . ولما لفظت الامبراطورية الرومانية الغربية نفسها الاخير ، تقاسمت الشعوب ميراثها العظيم ، فكانت البرتغال من نصيب الغوطيين ، حتى نازعهم الارث طارق بن زياد واقام في البلاد دولة عربية زهت على عهدها المعارف والفنون والصنائع . . ثم انجلى العرب عن تلك الربوع وظلت البرتغال في حروب مع جارتها اسبانيا حتى ثبت استقلالها في اواسط القرن السابع عشر ، وعظمت ثروتها ، وقويت شوكتها ، بعد ان راد ابناؤها البحار واكتشفوا بلاداً جديدة في افريقيا واميركا

هذا هو ماضي البلاد التي ودَّع مانويل عرشها على غير ملتقى ، وطلَّق تاجها على غير رضى . على انهُ لم يأتِ ما يجوز معهُ الاستشهاد بقول من قال :

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته وكلٌ من لا يسوس الملك يخلعهُ

فانهُ ذاق حنظلاً عصرهُ غيرهُ ، وجنى شوكاً زرعهُ سواهُ . اجلسته الحوادث على عرش مضرَّج بدم ابيه واخيه ، ووضعت على رأسه تاجاً لم يكن ليحلم به . وها ان نفس هذه الحوادث قد اخرجته من وطنه طريداً. واقصته عن بلده شريدا

كان مانويل على عهد ابيه كارلوس الاول لا يكترث للملك وسياسة الناس بل كان مولعاً بالفنون الجميلة لان ولاية العهد كانت لشقيقه لويس فيليب ده براغنس ، ويروى عنه قولهُ عندما انعم الملك ادوار على اخيه بوسام ربطة الساق : « ان اخي فرح مسرور بهذا الشرف الذي حازهُ ويحق لهُ ذلك لان لهُ مطامع سياسية اما انا ففرحي الكبير سيكون يوم اتمكن من ادارة جوقة موسيقية » وقد حمله ولعهُ بالفنون على زيارة البلاد القديمة كاليونان ومصر وفلسطين . وبينما هو في مثل هذه الاحلام الجميلة باغتتهُ ثورة فبراير (شباط) ١٩٠٨ فاودت بحياة ابيه واخيه واجلسته على العرش. فحاول ان يسدَّ الثلم التي احدثها اسلافهُ . ولكن هيهات لابن عشرين ان يرمم اطلال مملكة بالية ويوقف معاول الزمان التي تدكها ، وقنا بل الايام التي تنسفها

لما ضعفت شوكة العرب في الاندلس ، تغلب الافرنج على احد ملوكها ففرَّ هارباً ، وقبل مغادرته بلاده نظر الى قاعدة ملكه وبكى . وكانت امه معهُ فقالت : « ابكِ بكاء النساء على ملك لم تعرف ان تدافع عنه دفاع الرجال »

فهل قدرت الملكة آمِليـا ان تقول مثل هذا القول لولدها مانويل عندما ودّع بلاده باكياً ؟



الملكة آمليا

ارملة كارلوس الاول ملك البرتغال المتوفى ووالدة الملك مانويل الثاني ، وهي بنت الـكونت ده باريس وشقيقة الدوق دورليان ، ولدت في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٥ وتزوجت في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٦ ، فولد لها ولدان لويس فيليب الذي قتل مع ابيه في غرة فبراير سنة١٩٠٨ ، والملك مانويل الذي هرب معها الآن الى انكلترا

في حدائق العرب

الاندلس

ان الحوادث الجارية في اسبانيا ، والثورة التي قامت في البرتغال فقلبت الملكية واحلت محلها الجمهورية ، لفتت الابصار الى تلك الانحاء. فاحببنا ان نخصص هذا الباب من المجلة بتلك البلاد. وهي معروفة عند العرب بالاندلس ، وقد سادوا فيها مدة طويلة . وذكرها يملأ كتبهم

قال ابو عبيد البكري في وصفها :

« الاندلس شاميةٌ في طيبها وهوائها ، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها ، هنديةٌ في عطرها وزكائها ، اهوازية في عظم جبالها ، صينيــة في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سهولها »

وقال احد الشعراء

يا اهل اندلسٍ لله درُّكمُ   ماءٌ وظلٌّ واشجارٌ وانهـارُ
ما جنـة الخلد الاَّ في دياركمُ   ولو تخيرتُ هذا كنتُ اختـارُ
لاتختشوا ان تروا من بعدها سقراً   فليس تُدخلُ بعد الجنة النـارُ

وقد فتح العرب الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير وكان ذلك سنة ٧١١ م

قال ابن بشكوال في تاريخه (نقلاً عن نفح الطيب)

والى طارق ينسبُ جبل طارق الذي يعرفهُ العـامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء . . . واحتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين في ١٢ الفاً . . . وخرج من

الجبل واقتحم بسيط البلد شاناً للغارة ، واصاب عجوزاً من الجزيرة فقالت لهُ في بعض قولها انهُ كان لها زوجٌ عالمٌ بالحدثان ، فكان يحدّثهم عن اميرٍ سيدخل الى بلدهم هذا ، فيغلب عليه . ويصف من نعته انهُ ضخم الهامة — وانت كذلك — ومنها ان في كتفه شامةً عليها شعرٌ ، فان كانت فيكَ فانت هو . . فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرَتْ ، فاستبشر بذلك ومن معهُ . . . »

وقد دوَّنت العربُ في كتبها الخطبة التي القاها طارق بن زياد لما بلغه دنوُّ ردوريغ — او لذريق كما يسميه العرب — وهي من ابلغ ما خطب به قائد امام جنوده ، قال وكان على ما يروى قد أحرق المراكب التي أقلت عساكرهُ لئلاَّ تحدثهم النفس بالعودة الى الاوطان :

« ايها الناس ، اين المفرّ ؟ البحر من ورائكم ، والعدو من امامكم ، وليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوُّكم بجيشه . واسلحتهُ واقواته موفورة ، وانتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفكم، ولا اقوات الاَّ ما تستخلصونهُ من ايدي عدوّكم ، وان امتدَّت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ، ذهب ريحكم وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم [1] . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية. فقد القت به اليكم مدينتهُ الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكنٌ ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم احذّركم امراً انا عنهُ بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارخص

---

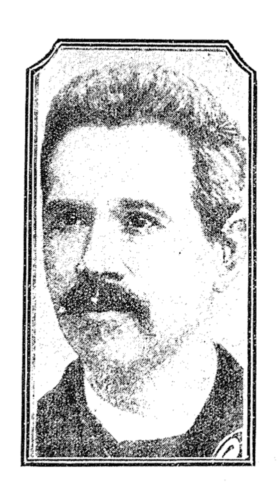
(١) بمثل هذا المعنى خاطب بونابرت جنوده في سهول ايطاليا

متاع فيها النفوس . ابدأ بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً ، استمتعتم بالأرفهِ الالذّ طويلاً ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيهِ باوفر من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة . . . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان . . . والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . . . واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتلهُ ان شاء الله . . . فاحملوا معي ، فان هلكتُ بعدهُ فقد كفيتم امرهُ وان هلكتُ قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتلهِ . . . »

وظلت الاندلس تحت سيادة العرب ثمانيـة قرون (٧١١ الى ١٤٩٢) فتغلب عليهم الملك فردينان . ولما خرجت الاندلس من يد العرب قال ابو البقاء صالح بن شريف الرندي قصيدته المشهورة ، منها :

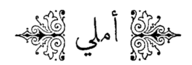
لكلّ شيءٍ اذا ما تمَّ نقصانُ　　　فلا يُغَرَّ بطيب العيش انسانُ
دهي الجزيرةَ امرٌ لا عزاءَ لهُ　　　هوى لهُ أحدٌ وانهـدَّ ثهلانُ
فاسأل بلنسيةً ما شأن مرسيةٍ　　　واين شاطبةٌ أم أين جيَّانُ
واين قرطبـةٌ دار العلوم فكم　　　من عالمٍ قد سما فيهـا لهُ شانُ
واين حمص وما تحويه من نزهٍ　　　ونهرها العذبُ فيَّاضٌ وملآنُ
... تلك المصيبة انست ماتقدمها　　　وما لها معَ طول الدهر نسيانُ

يا راكبين عتـاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبانُ
وراتعين وراءَ البحر في دعةٍ لهم باوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعنـدكم نبأ عن اهل اندلسٍ فقد سرى بحديث القوم ركبانُ



تيوفيل براغا
رئيس الجمهورية البرتغالية

كان من اساتذة الفلسفة وعلم الاجتماع ، وله في هذه المواضيع تآليف كثيرة وهو الآن في الثامنة والستين من عمره . ومن اعزّ اماني براغا ضم اسبانيا والبرتغال تحت راية الجمهورية



أملي

في هزيع ليلة من ليالي الخريف وقد نبا بي مضجعي ، تحاملت متماسكاً متمالكاً الى نافذة من مخدعي ، ارسل صعداء احرجت صدري ، واعالج نجية هم اسهرتني . وكانت الليلة قمراء والهواء بليلاً بطيء الاسراء ، والسكوت سائداً مالئ العمار والخلاء ، لا داب يمرح ولا طائر يسبح ، وقد هجع الناس آمنين في اسرابهم ، ونام الخليون ملء اجفانهم ، فلا يسمع غير حفيف الاشجار ، ووقع الاوراق تتساقط من على الاغصان تساقط دمع حزين جازع او عاشق ضارع تساقطاً له رجع لطيف عذب شجي اضطرب له الوجدان فتحركت الاشجان ، كأنما يد الحنان طرقت ابواب الفؤاد ، أو أن أنامل الصبابة تمشت على اوتار الجنان . فشعرت من نفسي استئناساً بتلك الوحشة ، وارتياحاً الى تلك العزلة ، كأن بينهما حديثاً يتساقطانه أو نجوى يستسرانها ولكنها نجوى ليست من لغة يراع او انشاد شادٍ ، انما هي ذات لغة طلية عذبة حلوة لا تدركها غير مشاعري ولا يفهمها سوى فؤادي

فلبثت اتنقل ببصري الى ما حوت الارض من كائنات مرئية ، والسماء من اجرام فلكية ولكلٍ منها مع النفس نجوى تطربها ، وسمر لطيف يشجيها . حتى قضى بي التجوال الى البدر ، وقد برز من خبائه بعد طول الصبر . واقبل سابحاً في فضاء السماء ، جائلاً بين بدائع الافلاك بعزة وخيلاء تحيط به النجوم احتراماً واجلالاً ، وتتمشى الكواكب بخدمته

ادباراً واقبالاً، متدججاً بسلاح نوره يروش سهام اشعته ، ممزقاً بها حجاب الظلام مظهراً ما خفي وراءه من سهول واعلام

رويدك يا شبه الحبيبة فالجوى أضاع رشادي إذ رأيتك ساريا
رويدك قد حركتَ سا كن لوعتي وارسلت دمعاً فوق خدي جاريا
رويدك في تعجيل طلعتك التي جعلت فداها الروح مني وماليا
رويدك دعني املأ العين من بها سناك لعلي لا أذمّ اللياليا

نظرت اليه نظراً مليا وتصفحته تصفحا جليا كأنه ادنى عائنة الى ناظريّ ، واقرب الكائنات لمساً من يديّ ، فالفيت شأنهُ شأني وقد ألفت نظرهُ امري فتلاقت العيون بالعيون وراحت الاحداق هائمةً في الاحداق تخترق اهداب الجفون ... حتى اسفر وجه الصبيح عن ابتسامة خفق لها الفؤاد ، منبسط الجوارح ، ونزعت اليها الروح من بين الجوانح

مضى حين وانا منصتٌ اليه وهو منصتٌ اليّ ؛ أستمع لنجواه ويستمع لنجواي واذا بغيمة سوداء هاجته وهو في غفلة عنها ، وحالت بيني و بينه مكتنفة اياه بجناحيها ، فكئبت لذلك كأبة من أُصيب بفراق نسيبه او فجع بفقد حبيبه ، ولا نسب بيننا غير ائتلاف العواطف ولا حبّ سوى انّ بهاءهُ اشبه بهاء من انا شاغف ، وان لم تكن عواطفه على شيءٍ من السحر، او انّ بهاءهُ من بهاء بدري . فتطلعت اليه اتشوّفه في مجراه، واتبين بعد الاختفاء ما اعتراه ، فلمحته حيرانَ هائجاً ، وهو مع الغيمة في عراك ، ومنها في احبولة وشراك ، وكان ذلك الشراك على صدري الحرج نسيجاً من خيوط الاوهام ، او ستراً لبسته فتخرّمته نصالُ السهام

لبثت طويلاً متصبرا ، وربما كان لبوثي قصيراً وانا لم ادرِ ، حتى تلعلعت السماط وبان البدر وهو بعدوّته يزري ، ونظر اليَّ فالفاني كما عهدني مشوقاً متشوّقاً اليه ، ورأيتهُ كما عرفتهُ يتألّق ضوءُ البشر من بين عارضيه

عاد البدر الى ما كان عليه وعدتُ . وسار في سمره وسرتُ

واني لأترشف خمر السرور صُراحا من يد ذلك الموقف، وقد اطلقت للعواطف والشعور سراحا ، اذ بغيمة اشد من الاولى حقداً واعظم منها سوادا دنت منهُ تناصبه العداء وتكافه الجلاد

هذا وما زالت جيوش الغيوم تارةً تتشتت تحت سهامه فتنخزل امامه أو تجانبه ، وطوراً تتألب عليه ثائرةً متضامنة تواثبه ، وهو يتنفس حيناً فيظهر للعيان في مظهر التعب الخائر ثم ينساب في العجاج متوارياً وراء الغبار المتطاير وكلما ظن انه ناجٍ ادركته غيمةٌ رجعت به الى الميدان قسرا فيعود الى المدافعة عن نفسه مكرهاً مضطرّا

هكذا شاء القدر ان اتجرّع الكأس بعد ان ترشفّتها ، واكره النفس على الصبر بعد ان اطعمتها ، حتى كان عَسَسُ الليل وقد غاب البدر تحت غيوم انحدرت عليه انحدار السيل ، فلم يرَ غير فضاءٍ داجٍ ظلامه، وعمارٍ موحشة اعلامهُ ، انكفأت الى مضجعي حزيناً كئيباً اسمع زفزفة الاوراق تتساقط من على الاشجار فكان لها هزّةٌ في النفس ورجفة في الفؤاد اطبَقَتْ عينيَّ تحت ثقل اليأس وستر الانكسار .....

أملي هو البدر . والغيوم هي كوارث الدهر وظلمة الليل هي ظلمة القبر ..

لا لا أملي يا ناس !

فيليب مخلوف

في جنائن الغرب

بمناسبة الثورة البورتغالية خصصنا باب « حدائق العرب » بشيء عن عهد الدولة العربية في تلك البلاد ، وأحببنا الآن ان نطلع القراء في هذا الباب عن شيء من آداب البورتغاليين :

اشهر أدباء البرتغال على الاطلاق هو لويس ده كاموانس Camoëns. عاش في القرن السادس عشر . وقد وضعه كتابه « لوزياده » في مصاف كبار شعراء العالم . وهو نشيد من نوع « الياذة » هوميرس ، موضوعه رحلات البرتغاليين واكتشافاتهم في العالم الجديد . وبطل هذه المنظومة البديعة فاسكو ده غاما الذي اكتشف طريقاً جديدة الى الهند وهي طريق « رأس العواصف » الذي أطلق عليه فيما بعد اسم « رأس الرجاء الصالح »

أما فيلسوفهم الكبير فهو باروخ سبينوزا

ولد سنة ١٦٣٢ في امستردام (هولندا) من عائلة بورتغالية اسرائيلية . وله في الفلسفة تآليف عديدة . لا يمكن التسليم بكل ما فيها من الاراء . وقد اقتطفنا لقراء « الزهور » فصلاً كتب فيه عن العواطف والاهواء وهذا ملخصه :

✱ العواطف والاهواء ✱

كل التقلبات التي تطرأ على النفس ترجع الى اثنين : الانتقال الى كمال اكبر والانتقال الى كمال انقص . وعواطف النفس ترجع ايضاً الى نوعين: عواطف لذيذة وعواطف غيرلذيذة . اي الفرح والحزن . وعليه فالفرح هو الشعور بالانتقال الى كمال اكبر والحزن هو الشعور بالانتقال الى كمال انقص. لانهُ يستحيل ان تقبل النفس بلا مقاومة فكرة انحطاطها ويستحيل ان لا تحب كيانها وان لا تفرح بتحسن وجودها . ولما كنا نفهم

ان الفرح والحزن لا ينتجان عن ارادتنا بل عن تغييرات الجسد وعن تصوُّر هذه التغييرات ، وجب ان يكون الفرح علامة الكمال ، والحزن علامة النقص ، بل ان الفرح هو نفس الانتقال الى كمال اكبر ، والحزن هو نفس الانتقال الى النقص ، لان العاطفة لا تُفصَل عن النفس بل هي النفس مكيفة باحدى الكيفيات

وترى النفس احياناً تفهم ، او تظن انها تفهم ، سبب فرحها او حزنها . واحياناً تكتفي بالتأثر من الفرح والحزن تأثرها من شيء واقعي مع بعض الشعور بان مصدرها الجسد . وفي هذه الحالة يسمى الفرح سروراً اذا تناول كل مجموع الجسم ، وملذة اذا تناول عضواً معيناً في الجسم . ويسمى الحزن كآبةً اذا تناول المجموع وألماً اذا تناول احد الاعضاء

وعندما نقرن الفرح بصورة كائن خارجي ، نحاول ان نملك ونحفظ هذا الشيء المقرون بفرحنا ، ونقول حينذاك اننا نحب هذا الشيء . . . فالحبُّ اذن هو الفرح المقرون بصورة سبب خارجي ، والبغض هو الحزن المقرون بصورة سبب آخر .

هذا وان افراحنا — كأحزاننا — مرتبطة بعضها ببعض بطرق متنوعة فاذا شعرت النفس بعاطفتين في آن واحد فلا يمكنها فيما بعد ان تشعر بواحدة دون الاخرى ، وقد تكون الاشياء الاقل اهمية في نظرنا سبب فرحٍ او حزنٍ وبالتالي موضوع رغبة . ويكفي لذلك ان تُقرَن هذه الاشياء في مخيلتنا بشيء كان لنا سبب فرح او سبب حزن فمجرَّد تفكرنا في شيء في حالة فرحنا او حزننا يكفي لحملنا على حب هذا الشيء

او على بغضه . بل يكفي ان يكون بعض الشبه بينه وبين موضوع حبنا ، حتى نحبّ هذا الشيء ، او بعض الشبه بينه وبين موضوع بغضنا حتى نبغضه . وهكذا نحب اشياء ونبغض اشياء ، دون ان نعرف لذلك من سبب مقرّر فنسمي ذلك ميلاً او نفوراً

وقد ظهر لك كيف نعلق فرحنا او حزننا على اشياء عديدة ، فنكون اسرى الحوادث والظروف

ونحن نشعر تجاه اشياء ماضية او مستقبلة بنفس العواطف التي نشعر بها تجاه اشياء حاضرة ، لان صورة الشيء ، ماضياً كان او مستقبلاً ، هي دائماً في حيز الحاضر عندما نفتكر بهذا الشيء . ولا نسميه ماضياً او حاضراً الاَّ عندما نقرنه بفكر زمان مضى او سيأتي . وصورة الشيء في نفسها هي دائماً ذاتها سواءٌ غاب هذا الشيء او حضر . وعاطفتا الفرح والحزن عندما تُقرنان بصورة شيء آتٍ تسميان الأَمل والخوف . وعندما تقرنان بصورة شيء مضى تسميان الارتياح والندم

سبينوزا

ثمرات المطابع

فصل الصيف عادةً فصل كسادٍ في عالم المطبوعات ، وجمودٍ في قرائح الكتّاب والمنشئين . على ان البريد حمل الينا في هذين الشهرين مطبوعات جمة ومؤلفات عديدة ، كنا نود ان نفيها حقها من الدرس والتقريظ ، لولا كثرتها وضيق المقام . وها نحن نمرُّ بك سريعاً ايها القارئ على أهم ما أهدي الى هذه الادارة من الكتب التي يكون منها لك فائدة :

* الصحائف السود [١] — ولي الدين يكن [٢] كاتب بليغ وشاعر رقيق ، يطير في العالم العلوي بجناحي الخيال والشعور ، وينظم الابتسامات والدموع في سلك بيانه درراً اين منها الجواهر التي تزين النحور . عرف ابناء جنسه الترك مكانته من الادب . وحلّت نفثاته احسن محل عند اخوانه العرب . حتى احرزت شهرة بعيدة في عالم الكتابة . فلا يكاد يدبج مقالة او يحبر قصيدة حتى تراها متناقلة في صحف سوريا والعراق والمغرب واميركا . وقد عرفه قراء « الزهور » من فئة كبار الادباء الموالين لمجلتهم . واذا هم اليوم اقبلوا على « الصحائف السود » يجدون ولي الدين فيها غير الذي عرفوهُ منشداً مؤثراً او متغزلاً مطرباً ، وان كان هو هو في بلاغته وتفننه في ايراد معانيه . فهو في هذه الصحائف التي وسمها بالسواد يئنّ بل يتألم مما يشاهد من الظلم والحيف والجهالة المخيمة على العقول ، لكنّ في انينه دويّ التهديد ، وفي شكواهُ رعد الوعيد ، وفي ألمه قضاءٌ على ما يتألم منهُ فكأَنهُ المغلوب الغالب ، والمقهور القاهر . وكأَني بهِ وقد ألبس صحائفه هذه ثوب الحداد يضحك من الايام التي يعاركها وتعاركهُ . واذا طلبنا اليه اليوم بعض صحائف بيضاء ، نكون قد أعربنا عن رغبة العدد الكبير من القراء

---

(١) طبعت في مطبعة المقتطف . عدد صفحاتها ١١١ وثمنها خمسة غروش وتباع في مكتبات المعارف والهلال والتأليف وهندية بمصر

(٢) اطلب رسمه في اول عدد من «الزهور» ص ٢٧

* المهاجر السوري [1] — كتاب كثير الفوائد جم المنافع يتضمن افادات وارشادات يهم المهاجرين او الذين ينوون المهاجرة الى العالم الجديد ان يطلعوا عليها . وضعه رجل خبير بهذا الموضوع وهو حضرة جميل افندي بطرس حلوه، احد التراجمة في ادارة المهاجرة في الولايات المتحدة الاميركية. وقد عرفنا المؤلف قبل اليوم شاعراً متفنناً من القصائد التي ينشرها في جريدة « الهدى » الشهيرة ، واذا به في هذا الكتاب ملاحظ دقيق وبحاث اجتماعي . تناول في كتابه تاريخ المهاجرة الى اميركا وحالة المهاجرين الادبية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية وشيئاً كثيراً من قوانين ونظامات تلك البلاد ودستورها وعاداتها وصناعتها وزراعتها . ومتى عرفت ان المهاجرين من العرب الى اميركا يعدّون بمئات الالوف وان الذين يتأهبون للنزوح اليها اكثر من الكثير، لا يسعك الاَّ الثناء على واضع هذا الكتاب المفيد وعلى ادارة جريدة الهدى المعتبرة التي عهدت اليه هذه المهمة . كما انك لا تمالك عن الاعجاب بهؤلاء المهاجرين الاذكياء الذين هاجروا الى ارض كولمبوس ، فجاروا أشدّ الاقوام في ميدان تنازع البقاء، فاحرزوا لهم مقاماً رفيعاً في التجارة والثروة والصحافة والادب، ونشروا لواء اللغة العربية في تلك الاقطار النازحة . وانا لنغتنم هذه الفرصة لاعلان فضلهم كما اننا نثني اجمل الثناء على صاحب الكتاب الذي نحن في صدده وعلى حضرة صاحب « الهدى » الكاتب القدير نعوم افندي

(١) طبع في مطبعة جريدة الهدى في نيويرك Press of al-Hoda, 81 West St., New York City وثمنه ٧٥ سنتاً عدد صفحاته ١٥٤

مكرزل . ولما كان هذا الموضوع من الاهمية في مكان عظيم رأينا ان نعود اليه في العدد القادم فنذكر بعض ما تجدر معرفته عن المهاجرين في مهجرهم

* منطق المشرقيين [١] — الفلسفة القديمة [٢] — تمكنت « المكتبة السلفية » لصاحبيها الفاضلين محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان على حداثة عهدها من ابراز عدد كبير من الكتب المفيدة والاسفار النفيسة ونشرها بالطبع بارخص الاثمان. وآخر ما اتحفتنا به هذان المؤلفان الجليلان . والاول « منطق المشرقيين » هو من تصنيف الشيخ الرئيس ابي علي بن سينا الفيلسوف الشهير مع قصيدته المزدوجة في المنطق التي وضعها باسم الرئيس ابي الحسن السهلي . وفي مقدمة الكتاب بحث في حياة ابن سينا وفلسفته مقتبس عن ابن ابي أصيبعة وابن خلكان وعن دائرة المعارف الانكليزية . — اما الكتاب الثاني وهو « مبادي الفلسفة القديمة» فقد جمعت فيه رسالة «ما ينبغي ان يقدَّم قبل تعلم فلسفة ارسطو» ورسالة «عيون المسائل في المنطق ومبادىء الفلسفة» وكلاهما من تصنيف الفيلسوف ابي نصر الفارابي . ويبتدئ الكتاب بترجمة حياة المؤلف وفيها افادات كثيرة عن نسبه وسفره الى العراق وغيرها من بلاد الشرق، وصلته بمتى بن يونس مع شيء من آراء الاوربيين في فلسفته . وفي الرسالة الاولى شرح مطوَّل عن كتب أرسطو والذين ترجموها الى العربية، وعن مذاهب

(١) طبع في مطبعة المؤيد — ثمنه فرنك واجرة البريد غرش ونصف
(٢) ثمنه قرشان ونصف واجرة البريد قرش واحد . والكتابان يطلبان من المكتبة السلفية في السكة الجديدة في القاهرة ومن مكتبة امين افندي هندية في الموسكي

اليونان في الفلسفة مع تراجم مشاهير فلاسفة العرب واليونان. وفي الرسالة الثانية فصول مختصرة في أهم مباحث الفلسفة ، كبحث النسبة بين واجب الوجود والموجودات ، وتكوّن الكائنات ، ولوازم الجسم ، وتجزء المادة ، والروح والجسد ، والخير والشر الخ . . وقد بذلت « المكتبة السلفية » عناية كبرى في طبع هذين الكتابين على اجمل شكل وتصحيحهما وتعليق الحواشي حتى جاءا يفيدان العقل ويسران النظر

* ديوان الخطيب [1] — لا نغالي اذا قلنا ان هذا الديوان هو انفس ديوان شعري ابرزتهُ المطابع في هذا العام . فقد جمعت قصائدهُ العصماء بين سمو المواضيع وكبر المعاني و بلاغة الديباجة . ومتى قام الشعر على هذه الدعائم فقل انهُ من أجود الشعر واشده وقعاً في النفوس . وفؤاد افندي الخطيب عربي صميم . فهو شديد الولع بادب العرب،فلا يترك شاردةً عن كتَّابهم وشعرائهم الاَّ ويعيها ، ولا مجموعة لهم مطبوعة او مخطوطة الاَّ ويقتنيها . كما انه شديد الغيرة على مجد العرب وشرفهم وآثارهم الغراء ، فلا يدع متهجماً ينتقص قدرهم الاَّ ويحمل عليه الحملة الشعواء، ترى دليلاً على ذلك اذا راجعت في ديوانه هذا « آمال وآلام » و « ايها والعرب » و « صاحب اقدام » الخ فترى انهُ يحق لهُ ان يقول عن شعره :

أذودُ به عن حوض قومي فكلما　　بدا غرض اطلقت سهماً مسدَّدا

على انَّ هذه الغيرة لا تغمض عين الخطيب عن عيوب قومه ، فهو شديد التقريع والتأنيب ، متوجع الفؤاد في الشكوى فاسمعهُ ينشد متألماً :

---

(١) طبع بمطبعة المنار بمصر عدد صفحاته ١٠٨ وثمنه خمسة غروش

لك الله من دمع تحدّر صيبًا　　　فلم يزد الاحشاء الا تلهبا
وماهو الاّ النفس سالت من الاسى　　　على امة لم ترضَ الاّ التحزُّبا
اذا زال في الدين التعصبُ عندها　　　أناب اختلاف الجنس عنه تعصبا

وهو ينادي بالتضامن والاصلاح ، بلهجةٍ يتجسم فيها الاخلاص :

بشّروني في القبرِ ان كنت ميتاً　　　عندما تنهج السراط السويّا

وقد طرق الخطيب في ديوانه الشعر القصصي في « حلم الهوى » و « العجوز اليابانيـة » فاجاد ما اراد ، وانشد الغزَل والغرام في « حسناء الشرق » و « لوعة » و « القمر » و « غصن الاراك » و « اللقاء والوداع » فاطرب وأبدع في الانشاد . ولو راجعت ما قالهُ فيه صبري وحافظ ابرهيم وولي الدين والكاظمي وغيرهم من اعلام الادباء ، لوجدتنا دونهم في التقريظ والثناء

* الرشيد والبرامكة [١] — ما اجلّ ذلك العصر واعظم حوادثه ، وما أفخم الرجال الذين زانوهُ كالرشيد والمأمون ويحيى وجعفر والفضل ، وما أشدّ نكبة البرامكة الكرام تأثيراً في النفوس . ولقد قصر كتابنا الروائيون في اهمالهم حتى اليوم مثل هذا الموضوع الجميل وابرازه على ملاعبنا العربية . الى ان سدّ هذا النقص حضرة الفاضل المطّلع الاب انطون رباط اليسوعي ، فسكب هذه الحادثة الكبيرة في قالب رواية تمثيلية ، فصادفت استحساناً كثيراً حيثما مثّلت . وقد بذل حضرة المؤلف عنـاية عظيمة في جمع ودرس كل ما قالتهُ العرب عن نكبة البرامكة ، فطـالع العشرات من

(١) طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية

المؤلفات في هذا الباب كما ترى ، ذلك من الحواشي والاسانيد التاريخية التي يوردها . على ان غزارة المادة وإفاضة الكتّاب في هذه الحادثة أخلتا في وحدة موضوع الرواية وتنسيق مشاهدها فجاء بعضها متقلقلاً لا رابط يجمعه ، بل ان حذفه خير من اثباته . وهناك شيء من التعابير الدارجة على ألسنة العامة في عصرنا لا ندري كيف اندسّ في بعض نثرها حتى وشعرها القديم ، كختام الابيات المثبتة في مطلع الفصل الخامس مثلاً . على ان هذا لا يمنع رواية « الرشيد والبرامكة » من ان تكون من اكثر رواياتنا المؤلفة انطباقاً على قواعد الفن وقد استحق مؤلفها كل شكر

* الكواكب [1] — السر الثمين [2] — كتابان نشرهما شابٌ لم يتم العقد الثاني من عمره وهو الاديب علي افندي عنايت نجل عزتلو محمود بك عنايت باشمهندس ري مديرية الجيزة . والكتاب الاول كناية عن مجموعة روايات وفكاهات اقتطفها من مطالعاته وعربها بعبارة طلية منسجمة وأردفها بشيء من الادبيات مما اختاره من كتّاب العصر فجاءت مجموعة صغيرة كثيرة المادة . والكتاب الثاني هو تعريب رواية ادبية غرامية فكاهية عن اللغة الانكليزية . وفي الكتابين دليل على نشاط هذا الفتى النجيب وشغفه بالادبيات فهو جدير بكل ثناء وتنشيط

* ولدينا أيضاً مطبوعات كثيرة منها « زهرة النسرين » [3] وهي من

---

(١) طبع بمطبعة العرب عدد صفحاته ١١٢ وثمنه ٣ غروش (٢) طبع بمطبعة الفكاهات العصرية عدد صفحاته ٤٨ والكتابان يطلبان من المؤلف بالجيزة

(٣) طبع في مطبعة جريدة « المهذب » في زحلة (لبنان)

منظومات الاديب امين افندي فتح الله صباغ والجزء الثاني من « الريحانيات »[١] وقد افضنا في الكلام عنها ص ٨٠ من الزهور . والجزء الثاني من « دروس التاريخ الاسلامي »[٢] تأليف الشيخ محيي الدين الخياط وقد تكلمنا عن هذه الدروس ايضاً ص ٢٢٥ عند صدور الجزء الاول منها . وموضوع هذا الجزء مجمل تاريخ الخلفاء الراشدين

أزهار وأشواك

العود أحمد

السلام عليك ايها القارىء ورحمة الله . . ! طال عهدُ الفراق بيني وبينك على غير وداع ، وها نحن نلتقي اليوم على خير وسلام . لم يجدْ صاحب « الزهور » متسعاً لاشواكي ولا مجالاً لازهاري في عدده الكبير عن « مصر وسوريا » فحرمني من التفكه بمحادثتك الشهرية ، حتى خفتُ ان تنساني ، وان كنتُ لا أنساك ... انت لا شك قضيتَ صيفك خارج العاصمة بعيداً عن حرّها وغبارها وضوضائها ، فطلبت بليل الهواء في الاسكندرية ، او عيشة الخلاء في رأس البر ، أو النزهة في ربوع أوربا ، أو الراحة في ربى لبنان . واذا لم يكن قد تمّ لك شيء من ذلك ، فانا مشفقٌ عليك راثٍ لحالك ، وناقم معك على رئيسك وأشغالك . أما أنا

---

(١) طبع في المطبعة العلمية ليوسف افندي صادر في بيروت ويطلب في مصر من مكتبتي المعارف والهلال. (٢) طبع بنفقة المكتبة الاهلية في المطبعة العصرية في بيروت ويطلب في مصر من المكتبة السلفية وثمنه غرشان ونصف

فلما بدت طلائع الصيف حملتُ منجلي وأخذت حبلي وذهبتُ الى حقلي للحصاد ، فكان موسمي مقبلاً . ورجعتُ الآن مثقلاً باحمال كثيرة سأهدي اليك منها الشيء الكثير ، منتظراً منك هدية حملتها لي من مصيفك . ومهما كانت الهدية فانا اهنئك وأهنيء نفسي بسلامة العودة ، وأقول لك كما كان يقول العرب « عدنا والعود أحمد »

المقيدات

لما أخذت على نفسي كتابة هذا الباب من « الزهور » جعلتُ من مواد برِ وغرامي الاّ أتعرّضَ لسيداتي بنات الجنس اللطيف . احتراماً لهنّ وخوفاً منهنّ . فان غضب السماء والارض والانس والجنّ لأَهونُ عليّ من غضبهنّ . ويسؤني وايم الحق أن أقدّم لهنّ لاول مرةٍ أحادثهن أشواكاً بدلاً من باقة ازهار . ولكن « على نفسها جنت براقش » وانا لستُ الملوم ... تفننت يا سيدتي في ازيائك وبرزتِ لنا في كل فصل بل في كل شهر في زيّ جديد ، ففتنتِ وسبيتِ وفتكت : فمن قبعةٍ أشبه بحديقة لما عليها من انواع الازهار ، الى قبعةٍ أشبه بغابة لما عليها من الاطيار ، فقلنا : ذلك لكِ فانت زهرة هذه الحياة العطرة وبلبلها الغرد ... واغرقتِ في تنويع ملبوسك لوناً وشكلاً ، فرضينا بكل انواع دلالك ومظاهر جمالك . ولكن كيف نرضى لكِ بزيكِ الاخير وقد قيدتِ مشيتك وضيقت خطوتك حتى أُطلق على تابعاتِ زيك الغريب اسم « المقيدات » فاصبحنَ يرسفنَ رسف المكبل بعد ما كنّ يكرجنَ كرج الحجل

يمشين مشيَ قطا البطاح تأوداً   قبّ البطونِ رواجح الاكفال

بل اين مشيتك الآن ، وانتِ اشبه بالبطَّه ، من المشية التي قال عنها الشاعر :

كأنَّ مشيتها من بيت جارتها   مشيُ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

والله ياسيدتي – وتأكدي اني أخاصلك النصحَ واصدق القول – ان زيكِ هـذا يسلبكِ كل ما جادت به عليكِ الطبيعة . فبحق فاتنات ألحاظك ، حلي هذا القيد من رجلكِ ، وكفاكِ ما قيدك به ظلم الرجال من القيود والاغلال . ولسان حال كلٍ منا يقول :

لو أُطلقت لمشت نحوي على قدَمٍ   تكاد من رقةٍ في المشي تنفطرُ

حبّ الملك وملك الحب

الحبُّ سلطان – مطلق لا مقيد ، ومستبد لا دستوري – هكذا يقول الناس وخصوصاً معشر العشاق الذين عرفوا حكمه . على ان الحزب الجمهوري في البورتغال لا يُريد ان يقرَّ بذلك للجميع . سطا هذا الملك بصورة مغنية جميلة على قلب ملكهم ، فأسره وقيده بقيوده الذهبية . — وهل الملك الاّ بشر؟ فانكر الحزبُ هذا الاستسلام من مليك البلاد لمليك الالباب. وخسر مانويل تاجه وعرشه في سبيل غرامه. فكأَنَّ شعب البرتغال يعترف بملك الحبّ وينكر حبّ الملك . ولكن فليتعزَّ سليل اسرة براغنس ، فان له قدوةً باحد ملوك العرب الذين جلسوا قبله منذ قرون على عرش الاندلس . فرضي ان ينال من أحب كيفما كان الامر

« فإِما بذلٍ وهو أليقُ بالهوى   واما بعزٍّ وهو أليقُ بالمُلك »

وكان نصيب مانويل ان ينال من احب كما يليق بالهوى ذلك السلطان المستبد . . . فأين نيازي وانور ، واين براغا وماشادو الذين يقضون على سلطة الحب المطلقة ويعلنون الدستور في مملكة القلوب ؟ الاّ ان كل أحزابهم وجيوشهم لا تقف لحظة في وجه سهامه النافذة . ولو هم قدروا فان رعية هذا الملك لا ترضى ان تفلت من قيوده الجميلة . وهكذا سيظل الحبُّ الملكَ المطلق مهما اشتدّت الاحزاب الدستورية ،وانتشرت الفكرة الجمهورية

ماصر

سلوقية غير اللاذقية

ورد في مقالة حضرة الشيخ بولس مسعد عن تدمر (ص ٣٠٣) انها كانت على أيام السلوقيين « خط الاتصال بين انطاكية وسلوقية (اللاذقية) عاصمتي مملكتهم » ... فكتب حضرة الاديب رفيق افندي صالح الى صاحب الهلال مشيراً الى الخطإِ في جعل المدينتين مدينة واحدة موردًا ما ذكره المرحوم والده الياس صالح في كتابه « آثار الحقب في لاذقية العرب » من أن سلوقس بنى انطاكية وسماها باسم أبيه وسلوقية باسمه وافاميا باسم امرأته واللاذقية باسم والدته. وهذا من الامور التاريخية المثبتة . وقد كتب الينا صاحب مقالة تدمر يقول ان وضعه لفظة اللاذقية بين قوسين كان سهوًا فهو يقصد السويدية القائمة الآن بالقرب من المكان الذي كانت فيه سلوقيه. فنثني على عناية رفيق افندي صالح بالحقائق التاريخية



الجزء العاشر		اول دسمبر (ك ١) ١٩١٠		السنة الاولى

هنري دونان

مؤسس جمعية الصليب الاحمر

نعت انباء البرق في الشهر الفائت شيخاً جليلاً ورجلاً عظيماً كادت الايام تنسج حوله عناكب النسيان ، مع انهُ جديرٌ بان يبقى حياً في القلوب والاذهان . وافاه أجله في احدى قرى سويسرا في شيخوخة صالحة بعيداً عن ضوضاء هذه الحياة بعد ان جاهد فيها جهاد الابطال

هنري دونان هو اسم رجل تجهله عامة الناس ، مع انهُ اهلٌ لان يكتَب بماء الذهب في سجلّ المحسنين الى الانسانية . هو اسم رجل كبير النفس والقلب ، سامي المرمى رفيع المبدا . له على ابناء جنسهِ الايادي البيضاء ، فقد بذل في سبيلهم كل غالي ونفيس ليخفف عنهم وطأة البلاء والشقاء . كيف لا وهو مؤسس جمعية الصليب الاحمر ذات المواقف المعروفة في ساحات القتال ومساعدة المجروح على تضميد جرحه وتعزاية نفسهِ

وُلد هنري دونان سنة ١٨٢٨ في جنفا من عائلة عُرفت بالوجاهة

والثروة ، ومال منذ نعومة اظفاره الى اعمال البرّ والعطف على الانسان . وكانت له يدٌ تذكر في مقاومة الرقيق . ولم تلبث قصص الحروب والمرويات عن المعارك واهوالها ان وجهت منهُ النظر الى حالة الجرحى وما يقاسون في ميدان الكفاح . وفي سنة ١٨٥٩ لما استعرت نار الحرب بين النمسويين والفرنسويين ذهب بنفسهِ الى ساحات القتال ليدرس كيفية امكان مساعدة الجرحى ، وحضر معركة سولفرينو Solférino التي اشتبكت بين المتقاتلين في الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) من تلك السنة . وعند المساء اخذ يطوف ساحة الحرب . فنظر هناك عدداً كبيراً من من الجرحى مخضبين بدمائهم يئنون وينوحون ويستغيثون ويستنجدون ، ولكن لا مغيث ولا منجد . فأثر هذا المشهد في فؤاده ايَّ تأثير ، وخفق قلبهُ لهول ما رأت عيناه ، وقال ما قاله غيره « قوتل الانسان ما اعظم شرّه . كيف يقدم على الفتك بأخيه الانسان ؟ » فجمع حوله بعض المتطوعين وباشر للحال مساعدة الجرحى المتروكين

ومن ذاك الحين اخذ يدرس ويبحث ويطالع ، فدخل في اعماق النفس البشرية ، فوجد ان الحرب مرض الانسانية وعلتها الكبرى . فوقف وقفة المداوي الخبير . فرأى ان هذه العلة صعبة الاستئصال ، وان شفاء هذا المرض العضال ضربٌ من المحال . فقال في نفسهِ : اذا كان ليس في الامكان ايجاد داء لحسم هذا الداء فلنخترع له مسكّناً يخفف آلامه وآلى على نفسهِ ان يفرغ جهده ويكرّس حياته في سبيل هذا المشروع العظيم ، فكتب مقالة عنوانها « ذكرى سولفرينو » يدعو بها

الشعوب المتمدنة الى الاتفاق على تأليف جمعية دوَلية تجمع الاحسان لمساعدة الانسان المجروح من يد الانسان . فكان لمقالتهِ تأثير عظيم في النفوس ، ووقعت من الجميع موقع الاستحسان . ولكنّ صداها ما لبث ان خفت ، كما ان تأثيرها ما عتم ان زال من القلوب . ففهم دونان ان مثل هذا المشروع يقتضي جدًّا طويلاً وسعياً مستمراً ، فاخذ يزور العواصم الكبرى ، ويخطب في المجالس والاندية حتى وضع اساساً لعمله وقاعدة لمشروعه

وكان الوقع الاكبر لصوته ، والنهضة العظمى وراء دعوته في عاصمة فرنسا حيث لاقى دونان كل مساعدة ومؤازرة . واول من مدّ اليه يد المعاونة جريدة « الديبا » حيث اخذ الكاتب الشهير سان مارك جيراردن ينشر المقالات الشائقة في هذا الموضوع . وحذا حذوه غيره من الكتّاب في سائر البلاد ، فانتشرت الفكرة انتشاراً بعيداً ، ولم يمضِ إلاَّ القليل حتى تمّ تأسيس جمعية الصليب الاحمر واصبحت مطمح انظار الجميع . فانتظم في سلكها كل عظيم وشريف ، منهم : غيزو ورنان ورواية كولار وده لسبس ومدام ستايل وغيرهم . وفي ٢٦ اكتوبر من سنة ١٨٦٣ اجتمع الاعضاء لاول مرّةٍ في مدينة جنفا ، وفي السنة التي بعدها عُقد في المدينة نفسها مؤتمرٌ عام أرسلت اليه جميع الدول معتمدين يمثلونها لتقرير قانون الجمعية الدوَلية العامة لمؤاساة جرحى الحروب

وعلى هذه الكيفية كان تأسيس جمعية الصليب الاحمر التي وقفت نفسها من ذلك الحين على خدمة الجرحى ومساعدتهم على اختلاف

المذاهب والجنسيات ، نخففت شيئاً من اهوال الحروب وقللت من بلاياها ونشرت راية السلام فوق نيران المدافع وبريق البواتر

ولا تسل عن فرح دونان وغبطته عندما رأى مشروعه مكللاً بالنجاح ، فعدَّ نفسه سعيداً ورأى ان مهمته قد انتهت فاعتزل العالم وعاش منفرداً في احدى القرى حتى كاد يصبح نسياً منسياً مع ان اسم جمعيته طبَّق الآفاق ، وذكر مآثرها ملأ الاسماع . فلا يذكرها احدٌ الا بالثناء والاحترام . وأمام شارتها المعروفة يسكت المدفع ، ويُغمد السيف ، ويبسط ملاك الرحمة جناحيهِ على ضحايا البشرية

ولكن صاحب الفضل ينال ثوابه . ففي سنة ١٩٠١ نال هنري دونان الجائزة التي وضعها العالم الاسوجي الفرِد نوبل للذين يمتازون بخدمة الانسانية إن بعلمهم اوكتاباتهم او مشروعاتهم الخيرية . فكان له فيها مسدٌّ لحاجتهِ

هذا هو الرجل الذي نعاه البرق في الشهر الماضي فلم تدبّج القصائد في رثائه ، ولم تفض الصحف في تعداد مآثره ، مع انه في طليعة من خدموا الانسانية جمعاء

فأكرم بمثل هؤلاء الرجال الذين تجب كتابة اسمائهم على صفحات القلوب اقراراً بفضلهم واعترافاً بجميلهم . ولينم هنري دونان سعيداً في ضريحه فان قلوب الالوف من الذين تؤاسيهم جمعيته يباركون اسمه ويستمطرون الغيث على ثراه

نفثة مصدور

الجهل أبو الشقاء والجهالة أمه

« مونتاين الفرنساوي »

ما خلوت الى نفسي أناجيها ، الا وأدعم بالاصابع رأساً أثقله الغمّ ، وألفه الهمّ ،

ولو كان همٌ واحد لاحتملته　　ولكنهُ همٌّ وثانٍ وثالثُ

وما قبضت على اليراع الا واحنيت على القرطاس ظهرَ من عجمت عودَه الطوائح ، فغادرته بين صبية يتضورون جوعاً ، وبنيات يقضين جوعا

فذا حظي من الدنيا　　فدعني لا تزد غمّا

في الغرب قومٌ اذا ضلّ اهلوه شرعوهم ، وان ظلمت حكامهم صرموهم ، ينهضونه اذا قعد ، ويقعدونه اذا نهض ، لا خيل عندهم ولا سلاح الا اقلام مذلّقة اذا امتطوا صهواتها ومرّوا بها على القراطيس كان لها صرير ردّد صداه المغربان ، وضجّ لدويه المشرقان ، وهي اذا غمزت الدواة ، واصابت منها المداد ، حقنت دماء ، وهدرت دماء ، فهي جامعة الضدين ، وموفقة النقيضين ، هي الحرب والسلام ، والخوف والامان ، واللين والقسوة ، والحق والقوة ، لا تخاف في الحق لومة لائم ، ولا تلبّس الحق بالباطل ، جالت الجولة اثر الجولة ، فرأيناها في كل عصر ودولة ، تمخض لتلد الحرية والاستقلال ، وهما التوأمان العزيزان

أما الآن فقد اينعت ازهارها ، ونضجت اثمارها ، وغدا ترابها تبراً ،

وماؤها نميراً ، وارضها تدرُّ من طيبات الرزق لبناً وعسلاً

ما هوغو وڤولتير ، وغوركي وتولستوي ، ودانتي وشكسبير ، ونيوتن وواشنطون ، والميكادو وميلتون ، الا من نوادر القرون ، وعجائب البطون ، رأوا بلادهم تتراوح بين الاغماء والموات ، وتتضاءل تحت اغشية الوهم والتقاليد ، فبرزوا الى ميدان التحرير وأثاروا حرباً عقدت الاقلام عجاجها ، وادارت الافهام ثفالها ، وما هي الا لحظة حتى اجرت في مرهفات الصوارم رونقاً انعكس وميضه ، واضاء ما حوله ، فالتقى السيف بالقلم ، والشجاعة بالشمم ، وان هي الا حملة من حملات الاصلاح حتى نكست اعلام الجهل وعاد اعوانه يتسكعون في ديجور الظلمات ، وما دروا انهم « يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت » فكان ما كان من ذلك الانقلاب الكبير الذي اجهز على حياة الاستبداديين ، نقّى الدين والسياسة من غطارفة المستبدين ، وغطارسة المستأثرين ، بعد ان لاقى الغرب الامرّين ، ان هؤلاء العظماء هم عقل بلادهم ، وروحها ، وسيفها

اطلقوها من اسرها ، وفكوا عنها قيودها ، وعضدوها بعد سقوطها واحيوها بعد مواتها ، وسلكوا بها في مهيع النور والهدى

ليس المرء باصغريه فقط ، انما هو باكبريه ايضاً : القلب واللسان ، والهمة والحسام . فالاولان يتعززان بالآخرين ، ولا غنى للآخرين عن الاولين . ما أشدّ يا شرق ما يتحدث الغرب بفضل رجاله ، وما اشدّ يا غرب ما يغمط الشرق ايادي ادبائه ، هؤلاء في شرقهم يشقون ، واولئك في غربهم يسعدون !

اي رباه ! قبسة من اضوائك ، ونظرة من سمائك ، تشمل هـذا الشرق فتدرأ عنه سوء الشبهـات ، وتكفيه شرّ النكبات ، وتصدّ عنهُ زلقات فوضى الاقلام ، وزلاّت خفاف الاحلام ، أيُسام سوءَ العـذاب ويحطه الخسف من أعلى عليين ، وهو مهبط الوحي ، ومهد الانبياء ؟ . . ايكون مسرح الترهات وملعب الخزعبلات ومنه نشأ العلماء وفيـه اول ما تغنى الشعراء ؟ . . اين الرشيد والمنصور ينظران ما صارت اليه بغداد وما انتجتهُ لها مثقلات الليالي. ان الرازي وابا العلاء يتألمان في مراقدهما عند ما يسمعان الرصافي ينوح هتوفاً على نضارة بغداد ويحرق الارَّم على مجدها الطارف ، وسؤددها التالد ، ولا سيما حينما يقول :

ايا سائلاً عنا ببغداد اننا　　بهائم في بغداد اعوزها النبتُ
علت امة الغرب السماءَ واشرفت　　علينا فظلنا ننظر القوم من تحتُ

ما عهدنا القوم والله يبيتون على الطوى ، ويغمضون على الجوى ، وهم أباة الضيم القائلون النار ولا العار ، والحتف ولا الاقامة على الخسف ، والحرَّة تجوع ولا تأكل بثدييها

أيخفُّ ابناء الشرق اليوم الى شرب الكأس التي شرب بها عظماء اجدادهم ، فيعيدون اليه سابق اخضلاله في عهد الحضارة الاندلسية ويحيون رسماً لم يعف دارسه من قنطرة الوادي ، ومكتبة الاسكندرية !..

نحن يا قوم أحوج الى النهضات منا الى التفنن في اساليب التفرُّق والشتات ، فانهضوا نهوض الغرب ، وقفوا في الربوع وقفة خبيرٍ بمواقع الخلل ، وتعاونوا ولا تفرّقوا ، « فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » ...

في البلاد العربية نهضة شريفة ستكون مقدمة من مقدمات الاصلاح في الشرق ، وخطوة واسعة في ميـدان الارتقاء ، بل هي احدى طوالع الحركة الفكرية . وسوف تلعب دوراً يخلّد لها حسن الذكر على صفحات الانسانية البيضاء . ولكن لم يشترك في هـذه النهضة إلاَّ افراد قليلون وهناك الكثيرون ذهب الجهل الذميم بعقولهم ، وختم على قلوبهم ، واضلهم عن النهج السوي ، وما هم الا ليعيثوا فساداً « والذين ينقضون عهدَ الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون »

... كأني برحَّالة الفرنجة اذا امَّ بلادنا ، ورأى الخمول نافضاً غباره على احيائنا ، يقول متمثلاً بحليم مصر وهو ذاهب الى السودان ليشغلَ احدى وظائف الجيش فيه :

تيممتُ ارضاً تدبُّ الجهالة　　فيها دبيبَ الصبا في الروابي
اذا حدَّث القوم فيها اديبٌ　　يخالونه اعجميَّ الخطابِ

اي عاقل لا يسمع هذه المجازفة - وهي الحقيقة — ولا يرثي لحالة قطر يضيق بأهاليه ، وينفّر زائريه ؟

***

قيل للفيلسوف : ممن تعلَّمت الادب ؟ قال من قليل الادب ، وهو قول مأثور سبقنا الى ادراكه الغرب يوم كبا فرسنا في ميدان السعي والعهد ليس ببعيد ، فما احرانا باليقظة اليوم ، بعد عميق رقودنا ، فنمحو اهانة لحقت بنا ، ووصمة وُسمنا بها ، ولا غضاضة علينا اذا اعترفنا بقول

الفيلسوف ، فإن من لم تعظه نفسه كلّت فيه المواعظ

والنفس لا ترجع عن غيّها　　ما لم يكن منها لها زاجرُ

... نساء القرن العشرين في الغرب يتمتعن بحقوقٍ لم يخوّلها القرن العشرون لرجال الشرق . قال نابوليون : « اذا اردت ان تعرف رقي كل امة فانظر الى نسائها » فماذا عسى ان يبلغ هذا القلم من وصف حالة النساء في الشرق وقد

حجبناهنّ عن طلب المعالي　　فعشنَ بجهلهنَّ مهتّكات

فيا شرقيون كفانا ما فات ، وحسبنا ما تمضنّا هذه النكبات ، فكأين من اوانس كاتبات ، وغيد شاعرات ، وخودٍ ممرضات ، واديبات مبرّزات ، نشأنَ منكنّ يا شرقيات !..

***

هذا يمٌّ خاضت فيه من قبلُ اقلام وسبحت عقول ، وما انا بالجاني علي نفسي بالخوض في خضمّه ، والاحاطة بأطرافه ، والامر ظاهرٌ للعيان غنيٌّ عن البيان ، فانحطاط الشرق لانحطاط بناته ، وجمود فتاته ، وعلى تهذيبها يتوقف ارتقاؤه ، فهي داؤه ودواؤه

وتلك نفثة مصدور لو لم يضق الخناق ، وتبلغ الروح التراق لكسرت القلم قبل ان ابوحَ بها ، والسلام

بيت جالا　　　　اسكندر الخوري

العمال في الهيئة الاجتماعية

كتبنا في صدر الجزء التاسع الماضي مقالةً عن العمال والحكومات بمناسبة الاعتصابات التي توالت في أوربا وسرَت عدواها الى مصر، وقد القى السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترا خطاباً في تأبين أحد أصحاب المصانع الكبرى بحث فيه عن مركز العمال في الهيئة الاجتماعية نقتطف منه ما يلي اتماماً للفائدة :

« ان الاستياء البادية دلائله بين طبقات العمال ، والذي يظهر حيناً بمظاهر الاعتصاب ، وحيناً بالتذمر من النقابات وزعمائها ، لا يرجع كما يتوهم البعض الى تحرّج مركز العمال ، او سوء مصيرهم ، فان حالتهم وان كانت لا تزال موضوعاً للتحسين ، فانها ارقى بكثير مما كانت عليه منذ خمسين سنة . وعليه فان سبب هذا الاستياء الشرود في عالم الاحلام والآمال والمطامع التي لم يكن يحلم بها عمال الزمان الماضي

فانه كان من المحتم ان ينتج عن مبدأ المساواة السياسية التي سلمنا بها ، مبدأ المساواة الاقتصادية . زادت رواتب العمال وتحسنت طرق تشغيلهم ولكنهم باتوا يتساءلون اذا كانت تلك الزيادة وهذا التحسن بنسبة نقص نفقات الصناعة الحديثة . ثم ان الطبقة العاملة باتت في قلقٍ دائم من حيث استمرار العمل ، لان وقوف الاشغال مدةً من السنة أصبح قاعدة مطّردة في كل البلدان

وقد ولَّد نشر التعليم بين الشعب عاطفة نفور في صدور فتيان العمال من حياة العامل وما فيها من شظف العيش والعناء الجزيل والنصب الدائم وهذه الامور تدلك على اسباب التذمر والاستياء بين العمال بالرغم عن

تحسن مركزهم في الهيئة الاجتماعية . وان جماعة هذه عواطفهم واستعداداتهم يكونون في كل حين على أهبـة التمرد ، بسبب او بلا سبب ، تارة على رؤسائهم اصحاب العمل ، وتارة على زعمائهم انفسهم

وعليه فيجب ان نحـذر من إضعاف النقابات . واذا تركنا الفوضى تتسربُ اليها ، فاننا نكون رفعنا راية اليأس وسرنا وراءها ، لان كل جماعة لا قائد لها لا يسعها الا التخريب والتدمير

فنحن نريد ان نرى نقابات العمال أقوى مما هي ، لا ان نراها ضعيفة مضطربة كما يرغب البعض في ذلك . لان قوتهـا اصبحت اليوم اكثر لزوماً من كل حين . وهي التي تجعل موازنة في المجتمع الانساني ، اذ تقف امام قوة رأس المال التي باتت اكثر مقدرة واقل شفقة من الماضي

وقد اتسعت الهوة الفاصلة بين مساهم الشركة الذي ينتظر بفروغ صبر توزيع حصص الارباح ، وبين العامل الذي يشتغل في هـذه الشركة ، فان الاثنين يعيشان متباعدين وليس ما يقرّبهما . وهذا التباعد مضرّ بالطرفين . فيجب ان تعودَ العواطفُ الانسانيـة صلةً بين كليهما . فلا الدستور السياسي يحرّر الشعب ، ولا الامتيازات تساعده ، ولا الاملاك تغنيه ، اذا لم ترسخ في قلبه اخلاق الرجولة والثبات والاستقامة

فلنسعَ اذن كلنا اغنياؤنا وفقراؤنا ، افرادنا وجماعاتنا لننشيء هيئة صناعية كبرى يمكننا ان نطالبها كلنا بحقوقنا ولكن نقوم ايضاً كلنا بواجباتنا نحوها . فتكون جمعية لا يعد العامل فيها حيواناً مأجوراً حتى ولا يداً عاملة بل عقلاً مفكراً وقلباً شاعراً »

ادوار غراي

في رياض الشعر

﴿ نفسٌ مكرَّمةٌ ونفسٌ تُزدرى ﴾

غيّرتِ عهدَكِ في الهوى فتغيرا ملك الهوى قلبي وقلبُك ما درى
كوني كما انا في الغرام وفيّةً لا تهجريني ما خُلقتُ لأُهجرا
اصبحتُ فيكِ من الولوع بغايةٍ إن زدتِ حسناً لا أزيد تحيّرا
بلغ المدى بي كل شيء في الهوى فاذا اردتُ زيادةً لن تُقدرا
يسمو بكِ الحسنُ المُدلُّ الى السما ويَمُتّ بي الجدُّ المذلُّ الى الثرى
ماذا التخالف في المحبة بيننا نفسٌ مكرّمةٌ ونفسٌ تُزدرى
ينفكُّ عمري في الهوى متقدماً ويظلُّ سبقي في الهوى متأخرا
وأكادُ أحسب في غرامكِ شقوتي لو كان يُسعدُ عاشقٌ بين الورى
عندي حديثٌ إن اردتِ ذكرته من لي بان تصغي اليَّ وأذكرا
عصفت به ريحُ الملامة موهناً فجرى على وجه العذولِ وغيّرا
لا تنكري نظرات عيني خلسةً اللهُ قد خلقَ العيونَ لتنظرا
وقفَتْ عليكِ فما انثنت عن منظرٍ فُتنت به إلاّ لتطلب منظرا
أرسلتِ طيفكِ في المنام يزورني فدنا وولّى وهو يعثرُ بالكرى
لم يُبقِ من أثرٍ سوى تبسامةٍ خطرتْ على نفسِ الهوى فتأثرا
اتبعتُهُ أملي فأقصرَ دونه ولو استمدَّ بلفتةٍ ما أقصرا
لا يعذلوني في غرامكِ ضلةً من هامَ فيكِ فحقّهُ ان يُعذرا
رقت حواشي الروع فيكِ صبابةً ونهى النُهى عنك الفؤادَ فاعذرا

قلبي يحسُّ وهذهِ عيني ترى ما حيلتي فيما يحسُّ وما يرى
إن تصبِري عني فقلبكِ هكذا أمَّا انا فاخافُ أن لا أصبرا

ولي الدين يكن

الحنين الى مصر

لحين بلادي لا لنفسي أكتبُ وفي اللهِ لا في المال والجاه أرغبُ
ولستُ مُبيحاً للدنايا طويتي فلا ينثني عزمي ولا أتقلَّبُ
أُحبُّ بلادي والعدا يعذلونني وكل مُحبٍّ بالعواذلِ مُتعَبُ
بلادٌ يروق الخُلْدَ خُضْرُ مروجها وترنو لها حور الجنانِ وتعجبُ
ويحسدُ نهرُ الكوثرِ العذبُ نيلها وقد راح في أعطافها يتصببُ
وما فارقتها النفس كارهةً لها بلى كلُّ شيءٍ في بلادي مُحَبَّبُ
فها أنا للسودان من مصرَ عائدٌ وروحي لمصرٍ من دمي تتسربُ
فيا عجباً للنيلِ يجري بجانبي ونفسي على أيامه تتلهبُ
فيا نيلُ بلغها سلامي وقل لها على العهدِ ذاك النازحُ المتغيبُ
فلو أنَّ ماء النيل مازج أدمعي لما كان يحلو في الشفاه ويعذُبُ

* * *

فكم مجلسٍ لي « بالجزيرة » شائق هو الخلدلو خلدٌ على الارض يُطلبُ
تظللهُ الأدواحُ والطيرُ فوقها تبوحُ باسرارِ الغرام وتُعربُ
تحفُّ به الأزهار من كل جانب وألوانها تُملي عليَّ وأكتبُ
فأخضرُ فينانٌ وأبيض ناصعٌ وأحمرُ مرجان وأصفرُ مُذْهَبُ

إذا الريحُ هبّتْ عطّرَ الأفق نشرها وأنوارها أوحت الى الشمس تغربُ
إذ الارض طرفٌ دمعُه النيل جارياً على أنه بالعشبِ طرفٌ مهدَّبُ
وللروح معنى في النسيم مخبّأً اذا مس ميتاً قام يسعى ويدأبُ
مقاعدُ ترتدُّ العيونُ حسيرةً لديها ويُسبى الرشدُ فيها ويُسلَبُ
ويوم لدى « الاهرام » قصرت ظلّهُ برنّم له ملهىً بقلبي وملعبُ
تكاد حميًّا لفظـهِ ودلالهِ لرقتهِ بالأذن والعينِ تُشرَبُ
لَدى عجب من صنعة الجنّ شاهق تتبّعهُ الحاظُ عيني فتتعبُ
معاهد فرعونٍ وآثاره التي تروقُ على مَرّ الزمانِ وتعجبُ
فيا قومُ للأوطان زاد تشوقي فجفني قريحٌ والفؤادُ معذّبُ
فلولا هواها ما حملتُ بعادَها فما كنتُ لولا حبها أتغربُ
أذودُ العدا عنها وأقتحم الرّدى وأطفو على موج المنايا وأرسبُ
اذا ذكرتها النفس في الرّوع أقدمت على الموتِ لا تخشى ولا تتهيبُ
فيا ليت شعري والزمانُ معاندٌ هل الدهر يصفو أم هل الدهر يُعتَبُ
وهل ركبُ مصرٍ للحياة طريقهُ فيشدى له أم للمنايا فيُندَبُ
فيا مصرُ للعلياءِ والمجد أقدمي وما المجدُ الاّ قوةٌ وتغلّبُ
ويا مصر للعرفانِ والعلمِ شمّري فهاذا دواءٌ للبلاد مجرّبُ
وان نحن أرضينا الألهَ أعاننا وان نحن أغضبناه يا قومُ يغضبُ
وكلُّ بناءٍ في يد الله ركنه فليس له في العالمين مُخرّبُ

محمد توفيق على
(حلفا) ضابط بالجيش المصري

يوم الفراق

(مطلع قصيدةٍ لسعادة صاحب الامضاء)

هل عندَ ذاك السربِ انّا بعدَهُ ... في الحيّ من آماقنا نتدفقُ
أو أنّ أضلعنا على ما استودعت ... يوم الفراق من الجوى تتحرّقُ
امنازلِ الاقمارِ اهلك أسرفوا ... في النأي إسرافَ الغنيْ وأغرقوا
لو أنهم قد انصفوك منازلاً ... ما راقهم في الكون بعدك مشرقُ

(مصر) اسماعيل صبري

الرجاء واليأس

رجونا وكان اليأس لولاك راحةً ... فرُدَّ لنا بالله ما انتَ سالبهْ
فأنت امرؤٌ اطمعتنا وحملتنا ... على مركبٍ لا يهدأُ الدهر راكبهْ

حافظ ابرهيم

المشدّ

سألت فتاةً لِمْ أرى منكِ معطفاً ... يُحيط به هـذا المشدّ ويكنفُ
فقالتْ أرى غصنَ القوام مكلفاً ... بحملٍ ثقيلٍ منه قد كاد يقصفُ
فمنطقتُ خصري بالمشدّ كما ترى ... ليحملَ جورَ النهدِ قدّي المهفهفُ

(مصر) فيليب مخلوف

في جنائن الغرب

اتجهت الافكار في الشهر الماضي الى تولستوي فيلسوف الروس الاكبر وهربه الى الدير ليجتاز في العزلة التامة المرحلة الاخيرة من حياته التي قضاها في البحث عن الحقيقة . فرأينا ان نخصص هذا الباب بشيء من حياته ومبادئه الفلسفية

في ٩ سبتمبر الماضي أنجز تولستوي السنة الثانية والثمانين من عمره . وكان في سنة ١٨٦٢ قد تزوج بابنة الدكتور برس صوفيا أندرڤنا فوجد فيها اكبر تعزية في حياته وأحسن مساعد في أعماله فكانت تعاونه في جميع مذكراته وترتيبها وتنسخ مسودات تآليفه . وفي المدة الاخيرة كان يملي عليها افكاره فتدونها . وقد رزق منها ثلاثة عشر ولداً منهم الآن تسعة احياء . وقد رباهم على مبادىء روسو وتضلعوا كلهم في العلوم واللغات

والذي زاد في شهرة هذا الرجل الكبير تطبيق أعماله على أقواله فقد زهد في هذه الدنيا وتنازل عن جميع ممتلكاته مكتفياً ببقعة ارض يستثمرها بنفسه . وكان يرى ان اصلاح العالم لا يتم الا بالعمل فكان يخيط ثيابه وحذاءه ويقضي ايامه في الارشاد ومساعدة المعوزين . وقد أنشأ في مزرعته « ياسنايا بوليانا » مدرسةً كان يعلم فيها كل يوم بضع ساعات . وله حوادث وحكايات شهيرة تتناقلها الصحف وكلها تدل على شرف عواطفه وأمياله وسمو حكمتهِ وفلسفتهِ . وقد اكتسب احترام الجميع ونال ارفع منزلة بين المفكرين المصلحين في حياتهِ ومماته . ولبست روسيا جمعاء عليه ثوب الحداد . واخذ الناس يحجون الى قبره

أما تآليفه فاشهرها « الحرب والسلم » و « حنة كرنين » و « البعث » الخ . وقد نقلت الى كل لغات أوربا وعرّب منها الشيء الكثير حضرة الفاضل سليم أفندي قبعين . ونحن نقتطف من تعريبه نتفاً تطلع القارىء على مبادىء الفيلسوف الروسي :

مبادىء تولستوي

تنحصر مبادىء تولستوي الدينية والاجتماعية في الوصايا الخمس الآتية :

اولاً — أحبّ الله من كل نفسك واحب قريبك كذلك . لا تهن احداً ، واجتهد بان لا تحرض احداً على فعل الشر ، لان الشرّ يتولّد من الشر

ثانياً — لا تغازل النساء ، ولا تهجر المرأة التي اتحدتَ بها ، لان هجر النساء وتغييرهن يحدثان الفساد في العالم

ثالثاً — لا تحلف بشيء ولا تَعد بشيء ، لان الانسان بكليّته تحت سلطة الله ، والناس لا يجنحون الى الاقسام إلاّ مدفوعين اليها بالاعمال والنيات الشريرة

رابعاً — لا تقاوم الشرّ بالشر ، واحتمل الاهانة واعمل اكثر مما يطلب منك الناس . لا تحاكم أحداً ولا تدفع نفسك للمحاكمة . والانسان اذا مال الى الانتقام فانه يعلّم الناس ان يحذوا حذوه وينسجوا على منواله

خامساً — لا تفرّق بين مواطنيك والغرباء ، لان جميع الناس من مصدر واحد

وقد شحن الكونت تولستوي مؤلفاته بالنصائح والحكم الفلسفية وكلها على منتهى السذاجة ، وله الفضل على سائر الفلاسفة — كما قدمنا — بانهُ يعمل بما يعلّم واليك شيئاً من أقواله :

لا تعمّ المساواة في العالم ، ولا ينقطع الحسد من بين الناس ، ولا

تزول المنافسة وتفقد البغضاء ، الا اذا سعى كل بنفسه لتحصيل ما يقوم باوده . فيجب على كل واحد ان يُقبل على الشغل واعداد جميع لوازمه المعيشية بنفسه ، دون ان يعتمد فيها على غيره . فاننا لو نظرنا الى المصائب العديدة التي تحدث بين الناس ، لوجدنا ان أصلها الحاجة ، ومصدرها الفاقة . وأما الشرور والآثام والفجور والفساد فان مصدرها البطالة والراحة المتناهية واملاء البطون بالمآكل التي تقود الانسان الى الشهوات وارتكاب الموبقات

ان اقدس واجب على الانسان تفرضهُ عليه الانسانية الحقيقية هو سعيه الى ازالة عدم المساواة الموجودة بين الناس ، وبازالتها تزول المصائب والويلات وتتلاشى الشرور والشهوات ، وانّ آمن طريق يوصله الى ذلك هو العمل

قال تولستوي مخاطباً ابن المدُن المتنعم في رخاء العيش المتناهي في بذخ الحياة : قمْ واخرجْ من خدرك وطُفْ في المدينة ، وقفْ الى جانب اولئك الذين يطعمون الجياع ويكسون العراة ، ولا تخفْ . وانتظمْ في سلكهم وسرْ معهم كتفاً الى كتف ، واعمل بيديك الرخصتين الضعيفتين اول عمل تصادفه . ولا تأنف من فقير بائس ، بل ارفق به وألبسه واطعمه ، ثم اشتغل في الزراعة والاعمال الاخرى ، فلا شك في انك ترى نفسك أسعد حالاً مما كنت عليه ، وتجد انقلاباً في عواطفك يساعدك على السير في طريق العمل والطهارة

المرأة العصرية

... منشيء الزهور

... قرأت المقالة التي دبجتها حضرة الآنسة هدى كيورك ص ٣٣٠ من زهوركم . فرأيتهـا قد اصابت في معظم اقوالها كبد الحقيقة ولكنها اصابت في كل سطر من سطورها اخواتها و بنات جنسها بسهام حادة . اجادت في وصف السيدة او الفتاة التي تقتل الوقت بالزينة والتفنن بالازياء واهملت ذكر الفتيـات الكثيرات اللواتي يعملنَ بكل جدّ ونشاط للتحلي بحلى الفضائل . وليس هنا مقام ايراد ذكر من نبغ من بنات جنسنا بالرغم عما يحدق بنا من المصاعب والتقاليد المقيدة لنا . بل اقول لمن يرموننا بكل فرية : كم امرأة منا تضحي صحتها وتحرم نفسها من كل ملاهي هذه الحياة لتسهر على بيتهـا وتدبّر منزلها وتهذب اولادها وتبالغ في ارضاء زوجها . بل كم من فتاة تحيي ليلهـا بعد نهارها للعمل على سدّ عوز ذويها واعانة ابويهـا الشيخين . واذا هي تمكنت فوق ذلك من اتباع المودة فلمهارتها وتفننها . وما ادرى الناس بمهارة يدي المرأة ؟ فهي تلبس ثوبها وتغالي في النظافة عليه ، ولا تلبث ان تغيرزيه ومودته حسب الدارج حولها ، وتتفنن بذوقها المعروف بزركشته وتخريجه حتى يخاله الناظر جديداً في كل الفصول. وما قلته عن الثوب اقوله عن اثاث البيت . وليست هذه الفتاة التي وصفتها بالشيء النادر او القليل الوجود . فكم في البيوت المتوسطة من هذه النساء

أما اتهامنا بالنزوع عن تقاليـدنا الشرقية ولغتنا العربية الى التقاليد

الغربية واللغات الافرنجية ، فالذنب في ذلك على الرجال كما هو علينا . نظرة بسيطة الى الصالونات والمجتمعات تؤيد قولي هذا . فلابسة البرنيطة ، الناطقة بلغة ابناء السين او التاميز ، المقلدة للغربية في مشيتها وحركاتها هـذه هي المكرّمة ، أما سواها فامرها معلوم . ولما كانت المرأة — كالرجل — تحب ان تكرَم ، اصبح لها بعض العذر على ظهورها بهذه المظاهر

أما ما ذكرتهُ حضرة الكاتبة الاديبـة عن وجوب اقتدائنا بالرجال من حيث الترقي والتقدم . فاقول — ولا اخشى ان اجرح ابنـاء الجنس القوي ، فلكم حملوا علينا الحملات الشديدة — ان نهضتهم في ربوعنا الشرقية هي بنت امسها . فليمهلونا قدر ما امهلتهم الايام فيروا منا رقياً لا ينقص عن رقيهم . واذا هم لقبوا انفسهم بالجنس النشيط ، ألا يجب عليهم ان يقطعوا مئات الخطوات قبل ان نقطع العشرات نحن بنـات الجنس الضعيف ؟ فضلاً عمـا اثقلتنا به الاصطلاحات من العادات القديمة التي تكاد تسدّ سبل التقدم في وجهنا . فعلى الرجال اذا كانوا يرغبون حقيقةً في اصلاحنا ان يمدّوا لنا يد المساعـدة لنرافقهم في طريق الفلاح ولا نكون عبئاً ثقيلاً يؤخرهم في مسيرهم . والا فلا تتمبنّ « هدى » نفسها بالنصح فاننا كما قال الشاعر رحمهُ الله .

نحن صمٌّ عن الملام وعميٌ　　　عن سبيل الهدى فلا ترشدونا

وعلى كلٍّ فانا ابسط يدي من وراء البحار لمصافحة حضرة الآنسة التي فتحت هذا الباب على صفحات هذه المجلة عسى ان نستخرج من « الزهور » الدواء الشافي لامراضنا الاجتماعية　　　بيروت　　　ادما كيرلُّس



المرحوم نقولا نقاش

في ١٤ من الشهر الماضي افتتح مجلس المبعوثان العثماني فصل جلساته الثالث ، فرأينا ان نذكر شيئاً عن أحد المبعوثين عن ولاية سوريا في المجلس الاول الذي التأم سنة ١٨٧٨ . وهو المرحوم نقولا نقاش زميل المرحوم خليل غانم ، وسليل اسرة نقاش التي خدمت الآداب العربية أجلّ الخدم . فان في ذكر اعمال السلف تنشيطاً للخلف :

هو نقولا بن الياس بن ميخائيل نقــاش ولد في بيروت في اوائل سنة ١٨٢٥ . ولما بلغ الرابعة من عمره انكبَّ على تعلم مبادىء اللغتين العربية والسريانية حتى أتقنهما قراءة وخطاً مع العلوم الحسابية . ثم درس اللغة الايطالية حتىأصبح ينشىء بها كاربابها . وتخرج بعد ذلك على شقيقه المرحوم مارون نقاش الشهير وأخذ عنهُ مبادىء اللغة التركيــة وخلفهُ في باشكتابة بيروت وملحقاتها . وظل في هــذه الوظيفة بضع سنوات كان اثناءها يزاول العربية والتركية حتى برع فيهما فنظم القصائد الرنانة وكتب المقالات الشائقة

وفي غضون ذلك انشأ شقيقه مارون الملاعب العربية بتأليف اول روايات تمثيلية ظهرت في لغتنا وجاراه نقولا الشاب في هذا الفن فوضع روايات كثيرة اودعها الحكَم والفوائد (وسنعود الى كل ذلك في أعداد الزهور الآتية)

ثم تقلب في مناصب شتى لا محل لتفصيلها الآن فاظهر في جميعها من الاستقامة والبراعة ما اكسبه ثقة العموم كما اظهر ذلك في أعمال التجارة التي تعاطاها حتى كانت سنة ١٨٧٨ فانتخبه مواطنوه لينوب عنهم في مجلس المبعوثان الاول فقام بواجب النيابة حق القيــام . الى ان فضَّ هذا المجلس على ما هو معلوم فعاد الى مسقط رأسه وعيّن عضواً دائماً في محكمة التجارة ولم يلبث ان استقال منها وكان قد أحرز شهادة الحقوق من الطبقة الاولى وفتح مكتباً للمحاماة ظلَّ يشتغل فيهِ حتى انطفأ نور حياته في ٤ دسمبر سنة ١٨٩٤ وهو في السبعين من عمره

ولا يزال من اولاده حضرة النطاسي البارع الدكتور انطون نقاش وعزتلو القانوني الشهير جان بك نقاش الذي استأنف الاشتغال بالمحاماة بمكتب والده ، وحضرات الافاضل الافندية بطرس وايوب ونقولا

وقد ترك آثاراً ادبية وعلمية جليلة منها روايات وأشهرها الشيخ الجاهل ، وربيعة ، والموصي . وديوان شعر منسجم بليغ . وقد ترجم كتباً قانونية كثيرة وعلق شرحها وملاحظاته عليها منها قانون الاراضي ، وقانون الجزاء ، وقانون المحاكمات الحقوقية ، وقانون التجارة وذيله ، وقانون الابنية ، وقانون تشكيل المحاكم الخ . وله مقالات وخطب شائقة نشر معظمها في جريدة « المصباح » التي أنشأها سنة ١٨٨٩ فكانت في مقدمة الصحف العربيـة

وقد نال الرتبة الثانية والوسام المجيدي الثالث من الدولة العثمانية ووسام سان غرغوار من طبقة شفاليه . وفي سنة ١٨٦٩ زار سوريا سمو الغرندوق فردريك (الذي صار فيما بعد امبراطوراً لالمانيـا وهو والد الامبراطور غليوم الحالي) فامتدحه صاحب الترجمة بقصيدة عصماء فاهدى اليه دبوساً ثميناً مرصعاً بحجر كريم . واهدى اليه سمو الغرندوق نقولا شقيق قيصر روسيا خاتماً جميلاً في مثل هذه المناسبة

هذه هي بعض مآثر ذلك النائب الكريم احببنا ان نوردها اليوم بمناسبة التئام مجلس المبعوثان ، قياماً بواجب الذكر نحو الذين خدموا البلاد والعلم والادب بامانة واخلاص

في حدائق العرب

الوفاء والحب

جلس معاوية بنُ ابي سفيان يوماً في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتحَ الجوانب الاربعة ، وكان اليوم شديد الحرّ لا نسيم فيه . فاذا برجل يمشي وهو يتلظى من حرّ التراب ، ويحجل في مشيته حافياً . فتأمله معاوية وقال لجلسائه : هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت ؟ — فقال بعضهم : لعله يقصد امير المؤمنين — فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء ، لاعطينَّهُ واستجلبَ الاجر به ، او مظلوماً لانصرنَّه . يا غلام ، قِفْ بالباب ، فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعهُ من الدخول عليَّ . فخرج فوافاه . فقال : ما تريد ؟ — قال : امير المؤمنين — قال : ادخل . فدخل فسلم . فقال لهُ معاوية : ممن الرجل ؟ — قال من تميم . قال : فما الذي جاء بك في هذا الوقت ؟ — قال : جئتك مشتكياً ، وبك مستجيراً . — قال : ممن ؟ — قال : مروان بن الحكم عاملك . — قال : اذكر لي قصتك وأبِنْ عن أمرك . فقال :

« يا امير المؤمنين ، كانت لي زوجة وكنت لها محباً وبها كلفاً ، وكنت بها قرير العين طيب النفس . وكانت لي جذعة من الإبل استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي . فاصابتنا سنة اذهبت الخفَّ والحافر . فبقيتُ لا املك شيئاً . فلما قلّ ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي ، بقيتُ مهاناً ثقيلاً على الذي يألفني ، وأبعدني من كان يشتهي قربي ، وازورُ من لا

يُرَغب في زيارته . فلما علم ابوها ما بي من سوء الحال وشرّ المآل ، اخذها مني وجحدني وطردني واغلظ عليّ . فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجياً لنصرتي . فلما احضر اباها وسألهُ عن حالي ، قال : ما اعرفه قط . — فقلت : اصلح الله الامير ، ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها . ففعل ، و بعث خلفها . فلما حضرت بين يديه ، وقعت منه موقع الاعجاب ، فصار لي خصماً ، وعليّ منكراً ، وأظهر لي الغضب و بعث بي الى السجن ، فبقيت كانما خررت من السماء او استهوت بي الريح في مكان سحيق ، ثم قال لابيها : هل لك ان تزوجنيها على الف دينـار وعشرة آلاف درهم ، وأنا ضامن اخلاصها من هذا الاعرابي ؟ فرغب ابوها في البذل ، وأجابه الى ذلك . فلما كان من الغد بعث اليّ وأحضرني ، ونظر اليّ كالاسد الغضبان وقال : طلّق سعاد . — فقلت : لا . فسلط عليّ جماعة من غلمانه ، فاخذوني يعذبونني بانواع العـذاب ، فلم أجد بداً من طلاقهـا ، ففعلت فاعادني الى السجن ومكثتُ فيهِ الى ان انقضت عدتها فتزوجها وأطلقني . وقد اتيتك راجياً ، وبك مستجيراً ، واليك ملتجئاً ، وأنشد يقول :

في القلب مني غرامُ للنار فيـهِ استعـارُ
والجسم مرمي بسهم فيهِ الطبيب يحـارُ
وفي فؤادي جمرٌ والجمرُ فيـهِ شرارُ
والعين تهطل دمعاً فدمعهـــا مدرارُ
فليس الا بربي وبالامير انتصـارُ

ثم اضطرب واصطكت لهاته ، وصار مغشياً عليه وأخذ يتلوى كالحية

فلما سمع معاوية كلامه وانشاده ، قال : تعدى ابن الحكم في حدود الدين، وظلمَ واجترأ على حرم المسلمين . ثم دعا بدواة وقرطاس ، وكتب الى مروان بن الحكم كتاباً يقول فيه : انهُ قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين ، وينبغي لمن كان والياً ان يكفَّ بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته . ثم كتب كلاماً طويلاً منه :

وُلّيتَ أمراً عظيماً لستَ تُدركهُ　　فاستغفرِ الله من فعل امرىءٍ زانِ
إن انتَ خالفتني فيما كتبتُ به　　لأجعلنك لحماً بين عقبانِ
طلّقْ سعاداً وعجّلها مجهَّزةً　　مع الكميت ومع نصرِ بنِ ذبيانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه ، واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان ، وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما ، فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة ، فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما الكتاب اليه . فصار يقرأ ويبكي . ثم قام الى سعاد واعلمها بالامر . ولم يسعه مخالفة معاوية ، فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان، وجهزها وصحبتهما سعاد . ثم كتب الى معاوية كتاباً يقول فيه هذه الابيات :

لا تعجلنَّ امير المؤمنين فقد　　اوفى بنذرك في سرٍّ واعلانِ
وما اتيتُ حراماً حين اعجبني　　فكيف أُدعى باسم الخائن الزاني
اعذرْ فانك لو أبصرتها لجرَتْ　　فيكَ الاماني على تمثال انسانِ
فسوف تأتيك شمسٌ ليس يدركها　　عند الخليفة من أنسٍ ومن جانِ

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين ، فسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب فقرأه وقال : « لقد احسن في الطاعة واطنب في ذكر الجارية »

ثم أمر باحضارها ، فلما رآها رأى صورة حسناء لم يرَ احسن منها ، ولا مثلها في الظرف والجمال والقدّ والاعتدال . فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال : « عليَّ بالاعرابي » فجيء به وهو في غاية من تغير الحال . فقال : يا اعرابي ، هل لك عنها من سلوة ، واعوّضك عنها ثلاث جوارٍ نهد ابكار ، كأنهنّ الاقمار ، مع كل جارية الف دينار . وأقسم لك من بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك ؟

قال فلما سمع الاعرابي كلام معاوية ، شهق شهقةً ظن معاوية انه مات بها فقال له : ما بالك بشرّ بال وسوء حال ؟

فقال الاعرابي : استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فبمن استجير من جورك ؟ وأنشد يقول :

لا تجعلنّي فداكَ الله من ملكٍ　　كالمستجير من الرمضاء بالنارِ
أُردد سعاداً على حيران مكتئبٍ　　يمسي ويصبح في همٍّ وتذكارِ
اطلق وثاقي ولا تبخل عليَّ بها　　فإن فعلتَ فاني غير كفّارِ

ثم قال : والله يا امير المؤمنين ، لو اعطيتني الخلافة ما اخذتها دون سعاد . ثم انشد :

ابى القلب الا حبّ سعدى وبُغّضت　　عليَّ نساء ما لهنّ ذنوبُ

فقال معاوية : انك مقرّ بانك طلقتها ، ومروان مقرّ بانه طلقها ، ونحن نخيرها . فان اختارت سواك تزوجناها ، وان اختارتك حولناها اليك

قال : افعل — فقال : ما تقولين يا سعاد ؟ ايهم احب اليك : امير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره وسلطانه وامواله وما ابصرته عنده ؟ او

مروان بن الحكم في تعسفهِ وجوره ؟ او هذا الاعرابي في جوعه وفقره . . ؟
فأنشدت تقول :

هـذا وان كان في جوعٍ واضرارِ　　　أعزُّ عندي من قومي ومن جاري
وصاحبِ التاجِ او مروانَ عامله　　　وكلّ ذي درهم عنـدي ودينارِ

ثم قالت : والله يا امير المؤمنين ، ما انا بخازنتهِ لحادثات الزمان ، ولا لغدرات الايام ؛ ولكنّ له صحبةً قديمـة لا تنسى ، ومحبةً لا تبلى ؛ وانا احقُّ من يصبر معه في الضراء ، كما تنعمتُ في السراء

فتعجب معاوية من عقلها ومودتها ووفائها ، فدفع لها عشرة آلاف درهم ، ودفع مثلها للاعرابي ، فأخذها وانصرف　　　　الاتليدى

تاريخ المهاجرة

« واسبابها »

كثر ذكرُ المهاجرة في هذه الايام وافاض الكتاب الكلام فيما يتهدّد سوريا من الخراب من سفر ابنائها . فرأينا ان نورد هنا تاريخ هـذه المهاجرة الى اميركا مستندين في اقوالنا وتعليماتنا الى كتاب جميل افندي حلوه الذي تكلمنا عنه في الجزء الفائت ص ٤٠٨ ووعدنا بالرجوع اليه :

كان ذكرُ العـالم الجديد ، ولا يزال ، مقروناً بالخيرات والبركات ، ولكم صوّر في ادمغة الاوربيين والشرقيينَ جبالاً من الذهب تناطح السحائب ، وابارا تفيض من التبر سكائب ، حتى كادوا يظنون ان لا شيء يعوزهم هناك الا المجارف لتجميع ما فيها من مالٍ تليد وطارف . مع ان

الاحوال قد تغيرت في ايامنا . واميركا اليوم هي غير اميركا بالامس . ولكن تيار المهاجرة لا يزال يقذف اليها في كل سنة مئات الالوف من المهاجرين

وعهد مهاجرة السوريين قديم ، يرتقي الى اجدادهم الفينيقيين الذين رادوا البحار ، وحملوا تجارتهم الى اقصى الديار . أما مهاجرتهم الى اميركا فلم تبدأ الآ منذ نصف قرن تقريباً . وكان الباعث الاكبر عليها اختلال المجاري الاقتصادية في السلطنة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية التي جرت على مذهب « فرِّقْ تَسُدْ » فتأصلت روح التعصب بين الجماعات والشيع والطوائف حتى كادت توقع البلاد في حرب اهلية دائمة ، وتضعضع الامن ، وسادت الفوضى ، ودرس العلم ، وثقلت المعيشة . وما بشر الناس بخيرات اميركا حتى هرع الكثيرون الى البواخر تحملهم الى شواطىء العالم الجديد حيث افلتوا من عُقل التقاليد وانفكوا من قيود الفقر والمظالم ، وتنفسوا الصعداء لان حالة الفلاَّح العثماني كانت من اتعس الحالات

وكان القرويون اول من شدّ الرحال الى اصقاع اميركا . وكان إثراؤهم السريع وحشدهم المال الكثير في الوقت القليل محرّضاً كبيراً على اقبال اخوانهم على اللحاق بهم الى ارض الحرية والاخاء والمساواة والغنى . وقد فتحت حكومات اميركا باب المهاجرة لدخول المهاجرين لانها كانت في حاجة الى تعمير البلاد واستثمار الاراضي . وفتحت ايضاً الحكومة العثمانية الباب وسيعاً لخروجهم لان معظمهم كان من النصارى ، واهمة انها بنزوحهم تخلص من مشاكلها مع الدول الاوربية . على ان المسلم العثماني كان ومواطنه المسيحي سيّين في احتمال المظالم وتكبد المغارم . فلحق به الى

المهجر وهكذا لم تلبث المهاجرة التي بدأ بها النصارى ان شملت سائر الطوائف والملل من المسلمين والدروز والمتاولة فاقتعدوا غارب الرحيل الى العالم الجديد وكان تيارُها في بداية الامر موجهاً الى البرازيل وما قاربها قبل ان اتجه الى الولايات المتحدة

وصل المهاجرون الى بلاد سادت فيها الحرية ، واستتب الامن ، وتوفرت مصادر الارتزاق ، والكل فيها سواء ، برعاية النظام والقانون ، والاشتراك في ادارة شؤون البلاد . فنزلوا في ميدان الجهاد واقبلوا على العمل بنشاط واجتهاد . فاثروا شيئاً فشيئاً وتخلقوا باخلاق القوم الذين نزلوا بينهم وفتح الكثيرون منهم البيوت التجارية الكبيرة بعد ان كانت تجارتهم دائرة على « الكشة والجزدان » ومدّوا يدهم الى الصناعة والزراعة فاحرزوا نجاحاً يُذكر

ويقدَّر عددهم الآن بثلاثمائة الف في الولايات المتحدة وحدها وقد اسسوا ايضاً جوالي كثيرة في الجمهورية الفضية والبيرو والبرازيل والمكسيك وهايتي وسائر انحاء اميركا . واصبحت لهم بين القوم منزلة سامية ، وقد اجاد حافظ ابرهيم وابدع في وصف المهاجر السوري اذ قال :

يمضي ولا حليةَ الا عزيمتُه　　وينثني وحلاه المجد والذهبُ
يكرُّ صرفُ الليالي عنهُ منقلباً　　وعزمه ليس يدري كيف ينقلبُ
بارض « كولمبَ » أبطال غطارفة　　أُسدٌ جياعٌ اذا ما ووثبوا وثبوا
اسطولهم املٌ في البحر مرتحلٌ　　وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ
ما عابهم انهم في الارض قد نثروا　　فالشهب منثورة مذ كانت الشهبُ

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا   الى المجرّةِ ركباً صاعداً ركبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت   أمُّ اللغات بذاك السعي تكتسبُ

وبالحقيقة فقد نشر المهاجرون لواء اللغة العربية في أقصى انحاء المعمور وأصبحت جرائدهم ومجلاتهم في اميركا تعدّ بالعشرات . وصحافتهم من أرقى الصحف العربية منها جرائد يومية تصدر بحجم أكبر جرائدنا اليومية وهي مشحونة بغرر المقالات ودرر الاشعار (وسنعود الى كل ذلك في ابحاثٍ آتية عن النهضة الادبية في اميركا)

***

هذا جلُّ ما يقال عن تاريخ المهاجرة واسبابها وحالة المهاجرين . وأمامنا الآن نقطتان : اولاً ، ايقاف تيار المهاجرة الذي كاد يفرغ البلاد من سكانها . وثانياً ، الاهتمام بالذين هاجروا وحفظ روابطهم بوطنهم . وكلا الامرين جدير بالبحث وامعان النظر

كتب الكثيرون من الادباء عن الطرق الواجب اتخاذها لاقفال باب المهاجرة . ولكن النقطة الجوهرية راجعة الى امرين ، مادي وادبي . اي تسهيل الحكومة للاهالي تأسيس المشروعات الاقتصادية والاعمال العمومية بل مباشرتها بنفسها ، وانشاء سبل المواصلات واستثمار ثروة البلاد حتى يجد الناس مرتزقاً ، وضبط الامن واقامة العدل ونشر المساواة التامة دون محاباة . فان ذلك لا يمنع الناس فقط عن المهاجرة بل يعيد الى الاوطان العدد الاكبر من الذين نزحوا عنها . فينفعون بلادهم بما اكتسبوا في الخارج من الخبرة والمعارف والثروة

وقد أحسن صاحب الكتاب الذي أشرنا اليهِ في صدر الكلام اذ قال : « المهاجرة هي امتن ذريعة تتذرَّع بها الامة لدى اولي الاحكام ، تنفيذاً لبغيتها من الاصلاح والنظام وهي كمقاطعة البضائع بين الدول حرب سياسية اقتصادية لا بدّ لها أخيراً من الفوز والغلبة »

اما النقطة الثانيـة فهي الاهتمام بالمهاجرين في مهجرهم وهم يبلغون مئات الالوف كما قدمنا وفيهم التاجر والمالي والطبيب والمحامي والصانع والمزارع والمؤلف والمخترع . فهم اذن قوة استعمارية عظيمة بالمعارف والعلوم والفنون والمال ونشر النفوذ ويحق لدولتهم ان تفاخر بهم ويجب عليها ان تحتفظ بهم فتحكم علائقها بهم ولو بعدت الديار وشط المزار ، وذلك بالالتفات اليهم وتعيين قناصل ووكلاء سياسيين ينظرون في احوالهم ويوثقون رابطتهم القومية وجامعتهم الوطنيـة ، ويذودون عن حقوقهم ومرافقهم . فلا يكونون عرضة للاهانة وطعمة لكل من تحدثه النفس بالتهجم عليهم . وليس كل ما قدمنا بالامر العسير على الحكومة الراقية التي تفهم واجباتها نحو امتها

بين جدران السجون

وكادت الغزالة تتوارى وراء حجاب الافق فقفلنا معها عائدين من سراي الحكومة اذ استوقفنا عند الباب الغربي طرق مطرقة رددت صدى ضرباتها المتتابعة جدران ذلك المكان

في الشبيبة ، مهما تكاملت صفاتها ، روح دفعتنا الى سؤال احد

الجنود الخفراء عن مصدر هذا الصوت ، فاجاب : من سجن المغاور . وكان هنالك قوة دافعة ايقظت فينا الميل الى الاطلاع على ما يجري في تلك القصور السفلية ! فسرنا الى حيث انبعث الصوت . وزادنا ميلاً اعتراض احد انفار الخفارة لنا بقوله بلهجة عسكرية مألوفة « يا سق » ، فانتظرنا

ولم يطل انتظارنا ، حتى فتح باب قصير ، خرج منه احد ضباط الجندرمة ، يصحبهُ كهل حامل على منكبه مطرقة ثقيلة . وفي يده بعض الادوات الحديدية ، وتلاها عدد من أنفار الجندرمة لا يتجاوز العشرة

اقتربنا من الضابط وسألناه زيارة السجن فاجاب بنصح :

— سرحوا أبصاركم في الاماكن المبهجة ، وابتعدوا عن هذه الديار فهي مفعمة شقاء

ولكن لما أظهرت له ميلي الى درس احوال سكانه . اطرق هنيهة ، وأشار الى احد انفاره باستئذان المدير الاعلى

وكان النهار قد مال الى الزوال ، فعاد الرسول معلناً غياب المدير ففكر صاحبنا برهة وقال : هيوا بنا !

ولجنا الباب الذي كان لم يزل مفتوحاً ودخلنا الى نفق مظلم يبلغ طوله العشرة امتار تفصله عن مدخله شبكة خشبية ضخمة يشرف على فناء دار عالية والى جانبيه وحول جدران الدار ابواب صغيرة ملاصقه الحضيض يُنزل منها الى المغاور التي يقطنها المسجونون والتي اتخذ منها هذا المدفن اسمه الشريف

الى احـد جدران النفق كان فتى في ريعان الشباب مطرق الرأس كأنه في واد عميق من التفكر . والى يمينه قيد كبَّل يده برجله

انتبه الفتى من غفلته عنـد دخولنا فحول نظره الينا ثم الى الارض وخطا خطوة ليتوارى عن ابصارنا . ولكن خطوته هذه حركت السلسلة الرابطة رجله بيده . فأحدثت حركته صليلاً اهتزت له ابداننا . وذكر صاحبنا بحالته المحزنة . فاستند مرة ثانية الى الجدار واطرق مفكراً

لو اتيح لنظرنا ان يخترق ستر الظلام . لرأى حمرة صبغت وجنتيه . ودمعتين تجولان في عينيه . هاتان العينان اللتان لم تخشيا الاهوال نكصتا امام اعيننا . تانك الوجنتان اللتان شاهدتا الموت صافحاً بكفه محيا فريسته احمرتا خجلاً منا . تلك اليد التي هزَّت الخنجر بجراءة لارتكاب الجريمة ارتجفت عند موقفنا

للمرء مهما تقلب على بساط الجرائم وتمرَّغ في حمأة الفحشاء . ساعة نور وضياء . ساعة تختلي فيها الروح بمناجاة المادة في معزل عن الكائنات . ساعة ينظر بها الانسان الى اعماله فيلمنها . ويحكم بنفسه على نفسه

هاتوا لي طبيباً ماهراً ، دعوه يعالج هذه النفس الشقية ، لينزع عنها جراثيم الوباء ! ليضمد جراحها ويصب عليها بلسماً يبرد النار التي تأكلها ، وانا الضمين لكم بان تعود الى النفس حياتها . نعم . في الفتى نفس حية . كانت تصلح لان تكون من اكبر النفوس . لو سعى احد لتقويم اميالها . ولكن مسكينة هي . خانها حظها . فسقطت على معبر الطريق . وداستها الارجل فدنستها . دون ان تلق من يلتقطها ويعتني بشأنها . ولادتها

كانت سبب تعاستها . فعاشت حقيرة . وقد دفعتها الحاجة الى الرذيلة . فهوت لضعفها . وما سقطتها الا نتيجة نظام سُن لحياتها . فشبت بين الجرائم . وستموت اثيمة . دون ان يكون الذنب كل الذنب عليها

هذه النفس خلقت لتكون عضواً عاملاً في المجتمع الانساني فرذلها حتى اصبحت عبئاً عليه . ثم بترها بدل معالجتها فانسلخت عنه وفي قلبها نار . وفي جوفها علقم مما حل بها

امام هذا المنظر الرهيب . تحركت فيَّ عاطفة الشفقة على هذا المسكين عدت الى نفسي . فوجدتها قاصرة عن اغاثته . فقلت لمن معي : كفانا ما شاهدنا فعودوا بنا

ولما تحولنا عنه تقدم منا الضابط الذي كان دليلنا في رحلتنا وقال :

— عندي من يستحق التفاتكم . وهو اللبناني قاتل ابن الخياط . وجارح الايطالي في السجن منذ اسبوعين . فان احببتم فسأدعوه اليكم . ثم نادى : يا ابا فارس ! هوذا من يريد ان يراك . فاصعد من سجنك

فاجابه صوت كأنه آت من وراء القبر قائلاً : « ها انا ذا » . وتلاه صليل سلاسل رددته اعماق تلك الحفرة . ثم وقع اقدام ثقيلة وظهر امامنا رجل في الاربعين من عمره . طويل القامة عريض الكتفين اسود اللحية كثيفها . وعيناه تقدحان في ظلام ذلك المكان شرراً وهو لابس سروالاً ورداءً من الجوخ الاسود وعلى رأسه طربوش لف حوله منديل جيبه .

نظر الرجل الينا ثم حيانا وقال : ما تطلبون مني ؟

— زرنا هذا المكان ولما علمنا بوجودك قصدنا مشاهدتك في وحدتك

— اشكركم على هـذه المنة . . . هي المرة الاولى التي زارني بها احد مدة التسع السنين التي صرفتها في سجني

وسألناه عن حاله فقال متنهداً : في التعاسة والشقاء . بين القتلة والمجرمين كما ترون . لقد قاسيت الاهوال وذقت أمر الشدائد . والى جنبي سلسلتي الثقيـلة . لم يكن لي مؤنس في وحشتي سوى كتاب ارسله لي حضرة قنصل اميركا منـذ شهور لما بلغه امري . وعلم اني صرفت ثلاث سنين في اميركا

— ولماذا تركت اميركا واتيت الى هنا ؟

— انا لبناني الاصل ، ولدت من احدى الاسر المعروفة في قرية . . وقد قضيت سني حداثتي في المنزل الوالدي ثم ارسلني أبي الى المدرسة . حيث تلقيت العربية والافرنسية والانكليزية . ولما شببتُ سرت الى اميركا قصد المتجر . ولكن لم يكتب لي فيها التوفيق فعدت منها — ويا ليتني لم اعد — بعد ثلاث سنين الى مسقط رأسي . ومنهـا الى هذه المدينة حيث لاقيت ما لاقيت

— ما هي قرابتك بالكاتب اللبناني المعروف . . . ؟

— هو ابن عم ابي

— انت كريم الاصل . حسن التربية . فما الذي دفعك الى ارتكاب الجريـمة ؟

— فتش عن المرأة . قال ذلك بالافرنسية وسكت . فنظرت اليـه واشارات الاسف تلوح على وجهه وسكتُ ايضاً . خواطر مظلمة مرّت

على مخيلتي . وامور شتى تواردت على بالي . الكلمات التي قالها بطل اوستراليتز وفاغرام سجين القديسة هيلانة قطعت مسافة قرن من الزمان . وطرقت مسمعي من فم سجين المغاور احد ضحايا المرأة

تلك المخلوقة اللطيفة موضوع خيالي . من تسجد امامها روحي وتحرق على مذبحها بخور آماني وآمالي . تلك التي اعترفت ان سعادة المرء منهـا . مثلت امامي كشبح شقاء الجنس البشري وسبب تعاسته . شعرت بسلسلة آثام وجرائم . اولها اغواء حواء . وآخرها غواية المسكين المنتصب امامي .

الرجل . وما صار اليه من المدنية في القرن العشرين . هـذا المخلوق الذي يزاحم باعمـاله الالوهية . ويدرس سر الخلود . هذا الكائن مخضع الارواح والعامل ما وراء الوجود . تصورته اسير جسم نحيف وقدٍّ نحيل ، بل العوبة بين القلب والعين . بل فريسة نظرة وميل

ولم يكن الا لمحة بصر . حتى مرت امام ناظري صور جديدة

امام النجاح الباهر في التقـدم والعمران . وعلى اثر الانقلاب العظيم في البشرية والاكوان تذكرت كم لتلك اليد اللطيفة من التأثير في العمل وكم شدَّدت من عزائم واحيت من أمل ؟ ، كم دفعت الى الامام . مسهلة الامور . وكم رفعت من خافض محركةً فيه الشعور ؟ تذكرت — وما احلى ذكرى لحاظ العيون السود . وسحر ورد الخدود . ولواعج قلب يخفق تحت رمان النهود — وقلت في نفسي : لله أي تربية المرأة هـذا السرّ المكنون والكنز المدفون

ثم انتبهت الى الواقف امامي وقلت : هذا ما كان من الجريمة الاولى

فما الذي دفعك الى الثانية . وكيف اتيتها وانت على ما أنت ؟

فاجاب وقد قدحت عيناه ناراً : رجل اهان شرفي فانتقمت منه

عدت خطوة الى الوراء ونظرت الى هذا الرجل العجيب فوجدت سيماء الابهة والعظمة تلوح على محياه كأنه اتى امراً تحمد عقباه . تأملته وقد دفعه نزقه وطيشه الى عمل فظيع . فقتل عمداً شاباً في ربيع العمر توهم انه حط من كرامته ثم استأنف قائلاً :

— حكم عليّ بالاعدام لارتكابي الجريمة الاولى . وقد استبدلت محكمة التمييز هذا الحكم بالسجن المؤبد . على ان الدستور حمل اليَّ عفواً خفض مدة سجني الى الخمس عشرة سنة . صرفت منها تسعاً في السجن . وبقي منها ست سأقضيها وانطلق من هذه البلاد الى حيث استطيع الانتقام من الحكومة والانسانية بنشر ما لاقيت في سجني من الحيف والظلم

ما أشقى ما فطر عليه البشر ! جريمتان تهتز لهما الابدان . ارتكبهما هذا الشقي بخلق هامد . ودم بارد . دون ان يحرك قلبه الجلمودي عامل ندامة او شفقة . وهو يعلل النفس بالخلاص . وينتظر ساعة يستطيع بها الانتقام من العدل والقانون . فما اتعس قلب الانسان ؟ رحمةً طلبت في قلبي لهذا التعس لا عدلاً . وسلاماً تمنيت له لا انتقاماً . فما العدل والانتقام مما يغير فطرة غرستها فيه الطبيعة ورضي بها الاه . وعدنا باعطائه بعض ما يخفف به من تعاسته . فعمدت الى قول الريحاني وقصدت ان يشترك القلب واللسان مع اليمين في الاحسان . فدنوت منه وقلت :

— اخي ! ليس ما لاقيته من الحكومة الا قصاصاً عادلاً عما جنته

يداك . فتذكر ان جهالتك افقدت رجلاً مثلك حقه في الحيـاة وسلبته نصيبه من الدنيا . جريمتك عظيمة فاعمل على اصلاح مستقبلك ليكون كفارة عما جنيت

ثم جمعنا شيئاً من الدراهم واردنا ان ننقده اياها . فأبى وقال : لا حاجة بي الى ذلك . ولا ارغب الا في احسان القلب الى القلب فعدوني بالعودة اليَّ من حين الى حين ليشرق نور الامل في جو نفسي ويقشع عن صدري غياهب اليأس والقنوط

فوعدنا وخرجنا وقد تمثل امام اعيننا تقصير الانسان في واجبه نحو اخوانه . فكم من النفوس تذهب ضحية الجهل لانها لم تجد من يهذّب اخلاقها ويقوّم طباعها وهي انما تنتقم من الانسانية لان الانسانية اهملتها

حلب　　**يوسف نوفل**

ازهار واشواك

بين « الرصافة » والجسر

أتردد كثيراً الى مكتب ادارة « الزهور » لاطالع الصحف والمجلات العربية الواردة من كل الانحاء . فان لي شغفاً في استطلاع انباء ادباء العرب

وقد تصفحت في زورتي الاخيرة جرائد بغداد ، فرأيتها صاخبة ناقمة ، وفيها الردود الطويلة العريضة على مقالة كتبها اديب بغدادي في « الزهور » عن النهضة الادبية في العراق . قال ذاك الكاتب ان الصحف

هناك لا يزال بينها وبين الكمال مراحل شاسعة . فرأت تلك الصحف ان توسعهُ شتماً وسباباً لتدمغهُ بالحجة وتبرهن على رقيها وقربها من الكمال . وما كان أغناها عن ذلك البرهان ؛ ان صحافة مصر واميركا العربية أرقى من صحافة العراق وصحافة الافرنج أرقى من هذه وتلك ومع ذلك فان الكتّاب هنا وهناك لا يزالون يرمون الصحف بالتقصير دون ان يخطر على بال صحافي ان يفرغ جام غضبه على المنتقد . لان الجميع يفهمون ان مهمة الصحافة كبيرة فالمطلوب منها كثير . ولكن الظاهر ان في العراق فريقاً من محرري الصحف ومنهم كتّاب « الرصافة » سريعي الغضب قريبي التهيج وما عهد حملتهم على جميل الزهاوي ببعيد . ومن الامور التي لا أجد لها وصفاً ولا نعتاً ان أحد هؤلاء الصحافيين أغار على رواية «ابطال الحرية» تأليف منشيء هذه المجلة فطبعها وتاجر بها بين قومه — تجارة رابحة ان شاء الله..! ولكني أشكو هذه السرقة الشنعاء الى زميلي «الرقيب» اليقظ الذي يكتب في « الاخاء » تحت عنوان « الجرائم الادبية »

فليقل لي اذا كان يحق لمثل هؤلاء الصحافيين ان يغضبوا اذا قال قائل ان صحافتهم لا تزال في أدنى درجة من سلم الترقي ؟

ألا حيَّا اللهُ ربوعَ بغداد ، وجادتها مزنُ العلم لتعودَ الى ما كانت عليه من ازدهار المعارف والعمران على عهد الخلفاء ، وإنَّ ذلك لقريب بفضلِ اصحاب النهضة الحقيقية لا بفضلِ المدَّعين ، وإنَّ كلَّ اديبٍ عربي يتوقعُ هذه الأمنية كأنَّ

عيون المها بين الرصافةِ والجسرِ جلبنَ الهوى من حيث يدري ولا يدري

حول الازياء ايضاً

كان لما كتبتهُ عن مودة « المقيدات » في العدد الماضي وقع كبير بين قرّائي وقارئاتي . فاستحسنه القراء ، وتلوه في الاندية والمجتمعات وعلى مسمع من بنـاتهم ونسائهم . واختلف رأي القارئات فيـه ، فمنهنَّ من استصوبنَ مقالي وعدلنَ عن هـذا الزيّ الغريب القبيح فحللنَ قيود اثوابهنَّ ، ومنهنَّ من أبرقنَ وأرعدنَ عليَّ وسدّدنَ سهام العتـاب اليَّ لتعرضي لهذا الموضوع الحرج . وما كنت لاعود اليه اليوم لولا القصيدة التي جاءتني بواسطة منشيء المجلة من صاحب التوقيع . فها هي بنصهـا وعلى السيدات المقيدات ان يعرضنَ عنها :

لم تشفِ من داءِ الغرام عليلا ... صباً يردّد أنةً وعويلا
يهوى محاسنها ويرجو قربهـا ... فيرى حساماً دونهـا مسلولا
نبتُ الطبيعة بالبساطة لا كما ... شاء المشدُّ نحافةً ونحولا
يا حسنهـا أيامَ ارخت مرسلاً ... من شعرها لا يعرف التجديلا
ونضت نقاب الحسن عن وجناتها ... فكأنهـا شمس الغروب اصيلا
وثنت قواماً كالقضيب ليانةً ... يهتز ان هبَّ النسيم بليلا
وقفت وقوف الريم يرمي لحظها ... نبلاً فيصمي عروةً وجميـلا
تلك التي بجمالها وجلالها ... وكمالها تدع الذليل جليلا
وتهزُّ باليمنى سرير رضيعها ... وبكفها اليسرى تجرُّ قبيلا
قم بي اريك الآن كيف تغيرت ... تلك العهودُ وبدّلت تبديلا
وتشوهت تلك الخدود واصبحت ... تلك النهودُ بمـا حشين تلولا
قد ضيقت خصراً يذوب وعرضت ... كفلاً بتنفير النفوس كفيلا
صقلت عوارضهـا فلا والله ما ... حدُّ المهند مثلهـا مصقولا

من ابيض يققٍ واصفرَ كالحٍ ... أو احمر لا يعرف التحليلا
وتتوجت بغمامة أو روضةٍ ... حتى الحمام غدا بهـا اكليلا
فاعجب لها يا صاحبي اذ صيرت ... تاج الرؤوس غمائمًا وبقولا
وتفننت في لبسهـا وأتت لنا ... ما لم يكن بحسابنا معقولا
ومشت مقيدة الخطى فكأنمـا ... « ركب الكميُّ جواده مشكولا »
وتثاقلت في خطوها تطأ الثرى ... « فكأنهـا آسٍ يجسّ عليلا »
وتكاد تسقط إن رنت واذامشت ... شمتَ الاسيرَ مصفَّداً مغلولا
كيف الخلاص وقد أحلت نفسها ... في عقدة تدع العزيز ذليلا
ثمن الثياب غلا فانت لذا ترى ... دينارَ قلب عقيلهـا مبذولا
واذا تباخل كان ذلك ذنبهـا ... فلأجلهـا صار الكريم بخيلا
هيهـات إصلاحًا ترجي بعدها ... يا شرق قد عاد الصعود نزولا

الاسكندرية ... خليل شيبوب

انا لم أورد هـذه القصيدة لاستحساني لها فقط ، بل لاحوّل الى صاحبهـا بعض ما اصابني من غضب سيداتي المقيدات اللواتي يشبهنَ الفارس وقد ركب « جواده مشكولا »

في كرمة ابن هاني

في « كرمة ابن هاني » ، في مهبط الشعر وكعبة الادباء ، في منزل شوقي بالمطرية ، بين متلألىء الانوار ، ومفتّح الازهار ، على رنات العود والقانون ، ونغمات المنشدين المطربين ، تحت الخمائل الجميلة ، والسرادقات الفخيمة ، التقت جماعة من الوجهاء والادباء مساء الخميس الماضي ، ابتهاجًا بعودة سمو امير مصر الى عاصمته

فالتفت الحلقات حول وزيرٍ جليل ، او شاعر اديب ، او منشد مبدع ؛ والمضيف الكريم يتنقل بين هـذه الحلقات ، فكانت ليلة سمرٍ وانس وسماع فريدة ، والزمان بمثلهـا ضنين . وفي الحديقة الغناء مدَّتِ الموائد المثقلة بالوان الطعام وانواع الشراب. وكانت فترة انشد خلالها احد المنشدين بحضور رئيس النظار غزلية شوقي « مضناك جفاه مرقده » (وهي الابيات التي نشرتها« الزهور » ص ٢١٣ وعارضها كبار شعرائنا) وقد زاد عليها الشاعر ابياتاً كثيرة ، منها في الغزل

الحسن حلفتُ « بيوسفه » و « السورة » انك مفرده
بيني في الحبِّ وبينك ما لا يقـدرُ واشٍ يفسدهُ
ما بالُ العاذلِ يفتح لي باب السلوان واوصدهُ
ويقولُ تكاد تجنّ به فاقولُ وأوشكُ أعبدهُ . . .
قسماً بثنـايا لؤلؤها قسمَ اليـاقوت منضدهُ
ورضابٍ يوعدُ كوثرَهُ مقتولُ العشق ومشهـده
وبخالٍ كاد يُحجُّ له لو كان يقبّلُ اسودُهُ
وقوامٍ يروي الغصنُ له نسباً والرمحُ يفنّدهُ
ما خنتُ هواك ولا خطرت سلوى بالقلب تبرّدُهُ

ومن الابيات التي يمدح بها الامير

يا سيف الدولة عش ابداً للعصر يهزُّك « احمدُهُ »
ما كانَ الله مجرده لا يقدرُ خلقٌ يغمدُهُ
سَعدتْ بقدومك مصر ضحى وتلاقى الاوجُ وفرقده

ثم ختمها بنشيد وطني منه

يا مصرُ سماؤك جوهرةٌ وثراك بحـارٌ عسجده

والنيل حيــاةٌ دافقةٌ　　ونعيمٌ عذبٌ موردُهُ
والملك سعيدٌ حاضرهُ　　لك في الدنيــا حرٌّ غدُهُ
والعصرُ اليكِ تقرُّبهُ　　والى حاميك تَودُّدهُ
والشرق رقيُّك مظهره　　وحضارة جيلك سؤددهُ
لسريرك بين أسرَّتهِ　　اعلى التـاريخ وامجدُهُ
بعلوّ الهمة نرجعهُ　　وبنشر العلم نجددهُ

وبعد ان انقضى هزيعٌ من الليل اخذ القطار يقلُّ المدعوين افواجاً عائداً بهم الى مصر　　　　ماصر

من كل حديقة زهرة

* سيتم عن قريب بنـاء دار البلدية في نيويرك وعلوها ٧٠ مترًا وعمق اساسها ٤٤ ، وقد كلفت ٥٠ مليون فرنك

* الرأي في اصل الاثمار التي نأكلها مختلف . على ان المعروف ان أصل المشمش من الصين ، والفريز (الفراولة) من ولاية فرجينيا في اميركا ، واصل البرتقال من الصين ايضاً ، والليمون الحامض من الهند ، والتين من سوريا ، واللوز من التركستان ، والجوز من الهند ، والسفرجل من القفقاس ، والاجاص (الكومترى) من ارمينيا ، والعنب من كل مكان ، والتفاح من جنة عدن حيث اغوت حواء آدم بتفاحة

* كان القاضي في احدى محاكم النمسا يسأل في الشهر الماضي متهماً عما اذا كان له اخوة . فاجاب ان له اخاً توفي منذ ١٤٠ سنة . فدهش القاضي . فقال المتهم : تزوج ابي وله من العمر ١٩ سنة فرزق ولداً عاش

بضعة ايام ومات ، ثم تزوج والدي بعد ذلك بخمسين سنة فولدت انا ولي من العمر الآن ٨٥ سنة . وعليه فقد توفي اخوه منذ قرن ونصف تقريباً

* كسدت تجارة الكتب في كندا فعمد احد الكتبيين الى طريقة مبتكرة للاعلان ، فبدلاً من ان يملأ واجهة مكتبته بالكتب نصب سريرًا تمدّد فيه فتاة جميلة وبيدها كتاب تطالعه . فكان الناس يتجمهرون امام المكتبة وبالطبع يشترون الكتاب ... نصيحة نقدمها للكتبيين عندنا

* عادة من يجلسون في القهوات ان ينقدوا الخادم حلوانًا او بخشيشاً وقد احصى احدهم المبالغ التي تنفق من هذا الباب في باريس وحدها فاذا هي ٢٨٠,٠٠٠ فرنك كل يوم او ٨ ملايين و ٤٠٠,٠٠٠ فرنك في الشهر . ولمجموع فرنسا في السنة ٤٧٣ مليونًا . فكم يا ترى ننفق على الجرسونات في مصر من الملايين المؤلفة من القرش التعريفي ونحن اكثر الناس قعودًا في القهوات ؟

* اكبر كتاب واصغر كتاب موجودان في المتحف البريطاني في لندرا ؛ والاول يبحث في جغرافية المانيا القديمة ، أُهدي الى تشارلس الثاني سنة ١٦٦٠ وهو مجلّد بالنحاس ووزنه ٣٠٠ كيلو. اما الكتاب الثاني فلا يتجاوز حجمه ظفر الاصبع وهو نسخة من الانجيل رسمها احد المصورين في اوائل القرن السابع عشر

* في الهند الانكليزية في قبيلة ظارو تقوم المرأة باعمال الرجل والرجل باعمال المرأة : فهي تطلبه للزواج وتشتغل لتسدّ حاجات المنزل وهو يبقى في البيت ويهتم بالاولاد

* وفي آسيا عند قبيلة اكواكا المتوحشة يحرق الولد جسد والديه بعد موتهما ويسحق عظامهما ويسفّ الرماد حتى يمتزجا بجسمه وهكذا يفعلون بالاحباب والاصدقاء

* اكثر الشعوب استعمالاً للتلفون الاميركان وعندهم ٦٦٠٠٠٠٠ آلة تليفونية ويليهم الالمان وعندهم ٨٦٠٠٠٠ تلفون ثم الانكليز ٥٩٠٠٠٠ والفرنسويون ١٩٧٠٠٠ والاسوجيون ١٦٧٠٠٠ . ولكل الف نفس في الولايات الولايات المتحدة ٨٢ تلفوناً وفي اسوج ٣١ وفي المانيا ١٤ وفي انكلترا ١٣ وفي فرنسا ٥

* لم يبدأ استثمار مناجم الفحم الاّ في اوائل القرن الرابع عشر

* يظهر ان الحيات لا تحب الثوم ، فان الوطنيين في بلاد افريقيا حيث تكثر هذه الزحافات يدهنون جسمهم بعصير الثوم فتهرب الحيات من رائحته . وهكذا يأمن الاهالي لدغاتها السامة

حديقة الاخبار

* عرفت مصر حضرة ادوار افندي مرقص كاتباً مدققاً وشاعراً بليغاً واشترك في وادي النيل في تحرير صحف كثيرة . وقد عاد الآن الى وطنه اللاذقية حيث اصدر جريدة « المنتخب » واخذ يودعها من نفثاته كل ما يلذّ ويفيد . ولا شك في ان يكون لهذه الصحيفة مستقبل حسن فتخدم البلاد والامة خير خدمة

* كان امين افندي الغريّب من اكبر خدَمة الآداب العربية في بلاد اميركا وكانت جريدته « المهاجر » من ارقى صحف العرب على الاطلاق . ولما أعلن الدستور في البلاد العثمانية عاد الى بيروت وتولى رئاسة تحرير « النصير » مدةً فاظهر إخلاصاً وبراعةً في معالجة الابحاث الوطنية . ثمَّ رأى ان يؤسس صحيفةً جديدة فانشأ جريدة « الحارس » وقد جاءتنا اعدادها الاولى طافحة بالفوائد والاخبار واللطائف الادبية فكانت برهاناً جديداً على علو كعب الامين في عالم الادب .

* جريدة « الاتحاد المصري » من اقدم الصحف المصرية ، مضى عليها ثلاثون سنة وهي عاملة على خدمة الوطن ونشر الآداب والمبادىء الطيبة ، ويعزُّ على محبي النهضة الادبية ان يروا هذه الصحيفة اليوم لابسة ثوب السواد حداداً على فقد صاحبها ومؤسسها المأسوف عليه روفائيل مشاقه . وافاه اجله في ٦ نوفمبر الماضي وهو في الخامسة والخمسين من عمره قضى معظمها في خدمة الصحافة . فمنذ سنة ١٨٨٠ دخل في جريدة « الاجبت » الفرنسوية ثمَّ انشأ جريدة « لونيون ايجبسيين » باللغة الفرنسوية ايضاً وما لبث ان حوّلها الى جريدة عربية هي جريدة « الاتحاد المصري » المعروفة . فاذا نحن اسفنا على فقد هذا الصحافي القديم فاننا نرجو لجريدته دوام الانتشار والازدهار بهمة نجله الاديب ادجار افندي مشاقه وعناية محررها الكاتب البليغ نجيب افندي غرغور

* في مصر نهضة شريفة — ومصر مهد النهضات الشريفة في الشرق — ترمي الى تحسين حالة المرأة والنظر في ترقيتها . وآخر مظاهر

هذه النهضة كان صدور جريدة « العفاف » التي انشأها حضرة الفاضل سليمان افندي مهران السليمي للدفاع عن حقوق المرأة وقد جعل شعارها « العفاف تاج المرأة فان زال دال ملكها » وسبك احد محرري الجريدة الاديب الشيخ محمود رمزي نظيم هذه الآية في ابيات قال في ختامها :

ان الفتاةَ مَلَكٌ　　كلُّ نعيمٍ ملكُها
ربّانةُ الكونِ التي　　في السعدِ يجري فلكها
وتاجها « عفافها »　　ان زال دال ملكها

ومتى عرفتَ ان للسيدة الفاضلة مدام بستاني مؤسسة « نادي الابرة » يداً في ادارة « العفاف » ايقنتَ ان مستقبل هذه الجريدة سيكون زاهراً

* المكتبة العمومية في بيروت لصاحبها الاديب النشيط سليم افندي ابرهيم صادر من اشهر واقدم مكتبات الشرق والمطبعة العلمية الملحقة بها بادارة حضرة الفاضل الهمام يوسف افندي صادر من اكثر المطابع خدمةً للمعارف وقد طالما عملت هذه وتلك على اتحاف عالم الادب بخير المصنفات وانفس الكتب . وآخر اثرٍ ظهر منهما كان « الانيس » وهو اسم مجلة روائية تشتمل على سلسلة روايات اخلاقية تاريخية ادبية معرّبة باسلوب جميل عن اشهر مؤلفي الغرب وستصدر مرتين في الشهر بنحو ١٠٠ صفحة كلَّ مرة واشتراكها في البلاد العثمانية ٣٥ غرشاً صاغاً وفي الخارج ٩ فرنكات



الجزء الحادى عشر　　اول يناير (ك ٢) ١٩١١　　السنة الاولى

بين الاعياد

كان الشهر المنصرم شهر أفراح واعياد — عيد الاضحى الاسلامي فعيد الميلاد المسيحي — فتبادل الناس التهاني ، وتزاور الاخوان والاصدقاء معيدين ، وانقطع الجميع عن اعمال الحياة ومشاغلها ، واخلدوا بضعة ايام الى الراحة العقلية والجسدية . وما الاعياد الا واحات جميلة خضراء في صحراء هذه الحياة المضنكة المقفرة . يصل اليها الانسان منهوك القوى فينعش جسمه بنسمة هواء ينشقها ، ويحيي فؤاده بجرعة ماء يرشفها ، فيجدد ما خار من قواه ، ويعاود السير جاداً بنشاط حتى يجتاز المرحلة الاخيرة ، ويبلغ الغاية القصوى

ينشر هذا الجزء من « الزهور » من تحت الطبع مع حلول عيد جديد وهو بزوغ سنة ١٩١١ ميلادية مع اول يناير (ك ٢) وابتداء السنة الهجرية ١٣٢٩ في ٢ منهُ الموافق غرة محرم . فادارة هذه المجلة تتقدم لقرائها وانصارها وكتّابها وكل العاملين فيها بتهاني العيد سائلة لهم العافية والسلامة والهناء والتوفيق

١٩١١ م = ١٣٢٩ ﻫ

كل سنة نُسافر سفرة كبيرة تدوم ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ١١ ثانية : سفينتنا الارض ، وبحرُنا الفضاء ، وملاّحنا الطبيعة ، مصدرنا الحياة ، ومقصدنا الابدية . . . سلسلة أسفارٍ حلقتها الاولى في المهد ، وحلقتها الاخيرة في اللحد . وقد سافر بعضنا هذه السفرة عشرين مرة ، و بعضنا ثلاثين ، وآخرون خمسين أو اقل او اكثر . . منا من يتأثر لكل عارض يطرأ عليه اثناء السفر ، فيأخذه الدواخ ، ويقع متلاشياً ، ومنا من يبقى ثابتاً حازماً مهما تألبت عليه الطبيعة ، وثارت العناصر ، وهاجت الانواء . . .

سفرة من سفراتنا هذه انقضت وقد بدأناها في أول يناير سنة ١٩١٠ وانهيناها عند منتصف الليل البارح . وما كدنا ندخل المرفأ ، حتى اقلعت السفينة بنا للحال ، وخرجنا لرحلة جديدة حول الشمس وهي السفرة العاشرة بعد المئة والسبعة آلاف للخليقة حسب الترجمة السبعينية . فيجدر بنا ان نذكر شيئاً عما يعرض لنا اثناء هذه الاسفار المتواصلة :

تقطع في كل ساعة ١٠٦٫٧٠٠ كيلومتر حول الشمس اعني في كل دقيقة ١٨١١ كيلومتر ونصف تقريباً . وفي اشهر السنة الاثني عشر تكون الارض قد قطعت ٩٣٦ مليوناً من الكيلومترات . فما اسرع سيرنا في بحار اللانهاية

أما سفينتنا فهي عظيمة الطول والعرض يبلغ نطاقُها الاربعين مليون

متر ، ومساحتها ٥١٠٠٨٢٠٠٠٠ كيلومتر مربع وحجمها ٨٣٩٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلومتر مكعب . أما وزنها فلا ينقص عن ٥٩٥٧٩٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون كيلوغرام وهو ثقل لا يدركه العقل البشري . وقد اراد احد علماء الفلك ان يقرّبه الى الفهم فقال : وزن الارض يعادل ٧٨ مرة وزن القمر او ٩٦٦ مرة وزن فرنسا ، او ٥٢ مرة ونصف وزن اوربا . او ١١ مرة ونصف وزن آسيا او ١٣ مرة وزن اميركا . او ١٣ مرة ونصف وزن افريقيا . (فتكون آسيا أثقل الاقطار في كفة الميزان) . وكل هذه الارقام باهظة يصعب تقديرها في الواقع فنقتطف عن تقارير العلماء بعض تشابيه يسهل فهمها :

سكان الارض مليار ونصف مليار ، فلو عدّ كلّ واحد منهم في كل دقيقة مائة طن من وزن الارض وابتدأ بذلك منذ خليقة العالم لاقتضى لهم ٧٦٫٨٠٠ سنة تقريباً حتى يعدّوا كم في الارض طناً (والطن الف كيلوغرام)

او لو شئنا ان ننقل الارض الى الشمس ، لاقتضى لذلك مليون من الخطوط الحديدية يسير عليها مليون من القطارات يقطر كل واحد منها عشرة آلاف عربية وتبتدىء بالشحن سنة ٢٧١٠ قبل المسيح حتى تفرغ من عملها في عامنا الحالي . ونقل الارض الى الشمس لا يؤثر في هذه الاخيرة اكثر من نقطة ماء تقع في البحر . وهذا هو كبر الارض التي لا يعتدُّ بها بالنسبة الى بقية الاجرام السماوية . والانسان الذي هو بمثابة ذرة على سطحها يُعدّ سيد كل هذه الكائنات بفضل عقله وادراكه

وفي اثناء سفرتنا على ظهر هذه السفينة الضخمة نشاهد ايام صحوٍ وصفاء ، وايام عواصف وشتاء . وما ذلك الا ما نسميه فصول السنة الاربعة وهي فصل الربيع ومدته ٩٢ يوماً و ٢١ ساعة . وفصل الصيف ومدته ٩٣ يوماً و ١٤ ساعة . وفصل الخريف ومدته ٨٩ يوماً و ١٩ ساعة . وفصل الشتاء ومدته ٨٩ يوماً

والسنة في كل الحسابات مؤلفة من اثني عشر شهراً . واسماء الاشهر مختلفة ومدتها تتراوح بين ٢٩ و ٣١ يوماً . وفي الاسبوع سبعة ايام يعبر عنها بالاعداد السبعة الاولى : فالاحد = ١ وهو يوم بطالة عند النصارى ، والاثنين = ٢ وكان يوم بطالة عند قدماء اليونان ، والثلاثاء = ٣ وكان يوم بطالة عند الفرس ، والاربعاء = ٤ وكان يوم بطالة عند الاشوريين ، والخميس = ٥ وكان يوم بطالة عند قدماء المصريين ، والجمعة = ٦ وهو يوم بطالة عند المسلمين ، والسبت = ٧ وهو يوم بطالة عند الاسرائيليين

واذا شئت ان تعرف اي الاشهر ٣١ وأيها ٣٠ فاطبق كف اليد وعدّ اسماء الاشهر على عقد الاصابع والفواصل مبتدئاً من يناير فاذا انتهى العدد فاعدهُ مرةً ثانية فالشهر الذي يقع على العقدة يكون ٣١ يوماً والذي يقع على الفاصلة (اي بين العقد) يكون ٣٠ : وفي شهر فبراير (شباط) ٢٨ يوماً وفي السنين الكبيسية ٢٩ . وتعرف السنة الكبيسية بقسمة العدد على ٤ ، فاذا لم يبق شيء فهي كبيسية ، والا فليست كبيسية مثلاً : ١٩١١ : ٤ يبقى ٣ فهذه السنة ليست كبيسية . وسنة ١٩١٢ : ٤ لا يبقى شيء فالسنة القادمة كبيسية

وقد لجأ الانسان منذ بداية تاريخه الى الظواهر الفلكية لتدوين ايامه .
واهم التواريخ التي شاعت بين البشر الحساب الشمسي والحساب القمري لان مراقبة الشمس والقمر اسهل من مراقبة غيرهما من الاجرام الفلكية

وكان بعض الاقدمين قد اختاروا للدلالة على السنة المدة التي تقضيها الشمس منذ انتقالها من نقطة الاعتدال الربيعي الى وقت رجوعها الى هذه النقطة نفسها

وكان المصريون يحسبون سنتهم ٣٦٠ يوماً منقسمة الى ١٢ شهرًا يؤلف كل واحد من ٣٠ يوماً . ومن ثمَّ كان الاعتدال الربيعي يتأخر خمسة ايام وربع في كل سنة ، حتى انه بعد مرور ١٨ سنة اخذ الربيع مكان الصيف . فاصلحوا هذا الخطأ بان حسبوا السنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً على ان ذلك لم يخلُ ايضاً من الغلط لان السنة الشمسية على الصحيح مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم تقريباً . وكثر الفرق مع توالي السنين حتى اصلحه سوسيجنيس بزيادة يوم كل اربع سنوات وسمي هذا الحساب الحساب اليولي لانه تمّ على عهد يوليُس قيصر . وهو لا يزال متبعاً حتى الآن في الكنيسة الشرقية

لكن حساب سوسيجنيس لم يكن خالياً من الغلط ، لان السنة مركبة في الاصح من ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات الا ١١ دقيقة و ١٠ ثوانٍ . فصار يحصل عن اهمال هذه الدقائق والثواني فرق يوم كامل كل ١٢٩ سنة وهذا هو غلط الحساب اليولي وبلغ هذا الفرق عشرة ايام على عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر فاصلحه هذا البابا بان أسقط عشرة ايام وجعل

اليوم الخامس من اكتوبر (ت ١) سنة ١٥٨٢ اليوم الخامس عشر منه وأمر بان تكون السنة ٣٦٦ يوماً كل اربع سنوات مع حذف يوم كل ١٢٩ سنة وذلك تفادياً من الغلط في المستقبل . وهو الحساب الذي تعول عليه اليوم كل اوربا ما عدا روسيا واليونان . وبات الفرق بين الحسابين ١٣ يوماً

أما السنة الهجرية فهي قمرية مؤلفة من اثني عشر شهراً : ستة منها تتركب من ٣٠ يوماً وستة من ٢٩ وذلك لان دوران القمر يتم في ٢٩ يوماً يوماً ونصف تقريباً وكانت بداية تاريخ الهجرة سنة ٦٢٢ من تاريخ المسيح في الخامس عشر من شهر تموز (يوليو) عند تولد الهلال

وليست السنة القبطية الا السنة المصرية القديمة فهي مؤلفة من ١٢ شهراً عدد ايام كل منها ٣٠ يوماً يضاف اليها ٥ ايام في آخر السنة لتكون ٣٦٥ يوماً وفي السنين الكبيسية تكون الزيادة ٦ ايام . ويبتدئ التاريخ القبطي من سنة ٢٨٤ بعد المسيح وهو تاريخ الشهداء الذين استشهدوا في مصر على عهد ديوكليسيانُس

اما تاريخ الاسرائيليين فيعد ابتداؤه منذ خلق العالم . والسنة الاسرائيلية مؤلفة من ١٢ شهراً في السنين البسيطة ومن ١٣ شهراً في السنين التي يسمونها امبوليسمية او اضافية وهي تعود ٧ مرات في مدة ١٩ سنة يزيدون فيها من بعد شهر اذار شهراً آخر مؤلفاً من ٢٩ يوماً يسمونه « واذار » اي اذار الثاني . وذلك لتقريب السنة القمرية من السنة الشمسية

وفي الدولة العثمانية يوجد ايضاً حساب السنة المالية وكان ابتداء هذا

التاريخ سنة ١٢٠٥ هجرية موافقاً لاول اذار ١٧٨٩ حساباً شرقياً . وكان ذلك في عهد السلطان سليم الثالث الذي اصدر امره الى الدفتردار موررالي عثمان بان ينظم الشؤون المالية في الدولة اعتباراً من ذلك اليوم . وظل بدء السنة المالية اول اذار الشرقي ، وحساب الاشهر فيها كحساب الاشهر في السنة الشرقية

هذا جل ما يتسع المجال لايراده عن الحسابات المختلفة التي يتبعها البشر لتدوين تاريخهم ، وهذا ملخص ما يقال عن رحلتهم السنوية حول الشمس ، عسى ان تكون سفرة هذا العام سفرة خير واقبال ان شاء الله

الانتخابات الانكليزية

باتت الخواطر متجهة في هذه الايام الى الانتخابات الجارية في انكلترا ، فرأينا ان نُطلع القراء على بعض تعليمات عما يدور حول هذه الانتخابات لان في ذلك شيئاً من الفكاهة والفائدة

حُلَّ مجلسُ البرلمان الانكليزي بعد حياةٍ قصيرة لا تتجاوزُ الاحد عشر شهراً لان الانتخابات الاخيرة تمت في شهر يناير من السنة الماضية . فكان هذا المجلس اقصر المجالس عمراً بعد مجلس سنة ١٨٨٦ الذي عاش خمسة اشهر ونصفاً

وليس تجديد الانتخابات العمومية بالامر الذي يستهان به . فان انتخابات ١٩٠٦ قد كلفت بريطانيا مليوناً و١٦٧ الف جنيه ، وانتخابات ٩١٠ التي جرت في يناير الماضي كلفتها مليوناً و٢٩٧ الف جنيه ، ولا شك

في ان الانتخابات الجارية الآن ستكلفها مثل هذا المبلغ على الاقل

وليست هذه الارقام الاّ التي يعترف بها المنتخبون رسمياً والتي يجيزها القانون . ويقول العارفون انّ حقيقة ما ينفق إبّان الانتخابات يبلغ ضعفي هذا المبلغ ، اي ان كلّ تجديد انتخابٍ يكلف البلاد ٥٠ مليون فرنك تقريباً . ولذلك ترى المنتخِبين والمنتخَبين لا يميلون كثيراً الى تجديد الانتخابات العمومية ، ناهيك بما يلحق بالتجارة والصناعة من وقوف الحال. فان المرشحين يقتصدون في نفقاتهم تأهباً لمصروف الانتخاب ، فتهجر المسارح والفنادق والمتنزهات وكل المحلات العمومية ، لان زبائنها ينتشرون في كل اطراف البلاد للاهتمام بشؤون الانتخابات التي تستمر مدة اربعة اسابيع تقريباً

وفي السلطنة الانكليزية ٧ ملايين وستمئة الف منتخِب ويؤخذ من كتابٍ خاص نُشر في هذا الموضوع ان كل صوت يكلف بالتعديل ٣ شلنات و١٠ بنسات (٤ فرنكات و٧٥ سنتيماً) واغلى ثمن للاصوات هو في ايكوسيا حيث يكلف الصوت ٥ فرنكات و٥٠ سنتيماً ، وارخص الاصوات في ارلندا ، حيث يبلغ ثمن الصوت ٣ فرنكات و ٦٠ سنتيما . وكلف مستر اسكويث انتخابه في المرة الاخيرة ٢٠ الف فرنك ، ومستر بلفور ٤٠ الفاً والسر جون بثل ١١٠ الاف وهو اكبر مبلغ أُنفق في هذه الغاية

ولا يحق الانتخاب في انكلترا الا للذي يدفع اجرة منزل على الاقل عشرة جنيهات في السنة . واجراء الانتخابات في اوائل السنة لا يوافق الاحرار لان العامل الانكليزي في تلك المدة يكون متغيباً عن منزله ، ومن

الصعب الاهتداء اليه وحمله على اعطاء صوته . وهذه المهمة منوطة برجال خصوصيين من اصدقاء المرشحين يطوفون المنازل والاحياء بقائمة الانتخاب ، وهم مدربون خصيصاً للقيام بهذه المهمة . فيهيئون ادلةَ الاقناع ، ويتودَّدون للناخبين ، ويستميلون النساء والاولاد ، ويقصدون العامل في معمله ، ويترقبون ساعات الفراغ ليحملوه في الاتومبيل الى محل الانتخاب لاعطاء صوته لمن يريدون . ويحظِّرُ عليهم القانون استئجار المركبات لهذه الغاية فلا يسعهم الا استعمال المركبات الخصوصية او التي يقدمها انصارهم . وهذا مما يوافق المحافظين اكثر من سواهم لانهم عادة من الاغنياء اصحاب السيارات والمركبات . وهـذا السعي وراء الناخب « لاصطياده » يدلك على ضعف العقيدة السياسية

وقد اصبح التصويت الآن في انكلترا سرياً لكنه كان علنياً حتى سنة ١٨٧٢ فكان المنتخِبون يحضرون الى المحل العمومي ويعلنون جهاراً اذا كانوا ينتخبون جونس اوسميث مثلاً . فيعلو الصياح ويشتد النزاع . لان انصار هذا المرشح او ذاك كانوا يُسكرون الناخبين لاكتساب اصواتهم . وهكذا كانت الاصوات تباع وتشرى علناً . وكان وكلاء المرشحين يقضون نهارهم وليلهم في الحانات ، يعاقرون الخمرة مع الناخبين الذين كانوا كثيراً ما يقضون شهرهم بين هذا الوكيل وذاك ويقبضون الدراهم من كلا الاثنين وهم لا يهمهم نجح الاول أو الثاني

وقد تغيرت الحال منذ ٢٥ سنة فاصبح القانون يعاقب بالحبس مدة سنة وبغرامة قد تبلغ خمسمئة فرنك كلَّ من يدعو الناخب الى الشرب او

الاكل او يحاول التأثير عليه بالوعد او الوعيد

وبالرغم عن كل هذه التشديدات لا يزال هناك من يخرق القانون . فان الناخب يتلقى يوم الانتخاب ضمن ظرفٍ خصوصي تذكرة للسفر مجاناً في السكة الحديدية الى دائرة الانتخاب دون ان يعلم مصدرها . وهناك حيل كثيرة تستعمل لتعدي ما يجيزه القانون . ولكن لما كانت جميع الاحزاب تعوّل عليها لم يقم من يشكو أو يداعي . وعلية فان للدراهم الكلمة الاولى في الانتخابات في انكلترا كما في غيرها ، والحزب الذي لديه ثروة كبيرة في دائرة من الدوائر الانتخابية يمكنه ان يضمن النصر لاشياعه

على ان الانتخابات الانكليزية ليست معرضةً للضغط الاداري كما هو جارٍ في باقي البلاد . فليس هناك من مأمورين اداريين يأتمرون بامر ناظر الداخلية فيجرون الانتخابات على هواه

وبالاجمال فان لدى الانكليز كما لدى غيرهم الف طريقة وطريقة للتأثير على اصحاب الاصوات ولكن تحقيق ذلك من الامور الصعبة بل المستحيلة . ولما كانت هذه الطريق توافق تارة هذا الحزب وتارة تؤيد ذاك ، فليس من يريد ان يتحمل مسؤولية تعديلها او مقاومتها . وهكذا تظل الامور جارية مجراها المعتاد ما دامت النفس البشرية ذات مطامع وأميال . . .

هواجس النفس

بين العامين

ضافني السهاد ليلة امس فسامرته حتى سئمت ، فمقته ورحت استدعي النوم الساعة والساعتين ، فبقي شارداً ، فقلت : لا حول ولا ... ثم اشعلت المصباح ادفع به وحشة الظلام

وكان قد نام سكان الدير ، وسكتت الحركة ، فلم اعد اسمع الاّ دقات ساعتي ، كأنها تقول : الزمان يزول ... فشعرت بوجيب قلب وخشوع ، فقلت لنفسي : يا نفس لك من هذا السهاد فرصة ثمينة فاغتنميها ، وتأملي قليلاً في شأنك ، فعما قليل تصيرين الى موقف بين عامين، مودّع ومسلم ، وتلك وقفة قلّ من استفاد منها . راجعي كتاب الماضي ، وافتحي كتاب المستقبل، لكن الامس قد عرفتهِ ، فتطلعي اذن الى الغد . جولي في فضاء الخيال ثم لقني قلمي ما يمرّ بك من الهواجس، واملي عليه ما به تشعرين !

فشعرت ان نفسي قد توقفت هنيهة كأنها رازحة تحت احمال الانفعال والتأثر . هذا وحفيف الاوراق يزيد في وحشتي ، وعقرب الساعة لا يزال يسير ، فنظرت فاذا العام قد دخل في النزاع واوشك ان ينقضي أجله

فانقبضت اذ ذاك نفسي واندفعت تقول :

الى اين ايها العام انت مهرول في هذا الليل الدامس ؟ وفي احدى يديك مشعل يكاد ضوءه ينطفي ، وفي الثانيـة منجل مفلل .. وعلى مَ أخذتَ معاجيل الطرق وعلى ظهرك احمال الايام تنوء بها ؟ .. رويدك

رويدك فان طريق الماضي وعرة متحدرة ، والظلام مدلهمّ وانت شيخ مسن

فالتفت اليّ فاذا وجهٌ جعدتهُ الهواجس ، وشعرٌ متلبدٌ شعثتهُ الوساوس ، وكتفان تقوستا من قِراع النوائب ، وقال وهو مسرع : «دعني لا تلهني ، فان الاعوام رفقائي قد تقدمتني الى محطة الابدية .» . . . ولم يكد ضياء مشعله يتوارى في ظلام الزمان ، حتى قرع اذني صوت الساعة الكبيرة فكان نصف الليل ! ! ! . . .

*
* *

فالتفتُ اذ ذاك استقبل تباشير العام الجديد ، فرأيته وقد أقبل على مركبة ملكية لابساً حلة الشباب البهية ، فتفرست في تلك المركبة الكبيرة ، فاذا فيها من الذخائر العجيبة ما يكاد القلم يقصر عن وصفه

رأيت فيها اشواك الشقاء وقد اشتبكت بازهار الهناء ، ومن ورائهما برفير الملوك وأطمار رثة تبين من خلالها يد المتسول مفتوحة للاستعطاء . وسريرٌ يبدو منه رأس الطفل الصغير ونعوش اغنياء وتوابيت فقراء ، وسمعت ضحكاً وبكاء ، ورأيت عدلاً رافعاً لواء الحق ، وظلماً ناشراً راية البطل ، وفضائل بصورة راهبة قد جثت امام سرير المنازع ، ورذائل شنعاء بهيئة السكارى ، ورأيت النميمة تدبّ عقاربها ، والرصانة كالاسطوانة الراسخة ، والشراهة كأنها حوت على مائدة ، والقناعة وقد نبتت حواليها اعشاب النساك والزهاد ، الى اشياء أخر كثيرة من بندقية قانص الطائر ، وشبكة صائد السابح ، وسكة الفلاح ، وعكاز الاعرج وسرير المقعد ، وشبّابة الراعي ، وريشة المصوّر وقلم الكاتب ، وكتاب الزاهد ، ولجج فاغرة فاها ، واوبئة

تنتشر جراثيمها ، ونيران يتصاعد لهيبها ، ورياح تعصف ، ورعود تقصف ، وسكون وسلام ، وحروب ودماء

فبهتُّ امام هـذا المشهد الهائل ، ثم قلتِ : يا نفس لقد رأيتِ ما رأيتِ فقولي لي الآن ما تشتهين في رأس هذا العـام والى مَ تتوقين ؟ ثم قلت : مهلاً فاني قبل ان تختاري أودّ ان اريك بعين الحقيقة ما قد رأيته بعين الفكر

***

لما تنفس الصبح كنت على ظهور « الاشرفية » حيث يبدو للناظر بقعة خضراء بسقت فيها الاشجار ، تطرّد تحتها مياه النهر ، وهي تنساب متسابقة الى البحر فتغور في اللجج . فجلست على صخرٍ وقد حان وقت بزوغ الشمس ، وسكن نسيم الصبح ، فراحت العصافير تتنقـل على الاشجار وأخذت الطبيعة تنهض من سبات النوم ، والحياة تتجدد في الاعشاب ، والدخان يتصاعد من فوق البيوت حيث تُسمع قلقلة المفاتيح والاقفال وصرير الابواب وعويل الاطفال . ثم اخذت المنـاظر تتضح شيئاً فشيئاً وما هي الا بضع دقائق حتى بزغت الشمس من وراء الافق ترسل حرير شعاعها يمسح دموع الازهار . وكانت بارتفاعها تشرف على الغيوم المنتثرة فتفر هذه مسرعة امام ملكة الطبيعة . وصارت فقاقيع مياه النهر تتألق لامعة كأنها تفتح وتغمض . والتلال تيقظ السهول لترتدي أردية الجلاء

فقلت يا نفس امامكِ من الطبيعة مشهد طالما شبب به الشعراء ،

فتطلعي وابتهجي وقولي لي ، أتريدين ان انصب لكِ على هـذه التلال خيمة منها تملكين هذه البرية الجميلة ؟ ... فآنست من نفسي انعطافاً كأنهُ يقول : أجل ان المشهد لباهر ولكن ليس هنالك كل رغائبي

فقلت لها : ارفعي النظر قليلاً ، وانظري الى « لبنان » العزيز ، وطن الاسود وارض الاولياء . هاك « صنين » وقد جلس على القُنَّة شيخاً جليلاً فصبحيهِ مع الشمس في رأس العام ، وتمني له شيخوخة صالحة واطلبي لبنيه ان لا يُقلقوا راحة ابيهم الشيخ ، وقد شيبت رأسه الاعوام وحدَّبت ظهره الايام . تلذذي بما يحمله اليك النسيم من منعطفات الوديان واستنشقي شذا الارز ونفحات الرياحين . نقلي النظر في هاتيك القرى المنتثرة هنا وهنالك ، وانظري القرويين وقد هبوا لاشغالهم . خذي النظارة وانظري الرعيان على هاتيك الروابي وقد سرحت قطعانهم ترعى في المراعي الخصيبة. هاك الشبابات في أيديهم ، ولو كنا على مقربة منهم لسمعنا الحانهم الرقيقة. وها إنّ المكارين ايضاً ينزلون في معاجيلِ الطرق وهم يترنمون على ظهور دوابّهم ويتغنون « بالميجانا والعتابا » . آه ما اجمل الجلوس في ظلال تلك الاشجار الوارفة وما أُحيلى المقام في هذا الجبلِ المقدّس . فقولي لي الآن أتريدين أن تكوني أميرةً على لبنان فتحيي فيه الشهامة والمروءة وتُرجعي اليه ما ماتَ من الفضائل الى الحيوة ، وتقلعي ما يُزرع فيه من زروع الفساد فتخفق فوق روابيه راياتُ الأمن والسلام ؟

فتململت ثمّ قالت : ذلك من أفضلِ الامور ولكن ليست لذّتي في التسلط على الشعوب فعجبت لأمرها وذهبت بها الى شاطىء البحر

وهنالك الحصى البيضاء منتثرةً فوق الرمال كأنها اللآلىء على بساطٍ من حرير . وعلى الشاطىء صيادٌ مشمرُ الساقين وقد غاصت قدماه في زَبد الامواج، وألقى الشصّ في الماء ووقف ينتظر النصيب . فأسرعت الامواج الينا كأنها تريد السلام فكانت تحني الرؤوس وتعود الى اللجج . وهنالك قوارب نشرت الشراع فهبّ فيها نسيم التوفيق ، فخرت تشقّ المياه تاركة من ورائها خطوطاً طويلة لا تلبث أن تغمرها المياه

ثمّ صفرت باخرةٌ ومرّت ترشق الفضاء بدخانٍ يحموم ، وعلى ظهرها المسافرون يلوّحون بمناديلهم وداعاً لمن يشيعونهم بالعيون والقلوب . فقلت لنفسي : أتشائين السفر الى الاصقاع البعيدة فنسيح ونتنزّه في جنات الاندلس ونرى ما ترك العرب فيها من آثار العظمة ثم ننتقل الى فرنسا ربّة البدائع . ثم نيمّمُ ايطاليا فنفكه السمع بالانغام الموسيقية وذلك مما يطيب لك جداً ونشخص الى رومة مقام السيادة المسيحية ونزور الدياميس حيث رفات الشهداء ، ومن هنالك نتوجه الى المانيا فنتوغلُ في غاباتها . ونرتحل الى روسيا لنرى قبابها العالية ونرسل النظر في هاتيك السهول الواسعة . ثم نرجع الى بحر الروم فنصعد من يافا الى الارض المقدسة فنزور المغارة التي بزغ منها نور الخلاص وجرى ماء الحيوة ، وبستان الزيتون والجلجلة التي تتبرّك الشفاه بلثم ترابها . ثم نجتاز مضيق السويس الى البحر الذي عبره بنو اسرائيل بالاقدام ، ومن هنالك يمتد نظرنا الى بادية العرب ارض الشعراء ، والى افريقيا فنجتازها من اهرام الفراعنة ، الى ارض الترنسفال التي حشا الله جوفها بالالماس ونمرّ بشواطىء الهند

حيث اللآلئ ونتفرج على الاواني الصينية البديعة الصنع . واذا شئت واصلنا السير الى اليـابان فاميركا فاوستراليا ، ولا ندع ارضاً وطئتها اقدام الرّحل والسياح الاّ دخلناها . فهل تسرّين بذلك ؟

فاجابت : حبذا الاسفار ففيها نزهة الابصار والافكار ، ولكن ليس في ذلك ما يشبع رغبتي ويتمّ لذّتي

فحرت في امري وقلت لها هلمي الى الحقول فنبذر البذور ونستغل الغلال ونشحن السفن ونتجر التجارات الواسعة ونعدن المعادن ونكثر من المعامل ، فنربح الارباح الطائلة ونجمع من الذهب القناطير المقنطرة ، فنبني الدور ونشيد القصور ونكثر من الخدم والحشم وندعو بالمغنين والمطربين والراقصين ونأدب المآدب ونحتسي كؤوس الشراب مع الندماء والاحباب . فما تقولين في ذلك . أما تشتهين ان تسبحي في غنى الارض وملاذها ؟

فعبست وقالت : كلاَّ ! . . ليست في ذلك راحتي

فقلت : لعلّ الدرسَ يطيب لها . فسألتها : اتريدين الانصباب على الدرس لتكوني في مستقبل الحين عالمةً في الطبيعيات والكيمياوالرياضيات والفلسفة والطبّ . فتكشفين سرّ الكهرباء وتوسعين حدود علم النجوم ، وتظهرين اجساماً جديدة وتخترعين قواعد حسابية وتكشفين عن ادقّ اسرار النفس وتوجدين دواءً لكل داء . أو تودّين أن تكوني موسيقياً بارعاً يتسلطُ على النفس بانغامه فيضحك الثكلى ويسيل أجمد العيون . أو تشتاقين أن يكون لك ريشة تحفرُ أبدع ما اتى به رافائيل وميكالنج ، أو

قلمٌ يصوّر ارق العواطف فيلقي في زوايا النسيان اولئك الشعراء المشاهير هوميروس وڤيرجيل وامرأ القيس وشاكسبير ودانت وراسين . . أو أن تكوني خطيباً مصقعاً يقتاد الشعوب ، ويهزّ بقايا آثينا ورومة وطن أمراء الخطابة . أو نقاشاً يُدهشُ أرواح اليونان في قبورها . او قائداً يكسرُ على ركبته سيوف الاسكندر والقيصر ونابوليون ؟ . وإخالك الآن لا ترفضين .

فتوقفت ثمَّ قالت : انّ مجد العلوم والفنون لمما يفضلُ على جميع ما سواه . ولكنَّ رغيبتي فوق كل ذلك ؟

فوقفت وِقفة المتحير وقد فرغت جعبةُ مسائلي فقلتُ: وَيكِ ان في امركِ لعجباً ! لقد عرضتُ عليكِ كلّ ما يتوقُ اليه المرء في هـذه الدنيا وأنتِ عن كلّ ذلك ترغبين،فلقد والله أبرمتني وأسأمتني . . فالى الدير ! .

ثم قفلتُ راجعاً الى غرفتي مطرقاً مبلبل البال وقضيتُ النهار مفكرًا

ولما كانت العشية خشيت ان يضيفني السهاد كما ضافني أمس . فصعدت الى السطح قرب الساعة الكبيرة ، وكانت الشمس في المغيب والدغشُ مقبلٌ ليغشي الارض فكانت المناظر تذهب تباعاً ، وما هو الا قليل حتى ارخى الليل سدوله وغيب البرية الظلام . فظهرت النجوم تتألق في الفضاء ببهاءٍ يسحر العيون ويأخذ بمجامع القلوب .

وكانت نفسي اذ ذاك كمصباح يحوم حوله ألوفٌ من الفراش والهوام . وانني لكذلك اذ لاح لي خاطر جديد فناجيت نفسي قائلاً يا نفس لقد رفضت كلما عرضته عليك من امور هذه الدنيا ، فلم يبقَ الاّ ان أسألك امراً واحداً : أتريدين ان نركب طيارة تطير بنا الى ذرى الفضاء فنكون

على مقربة من الكواكب والنجوم ، فنراعي بهاءها ونعجب لاتساعها وكثرتها . ونسبح فيما لانهاية له من الفضاء ومن هنالك نشرف على الارض وما فيها ونشاهد البحار والسهول والجبال فهلاَّ ترضين ! ! ! . .

وهنالك انتصبتُ عابساً شاخص العيون انتظر ما تجيب

فرأيت ان نفسي قد انقبضت واجتمعت كعصفور يتحفزُ للطيران حتى حسبت أنها تقول . نعم ! لكني ارتددتُ الى الوراء اذ انتفضت وقالت بلهجة الموبِّخ : لا ! كلا ! ! ! . .

فاخذ مني العجب مأخذه فالتفتُّ اليها وقد ملىء فمي بكلمات اليأس والقنوط وقلت : يا نفسي ! فقاطعتني الكلام وقالت : مهلاً ! . لقد طلبت اليَّ ان اهجر الارض ، فلبيك ولكن اعلم اني لا اكتفي بالوقوف بين الارض والسماء وانما اشتهي وارغب واتوق ان اخترق الفضاء واتغلغل بين الكواكب والنجوم فاجتازها حتى اصل الى الذي خلق الكواكب والنجوم وأوجد المال والجمال ، وابدع العلوم والفنون ، وبسط الارض ورفع السماء حتى اصل الى « الله » فهو خيري الاعظم وفيه محط رغائبي ومجتمع اشواقي . وبعد ان اطلعتُ على رغيبة نفسي رجعت الى غرفتي مطمئناً ساكناً وقلت : اللهمَّ اجعل هذا العام عام اقبال وفلاح ، بمنك وكرمك يا ارحم الراحمين

(بيروت) الخوري

مارون غصن

تمدن المرأة المصرية

« عودٌ على بدء »

كتبت في العدد الثامن من هذه المجلة الغراء عن المرأة المصرية وكيفية استعمالها التمدن الحديث ، وما جلبته من الاضرار بسبب فهمها قشوره لا لبه . وقد ارسلت على ذلك حضرة الآنسة الاديبة ادما كيرلس رداً لطيفاً ، ذكرت فيه أني رشقت بنات جنسي باحدّ السهام اذ وصفت المرأة التي تقتل الوقت بالزينة ، واهملت ذكر التي تعمل لاكتساب الفضيلة والتحلي بها . وعليه أجيب : ان الذي حملني على وصف النساء المهملات لواجباتهنّ دون المتفانيات في سبيلها هو ان تلك التي تسعى في خدمة العائلة وتضحي الملاهي والمسرات لتحافظ على ترتيب داخليتها ومستقبل صغارها هي قليلة جداً بالنسبة الى العدد الكبير من اخواتها الباقيات ، يوجد منها تقريباً عشر بالمئة . وهذا عدد زهيد لا يبنى عليه حكمٌ ، ولا يقوم بالشرط المطلوب لسدّ الثلمة الواسعة في صرح الترقي والعمران . وعليه فقد تكلمتُ بمقتضى الحالة العمومية التي هي المصدر الحقيقي لكل عامل ان تأخر وان تقدم . غير ان اقوالي اصابت الحقيقةَ عينها ، ولذا جاءت جارحةً لبعض القلوب اللطيفة ، ولكني لم أُبح بهذه الافكار ، الاَّ لاعتقادي بوجودنا في عصر النور والمعارف ، عصر الحرية ، حيث لا يجوز حجبُ الافكار عسى ان يُستخرَجَ من كل فكر فائدة ، فنصل بعد ذلك الى الغاية المطلوبة من ازدياد المعارف وارتقاء المدارك

وقد قالت حضرة الكاتبة عاذرةً ، بنوعٍ ما ، التي تتبع المودة ناسبةً هذا لمهارة يديها بعد ان تكون حافظت على نظافة الملابس ، فتمكنت من قلبها حسب الذوق الدارج ، وقد اتت عبارتها هـذه في محلها من الحق والعدل . على انه يقال في هذا ما قيل في تلك ، اعني ان المرأة البارعة التي تتزين بفضل مهارتها وتفننها ، ولا تتبع المودة الا بعد ان تكون حافظت على اتمام واجباتها هي من العدد القليل ، وليس لاصلاحها تأثيرٌ يذكر في باب الخراب الواسع . وكم من زهرة ضاعت بين اشواك فخنقت ، وكم من نجمة سترت تحت غيوم السماء فحجب نورها عن الابصار . فلم يظهر للناظر الا الظلام الحالك وهكذا نحن لا يمكننا الا ان نرمي في مقالنا الى العدد الكبير اي الى اللواتي يصرفن الغالي والرخيص في اتباع ما تختلقه ربّاتُ الازياء ، وهـذا امر اصبح اشهرَ من نارٍ على علم . فكم من رجل يئن لبذخ امرأته ، وعدم مراعاتها احواله ، وكم من اولادٍ اشرفوا على التهور في دركات الهلاك ، ووالدتهم بشاغلٍ عنهم في اعداد الزينة والتفنن بها . وكم من ابٍ اخنت ظهره متاعبُ الايام ، وبيضت شعرَهُ اهوالُ الزمان ، غير انه يبكي الآن لما يشاهده من اعوجاج الازياء ، وترك البساطة القديمة وعدم اللياقة في الاثواب ، فاصبح ينظر لابنته المتقلدة نظرة المهيب الموبخ واذا لم تعبأ بنظرته يئس وقال : حبذا يومٌ أرى فيه قبل مماتي جاهلتي هذه تبذل النفس والنفيس لتتمثل بالعاقلة ، وتتحلى نظيرها بحلى العلم والفضيلة ، التي لا تشوبها شائبة ولا تؤثر فيها الاهواء والازياء : واننا نرى مثل هذا الاب اباء يبذلون كلّ ما في وسعهم ليبثوا روح البساطة وسلامة الذوق في

قلوب النساء ، وما نقرأه في الجرائد من الانتقاد علينا وعلى ازيائنا يؤيد صحة قولي . فعليه يكون اتباعنا للتقاليد المضرة على رضى تامٍّ منا اما لمطابقتها لاذواقنا ودرجة معارفنا ، واما لمراعاتنا أصوات الجهلاء . وعلى كل فان لم يزد عدد المصلحات فينا على عدد المخربات ، فلا أمل بالنجاح ، وعبثاً ننادي بالاصلاح دون الشرط المتقدم

اما ما كان من نزوعنا عن لغتنا العربية الى اللغات الافرنجية فليس من ذنب على الرجال في هذا الباب ، كما زعمت حضرة الكاتبة الاديبة ، بل هم يُعذرون اذا اعتبروا من اتقنت اللغات الغربية دون سواها ، لان معرفة اللغات الاجنبية تدل على زيادة علم وارتقاء ، فضلاً عن انها لغة الاختراعات والمعارف ، ومن لم يتقنها حتى من الرجال لا يمكنه ان يكون عاملاً مفيداً في الهيئة الاجتماعية . على ان هذا لا يمنع ان نحفظ للغتنا المركز الاول خصوصاً وفيها ما لا يقل فائدة عن آداب بقية اللغات ، واذا قلنا بوجوب تعلمها لا نعني الاقتصار عليها فقط ، كلاّ ، بل المراد من ذلك جعلها اللغة الاصلية التي لايجوز اهمالها مطلقاً ، لانه من الضروري ان يعرف ابن كل امة اداب لغته ، وما فطر عليه اجداده ، وكيف كانت احوال بلاده

فلنا نحن الشرقيين في هذا ما نفاخر به ، ولو ثابرنا نحن ايضاً معشر النساء على درس اللغة العربية ، واتقناها كما يجب نظير بقية اللغات ، اذ لم اقل اكثر ، لحملنا الرجال على احترامها واعتبارها فينا بتكريمهم من اتقنت العربية اكثر من سواها . ولكن من اين لنا هذا ونحن نرى ان ام العائلة

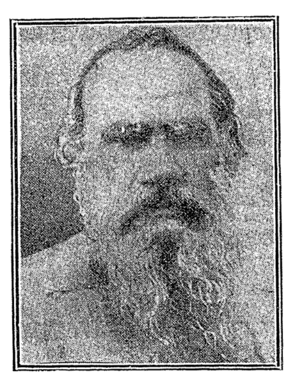
اذا ارادت مناغاة ولدها ناغته بلغة اجنبية ، ومتى كبرت ابنتها واسمعتها نصائحها سمعتها الابنة بلسان اجنبي. وعليه تشب هذه الصغيرة وعندها الميل الاكثر الى ما تعودت سماعه فتظن ان اللغة الاجنبية تغنيها عن لغة قومها وهكذا تغفل وتكون على جهل تام من العربية وتاريخها ، . وقد رأينا كثيرات من اللواتي يتجاهلن لغتهن ظناً منهن ان في ذلك مفخرة لهن ، او بالاحرى تفرنجاً . فانظرن ، يا صاحبات الرأي الصائب فينا ، الى هذه الافكار التي سرت في عقول اكثر فتياتنا . أليس هذا دليلاً واضحاً على تاخرنا ؟ وهل يرجى تعميم اللغة العربية وارتفاع شأنها عند الجنس اللطيف وفيه من يحتقرن ويجهلن لهذه الدرجة لغة اجدادهنّ ؟ لعمري إن لم نسعَ لاستئصال هذه الاوهام من عقول هؤلاء الاخوات يخشى علينا من زيادة التهور . ولا يجب ان نلقي من هذا القبيل كل اتكالنا على الرجال اذ نحن صاحبات التأثير الاكثر مفعولاً في استمالة الرغائب والاميال لكل غاية نقصدها ، فعسى ان ينصرف هذا المقصد الى ما فيه هدايتنا ونهضتنا

واني بكل شكر وسرور ابسط يدي من هذا الوادي لمصافحة اليد التي بسطتها لي اديبة بيروت ، بل اضع يدي بيدها للسير في الدفاع عن بنات جنسنا كل واحدة على طريقتها . كما انني ارجو من سائر اخواتنا ان يطرقن هذه المواضيع التي تدور على شؤوننا الخاصة لان بها العامل الاكبر على ترقينا ونهوضنا عسانا ان نصادف في « الزهور » الطريق المؤدية الى ما فيه خيرنا وفلاحنا

هدى اسكندر كيورك

مصر

في رياض الشعر



الفيلسوف تولستوي الروسي

(راجع ما كتبناه بشأنه في العدد الفائت ص ٤٣٢)

كتب حضرة الالمعي مدير « الجريدة » مقالة جميلة عن تولستوي ، فأرسل اليه سعادة احمد شوقي بك قصيدة في ذلك الموضوع رأى ان يجمع فيها « بين حكيم هذا العصر، الكونت تولستوي، و بين حكيم الدهر ، فخر الضاد، ابي العلاء المعري » وقد طرق الموضوع نفسه حضرة حافظ افندي ابرهيم فرأينا ان نتحف القراء بدرر القصيدتين :

حكيم العصر وحكيم الدهر

(تولستوي)تجري آيةُ العلمِ دمعها   عليك ويبكي بائسٌ وفقيرُ

وشعب ضعيف الركن زال نصيره　وما كلَّ يومٍ للضعيف نصيرُ
ويندب فلاحون أنتَ منارهم　وانت سراج غيَّبوه منيرُ
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمة　ولا يملكون البثَّ وهو يسيرُ
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى　عليهم وتغشى دورَهم وتزورُ
ويأسى عليك الدين اذ لك لبّه　وللخادميه الناقمين قشورُ
أيكفر بالانجيل من تلك كتبه　أناجيل منها منذرٌ وبشيرُ
وتبكيك إلفٌ فوق (ايلى) ندامةً　غداة مشى (بالعامريّ) سريرُ
تناول ناعيك البلاد كأنهُ　يراعٌ له في راحتيك صريرُ
وقيل تولى الشيخ في الارض هائماً　وقيل بِدَيرِ الراهبات أسيرُ
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه　وللطب من بطش القضاء عذيرُ
اذا أنت جاورت (المعري) في الثرى　وجاور (رضوى) في التراب (ثَبيرُ)
واقبل جمع الخالدين عليكما　وغالى بمقدار النظير نظيرُ
جماجم تحت الارض عطرنها شذى　جَنَاهُنَّ مسك فوقها وعبيرُ
بهنَّ تباهى بطن حوَّاء واحتوى　عليهنَّ بطنُ الارض فهو فخورُ
فقلْ يا حكيم الدهر حدّث عن البلى　فانتَ عليمٌ بالامورِ خبيرُ
أحطت من الموتى قديماً وحادثاً　بما لم يحصِّل منكر ونكيرُ
طوانا الذي يطوي السموات في غد　وينشرُ بعد الطيّ وهو قديرُ
تقادم عهدانا على الموت واستوى　طويل زمان في البلى وقصيرُ
كأنْ لم تضقْ بالامس عني كنيسة　ولم يؤوِني دير هناك طهورُ
أرى راحةً بين الجنادل والحصى　وكلٌّ فراش قد أراح وثيرُ

نظرنا بنورِ الموت كل حقيقةً وكنا كلانا في الحياة ضريرُ
اليك اعترافي لا لقُسٍّ وكاهنٍ ونجواي بعد الله وهو غفورُ
فزهدُك لم ينكره في الارض عارف ولا متعالٍ في السماء كبيرُ
بيان يُشمُّ الوحيُ من نفحاته وعلم كعلم الانبياء غزيرُ
سلكتُ سبيل المترَفين ولذَّني بنونَ ومالٌ والحياة غرورُ
اداة شتائي الدفء في ظل شاهق وعدة صيفي جنة وغديرُ
ومُتّعتُ بالدنيا ثمانين حجةً ونصَّر ايامي غنًى وحبورُ
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظّ مثل الشمس حين تسيرُ
فما راعني الا عذارى اجرنني ورب ضعيفٍ تحتمي فيُجيرُ (١)
اردتُ جوارَ الله والعمر منقضٍ وجاورنه في العمر وهو نضيرُ
صباً ونعيمٌ بين اهلٍ وموطن ولذّاتُ دنيا كل ذاك نُذورُ
بهنّ وما يدرينَ ما الذنب خشيةٌ ومن عجبٍ تخشى الخطيئةَ حورُ
او انسُ في داجٍ من الديرِ موحشٍ ولله انسٌ في القلوب ونورُ
واشبه طهرٍ في النساء بمريم فتاةٌ على نهجِ المسيح تسيرُ
تسائلني هل غيَّر الناس ما بهم وهل حدثت غير الامور أمورُ
وهل آثر الاحسان والرفقَ عالمٌ دواعي الاذى والشر فيه كثيرُ
وهل سلكوا سبلَ المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشيرُ
وهل آن من أهل الكتاب تسامح خليقٌ بآدابِ الكتابِ جديرُ
وهل عالج الاحياء بؤساً وشقوة وقلّ فسادٌ بينهم وشرورُ

(١) اشارة الى هربه الى الدير

قم انظر وانت المالئ الارض حكمة ... أأجدى نظيمٌ ام افاد نثيرُ
اناس كما تدري ودنيا بحالها ... ودهرٌ رخيٌّ تارةً وعسيرُ
واحوال خلقٍ غابرٍ متجدّدٍ ... تشابه فيها اوّلٌ واخيرُ
تمرّ تباعاً في الحياة كأنها ... ملاعب لا تُرخى لهنّ ستورُ
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى ... وغشٌ وإفك في الحياة وزورُ
وقام مقام الفردِ في كل امةٍ ... على الحكم جمٌّ يستبد غفيرُ
وحوّرَ قولُ الناس مولى وعبده ... الى قولهم مستأجر واجيرُ
واضحى نفاذ المال لا امر في الورى ... ولا نهي الا ما يرى ويشيرُ
تُساس حكومات به وممالك ... ويُذعن اقيالٌ له وصدورُ
وعصر بنوه في السلاح وحرصه ... على السلم يجري ذكرها ويديرُ
ومن عجب في ظلها وهو وارف ... يصادف شعباً آمناً فيغيرُ
ويأخذ من قوت الفقير وكسبهِ ... ويؤوي جيوشاً كالحصى ويميرُ
ولما استقلّ البرَّ والبحرَ مذهباً ... تعلّق أسبابَ السماء يطيرُ

شوقي

*
* *

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى ... لمدحك من كتّاب مصر كبيرُ
ولستُ أُبالي حين ارثيك بعده ... اذا قيل عني قد رثاهُ صغيرُ
فقد كنتَ عوناً للضعيف وانني ... ضعيفٌ ومالي في الحياة نصيرُ
ولستُ ابالي حين ابكيك للورى ... حوتك جنانٌ أو حواك سعيرُ
فاني أُحبُّ النابغين لعلمهم ... وأعشق روض الفكرِ وهو نضيرُ

دعوتَ الى عيسى فضجت كنائسٌ وهُزَّ لها عرش وماد سريرُ
وقال اناس انهُ قول ملحدٍ وقال اناس انهُ لبشيرُ
ولولا حطامٌ ردّ عنك كيادهم لضقت به ذرعاً وساء مصيرُ
ولكن حماك العلم والرأي والحجى ومالٌ اذا جدَّ النزال وفيرُ
اذا زُرتَ رهن المحبسين[1] بحفرة بها الزهدُ ثاوٍ والذكاء ستيرُ
وأبصرت انس الزهد في وحشة البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منيرُ
وايقنتَ انَّ الدين لله وحدَهُ وانَّ قبورَ الزاهدين قصورُ
فقفْ ثم سلّم واحتشم ان شيخنا مهيبٌ على رغم الفناء وقورُ
وسائله عما غاب عنك فانه عليمٌ باسرار الحياة بصيرُ
يخبّركَ الاعمى وان كنت مبصراً بما لم تخبرْ احرفٌ وسطورُ
كاني بسمع الغيب اسمع كلماً يجيب به استاذنا ويحيرُ
يناديك اهلاً بالذي عاش عيشنا ومات ولم يدرج اليه غرورُ
قضيت حياة ملؤها البرّ والتقى فانتَ باجر المتقين جديرُ
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا وما انت الا محسن ومجيرُ
وما انت الا زاهدٌ صاح صيحةً يرنّ صداها ساعةً ويطيرُ
سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا اليها بما تعطيهم وتميرُ
حياة الورى حربٌ وانت تريدها سلاماً وأسباب الكفاح كثيرُ
أبت سُنّةُ العمران الا تناحراً وكدحاً ولو ان البقاء يسيرُ
تحاول رفع الشرِّ والشرّ واقعٌ وتطلبُ محضَ الخير وهو عسيرُ

---

(١) يريد المعري

ولولا امتزاجُ الشرّ بالخير لم يقمْ دليلٌ على ان الاله قديرُ
ولم يبعثِ الله النبيين للهدى ولم يتطلع للسرير اميرُ
ولم يعشقِ العلياءَ حرٌّ ولم يسُدْ كريم ولم يرجُ الثراء فقيرُ
ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا الى اللهِ داعٍ ان تبلَّج نورُ
ولا قيل هـذا فيلسوفٌ موفَّقٌ ولا قيل هذا عالمٌ وخبيرُ
فكم في طريق الشرّ خيرٌ ونعمةٌ وكم في طريق الطيبات شرورُ
ألم ترَ اني قمت قبلك داعياً الى الزهد لا يأوي اليَّ ظهيرُ
أطاعوا ابيكيرا وسقراط قبله وخولفتُ فيما ارتئي واشيرُ
ومتُّ وما ماتت مطامع طامع عليها ولا ألقى القيادَ ضميرُ
اذا هُدمتْ للظلمِ دورٌ تشيدت له فوق اكتاف الكواكب دورُ
افاض كلانا في النصيحة جاهداً ومات كلانا والقلوب صخورُ
فكم قيل عن كهف المساكين باطل وكم قيل عن شيخ المعرّة زورُ
وما صدَّ عن فعل الاذى قول مرسل ولا راع مفتونَ الحياةِ نذيرُ

حافظ

وقد طرق هذا الموضوعَ ايضاً حضرة الاديبين احمد افندي نسيم وعبد الحليم افندي المصري . واطلعنا على قصيدتيهما بعد نشر ما تقدم فلم ينفسح المجال لنشرهما

يا ليل الصب متى غده

نشرنا المعارضة التي جاءتنا من شوقي بك لهذه القصيدة ، ثمَّ عارضها بعدهُ على صفحات الزهور ايضاً اعلام شعرائنا كصبري باشا والامير نسيب ارسلان وولي الدين بك يكن . ولا يزال البريد يحمل الينا من انحاء مختلفة معارضات كثيرة يحول دون نشرها ضيق المجال . منها واحدة لحضرة الاديب محمود افندي الناظر من ام دومه قال فيها :

اهوى رشاً لولاه لما قد حارب جسمي مرقده ...
قد ضاعَ الوصلُ فيا أملي بحياةِ الدلِّ تؤيدُهُ
فالوجهُ سباني ابيضُهُ والشعرُ سباني اسودُهُ

وقال ايضاً حضرة الفاضل الشيخ محمود رمزي نظيم من قصيدة

العيشُ تولى ارغدُهُ فعسى بالوصل تُجدّدُهُ
إن تنكر حبي او ولهي فلسانُ الدمع يؤيدُهُ ...
مولاي ومثلك لا يجفو صبّاً يهواه ويعبدهُ
ان راحَ اليومَ على املٍ من وصلك أيأسهُ غدُهُ
كم جمَّع من املٍ بلقا ئك والهجرانُ يبدّدُهُ

وجاءنا ايضاً شيء بهذا المعنى من حضرة كاظم افندي الدجيلي من بغداد وقد تراكمت علينا المواد الشعرية ومعظمها من فطاحل شعرائنا في اجمل الموضوعات وسننشرها تباعاً في حينها . فنرجو من اصحابها صبراً وعذراً

ومن الطرف التي سنتحفُ بها قراءنا في العدد القادم مراسلات شعرية دارت بين سعادة الامير شكيب ارسلان اللبناني والمرحوم محمود سامي باشا البارودي ايام كان هذا منفياً في جزيرة سيلان ولم يسبق نشرها قبل الآن . وقد مكنتنا الصدف من تقديمها الى قراء « الزهور » قبل سواهم

احياء الآداب العربية

ارسلت الينا الحكومة المصرية نص المذكرة التي رفعها الى مجلس النظار عطوفة رئيسه محمد سعيد باشا والتقرير الذي وضعه سعادة ناظر المعارف احمد حشمت باشا بشأن احياء الآداب العربية ، وذلك بمباشرة نشر الكتب النفيسة التي جمعها حضرة العالم احمد زكي بك من مكتبات الاستانة واوربا . وقد طالعنا كل ذلك بمزيد الارتياح ، بعد ان كانت « الزهور » قد اقترحت في اعدادها الاولى البحث في الوسائل الواجب اتخاذها لايجاد هذه النهضة . وقد قال لنا زكي بك انه كان يرى بمزيد السرور اهتمام مجلتنا بهذا الموضوع بينما كان هو يعد معدات مشروعه الجليل . ولسنا في مقام تعريف قرائنا بزكي بك . . فان ابحاثه النفيسة قد نشرت اسمه بين علماء الشرق والغرب ، ولكنه لا يسعنا الاّ ان نشكره ونشكر الحكومة المصرية على هذه الخدمة الجلى . ولا عجب فان مصر كانت ولا تزال مبعث النهضة العربية وركنها الكبير . ونحن ننشر اليوم المذكرة التي وضعها عطوفة رئيس النظار بهذا الشأن . وسننشر في العدد القادم تقرير سعادة ناظر المعارف

كان من دأب الحكومات التي تناوبت الحكم على وادي النيل منذ الزمان القديم طلب المباراة في ميادين السبق لرفع منار العلوم ونشر رايات العرفان سعياً وراء الفخر المخلد والمجد المؤبد . وكان من همها على الاخص توجيه عنايتها الى اعلاء شأن اللغة العربية وآدابها بما كانت تبذله من الرغائب لانبعاث الهمم من رقدتها ، وانعقاد العزائم على خدمتها ، وتعضيد أهل العلم وذوي الفضل على دوام البحث والاستنباط .

غير ان نوب الزمان وطوارئ الحدثان تناولت هذه العناية فيما تناولته ، فاخمدت نارها وحجبت انوارها ، فانحلت العزائم وتلاشت الهمم ، وكادت

محنة الدهر تقضي على ملكة الاختراع والابتكار بين اهل هذه الديار، وتفقدهم ميل النفس الى التصنيف والتأليف . ثم تفرع على ذلك اندثار دور الكتب واندراس آثارها بيننا ، بعد ان كانت قائمة على الدهر تشهد للامة المصرية بعلو كعبها وجميل اثرها في هذا الباب . وما زالت يد الزمن تعبث وتدمر ، حتى سخر الله لهذه البلاد محيي مواتها وباعث رفاتها ذلك الرجل العظيم محمد علي الكبير رأس هذه الاسرة المالكة . فزاوج بين ترقية الامة المصرية مادياً وأدبياً ، ومزج بين إصلاحها معاشاً ومعادا ، حتى منحه التاريخ لقباً ينطبق عليه بكل حق وعدل وهو « محيي مصر »

ثم كانت سيرة خلفائه الفخام من بعده على نحو ما رسم وقدّر ، فكان من حسنات المغفور له اسماعيل باشا ان جمع من هنا وهناك ما ابقته عوادي الأيام من حطام تلك الدور النفيسة دور الكتب القيمة فتلقف شواردها وضم اشتاتها واسس دار الكتب الخديوية القائمة الان وافاض عليها هو وابنه الخديو توفيق على الاخص ما يضمن طول بقائها ودوام الانتفاع بها ، فكانت غلة العقار المحبوس عليها كفيلة بتقدم هذا المعهد وارتقائه

ولكننا لا نزال نرى الى اليوم ان دار الكتب هذه لم تتجاوز في مهمتها المطلوبة منها وهي نشر العلوم والمعارف حد الاستعداد والتأهب للعمل وقد آن الوقت الذي يجب ان تخطو فيه خطوتها الواسعة في هذا السبيل ، وتبرز للملأ من جليل الاعمال ما فيه سرعة ارتقاء الآداب والعلوم

واما منا اليوم فرصة حاضرة ، حانت لنا بالنظر في المفكرة التي وضعها حضرة احمد بك زكي ، الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار ، وضمنها ما

عنّ له من وجوه الاصلاح وضروب الوسائل التي من شأنها احياء الآداب العربية بديار مصر . وقد ذيلهما بنبذ قصيرة عن عدة كتب ومصنفات بخط اليد ، توصل الى نقل صورها بطريقة التصوير الشمسي في القسطنطنية والبلاد الاجنبية

وقد مضى على واضع هذه المفكرة زهاء عشرين سنة وهو يوالي البحث والتنقيب عن انواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاجتياز باب العمل في فنون الاصلاح المطلوب لاحياء العلوم والآداب العربية . ولذلك قابل اصحاب الحل والعقد ما شرحه من سديد الآراء ومحكم الوسائل بعين الرضا والقبول . وعهدت الحكومة الخديوية الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ان ينظر في الامر ، ويقرّر فيه ما يرشدها الى الطريق القويم في هذا الباب

ولست ارى وسيلة لشرح ما رآه سعادته في هذا الموضوع افضل من الفات مجلس النظار الى نص التقرير الجليل الذي يشير فيه الى وجوب العمل على حسب الخطة التي رسمها صاحب المفكرة مع بيان الوسائل الفعالة لابراز هذا المشروع الى حيز الوجود . ولقد بادرتُ بابلاغ هذا التقرير الى نظارة المالية مشفوعاً برأيي في الموافقة عليه من جميع الوجوه مع تأييد كل ما اشار به سعادته من الاقتراحات النافعة لتجديد الآداب العربية

ولما درس سعادة سابا باشا ناظر المالية هذا المشروع كتب اليّ كتاباً تاريخه ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٠ قال فيه « ان نظارة المالية تشاهد بمزيد الرضا ونهاية الامتنان تلك المجهودات التي ما زال يبذلها احمد بك زكي

وانها توافق بتمام الارتياح على الغاية التي يسعى وراءها في تجديد الآداب العربية » وختم سعادته كتابه بان نظارة المالية مستعدة لان تخصص لهذا الغرض مبلغ الالف جنيه المربوط في الميزانية لتشجيع الاعمال الادبية

فهذه الاريحية الكريمة تدعونا الى البحث في الاسباب التي يكون من شأنها استمرار هذه الحركة المباركة بما يضمن ظهور آثارها بدون انقطاع

وبما انه من الضروري النظر في تدبير الوسائل التي تكفل لهذا العمل ما يقتضيه من البقاء والاستمرار

وبما ان المصنفات التي نقلها احمد زكي بك بالفتوغرافية هي ذات قيمة عظيمة من الوجهة العلمية والتاريخية والادبية

وبما ان معظم هذه المصنفات التي اشار اليها هي من وضع المؤلفين المصريين ولا نكاد نرى لها اثراً في البلاد التي تولدت فيها وظهرت بها

﴿ فلهذه الاسباب ﴾

اقترح على مجلس النظار تكليف نظارة المعارف العمومية بما يأتي :

اولاً　المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن احياء الآداب العربية حسب البيانات التي اوضحها سعادة احمد حشمت باشا في تقريره المؤرخ في ١١ رمضان سنة ١٣٢٨ (١٥ سبتمبر سنة ١٩١٠)

ثانياً　تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكوّن بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثاً　الابتداء في احياء الآداب العربيـة بطبع ونشر الموسوعتين الكبريين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين

النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعاً الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي اشار اليها حضرة احمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة الندرة العظيمةالفائدة

هذا وانني ارى من جهة أخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصيبة يوجب على مجلس النظار ان يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي نبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم ان تكلف نظارة المالية بأمرين اثنين ايضاً وهما :

اولاً جعل مبلغ الالف جنيـه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانياً اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهليـة للاسراع في انجاز اعمال الطبع بكل ما في الامكان

واملي وطيد في ان المجلس يتكرم بالموافقة على ما ابديته من الاقتراحات ليجرى العمل بانتظام وفق المرغوب ، فان انجاز هـذا المشروع على اجمل حال مما يجمل بحسنات هذا العصر ، ويكون غرة في جبين الدهر ، تشهد بارتقاء العلوم والآداب بيمن مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل

رئيس مجلس النظار

محمد سعيد

وقد وافق مجلس النظار المنعقد برئاسة الحضرة الفخيمة الخديوية على ما جاء في هذه المذكرة وفي تقرير ناظر المعارف الذي سيجده القراء في العدد القادم

في جنائن الغرب

نأخذ ما يلي من كتاب « السعادة والسلام » الذي وضعه اللورد افبري وعرّبه حضرة الاديب وديع افندي البستاني وسيجيء الكلام عنه بعد

١

الشاعر والسماء

ما فرغ الآلهة من شأن الخليقة حتى اعلنوا للبشر ان سيقتسموا الارض فيما بينهم ، وضربوا لهم موعداً لذلك . وما آن الموعد المضروب ، حتى وضع اهلُ الزراعة أيديهم على الحقول الممرعة ، واخذ التجّار يجهدون القفار و يسلكون البحار ، واحتلّ الرهبان منحدرات الجبال الصالحة لغرس الكروم ، وخصص الاشراف وابناء الترف الاحراج والغابات لاجل الاصطياد والتنزه ، واستولت الملوك على الجسور والمضايق والخلجان لاجل وضع المكوس والضرائب عليها : أما الشاعر فما نجا من حيث كان غريق التأملات العميقة ، حتى هبَّ يسعى ، ووصل فوجد كلاً قد فاز بنصيبه فراح يبكي بختهُ ويطالب بحقه . ولكن ما الحيلة ولم يبقَ في يد الآلهة شيءٌ يُعطى . فقالوا له : « هيا تعالَ اسكن معنا في صفاء السماء الابدي . تعالَ الينا كلما شئت فالباب أبداً مفتوح لك » . فقنع الشاعر بما أصابه . الا انه غني عن تكلف مشقة الصعود الى طبقات الجو وطباق السماء فهو اذا شاء وخلا باله وسكن بلباله ، ففكره يستنزل السماء الى الارض

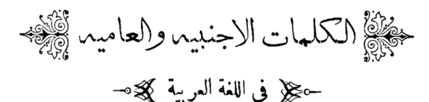
٢

﴿ وصف الحية ﴾

وكم من حيوانٍ نظلُّ لا نعرف له شأناً حتى يقوم كاتبٌ كرسكن يصفه لنا ... وهاك وصفه للحية :

« ذلك الجدول الفضي الاملس — أفكرت في جريهِ وسعيهِ ؟ الحية لا تمشي بل تسعى وتجري . وكأنها الزورق في البحر ، الاّ ان التراب ماؤها وقشرها مجذافها ورأسها دفتها . بل هي النهر تنساب في السهل انسياباً . تموج ولا ريح تتلاعب بامواجها . تجري ولا شلال يقطع مجراها . كل جسمها يتحرَّك معاً — الا ان بعضهُ ذات اليمين و بعضه ذات اليسار وقسم منه الى الامام والآخر الى الوراء ، تمرّ بك ولا تُسمعك صوتاً ، وتفوتك وتترك لك أثراً فحواه : ان آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثار فاجئها بصرخة واذا بالجدول المنساب قد استحال سهماً مسدداً وموجة السم استقامت رمحاً مقوَّماً يخترق الاعشاب وينفذ منها ولا طعنة الفارس من صدر العدوّ . لها رئة ولا تكاد تتنشق الهواء او تتنفس الصعداء . سواءٌ عندها الشمس والظل فهي باردة حارة ، جامدة الاَّ انها تتسلق ولا القرد ، وتسبح ولا السمكة ، وتثب ولا الغزال ، وتصارع وأين منها ابن حواء وتسحق وأين منها النمر . هي قوة شيطانية مجسمة على الارض . وكما ان العصفور هو قوة الهواء مكسية ريشاً فكذلك الحية انها قوة التراب لابسة مسوحاً وجلداً . وكما ان العصفور هو رمز للروح والحياة ، فالحية رمز لقضي الموت على الحياة وقبضته على الروح »

اوبرى



الكلمات الاجنبية والعامية

في اللغة العربية

لما ألف « نادي دار العلوم » لجنةً علمية من اعضائه لمباشرة وضع كلمات عربية للكلمات الاجنبية والعامية ، قابلنا عمله هـذا بكلمات الثناء والاطراء ، وكنا اسبق المجلات والصحف الى نشر الكلمات التي اقرّها مع ابداء ما عنّ لنا من الملاحظات عليها . وتناقلت بحثنا هذا صحف كثيرة في سوريا وامريكا ، وجاءتنا ملاحظات كثيرة من من مراسلينا في بيروت وبغداد نشرنا معظمها في حينه ، مما دلّ على ارتياح العرب قاطبةً الى هذا المشروع الجليل . وكان يليق بلجنة النادي ان تعير تلك الملاحظات جانباً من الالتفات ، تعميماً للفائدة ، لانه يجب ان يشترك في مثل هذا المبحث ادباء الاقطار العربية كافةً ، فقـد يكون بلد مصطلحاً على كلمة مجهولة في غيره كما ظهر ذلك مما سبق لنا نشره

والذي يسوءنا تواني اللجنة في متابعة عملها . فقد مرّ عليها اشهر من الزمان ، دون ان تتحفنا بشيء جديد في هـذا الموضوع ، سوى مفردات قليلة قررتها في شهر سبتمبر . ولم نكد نجد لها تعليلاً لما اختارته من الكلمات كما كانت تفعل من قبل . فأسفنا وايم الحق لظهور آثار هذا الخمول الذي ألفناه بعـد التحمس في كل ما نشرعه من المشروعات . لاننا كنا نعلق آمالاً كبيرة على اعضاء « دار العـلوم » من حيث كفاءتهم واجتماعهم عدداً كبيراً للسعي وراء غاية واحدة ، بخلاف سائر اللغويين الذين ليس

بينهم من رابطة . ومع ذلك يبقى لنا الامل بتجدد الهمم وانبعاث العزائم بعد انقضاء فصل الصيف حتى تعود اللجنة الى سابق عملها الذي يطالبنا الكثيرون به

***

واليك الكلمات الاخيرة التي اقرتها اللجنة :

(اتوميبل) — استعمل الكتّاب في هذا المعنى كلمة (سيارة) وتعارفها الناس فوافقت اللجنة على استعمالها

(اكسبرس) — ترى اللجنة استعمال (قطار سريع) ثم يستغنى عن الموصوف ويُكتفى بالصفة فيقال (السريع) كالمعتاد . . . ومن رأي رشيد افندي عطية صاحب كتاب « العامي والدخيل » الذي اشرنا اليه في الجزء الخامس من الزهور (ص ٢١٨) استعمال كلمة (عاجلة) والتاء للمبالغة كالتاء في راوية

(بودره) — اختارت اللجنة لفظة (غُمْنة) والغمنة في القاموس الاسفيداج ، والغمرة تطلي به المرأة وجهها

(بزرميط) — اختارت اللجنة (هجين) لمن ابوه خيرٌ من امه و (مقرِف) لمن امه خيرٌ من ابيه و (مخلَّط) اذا لم تلاحظ الخيرية في احدى الجهتين

(بنطلون) — وفصيحها (سروالة) معرّب شلوار بالفارسية — وفي سوريا يقولون (شروال) وبنطلون لفظة ايطالية الاصل وهي منسوبة الى القديس بنطلوني الايطالي اول من استعمل هذا اللباس

(ترُتوار) — قالت اللجنة (طوار) وطوار الدار (بكسر الطاء وفتحها) ما كان ممتداً معها وهذا ممتد مع الشارع . — على ان لفظة (رصيف) قد استعملها المولدون وتعارفها الناس

(تملي) — وفصيحها (دائمي)

(روماتزم) — استحسنت اللجنة كلمة (رَثْيَة) وهي في القاموس وجع المفاصل واليدين والرجلين

(زنبلك او زنبرك) — جاء في القاموس : يُقال لكل ما لم يتحرك ولم يدُر دَوَّارة وفَوَّارة بفتح الدال والفاء . فاذا تحرَّك ودار فهو دُوَّارة وفُوَّارة بالضم . والزنبلك متحرّك ، فرأت اللجنة ان كلمة (دُوَّارة) أقرب الكلمات العربية الى هذا المعنى

(صالون) — استعمل الكتّاب كلمة (بَهْو) وهي تؤدي المطلوب

(قشلاق) — ويقولون في سوريا (قشله) وفصيحها الثكنة وهي في القاموس مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علَم . جمعه ثُكَن

أما تمرجي (وفصيحها ممرّض) ودونانمة (وفصيحها اسطول) ويمكخانة (وفصيحها مَطْعَم) فهي مستعملة فقط في بعض الانحاء وما يقابلها في اللغة الفصحى اشهر منها واعمّ استعمالاً . . .

ثمرات المطابع

السعادة والسلام [1] — تكلمنا عن كتاب « معنى الحيـاة » في الجزء الرابع ص ١٧٣ . وقلنا كلمتنا في مبادىء فلسفة المؤلف ومتى عرفت ان لورد افبري هو ايضاً واضع « السعادة والسلام » وان معرّبه هو ايضاً وديع افندي البستاني الذي ملك عنان اللغتين الانكليزية والعربية ، حتى بات يؤدي كل معاني اللغة الاولى في اجمل عبارة من اللغة الثانية ، عرفت قدر الكتاب الذي نحن بصدده الآن . تطالع المئتين والخمسين صفحة التي يتألف منها الكتاب دون ان يستولي عليك شيءٌ من الملل الذي يصاحب عادةً مطالعة الكتب الفلسفية . وذلك لان مؤلفه لم يطرق الفلسفة الناشفة والاستنتاجات المملة ، بل عمد الى النفس البشرية وما حولها من مظاهر الطبيعة ، فقابل بين مؤثرات هذه وانفعالات تلك ، باسلوب قريب لذيذ يرتاح اليه الفؤاد ويتغذّى منه الجنان . ولما كانت «السعادة والسلام» امنية الجميع فيجدر بالجميع ان يقبلوا على هذا المؤلَّف النفيس . اما التعريب فهو على جانب عظيم من البلاغة والطلاوة . وقد عمد المعرّب الى ما في الكتاب من المقاطع الشعرية فسبكها في قالب شعري جميل ، فنجح في النظم نجاحه في الشعر . والكتاب مهدى الى الناشئتين المصرية والسورية ويجب على الناشئة العربية عموماً ان تستفيد منه ، لانها في طورٍ حاجتها

---

(١) طبع في مطبعة المعارف في مصر وهو يطلب من صاحبهـا ملتزم طبعه نجيب افندي متري باول شارع الفجاله وثمنه ٦ غروش صاغ . عدد صفحاته ٢٥٠

فيه شديدة الى مثل هذه المبادىء النافعة ، واذا نحن اثنينا الثناء الجم على فرع الدوحة البستانية الذي قدم لاخوانه هذه الهدية الثمينة ، فنحن نثني باسم الكثيرين الذين ذاقوا بعد مطالعة كتابه سعادةً وسلاماً

***

الجاذبية وتعليلها [١] — هو عنوان رسالة وضعها شاعر مدينة السلام واديبها الكبير جميل افندي صدقي الزهاوي ، ضمنها ملاحظات كثيرة على الجاذبية وانواعها ونواميسها ، مصرّحاً بانه اعتمد في ما كتب على ما علمه بنفسه عن المادة وقواها ، طالباً من القارىء « ان لا يحتقر الرأي لصاحبه اذا هو لم يحترم صاحب الرأي لرأيه » والزهاوي من الذين يُحترمون لارائهم ، كما ان اراءهم تحترَم ايضاً لصاحبها

***

مراثي وديوان المرحوم الياس صالح اللاذقي [٢] — من الادباء الذين اشتهرت كتاباتهم في اواسط القرن الغابر ، وكان لهم نصيب وافر في نهضة الاداب العربية ، الشاعر البليغ المرحوم الياس صالح . الذي ولد في اللاذقية سنة ١٨٣٩ ونبغ في صناعة الكتابة واللغات . وقد تقلب في مناصب الحكومة وعرف بالنزاهة والاخلاص . وزار مصر ونظم فيها قصائد جميلة في مدح خديويها اوانذاك المغفور له اسماعيل باشا وبعض وزرائها ووجهائها . وكان يخشى على آثاره الكتابية من ان تلعب بها يد الضياع

(١) طبع في بغداد بمطبعة الآداب عدد صفحاته ٧٢

(٢) طبع بالمطبعة الوطنية في اللاذقية . عدد صفحاته ١٨٦

لولا همة ولده النجيب البارع رفيق افندي صالح الاجزاجي في المصلحة الطبية السودانية . فانه باشر جمعها ونشرها بالطبع . واول ما اتحفنا به ديوان المرحوم والده وما قاله الشعراء والكتّاب في رثائه فجاء هذا الاثر الجميل خير مرآة لما كانت عليه الحركة الفكرية في الشرق في ذلك العصر

***

الرحلة الحجازية [٢] — كان حج الجناب العالي الخديوي في مثل هذه الايام من العام الماضي موضوعاً تبارت فيـه قرائح الشعراء ، فدوّنا بعض ذلك في العدد الاول من « الزهور » ، وبتنا ننتظر صدور كتاب جغرافي تاريخي يتضمن تفاصيل تلك الرحلة ووصف الربوع الحجازية الى ان جاءنا كتاب « الرحلة الحجازية » لواضعـه عزتلو المفضال الاديب محمد بك لبيب البتنوني الذي رافق الجناب الخديوي في هذه الرحلة . وقد ضمنه تاريخ تلك البلاد وآثارها وقبائلها وعاداتها واحصائياتها ، وحلّى كل ذلك بما يناهز الاربعين رسماً وخريطةً عن الحرمين ومصر والشام واطراف بلاد العرب حتى يعرّف تلك الانحاء فانها « غير معروفة للآن كما يجب لذوي البصيرة والعرفان ، مع انه يقصدها سنوياً اكثر من مئتي الف نفس من المسلمين » وعليه فقد استحق المؤلف ثناء المسلمين لما دفعه من الترّهات «التي الحقتها بالمشاعر الدينية مبالغة الوهم او مغالبة الغرض » وثناء العلماء عموماً لما قرره في رحلتـه من الحقائق الجغرافية والتاريخيـة ، والملاحظات الدقيقة الفلسفية . ولا نشك في ان الاقبال على هذا المؤلَّف

---

(٢) طبع بمطبعة مدرسة والدة عباس الاول عدد صفحاته ٢٦٨

سيكون عظيما سيما وقد جاء في ايامٍ باتت النفوس فيها متعطشة الى كل ما يتعلق ببلاد العرب

***

تقويم البشير[١] — هو التقويم الذي تصدره جريدة « البشير » منذ ٣٤ عاماً . وضعه حضرة مديرها الفاضل الاب لويس معلوف فجمع فيه اهم الفوائد عن الحسابات المختلفة للسنين والاشهر والايام، والاعياد عند عموم الطوائف ، مع ذكر المناصب الروحيـة والمدنيـة واسماء اربابها ، والتقسيم الاداري في الدولة العثمانية الى غير ذلك من الفوائد التي تتضمنها عادةً اتقن التقاويم الافرنجيـة . وهناك ايضاً شيءٌ من المقالات المفيدة منهـا مقالة طبية للدكتور امين الجميّل ، وسماد الارض للاب طوران . وأهم تواريخ العلوم ، وفوائد بيتية ، والمشروبات الكحولية لصاحب هـذه المجلة . الخ . . . كل ذلك مرتب على احسن ذوق

مفكرة المعارف — هي المفكرة التي اصبحت في جيب كل اصحاب الاشغال لانهم لا يستغنون عنها . تصدرها سنوياً مطبعة المعارف الشهيرة في عالم الطباعة . وهي تتضمن الحسابات الغربيـة والهجرية والقبطية مع مفكرة اجمالية لكل شهر . وفيها جداول للعملة والمقاييس والموازين المصرية مع مقابلتها بقيمتها في سوريا واميركا وفرنسا وانكلترا . وقد جُلّدت تجليدًا لطيفاً مذهباً وثمنها اربعـة غروش صاغ . واصدرت المطبعة المذكورة ايضاً نتيجة او روزنامة جميلة الشكل ملصوقة على لوحة كبيرة تعلق بالحائط

---

(١) مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت ثمنه ٣ غروش

وعليها رسم اوربا مع شارة كل دولة من الدول بألوان زاهية . وهي على نوعين نوع بعشرة غروش ونوع بستة وهي والمفكرة تطلبان من مكتبة المعارف باول شارع الفجالة لصاحبها الفاضل نجيب افندي متري

ازهار واشواك

اماني وتمنيات العيد

قابلته صباح العيد ، وكان قد مرّ عليَّ اربع سنوات دون ان اراه . وقعت عيني عليه فلم اكد اعرفه . رأيت بدل ذاك القوام الرشيق والقدّ النحيل والوجه الاصفر جسماً ممتلئاً صحةً وعافيةً ومحيا يكاد الدم ينفر منه . صافحته طويلاً وقلت : « وما الذي اعتراك يا صاح ؟ » فاجاب وعلى ثغره ابتسامة السرور : « هي الازمة يا اخي لم تبقِ ولم تذر » — والعشرون الف جنيه ريع اطيانك واموالك ؟ — ذهبت غير مأسوف عليها . . . قال هذا وقد تحولت ابتسامته الى قهقهة عالية . فبقيت حائراً فيما ارى واسمع وتمتمت : اتمنى لك في رأس السنة الصحة والسلامة ورجوع الثروة . . . فقاطعني قائلاً : حسبي القسم الاول من هذه التمنيات . فاننا دائماً في حاجة الى الصحة ، اما الثروة فانا بغنى عنها ، وقد رضيت بالسعادة بديلاً . . . اسمع لي ، يذهب ما بك من العجب . كنت غنياً كما تعرف ولم اكُ سعيداً وانا الآن قد جمعت بين الفقر والهناء . كنت وامرأتي نسكن قصراً شاهقاً يملأه الخدم والحشم ، وتخطر المركبات في باحته ، فكنت اقضي ليلي

ونهاري في الملاهي بين خلاني، وامرأتي من جهتها تفعل ذلك مع صديقاتها فلا اراها ولا تراني . اما الآن فنحن نسكن منزلاً صغيراً ، ونذوق فيه افراح المعيشة العائلية ، ونملأه بالحب والسلام . فزوجتي لي بكليتها وأنا لها بكليتي ، وكلانا لاولادنا وهم لنا ، فلا ندع احداً يستولي على ذرّة من فؤادنا . كان المرض ضيفنا المعتاد اما الآن فلا نعرف ضيفاً الا الصحة بفضل ترتيب حياتنا . كان خوفنا من الفقر شديداً ، والآن لا نخاف شيئاً لان الفقر نزل بنا فوجدناه خير نزيل . كنت في مثل هـذا العيد اقضي نهاري راكضاً من بيت الى بيت لمايدة من نسميهم اصدقاء ، واقضي شطراً من ليلي في كتابة بطاقات الزيارات والردّ عليها ، والشطر الآخر في المقامرة ، اما الآن فانا أُحيي عيدي ليله ونهاره بين اولادي وزوجتي . فيا ما اسعد حالتي . فبالله عليك ادعُ لي وعليّ بما تشاء ولكن لا تتمنَّ لي رجوع الثروة والجاه ، لئلا ارجع الى ما كنت عليه من الشقاء والعناء . وانا لا يسعني الا ان ادعو لك بان تصير الى ما صرتُ اليه ... قال وودعني عند منعطف الشارع وهو يردد : يا صفا الازمان ...

الحصان والمودة

انصح للكاتب الذي تخمد نار قريحته ، وتنضب مياه مادته . ان يطرق الموضوعات النسائية وما يتعلق بربات الحجال من الازياء والتفنن في مظاهر الجمال ، فيُفتح عليه ، وتتوارد الافكار الى دماغه ، بدليل ان شعراء العرب الاقدمين كانوا يستهلون كل القصائد من مدح ورثاء وفخر ووصف بالغزَل لان الغزل كما يقولون يشحذ القريحة . على اني لم

اكتب لاتغزّل بل لا انتقد ولكني استفدت من القاعدة المطردة . انتقدت الازياء فقام الشعراء في العدد الماضي يؤيدون انتقادي ، وها ان الحيوانات نفسها تعطيني حجة جديدة هـذه المرة ادمغ بها بنات حواء . وكم لنا من عظةٍ على ألسنة الحيوانات . فلتسمع سيدتي الرواية الآتية واذا شكّت في صحتها اعود فأعين لها الزمان والمكان والاشخاص :

سيدة من كرائم السيدات كانت في مركبة جميلة يجرها جوادان من الخيول الكريمة . وكان على رأس السيدة قبعة من تلك القبعات الطويلة العريضة خضراء اللون وقد زانتها كل انواع الزهور والرياحين . وكان على جانب الطريق حمارٌ ينظر الى المارين والمارات نظرة الفيلسوف — وكم في نظر الحمير من البلاغة ! — فلما وقع نظره على المركبة ومن فيها نهق نهيق الفرح ، وضرب الارض بقوائمه الاربع واخذ يعدو بسرعة حتى وصل الى العربة وانتشل القبعة عن رأس صاحبتنا بما فيهـا من الدبابيس والشعر المستعار ظناً منه ان هناك ... ربطة برسيم ! ...

مغزاه : ادع ذلك لربّات المودة ... ماصر

بين هنا وهناك

حلَّ مصر ضيفاً كريماً في الشهر الماضي حضرة الشاعر العصري شبلي بك ملاّط مؤسس جريدة (الوطن) البيروتية وباشكاتب القلم العربي في متصرفية جبل لبنان . وحضرته من الكتّاب المعروفين والشعراء الذين يشار اليهم بالبنان في برّ الشام . وقد اجتمعنا به مراراً عديدة في حلقة من الادباء وسمعنا شيئاً كثيراً من شعره الرقيق سنتحف به القراء من حين الى حين . ولما كان شعراؤنا في هذه

المدة ينشرون على صفحات الجرائد ابياتاً للغناء أحببنا ان ننشر للملاط شيئاً من ذلك وهي ابيات عارض بها الجندي القائل :

أَلحاظهُ قد أرسلا والقدُّ هزَّ الاسلا
يا معشر العشاقِ لا تلقو بايديكم الى ...

مهفهفٌ حلوُ اللمى وليس يروي لي ظما
يمرُّ بي مبتسما وكلما مرَّ حلا الخ

وقال شبلي ملاط :

بليلِ حظي اكتحلا ظبيٌ بقلبي نزلا
ما كاد يحيي الاملا حتى امات الاملا

نشوانُ من غيرِ حببْ ريانُ من ماء الاربْ
مهفهفٌ من الذهبْ لا من ترابٍ جُبِلا

حكَّمتهُ فاحتكما بالقلب حتى ظلما
يا مالكَ الروح لِما اشمتَّ بي من عذلا

فمرَّ بي يبتسمُ وقال لسنا نرحمُ
ما الحسنُ الا صنمُ وكم قتيلٍ قتلا

فرحت والقلب اضطرم ارثي لعبادِ الصنمْ
وكان عهدٌ وانصرمْ وكان قلبٌ وسلا

من كل حديقة زهرة

* أدّى التلغراف اللاسلكي خدماتٍ لا تحصى فعمّ استعماله . وفي العالم الآن ١٢٨ محطة لهـذا النوع من التلغراف على الشواطىء ، و ٥٧٩ محطة عائمة في عرض البحار ، و ٣٦٥ محطة على البوارج الحربية ، و ٢١٤ على السفن التجارية . وقد حتمت الحكومات الآن على البواخر الكبرى التي تسافر في الاوقيانوس ان تكون مصحوبة بآلة للمخابرة بالتلغراف من دون سلك

*

* في المانيا ٥ آلاف مجلة وجريدة منهـا ٨٠٠ يومية ، وفي انكلترا ٣ آلاف منها ٩٠٩ يومية ، وفي فرنسا مثل هذا العدد تقريباً وفي بلجكا الف و ٩٠٠ منها مئة يومية ، وفي ايطاليا ألف و ٤٠٠ ، وفي كلٍّ من النمسا واسبانيا وروسيا واليونان وسويسرا بين ٤٠٠ و ٥٠٠ . ومجموع صحف اوربا ٢٠ الفاً تقريباً . أما في آسيا فيصدر فقط ٣ الاف مجلة وجريدة معظمها في اليابان والهند . لان اليابان وحدها تصدر ١٫٠٠٠ . وفي اميركا عدد كبير من الصحف منها ١٢ الفاً و ٥٠٠ في الولايات المتحدة وحدها واكثر من الف من هذه الصحف يومية ومنها ١٢٠ يحررها ويديرها ويطبعها الزنوج وفي افريقيا ٢٠٠ صحيفة تنشر خصوصاً في مصر والمستعمرات الاوربية

* يؤخذ من الاحصاء الاخير ان معدل ما يدخنه كل واحد من سكان فرنسا من التبغ في السنة ألف و ٢٤ غراماً



الجزء الثاني عشر   اول فبراير (شباط) ١٩١١   السنة الاولى

المتاجرة بالرقيق الابيض

عُقد المؤتمر الدوَلي الرابع لمقاومة انتشار البغاء والمتاجرة بالرقيق الابيض ، في عاصمة اسبانيا في اول الشهر المنصرم . فاشترك فيه عددٌ كبير من كل المذاهب والطوائف والجنسيات ، من مؤمنين وملحدين ، وكلهم متضامنٌ في وجوب محاربة هذه الآفة الاجتماعية التي لا تعدُّ ضحاياها ولا تحصى : وقد احببنا إطلاع القراء على بعض ما جرى وحدث في جلسات المؤتمر لما في ذلك من العظة والعبرة ولشدة حاجتنا نحن ايضاً الى ملافاة ما ينجم عن انتشار البغاء من البلايا والرزايا ، فان محليات صحفنا مشحونة بالتفاصيل المحزنة عن متاجرة بعض ساقطي الاخلاق بالفتيات المسكينات ، مما تتألم له الانسانية وتستر منه الهيأة الاجتماعية وجهها خجلاً وحياء

انقسم اعضاء المؤتمر في الطرق المؤدية الى ملافاة هذا الداء الى قسمين ، وان كانوا متفقين في الجوهر : فرأى الفريق الاول انه ليس بالامكان استئصال شأفة هذا الداء فيجب حصره في المحلات المعروفة

تحت مراقبة الحكومة الشديدة ، وتقييده ضمن نطاق قانون خاص ، لئلا يزيد تفشيه . ويرى الفريق الثاني ان في سن قانونٍ للبغاء تسليماً به وشبه مساعدة لهُ ولذلك لا بدّ من إقفال هذه المحلات ومصادرتها

وقد تناقش الاعضاء في ذينك المبدأين وكان السواد الاعظم مؤيداً للثاني منهما وكانت الحكومة الاسبانية في جانب هذا الفريق ، اذ أصدر ناظر داخليتها قراراً باغلاق المحلات المسموح بها . اما القائلون بوجوب وضع النظام الخاص فانهم يسلمون بأن مقاومة تلك المحلات قد قلل عددها ، ولكن قد حلّ محلها الخمارات والحانات التي تخدم فيها النساء ، وخصوصاً في الثغور والمدن التي يكثر فيها رجال الجيش

واول ما طرِح على المؤتمر « تحديد معنى المتاجرة بالرقيق الابيض » فاجمع الاعضاء على استبدال هذا الاسم باسم « المتاجرة بالنساء » لئلا ينحصر الامر بالبيضاء دون سواها من النساء . ثم بحث المجتمعون في القوانين المتعلقة بالرقيق وأنواع العقوبات التي يعاقَب بها من يتاجر بهذه التجارة الدنيئة ، فأجمعوا على وجوب طلب العقوبة على طريقة واحدة سواء كانت المتّجر بها بالغة سن الرشد او لا ، خلافاً لما هو متبع في اكثر البلاد

وقد رأوا ايضاً ان المهاجرة من اكبر المصادر التي تتلقى منها محلات الفجور فرائسها . ولذلك يجب سد هذا الباب باتفاق الحكومات على منع الفتيات اللواتي لم يبلغنَ سن الرشد عن المهاجرة ، وانشاء لجنة تفتيشية لهذا الغرض ولاعادة النسوة اللائي أغراهنّ مغرٍ على الفحشاء الى اوطانهنّ ، وقد اقترحت جمعية «صديقات الفتاة» الاهتمام بمكاتب التخديم وادارات

الملاعب والثغور والمحطات لمراقبة الفتيات

هذا مجمل ما جرى في هذا المؤتمر من الابحاث التي دارت كلها حول وجوب حماية المرأة ، وخصوصاً الفتاة القاصرة ، من الاخطار التي تهددها ، والمرغبات التي تحدق بها حتى تقودها الى مواخير الفساد ، فلا تجد بعد ذلك يداً شفيقة تكسر قيود الفحشاء التي تغلُّ يديها ، وتبقيها راسفة في أدنى دركات الانحطاط الانساني ، فتتاجر — او يتاجر الغير — بجسمها وقلبها ، وهي دامية الفؤاد ، دامعة العين ...

***

وقد رأينا الحكومة المصرية تبذل بعض المساعي في هذا الشأن . على ان التدابير التي اتخذت حتى الآن لا تعد كافية لمحاربة هذه الآفة الاجتماعية التي تفتك بفتيات ساذجات لا سلاح لهنَّ يتقينَ بهِ سهام الاهواء الفاسدة والعواطف الملتوية . واننا نرى بمزيد الاسف ان اكثر محلات التخديم عندنا قد أصبحت واسطة لمعاونة الرذيلة على الفضيلة ، بل محلات سمسرة للمضاربة في بورصة الاعراض ، تعرض فيها البنات في سوق الاهواء لينتقي المخدوم له خادمة تخدم بيته وأمياله الفاسدة ، فتقضي عنده القليل من الزمن ، ثم تخرج من منزله الذي أضاعت فيهِ عرضها لتدخل المحل الذي تضيع فيهِ بقية الحياة والشرف الباقية . وهذه هي حكاية اكثر تاجرات الهوى ، حكاية قليلة الفصول ، هائلة المغزى .

أما بشأن مراقبة المحطات والثغور ، فانك تجد في البلاد الراقية جمعيات من أفاضل الرجال وفضليات النساء توفد بعض اعضائها الى المحطة

او الى الميناء ، عند وصول كل قطار او باخرة ، لمراقبة القادمين ، حتى اذا ما وجدوا بينهم فتاة قاصرة غريبة وحدها ، بحثوا عن سبب هجرتها من بلادها ، فاعادوها الى أهلها ، او تولوا أمرها بايجاد عمل لها تكتسب منهُ رزقها دون بذل ماء وجهها

فما أجدرنا بتأليف مثل هذه الجمعيات العاملة ، وبلادنا الشرقية ، كما لا يخفى ، محط لرحال الاجانب من كل أقطار المعمور ، يقذف اليها تيار المهاجرة في كل اسبوع اناساً مختلفي الاخلاق والطبقات ، بل الاحرى ان تؤلف كل جالية من الجوالي — وخصوصاً في مصر — مثل هذه الجمعية ، او تجعل في جمعياتها الخيرية لجنة تهتمّ بهذه الشؤون ، وتتولى مراقبة البنات القاصرات اللواتي لا يجدنَ لهنَّ في بلاد الغربة معيناً ولا مرشداً

وما قلناه عن محلات التخديم والمحطات والمواني ، يقال ايضاً عن المسارح والحانات وعن بائعات الزهر والموسيقيات والمغنيات الصغيرات في الشوارع حيث نشاهد منهنَّ جيشاً جراراً يطوف القهوات ، والواحدة منهنَّ ، على صغر سنها ، تسعى في تقليد الكبيرات بحركاتها وغمزاتها ومداعبة الجالسين وتتعود منذ نعومة اظفارها سماع بذيء الكلام والمغازلة السمجة

فالى كل هذه الامور نلفت أنظار الحكومة وجمعيات الطوائف المختلفة . فان صيانة كيان الامة وأخلاقها وقوتها لفي صيانة آدابها . وكما اننا اتخذنا التحوطات الشديدة ضد الهواء الاصفر ، فلنتخذ تحوطات أشد وأعمّ ضد هواء المفاسد ، فان هذا الوباء أهول فتكاً وأسوأ عاقبة من ذاك

الشيخ صالح التميمي

١ً تمهيد – شعراء العراق في عهد داود باشا كثيرون . ومع كثرتهم لا يعرفهم الا القليل . وهذا القليل ايضاً هم من اهل بغداد لا غير . فكأنك قلت او تقول : لا يعرفهم احد . وعليه فالتنويه باسماء اولئك الادباء الافاضل ضربة لازبٍ على كل من عرف شيئاً من امر فضلهم او ادبهم او علمهم . ولما كنتُ قد جمعت من الكتب ما يندر وجودها عند الغير لكونها اعزّ من الغراب الأعصم ، او اعزّ من الابلق العقوق . جئتُ بهذه الترجمة لأنادي بفضل هذا النابغة الذي لا تُروى له ترجمة في الكتب التي تروي ترجمة من هو دونه قدراً ومرتبةً

٢ً ولادته وصبوته – وُلد صالح التميمي في قصبة الكاظمية (١) سنة ١١٨٠ هـ (= ١٧٦٦ م) وما كاد يراهق الاَّ وتوفي والدهُ . فلما اصبح التميمي يتيماً ورأى في نفسه من الميل الى الشعر وقرضهِ ما لا يقوى على دفعه ، رحل الى النجف ليتلق اصول الادب واللغة على الشيوخ الاجلاء

(١) الكاظميـة والبعض يقول « الكاظم او الكاظمين » على حذف المضاف وهو « تربة او مدفن الكاظم أو قبر الكاظمين » بلدة واقعة على ستة كيلومترات من بغداد وانت تصعد دجلة على ضفتها اليمنى . وكانت في السابق مقبرة او مقابر اسمها « مقابر قريش » وكان يلصق بها باب التبن ولهذا سمي هذا القبر ، قبر موسى الكاظم ، في عصر الخلفاء بمشهد باب التبن وأما الآن فيسمى بالكاظمية وأغلب سكان هذه القصبة من الشيعة ويبلغ عددهم فيها عشرين ألفاً ، والسنة خمسة آلاف فيكون المجموع ٢٥ ألفاً.

اعلام العلم الموجودين في تلك البلدة . وكان في اثناء تحصيله العلم ينظم اغاني تزري بحسن الغواني ، ويتناقلها اهل الصقع من لسان الى لسان حتى طبّقت شهرته ديار العراق كلها جمعاء . ولقد وقفنا على تلك الاغاني من الانواع المشهورة يومئذٍ في هذه البلاد حتى لا يكاد يصدق ان ناظم بردتها وموشي حبرتها ذاك اليافع النابغة . فقد قال بعد رحلته من الكاظمية الى النجف ذاكراً احد اقرانه وقُرنائهِ

يا غائباً غاب السرورُ لاجلهِ　　ما لذَّ لي عيشٌ وانت بعيدُ
اني رأيتك في المنامِ مُعانقي　　واظنُّ اني في المنامِ سعيدُ
لما انتبهتُ وجدتُ روحي وحدها　　الدارُ قفرٌ والمزارُ بعيدُ

وقال من الموال وهو في النجف :

عصر الصبا فات مالهْ من رجوع او عودْ[1]
هيهات أسلَّى بنغمات الوتار[2] او عود
من لامني لو همت واضحيت شبه العود[3]
وأبات بهموم ما تحصى همومي بعد
ألما تنالهُ[4] بالصبوه ما تنالهْ بعد
يبيّن شيبك وتبقى بالجهالة عود[5]

---

(١) هذه الابيات باللغة العامية العراقية وهي خالية من علامات الاعراب ومعنى هذا الصدر ظاهر . ومعنى العود الاولى الرجوع (٢) الوتار هي الاوتار والعود في هذا العجز هو آلة الطرب (٣) العود الثالثة تعني الخشب اليابس (٤) ألما : الذي ما ، اي : « الذي ما تناله في صبوتك لا تناله في شيخوختك (٥) العود

وقال من باب « العتابة » :

تخطَّرت چنها بكرة[١] بلوني هـذولا بمحبتهم بلوني[٢]
ويوم اوافيهم بيّن بلوني[٣] صفار ما نفع بيّ الدوا[٤]

وقال من باب الزهيري :

من يوم ساروا فلا جرح القلوب يطيب.[٥]
حيث زروع الهنـــا بفراقهم ما حلا
هيهات مـن بعدهم يوم اشوفه إيطيب[٦]
يا محسن للصبر وَين الشقي الما حلي[٧]
من عقب عِطر الخُدُودْ إيسرني اي طيب[٨]
والله ان الشهد من بعدهم ما حلا
هل كيف مرّ الصبر لي بالفراق إيطيب[٩]

الرابعة تعني الشيخ المسنّ بلغة العراق وهي مأخوذة من العَوْد وهو المسنّ من الابل والشاء . والعرب او الاعراب تستعير للرجل ما للبعير وللمرأة ما يختص بالناقة . على ان العوْد بمعنى الرجل الشيخ الكامل المسنّ قديم الاستعمال . ومنهُ المثل « زاحِم بعودٍ اوْدَعْ » أي استعن على حربك بالمشايخ الكمل فان رأي الشيخ خير من رأي الغلام (١) اي تخطرت كأنها بَكرة والبَكرة هي الفتية من النياق . وأعراب العراق يلفظون الكاف الصريحة كالجيم المثلثة الفارسية في أغلب الاحيان والمعنى ان محبوبتهِ تخطر في مشيتها كأنها البكرة . وبلوني اي اختبروني (٢) اي القوني في بليـة (٣) اي بوجهي (٤) صفرة لم يشفها دواء (٥) يبرأ (٦) يصفو ويطيب (٧) يا صبور من هو الشقي ؟ ذاك الذي لا يستطيب شيئاً (٨) ايسرُّني كل طيب (٩) يحلو

وقال من نوع الدوبيت :

خليلي لو رأيتني بالضيقْ　　مربوط بلساني ذا المنطيق
خلتَ قوامي والعُرُوْق تقطعوا[1]　　وليس من يشبه لامري ويفوق[2]

هذه امثلة من نظمه قبل شدوه الادب على الاصول المتعارفة في المكاتب والمدارس فكيف لا ينتظر منه النظم البديع . ثم من بعد ان تلقى العلم واللغة وآدابها والقريض واصوله ، برع في النظم والنثر حتى فاق من سواه من شعراء العراق في ذلك العصر

٣ً شبابه وخَلقه — قد ذكرنا ان ولادته كانت في الكاظمية (مدفن الكاظمين موسى ومحمد الجواد) وانه تلقى العلم في النجف وكلاهما من اشرف المزارات عند الشيعة . ولهذا نشأ صالح شيعياً متمسكاً بمذهبه كل التمسك محتقراً لمذهب السنّة بل ومتعصباً تعصباً ذمياً كارهاً لاهل الذمة على اختلاف نحلهم ومللهم . وكان كلما صادف في طريقه ذمياً مهما كان تشهّد للحال وغض طرفه . واذا اتى مجلساً ، ورأى فيه ذمياً ، لم يدخله . واذا كان في مجلس ودخل ذمّيٌّ نهض للحال لكي لا يجتمع تحت سقفٍ واحد معهُ . وتصرفهُ هذا أثر في شعره كل التأثير حتى انه كان يحتقر كل كلام نثراً كان او شعراً صادر من يهودي او نصراني

وكان صالح مربوعاً حسن الصورة ممتلئ الجسم بدون ان يكون بديناً حنطي اللون ، كبير العينين أوْطَف أبلَج كبير الأذنين واسع الجبهة ، اسود شعر الرأس بدون ان يكون فاحماً . عريض الوجه أُنافياً ، واسع الفم ثخين

(١) والعروق تقطعت　　(٢) وليس من يشبهني في امري او يفوقني

الشفتين حسن الشاربين ، دقيق اسلة اللسان رقيق لحمته ، قليل شعر اللحية لطيف الأطراف من يدين ورجلين ناعم ملمس البشرة

٤ً　اخلاقه — قد سبقنا فقلنا انهُ كان متديناً إلاّ انه كان متعصباً غاية التعصب ، وكان اذا جلس في مجلس لا يرفع صوته بل يغض منه واذا مشى في الطريق لا يلتفت الى هنا وهناك ، بل سار سيراً متّئداً غضيض الطرف . وكان طلق اللسان حسن المحادثة طيب الاخلاق ولا سيما مع اخوانهِ في المذهب ، واسع الحفظ يروي شيئاً لا يقدَّر من شعر الجاهلية والمخضرمين وصدر الإسلام . وكان يحفظ من النكات أغربها ، ومن اللطائف أوقعها في النفس وكانت محاضراته مفيدة جداً ، لا يصاحبهُ أحد الا وقد استفاد منه فائدة علمية او ادبية او شعرية . وكان لا يحتمل تقريظ شاعر بحضوره واذا سمع شيئاً امتعض من المقرّظ امتعاضاً لا يوصف بل وربما عاداه أو قال فيه ابيات هجو وعرّض به تعريضاتٍ لا تليق برجل أديب فاضل راوي احاديث مثله

٥ً　نبوغه وبعض مقاطيع من شعره — لما نشأ صالح يتيماً ولم يكن ذا ثروة تذكر ، اتخذ الشعر وسيلة للاسترزاق فنجح بل أفلح . وكان اول امره انه كان يَفِدُ على اعراب خُزاعة وكان فيهم يومئذٍ ادباء اجلاء يقدرون الادب واصحابه كل القدر . ووجد في اسرة شيوخها يداً ندية تنضح بسائل بل بجامد ناضر هو النضار ، فزاد في ترطيب لسانه وحلّ ما تعقد منـه . وأفادته وفادته حتى قادته الى ان يكون من القادة بين قالة الشعر . واخذ يتردد الى كبراء بغداد ووزرائها الاعلام وعظماء أشرافها الكرام ، حتى ذاع

اسمهُ بين الملا من قاص ودان ، بل وانقاد العاصي لشعره وله دان . فبقي في دار السلام متربصاً تحسن الايام

حتى كانت سنة ١٢٣٢ هـ (= ١٨١٦ م) التي وُزّر فيها داود باشا وكان من محيي المعارف ومنشّطي ابناء الادب واذا بالسعد قد أقبل يتهادى اليه بين الفوز و بعد الشهرة . وعليه فما كاد الوزير يستقر على منصة الوزارة حتى دعا اليه شاعرنا الشيخ صالحاً ، وميزه من بين الكتاب والشعراء ، واختصهُ بنفسه وصار شاعره وجليسهُ في سره وجهره . واعترافاً بهذا الفضل أنشأ التميمي كتابين وسم أولهما باسم « شرك المقول . وغريب المنقول » وذكر فيه ايام الوزير المذكور وما جرى في ايامه من المقاتل والمعارك والاحداث . ووسم الثاني باسم « وشاح الرود . في نظم الوزير داود » ودوّنه جميع ما انشده من الشعر بحقه وبحق وُلده وبحوادث اسرته ، وحشاه لطائف ونكات جرت في عهده . وكل ذلك باسلوب شائق تستطيبهُ الآذان وينبسط له الجنان . واول قصيدة وشى طرازها للوزير داود هي هذه :

زهت الرياض وغنّت الاطيارُ وزها المقام ورنت الاوتارُ
وصفا بها العيش الانيق ورُوّقت فيها المياه وجادت الامطارُ
وعلت على دوح الاراك حمائم وتزاهرت بفنائها الاقمارُ

والقصيدة طويلة فيها ٥٢ بيتاً كلها على هذا النمط ، نمط انحطاط الشعر بعد عهد العباسيين . وقد نظم الشيخ في مديح الوزير وآله ومن ينتمي اليه اكثر من ٥٠ قصيدة

ومما ميزه به الوزير أنه لم يجز لشاعر عراقي ان ينظم ابياتاً لبناء عمومي

من الابيات المسماة بالتواريخ فقد خصّ ذلك بالتميمي ، ولذا ترى في ديوانه كثيراً من هذه التواريخ كتبت على ابواب المساجد والمدارس والمكاتب . وقد قال الوزير بهذا الصدد : « لا يُفتى ومالك في المدينة » اشارة الى علوّ كعبه في هذا المقام . ومما نظمه من هذا القبيل تاريخ انشاء للسيف الذي بناه داود باشا في الجانب الغربي من بغداد وعلى دجلة في المحل المعروف اليوم برأس الجسر قال :

اقسم بالله الذي زُيّنت ... سماؤه بالخنّس الكنّسِ

ان الذي شيّد هذا البنا ... ذو همة بالفلك الاطلسِ

داود ذو الايدي ومن علمهُ ... ما حلّ في شخص سوى هرمسِ

فقل لمن يجهد في مكسبٍ ... من ناطقٍ فيه ومن اخرسِ

أوفِ اذا كلتَ ومن بعدِ ذا ... أرّخ وبالميزان لا تبخسِ

سنة ١٢٤٠

والسيف هو محل تباع فيه الحبوب ولا سيما الحنطة والشعير . وقد قال فيه تاريخاً ثانياً وقد كُتب في محل آخر

دع هرَميْ مصر وبانيهما ... ولا تقل ذا من عجيب الزمانْ

وانظر الى دجلة في كرخها ... تجد بناءً دونه الفرقدانْ

شيّدَه داود عن حكمةٍ ... تخفى وسرّ العدل منها يُبانْ

لكي اذا باع بهِ واشترى ... ذو سَفهٍ يخشى مكينَ المكانْ

وفي الاقاليم جرى أرّخوا ... من يخسر الميزان حكماً يُهانْ

سنة ١٢٤٠

ومثل هذه التواريخ لا تحصى . الا ان الذي شهر ذكره في الآفاق

هو تعرّضه لخالية بطرس كرامة وقد اشرنا الى ذلك في الزهور ص ١٨٨ — ١٨٩ وردّ النصراني عليه والجملة ثلاث قصائد [1] قد اصبحت اشهر من « قِفا نبكِ » بين ادباء العراق

ومن مصنفات صاحب الترجمة كتاب ألفهُ للشاه زاده اخي علي شاه سماه « الاخبار المستفادة من منادمة الشاه زاده » ومبنى العنوان يدل على معنى الديوان . وفي ذلك العهد عقد عرى الصداقة مع صاحب الحُوَيزَة يومئذٍ وهو السيد عبد عليّ فنظم له « الروضة السائرة » ووفد بها اليه سنة ١٢٣٥هـ (= ١٨١٩ م) فاجازه عليها احسن اجازة

وكان الشيخ من المكثرين في الشعر وله ديوان كبير . وكان واسع الاطلاع على انساب العرب ووقائعهم وايامهم وتواريخهم . ومن غريب امره انه كان لا يسمع شعراً الا ويعرف قائله ولو لم يُذكَرْ له اسمه . ولهذا أحبه الكبار والصغار واتفقوا على موالاته . بيد انه لم ينظم الشعر الا في مدح الامراء والولاة وكبار الحكام ولم يعرض بضاعته على هذا وذاك ، ولهذا قيل فيه « شاعر الامراء »

ومن مميزاته انه كان سريع الجواب عارفاً بدقائق اللغة واسرارها لا تخفى عليه خافية واذا سئل عن شيء فيها ، نطق بالجواب بدون تلعثم ، وابدى من السداد أقرب موارده واعذب مياهه . ولذا صار شعره في البدو والحضر مسير الشمس والقمر ، لسلاسته وتدفق مياهه الرائقة . وقد اجتهد حساده ان يخفوا شعره ما استطاعوا لكن لم يفلحوا . وهل يفلح الظالمون؟

---

(١) سننشرها في عدد آت (الزهور)

وقد شعر شاعرنا بهذه الشائبة شائبة حساده فقال :

لا ذنب لي عند حُسادي سوى ادبي وشهرة دفنوا فيها وما نشروا
بلاغة طار في الآفاق طائرها في كل قطر لآدابي ولي خبرُ

ولما دالت دولة الوزير داود باشا في سنة ١٢٤٧ هـ (= ١٨٣١ م) قدم الوزير علي رضا باشا الى بغداد فمدحه هو والوزير داود باشا بقصيدة كان لها رنة وطنة منها هذه الابيات :

ظفرت بداود الوزير والردى قوارع خطب لا يفك اصطلامُها
ولو ظفرت فيه نزار ويعرب بيوم هياج والذمام ذمامُها
تخاطبها مستعطفاً عن حياته لعاجله قبل الخطاب حمامُها
على انه ما مدَّ كفَّ مسالم وترتكب الامرَ العظيمَ عظامُها
واعلم حقاً انني ان ختمتها بذكر عليٍّ قيل مسكٌ ختامُها

وله قصائد في انواع الابواب من زهريات وربيعيات ورثائيات واخوانيات ما يضيق دون استيعابه هذا المقال

٦ افول شمسه ووفاتهُ — المرءُ كالشمس يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يميل الى الزوال ، وكلما طعن في السنّ ظهرت فيهِ دلائل زوال ايامهِ . وشاعرنا التميميّ لم يشذّ عن هذه القاعدة المطردة أو كادت تكون مطردة . فان شعرهُ اخذ بالانحطاط ولم تبقَ فيهِ تلك النضارة نضارة الشباب وجدَّة الاهاب ، وكان قد تجاوز السنة الثمانين اذ بلغ الواحدة والثمانين . وكان قد ادرك هذه الحقيقة ولهذا لم يعد ينظم الشعر كما كان ينظمهُ في عهد الغضاضة ، وانقطع للعبادة والزهادة فجاءتهُ المنية وهو في بغداد نهار الخميس

بعد الظهر لست عشرة خلون من شهر شعبان سنة ١٢٦١ ﻫ (= ١٨٤٤ م) وحضر دفنتهُ اناس لا يحصى عددهم ، ودفن بجوار الكاظمين وقد رثاهُ شعراء عصرهِ ومنهم عبد الباقي افندي العمري والشيخ عبد الحسين ابن الشيخ قاسم محيي الدين وغيرهما

ولم يعقب التميمي الاَّ ولدين لا غير . احدهما الشيخ محمد سعيد الشاعر وقد اشتهر بنظمه بعض الشهرة . والآخر لم يكن على أسال من ابيه وقد مات كلاهما ولم يعمرّا كابيهما . وهكذا انقطع نسل هذا الشاعر كأنه لم يلِدْ ولم يولد

وما عيش الفتى في الناس الا　　كما اشعلْتَ في ريحٍ شهابا
فيسطع تارةً حسناً سناهُ　　ذكي اللون ثم يُرى هبابا

(بغداد)　　سائسنا

المرأة العصرية

فتحت حضرة الآنسة هدى كيورك باب هذا الموضوع في مقالة اولى ادرجتها في « الزهور » ، فرأيتُ من الواجب عليَّ ان ادافع عن بنات جنسي بما اراه حقاً فرددت عليها بمقالٍ سبق . ولكن حضرتها اعادت الكرة فرأيت ان اعود الى الموضوع لانه جليل جديرٌ بالبحث .

وقد صادف كلام مناظرتي استحساناً عند الرجال حتى باتوا يشمتون بنا

قالت حضرتها ان المرأة الحكيمة المدبرة التي وصفتها قليلة بل نادرة ، لا يجوز ان يبنى عليه حكمٌ عام . وهـذا ما أخالفها فيه . فانا نظرتُ قبلما

كتبت الى ما حولي من النساء والبنات فوجدتهن كثيرات بل اكثر من اللواتي وصفتهن في مقالها. فبنيت حكمي عليهن، وصح لي بناء هذا الحكم. وجدت فيهن الاخلاص والوفاء وحسن الادارة والسهر على الشؤون المنزلية. بل كم رأينا من الوالدين يفضلون البنات على البنين، لانهم وجدوا في البنات تعزيةً ومعيناً، ولم يروا من البنين الاّ إسرافاً وتبذيراً. ألا ناشدتكِ الله يا هدى هل تعرفين بنتاً مهما اسرفت، او امرأة مهما تفننت بالازياء توصلت الى اكل ثروة ابيها او زوجها؟ ولكن كم من الشبان بددوا الاموال الطائلة التي ورثوها عن ابائهم، وكم من الرجال اطاروا دوطة نسائهم. نظرة الى من حولنا تثبت صحة ما ذكرت.

وقد سبق لي القول، وأعيده الآن، ان معظم ما آخذتِ به المرأة المصرية من التفرنج والتورط في المودة مصدره الرجال الذين يميلون الى هذه المظاهر، فهل يرجع كل اللوم الى المرأة الضعيفة التي تجاريهم؟ واذا كان لا يصحُ حجب الافكار لاننا في عصر الحرية والنور. فانا أجاريكِ في ذلك — وان كانت هذه الحرية اسماً بلا مسمى — وارى من الواجب ان تنهض المرأة لتدافع عن حقوقها المهضومة فتنالها كاملةً وتتوصل الى المنزلة التي تستحقها في المجتمع الانساني. وقد اصبحت والحمد لله تدرك ذلك، فرأينا بين اخواتنا الكاتبات والطبيبات والممرضات والمحاميات والمخترعات اللواتي نفاخر بهن. فالمرأة التي وصفتها ليست زنبقةً واحدة بين الاشواك بل صار امامنا حديقة فسيحة من الزنبق يعطّر شذاها الارجاء. هي ليست نجمة صغيرة تحجبها الغيوم بل هي مجموع كواكب

ترصّع صدر السماء . وعلينا نحن اذا كتبنا ان نكتب في الحثّ والتنشيط لا في الملامة والتأنيب . فكفانا من الرجال سوء ظن ببنات جنسنا ، حتى باتوا ينسبون ما اكتب وتكتبين على صفحات « الزهور » الزاهرة الى اقلام رجالٍ متسترين كأنه لم ينبغ من بنات حواء كاتبات مجيدات وشاعرات بليغات . ولي بأدب مناظرتي وكتاباتها الشائقة خير حجة ادمغ بها من داخله مثل هذا الريب

(بيروت) ادما كبرلس

وقد جاءنا في هذا الموضوع ردٌّ من صاحب الامضاء ، وقف فيه موقف الحكم بين الكاتبتين قال :

بين هدى وادما

امامي الآن على منضدة الكتابة « مجلة الزهور » حيث مناظرة الآنستين الاديبتين ص ٣٣٠ ، و٤٣٥ ، و٤٨٣ . أتسمحان يا سيدتيَّ لهذا القلم الضعيف بان يجول مع ربتي يراع قويّ من الجنس اللطيف ، غير متعمد نصرة واحدة على اخرى ، فانهما متفقتان في الموضوع مختلفتان في الشكل . وها انا اسعى الى التوفيق بينكما

ملاحظة قبل الموضوع : مقالة الكاتبة الاولى احدثت تأثيراً كبيراً بين شقيقاتها . وسمعتهنّ مراراً يتحدثنَ بما كتبت ، واسمحي يا سيدتي ان اقول لكِ : ان اكثرهنّ كان ناقماً عليكِ . وهذا برهان يثبت مبدئياً ان ما قلتهِ حق لانه جرح — ولا يجرح غير الحقيقة

وردُّ الكاتبة الثانيـة ارقص بنات جنسها طرباً وعجباً ، وتمنين

قطع البحار فعلاً ، كما قطعنها شعوراً لمصا لحتها او لتقبيلها — بحسب درجة التأثير — شكراً وامتناناً ، لدفاعها عنهنّ

واسمحي لي يا سيدتي ان اقول لكِ : ان هذا ايضاً يثبت مبدئياً ضعف بنات الجنس اللطيف فهنّ يغضبنَ لاقل ملاحظة تبدى لهنّ ، ولو عن حسن قصد ، ومن احداهنّ ، ويطربنَ اذا ما ردَّت واحدة منهنّ على مغضبتهن — ولو كان الرد لم ينفِ حقيقة .. فهنّ عشيقات المدح والاطراء طبعاً ، مجفلات من اقل نقد وتأنيب

ولنأتِ الآن الى الموضوع : قالت « هدى » : المودة اهلكت بل « طلّعت دين » النساء والرجال معاً — تعبيركِ يا سيدتي اخف من تعبيري ولكن تعبيري اقرب الى الواقع على فظاظته — المودة اهلكت النساء لانهنّ ضربنَ صفحاً عن الوصية الاولى من الوصايا العشر ، وعبدنَ الزيّ ، وصلينَ للتفرنج ، وصمنَ للتقليد ...

والمودة اهلكت الرجال لان المصاريف اربت على المداخيل ،فتطرّق العجز الى ميزانية البيت ، وصارت العائلة مضطربة قلقة في كل احوالها لاضطراب الماديات وتقلقل المال ...

وسطت الزخرفات على الواجبات فألهت المرأة عن زوجها وبنيها ، فشغُلت عنهم بزينتها — سلسلة متواصلة ادّت بالشرق الى الخمول ومن ظن ان محل الفساد غير هذا فقد اخطأ — هذا ما قالته « هدى »

امنّت « ادما » على قول مناظرتها ، إلاّ انها اخذت عليها عدم عطفها على المتحليات بالفضائل من اخواتها ، وهنّ كثيرات ، وعتبت

عليها لاجمالها الكلام ، ثم فوّقت الى صدور الرجال اسهماً ، لولا انها من يد الجنس اللطيف الضعيف ، لاصابت نحور القارئين لتشفي القارئات — هذا ما ردّت به « ادما »

لم تنفِ كاتبة بيروت ما اثبتته كاتبة مصر . اذن قول الاولى حقيقي وان جارحاً ، والداء موجود بل عضال يجب الاسراع الى معالجته والا اتسع الخرق على الراتق

اما الردُّ بان في الشرق بناتٍ ونساء عرفنَ واجباتهنّ وتسربلنَ بدثار من الفضائل قشيب ، فتحصيل حاصل . بمعنى ان الكاتب الاجتماعي ينظر الى المجموع لا الى الافراد ، فاذا صحّت النظرية على الجماعات وشذَّ عنها بعض الافراد ، لم ينفِ الشذوذ صحة المبدأ ، بل كان له دعامة موطدة وقد قيل : لا قاعدة بلا شواذ

الحماسة مشكورة يا سيدتي البيروتيـة ولكن الحرية المطلقة احق بالشكر واحرى بالثناء

اذا كنا عمياً لا نبصر وأتينا اختصاصياً ماهراً فجعل لنا أعين زجاج يخالها المرء لاول وهلة عيوناً حقيقية ، فهل هذه الحيلة تغني عنا العمى وترد الينا البصر ؟ — انها في نظر العاقل ألعوبة صبيانية تقلل من مقام فاعلها لانهُ شاءَ ان يغرّ نفسه ويضحك على ذقون الناظرين اليه ، وهو لم يحسن الحيلة

اذا قلنا ان النساء غير كاملات بيننا فذلك لا يفيد ان الرجال كاملون فالرجال في الشرق ولا شك غارقون في بحر من النقائص والشوائب وكما ان وجودَ افراد فاضلين من الجنس النشيط لا يدفع المظنات عن الجنس

كله ، هكذا قلْ عن وجود صفوة من النساء الكريمات اللاتي لا يغنين شيئاً عن المجموع وهو وأبيك بعيد عن الكمال ... كما لا تجهلين

وعليه فالكاتبتان متفقتان على ان في الجنس اللطيف ما يستدعي الاصلاح والاصلاح العاجل ، ولم تختلفا على وجود البعض منهن متحلياً بحلى الادب والفضل . واكبر شاهد على ان الكاتبة الاولى لم تقصد ان تنفي كل مليحة عن بنات جنسها انها مبدئياً تعتقد انها هي نفسها على الاقل في معزل عن تلك الشوائب التي تدعو اخواتها الى الاقلاع عنها . والكاتبة الثانية اثبتت لنا عملياً وجود هذا البعض بما كشفته لنا عن اسرار المرأة الفاضلة وتفننها بالتبديل والتعديل ، حتى يخال المرء ان كل شيء عندها جديد حين يكون قد اكل الدهر عليه وشرب ...

كل هذا حسن يا سيداتي والاحسن منه — وان غاظكنّ — هو ان تعلمنَ ان عمار الكون متوقفٌ على حسن رأيكنّ ، وانا اعتقد ان خراب الكون لا يهمكن كثيراً اذا عمرت الدائرة الصغيرة التي توجد فيها كل واحدة منكن . وعليه فأقول لسيادتكن ان هذه الدائرة التي تعشنَ بها لا تعمر ولا تصلح إلاَّ بصلاحكن : الولد والبنت يتمشيان على آثار والدتهما اكثر من اقتفاء اثر والدهما . والتربية البيتية — وهي أساس كل شيء حسن في العائلة — منوطة بالمرأة دون الرجل

فاذا اقلعت المرأة عن « الزخارف والرفارف والمشارف والحرير » احسنت الى نفسها والى اولادها وكل من حواليها

فبالله عليكنّ ياسيداتي اتركنَ التفرنج والتزخرف واهتممن قليلاً

بترتيب منزلكنّ وتربية اولادكنّ تربية جدية لا تربية دلع وتخنيث ، فتشب الاولاد أشد تأنثاً من الأناث الى آخر ما هنالك من النقائص التي لا تخفى على بصيرتكنّ — واذا كنا معاشر الرجال لا نحترم الا المتفرنجة ، وان كانت محتقرة ، ونحتقر الغير متفرنجة ، وان كانت محترمة ، فهذا سقوط منا فعلمننا يا رعاكنّ الله ان نحترم فيكنّ الادب والفضل والجدّ والترتيب والعلم الصحيح ، لا ان نحترم القبعة اذا حجبت دائرتها نور الشمس والبُردَ اذا قيد أرجلكنّ حتى تتدحرجنَ وتتزحلقنَ كلما عثرت قدم لكنّ — وما اكثر ما تزلُّ القدم في تلك المقيدات !

سأغضبكنّ يا سيداتي بكلامي هذا وان كان عن حسن نية وسأغضب « صاحب الزهور » باضطراري اياه الى نشره ، لانهُ متفانٍ بخدمتكنّ ، ولكن متى علمتنّ انني أطوع لكنّ من البنان وانني لا أرى للحياة معنى الا بوجودكنّ ، حملتم كلامي على محمل الاخلاص . وموقتاً أخفي اسمي خوفاً من غضبكنّ والسلام على من اتبع « هدى » مسوله

احياء الآداب العربية

ذكرنا في الجزء الماضي (ص ٤٩٤) المذكرة التي قدمها الى مجلس النظار عطوفة رئيسه بشأن احياء آداب العرب وننشر الآن كما وعدنا ملخص التقرير المقدَّم بهذا الموضوع من سعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف :

رئيس مجلس النظار عطوفتلو أفندي حضرتلري

تفضلتم عطوفتكم بدعوتي لدرس المفكرة المقدمة من حضرة أحمد بك زكي « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع

مجموعة الكتب التي استنسخها حضرته بالفتوغرافية واستحضرها من الاستانة واوربا ولقد أمعنت النظر في هاتين المسألتين وأبدي اليوم لعطوفتكم ما أراه في هذا الشأن

ان هـذه المفكرة تشرح بأجلى بيان ما كان للقاهرة من التأثير في رفع منار العرفان وترقية الآداب العربية . فانها بفضل مركزها وعناية أهلها ، أصبحت في أوائل العصور الحديثة محطّاً لرجال أهل العلم ، ومهبطاً لطلاب الفضل

ولقد أشار صاحب المفكرة الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها، والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم ، لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية ، وازدهاء رونقها في بلاد الشرق . فكانت النتيجة من هـذا العمل المزدوج ، ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ، ولكنّ سوء الحظ قضى بان لا يصل الى أيدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير

ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر أضاعت ذخائرها وكنوزها في التقلبات التي أصابتها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن . فانطفأ ذلك السراج الوهاج ، وخبا ذلك الذكاء المصري . بيد ان شعاعاً ضئيلاً من الأمل تبـدّى في الافق . فانبعث معهُ ذلك الذكاء من مرقده ، بعد ان كان الناس يظنونه قد دخل في خبر كان ولكنهُ في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

لذلك توخى صاحب المفكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية . فاخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعوَّد ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

وللوصول الى هـذه الغاية التي ما زال ينشدها واضع المشروع ، قد اقترح حضرته تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيماً يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها ، لتأتي بالثمرة المطلوبة ، وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

وانني اوافق حضرته من هذه الوجهة موافقةً تامة ، ولذلك شرعت فعلاً في درس هذا الاصلاح درساً دقيقاً ، لا تمكن في وقت قريب من جعل خزانة كتبنا النفيسة كفيلة بالقيام بجميع الاغراض التي انشئت لاجلها، أو التي يحق لنا انتظارها منها ، حتى تكون من أقوى العوامل في نشر أنوار العلوم العربية

ثم أشار صاحب المفكرة الى انه يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفخر بها علماء مصر ، حتى يتسنى لاهل الجيل الحاضر ان يشمروا عن ساعد الجد ، ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها أجداده الامجاد

وقد رأى صاحب المشروع من الواجب عليه ان لا يقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة أو ابداء رغائب مجرَّدة عن وسائل التنفيذ ، مما لا يكون كفيلاً باستكمال وسائل النجاح ، فلذلك أفرغ وسعه ، وبذل جهده ، ولم يضن بشيء من ماله ووقته وراحته ، حتى تيسرت له كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسه ، وذلك انه قرن العلم بالعمل ، فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية ، وشخص الى الاستانة وتمكن هناك من استخدام الفتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية ، خصوصاً تلك التي كانت فيما مضى من أجمل الذخائر في الخزائن المصرية

ولم تقف همة هذا البحَّاثة عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية ، بل واصل سعيه أيضاً في ربوع العلم باوروبا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عمله على أحسن حال

هذا وقد ألمع في مفكرته بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها

ولقد رأيت من الواجب ان أستعلم عما اذا كان لهذه المصنفات أو لبعضها أثر ما في دار الكتب الخديوية ، أو في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس

البلدي بالاسكندرية . فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بان المؤلفات التي نقلها حضرة أحمد بك زكي لا توجد أصلاً ضمن مكاتبنا ومجاميعنا الاهلية ، وانها لم تُطبع حتى الآن ، وان في طبعها نفعاً عظيماً للمتنورين من ابناء مصر وسائر أهل العلم على الاطلاق

ولا ريب في ان حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها ، واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة ، خصوصاً وان معظمها مما جادت به قرائح البارعين من المصريين

وليس من الصواب ان يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد ، بل يحتم علينا ان نبادر الى السعي في طبعها ، بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلاً سائغاً للقاصد ، ومورداً عذباً لكل طالب

ونحن اذا نظرنا الى أهل الشرق والى العلماء المستشرقين في هذه الايام نراهم جميعاً يتهافتون الى الوقوف على كل ما له ارتباط بالحضارة الاسلامية . ولا شك عندي في ان الحظ الاوفر في هذه النهضة المباركة ينبغي ان يكون لمصر ، ان لم تكن هي القائدة لحركتها والمدبرة لشؤونها ، وذلك نظراً لمركزها الطبيعي ولما كان لها من الايادي البيضاء على العلوم والآداب . وبهذه المناسبة أرى من الواجب ان نشكر المعاهد العلمية الغربية ، لما تبذله من المساعي في تأييد هذه الحركة والاخذ بناصرها . ولا غرو فان المستشرقين الذين تفتخر بهم المدارس الجامعة في بريطانيا العظمى وسائر أوروبا وأمريكا ، لا يألون جهداً في العمل على نشر الكتب التي صنفها جهابذة العرب وبحثوا فيها عن شتى الموضوعات . فهؤلاء المستشرقون لا يزالون يدأبون على العمل مع الصبر في التحصيل والدرس ، والبراعة في التنقيب والبحث . وبذلك تيسر لهم ان ينشروا طائفة كبيرة من امهات الكتب العربية النفيسة ، وقد يترجمونها في بعض الاحايين الى لغاتهم ، أو يتخذونها موضوعاً لمباحثهم كيما يشاركهم قومهم في الاستفادة منها . وهم بهذا السعي يبثون فينا روح الامل باسترجاع كنوز آدابنا الشرقية رويداً رويداً ومن المؤكد ان

هذا الامل لا يلبث ان يدخل في حيز الامكان ويتحقق في عالم الوجود ، اذا ما تعهدته مصر بالقسط الواجب عليها من المساعدة

ولقد آن للحكومة الخديوية ان تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر آبائهم ويصنعوا مثل ما صنعوا

وأرى لاطراد هذه الحركة ان نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق ، وأعني بهما « نهاية الأرب في فنون الادب » للنويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري . لان هذين الاثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما أضاعتهُ من الكنوز الغوالي على أثر ما انتابها من الطوارق والطوارئ

ولقد أعيي العلماء الغربيين استكمال هذين الاثرين النفيسين ، فلم يوفقوا الى جمع اشتات هـذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الازمان ، حتى أتاح الله لاحد مواطنينا فتيسر له بعد متاعب احتملهـا مدة عشرين عاماً واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتألف منها هذان السفران ، وأثبتها كلها بالفتوغراف فحق لنا بعد ذلك ان نهنيء أنفسنا على هذا النجاح الباهر

واذا أخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي ، الذي تفضل فاظهر عنايته العالية بامرها ، فلا شك ان الاقبال على اقتنائهما سيكون عاماً عند جميع الطبقات وخصوصاً عند الفئة المولعة بالدرس وأرباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداهما الى الجامعات ودور الكتب في البـلاد الاجنبية والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرهما لانهم استفادوا منهما

وعلى ذلك فانني أشير بتشكل لجنة من أهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول ، وضبطها بالدقة قبل تسليمهـا للمطبعة الاهلية ، لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها وأشرفت عليه برعايتها ، يجب ان يكون مستوفياً لكل أسباب

الكمال ليجيء مناسباً لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

وأرى ايضاً مخابرة نظارة المالية لتأمر المطبعة الاهلية بتوسيع نطاق القسم الادبي حتى يتسنى له طبع ثلاث ملازم أو اربع في اليوم الواحد . ولعل سعادة ناظر المالية يسمح بتخفيض شيء من مصاريف الطبع للمعاونة على ترويج هذا العمل الادبي العميم الفائدة الذي من شأنه المساعدة على ترقية الافكار وتعميم المعارف اذ بفضل هذه المنحة يمكننا ان نزيد في عدد النسخ بغير زيادة في النفقات والاكلاف وبذلك يتسنى لنا أيضاً تخفيض قيمة الاشتراكات وأثمان البيع تخفيضاً محسوساً يساعد على زيادة الاقبال وتسهيل أسباب الانتفاع

بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية ، وقد بلغ في آخر أغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيهاً مصرياً . ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ، ستنتج عنهُ ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة ، فضلاً عما يترتب عليه من المزايا الادبية الكثيرة . وعلى كل حال فلو فرضنا ان هذا المشروع لا يكون من ورائه مغنم مادي ، فان الحكومة الخديوية ينبغي لها ان تغتبط بهذا المسعى الذي يفضي الى افاضة نور الادب العربي في بلاد الشرق ، وذلك لان الجامعات في بلاد الانكليز والمطابع الاهلية في ديار أوروبا ، هي التي تأخذ دائماً على عاتقها طبع المؤلفات الاهلية الكبيرة القيمة الواسعة الحجم ولو أدى ذلك الى خسارة مالية فادحة وذلك لقصور يد الافراد عن القيام بما تقتضيه من النفقات الجسيمة . أما مشروعنا هذا فانه بعيد عن ذلك بالمرة ، لما فيه من المكاسب التي تدعو الى الاقدام عليه والاهتمام بشأنه

فاذا صادفت هذه الآراء والاقتراحات ما أبتغيهِ لها من حسن القبول لدى عطوفة الرئيس رجوتهُ ان يسمح لي باتخاذ الوسائل اللازمة لانجاز هذا المشروع

على أحسن حال لكي يزيد في شرف هذا العصر الاسعد ، المشمول بمين خديوينا المحبوب الامجد ، الحامي لواء العلم والادب ، الراغب في تقدم لسان العرب

وفي الختام أرجو عطوفتكم قبول فائق الاخلاص وجليل الاحترام

ناظر المعارف العمومية

حمد حشمت

مصر الادبية

مصر تعرف ادباء سوريا وهؤلاء يعرفونها ! فهي اذا لم تكن منشأ جمهورهم وامهم الحنون فهي منشأ ومربية كثيرين منهم ولا ريب

عرفت اديب اسحق ، وسليم النقاش ، وامين الشميّل ، وسليم وبشاره تقلا ، وخليل اليازجي ، ونجيب الحداد ، وبشاره زلزل ، وابرهيم اليازجي ، من حملة الألوية في طليعة النهضة الادبية الحديثة . وحضنت يعقوب صرّوف ، وشبلي شميّل ، وفارس نمر ، وجرجي زيدان ، ومحمد رشيد رضا ، وسليمان البستاني ، وداود عمون ، وخليل مطران ، وسليم سركيس ، ورفيق العظم ، وامين الحداد ، ويوسف الخازن ، واسكندر شاهين ، وداود بركات ، وعبد الحميد الزهراوي ، وسامي قصيري ، وسليم عنحوري وخليل زينيه ، ونقولا رزق الله ، وامين البستاني ، وطانيوس عبده ، ومصطفى صادق الرافعي ، ونجيب شاهين ، وانطون الجميّل ، وفرح انطون ، ويوسف البستاني ، ورشيد عطية ، ونقولا حدّاد ، وعبد القادر المغربي ، ونجيب هاشم ، من حملة الاقلام اليوم

وربّت محمد عبده ، وقاسم امين ، ومحمود سامي البارودي ، وابرهيم

المويلحي ، وعبدالله نديم ، وابرهيم اللقاني ، وعلي الليثي ، ومصطفى كامل
ونشأت احمد شوقي ، وحافظ ابرهيم ، واسماعيل صبري ، وفتحي زغلول ،
وعلي يوسف ، واحمد لطفي السيد ، ومحمد المويلحي ، وحفني ناصف ، وولي
الدين يكن ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وامام العبد ، وعبد الحليم المصري ،
ومحمد مسعود ، واحمد الكاشف ، واحمد فؤاد ، واحمد نسيم ، واحمد محرّم
والعرب ، وعبد الرحمن شكري ، ولطفي جمعه وكثيرين آخرين وعطفت
على جمال الدين الافغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وعبد المحسن الكاظمي

فاذا كان للاداب العربية جنّة فمصر جنتها يجري في ارباضها النيل .
واذا كان مجلىً لعرائس الافكار فسماء مصر موحى الشعر وملهم البيان

لست ادري أفي طبيعة مصر نفسها خاصية الادب وقد كانت مصر منذ
القديم ولا تزال الى يومنا هذا أمّ الادب والمتأدبين ، امهي الحياة فيها توحي
الشعر ، وتستنزل البيان . وقد قام في وادي النيل في كل زمان شعراء مجيدون ،
وكتّاب افاضل منذ فتحها عمرو بن العاص الى اليوم وقد احتلها الانكليز

ولست ادري – وقد نشأ في سوريا شعراء ومنشئون كثيرون –
اسباب الفرق بين النفسين المصري والسوري !

خذ ادباء اليوم في القطرين تجد ذلك الفرق بيّناً ظاهراً
ادباء مصر يبتكرون طريقتهم في كل عصر ، وادباء سوريا يقلّدون
اما الافرنج واما الجاهليين . انا احب اليّ ان تغلب عليّ لهجة رؤبة العجاج
ومهيار الديلمي من ان تتملكني لهجة الفريد ده موسه او واشنتون ارفنغ
ان لغتي لغة مهيار ورؤبة اهذبها بما يقتضيه يومي من التهذيب

ولكنها ليست لغة « موسه » او « ارفنغ » فتلين لي وتطيعني او اذا هي لانت واطاعت فليس وسطي وسطها ، وحياتي حياتها ، واقليمي اقليمها ، وبياني بيانها . ولعل مثل هذه النظريات هو ما ابتعد بادباء مصر عن مثل هذا التقليد . او لعل الاقاليم الحارّة تطبع اهلها على حب الملاهي فيتولد فيهم الخيال والابتكار ويلهمون الجديد والبيان فاذا هم اقتبسوا عن الافرنج فالمعاني والاغراض ليس الطريقة والبيان . او لعلّ حكومات مصر كانت العامل على ذلك باطلاقها الافكار وتنشيطها الادباء ؟

ذكرت هذه العوامل وفي اعتقادي ان العامل الاكبر والاقوى انما هو مدنية مصر ومصر الحديثة ارقى الامصار الشرقية مدنيةً ولا ريب

انظر الى تاريخها منذ فتح العرب مصراً وامتزجت مدنيتهم فيها بمدنية الاقباط المتسلسلة من الفراعنة والروم والفرس والكلدانيين والاشوريين وغيرهم الى ان تولاها الاتراك ثم دخلها الفرنساويون والى ان احتلها الانكليز فتهافت عليها الغربيون من كل صوب ، نجدها مزيجاً من مدنيات مختلفة متباينة وقد بلغت اليوم شأواً بعيداً من الرقي . أوليس في بعض هذا متسع للقول بأن مصر أرقى من سوريا في الحضارة وان الآداب انما تتكيف بتكيف الحضارة وتمشي مع المدنية في طريق واحدة ؟

ربّ قائلٍ يقول ان ادباء سوريا الذين هاجروا الى مصر انما هم الذين كانوا زعماء النهضة الادبية الحديثة فيها . فانا لا انكر ذلك ولكنني أرى ايضاً انه لولا مدنية مصر ولولا الاستعداد الذي وجده أولئك الزعماء في حكومة مصر وبلاد مصر، لما استطاعوا ان ينهضوا تلك النهضة الصحيحة ،

و إلاّ فلماذا — وهم سوريون — لم يرقوا بالاداب في سوريا الى الحد الذي رقيت اليه في مصر ؟ ذلك انهم استطاعوا ان ينهضوا بسوريا نهضتهم بمصر ولكن مدنية سوريا لم تكن عوناً لهم في عملهم الشاق فوقفت تلك النهضة في منتصف الطريق

اذا وصف حافظ قلم المرحوم الشيخ محمد عبده بقوله :

اذا مسّ خدّ الطرس فاض جبينهُ باسطارِ نورٍ باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقهِ يريك سناه أيسر اللمساتِ

فلأن حافظاً عرف الكهرباء فلما لامسها اهتزّ. ولما مسّ لولبها انارت فاوحى اليه هذا العلم ذلك المعنى فقاله بذلك البيان المأثور عنه

يقول كارليل الكاتب الانكليزي المشهور ان كل انسان خلق شاعرًا وانما تتفاوت قوى الشاعرية فيه بتفاوت قوى عواطفه وبيانه وبتفاوت قوى المؤثرات المحيطة به . والمصري حواليه من مدنيته وفطرته وطباعه وعاداته وأخلاقه الوف من المؤثرات تستفزّ نفسه . وتستثير فؤاده، غير اني ـ والمجال لا يسمح بتعدادها ـ أتجاوز عنها الى احداها فاذكرها بالايجاز . وهذا المؤثر الذي اريده هو الغناء

انا لا اعرف الى اليوم مصرياً واحداً ليس يستخفه طرب الانشاد ولا يذهب بلبه الصوت الحسن . خذ أياً شئت في مصر وأسمعهُ « ياليل » ثم انظر اليه تَرَهُ طرباً ثملاً يتلوى تلوي المغني في غنائه . ويتمايل معه كيف مال ويرقص رقص الدف بيد الناقر عليه وينتفض انتفاض الاوتار تحت ريشة العوّاد . فالمصري كما ترى يؤثر فيه الغناء كل التأثير فكيف به

اذا كان شاعراً والشاعر كما قال شوقي : خلق الشاعر سمحاً طرباً ..

شوقي اطربه عبده الحمولي بقوله : « يا ليل » فقال فيه :

يسمع الليلُ منه في الفجر يا ليـــــل فيصغي مستمهلاً في فراره

وهزه انشاد المغني « يا ليل الصب متى غدهُ » فقال ابياته الجميلة : « مضناك جفاه مرقده »(١)

واسماعيل صبري طرب لغناء بعضهم فنظم لهُ القدّ المشهور : « قدك امير الاغصان »

وخليل مطران استخفه الطرب فنظم لمغنيه الدور المعروف : « الكمال في الملاح صدف »

ومراد فرج المحامي استفزه صوت مطربه فكتب له الدور المعروف ايضاً : « سلمت روحك يا فؤادي »

والغناء في مصر اشهر من ان يوصف . فاذا قيل ان الموسيقى أخت الشعر وجدت مصراً مصداقاً لهذا القول ولا ريب : والغناء كما قلت احد المؤثرات المحيطة بشعراء مصر فهو يستفزّ نفوسهم . ويستثير عواطفهم فيطربون له . ويهيج شاعريتهم . فيستنزل على ألسنتهم الالهام ويوحي البديع الى بيانهم . فيعمدون الى الابتكار . وينبذون التقليد

هذه كلمتي في « مصر الادبية » وانا اعلم حق العلم اني لم استوفِ الموضوع حقه ولا نظرتُ فيه من جميع اطرافه كما يقتضي البحث الدقيق !

(البرق)　　امين تقي الدين

---

(١) راجع الزهور ص ٢١٣

المراسلات السامية

وعدنا القراء في الجزء الفائت باتحافهم بالمراسلة الشعرية التي دارت بين أميرين من امراء القريض ، المرحوم محمود سامي باشا البارودي والامير شكيب أرسلان اللبناني . وهي قصائد غراء لم يسبق نشرها قبل الآن ، تكاتب بها الشاعران أيام كان البارودي منفياً في جزيرة سيلان ـ كما سيجيء في ترجمته التي سننشرها قريباً . وكان سعادة الامير الارسلاني قد استشهد في بعض كتاباته أولاً وثانياً بابيات للبارودي ، وذلك على غير معرفة شخصية بينهما فكتب محمود باشا الى الامير بالمقطوعة الآتية :

اشدتَ بذكري بادئاً ومعقباً　　وامسكتُ لم اهمس ولم اتكلمِ

وما ذاك ضناً بالوداد على امرئ　　حباني بهِ لكن تهيّبتُ مقدمي

فأما وقد حق الجزاء فلم اكن　　لأنطق الاَّ بالثناء المنمنمِ

فكيف اذود الفضل عن مستقره　　وأنكر ضوء الشمس بعد توسمِ

وأنت الذي نوّهت باسمي ورشتني　　بقولٍ سرى عني قناع التوهمِ

لك السبق دوني في الفضيلة فاشتمل　　بحليتها فالفضل للمتقدمِ

ودونكها يا ابن الكرام حبيرةً　　من النظم سدّاها بمدح العلا فمي

فاجابه الامير بما يأتي :

لك الله من عانٍ بشكرٍ منمنمِ　　لتقدير حقٍ من علاك محتّمِ

وشهم أبيّ النفس اضحى يرى يداً　　تذكُّر فضلٍ او جميلٍ لمنعمِ

رأى كرماً مني تذكرَ قوله　　فدلَّ على اعلى خلالاً واكرمِ

ولو كان يدري فاضلٌ قدر نفسه　　رأى ذكره فرضاً على كل مسلمِ

أيعجب من تنويه مثلي بمثلهِ لعمري الذي قد شقَّ في شعرهِ فمي
ومهما يكن من اعجمٍ فبفضلهِ يرى ثقفياً في الورى كل أعجمِ
اذا مطر الغيثُ الرياضَ بوابلٍ فأيّ يدٍ للطائر المترنّمِ
اذا ما تصبت بالعميد صباحة بوجهٍ فما فضل العميد المتيَّمِ
وهل ينكَرُ الاحسانُ الاّ لآمةً وينكِرُ حسناً غيرُ مَن طرفه عمي
وهل في شهود الشمس ادنى مزيةٍ وقد جاء ضوء الشمس لم يتكلمِ
رويدك لا تكثر لدهرك تهمةً ولا تيأسنْ من اهلهِ بالتوهمِ
فما زال من يدري الجميل ولم يكن لتأخذه في الحق لومة لوّمِ
وأنت الذي لو انصف الدهر لم يكن لغيرك في العلياء صدر التقدمِ
جمعت العلى من تِلدها وطريفها فجاءت كعقدٍ في ثناك منظمِ
غدت خطتي إما يراع ومخذمٍ وانك قطبٌ في يراعٍ ومخذمِ
ولم ارَ كفاً مثل كفك أحسنت الى المجد ارعاف المداد مع الدمِ
جمعتهما جمع القدير بكفهِ الى محتدٍ سامٍ الى المجد ينتمي
ولو كان يرقى المرء ما يستحقه اذاً لبلغتَ النيّرات بسلّمِ
وانت الذي يا ابن الكرام اعدتها لأفصح من عهد النواسي ومسلمِ
وأنشرتَ ميت الشعر بعد مصيرهِ لأعظم نثراً من رفاتٍ وأعظمِ
واشهد ما في الناس من متأخرٍ يدانيك فيه لا ولا متقدمِ
ولو شعراء الدهر تُعرَض جملةً لمنجدهم من كل حيٍّ ومتهمِ
لأبصرت شخص البحتري منك بحتراً وخلق ابي تمام غير متممِ
لك الآبدات الآنسات التي نأت وأنست عكاظ الشعر بل كل موسمِ

لكم اسهرت جفن الرواة وخالفت حظوظك منها شردُ غير نوّم

شغفتُ بها طفلاً فأروي بديعها ولم أروِ من وجدي بها نار مضرمِ

ولا عجبٌ اني احنّ صبابةً فيسري الهوى بالقول للمتكلمِ

أفي كل يومٍ فيك وجدٌ كأنهُ طوى جانحاً مني على نار ميسمِ

أُحمّل ريح الهند كلَّ تحيةٍ فكم من صبا منها عليك مسلّمِ

وقد طالما حدّثتُ نفسي وعاقني ترددها ما بين أقدمْ وأحجمِ

حلفت بما بين الحطيم وزمزمٍ وبالروضة الزهرا أليّة مقسمِ

لألفيت عندي دوس مشتجر القنا وخوضيَ في حوضٍ من الطعن مفعمِ

أقلّ بقلبي في المواقف هيبةً وأهون من ذاك المقام المعظمِ

وَهبْ انني بازٌ قد انقضّ اشهبٌ فهل يطمع البازي بلقيان ضيغمِ

ولـكنّ لي من عفو مولاي ساترًا فها اناذا منه بهِ بتُّ احتمي

أمحمود سامي إن يكُ الدهر خائناً وطال عليـك الزجر طائر اشأمِ

فما زالت الأيام بؤساً وانعماً وحظ الشقا بالمـكث حظ التنعمِ

ولولا الصدى ماطاب وردٌ ولاحلا لك الشهد الا من مرارة علقمِ

عسى تُعتِبُ الاقدار والهمّ ينجلي وينصاح صبح السعد في ذيل مظلمِ

واهديك في ذاك المقام تهانئاً حبيرةَ مسدٍ في ثناك وملحمِ

(لهذه الرسائل بقية) شكيب ارسلان



الامير شكيب ارسلان

وَنفسكَ فابدأْ بتصويرِها　بما انت من خالدٍ فاعلُ
وإلاَّ مضى الجسمُ مع رسمهِ　ولا يخلدُ الزائلَ الزائلُ

(نظم صاحب الرسم وهو في الخامسة عشرة من عمره)

❋ عبدٌ بلا ثمن ❋

يا من أقامَ فؤادي اذ تملَّكهُ　ما بين نارينِ من شوقٍ ومن شجنِ
تفديك اعينُ قومٍ حولك ازدحمت　عطشى الى نهلةٍ من وجهكِ الحسنِ
وتستعيذُ اذا أَلفتك مبتسماً　من لؤلؤ بالنهى حرزاً من الفتنِ
جرّدتَ كل مليحٍ من ملاحتهِ　لم تتق الله في ظبيٍ ولا غُصنِ
فاستبقِ للبدرِ بين الشهبِ رتبتهُ　تملكهُ في أفقهِ عبداً بلا ثمنِ

اسماعيل صبري

ازهار واشواك

صنعة زوجي ؟

بين ضيوفنا الكرام في مصر الآن تلك التي ستجلس يوماً ما على عرش من اعظم عروش العالم ، اعني بها قرينة ولي عهد المانيا . رافقت زوجها ، ولي عهد اليوم وامبراطور الغد ، في قسم كبير من سياحته لتعرف البلاد وتطلع على شؤون الامم . وقد نزلت في ربوعنا ، في ارض داسها قبلها رجال عظام ونساء شهيرات ، فعلى الرحب والسعة ... حكاية صغيرة عن هـذه الاميرة الكبيرة : كانت البرنسيس تهتم بايجاد عمل لاحدى الاوانس . واتفق انها قرأت في احدى الجرائد اعلاناً من صاحب احـد المخازن يطلب فيه « دموازيل » مساعدة في البيع . فرأت الاميرة ان تقصد صاحب المخزن بنفسها لتوصيه بالآنسة . ، دخلت الى المخزن ، وقد صبغ الحياء جبينها ، وقالت مترددةً : قرأتُ اعلانك في الجريدة . انت تريد مساعِدةً ...

فتبسم التاجر – ولم يكن يعرف الاميرة — ووضع يده على كتفها قائلاً : بكل أسف يا ولدي ، لاأرى شكلك موافقاً . ولـكن لا بأس ، عودي اليّ بعد شهر واحضري معكِ ما لديكِ من الشهادات ... ما اسمكِ ؟ — سيسيليـا – وهل انت متزوجة ؟ — نعم ! وما صنعـة زوجك ؟ — الآن ... لا شيء . ولـكنه سيكون يوماً ... امبراطوراً

ادارات البريد

قرأت في الصحف الانكليزية ان حركة البريد في مدينة لندرا قد

زادت في الاعياد الاخيرة نحو ٧٥ في المئة . فقد وزّع في اسبوع العيد ٢٥ مليوناً من الرسائل . وقد جرى كل ذلك باتم انتظام ولم يتأخر التوزيع الاّ في مئة ديك رومي و ٢٥٠ اوزة و ٨٠٠ طرد من الطيور الداجنة و ٢٠٠ طرد من الزبدة والبيض وذلك لنقص في العنوان . وقد اعلنت مصلحة البريد امر هذه الطرود وسلّمتها الى اصحابها بعد ان اثبتوا شخصيتهم . ثمّ كان هناك شيء من الطرود يخشى عليها من العطب والتلف اذا تأخر تسليمها فكانت المصلحة تبيعها وتحفظ ثمنها لاصحابها ...

انقل ذلك لمصالح البريد في بعض الانحاء حيث يخطف كل عدد من « الزهور » غير مؤمّن عليه . واكتفي اليوم بهذه الاشارة ، راجياً ان لا اضطرّ الى التصريح ...

حاصر

ثمرات المطابع

ظهر القسم الثالث من كتاب « دروس التاريخ الاسلامي [1] » تأليف حضرة الكاتب البليغ الشيخ محيي الدين الخيّاط وقد سبق لنا الكلام عن هذه الدروس عند صدور الجزئين الاولين منها . اما القسم الذي امامنا فهو يتناول مجمل تاريخ بني امية وهو مزين بخريطة الدول العربية الاسلامية

---

(١) طبع في المطبعة العصرية في بيروت ويطلب من المكتبة الاهلية فيها ومن المكتبة السلفية في مصر وثمنه غرشان ونصف

وظهر ايضاً الجزء الثاني من كتاب « سمير الليالي[١] » الذي وضعه محمد افندي الصوفي السكري وقد تكلمنا عنه عند صدور الجزء الاول منه وجمل ابحاثه جغرافية . اما هذا الجزء فقد دوّن فيه اشهر الحوادث التاريخية واورد معلومات شتى وفوائد كثيرة

الحمل خارج الرحم[٢] : رسالة طبية وضعها حضرة العالم الدكتور محمد افندي عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب ، بحث فيها بحثاً دقيقاً في موضوع الحمل فاورد اقوال نُطس الاطباء في هـذا الموضوع واردفها باختباراته الشخصية ويسرّنا ان نرى كثرة الكتابة عن هذه الموضوعات الاختصاصية في اللغة العربيـة مما يدلُّ على نهضة حقيقية . فنثني على حضرة الدكتور عبد الحميد وننتظر منه متابعة ابحاثه في لغتنا

ضحايا البشرية[٣] : مجموع مقالات عمرانية انتقادية من قلم حضرة الاديب ندره افندي نقولا الوف . لهجتها تدلُّ على ثورة في صدر كاتبها انفجرت بزفرات كلها تألم مما يؤلم ومما لا يؤلم من هـذه البشرية التي لا تعدّ ضحاياهـا . والذنب تارةً على المجتمع الانساني وتارةً على الافراد انفسهم الذين يذهبون ضحية جهل معنى الحياة . وقد كتبت مقدمة هذه المقالات حضرة المنشئة الاديبة السيدة لبيبه هاشم صاحبة فتاة الشرق

---

(١) طبع في طرابلس وهو يطاب من ملتزم طبعه الشيخ عبـد الله افندي الرفاعي صاحب المكتبة الرفاعية　　(٢) طبع بمطبعة المعارف بمصر

(٣) طبع بالمطبعة الشرقية بزحلة ويُطلب من جميع المكاتب الشهيرة في مصر وسوريا وثمنه فرنك

القواعد الحسابية للاعمال التجارية والزراعية[1] : وضع هذه المجموعة حبيب افندي داود بحري وجمع فيها جملة قواعد حسابية كثيرة الاهمية في القسم الزراعي كتضريب قيم الفدان والقيراط والسهم معاً باية فئة كانت وتضريب قيم الاردب والكيلة الخ . وفي القسم التجاري قواعد الفائدتين البسيطة والمركبة وقواعد الشركة وكيفية تقسيم الخسائر والارباح

لباب الخيار في سيرة المختار[2] : لمؤلفه الكاتب القدير الشيخ مصطفى الغلاييني منشيء « النبراس » ومدرّس العربية في المكتب السلطاني البيروتي . صدّره بلمحة اجمالية من حالة العرب وعاداتهم وممالكهم قبل الاسلام . ثمّ تناول سيرة نبي الاسلام وما تخللها من الحوادث التاريخية الخطيرة باسلوب لذيذ مفيد

رفيق الجندي المسيحي[3] : دُعي المسيحيون الى الخدمة العسكرية بعد اعلان الدستور فرأى حضرة الفاضل الاب يواكيم الفرنسيسي ان يضع لهم هذا الكتاب المفيد حيث تكلم عن شرف الخدمة العسكرية وحب الوطن وممارسة الفضائل المتحتمة على من ينخرط في سلك الجندية

من كل حديقة زهرة

* يُباع كل يوم في باريس سبعمئة الف كارت بوستال مصوّره

(١) طبع بمطبعة مصر وثمنه عشرون غرشاً صاغاً وهو يطلب من مؤلفه في شبرا ومن مكاتب الهلال وهندية والتأليف (٢) طبع بالمطبعة العصرية على نفقة المكتبة الاهلية في بيروت (٣) طبع بمطبعة الآباء الفرنسيسين في اورشليم

* في اميركا مئة امرأة تنفق الواحدة منهن على ملابسها في السنة ١٥٠ الف فرنك ، والف امرأة تنفق ٧٥ الف فرنك ، وعدد لا يحصى تنفق الواحده منهن من ٣٠ الى ٤٠ الف فرنك . ولاحداهن ولع خاص بالمناديل الثمينة فلا يكلفها المنديل الواحد اقل من جنيه

* افتتح في بروكسل متحف للجرائد . ومنشؤه « ڤان دن بريك » كان قد جمع ٣٥ الف نسخة من جرائد مختلفة . وهي اكبر مجموعة من هذا النوع وقد اهداها صاحبها المذكور الى المتحف الجديد مع سبعمئة كتاب عن الصحافة والصحافيين . ولدى « متحف الصحافة » هذا خمسة آلاف نسخة مزدوجة للمبادلة

* يقدّر رئيس قلم الاحصائيات في الولايات المتحدة قيمة الهدايا التي تبودلت في بلاده بمناسبة اعياد الميلاد بخمسمئة مليون فرنك . هذا ما عدا التقادم المالية من المصارف والشركات والمحلات التجارية الى مستخدميها . وقد وزعت البنوكة من هذا القبيل ٥٠ مليون فرنك تقريباً ، واهدت جمعية احتكار الفولاذ الى عمالها معاشات قيمتها ٦٠ مليوناً

* اقترح احد النواب الفرنسويين على المجلس سنّ ضريبة مقررة على حملة الاوسمة والنياشين

* مضى قرن كامل على احتكار التبغ في فرنسا . وقد باعت الحكومة في السنة الاولى بمبلغ ٦٠ مليون فرنك وهي تبيع الآن سنوياً بمبلغ اربعمئة وخمسين مليوناً وبلغ ربحها الصافي في هذه المدة خمسة عشر ملياراً ونصف مليار . كل هذه المبالغ ذهبت دخاناً في الفضاء

ختام السنة الاولى

هذا الجزء هو الجزء الثاني عشر والاخير من السنة الاولى « للزهور » التي تتألف منها الآن مجموعة من انفس ما جادت به قرائح مشاهير كتّاب العرب في هذا العصر . ويرى القارىء من القاء نظرة على الفهرس العام عدد وشهرة الكتّاب الذين حصلت ادارة هذه المجلة على مساعدتهم بالتحرير لتكون « الزهور » كما وعدنا عند صدور الجزء الاول رابطةً بين ادباء الاقطار العربية ، لان المقصود من المجلة ان تكون معرض اقلام مختلفة لا مجموع مقالات من قلم كاتب واحد . وكلما كثر عدد محرري المجلة زادت قيمتها وزاد الاقبال عليها . هكذا نفهم المجلة وهكذا عملنا على ان تكون « الزهور » فتحققت آمالنا بفضل انصار الادب واعوان العلم . ويحق اليوم للزهور بعد قطع المرحلة الاولى من عمرها ان تنافس بمحرريها وهم من اشهر من حمل قلماً عربياً ، وان تفتخر بقرائها وهم الطبقة الراقية من الامة العربية . وستظلُّ عاملة على ارضاء مشتركيها بالتحسين المتواصل والاحتفاظ بخطتها الادبية المنزهة عن الشخصيات والتحزبات الجنسية والمذهبية

واذا حقَّ لها هذا الفخر فانه يجب عليها اسداء صميم الشكر للمحررين فيها ولقرائها ووكلائها الادباء على موآزرتهم لها ، ولحضرة صاحب مطبعة المعارف ومديرها وعمالها النشيطين على ما بذلوه في سبيل حسن الطبع والترتيب مما صادف استحساناً كبيراً عند اصحاب الذوق

احسن قصيدة واحسن مقالة

طالعت ايها القارىء في الاثني عشر عدداً من الزهور المجموعة لديك مقالات وقصائد كثيرة ولا بدَّ من ان تكون فضّلت واحدة منها على سواها . فنقترح الان عليك ان تكتب لنا عن المقالة والقصيدة اللتين حازتا تفضيلك . — ومتى اجتمعت لدينا الاجوبة الكافية ننشر عنوان القطعتين اللتين تنالان اكثر الاصوات . —

١ فهرس

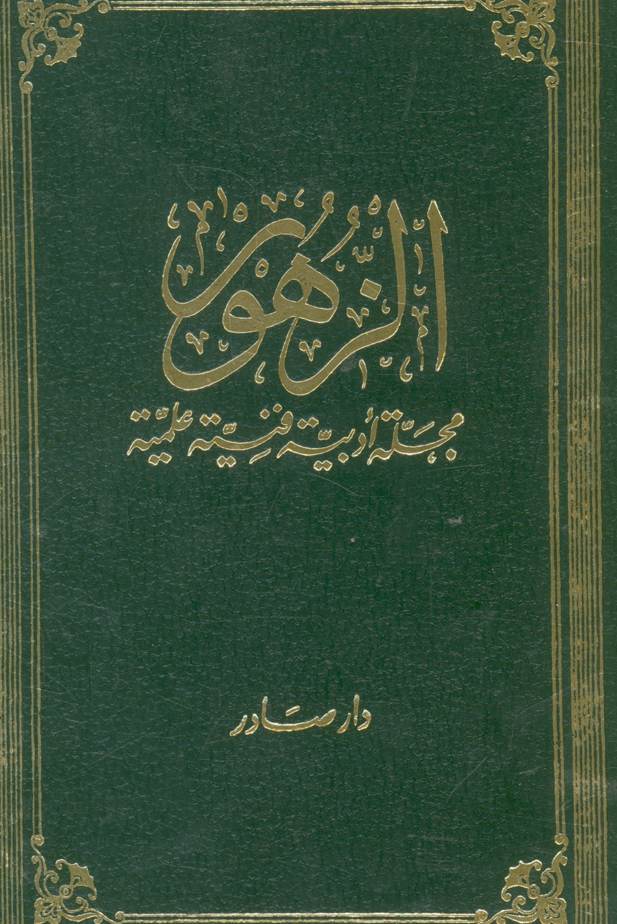
{ موادّ السنة الاولى مرتبة على حروف المعجم }

﴿ ٢ فهرس المطبوعات التي ورد وصفها في « الزهور » ﴾

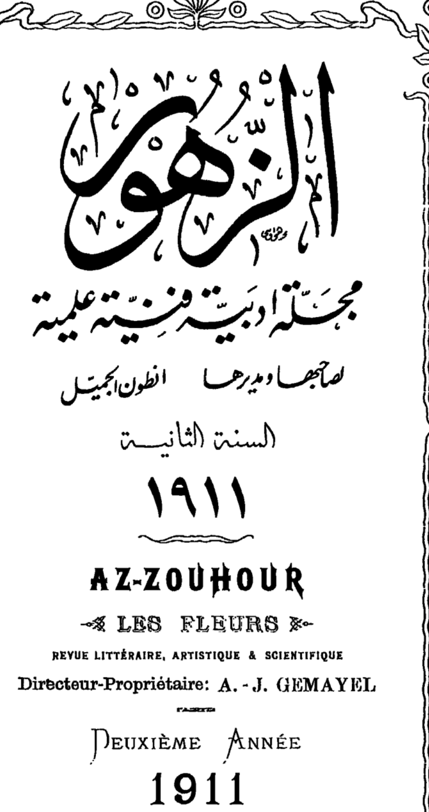
فهرس ٢

﴿ أسماء كتاب « الزهور » ومقالاتهم ﴾

﴿ ٤ فهرس الصوَر والرسوم ﴾


الزهور
مجلة أدبية فنية علمية
دار صادر





الزهور

مجلة ادبية فنية علمية

لصاحبها ومديرها انطون الجميل

السنة الثانية

١٩١١

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

Directeur-Propriétaire: A.-J. GEMAYEL

DEUXIÈME ANNÉE

1911

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر



الجزء الاول　　　مارس (اذار) ١٩١١　　　السنة الثانية

السنة الثانية

نودّع اليوم السنة الاولى من حياة هذه المجلة ونستقبل السنة الثانية

قطعت «الزهور» المرحلة الأُولى من عمرها وهي لم ترَ إلاَّ ابتسامة الرضى من المنشطين ، ولم تسمع إلاَّ كلمة التشجيع من القراء والمشتركين .

قطعت الشوط الأول في مضمار النهضة الحديثة ، وأقلام أعلام الادباء تحدق بها فتقيها كل عثرة ، ونفثات كبار الكتّاب والمفكرين تحوم حواليها في كل خطوة . فادركوا بها الغاية التي وضعتها نصب عينيها منذ وجودها

ظهرت هذه المجلة وقد غصّ عالم الأدب بالصحف والمجلاَّت ومع ذلك فقد أُتيح لها ان تفسح مجالاً واسعاً وتحرز لنفسها مقاماً سامياً .

ندوّن ذلك في مطلع السنة الجديدة لا فخراً ولا مباهاة ، ولكن اقراراً بفضل مشاهير الادباء الذين خصوها بنفثاتهم الرائقة ، واعترافاً بكرم القراء الذين شاؤوا ان يروا فيها الصحيفة الأدبية التي كانت اليها نفوسهم تائقة .

فكان اقبال اولئك على تحريرها داعياً الى اقبال أولاء على اقتنائها

قلنا في أول مقالة رسمنا فيها للقراء خطة هذه المجلة انا سمينا لجعلها

رابطة بين كتّاب الأقطار العربية حتى يتعارفوا وتتمكن فيما بينهم أواصر الادب . ونشرنا إثر ذلك اسماء الكتاب والشعراء الذين وعدونا من أنحاء مختلفة بابراز بنات افكارهم على اوراق « الزهور » . ولم يكونوا بالنفر القليل . فاثنى الجميع على هذه الخطة الجديدة وأجمعوا على استحسان هذه الفكرة ولكن فريقاً أبى عليهم تحفظهم إلاَّ ابداء الشك في التمكن من تحقيق هذه الأمنيـة العزيزة . وهي حمل أُدباء العرب على الاشتراك في تحرير صحيفة تكون لسان حالهم . واقروا بأنهُ لو أُتيح لمجلة ان تجمع هذا الشتات لكانت في مقدمة المجلات

غير اننا لم ندخر وسعاً للوفاء بما وعدنا كما يتبين لك ذلك من مراجعة اسماء من وعدنا بنشر كتاباتهم واسماء من ساعدونا فعلاً وهي مدونة في فهرس السنة الأولى • فتجد ان عدد الكتاب الذين اشتركوا في تحرير « الزهور » يناهز المئة وهي نتيجةٌ نفاخر بها لأن المجلة الحقيقية — كما ذكرنا في احد الاعداد السالفة — هي معرض اقلام مختلفة ، لا كناية عن مجموعة مقالاتٍ لكاتب او كاتبين • وقد وعد عموم هؤلاء الكتاب بالمثابرة على اتحاف قرائنا بدرر اقوالهم • وفاوضنا غيرهم ايضاً بهذا الشأن فكان مثل من تقدمهم مدعاةً لنزولهم ايضاً الى هذا الميدان

﴿ ابواب المجلة ﴾

وسنحفظ التبويب الذي سرنا عليـه حتى الآن فقد صادف استحسان العموم وهو :

١ باب للمقالات التي يدبجها مشاهير الكتاب في موضوعات متنوعة

٢ً « في جنائن الغرب » ننشر تباعاً تحت هذا العنوان خير ما يؤخذ عن آداب اليونان والرومان والفرنسويين والانكليز والالمان والايطاليان والروس وغيرهم من الغربيين قديماً وحديثاً لأن ذلك يكسب لغتنا ثروة طائلة من المعاني الجديدة والمباني الحديثة. كما ترى في مجموعة السنة الاولى

٣ً « في حدائق العرب » ننشر فيهِ صفحات مطوية من خير ما قاله الغابرون من كتّاب العرب لأن لدينا كنوزاً مدفونة نحن في أشد الحاجة الى الانتفاع بها

٤ً « في رياض الشعر » نعرض في هذا الباب عرائس القصائد التي يزفها الى قرائنا أشهر شعرائنا. — ولما كانت قد تراكمت علينا مواد هذا الباب حتى تكاد تضيق عنها صفحات هذه المجلة ولو خصصناها كلها بالشعر رأينا إحالة كل ما يأتينا من هذا القبيل على لجنة مؤلفة من ثلاثة من شعرائنا المعروفين ينتقون منها ما يرونهُ ملائماً للنشر. أو يقولون كلمتهم في تلك القصائد اذا أراد ناظموها

٥ً « اشواك وازهار » يوالي تحرير هذا الباب صديقنا «حاصد» الذي عرفهُ القراء منتقداً دقيقاً بين الجد والهزل

أما نقد الكتب على الطريقة التي سلكناها فسنتابعهُ كلَّ ما وقع لدينا كتاب يستحق الافاضة في البحث .

﴿ الوكلاء والاشتراكات ﴾

طلب الكثيرون منا ان يكونوا وكلاء « للزهور » في أنحاء مختلفة . وكنا لا نجيب دائماً الى طلبهم لأن « الدفع سلفاً » قد أغنانا عن كثرة

الوكلاء على ان من رغب في ان يكون وكيلاً لهذه المجلة عليهِ ان يجد لها على الأقل ستة مشتركين جدد . أما دفع الاشتراكات خارج العاصمة فنطلبهُ مقدماً . وأفضل طريقة لارسال البدل هي حوالة على بوسطة مصر أو على احد المصارف المعروفة

✱ المبادلة والهدايا ✱

وقد كثر أيضاً عدد الزملاء الذين يطلبون مبادلة « الزهور » على ان كثرتهم تحول دون اجابة طلب الجميع . وقد جاءنا في السنة الماضية ما يناهز المئة صحيفة او مجلة أو نشرة مع طلب المبادلة . ولا يخفى ان اجابة الجميع من المتعذرات . وا كثر من ذلك عدد الأندية والجمعيات المختلفة التي تكتب لنا تستهدينا المجلة «خدمة للأدب واحياء للمشروعات العلمية» وهذا جلُّ ما نتمنى ولكن كثرة الطلب اضطرتنا الى الرفض وكل ما في الامكان حسم ٣٠ في المئة من أصل الاشتراك لهذه الأندية شأننا مع طلبة المدارس

✱ الكتب ✱

أعلنا في بداية السنة الماضية ان ادارة المجلة مستعدة لتقديم كل الكتب التي يطلبها المشتركون مع تنزيل يُذكر من أصل الثمن وذلك خدمة للقراء الذين كثيرًا ما لا يعرفون أين يجدون مطلوبهم . وقد طلب منا في أثناء السنة ٢٧٠ كتاباً تقريباً . ولما كانت الطلبات تتكاثر يوماً عن يوم رأينا ان نتفق مع أصحاب المكتبات الشهيرة لتكون المفاوضة معهم رأساً مع حفظ حقوق خصوصية لمشتركي الزهور سنعلنها مع اسم هذه المكتبات في عدد قادم

إيماءة زائر

الى بعض ما بأورشليم وبيت لحم من الصدقات الجاريات
والمآثر الباقيات

ان شوقي الى اوَّل ارض طلعت عليها شمس الانجيل حملني هـذه السنة على زيارة اورشليم وبيت لحم . فأبحرت من بيروت يوم الجمعة ثالث حزيران ومعي ابن عمي ميخائيل فاتتهت بنا الباخرة الى مدينة يافا عصر السبت ونزلنا عند الآباء الفرنسيسبين الكرام . وبعد ظهر الاحد علونا متن الباخرة البرّية نريد بيت المقدس فلم ينقضِ إلاَّ أربع ساعات حتى نعمت العين برؤية المدينـة المقدسة لكن لا بالاعمال الصالحة بل بقتل الأنبياء ورجم المرسلين وصاب المسيح

ولقد تذكَّرت والقطار ينهب تحتنا الارض ما كان القدماء يكابدون من مشاق السفر ومكارههِ فقلت أين سرعة تلك اليَعْملات والهملَّمات والعُذافرات[1] من سرعة هذا القطار . واين العصور الخالية من عصر البخار والكهرباء الذي انبسط فيهِ سلطان العقل على القوى الطبيعيـة فسخرَّهـا لخدمة الجمعية البشرية حتى هان الصعب ولان القاسي . ودنا العاصي . فصار يتسنى لنا السفر الى الارض المقدسة بل الى اقصى المعمور براحةٍ وأمان حتى اذا قلنا السفر راحة ونزهة لا نكون قد اخطأنا كما ان

---

(١) اليعملات النياق النجيبة المطبوعـة على العمل . والهملَّمات النياق السريعة . والعذافرات النياق الشديدة

الذين قالوا السفر قطعة من العذاب لم يخطئوا فكلّ يصف السفر على ما هو في عصره

هذا ولقد رأيت هنالك من آثار رجال الفضل والخير الحاملين لواء المحبة البشرية ما دعاني الى ان اكتب هذه الرسالة القصيرة إشادة بذكرهم وإثارةً لما في افئدة غيرهم من كامن الرحمة وقد استحسنت ان اقدّم على ذلك كلاماً في دواعي التعظيم والتكريم لتلك الديار الفلسطينية فاقول

لا بدّ لتفضيل بقعةٍ على بقعة من داعٍ ذاتي او داعٍ خارجيّ. أما الداعي الذاتي فهو جودة التربة وطيب الهواء وعذوبة الماء ولذّة الثمار وحسن الموقع والخصب

واما الداعي الخارجي فهو ما يأتيها اما من رجلٍ ممتاز بعلمٍ او باختراع، واما من حادثة عظيمة تقع فيها كذي قار والجفار وذات الرمرم وهي مواضع جرت فيها وقائع حروب فقالوا : يوم ذي قارٍ ويوم الجفار ويوم ذات الرمرم . فكلُّ بقعةٍ توصف بإحدى هاتين الصفتين أو بكلتيهما تحوز الكرامة في عيون الناس . فهل شُغف الناس بزيارة الارض المقدسة الاّ لما طُبعوا عليهِ من العناية بحفظ آثار العظماء والفضلاء وكل من عُرف بمنقبة او اشتهر بحادثةٍ كبيرة او باختراع نافع فهم يتغالون بأثمانها ويتفاخرون باحرازها. فيا لحسن بخت من توجد عنده اليوم رسالة بخط ذي القرنين مثلاً او بخط استاذه أرسطو الفيلسوف فيتزاحم أغنياء الغربيين على اشترائها بأغلى ثمن كما يتزاحمون على شراء جوهرة كبيرة

صافية فهم يتخذون مثل ذلك حلية خزائنهم وآية عظمتهم

وكما طُبعوا على العناية بحفظ آثار العظماء طُبعوا ايضاً على الحنين الى كل بلدٍ نبغ فيهِ فاضل او خرج منهُ عظيم حتى اذا حانت لهم فرصة لزيارته اغتنموها تبريداً لغلّة الشوق بلقائهِ ان حياً وبرؤية بلده او بيتهِ او رمسهِ ان ميتاً فهذا عاهل الالمان قد زار يوم كان في دمشق قبر صلاح الدين الأيوبي ووضع عليهِ اكليلاً اجلالاً لذلك الملك المشهور بالبسالة والحزم ولم يردّه عن تكريم الرمس ما كان بين ضجيعهِ وبعض ملوك الالمان من الوقائع الحربية

ولقد جرَّبت ذلك بنفسي فاني لما كنت العام الماضي في طريق حلب لم أكد احوّل نظري عن جهة المعرَّة حتى جاوزت حماة وذلك ان في قلبي حنيناً الى بلدةٍ تشرَّفت واشتهرت بأنها مولد ابي العلاء المعرّي

فكم من بلدٍ شرف من اجل انهُ مولد شهير . وكم من بقعةٍ عظم قدرها وبعد ذكرها لما انها مدفن عالم نبيل أو فيلسوف عظيم أو فاتح عزيز . فهذه جزيرة القديسة هيلانة قد انتشر ذكرها في كل ناحيةٍ من الارض لمجرَّد انها كانت منفى نادرة الزمان بل يتيمة الايام نابليون الاوّل عاهل الافرنج . وهذه تواريخ المدن والممالك لا يُذكر فيها الأَمن تنبه بهم أوطانهم وتعتزّ بهم بلادهم فيجعلهم المؤرخون قلائد على اعناق تلك الممالك وتيجان مجد على رؤس تلك الأمم . فاذا كان الى هذا الحد يبلغ اعظام الناس لأوطان المشاهير ومنازلهم وقبورهم فماذا عسى يكون إعظامهم للارض التي وُلد ونشأ فيها السيد المسيح الذي أبى ان يحفل بالظاهر الحسن والباطن قبيح .

فصبَّ كل وصايا الدين في وصية واحدةٍ وهي المحبة التي جعلها ينبوعاً لكل حسنةٍ وفضيلة وجعل كل ما سواها من التكاليف الدينية وقايةً لها

بل ماذا عسى يكون شرف أرض وطئها مشترع تنقاد الى انجيلهِ ممالك ضخمة وأممٌ عظيمة قد صارت بقية امم الارض تقفي على آثارها وتنهج منهاجها فهل تعلم أمة تهوى الفلاح ولا تجري وراءها متبعةً خطاها في العلم والصناعة والزراعة والتجارة. فهذه المملكة اليابانية لم تصعد من هاوية الجهل والخمول الاّ باقتصاصها آثار الممالك التي انبسط عليها نور الانجيل

اورشليم — هي مدينة يقصدها الاسرائيلي لأنها كانت قاعدة مملكتهم وفيها كان هيكلهم العظيم ويزورها المسيحي تبركاً بما بها من الآثار المسيحية ويردها المسلم ليزور الجامع الاقصى. فتلك الآثار الدينية التي تجرّ الناس اليها من قاصي الديار ودانيها قد صارت اشهر من أن تذكر وأعرف من أن توصف. فان استغنى بلدٌ بذكر اسمهِ عن التعريف فاورشليم وبيت لحم لا يتقدمهما في ذلك بلد في المعمور. فليس في المشرقين ابعد منهما ذكراً ولا اشرف منهما أثراً فلا أجد حاجة الى وصف تلك الآثار وان كان تأثيرها في نفسي كتأثير الماء على الكبد الظمأى اذ لا إخال أحداً يتلو كتب العهدين ويمرّ باسماء كثير من الامكنة التي تردّد اليها السيد المسيح ورسلهُ وصنع فيها الآيات كبيت عنيا وقانا الجليل مالم تلتهب بين جوانحهِ لواعج الشوق الى زيارتها (١)

---

(١) ان العالم الفاضل والباحث المدقق الخوري يوحنا خليل سيتحف العصر بكتاب جليل في وصف الارض المقدسة افرنجي العبارة

ولما رأيت القبر المقدس الذي يتمسح به المسيحيون والمهد الذي يتبركون بزيارتهِ ثم رأيت ما رأيت من الأديار الكبيرة والمدارس المجانية والمضايف الواسعة النظيفة الحسنة الأثاث التي تكرم مثوى الزوّار وتستحسن وفادتهم فتقدم لهم مثل ما يقدّم للغني السخي في بيتهِ . فعندئذٍ تخيلت تلك الآثار المكرمة قد استحالت ينابيع ذهب يعيش عليها خلقٌ كثير . وتمثلت جبل الجلجلة وبستان الزيتون وادي تبر وقلت في نفسي « لو جمع ما أنفق الزوّار في طريق الارض المقدسة من لدن ابتداء النصرانية الى اليوم لربما وازن ما على جبل الجلجلة من التراب» فاورشليم هي معرض الكرم المسيحي الأوربي فكم للاتين والروم والبروتستانت هنالك من أيادٍ بيض على نصارى تلك المدينة وسائر الارض المكرمة فثمة من المدارس والمياتم والمضايف ما يقضي بالفضل لأصحابها وينادي بلسان حالهِ « هذه الثمرات الطيبة انما هي ثمرات الايمان »

ألا وان الأرض المقدسة كلها ألسنة تنطق بفضل الآباء الفرنسيسيين الذين تقدموا الجميع في هذه المبارّ فالمسيحيون هنالك سابحون في غمر مكارمهم متقلبون على بساط نعمهم فهم الذين يجمعون الحسنات الجمّة من مسيحيي أوربا واميركا لينفقوها على المسيحيين من قطان الأرض المقدسة وزوّارها

سعيد الخوري الشرتوني

ويلي ذلك كلام عن المسجد الاقصى ووصف ابن خلدون له سنذكره في العدد القادم

في حدائق العرب

الاحنف

هو ابو بحر الضحاك بن قيس التميمي الأحنف . وكان قد شهد مع عليّ بن ابي طالب وقعةً بصفّين .. فلما استقرّ الأمر لمعاوية دخل عليه الاحنف يوماً فقال له معاوية : « والله يا أحنف ، ما اذكرُ يومَ صفين إلاّ كانت حزازةٌ في قلبي الى يوم القيامة » .

فقال له الاحنف: « والله يا معاوية ، إنَّ القلوب التي ابغضناكَ بها لفي صدورِنا. وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها . وان تدنُ من الحرب فترا ندنُ منك شبرا . وان تمشِ الينا نهرولْ اليك »

ثمَّ قام وخرج

وكانت أختُ معاوية من وراء حجابٍ تسمع كلامهُ . فقالت : « يا اميرَ المؤمنين من هذا الذي يتهدّد ويتوعدُ . » فقال : « هذا الذي اذا غضب غضب لغضبهِ مئة الف من بني تميم ولا يدرون لما غضب . »

واخبر النويريُّ عنه قال : كان معاوية قد كتب الى عماله ان يوفدوا اليه الوفود من الامصار . فكان فيمن اتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة ، والاحنف بن قيس في وفد أهلِ البصرة . ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفيهري :

« لما تجتمع الوفود إني متكلمٌ فاذا سكتُّ ، فكن انت الذي تدعو الى بيعة يزيد (ولد معاوية) وتحضُّ عليها . فلما جلس معاوية للناس ، تكلم فعظم امرَ الاسلام وحرمة الخلافة وحقها ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال الضحاك : « يا امير المؤمنين ، انه لابدَّ للناس من والٍ بعدك فذلك احقن للدماء ، واصلح للدهماء ،

وآمن للسبيل ، وخيرٌ في العاقبة . والايام عوجٌ كل يوم في شأن . ويزيد ابن امير المؤمنين في حسن هديهِ . وهو من افضلنا علماً وحلماً ، وابعدنا رأياً . فخوّلهُ عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفزعاً نلجأ اليه ونسكن الى ظلهِ . »

وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك . ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال : « هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومن أبى فهذا (واشار الى سيفهِ)

فقال معاوية : « اجلس فانت سيد الخطباء » فاذعن من حضر من الوفود . فقال معاوية للاحنف : « ما تقول يا أبا بحر . »

فقال الاحنف : « نخافكم ان صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا . وانت يا اميرَ المؤمنين اعلم بيزيد في ليلهِ ونهاره ، وسرهِ وعلانيته ، ومدخلهِ ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الامة رضىً ، فلا تشاورْ فيه . وان كنتَ تعلمُ منه غير ذلك ، فانت صائرٌ الى الآخرة ، وانما علينا ان نقول سمعنا وأطعنا . »

ومن اقوال الاحنف المأثورة :

رب غيظ تجرعتهُ مخافةَ ما هو اشدُّ منه

كثرة المزاح تذهب الهيبة

السؤدد كرم الاخلاق وحسن الفعل

الداء اللسان البذي والخلق الردي

« السنة الاولى « للزهور » »

في الادارة مجموعة « الزهور » للسنة الأولى مجلدة تجليداً متقناً وثمنها خمسون قرشاً صاغاً . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج

الاب كابون وتولستوي

« او حكيما روسيا »

لقد عرف العالم أجمع تولستوي ومبادئه الفلسفية وقد قرأوا مصنفاته الكثيرة حتى طبق صيته الخافقين ، فلم يبقَ محلٌّ الا وانتشر فيهِ اسم هذا الفيلسوف العظيم ولا مجلة الا وذكرت اسم هذا الحكيم بالاعجاب والتكريم . ولكن قليلون هم الذين يعرفون فيلسوف روسيا الثاني الكاهن العظيم كابون . ولذا أحببت ان أنقل لقراء العربية على صفحات « الزهور » ترجمة حياة هذا الكاهن العظيم وشيئاً من مبادئه السامية التي أدهشت العالم باسره وخصوصاً الروس وقد عاش بينهم وتألم لآلامهم ، الامر الذي جعله مكرماً ومحبوباً من الفلاحين البؤساء الذين كانوا يعاملون معاملة قاسية تقشعرّ لهولها الابدان ويندى منها جبين الانسانية خجلاً . واني أنقل هذا عن احدى المجلات الاميركية بقلم احدى سيدات روسيا اللائي لهن القِدح المعلى في فن الانشاء واسمها بريشكوفسكا

قالت : لقد خفي اسم هذا الكاهن العظيم قائد فلاحي روسيا يوم ثار ثائرهم من جرّاء الظلم الذي أصابهم من أصحاب الاملاك . وان ما يعرف من مبادئ هذا الاب الورع المحروم من الكنيسة لتصرفه تصرف مهيج سياسي لهو أقل من القليل . ذلك لانصراف افكار الجمهور للمظاهر الخارجية والترهات الباطلة . فسداً لهذا النقص وحباً في نشر مبادئه السامية القاضية على الظلم وذويه ، أحببت ان أنشر عنهُ ما يزيد العموم معرفة بهِ :

ان الاب كابون لم يكن ديموقرطياً ولا اشتراكياً فوضوياً ولا حراً متطرفاً بل كان للفلاحين كما كان تولستوي للاشراف . كلاهما تولستوي وكابون مؤمن بالقوة المبدعة ، وكلاهما ينظر للعالم نظر الآسف المتحسر . ويعد بذل النفس في سبيل فكر سامٍ شريف ومبدأ قويم منتهى ما يتطلبه البقاء الانساني

الاب كابون كتولستوي له اعتقاد ثابت في القوة الادبية المودعة في الانسان وفي قوة نفسه الخالدة

« الله والانسان » هما في نظر الفلاح الروسي تقريباً على التوازي وهذا هو السبب في عدم وجود شيء يصعب على الروسي العقلي القيام به . وهذا الاعتقاد يشمل عموم العقليين في البلاد الروسية ولكن معظم هذا الاعتقاد او هذا العلم « علم النفس » يظهر باجلى وضوح في حياة بطلي روسيا في هذا العصر . وهاتان الطبيعتان (تقصد بذلك تولستوي وكابون) مع تشابههما تمام التشابه تظهران لتعمل كل واحدة ما يغاير الاخرى في ذات البيئة والظروف . كلتاهما تطلب راحة الشعب ورفاهيته وكلتاهما تعاكس حكومة القيصر حكومة الفرد المتسلط على الشعب الراضخ . ولكن بينما نرى الفيلسوف تولستوي يحض الناس على نبذ التباغض وابطال الحروب والرجوع الى الطبيعة فيحفظ كل حقه لذاته ، نرى الاب كابون يحثهم على العمل والدأب ، ويدعوهم باسم الله الأزل للحياة والعمل ، ويأمرهم بطلب حقوقهم الموهوبة من القوة المبدعة ولو آل ذلك لامتشاق الحسام وخوض غمرات الحرب والصدام . اما النتيجة

التي يرمي اليها هذان الفيلسوفان فواحدة ، وما اختلافهما الاّ في الطرق المؤدية الى هذه النتيجة . فواحد يحلق في السماء ويتيـه في التصورات الجميلة والاحلام الذهبية . والآخر ينزل الى الارض فيضع نفسه بجانب اخوانه التعساء ويبذل النفس والنفيس ليضع حداً لآلامهم المبرحة ويجبر قلوبهم المنكسرة . وهو لا يصبر على هذا الضيم ولا يتوانى في انقاذ اخوانه من الحيف المحدق بهم . ذلك لانهُ يرى العار كل العار في ان ينظر اخوانه في البشرية يرزحون تحت نير العبودية ، فيتألم لآلامهم فقط ولا يرمي الى انتشالهم من وهدة سقوطهم . لذا أبت نفسه الشريفة الا ان تستبيح ما حرمتهُ الحكومة فتثير أفكار الفلاحين عليها ليطالبوا بحقوقهم المهضومة وقد كان يصرخ متألماً « الى السلاح ! الى السلاح ! ايها الشعب التعس . حتى مَ ترضخ للذل ؟ ألست الشعب صاحب النصرات القديمة والمجد الأثيل ؟ فانزع عنك ثوب خمولك فانهُ يحول بينك وبين الحقيقة الساطعة . فارتدِ ثوب الشجاعة لتحفظ مجداً طريفاً وتعيد عزًّا تالداً اودت بهِ ايدي الوحوش الضارية وحوش الانسانية »

اما تولستوي فكان ينادي بأعلى صوته : « تألموا ايها التعساء فان العالم مملوءٌ بالمفاسد ، وان ما يدعونه مدنيـة وارتقاءً لهو الانحطاط بعينه فاصبروا يا من مزّقت افكارهم حجب اللانهاية فعرفت اموراً قصرت عن ادراكهـا افكار اقرانهم . واحتملوا الآلام ، فانكم بهذا تنالون السعادة وارجعوا الى امكم الطبيعة فانها اكبر مخلص لكم » هذا هو وجه الاختلاف بين هذين الحكيمين وهو ينحصر في الطرق كما ذكرت آنفاً ولا يتناول الغاية

انهُ ليصعب على البعيدين عن روسيا الذين لا يعرفون من شؤونها غير ما يقرأون في المجلات والجرائد السياسية ان يتصوروا حالة الفلاَّح الروسي من حيث مذلتـهِ وانحطاطهِ وتألمهِ وصبره وقوتهِ العظيمة . لذا أحب ان أظهر من أمرهم ما اختفى ومن أفكارهم ومبادئهم ما توصلت اليهِ

ان حالة الفلاح الروسي من حيث ذله وتألمه قد علمها القاصي والداني مما تنشره الصحف لذا اصبح الكلام عليها من قبيل تحصيل الحاصل . اما اعتقاده ومبادئه فاراني مضطرة الى ذكرها لانها لم تزل مجهولة بسبب الضغط الشديد وتقييد الصحافة . يقول فلاحو روسيا بان «العدل» (الله) يقضي على الكائنات كلها بالسعادة والسرور دون فارق بين غنيّ وفقير ، ويبغي للجميع على السواء الوسائل الآيلة لتعزية قلوبهم . وانه يحظّر عليهم عمل الشرّ وظلم بعضهم البعض ، فلا يغتصب احدهم حقّ اخيه ولا يؤذيه في عمله بل يكون له عوناً فيدرأ عنه كل شرّ مفاجئ . وهذا الاعتقاد عام يشمل عموم الفلاحين في بلادنا وهو قديم ولكنه في هذه الايام تجاوز حيز القول الى حيز العمل فصاروا يؤيدونه بالفعل . وقد توسعوا به حتى قالوا «ان الهاً صالحاً برًّا حكيماً خلق الانسان من العدم وخلق له الارض ليعيش فيها آمنـاً . وما وجدت هـذه السهول الواسعة والرياض الجميلة والاحراج والانهار الاَّ ليتمتع بها كل فرد فيعمل في السهول على قدر طاقته فلا يعارضه في عمله معارض ولا يهضم حقه احد » فلهذا لا يرهبون الشغل ، بل يصلون اناء الليل بأطراف النهار كادّين ، مبتهجين بمرأى الطبيعة وعندهم رغبة شديدة في معرفة احوالها واظهار مكنوناتها .

هذه هي مبادئهم ذكرتها باختصار على امل ان ارى في بلادي كثيرين كالاب كابون يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل انهاض هذا الوطن المحبوب من وهاد المذلة والخمول الى اوج السعادة والرقي ، فنعيش آمنين ونتشق نسمات الحرية اللطيفة والسلام

حمص شكري عاقل

نحن وهم

في التربية والمرأة

١ — هم يصحبون تربية العقل بتربية الجسم فتصح منهم الاجسام والعقول . ونحن نهمل تربية الجسم فيضعف العقل فلا تصح منا لا العقول ولا الاجسام

٢ — هم أحسنوا تربية المرأة فحسنت تربية الرجال . ونحن أهملنا تربية الأم فساءت تربية الاطفال

٣ — هم يخيفون أولادهم بذكر الحقائق . ونحن نخيف أولادنا بالاوهام ، فيشب رجالهم لا يخشون الحقائق التي ألفوها . ويشبّ رجالنا تزعجهم الخيالات

٤ — المرأة عندهم شريكة الرجل يحتاج اليها في كل لحظة . والمرأة عندنا رفيقتهُ لا يطلبها إلاَّ وقت الشهوة

٥ — المرأة عندهم محترمة في الطريق ، وعندنا عرضة فيهِ لكل سبٍّ وتضييق

٦ — اجتهدوا في اقتباس الحسن من مدنيتنا . واجتهدنا في تقليد القبيح من مدنيتهم

﴿ في الملاهي والمقابر ﴾

٧ — ملاهيهم لتثقيف العقول . وملاهينا لارضاء الشهوات

٨ — مقابرهم جنات الدنيا ومقابرنا جحيمها

﴿ في العلم والعلماء ﴾

٩ — طالب العلم وطالب المال عندهم لا يشبعان . وعندنا لا يكادان يبلغان طرفاً منهما اذ هما يكتفيان

١٠ — العالِم عندهم يعمل بعلمه . وعندنا يتحدث به

١١ — هم يرون قوى الطبيعة فيفكرون في استخدامها ، ونحن نراها فنعجب بها او نهرب منها

١٢ — علماؤنا اذا استفتيتهم رجعوا الى ذاكرتهم في اجابتك . وعلماؤهم اذا سألتهم حكموا المعقول في افادتك

﴿ في الاقتصاد ﴾

١٣ — أكثرنا ينفق فوق ما يكتسب ، واكثرهم يكتسب فوق ما ينفق

١٤ — يأتون بلادنا ليربحوا فيها . ونقصد بلادهم لننفق فيها

١٥ — هم يجدّون وراء الثروة . ونحن نرى الثروة بجانبنا ولا نكلف انفسنا مد اليد اليها

١٦ — حبس اغنياؤنا الاموال فلكتهم . وأطلق اغنياؤهم الاموال فملكوا بها

١٧ — ترفّع كبيرنا عن الاعمال التجارية والمالية ، فملكه صغيرهم بها

١٨ — لا نملك في بلادهم ، ويملكون في بلادنا . فيستخدموننا في الارض . ونشتري منهم حاصلاتنا

١٩ — فقيرهم اذا احتاج اشتغل ، وفقيرنا اذا احتاج سأل

﴿ في فلسفة الحياة ﴾

٢٠ — عندهم حب الأمة مقدم على حب النفس . وعندنا حب النفس مقدم على حب الأمة

٢١ — الاتحاد عندهم رأس مال الاعمال العظيمة وسرُّ نجاحها ، وعندنا العمل العظيم يوجب التفريق فيهِ حب الاستئثار بهِ فلا يتم ابداً

٢٢ — تتكل الامة فيهم على أفرادها ، ويتكل افرادنا على الامة

٢٣ — اذا اعترض العامل منهم عائقٌ أزاله ، وهذا عمل الرجال . واذا اعترض العامل منا عائق أنَّ واشتكى ، وهذا عمل الاطفال

٢٤ — الرجل منا يرجو من المستقبل تحسين حاله . والرجل منهم يعمل على تحسينهِ بنفسهِ

٢٥ — رجلهم يبدأ بنفسهِ قبل الناس ، ورجلنا يبدأ بالناس قبل نفسهِ

٢٦ — حكوماتهم تخدم الامم . وأممنا تخدم الحكومات

٢٧ — هم ينظرون الى مستقبلهم . ونحن ننظر الى ماضينا . لهذا هم تقدموا ونحن تأخرنا ؟

صالح جودت

في رياض الشعر



محمود باشا سامي البارودي

(وُلد سنــة ١٨٤٠ وتوفي سنــة ١٩٠٤)

هو محمود سامي بن حسني بك حسني وكان ابوه من امراء المدفعية في الجيش المصري . وجدُّه عبدالله بك الجركسي من الكشاف في اوائل عهد محمد علي . والكاشف يشبه مأمور المركز اليوم . وقد أضيف الى اسم عائلتهم لفظ «البارردي» نسبة الى « إتياي البارود » التي كانت في التزام احد اجـداده — وُلد صاحب الرسم في السراي المعروفة باسمهِ والتي فيها اليوم ادارة « الجريدة » وتلقى العلم في المدارس الحربية التي انشأها جدّ العائلة الخديوية ثم سافر الى الاستانة وانكبَّ فيها على الدرس ووظف في نظارة الخارجية . ولمـا سافر الخديوي اسماعيل باشا

الى الاستانة سنة ١٨٦٣ دخل البارودي في بطانتهِ وعاد معه الى مصر ثمَّ أرسل مع بعض الضباط الى باريس ولندرا لمتابعة الاعمال العسكرية وعند رجوعه رقي الى رتبة قائمقام ثمَّ الى رتبة اميرآلاي . وقد سافر مع الجيش المصري الذي اوفدته مصر لمساعدة الدولة العثمانية على اخماد الثورة في كريد سنة (١٨٦٨) واشترك ايضاً في حرب الدولة مع الروس سنة (١٨٧٧) وقد تقلب في مناصب عديدة عسكرية وادارية . وبعد اقالة الخديوي اسماعيل باشا وتولي توفيق باشا عُين البارودي ناظراً للاوقاف . وكان في كل هذه المدة يحبّر القصائد الشائقة ويجمع الكتب النفيسة فكان من اكبر اركان النهضة الادبية الحديثة ولا يزال الشعراء حتى يومنا يعترفون له بالاسبقية . وقد كانت له اليد الطولى في انشاء الكتبخانة الخديوية . ولما دخل الانكليز مصر بعد ثورة عرابي كان البارودي من جملة الذين حُكم عليهم بالنفي الى سيلان مع زعيم الثورة . والى ذلك العهد ترجع « المراسلات السامية » التي ننشرها وقد عاد الى مصر من المنفى قبل وفاتهِ بقليل وتوفي في ١٢ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٤ هذا ملخص حياتهِ . ولما كان له تأثير كبير في النهضة الادبية سنعود فيما بعد الى درس آثاره الكتابية

﴿ المراسلات السامية ﴾

بدأنا في الجزء الاخير من السنة الفائتة بنشر المراسلة الشعرية التي دارت بين الامير شكيب ارسلان والمرحوم محمود باشا سامي البارودي ، يوم كان هذا الاخير منفياً في جزيرة سيلان . وقد نشرنا رسم الامير الارسلاني ، وها نحن ناشرون الآن رسم البارودي مع بقية المراسلات التي دارت بين الشاعرين

ثم كتب محمود سامي باشا الى لأمير شكيب بهذه القصيدة

أدّي الرسالةَ يا عصفورةَ الوادي ... وباكري الحيَّ من قولي بانشادي

ترقبي سِنَةَ الحرّاسِ وانطلقي ... بين الخمائل في لبنان وارتادي

لعلّ نغمةَ ودٍّ منك شائقةً تهزُّ عطف شكيب كوكب النادي
هو الهمامُ الذي أحيي بمنطقهِ لسانَ قوم أجادوا النطق بالضادِ
تلقي بهِ أحنفَ الأخلاق منتدياً وفي الكريهـة عمراً وابن شدّادِ
أخي وداداً وحسبي انهُ نسبٌ خالي الصحيفة من غلٍّ وأحقادِ
أفادني أدباً من منطقٍ شهدتْ بفضله الناس من قارٍ ومن بادِ
عذب الشريعة لو أن السحاب همى بمثله لم يدعْ في الأرض من صادِ
سرت بقلبي منـهُ نشوةٌ ملكتْ بحسنها مسمعي عن نغمة الشادي
يا ابنَ الكرام عدتني منك عادية . كادتْ تسدُّ على عيني باسدادِ
فاعذرْ أخاكَ فلولا ما به لجرى في حلبة الشكر جري السابق العادي
وها كها تحفةً مني وإن صغرت فالدرّ وهو صغيرٌ حلي أجيادِ

فاجابه الأمير شكيب بالقصيدة التالية :

هل تعلم العيس اذ يحدو بها الحادي أنّ السرى فوق أضلاع واكبادِ
وهل ظعائنُ ذاكَ الركب عالمةٌ أنّ النوى بين أرواحٍ وأجسادِ
تحمّلوا ففؤادي منـذُ بينهمِ في إثرهم نضوُ تأويبٍ وإسآدِ
يرتادُ منزلهم في كل قاصية وحبهُ لو درى أحرى بمرتادِ
بين الجوانح ما لو أنتَ جايبهُ أغناكَ عن لفّ أغوار بأنجادِ
وفي الفؤاد كشطرِ الكفّ بادية في جنبها تيهُ موسى ليس بالبادي
كم بتُّ أنشد أحبابي وأُنشدُهم في الهندِ ياشدّ ما أبعدت انشادي
ولو أناجي ضميري كنت مُسمعهم قولي كأنهمُ في الغيب اشهادي
من كان دون مرامي العيس منزعهُ فلي هوى دون أمواج وأزبادِ

دون الخضارم ان ضل الحبيب سرى ... فإنّ وجديَ نعم القائف الهادي
هوى باروع لو أن الزمان درى ... لما أحلّ سواه الصدرَ بالنادي
سامي الأرومة في أعراقهِ نسبٌ ... في المجد لا يشتكي من ضعف اسنادِ
أرقّ من شمأل الوادي شمائله ... وعند شدّ الليالي صخرة الوادي
من معشرٍ لو يقيس الناس شأوهمُ ... الى العلى افتقروا فيهِ لارصادِ
يا من لنا ردُّه من فائتٍ عوضٌ ... يمحى به وزرُ أحقاب وآمادِ
ان يحجبوك فما ضرّ النجوم دجى ... ولا زرى السيف يوماً طيّ اغمادِ
لا بأس ان طال نجز السعد موعدَه ... فأعذب الماء شرباً في فم الصادي
عسى لياليك قد سلّت ضغينتها ... وقد صفت كأسها من سؤر أحقادِ
واستأنف الدهر سلماً لا يكدرها ... فالدهر قد يرتدي حالات اضدادِ
لو كان يُسعد قوم قدرَ فضلهم ... ما لاقَ مثلك ان يحظى بإسعادِ

النسيم العاشق

قصيدة تلاها في جمعية « شمس البرّ » في بيروت في الشهر الفائت
الياس افندي فياض وهو الشاعر المعروف لدى ادباء القطرين

هذه قصة جرت لنسيم الرو ... ض فيما مضى من الازمانِ
وردت في كتاب سحرٍ قديم ... خطه فكر ساحرٍ شيطانِ
لم يكن قادراً على فهم معنا ... هُ سوى شاعر لعوب المعاني
وُجد الشعر حينما وُجد السحـ ... ـر شقيقين ليس يفترقانِ

*

قيل ان النسيم قد كان يوماً يتمشى على ربى لبنان
كتمشي المصطاف لاشغل يدعو سوى حسن منظر الوديان
هائماً لا يقرّ منهُ قرارٌ من مكان يميل نحو مكان
تارة يلثم الزهور وطوراً يرتمي في معاطف الاغصان
اذ أتى منزلاً عظيماً لشيخ من شيوخ القرى رفيع الشان
فانبرى داخلاً اليهِ من الكوّ ةِ وثباً من غير ما استئذان
ثم بنتٌ للشيخ تغزل صوفاً وهي في مأمن من الحدثان
تغزل الصوف كفها ولها جف نان بالسحر والهوى غزلان
عبث الزائر الجسور بشعر ناعم فوق رأسها الفتان
فتدلت أطرافهُ الشقر من فوق عيون سود وخد قاني
ورأى صاحبي النسيم جمالاً ما رآه من قبل في انسان
فغدا شاخصاً اليها مديماً نحوها نظرة الفتى الحيران
ذلك الاهوج الخفيف المرائي القليل الثبات في كل شان
فاضح العاشقين ناشر أسرار الـ هوى بين كل قاص ودان
أصبح الآن بابنة الشيخ صباً مستهاماً بحبها متفاني
عاشق لا يُرى ويكفيهِ منها ان يراها في كل حال وآن
حيث كانت يكون في البيت اوفي الـ روض بين النسرين والريحان
كل شيء منها يراه فما تخـ جل منهُ وليس بالخجلان
همهُ كل همه ان يراها في سرور وغبطة وأمان
جاعلاً نفسه كما تشتهي برداً لها على اختلاف الزمان

فاذا الليل كان ليل شتاء يخز البرد فيهِ وخز السنان
صار حالاً الى هواء لطيف فاترٍ وفق نسبة الميزان
واذا اليوم كان يوماً شديداً يلذع الحرّ فيـهِ كالنيران
جاءها من ذرى الجبال بنفح منعش الروح منعش الجثمان
واذا استشعر انقباضاً بهـا يوماً مضى مسرعاً الى البستان
وأتاها من الطيور الشوادي بارق الأنغام والألحان
واذا الفصل كان فصل خريف وغدا الروض مثل وجه العاني
وخلا خدرها من الزهر من ورد ومن نرجس ومن الحوان
سار خلف الفراش في الحقل يجنيهِ كما تجتنى زهور الجنان
وأتاها منـهُ بباقات حسن مدهشات من سائر الألوان
من عقيق ولازورد وياقو تٍ وتبر وأبيض كالجمان
تجارى في خدرها طائرات لامعات الجناح كالعقيان
واذا كان في يديهـا كتاب دَرَسَتْهُ محوج الى الامعان
وانتهت من تلاوة (الوجه) منهُ ثم همت بدرس وجه ثان
فتراه بنفخةٍ قَلَبَ الوجه فليـ ست تحتاج مـد البنانِ
ولكم وقفة له ليس تنسى عند ذاك السرير ذي الأركان
وقد استحوز النعاس عليها وتولّى الكرى على الأجفان
يجتلي حسن معصمين أضاءا فوق ملموم صدرها الملآن
ولكم زحزح الستار وأدنى ثغره فوق ثغرها الظمآن
فرواها كما ارتوى دون ان تخجل منـه وليس بالخجلان

هكذا عاش في هواها زماناً ناعم البال خالي الأشجان
حاسباً ان للصفاء دواماً هل دوام الصفاء بالامكان
ودّع الحبَّ يا نسيم فقد جا ءك خصم أقوى الى الميدان
جاء من يخطب الفتاة فتى في عصره كان أبسط الفتيان
ما له ميزة على من سواه غير مال يفيض كالغدران
غرّها كثرة الحليّ فقالت وقديماً تهوى الحليَّ الغواني
رضيته بعلاً فيا خيبة الآما ل من ذلك المحب العاني
آه مهما يكُ النسيم لطيفاً طيب النشر عاطر الأردان
كيف يسطيع ضد مال وجاه وحلي بهية اللمعان
لهف قلبي عليهِ بعد مزيد الـ ـحزّ يمسي في ذلة وهوان
واقفاً خلف كوّة البيت يشكو بانين كأنة الثكلان
وله كالحمام طوراً هديلٌ وفحيح آناً كما الثُّعبان
ولكم حدثتهُ بالشرّ نفسٌ ما لها بالشرور قبل يدان
فابتغى ان يصيرَ عاصف ريح هادماً بيتها على السكان
ولدن وافت الكنيسة بالموكب تبغي اتمام عقد القران
عيل صبراً فثار ثورة ليث واثار الغبارَ ملءَ العيان
وانبرى للشموع يطفئها غيظاً ولم يحترم جلال المكان
زاد حقداً فرام تجفيف ما في الكأس حتى تبقى بلا قربان
ومدير الناقوس مما اعتراه أسمع الناس دقة الاحزان
كل هـذا لم يجدِ نفعاً وتمّ العرسُ رغماً عن ذلك الهيجان

فمضى هائماً على وجهه والصد ... ر يغلي بالحقد كالبركان

ساح في الارض مستغيثاً ملو ... ك الريح من كل صادق معوان

بين هيف وزعزع ودروجٍ ... وسموم وعاصف مرنان

ثم وافى من بعد عامين في ... جيش خضمّ يموج كالطوفان

يزرع الرعب في البلاد ويكسو ... هوله الشيبَ هامةَ الشبان

خارباً في طريقهِ كل ما ... مرَّ عليهِ من عامر البلدان

وصل البيت وهو يحسب ان ... يذريهِ في الهواء مثل الدخان

اذ رأى في جوانب الدار مهداً ... فيهِ طفلٌ يبكي بغير بيان

ولدى الطفلِ امهُ وهي من ... خوفٍ عليهِ شديدة الخفقان

فتلاشت قواه وانتصر الحب ... عليهِ والحب ذو سلطان

فجثا قرب طفلها آخذاً عنها ... يهزُّ السرير كالغلمان

بيروت — الياس فياض

لاعب القمار ومدمن الخمر

لا بد لكل حي على وجه المعمورة من فطرة غريزية وميل طبيعي يسوقه الى تنفيذ مآربه وقضاء حويجاته . وما الانسان الا عبد خاضع وخادم مطيع لكل ما يجول بفكره من كبيرة وصغيرة . فلاعب القمار ومدمن الخمر ومستعمل التبغ ومتعاطي أصناف المنبهات والسارق والزاني كل منهم يكتسب هذه العادات الذميمة والافعال الرذيلة التي تؤول به الى مهاوي التهلكة من مصدرين . اولهما وراثي عن آبائه وأجداده .

وثانيهما تقليدي عن اصحابه ورفقائه

فالوراثي هو ما يتلقاه من الوالدين اللذين اعتادا النزوع عن الفضيلة، وعمدا الى ارتكاب كل ما تأباه النفوس الطاهرة ، فلا تعجب اذا رأيت الطفل يشبّ على أخلاق والده . فاذا كان الوالد سارقاً لقّن ولده منذ نعومة أظفاره قواعد السرقة وشروطها . ويا له من درس مميت حياة الطفل الادبية ! وان كان مدمن خمر علمهُ — على غير علمٍ منهُ — طريق الحانة وارتياد محلات السكر وأوحى اليهِ فلسفة احتساء الكؤوس. وقد يطبق له العلم بالعمل فيمد له يده تحمل سمّاً زعافاً ويتناول الولد الكأس باخلاص من يد أبيه ويتجرعها واثقاً بالمحبة الأبوية التي تريد الخير لابنائها . ولا تسل يا صاح عما يصيب هذا الابن المسكين في مستقبل الأيام من الشقاء والحياة التعيسة التي أسست أركانها اليد الابوية الأثيمة. بل لا تسل عن تقهقر بلادٍ يربي أطفالها على هذا النمط

أعرف سكيراً هشمه الدهر بنابهِ وأناخ عليهِ بكلكلهِ حتى أنفق كل ما لديه من مال وعقار فيما هو عليهِ من العادات التي لا تسمن ولا تغني من جوع وأصبح يلتحف السماء ويفترش الغبراء . واذا بزغت شمس الصباح جال على بيوت اهل المدينة قارعاً باباً بعد آخر متوسلاً . فاذا اتاح الله له شيئاً من القوت وبعضاً من الدراهم رجع الى الخامورجي واعطاه ما لديه من النقود في طلب كأس خمر يروي بها ظمأه الذي لا يروى . ثم يرجع الى كوخه خارج المدينة فيجد زوجته البائسة التي كثيراً ما يغمى عليها من كثرة البكاء والنحيب على ما حل بها وبه من البؤس والشقاء

والمصدر التقليدي هو ما تكتسبه هذه الفئة من المعاشرات الرديئة التي تجمع افراداً لا آداب لهم ولا اخلاق غير الافتخار بمباراة امثالهم في الرذائل وعمل ما تقشعر منه الابدان . وهذه الفئة مؤلفة من (الرعاع والأوباش) وبينهم اولاد المثريين الذين ورثوا عن آبائهم مالاً طائلاً . اضاعوه — لنقص في تربيتهم وآدابهم — في اماكن اللهو والطرب . على انهُ كثيراً ما يكون المقلد لرفيقه او المقتبس عن عشيره من عائلة شريفة المبدأ ومن ابوين شريفين يربيان اولادهما على الفضيلة والآداب القويمة التي لا تزعزعها يد الدهر

واذا أحصيت الآفات القتالة في المعترك الحيوي كان اولها لعب الميسر الذي يهدم اركان الفضيلة . ويجلب العار والمذلة ويبدل الافراح اتراحاً ويمزج كأس الحياة بمرارة حنظلية.فينغص عيش مرتاده ويستفرغ قواه المادية والادبية . حينذاك يثوب الى رشده ويندم على ما فرط منه حيث لا ينفع الندم هذا ان لم تدفعه شدة الضيق وأنفة النفس الى الانتحار تخلصاً من هذا الشقاء المقيم

ولعمري اذا كان المقامر حديثاً في مزاولة هذه المهنة وقضت عليه يد الزمان ونكبة الدهر بخسارة عاجلة وظهر طالعه المنحوس وهو يرى امواله تتسرب من جيبه الي جيب سواه لا يكاد ينتهي من لعبه الا وتتوالى عليه جيوش الذهول والاوهام فيضيع لبه ويفقد رشده ولا تمضي بضع دقائق الاَّ وهو مساق الى حيث لا يدري وهو تارة يضحك وطوراً يبكي . وكثيراً ما تقوده هذه الحالة الى « السرايا الصفراء » مأواه

حيث يلتقي برفقائه ليقضي معهم ما بقي له من الحياة التعيسة . فهذه نتيجة المقامرة وهذا هو الجنون بمعنى الكلمة

واما اذا ربح المقامر بعد توالي خسارته فقلما يحترس على ماله . فتسول له نفسه — والنفس أمارة بالسوء — بالتقدم خطوة ثانية الى الامام في الملذات والموبقات لصرف دريهماته المكتسبة عن غير طريق العمل والنشاط . فالمقامر والحالة هذه سواء كسب او خسر فهو كمن يبحث عن حتفه بظلفه

ان القمار أبيت اللعن مضيعة   للمال والصيت والارزاق والزمن
فان رأيت فتى يلهو بمقمرةٍ   هيئ له ادوات الغسل والكفن

فوالله انه يسوءنا كثيراً نحن معشر المصريين انتشار مثل هذه الآفات بمصرنا السعيدة وشقيقها السودان المصري . حيث انها من دواعي التأخير وعثرة في سبيل الرقي والتقدم العصري

عطبرة (السودان)   عبد المطلب لبيب

بين القصور والاكواخ

لمن القصور هنا ؟ شامخة البنيان . تناطح الجوزاء في سماء الخيلاء ؟
من الذي شيدها وبناها ، وبزخرف الصنائع حلاها وجلاها ، فما
الخورنق والسدير والإيوان ، عند بداعة صنعها والاتقان ،
ولمن هاتيك الاكواخ هناك ؟ خاملة الشأن ، تعانق المساليج في
ربى الاكام وظليل الوديان ! كأنَّ من أنشاها وكوَّنها ، بزهور الفردوس

وشّاها وزينها ، فما بهرجة القصور وزينتها ، ازاء بساطة هيئتها

هو روح في عالم الخيال يطوف ! ويستقصي كنه ماجريات القرون

فاذا ما دانى المدينة العجباء ، انشقت جباهُ حصونها والأسوار ،

عن مشهد المملكة الدنيا ، بل دار النقمة والويلات . !

وما صوتٌ ، إلاّ وانفتحت الأبواب ، فلا حرّاس ولا حجّاب .

وطرفةُ عينٍ وانزاح كل حجاب

فملوكٌ تراؤا فوق عروش الملكية ، قيدتهم قوانين البلاد ، وحكام

على منصات الأحكام ، أعيتهم قضايا العباد

ورعايا تناوبتهم الضربات ، بها الأغنياء والفقراء في حرب عوان

نار وطيسها تشوي الحساد ، مظالم ومغارم ، شيدوها فوق أنقاض

الأماني ومهاوي الآمال ، وتقاليد وعادات ، شوهت وجه الهيئة الاجتماعية

وحياة الكل شؤون وشجون ، تقسمتها ذكرى الماضي وهمّ الحاضر

وأمل الآتي

أما حياة البؤساء فذلةٌ وهوان !

وهنا ، هنا الانسان عدو أخيه الانسان !

فكأن صراخ التذمر والشكوى يصم سماع الأجيال

وانسدلت الأستار ! فما البكاء ، وما صرير الأسنان . .

أو ترى السعادة اسماً بلا مسمى ، ام اثراً بعد عين ؟ بل هي سرّ

الحياة . وأين السر يكون ؟ في ذلك المنبسط الهادي ، مهد البساطة

والأمان ، في تلك الاكواخ المنسية ، مبعث الراحة ومهبط الحرية ، حيث

لا شقاء ولا ضوضاء ، والطبيعة في هدوءٍ وسكون

وهناك عند ما الفجر يلوح . على نغمات الاطيار ونسمات الاسحار ، يرتاد فضاء اللانهاية صوت رنان ، تردّد صداه الأزمان :

«سلاماً يا ابنة الطبيعة الساذجة ، يا ربيبة الفضيلة الطهرى ، البريّة من عيوب المدنية . . »

وتبرز فتاة الكوخ ، ومظهرها رسول الشفقة وعامل النشاط وملاك السلام ، وتحيي الاكوان !

فتحنُ اليها الالهة وتباركها السماوات !

وهناك يتجلى شبح الانسانية ! فيقيم الصلاة ، ويقدم القربان بين تصاعد بخور الذكرى . وحنان الالحان السماوية ، حتى اذا ما حل الروح ، بارك الأم وابنتها ، وتوارى . وفي ثغره ابتسامة الابدية . . . . .

انطاكية سمعان بطرس اللاذقاني

تمدن المرأة العصرية

دارت خلال السنة الماضية على صفحات « الزهور » مناقشة في المرأة العصرية وتمدنها بين الآنستين هدى كيورك وادما كيرلس ، نددت الكاتبة الاولى بالمرأة لانها أخذت بقشور التمدن دون اللباب وفندت الثانية اقوالها مبينة أن الذنب — ان كان هناك ذنب — على الرجل لا على المرأة . وانقسم القراء الى فريقين فريق يؤيد هذه ، وفريق ينتصر لتلك . وكتب أحد الادباء بامضاء « حسون » محاولاً أن ينصف بين الكاتبتين . ولكن الآنسة ادما رأت في مقالهِ ما يشفُّ عن التحيز فبعثت الينا بالرد الآتي :

طال الأخذ والردُّ في هذا الموضوع وما كنت لاعود اليهِ اليوم لولا تعرّض « حسون » للوقوف موقف الحكَم فكان حكمهُ صارماً شديداً. واني والكثيرات من رفيقاتي لمندهشات من فتح صاحب « الزهور » صدر مجلته لمثل هذا الحكم الجائر ، وهو الكاتب الذي طالما ترنمنا بكتاباته الشائقة في الدفاع عن حقوق المرأة المهضومة ... وقبل ان اجول الجولة الاخيرة في هذا الموضوع ارجو من الادباء أن لا يحملوا كلامي على محمل الامتعاض من انتصار الغير لمناظِرتي . كلاّ وايم الحق ، بل ان ذلك ليطربني وارى فيه دليلاً ادمغ به خصمي اذ هو يعترف أن في صفوفنا نحن النساء من يجاهر بالحق ولو كان علينا ... وبعد هذه المقدمة اقول لحضرة الخصم الجديد الذي يحاول الظهور بمظهر الحكَم المنصف :

يا أيها الرجل المعلم غيرَهُ   هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

وقبل أن تنظر الى القذى في عين اختك انزع الجسر من عينك . ثمَّ اصلح تربية الرجال لأن الرجل بيده كل شيء في شرقنا ، وليست المرأة — إن صالحة وإن طالحة — إلاّ صنعة يديه ادبياً . فهي اذا كانت الآن كما تزعمون فلانكم انتم اردتموها كذلك يا معشر الرجال . وأنا قد كتبت ما كتبت واثقة بالاصابة لأن ما قلته من البديهيات التي لا تحتاج الى برهان ، وقوة الحقيقة اوضح من نور الشمس . ولكن اكثر الاذهان في هذا العصر لا تكترث لاقوال النساء . على انه لا بدَّ من أن يأتي عصرٌ ينظرون فيه لا الى من قال بل الى ما قال . فيظهر الخفي على أهل هذا الزمان بأحسن جلاء . ويُرى هذا القلم الذي يعدُّونه قصبة مرضوضةً

سيفاً ذا حدين فيثبت الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً

أنا لم اقل بعصمة النساء ولا بعصمة واحدة من نساء العصر ، ولكني اعتقد اعتقاداً خالياً من كل ريب أن المخطئين اكثر من المخطئات ، والواقع اصدق شاهد . تعوّد الرجل أن ينظر الى المرأة نظر القوي الى الضعيف ولكل امرئ من دهره ما تعوّد . وعليه فهو يحكم بلا خشية كما يشاء هواه لان انصاره كثيرون ، بخلاف المرأة الضعيفة التي تنزل الى ساحة المناظرة الادبية واحدةً تجاه جيشٍ عظيم من الرجال وأهل المنهج القديم من النساء . ولكن لابدّ من ان تمو البذرة التي تلقيها وتثمر في اوانها . والاصلاحُ في اول أمره لا يكون إلاّ من افراد قليلة ولكنه من طبيعتهِ يمو ويقوى الى أن يبلغ الكمال

هذا ويحق لي ان اردّ حكم « حسون افندي » واستأنف القضية الى محكمة ترأسها احدى السيدات لانه ليس من العدل أن يكون الرجل في موضوعنا خصماً وحكماً في آنٍ واحد . فضلاًعن اني وحضرة مناظرتي الكريمة لم نحكم بيننا حسوناً ... ولا غراباً . لأن نعيق هذا وتغريد ذاك عندنا سيّان والسلام　　　(بيروت)　　　ادما كبرلس

﴿ أحسن مقالة وأحسن قصيدة ﴾

سألنا القراء أن يكتبوا لنا عن أحسن مقالة وأحسن قصيدة استحسنوهما في مجموعة السنة الماضية . فجاءتنا اجوبة كثيرة والاراء فيها مختلفة . وسننشر النتيجة في العدد القادم ليتسنى للبعيدين إبداء رأيهم

في جنائن الغرب

﴿ نار السماء ﴾

في الجوّ سحابة مسودة الاطراف ، تبهت تارة ، وتارة تتقد وهي عابسة للكون كأنها الصيف المحرق . انها سابحة في الفضاء فتحلو مشاهدتها لرائيها الذى يخال في الوقت نفسه ان ريح الليل الهابة تحمل ضوضاء مدينة باسرها قد أسكرتها حرارة التقبيل وكثرة الملذات

أمن السماء اندفعت هذه السحابة ام من البحر صعدت او لُفظت من الجبال او هي مركبة الجحيم النارية حاملة شياطين الى كوكب من الكواكب القاحلة ؟

قتماء هي الآن ولكن يا للذعر اذ كيف يندفع بين حين وآخر من جوفها غير المدرَك لهيب ساطع يتلوى كالثعبان

البحر ثائر وامواجه مزبدة وهي امواج عالية لا يدرك البصر طولها والاسماك تسبح في هذه المياه العميقة فتبدو تارة على سطحها كقطع من الفضة وتارة تتوارى في اللجة . وكأن الأفق البعيد ملامس لهذا البحر فتمازج زرقة السماء بزرقة الماء

رأت السحابة النارية ذلك فثبتت وسألت :

أَأُجفف هذه المياه ؟ فأجابها صوت يقول : كلاً ! فاندفعت بقوة زفرة الرب ناشرة الظلمة في الارجاء

هوذا خليج على ضفتيهِ آكام خضراء قد ضُربت عليها خيام

يصدر عنها أغانٍ شجية ينقلها الهواء الى السماء . وها هم أناس رُحَّل يصيدون الاسماك والاطيار ، وهم عائشون احراراً . موطنهم العالم كله اذا ارادوا ذلك وفراشهم الارض وغطاؤهم السماء . انهم قبيلة تائهة حياتها في الشمس والهواء ، وها هم افرادها بين اطفال وشيوخ ونساء وفتيان وفتيات قد كونوا شبه دائرة واخذوا يرقصون حول نار مشبوبة يتصاعد لهيبها حيناً أفقياً وحيناً تعبث به الرياح . انهم مجهولون وقد أسفرت النساء منهم عن اذرع كالأبنوس وصدور كالليل فلاحت النهود السوداء

تعرَّوا رجالاً ونساء فألقوا بأنفسهم للاستحمام معاً الماء فامتزجت اصوات البشر الصادرة من صدورهم بهدير الامواج . ورددت الريح الهابة صدى صنوج وغناء فتوقفت السحابة النارية في الفضاء فصاح بها صوتٌ خفيٌّ : الى الامام . . ؟

مصر كبساط من سندس زاه منعكسة عليه شمس كالذهب الاصفر وكل ما فيها وديان . يغازلها في الشمال بحر بارد وفي الجنوب رمل محرق وهي ضاحكة بينهما ضحك السعادة والاطمئنان

هناك ثلاثة شواهق مثلثة الزوايا أقامها الانسان وهي تدهش البصر ، وقد مزقت رؤوسها الجوّ ، وتجمعت حول قواعدها الرمال والى جانبها اله من الحجر الوردي اللون قد آل على نفسه حراستها لئلا تهب ريح سموم كاللهب فتضطرها الى احناء الرؤوس . وهناك مسلات منصوبة ونيل هادئ منساب تحركه نسمات تدفع الزوارق نحو مدينة تلامس منازلها الماء

سلطانة الكواكب متهادية نحو الغرب ، خالعة على المدينة ثوباً من الورد ، وقد داعب النسيم الماء العذب فطرقت مسامع مصر تنفسات عشيقها النيل الذي جعل يرنو بعينه الدامية اليها وهي منارة الامصار . هوذا سلطان منير قد طلع يتهادى في فضاء فسيح صافٍ لا تشوبه سحابة وأخذ يتبع آثار مصدر نوره كما يتبع العشيق خطوات معشوقته مستمداً منها سعادة تدوم ما دام لم يكن هناك احتكاك

سألت السحابة قائلة : اين أقف ؟ فاجابها صوت اهتزت له الارض : ابحثي

الارض كجمرة تتأجج ولا تشاهد العين سوى رمال يذرّها هواء ملتهب وهي رمال تبدو حيناً شامخة كالجبال وتظهر حيناً منبسطة كالسهول فنحن اذن في الصحراء التي تجتازها قوافل الجمال ولا يعرف منعزلاتها الندية سوى الله . وهي صحراء كبحر يتصاعد الدخان منه وزبد امواجه تراب من النار . فسألت السحابة أأحوّل هذا الاتون المترامي الاطراف الى بحيرة تخترقها الافلاك ؟

فاجابها صوت من السماء :

الى الامام ! الى الامام !

هذه بابل ذات القلاع المتهدمة ، بل هذه هي المدينة العظيمة التي انبثقت منها مفاخر الفتوحات ولكنها خربت وانهارت فارتسمت اظلال الاطلال ذات المنظر المؤثر على اربعة جبال تحيط بها احاطة السوار . بل هذه هي الدائرة التي اقيمت فيها سلم يرقى بها الى السماء . ولكن السلم

حطمت فاصبح لا يسمع فى تلك الاطلال سوى فحيح الافاعي وزئير ملوك الغابات ، ولا يرى حولها غير النخيل المحلقة في جوانبه العقبان

فسألت السحابة : أأجهز على هـذه البقايا : .. فاجابها الصوت السماوي : الى الامام ! الى الامام !

فاندلع منها لسان ناري كان لاندلاعه دويٌّ كقصف الرعود وقالت : الى اين المساق ؟

ها هما مدينتان تناطح قصورهما الجو ويتخلل طرقها وساحاتها الحدائق فتعبث النسمات بازهارها ورياحينها فيمتزج شذاها العطر بزفرات دنسة صادرة عن اجسام وطئ ذووها الفضيلة بقدم الرذيلة فقتلوهـا في نفوسهم قتلاً فاستسهلوا تضحية الطهارة للعار والعفاف للشهوات ، فباتوا عرايا تحت تأثير هزات الحب ، سكارى بخمرة الوصل ، فيا ايتها المدينتان الجهنميتان المندفعتان في لجج الاهواء ، الخالعتان عنهما اكليل الكمال ، الدائبتان في ايجاد سافل المسرات انكما وصمة المدن ومصدر دنس للامم جمعاء

ها نجمة الصبح قد اشرقت متلألئة في سماء مكفهرة الأفق ، والمدينتان في سبات ، اذ قد انقطعت ضوضاء القبلات وهمدت النفوس وانعكست اشعة القمر على اجسام منطرحة على الثرى وهي جامدة كالجثث لما حل بها من العياء ، فاخذ الهواء من جوانب سادوم متجهاً نحو عاموره وللحين حجبت السحابة السوداء السماء ، فقال لها القائل العلوي بصوت يصم الاذان : هنا ! فانفجرت السحابة انفجاراً ذا دوي هائل ، واندلعت

السنة النار اندلاعاً ، وهوت على قصور تناطح السماء ، فتحولت المدينتان الى أتون متسعر ذي لهب قاتم يزعج النفوس واستفاق الأهلون الذين لم يفكروا هنيهة في الله ، واصوات الدماء توجف القلوب وانهيار الجدران يروّع الاسماع ، فاندفعوا في الطرق المتقدة والذعر آخذ منهم كل مأخذ ، فصارت الاجسام الى بقايا سوداء

هوذا الملك يشرف من قصره والكاهن من معبده والرجل والمرأة من مخدع غرامهما الدنس ، ولكن كيف السبيل الى الفرار والنار المضطرمة تلتهم وتدمر . فقل اذن ان الجحيم قد انفتح لابتلاع الارض وما عليها من مبانٍ واناس

لم تبقِ النار على شيء

وعبثاً حاولوا استمداد الآلهة فان يد الله قد ضربت فسحقت الانسان مع الصخر ، ولاشت العشب وجففت الماء ، وحوّلت عواصف تلك الليلة الرهيبة رواسي الجبال من حال الى حال

هناك سواد منتشر في الارض وفي السماء

هناك الآن صخور قاحلة جرداء لا يكاد ينبت فيها عشب حتى يصفر ويذبل ويموت ، فان الهواء الذي يهبُّ في تلك الارجاء يلهب ويحرق

لم يبقَ للمدينتين من أثر . ولم يدع الماضي لعبرة الحاضر والمستقبل سوى بحيرة مرة تغلي كمرجل لذكرى نار السماء

(تعريب حنا صاوه) فيكتور هوجو

جرائد سوريا ولبنان

اصبحت الجرائد العربية كثيرةً في سوريا ولبنان . فلا يمرُّ بنا اسبوع الاَّ نقرأ فيه عن صدور جريدةٍ جديدة لكاتبٍ جديد

ولا يخفى أنَّ الانسان لا تمكّنه الاحوال من مطالعة الجرائد كافةَ لانه لا قبَل له بالاشتراك فيها بأسرها ولو كان موسراً كثير المال

ولما كان لي نزعة خاصة الى مطالعة الجرائد والمجلات العربيـة فقد أحببتُ أن أعرّف الاخوان بالصحافة والصحافيين في سوريا ولبنان . جاعلاً بين الفريقين صلة تعارف ورابطة اخاء

فقسمت الصحافة الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول الجرائد اليومية والقسم الثاني الجرائد الاسبوعية والقسم الثالث المجلات الشهرية والنصف شهرية

ولما كان ذرعي يضيق عن مطالعـة الجرائد جمعاء فقد ذكرت في هذه السطور أهمّ الجرائد التي أقرأها دائماً . فاذا أغفلتُ جريدةً فلأنني لم اقرأها طويلاً . او لأنني سمعت باسمها فقط . فعذراً من اصحاب هذين القسمين :

١ — الجرائد اليومية

١ً الاحوال (بيروت) : صاحبها سابقاً خليل البدوي واصحابها حالاً رعد وبوبز . هي الجريدة الوحيدة التي تصدر في كل البلاد العربية مرتين في النهار . كاتبهـا سليم العقاد . هو أعرف المحررين بأسرار الصحافة .

تكثر هذه الجريدة من التلغرافات والاخبار المحلية . لهجتها مسيحية . تدلي الى تحزب . جريئة في انتقادها الموظفين والمأمورين

٢ً لسان الحال (بيروت) : صاحبها خليل سركيس . هي جريدة المعتدلين . كاتبها رشيد عطية اللغوي المدقق . قراؤها التجار والكهول . آراؤها السياسية على خطةٍ واحدة فهي نسخةٌ من « الطان والليفانت هرالد » هي سائرة على قاعدة « القديم على قدمه » أما في الانتقاد فهي والاحوال على طرفي نقيض

٣ً المنيد (بيروت) : صاحباها عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس . يساعدهما في الكتابة أحمد صلاح الدين . هم ثلاثة اشخاصٍ في روحٍ واحدة . جريدتهم جريئة . ولها مواقف تشهد لها بحبهـا للعرب . وهي الجريدة البيروتيـة الوحيدة التي تقرأ في الاستانة بروّية واهتمام . فمنزلتها في بيروت منزلة طنين في الاستانة . قراؤها عديدون . واكثرهم من ناشئة المسلمين

٤ً النصير (بيروت) : صاحبها عبود ابي راشد . محررها سعيد عقل الداموري . كاتب وشاعر معاً . هو سركيس بيروت . حركة دائمـة . وأسرع كاتب في تسقُّط الاخبار ، وخصوصاً اللبنانيـة . يقرأ اللبنانيون النصير كثيراً . لها حملات شديدة على حكومة لبنان . تطبع كل يوم مضاعف بعض الجرائد اليوميـة . هي تمثّل « صوت الشعب » كما ان لسان الحال يمثّل « مشيخة الشعب »

٥ً الرأي العام (بيروت) : صاحبها ومحررها طه مدور . جريدتهُ

مندفعة كثيرة الانتشار بين الشبيبة المسلمة . تريد ان تسبق المفيد . والمفيد لا يشق له غبار — محالفته ثلاثية — يغمس صاحبها قلمه في سويداء قلبه . فهو يكتب ليفيد اكثر مما يستفيد

٦ً الاتحاد العثماني (بيروت) : صاحبها الشيخ احمد طباره . هي عند المسلمين كلسان الحال عند المسيحيين . لها برقيات خاصة — والمفيد ايضاً — وخطتها سائرة مع الزمان

٧ً حديقة الاخبار (بيروت) : هي الجريدة الاولى التي تأسست في سوريا بفرمان سلطاني في ١ ك ٢ (يناير) سنة ١٨٥٨ . منشئها المرحوم خليل الخوري الشاعر الشهير . وقد تحول امتيازها لعهدة أخيهِ وديع الذي يحررها . مادتها ضعيفة . أخبارها وتلغرافاتها منقولة

٨ً الثبات (بيروت) صاحبها اسكندر الخوري . رئيس تحريرها خليل زينيه ، وهو شيخ المحررين ، وأخفهم روحاً وأطولهم باعاً

والثبات هي الجريدة البيروتية الوحيدة التي تصدر عند الظهر . اما بقية الجرائد اليومية — ما عدا احوال المساء — فانها تصدر صباحاً الاَّ يوم الاحد . اما جريدة (المفيد) فانها تصدر الاحد وتحتجب الجمعة

٩ً المقتبس (دمشق) : صاحبها محمد كرد علي ، مؤرخ مدقق وكاتب سريع الخاطر . يهتم بشؤون المسلمين اهتماماً شديداً . قوة الجريدة متوزعة بينها وبين المجلة

١٠ً العصر الجديد (دمشق) : صاحبها المحامي ناصيف ابو زيد . تختلف جريدته ارتقاءً وترتيباً باختلاف كتَّاب العصر فيها فقد تولى

ادارتها عيسى اسكندر المعلوف فجرجي الحداد وسليم العنحوري فاسكندر المرّ حالاً . فالعصر في دمشق الشام كالصدق المحتجب في بونس ايرس

١١ً الكائنات (دمشق) : صاحبها اديب نظمي . كاتب كبير . في انشائه رقة وسلاسة . وفي قلمه نفحةٌ من نفحات (الاديب) ولو لم يكن في دمشق العصر الجديد المسيحي والمقتبس الاسلامي لكان لهذه الجريده شأنٌ يذكر في ارض الشآم

هذه هي أهم الجرائد اليومية ومن وصفها ترى انّ فيها المتطرفة والمعتدلة والمحافظة

حليم ابراهيم دموس

(وسيأتي الكلام عن الجرائد الاسبوعية والمجلات)

من كل حديقة زهرة

* تبلغ قيمة الاشجار المغروسة في شوارع برلين مليون مارك وعددها ٤٥ الف شجرة مزروعة في ثلثمئة شارع . ولدى المجلس البلدي ٢٥٠ بستانياً و ٧٠٠ مساعد لخدمة هذه الاشجار والحدائق العمومية ، وثلاثة ارباعهم من النساء

* من عادات اليابانيين في اعراسهم ان العروس توقد ليلة زفافها مشعلاً وتقدمه الى خطيبها وهو يتناوله ويحرق بناره الالعاب التي كانت للفتاة في صباها

* في روسيا عدد كبير من البوليس السري . ولا يقلّ عدد النساء المنخرطات في هذا السلك عن الفي امرأة . ويبلغ رواتب البعض منهنّ

خمسين الف فرنك . فكيف يقال ان المرأة لا تحفظ سرًّا

* اكبر مدفع في العالم موجود الآن في قلعة كرونستاد (روسيا) وقد صبّ في معامل كروب الشهيرة . ووزن قنبلته الف ومئتا كيلو غرام وهو يقذفها الى مسافة ١٩ كيلومتراً ويكلّف كل طلق من طلقاته ٧ آلاف و ٥٠٠ فرنك

* ثبت ان ميكروب السل لا يتسرَّب الى لبن الماعز فهو خير لبن يغذَّى به الطفل المحروم من لبن امه

* في ولاية ميشيغان تبيع الحكومة رخصاً تجيز لصاحبها ان يسكر متى اراد وحيث اراد دون ان يتعرض له البوليس ، كما تباع رخص الصيد وغيرها

* لا غنى للانسان عن الملح ويجب ان يأكل منه ١٥ غراماً على الاقل و ٣٠ على الاكثر

* يقول الفلكي الاميركي ولد مركمبغرت ان النجم الذي سار وراءه المجوس الى بيت لحم لم يكن الاَّ مذنب هالي

* لدى انكلترا اسطول من زوارق الصيد يبلغ ٢٦ الفاً و ٥٠٠ زورق يركبها مئة وستة آلاف صياد

* تفتخر السيدة ساره برملي من بوتنجهام في انكلترا بانها اكبر نساء العالم سناً . فان لها من العمر ١١٢ سنة وقد عاشت في ثلاثة قرون (الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين) لانها ولدت سنة ١٧٩٩

عشرة اعداد الزهور

صدر في السنة الماضية اثنا عشر عدداً من « الزهور » في ٥٦٠ صفحة . ولما كان العدد الكبير من المشتركين يغيرون محل اقامتهم في شهري الصيف حدث تبلبل في توزيع المجلة وفقد منها اعداد كثيرة ، ولذلك رأينا ان نوقفها في شهري الصيف مصدرين منها عشرة أعداد بدلاً من الاثني عشر . ولكي لا يخسر القراء والمشتركون شيئاً .زدنا عدد صفحات الاعداد كما ترى ذلك الآن حتى تبقى مجموعة العشرة أعداد ٥٦٠ صفحة كمجموعة الاثني عشر عدداً . وخصصنا هذه الزيادة برواية شهرية تصدر في كل جزء اجابةً لطلب الكثيرين



محمد إمام العبد

ازهار واشواك

مات محمد العبد الاديب المعروف بشعره الطلي ، وزجله اللطيف ، المشهور بلونه الابنوسي القاتم الذي كان يُعدُّ لون عنترة معه بياضاً ناصعاً ، مات إمام ، فكان لمنعاه رنة اسف وحزن ، لانه عاش بائساً ومات بائساً ، وكان يلقب نفسه في حياته « إمام البؤساء ورئيس حزبهم » وقد تطوّع في هذا الحزب الكثيرون من الادباء واقرّوا له بالرئاسة والامامة . وله ولهم في هذا الموضوع قصائد جميلة تناقلتها الصحف . نظم إمام في موضوعات كثيرة ولكن الفكرة السائدة في شعره هي الانين والشكوى من الزمن . فقلما تطالع له بيتاً ولا ترى الدمع نافراً من حروفه ولا تسمع الزفير متصاعداً من تفاعيله . وكانت له طريقة في انشاد الشعر تشبه الندب والرثاء . ولكنه كان مع ذلك خفيف الروح لطيف المعشر لا يملّ جليسه له حديثاً ، وله في الاشارة الى لونه نوادر ونكات ظريفة منها جوابه المشهور لمن سأله عن امتناعه عن الزواج وهو ذلك البيت :

انا ليلٌ وكلُّ حسناءَ شمسٌ فاجتماعي بها من المستحيلِ

لقيته يوماً وقد شدَّ عنقه بربطة حمراء فسألته عن السبب فقال : « ليعرف الناس اين ينتهي جسمي واين يبتدئ رأسي » وكنت ماراً صباحَ يوم قرب البوستة فلقيت اماماً في قهوة كان يكثر التردد اليها فقال : هل لك في سماع شيءٍ من الشعر ؟ — فقلت : هات — قال : احببت امس ان احذو حذوِ زميلي وابن لوني عنترة العبسي فنظمت ابياتاً في الحماسة ... وتلاها عليّ فاذا هي تهديد للاعداء وتغزل بالردينيات

والمشرفيات وتغني بخوض غمرات القتال ، فقلت له : سبقتَ والله فارس بني عبس فكأنك رضعتَ من لبن المعامع وربيت بين السيوف والرماح — فقال : ومع ذلك ألا ترى الجبن والخوف متجسمين في كل بيت — فاجبته : لا افهم الى ما تشير — فقال اسمع ، بينما كنتُ انظم هذه الابيات ليلة امس اذا بحركة بدت من ناحية النافذة فارتعدت فرائصي خوفاً ، وكاد لبي يطير شعاعاً ، ولم يكن ذلك الاّ قطة جارتنا قفزت من كوة الدار ...

وكان إمام بعيد الشهرة في سوريا واميركا وكان يُراسل عدة جرائد وقد احرز بعض جوائز مالية في سباقات فتحتها صحف تلك البلاد . وسيكون لنعيهِ اسفٌ هناك كما كان له هنا . ولكن ذلك لا يجديه نفعاً بعد مماته ، كما ان شهرته لم تدفع عنه بؤسه في حياته . وهكذا يعيش ويموت الاديب في الشرق : كحصاة تلقى في الماء الراكد فتحدث بعض تموجات سرعان ما تضمحل ، وانتهى ! ولم يكن إمام العبد ليشذ عن هذه القاعدة رحمات الله عليهِ .. !

أمّ ولا كالامهات :

جرت هذه الحادثة منذ شهرين ، في ايام الاعياد ، ولم يتسنَّ لي ان اقصها على قرائي وقارئاتي قبل اليوم ، ليشاركوني في التلذذ بها ، لانها وايم الحق لذيذة جداً ، بل هي الذ من حلوى العيد ، او انّ ذوقي وجدها كذلك ... دعاني احد الرفاق مع صاحب « الزهور » لمناولة الطعام عنده ، فاجبت الدعوة . وقضينا ساعات رائقة بين اكل مريء

وشرب هنيء وحديث عذب . وكان لصاحبي ولد يذهب ويجيء بيننا فرحاً مرحاً . ويعرض عليّ الالعاب التي أهديت اليه في العيد وهو معجب خصوصاً بلعبةٍ تدور بلولب خاص وتسير كأنها القطار البخاري .

فقلت للولد على سبيل المداعبة :

— اي متى يحملك الاعجاب بحركتها الخفية على كسرها ؟

— فالتفتت اليّ الوالدة وقالت :

— بالله عليك يا حاصد هلاّ سألته اي متى يحمله الدرس والاجتهاد على اختراع مثلها ؟

وقف الولد عن كل حركة وحدّق عينيه الجميلتين في عيني امه كأنه يحاول ان يرى في تلك المرآة الصافية معنى ذلك القول الذي لم يدرك كنهه عقله الصغير وقال بكل سذاجة : الحق معكِ يا أماه . . !

قبّلتُ الولد وانحنيت إجلالاً امام تلك الأم الفاضلة . وقد ذكّرني كلامها ما قاله قائد الماني في خطبة كان قد القاها منذ ايام وجيزة : « يا قوم انتم في هذه المواسم تبحثون عما تهدونه الى اولادكم ، لا تفتشوا طويلاً ، اهدوا اليهم سيوفاً وبنادق لتتربى فيهم روح الشجاعة والبسالة فينشأوا اشداء اقوياء » بل رأيت كلام هذه الأم الفاضلة اعقل واسمى من كلام القائد . ولما تركنا المنزل قال لي صاحب « الزهور » : عسى ان يكون لهذه الحادثة نصيبٌ من ازهارك واشواكك . فوعدت وها قد انجزت . ويا شد ما تكون دهشة هذه الأم عند ما ترى كلامها مدوّناً في هذه الصفحة

صلاة الحصان :

للغربيين عطفٌ على الحيوانات يفوق عطفنا على اخواننا بني الانسان . وقد الفوا الجمعيات الكثيرة للرفق بالحيوان وانفقوا في هذا السبيل الاموال الطائلة لتخفيف اوجاع الحيوان غير الناطق . وقد ابتدعت احدى هذه الجمعيات في الولايات المتحدة طريقة لطيفة للوصول الى هذه الغاية . فألفت صلاةً دعتها « صلاة الحصان » وطبعت منها الملايين من النسخ وعلقتهـا في الشوارع والمحلات العمومية . واليك نصها كما قرأتها في جرائد تلك البلاد :

« بخضوع أرفع اليك صلاتي يا معلمي اطعمني وارو ظمأي . وبعد العمل والتعب امنحني فرصة للراحة في الاسطبل الخاص . بلغني أوامرك بالكلام لان صوتك أفعل بي من اللجام والسوط . علمني وعوّدني العمل بتمام ارادتي . لا تضربني عند الركوب ولا تجذبني بسير اللجام عند النزول . واذا أنا لم أفهم حالاً لا تسرع وتقبض على السوط بل انظر جيداً الى اللجام لعله يجرحني والى الحديدة التي في رجلي لعلها تؤلمني . واذا رأيتني أعلك حديدة اللجام انظر الى اسناني . لا تقطع ذَنبي لانهُ سلاحي الوحيد ، أُحارب بهِ الذباب المحيط بي . يا معلمي العزيز اذا جعلني كبر سني ضعيفاً وعاجزاً فلا تحكم عليّ بالموت جوعاً ، بل احكم عليّ بالاعدام ذبحاً تخفيفاً لعذابي . وفي الختام سامحني لاجل هفواتي ، واقبل هذه الصلاة التي أرفعها الى مقامك السامي بكل تقوى ، آملاً ان تحوز قبولاً . فانني مولود حسّاس مثلك أستحق الشفقة والرحمة . آمين

ماصر

رواية الشهر

مغارة العظام

١

— امسيكم بالخير يا جدعان

— اسعد الله مساك يا سليم ! أهلاً وسهلاً

— كل عام وانتم بخير

— وأنت بألف خير . يا مرحباً بك . تفضل واجلس

وكان الداخل ـ سليم ـ فتى في مقتبل الشباب ، تبدو على وجهه سمات السذاجة والقناعة ، وهو لابس عباءةً قد التفع بها على زيّ القرويين في لبنان ، متلثم بكوفية تردُّ عنه هجمات البرد وتكسب هيئته شيئاً من الشجاعة والاقدام . وعند دخوله انتصب الجميع واقفين ووضع كلٌّ يده اليمنى على صدره حسب العادة إجابةً للتحية. فجلس سليم القرفصاء في حلقة الاخوان والاصحاب ، وهو يردّد : تفضلوا ، ربنا يحفظكم ...

وكان قد جاء لقضاء السهرة مع زمرة من عشرائه في بيت أحدهم ، وكانت الليلة ليلة رأس السنة . وقد جرت العادة في مثل هذه الفرصة أن يجتمعوا فيتداولوا الاحاديث المتنوعة والاخبار والنوادر . وكثيراً ما خالط اصواتهم رنة الاقداح ، وطيبت ارواحهم بنت الراح

فلما اجتمع شملهم في تلك السهرة خاضوا كل المواضيع . فتكلموا عن العام الجديد والاحوال الحاضرة ، وعن المزروعات وبشائر الموسم ، وعن العادات والتقاليد فأدى بهم الحديث بالطبع الى ذكر الايام الغابرة والاسف عليها والحنين

اليها . فقال « العم ابو حبيب » وكان اكبر الجميع سناً

— لا يذهب يومٌ و يأتي مثله . سقى الله أيام اجدادنا فانها كانت أيام خير ومروءة وشهامة

وهكذا أخذوا يثنون على العصور الماضية وطفق كلٌّ يسرد ما رواه له آبوه أوجده عن أمورٍ شتى ونوادر متنوعة وخصوصاً ما يتعلق بالبسالة والبأس وقوة الجنان . هذا وسليم صامت لا ينطق بحلاوة ولا مرة . على انه كان يتأفف في قلبه من الحط من شأن رجال اليوم و إقدامهم . فاعترضهم أخيراً قائلاً :

— بارك الله في همم الرجال ! لا تظنوا أن النخوة قد تلاشت أو ان الشجاعة قد فقدت من صدورنا . وما أيامنا إلاّ كايام من تقدمنا . وفي كل عصرٍ رجالٌ لا يهابون الموت اذا تمثل لهم ، وآخرون يخشون ظلهم اذا انعكس في ضوء القمر

فاشتدّ حينذاك الجدال وادّى الى التحزب للماضي أو الانتصار للحاضر . وجاء في عرض الكلام ذكر « مغارة العظام » وخوف الناس من المرور بجانبها ، فقال أحد الحاضرين لسليم :

— اذا كنت يا صاحبي كما تدّعي لا تقلّ شجاعةً و بأساً عن أبائك وأجدادك . هل لك أن تقصد « مغارة العظام » في مثل هذه الساعة فتدق فيها وتداً ؟

— ادقُّ وتداً وآتيكم بجمجمة ... قال سليم ذلك ببعض البساطة الدالّة على ثبات جنانهِ

فوقع كلامهُ على الحاضرين موقع الدهشة . لأن المكان المذكور كان قفراً ، قد انتصبت فيه صخورٌ جرداء ، لا نبات هناك ولا أثر للحياة ، وكان في منعطف ذلك الموضع مغارة واسعة ألقيت فيها من أمدٍ مديد عظام وجماجم كثيرة فاكسبتها اسمها « مغارة العظام » وكان ذلك القفر مخيفاً رهيباً . واذا اضطر بعض القرويين للمرور به نهاراً يسير وجلاً مذعوراً و يهرول دون أن يحول نظرهُ الى تلك المغارة المشؤمة

وهو يكثر من ذكر اسم الله العظيم مستعيذاً به من شرّ الابالسة والجن . أما في الليل فما كنت تجد من يتجرأ على المرور من هناك « ولو ملكته كل املاك القرية » لأن السكان كانوا يزعمون أن ارواح الموتى تطوف ليلاً في ذلك المكان ، فيا ويل من يراها أو تراه

ولذلك أحدث جواب سليم دهشة في الحاضرين ، فنسبوا كلامه في بداية الامر الى المزاح أو الادعاء · لكنه اتبع القول بالفعل وقام للحال فالتفع بعباءته وتلثم بكوفيته وقال : « على الله الاتكال » وخرج والجميع في حيرة من أمره

٢

في بيت منفرد عن بيوت القرية فتاة يتيمة اسمها سلمى تعيش وحدها مع جدتها العجوز وتكتسب قوتهما بعرق جبينها من غزل القطن وتسليك الحرير

وكانت الفضائل قد زينت روحها كما ان الطبيعة قد زانتها بالجمال واللطف المقرون بالشجاعة وليس ذلك بالشيء النادر بين القرويات

وكان قد خطبها شاب يتيم مثلها ومكمل الصفات مثلها ـ وهو صاحبنا سليم الذي عرفناه في مطلع هذه الرواية ـ فاقسمت له ان تحفظ عهده وتصون ودّه ، وعاهدها هو على مثل ذلك . فكان الحب بينهما متبادلاً

وكان ابراهيم عبدالله أحد الشبان المعروفين بسوء الأخلاق ولؤم الطباع قد فُتن بهوى سلمى وأخذ يزاحم سليماً في حبها . ولكنها لم تكن تلتفت اليـهِ . وكثيراً ما حاول ان يستميلها تارةً بالوعد وطوراً بالوعيد فلم تكن الاّ لتزيد نفوراً منه . وقد علم خطيبها سليم بواقع الأمر فلم يكترث له لانه كان واثقاً بمقـدرتهِ وفضله على ابراهيم ومكانتهِ من قلب خطيبتهِ . سيما وانه يعرف في قرنهِ الوهن والجبانة فكان يعرض عنه ازدراء او شفقةً

وقد جاء سليم في أول تلك السهرة — ليلة رأس السنة — فزار خطيبته . وقدّم

لما وجدتها الهدايا البسيطة في ذاتها العظيمة بما قارنها من عواطف حبهِ . واتفق ان دُعيت الجدة ليلتئذٍ الى بيت كانت صاحبته مشرفة على الولادة، فلبت الدعوة عملاً بالواجب المرعيـة حرمته بين القرويين ، واذ ذاك لم يسع الشاب الاّ الرحيل أدباً ولياقة ، فسار قاصداً حلقة الاصحاب للسمر معهم فكان من أمره معهم ما عرفناه

وبقيت سلمى وحدها تتسلى بذكر خطيبها ، واذا بالباب قد فتح فجأةً ودخل ابراهيم عبدالله وهو في منتهى التهيج . فانه كان يترقب فرصة يخلو له فيهـا الجو . فطال انتظاره حتى عيل صبره وكاد يقطع الأمل لو لم تواطئه الايام وتمهد له السبيل في هذه الليلة . ولما دخل صاح بالفتاة « والآن ۰۰ ؟ » وهجم عليها . ففرت من وجههِ ولجأت الى زاوية البيت فتبعها . ولما ضاق بها المكان ولم تجد لنفسها مناصاً رجعت اليهِ لتدفعه، فوقع نظرها على خنجر في منطقتهِ ، فانتشلته باسرع من لمع البرق وصاحت « اليك عني والاّ قتلتك » وكان التهيج والغضب قد أخذا منه مأخذهما حتى كاد يفقد رشده، فهجم عليها . ولكنها قابلته بطعنة خرقت أحشاءه . فوقع على الارض صريعاً يتخبط بدمه ولم يلبث ان فاضت روحه الخبيثة

وحينئذٍ اضطر بت الفتاة واستولى عليها الذعر من هول هذا المشهد ونظرت الى السماء نظر الخائف المستغفر ولسان حالها يقول : يا إلهي انت الشاهد على غدره ، لم يكن لي وسيلة اخرى لصيانة شرفي . أنا بريئة يا إلهي !

ولكن اذا كانت بريئة في عين الله فكيف يعلم البشر براءتها وكيف يصدّقون كلامها ؟ وماذا عسى ان يكون من أمرها وكيف العمل للخروج من هذا المأزق الحرج ۰۰ ؟ لم تجد سبيلاً الاّ مواراة الجثة وكتمان الامر خشية الفضيحة والهوان ، ولكن ما الحيلة ومن يكون نصيرها وسليم غائب ، وجدتها بعيدة عنهـا ، وكيف الوصول اليهما دون ان تتنبه الظنون

دارت كل هذه الامور في رأس الفتاة واستولت الحمى على دماغها المضطرب

فلم ترَ الاّ ان تستجمع قواها وتتكل على شجاعتها فتقوم وحدها بستر أمرها .
فعمدت الى الجثة ووضعتها في كيس وحملتها على ظهرها وقد ضاعف الرعب قواها
وسارت قاصدة مغارة العظام لتواريها هناك

٣

وصلت الى المغارة وقد أنهكها التعب فتقدمت وهي ترتعد خوفاً ورعباً ، وكان
لاقدامها وقع مروّع يرنّ في اذنيها كصوت قضاء رهيب. وقد حجبت الغيوم المتلبدة
في كبد السماء وجه القمر الساري فساد على تلك الاطلال ظلامٌ مدلهم ترتعش من
هوله الأبدان . تقدمت الفتاة وهي تعثر تارةً بجمجمة وتارة ببعض العظام المتراكمة
فيزداد اضطرابها ورعبها . ولما وصلت الى الداخل أخذت تعمل على مواراة الجثة
تحت كومة من العظام اذ طرق مسامعها وقع أقدام على باب المغارة

فانتفضت مذعورة وقد أخذتها القشعريرة . فحوّلت نظرها الى الخارج فتراءى
لها خيال قائم أمامها يتقدم ببطء وهدوء ورأت نفسها وحدها في هذا المكان المخيف ،
ولا مجير ولا معين ، فافتكرت : آه لو كنت هنا يا سليم ورأيت في اي حال اصبحت
تلك التي قادها حبك والاحتفاظ بعهدك الى هذا المكان في مثل هذه الساعة

ثمّ ما لبثت ان عاد اليها الجلد بعد ان استعانت بالله ، فعمدت الى العظام
والجماجم المحيطة بها وأخذت تقلبها بعضها على بعض ، فاحدثت قرقعة مخيفة رددتها
جدران المغارة ، وتواتر بها رجع الصدى . وكانت سلمى ترمي من وراء ذلك الى
إخافة الطارق في مثل هذه الساعة . فلم يخطئ ظنها لأن الخيال وقف برهة كمن داخله
الخوف . لكنه عاد فأخذ يتقدم الى الامام شيئاً فشيئاً ، وسلمى واجفة لكنها تزيد
في قرقعة العظام

٤

ولم يكن الداخل الاّ سليم ، فانه جاء قاصداً مغارة العظام ليأتي بالجمجمة التي راهن

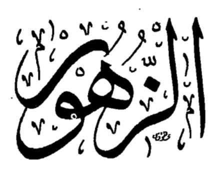
عليها رفاقه . فلما وصل وقف عند الباب وسرح بصره في الداخل ، فلم يرَ شيئاً من اشتداد الظلام ، فتقدم قليلاً فسمع تلك القرقعة في المغارة ، فاول حركة بدت منه الرجوع الى الوراء ، لكنه نفى عن مخيلتهِ ما تصوره حلماً وتقدم وهو يظن أن اذنيه اسمعتاه شيئاً وهمياً ... ولكن زادت الضجة ... لا محل للريب ، ان في المغارة أحداً ... أمن عداد الاحياء هو ام من عالم الاموات ..؟ تقدم بضع خطوات ، والقرقعة تزيد كأن الابالس حلفت أن تقلق راحة هذا المكان : ولكن لا بد لسليم من أن يأخذ جمجمة ويقوم بوعده ولو خرج الشيطان بنفسهِ ليحول دون مبتغاه . فما زال يتقدم . وحينذاك انجلى القمر قليلاً فتراءى للشاب منظرٌ هائل : جثة منتصبة امامه تتقدم نحوه وو راءها يلوح خيال لم يتميزه ... ثمّ انبعث من وراء الجثة صوتٌ يلقي الرعب في القلوب : « يا من لا يخاف من الاحياء ارتعدْ امام الاموات » فاوجس سليم خيفةً مما رأى وسمع ، وكاد يطير فؤاده روعاً . لكنه ما برح يتقدم كمن تجرّهُ قوة جذابة ، فما شعر إلاّ وقد سقط عليه شيءٌ ثقيل بارد ، ولم يكن ذلك غير الجثة ، فصرخ « باسم الله ..! » واستلّ خنجره ، فاجابه صوتٌ ضعيف : « استرني أياً كنت يسترك الله ! »

وكان القمر قد سطع بكل جلاء فاضاءت المغارة ومن فيها ، فعرفت سلمى الخيال الداخل عليها ، وعرف سليم الشبح المنتصب أمامه ، ففتح ذراعيه وهتف :

— أنتِ هنا يا سلمى ..!

— حفظاً لعهدك يا سليم .. !

وأشارت اشارة معنوية الى جثة مزاحمهِ المطروحة على قدميه بين العظام والجماجم ففهم كل شيء



الجزء الثاني | ابريل (نيسان) ١٩١١ | السنة الثانية

كل مياه البحر

لا تغسل الادران التي تعلق بقلب الفتى من سوء التربية

لو شئنا ان نورد ما قاله الفلاسفة والشعراء والكتّاب وأساتذة الاجتماع عن الولد، ذلك المخلوق الطاهر، لضاقت عن ذكر بعضه فقط المقالات الطوال. فان الولد كان ولم يزل موضع عناية كل من اهتم بخدمة بني الانسان وترقية شؤونهم، لأن هؤلاء الاطفال هم الحجارة التي نُعدها لبناية الغد. وبقدر ما نسعى في صقلها وحسن وضعها يجيء وضع بناية مستقبلنا جميلاً متقناً. فمهما كتبنا وسطرنا في هذا الموضوع الجليل لا نكون وفيناه حقه من الاهتمام

ريع الجميع من كثرة القضايا التي تعرض على المحاكم بشأن التعدي على آداب الأولاد وهتك حرمتهم وتسطير حروف الفحشاء على صحيفتهم التي كانت بيضاء ناصعة، فعادت وقد مرّت عليها يدُ المنكر قذرة سوداء. وقد زاد هذه الحوادث شناعةً وفظاعة ان أبطالها المشؤمين هم ممن يطالب منهم اكثر من سواهم السهر على نور الآداب لئلا تطفئهُ اهواء المفاسد.

ثم أنهم اتخذوا فريسة لنار شهواتهم أغصاناً رطبة ناضرة

واذا كانت هذه الأعمال تشجب وتستنكر وهي تكون برضى الفريقين فكيف يعبر عنها حين تتم قسراً وعنوة مع من لم يبلغوا سن الرشد ولم يعرفوا من لذات هذه الدنيا إلاَّ قبلات أم حنون ، ومن آلامها إلاَّ الحرمان من لعبة أو تأنيب والد شفيق

فهل بعد ما نرى ونسمع صباح مساء يمل القراء لو طرق الكتاب موضوع الاداب مراراً واكثروا من الحض على التربية وهي المصل الواقي الشافي من كل هذه الاوبئة ؟ لا لعمري ان الواجب الاول على حملة الأقلام قبل التسابق في نشر الانباء السياسية واذاعة الاكتشافات العملية الجري والمباراة في هذا الميدان

***

تبتدئ تربية الولد بين جدران المنزل وفي حجر العائلة بين الاخوة والاخوات حين تكون نفس الطفل كما قال عنها الشاعر اللاتيني هوراس « كالشمع المرِن تتكيف بالكيفية التي يريدها وليُّها » ومن منا اذا تطلع في مرآة الذاكرة الى تلك الايام البعيدة لا يذكر كلمة سمعها أو حادثة شهدها كان لها اكبر تأثير على ضميره الأبيض ولا بياض السوسنة في الحقل ، وأشد وقع على قلبهِ الصافي ولا صفاء الماء المتدفق من الصخر

ولكن ما أقل سهرنا على أولادنا واكثر تغاذلنا عنهم وهم في العقد الاول من العمر . انزل معي أيها الوالد الى اي شارع شئت من شوارع المدينة وافتح هناك عينيك وأذنيك . تنظر ما تنبو منهُ عينك وتسمع ما

تنفر منهُ اذنك بل أنت لست بحاجة الى فتح هذه وتلك فان المشاهد المخجلة تلفت منك الأبصار قسراً ، والكلمات البذيئة تشق الى اسماعك سبيلاً . بل علام أدعوك الى ذلك وكثيراً ما تسمع وترى طفلك الصغير يأتي من الحركات ويفوه من العبارات بما يأبى القلم تسطيره ، وذلك على مرأى منك ومسمع وأنت باسم له مشجع لعمله بسكوتك المذنب ...

وعند ما يبلغ الولد العقد الثاني من العمر ويصير يافعاً ينتقل القسم الاكبر من واجب تربيتهِ عن عاتق الوالدين الى عاتق المؤدب في المدرسة . ففي هذا الطور من العمر تتفتح أزهار النفس وتستعد لطرح ثمرها . فان وجدت تلك الأزهار هواءً نقياً وماءً طاهراً ، جاءت نضرة زاهية . وان لاقت هواءً ساماً وماءً فاسداً ، جاءت ذابلة قبل الأوان . فترى الشاب شيخاً هرماً ويا تعس من كان هذا شبابه ..!

وفي هذا العمر تزداد مهمة متولي التربيـة أهميةً بازدياد الاخطار المحدقة باليافع : اخطار داخلية لان عقله بات يفهم ما لم يكن يفهمهُ وقلبه اصبح لعبة في تيار الاهواء النفسانية ، واخطار خارجية لان هناك عشراء السوء يضعون يدهم بيده للسير في طريق الضلال ؛ ودواعي الفساد تحدق به من كل جانب وتتنازع ارادته الضعيفة التي لم تتقوَ في نار الاختبار ولم تتصلب في خبرة الدنيا والناس

وما عسى ان يكون مصير الفرد الذي ألقيت بذرة الرذيلة في قلبهِ طفلاً ، ووجدت من يتعهدها ويعمل على انمائها في صدره يافعاً . . ؟ الا ان مصير هذا المسكين لا محالة الى ادنى هوات الانحطاط الانساني .

وهيهات ان يقيض الله له يداً فيها من القوة ما يكفي لانتشاله من هذه الوهدة . واذا أسأنا تربية اولادنا فلا نعجب لكثرة الجرائم وتعددها بل فلنعجب لانها لم تبلغ أضعاف ما نحن سامعون

فلنجعل اذن شؤون التربيـة نصب أعيننا فلا ندخر وسعاً لابعاد الاولاد عن كل أسباب الفساد فنحفظ لهم حياة النفس والجسم . وعلى نظارة المعارف ان تزيد سهراً وتيقظاً في تعهد معاهد العلم ، فتطهرها من حين الى حين لئلا تنمو فيها ميكروبات أو بثة الآداب . وعلى رجال البوليس ان يحافظوا في الشوارع على حرمة الآداب فلا نسمع في غدواتنا وروحاتنا تلك الالفاظ البذيئة التي تعلو في الطريق على كل صوت . . .

تشكلت جمعية « رعاية الاطفال » بهمة بعض الافاضل الغيورين على مصالح بلادهم فأخذت تعمل بجد ونشاط لوقاية الاطفال ودرء الامراض والعاهات عن اجسامهم النحيفة ، فنعم ما فعلت

واهتمت الحكومة بوضع قانون يتعلق بتشغيل الاحداث واضعة نصب اعينها في سن هذا القانون صحة الولد لئلا تذبل وتذوي بين جدران المعامل ساعة هي في طور نموها ، فحبذا ما فعلت

ولكن يتحتم علينا مع الاهتمام بشؤون الاولاد المادية ان نوجه اهتمامنا الى شؤونهم الادبية ، فنعمل على وقاية القلب كما نعمل على وقاية الجسم . حتى يسلم هذا وذاك من الامراض القتالة

وعليهِ فيجب ان تؤلف جمعيات لهذه الغاية تأخذ على عاتقها الاهتمام بهذه المسألة الخطيرة وما هذا على من يحب ابناء جلدته بالأمر العسير

وهكذا نكون اعددنا للمستقبل رجالاً اقوياء جسماً ونفساً ، فيكسبون امتهم قوة مادية وقوة ادبية تدفعها الى مقدمة الامم الراقية

***

قال ألفرد ده موسه ، وهو ذلك الشاعر الطائر الصيت الذي رشف كأس الملذات حتى الثمالة : « يا ويل من يدع الفساد يتملك فؤاده . فان قلب الفتى اشبه باناء عميق . فاذا كان اول ماء يسكب فيه فاسداً فان كل مياه البحر لا تكفي لغسله لان هذا الاناء بعيد القرار وشائبة الفساد في قعره »

فلنجتهد اذن ليكون أول ماء نسكبهُ في قلوب أطفالنا نقياً من كل دنس ، مستخلصاً من أجمل زهور الفضائل

إيماءة زائر

الى بعض ما باورشليم من المآثر (تابع)

المسجد الاقصى — نعم قلت اني لا اتعرَّض لوصف تلك الآثار ، غير ان قلبي لا يسمح لي ان اذكر اورشليم واعرض عن ذكر الحرم فانهُ ابدع ما رأيت حتى اليوم وقد عثرت في تاريخ ابن خلدون على ما اظن ان السواد الاعظم من القراء لا يعرفونهُ وهذا نصّ قوله :

« وأما بيت المقدس وهو المسجد الأقصى فكان اول أمره أيام الصابئة موضع الزهرة ، وكانوا يقربون اليهِ الزيت فيما يقربونهُ يصبونهُ على الصخرة التي هناك . ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلةً لصلاتهم . وذلك ان

موسى صلوات الله عليهِ لما خرج ببني اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم اسرائيل وأباه اسحق من قبلهِ وأقاموا بأرض التيه ، أمره الله باتخاذ قبةٍ من خشب السنط عين بالوحي مقدارها وصفتها وهيا كلها وتماثيلها ، وان يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ومنارةً بقناديلها وأن يضع مذبحاً للقربان . وصف ذلك كلهُ في التوراة اكمل وصفٍ ، فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد . وهو التابوت الذي فيهِ الالواح المصنوعة عوضاً عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندهــا . وعهد الله الى موسى بأن يكون هرون صاحب القربان . ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويتقربون في المذبح أمامها ويتعرضون للوحي عندها . ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس وأراد داود عليهِ السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم لهُ ذلك . وعهد بهِ الى ابنهِ سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى عليهِ السلام [١] واتخذه عمده من الصفر وجعل بهِ صرح الزجاج ، وغشى أبوابهُ وحيطانهُ بالذهب ، وصاغ هياكلهُ وتماثيله وأوعيتهُ ومنارتهُ ومفتاحه من الذهب ، وجعل في ظهره قبراً ليضع فيهِ تابوت العهد وهو التابوت الذي فيهِ الالواح وجاء بهِ من صهيون بلد أبيهِ تحمله الاسباط والكهونية (كذا في الاصل) [٢] حتى وضعه في القبر . ووُضعت القبة والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك مما شاء الله ثم خربهُ بختنصر [٣] بعد ثمانمائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا ، وصاغ الهيا كل ونثر الاحجار . ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني اسرائيل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولاية لبني اسرائيل عليهِ من سبي بختنصر وحدَّ لهم في بنائهِ حدوداً دون بناء سليمان بن داود

---

(١) جاء فى الفصل السادس من سفر الملوك الثالث ان سليمان شرع فى بناء الهيكل سنة ٤٨٠ لخروج بنى اسرائيل من مصر (٢) قد جاء فى الفصل الثامن من سفر الملوك الثالث ما نصه « وجاء جميع شيوخ اسرائيل وحمل الكهنة التابوت » راجع اخبار الايام الاول (١٤ : ١٥) (٣) راجع الفصل ٢٥ من سفر الملوك الرابع

عليهما السلام فلم يتجاوزوها [١] . ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خسمان (كذا في الاصل) من كهنتهم ثم لصهرهم هيرودوس [٢] ولبنيه من بعده و بنى هيرودوس بيت المقدس على بناء سليمان عليهِ السلام وتأنق فيهِ حتى اكملهُ في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر ان يُزرع مكانهُ . ثم اخذ الروم بدين المسيح عليهِ السلام ودانوا بتعظيمهِ ، ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرانية تارةً وتركه اخرى. الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امهُ هيلانة وارتحلت الى بيت المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها القساوسة بأنهُ رُمي بخشبتهِ على الارض وأُلقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة و بنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة (كنيسة القيامة) كأنها على قبره بزعمهم . وخربت ما وجدت من عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جزاءً بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيهِ عيسى عليهِ السلام . و بقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة . فأري مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها و بنى عليها مسجداً على طريق البداوة وعظم من شأنهِ ما اذن الله من تعظيمهِ وما سبق من امّ الكتاب في فضله حسبما ثبت

ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليهِ وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق . وكانت العرب تسميهِ بلاط الوليد وألزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمَّ بناؤها على ما اقترحهُ ثمَّ لما ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة في

---

(١) راجع الفصل ٣ و ٤ و ٦ و ٧ من سفر عزرا وهو عزير الذي ذكره ابن خلدون (٢) لان هيرودوس تزوج مريمنا بنت سمعان الحبر

آخرها وكانت في ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم ، زحف الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام و بنوا على الصخرة المقدسة منهُ كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا أثر العبيديين و بدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان بهِ من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام ، وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة و بنى المسجد على النحو الذي هو عليهِ لهذا العهد » . انتهى

هذا واما الذي اردت الإيماء اليهِ من بعض ما بأورشليم وبيت لحم من الصدقات الجاريات والمآثر الباقيات فهو المدرسة الصلاحية في القدس الشريف ومدرسة اليتامى العلمية الصناعية في بيت لحم

اما المدرسة الصلاحية المعروفة بمدرسة القديسة حنة فهي مدرسة كهنوتية كبيرة متقنة البناء مجانية معدة لمائة وخمسين طالباً ، ومدة الطلب فيها عشر سنين ، لكنها مخصصة بمن يترشح لخدمة الله من طائفة الروم الكاثوليكيين دون سواها . وكلما انتهى فوج تستقبل فوجاً آخر . والقائمون فيها على انارة العقول بالتعليم وتهذيب الاخلاق بالترويض رجالٌ ممن برزوا في حلبة الفضل وممن أخذوا السبق في مضامير العلم . الأ وهم اجلاء من الرهبان البيض الذين كأنما بياض ثيابهم ينادي ببياض سرائرهم . وقد تخرّج في هذه المدرسة العظيمة الشأن عدة من الكهنة الذين تعتزّ بهم المنابر وتستنير باقوالهم الجامع والمحافل ويفوح من آثارهم شذا الفضائل فاذا نظرت يا رعاك الله الى ما تجني من العوائد الكبيرة طائفة يقوم على ارشاد أبنائها رجال من اهل العلم والصلاح من امثال

هؤلاء عظم في عينك قدر منشئ هذا المعهد العلمي الحري بان يُدعى (بيت النور والفضل) وجلّت في نفسك همتهُ ولاح لك ضوء حكمتهِ. ولا سيما متى اعتبرت سداد رأيهِ بتوسيده امر التعليم والتربية والادارة في ذلك المعهد الى اولئك الرهبان الذين اقصى همهم ان يوقدوا مصابيح العلم ويبذروا بذور الفضائل ويزيلوا من امام المجتمع الانساني دواعي الشقاء ويكشفوا حنادس الجهل وناديت بأعلى صوتك « يا رحمة الله اسقي قبر (الكردينال لافيجري) الذي دخل سورية محسناً وودعها محسناً »[1]

واما مدرسة البنين بيت لحم فهي بناية بل بنايات هائلة عالية كأنها خطيب فصيح متبوّئ منبر الثناء على همة رجل الفضل الذي اخذت آثاره من النفع بأوفر حظ، وضربت له من مجد العاجلة والآجلة بسهام لا بسهم. فقد زرت هذا المعهد الرحب الذي اسكرت منشئه خمرة الهيام بتعليم الصغير، واستغرقته لذة الغرام بتربية اليتيم، فرأيت فيهِ زهاء المائة من الفتيان يتعلمون عشر صنائع من الصنائع اللازمة للبلاد ورأيت من مصنوعاتهم ما يشهد لهم بالبراعة والحذق في الصناعة وقد عُرفوا بذلك حتى صار المتأنقون من اهل اليسار من الأطراف القريبة والبعيدة يستصنعونهم ما يحتاجون اليهِ

(١) قد جاء هذا الهمام الغيور سورية على اثر حوادث السنة ١٨٦٠ للميلاد بمبلغ طائل من المال الذي جمعته فرنسا اسعافاً للمسيحيين المنكوبين غير ان ذلك الاحسان قد زال . واما احسانه الثاني بانشاء هذه المدرسة العالية فهو باقٍ

وهم يتعلمون مع تلك الصنائع العشر ثلاث لغات الفرنجية والطليانية والعربية ، ويُلقى في اذهانهم من بذور التعاليم والآداب المسيحية ما أجمع الكون على انهُ منبثق انوار المدنية

ثم ان تلك المدرسة مجانية تبذل لذلك العدد العديد من اليتامى كل ما يعوزهم من طعام وكسوة وكتب وادوات صنائع ولا تطلب من تلك النفقة الباهظة عوضاً الاَّ وجه الله الكريم . فأولئك اليتامى وكل من اتصل بهِ خبر هذا الاثر الجليل يقولون : رحم الله (الأب انطون بلوني) الذي أعلى للجميل معالمهُ وحمى مكارمهُ فلقد كانت ايامهُ ايام المبار والمحامد وازمان المكارم والمآثر

ومن حسن نظر هذا الغيور في عواقب الامور انهُ لما طعن في السن ووصل الى عصر يوم الحياة خشي على هذا الميتم الكبير وسائر المدارس التي انشأها في الناصرة وفي بيت جمال وفي كرم الزان ان تغلق أبوابها وتنضب ينابيعها فسلمها الى من لا يألون جهداً في المحافظة عليها بل الى من لا يصرفهم عن انمائها وتوسيعها غرضٌ من الأغراض فهم جماعة من الآباء الساليسيان متجردون لخدمة الله بتعليم الاحداث والسعي لتخفيف شقاء الحياة (بيروت) سعيد الخوري الشرتوني

« السنة الاولى « للزهور » »

في الادارة مجموعة « الزهور » للسنة الأولى مجلدة تجليداً متقناً وثمنها خمسون قرشاً صاغاً . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج

بين هدى وأدما

عود الى « تمدن المرأة العصرية »

قرأت أديبة بيروت كلمتي « بين هدى وأدما » فاغضبتها وهي على ما هي عليهِ من لين العبارة ونعومة المعنى ... وقرأتُ ردها عليَّ فاخذتهُ بحلم وسعة صدر على ما فيهِ من القوارص والمغامز .. فكان غضبها وحلمي دليلين على نقيضين : ضعف النساء ورصانة الرجال

قبل الموضوع لي ملاحظة :

أولاً عتبت الآنسة « أدما ورفيقاتها » على صاحب الزهور لأنهُ وسع لمقالي صدر مجلتهِ فهي اذن تريد ان يباح القول لفريق ويُمنع عن فريق آخر ، ويصدر الحكم لصالح الفريق الأول . فالداعي وان لم يكن من القضاة ولا المحامين يرى ان استئثار خصم بالكلام دون الآخر يجعل البحث والحكم باطلين ، وهي حقيقة بديهية ما كانت لتخفى على الآنسة « أدما ورفيقاتها » لولا ثورة العواطف . ولو انهنَّ رغبنَ بحرية الكلام واباحتهِ للخصوم لاثبتنَ رحابة صدرهنَّ . أما الآن فقد سجلت السيدة «أدما ورفيقاتها المندهشات» على أنفسهنَّ واحدة من تلك المميزات التي تؤكد ضعفهنَّ وتكون حجة للرجال عليهنَّ

ثانياً جاء في ردها « فاذا كانت (المرأة) الآن كما تزعمون فلانكم أنتم أردتموها كذلك يا معشر الرجال »

هنا قررت الآنسة الاديبة ضمناً أحقية دعوانا وسلمت ان المرأة هي

فعلاً كما وصفناها وان حالها تستدعي العلاج العاجل لكنها ترى ان المرأة ما أصبحت هكذا إلاَّ لاننا نحن أردناها هكذا

معنى هذا : ان النساء ما هنَّ إلاَّ « مخلوقات » وجدنَ لارضاء الرجل لا غير

أيرضيكِ هذا الاستنتاج المنطقي يا سيدتي ؟

ثالثاً كتبت أديبة بيروت المتحمسة جداً ثلاث رسائل طالعناها بشغف وأثنينا على همة ونهضة ناسجة بردها إلاَّ ان النقطة الوحيدة في الرسائل الثلاث هي « ان في النساء فاضلات » وأيدت ذلك بالحجج الدامغة ، « وان في الرجال غير فاضلين » وأثبتت ذلك بالبراهين الناصعة

كل هذا صحيح ، وكل هذا مسلّم به ، ولكن ليس هنا الموضوع . مثلاً : أب له عشرة أولاد خمسة ذكور وخمس أناث . في الذكور ولدان شقيان وثلاثةٌ فاضلون . وفي البنات اثنتان فاضلتان وثلاث شقيات . أراد الاب اصلاح ما اعوج في الأناث الثلاث فاجبنهُ : ما لك ولاصلاحنا ألا ترى ان في أولادك الذكور شقيين وان بيننا نحن فاضلتين ، فما دام بين اخوتنا الذكور أشقياء وما زال بين شقيقاتنا فاضلات دعنا في جهلنا

أجواب البنات الثلاث مقنع سديد ام هو برهان فاسد ؟

وجوابك يا سيدتي لا اراه مستنداً على دعائم اوطد . ولما كان في النظريات الصرفة بعض الصعوبة اسمحي لي ان اورد حكايتي مع امرأتي قديماً وحديثاً وهو بحث واقعي لا يحتاج الى فلسفة وقولي لي اذا لم تكن حكايتي هي حكاية سائر الفتيان والفتيات التي تحدث كل يوم : « يا طير

والامثال تضرب للبيب الامثل »

لما كنت عازباً — وقد مضى على ذلك زمن ليس باليسير — كنت احسبني لا اتزوج ابداً لدواع لا محل لذكرها — اهمها اعتقادي بعدم مقدرتي على القيام بكل الواجبات التي تطلبها المرأة — الى ان علقت يوماً بفتاة فتانة . .

ترددت على بيت اهلها وبعد المعاشرة عرفوا اميالي ولم يقصدوا منعي عن فتاتهم فاخبروني بانها كما احب :

عمرها ١٨ سنة ، تتقن فن الطبخ ، وتعرف ان تهيء الف شكل وشكل ، غير مكترثة بالمودة ، ولا تحب النظر الى الاكبر منها وهي فوق ذلك تحب تدبير بيتها بنفسها ولا تتكل على الخادمات في شيء ، فضلاً عن انها تحب اللغة العربية لغة اهلها وهي تكاد تكون متعصبة لها . . .

وكان الهوى قد دب في الصدر وقضى على بقية كانت لا تزال تحبب اليَّ العزوبة فاستسلمنا للاقدار وعقد الزواج

مضى شهر العسل وابتدأت المعيشة البيتية العادية ، فماذا رأيت ؟

علمت في اثناء الحديث ان عمرها ٢٤ سنة لا ١٨ وقالت معتذرة :

لا تزعل . فنحن النساء نخصم دائماً ٣٠ بالمئة على الاقل من عمرنا

فقلت : قيدنا الاولى يا سيدتي وبتنا ننتظر اخواتها . . . .

اتيت يوماً الى البيت فلم اجد الطعام جاهزاً فسألت عن السبب فقالت مولاتي : الخادمة متمارضة وانا لا اعرف من شغل المطبخ شيئاً . في بيت اهلي كان لكل عمله : لي الزينة والنزهات ، وللطاهي الطبخ ،

وللخادمة التنظيف وما اشبه ....

فقلت : قيدنا الثانية يا سيدتي

لم تمض مدةٌ وجاءتنا سيدة من المثريات كثيراً تلبس من الملابس الثمينة ما يدهش وعليها من الحلي ما يقدر بمئات الجنيهات وربما الالوف . فاخذت سيدتي تسألها عن هذا وذاك وهي معجبة مفتونة وأنا اقول : سؤالها من قبيل حب المعرفة بالشيء ولا الجهل به فقد اكد لي أهلها انها لا تنظر الى الا كبر منها . ذهبت الزائرة الكريمة واذا بسيدتي تقول : ما اجمل حلقها سألت لك عن البائع فهو « زيڤى » تعال تنزل ونشترِ مثله ... فدهشت وقلت : ولكن ....

— لا لزوم الى لكن .... أنا اعلم ان المبلغ ليس متوفراً كلهُ معك الآن فندفع قسماً ونعطي وصلاً بالباقي فندفعهُ بعد سنة ....

— أمرك سيدتي . ولكن اسمحي لي أن اقيد الثالثة

— قيد ما تريد بشرط أن نشتري الحلق وانظر كم أنا حريصة : ما طلبت غير الحلق وتجاوزت عن المشبك وعن اسورة الماس وغيرها من الحلي

— اشكر لك تجاوزك وحرصك يا سيدتي : ثم رزقنا طفلاً صغيراً وبعد ان منتني سيدتي ما شاءت بسبب هذا المولود حسبت انها تغير شيئاً من خصالها فتنتبه الى المنزل وتصبح حريصة حباً بولدها فضلاً عن اعتقادي انها ستحرص عليه حرصها على عينيها السوداوين وما كان اشد دهشي حين طلبت حالاً مرضعاً . فقلت ولكن المرضع لا تنتبه الى الولد

فقالت : شيء مضحك . وهل تريد أن انهك جسمي . لا لا . احضر المرضع حالاً . أما يكفيك اني اعطيتك ولداً . آه منكم يا رجال ! ...

فقيدنا الرابعة

جاء دور تسمية المولود . فسألتها عن الاسم الذي تريده قالت : « ويلهلم » فيكون سمي امبراطور المانيا

— قلت : يا سيدتي أنا عربي وابن عربي واحب ان اسمي ابني اسماً عربياً . أيكون اسمي « حسون » واسم ابني « ويلهلم » !

فضحكت مولاتي مني ومن اسمي وقالت ومن قال لك اني لم افتكر بتغيير اسمك . يجب ان تسمي نفسك : « إدجار » فقلت : سمي ابنك كما تريدين واسمحي لي ان ابقي اسمي كما هو : « بعد ها لكبرة جبة حمرا »

هذا قليل من كثير مما جرى لنا وعندي زيادة للمستزيد . . . .

فرأيت ان دوام الحال على هذا المنوال من المحال فاخذت اسعى بتحسين الحالة رويداً رويداً متربصاً الفرص السانحة الملائمة الى ان اصبحت سيدتي اليوم من خيرة العقيلات رأياً وتدبيراً وحرصاً وطبخاً الى آخر ما يلزم من الاعمال البيتية . . . .

وقد قرأت عليها ما تقدم وولدنا امامنا يصغي باندهاش — عمره خمس سنين — فتبسمت وقالت : حقاً ان المرأة تجهل الحال المحزنة التي تكون فيها حتى تتغير فحينئذٍ ترى الفرق الهائل بين ما هي وبين ما يجب ان تكون ... فكم أنا مديونة لك يا عزيزي ....

حسونه

الحيدرية

١ً لمعة عامة في أهل هذا البيت — في الزوراء بيت شريف المحتد ، عريق النسب ، كثير العلماء ، شهير بالفضلاء والادباء ، اسمهُ « بيت الحيدَرِيّة » وأول من نبه منهم الجدّ الأعلى الشريف « أحمد الاعرابي » وكان من بادية الحجاز فتحضَّر في « المدينة » فأصبح من اكابرها المعدودين وممن يشار اليهِ بالبنان . ويتصل نسبهُ بموسى الكاظم

وقد هاجر بعض من سلالتهِ الى العراق والبعض الآخر الى بلاد ما وراء النهر . فالذين احتلوا العراق جاؤوه أيضاً من بلاد وراء النهر وكان أول نزولهم في البصرة فاقاموا فيها معزّزين وما أبطأوا ان غدوا من سادتها العظام ورؤسائها الفخام يأخذون جزية اليهود والنصارى والصائبة الذين كانوا في تلك الحاضرة . ثم أبدلت الجزية بدراهم معينة في عهد السيد عبد الغفور الحيدري مفتي الشافعيــة في بغداد . وكان يتقاضاها من خزينة البصرة . وكان لهؤلاء السادة عـدة قرى في جوار بغداد مثل شهرَبان وهِبهِب وشروين وغيرها . ونحو ثلاثين قرية في نواحي شهرزور وذلك من عهد السلطان سليمان خان (الذي ملك من سنة ١٥٢٠ — ١٥٦٦ م) الى أيام السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) . وأما اليوم فان السادة الحيدرية وان كانوا أغنياء ولهم أراضٍ كثيرة بيد انهم لا يضارعون أجدادهم بوفرة حطام الدنيا

وكان افتاء الحنفية والشافعية في دار السلام منحصراً في السلالة

الحيدرية قبل وقوع طاعون بغداد الجارف (الذي اجتاح المدينة سنة ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م) . ثم انحصر بهم افتاء الشافعية فقط . وجميع اجازات علماء العراق تنتهي الى الحيدرية وتنتمي اليهم . بل وبعض اجازات بلاد الروم أيضاً (أي آسية الصغرى) تنتمي الى أحمد بن حيدر صاحب الحاكمات الشهير

وأما الذين ظعنوا الى ديار ما وراء النهر فانهم أصبحوا هناك أيضاً من امرائها العظام وفضلائها الكرام ، بل نشأ منهم الدولة الصفوية في الديار الفارسية . واتصال هذه الدولة بالحيدرية يرتقي الى الشيخ صدر الدين بن القطب الشيخ صفيّ الدين أبي الفتح اسحاق . وكان الصفوية على مذهب أجدادهم مذهب السنّة والجماعة . ثم تشيعوا وأول من عدل عن سنة آبائه وزاغ عنها اسماعيل شاه الصفوي . وذلك ان واحداً من أصحاب هذا المذهب نفث في صدره انهُ اذا تشيع هو وعساكره يقهر عدوّه السنيّ السلطان سليم خان ويورده حياض الخاسرين الخاسئين . ففعل ، الاّ ان الواقع لم يحقق ما كان في النفس من الأمنية

قال السيد ابراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري ، وهو الذي أخذنا عنهُ معظم أنبائنا وافاداتنا : « ان الشيخ صفي الدين رأى في المنام ان قد خرج من يده اليمنى نور امتد الى عنان السماء . ومن يده اليسرى كلب فلما أفاق قصّ الرؤيا على احد المعبرين . فأوّل النور بانهُ سيكون له ولد يتناسل منهُ العلماء الى انقراض الدنيا . وأما الكلب فانهُ سيولد له ولد يتناسل منهُ أناس رفضة خوارج عن جادة الكتاب والسنة والجماعة . وقد

وقع ذلك لان الحيدرية من لدن صفيّ الدين الى يومنا هـذا ولله الحمد لم تنقطع العلماء منهم . بل ورثوا العلم عن أب وجدٍ . ولا فخر . واسأل الله تعالى ان يمد ذلك الى قيام الساعة كما أوّل ذلك . والملوك الصفوية ارتدوا على أعقابهم وترفضوا وتركوا مذاهب آبائهم أهل السنة والجماعـة . فنعم الجدود . ولـكن بئس ما خلفوا » انتهى كلامه بحرفهِ

هذا كله من جهة النسب الى الاب الأعلى . وأما من جهة الأم فان السلطان حسن الايلخاني المعروف بسلطان حسن الطويل او الشيخ حسن الكبير الذي ملك بغداد وآمد (ديار بكر) وخراسان ونواحيها كان فرعاً من هذه الدوحة العريقة في الشرف وقد توفي الامير المذكور سنة ٧٥٧ هـ (= ١٣٥ م)

٢ً أسعد صدر الدين الحيدري — اذا وعيت ما قرأت ثبت لديك ان هذا البيت بل الأولى هذه الدوحة كثيرة الفروع والأفنان وشيجة العروق متشعبة الأغصان ، والاحاطة بمن نبغ من رجالها من الصعب العسر الحصول عليهِ . الاّ اننا نذكر بعض من اشتهر ذكرهُ في العراق وامتد صيتهُ الى أبعد الآفاق . فمنهم أسعد صدر الدين مفتي الحنفية ببغداد وهو ابن العلامة عبد الله الحيدري البغدادي وكان من الرجال الدُهاة . وكبار الرواة . ذا هيبة ووقارٍ . وجاه كُبارٍ . نال من القبول والكلمة النافذة بين العباد . ما جعله بين أول مستشاري ولاة بغداد . ودرّس العلوم العقلية والنقلية أربعين سنة متوالية وعاش حتى ناهز عمره الثمانين من الأعوام . وأخذ عنهُ العلم عدة علماء أعلام ، منهم : العلامة الكبير والوزير الخطير

والي بغداد الشهير داود باشا فانهُ لازمهُ قبل الوزارة سبع عشرة سنة وقرأ عليه المعقول والمنقول حتى فاق أقرانهُ . ومما يؤسف له اننا لم نستطع ان نتوفق الى العثور على تاريخ ولادتهِ ولا على سنة وفاتهِ

وأما تآليفهُ فمنها : ١ً حاشية على تحفة المحتاج للشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي المكي . حاكم فيها بين المحشين على التحفة . جمع فيها وحقق وأوعى . ٢ً حاشية على المحقق عبد الحكيم الهندي على الخيالي ٣ً حواشيهِ على حاشية العلامة اللقاني المصري على شرح الغزّيّ للتفتازاني في علم الاشتقاق ٤ً حواشيهِ على حاشية القرباغي في المنطق ٥ً حواشيهِ على حاشية العلامة الطحطاوي على الدرّ المختار ٦ً شرحه على اللغز البهائي المشتمل على علوم شتى . وغير ذلك من التعاليق والحواشي المفيدة المختلفة ولكن لم نقف له على شعر منظوم ولا على كتب تاريخية ولا على مصنفات رياضية او ما ضاهى هذه الابحاث العقلية او الادبية او اللغوية

٣ً صبغة الله الحيدري — وُلد صبغة الله بن ابرهيم الحيدري في قرية ماوران ورحل الى بغداد في صباهُ فاستوطنها وهو شيخ مشايخ علماء بغداد في عصرهِ وقد أخذ عنهُ العلم جميع معاصريهِ في الموصل وبغداد وما بينهما . وكانت وفاتهُ في بغداد في طاعون سنة ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م

وممن نبغ من اولادهِ الملاَّ عيسى فانهُ كان فاضلاً اديباً تلقى العلوم عن ابيهِ صبغة الله فبرع فيها ولما سافر الى بغداد امين العمري قرأ عليهِ واستفاد منهُ كثيراً . وتوفي قبل ابيهِ ونبغ أيضاً ابنهُ الآخر حيدر مفتي

بغداد وعالمها اخذ العلم عن ابيهِ ففاق اقرانهُ وذويهِ ، اقام بالإفتاء مدة طويلة في حياة والده الى ان توفي بطاعون بغداد سنة ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م

وممن اخذ عنهُ المعقول والمنقول : امين العمري . ومن قبله شيخهُ السيد موسى الحدادي الموصلي والعلامة المُلاّ جرجس الاربلي والملاّ حمد الجميلي وخير الله العمري . وغيرهم

ومن تآليفهِ : ١ً حاشيتهُ على البيضاوي ٢ً حواشيهِ على حواشي المدقق عصام الدين على شرح الكافية للجامي ٣ً حواشيهِ على الحاشية المسماة بالمحاكمات على العقائد الدوانية لجده العلامة احمد بن حيدر ٤ً حواشيهِ على الكتب الحكمية الصعبة المأخذ

٤ ابرهيم بن حيدر — هو والد صبغة الله المتقدم ذكره . ولم نقف على سنة ولادتهِ ولا على عام وفاتهِ . وله تآليف جمة . منها : ١ً حاشية على تحفة المحتاج لابن حجر المكي ٢ً شرح الزوراء للدواني ٣ً الالهامات الربانية وهو سفر جليل يتناول كل بحث وفن . ويسميهِ بعضهم « المُلْهَمات » واسمهُ يدل على فحواه لانهُ يحوي خواطر في مختلف العلوم . ٤ً شرح بانت سعاد ٥ً تفسير القرآن في مجلدين ٦ً شرح تشريح الأفلاك في الهيئة ٧ً الحاشية الدقيقة على حاشيةٍ لحاشية قول احمد علي الفناري في المنطق ٨ً الحاشية على حاشية الوغ بيك على شرح المسعودي في آداب البحث ٩ً حاشية على حاشية المحقق ميرزا خان على حاشية السيد السند على شرح المطالع في المنطق ١٠ً حاشية على الجوامع في اصول الفقه ١١ً حاشية على شرح عصام الدين على رسالة البيان ١٢ حاشية

على الكواكب الدرية في القواعد الجفرية . وغير ذلك من الحواشي بل الغواشي التي ليس تحت ايرادها بل ومطالعتها فائدة جزيلة اذ هي على الحقيقة عقبات تصدّ المطالع عن الوقوف على الحقيقة مثل كتابهِ : «حاشية على حاشية عبد الحكيم الهندي على شرح الشمسية في المنطق »

٥ً الشيخ حيدر بن أحمد — هو والد ابرهيم المارّ ذكره . ولا نعرف أيضاً يوم ميلاده ولا يوم رحيله . وكان ايضاً من أساطين العلم المعدودين في وقتهِ : قال عصام الدين عثمان العمري الموصلي في كتابه « الروض النضر في ترجمة ادباء العصر » (وهو كتاب خطي موجود في دير مبعثنا العراقي) ما نصهُ : « نشر ألوية التدريس في قرية ماوان . فقصدته رجال التحصيل من كل مكان . والتفت الى الافادة عرضاً . فأزحمت الفضائل بعضها بعضاً . فقصدوه من سائر البلدان . ومن خراسان وطخارستان . والعجم وداغستان . وصنف وافاد . وملأ بتأليفاتهِ الاقطار والبلاد . لحاز المعالي . واستخدام الاحرار والموالي . وتفرّد في فنونه . حتى نزل من جسد الفضل منزلة عيونه وقبره تحت قلعة إربل يزار . اذا كان عليهِ الحول في المكارم والمدار » اه

وله من التآليف : ١ً حاشية على شرح مختصر المنتهى في اصول الفقة ٢ حاشية على شرح التجريد في علم الكلام ٣ً حاشية على شرح حكمة العين في الحكمة ٤ً حاشية على حاشية اللاّري على شرح القاضي الرومي على الهداية في الحكمة ٥ً حاشية على شرح العقائد العضدية للدواني ٦ حاشية على حاشية الخيالي على شرح العقائد

النسفية للتفتازاني ٧ً حاشية على اشكال التأسيس في الهندسة ٨ً حاشية على شرح عصام الدين على الرسالة العضدية ٩ً حاشية على اثبات الواجب . وغيرها من هذا الطرز الذي يضيع فيهِ الزمان اذا اوردنا اسماءها . وكأن تأليف الحواشي على الحواشي على الشروح على الشروح على الشروح من مزايا هذا البيت

٦َ أحمد بن حيدر – هو والد الشيخ حيدر المذكور وسنو ولادته ووفاته مجهولة ايضاً لم نقف عليها مع ما بأيدينا من كتب الحيدرية الخطية. ومن تآليفهِ : ١ً حاشية على شرح العقائد الدوانيـة المشهورة باسم « المحاكمات » لانهُ حاكم فيهـا بين جميع الحواشي الواقعـة على الشرح المذكور . وصارت جادَّة تقرأ عنـد التكميل في الديار العراقية وغير ذلك من البلاد العربية بل وفي البلاد الهندية ايضاً من متعلمي اللغة الضادية . ٢ً كتاب رد الرافضة ٣ً كتاب اثبات غسل الرجلين في الوضوء وابطال المسح ٤ً رسالة كبيرة في تفسير هذه الآية : « الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاةٍ » . ٥ً حاشية على الشفاء في علم الحكمة لابن سينا . وقد استشهد المؤلف في تأليفهِ هذا بالفاضل العلامة عبد الحكيم السيالكوتي الهندي وكانا قـد تعارفا في احدى السفن البحرية في اثناء السفر واهدى أحمد الحيدري نسخةً من كتاب المحاكمات الى صديقه السيالكوتي وهذا اهدى اليهِ كتاب المطوّل بخط مؤلفه العلامـة التفتازاني مع حاشيته عليه بخطه . والحاشية على المطول الذي اهداهـا السيالكوتي الى الحيدري هي اول نسخة وصلت الى الديار العراقية

٧ً حيدر بن محمد الصفوي — هو والد أحمد السابق ذكره . وكان أيضاً من العلماء العاملين وله حاشية عظيمة على تحفة ابن حجر وكان مفتي الشافعية في خطة العراق ترجع اليـهِ فحول العلماء في الفتوى وكان يدعى في العراق بابن حجر الثاني وكان معاصراً له

٨ً محمد بن حيدر پير الحيدري — هو والد أحمد المشار اليـهِ . وله حاشية على اثبات الواجب . وهو أول الواردين من ديار ما وراء النهر الى العراق وقد نشر فيهِ العلوم العقلية والنقلية وتلقتهُ العلماء بالتعظيم وأخذوا عنهُ الحقائق العلمية وكان يتكلم باللغة التركية الجغطائية . وولد ابنهُ حيدر المذكور آنفاً في العراق من امرأة تزوجها من الطائفة الباشورية من أولاد عبـد الله بن عمر بن الخطاب وهم أيضاً بيت علم وفضل وجاهٍ اقدم أهل العلم وغيرهم في العراق لأن جدهم أتى العراق من زمن ابيهم الاكبر عبدالله ابن عمر بن الخطاب

٩ً حيدر پير الدين ١٠ً الشيخ امين الدين وأخذه العلم عن آبائهِ بالتسلسل ونسبهُ الأعلى

ونختم مقالتنا هذه بكلام السيد ابرهيم فصيح الحيدري تتمة لما أتينا بذكره قال : « ووالد محمد العلامة المشار اليـهِ هو الشيخ العلامة المرشد الـكامل حيدر پير الدين بن أمين الدين له خوارق عظيمة وقد جمع بين علم الظاهر والباطن

ووالد هـذا العلامة المرشد المشار اليه الـكامل الشيخ أمين الدين له كرامات وخوارق عجيبة جمع علم الظاهر والباطن . وكل واحد من هؤلاء

الرجال العظام أخذ العلم عن أبيه وكمل عليه الآ أحمد بن حيدر صاحب « المحاكمات » فانهُ أخذ عن أبيهِ العلوم النقلية و بعض العقلية وأخذ عن غيره بعض العقلية وسمع الحديث عن عبد الملك العصاميّ عن الشيخ ابن حجر المكيّ كما هو مذكور في ثبتهِ

وأخذ جدُّنا محمد العلم والطريقة عن أبيهِ پير الدين عن أبيهِ العلامة ابرهيم برهان الدين عن ابيهِ المرشد الكامل الشيخ صدر الدين عن ابيه سلطان المشائخ الشيخ صفيّ الدين أبي الفتح اسحاق عن القُطب الشيخ احمد اخي حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

وأخذ جدنا صفي الدين أيضاً عن ابيهِ الشيخ أمين الدين عن والدهِ العلامة المرشد الشيخ قطب الدين عن والده العلامة الحافظ المرشد الشيخ صلاح الدين رشيد عن والده محمد الحافظ عن والده المرشد الحافظ الكامل عوض عن والده العلامة الوليّ الكبير فيروز شاه عن ابيهِ الولي الكبير محمد شاه عن ابيهِ الولي المرشد الكامل شرف شاه عن ابيهِ الشيخ محمد عن ابيهِ الولي الجليل الشيخ ابرهيم الملقب بالأدهم عن ابيهِ الشيخ جعفر عن ابيهِ الشيخ محمد عن ابيهِ الشيخ اسمعيل عن ابيهِ المحدّث الحافظ أحمد الاعرابي عن ابيهِ المحدّث الحافظ الشيخ محمد عن ابيهِ الامام أبي محمد القاسم عن ابيهِ الامام أبي القاسم حمزة عن ابيهِ الامام الهمام موسى الكاظم عن ابيهِ الامام جعفر الصادق عن ابيهِ الامام محمد الباقر عن ابيهِ الامام زين العابدين عن ابيهِ الامام الشهيد السيد شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة أبي عبد الله الحسين عن ابيهِ الامام والبطل الضرغام

أسد الله الغالب علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين عن سيد المرسلين وأفضل العالمين ابن عمهِ محمد المصطفى صلعم فلله الحمد على هذا النسب العالي ولا ترى نسباً كنسب الحيدرية في أخذ كلٍّ عن ابيهِ وهو من عجيب الاتفاق وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء

(بغداد)　　　سائسنا

الجرائد والمجلات في مصر

يؤخذ من التقرير الاخير الذي أصدرتهُ مصلحة البوستة المصرية ان عدد الجرائد في مصر قد هبط في سنة ١٩١٠ المنصرمة من ١٤٤ جريدة ومجلة الى ١٢٤

وكان أكثر النقصان في الصحف العربية فان ١٦ جريدة منها احتجبت ولم يحتجب من الصحف الافرنجية سوى جريدتين

وفي مصر ٢٩ جريدة عربية سياسية، و٤١ جريدة افرنكية سياسية و ٤ جرائد شرقية غير عربية ، و١٧ مجلة علمية وادبية وصناعية عربية و ٩ افرنجية ، وجريدة هزلية عربية ، و٣ مجلات قضائية عربية ، ومجلة واحدة افرنجية ، وثلاث مجلات طبية عربية ، ومجلتان افرنجيتان ، و ٩ مجلات عربية دينية ، ومجلتان افرنجيتان ، ومجلتان عربيتان نسائيتان ومجلة افرنجية ومن هـذه الجرائد ٨٠ تصدر في مصر و٣٧ في الاسكندرية و ٣ في بور سعيد و٣ في طنطا وواحدة في أسيوط

في جنائن الغرب

نشرنا حتى الآن تحت هذا العنوان بعض مختارات من كتابات مشاهير ادباء الغرب، وقد احببنا اليوم أن نأخذ صفحةً عن اللغة التركية وهي مرصعة بالمعاني النفيسة:

الابتسامة

الابتسامة هي علامة الابتهاج ، وبشيرة الارواح الحساسة

الابتسامة عدوة لجيوش الهموم تهاجمها فتمزق شملها شذر مذر

الابتسامة مرآة الباطن ، الابتسامة لسان القلب

كل شيء في الكون ابتسامة

الابتسامة ، واسطة فعالة تجعل العدو صديقاً

الابتسامة ، دواء القلوب المنكسرة

الابتسامة ، سبب لتعارف القلوب

الابتسامة ، أمضى سلاح للنساء

رب ابتسامة ينكسر بها القلب ، وابتسامة يجبر بها ، وابتسامة تلتئم بها القلوب المنكسرة

الابتسامة موهبة إلهية يتفجر منها ينبوع السعادة لكافة البشر

في لمعان البروق ، ورعد الصواعق وخرير المياه ، وتغريد الطيور ، ابتسامة . النور ، والضوء ، واللون ، والجمال ، والروض ، والربيع ، والورد وروض الورد — كلها ابتسامة

جميع الكائنات تبتسم ، السحر بنسيمهِ ، والصباح بفجره ، والشمس

بطلوعها والمساء بشفقهِ ، والليل بضوء قمره ، ولمعان نجومهِ ، والشبوبية بنضارتها ، والشيبة ببياضها ، والسماء بامطارها ، والارض بمراعيها ، والكلام بمعناه ، والنظر بغمزه ، والغناء بوزنه ، والموسيقى بتوافق ألحانها

تبتسم المسرة لانخداعنا بها ، والمشقة لانتقامها منا

يبتسم المرء باختلاف الأحوال الطارئة عليه في زمن التحقير ، ووقت التبشير وحيثما يقع بمصيبة ، وعند ما يسر ، وفي الحزن واليأس والأمل والمحنة والظفر

ضحك الأطفال كنغمات البلابل ، وضحك النساء كرائحة الرياض العطرة ، وضحك الرجال كاصوات الصواعق اذ في ضحك الاطفال عصمة ، وفي ضحك النساء شفقة ، وفي ضحك الرجال عزم وثبات

الابتسامة ، هي التي تستقبل الآتين الى عالم الوجود وهي التي تودع الراحلين الى عالم البقاء

فالعالم هو الذي يجعل حياته ابتساماً وضحكاً ويبتعد عن اراقة دمعه في زمانه الضحوك المبتسم

فيسكن في البيت الضحوك ، ويشارك في حياته من تضحك وتبتسم ، ويتخذ أحباء يضحكون ، ويمضي سحابة حياته في الضحك والابتسام

العرفان

الطالب البائس

ذكرنا كلة في العدد الماضي عن المرحوم محمد امام العبد الشاعر البائس الذي كان يقول ان سواد جلده حداد على حظهِ . وقد احببنا ان ننقل الى قرائنا شيئاً

من نثره ، وهو كلامٌ له في البؤس والبائسين ، قال :

خرجت ذات ليلة من داري وانا بين الهم والغم ، وفي صدري من الاشجان ما في قلبي من الاحزان ، فضربتُ في الطريق من غير صديق . اللهم الا نفس يتردد ، وحزن يتجدد ، فما زلت كذلك حتى اكتنفني التعب ، وغلب عليَّ النصب . وكنت على مدى النظر من « الجزيرة » فرأيت ان اكون فوق الجهد ، لأدني مسافة البعد ، فصدقت عزيمتي بعد جهاد ، وبلغت اربتي او كدت اكاد ، وما هي الا خطرة مرت مرَّ النسيم ، تحت سجن الليل البهيم ، حتى بصرت بظل يسرع في مشيته ، وكأني بهِ يقاضي الاقدار في محنته ، ولما أمسى مني حيث أمسيت منهُ ، تسرّب الى نفسي ان اقف منهُ على نفسهِ لان البائس يميل الى البائس ، واليائس يحن الى اليائس . والوجوه صحيفة لما تخفيهِ السرائر او تضن بهِ الضمائر . فالقيت عليهِ تحيتي فاردفها باحسن منها ، ثم جعلت له الى الحديث سبيلاً فتمشى الحزن في صدره حتى كدت أحس بهِ في صدري ، واسبل من جفونهِ دموعاً في كل دمعة لؤلؤة بيضاء ترى على خده ياقوتة حمراء كأنها بنت الشفق ، في ذلك الغسق

فقلت له : ما شأنك يا بني ؟ وما أمر الجائحة التي نزلت بك ؟

فقال لي بصوت لا يسمعهُ الأَّ من اراد ان يتسمع : انني ولدت في يومٍ أخذ صباحه بمسائه ، وذهب ظلامه بضيائه . فتوفي والدي قبل عقد التمائم ، فاسلمتني الاقدار الى أم حنون لا تملك من المال غير ما يغني عن السؤال ، وكانت تلك الام الكيّسة تعمل صباحَ مساء في بيت

وحدتها او في دار هجرتها ، وكنت أنا في ذلك العهد من طلاب العلم في المدرسة

فما قنعت الاقدار بفعلتها الاولى ، بل نزلت علينا في ليلة اختلفت اجرامها وتنكرت نجومها ، وكثرت همومها . ولم تزل بنا حتى اصابت والدتي بعلة طوتها في لحدها ، واسقمتني من بعدها . فلم أجد من يقوم بتربيتي من بني الانسان في هذا الزمان بعد ما أبعدتني المدرسة عن مناهل العلم وتركتني ألتمس نصيراً من الوهم

وأنا الآن لا املك غير نفس أبى اليأس ان يبتعد عنها قيد شبر ، وفؤاد اصبح غرضاً لسهام الدهر . فامتعضت قليلاً وقلت في نفسي أما آن للاغنياء ان تساعد زمرة الفقراء ؟ ربِ ان ناظر المعارف أولى الناس باجابة هـذا النداء . فان لم يكن كذلك فقد ضاقت المسالك ، والامر لله ولا حول ولا قوة الاّ بالله　　　　محمد امام العبد

رثاء إمام

وقد أرسل الينا الادباء مراثيهم يندبون فيها زميلهم وصديقهم العبد ، فلم نتمكن من نشرها سيما وقد عزم حضرة عز الدين افندي صالح على جمع مختارات إمام مع اقوال الادباء فيه . فلترسل اليهِ في الاسكندرية (بوستة ثابتة) . غير اننا ننشر الأبيات الآتية التي جاءتنا من عزتلو ابراهيم بك العرب ، وفيها خير وصفٍ لحالة الادباء :

يا إمامَ القريض بالشعر تُرثى　　　وقليلٌ على الامام الرثاء

ما وفى بالوفاء فيك خليلاً　　　أين مني ومن خليل وفاء

ليتني عند ما أجبتَ نداء الـلـه أخبرتُ حين جاء النداء
كنتُ أوفى عهداً وأرعى إخاءً ان مثلي لديه يُرعى الاخاء
شغلتني عنك الشؤونُ ببعدٍ علمَ الله ليسَ فيهِ جفاء
تعبٌ كلها الحياةُ لعمري وعناءٌ لا ينتهي وشقاء
عشتَ في الدهر تشتكي ألم البؤ س وحظُّ الأديب ذاك البلاء
هكذا هكذا الافاضل تشقى في حياةٍ وتسعد الجهلاء
ان حظَّ الأديب أضيقُ حظٍّ حَسْبَ الفضل قسطه والذكاء
فاذا عاش فالهجاء نصيبٌ واذا مات فالرثاء الثناء
كلُّ من مات ظامئاً لم يفدهُ انهُ بعـدَه يفيض الماء
أو يجدي المدفونَ عمرانُ قبرٍ فيـهِ جسمٌ عليهِ يجري الفناء
ليس للمرء في الحياة سوى يو م سرورٍ يطيب فيـهِ الهناء
إنّ هذي الحياةَ من عاشَ فيها الفَ عام أو ساعةً فسواء
فحياةُ الأديب داءٌ عضال ومماتُ الأديب نعم الدواء

العرب

أنا قاتل عصفوري

في فجر يوم من أيام الربيع ، بكرت الى رواق من منزلي في وسط سهل بقيع ، يشرف على حديقة غناء ، ومروج ملوّنة بين خضراء وحمراء وصفراء

جلست الى تلك المناظر البديعة ، الجامعة بين اعتدال الطقس

وسكون الطبيعة ، أروّح النفس في فضاء أرجائها ، واملأ العين من بديع بهائها ، ولم تكن الغزالة بعد أرسلت أشعتها أو بان سماطها ، وقد أخذت الطيور تغادر أعشاشها وأوكارها ، وترسل في الفضاء الهادىء شجيّ أصواتها ، ما بين هديلٍ وسقسقة ، وسجعٍ وقطقطة ، فكان من مجموع تلك الاصوات الرخيمة العذبة ، ذات الالحان الشجية ، جوقة موسيقية ، ألفتها القدرة الالهيـة ، لعبادته سبحانهُ وتوحيده ، ولقنتهـا الكائنات شكرها له على سوابغ نعمه وللاستزادة من رحمتهِ وجوده

وانا في ذلك الاستطراد من حال الى حال ، ما بين مشاهدة الطبيعة وركوب الخيال ، حطّ بي الطوف عند كناريين ، متماثلين في حسن الحلية وجمال المنظر متحاكيين ، يتداعبان فوق غصنٍ وهو يميل تحتهما أو يختلج ويضطرب ، كما شاءا وشاء لهما الحب واللعب ، ثم يعود فيتثنى أو يستقيم ، كأنهُ راحة بسطتها الطبيعة اليهما للتسليم ، أو ذراع تهدهدهما بهِ تهدهد الأم لابنها الفطيم على سماع نوس هبّات النسيم

أقرَّ هذا المشهد ناظري ، وبدا لي التأمل فاخذت أتأملهما والسرور آخذ بعطفي ، ذلك والعصفوران في مداعبة وطَفر ، وكرّ ومفرّ ، هذا يجثم ، وذاك ينقز أو يدوّم ، هذا يرفرف حول ذاك أو يزفّ ، وذاك يدفّ هرباً من هذا أو يسفّ ، ثم يهفّان الى الارض يمرحان ويتلبدان ، ويعودان الى الغصن يجتمعان

شاهدت ذلك مبهور النظر طروب السمع ، فهبت بي عاطفة الاستئثار والميل الى الجشع ، فمددت لذينيك المتحابين السعيدين شركاً

اصطادهما بهِ ، حتى كان صباح الغد وافيت الشرك فرأيت أحدهما فيهِ

مضى الربيع وتلاه الصيف وأعقبهِ الشتاء ، والعصفور ملكي أفعل به ما أشاء ، وقد حبستهُ في قفصٍ ذي صنع بديع محكم البنيان ، وشكل جميل بهيّ الالوان ، وكنت أتعهده بكل صنف تمكنت من جلبهِ من صنوف مطعم البغثان ، ولكن العصفور كان قليل الاكل مقهم الشهوة ، نادر الاستحساء نزر النغبة ، وكان كلما ازددت بهِ اعتناءً واهتماماً ، ازداد مني نفوراً واعتصاماً ، أو جئت أستميله تململ وتلوّى ، كأنهُ يشكو جراحاً بالحشى او انهُ كره مقامه واجتوى

انقضى فصل الشتاء وانا أعالج نفرته ووحشته ، واراود سآمته وكآبته ، وأخذت لذلك بجميع أسباب رفاهية الطيور وراحتها ، واحتلت بصنوف الحيل التي تؤدي الى استمالتها ، فلم يكن ما يستمال به ويرضيهِ ، او يخفف من زهده في حياته ويسليه على يأسه من تحقيق أمانيه

جاء الربيع واخذت الكائنات المرئية تحلى بحلاها البهية ، والطبيعة تعرض مصنوعاتها السنية ، فمن زهرٍ تبسّم عن ثغره ، وشجرٍ جاد بثمره ، ونسيمٍ سرى بنسماتهِ ، وجدولٍ جرى هادئ في منعرجاته ، وبرزت الطيور من مكامنها ، وعادت تصدح على افنانها ، ولكنّ طيري لم يشترك مع بني جنسهِ في افراحهم ومسراتهم ، كأنهُ لم يكن منهم وهو بعيد عنهم وعن مختلفاتهم ، حتى كان صباح يوم وانا في شغلٍ شاغل ، طرق اذني صدحٌ شجيٌ متواشل ، فاسرعت مستبشراً فرحاً الى وجهة مصدره ، استعلم عن مرسله واتحقق صدق خبره ، فألفيت كناريّ

مضطرباً هائجاً في قفصهِ يروح ويجيء لا يستقرّ ، وقد عاينتهُ في مجيئهِ ورواحهِ ملازماً جانباً واحداً من قفصهِ ، وناظراً صوباً واحداً لا يحيد عنهُ حدقة بصره ، فاتجهت وجهته انظر فرأيت على زجاج النافذة المطبق ، كنارياً آخر قد انشب مخالبهُ في الافريز منهُ وتعلّق ، وناءى بجؤجؤه فارشاً جناحيهِ على الزجاج ، وقد فتح منقاره يلهث تعباً مع اضطراب في الجسم واختلاج ، وهو يحدُج اليَّ حيناً ويحدّق الى العصفور السجين حيناً ، ويتبادل معـهُ صدحات متقاطعة متداركة متواصلة مملوءة حناناً وحنيناً . كأنها أُحاح مكروب مكدود ، او همهمة مصدور مفؤود ، طال عليها العهد ، ولم يقوَ على حبسها عن النفث بها منهُ جهد ، فارسلها رنيناً ثم ادركها نادماً واراد اخفاءها او ملاشاتها بين جوانحهِ فتراجعت مترددة في فيه مسمعةً لها في قفص الضلوع منهُ هنيناً

نظرت وسمعت فحرت في امري ، وبقيت لا اعي فعلاً آتيهِ ولا ادري ، وفي هذا الحين وقف العصفور المحبوس بغتةً وارسل صوتاً ليس بالصدح المألوف ، ولا بالتغريد المعروف ، واذا هو كرير صدرٍ مثقل بالغموم ، وتأوّه فؤاد مكلوم ، زفر بهِ صاحبهُ زفيراً ، مدَّ بهِ النفس حيناً فكان شجياً مثيراً ، ثم رمى بهِ فاذا هو بقية روح كان الامل قد حبسها عند حد التراقي ، ودفع بها اليأس فغادرت صاحبها قتيل الاستبداد والاسترقاق ملكتُ جسمه وحياته ولم املك فؤاده وعواطفه وهو الحرّ الكريم فكنت قاتله

أيها المستبدون اتقوا الله في خلائقهِ وعباده فيليب مخلوف

في رياض الشعر

﴿ الاخوان الشاعران ﴾



تامر بك ملاط

في سوريا اليوم أخوان شاعران ، بل بلبلان مطربان ، تكفي الاشارة اليهما ، لمعرفة اسميهما ، وهما تامر بك وشبلي بك ملاّط ، ينشدان من علي قمم لبنان قصائدهما المرقصة ، فيرنّ صداها في كل بلاد العرب . اصاب كبيرهما مرضٌ في عقله اثر حوادث سياسية لا مجال لذكرها الآن . فبات يهيم على وجهه ، لا سلوى له الاَّ الشعر ينشده ابّان افاقته من ذهوله . وصغيرهما شبلي بك يتولى الآن باشكتابة القلم العربي في جبل لبنان بعد ان خاض ميدان الصحافة وانشأ جريدة

« الوطن » البيروتية فكان له فيها جولات صادقة كما ان له في الشعر وسائر فنون الادب المنزلة السامية وقد سبق لنا نشر منظومة من شعره (ص ٥١٠ من السنة الاولى) عند وجوده في مصر . وقد احببنا الآن ان ننشر رسم الاخوين مع شيءٍ من شعرهما :

الشاعر المريض

قال تامر بك يصف حالته في مرضه وهو كما وصف :

دعاني أجرع الغمَّا جفني بالاسى نمّا
وخلَّاني أُصيحابي وسهمُ الغدر قد اصمى
فلم أُبصر اخاً يُرجى ولا خالاً ولا عمّاً
وراح الحظُّ عن شكوا يَ في أذن له صمّاً
وجدَّ الدهر في قهري يحثُّ الهمةَ الشما
رأيتُ الناسَ تخشاني كأني وابئُ الحُمّى
فلا ادري أحياً بـ ـتُّ أم ميتاً قضى ظلما
أرى بيني وبين البؤ سِ وداً طافحاً يمّا
أماً من مفسدٍ واشٍ سعى بالوشي مهتما
نخلّى ودّنا شملاً شتيتاً لن يرى لمّاً
يميناً حار عقلي في حياةٍ تشبه الحلما
ارى فيها من الاضدا د ما يستوقف الفهما
اعاجيبٌ قضت مني شؤوناً بالاذى جمّاً
في كالضرب آلاماً وما من ضاربٍ همّاً

وكالتجريح اوجاعاً وما من جارحٍ أمّا
وكالنيران تشوي الرو حَ ثمَّ اللحمَ والعظما
ولا نارٌ ولا جمرٌ ولا ما يُشعلُ الفحما
وكالادواء اعراضاً تُذيبُ الصخرةَ الصمّا
وما من علة تُشكى لطبٍ يبريءُ السقما
وكالاغلال في جسمي ولم احملْ به دهما
وعقلٌ ذاهلٌ ساهٍ سجينٌ موثقٌ رمّا
كاني غير موجود وموجود قد اهتما
اراني قد ارى ريناً بانفِ الحقّ قد شما
اشكُ اليومَ بي حتى وجودي خلته وهما
فقبلي لم يكن سجنٌ يعمُّ الروحَ والجسما
حبيسُ الروح عن حسٍ وفكرٍ سرّ او غمّا
وعن حفظٍ وعن ذكر وعن حكمٍ ولو مهما . . .
حبيس الفعل ثم النط ق لا حتى ولا اما
ولا سمعٌ ولا شوق ولا لمس ولا شما
قوى محبوسةٌ جمعا ء مما خص او عما
فعالٌ وانفعالاتٌ ولا حريةٌ ثمّا
وحسّاس جمادٌ في زمانٍ واحدٍ حكما
مقودٌ غير مختار كأني آلةٌ صما
اذا ما حشرةٌ ازّت عرتني هزّةٌ رغما

وان صرّ الذباب الغثُّ صرّت أضلعي مما . . .

ويأتيني البكا عفواً ويعصيني البكا لما . . .

ولا أسطيع جذب النفسِ عن ضحكٍ بي ائتما

ولا أقوى على ضحكٍ اذا أميتهُ اماًّ

وحال كالغنى شكلاً بفقرٍ مدقعٍ نمّا

رياشٌ جمةٌ شتى ومالي مسّها جزما

طعامٌ شائقٌ حلوٌ ولكن مرَّ لي طعما

ونوم دون تهويم تراه أعيني حتما

شؤون لو رواها الحرُّ نالت سمع من صمّاً

وقالوا جِنَّةٌ عاثتْ بعقلي فالتوى رقما

وقالوا انما القسيد سٌ فيهِ نافعٌ حسما

خرافاتٌ وأوهام تعيب العقلَ والعلما

وقالوا إنهُ داءٌ لأعصابي قد انضما

ومنهم من رأى شيئاً ولا اكني ولا سمى

فهذا النزرُ مما بي على ما اسطعتهُ نظما

ولا أرتادُ للايام تمداحاً ولا ذماًّ

فذا حظي من الدنيا فدعني لا تزدْ غماًّ

تامر ملاط



شبلي بك ملاط

الوردة الذابلة

بسمَ الحبُّ للربيع مُحيّا   فهفا القلب للهوى وتهيا
نشقةٌ من عبير أثوابِ مَيّا   تترك الشيخَ في الغرام صبيا
وتردُّ الفتى المكفّنَ حيا

يا دمَ القلب فوق زهر الخدودِ   كم معنىً فدىً لها وعميدِ
وقتيلٍ كما قتلتُ شهيد   وشقي يشقى — وكم من بليدِ
يدّعيها وبالهوى يتزيا

ما الهوى ان يكون كالزيزفونِ (خيره ما يكون كالزيتونِ)
مثمراً والثمارُ فوق الغصونِ كملاح الولدان ملء العيونِ
يتناغون بكرةً وعشيا

حول امٍ تذري دموعَ الحنان كلآلٍ منثورةٍ او جمان
وابٍ بين تلكم الغزلانِ خافق القلب حالم بالاماني
حبذا الحلم بالمنى ذهبيا

تمشي باهابها الاجيالُ فعيالٌ في اثرهنَّ عيالُ
كلُّ ما في الوجود طيفٌ خيال يترآى كما ترآءى الآلُ
ثم يمضي وما يغادر فيَّا

في بلاد الشآم بيتٌ عالِ أفسد الحسنُ فيه بعضَ الخصال
واذا شئتَ قل جبين الجمالِ فيه قد مس حمأة الاوحال
وهوى للحضيض شيأً فشيا

لم تصن بالعفاف عزَّ الجبين ربةُ البيت عن هوىً وفتونِ
فانتحى زوجها مكان الظنونِ وهي لجت تمادياً في الهونِ
فاضاعا نهج الحياة السويا

لست ادري ما للضلال دعاها ربما زوجها به اشقاها
هيَ تاهت لما رأته تاها وتباهت لما رأته تباهى
بحياةٍ ماتا بها ادبيا

ولو ان الحسناء كانت فقيره ربما قال بعضهم (معذوره)

غير ان الحسناءَ كانت كبيره بغناها وبالخصال صغيره
تستبيحُ الهوان بغياً وغيا

لم تقف قلبها على حب واحدْ شأن من صادها على الرغم صائدْ
بل كما قيل اطمعت كلَّ وارد واستوى عندها الخلي والواجد
ونضت برقعَ الحيا علنيا

فتحامت مكانها السيداتُ وتجافت عنها الظبا الخفراتُ
والاديبات في النسا الراقياتُ طرحتها كذاك تلقى النواةُ
وطوتها يدُ المعرة طيا

يا ابنة التيه صحوةً وافيقي ودعي الكرع في فساد الرحيقِ
حان ان تنهجي سواء الطريقِ ان ذنباً جنيته بالعقيق
قد سرى سمه الى سوريا

وبكت منه بنتكِ العذراء يوم قالوا كأمها (اسماء)
دُمية كالصباح لا اهواء ساورتها ولم يمسّ الهواء
من لظى خدها الدم الورديّا

وردةٌ في منابت الشوك صلى من هيام لها البها واهلاً
تتجلى وفي القلوب مصلى لهواها فيه التسابيح تتلى
ذلك الحسن كان روحانيا

ملكٌ فر من يدي رضوانِ ويد الخلد والنعيم الثاني
كلما لاح مائساً غصنُ بانِ اكبرت قده مهي عسفانِ
واتقى الناس لحظه البابليا

ايها الهابط التراب لتشقى كان افق الجنان للحسن ابقى
بذنوب الاباء اصبحت رقا ليس غير الهوان والضيم يُلقى
فاهجرِ الارض او تعيش شقيا

كل ما في الرياض من ازهارِ كل ما في السماء من اقمارِ
كل هذا تلقاه عند العارِ شهب الرجم او لهيب النار
او ضباباً من الشقا ابديا

هفوات الجدود والآباء عثرات الاحفاد والابناء
ذاك ما جاء في فم الانبياء عن إله الشرائع الغراء
بشقاء البنين كان نبيّاً ...

بلغت بنت زينب العشرينا تجتني من احلامها الياسمينا
وتشمُّ الريحان والنسرينا من رياض الصبا جوىً وحنينا
وتناجي سرَّ الشباب الخفيّا

طالما شادت القصورَ رجاءَ طالما هزَّها الصبا كبرياءَ
لست ارضى تقول الاَّ العلاءَ لست ارضى الاَّ الغنى والثراءَ
لستُ ارضى الا الفتى اللوذعيا

انا بنت الصباح ثغراً وخدّا انا بنت الجوزاء قدراً ومجدا
قلْ لدهرٍ يروم للحسن حدّا ان قومي النجوم عماً وجدّا
وابي المشتري وامي الثريا

يا ابنةَ الصبح انت ِبنتُ الظلامِ انتِ بنت الاحلام والاوهامِ

ليس بالوجه حلةُ الإعظام ليس بالحسن حليـة الآرام
ان يكن منبتُ الجمال دنيا

قد يكون الجمال سعداً ونحسا قد يكون الجمال ليلاً وشمسا
فاقرأني من جمال امكِ طرسا تعلمي ان دون عرسك رمسا
جاده وابلُ الشقاء سخيا

انتِ لم تذنبي الى الناس ذنبا انت أنقى من مدمع الصب قلبا
لكن الكون ظالم فهو يأبى ان يبرّيك كارهاً او محبا
او يرى ثوبك النقيّ نقيا

خرجت بنت زينبٍ للخلاء في أصيل مفضض الزرقاء
حيث كانت معاشر الأغنياء تتلاقى قبيلَ كل مساء
تنشق الريح والهوا البحريا

فاشرأبت من دونها الأعناقُ وتمشت لوجهها الأشواقُ
وسعت إثر خطوها الأحداقُ فتراءوا كأنهم عشاقُ
عبدوا ذلك البهـا الملكيا

ذاك حيث انثنت شكا وتوجدْ ذاك ان لاح ثوبها يتنهدْ
ذاك يبدي أشايراً لا تحمد . . . أبهـذا يا قوم مرقى ومصعد
للمسمى تمـدنًا غربيا ؟

أين تلك الشمائل العربيـه أين تلك الشهامة الشرقيه
أين تلك النفوس وهي أبيه أين تلك الأبصار وهي حييه
رحم الله مجدنا الشرقيا !!!

وقت كانت أسما تجيءُ وتذهبْ　　سمعت قائلاً بها يتريبْ
ان أسما لو لم تكن بنتَ زينبْ　　قارنت في الفتيان حراً مهذّبْ

من كرام العيال شهماً غنيّاً

كلمات رنت باسماع أسما　　رنة السهم او أشد وأصمى
ودرت سرّ أمها والمعمى　　من حياة كانت بلاءً وظلما

لفتاة لم تأتِ أمراً فريّا

صغرت نفسها هواناً وذلاّ　　وامحى ظلُّ عجبها واضمحلاّ
لحظةٌ لم تدع لاسماء ظلاّ　　من ليالي أحلامها البيضِ قبلا

تجرى دمعها وكان أبيّا

وسرت في العظام منها الحمى　　سرياناً راع الطبيب وهمّا
ام أسما لا كان مثلك أمّا　　ليس بالجسم داء بنتك اسما

ان في القلب داءها المخفيا

فتواري عنها الى الظلماتِ　　ودعيها ترجعْ الى الجناتِ
ان تكوني شر النسا الأمهاتِ　　فهي شمس العرائس الطاهراتِ

وهي زهر الآداب طيباً وريّاً..

بين دمع ولوعةٍ وزفيرِ　　جثت الأمُّ قرب ذات السريرِ
وتراءت لها أفاعي الضميرِ　　نازلات منهُ بمثل القبورِ

تنهش اللحم والعظام مريّا

وتراءت أمامها الأشباحُ　　وضحايا الخداع والأرواحُ

يومَ كانت ولحظها السفاحُ　　دمُ قتلاه مهرقٌ ومباحُ
وهي تسقى دم الكروم هنيا

لا وفاءٌ لا عزة لا صدودُ　　لا ضمير لا ذمة لا عهودُ
شرفٌ ضائعٌ وكف جحودُ　　وفؤادٌ له الدنايا قيودُ
لم تفارقهُ يابساً وطريّا

فأحستْ بما جنت في صباها　　وبكت حظها دماً وبكاها
وانحنت فوق بنتها ترعاها　　وهي بالخلد شاخص ناظراها
والردى هاتف الى القبر هيا

ربِّ قالت رفقاً بشمس حياتي　　خذ حياتي واحفظ حياة فتاتي
ما مضى فات والذي هو آتِ　　قمت فيهِ بالزهدِ والصلواتِ
وسقيت التراب من عينيا

أنا بنت الهوى وبنت الخطيه　　أنا أشقى من كل أمٍ شقيه
أنا يا ربُ مريم المجدليه !!　　نظرة من علاك تشفِ الصبيه
وتجدد ايماني العيسويا . . .

امَّ أسماء فات وقت المتاب　　فاسألي للفتاة خير الثواب
والبسي بعدها سواد الثياب　　واندبي الغصن ذابلاً في التراب
وصباح الشباب ليلاً دجيا . . .

ذبلت وردة الشآم سقاما　　وهي ترنو الى الحمام ابتساما
لا غرام حتى تخاف الحماما　　ان من عفَّ ليس يدري الغراما
وفؤاد الفتاة كان خليا

لم تقل حين أومأت بالسلام ساعةَ الموت غير هذا الكلام
كل ذلي وشقوتي وسقامي وبلائي وما رأيت أمامي
كل هذا جنتهُ أمي عليا

شبلي ملاط

جرائد سوريا ولبنان

(سبق الكلام عن الجرائد اليومية وفي العدد القادم كلام عن المجلات)

٢ — الجرائد الاسبوعية

١ً المناظر : صاحبها نعوم لبكي ، الكاتب المعروف في سوريا ومصر والمهجر . جريدتهُ رزينة عاقلة ، تقرأ مقالاتها وأخبارها بسرورٍ وارتياح . هي ذات مبدأ في كل مباحثها. وهي محتجبة الآن. وستظهر قريباً في لبنان

٢ً البرق (بيروت) : صاحبها بشاره الخوري . الكاتب الرقيق والشاعر اللطيف . جريدتهُ عنوان الاعتناء ، ومثال الذوق والترتيب . تقرأها الشبيبة الراقية . وتخشى الحكومة اللبنانية وحزب المتصرّف سهام شواردها ورؤوس حرابها . وهي اكثر الجرائد انتشاراً

٣ً المراقب (بيروت) : صاحبها جرجي شاهين عطية . كاتب عاقل . وشاعر صميم . جريدتهُ رصينة ، ولها مباحث سياسية جديرة بالاعتبار . تطربك افتتاحياتها ، وتسليك رواية اسبوعها

٤ً الحرية (بيروت) : صاحبها داود مجاعص . كاتب جريءٌ

متطرف . كثير الذكاء . قليل الاعتناء . له صيحات مشهورة قبل ٢٤ تموز
جريدتهُ عدوة المتصرّف ومريديه . وهي محتجبة الآن لاسباب قاهرة

٥ً الوطن (بيروت) : كان يومياً بعناية الشاعر المطرب شبلي بك ملاّط . وقد أصبح اسبوعياً بادارة باترو باولي . هو كاتب متطرّف . له انتقادات صائبة . وملاحظات مفيدة

٦َ الحارس (بيروت) : صاحبهُ أمين الغريّب ، صاحب « المهاجر » سابقاً . كاتبٌ عصريّ متفنن ، خلق ليكون صحافياً . يصدر جريدتهُ مرتين في الاسبوع بحجم المناظر . له اعتناء خاص في انتقاء المواضيع والأخبار اللذيذة المسلّية

٧ً البشير (بيروت) : أنشأه الآباء اليسوعيون بعد احتجاب مجلة « المجمع الفاتيكاني » . مديره الأب لويس معلوف الزحلي المولد . يصدر اليوم مرتين في الاسبوع وله خطة قديمة لم يحد عنها قط . هو في ثباتهِ على مبدإه خيرٌ من اكثر الجرائد المتقلبة

٨ً النشرة الاسبوعية (بيروت) : أنشأها المرسلون الأميركان . يحرّر رئيسياتها ويعتني بلغتها العالم الكبير ابرهيم الحوراني . وهو كاتبٌ بليغ وشاعر مدهش . له قلمٌ سيال يجعل للنشرة رونقاً

٩ً لسان الاتحاد (بيروت) : صاحبها فيلكس فارس . كاتبٌ وخطيبٌ جريءٌ ، افكاره جديدة ، يميل الى الخيال . للجريدة اعتبارٌ وشأن عند اعضاء الاتحاد والترقي . ولو ان سرعة انتشار الجريدة تتوقف على سرعة قلم كاتبها لكان لسان الاتحاد اوسع الجرائد انتشاراً

١٠ أبابيل (بيروت) : صاحبها حسين محيي الدين حبّال . كاتبٌ جارح مصيب وجريدتهُ وطنية بحتة وانتقاداتها عادلة

١١ الإقبال (بيروت) : صاحبها عبد الباسط الانسي . محررها الشيخ محيي الدين الخياط . هو أغزر كتّاب المسلمين البيروتيين مادةً ، واعلاهم كعباً . هو عندهم كالاستاذ البستاني عند المسيحيين . ولو انهُ يهتم بالمواضيع العمومية اهتمامه بالمواضيع الاسلامية لكان الإقبال انفع الجرائد وارقاها

١٢ لبنان : صاحبها ابرهيم الاسود . هو من الحكومة وللحكومة ومع الحكومة . يناصرها ويدافع عنها في كل حين . وتختلف الجريدة رقياً باختلاف محرريها . ويكتبها اليوم محبوب الشرتوني وهو كاتبٌ وشاعرٌ مجيد . مركز الجريدة بيروت

١٣ الصفاء (عاليه — لبنان) : صاحبها علي ناصر الدين ، محررها ولده امين ناصر الدين . هو شاعرٌ فحل وكاتبٌ بليغ . للجريدة اعتناء خاص بالمواضيع الدرزية اعتناء البشير بالمسائل اليسوعية ، والإقبال بالشؤون الاسلامية

١٤ المهذب (زحلة) : صاحبها الخوري بولس الكفوري . هي الجريدة التي تعيش في لبنان لتفيد دون ان تستفيد . منشئها شمعة مضيئة في زحلة تذوب لتنير غيرها . كاتب افتتاحياتها اليوم خليل سعد . وهو عالمٌ كبير وكاتب ناضج

١٥ البردوني (زحلة) صاحبها اسكندر الرياشي . هو يكتب

للشبيبة والشبيبة مقبلة على جريدته ولو اعتدل في الهزليات لكان البردوني افضل جريدةٍ في زحلة

١٦ زحلة الفتاة : صاحبها ابرهيم الراعي . محررها شكري بخاش . كاتب مجتهد حرّ . الجريدة صلة بين زحلة والمهجر . لها اهتمامٌ خاص بتاريخ زحلة ورجالها الذين اشتهروا بالسيف والقلم والصناعات . تعتني في محلياتها اعتناءً شديداً

١٧ الاخاء (حماه) : صاحبها جبران مسّوح . كاتبٌ عصري متطرف ولكنه مصيب . له انتقادٌ عادلٌ على الجرائد والمجلات العربية التي تنقل ولا تشير الى مكان النقل . للجريدة مباحث اجتماعية خليقة بالاعتبار

١٨ حمص (في حمص) : صاحب امتيازها سيادة المطران اثناسيوس عطا الله . محررها قسطنطين يني . كاتبٌ عصري رقيق وشاعر أرق ، تعتني الجريدة في شؤون المهاجرين . ولا عجب . فمنهم نشأت . وبمكارمهم نمت وأزهرت

هذه أهم الجرائد الاسبوعية التي اقرؤها دائماً على وجه التقريب . وهنالك جرائد عديدة كالحقيقة . والايام . والخرج . وحط بالخرج . والرشيد . وصدى الجامعة العثمانية . وحمارة بلدنا . وطرابلس . وعيواظ . والحكمة . والروضة . ولبنان الرسمية . والاتفاق . والاجيال . والشعب . والتقدم . والراوي . والمنتخبات . والنفير . والكرمل . والزهرة . وفلسطين . وغيرها من الجرائد التي ضربتُ عن ذكرها صفحاً لعدم تمكني من قراءتها طويلاً والسلام

حليم ابراهيم دموس

أزهار وأشواك

سمكة افريل

روبت لقرائي السنة الماضية حكاية هذه السمكة او الكذبة فاكتفي اليوم برواية احدى الكذبات المشهورة في هذا الصدد : أعلن احد الظرفاء في جريدة باريسية عن رغبتهِ في الزواج وطلب من الراغبات في الاقتران بهِ ان يكتبنَ إليهِ عن عنوانهنَّ الى نمرة عينها لهنَّ . وأردف هذا الاعلان باعلان آخر عن لسان فتاة غنية جميلة تطاب من الشبان الراغبين في الزواج مثل ما طاب في اعلانه الاول من الشابات . فاجتمع لديه في مدة وجيزة ما يناهز المئتين من الاجوبة الواردة من الفتيات ومثلها من اجوبة الفتيان ، فاجاب كلاً بمفرده ضاربًا له موعداً في احدى ساحات باريس العمومية للمقابلة وطلب من الفتى — او الفتاة — ان يزين صدره بوردة بيضاء لسهولة التعارف ثم كتب — دائماً باسم مستعار — الى مدير البوليس ينبئهُ بوجود مؤامرة من الحزب الملكي ضد الجمهورية وعزم الاعضاء على مباغتة الحكومة بمظاهرة كبيرة وأفهمهُ ان شارة المتآمرين وردة بيضاء . فلما أزف الموعد اجتمع في الساحة المعينة اربعمئة فتى وفتاة تقريباً وعلى صدورهم الورد الأبيض . واذا بالبوليس مقبلٌ بخيله ورجله للقبض على أعضاء المؤامرة الموهومة . ولم يلبث ان جاءت اشارة تلفونية من المحافظة ان قد أتاها ان المسألة من قبيل كذبة أول افريل ... فضحك البوليس وضحك المتآمرون وضحك خصوصاً مدبر هذه الحيلة ...



زيّ جديد (السراويل والشنانين)

زيٌّ جديد

وما أكثر ازيائكِ يا سيدتي ! وما أدهش تفننك في ملابسك . ! . ضلَّ الحكيم القائل « لا جديد تحت الشمس » أو ان قوله وصل الينا ناقصاً مبتوراً ، ولا شك انهُ استثنى مما نفى فقال « .. إلاَّ ما تولدهُ أدمغة النساء » ويا لله من أدمغة بنات حواء ! حملتْ في ما مضى الحملة الشعواء على مودة « المقيدات » فنالني ما نالني من غضب السيدات اثناء تلك الحملة . ولذلك لستُ بمجددها اليوم بمناسبة مودة « السراويل والشناتين » التي بدت طلائعها في ربوعنا ، بل انا أتقهقر بانتظام أمامها . وأُخلي لها المكان ، فامرحي أيتها الحسناء ما شئت في شنتانك الجديد وسروالك الحديث ، فقد كفى ما أصاب رجليك وساقيك من الضغط والتقييد . وانا أضع على رسمك الذي زينتُ بهِ هذه الصفحة باقةً من أزهاري ، حافظاً أشواكي لوقت آخر

الحكومة والادباء

ابت حكومتنا المصرية الاَّ ان تضع يدها على كل كاتب اديب او شاعر بليغ . وآخر من استهواه ذهبها الوهّاج واستماله راتبها الضخم حافظ ابرهيم شاعر النيل ، فاختطفته من بين الرياض التي كان يغازلها ، والنجوم التي كان يناجيها ، وجماعة البؤساء التي كان يسليها ، ووضعته في المكتبة الخديوية لينسقها ويحليها ، ومن عرف ما في دماغ حافظ من بديع المحفوظ ايقن ان الحكومة قد ضمّت الى مكتبتها الجامدة مكتبة حية . واذا كان

قد شقّ على الكثيرين ان يروا حافظاً منصرفاً عن خدمة دولة الشعر الى دولة الادارة فانهم يتعزون متى عرفوا انهُ ضمن حياته عن غير طريق القصبة المشقوقة . وقد خاطبهُ احمد نسيم بهذه الابيات :

اديبَ الامتين لك البقاء　　سعدتَ فلا عناء ولا شقاء
تقضتْ عنك ايامٌ طوال　　من البأساء وارتفع البلاء
اتيتُ اليك في بردَي اديبٍ　　كريم لا يدنسه الرياء
يصوغ لك التهاني في قوافٍ　　لها بك في متانتها اقتداء
كعهدك لا تكنْ الا وفياً　　سجيّته المروءةُ والوفاء
اتحجبك المناصب عن «نسيم»　　وتُبعدك المراتبُ والعلاء
والا كيف كنتَ فأنت خدنٌ　　خليقته المودةُ والاخاء
اتذكر يومَ تذكر بوءسَ عيش　　وانت ازاءه وانا سواء
ويومَ نذمُّ دنيانا ونشكو　　أناساً خاب عندهمُ الرجاء ...
تقول اذا استطعت وهبت نفسي　　فما عندي سوى نفسي سخاء
فاما الآن ليس لديك عذرٌ　　ولا لك عن مواساتي اباء
اذا أنشدتُ بين يديك شعري　　وتمداحي فقد وجب العطاء
وفي عشرين ديناراً لمثلي　　اذا مُنحت قنوعٌ واكتفاء
بحق البوءس ان لم تعطنيها　　فما لك بعدها الا الهجاء
والا فالسلامُ عليك مني　　اذا قالوا على الشعر العفاء

فليحذر حافظ اليوم هجاء زملائهِ المعجبين بهِ بالامس ، وليكن لحالهم ذاكراً ، ولعهدهم حافظاً

حاصر

روابة الشهر

العروسان

اغرم لوتيك بايفون الرائعة الجمال ، وكان كلاهما في سن يحن فيها القلب الى القلب ، وتتوق النفس الى النفس . وكانا يقطنان بريطانيا والعادات القديمة لا تفتأ مرعية تتجلى فيها بأبهى مظاهرها والطباع الكريمة تظهر بأجمل حلاها . وكان حبهما طاهراً يرفع قلب الانسان الى أعلى مراتبهِ السامية ، ويهذّب الطباع على خير ما تبتغيهِ البشر . فاذا خرجا من الكنيسة يوم الاحد استرقا الانظار وتكلما بالعيون كما كانا يتراسلان كتب الهيام مع هبوب النسيم وتألق النجوم . غير ان ايفون كانت فقيرة لا تملك سوى بقرة واحدة تنتجع الكلاء في الرياض الخضرة وترد الماء في المناهل العذبة. وكان لوتيك قبلة حبها وكعبته غنياً يملك العقارات والضياع وكروم التفاح ولم يكن لأحد من السادة ما كان له من الحلي والحلل النفيسة والدرر اليتيمة . أما والد لوتيك فكان رجلاً محنكاً ذا خبرة بأحوال العالم علياً باسرار الغرام فشعر بحب ولده وقال يوماً لزوجته حنة : اني ارى لوتيك يكاد يكون مقطباً فلا يبسم الا متجهماً ولا يتكلم الا مدمدماً . الف الاسى فكأنما بين الاسى قرب و بين قلبه الدامي . على اني عرفت علة حزنه وسبب وجومه فانهُ قد اختار لك كنة فتاة فقيرة لا تملك من حطام الدنيا الا بقرة وهو مالها التليد الوحيد ولكنها بديعة ذات محاسن هيفاء القد تخجل البدر اذا طلع والنجم اذا سطع. ألا يمكن الفضيلة والجمال أن يعوضا عن الغنى والجاه لنضربنّ صفحاً عن غرامه ولندعه وشأنه وليقترن بحليلة اصمت فؤاده بنبال هواها وتيمته بجمال طلعتها

واهاً لك أيها القلم تكسر على صخور عجزك وتمزق يا قرطاس بين انياب ضعفك فانكما لا تستطيعان أن تعربا عما خامر قلبي ذينك الشابين من السرور والجذل لما انبأهما والد لوتيك برضاه عن زفافها اليه . فلا خير في يراع يخون الفكر ولا ينقاد للقلب

ولا جناح اذا مزق طرس ينوء بوقر حديث نشوة الابتهاج . فانطرح لوتيك بين ذراعي والديهِ ودموعهُ تهمي . أما ايفون فانها ضمت يديها الى صدرها ورفعت عينيها الى السماء شاكرة لرحمان . غير انهُ لم يكن لها من يقاسمها افراحها فالموت القاسي كان قد مزق بمخالبه المفترسة حياة والديها وزج بهما في اعماق القبور

بزغت غزالة النهار مائسة تبدد عن الافق غيوم الظلماء كما كانت شمس الحب تمزق باضوائها المتلألئة حنادس الحزن والاسى عن قلب لوتيك وعشيقتهِ ايفون .
قرع الناقوس واحتشد القوم في الساحة العمومية ينتظرون بذاهب الصبر قدوم العروسين ليسرحوا الانظار في حسن محيا ايفون الفتاة . وما كنت ترى الا عيوناً شاخصة ولا تسمع الا افواهاً تقول ما اجمل وابهى سنا طلعتها . فرفع الكاهن يديه وقال : ليبارككما رب السماء وليسكب عليكما غيث رضوانه ما أحسن مثلكما فعلى الاغنياء أن يمدوا يد المصالحة الى البؤساء لانهم كلهم ابناء اسرة واحدة ، اذهبا وعيشا بسلام آمنين

بالقرب من تلك القرية جزيرة صغيرة تتحطم على صخورها امواج البحر المتلاطمة وتأوي الطيور اليها فتؤنس وحشتها بشجي الحانها حتى ان القادم اليها يكاد يحسب نفسهُ قد هبط في جنة عدن أو صعد الى عالم الابرار وكان يسكنها ناسك قوّست الايام ظهره واضعفت السنون بصره وكان على كل من يتزوج من سكان هـذه القرية أن يقدم له شيئاً من العسل واللبن. فركب العروسان القارب ترافقهما اصوات الغناء وعزف آلات الطرب حتى اذا قاما بالعادة المرعيـة وقدما للناسك الهدايا المعدة ركبا البحر فشاهدا من اهواله ما لا يعبر عنهُ اذ سمعا للجبال صفيراً وللرياح دوياً عظيماً وزفيراً والامواج تطرب لسماع اصوات الرياح فكانت طوراً تبتعد وتضطرب وتارة تلتطم وتصطفق فلما أيقنا انهما لا يجدان الا فضل الله واقياً ومجيراً قالت ايفون « ربِ نجنا من وهدة العطب ولك منا أن نزور مذبح هامة رسلك » .
فاستجاب الله الدعاء فهدأ البحر وسكن وحصل بعد الشدة الفرج وشما من السلامة اطيب الارج

واهاً لك يا أيام الفرج والسرور مالك تمضين كوميض البرق مالك تمرين مر السحاب ولا تعودين

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا　　　دهراً وردَّ من الهوى يوماً كفى

مضى شهر على عرسهما . رعياً لكما أيها الزوجان المسيحيان ان الدين يأمركما فسافرا وودعا الاوطان والاهل والخلان . الوداع يا بريطانيا الحبيبة الوداع . مضى اليوم الاول والقلب واجف ولكن للايام حداً وللاسى نهاية فكما يفنى السرور هكذا تفنى الهموم . أما كانا يجددان العزم بحديث الحب وغضاضة الشباب، ألا يكفي الغرام لتبديد ما تلبد في افق سماء النفس من غيوم السآمة والكآبة . كانا يمشيان باحترام ويركعان امام المعابد ويتصدقان على الفقراء . واذا ما الشمس احرقت بلظى اوارها ولهيب شعاعها اديم الارض التجآ الى ظل بعض الاشجار فاكلا الخبز تقشفاً وشربا الماء صرفا وشكرا المولى ورب العباد . وكان الناس يرونهما ماشيين مطرقين والسبحة في ايديهما . على ان الحب فضاح فكان حنو نظرهما واضطراب قلبيهما يذيعان سرهما على الطريق ويهزان افئدة الناس عطفاً عليهما. واذا رآهما الشيوخ قالوا : حاجان يؤمان بيت الله . أما الفتيات فيخلنهما عاشقين يتبادلان كلمات الصبابة والهيام . فلما اجتاز الوابور ووصلا الى نيفير فاجأهما نبأ فشو الطاعون في تلك الضواحي وكان الموت يحصد بمنجله البتار كل من تقع يداه عليه ،فقال لوتيك : بدار نهرب من هذه البلدة لئلا يصيبنا الداء.ولكنها لم تجب شيئاً بل اصفر وجهها واصطكت ركبتاها وارتجفت شفتاها ووقعت بين ذراعي زوجها وقالت: اهرب أنت وحدك يا حبيبي ودعني فاني مصابة . ، فقال لوتيك: ويلاه ،اذا تقولين؟ لا تموتي بربك لا تدعيني وحدي . قلت كلا اني لا اقضي بل أنا ذاهبة لاعد لك ،كاناً في جنة الخلد ودار البقاء فلا تجزع يا حبيبي اني انتظرك تحت عرش الله الى الملتقى

غداً يكثر البا كون منا ومنكم　　　وتزداد داري عن دياركم بُعدا

تحمل يا قلب تحمل ولا تتفطر حزناً وكمداً . وضع جثتها في التابوت بعد ان زودها بقبلاته الحارة وانشد لها بصوته الرخيم غناء الوداع الاخير وحفر لها جدثاً تحت ظل

دوحة وزينهُ بالازهار وسقاه بالدموع ثم مضى ولم يدع الحزن في قلبهِ ولم يذر . قضى النذر وعاد ووقف على قبر الحبيبة وقال

افدي بروحي ذلك الوجه الذي　　جمع الجمال وحسن ذاك المبسم
زيحي لثامك يا ابنة الصبح التي　　قد اصبحت شرفاً لكل الانجم
فمتى ترى عيناي ما قتلت به　　روحي عسى تحيي بمنظره السمي
فلو انجلت كل الغواني لي ولم　　الكُ ناظراً لسناك لم أتنعم
فضعي يديك على ضنا صدري عسى　　تدرين ما فعل الحمام بأعظمي
عبثت ايادي الدهر بي فاذبنني　　واعادت العبرات مثل العندم

ها أنا ذا يا حبيبتي رجعت ، ها أنا ذا قد اعتقت من اسر ذلك النذر المشؤوم ، لقد ذهبت حتى ينابيع التيبر وصليت على أعظم الشهداء والقديسين فلا شيءَ الآن يوقف حياتي في هذا العالم انها تطير مشتاقة اليك . يا رب أنت اعطيتني حياتي فلا تبخل عليّ الآن بمماتي . وانتم يا حراس القبور والاموات استحلفكم باسم الله وابنهِ ان تضمانا كلينا في قبر واحد وان تكتبا عليه هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل　　والعيش يجمعنا والدار والوطنُ
ففرق الدهر بالتشتيت الفتنا　　فاليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

قال هذا ووقع على القبر جثة هامدة . انشدي ايتها الطيور أحزن الالحان وخذ مثلاً مما ترى أيها الانسان . لما فتحوا قبر ايڤون ليضموا الوتيك اليها توردت وجنتاها المصفرتان وافتر ثغرها وتنحت قليلاً ووسعت لحبيبها مكاناً

فدهش الناس مما رأوا ونصبوا لهما قبراً منيفاً يركع بجنبهِ للصلاة من يريد ان يفتح قلبهُ للحب الزواجي الطاهر

(عن فيكتور هوغو)　　　　حلب　　　　لويس اسود

مجلة الزهور بمصر　　　　انطون الجميل



الجزء الثالث مايو (ايار) ١٩١١ السنة الثانية

زهرة الشباب

١

يوم من ايام الربيع : جو السماء صافٍ ووجه الارض زاهر زاهٍ .
خرجت الى البرية وفي النفس عوامل لم ادرك سرّها المكنون ، وكنت آنئذٍ اجد لذة قلبية في الوحدة والانفراد

نظرتُ الى المغرب ، فرأيتُ الشمس تتوارى وراء بحار من الذهب والياقوت ، وستار الليل يمتدّ شيئاً فشيئاً على وجه البسيطة وقد هبّ نسيم لطيف ممسّك فاحنى سنابل الحقل ، وطلع القمر على أفق المشرق يتمايل تيهاً ويتمايس عجباً بين النجوم الزواهر وهو يرسل الى الارض اشعة انواره الذهبية

وبينما انا اسير مرتشفاً هذه الانوار العلوية ، مستنشقاً هذه الروائح العطرية ، اذ ظهرت لي في غسق المساء مخلوقة عجيبة نظرت اليّ وابتسمت ، وقد سترهـا رداء انصع بياضاً من زنابق الحقل ، ولاحت على وجهها حمرة ابهى من حمرة الورد الذي يكلل رأسها . وكان شعرها

الذهبي مسترسلاً على كتفيها . ومن عينيها الدعجاوين تنبعث انوار الامل والطهارة . . . فمدَّت نحوي احدى يديها واشارت اليَّ بالثانيـة اشارة الحنو والانعطاف . . .

فبقيت برهةً شاخصاً اليها اقول في نفسي : « لا شك انهـا من سكان السماء » اذ لم يكن في بهائها الرائع شيء ارضي ، وكانت تحيط بها انوار سماوية فتزيد في سنائها سناء . فمددت يدي وهتفت : « ومن تكونين ؟ . . . »

فاجابتني بصوت ارقّ من نسيم الربيع واعذب من نغمة الشحرور : « يا صاح ، وضعني الاله الخلّاق في صدرك عند ولادتك ، فنموت وترعرعت معك وها انا قد بلغت اشدي مع سنتك السادسة عشرة . فحياتي حياتك وموتي موتك . انا شقيقتك واكون رفيقتك في قطع مفاوز هذه الحياة الى ان اذوي واذبل فأطرح على الحضيض ، فاتركك في نصف الطريق بعد ان نكون قطعنا معاً النصف الاول منها ، وليس هذا اليوم ببعيد يا اخي . فحياة الزهرة رمزٌ عن حياتي القصيرة . فمتى ذبلتُ تأسف عليَّ حين لا يجدي التأسف . فلا ماء عينيك يحييني ولا حرارة قلبك تنعشني . . . انا لستُ غنيـة ، وكل ثروتي في الزهور التي تكلل رأسي ، لكني سأسكب عليك نعماً يحسدك عليها كبار الارض واغنياؤها . واضع على مفرق رأسك اكليلاً يغبطك به كل من نظر اليه . سأتتبع اثارك دائماً دون ان تنظرني غير انك دائماً تشعر بوجودي . . . سأنفخ من روحي الطاهرة في الطبيعـة لتروق عينك

وتبتسم لك في صباحك ومسائك .:. لكن عليك ان تقدّر هذه النعم قدرها قبل ان تفلت من يديك . وادّخر منها للنصف الثاني من الطريق حيث اكون قد غادرتك ... »

قالت وكان كلامها ينسكب على قلبي كندى الصباح وبعد برهة استأنفت الكلام :

« قلت لك يا اخي ان حياتي قصيرة ولكنه بوسعك ان تطيلها او تقصرها . ان رجليَّ نحيفتان فلا تقدني في المسالك الوعرة ، وحمرة وجهي ابهى من حمرة الورد فلا تكدرها بريح الاهواء اللافحة ، واعمل كي لا يخزك الضمير اذا ما فقدتني . ومتى فارقتك فليبقَ ذكري محفوظاً طيَّ صدرك فينعشك ساعة القنوط ويضيء نبراسه ظلام حياتك »

وحينئذٍ احنت رأسها نحوي كالملاك الحارس وشعرتُ بيدها تخطُ على جبهتي علامة سرية ففتحت يديَّ فكنت كالقابض على الهواء وتوارى طيفها في غسق المساء ...

٢

يوم من ايام الخريف : عبس وجه السماء واكفهر ، وعريت الارض من بهائها ورونقها . وكنت سائراً أجد في حزن الطبيعة صورة حزني وقد استولت عليَّ الوحشة التي تستولي على القلوب عند غروب شمس النهار.

فتراءت لي مخلوقة نظرت اليَّ وبكت ، وقد اتشحت برداء ممزق بالٍ ، ولاحت على خديها صفرة اشبه بصفرة الاوراق المتناثرة وقد حرقت

عينيها دموع الاسى ، وكانت محنية الظهر كزنبقة ذابلة قُطعت عنها مياه الحياة . فعرفت فيها تلك التي ظهرت لي منذ خمسة عشر عاماً ، وهتفت بصوت الرعشة : « وما تريدين الآن ؟ . . . »

فأجابتني بصوت اشد حزناً من زمهرير هواء الشتاء :

« قد ازفت ساعة الفراق وهو فراق ابدي ، وقبل ان اتركك احببت ان اودّعك وداعي الاخير . . .

لقد انكرتني يا ناكر الجميل . قمت انا بكل وعودي لكنك لم تكترث لها . وضعت على رأسك اكليل الطهارة وخفرتك بحراس الايمان والامل والمحبة . . . آنست وحدتك باحلام ذهبية وشغلت مخيلتك بافكار زهرية، جعلت السماء تبسم لك والارض تتهلل امامك . اما انت فقل لي بربك ماذا صنعت بكل هذه المواهب . . . ؟ بذّرتها ودستها بالاقدام . . . »

فهتفت بصوت تخنقهُ العبرات : « قد زال الغشاء عن عينيّ . ألا رحماكِ ابقي . . . ردّي اليّ الامل والمحبة فافارق الحياة ولساني يستمطر عليكِ البركات »

فاجابت :

« انت ستعيش بعد . اما انا فعما قليل سأموت . انظر اليّ واعرف ما قاسيتُ من المشقات . انهكتَ قواي وهددت عزيمتي . كنتُ ارفع اليك نداء الاستغاثة واسألك الرحمة ، اما انت فلم تفهم هذا النداء بل كنت تقودني وتدفعني الى المهالك . فرّق ثوبي شوك الطريق وادمى

قدميَّ . واحرقني حرّ الهجيرة واستنزف ينبوع الحياة فيَّ . لم تعد ترطب زهرتي بماء الايمان والرجاء فذبلت زهوري وتساقطت على الارض ذاوية فنثرها الهواء في كل الانحاء . . . كل هذا وانت لا ترحم ولا تشفق . اما الآن فها قد جمد الدم في عروقي وعلا جبهتي اصفرار الموت فاتيت اودعك الوداع الابدي الاخير . . . ! »

فصرخت صرخة اليأس :

« لا . لا تموتين بل تعيشين » فلم تنبس ببنت شفة ، فاردفت قائلاً « ومن تكونين ايتها المخلوقة العجيبة : . . ؟ »

فقالت :

« يا اخي انا لست الآن شيئاً . . . لكنني كنت زهرة شبابك »

قالت وتوارت عني في غيوم السماء فمددت يدي فلم اقبض الاّ على زهور سطقت من اكليلها الوردي فاخذتها فاذا هي ذابلة لا اثر فيها لطيبها السابق ولنضارتها السالفة . فذرفت دموع الندامة وهتفت : « ربي اقبل توبتي وامحُ خطيئتي واغسل ذنوبي يا ارحم الراحمين . . . ! »

الى السراية الصفراء

تدل الاحصاآت الأخيرة في كل مملكة من العالم المعروف على ان عدد المجانين يزداد يوماً عن يوم وهي نظرية تخالف المألوف فان العالم كما نعتقد في تقدم الى الامام نحو المدنيـة والرقي العقلي ولا أدري ما

معنى هـذا التقدم الى الرقي العقلي مع ازدياد عدد المجانين : ! ! مسألة فيها نظر

محسوس بل وملموس باليـد تقدم الصناعة ومشاهد بالعين تفوّق المـكتشفين والمخترعين عن اسلافهم اذ لا أظن ان ابن آدم سبق فاخترع المنطاد او اكتشف الـكهرباء في حقب الزمان الغابر او عثر على مجاهل الارض او اخترق اللحم باشعة فنظر العظم او استأصل المعدة وعمل جهازاً لحياة صاحبها فعاش بدونها او تطرف في الابحاث الـكهربائية فـكلم أخاه على بعد شاسع بلا واسطة او استخدمها لنقل صورة المتكلم في ثوان لتظهر أمام المخاطب

مع الاعتراف بكل ذلك لا أدري معنى لهذا التقدم مع ازدياد عدد المجانين الاَّ اذا كان ازدياد عددهم يعد تقدماً للجنون !!! او ان اكون أنا مجنوناً هربت من السراية الصفراء ولا عجب فكم بين الغير محبوسين بها من هم اجدر وأولى بدخولهم فيها مصفدين بالحديد مقيدين بالاغلال

روى لي أحد الثقاة ان رجلاً كان يدعى علي كچك من نسل الاتراك الذين تمصروا يسكن حياً بالقاهرة من الاحياء الوطنية خرج يوم جمعة للصلاة بالمسجد فلقيهُ رهط ممن لا خلاق لهم — وكثيرٌ ما هم — فابتدروه بقولهم « علي كشكش » وما زالوا بهِ حتى خلص منهم بدخوله الى المسجـد . حبس نفسهُ في بيتهِ شهرين وظن بعـد ذلك ان الرهط انقشع او نسيهُ فخرج في يوم جمعة الى المسجد ولـكن القوم قابلوه بمثل ما فعلوا وزادوا على ذلك قولهم « حرامي المشمش » وما زالوا بهِ حتى جنّ

الرجل فتناول حجراً وضرب بهِ أحدهم فشج رأسه فاستاقوه الى المخفر ومنهُ الى المحكمة حيث كان المرحوم الشيخ محمد عبده على كرسي القضاء الأهلي ولما سأله القاضي عن جرمهِ اعترف ولم يجحده ولكنهُ قال انهُ فعل ذلك عن سبب فسأله القاضي عن السبب فقال « صلّ على النبي » فاجابهُ الامام فكرر الرجل طلب الصلاة على النبيّ مراراً والامام يجيبهُ الى ان ملّ القاضي من هـذه المطاولة فقال ألا تقص السبب ؟ فقال المجرم اذا كنت وأنت الامام المعروف مللتَ الصلاة على النبي أفلا أملّ انا من صياح هؤلاء خلقي بما اكره ؟

هذا هو احد المجانين جن من الناس وراح فريسة اخيهِ الانسان لا ذنباً جنى ولا جرماً ارتكب ولا حشيشاً تعاطى ولا شأواً قصده فلم يدركه فكأنما كلما تقدم الانسان تأخر وكلما داوينا جرحاً سال جرح

دخلت طور الكهولة وعركت شطراً طويلاً من الدهر وعاشرت الناس اجناساً متعددة باخلاق متباينة — عاشرتهم حسب اخلاقهم واني اقسم بمن يرحم روح المسكين « حرامي المشمش » اني عييت عن درس طباعهم ومعرفة طلباتهم

يعضك احدهم بنابيهِ ويجبهك لانك لا تصلي ويقول لمن حوله « أبيبه » فان صلاة العشاء قد وجبت !!!

يذكر احدهم اخاه الانسان في غيبتهِ ذكراً مؤلماً حتى ليكاد يبكي من حدتهِ وحتى تظن انهُ اذا قابله قتله ، وقبل ان يتم اغتيابه يحضر ذلك المذكور بالسوء فيقفز المغتاب دون الجماعة للقياه ويأخذه ملء حضنه

ويقبله عشراً ويجامله ويفسح له مكاناً بجانبهِ ويشرب نخبهُ !!!

يسمع الجالسون ذلك ويرونهُ ولا يجرأ احدهم على صفع ذلك المغتاب الاثيم بل يسكت وهو بسكوتهِ يساعد على انتشار الرذيلة

يأخذك احدهم على معزل ويقول لك انهُ يريد ان يكلمك في أمر ذي شأن ولكنهُ سريّ جداً ويهمك الاطلاع عليهِ حتى اذا ما شوّقك الى سماعـهِ استحلفك بالطلاق ان لا تبوح بهِ لأحد فاذا فعلت وحلفت قال لك ان فلاناً قال عنك كذا وكذا وكذا فتصبح في حيرةٍ لا انت بالقادر على مناقشة المغتاب الحساب لانك مقيد بالحلف ولا انت بالقادر على كظم غيظك فتبتلي بمرض في فكرك فتجن فتساق الى السراية الصفراء ولا ادري على من يكون الذنب في جنونك — أعلى المغتاب أم الجالسين معهُ الذين تجردوا من الشجاعة الادبيـة أم ذلك الذي بلّغك فكسر قلبك ؟

تضيق نفسك ليلة فتذهب الى محل التمثيل عسى ان يذهب بهمك فتجد المكان غاصاً بجمهور المتفرجين فينشرح صدرك وتظن اننا عرفنا اين نقضي سهراتنا حتى اذا بدأ التمثيل ووصل الممثل الى قطعة محزنة مثل موت « روميو » على قبر حبيبتـهِ « جولييت » ثم موت « جولييت » ظهرت لك اخلاق القوم بكل مظهرهـا اذ ترى الجمع وقد اختبط — تسمع تصفيقاً حاداً وطلب استعادة تلك القطعة المحزنة ليس لأن الممثل او الممثلة اجاد او احسنت بل لظنهم ان تلك التأوهات التي مثلتها الممثلة احسن تمثيل انما هي خلاعة منها — ذلك لانهم لم يفقهوا معنى لما سمعوا —

ترى ذلك وتسمعهُ فتذهب الى بيتك محموماً بحمى دماغية فتجنّ فتؤخذ الى السراية الصفراء

تجول بطرفك بين من حولك فتجد شباكاً منصوبة للكيد بك خيوطها بايدي من احسنت اليهم فتصرف وقتك في التفكير فيما عساه ان يكون سبباً لانقلاب ذلك الاحسان الى هذه الاساءة فلا تجد سبيلاً لحل المعضلة فيختلط عليك الأمر فتجن فتؤخذ الى السراية الصفراء

تسمع السارق يفتخر امام الجمهور بسرقتهِ والزاني يحدث الناس بحوادث فحشه وفجر العاهرات معهُ والسكير يزهو على الحضور بنموذج عربدته والكاذب يُضحِك من حوله بنكات كذبه — فاذا ما وجهت بلومك الى احدهم هبّ الجمع المحتشد حولهم ورموك بالغلظة وسوء الخلق ونسبوا أولئك المجرمين لخفة الروح والدم . فكأنما الناس قد أجمعوا امرهم على استحسان المنكر فاذا كنت حرًّا يجري في عروقك دم أحمر جننت فتؤخذ الى السراية الصفراء

احبس نفسك في بيتك بين اولادك او كتبك واذا مررت بقوم فرّ بهم مر الكرام ولا تختلط بهم تعش سعيداً ، او فجهز وصيتك اذا اردت الاختلاط بالناس لانك ستجن حتماً وتساق الى السراية الصفراء

عطبره (السودان)　　　　　محمد فاضل

أيها البدر

يسرّ «الزهور» ان تقدم اليوم الى قرائها اديباً لبنانياً لم تشغله وظائف الحكومة عن الاشتغال بالعلم والادب ، وهو حضرة رشيـد بك نخله قائمقام قضاء جزّين . وسيرى القراء في ما سيتحفهم بهِ على صفحات هذه المجلة من المقاطيع الشعرية والمقالات الادبية أية منزلة رفيعة أدركها في عالم الكتابة . ولما كان حضرته مجهولاً من أدباء مصر اقترحنا على احد مواطنيه من الكتاب المطلعين على اسرار الادب ان يكتب « للزهور » درساً بيانياً عنهُ سننشره في عددٍ تالٍ :

تآكلت العيون ، وتناهبت القلوب ، وما تركتَ مضجعاً هادئاً ، ولا جنباً مطمئنة أيها البدر . .

ما التصقتَ في كبد القبـة الزرقاء ساهياً لاهياً الاَّ لتزيد غصة عاشقيك ، وتحول ملايين أميال المسافة بينك وبين القلوب ، فيمتنع التفاهم حتى بالخفوق والأنين أيها البدر . .

دموع الحب وتنهدات الوحشة وزفرات المهجورين ، زهور منثورة على قدمي نورك وبهائك يا عريس السماء . .

شكاوي الموجعين وتذمر المساكين وصدى قرع صدور البائسين ، نغماتٌ ربما طربت لها وأنت نشوان عالق حيث تخلع عنك الرقاب أيها المحلّق السماوي . .

الطوى من يوم الى يوم ، والسهر من ليل الى ليل ، والتسجي على نواتئ الصخور ومناخز الاشواك ، بالعين السابحة والفكرة السائحة ، كل ذلك ربما اتخذتهُ تفرغاً اليك وتدلهاً أيها المحبب البدري . .

انتزاع الاحساس من الآدميين، وتجلمد قلوب بني الانسان، وتعري شجر الخريف من لباسهِ الورقي، ونضوب موارد الماء، وعقم بطن الدأماء، كل هذا ربما اعتبرتهُ تجرداً لحبك وتخلياً عن سواك أيها الكوكب الدرّي ..

أنت منذ كنتَ، ونحن منذ كنا ... أنت تنظر الى ما هو دونك نظرات ليس فيها من المعنى الاَّ انك ذو نظرٍ وتنظر (وقد لا يكون ذلك) ونحن على وفرة ما حول العيون من البهارج والجمال لا ننظر الاَّ الى ما فوق .. اليك أنت ننظر .. بكل المعاني وبملءِ ما يتسع مجال النظر. أيها السراج المشعل بغازٍ إلهي والعالق في لا شيءِ ..

الليل اذا كفر وتولى الصبَّ الضجر، وسئم المهجور موعد مبزغ النور، وافترشت جنبةُ التراب والتحفت بأم السحاب، وتحول من حركة الى سكون ومن فكرٍ الى عيون .. يقولون انك أنت السلوى بدون منّ، وانك ان لم تكنها اذاً فنّ ... أهو كذلك يا سمير العاشقين ...

القلوب مواطن الرحمة — قبل هذا الجيل — فهل لك بين ضلوعك أيها البدر ذاك العضو الأجوف الذي يسمونه قلباً ....

رشيد نخلة

﴿ السنة الاولى للزهور ﴾

في الادارة مجموعة « الزهور » للسنة الاولى مجلدة تجليداً متقناً . وثمنها خمسون غرشاً صاغاً ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج

في حدائق العرب

الوفاء

خرج النعمان بن المنذر يتصيد على فرسهِ اليحموم ، فاجراه على أثر حمار وحش ، فذهب بهِ الفرس في الارض ولم يقدر على رده . وانفرد عن أصحابه وأخذتهُ السماء بالمطر فطلب ملجأً يتقي بهِ حتى دُفع الى خباء واذا فيهِ رجل من طيّ يقال له حنظلة بن أبي عفراء ومعهُ امرأة له . فقال النعمان هل من مأوى — قال حنظلة : نعم . وخرج اليهِ وأنزله وهو لا يعرفهُ . ولم يكن للطائي غير شاة ، فقال لامرأتهِ : ارى رجلاً ذا هيئة وما أخلقهُ ان يكون شريفاً خطيراً فماذا نقريه ؟ — قالت : عندي شيء من الدقيق ، فاذبح الشاة وأنا اصنع الدقيق خبزاً . فقام الرجل الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها واتخذ من لحمها مضيرة ، فاطعمهُ وسقاه من لبنها ، واحتال له بشراب فسقاه . وبات النعمان عنده تلك الليلة . فلما أصبح ، لبس ثيابهُ وركب فرسهُ ثم قال : يا أخا طي أنا الملك النعمان فاطلب ثوابك — قال أفعل ان شاء الله . ثم لحقتهُ الخيل فمضى نحو الحيرة

ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابتهُ نكبة وساءت حاله فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسنَ اليك . فاقبل حتى انتهى الى الحيرة

وكان النعمان قد سكر في بعض الايام ولهُ نديمان يقال لاحدهما خالد ابن المضلّل وللآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فامر بقتلهما . ولما صحا سأل عنهما فأُخبر بخبرهما فحزن عليهما حزناً عظيماً لأنهُ كان يحبهما محبة شديدة

وأمر بدفنهما وبنى فوقهما بناءين طويلين يقال لهما الغَرِيَّان وجعل لنفسهُ كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم يجلس فيهما بين الغريين. فكان يكرم من وفد عليهِ في يوم النعيم ويقتل من وفد عليهِ في يوم البؤس . ولما وفد عليهِ حنظلة وافق وفده يوم البؤس . فلما نظر اليهِ النعمان ساءه وفوده في ذلك اليوم وقال لهُ: يا حنظلة هلاَّ أتيتَ في غير هذا اليوم ؟ — فقال أبيتَ اللعن لم يكن لي علم بما أنت فيهِ — فقال: لو سنح لي في هذا اليوم قابوس لم اجد بدًّا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتولٌ لا محالة — قال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي — فقال النعمان: لا سبيل الى غير ذلك — قال : ان كان لا بدَّ منهُ فاجِّلني حتى اعود الى أهلي فأوصي اليهم وأقضي ما عليَّ ثم أنصرف اليك — . قال : فأقم لك كفيلاً — قال ، فالتفت الطائي الى شريك بن عمرو بن قيس الشيباني وكان يكنى أبا الحوفزان وهو صاحب الردافة فقال :

يا شريكاً يا ابنَ عمرو　　هلْ من الموت محاله
يا أخا كل مصابٍ　　يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك الـ　　ـيوم عن شيخٍ كفاله
ابن شيبان كريم　　أنعم الرحمن باله

فابى شريك ان يكفله . فوثب اليهِ قراد بن أجدع الكلبي وقال للنعمان : أبيت اللعن عليَّ ضمانه . فرضي النعمان بذلك وأمر للطائي بخمس مائة ناقة . فانصرف الطائي وقد جعل الأجل حولاً كاملاً من ذلك اليوم الى مثله من القابل . فلما حال الحول وقد بقي من الأجل يوم واحد ، قال

النعمان لقراد : ما أراك الاّ هالكاً غداً فقال قراد :

فان يكُ صدرُ هذا اليوم ولّى فان غداً لناظرهِ قريبُ

فذهب قوله مثلاً . ولما أصبح النعمان ركب كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأمر بقتل قراد . فقال لهُ وزراؤه : ليس لك ان تقتله حتى يستوفي يومهُ . فتركه النعمان وهو يشتهي ان يقتله ليسلم الطائي . فلما كادت الشمس تغيب وقراد قائم مجرّد في ازارٍ على النطع والسياف الى جانبهِ رُفع له شخص من بعيد . وكان النعمان قد أمر بقتل قراد ، فقيل له : ليس لك ان تقتله حتى يتبين الشخص . فكفَّ عنهُ حتى دنا واذا هو الطائي . فلما نظر اليهِ النعمان ، قال : ما الذي جاء بك وقد أفلتَّ من القتل قال : الوفاء — قال : وما دعاك الى الوفاء ! — قال: ديني . — قال : وما دينك ؟ — قال : النصرانيــة . — قال : فاعرضها عليَّ . فعرضها ، فتنصر النعمان وأهل الحيرة جميعاً وكان قبل ذلك على دين العرب . وترك تلك السُنَّة من ذلك اليوم وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائي وقال : ما أدري ايكما اكرم واوفى . أهذا الذي نجا من السيف فعاد اليهِ أم هذا الذي ضمنهُ . وأنا لا اكون ألأمَ الثلاثة

وقد أخذ المرحوم الشيخ خليل اليازجي هذه الحادثة وبنى عليها روايةً تمثيلية شعرية عنوانها « المروءة والوفاء »

وألف في هذا الموضوع ايضاً حضرة الاديب ميشال افندي سرسق روايةً تمثيلية فرنسوية العبارة مثلت في باريس وبيروت منذ بضع سنوات وعنوانها

Le Serment d'un Arabe

خطاب

ألقتهُ الآنسة الاديبة هدى كيورك في « السوق الخيرية » التي أقيمت في المشغل النسائي الذي أنشأتهُ الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك :

نعم ان عطف القلب مجدٍ ونافعٌ ولكن عطف الكفّ بالبذل أنفع

سلامٌ على جمهور عطفَ قلباً وكفاً ، سلام على كرام دفعتهم حماسة الشرف ، وحرّكتهم رقة الانسانية الى مثل هذا الاجتماع ، سلام لوجوهٍ باسمة ، وتحية لنفوسٍ آنسة ، أتت تفتح ابواب المساعدة ، وتمهد سبل السعادة لأخواتٍ بائسات بتنَ زمناً طويلاً يقرعنَ أبواب ضمائرنا طالباتٍ رحمة واغاثة . فنعم الاجابة اجابتكم اياهنّ اليوم في هذا المجتمع الخيري ، نعم القلوب الرقيقة ، ونعم الأيادي الكريمة

سيداتي وسادتي ، قد احتفلنا في السنة الماضية بافتتاح المشغل الخيري وكنا نعلّل النفس بنجاحه واتساعه . ومع ذلك كنا نخشى ان تنتابهُ يد النسيان ، وتسدل عليهِ غشاءً كثيفاً ككثير من المشاريع التي تنشأ في الشرق بين الرياحين والأزهار ، ولا تلبث ان تختنق بين شوك التخاذل والتقصير

غير ان هذا المشروع قد نجا بعون الله وقد رأينا تلك الغرسة الضئيلة التي زرعت بالأمس شجرةً باسقة بفضل ما بذل في انمائها من الهمة الشماء والتفاني المتواصل . وان اجتماع هذا اليوم لبرهان ساطع على ما للطائفة من الميل لفعل الخير والبذل في سبيل الاحسان

نعم أيها السادة الأفاضل ، ان الطائفة على العموم قد ساعدت هذا المشروع بكل قواها . فراعيها الجليل ببركاته وارشاده ، وأغنياؤها ببذلهم

وسخائهم . وعقلاؤها بافكارهم وآرائهم ، وأعضاء جمعيتها الخيرية برقابتهم ونشاطهم وتذليلهم أشد الصعاب ليُسَيِّروا المشروع في الطريق القويم . هنا هي النهضة الحقيقية . وهذه هي الجمعيات الخيرية التي يقوم بها نجاح الامة وبمساعدتها اتمام فروض مقدسة

وقد اتقدت تلك الروح الحميدة في صدور السيدات بكل ما لها من الحماسة والاقدام ، وجعلت ذلك الجنس الضعيف جيشاً باسلاً يتغلب على الصعوبات ويقاوم كل معارض في سبيل الخير ، ويفتح الجيوب بكل ما لديه من أنواع الرقة والتأثير . فلذا رأيتم جمعيةً لأوانس متحليات برداء الطهر والفضيلة تبرز لنا من الاشغال اليدوية ما نعده كنوزاً ثمينة إذ حاكتهُ أيدي عذارى متقدات غيرة متفانيات حباً في سبيل منفعة البائسة وانتشالها من وهدة الفاقة . وقد اتفقت تلك القلوب الشفيقة وتعاضدت فتألفت جمعية خيرية قضت سنة كاملة في استخراج الفوائد والاشغال ، لتحيي هذه الحفلة في هذا اليوم ، وتدعونا للاشتراك فيهِ تنشيطاً لها ومساعدة

فنشطوا وساعدوا وافتحوا أيديكم الكريمة ، وجودوا على هؤلاء الاخوات موضوع جهاد الأنفس الابية ، جودوا بما يُطَيِّبُ عيشهنَّ لأهنئهنَّ بحضوركم وأناديهنَّ :

ثقنَ أيتها العزيزات واعلمنَ بانكنَّ أيدٍ عاملة ضمن دائرة الجمعية بل دائرة الرحمة بين آباء وأمهات واخوان واخوات جلَّ غايتهم صيانتكنَّ وضمان مستقبلكنَّ فافرحنَ اذاً وصفقنَ واصرخنَ معي : بشرى الايتام فقد صانتهم يدُ الاحسان . . . . !

هدى اسكندر كيورك

الفتاتان

« الشرقية والغربية »

ما السين وفيضانه ، والهواء الاصفر وسريانه ، وعبد الحميد وطغيانه ، بأهول مما ابتليت بهِ الفتاة الشرقية من الجهل المبين ، والحيف المشين

تعسة أنت أيتها الفتاة ! الكتّاب يسلقونك بألسنة حداد ودعاة الاصلاح ينظرون اليك ظلاماً ، أنت هي داء الشرق يقول أولائك ، وهؤلاء يصيحون أنت هي دواؤه ، بينا نرى زيداً ينادي بوأدكِ وعمرو يعمل على كيدكِ !

ذاكِ يقودكِ الى الامام الى فردوسك المفقود وسؤددكِ القديم ، الى مجدكِ ، الى نعيمك ، الى سمائك الخالدة وهذا يتبجح ويصرخ بملءْ فيه : مكانك تحمدي او تستريحي

تعسة انتِ ايتها الفتاة ! خيَّروكِ فخيَّروكِ فارقبي يوماً يحرجونك فيخرجونك ، يوم تصعقين بنيازك نهضتك عمد الضلالات ، وتقوضين بما أوتيت من الحكمة اسس التقاليد والعادات ، يوم تشقين بصولجان عظمتكِ سجوفاً حاكتها اكفُّ الجهالات في الاعصر المظلمات ، يوم تنعشين من صرعتك ، وتنشطين من عقالك ، يوم يأتي عليك حين من الدهر تنوئين فيه باعباء ثقال ، يوم تصمين اذنيك عن استماع المورطين في شبهات الجهل الضاربين في بهماء الغرور ! في ذلك اليوم : يوم تزلزل بكِ الارض زلزالها ويصير سافلها أعلاها ، يومَ تضجّ بكِ الدنيا من

اقصاها الى اقصاها ، قولي : ان التي تهزُّ السرير بيمينها تهزُّ العالم بيسراها

أيتها الفتاة ! أنت اماً أشقى منكِ فتاة . وما الذنب ذنبكِ لأنكِ نشأتِ كما أراد قيّمكِ وذووكِ ، وشاء أهلكِ وأبوكِ . تخذوكِ عانية فلم يتقوا الله فيكِ ، وحسبوكِ سائمة فباعوكِ بيع السماح فوق ما حمّلوكِ ، فيا حبذا لو خلّقوكِ بأخلاق غير أخلاقهم ، وعلموا انكِ خلقتِ لزمان غير زمانهم

ايتها الفتاة ! لو علمتِ خطورة مركزكِ وما يصير اليهِ أمركِ . يوم تضحين أماً ترضع أولادها لبان الغباوة وتنهلهم افاويق الشقاء ، لو علمتِ ذلك لرغبتِ عن الزواج وفضّلتِ حياتكِ فتاة حمقاء على ان تكوني أماً شعراء . اسمعي ما يقول هملت : الى الدير أيتها الفتاة الى الدير ، واذا اردتِ ان تتزوجي فتزوجي الموت . ان الموت ستار للعيوب

يستخفّ الشرقيون بوقر الامومة فيقدمون فتاتهم عليها غير هيابين ، فيستحدثون وقراً يبهظ كاهلهم ، يا ويل الشرق ممن عرمت نفوسهم وزاغت أبصارهم وكانوا الحوائل دون تهذيب الفتاة ورقيّ أمّ المستقبل

الجنة تحت أقدام الامهات — حكمة أدركها بنو الانسان إلاّ المشرقان ، يا ويحنا أنورد نفوسنا موارد المخاوف ومصادر المهالك ، والحيوانات العجماوات قد خصت في طبائعها بالميل عما فيهِ هلكتها وصرعتها ، وهي لاتفهم خطاباً ولا تحير جواباً ، انها لمصيبة تقصم الظهر وتسحق العظم

كلمات كالليمون الحلو حلوة في البداية مرة في النهاية . شلّت يميني

اذا كنت لا اجاهر بالحق ولو كان الحق يجرح احياناً ، أيظنُّ عاقل انهُ يمكن لهذا الشرق ان يستطفَّ على عالم العقل والحقيقة وان يتشرب روح التمدن القديم ما دام مقام المرأة غير متغير فيه ؟ او نبلغ الكمال التي تتوخاه الشعوب الراقية وتسدد نحوه الخطوات ما دامت نفوسنا صغيرة ؟ . .

ايتها المرأة ، ايتها الفتاة ، انتِ لم توجدي لتكوني في اقفاص ذهبية تخلب بجمالها وتسلب بقوامها ، ولا لتباعي كما يباع البلبل والببغاء . ولا لتشوه محاسنك وتمسخ مصوناتك ، انتِ لم توجدي لنسيب الناثر وتشبيب الشاعر ، ولا ليقول فيكِ صريع لحظكِ وقتيل طرفكِ :

قتولٌ بعينيها رمتك وانما　　　سهام الغواني القاتلات عيونها

ولا لتخدعي بقول القائل :

اذا قامت لحاجتها تثنَّت　　　كأنَّ عظامها من خيزران

ان هذه الأَخواطر يوحيها شيطان الشاعر على الخواطر ، والجمال كما تعلمين في عين الناظر

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال : « من هذه يا امير المؤمنين . » فقال : « هذه تحفة القلب » — فقال : « انبذها عنك ، فانهنَّ يلدنَ الاعداء ويقربنَ البعداء ويولدنَ الضغائن . » — قال . « لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرَّض المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الاخوان الأَ هنَّ » — فقال عمرو : « لقد حببتهنَّ اليَّ يا امير المؤمنين »

انتِ خلقتِ لغاية اسمى وغرض أجل وحياة ارقى وزمن يفهمك

وتفهمينه ويعرفك وتعرفينه !

ان هذا الزمان واريد بالزمان بنيه قد هضم حقك ، وغمط فضلكِ ، ونكث عهدكِ ، ولم يوفّكِ قسطكِ ، فلا تركني اليه ولا تعولي عليه بل اجعلي رائدكِ سوء الظن به ، ان سوء الظن من حسن الفطن

رحماكِ يا نفس الامين ، ولله ابوكَ يا جميل ، وسلام عليك يا وليّ الدين ، اذا كان للحق أنصارٌ فانتم انصاره واذا لم يكن للفتاة حماة فانتم حماتها وقادتها ، سيروا على بركة الله مسرا كم ولا تحفلوا بتنطع المتنطعين واستهتار المستهترين

أيتها الفتاة الشرقية ، لقد سبقتكِ اختكِ ربيبة الغرب لأنها يقظى وأنتِ في منام ، تجرين شوطاً فتسبقكِ باشواط ، ومن سبق في اول الميدان سبق في آخره . ولكن لا يهولنكِ هذا القول ولا يقعدنكِ عن السعي فيما يقيل عثرتكِ وينهض بكِ من كبوتكِ لأن ليس على المجتهد حرج ولا بد دون الشهد من إبر النحل

أنتِ اذا امتثلتِ بالسلحفاة التي أدركت شفعة الجبل قبل الأرنب الذي استخفّ بطئها وازدهى بسرعته (ولا أراكِ الا ممتثلة) فاني مبشركِ بنجاح باهر وفوز عظيم بحول الله

أتستهجنين ما أتتهُ شجاعة جان دارك وحصافة كاترين وحكمة فكتوريا وأنتِ القائلة

قيّدوني هوّلوني ضربوا موضع العفة مني بالعصا
كذب الاعجم لا يقربني ما معي بعض حشاشات الحيا

أتستغربين أمر المطالبات بحقوق الانتخاب ومنكِ الزباء والخنساء وفيكِ القائلة : النار ولا العار ، والحتف ولا الاقامة على الخسف . . .

في مجلس نواب أسوج سيدة تنوب عن جم غفير وعدد كثير من بني بجدتها وهي تعمل مع الرجل جنباً الى جنب وسرعان ما يجري على أثرها آرام التاميز وغزلان السين

فالى الامام يا ابنة قحطان ، والى العلا يا ابنة عثمان ، حلّقي في سماء هذا الوجود وانعمي نظركِ في جناية يدكِ يتبدّ لعينيكِ البون بين الفتاتين كما يتبدى الصبح لذي عينين ، ارسلي من كنانة لحظيكِ سهماً يبقر بطن الجهل ، واحملي عليهِ بما اوتيتِ من قوة الاسود وعظمة الآلهة حملة ترقص لها عجائز وائل وحينئذٍ قولي :

واني وان كنت الاخيرة عصرها　　　سآتي بما لم تأتِ قبلي الأوائل

بيت جالا (فلسطين)　　　　اسكندر الخوري البيتجالي

حول تمدن المرأة العصرية

١

تابعتُ بمزيد الشغف المناقشة التي دارت على صفحات هذه المجلة الزاهرة بين هدى وأدما ونزول « حسون » الى ميدان الجدل . وسرّني كثيراً طرق هذا الموضوع العمراني الجليل لما فيهِ من الفائدة العائدة على الجنسين ولو كابر الرجال وادّعوا انهم بغنى عن الاصلاح لادراكهم آخر درجات الكمال . أكبرتُ الشجاعة الأدبيـة التي أبدتها هدى في نقد

اخواتها ، وأعجبتني الحمية التي أظهرتها ادما في الانتصار لهنَّ ، وقلت ان كلاهما ترمي الى الاصلاح وان اختلفت الطريق . وسرّني في بداية الأمر إقدام «حسون» وان كانت ساءتني فيما بعد مغالطاته وانتقاله من العموميات الى الخصوصيات . وانّ في سكوت هدى وإحجامها عن الردّ لأكبر دليل على موافقتها لي فيما أقول

يطول بي المجال لو اردت تفنيد مزاعم حسون . وأنا اسلّم معهُ أن « في النظريات الصرفة بعض الصعوبة » فليسمح لي أيضاً ان اكتفي بايراد حكايتي مع زوجي — كما أورد لنا حكايته مع زوجتهِ ، وهو — كما يقول — بحثٌ واقعي ، لا يحتاج الى فلسفة ، وليقل لي اذا لم تكن حكايتي هي حكاية معظم الفتيات مع الفتيان « يا طير والأمثال تُضرب للبيب الامثلِ .. »

لما كنت فتاة عزباء — وقد مضى على ذلك زمن ليس باليسير — كنت أحسبني لا أتزوج ابداً لأسباب يطول ذكرها — أهمها خوفي من « شبان العصر » وما آلت اليهِ حالهم وأميالهم

زارنا في احد الأيام شابٌ فأعجب والدي ما ظهر عليهِ من الرزانة والرصانة . وأكثر الترداد الى بيتنا وهو دائماً بمظهر الكمال والسكينة . فكان اذا دعوناه الى الطعام وقدّمنا له كأساً من المقبّلات التي تؤخذ قبل الأكل ، تمنع واظهر كرهه لكل ما يشتمّ منهُ رائحة المسكر . واذا قضى عندنا سهرته وعرضنا عليهِ ان يشاركنا في احدى تلك اللعبات البسيطة التي تتداولها العائلات وليس فيها ما يؤاخذ عليهِ ، رفض لميله مبدئياً عن

كل ما يشبه الميسر والمقامرة . هذا وأهلي يزيدون اعجاباً بهِ ، وانتهى الأمر بان فاتحهم بميله الى فتاتهم ورغبتهِ في الاقتران بها . فاجابوه بطيبة خاطر واكد انهُ لا يريد شيئاً من دوطتي (او مَهري) بل ان هذا المال يبقى لي ولمن نُرزق من الأولاد . وكان نصيبٌ ، وكان اقتران . وكان شهرُ عسلٍ وانقضى، ويا ليتهُ ما ابتدا . . . .

أعددتُ الطعام في احدى الليالي وبت منتظرةً قدوم شريك الحياة الساعة والساعتين ، الى ان سمعتُ كرَّة عربةٍ فاسرعتُ الى فتح الباب وقابلت الزوج بالابتسامة المعتادة ، فقابلني بوجه عبوس، فقلت : أشغلتَ بالي أيها العزيز بتاخيرك غير المعتاد .

فأجاب ببرودة :

— لا لزوم الى انشغال البال ، فان هذا التأخير من عاداتي حيث اكون في «الكلوب» مع أصحابي . . . .

ولم ألبث ان رأيتُ العادة راسخة . لأنني كنتُ أقضي معظم الليل وحيدة وهو بين السركل والكلوب والنادي ، ولا يعرف باب البيت الاَّ عند بزوغ الفجر . وكان في بداية الأمر يدَّعي انهُ مضطرٌ الى ارتياد هذه المحلات لمقابلة أناس ذوي شأن تهمهُ مقابلتهم . ثمَّ لم يعد يرى ما ما يدعو الى التستر فكان يجاهر بانشغاله عني بالبوكر والبريدج والبكارا

— ولكنك ، وأنت خطيبي ، كنت تكره حتى اللعبات العائلية فما حملك الآن . . ؟

— انا اكره ما أريد وأُحب ما أريد ، فليس هذا من شأنكِ

فسكتُّ وقيدتُ الأولى ....

هذا وهو يتمادى في هـذه العيشة الطائشة ولا يترك طاولة اللعب إلاَّ لطاولة الشرب فيجيئني وقد تخدَّر دماغه ، وتشنجت أعصابهُ من الوسكي المعززة بالكونياك المدعوم بالابسنت

— عهدتك تكره كل ما يشتم منهُ رائحة المسكر فما ....

— اكره وأحب على ذوقي . وأنتِ تعرفين طريق بيت أبيكِ ...

فسكتُّ وفي القلب غصة ، وفي العين دمعة وقلت : قيدنا الثانية لا أحب اطالة الحديث لأن هذه الذكرى تؤلمني

أخذ يعرض عني تماماً لميله عن بساطة الزوجة الى تبرُّج الغانيات ، أنهكه السهر ، وهدّ قواه الكحول ، فاهمل شغله وصار يقضي نهاره بالراحة وليله بالملذات ، فمدَّ يده الى دوطتي ثمَّ الى مصاغي ، فذهب كل شيء على طاولتَي اللعب والشرب ، وأنا صابرة خشية العار والفضيحة

قصتي هي قصة معظم الزوجات حتى أصبح الإسهاب فيها من باب الابتذال فاكتفي بما تقدم

حكاية بحكاية يا حسون فعساك ان تعرض بعد الآن عن سرد الحكايات ، والأخرجت من هذا الموضوع منتوف الريش مهشم الجناح .. غرِّدْ ما شئتَ وزقزقْ ما أردت ، فقد تحسنُ التغريدَ والزقزقة ، ولكن دعْ عنك محاولة درس قلب النساء ، فقلب النساء لا يعرفهُ الاَّ من كوَّنه ، وهو وحده يعلم ما يقاسي هذا القلب من الظلم والعذاب		سلمى

٢

وجاءنا ايضاً ردٌّ من سيدة فاضلة جمعت بين أنفة البدويات ولطف الحضريات اذ قضت شطراً من صباها في قبائل العرب الرحَّل بين الجياد والرماح ، ثم انتقلت الى منازل الحضر تزيّن مجتمعاتهم بظرفها وادبها . فأكرمْ بسيدة تهزُّ في آن واحد السيف والقلم ، وكلاهما في يدها ماضٍ قاطع . واليك ما كتبتهُ :

قرأتُ مقالة حسون افندي للمدرجة في الجزء الثاني من « الزهور » ردًّا على مقالة الآنسة ادما فعنَّ لي ان اكتب كلمةً في الموضوع وان كنتُ أُفضِّل حمل المغزل على حمل اليراع

لا أنكر ما في مقالة حسون من خفة الروح ، ويعجبني ما يحتاط به لنفسه قبل طرق موضوعه من المقدمات والملاحظات . وجرياً على ذلك اطلب اليه ان لا تأخذه الحدة مما سأقول لاني أميلُ الى بعض الخشونة الطبيعية مني الى الرقة المصطنعة والمجاملات المصطلح عليها . وعليهِ فأؤكد له انهُ لا يرى ابرَّ مني في نصحهِ ولا اخلصَ في ردعهِ

حكايتك مع زوجتك مدهشة لعمر الحق . وانا اشكُّ كثيراً في انك متزوّجٌ حقيقة ، لانهُ لو كان كذلك لما وصفت المرأة بما وصفتها بهِ اذ جرّدتها عن كل ما يسمى « قلباً » . ولكن اسلّم معك جدلاً ان حكايتك واقعية وانها حقيقية كما رويتَ ووصفت . فاقول حينئذٍ ان هذا لا يفيد موضوعك شيئاً ولا يكسبك برهاناً يعوَّل عليهِ . لاننا نكاد لا نجد امرأةً واحدة في الالف تُشابه امرأتك هذه الغريبة الاطوار . ثمَّ اننا نرى من جهة ثانية ان كل الذنب عليك لانهُ كان بامكانك مدة

خطبتك لها ان تحقق من اميالها واخلاقها . ذكرتَ إعراضها عن العربية لغة قومك وكان يسعك ان تعرف ذلك قبل الزواج من حديثك لها ومكاتبتك اياها . آخذتها بشغفها بالازياء ، وهذا امرٌ كان من السهل ايضاً الاطلاع عليهِ من ملابس خطيبتك وطريقة تزيها . أوردت تمنينها لك بالمولود ، وهذا يدلُّ على سخافةٍ في عقلها كان بوسعك ان تعرفها من جلسة واحدة فضلاً عن معاشرتك لها — كما تقول — وأنت خطيبها . وهكذا قلْ عن سائر ما اوردت من المآخذ والمغامز . فلا لوم اذن الاَّ على نفسك . وهب ان « عين الحب عمياء » وانك غفلتَ عن أمورٍ كان يجب ان لا تغفل عنها ، فان أمثال من وصفت من النساء كثيرٌ بين الرجال . فاذا كانت المرأة عادةً تخصم ٣٠ في المئة من عمرها فكم يخصم الرجل الذي يخضب شعره لتسويد شيبتهِ ؟

قبيح بكم معشر الرجال ان تحملوا هكذا حملة على النساء . والمرأة اول ما وقع عليهِ نظركم في هذا العالم وهي التي أرضعتكم وسهرت عليكم الليالي الطوال وهزَّت مهدكم وصانتكم بحنانها وبلَّغتكم ما بلغتم من الرقي . وأنتم تسومونها عذاباً أماً واختاً وزوجة

وعلى كلٍّ فان امرأتك يا حسون درّة ثمينة وكل ما عددتهُ لها من الذنوب لا يُذكر ، لأنك شهّرت بها وهتكتَ حرمتها وهي لا تزال بك مغتبطة وعنك راضية

سردتَ لنا حكايتك معها ولو أتيح لها ان تقص لنا حكايتها معك لسمعنا مثل شكواك واكثر — على ما أظن — وانا اعتذر بما ألفتهُ من

حرية البدو لأقول : ان امرأة سيادتكم قبلت النصح ورضيت الاصلاح ولكن سيادتكم الله أعلم اذا كان ..... هند الربّانه

(الزهور) نرى ان المتناقشين على ما في مناقشتهم من اللذة والظُرف قد خرجوا كثيراً عن دائرة البحث الاول ، ويا حبذا لو حصروا مناقشتهم في نقطة معينة ، لأن الموضوع واسعٌ متشعب الأطراف يصعب استيعابه اذا لم يتم البحث في كل فرعٍ على حدة

في جنائن الغرب

✻ الحب المكتوم ✻

كثيرون هم الشعراء والكتّاب الذين أحبوا وتغنوا في شعرهم بذكر الحبيب ولم يبوحوا قط باسمه محافظة على كرامته او لغير ذلك من الاسباب . ومنهم من لم يدع الحبيب نفسه يدري بعاطفة المحب ومثل هؤلاء العشاق يعشقون بحواس الروح لا بحواس الجسد وقليل ما هم . نروي اليوم من هذا القبيل قصة الشاعر الفرنسوي فليكس ارفر F. Arvers (١٨٠٦ — ١٨٥٠) فانهُ أحبَّ امرأة مدة حياته كلها وتيّمه هواها وهي تجهل ذلك تمام الجهل لان مروئته أبت عليهِ ان يكاشفها بهواه وهي غير مطلقة الحرية ، لئلا تخون واجب الامانة المطلوبة منها لغيره . وقد نظم في هذا الموضوع قصيدة جميلة أحببنا ان نعربها لقرّائنا بالنظر الى شهرتها في الآداب الفرنسوية . وقد تكاثرت الاقوال والظنون لمعرفة تلك التي سلبت فؤاد الشاعر دون ان تدري فمنهم من توهمها مدام فيكتور هوغو ومنهم من تصوّر غيرها ولكن الشاعر لم يبح أبداً بهذا السرّ ويقول ان الحبيبة ذاتها ستقرأ أبياته ولا تدري من يعني . وهذا هو تعريب الابيات :

في نفسي سرٌّ محفوظ ، وفي حياتي حادثٌ مكتوم : هو غرامٌ ابدي تولَّد في لحظةٍ من الزمن . ولما كان لا دواء لهذا الداء اضطررتُ الى كتمانه ، وتلك التي سببتهُ لم تدرِ بهِ قط

واهاً عليَّ : أمرٌ بالقرب منها دون ان تنظر اليَّ . فانا دائماً معها ، ودائماً وحدي . وسأقطع مفاوز حياتي حتى النهاية وأنا لم أُعطَ شيئاً ولم أتجرأ على طلب شيء

أما هي — وان كان الله قد خلقها رقيقة الشعور شفيقة القلب — فستسير في طريقها غير مبالية ولا سامعة حفيف الحبّ الذي يرافق خطواتها

وهكذا ، وهي في أمانتها التامة على الواجب ، ستقول عند ما تقرأ هذه الأبيات المملوءة بذكرها « من هي تلك المرأة . . . ؟ » تقول ذلك ولا تدري من هي . . . !

في رياض الشعر

يا موت

يا موتُ خذ ما أبقت الـ　　أيامُ والساعاتُ مني
بيني وبينك خطوةٌ　　ان تخطُها فرَّجتَ عني

اسماعيل صبري

على قبري

أقولُ لهم في ساعة الدفنِ خففوا　　عليَّ ولا تلقوا الصخور على قبري

ألم يكفِ همٌّ في الحياة حملتهُ فاحملَ بعد الموت صخراً على صخرِ

محمد شوقي

خيبة الأمل

وخيّب آمالي وقوفك دونها وأنك عند الظالمين مكينُ
يسرُّك أني نائم الجدّ عاثرٌ ويُرضيك أني للخطوبِ ألينُ
ليهنِك ما بي من أسى وخصاصةٍ وتقليبي الكفينِ حيث اكونُ

حافظ ابراهيم

المراسلات السامية

ضاق العدد الماضي عن متابعة نشر المراسلات التي دارت بين المرحوم محمود باشا سامي البارودي والامير شكيب ارسلان :

كتب محمود سامي الى الامير من جزيرة سيلان :

ردي التحية يا مهاة الاجرعِ وصِلي بحبلكِ حبلَ من لم يقطعِ
وترفقي بمتيم علقت بهِ نار الصبابة فهو ذاكي الاضلع
طرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى شوقاً اليك مع البروق اللمع
لا يستنيم الى العزاء ولا يرى حقاً لصبوتهِ اذا لم يجزع
ضمنت جوانحه اليك رسالة عنوانها في الخد حمر الادمع
فتيّ يبوح بما أجن ضميره ان كنت عنهُ بنجوةٍ لم تسمع
أصبحت بعدك في دياجر غربة ما للصباح بليلها من مطلع
لا يهتدي فيها لرحلي طارق الاّ بأنة قلبي المتوجع

أرعى الكواكب في السماء كأن لي … عند النجوم رهينةً لم تدفع
زهرٌ تألق في السماء كأنها … حببٌ تردّد في غديرٍ مترع
وكأنها حول المجرّ حمائم … بيضٌ عكفنَ على جوانب مشرع
وترى الثريا في السماء كأنها … حلقات قرطٍ بالجمان مرصّع
بيضاء ناصعة كبيض نعامة … في جوف ادحيّ بأرضٍ بلقع
وكأنها أكر توقد نورها … بالكهرباءة في سماوة مصنع
والليل مرهوب الحمية قائمٌ … في مسحهِ كالراهب المتلفع
متوشح بالنيّرات كباسلٍ … من نسل حامٍ باللجين مدّرع
حسب النجوم تخلفت عن أمره … فومى لهنّ من الهلال باصبع
ما زلت أرقب فجره حتى انجلى … عن مثل شادخة الكميت الاتلع
وترنحت فوق الأراك حمامة … تصف الهوى بلسان صب مولع
تدعو الهديل وما رأتهُ وتلك من … شيم الحمائم بدعةٌ لم تسمع
زيّنا المسالك حيث أمت صادفت … ما تشتهي من مجثم او مرتع
فاذا علت سكنت مظلة ايكة … واذا هوت وردت قرارة منبع
أملت عليّ قصيدة فجعلتها … لشكيب تحفة صادقٍ لم يدّع
هي من أهازيج الحمام وانما … ضمّنتها مدح الهمام الاروع
هو ذلك الشهم الذي بلغت بهِ … مشكاته حد السماك الارفع
نبراس داجيةٍ وعقلة شاردٍ … وخطيب أنديةٍ وفارس مجمع
صدق البيان اعض جرول باسمهِ … وثنى جريراً بالجرير الاطوع
لم يتخذ بدر المقنع آية … بل جاء خاطره بآية يوشع

احيي رميم الشعر بعـد همودهِ ... وأعاد للأيام عصر الاصمعي
كلمٌ لها في السمع أطرب نغمةٍ ... وبحجرة الاسرار احسن موقع
كالزهر خامره النـدى فتأرجت ... أنفاسـه بالعنبر المتضوع
يعنو لها الخصم الألد ويغتـذي ... بلبانها ذهن الخطيب المصقع
هي نجعة الأدب التي من أمهـا ... ألقى مراسيه بوادٍ ممرع
ملكت هوى نفسي وأحيت خاطري ... وروت صدى قلبي ولذت مسمعي
فاسلم شكيب ولا برحت بنعمة ... تحنو اليك بأيكها المتفرع
فلأنت أجدر بالثنـاء لمنـةٍ ... أوليتها والبرّ أفضل ما رُعي
أرهفت حدي فهو غير مفلـل ... ورعيت عهدي فهو غير مضيّع
وبثقت لي من فيض بحرك جدولاً ... غمر البحار بسيله المتدفع
عذبت موارده فلو ألقت بهِ ... هيم السحاب دلاءهـا لم تقلع
وزهت فرائده فصارت غرةً ... لجبين كل متوج ومقنع
هو ذلك النظم الذي شهدت له ... اهل البراعـة بالمقال المبدع
أبصرت منـهُ أخا أيادٍ خاطباً ... وسمعت عنترة الفوارس يدّعي
وحلمت اني في خمـائل جنـةٍ ... ومن العجائب حالمٌ لم يهجع
فضل رفعت بهِ منار كرامة ... صرف العيون عن المنار لتبع
فتى أقوم بشكر ما أوليتني ... والنجم أقرب غايةً من منزعي
فاعـذر اذا قصر الثنـاء فانني ... رزت المقال فلم أجـد من مقنع
لا زلت ترفل في وشاء سعادة ... وحبير عافيـةٍ وعيشٍ أمرع

(وفي العدد القادم جواب الامير)

﴿ يا أيها الريح ﴾

تمرُّ آناً مترنحاً فرحاً ، وآونة متأوهاً نادباً ، فنسمعك ولا نشاهدك ، ونشعر بك ولا نراك . فكأنك بحرٌ من الحب يغمرُ ارواحنا ولا يغرقها ، ويتلاعب بافئدتنا وهي ساكنة .

تتصاعد مع الروابي وتنخفض مع الاودية وتنبسط مع السهول والمروج . ففي تصاعدك عزم ، وفي انخفاضك رقة ، وفي انبساطك رشاقة . فكانك مليكٌ رؤوفٌ يتساهل مع الضعفاء الساقطين ويترفع مع الاقوياء المتشامخين

في الخريف تنوح في الاودية فتبكي لنواحك الاشجار ، وفي الشتاء تثور بشدة فتثور معك الطبيعة باسرها ، وفي الربيع تعتلُّ وتضعف ، ولضعفك تستفيق الحقول ، وفي الصيف تتوارى وراء تقلب السكون فنخالك ميتاً قتلته سهام الشمس ثم كفنته بحرارتها

لكن — أنادباً كنت ايام الخريف ام ضاحكاً من خجل الاشجار بعد ان عرّيتها من ملابسها ؟ أغاضباً كنت ايام الشتاء ام راقصاً حول قبور الليالي المكلسة بالثلوج ؟ أعليلاً كنت ايام الربيع ام محباً أضناه البعاد فجاء يصعّد بالتنهيد أنفاسه على وجه حبيبته الطبيعة لينبهها من رقادها ؟ أميتاً كنت ايام الصيف ام هاجعاً في قلوب الاثمار وبين جفنات الكروم وعلى بيادر القش ؟

أنت تحمل من أزقة المدينة انفاس العلل ، ومن الروابي ارواح

الزهور . وهكذا تفعل النفوس الكبيرة التي تحتمل اوجاع الحياة بسكينة ، وبسكينة تلتقي بافراحها

انت تهمس في اذن الوردة اسراراً غريبة تفهم مفادها فتضطرب تارة ، وطوراً تبتسم وهكذا تفعل الآلهة بارواح البشر

أنت تبطىء هنا وتتسارع هناك وتتراكض هنالك ، ولكنك لا تقف قط . وهكذا تفعل فكرة الانسان التي تحيا بالحركة وتموت بالسبات

انت تكتب على وجه البحيرة أشعاراً ثم تمحوها ، وشكذا يفعل الشعراء المترددون

من الجنوب تجيء حارًّا كالمحبة ، ومن الشمال تأتي بارداً كالموت ، ومن المشرق لطيفاً كملامس الارواح ، ومن المغرب تتدفق شديداً كالبغضاء . أمتقلبٌ انت كالدهر ، أم انت رسول الجهات تبلغ الينا ما تأتمنك عليهِ ؟

تمرُّ غضوباً في الصحاري فتدوس القوافل بقساوة ثم تلحدها بلحف الرمال . فهل انت انت ذلك السيال الخفي المتموّج مع اشعة الفجر بين اوراق الغصون ، المنسل كالاحلام في منعطفات الاودية حيث تمايل الزهور شغفاً بك وتتخاصر الاعشاب سكراً من انفاسك ؟

تثور ظلوماً في البحار فتحرك ساكن اعماقها ، حتى اذا ازبدت حنقاً عليك فتحت فاها لجةً ولقمتها من السفن والارواح لقماً مرّة . فهل انت انت ذلك المحب المتلاعب حنواً بغدائر الاطفال المتراكضين حول المنازل ؟

الى اين تتسارع بارواحنا وتنهداتنا وانفاسنا ؟ الى اين تحمل رسوم

ابتساماتنا وماذا تفعل بشملات قلوبنا المتطايرة ! هل تذهب بها الى ما وراء الشفق — الى ما وراء هذه الحياة . أم تجرُّها فريسة الى المغائر البعيدة والكهوف المخيفة ، وهناك تقذفها يميناً وشمالاً حتى تضمحل وتختفي ؟

في سكينة الليل تبيح لك القلوب اسرارهـا . وعند الفجر تحلك العيون اهتزازات اجفانهـا . فهل انت ذاكر ما شعرت بهِ القلوب وما رأتهُ العيون !

بين جنحيك يستودع الفقيرُ صدى انسحاقه ، واليتيم حرقتـه ، والحزينة تأوهاتهـا ، وطي أثوابك يضع الغريب حنينه والمتروك لهفته والساقطة عويل نفسها . فهل انت حافظ لهؤلاء الصغار ودائعهم . أم انت كهذه الارض لا نودعها شيئاً الاَّ تحوله الى جسمها ؟

أسامع انت هذا النداء وهذا العويل ، وهذا الضجيج وهذا البكاء ، أم انت كالاقوياء من البشر تمتدُّ اليهم الاكف فلا يلتفتون وتتصاعـد نحوهم الاصوات فلا يسمعون ؟

أسامعٌ انت يا حياة للسامع ؟　　　　جبران خليل جبران

عناصر الجنس المصري

كلها من جنس واحد

يصدر هذا العدد من « الزهور » والمؤتمر المصري لا يزال منعقداً في مصر الجديدة يتباحث اعضاؤه في شؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية ويضيق نطاق هذه المجلة عن ايراد كل ما جرى وقيل في هذا المجتمع الكبير، كما ان ذلك خارج

عن موضوعها . ولذلك نقتصر على تلخيص خطبة جميلة لسعادة العالم الدكتور اباته باشا في وحدة العناصر المكونة للجنس المصري قال :

أيتها الأمة المصرية ، أحييكِ بكل اجلال وأكبركِ بكل احترام . هل تسمحين بالخطابة لشيخ غريب عنكِ هو ايطالي مولداً وقلباً ، الا انهُ أقام اكثر من نصف قرن في بلدكِ الكريم تحت هذا السماء الجميل ، فاصبحت مصر وطناً ثانياً له وأصبح هو من ابنائك تجمعه بكِ صلة دائمة رابطتها الاخلاص .

قد خدمت هذا البلد بكل أمانة وفي خدمتي الطويلة رأيت كثيراً وفكرت كثيراً وحق عليَّ اليوم ان أجهر بكل اخلاص باعتقادي ، أجهر به مستريح الضمير غيرَ مدفوعٍ بمصلحة شخصية اليهِ ، وأملي انكم بعد أن تسمعوا هذا الاعتقاد من فم رجل على باب الثمانين لا يزال في قوتهِ تتقبلونه منهُ بقبول حسن ، عسى ان يكون قوله نافعاً لكرامة الأمة ولإخاء ابنائها

واني اذا اشتركتُ قليلاً في عمل اليوم بخطابي هذا ، الاَّ اني أطلب اولاً ان يُزال كل سبيلٍ لسوء التفاهم . ولذلك يجب علينا ان نسعى أولاً في الاتفاق على معنى « المؤتمر المصري » واني على ثقة تامة باني أعرب عما في نفوسكم اذا قلتُ ان معنى « المؤتمر المصري » هو في عرفكم كما هو في عرفي ذلك المعنى الدقيق الذي هو أوسع واكرم معنى . فاذا قلنا مؤتمراً مصرياً فقد قلنا مؤتمراً قومياً اجتماعياً لكل المصريين الذين هم ابناء أصل واحد لأنهُ اذا قيل في أي بلد آخر من بلاد العالم ، انكليزي ، ألماني ، فرنساوي ، ايطالي ، روسي او تركي ، فالاسم مطلق على ابناء الامة بلا

تميز بين الدين او العقيدة

أما وقد ثبت ذلك ، فسأبرهن لكم بسرعة على أصل هـذه الأمة وأقيم الحجة على انكم من عنصر واحد

ان جلّ مطمعي ان لا آتي بشيء جديد او غريب ، وان لا اعطيكم الاّ ما هو ملكٌ لكم . لأني اود ان اكونَ الصوت المعبّر عما يدور بخلدكم وان اعبّر عما في ضميركم اذا بحت لكم بما في ضميري . ولكنني سأتكلم عن اشياء قلّ من يعرفها واني اعتمد على عنايتكم حتى يسهل عليّ اداء مأموريتي ...

كل شيء له علاقة بالعصور التي سبقت التاريخ المعروف لنا فهو قائم على الفروض ، ولا بد لنا اذاً من الاكتفاء بالقاء نظرة سريعة على الامم الاولى التي كانت في مصر . فمن هـذه العصور الخالية الى عائلة منيس يجب علينا ان نعتبر سكان مصر الاولين انهم الابناء الاصليون لهذا البلد . في العصور الاولى جاء جماعةٌ من اهل البادية المقيمين على ضفاف البحر الاحمر واجتازوا الصحراء (صحراء العرب الآن) بينما اخترق صحراء ليبيا جماعةٌ من بدو الشمال واقاموا في البلاد الواقعة تحت الشلال الاول حيث كان طمي النيل قد كوّن وادي النهر وقد تكاثر هذا الطمي حتى كوّن الدلتا الى البحر الابيض المتوسط

وبينما الساميون الذين جاؤا من اسيا والليبيون الذين جاؤا من شمال افريقيا يجتمعون جماعاتٍ وفرقاً كان الاتيبيون الذين جاؤا من الجنوب قد نزلوا الى بلاد النوبة وادخلوا فيها الجنس الاسود الذي لا يزال قائماً بها الى الآن

من هذه الاجتماعات الاولى تكوّنت العائلات الفرعونية الاولى — لما انتشر طمي النيل في واديه أخصبت طبقات الارض الاولى هـذا الطمي القائم المسمى (كم) ومن ذلك سمي السكان الاولون للبلد « تو — كم » وقد بقي هذا الاسم علماً على البلد زمناً طويلاً

وفي ذلك الحين رأى الفراعنة ان من الضروري لهم جداً ان يتخذوا اقليم كوبتوس مبدءًا لغزواتهم لاقاليم سينا الجبلية وان يجلبوا منها (المافك) النحاس ثم دعتهم الحاجة الماسة لجلب الذخيرة الى فرع النيل الايمن . ولما كانت صحراء العرب هي اقرب الطرق الى البحر الاحمر فقد اصبحت اسهل واعمر النقط التي يرحل اليها سكان الجزء الأعلى الاقدمون وبذلك صارت مدينة كوبتوس مورداً للتجارة ومركزاً للمواصلات بين القصير والبحر الاحمر والصومال

وقد لاحظ ذلك المقدونيون عند غزوهم مصر ، فغيّروا اسم كمي باسم اجيبت الذي نسخوه من اسم مدينة كوبتوس التي كانت ترحل منهـا القوافل لانهـا كانت مركز التجارة . فكوبت او كيبت كانت عاصمة اقليم كان يحرسه اله اسمه « خيم » واصلها مشتق من اسم البلد القديم (كم) الذي يؤيده اللون الاسود . واليونانيون اضافوا لهذه الكلمة حسب عادتهم حرفاً يضعونه في اول الكلمات (ابثيلون) وبذلك كوّنوا كلمة اجيبت

مصر العليا التي دعيت بهذا الاسم الجديد كان يُرمز اليها بباقةٍ من زهر اللوطس ، بينما كان الوجه البحري يُرمز اليه بورقة بردى لانهُ كان يوجد بكثرة زائدة في مستنقعاتها

ومن ذلك الوقت وللاسباب التي قدّمناها ، صارت كلمة مصري تطلق على الامة باسرها الارض والسكان القائمين عليها لا دخل للدين ولا للطبقات في ذلك مطلقاً ، ولا يوجد في العالم الاّ الاسرائيليون الذين يطلق عليهم كلمة يهود كأن دينهم علامة على امتهم لانهم لا يزالون منتشرين في العالم يسعون في تكوين مملكة « صهيون »

فمن قال مصري، فقد قال اهل البلد الذين أطلق عليها الاسم والذين كوّنوا الأمة المصرية وذلك بالرغم عن ديانات الفراعنة او المسيحيين او المسلمين في ما بعد . فالمصريون هم المصريون فكل مصري قديم بدل عقيدته بالعقيـدة الجديدة لا يزال مصرياً لأن الدين خاص بالشخص او بالجماعة ولا دخل له في سلطة الأمة التي هي كلٌّ لا يقبل التجزئة ، وكلٌّ منا يعاشر أشخاصاً لا يعرف عقائدهم وكلمة كافور المأثورة « كنيسة حرة في أمة حرة » لا تزال أثراً كبيراً للحاضر والمستقبل بالنسبة للأمم . . .

أيها المصريون أذكركم انهُ يجب ان تحدوا كلمة واحدة وان تجمعكم اخوّة واحـدة مسيحيين كنتم او أقباطاً او مسلمين فالقوة في الاتحاد فليست الغاية نصرة المنـاقشات الدينية لأن الدين لا دخل له في الشؤون الوطنية

مراعاة الحق العام والآداب الخاصة هي جزء من الوطنية والوطنية تشمل الجميع ولا شيء يخرج الناس من الأوهام القديمة ويريحهم منها الاّ الذكاء . وما دمتم أيها المصريون عائشين في علاقات مستحكمة ، أفلا يكون بعضكم محتاجاً للبعض ! ان هـذا الارتباط من لوازم الحياة ومن

طبيعة الأشياء ومن مقومات الوطنيـة ، ان ضعف ضعفت وان قوي قويت فوجب ان تكونوا أيها المتواطنون اخواناً

يجب ان يكون بروغرام وحدتكم وعملكم المشترك مؤسساً على هذه القاعدة « حرية الأشخاص في عقائدهم غاية . والتربيـة والرقي الأدبي واسطة » . فالسلام على أقوياء العزيمـة من الرجال الذين يسعون الى الوحدة لا من طريق الدين ولكن من طريق احترام عقيدة الفرد

انهُ اذا أراد أحد الكلام عن اي واحد من المصريين يعبر عنه بكلمة قبطي او مصري . خطأ كبير ، خطأ تاريخي ، خطأ أدبي ، خطأ وقع فيهِ كل الكتّاب بلا تفكر ولا روية لانهُ بذلك قد أضلوا الحق احياناً

لا بد ان تضيء الافكار الجديدة في كل مكان ، ولا بد ان يسود الفكر الجديد في وادي النيل السعيـد ، ولا بد ان تقول جميعاً بصوت واحد تهتز له أركان المسكونة « انما المصريون متساوون ، انما المصريون اخوة » ان امتيازات الطبقات تزول ولكن الامة لا تبيد ابداً ، ففي خلط العناصر والمساواة بينها ايجاد روح واحدة للامة

فيا أيها المصريون اذا كانت العقائد قد فرّقت بينكم فلتقرب الافكار وتجمعكم . كونوا خير خلف لاكبر سلف فان آباءكم كانوا أهل مجد كبير

يلزمنا ان نكرر القول بان عقائد الفاتحين لمصر لا دخل لهـا في أصل أهلها المتناسق

الأمة ليست خليطاً وليست هي كوم من الرماد تذروه الريح وتبعثره ، ولكنها جسم حي كبير تجمعه روح واحدة مكونة من ارادات

مجتمعة ومن افكار مشتركة ويجب ان تكون تربية الأمة قائمة على المحافظة على هذه الروح

من المحتم ان يتعلم الابناء في المدارس العليا والدنيا حب مصر وتاريخها ، وان يشبوا وهم يعتقدون ان مصر هي المصريون ، هي كل واحد ، هي كلكم جميعاً . لا يشوب هـذا التعليم شائبة من اموركم الخصوصية وأحوالكم الدينية . فالمصري القديم لا يزال باقياً على أصله واكبر برهان على ذلك أهل القرى الذين نراهم محافظين على صورة آبائهم الاولين

واني لا أبيح لنفسي ان أتكلم عن الحق والمساواة والرقي أمام مجتمعكم لاعتقادي ان هذه المبادئ السامية هي قائمة بينكم منقوشة في صدوركم ولا شك انهُ سيأتي يوم قريب تضيء فيهِ على أرض مصر المباركة

ان مصر تطل عليكم من أعلى آثار مجدها القديم تنظر الى المستقبل بعين كلها امل ترجو ابناءها ان يجتمعوا فيما بينهم وان يتحدوا كأنهم شخص واحد حتى يطمئن قلبها وتعلم ان أولادها بارون بها

لتحي الوحدة الوطنية فهي التي ستقربكم من بعضكم والتي ستشيد هذا البناء الفخيم الذي ترمون أساسهُ اليوم . . . .

فيا مصر كم من تذكار يهيّجهُ في نفوسنا اسمكِ الكريم . فان العالم بأسره يتطلع من زمن مديد الى هذا البلد الذي لا يصادف ابناؤه الاَّ تعضيداً من البلاد الاخرى . وانهُ يحق للمصريين اذا نظروا الى ماضيهم الجميل والى أصلهم الجليل ان يصيحوا بمزيد الاعجاب « لتحي مصر »

من كل حديقة زهرة

* كلّف القطار الخاص الذي انشئ للامبراطور غليوم خمسة ملايين من الماركات ، وقد اشتغلوا به مدة ثلاث سنوات وهو يقطر ١٢ عربة فيها غرف النوم والاكل والمكتب والحمام والاستقبال الخ أي انه كناية عن قصر نقّال

* عرضت فتاة في الولايات المتحدة على احدى السيدات مبلغ ٢٥ الف دولار لتطلق زوجها وتدع لها حق الاقتران به ، فرضيت

* الضريبة على الكلاب قديمة ، وقد بات بعض الحكومات ينوي وضع ضريبة على القطط بغية المساواة في عالم الحيوان

* يحدث في الولايات المتحدة ٣٠ حادثة قتل في اليوم اي ١١ الفاً في السنة تقريباً . ولا يقبض الاّ على اثنين في المئة منهم فقط . اما الباقون فيتمكنون من الفرار . ومعدل المجرمين الذين يلقى عليهم القبض في المانيا ٩٥ في المئة ، وفي اسبانيا ٨٥ ، وفي ايطاليا ٧٧ ، وفي فرنسا ٦١ ، وفي انكلترا ٥٠

* يجب على المحامين في فنلندا قبل الحصول على الرخصة لمزاولة مهنتهم ان يتطوعوا بضعة اشهر في سلك البوليس

* يزداد النظر حدةً كلما امتدّ الافق وبعُد . فالعرب الذين يقطنون الصحراء الفسيحة هم احدُّ نظراً من سواهم . فينظرون على مسافة ١٠ او ١٢ كيلومتراً اشياء لا يميزها غيرهم . وكذلك الاسكيمو في اوربا ، فانهم يرون الكلب الابيض على الثلج على مسافة بعيدة جداً . وما ذلك الاّ لأن

عيونهم التي لا يقف امامها حاجز تتعود النظر الى بعيد بخلاف سكان المدن

* اقدم شجرة في العالم شجرة اكتشفت في المكسيك يقدر علماء النبات عمرها بستة آلاف سنة وتبلغ دائرة قطرها ٣٥ متراً

* تبني احدى الشركات الاميركية الآن في نيويورك بناية يبلغ علوها ٦٠٠ قدم وهي مؤلفة من ٥٠ طابقاً وليس فيها شيء من الخشب . وسيستعمل لانارتها ١٥ الف قنديل وفيها ١٦ مرقاة (اسنسور)

ازهار واشواك

شم النسيم

كان يوم العيد وكان بعده يوم شم النسيم ، احتفلت بهِ مصر كبيرها وصغيرها ، وغنيها وفقيرها ، ساد السرور ، وعمّ الابتهاج والحبور . جميلةٌ الاعياد التي تشترك فيها امة باسرها ، وخصوصاً متى كانت هذه الامة – كاكثر امم الشرق – مؤلفة من عناصر مختلفة ، واذا كان لا شيء يقرّب القلوب مثل الاشتراك في الاحزان فكذلك قل عن الاشتراك في الافراح . فالعاطفة المتبادلة المشتركة مدعاة الى التآلف والتسالم . كل ذلك تجلى باجمل مظاهره في العاصمة وضواحيها – وفي سائر مدن القطر بالطبع – حيث كانت المسرة رائد الجميع والغبطة مرفرفة على كل الرؤوس ، ولسان القوم ينشد مع صديقي الشاعر « المصري » :

العمرُ يومٌ للسرو　　رِ والفُ يومٍ للهموم
فدعِ النواحَ وهاتِها　　صفراء بيضاء الاديم

راحٌ وريحانٌ ورو ضٌ زانهُ عودٌ وريم
وجرت على اوتاره اطرافهُ جريَ النسيم
فغردّهُ ومردّدٌ هذا يدلُّ وذا يهيم
ومصفقونَ مقاطعو نَ ومستعيدٌ مستديم

اما في بيروت فقد غنى الرصاص بين القوم ، وابرقت الخناجر ، وسالت الدماء ، فما اغرب ما يفهمون من الحرية والمساواة والاخاء . . !

القبلة

تلك الحركة اللطيفة التي تغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً ، تلك الاشارة البليغة الى ما تكنّهُ — او لا تكنّهُ — الضمائر اصبحت الآن في خطر عظيم . والقتال شديد حولها بين جماعة الاطباء واهل الشعر والشعور : الاولون مهاجمون يريدون استئصالها من العادات والآخرون مدافعون يريدون الذود عنها . قرأتُ ان اطباء المجلس الصحي في ولاية انديانا الاميركية وزعوا منشوراً جاء فيهِ : « بامر من مجلس الصحة العمومية نحظّر التقبيل ولا سيما التقبيل في الفم » فاصبحت القبلة الآن — على ما يقال — تُختلس اختلاساً في تلك الولاية بعد ان كانت مباحة . على ان فريقاً من الشبان اجتمعوا وعلّقوا على منشور المجلس الصحي الملاحظة الآتية « نحن لا نقبّل فم احد ولكننا لا نملك النفس عن تقبيل نرجس العيون وورد الخدود ، فالقبلة ممنوعة في ولايتنا ولكنها مباحة في صفحة الوجه الصبوح . كن ما شئتَ الاّ عضواً في مجلس الصحة . . . »

فما رأي قرائي وقارئاتي هل هم ينتصرون للاطباء للقضاء على القبلة ، أم هم يقفون في جنب الحزب الثاني ويدافعون عنها . . ؟

هم وهنَّ

الله ما اشد الحرب التي اصلت نارها كاتبات « الزهور » الاديبات حول مسألة المرأة ! هـذه الحرب قديمة العهد — منذ آدم وحواء — ولكنَّ اديباتنا قد جلنَ فيها جولات مشهودة على صفحات هذه المجلة . انا اليوم لستُ كامل العدّة لأنزل الى الميدان ، بل اقف بعيداً عن هذه المعمعة . وليسمح لي المتخاصمون ان اقصَّ عليهم حادثتين من قبيل الرواية فقط :

الاولى : حاصر كونراد الثالث امبراطور المانيا مدينة وينسبرج فلم يتمكن من فتحها واخضاع سكانها الاَّ بعد حصارٍ طويل ، ولذلك احبَّ الانتقام واباح لعسكره السلب والنهب لكنهُ شفق على النساء فاذن لهنَّ بالخروج من المدينة سالماتٍ وبأخذ اثمن ما لديهنَّ . وما اعظم ما كانت دهشته عند ما رأى كل امرأةٍ قد حملت زوجها على ظهرها . فسأل عن معنى ذلك فاجبنَ بصوت واحد « ألم تسمح لنا باخذ اثمن ما لدينا ؟ وهل اثمن من رجالنا ؟ » فأعجب الامبراطور بسمو عواطفهنَّ وعفا عن المدينة

القصة الثانية : اشتدت العاصفة على احدى السفن وهاجت عليها الامواج وماجت حتى كادت تغرقها ومن عليها ، فامر القبطان ان يُطرح الى البحر كل ما هو ثقيل يستغنى عنهُ ، فعمد احـد الركاب الى امرأتهِ وطرحها في لجج المياه قائلاً : هذا اثقل شيءٍ لديَّ

ماصر

رواية الشهر

الملاك المسروق (*)

حكى الكاتب قال :

جلست الى السفير بعد طعام العشاء وقد ملأ كأسي ثم ملأ كأسهُ من الكونياك اللذيذ الذي كان قد اعتادهُ ، واتكأ في مقعده مسنداً رأسهُ على شماله ، ومشعلاً في يمناه سيكاراً طيب النكهة كان يرسل دخانهُ دفعةً اثر دفعة فتفوح منهُ رائحة ذكية . وكنت صامتا انظر اليه محترماً سكوتهُ فلم أشأ ان ابادئهُ الحديث حتى رأيتهُ قد مدَّ يدهُ الى الكأس فتجرعها ثم ملأها والتفت اليَّ وقال :

— من الأسف أن يظلَّ تاريخ اوروبا السري مكتوماً عن الناس لم يدونهُ الكتاب ولم ينشروه !

فقلت متعجباً : أو لأوروبا إذن تاريخ سري غير معروف ؟

فأمال السفير رأسهُ الى الوراء ، وامتصَّ مصةً طويلة من سيكاره ثم نفخ دخانها وقال :

— أو ترتاب في ذلك ؟ ان البرنس بسمارك لم ينشر رسالتهُ البرقية التي هاجت الحرب الفرنساوية الالمانية الاَّ منذ ايام خلت فهو قد خبأها نحواً من عشرين سنة . فالتاريخ السياسي الحديث مملوء حوادث جهلها ابان حدوثها هذا البارون « روتر » المسكين فبقيت سرية غامضة . أما الصحف فاكتفت بالقشور دون اللباب !

— ولكننا يا سعادة السفير — وكنا في باريس — يجب ان لا ننسى ان الرسالة البرقية يسهل كتمانها ، واما الحوادث الجلى . . .

— رويدك يا سيدي ولا تتعجل في حكمك ! ألم يتصل بك مثلاً نبأ المرض الوهمي الذي اصاب ملك اسبانيا في حداثته ؟

— المرض الوهمي ؟

(*) بقلم امين تقي الدين

— وبعبارةٍ بسيطةٍ تلك الاشاعة القائلة يومئذٍ ان الفونس الثالث عشر أصيب بداء معديٍّ خطر ، وانه لزم سريره في غرفتهِ فلم يكن يسمح له بالخروج ، ولا يؤذن لأحدٍ بالدخول عليه ؟

— بلى أنا اذكر ذلك ولكن . . .

— ولكن الملك الصغير كان سليماً معافىً ! واما اخبار الصحف فكانت كاذبةً ولم يكن يقصد منها الاّ ذر الرماد في العيون فيعمى الناس عن الحقيقة التي لو عرفت حينئذٍ لأقامت اسبانيا واقعدتها . ان الفونس الثالث عشر لم يكن مريضاً في ذلك العهد ولكن مسروقاً ! !

وكان السيكار قد احترق الاّ بعضهُ فرمى السفير بعقبه الى صحيفة فضيـة واطفأه فيها ثم تناول آخر فاشعله وعاد الى حديثهِ فقال :

— اذا شق عليَّ ان أُحدثك بخبر هذه الواقعة فلأني لعبت فيها الدور الاهم فأنا اخاف ان يظن بي حب الأثرة والتباهي وذلك ما أأباه ! لا تحنِ رأسك يا سيدي فاني اقول ما اتيقنهُ !

— عفوك يا سعادة السفير ! وكيف كان ذلك ؟

— منذ خمس عشرة سنة نشرت الصحف الاوروبية نبأ خلاصتهُ ان داءً عقيماً معدياً اصاب الملك الصغير فلزم غرفته ولازمتهُ الملكة امهُ واثنان من الخدمة الأُمناء ولكنهما لم يكن يؤذن لهما بمخالطة أحد في القصر . وكان الأب « أوليڤا » مربي الملك ، والسنيور « جويستالا » رئيس الوزارة يومئذٍ الشخصين الوحيدين اللذين كان يباح لهما أن يعودا المريض . أما حكاية هذا المرض فكما سترى :

كانت الحكومة الاسبانية قد عزمت على الاحتفال باستعراض عسكري اكراماً لعيد القديس يعقوب شفيع اسبانيا ، وقد اعلنت ان الملك والملكة امهُ سيحضران الحفلة . وكان شعب مدريد قد تهافت في ذلك اليوم الى الساحة الكبرى امام القصر الملكي حيث وقف الجيش على اتم اهبةٍ وانتظام يرقب طلعة الملك عليه فيحييهِ ثم يبتدىء الاحتفال

في صبيحة العيد وردت على الملكة رسالة مكتوبة على غلافها « لفظة مستعجل » ومختومة بطابع البريد من مدينة « بامبلون » . وانك لتعلم ان فريقاً من الشعب الاسباني كان قد بنى آماله على موت الفونس الثاني عشر بدون عقب ذكر ليولي على العرش الدون كارلوس . فلما ولد الفونس الثالث عشر لم تذهب تلك الآمال لان الدون كارلوس ما فتيء يطالب بالعرش لاسبابٍ شتى لا ارى فائدةً من ذكرها ، ومثلك كاتباً صحافياً لا يجهلها . أما « بامبلون » هذه — وقد دلتني أمائر وجهك على ان ذكرها أثر فيك تأثيره في الملكة يومئذٍ — فهي مقر الكارلوسيين ووسط هذه الشيعة السياسية ! فلما فضت الملكة تلك الرسالة وجدتها خلواً من التوقيع ولكنها قرأت فيها ان مؤامرةً سرية قررت اغتيال الملك الصغير وعينت موعداً للفتك بهِ في يوم عيد القديس يعقوب ، ومكاناً لارتكاب الجناية ساحة الاستعراض العسكري في ذلك العيد . فأطلعت الملكة الأب « اوليڤا » على الرسالة فرأيا معاً ابقاء الملك في القصر وخروج البرنسس « دزاستوري » شقيقتهُ البكر الى ساحة الاستعراض بالنيابة عنه . اما الفونس فاستاء كثيراً فالهاهُ مربيه بلعبةٍ تمثل فيلقاً من الجند مصطفاً في شبه ساحةٍ للقتال . ثم كان موعد الاحتفال فزايلت الملكة القصر الى حيث الجيش والشعب ولازم الأب « اوليڤا » تلميذه الصغير كعادته في كل صباح . ولكنهُ ما انقضت ساعة على ذلك حتى دخلت ساحة القصر عربة مقفلة تقلُّ ضابطاً لابساً لباس جنرال اسباني وآخر كان يظهر بصفة اركان حرب . واعلن الاول نفسه باسم الجنرال « اسبينوزا » رسول الملكة الى الملك فادخله الحجاب تواً الى حيث الفونس الصغير ومربيه

وقطع السفير حديثهُ هنيهةً فقلت مستفهماً : عفوك يا مولاي وهل كان يوجد جنرال اسباني بهذا الاسم ؟ فمد السفير يده الى شاربيهِ ففتلهما بين السبابة والباهم وقد صعدهما الى اعالي وجنتيهِ ثم قال :

نعم ! غير انهُ كان يقود في ذلك العهد الفرقة المعسكرة في برسلونه . مهلاً رويداً فانك ستعلم كل شيء

فلما مثل الجنرال بين يدي الأب « اوليڤا » والملك الصبي قال لها ان الجيش تظاهر بالاستياء لغيبة الملك فخشيت الملكة حدوث أمر ذي بال فانفذتهُ الى القصر ليستصحب الفونس الثالث عشر الى ساحة الاستعراض . وكان الجيش في تلك الايام الآمر الناهي في اسبانيا فلم يخامر الأب اوليڤا ريبٌ في كلام الجنرال فهمّ الى قبعة الملك فوضعها له على رأسه واوعز اليه بالذهاب فوراً . وكان الفونس في السابعة من عمره فقفز درج القصر قفزاً شأن الصغار اذا دعوا الى ما يحبون ، وركب في العربة المقفلة والى جانبهِ الجنرال « اسبينوزا » وامامهما الضابط الآخر

ولما عادت الملكة الى البلاط على أثر الاستعراض استقدمت ولدها اليها فهب الأب « اوليڤا » مرتبكا وقصَّ عليها ما كان . ففهمت جلالتها أن الفونس انما انتشل انتشالاً من قصره لان الجيش لم يتظاهر بالاستياء المزعوم فهي لم تستقدمهُ الى الحفلة قط . . تصور يا سيدي اذن الالم الذي حست بهِ الملكة كريستيانا سليلة « هابسبورج » تلك المرأة التي كانت تخبيء تحت عظمة الملك وابّهة التاج حنان الأم الرؤوف ، وشغفت الارملة بنيها . انني تشرفت بمعرفتها وقوبلت مراراً في مخدعها الملكي فما ظننت قط ان تلك الملاحة الخلابة ، وذلك الجلال الباهر يلينان للحزن الوالدي حتى حده الأقصى . وكانت جلالتها حينئذٍ في موقفٍ حرج فاستشارت السنيور « جويستالا » فاشار بوجوب كتمان الأمر كل الكتمان مخافة أن يغتنم « الكارلوسيون » تلك السانحة ، أو يستفيد الجمهوريون من تلك الفرصة فتسود الفوضى ، وتكون في المملكة من اقصاها الى اقصاها ثورة لا تحمد عاقبتها . ان مخافة هذه الفوضى خلقت ذلك المرض الوهمي الذي اشرت اليه فزعمت الملكة أن الفونس أُصيب فجأةً بداء عقيم ، وانهُ حجر عليه في غرفته ، ورددت الصحف هذه المزاعم فعكف الشعب على الصلاة و بكر الى الكنائس يستشفع القديس يعقوب !

* * *

وتوقف السفير هنيهةً عن حديثهِ فتناول كأسهُ وابتلع ما فيها دفعة واحدة ، واشعل سيكاراً جديداً واشار اليَّ بأن اشرب فامتصصت مصةً من كأسي عملاً

باشارتهِ . ورأيتهُ قد امرَّ يده على جبينهِ فحركه قليلاً والتفت اليَّ فقرأ في عينيَّ معنى الاستزادة والرجاء فتمجد في مجلسهِ وفتل شاربيه ثم تنحنح وعاد الى حديثهِ فقال :

أودُّ اليك يا سيدي أن تعذرني عن متابعة حكايتي فقد بلغت فيها الآن الى حيث بدأ دوري بالعمل وانا لا اريد أن اتباهى بأعمالي وانما يكفيك ان تعلم ان الحظ اسعد اسبانيا بوجودي يومئذٍ في مدريد ولولاي لكان في تلك المملكة ما كانت المملكة في غنىً عنه . فدنوت بكرسي قليلاً من مقعده وتململت كمن ذهب صبره وقلت : كلي اصغاء اليك يا سعادة السفير . غير ان لي سؤالاً استفيد جوابه . انك كنت في مدريد في ذلك العهد فكيف كان ذلك فأنا لا اعهد ان سعادتك تقلدت السفارة في تلك العاصمة ؟

فقطب سعادته جبينهُ وألبس وجهه هيئة الرزانة والوقار وقل : لا لم اكن سفيرًا هنالك ولم تكن لي مهمة سياسية قط . فلا توقف عليَّ في السؤال لأن في الامر سرًّا اودُّ كتمانهُ وانما حسبك ان تعرف انه كان لأحدى الاوانس الفاتنات دخل في وجودي يومئذٍ في عاصمة الأسبان

فأحنيت رأسي احتراماً واعتذرت عن هفوتي بما حضرني ثم قلت وأنا افرك كفاً بكفٍ . عفوك يا سيدي فقد قطعت عليك حديثك . فتبسم تبسمة من فهم براعة الطلب فارتحت الى رضاه وسكتُّ فقال :

هذا ما كان من أمر الملك والملكة : وأما أنا فلما أتاني ان الفونس مريض وقد كنت أحبه ويحبني ويهفو اليّ حين يراني أبرقت الى باريس الى « أميل جيرولت وشركاه » ان يرسلوا اليَّ أثمن وأجمل لعبة في مخزنهم المشهور وقد وصلتني في اليوم الرابع وهي تمثل فارساً مغربياً متقلداً سيفهُ ومعتقلاً رمحهُ وممتطياً هجيناً يتحرك بلولب فيمشي متثاقلاً

وحملتُ اللعبة الى القصر فلما قرأت جلالة الملكة كلمة « ضروري » على بطاقة زيارتي أمرت فوراً بادخالي الى الحجرة المحاذية حجرة الملك الصغير . وكانت سليلة « هابسبورج » قد أخذ الحزن مأخذه منها ، وتولاها اليأس وساورتها الهواجس

والروى غير انها ما برحت حافظةً عزتها وكبرها ؟ فلما مدّت يدها مسلمةً قالت بالفرنساوية وهي تتكلف الرقة : ايّ داعٍ أتى بك الينا يا حضرة البارون ؟ فانحنيتُ ثم أجبت بالأسبانية وأنا أحسن هذه اللغة : نُبِئتُ ان جلالة الملك مريض فأتيت أعودهُ حاملاً اليه هدية تؤنسهُ في وحشتهِ . واني لأرجو ان أنال الحظوى في عينيهِ فأسليه في بلواه ولست أخاف العدوى فأحجم عن القيام بالواجب

وكنت اتكلم محدقاً في عيني جلالتها فلم تفتني معاني الحيرة فيهما فلما سكتُّ قالت : يسوؤني يا حضرة البارون انني لا أتمكن من قبول التماسك فان جلالتهُ لا يستطيع مقابلة العوّاد . على انني اعدك انني لا أكتمهُ حديث لطفك ومروءتك متى تم له الشفاء . فقلت وقد بسطت بين يدي جلالتها اللفافة المتضمنة اللعبة : سمعاً وطاعة ! لا اخالُ ان صديقي الفونس مريض الى حدّ انهُ لا يستطيع التسلي بمثل هذه اللعبة الجميلة . حنانيك يا مولاتي فلا تمنعي عنهُ فرحه بي ، ولا تمنعيني ابتهاجي برؤيته ! فحولت الملكة وجهها عني ، ولوت رأسها ثم مدت يدها بمنديلها الى عينيها تنشف لؤلؤتين صافيتين ابرقتا فيهما

أسليلة هابسبورج تبكي ؟ ان الملكة كريستيانا ارملة الفونس الثاني عشر ، وامّ الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا نسيت عظمة الملك وفخفخة التاج ، وعزة الصولجان ، فرأيتها حينئذٍ أماً لا ملكة وكانت تلك الدموع دموع الأمومة لا دموع الملك !

فتقدمتُ من جلالتها جازعاً مرتبكاً وانا اقول : رحماكِ يا سيدتي ! اتراني ارتكبتُ اثماً بالحاحي الى هذا الحدّ فعفوك اذن عني ! فالت اليّ وأمسكت بيدي قائلة بل اتيت كل جميل وما قلت غير ما اشكرك عليه . انني أعلم وفاءك فاذا بحتُ لك بالسرّ الذي يبكيني فلأني اعتقد بشرف خلقك : ان الفونس لا يتمكن من قبول هديتك لانهُ ليس في حجرتهِ فقد انتشل من هذا القصر منذ أربعة ايام

فصعقتُ في مكاني وهالني الامر جداً ولكنه لم يذهب بثبات عزائمي ، وحدة ذهني فلفتُّ الى جلالتها لفتة السائل المستفيد فأومأت بأن اجلس وجلست على مقربة مني ، ثم قصّت عليّ الحكاية كما قصصتها الساعة عليك . وزادت انها أوعزت الى

البوليس السري باقتفاء أثر العربة المقفلة التي دخلت القصر في صباح العيد وخرجت منه بالملك الصبيّ . غير ان البوليس لم يعلم قط ان ذلك الصبيّ المنتشل كان الفونس نفسه . وكنت أسمع حديثها باصغاء وانتباه شديدين فلما جاءت على آخر القصة أبرقت عيناي ولم يفتها بريقهما فنظرت اليَّ مستغيثة فقلت : عليَّ يا سيدتي بالأمر فأردُّ اليك الملك المسروق في خلال خمسة ايام . فانتفضت في مقعدها انتفاض قلبها في صدرها وانما الأمل بعض حياة البائس رُدّ اليه . ثم مدت يدها الي يدي فشدت عليها وهي تقول : اتعدني وفي وعدك مثل هذا التأكيد فكأنّ لك اذن نفوذاً عظيماً على الكارلوسيين ؟ فقلت رويدك يا سيدتي لا تتهمي الكارلوسيين بمثل هذا الأثم الفظيع . انني عرفت الدون كارلوس المطالب بعرش اسبانيا وشرفني بان دعاني الى مائدته الخاصة وصادقته فسبرت نفسه فأنا أعيذه من التدني الى هذه السفالة . فبهتت جلالتها لدفاعي عن الدون ومريديه ثم قالت : وكيف تفسر اذن الرسالة التي وردت عليّ من « بامبلون » قلتُ حيلة احتالها بعضهم طمساً للحقيقة ودفعاً للشبهات

فقامت الى خزانة في الحجرة التي كنا فيها وفتحت درجاً صغيراً وعادت اليّ بالرسالة فقرأتها فاذا بها تحتوي طلب مليون « بيستاس » فديةً للملك وهي خلوٌ من التوقيع غير ان في ختامها هذه الكلمات : « بأمر جمعية اليد السوداء » فلما تأملتها جيداً اعدتها لجلالتها قائلاً : وان هـذا التوقيع مستعار ايضاً فاليد السوداء لم تقدم قط على انتشال الملك وانما انتشله ائمة جناة استعاروا اسم « جمعية اليد السوداء » تهويلاً وتستراً . ثم اقترحت اقتراحي على جلالتها فرضخت له وامضت لي كتابة خلاصتها الاذن لي بعمل كل ما أراه نافعاً . فتسلحت بتوقيعها الملكي وانصرفت

وكان اول همي ان اجد لنفسي صفة التبس بها عن المظانّ والشبهات ففكرت كثيراً فقرَّ رأيي على ان استعير صفة طبيب انكليزي فلبستُ اسم الدكتور «هري برون » وألحقته على بطاقة الزيارة بهذه الكلمات : « من المدرسة الطبية في لندن »

فقلت عفوك يا سعادة السفير فقد كان التعبير الاصح « من جامعة العلماء الطبيعيين في لندن » فهزّ سعادتهُ كتفيهِ غير مكترثٍ لتصحيحي وقال : انم الانكليز

جميعكم سواء في الانانية . او ظننت ان كل المدريديين يعلمون أن اطباءكم يميزون بين معاهدهم في تسميتها مدرسة او جامعة ؟ وتناول سعادته كأسهُ فتجرعها ثم ملأها وعاد اليَّ فقال : وقد اخترت ان اكون طبيباً انكليزيًّا لان غرابة الاطوار منتشرة بين الانكليز حتى لقد اصبحت اشبه بداء معدي اصبتم به انتم سكان تلك الجزر البريطانية . وكان الدور الذي وددت ان ألعبه في القصر الملكي يقتضي شذوذاً في الاخلاق وهذا ما لا يتاح لي اذا لم اكن انكليزيًّا . ثم بدأت عملي فاستنطقت الأب « اوليڤا » استنطاقاً دقيقاً وسألته أن يريني آخر رسم للملك المسروق فرأيته يمثله اجمل تمثيل بعينيه الكبيرتين البراقتين وملامحه الدالة على العزة والعنفوان . وعرفت من الأب ايضاً ان تلك الصورة انتشرت انتشاراً عظيماً في المملكة وتداولتها الأيدي في جميع الانحاء فعلقها التاجر في معرض تجارتهِ ، والغني في قاعة منزله والفقير على حائط كوخه . فقلت للأب حينئذٍ اذا كان ذلك كذلك فانهُ يستحيل على سارقي الملك أن يخرجوا به في شوارع العاصمة في رائعة النهار فالشعب يعرفه والبوليس لا يجهله . ثم طلبت منهُ أن يسمي لي الخدمة الذين رأوا الصبي راكباً فيها فتردد في قبول طلبي زاعماً ان جميع من في القصر يعتقدون بأن الملك عاد الى بلاطه سليماً معافىً . ولم يكن من خلقي امتهان الاكايروس ، واحتقار آرائهم وفلسفتهم رغم كوني غير كاثوليكي . انك تعلم يا سيدي ان لا دين لي سوى حب فرنسا ، وان لا اله اعبده غير الشرف ومع ذلك فاني احترم الكنيسة وما الاكايروس في نظري الاَّ كالنساء صنف من الناس ارى من النذالة ان يهانوا و يشتموا . اما انتم البروتستانت فقد برهنتم على ذكائكم باقصائكم هذه الطغمة عن الشؤون السياسية

— عفوك يا سعادة السفير . . بل اقصائها فقط عن كراسي النيابة في مجلس العموم

— هذا كذلك فالمعنى واحد . قلت اني انفت من فلسفة الأب اوليڤا ولكنني ابيت ان أتدنى الى اهانته بل أفهمته انه يجب ان لا تكون له ارادة في جانب نهيي وامري . ثم مشى امامي الى دائرة الخدمة فنظرت في ساعتي وسألتهُ متى خرج الملك فقال في مثل هذه الساعة ولهذا فان الذين شهدوا خروجهُ كانوا قليلي العدد . فقلت

ذلك خير وابقى . ودعا الأب ثلاثة من الخدم باسمائهم فهرولوا مسرعين فبادرتهم بالسؤال ولم ادع لهم سبيلاً للاختلاف والتلاعب في الشهادة ففهمت ان الملك كان ملتفاً بغطاء من القطيفة ، ومنزوياً في العربة كمن يحس بشدة البرد ، ولم استفد غير ذلك مما يعول عليه . فعدت بالأب الى حجرتهِ وقد بدأت استخفهُ واملّه لكثرة ما كان يلقيه عليَّ من الاسئلة الباردة ولما استقر بنا المكان وأخذت افكر في السبيل المؤدي الى الحقيقة ، اذ فتح علينا الباب فجأةً ودخل منهُ رجل فسلم على الاب اوليفا بخشوع واحترام . فمال الاب الى اذني واسرَّ اليَّ ان الزائر « الدكتور هناريز » طبيب القصر فأبيت ان أتعرف اليه لانني خشيت أن يطارحني حديث المدرسة الطبية في لندن فينكشف له سري . ورأيت أن اشغل الأب عن زائره فسألتهُ عن طعام الملك فقال ان جلالته يحب الاطعمة التي يقدمها السنيور غوميز رئيس طهاة القصر وقد ساءه في الايام الاخيرة انحراف ألم بمزاج هذا الطاهي فلم يذق جلالته اقراص الحلوى والكعك وهو ولوع بها ولكنه لا يشتهيها الاّ من صنع « غوميز » نفسه الذي لا يزال مريضاً حتى اليوم . على اننا نرجو انه متى تمَّ الشفاء لجلالتهِ يكون السنيور غوميز قد تعافى أيضاً كما يرى حضرة الدكتور وفي تلك الآونة وقف الطبيب فودع بالاحترام كما سلم فقلت للأب عليَّ بوكيل القصر الساعة . فلما مثل بين يدي امرتهُ بأن لا يدخل القصر مخلوق فيه حياة قبل ان يستأذن له منا اللهم عدا الملكة والسنيور « جويستالا » ثم قلت له : أما خدمة القصر فراقبهم وضيق عليهم فلا يخرج أحدهم على غير علم مني ، واما أنت فقدم لي في كل ساعتين تقريراً مسهباً فيه عن صفة كل طالب اذنت له بالدخول او لم آذن . فانحنى الوكيل احتراماً ثم قال : وهل تشمل هذه الاوامر دائرة المطبخ حيث يكثر اختلاط الباعة بالطهاة والخدمة ؟ فارسلت اليه نظرتين حادتين وقلت : بل هي تشمل تلك الدائرة في الدرجة الأولى . وحذار الحليب خصوصاً فهو قارورة الميكروبات ، ومنشأ الامراض المعدية

ثم كانت ساعتان فأقبل عليَّ الوكيل حاملاً تقريره الضافي فنظرت فيه ووعيته

تماماً ثم حملته الى جلالة الملكة . . . . . ولكني ما لي أراك لا تشرب كأسك اتراك شغلت بحديثي عنه ؟ ؟

فقلت : حديثك ياسيدي السفير أطيب من الكونياك . فتناول كأسهُ وابتلعه ثم اشعل سيكاراً وامتصَّ منهُ بضع مصات ٍ ملأ دخانها سماء الغرفة وعاد اليَّ فقال : يذكرني دخان هذا السيكار بليلة ساهرة مرت بي على شاطئ البوسفور في الاستانة على أثر خلع السلطان عبد العزيز وقد احرقت في تلك الليلة عدداً ليس بقليل من امثال هذا السيكار . . ان خلع ذلك السلطان وموتهِ حديثاً سأطرفك به في احدى لياليا فقد كنت في ذلك العهد موظفاً في سفارتنا في عاصمة الترك وحضرت بنفسي وقائع تلك الرواية المحزنة فلم يفتني شيء منها !

— عفوك يا سعادة السفير ! وحملت التقرير الى جلالة الملكة ثم كان ماذا ؟

— فلما اطلعت جلالتها عليه لم تجد فيه ما يريبها غير اني رجوت منها ان تستعيد ذاكرتها وقائع الايام الأخيرة في القصر ، وما زلت اسمع حديثها حتى ذكرت انها غضبت مرّةً من السنيور « غوميز » رئيس الطهاة وعاقبتهُ . وكان لهذا الرجل ولد صغير سنه كسن الملك الفونس يحبهُ الملك ويهفو اليه ، فأنفذه ابوه الى الفونس يستعطفه عليه ولكنني ابيت مصرة على عقابه

وفيما كانت جلالتها تقص عليَّ هذه الاحاديث اذ دخل علينا الوكيل فقال لي : امرتني يا حضرة الدكتور ان استميحك الأذن لكل داخل الى القصر وهوذا الآن ولد صغير واقف بالباب يستأذن بالدخول على ابيه . فقلت : من الولد ومن ابوه ؟ قال « بدريلو غوميز » ابن السنيور غوميز رئيس الطهاة . قلت لا يدخل . بل احرص عليه في حجرتك حتى تصلك اوامري بشأنه ! فالتفتت اليَّ الملكة قائلة : وما شأن هذا الصغير حتى يمنع من الدخول على ابيه ؟ قلت عفوك يا سيدتي ان هذا الولد ليس « بدريلو غوميز » بل رسول انفذه سارقو الملك الى القصر . فامتقع وجه جلالتها ، واضطربت اضطراباً شديداً ثم تمتمت قائلةً : ومن ادرك بأمره ؟ قلت هذا التقرير بيد جلالتك فقد جاء فيه ان « بدريلو غوميز » دخل

القصر اذ اذنت له بالدخول ثم لم يخرج منهُ فكيف يمكن أن يكون هو هو الداخل الآن ؟ ونظرت الى جلالتها فرأيت في عينيها معاني القلق والخوف فرأيت أن لا اكتمها الحقيقة فقلت : وعدتك يا سيدتي باعادة ابنك اليك وهأنذا ابرُّ بوعدي الآن قبل الميعاد المحدد . انني ذاهب لآتيك بالفونس الثالث عشر ! !

ثم خرجتُ ووقفت على باب الدائرة المخصصة لسكنى السنيور غوميز وعائلته وطرقت الباب ، فسمعت صوتاً من الداخل يقول : او هذا أنت يا بدريلّو ؟ ثم فتح الباب نصفهُ فدخلت فاذا أنا برجل كبير الجثة ، عريض الصدر ، مفتول الساعدين ، متين العضلات . فلما بصر بي نظر اليَّ نظرتي نمر كاسرٍ وقال : من انت يا سنيور ؟ ؟ قلت طبيبٌ ارسلتني اليك جلالة الملكة لأعودك . قال أنا اشكرُ تعطفات جلالتها ولكنني لست بحاجة اليك فقد زايلني الطبيب الساعة . قلت لا بأس ولكن أمر جلالتها يجب تنفيذه فدعني اجسُّ نبضك على الاقل ثم تناولت يده بغتةً قبل ان يحير جواباً وقلت له ان نبضك سريع يا سيدي وانا ارى ان حالك تقتضي تبديل الهواء لان مناخ هذه الدائرة من القصر سامّ قتّال . هلمّ بنا الى الخارج . . . فاتقدت عيناه بالشرر وارتمى على مقعدٍ هناك وقال : بلى انّ رأيك سديد يا سيدي الدكتور غير اني أشعر بارتخاء في اعصابي فأنا لا أستطيع مزايلة هذا المكان اليوم ! فلم اكترث لجوابه ولكنني تقدمت الى باب مقفل في اقصى الحجرة وهممت بفتحه فاذا بذلك الرجل قد وثب اليَّ وثبة الذئب الجائع يريد ان يحول بيني وبين الباب فشهرت مسدسي وصوبته الى صدره قائلاً له : مكانك او تموت ! ! فارتدّ الى الوراء خائفاً مذعوراً ففتحت الباب ودخلت فرأيت الملك مضطجعاً في كرسيّ طويل وماسكاً قرصاً من الحلوى يأكله قضمةً قضمةً

حينئذ وقف السفير فتجرّع كأسهُ ووضع باهميه في كمي صدريتهِ عند الكتف وقدم رجله اليسرى مسافة نصف خطوة عن اليمنى ونظر اليّ بكبرٍ واعجاب فقلت ، ثم كان ما ذا ؟ فهز كتفيه وقال بصوت أجشّ : كان ما أنت تعرفه ويعرفه جميع الناس ! انني اعدت الفونس الثالث عشر الى سرير الملك الذي يتربع فيه اليوم ! !

ثم سكت سعادتهُ فقلت : وهلا أبنت لي يا حضرة السفير كيف عرفت ان الملك كان لم يزل محجوراً عليه في القصر : قال اخالك ياسيدي لم تصغ الى حديثي كل الاصغاء . او لم اقل لك ان اولئك الجناة لم يستطيعوا الخروج به في المدينة لان الشعب يعرفه والبوليس لا يجهله ؟ او لم اقل لك ايضاً ان غوميز مرض قبل حفلة الاستعراض العسكري بنحو ثمانية ايام كان يعوده في خلالها الطبيب «هناريز» ؟ ان « غوميز » هذا كان رئيس تلك العصابة الشريرة وأما الطبيب فلم يكن الا احد أعضائها . فمتى وعيت هذين الامرين وتفهمت الوقائع جيداً سهل عليك أن تعرف ما عرفته

— ثم ماذا كان عقاب هؤلاء الأئمة الاشرار

— عفي عنهم لم يعاقبوا اذ كان من الخرق في الرأي ان يذاع في المملكه سرُّ انتشال الملك على تلك الصورة . اما انا فقد حمدت الاتفاق الذي اتاح لي الدفاع عن صديقي الدون كارلوس وقد اعتذرت الملكة مني لاساءتها الظن بهذا الصديق الشريف ثم خصتني جلالتها بنوع من الشكر عن عملي كان لذيذاً وحلواً . ان الملكة كريستيانيا امرأة جميلة فتّانة ! ولما استأذنت جلالتها بالانصراف قالت لي : اما خدمتك لاسبانيا فالسنيور « جويستالا » رئيس الوزارة يشكرك عليها ، وأما خدمتك لامّ الملك فجزاؤها هذا التذكار مني اليك . ومدت يسراها فأخرجت من احدى اصابعها خاتماً من ألماس ووضعته بيدها في اصبعي هذه . . .

وتأملت يد السفير فلم أجد فيها الخاتم فقلت : وددت اليك يا سيدي أن تريني هذا التذكار الجميل . فتنهد ثم قال : فقدتهُ في ساعة لذة ولهو فقد مرّ الى يد اجمل من هذه اليد ، فلا تسلني كيف واين فان الواجب يقضى بكتمان اسرار النساء . وحينئذٍ مد السفير يده الى ساعته فوقفت مستأذناً فهز يدي وهو يقول : عدني بأنك لا تفشي حديثنا الليلة فانتم الصحافيون لا تؤتمنون على سر ولا تقدسون شيئاً . . فتبسمت وقلت بل عفوك يا سعادة السفير . . . فلم يدعني أتم حديثي بل قال : فاقسم امامي اذن بأنك اذا نشرت هذه الحكاية لا تنشر اسمي فاعدك بأن اقص عليك امثالها من تاريخ اوروبا السري فاقسمت لسعادته وودعتهُ وهو يقول لي : الى الغد !

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الرابع　　يونيو (حزيران) ١٩١١　　السنة الثانية

الزهور في عهدها الجديد

في غرّة مارس من السنة الفائتة ، صدر العدد الاول من مجلة الزهور متوجاً باسماء اعلام الشعراء ومشاهير الكتّاب ، الذين وافقوا على الفكرة الباعثة الى انشاء هذه المجلة ، وهي ايجاد صلة تعارف بين حملة ألوية الادب في عموم اقطار العرب . وقد شاؤوا جعل « الزهور » لسان حالهم للتراسل فيما بينهم ، واتخاذها مجالاً للمباراة في نشر نفثات اقلامهم و بنات افكارهم . أُلقيت هذه البذرة في عالم الادب فنمت وازهرت واثمرت ومرّ على المجلة سنة و بعض السنة وهي سائرة على الخطة التي اختطها لها هؤلاء الادباء . فكانت جنة غناء وروضة فيحاء تغنى على افنانها بلابل النظم وسواجع النثر ، فاطربت الاسماع ، ولذت الافهام بما جمعته من عرائس الافكار ومبتكرات الاقلام . وقد لقيت من الرصفاء الكرام اصحاب الجرائد والمجلات تنشيطاً كبيراً . فما صدر منها جزء الاّ قوبل بأحسن كلمات التقريظ والثناء بل كثيراً ما فسحت تلك الصحف مجالاً بين صفحاتها لنقل ما كان ينشره أمراء البيان في « الزهور » من شائق الكتابات . وقد يضيق الجزء والجزءان من هذه المجلة عن ايراد ما خطته صحف مصر وسوريا واميركا والعراق والمغرب بهذا الشأن . فكانت شهرة محرري « الزهور » واعلان الصحف عنها وتحبيذ خطتها مدعاة الى انتشارها

و بعد صيتها في كل الاقطار . وقد جاء ما نشرته المجلة من رسوم مشاهير الكتاب
– اسوة بأمهات المجلات الاوربية – مشوّقاً كبيراً الى زيادة الاقبال عليها
هذا ما ادركته المجلة في عهدها الاول

* * *

ولما كانت الفكرة الداعية كما تقدم الى انشاء هذه المجلة متشعبة الفروع تقتضي القيام بأعمال جمة لتحقيق هذه الامنية العزيزة ، رأى صاحب الامتياز ان يحول « الزهور » الى شركة تديرها وتقوم بجميع مقتضياتها من أقلام ادارة وتحرير ومكاتبات ، واستيعاب ابواب المجلة الكثيرة ، والبحث عما طوته الايام من آثار الكتّاب النفيسة الى غير ذلك من لوازم المجلات الكبرى فتمّ تأليف الشركة بعنوان

الجميّل وتقي الدين وشركاؤهما

وهكذا اصبح بالامكان أن نعد القراء والمشتركين الذين وضعوا يدهم بيدنا منذ اول ساعة باجراء تحسينات كثيرة في ابواب المجلة المعروفة ، من مقالات وقصائد ، وتعريب أهم آثار الغربيين ، ونشر أحسن مختارات العرب ، وفتح ابواب جديدة للاخبار العلمية والادبية وتراجم الكتاب وغير ذلك مما يجعل المجلة « جامعة » كما يريدها القراء ، كل هذا مع الاحتفاظ بخطتها الادبية الصرفة البعيدة عن كل المنازع السياسية والمذهبية . ولذلك فنحن على يقين من حفظ ثقة المشتركين والقراء العديدين مع اكتساب ثقة غيرهم ، وانّا سنعمل في كل الأحوال على ارضاء من اصبحت نفسهم تتوق الى نشرة ادبية تطلعهم على مجرى الحركة الفكرية وليسوا بالنفر القليل

تحرير « الزهور »

إن محرري « الزهور » في عهدها الاول — وهم خيرة الكتاب والشعراء الذين نفحوا هذه المجلة بالزهرات الطيبة الجيلة ، فكان منها في كل شهر باقة ، وكان من

مجموعها في الاثني عشراً شهراً روضة زاهرة متضوعة الأريج — هؤلاء الكتاب والشعراء الذين أحبهم القراء وولعوا ببنات افكارهم سيظلون على عهدهم الاول ينشرون في « الزهور » كل جيد نفيس وكل طيب رائق . على اننا — ونحن لا نريد الاّ التحسين المتواصل — قد فاوضنا جمهوراً آخر من ادبائنا لمشاركتنا ايضاً في تحرير « الزهور » حتى تتحقق الآمال الموضوعة منذ البداية اساساً لحياة هذه النشرة ، فتتم بذلك كله الصفة المميزة لها في عالم الأدب

وقد دفعنا طمعنا بالتحسين ورغبتنا في طرق كل جديد الى اشراك كبار المستشرقين انفسهم وقادة الافكار الاجانب في تحرير هذه المجلة . فكتبنا الى فريق منهم نستكتبهم مقالات خصوصية عن الحركة الفكرية في بلادهم لنعربها خصيصاً لقرائنا . ولنا بالقراء وطيد الأمل بأنهم سيكونون عوناً لنا في تحقيق هذه الأماني جميعها ، فلا يبخلون علينا بكل وسائل التنشيط والتشجيع ، ورجاؤنا اليهم ان يعتقد كل فرد منهم ان « الزهور » انما هي منهُ وله

أما ادارة المجلة الداخلية فسيتولاها احدنا « امين تقي الدين » فالرجا من وكلاء « الزهور » ومشتركيها أن يعتمدوا توقيعه في كل ما يتعلق بشؤون المجلة

الجميل وتقي الدين وشركاؤهما

السنة الاولى « للزهور »

في الادارة مجموعة « الزهور » مجلدة تجليداً متقناً وثمنها خمسون غرشاً صاغاً . ويضاف اليها اجرة البريد للخارج

لو

الشبيبة ربيع الحياة ، والشبان زهرة الوطن ، والشيخوخة صيف الحياة ، والشيوخ ثمرة الامة

واذا كان الفيلسوف اليوناني يقول : « امـة بلا شبيبة هي سنة بلا ربيع » فيمكننا ان نزيد : « امة بلا شيوخ هي ازهارٌ بلا اثمار »

صدرُ الشباب الرحب مملوء آمالاً ونشاطاً ، وعافية واقداماً . لكن الشباب لا يعلم ، والشباب لا يدري . فتذهب قواه سدى ، وتضيع سجاياه عبثاً . فهي كالقوة الميكانيكية التي لا يعرف صاحبها ان يستعملها فتضيع بلا جدوى ولا فائدة

ورأس الشيوخ مملوء حكمة وعقلاً وترويّاً وادراكاً . لكن الشيوخ قد فقدوا النشاط والاقدام . عرفوا استعمال القوى بعـد ان اضاعوها . وادركوا صفات الشباب بعد ان فقدوها . فهم اشبه بالميكانيكي الذي تعلّم ادارة آلتهِ بعد ان تخرّبت

فيجب ان يكون الشيوخ في الامة الرؤوس المفكّرة ؛ وان يكون الشبان الايدي المنفّذة . فباتحاد هاتين القوتين تترقى البلاد وتسعد . وليس اكبر من امة شيوخها يرشدون شبأنها ، وشبانها يطيعون شيوخها : بذلك افتخر الشاعر العربي بقبيلتهِ اذ قال :

وفتيةٍ إنْ نَقُلْ أصغوا مسامعهم　　　لقولنـا او دعوناهم أجابونا

وبهذا المعنى قال الافرنج في امثالهم :

لو علم الشباب . ولو قدر المشيب ! . .

Si jeunesse savait, si vieillesse pouvait !

وقد اخذ اسمعيل باشا صبري هذا المثل الافرنجي ونظمه في شعر عربي من شعره المعروف بسلاسة المبنى وبلاغة المعنى فقال :

لم يدرِ طعمَ العيش شبانٌ — ولم يدركهُ شيبُ
جهلٌ يُضلُّ قوى الفتى فتطيشُ والمرمى قريبُ
وقوىً تخورُ اذا تشبث — بالقوى الشيخُ الاريبُ
فيما يُقال كبا المغفَّلُ إذ يُقال خبا اللبيبُ
أواهُ لو علم الشبابُ — وآهِ لو قدر المشيبُ

فلو كان الشباب يجمع الى قواه الخبرة والتجربة لأتى بالمعجزات ، ولو كان المشيب يجمع الى اختباره المقدرة على العمل لجاء بالآيات الباهرات . ولكن

آواه لو علم الشباب وآه لو قدر المشيبُ

عواطف وآمال

لا لا لم ينزل العندليب على الزهرة الا ليشكو لها الصبابة ويبثّها الهيام ، ولم تُرسل هذه عطرها الا لتؤكد له حبها ، وما فتقت عنها الأكمام الا لتضمَّ بين ذراعيها الحبيب ، فعطفاً على المحب ايها الانسان ..!

لله ما أنكد العيش وأنغصهُ اذا لم يقطعهُ السرور وتتخلله الاغاني !

وما أمرّ الحياة وأظلمها اذا لم يمتزج بشرابها سيّال الحب ولم تسطع فيها أنوار الغرام !

ونظير مياه الينبوع تجري في السواقي وتخفيها البحار ، وكمثل رياح القفر تهبُّ في وريقات الزهور وتبتلعها أوراق الاشجار ، تمضي الحياة الخالية من الحب ويتصرّم الشباب تطويهِ الوحشة ويقصره السأم . . .

دبّ النعـاس بجفن ذكاء فاضطجعت على فراش الامواج ونامت نوماً هادئاً رغماً عما كان بنفس هذه من الهيجـان . ورأت ذكاء ولو في المنام حزن الأرض وانقباض أهلها فارسلت فتاها فأتى وملأ الفضاء نوراً والقلوب رجاء

هبّ النسيم نسيم الغروب فمزّق عن الوردة اللباس وكساها بثوب من الانعاش قشيب فاعجب لمعزٍّ وكاسٍ . . .

عسعس الليل وأوت الى أوكارها الاطيار . وطالت ظلال الأشجار فزادت المكان وحشةً ، وساد السكون عميقاً فأخلدت عوامل الطبيعة الى الهدوّ ، وما استطاع تقطيعه سوى أنفاس الباري يرسلها نسمات لطيفة فتزكّي تلك الارجاء ، وتترك منهـا للانسان أثراً جميلاً يستهوي القلوب ويسترقّ الاسماع . وكأن السرور جالب التأمل ان هو تناهى ، فجلستُ على صخرة هناك وجعلت أتأمل

بالطبيعة جلستُ أفكر في أصل وجودها وكيف يكون فناؤها من أصغر زهرة فيها الى اكبر سروة ، فعجبتُ من عواملها ومجّدتُ خالقها بهذا الهواء كيف يهبّ منها نقياً كأن أنفـاس البشر لم تقوَ على

إفساده وقد اختلطت بهِ مراراً . بهذا الليل وقد رأى العالم يرتكب تحت حمايته أفظع الذنوب وأشنع الآثام كيف يستره كأنه جهل ان من سكت عن الاشرار بالشر رُمي ومن دافع عن المذنب بالذنب اُتهم . . .

أحزنت نفسي هـذه التصورات فبدت على وجهي منهـا دلائل القلق . وكأن الطبيعة وقد علمت انني من محبيها لم تشأ ان تتركني حليف الغمّ والقلق وقد طلبتُ منها سميراً فأرسلت اليّ ما يلهيني فرأيت شبحين كانا يظهران تارةً من خلال الاشجار ويختفيان فأوقعاني في الريبة ولم يجدِني ذلك نفعاً فرجعتُ أفتكرُ ايضاً ولكن لا فبين الاول والثـاني خطى ومراحل

*
* *

تقدمت لأرى ما وراء ذلك واذا بي أمام شاب تنبعث من عينيهِ شرارات القسوة والخشونة يداعب حيزبوناً تبينت بوجهها تجعدات جمة وبجبينها خطوطاً عديدة ولم أستطع علم هيئتها وادراك كنه أمرها رغماً عن احداقي بها واعمال الفكرة في قراءة ما في نفسها . وهناك الى جانب من الغاب كهلٌ ملقى على الحضيض دامي الاحشاء على وجهه سمة الوقار وبنظرته الحنوّ والاشفـاق . ولم ألبث ان رأيت الشاب قد أخذ بذراع العجوز وتوغلا في الغاب . وأما أنا فتوسمت في خطوط جبين المرأة وبعد النظر طويلاً قرأت بأحرف كُتب بعضها بشوكٍ غليظ وبعضها بزهور لطيفة هذه الكلمة — الحياة — واستلفت نظري شيءٌ ناتئٌ على كتف الشاب فحدقت فيهِ وتهجيت هذه الكلمة وقد كتبت بمداد أسود على

صحيفة من النحاس ـ الفساد ـ ولما بعدا عن الشيخ ووارتهما أغصان الغاب رجعتُ اليهِ فلقيتهُ يئنّ أنيناً متقطعاً وهو يحتضر وكان احتضاره رهيباً مزعجاً فدنوت منهُ وسألتهُ: وأنت من أنت يا هـذا فأجاب والنور يخرج من فيهِ : أنا الحب العذري ـ أنا الطهر ـ أنا العفاف

قال هذا وتنفس الصعداء وكان بها خروج الروح . وأدرت لحاظي في هيئتهِ فرأيتهُ قد تحوّل كلهُ الى شعلة من نور ورأيت زهرة آسٍ كان يتضوع منها عرفٌ قويٌّ الرائحة رغماً عن ذبولها . وساد السكون على تلك الانحاء عميقاً فرجعتُ ادراجي نحو منزلي لما رأيت ان الهواء أصبح بارداً وشعرت بوطأة السكون

جميل مدور　　بيروت

نظرة اشراف عام

على ديار نجد

وقعت مقالات مراسلنا البغدادي الفاضل أحسن وقع عند قرائنا لانه كشف فيها النقاب عن امور وحقائق قلَّ من اطلع عليها ، وهي تتعلق ببلاد العرب وتاريخ النهضة الادبية فيها . ونحن نبشر القراء اليوم بأن هذا الكاتب القدير سيدبج للزهور سلسلة مقالات في هذا الموضوع الجليل الذي لم يسبق اليه . وهو يبني كتاباته على ابحاثه الشخصية الواسعة مدعومة بما يستقيه من اوثق المصادر . وها نحن ننشر اليوم مقالته الأولى التي تشرح هيئة تلك البلاد وحالتها الحاضرة وهي مقدمة لابحاث آتية . وفي هذه المناسبة نكرر له الشكر باسم « الزهور » وقرائها على ما يتحفنا به من المباحث الشائقة التي تعد خير خدمة للعلم والادب . واليك الحلقة الأولى من هذه المقالات :

١ً توطئة — خذ بيدك اي كتاب أردت ، وتصفّح اية مجلة شئت ، وطالع اية جريدة شاقتك ، بشرط ان يكون موضوعها الكلام على نجد ، ثم قل في نفسك بعد ان تكون قد فرغت من الوقوف على ما راقك : « هل هـذا الذي قرأتهُ صحيح يا ترى ؟ » — أقول : هلمَّ ننظر اذا كانت شروط الصحة متوفرة في هذا السؤال . ان الكاتب الذي حبّر تلك الاقوال لا يخرج عن احدى هاتين الحالتين : اما ان يكون غريباً عن بلاد نجد ، وإما ان يكون من اهلها وسكانها . فان كان دخيلاً في تلك الربوع ، فلا غرو انهُ لا يستطيع الوقوف على الحقيقة كما لو كان من ابناء تلك الديار نفسها ، لأنهُ قد قيل : « وصاحب البيت أدرى بالذي فيهِ » . وكيف يمكن الأجنبي ان يعرف من الامور الا ما يشاهده وهل يشاهد غير ظواهرها ؟ بل كيف يسوغ لابناء الوطن ان يبوحوا بجميع أسرارهم لمن كان غريباً عنهم ؟

اما اذا كان من صميم أهلها فهو ايضاً لا يخرج عن احدى هاتين الحالتين : إما أن يكون أمياً من طبقة الناس السافلة ، واما ان يكون علياً او عالماً . فان كان أمياً جاهلاً فكفى بما يأتينا بهِ نقصاً وشائبةً ، وان كان علياً او عالماً ، فلا تكاد تراه ينطق الا بما له ويسكت الأعما عليهِ خوفاً مما يتوهمهُ فضيحة لأبناء وطنهِ ، أو خشية ان يندّد بهِ تنديد خائن لبلاده

ومن ثمّ وجب ان يكون الكاتب عن هـذه الديار وطنياً صادق الوطنية . أديباً فاضلاً من علية الناس وأشرافهم ، عارفاً بما اختفى من تلك

الربوع وما ظهر ، بعيد النظر بأحوال اهلها ، كاتباً ضليعاً بل من حماة الاقلام الصادقي اللهجة ، جريئاً مقداماً لا يخاف لومة لائم ، محباً لترقي وطنه ، ناطقاً بما له وعليه ليصح الاعتماد على كلامه في كل ما يقول

وهذه الشروط كلها قد اجتمعت في سليمان افندي الدخيل صاحب جريدة الرياض (من صحف بغداد الحرة) . فهذا لرجل من صميم بلاد نجد ، ومن خيرة سراتها ، وقد جاب تلك الاقطار طولاً وعرضاً ، وسافر الى بلاد الهند والى غيرها من الديار المتمدنة وقابل بين الامم الراقيـة في في الحضارة والامم السائرة اليها سيراً وئيداً او حثيثاً ، وعرف الداء ووصف الدواء ، ولهذا طلبتُ الى هذا الفاضل الاديب (وهو خال أحد ابناء ابن سعود) ان يتحفني بما يعرف عن نجد معرفة تفيد قراء « لزهور » وتكون المقالة شاملة لأحوال نجد شمول مشرف عليها من أحد جبالهـا ، ناظراً اليها نظراً عاماً بعيني البصر والبصيرة معاً . فكتب لي مقالة حسنة وضّاءة . وقد ادمجتُ فيها ما وقفتُ عليه في أثناء مطالعاتي ، وما سمعتهُ من بعض الادباء الفضلاء من أهالي تلك الربوع فحصل من هذا الادماج شيء يشبه تداخل اللحمة والسدى . وقد احطت بقوسين « » ما لحضرة الكاتب الصديق من النص الرائق الفائق اقراراً بفضله وبراعة قلمهِ وسداد آرائهِ . وأبقيت بدون علامة ما لهذا العاجز الذليل من الكلام النزر القليل

٢ً موقع نجد وحدودهـا — ديار نجد واقعة في قلب بلاد العرب وهي سرتها . وحدودها من الشمال النفود الفاصلة بلاد الجوف عن بلاد

نجد . وهي النفود[1] بوجه الاطلاق . ومن الجنوب النفود المسماة بالرُبع الخالي وهي بلاقع او مفاوز او فلوات لا تفرق بشيء عن نفود الشمال . ومن الشرق الاحساء والقطيف ومن الغرب بلاد الحجاز

٣ً سكان نجد في الزمن الخالي وفي الزمن الحالي — كان أهل نجد في السابق كأغلب سكان بلاد العرب : اخلاطاً من أمم شتى من عرب وفرس وإدَميين وعبران وأشوريين وكلدان وبابليين ثم امتزجوا امتزاجاً واحداً مع الزمان حتى أضحوا أمة واحة ، ولما جاء الاسلام زادوا وحدة ولما ظهرت الوهابية بانوا كل البينونة عن سائر سكان الجزيرة حتى أضحوا أمة مستقلة بنفسها ولها أوصاف خاصة بها كالشجاعة والبسالة والتدين المفرط الضارب الى التعصب والاباءة وعدم تحمل الضيم وتوقد الذكاء وحب التجارة الواقفة على اصول الشرع الى غير هذه المناقب الدالة على ان النجديين من الناس الذين بانوا عن سائر العرب بالمآثر الجليلة التي لا تشاهد الا في السلف الخالي

٤ً أقسام نجد — « تقسم نجد الى ثلاث امارات ولكل امارة

( ) النفود من الاصطلاحات الخاصة بالنجديين بل بالعرب كلهم والكلمة جمع نِفْد بكسر النون : وهي الرملة اليابسة . واللفظة فصيحة قديمة وان لم يذكرها اصحاب الدواوين اللغوية . لانهم كما قالوا « المفازة » وهي الفلاة التي لا ماء فيها — والكلمة مشتقة من فاز يفوز فوزاً وهو الموت والهلاك لان من يجتاز المفازة يخاطر بنفسه — قالوا أيضاً النِفْد بالكسر أو النَفَد بفتحتين. والكلمة مشتقة من نَفِد نفاداً ونَفَدًا اي فني وذهب وهلك . فوجه التسمية واحد والوضع واحد والمعنى واحد والغاية واحدة . فاحفظه

حاضرة قائمة بنفسها . الامارة الاولى قاعدتهـا (الرياض) وهي حاضرة امارة الامير الخطير ابن سعود الذي قام بتجديد مذهب السلف الصالح وهو المذهب الذي يلقب الآن بمذهب الوهابية او بالوهابية من باب الاطلاق او من باب الاغلبية . وأهل نجد كلهم يلقبون بالوهابيين نسبة الى من قام بالدعوة في بداية الأمر وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب . اما موقع الرياض فمعروف اي في جنوبي نجد

الامارة الثانية : امارة الامير الجليل ابن الرشيد وقاعدتها (حائل) وهي في شمالي نجد

الامارة الثالثة : القصيم (بالصاد لا بالسين كما يكتبها بعض اهل الجرائد) وهي عبارة عن بلدتين كبيرتين وهما : (عُنَيْزَة) وهي عاصمة امارة (آل سليم) . (وبُرَيْدَة) وهي عاصمة امارة (آل مُهنَّأ) وما بين هاتين البلدتين مسافة قدرها ست ساعات للراكب

وكلتا البلدتين «عُنَيْزَة وبُرَيْدَة» دخلت في قبضة الامير عبد العزيز ابن السعود الموجود الآن

ه‍ً العلم بوجه الاجمال في هذه الامارات الثلاث — استناداً الى ما تقدم ، نقسم البحث الى ثلاثة اقسام ونخص كل امارة بكلام يناسبهـا مناسبة اجمالية فنقول : كانت ربوع ديار (الرياض) وتلقب حيناً (بالعارض) منبَعث انوار العلم والعرفان في عهد غضارة امارة آل سعود . لكن اكثر هذا العلم يدور على علم التوحيد والكلام والاصول والتفسير والفقه واللغة وجميع العلوم الدينية وقليل من النحو والصرف وسائر علوم الآلة

فلما اخذت دولتهم بالزوال تقلّصت ظلال العلوم عنهم ايضاً رويداً رويداً وتشتت العلماء على اوجه شتى : فمنهم بالموت وآخرون بالمهاجرة الى بلاد اخرى يرتزقون فيها لأن عيشتهم في السابق كانت متوقفة على ما يجريهِ الامير ابن السعود من الرواتب الدارّة الاخلاف الجارية من بيت المال وهـذا يتليءُ مما كان يجمع على ما جاء بهِ الشرع الشريف من النظام والاصول المثبتة في الاسلام

اما اليوم فلم يبقَ من تلك العلوم شيءٌ في الرياض وانتقل اغلبهُ الى بلاد (القصيم) و (حائل) السالفتي الذكر . ولا يوجد من يتعاطى العلوم فيها الاَّ اناس قلال . ووجودهم كعدمهم . وهم الذين خبطوا في الديانة خبط عشواء . واظهروا التعصب الديني الاعمى واشاعوا عنهُ وعن اصحابهِ اموراً لا توافق مذهب السلف . وهي وان كان اغلبها ملفقاً الاَّ ان لها بعض الحقيقة جسمها خصومهم وحسادهم على تلك البقاع وعلى عزتهم فيها وانتصارهم على مناوئيهم الى ان تقلص ظل دولة آل سعود ففرحوا بذلك فرحاً لا يوصف . وما زالت الحالة في تأخر وتقهقر حتى اضطر اكثر اهل تلك البلاد الى المهاجرة للاسترزاق فظعنوا عنها مكرهين ولكن هجرتهم لم تبعد لأنهم لم يتجاوزوا الاحساء والزبير والبصرة . اما اكثرهم فتراهم في البحرين وعمان وسائر تلك الاصقاع وكلها لا تخرج عن بلاد العرب . والذين هاجروا لم يكتسبوا بهجرتهم علوماً تقدمهم الاَّ النزر القليل مما يوافق مشربهم وتغرّبهم اي معرفة أعداء الدول وقواها وبعض ممالكها ومستعمراتها وسياسة بعضها لبلاد نجد . والخلاصة انهم يتأثرون

كل ما له تعلق ببلادهم

« والبعض منهم (وهم افراد قليلون) وصلوا الى الهند كمدينة لكنو وحيدرآباد وأمرتسر وغيرها ودرسوا بعض علوم الدين وَشَدَوْا شيئاً من الفلسفة وعلوم العمران والاجتماع . لكن علوم هؤلاء الافراد لم تؤثر في قومهم التأثير المطلوب لما رجعوا اليهم قافلين بها ، ولذا لا تراهم حَظِّيين في عيون وطنييهم

« اما امارة ابن السعود الآن وحاشيتها . وان شئت فقل : اما مقدَّمو امارة ابن السعود فانهم على كفاية من العلم اللازم لادارة شؤونهم حسب سعتها وما تطلبهُ منهم مكاناتهم بل يوجد بينهم افراد لا يُستغنى عنهم لحلّ الامور المعضلة او المشكلة . واكثرهم ممن تربوا في المدن

« وفي هذا العهد (اي منذ اعلان الدستور العثماني) انتبهوا انتباهاً عظيماً وهم في شوق لاعج الى الاطلاع على حقائق الامور والانضمام الى الحكومة العثمانية . ولكن يا للأسف ان الحكومة لم تشرح صدرهم الى اليوم فهي لا تراسلهم بل لا تنظرهم . لا بل لما طلب ابن السعود من ناظر الداخلية (طلعت بك) — حسبما بلغني — ليبعث الى المجلس من قبله مبعوثين ردَّه قائلاً : تفعل ذلك في الانتخاب الجديد

« ولما كانت بيني وبين الامير ابن السعود قرابة (اذ اني خال احد اولاده) مثلت بين يديهِ بعد ما قضيت سنين في الهند وشرحت له احوال الدستور في الامم الراقية فانشرح له صدره وافادني بأنهُ يكون اول مؤيدٍ له واعظم مساعد للحكومة العثمانية في ما تريده وألححت عليهِ بان

يُوفد الى الحكومة العثمانية مبعوثين من قبله ففعل وطلب ذلك لكنهُ رُدَّ كما تقدم القول

« هذا واهل هذه الامارة يطالعون بلاعج الهوى الجرائد والمجلات وهي تأتيهم من كل حدب وصوب ويطلبون الكتب ولا سيما الحديثة الوضع ليقتنوها ويطالعوها. وهم يقبلون عليها إقبال الجياع على القصاع . غير ان الاضطرابات التي تحدث بين القبائل غالباً لأدنى سبب . وسنَّة الأعراب منذ القدم سنة الغزو والهجوم لا تدعهم يتفرغون لها كل التفرغ ليستفيدوا الفائدة المطلوبة . ومع هذا فاني أرى انهُ لا تمضي سنوات الاَّ ويصلون الى درجة حسنة من العلوم والآداب بمنهِ تعالى وكرمه »

٢ً « واما العلوم والآداب في حائل (ويقال لهذه الامارة ايضاً « الجبل » و « جبل شمَّر » وهو جبل طيء في السابق) فهي على غير ما رأيته في الامارة الاولى

« ومما يجب ان تعلمهُ قبل الايغال في البحث ان هذه البلاد قد وصلت الى درجة تذكر في العلوم منذ سابق العهد . وامارتها لشمَّر منذ ان وجدوا الى يومنا هذا . وقد استولى عليها آل السعود حين قويت شوكتهم وعظمت صولتهم . وما كادت شمسها تميل الى الغروب الاَّ وعادت تلك الديار الى اهلها الأقدمين . وكان اول اهلها ورؤسائهم : آل علي ثم انتقلت الى طلال فبندر فمحمد الرشيد

بغداد　　　　سائح

صحافة سوريا ولبنان

٣ — المجلات

هذه مقالتي الثالثة عن صحافة سوريا ولبنان [١] . . ولا يخفى ان للانقلاب العثماني الأخير فضلاً عظيماً على هذه المجلات التي أنا ذاكر . فلم يكن منها قبل إعلان الدستور الاَّ مجلة «المشرق» ومجلة «المقتبس» أما بقية المجلات فقد صدرت في العامين الأخيرين كما يظهر لك في هذا المقال

وقد اجتهدت، في هذا القسم، ان أذكر تاريخ صدور هذه المجلاَّت متخيراً أوثق المصادر في ذلك فأقول :

١ً المشرق (بيروت) : نشأت في أول كانون الثاني سنة ١٨٩٨ . صاحبها الأب لويس شيخو اليسوعي . كاتبٌ باحث . كثير التنقيب . كثير الاطلاع . مجلة شهرية يسوعية محضة . هي وجريدة « البشير » فرسا رهان في مضمار المدافعة عن الدين . لهجتها شديدة ، وعبارتها بين بين

٢ً المنتقد (بيروت) : هي شهرية . نشأت في ١٥ ايلول سنة ١٩٠٨ صاحبها محمد باقر ، كاتب رقيق ، له ذوقٌ سليم في ترتيب مجلتهِ وتبويبها . متساهلٌ في آرائهِ

٣ً النبراس (بيروت) : نشأت في ٢٢ كانون الثاني . صاحبها الشيخ

---

(١) راجع المقالة الاولى عن الجرائد اليومية ص ٤١ والمقالة الثانية عن الجرائد الاسبوعية ص ١٠١

مصطفى الغلاييني، كاتبٌ وشاعرٌ مجيد . أصحّ أصحاب المجلات السورية عبارةً . وقد احتجبت النبراس والمنتقد لأسبابٍ قاهرة

٤ً الحسناء (بيروت) : شهرية . نشأت في ٢٠ حزيران سنة ٩٠٩ . صاحبها جرجي نقولا باز ، كاتبٌ عصري مجيد . أستاذُه الاجتهاد ، ومدرستهُ المطالعة . هو نصير السيدات الخاص . اكثر مباحث مجلتهِ ترقية الفتاة . قارئات المجلة اكثر من قرائها . لجرجي افندي اسلوبٌ خاص في كتابتهِ

٥ً الكوثر (بيروت) : شهرية . نشأت في ١٨ تموز سنة ١٩٠٩ . صاحبها بشير رمضان ، كاتبٌ مجتهد له اعتناء خاص في ترتيب المجلة . لا يضع فيها رسالةً او قصيدة نشرتْ في احدى الجرائد . عبارتهُ جزلة ، ومجلتهُ منتشرة جداً بين الشبيبة الاسلامية الراقية

٦ً الكلية (بيروت) : شهرية . نشأت في اول شباط سنة ١٩١٠ . تصدر في الكلية الاميركانية ، في اللغتين العربية والانكليزية . الأولى بقلم الأستاذ بولس الخولي العالم المتفنن ، والثانية بقلم رئيس الكلية هورد بلس الخطيب الشهير . اكثر مباحثها في شؤون المدرسة والاساتذة والتلامذة

٧ً النفائس (بيروت) نصف شهرية . نشأت في ١ آذار سنة ١٩١٠ صاحبها أنيس الخوري . يكتبها كامل حميّه ، الكاتبُ الرقيقُ والشاعر المجيد . مباحث المجلة طلية . ولمحرّرها اسلوب داخله هزل يدلي الى انتقاد

٨ً الرابطة (بيروت) : مجلة جامعة . نشأت في أول كانون الثاني

سنة ١٩١١ . تصدر في المدرسة العلمانية الفرنسوية بثلاث لغات (العربية والتركيـة والافرنسية) بعناية رئيس المدرسة المسيو ديشان ، والأستاذ عساف بك الكفوري الكاتب العربي الصميم . والمجلة كاسمها رابطة ولاء وصلة اخاء بين التلامذة

٩ً المسرّة (حريصا — لبنان) : نشأت في اول حزيران سنة ١٩١٠ أصحابها المرسلون البولسيون . يحرّرها السيد جرمانوس معقد أبلغ مطران عربي ، له اسلوب خاص في انشائهِ

١٠ً النديم (جسر نهر بيروت) : نشأت في ٥ ايلول سنة ١٩١٠ صاحبها شاكر عون ، عالم غير كاتب . والنديم اقرب الى جريدة منهُ الى مجلة

١١ النفائس العصرية (القدس) : نشأت سنة ١٩٠٨ وهي مجلة شهرية . صاحبها خليل بيدس ، كاتب اجتماعي رقيق . لمجلتهِ اعتناء خاص في ترجمة الروايات المفيدة المسلية . قراء المجلة كثيرون . واكثرهم من الارثوذكس

١٢ الانسانية (حماه) : نشأت في حماه سنة ١٩١٠ . صاحبها حسن رزق ، كاتب متساهل ، وشاعر بليغ . لمجلتهِ اعتناء خاص في ترقية المرأة

١٣ المقتبس (دمشق الشام) : نشأت اولا في مصر سنة ١٩٠٥ . صاحبها محمد كردعلي ، كاتب مؤرخ . مجلتهُ ثقة في سرد المسائل التاريخية . ولو كان حظهُ بقدر اجتهاده لكان لمجلتهِ شأن عظيم في الشرق

١٤ العرفان (صيدا) : نشأت سنة ١٩٠٩ . صاحبها الشيخ أحمد

عارف الزين . مجلتهُ جامعة . فيها من كل فنّ خبر . منشئها مثال التساهل الديني

***

وهناك مجلات أخرى لم اذكرها لعدم قراءتي اياها طويلاً كالطبيب للدكتور اسكندر بارودي ، والجسمانية للاب يوسف علوان ، واللطائف الاهلية لمحمد جمل ، والتلميذ للمدرسة العثمانية ، والمجلة السورية لفيليب يوسف تيان ، ومجلة الاقتصاد لانيبال ابيلا ، والحقوق لموشي وخلف ، والعريس ، والعروس ، والشبيبة وغيرها من المجلات التي لم تعش كثيراً لضعف مادتها العلمية من جهة . وفقر أصحابها من جهة أخرى

حليم ابرهيم دموس



في جنائن الغرب

﴿ عفريت المنزل ﴾

LE LUTIN DU FOYER

معرَّبة عن كتاب « Les Légendes » لفيكتور هوغو

لوسي .... ما لكِ ترتجفين . لا ترتعدي فرقاً ، ولا تجزعي قلقاً . أتخشين عبدك ، وهو يتفانى في سبيل خدمتك . أتخشين ممن يريد ان يظلَّ قربك ما دام الليل ليلاً والنهار نهاراً . أتخافين من يبذل حياته وسعادته ليزيد يوماً واحداً في عمرك ؟ ألا اغفري لي أيتها الصبية الجميلة إنْ أزعجكِ كلامي او راعك منظري . فالكلام قد ضاق في صدري وأنا

أريد ان أتكلم فانّ السكوت يؤلمني

ألا قولي ما الذي يدعوك الى البرية ، اذا ما الشمس هتكت حجب السحب ، وبدّدت جيوش الظلام ، وتمايلت الحقول طرباً لهبوب نسيم الصباح البارد . ألا امكثي في بيتكِ واسمعي ما يوحي بهِ اليكِ عفريتُ داركِ ، وعي في صدركِ ما يبثُّ في نفسك من الحبّ والهيام . واذا ما الكرى أسبل عليك ستارَه ، وبتّ سكرى من نشوةِ خمرهِ الفتّان ، أنفثُ في صدركِ ذكرى الاحباب ومن طوتهم الايامُ وأدرجتهم القبورُ تحتَ احجارها ، وأُكلّل مهادَكِ الجميل الوثير بأجمل الأزهار لوناً وأعبقها أرجاً ، فأجعل ايامك كبعض ايام ايّار ، وليلك كبعض الليالي المقمرة

وان طمت بكِ السأمة مرةً الى استماع تغريد الاطيار تحت ظلّ الاشجار او صفير البلبل المعجبِ عند ما تميل ملكة النهار مائسة نحو ظلمات المغرب ، اعير الاطيار شجيّ نغماتي ، وأضع في فم البلبل أطرب آلاتي ، وأنفخ في هبوب النسيم البليل بعض شذا الجنة فيحيي أنفاسك المنهوكة تحت وقر العمل . واذا ما الغراب الأسحم نعق قرب داركِ ، طردتهُ بعيداً وأقصيتهُ عنكِ كيلا يشوش عليكِ ذهنك او ينغص عليك عيشك

عندما تستسلمين بنفسك الى زورق الصياد المتمايل فرقاً فوق تجمد الأمواج واضطراب المياه ، فاني أنا أدفع بذلك الزورق الغارق الى برّ السلامة وآمر الأرواح فتهدأ وريح الجنوب فتهب باردة وتنفح وجهك الاجر ، وآمر الاسماك الصغيرة ان تبهج ناظريك بألوان ظهرها الذهبية

فتجلو عن نفسك صدأ الاحزان والكآبة

وأنا كالكلب الأمين أحرس داركِ من شرّ اللصوص ، وأرافق انعامك الى مرعاها الأخضر ، وأذبُّ عنها الذئاب والضباع ، وأردُّ الى اسرابك ما شرد عنها من الاغنام . اصنع لك الجبنة عند ما تدرُّ لك قطعانك ألبانها ، واذا ما الشمس نادت حي على الفلاح كنتُ أولَ باديءٍ في العمل فاهيءُ لك خيلك واجرد عنها أقذارها

ألا تريدين ان تنظري اليَّ .. آه لو لم ترفضي اذن لعلمت ان الارواح ليست قبيحة كما تتوهمها عقول البشر ، لي اجنحة اطير بها وعينان زرقاوان كرقيع السماء الصافي ، أنا ابن الهواء ، أنا ابن الهباء ، ونحافة جسمي تدلكِ على صدق قولي

ألا قولي يا لوسي ما بالك ترتعدين ؟ اني لستُ أعجب من رعبكِ . اليك آخر سؤلي ، وما العهد بكِ ان ترفضي نعمة طلبت اليكِ فاسمعي . ان الله يأذن للاشباح ان تلبس الهيكل الانساني مرةً في السنة . فأنا سآخذ صورة حبيبك مانيوس من نقشت صورتهُ على سويداء قلبك وعلقت نفسك بهواه . ألا فاقبلي طيفي الشارد كما لو كنت اياه وارحمي شقائي ... ان التي كانت ترتعد خوفاً وتغرق رعباً منذ هنيهة من ذلك الصوت الحنون الرخيم ، وتطرده منتصرةً بالصليب ، قد علا وجهها الاحمرار وصمتت حياءً وخجلاً ، فدنا من فمها فمٌ وتعانقا . أتلك قبلة بشرية أم قبلة روح طوتها الأيام فبعثها الغرام .. ؟ لويس سود

في رياض الشعر

فؤادي

أقصرْ فؤادي فما الذكرى بنافعةٍ ولا بمرجعةٍ بعضَ الذي كانا
سلا الفؤادُ الذي شاطرتهُ زمناً حملَ الصبابة فاخفق وحدك الآنا
ما كان ضرّك اذ عُلقتَ شمسَ ضحى لو اذّكرتَ ضحايا العشقِ أحيانا
من يعصِ في الحبِّ نصحَ الناصحين يذقْ في الوصلِ ناراً وفي الهجرانِ نيرانا

اسماعيل صبري

ما كان

تنأى فتدنيكَ آمالٌ مكذّبةٌ لم تُبقِ ذكراً ولا هيأتَ سلوانا
قد كان ما كان من قلبي ومن نظري يا ليتَ ما كان قبل اليوم ما كانا

ولي الدين يكن

الحب المكتوم

نشرنا في « جنائن الغرب » من العدد الماضي تعريب ابيات بالعنوان المتقدم للشاعر الفرنسوي فليكس ارفر وقد نظم الترجمة شعراً صاحب الامضاء قال :

بنفسي سرٌّ للغرامِ مكتّمُ وحادثُ حبٍّ في فؤادي مبهمُ
تولّد في قلبي على حين غرّةٍ وتلك التي اوحت به ليس تعلمُ
سأقطع عمري لا وصالَ ولا لقا ولا أمل يُدني اليها فأنعمُ
فواهاً على صبٍّ يمرُّ بقربها وقد جهلت ان الذي مرَّ مغرمُ
تسيرُ ولا تدري بسرِّ غرامهِ ولو علمت كانت ترقُّ وترحمُ
اذا قرأت شعري تقول من التي تتيمه والقلبُ فيها متيمُ

احمد نسيم

المراسلات السامية

وكتب الامير شكيب ارسلان الى سامي باشا البارودي جواباً على قصيدته العينية المنشورة في العدد الماضي :

أترى يحل هواك بين الاضلع　　ويحلُّ لي بسواك ذرف الادمعِ
وأبيتُ اشركُ فيك في دين هوى　　واكونُ للتوحيدِ اوّلَ مدعي
وتظلُّ تشردُ بي لغيرك صبوةٌ　　هي من سجونك في المحل الامنع
واسيم في روض الحسان موزعاً　　قلباً وهي بالحملِ غير موزَّع
قلبٌ عليك تختمت ابوابه　　ما نحوه لسواك طرقة مطمع
اني طويت عن النسيم شغافهُ　　ان جاءني من غير تلك لاربع
وحجبتُ عن كل العواطف حجبهُ　　الاَّ الحنين لبدر ذاك المطلع
وابحت إلاَّ في الغرامِ هوادةً　　ومنعتُ إلاَّ أنّة المتوجع
اضحت تغاير في هواك جوارحي　　حتى ليغضب ناظري من مسمعي
واغار من طرفي لغيرك ناظراً　　لمحاً ولو شيم البروق اللمّع
ولو استطعت الشمس ذدت لدابها　　عن وجنتيك ولو سعت في برقع
ولقد اغار لهاجسٍ من خاطرٍ　　من سرّ مهجة راهبٍ متورع
يمشي اليك ولو بأعمق قلبهِ　　ويشير بالأفكار لا بالاصبع
درعت حسنك بالكمال وفتيةٍ　　من حول خدرك حاسرين ودرّع
في كلّةٍ تذَرُ الضراغمَ عندهــا　　من ذلةٍ امثال عفر الأجرع
ما للمطامع في الوصالِ ودونهُ　　خفر الشريعة والرماح الشرَّع
نفسي الفدا لمقنع هجرت له　　اجنانهنَّ شفار كل مقنع
تتهافتُ الاوهام عن حجراتهِ　　ويرد خاطره المتيَّم اذ يعي

ذاك الحمى الاّ على من أمَّهُ ... مني بممتنع الوجيب مشيّع

اكنهت بالإقدام سرّ ضميره ... وحللت بالأقدام قلب المصنع

هي زورة تحت الظلام وردتها ... فرداً بلا عَضُدٍ ... بلى قلبي معي

فنظرت من ذاكِ الهلالِ لنيّرٍ ... وعلقت من ذاك الغزال بأتلع

وأسغت في نَهَل الشفاه وعلّها ... ما ليس يعذب بعده من مكرع

بتنا كأنّا خطرةٌ في خاطرٍ ... او وهلةٌ حلّت فؤاد مروّع

نبهت بالاغزال هاجع حبّها ... وحمائها من غافلين وهجّع

وسقيتها كأس الهوى دهقاً ولم ... يحلُ الهوى الاّ بكأس مترع

متمليين من العناق كأننا ... قوس خلا لزيادة من منزع

اروي غريب حديث احوال الجوى ... والراح ليس يطيب غير مشعشع

وصلٌ أعاد الشمل أي موصَّلٍ ... لكن أعاد القلب اي مقطع

عاطيتها صرف الهوى وعفافنا ... طول التلازم لم يشب من موضع

كانت مضاجعنا تنثُّ كأننا ... لو كان يوجد منطقٌ للمضجع

والليل يكتم ما ينمّ بسرّه ... ارج النسيم سرى بمسك أضوع

وترى المجرّة في السماء كأنها ... درٌّ تناثر من سماء مُضرع

حتى اذا شقَّ الدجنّة شوقها ... لقا ذكاء وشاب فود الاسفع

ورأيت أسراب النجوم تتابعت ... بفرارها مَصعَ النعام الأمزع

ما كان أحوجنا بذاك لآية ... تأتي لنا في عكس آية يوشع

زحزحتُ عنها ساعدي وتركتها ... دون الكرى من تحت عبء مضلع

وطلعت اعثر بالسيوف ولو درى ... اهلُ السيوف مقامتي لم أفزع

أيغول مهجتي الكماة وما لهم ... فخر سواي اذا اغتدوا في مجمع

وترى تخون الخيل فارسها وهل ... يُردى الحسين على يد المتشيع

اومن لهم مثلي اذا عبس الوغى — وتضاحكت أنياب ثغر المصرع
وتشاجرت سمر القنا وتجاذبت — بذوائبٍ والسيف شبه الاصلع
ولقد بذذت السابقين فمن لهم — بوقوف سيرٍ بالمكارم مُوضع
وبلغت من سامي الفخار وجاءني — التقريظ من محمود سامي الارفع
خنذيذِ هـذا الدهر واحد اهله — مقدام حلبتهِ الاغرِّ الأتبع
القائل الفُصَح التي عن مثلها — يُثنى المقفَّع في بنان مقفع
لو جاء في العصر القديم لما روى — الاَّ قصائده لسان الأصمعي
قد قاد مملكة الكلام وحازها — أخـذَ الاعزّة للذليل الاضرع
ان يعصه قولٌ فلم يك لفتةً — حتى يذلل مستقيمَ الاخدع
سهل البيان عصيّه للمحتذي — فلأنت منه بين عاص طيّع
خُلقت له عليا اللغات فلو هفا — نحو الركاكة جاء كالمتصنع
تغدو المعاني حوَّماً حتى اذا — سامَين فكرتهُ هبطنَ بموقع
ما زال يبدع قائلا حتى يرى — بدعاً على الايام ان لم يبدع
ان اجدبت ارض الخلائق بالثنا — فخِلالهُ للحمد أمجد مرتع
او حار قومٌ في الشعاب فانه — رب المضيّ على المضيْ المهيع
أضحى يطارحني القريض وهل ترى — من اصبع يوماً يقاس بأذرع
أملى اليَّ قصيدةً فأذابني — خجلاً وهيبة خاشع متصدع
يا ابن الغطارفة الألى لم ينتموا — الاَّ بازهر في الندي سميذع
لا غرو ان يرتج عليَّ بحضرة — ان قابلت شمس الضحى لم تسطع
فلو انَّ سحبان الفصاحة قائمٌ — في بابها ما قال غير متعتع
فهناك ما بهر الخواطر هيبةً — وزرى بعارضة الخطيب المصقع
كل العقائل في حماك وصائفٌ — والمنشآت من الجواري الخضع

فاسلم رعاك الله سابغ نعمةٍ　　وأعاد عيشك للزمان الامرع
واعذر اذا قصرت عن حقٍّ فلو　　أمليتَ اسود مقلتي لم اقنع

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام (١)

الرسالة الاولى

من مسز هملتون الى الاميرال نلسن

كانت مسز هملتون أجمل نساء عصرها حتى قال فيها أحد شعراء قومها : « ليشفق الله عليكِ فما أشقاكِ في جمالكِ الساحر » . وقد جرى لها مع الاميرال نلسن الشهير امور معروفة في التاريخ انتهت بانفصالها و بعثت اليهِ بالرسالة الآتية على أثر ذلك . قالت :—

لا يشفع في كتابتي اليك الا ذكرى ايامنا الماضية وأحلام الصبي التي كنا نتعلل بها . وقد انطوت اليوم صفحة تلك الآمال وانقضى ما ما بيننا من عهود كانت أشبه بحلم أعقبتهُ يقظة هائلة

كيفما التفتُّ أرى العالم أشبه بفراغ لا تستطيع الكائنات جميعها ان تملأ زاوية من زواياه . ذلك لأن قلبي الذي كان طافحاً بأحلام السعادة قد أصبح اليوم خالياً ولعل قلبك ايضاً مثله فلا حبٌّ ولا آمال ولا عهود ولا وعود

---

(١) في هذا العنوان ما يدل على مواضيع هذه الرسائل التي عربها خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب البارع سليم افندي عبد الاحد وسننشرها تباعاً لما تحتويهِ من درس القلوب الكبيرة و بيان عواطفها

هل تذكر أيامنا السالفة والعهود التي كانت تربط قلبينا معاً رباطاً كنا نهزأ اذا قيل لنا ان الايام ستفتّ فيهِ ؟ ألم تقل لي يومئذٍ انك تحب الحياة لأنني في الحياة ، وتخشى الخلود لأنهُ قصير المدى في أعين المحبين ؟ فأين ما كنا نتعلل بهِ من أحلام الشباب ؟

***

. . . أنا جالسة الى نافذتي اكتب اليك هذه الاسطر ولا أعلم اين أنت . أنت بعيد عني ولعل بيني وبينك شقة شاسعة من الماء والفضاء . أرى الشمس وقد أوشك قرصها ان يختفي وراء الأفق وهي تنثر التبر من أشعتها الذهبية . كنت أود لو انها لم تكن مشرقة على هذا العالم لان ذلك أدعى الى مؤاساة الحزين ولأن في ابتسامتها شماتة بالقلب المنكسر . وما أوقعها عظة في النفس وهي واقفة تلقي على الكون تحية الوداع

***

لست ألومك لما جرى . . . ولكنني آسف لزهرةٍ غرسناها فلما آن قطوفها لفحتها ريح محرقة . فاذا كانت الآلهة تستطيع ان تعاقب البشر فهذا منتهى الشدة في العقاب . ألم احب الآلهة لانني احببتك ؟ ألم أتمثلك دائماً الكل في الكل ؟ ألم اقل لك انني اخشى ان ينتهي الخلود قبل ان يشبع القلب من حبك ؟

***

لزمت الفراش مدة فلم اترك غرفتي قط . لا أزال اشعر بضعف وشقاء . في الجو غيمة ، وفي قلبي غيوم . ليتني أنسى الماضي واعود الى

ابتسامتي السالفة . أتذكر يوم كنت تقول لي ان ابتسامتي مسروقة من ثغور الملائكة ؟ فأين انت اليوم لتنظر ما قد حلّ بتلك الابتسامة ؟

حقاً ما اظلم الآلهة ! انها تمنح الربيع للطبيعة ، والاريج للازهار ، والحب للقلب ، ولكنها تمنع الابتسامة عن ثغور الحزانى . فما اشقى القلب الحزين — الحزين بسبب الحب !

***

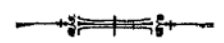
فكرت فيك اليوم ملياً لسبب لا ادريه . ذكرتك فتمثلتُ نفسي كمن يستيقظ من حلم هائل . أصحيح ان ما بيننا قد انتهى ؟ أصحيح ان صفحة الماضي قد انطوت ؟ اذن لماذا لا تنطوي معها هذه الحياة ؟ لماذا لا تخمد نبضات هذا القلب وتهدأ دقات هذا الفؤاد ؟ أ الى هذا الحد يبلغ بالمرء الشقاء ؟

***

ان الزمان هو الطبيب الاكبر يا . . . فهو سيشفيك من مرض الحب الذي ألمَّ بك ردحاً من الايام ، وربما لا تزال آثاره في زوايا قلبك الذي كان قبلاً مسكناً لي . سوف يأتي يوم لا تذكر فيه من هذه التي تخاطبك الآن سوى شبحٍ يتضاءل كلما مرَّت بهِ الايام الى ان تسدل عليهِ حجاباً ، وتقذف بهِ في هاوية الماضي . وما ارعب تلك الهاوية اللاقرار لها — ابدية تفغر فاها لتبتلع كل تذكاراتنا المذبة ، واحلامنا الماضية — رحماكِ ايتها الابدية بتلكُمُ الآمال !

***

قلبي مفعم غمًّا وآلامًا مبرحة . ونفسي تميل اليوم كثيرًا الى الدير .
ولكنني كلما ثُبتُ الى نفسي رأيت الدير أشبه بمقبرةٍ تزجّ فيها الفتاة
نفسها وتقضي على البقية الباقية لها من الآمال في هذه الحياة . يقولون
ان الدير اول محطة على الطريق الى السماء . ولكن فاتهم انهُ ايضًا مقبرةٌ
للاحياء تدفن فيها المرأة ما ابقى من حشاشتها الغرام . . .





رشيد بك نخله

السماء التي أظلت صاحب هذا الرسم أظلت غير واحدٍ من أهل
البيان . هي ألهمت هؤلاء وهي أوحت اليهِ . وكما متَّعت رشيداً بجمالها

وتصبّت قلبهُ بآياتها . أنزلت تلك الآيات على قلوب كثيرين ، وابتذلت أمامهم جمالها الفتان

تلك السماء الصافية الأديم جوّادة تعطي ، وكريمة لا تمنع ، فالشاعر القدير من استفاد من عطائها ، وأثرى بهباتها ، واستنزل الهامها ، واستجلى بديعها ، واقتبس من سحرها ، واسترق من أسرارها . وعلى قدر هذه المواهب تكون مسؤولية الشاعر أمام نفسهِ ، وأمام السماء التي أوحت اليهِ . لهذا أرى ان يُسأل الأديب اللبناني عن كثير ، ويطالب بمقدارٍ وافر !

*
* *

أمامي هـذا الرسم ولي بصاحبهِ صلة مودةٍ قديمة . ان رشيد بك نخله معروف في لبنان لا يجهله مواطنوه . قـد لا يعرفهُ بعضهم سياسياً حاذقاً ولكن جميعهم يعرفونهُ شاعراً مجيـداً ، وكاتباً بارعاً حلو الحديث أديب اللسان !

وُلد في الباروك احدى قرى لبنان وحيداً لأبوين كريمين فنشأ كريم الأصل شريف التربيـة . لم يعرف المدرسة قط قبل ان كان يافعاً فلما أقام فيها بعض السنة ملّها وملّتهُ . ليس في فطرته ميل الى التقيد ولا في خلقهِ غير حب الانفلات والحرية . كان في حداثتهِ يقول الشعر العاميّ اللبناني ومنهُ تدرّج بفضل السليقـة الى الشعر الفصيح . أما قواعـد العربية فاقتبسها من مطالعاتهِ لدواوين الشعراء وكتب الأدباء فبات ينطبق عليهِ قول بعضهم

ولستُ بنحويٍّ يلوكُ لسانهُ ولكن سليقيٌّ يقول فيعربُ

***

في مكتبة «الزهور» شيءٌ يسير من شعر هذا الشاعر المطبوع وانما هو قليلٌ من كثير لأن رشيداً محبٌّ للشعر جواد القريحة غير انهُ قليل الاكتراث لبنات أفكاره وعدوٌّ للشهرة والظهور . يقول الشعر ليلذَّ نفسهُ ويطرب فؤاده فاذا ما اكتفى لذةً وطرباً رمى باوراقهِ في أدراج مكتبتهِ فليئس تنفتح عليها تلك الأدراج ولو ثقبناها بمسمار

ولقد تسنى لنا أن نفوز ببعض تلك اللآلئ المكنوزة فرأينا ان ننشرها تباعاً تاركين للقراء أن يقدّروا قيمتها الغالية ويعرفوا مكانتها من الأدب

قلت أولاً ان الشاعر الذي أوحت اليهِ سماء لبنان ، وألهمتهُ الطبيعة الباهرة الجمال في تلك الربوع والأصقاع ، مطالب بكثير ، ومسئول عن أدبٍ وفر وبيان ساحر يكونان بمقدار ما استنزل مما حواليهِ من الوحي والالهام . إذن فان رشيداً سيكون ولا ريب حبيباً الى قراء الزهور ولعله لا تشغله وظيفتهُ السامية في حكومة جبل لبنان عن اتحافنا على التمادي بزهراتهِ الطيبة ؟

امين

أنتِ

ملكٌ أنتِ يا مادحة السرير ومنهنهة الصغير ، ومعنى حيوة هـذا الوجودِ أنتِ

أنتِ آنست وحشة الجد الاول حيث كان ، وحبك كان حماطة قلب

صاحب الحكمة ، وجمالك هو نشيد الاناشيد ، وكلما في هذه الحياة من القوة هو أنتِ

أنتِ الضلع المسلوخ عن القلب ، وأم البشرة الناعمة ، وذات الجسم الأبض ، والكتلة المكهربة التي كوّنتها يد المبدع العظيم ، وكلما في الطبيعة من جاذبية وجمال هو أنتِ

أنتِ وكلما يقع تحت معنى اللطف ورقة الشعور هو أنتِ

أنت يا نقية القلب يا سلسة المقادة يريدون ان يجعلوا منكِ غير ما هيأت الطبيعة . يريدون ان يمتهنوا امتيازات نوعكِ التي اختصته بها الفطرة . يدّعون انهم يريدون لكِ الكمال وهم بذلك انما يتنقصون قدركِ ويستخفون بميزتكِ

يحاولون ان يزيلوا عنكِ مزايا الانوثة المحبوبة ويخلّقوكِ باخلاق الرجال وأنتِ لو فطنتِ لعلمتِ انهم بذلك انما يحاولون تبغيضكِ الى القلوب عدا انهم يعالجون من ذلك أمراً ادّاً

يقولون انهم يريدون ان يجلسوكِ في صدور المجالس وعلى كراسي النيابة ويدججوكِ بالسلاح وينزلوكِ الى ساحات القتال وأنتِ لو علمتِ ما خلقتِ لهذا

يزعمون ان الاجيال الماضية ظلمتكِ ، وان عصر النور هذا سيرفع عنكِ تلك الظلامة بما سيعدون لجسمكِ الأبض من المقاعد الخشبية في تلك المجالس ويدفعونهُ لبنانك المنمنم من رهيف الحد

يريدون ان يفتلوا ساعديكِ ويضخموا منكبيكِ ويميتوا من ذلك

القلب الملكي عاطفة الحنو والاشفاق ويبتذلوا مجلى جمالكِ وبهائكِ للعيون وبالجملة يريدون ان يجعلوكِ رجلاً وامرأةً معاً

هذا ما يريدون وذلك ما يعالجون ويدّعون نصرتكِ ويهزّون لواءكِ

اما انا يا ذات المعصم وربة السوار، فلا أريدكِ الاَّ كما خُلقتِ مادحة السرير منهنهة الصغير مؤنسة الوحشة مملكة القلوب ناعمة البشرة أنيقة الجسم منمنمة البنان رقيقة الشعور		رشيد نخله

(وسننشر في العدد القادم شيئاً من شعره)

أفكار وآراء[1]

* عمل الطفل الصغير لا يفقد قيمته في جانب عمل جبار الاعمال ، وعمل الفرد لا ينقص من اهميته انه صغير في جانب عمل الشعب ، وعمل الشعب لا ينقص من قوتهِ انه جزءٌ من عمل البشرية كلها .

* اتمام الواجب هو دليل الحياة ، ومعنى الحياة وكمال الحياة ، فمن لا يقوم بواجبه فلا حياة فيه ، وقد يعيق سائر الكائنات عن عملها العظيم

* الانسان سيد المخلوقات ، وأدقها صنعاً ، واكملها تركيباً ، عليه من الواجب نحو نوعهِ ونحو سائر المخلوقات اكثر مما عليها جميعها ، وهو يشتدُّ اعراقاً في الانسانية بقدر ما يشتدُّ على القيام بالواجب

* ان الراحة او ما يدعونه في اصطلاح الفلاسفة سعادة انما هو القيام بالواجب على انواعه

(١) مقتبسة عن كتاب « الواجبات » الذي سيجيءُ الكلام عليهِ بعد

* بقدر ما يتعمق الانسان في العلم ويتبحر في الفلسفة يزيد احتراماً لفضيلة واضعي الاديان ، وتساهلاً في قبول الحكمة التي أوتوها

* قبل كل محبة ايها الانسان حب ذاتك لأن من لا يحب نفسهُ لا يستطيع ان يحب الآخرين

* من لم يجد بدًّا من إتلاف كيان المعتدي عليهِ صوناً لكيانه هو ، فقد اختار أهون الشرّين

* ان الانتحار الذي يزيد عدد الملتجئين اليهِ كل عام في الشعوب الراقية لهو دليل على انحطاط اولئك الملتجئين الى الموت فراراً من الحياة وهرباً من القيام بالواجب نحو نفوسهم

* آدابك الفكرية تظهر على لسانك لأنهُ قرطاس تصوراتك ، جرّب ان تفتكر حسناً وتفعل حسناً ، فلا تستطيع ان تقول الا حسناً ايضاً لأنه « من فضلة القلب يتكلم اللسان »

* يعتقد البعض ان لكل انسان ملاكاً حارساً ، وأنا أقول لك ان لكل انسان شيطاناً ايضاً ، وواجباتك الادبية هي ان تقاوم هجمات هذا الشيطان حينما يريد التغلب على عقلك وضميرك ، ولذة الانتصار في هذا العراك هي إضعاف المرارة التي تعانيها في مغالبة عواطفك واهوائك

متى عرفتَ أيها الانسان كيف تتسلط على أهوائك ، فقد عرفتَ كيف تضبط كل أعمالك ، ومتى فهمتَ أنك تعيش لتفيد فقد عرفتَ كيف تستفيد لتعيش ، فالطمع اذا كان مقروناً بغاية حسنة فهو خلة محمودة رغماً عما يقول في مذمتهِ المكابرون

* من يعرف كيف يكسب الدينار عن طريق الاستقامة ، لا يخشى من بذله في الطريق الحسنة

* قد أجمع السواد الأعظم من الناس على جعل ما لا تصل اليهِ أفهامهم من مظاهر القوة صفةً للخالق فاذا لم تقدر ان تعتقد ما يعتقدون، فاختر لنفسك معتقداً يعلمك الخير ويرتاح اليه ضميرك ويحيا بهِ

* خيرٌ للمرء ان ينظر الى ما وراء المحسوس بعين الرجاء وآمال السعادة من أن يغمض عينيهِ ويستسلم الى حكم الظلمة

* سيرة الانسان في بيتهِ تُظهر أخلاقهُ الحقيقية اكثر مما يظهرها أيُ مظهر آخر

* كما تكون العائلة تكون الأمة ، والأمة المنحطة انما هي مجموع تغلب فيهِ العائلة المنحطة ، كما ان الأمة النشيطة التي ينبغ أفرادها انما هي مجموع تغلبُ فيهِ العائلة المرتقية

* البيت يؤثر في الأفراد اكثر مما تؤثر فيهم المدرسة والكنيسة والجامعة ، لذلك أطلق الناس على الرجل الفاضل اسم ابن البيت مضموناً به كل الالقاب والأوصاف الحميدة

* بيتك هو المقدس الذي تطهّر بهِ نفسك ، بل هو الكنيسة والكنيس والجامع والخلوة ، هو المكان الذي تلتهب فيهِ عليقة المحبة والتهذيب ، واذا لم يكن عليك ان تخلع نعلك من رجليك كما جعلت العزّة على موسى ، فعليك ان تخلع عنك كل وصمة عار او فكر شرير يطرأ على ذهنك . هذا هو البيت بكل معناه ، فواجباتك الأولى أن تحترمهُ كمقدس لك

* حسنُ سلوكك في بيتك سعادة لك ولشريكة حياتك ، ومدرسة لبنيك و بناتك ، فان كنتَ لا تستطيع هذا ، فجرّب ان تكون بلا بيت لئلا تنزل عن عرش رجوليتك وتقلل من هيبتك واعتبارك وتدوس الانسانية وواجباتك نحوها

* الأخلاق الحسان تأتي اليك كالوزنات التي أشار اليها يسوع الجليلي على شرط العمل بها وانمائها ، فان لم يكن لك ضمير حيٌّ يطالبك بها ، فلا بدّ من أن تُطالَب بها من أولادك يوم يرون ذواتهم تعساء في حياتهم ، ذلك اذا لم تستوفِ الطبيعة نفسها حقها منك

سامي الراسي

أحسن مقالة وأحسن قصيدة ؟

سألنا القراء رأيهم في أحسن مقالة وأحسن قصيدة نشرت في السنة الاولى للزهور . فجاءتنا الاجوبة مختلفة مما يدلُّ على الاختلاف في الاذواق

مقالة « رجوع الحبيب » لجبران خليل جبران وقصيدة شوقي بك في رثاء تولستوي احرزتا اكثرية الاصوات . وجاءت بعدها قصيدة « فرعون وقومه » لاسماعيل باشا صبري وقصيدة « نفس مكرمة ونفسٌ تزدرى » لولي الدين بك يكن

ونالت قصيدتا صبري باشا ايضاً « بكاء صديق » و « دمعة » اصواتاً غير قليلة . ومثلها قصيدة شوقي بك « الى الحبيب »

ومقالة « الرقيق الابيض » و « من القفص الى العش » احرزتا خصوصاً استحسان القارئات

اما محبو الابحاث الادبية فقد أعجبوا بوجه خاص بتاريخ الآداب لعيسى المعلوف وبالنهضة في العراق لساتسنا

ومن المقالات التي نالت اصواتاً غير يسيرة « العمال والحكومات » و « القطران الشقيقان » لداود بركات وما كان في معناها من قلم تحرير المجلة في مفتتح العدد الاول وفي العدد الكبير « مصر وسوريا »

وقد جاءتنا كتابات ايضاً تعرب عن استحسان خطة درس الكتب كالريحانيات والنظرات ومجموعة الشميل والمقابلة بين شوقي والبوصيري وحافظ ابراهيم والفرزدق . وطلب اصحابها ان نكثر من هذه الدروس الانتقادية فنجيبهم : « اعطونا كتباً وخذوا دروساً »

وأثنى الكثيرون على الأشواك والأزهار التي يجمعها « حاصد » وكتب الينا احد الظرفاء يقول : « باقة جميلة جمع فيها الورد والبنفسج والزنبق والياسمين : مجموع ازهار عطرية لا اعرف ايها أفضل فلذلك جمعتها كلها وحرصتُ عليها في خزانتي »

هذا مجمل ما جاءنا من الأجوبة على سؤالنا نورده مع الشكر لكل الذين لبوا الطلب

أزهار وأشواك

القبلة والقانون

ذكرتُ في العدد الماضي كلمة عن القبلة والصحة ، وتحظير المجلس الصحي في ولاية انديانا للتقبيل . وقد كتب اليَّ فريق من القراء نظماً

ونثراً يشاركون شبان تلك الولاية في احتجاجهم على هذا المنع الثقيل . ولم يأتني شيء بهذا المعنى من القارئات . مع ان رأيهنّ في الموضوع ذو شأن خطير . وقد قرأت خبر حادثة جرت في اميركا — وأية غريبة لا تحدث في العالم الجديد ؟ — مفادُها ان قد طُرح على القضاء حلّ هذا المشكل « هل يجوز للزوج ان يقبل زوجته ساعة هي لا ترغب في ذلك . . ؟ » جاوبت المحكمة سلباً ، وحكمت على مستر جورج شوت بغرامة مئة دولار مع الأمر بعدم تقبيل زوجته قبل . . . الحصول على رضاها . ونحن نودّ لو صرّحت لنا المحكمة برأيها في ما اذا كان الرجل مضطرّاً الى تقبيل زوجتهِ ساعة هي ترغب في ذلك وهو لا يرغب . . ؟ غريبة ثانية عن المحاكم الاميركية : تضايقت امرأة من قبلات زوجها الكثيرة فرفعت أمرها الى القاضي . فرتّب للرجل عشر قبلات فقط في النهار تاركاً لهُ الخيار في تقرير مواعيدها ، فجعلها خمساً صباحاً وخمساً بعد الظهر . . . أفّ للقبلة ما اثقلها اذا كان شبح « القانون » واقفاً بين الشفاه والخدود . وقبحاً لها ما أمرّها اذا كانت تؤخذ بكمية ومواعيد مقرّرة كحبوب بنك ومستحلب سكوت . . .

بريدٌ وبريد

مصلحة البريد وُجدت لتخدم مصالح الجمهور . انت تدفع الغرش او الخمسة والعشرين سنتياً على رسالة تكتبها لتصل تلك الرسالة الى من كتبت اليهِ . ويتقاضى منك صاحب الجريدة او المجلة علاوةً عن قيمة

الاشتراك تلقاء نفقات البريد ، حتى تصل الجريدة او المجلة اليك ، لا الى احد عمال البوستة ليطالعها ويعيدهـا اليك متأخرةً — هذا اذا خطر على باله ان يردَّها . هذه امورٌ معروفة ، فيثقل عليك وعليَّ ترديدهـا ، ولكنها كثيراً ما تُهمَل فيضايقك ويضايقني إهمالها ولربما ألحق بنا ضرراً . وكيل ادارة « الزهور » مضطرٌ الى ارسال الاعداد الى بعض الانحاء مؤمناً عليها لئلا يختطفها عمّال البريد في تلك « الولاية » . وكثيراً ما لا يجديهِ التأمين نفعاً ضد هذه الأيدي الطويلة . سبق لي تسديد شوكة من اشواكي الى هؤلاء القوم غير المحترمين . فتكسرت على جلدهم وهو أسمك من بعض الجلود . . . واذا عدتُ اليوم الى هذا الموضوع فلأقدّمَ زهرةً من أعطر أزهاري لعمّال البريد الاميركي

جاءني ظرفٌ وعليهِ طابع من الولايات المتحدة ففضضتهُ ووجدتُ فيهِ ظرفاً آخر مختوماً بالشمع مطبوعاً بطابع باريس ، وضمنهُ رسالة من أحد اصدقائي هناك . فتعجبتُ للأمر ، لكني قرأتُ على زاوية الظرف ما ترجمتهُ « وُجد هذا المكتوب غلطاً ضمن رزمة جرائد فليرجع الى صاحبهِ ، فما أعظم الفرقَ بين بريدٍ وبريد . . !

حول امام العبد

قلتُ في عددٍ مضى كلمة عن المرحوم إمام العبد وكان مدير هـذه المجلة الجديد قد كتب نبذةً في «البرق» عن ترجمة ذلك الشاعر فأرسل عز الدين افندي صالح أحد أصدقاء إمام بهذه المناسبة بعض ملاحظات

خصوصية اقتطف منها بعض ما يأتي : كنت قد أشرت في ما كتبت الى الابيات الحماسية التي نظمها الشاعر الاسود محتذياً حذو ابن لونهِ شاعر بني عبس وذكرت كيف ان القطة القافذة من النافذة قد أطارت لبهُ شعاعاً وهو يفتخر بالاسنة والسيوف واليك هذه الابيات :

ولما التقينا والأسنة شرعٌ　　ونادى المنادي لا نجاةَ من الحتف
عطفت على سيف المنية فانجلت　　صفوفٌ وكان الصفّ ألصق بالصف
فرحت وفي وجهي وجوه عبوسةٌ　　وعـدتُ وأشلاء الفوارس من خلفي
فلم أرَ قلباً غير قلبي بجانبي　　ولم أرَ سيفاً غير سيفي في كفي
وقسَّم سيفي القوم قسمة عادل　　فأرضى الثرى بالنصف والطير بالنصف

وأشار كاتب ترجمة إمام في البرق الى أبيات نظمها الشاعر في شاب توفي مسلولاً ، واليك بعضها :

عشق الموت مكرهاً في شبابهْ　　رُبَّ موتٍ تحارُ في أسبابهْ
قبل أن يدفنوه في الرمس ميتاً　　دفنته الايام في جلبابهْ
فاذا رمتَ ان تراه بعين　　لا ترى غير أنةٍ في ثيابهْ
كيف تقوى كفاه في موقف الـ　　ـعرض اذا كلفوه حمل كتابهْ
أيها الموت لا عدمتك خلاً　　طالما أنقذ الفتى من عذابه

وأورد صديقي من النكات عن إمام غير ما أوردت قال : شدَّ عنقه يوماً بربطة سوداء فقال ان أحد اخوانه لما رآه هكذا حسب قيصه غير مزرَّر فطلب منهُ ان يزرره

وجلس يكتب فسقطت نقطة حبر على القرطاس فقال ان جليسه يومئذٍ قال له (نشف عرقك)

وأراد يوماً ان يذهب الى البيت وليس في جيبه نقود . فركب عربة حتى اذا وصل الى داره وولجها أطل للسائق من النافذة وقال له : يا عربجي . سيدي مش عاوز يركب . . .

وقال إمام يتغزل بغادة بيضاء :

— أنت عبدٌ والهوى أخبرني أنَّ وصل العبد في الحبّ حرامْ
— قلتُ : ياهذي أناعبدُ الهوى والهوى يحكم ما بين الأنامْ
واذا ما كنتُ عبداً اسوداً فاعلمي اني فتى حرُّ الكلامْ

وقال متغزلاً بغادة سوداء مثله :

وسوداء كالليلِ البهيم عشقتها لأجمعَ بين الحظّ واللونِ في عيني
اذا ضمنا ليلٌ تبسم ثغرُها فلولا سناهُ بتُّ في جنح ليلينِ

وقال شاكياً :

نسبوني الى العبيد مجازاً بعد فضلي واستشهدوا بسوادي
ضاعَ قدري فقمتُ أندبُ حظي فسوادي عليــهِ ثوبُ حدادِ

أضفت كل ذلك الى ما سبق لي ذكره عن صديقي الإمام اعلاناً لفضله وقياماً بواجب الحرفة **حاصر**

تمدن المرأة العصرية

طالت المناقشة في هذا الموضوع وخرج المتناظرون كما قلنا في العدد السابق عن دائرة البحث الأول ، فباتوا يتناقشون في ما اذا كان عدد الفضلاء يزيد على الفاضلات او اذا كان الأمر بالعكس وهذا ما يصعب تقريره . وجاءتنا ردود كثيرة نظماً ونثراً يضطرنا ضيق المقام الى الاكتفاء بتلخيصها او الاشارة اليها . منها مقالة

طويلة معتدلة اللهجة بامضاء «منصف» حاول صاحبها ان يوفق بين الفريقين فقال بعد مقدمة أثنى فيها على الآنستين اللتين فتحتا هذا الباب :

... قد اجادت الآنسة هدى بوصف الحالة السائر عليها العدد العديد من نسائنا وفتياتنا الجاهلات ؛ وقد اصابت المرمى بانتقادها تلك العادات الذميمة التي ستؤول بنا اذا طال امدها الى الهلاك والدمار ادبياً ومادياً . ولكنها بالغت جداً او انها غلطت في التقدير فتوهمت ان الحالة اسوأ مما هي وتصورت ان الفاضلات من الشرقيات اقل من القليل ، ووافقها على ذلك طيرها المغرّد ، فاصدرا حكمهما الجائر واعلنا قضاءهما المبرم . واني لمخالفٌ لهما في الرأي ومتفق مع كاتبة بيروت ، فارى ان الفاضلات الحكيمات لم يزلنَ والحمد لله اكثر كثيراً من الجاهلات الخاملات ، مما يبشرنا بحسن المصير ويؤملنا بحميد المنتهى ، بشرط ان نثابر على ما نحن مجدّون في اثره من الاصلاح ...

... قيّض للذكر طبقاً لناموس القوة وشدة البأس ان يكون المتسلط المتبوع ، وللأنثى بحكم ضعف الجسم ونحافة البنية ان تكون الخاضعة التابعة . وهو ناموسٌ سارٍ منذ بدء العالم حتى اليوم ، وعام بين المخلوقات كافة دون استثناء ... وعليهِ لا غرو اذا رأينا المرأة تتوخى ان ترضي الرجل في كل عمل من اعمالها وتحاول ان تنال منهُ الالتفات والاعجاب . فحقٌ والحالة هذه للآنسة ادما ان تقول ان معظم ما تؤاخذ بهِ المرأة العصرية من التفرنج والتورط في اتباع المودة سببهُ الرجال لانهم يميلون الى هذه المظاهر

ثم بيّن الكاتب الأديب ما آلت اليهِ حال شبان هذا العصر من سوء فهم التمدن ، وقال ان اصلاح المرأة الذي ينشده المتناظرون لا يتم الاَّ باصلاح الرجال :

يجب علينا ان نصلح انفسنا اولاً ومن ثمَّ نسعى وراء اصلاح نسائنا وبناتنا ، ولربما لا نبقى بحاجة الى هذا وقتئذٍ اذ انهنَّ يسبقننا حالاً الى الاصلاح طبقاً لرغائبنا وسيراً مع اميالنا . واني لمخالف حسوناً فيما نسب اليهنَّ من الضعف ووهن المبدإ ، فانهنَّ وان يكنَّ ضعيفات الجسم نحيفات القوام ، فهنَّ قويات الشعور شديدات الاحساس ، وما كان غيظهنَّ من انتقاد الآنسة هدى وسرورهنَّ من مدافعة اديبة بيروت الاَّ نتيجة هذين العاملين وهما كما يشهد الجميع رمز الرقي وعلامة التفوّق في سمو الاخلاق . وقد نسي اديبنا على ما يظهر ما وصفهنَّ بهِ شيخنا العازار حيث قال

وصفوا المرأة بالضعف وقد　　　جهلوا ما قال فيها الحكما

هي في الارض إلهٌ مثلما　　　خالقُ الارض إلهٌ في السما

ثم ردّ «منصف» على حكاية حسون مع زوجتهِ مما لم يخرج في المعنى عن ردّ سلمى وهند في العدد الماضي

أما «حسون» فقد ارسل الينا ردّين الاول على سلمى والثاني على هند . ولنحن لما تقدم من الاسباب نقتصر على نشر الاول منهما خصوصاً لأنهُ يُرجع البحث الى نقطتهِ الأصلية ويُظهر بأحسن بيان الغاية من هذه المناظرة ، ويبين بطريقة منطقية واضحة دور المرأة في المجتمع الانساني ووجوب اصلاحها . ولنا الأمل بأن يكون جوابهُ المُفحم خاتمة هذه المناقشة ، قال موجهاً الكلام الى سلمى :

اسلم لكِ جدلاً بأن معظم الفتيان على شاكلة فتاكِ ، واسمح لنفسي

بان اقرّعه على سلوكه الفظ مع فتاةٍ من مثيلاتك حليتها الأدب والفضل وزينتها اللطف وخفة الدم . . ولكن تسليمي هذا لا يخرجنا من الدائرة التي رسمناها وهي ان وجود فتيان اشقياء لا يجيز للفتيات ان يكنّ على مثالهم . ولما كان قصدنا الاصلاح وكنت من المسلّمات بوجود النقص الذي ذكرناه في السيدات وجب ان تسلمي حتماً باننا على حق فيما ذهبنا اليهِ وبأنه يجب تقويم ما اعوجّ فيهنّ بصرف النظر عما في اخلاق الرجال من الاعوجاج . فعيب الرجل يقتصر غالباً على الرجل وحده على حين ان نقص المرأة يتعداها الى اولادها وهذا هو السبب الذي يحملنا على المناداة بوجوب اصلاحها قبل اصلاحه واليك البرهان :

قوام الهيئة الاجتماعية موقوف على قوام العائلة وقوام العائلة منوط بالتربية البيتية والتربية البيتية من اختصاص المرأة دون الرجل : فالرجل عادة بعيدٌ عن البيت منهمك في اشغاله . فهو لا يرى اولاده الاّ خلسةً . ويظهر ذلك جلياً في البلاد الحية التي تتطلب الجهاد اليومي حتى يتمكن الانسان من حفظ مركزه بين الناس

اما المرأة فواجبها وحالها الطبيعية تقضي عليها بان تكون في البيت مع اولادها . فهم يشبّون على ما تريد ويتخلّقون باخلاقها

فهي اذن مسؤولة عن التربيـة البيتية اي عن قوام العائلة . نظرة يا سيدتي الى العائلات يثبت لكِ صدق ما قدّمنا . ولا تجهلين ان امثلة العامة هي فلسفة الشعوب وان فلسفة الشعوب هي من اصدق النظريات واشدها انطباقاً على الواقع ففي كل الدنيا تقول العامة ما معناه : ان البنت

هي صورة امها . فنحن نقول : « طب الجرّة على فمها تطلع البنت مثل امها » . والفرنجة تقول : كما تكون الأم تكون البنت » ولما كانت التربية البيتية منوطة بالأم دون الرجل كما اسلفنا فحيث تكون الأم الصالحة تكون البنت الصالحة وصلاح البنت فتاةً يكفل صلاحها أماً وهذا يكفل صلاح العائلة وصلاح العائلة يكفل صلاح الهيئة الاجتماعية

اذن فصلاح الهيئة الاجتماعية موقوف على صلاح المرأة قبل الرجل

تلك حلقة مقدمات ونتائج محكمة الرباط لا يتسع المكابر انكارها

فمتى تبيّن ذلك ظهر سبب تصدّينا لهذا البحث وثبت حسن قصدنا وسلامة نيتنا . . .

(وليعذرنا اصحاب باقي الردود اذا اضطررنا الى اهمالها والسلام)

مولود عجيب

كُتبَ من المنصورة ان امرأة فقيرة قد وضعت مولوداً عجيباً عمره تسعة أشهر رحمية . وله رأسٌ ووجهان واربع اعين ، اثنتان في مركزهما الطبيعي واثنتان في الجبهة ، وله أيضاً أنفان وأذنان وفمان وشفتان علويتان وأرنبتان وفكان سفليان ، وما بقي من الجسم فهو طبيعي وقد وُلد ميتاً وهو خنثي

ثمرات المطابع

تذكار الماضي [١] — اذا قال أديب الشعر في أيامنا الحاضرة نشره في الصحف والمجلات على زعم ان الناس لا يطربون الاَّ لشعره ولا تستهويهم الاَّ بنات افكاره . وقد يُغالي بعضهم في تهوّسهِ الى حدّ انهُ يحسب ان شعره من ضروريات الحياة فالجرائد والمجلات في مصر وفي سوريا لا تفتأ تحملُ في كل عددٍ من اعدادها شيئاً كثيراً من شعر النشأة الحديثة ، والقراء لا يبرحون يتعرّفون الى شعراء من هذه الفئة لم يكونوا يعرفونهم من قبل

كذلك لم نجد اديباً من هؤلاء ولوعاً بالشعر يقوله في اغراضٍ كثيرة ويجيده في مواقف عديدة وهو يكاد يكون مجهولاً من اخوانهِ الادباء مثل صاحب ديوان « تذكار الماضي »

اذا قرأت هذا الديوان لم تذكر انك قرأت شيئاً منهُ في الصحف والمجلات ولا عرفت صاحبهُ ايليا افندي ظاهر أبا ماضي لولا ابيات نشرتها له جريدة « العلم » منذ عهد غير بعيد ، فاذا جرّبت ان تتعرّف الى هذا الاديب بادبهِ وشعره عرفتَ انهُ سمح القريحة يحاول ان يأتي في اكثر ابياته بالمعاني الجديدة فينظمها في قالب يغلب فيهِ اندماج اللفظ ومتانة التركيب

---

(١) طبع بالمطبعة المصرية في الاسكندرية ويطلب من المكاتب الشهيرة عدد صفحاته ٨٤

ذلك كلهُ جيّد ولكن الأجود ايضاً انما هو تلك السهولة التي يجدها الناظم في نظمهِ على اختلاف الاوزان الشعرية والمواضيع المتنوعة ؛ في الديوان قصائد تقع في نحو ثمانين صفحة تحامى فيها شاعرها المدائح واشباهها منصرفاً الى اغراض ثانيــة هي اجمل وقعاً في النفوس ، واكثر دلالةً على الشاعرية

وفي الديوان ايضاً كلمة وجيزة أهدى بهـا الناظم مجموعة اقواله الى الامة المصرية وقد خاطبها بقوله عن ديوانهِ هذا « وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيهِ سوى ما يرضي الحق ويرضيك ويرضي هـذا الفن الجميل » على ان كلمتهُ هذه تغتفر له في جانب ما في الصفحات التي تتلوهـا من القصائد والمواضيع المختارة

والديوان في جملته يبشر صاحبه بمستقبل مجيد في عالم الادب ولا سيما اذا هو اعتنى باختيار الفاظهِ الشعرية وتنقيتها ، وتجنّب التعابير التي هي اقرب الى العاميّ منها الى الفصيح . اما الشاعرية في حدّ ذاتها فهو مطبوع عليها

الواجبات[1] — تقول الآية الذهبيــة : « افعلوا بالناس ما تريدون أن يفعل الناس بكم » وتقول الحكمة السائرة : « اذا عرفت الواجب عليك كنت انساناً حقيقياً » وتقول «كارمن سيلفا» ملكة رومانيا الحالية في كتابها « خواطر ملكة » : « لا سعادة الاّ في الواجب » فمعرفة الواجب هي أصعب ما يلاقيهِ الانسان في جميع أدوار حياتهِ . وفي

(١) طبع في المطبعة السورية (سان باولو البرازيل) عدد صفحاته ١٧٤

اعتبارنا أن الواجب لا يتسنى تحديده ووصفه فهو يتكيف بحسب الأحوال التي تقتضيه . غير ان من الواجبات ما أصبح عاماً معروفاً كواجبات الانسان نحو نفسهِ ، وواجباته نحو الهيئة الاجتماعية في نظر اجمالي وهو ما تحدَّى ذكره ووصفهُ حضرة الفاضل سامي افندي يواكيم الراسي احد ادباء الجالية السورية في البرازيل في كتابهِ الواجبات — العامة والافرادية

أهدى الينا حضرتهُ هذا الكتاب فطالعنا معظمهُ فاذا هو نتيجة تفكرٍ وتعمقٍ في ما يحيط بكل انسان من الاحوال . وخلاصة نظراتٍ دقيقة تدلُّ على ذكاء الكاتب واستدلالهِ بصغائر الأمور على كبائرها شأن المفكرين الباحثين الذين يقفون في بحثهم وتفكيرهم عند الاشياء التي يتجاوز عنها الكثيرون منا ، ويعنون بدرس المسائل التي لا يخطر لمعظمنا ان يعني بها هنيهةً ما . تلك هي فلسفة الاشياء الصغيرة تبنى عليها الحقائق والنتائج

فالواجبات — وان كنا لا نوافق مؤلفه في كل افكاره فيهِ — كتاب مفيد يحسن بأن يكون في مكاتب الأدباء الى جانب الكتب العربية العصرية القليلة العدد في مثل هذه المواضيع المفيدة . اما لغتهُ فسهلة سلسة كأنما لم يحفل الكاتب الاَّ بالتعبير عن افكاره بوضوح وجلاء غير مهتم لزخرفة العبارة وتزويق التركيب حتى لقد يعثر قلمهُ احياناً ببعض الهنات فيهمله ويظلُّ سائراً في طريقهِ . وكما يرى القارئ في غير هذا المكان فاننا اقتبسنا من «الواجبات» بعض الأفكار من الصفحات الأولى

منهُ دلالة على ما فيه من الفائدة . ولعلنا نفعل مثل ذلك في عدد آتٍ
نشكر المؤلف على هديته ونلفت الأنظار الى كتابه

رواية البائسين[1] — « Les Misérables » هي الرواية الاجتماعية الشهيرة التي وضعها فيكتور هوغو شاعر فرنسا الاكبر في نهضة آدابها الحديثة . وبطلها جان فالجان الذي حكم عليهِ بالنفي لأنهُ سرق كسرة خبزٍ ليسدّ بها رمق اولاد شقيقتهِ يوم كانوا يتضورون جوعاً . كتبها مؤلفها سنة ١٨٦٢ وهو حينئذٍ في الستين من عمره . فنالت شهرة بعيدة وتُرجمت الى معظم اللغات لأن كاتبها الكبير جمع فيها جلّ أرائهِ وافكاره في الهيأة الاجتماعية . ويضيق بنا المجال اليوم لتحليل هذه المبادئ وايفائها حقها من الدرس والبحث . جاءَنا الجزء الأول من هذه الرواية منقولاً الى العربيـة بقلم الكاتبين جرجي وصموئيل يَني صاحبي مجلة المبـاحث الطرابلسية . وقد حاول المعرّبان ان يطابقا الترجمة على الأصل قدر الامكان ليحفظا اسلوب المؤلف وخطته الكتابيـة ... وقد سبق لحافظ ابرهيم منذ بضع سنوات ان عرّب ايضاً جزءًا من هذه الرواية فكان لظهوره ضجة في عالم الأدب العربي . ولا ندري لمـاذا احجم شاعرنا عن متابعة عمله . هذا ونحن لا نزال نقول ان نقل آداب الافرنج الى لغتنا لما يكسب العربية ثروة طائلة من المعاني بشرط ان يوفق ادباؤنا الى تعريب الصالح منها وايفائهِ حقه

---

(١) طبعت بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام عدد صفحاتها

رواية الشهر

زعيم اللصوص

١

على مسافة فرسخين من قرية «ألبي» احدى قرى كالابريا فوق رابية صغيرة كنت ترى بيتاً قديم البنيان في وسط بقعة خضراء ، وهو يُشرف من الغرب على القرية المذكورة ، ومن الشرق على غابات كثيفة . وكان يسكنهُ قرويان — جاكوبو وامرأتهُ حنة — عُرفا عند العامة بتقواهما وبرّهما . على انهُ كان في القرية أناس يزعمون ان في الزوايا خبايا ويؤكدون انهم كثيراً ما نظروا رجالاً من ذوي الشبهات مدججين بالسلاح يطوفون ليلاً حول هذا البيت المنفرد ويدخلون اليهِ من باب سرّي ثم ينسلون منهُ باكراً ويتوارون في الغابات . ومما كان يؤيد هذه الاشاعات ان جاكوبو كان يوصد بابه عند غروب الشمس فلا يقبل زيارة احدٍ من أهالي القرية . فكان ذلك مدعاةً لزيادة الريب والظنون

وفي الواقع لو أتيح لهؤلاء دخول هذا المنزل في احدى ليالي شباط لأصبح ظنهم يقيناً وزعمهم رواية صدق . فانك كنت ترى في احدى القاعات بضعة عشر رجلاً شاكي السلاح بأزياء مختلفة جالسين حول طاولة عليها قطع من اللحم المشوي وبالقرب منهم برميل يستقون منهُ خمراً فيأكلون ويشربون بشراهةٍ . وكان جالساً الى احد طرفي الطاولة رجل يناهز الثلاثين من عمره . تنمُّ ثيابه وهيأته على انهُ زعيم هذه الجماعة . وكان بالقرب منهُ فتاة لا تتجاوز العشرين ربيعاً بديعة الجمال ، رشيقة القد مدمجة المفاصل ، قلما يُنظر لها شبيه بين القرويين . وكانت علامات الحزن باديةً على محياها وهي تنظر الى رفيقها بعض الحنو . أما الباقون فكانت قد لعبت بروؤسهم حميّا الخمرة فاخذوا ينشدون ما طاب لهم ويقهقهون بأعلى اصواتهم حتى اشتد اللغط . وكثرت الضوضاء . فصرخ بهم زعيمهم :

— وحق ابليس ان هذه الجلبة كادت تفضحنا ، ألا تصمتون !

وكان للمتكلم على ما يظهر عظيم نفوذٍ في رجاله ، اذ سادت السكينة للحال ، فتابع كلامه قائلاً :

— لا أعلم ماذا يحملني على التشاؤم هـذه الليلة . . . وعلى كلٍّ فها انا أقوم حارساً في الغرفة المطلة على الغابة ، وابقوا أنتم هنا ، كلوا واشربوا . ولكن اعلموا اني سأغمد خنجري في صدر من يأتي بضجة . . . .

قال ، واشار الى الفتاة ان اتبعيني ، وأخذ بندقيتهُ وخرج وجلس مع رفيقتهِ قرب نافذة الغرفة الثانية

٢

— لِمَ البكاء يا اميلي . . ؟

— آه يا أنجلو ! ان منظر هؤلاء الرجال يخيفني

— لا تخافي يا عزيزتي ، انتِ قلبي ، وما عهدي بقلبي يعرف الخوف. هؤلاء الرجال الذين يبارزون الموت لو رأوا رسم شخصه يرتجفون امامي . وقد مازج خوفهم مني حبهم لي . فهم دون شك يعتبرونك ويجلونك ولا يسعهم الاَّ الائتمار بأمري

اما الفتاة فاتكأت الى ذراعه بحنو واسترسلت في ذرف الدموع ، فقال

— آه يا أميلي ، لا شك ان الندم يستولي على قلبكِ الآن لأنكِ عرّضتِ نفسكِ فتبعتِني . ألا بربكِ ارجعي الى ذويكِ . فلا اريد ان انالكِ قسراً ، لا اريد ان اعرّضكِ الى المخاطر والمهالك الى المنفى والموت ، فاعلمي يا عزيزتي أنَّ كلَّ خطوة من خطواتي تقودني الى الهاوية ، اما انتِ فامامكِ طريقان : طريقٌ سهلة امينة وهي الطريق التي تركتِها ، وطريقٌ صعبة خطرة ، في كل خطوةٍ منها اثم وفي كلّ مرحلة جريمة وفي آخرها المشنقة ، فاختاري لنفسكِ

— اني اختار الطريق التي تسير فيها انت

— اسمعي اذن ، لأنهُ يجب الآن ان تعرفي من انا وما هي غايتي . . . كان أبي من عائلةٍ شريفة النسب عريقة الحسب وكان من حزب البوربون فسقط

بسقوطهم . وكان شيخ القرية الجديد يخاف صلاح أبي ونفوذه فأصبح له عدوًّا لدوداً لأن الفضيلة لا تجعل صاحبهـا بمأمن من العدوان بل كثيراً ما تجعله هدفاً لاضطهاد الاشرار . وكان للشيخ المذكور ولدٌ سكر من نشوة الكبرياء ولعبت في رأسه ثورة الاهواء وكان ينظر اليَّ بعين الحسد والضغينـة لاني كنت افوقه في الرماية وشدة الساعد . فكان يقابل تحياتي بكلام الهزء والسخرية ويعير ني حزبي كلقب عارٍ وذل . . . آه ان خنجري كان يرقص حينذاك في غمده ونفسي تحدثني بأن أذيق هذا المتعجرف ثمرة عنفوانهِ ، لكن التروي كان يسكن ثائري خشية ما سيجرّ ذلك على عائلتي من الويلات . . . وكنت عنـد عودتي من شغلي مساء أرى أهلي في حالة الجزع التام : أمي واختي تذرفان الدموع ، وأبي يتمشى باضطراب ويرمي بنظرات اليأس الى بندقيته القديمة المعلقة على الحائط . . . . .

وعند هذه الذكرى انتصب انجلو واقفاً وقدحت عيناه شرراً ، فمالت اليهِ الفتاة قائلة :

— لا تنقطع عن الكلام يا انجلو فاني عندما تتكلم أشعر بأنك تبثّ فيَّ شيئاً من روحك . » فكبح جماح غضبه المتصاعد وعاد الى حديثه :

— وكانت والدتي تعرف ما أنا عليه من الحمية فباتت تتوقع من يوم الى آخر وقوع الصاعقة . . . كانت هي واختي « فيلومين » تغزلان وأنا أبيع الغزل في آخر الاسبوع . . . آه ما كان أشد حبي لأختي . . . ألا تذكرينها يا اميلي . . . فانها من عمركِ وجميلة مثلك . . .

قال هذا وسالت من عينيه دمعتان . . . وكان القمر في الخارج قد احتجب وراء غيمة سوداء وتراءت الاشجار كالاشباح . هذا وكان سائر الرفاق لا يزالون في القاعة يأكلون ويشربون . . . فاستأنف انجلو الكلام قائلاً :

— فعادت أختي يوماً الى البيت وهي تبكي بكاءً مرًّا وذلك بسبب « أرنست » اللعين ابن شيخ القرية الذي أسمعها كلمات تمس بشرفها . مرَّت بضعة أيام واذا بي ذات صباح أمام ذلك الوغد اللئيم قرب منزلنا وهو يترصد خروج أختي ليكاشفها

بحبه . فوثبت عليهِ وألقيته على الحضيض وأوسعته ضرباً ، وكدت أقضي عليهِ لو لم يخلصهُ بعض القروبين . ولما عدتُ الى البيتِ وجدتُ عائلتي باضطراب عظيم فتقدم اليَّ أبي بكل وقار وأعطاني البندقية والخنجر وقال : يريدون ان تكون لصاً فاذهب الى الوعر . . . . فودَّعتُ أهلي وذهبت . ولما لم يتمكن أعداؤنا من القاء القبض عليَّ حوَّلوا كيدهم الى ذويَّ . فاتهم أبي بمؤامرة سياسية مع حزب البوربون وهو بريء منها فزجَّ في السجن . وكان أرنست السافل لايزال يعلل النفس ببلوغ مأربهِ . ولما لم يكن الوعد ولا الوعيد يثنيان أختي فتحيد عن طريق الشرف عمد هذا الشيطان الى حيلة جهنمية . وكان يعرف تماماً ان بعد فراري وسجن أبي لم يبقَ في البيت من يحمي حماه . فأتى مع احد رفقائهِ في ذات ليلةٍ ونادى أمي انَّ لها مكتوباً من وحيدها . وكانت والدتي قلقة البال لانقطاع أخباري عنها منذ اسبوعين ، فأسرعت الى فتح الباب وهي لا تعرف من المنادي . ففاجأها هذا الشرير بضربة كادت تفقدها الحياة ووضع على فمها الشبام اما أختي فوقعت مغشياً عليها من شدة الرعب. فنقلت الى فراشها . . . . وهكذا دخل العار الى بيتنا . . . وعند الصباح كانت فيلومين قد فقدت الرشد لانها لم تتحمل ما اصابها من المنكر .

قال أنجلو هذه الكلمات الاخيرة وقد جحظت عيناه وهو يلهث ويرتجف غيظاً

— يالله ما أكبر مصابك يا أنجلو . . . ؟

— فبلغ أبي في السجن خبرُ ابنتهِ ، فأبت نفسه الأبية احتمال العار . فمات وهو يلعن السماء والأرض أما أمي فبعد هدر دم ابنها وفضح ابنتها وموت زوجها كافراً قضت نحبها في أتعس حالة . أما أنا . . . أما أنا يا اميلي فلم أعد افتكر بموت والدي ولا بما أصاب شقيقتي بل صرفتُ كل افكاري الى الاخذ بالثار وحلفتُ أغلظ الايمان بأن أنتقم من علة مصائبنا شرَّ انتقام . ولم تلبث الظروف ان بلغتني مرامي ، اذ أعلمني احد اللصوص ـ وكنت قد أصبحت منذ يومين زعيم احدى جماعاتهم ـ ان شيخ القرية وابنه سيمران عند المساء قرب الغابة عائدين من المدينة . فذهبتُ ولم استصحب احداً من رجالي لأذوق وحدي لذة الانتقام . فكمنتُ هناك ولما مرَّ

الشيخ وجهتُ اليه رصاصة كانت القاضية عليه، أما أرنست فاصابت رصاصتي الثانية رجله فسقط عن جواده ولم اكن أقصد قتله كأبيه . فقدته الى مغارة هناك وأوقدت ناراً وأخذت أذيقه من العـذابات الواناً وهو يبكي ويتضرع وأنا أضحك ضحكاً مخيفاً . . . آه ان الليلة التي قضاها معي تساوي تلك الليلة التي قضاها مع شقيقتي المسكينة . خرجت فيلومين من يديه وقد فقدت رشدها وشرفها ، وخرج هو من يدي وقد أصبح جثة كالفحم وذهبت روحه الخبيثة الى الابالس . . . آه ما أشد ما كان فرحي في تلك الليلة . . ! »

قال وضحك ضحكاً أشبه بهرير الكواسر ، فارتعدت فرائص اميلي وعادت الى الوراء . ثم نكس انجلو رأسه و بكى . . . فاقتربت اميلي وأخذت يده وجلست بقربه و بقيا هكذا مدة . . . ولما رفع رأسه قال :

— آه يا اميلي لست قاسياً بهذا المقدار ، ولكنني . . . فلم يتم عبارته بل أخذ بندقيتــه بكل سرعة وحدق بنظره نحو الغابة كأنهُ يريد خرق الظلام بعينيــهِ . فانتفضت اميلي قائلة «ماذا اعتراك ؟» — فأجاب : رجال الدرك . . . ألا تنظرين هذه الخيالات ؟ . . » ثمَّ اسرع الى الغرفة ، وصاح بجماعته : « خيانة ! وقعنا في الشرك ! » وكأن وقوع الخطر بدد عنهم سكرتهم فابتــدروا السلاح واجتمعوا حول عريفهم سائلين : ما العمل ؟ فأجاب اكبرهم سناً وكان قد نظر من النافذة الى الجنود : « يحاول رجال الشرط ان يطوقوا هذا المنزل . فهيــا بنا الى الغابة ومتى راموا الدخول نهجم هجمة واحدة . هذا رأيي .» فأجاب الجميع : وهذا رأينا

فقال انجلو : « واميلي ؟ ماذا نصنع باميلي

فقال أحدهم « تبقى هنا » — فاجاب انجلو « وأنا ايضاً أبقى » — ولكنهم يقتلونك . - يقتلونني ولكنني لا أتخلى عنها . — كم أهلكت النساء رجالاً . . .

وكان جاكوبو وامرأته صاحبا المنزل اثناء ذلك في بكاء ونحيب ، ينــدبان سوء طالعهما

فتقدم اكبر اللصوص سناً وقال : لو كان يفيد الفداء لما تأخرنا . ولكــن

يا زعيمنا اذا بقيت هنا فانك تجلب الموت عليك وعلى من تريد خلاصها فاسمع لي : نشدّ وثاق الثلاثة — صاحبي المنزل واميلي — ويدّعي جاكوبو انها ابنة اخته أتت تزوره في هذه الايام واننا دخلنا هذا المساء الى منزله عنوة وقيدناهم بعد الوعيد والاهانة . فتنطلي الحيلة على رجال البوليس ، اما نحن فاننـا نؤمل النجاة بنار بارودنا ومضاء خناجرنا

فلم يرَ انجلو بداً من الاذعان بعد موافقة الجميع على هذا الرأي وقبول اميلي به ، لا سيما وقد نادى اللصوص به : « عليك يا زعيمنـا الاعتماد . . ! » فنزل الجميع بعد ان شدوا وثاق الثلاثة المذكورين

فقالت حنة اذ ذاك لزوجها . أجل سندّعي ان الفتاة ابنة اختك وهكذا ننجو ولكن الحكيم من قدم الحذر فاذا ألقي القبض على انجلو الا تبوح اميلي بكل شيء فانها تحبه وتجود بكل شيء في سبيله فتكون العاقبة علينا وخيمة . فاذن — وأشارت اشارة معنوية الى خنجره — تدعي انهم دخلوا بالرغم عنا وانهم قتلوا نسيبتنا. . .

سمع انجلو صوت استغاثة فصاح « آه صوت اميلي ؟ ما حلَّ باميلي . . . » فاجاب احد رفقائه : لا شيء . ولا سبيل للاحجام » . . . وهجم اللصوص هجمةً واحدة ، وكان انجلو بينهم كالأسد الكاسر ينشطهم بالقول والفعل ومسدسه لا يسكت وخنجره لا يغمد إلا في الصدور . فاجتمع حوله معظم قوات العدو وتمكن رفاقه من النجاة . أما هو فظلّ يقـاتل بكل بسالة ولكن ما تجدي البسالة والعدوّ يتكاثر حوله و يضيق عليه النطاق حتى قبضوا عليه وشدوا وثاقة

٣

هجم الليل ، السكوت سائد والظلام باسط سدوله على الطبيعة . في قاعة سفلى رجل جريح ملقى على الحضيض : هو انجلو وقد ألقي في هذا السجن بعد ان كبل بالقيود . عيناه تقدحان شرراً والدم يسيل من جروحه . على الباب خفيران يتحدثان عن الواقعة الاخيرة

— لله ما أشد ساعد انجلو وما أشد بأسه . . !

— نعم ولكن قتله لتلك الفتاة المسكينة — كما أفاد جاكوبو وامرأته — لما يسمه بسمة الدناءة والعار

— ان في الامر لسرًّا . فقد أمر الحاكم بتوقيف هذين الشخصين ، فان في أعمالها وأقوالها ما يفتح مجالاً للشكوك . خصوصاً ان ليس من يعرف لها هـذه النسيبة التي وجدت مقتولة في منزلها ، فان جاكوبو . . .

انقطعا عن الكلام لان الحاكم بعينه كان قد دخل يتبعه أربعـة من الرجال حاملين جثة فتاة ، فقال الحاكم لأحد اتباعه : دعوا الجثـة قرب السجين ، وابقَ أنت هنا لاحظ كل حركاته فان كلة واحدة تكفي لارشادنا الى الحقيقة

قال هذا وانصرف ، فأدخلوا الجثة ووضعوها قرب انجلو دون ان يكلموه . ولم ينتبه هو لهم لانهُ كان كالمغمى عليه من شدة الألم . وبعد قليل أفاق من غيبوبته فرأى على نور السراج الضئيل شيئاً بالقرب منه . فجرّ قيوده بكل عجز حتى وصل اليه . . . فلمس شيئاً بارداً . . . جثة انسان . . . فرفع النقاب الذي كان يستر الوجه ، فانتفض جسمه ثم بقي مدة صامتاً جامداً . . . وصرخ : اميلي . . !

عند الصباح دخل الحاكم الى السجن وسأل الرجل عما كان من أمر السجين فأشار الرجل ونظر الحاكم . . . جثة على جثة

✱ آثار العباسيين في بغداد ✱

تشتغل لجنة المانية مؤلفة من ١٥٠ شخصاً في بلدة سامراء من اعمـال ولاية بغداد للتنقيب عن الآثار القديمة ، فبدأت بحفر الجامع الكبير المشهور بجامع الملوية فظهر أثر المحراب والاسطوانات والشاذروان . وكل هذه الابنية بالجص ، وهي من بنايات خلفاء بني العباس وقد مضى عليهـا نحو الف سنة وهي ثابتة الاساس متقنة الصنع والهندسة ، وبعد ان أُخذ رسمها بالتصوير الشمسي شرع العملة يحفرون من جهة نهر دجلة فظهرت الحامات والآبار وهي مبنية بالطين لا بالآجر ومبيضة بجص منقوش نقشاً هندسياً لطيفاً لا مثيل له في هذه الايام

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس　　يوليو (تموز) ١٩١١　　السنة الثانية

{ ملك وملكة الانكليز في ثياب التتويج }

١٥ * ٢

تتويج ملك الانكليز

جرت حفلة تتويج جورج الخامس ملكاً على انكلترا وامبراطوراً على الهند في دير وستمنستر حيث يُمسح ملوك بريطانيا العظمى كما كان ملوك فرنسا – على عهد الملكية فيها – يُمسحون في ريمس . والانكليز معروفون بشدة تمسكهم بتقاليدهم القديمة لا سيما في حفلاتهم الرسمية وما يتعلق بحكومتهم وحكامهم . فيوم التتويج يوم مشهود عندهم يبتدئ عند الصباح اذ يقبل الملك والملكة على الدير المذكور ويدخلان الكنيسة باحتفال عظيم ويجلس الملك على الكرسي الملكي القائم على منصة منصوبة في صحن الكنيسة . ويبتدئ التتويج « بالاعتراف » اي بتقديم خضوع الاعيان وباعلان الشعب رضاه بالملك واستعداده لطاعتهِ وخدمتهِ . ثمَّ يسأل رئيس اساقفة كانتربري الملك هل هو عاقدُ النية على ان يجري العدل والرحمة وان يحكم طبق دستور البلاد وشرائعها فينهض الملك ويقسم على الكتاب المقدس انهُ لفاعل

ثم يسير الى عرش ادوار الاول[1] المنصوب بين المذبح والمنصة

---

(١) ملك انكلترا من ١٢٧٢ الى ١٣٠٧ وفي هـذا العرش حجر قديم العهد تقول التقاليد انهُ نفس الحجر الذي وضعه يعقوب تحت رأسه عند ما قام ورأى في حلمهِ سلماً بين الأرض والسماء والملائكة تصعد وتنزل عليها . وقد كان ملوك اسكتلندا يتوجون عليهِ منذ أقدم الأزمنة حتى قام الملك ادوار الأول فجاء بهِ الى لندرا وهو يعرف اليوم بحجر القدر

ووراءه اللوردات حاملين السيوف . فيقف حوله اربعة من الاشراف وقد أمسكوا ببساط مذهب فوق رأسهِ . ويكون على المذبح الى جانب الحلى الملكية التي احضرهــا اللوردات كوزٌ ذهبي بشكل نسرٍ باسط جناحيهِ وهو مملوء زيتاً . فيتقدم رئيس الاساقفة ويمسح بالزيت رأس الملك وجبهته وصدره ويديه ، ويُلبسه الحلة الملكية ، ثم يأخذ السر تشريفاتي المهامزين ويركع امام الملك ويمس بهما عقبيهِ . وبعد ذلك يجيء حامل سيف المملكة ويقدمهُ الى السر تشريفاتي الذي يدفعهُ الى رئيس الاساقفة وهذا يصلي عليهِ ثم يُمنطق الملك بالسيف ويقول رئيس الاساقفة : « بهذا السيف اجرِ عدلاً واقطع دابر الظلم ، واحمِ كنيسة الله وساعد اليتامى والارامل وردّ الاشياء البالية وحافظ على الاشياء المردودة واصلح كل خطإٍ وثبّت كل صلاح . . . » فينهض الملك وينزع السيف ويضعهُ مسلولاً على المذبح ثم يعود الى « عرش ادوار الاول » حيث يقدّم له رئيس الاساقفة الكرة الملكية ، ويضع في بنصره خاتم الملك ويقدم له القفاز فيلبسهُ ويدفع له الصولجان قائلاً « اقبل الصولجان الملكي علامة للقوة الملكية والعدل » ويقدم له صولجاناً آخر عليــهِ تمثال حمامة ويقول « تقلد عصا العدل والسلام » ثم يأخذ رئيس الاساقفة التاج ويقول « اللهم يا تاج الامناء ، بارك وقدّس عبدك هــذا جورج مليكنا ، وكما انك كللت رأسه اليوم بتاج من الذهب النقي فاملأ قلبه بنعمة من عندك وكلل هامته بجميع الفضائل السامية »

وبعد الصلاة يضع التاج على رأس الملك بكل احترام فينادي

الشعب بصوت واحد « اللهمَّ احفظ الملك ! » ثم يضع الاشراف تيجانهم



جورج الخامس
« ملك انكلترا وامبراطور الهند »

الصغيرة على رؤوسهم وتضرب الطبول وتنفخ الابواق فتطلق المدافع من برج لندرا

ثمَّ تقدَّم التوراة للملك وعند ذلك يحمله رؤساء الاساقفة والاساقفة ويضعونهُ على عرشهِ ويخضعون له ثم يقوم رئيس الاساقفة ويقبّلهُ في خده

ثمَّ ينزع البرنس اوف وايلس تاجهُ عن رأسهِ ويركع عنـد قدمي الملك ويركع سائر الامراء في اماكنهم بعـد ان ينزعوا تيجانهم ايضاً ويلفظون يمين الطاعـة فيقول البرنس اوف وايلس صورة العهد وهم يرددونها بعده جملة فجملة

ويتم مسح الملكة وتتويجها على نسق ما تقدم

هذا ما جرى في حفلة تتويج الملك جورج الخامس في ٢٢ من الشهر الفائت ، وقد طالع القراء في الصحف اليومية ما جرى من الحفلات الشائقة في بلاد الانكليز ومستعمراتهم الواسعة احتفالاً بتتويج مليكهم

وفي الشهر الذي يلي التتويج يعين الملك كبير بنيهِ برنساً لوايلس او ولياً للعهد وهو البرنس ادوار الذي بلغ السابعة عشرة من عمره

أما الملك جورج فهو خامس ملوك انكلترا بهذا الاسم رقي العرش البريطاني في ٦ مايو من السنة الماضية ، وكان مولده في ٣ يونيو سنة ١٨٦٥ وهو ابن الملك ادوار السابع والملكة ألكسندره كبرى بنات كريستيان السابع ملك الدانيمرك . وهو منذ نعومـة اظفاره كثير الميل الى البحرية وقد انخرط في سلكها وتدرج في رتبها حتى بلغ رتبة أميرال . ولما توفي اخوه الاكبر البرنس ده كلارنس اصبح هو ولي العهد سنة ١٨٩١

وفي ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ تزوج بالأميرة فكتوريا ماري كبرى اولاد الدوق اوف تك وهو يكبرها بسنتين . وقد اطلقوا عليها منذ صغرها اسم

« ماي » وهي مشهورة بصلاحها وحبها للخير . وقد زارت مع زوجها ايام كان ولياً للعهد المستعمرات الانكليزية . ثم قاما بزيارتهما الكبرى للهند



الملكة ماري

سنة ١٩٠٦ فدرسا اخلاق الشعوب العديدة الخاضعة لدولة الانكليز

ولهما خمسة اولاد اكبرهم في السابعة عشرة من عمره واصغرهم في السادسة

هذا ما يسمح المقام بذكره عن ملك الانكليز الجديد وزوجتهِ. وهو يحكم مئات الملايين من البشر في البلاد المترامية الأطراف . فيمكنهُ ان يردّد قول فيليب الرابع ملك اسبانيا « لا تغيبُ الشمس عن ممالكي » ويكاد يقول ما قاله الرشيد « يا سحابة السماء امطري حيث شئتِ فإِن خراج الأرض التي تمطرين عليها يعود اليَّ . . »

فعسى ان يكون عهد ملكه عهد وئام وسلام فتنتشر روح السلم وتسود فكرة العدل والانصاف

في جنائن الغرب

وصف الشلاّل وطلوع الشمس

قال رسكن يصف شلاّلاً : قف بي الى هذا الشلال نراقب قوس الماء المنحدر من علٍ كالسيف الصقيل لا ثلمة فيه ولا وصمة ، يتفوق تلك الصخور كقبةٍ من البلور الصافي . وهو سريع السقوط مستمرّه فلا تكاد تحسبه متحركاً لولا زبدٌ يلوح لك فيه كالشهب المتناثرة ، أو كالجوهر على شفرة الحسام . وتأمل مسقطه من صدر النهر حيث ترى كأن صخراً ناصع البياض طيرتهُ الريح شظايا فانتشر في الجو شعاعاً . بل تأمل زرقة المياه المشوبة ببياض الزبد وسنائه تقل هو الجو الصافي ملأته الشمس ضياءً وبهاءً

واليك كلمة لرسكن ايضاً في الجداول والمجاري الصغيرة : ولله اودية سويسرا بمجاريها الصغيرة وكأني بها قد اختارت منحدرات الجبال مصدراً ومنبعاً ، حبًّا منها

للطفر والقفز من اعالي الصخور الى اسافلها ، تاركةً ماءها على رحمة الهواء يقذف بهِ ذات اليمين وذات اليسار ، و ينثره بلوراً صافياً تكسبه انوار الشمس لون النضار . واذا انتهت الى المروج الخضراء ضللت ذاتهـا ، ورخمت نغماتها ، بين اعشابها ونباتها ، وظلت في ظلالها ، خيالات لها ، الى أن تنفذ منها مترقرقة متدفقة ، كأنها تذكر غايتها اذ تبصر بواديها ، فتهب مسرعة اليها

وطلوع الشمس في بعض البلدان اجمل منـهُ في غيرها ، واجمل ما يكون في الاماكن القريبة من خط الاستواء . وقد وصفه احد الكتاب كما يلي :

تأتي الساعة الخامسة من الصباح ولا يزال الظلام مخيماً بسدوله . وعندئذٍ تفيق بعض العصافير وتبدأ تحرك سكون الليل بتغاريدها واناشيدها كأنها تبشر بقدوم مليكة النهار قبلما يبدو موكبها الوهاج في افق الشروق . وما هو الا القليل حتى تتكاثر الاصوات من كل فج وصوب ، واغلبها من حناجر الاطيار المبكرة ، فتأخذ حجب الظلام بالارتفاع شيئاً فشيئاً . ولا يأزف النصف الثاني من الساعة الخامسة حتى يلوح الفجر ، وتذر شوارقه ، و يتدفق النور فيضاناً الى ان يفعم الارض والفضاء . وهنالك تبرز الشمس بحلتها الذهبية ، وترسل بأشعتهـا العسجدية الى مواطن الحياة من الطبيعة تبشرها بعودة الحياة ، فتزقزق العصافير ، وتتثنى الازهار ، وتخرج النحلة من قفيرها ، وتبتهج الفراشة في مطيرها ، فتلك ساعة تنتظرها البراعم واكمام الازهار واوراق الاشجار لتكسب فيها زهواً ونشاطاً ورونقاً وجمالاً . ثم ان تلك النسمات العليلة البليلة ، تستمد من النور ما تبلّ به وتنقه من علتها فتمر بك بما يبرئك انت لو كنت عليلاً . مناظر تخلب الالباب وتفتن الابصار ، يرسمها المصور ، و يصفها الشاعر ، آيات من الجمال بينات

(من كتاب « مسرات الحياة » الذى عربه الاديب وديع افنـدى البستانى وباشرت طبعه مطبعة المعارف)



نظرة إشراف عام

على ديار نجد [1]

وكان اول اهل نجد ورؤسائهم : آل علي ثم انتقلت الى طلال فبندر فمحمد الرشيد فعبد العزيز ثم الى ابنهِ متعب ثم الى خال متعب « سلطان » ثم الى سعود أخي سلطان ثم الى سعود بن عبد العزيز اخي متعب . ولهؤلاء في ذلك قصة تاريخية عجيبة طويلة لا يسع المقام ذكرها

ولما دالت إمارة آل السعود وافق أخرها نموّ امارة محمد الرشيد فانتقلت اكثر الكتب الى حائل . وانت تعلم أن لا صناعة ولا تجارة لأهل حائل الاّ الغزو لاغير . ومع ذلك فتراهم قد سبقوا غيرهم في العلوم العصرية وذلك لاختلاف كبرائهم الى الاستانة ومصر والحجاز أيام السلطان عبد الحميد المخلوع فأصبح البعض منهم يعرف اللسان التركي والفارسي

« وترى في بلادهم اليوم الكتب العربية القديمة النادرة الثمينة التي لا ترى لها وجوداً في سائر البلاد العربية واغلبها غير مطبوع . وتؤآنس جماعةً منهم تطالع الصحف السيارة والمجلات الموقوتة . واهل هذه الديار متنورون اكثر من غيرهم من أهل تلك الاقطار في العلوم العصرية واوسع اطلاعاً في الامور السياسية . ولهم ميل شديد الى الحكومة العثمانية ، وهذا الميل أشد ظهوراً فيهم ممن سواهم . لكن الحكومة لا تزال في ريب من أمر العرب واحجام عنهم . وعلى ما ارى : انها تود ان تكون في

---

(١) راجع ما جاء في الجزء الماضي ص ١٧٦

غنى عن نصرتهم . ولعلها تخاف من انهم اذا تمدنوا قلبوا لها ظهر المجن وعادوا الى مجدهم السابق . وهذا كلهُ من التخيلات السياسية ومن الاوهام التي لم تدر في خلد العرب

« ولما اتيت بغداد ورأيت الحالة الحاضرة ابديت ما اوجبتهُ عليَّ الوطنية العثمانية والعربية للطرفين المتقابلين المتصلين بجامعة الدين وشرحت ذلك بسلسلة مقالاتٍ بسطتها في جريدتي الرياض وبينت للعرب ما ينجم من الفوائد الجمة اذا انضموا الى ابناء آل عثمان وصاروا يداً واحدة على الاعداء . ولقد اثر كلاميْ هذا في ابناء وطني تأثيرا عظيماً كان ذا نتيجة تذكر لكن ذهب هذا كلهُ ادراج الرياح لما رأوا ان الدولة العثمانية لا تعيرهم اذناً مصغية ولا أحلاماً واعية . فلعل الزمان يحسن النيات في ابناء عثمان فيجني هؤلاء في بضع سنين مالم يجنوه بحذرهم مدة سنواتٍ متطاولة

« هذا فضلاً عما شرحت للحكومة مما يجب ان تتخذه من الاحتياطات اللازمة لمنع دخول الاسلحة الى بلاد العرب . وذكرت لها الوسائط الحسنى للبلوغ الى تمدن صادقٍ وارسلتهُ الى أحد مبعوثي العراق . وبعد ان قرئ في المجلس حوّل الى النظارة . ولا ادري بعد هذا ما جرى بهِ . ولعله ضاع أو احترق مع جملة الاوراق التي ذهبت في احدى حرائق الاستانة في هذه الايام الاخيرة

« أما ميلهم الى العلوم الادبية كالشعر والنحو وعلوم الآلة والسياسة والاجتماع فما تظهر منافعهُ عن قريب اذا ما تحسنت الأحوال وتوفرت وسائط النقل والانتقال بعد امد غير بعيد بمنهِ تعالى وكرمهِ

٣ً القصيم — « البحث في علوم وآداب اهالي القصيم يتناول البلدتين المذكورتين اللتين تتقوم منهما فأهل هذه البلاد ليسوا كأهل الديار الاخرى . فلقد دخلوا بتجارتهم البلاد الكثيرة من الاصقاع المتمدنة كالهند ومصر والشام ولندن ومدن اميركة . وتجد بعضهم قد توطن تلك الربوع كما احتلّ بلاد العراق كبيرها وصغيرها . ولقد تقدموا في التجارة احسن من غيرهم بكثير . وكذلك قل في العلوم على مختلف انواعها وتشعب افنانها . كل ذلك في البلاد المختلفة المذكورة كما في ديار قطرهم الواسع . فانك لا تسير الى بلدٍ الاَّ وتجد فيهِ منهم نفراً يتعاطى الامور التجارية غير مغفل العلوم المعروفة في تلك البلدة . ولهذا اذا تيسر لك فدخلت بلادهم ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية ، وذاك يطارحك الكلام بالفارسية ، وتسمع واحداً يذاكرك بالهندية ، ويقبل اليك آخر بالايطاليـة ، ويقترب منك صديق محبّ يخاطبك بالفرنسوية الى غير هذه اللغات من اردوية وتامولية وانكليزية

« أما التاريخ فهم يعتنون به اشد الاعتناء . وكذلك يزاولون علوم الاجتماع والسياسة مزاولة تفوق معالجة سواهم لها . وهنا نختصر القول زائدين على ما تقدم ذكره عن الامارتين الاوليين بخصوص العلوم والمعارف انهُ لا يوجد في تلك الربوع مدارس او مكاتب على ما نشاهده في البلاد الأخرى المتمدنة من ابتدائية ورشدية وكلية وجامعة . اما مدارسهم فهي مدارس خاصة بهم تشمل جميع المطالب وتجمع في ردهاتها كل طالب على السواء . فالتلميذ يأخذ اي كتاب كان أو اي كتاب اراد قراءتهُ ثم يحضر

المدرسة ويقرأه على المعلم الموجود فيها بدون أن ينتظم في سلك حلقة لتلقي العلم معاً من الاستاذ في وقت محدود كما هو الأمر الجاري في المكاتب العصرية المنتظمة

« وبيوت اكثرهم ليست الاّ مدارس واندية علم ، اذ ترى فيهم من ينضم الى رفيق ثانٍ له او الى ثالث أو اكثر حسبما يتفقون عليه فيجتمعون في بيت واحدٍ منهم . او انهم يجتمعون في كل يوم في بيت غير البيت الاول بل في بيت الرفيق على التوالي فيتدارسون في الكتب التي وقعت بأيديهم وهكذا يفعلون حتى النهاية على ما كان جارياً في سالف الزمن في انديتهم ومجالسهم ومجتمعاتهم »

٦ً اخلاق اهلها — « اخلاقهم وهي اخلاق العرب الاقدمين العزيزي النفس المتوقدي الذهن الاذكياء الأباة اخلاق لم تغيرها الحوادث والازمان فهم اليوم اهل كرم وشجاعة ووفاء وسماحة وحماسة وسيرتهم توافق قوانينهم وتنطبق عليها أتمّ الانطباق ولا تحيد عن الكتاب والسنّة فهم يجلونهما اعظم الإجلال ولا يعتبرون سواهما . نعم يوجد بين القبائل من يجري على قوانين وسنن وشرائع راجعة اليهم وخاصة بهم يقومون لها ويقعدون لكن اذا جاؤوا المدن رجعوا الى الشرع الشريف في امورهم وشؤونهم الاجتماعية . هذا فضلاً عن ان لهذه السنن من المزايا والمحاسن ما تفيد كل الافادة تلك الاقوام في هاتيك الربوع ولولا ضيق المقام لأتينا على ذكر بعض منها اظهاراً لمنافعها ولما اودعتها من الحكمة البعيدة المرمى والمبنى والمعنى »

٧ً تجارتهم — « التجارة التي يتعاطاها اهل تلك الارجاء هي الخيل والابل وكلاهما من احسن ما وجد من جنسيهما في الدنيا كلها جمعاء . ولعلنا نعقد يوماً فصلاً نذكر فيهِ ما يجب الوقوف عليهِ في هذا البحث . والتمر وانواعهُ كثيرة واسماؤه في تلك الاسماء القديمة لم تتغير وهذا يفيدنا في تصحيح بعض الالفاظ الواردة في هذا المعنى . والسمن . واسمهُ عندهم الدهن كما يسميهِ العراقيون . والصوف والوبر . ويذهبون بكل صنف من هـذه الاصناف الى حيث يكون رواجهُ . فيذهب بالخيل مثلاً الى بلاد الهند . واغلب اصائل هذه الانحاء من نجد . وينقلون الابل الى مصر والشام . ويحملون التمر الى الحجاز . ويبيعون الدهن او السمن في البصرة والكويت والحجاز حسب الوقت الذي يوافق نقله أو يصادف تصريفهُ وانفاقهُ في موطن دون الموطن الآخر الذي رخص فيهِ . وهذا هو سر أسفارهم المترامية وتغرّبهم عن أقطارهم العزيزة . ولهم في ذلك من الصبر والجلد ما لا تراه في اقوام آخرين . فانك ترى الواحد منهم يقيم نائياً عن مسقط رأسهِ ثلاثين حولاً مثلاً ولا يتأفف من حالتهِ البتـة . وهم أهل سعي وكدّ وجدّ لا تعيقهم الاخطار الشديدة ولا الأهوال الهائلة عن الوصول الى ما بهِ منفعتهم . أفبعد هذا تتعجب من كون كثيرين منهم وصلوا الى لندن وأميركا والديار النائيـة . فلقد يقضي واحدهم الأيام الطوال والأعوام الكثار بدون ان يلتفت الى وطنهِ »

٨ً زراعتهم — « اغلب زراعتهم متوقفة على الحنطة والشعير والذرة (الاذرة او الادرة) والسمسم والدخن ويزرعون كل هذه الحبوب بقدر

حاجتهم اليها . واذا حبست السماء ماءها عنهم اضطروا الى جلب ما يحتاجون اليهِ من البلاد الاخرى كالكويت والبصرة والسماوة وغيرها . ولقد كانت الزراعة تتقدم عندهم تقدماً عظيماً لولا أمران أحدهما جور الحكام ، والثاني قلة المياه . ولقد حاولوا مراراً استنباط المياه بالآلات المختلفة او حفر الآبار الارتوازية فلم يتيسر لهم ذلك لصعوبة الطرق ووعورتها بحيث لا تستطيع العجلات السير فيها . واما اذا قلت : فهناك جمال تضطلع بحملها . قلنا : تضطلع بحمل بعضها لا بكلها لانهُ يوجد آلات ثقيلة غاية الثقل لا يحملها البعير الواحد بل ولا البعيران او الثلاثة ومن ثم اصبح نقلها من البعيد التحقيق . ولولا ذلك لاصبحوا في غنىً عن الديار الاخرى في كل أين وآن . بل لزادت حاصلاتهم على نفقتهم ولربحوا من التجارة بما فضل عندهم اموالاً طائلة تأتيهم من البلاد التي ينفقون اليوم فيها اموالهم للحصول على ما يحتاجون اليهِ . »

٩ً الصناعة عندهم — « ليس لهم من الصنائع الاَّ ما لغيرهم من مجاوريهم اهل الكويت والبصرة كالنجارة والحدادة والسكافة والخياطة وما ضاهى هذه المهن . ومهارتهم في صناعة الاسلحة غريبة فانهم وان كانوا أخلاءً من جميع الوسائل الميسرة لهذه الغاية فانك تراهم يصلحون ما يقع من انواع الخلل ببنادق ماوْزَر ومرتيني . واغرب من هذا انهم يفرغون المدافع افراغاً محكماً ويحسنون التصرف بالمدافع الجديدة الطراز حتى انك تخالهم انهم تلقوا علم المدافع عن اصحابهِ المهرة . واذا وقع في هذه الآلات خلل اصلحوه على اقوم وجهٍ . ومع كل هذه البراعة والتفنن لا تشاهد

في ايديهم ادوات تامة العدد كما ترى في البلاد الراقية في المدنية . وعندي انهُ لو وجد في حوزتهم آلات تساعدهم على تحقيق امنيتهم لبرّزوا في الصناعيات على من سواهم ولأتوا بكل عُجاب . واوقفك الآن على اغرب من هذا كلهِ : انهم يتحرّون المباحث العلمية الدقيقة ويتبعون الاكتشافات الحديثة كالكهرباء والسلك الجوّي وبعض الآلات البرقية وما ضاهى هذه الموضوعات الجديدة . واعهد واحداً في القصيم يضيء محله بالنور الكهربائي الذي هو من صنع يديهِ وقد ركّب الاجزاء التي يتولّد منهُ باعمال فكرتهِ . واذا كانوا لا يحققون دائماً ما يعقدون النية عليهِ فهو لأنهم في شغل شاغل عنهُ بما يقومون بهِ من امر المعيشة وتطلبها في الاقطار النائية . »

١٠ دياناتهم — « بقي علينا ايراد امر الديانة والاعتقاد عندهم . فقد اسلفتُ وقلت انهم يعتمدون على الكتاب (القرآن) والسنة (وهي الحديث الصحيح عن رسول الله صلعم) ولديّ بحث جليل في هذا الموضوع وهو لا يخلو من فائدة لمن يريد تتبع الحقائق على وجهها الصادق الصحيح واستقراء ثوابت الامور . ولعلي أعود الى هذا المجال في فرصة اخرى . »

١١ هواء البلاد — لا تكاد تلفظ كلمة نجد الاّ وتتصوّر هذه البلاد تحت عينيك ويهبّ عليك نسيمها ويتلاعبُ أمامك هواؤها الطيّب الجافّ لأن معنى « نَجْد » ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلُب وغلُظ . . . ولا يكون النجد الاّ قُفّاً او صلابة من الارض في ارتفاع مثل

الجبل معترضاً بين يديك يردّ طرفك عما وراءه ... » (عن التاج) — والهواء في منتهى الحرارة وقد تبلغ في الظل في بعض المواطن ٥٢ درجة بالميزان المئوي . وعند الصباح يهبُّ نسيم طيب لذيذ في الصيف واذا تكبّدت الشمس السماء انقطع الهواء في شهر تموز وآب وايلول حتى حتى يكاد الانسان يموت اختناقاً الاَّ انهُ لجفافهِ لا يؤثر كثيراً في الصحة . ويضطر من يسكن تلك الديار الى اتخاذ المآكل الخفيفة الهضم والانقطاع عن المسكرات والامتناع عن الاطعمة المطبوخة باللحوم الثقيلة

١٢ً تأثير الهواء في السكان — اعلم أن اغلب الأمراض تتولد هناك من الكبد لشدة الحر . ومن مؤثرات الحر على اهل البلاد ان اغلبهم ضعاف نحاف سمر الألوان طوال القامــة الا انهم اقوياء يحتملون الجوع والعطش والحر الى درجة لا تكاد تراها في سواهم . وهم عصبيو البنية ذوو عزم شديد ومضاء بعيد اذا قصدوا شيئاً لا يرجعون عنهُ ولو كلفهم كرب الموت واراقة الدماء وهم من بين جميع العرب سريعو تلقن العلوم والمعارف بل هم يتلقفونها تلقفاً لسرعة تناولهم اياها . وكذا قل عن الصنائع والفنون على اختلاف انواعها وضروبها

١٣ عدد السكان — ليس في بلد من بلاد العرب من يحصي عدد الأنفس . هــذا فضلاً عن ان هذا العمل يُعدّ عندهم مشؤوماً . الاَّ ان العارفين يقدرون أهل نجد بما ينيف على مليون نسمة

١٤ نظرة وداع لبلاد نجد — يتضح لك ممــا أسلفنا ذكره ان بلاد نجد من احسن بلاد جزيرة العرب تراباً وهواءً . ولهــذا قال ياقوت في

معجمهِ : « لم يذكر الشعراء موضعاً اكثر مما ذكروا نجداً وتشوقوا اليها من الاعراب المتضمّرة » من ذلك قول اعرابي :

حنيناً الى ارض كأنَّ ترابها　　اذا امطرت عودٌ ومسكٌ وعنبرُ
بلادٌ كأن الأقحوان بروضهِ　　ونَوْر الاقاحي وَشيُ بُرْدٍ مُحَبَّرُ
أحنُّ الى أرض الحجاز وحاجتي　　خيامٌ بنجد دونها الطرفُ يقصرُ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعٍ　　أجَلْ لا ولكني الى ذاك أنظرُ
أفي كل يومٍ نظرةٌ ثم عبرةٌ　　لعينيك مجرى ماؤها يتحدَّرُ
متى يستريح القلبُ اما مجاوزٌ　　بحربٍ واما نازحٌ يتذكَّرُ

وقال اعرابيٌّ آخر :

فيا حبَّذا نجد وطيبُ ترابهِ　　اذا هضبتهُ بالعشيّ هواضبهْ
وريح صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت　　ضُحى او سَرَتْ جنحَ الظلام جنائبهْ
باجرعِ مِمراعٍ كأنَّ رياحهُ　　سحابٌ من الكافور والمسك شائبهْ
وأشهد لا أنساهُ ما عشتُ ساعةً　　وما انجاب ليلٌ عن نهارٍ يعاقِبهْ
ولا زال هـذا القلب مسكن لوعةٍ　　بذكراهُ حتى يترك الماء شاربهْ

(بغداد)　　　　سائسنا

الاسباذ والكهونية — كتب الينا مراسلنا البغدادي يقول : جاء في مقالة الاستاذ الشرتوني (الزهور ص ٦٢) « تحمله (تابوت العهد) الاسباذ والكهونية » والصحيح تحمله الاصيار او الاسيار وهي جمع صِيرْ او سِير وهو اسقف اليهود أو حاخامهم الكبير . والكهونية صحيحها الكَوهنية وهو جمع كوهن وهو الكاهن بلسان اليهود وقد ذكر هذه الرواية ابن خلدون في مواضع كثيرة وهو لا يستعمل لفظة كاهن العربية . و بنو خسمان (ص ٦٣) صحيحها بنو حشمناي .

رسائل غرام

❋ بين نساء شهيرات ورجال عظام ❋

الرسالة الثانية

من الاميرة أميليا الى الجنرال فتزروي [١]

أرقت البارحة كثيراً فلم تغمض لي عين ولا استقرّ بي السرير . حاولت كثيراً ان اطبق أجفاني فكانت رسالتك الاخيرة تزيد في شجوني وتبعد عني النعاس . ولو انك علمت ما سيكون من تأثيرها فيّ ما خططت منها حرفاً واحداً

ليتك اليوم قريب مني . . . ليتك الى جانبي فكنت ترى ما أبقاه لي حبك من حشاشة ذائبة وكبدٍ لا تلبث ان يقضي عليها اليأس . فان كان فؤادك قد دبّ اليهِ شيء من الفتور فلماذا تجعلني اعلل نفسي بأحلام

---

(١) كانت الاميرة أميليا اصغر اولاد جورج الثالث ملك انكلترا وقد اشتهرت بجمالها الرائع وصفاتها السامية . وكان الملك جورج كثير الهموم لما كان يحيق بالمملكة من المصائب ولأن اولاده جميعهم تعلقوا ببنات من العامة . فوجه عنايته الى ابنته أميليا وكان يحبها محبة شديدة وهي ايضاً تقابله بالمثل . الا انها ما عتمت أن وقعت في حب الجنرال شارل فتزروي وكان من المقربين في بلاط ابيها فأحبها هو أيضاً ولكن اخلاصه للملك جعله يكتم حبه فكان من جراء ذلك ان الاميرة أميليا نحلت وماتت . وكانت آخر كلماتها انها اوصت الاميرة ماري ان تبلغ شارل تحيتها الاخيرة له

ذهبية ولماذا تخادعني بغرام اشبه بسحابة صيفٍ تلوح قليلاً ثم تنقشع ؟ ألم أفتح لك قلبي وافرغ لك ما فيـه من حبٍ وآمال ؟ فلماذا تحاول أن تسترعني مكنونات فؤادك وتسدل عليها حجاباً يحول بيني وبينك ؟

أراني معذبةً من اجلك يا شارل . فان كان هذا العذاب جزاء حبي لك فانعم بهِ من جزاء . انني استعذب كل عذابٍ من اجلك الا فراقك . فان كان قد قضي بهِ عليَّ فما اشق القلب الرازح تحت ثقل الحب . . .

ليس لي اليوم الا تعزية واحدة هي التمتع بذكر ما فات . فأنا انفق ساعات الفراغ في مراجعة رسائلك الماضية حتى لقد كاد بعضها يفنى من كثرة تلاوتي لها . ذلك لان قلبي عطشان ... عطشان اليك ايها المستريح من عناء الحب ! . . .

أتمثلك وقد حجبت وجهك عني . أتصوَّرك وقد طويت كشحك وسددت اذنيك فلم تعد تسمع نبضات هذا القلب ولا تبصر ما ألم بهِ من النحول . أليس حراماً عليك أن تعتقل برباط الحب فؤاداً خلياً ثم تدير عنه وجهك وتقول عليه السلام ؟ . سامحك الله يا من لا ازال اذكره واحبه ! .

امامي صورتك التي اهديتها اليَّ . كلما نظرت اليها ثارت عواطفي في داخلي وفاضت نفسي اليك . عوّدتني ان ألقي بنفسي بين ذراعيك ففي احضان من ألقي بها بعد اليوم ؟ ليت الابدية تتثاءب وتفتح فاها فكنت أثب الى احشائها واتخلص من حياة كلها تعاسة وشقاء

حقاً ما اتفه الكائنات واشد فراغها لولا الحب . لولاه لكانت ساعات الابدية طويلة مملة . أليس الحب تحية الملائكة لسكان السماء ؟

أليست العين تستنير بأشعة الشمس والقلب يستنير بأشعة الحب ومصدر كليهما ابتسامة الآلهة ؟ فان كان يحتم على الانسان عبادة الآلهة فلأنها مصدر الحب . في كلا الحب والعبادة تركع النفس امام معبودٍ لا تدركه ولا تلم بهِ . في كليهما تناجي النفس النفس وتهمس الروح الى الروح . وفي كليهما يكون السكون أبلغ من النطق ! . . .

لديّ اخبار كثيرة كنت اود أن اكتب اليك عنها لولا ان قلبي رازح تحت عبء من الهموم . وما الذي يهمك اليوم من اخباري بعد ان طويت صفحة الماضي وتناسيت ما كان بيننا من عهودٍ ووعود . أيكون حب الرجال أقصر من أيام البنفسج ؟ أبمثل هـذه السرعة تنطفئ تلك الشعلة الروحانية وتترك القلب في ظلام دامس ؟

نزلت اليوم صباحاً الى الحديقة فجلست تحت الشجرة التي تفيأناها معاً لآخر مرة . حدّقت في الحجرة التي كنت جالساً عليها فثارت فيّ عواطفي وأسرعت نبضات قلبي اذ تذكرت تلك الساعة السعيـدة . هل تذكر ان الفصل كان ربيعاً والنسيم عليلاً وكل ما في الطبيعة يضحك ويبتسم ؟ فما ابعد الفرق بين ذلك الربيع وهذا الخريف . وما أشدّ وطأة الخريف على القلب المنكسر . انه يذكّرني بخريف الحياة عنـد ما تذبل زهرة الحب ويهدأ خفوق القلب وينقطع نشيد الملائكة — نشيد الحب الذي تهمس به الروح الى الروح

لماذا انت حزين منكسر القلب يا شارل ؟ ان كان لاحدنا ان يحزن فلي انا الحق الاسبق بذلك . واما انت فمّ تشكو وما الذي يحزنك في

هذه الحياة ؛ ألم يمنحك الله شباباً وجمالاً وعقلاً وكل ما يتمناه الانسان في هذا العالم ؛ أليس مجال المجد متسعاً امامك وقلب كل امرأة فدية لك ؟ فافرح اذاً لان الحياة اقصر من ايام البنفسج . افرح لان عبوستك تزيد في دجى هذا العالم وظلماتهِ . افرح لان اشعة الابتسام تبدد غيوم الحزن. افرح لان العزاء الوحيد الباقي لي بعدك هو ان اراك سعيداً في هذه الحياة

سلام عليك من حشاشةٍ ذائبة . سلام عليك من كبدٍ مقروحة . سلام عليك من مقلةٍ دامية . ربما كانت هـذه آخر رسائلي اليك فقد اشار عليَّ الاطباء بالابتعاد عن هـذه المشاهد التي كيفما التفتُّ تذكّرني بك وبايامنا الماضية

اما انا فمقيمة على حبك . ثابتة في ولائك . مقسمة ان لا انساك . . .

سليم عبد الاحد

التعليم الاجباري

في مصر

يسرُّ « الزهور » ان يكون في عداد محرريهـا فئة من السيدات والاوانس تساعد حملة الاقلام على نشر لواء النهضة الادبية . والى هذه الفئة نضيف اليوم اسم حضرة الكاتبة الفاضلة كريمة سعادة اسكندر بك عمون المحامي الشهير صاحبة اليد الطولى في عالم الادب كما سيرى القراء ذلك من الرسائل التي وعدتنا بنشرها في « الزهور » . وقد علمنا ان هذه الكاتبة الادبية تشتغل بوضع كتاب « في المرأة وواجباتها » سنعود اليه في فرصةٍ اخرى . وهذه الآن طليعة تلك الرسائل :

جعل أفاضلُ القطر المصري منذ سنوات عديدة أمر التعليم الاجباري حديث النفس في خلواتهم وموضوع البحث في مجالسهم علماً منهم بان الترقي الصحيح لا يكون الاَّ اذا نال كل فرد من افراد الامة حظهُ من العلم فالحمد لله الذي اوحى اليهم بهذه النهضة العلمية المبشرة بانبلاج فجر النجاح والوئام

مصر بحاجة شديدة الى ما يربط ابناء العناصر والاديان المختلفة فيها برباط متين ، ويشغل همم افرادها وافكارها عما لا طائل تحتهُ بما يفيدها ويرفع شأنها . فما هو هذا الشاغل وما هو ذلك الرباط المتين ؟

هو العلم الذي يقيد افراد الامة بقيود الاخاء الادبي ووحدة الطلب، ويحبب اليهم العدل ورعاية القوانين فيكفّون عن المنازعات التي لا تجدي نفعاً ، ويصبحون اهلاً للتمتع بالجلاء الذي طالما تاقوا اليهِ . وهو ايضاً الشاغل الذي يحبب الى ذويهِ المال والتقدم فيطرحون عنهم الكسل ويسعون بجد مستزيدين من الثروة ما استطاعوا، آخذين عن الامم الراقية كل ما من شأنهِ تحسين صنائعهم وزراعتهم فتزداد الامة باسرها بسطةً في عيشها ومنعةً في كيانها

ومن اول نتائج تعميم التعليم انهُ ينقص الجنايات نقصاً عظيماً على حدّ قول جول سيمون « لا تفرغ السجون الاَّ اذا امتلأت المدارس ولا تمتلئ المدارس الاَّ اذا صار التعليم اجبارياً » والاحصاءات تؤيد ما نقول وتدل على أن متوسط عدد المجرمين ينقص بنسبة زيادة عدد المتعلمين . ففي انكلترا مثلاً بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية ٥،٠٠٠،٠٠٠

تلميذ بعد ان كان ١,٤٠٠,٠٠٠ وذلك من سنة ١٨٧٠ التي صدر فيها دكريتو التعليم الاجباري الى سنة ١٨٩٤ . فكان من نتائج هذه الزيادة نقص السجناء من ٢٠٨٠٠ الى ١٣٠٠٠ سجين ولو ازداد عدد هؤلاء بنسبة ازدياد عدد الاهالي لبلغ ٢٨١٠٠٠ بدلاً من ١٣٠٠٠ سجين ولاصبحت نفقات السجون ٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه بدلاً من ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . ومن الاحصاءات التالية نرى شدة تأثير التعليم الاجباري في انجلترا وويلس من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٩٩

سنة	جنايات	متشردون	جرائم الاحداث	عدد الاهالي
١٨٧٠	١٩٧٨	٩١٠٦٠٢		٢١٦٨١٠٠٠
١٨٧٤	١٦٢٢	النقص كان تدريجيا		٢٣٠٨٨٠٠٠
١٨٧٩	١٥٣٣		٧٠٠٠	٢٤٧٠٠٠٠٠
١٨٨٤	١٤٢٧		٦٠٠٠	٢٦٣١٣٢٥١
١٨٨٩	٠٩٤٥			٢٧٨٣٠١٧٩
١٨٩٢	٧٩١		٥١٠٠	٢٩٠٠٥٥٥٠
١٨٩٩	٧٧٠	٦٨٣٣٤٢		٣١٠٦١٠٠٠

والحكومة الانكليزية تخصص من مجموع الضرائب ٨ ملايين جنيه سنوياً لتنفق على الفقراء فلو ازداد عدد الفقراء بنسبة ازدياد عدد الاهالي لاضطرت الى مضاعفة ذلك المبلغ اي الى انفاق ١٦ مليون جنيه

ان هذه النتائج تصدق على كل بلاد يكون فيها التعليم اجبارياً فلذلك نرى اعيان مصر يتوقون اليهِ وحكومتنا الحريصة على ترقي الامة

راغبة فيهِ . فما هي اذاً الموانع التي صدتها عن نشره حتى الآن ؟

هما اثنان . اولاً عدم وجود المال اللازم للقيام بنفقاتهِ وثانياً احتياج الفلاح المصري الى مساعدة اولاده له في زراعته

اما الاجوبة على الاعتراض الاول فهي اولاً انهُ لا يتعين على مدارس التعليم الاجباري ان تتعدى حد الكتاتيب الصغرى ولا ان تعلّم علوماً عالية . وانما يكون التعليم الاجباري مقصوراً فيها على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وجغرافية مصر والقرآن الشريف . ولا ريب ان الفقهاء الذين يصلحون لتعليم هذه المبادئ كثيرون في البلاد المصرية ، والرواتب التي يقنعون بها طفيفة جدًّا فلا تثقل كاهل الحكومة ولا تؤثر في ميزانيتها تأثيراً يذكر

ولقد فرضت الحكومة زيادة خمسة في المئة على أموال الأطيان الاميرية لتضاف الى نفقات التعليم . فلو أبلغت هذه الزيادة الى عشرة في المئة لقابلها أفاضل المصريين بارتياح كلي متى علموا انها لازمة للتعليم الاجباري وانها ستنفق كلها عليهِ . وفوق ذلك نعلم كلنا ان ايرادات الحكومة المصرية تفوق كل سنة نفقاتها بنحو ٥٠٠,٠٠٠ جنيه فلماذا لا ينفق جزء من هذه الزيادة في سبيل التعليم الاجباري ؟ ألا تفضل الحكومة ان تقول لنا عند نهاية كل عام ان زيادة ايراداتها عن نفقاتها كانت ١٠٠,٠٠٠ جنيه فقط ولكنها تنفق عن سعة في سبيل تعليم الشعب من ان تقول ان المتوفر نصف مليون جنيه ولكنها قابضة يدها عن بذل المال اللازم لنشر التعليم وتاركة القوم يتمرغون في اوحال الجهل ؟

أما الجواب عن الاعتراض الثاني فهو ان اشد احتياج الفلاح لمساعدة اولاده له انما يكون في زمن زرع القطن وخلّهِ وجمعه . وكلّ ذلك الزمن لا تزيد مدته عن الثلاثة الأشهر فما على الحكومة الاّ ان تجعل تلك الأيام أيام الاجازات المدرسية فيريح فيها التلميذ عقله من عناء الدروس ، ويروّض عضلاته بالأشغال الزراعية . على انه اذا كان لا بدّ للفلاح من يد تعينه على عمله متى كان اولاده بعيدين عنهُ في المدارس فان له من ايدي بناته تلك المعونة المطلوبة ، الى ان تسمح الاحوال بأن يشمل التعليم الاجباري صبيان مصر وبناتها　　　هند اسكندر عمون

في رياض الشعر

امين بك ناصر الدين رئيس تحرير جريدة الصفاء اللبنانية شاعر مجيد وكاتب بليغ . شهير في سوريا ومجهول في مصر « فالزهور » تفتخر بأن تضمه الى عداد أنصارها الذين يتكاثرون يوماً فيوماً ، وسيزداد القراء معرفة بأدبه الزاهر مما ستتابع نشره من شعره الرائق مشفوعاً برسمه ونبذة من ترجمة حياته وهو لا يزال في ربيعها :

* الحيّ يخاطب الجماد *

أو شاعر يناجي صورة

أراكَ يا رسمُ لا تنفكُّ مبتسما　　أذاكَ شأنكَ أم ذوق الذي رسما

تستقبل الصبحَ جذلاناً بلا سببٍ　　ولا يسوءُك ان تستقبل الظلَما

سيّان عندك يومٌ كله طربٌ　　وآخرٌ بسمات الهمّ قد وُسما

ولا يروعك سيف الموت منصلتاً　　والخطب مندفعاً والدهرُ منقما

كفاك يا رسمُ فخراً أنَّ مثلك لم ... ينقل لحاجتهِ فوق الثرى قدما
كفاك عزّة نفسٍ ان تدوم ولا ... تأتيك منةُ انسانٍ قد احتكما
لا ينطوي لك قلبٌ ما بقيت على ... حقدٍ ولا يتعدى طبعك الكرما
وأنتَ خير نديمٍ للذين رأوا ... تجنبَ الناس أمراً يدفع السأما
ترعى لراسمك العهد المتينَ ولا ... أرى من الناس الاَّ مخفراً ذمما
والحيُّ يسقم أحياناً وأنت على ... أتمّ عافيةٍ لا تعرف السقما
ويدرك الهرمُ الانسانَ بعد مدًى ... وأنت غضٌّ شبابٍ آمنٌ هَرَما
وتهزم الناس ارزاءٌ تروعهم ... في حين يرجع عنك الرزء منهزما
أراكَ تفصح عما فيك من طربٍ ... وان عدمتَ لساناً ناطقاً وفما
سلمتَ يا رسمُ من همٍّ ومن كدرٍ ... وما على الأرض حيٌّ منهما سلما
يا ساهراً لم يذق ليلاً غرارَ كرًى ... وراقداً لم يؤرَّقْ منذ ما رسما
تضاحك الشمس منك الوجه مشرقةً ... ويلثم البدرُ ثغراً منك قد بسما
لك الطبيعة صفو العيش قد قسمت ... وضدَّه وجزيلُ اليأسِ لي قُسما
كن موضعي ولأ كنْ رسماً فذلك لي ... خيرٌ وخذ فكرتي والطرس والقلما

امين ناصر الدين

الحب المكتوم

كان لأبيات فليكس ارفر التي نشرنا تعريبها في « جنائن الغرب » (ج ٣ ص ١٣٩) أحسن وقعٍ في نفوس الادباء لما فيها من رقة الشعور . ولقد تبارى الكثيرون من شعرائنا في سبكها في شعر عربي ، غير انهم لم يُراعوا الامانة في تأدية معاني الشاعر الافرنجي . وكان اكثر ما نظم انطباقاً على الأصل ما جاءنا من حضرة الشاعر المجيد صاحب التوقيع ، قال :

يا غراماً في مهجتي ابديًّا　من لحاظٍ بلحظةٍ دبَّ فيَّا
حادثٌ في الهوى تكتّم حتى　كاد يخفى في النفس مني عليّا
لا دواء للداء مصدره الحـــبُّ الذي بات عن سواي خفيّا
سبته تلك التي ليس تدري　انهُ قد غدا هوىً عذريا
ويح قلبي أمرٌّ بالقرب منها　لا اراهـا ترنو بلحظٍ اليَّا
معها دائماً ووحـديَ دوماً　دانياً دائماً ودوماً قصيًّا
سوف اقضي الحياة لم أُعطَ شيئاً　كيف يُعطى من ليس يطلب شيَّا
وأراها وان تكن ذات قلبٍ　وشعورٍ رقًّا كطبع الحميّا
تتخطى الحيـاة ليست تبالي　مات مضنى الغرام أو ظلَّ حيًّا
وحفيفُ الهوى يرافق منها　خطواتٍ تخطفت مقلتيّا
هكذا وهي في الامانة ترعى　لشروط الزواج عهداً وفيًّا
تقرأُ الشعر وهي ملء سطور الشـــعر وصفاً وطلعةً ومحيًا
ثم تغدو تسائل النفس عمن　تركتني في الحب صبًّا بكيًّا

* * *

ويح حظي هي التي تيمتني　بهواهـا وليس تعلم شيًّا

رشيد نخلة

مجد العرب

كفاكَ يا طير شدواً هجت بي طَرَبا　أما تراني حزينَ القلبِ مكتئبا
لو كنتَ مثليَ مقصوصَ الجناح لما　شدوتَ بل كنتَ تلقى الويل والحرَبا
لم يُنصفِ الدهرُ جيدينـا فطوّقني　من الحديد وحلّى جيدَهُ ذَهَبا
هبْ لي جناحيك مأجوراً أطرْ بهما　ينفّس الجوُّ عني هـذه الكربا

أعزُّها لي أطرْ في الجوّ مرتفعاً حتى أعانقَ في أبراجها الشهبا
نفسي تتوق الى العلياء مذ علمت أني امرؤٌ ورثت أخلاقهُ العربا
إني لأعجب ممن يستخفُّ بنا أن لا يرى خطة استخفافه عجبا
سلوا القرونَ الخوالي عن مفاخرنا سلوا الرماح سلوا الهندية القُضُبا
سلوا الزمانَ الذي كانت تتيه بنا فيه المعالي وكنا السادةَ النُّجبا
وكان فارسنا إنْ جال جولته في نصرة المجد ردَّ الجحفل اللّجبا
ان صاح ردّدت الآفاقُ صيحتَه واهتزت الأرض والافلاكُ إن ضربا
كتائب تترامى في حميتها الى الرّدى لا ترى جُبناً ولا هَرَبا
من كل لاحق روحٍ راح يطلبها بسيفه غير ملحوقٍ اذا طُلبا
كالسيف منصلتاً والليث مفترساً والسيل منحدراً والبحر مضطربا
فجاءنا زمن صرنا بهِ خدماً لغيرنا وغدتْ أرواحنا سَلَبا
أرى الممالك داستنا بأرجلها كما ركبنا على اعناقها حقَبَا
مالي أرى الشرق لا تصفو موارده لأهله ويراها غيرُنا ضَرَبا
لو أنّ للشرق روحاً او له كبدًا تَرقُّ بثّ لنا شكواه وانتحبا
يا ويح للدهر يلهو بي ويلعب بي أبعد ما شاب يهوى اللهو واللعبا
أنا امرؤٌ في صميم الذل مرتبتي من مصر لا نبطا قومي ولا جَلَبَا
يا أيها الموسرون اليوم يومكم شيدوا لنا من معالي جاهكم حسبا
رقوا المعارف تدعوكم بلادكم لا تخذلوها فان الحق قد وجبا
كم من تعيس يسيل النحس من يده أمسى سعيداً وكم من غاصبٍ غُصِبَا

حلفا

محمد توفيق على
ضابط بالجيش

﴿ شبتُ وما شاب ﴾

غرستَ هواك في قلبي ربيعاً ... فشبَّ وشبتُ في زمنٍ قريب
فما أنا راجعٌ زمنَ التصابي ... ولا هو بالغٌ زمنَ المشيبِ

عبد الحليم المصري

﴿ البدر والليل ﴾

لعلها آخر ما نظمه إمام العبد

كان إمام قد أشفى ، فدعا بدواةٍ وقلم وكتب الابيات التالية ، وفي حروفها على الورق ما يشعر بارتجاف يده ، ثم اوصى احدى النسوة اللواتي كنَّ يعطفنَ عليه في شدتهِ بأن تُرسل ما كتب الى مجلة « الزهور » . فلما قضى لرحمة ربه ، وقد ضعضع الأسى والبؤس من حوله ، ذهب أمر الرسالة عن تلك المرأة الحزينة ، حتى اذا جفت الدمعــة إلاّ قليلاً وبزدت الجمرات إلاّ بعضها بلغت الابيات الينا وروح إمام ترفرف بين كلماتها وسطورها . وهذه هي :

تمنى أن يجازيني بوجدٍ ... فكان الوجد اسبقَ من مناهُ
واحرمني لذيذَ النومِ لما ... جرى حكم الاله على هواهُ
رآه البدرُ احسنَ منه وجهاً ... فحدَّث نفسه لما رآهُ
وألبسني عليه الحبُّ ثوباً ... يُريك الليلَ أطولَ من مداهُ
عرفتُ الحظَّ من لوني وثوبي ... فأين يكونُ في الدنيا سناهُ ؟

امام العبد

في حدائق العرب

بمناسبة ما ذكرناه في اول هذا العدد عن تتويج ملوك الانكليز احببنا ان ننشر هذه الصفحات المطوية عن كيفية المبايعة عند العرب وعن الشارات الخاصة بالامارة

البيعة

البَيعة هي العهد على الطاعة ، كأنَّ المبايع يُعاهد اميره على انه يسلّم اليه النظر في امر نفسهِ وامور المسلمين لا ينازعهُ في شيءٍ من ذلك . ويطيعهُ في ما يكلفهُ بهِ من الامر المنشط والمكره . وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيداً للعهد ، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري ، فسُمي بَيعةً مصدر باع ، وصارت البيعة مصافحةً بالايدي . هذا مدلولها في عرف اللغة ومدلول الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليهِ وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ . ومنهُ بيعة الخلفاء ، ومنهُ أيمان البيعة ، كأن الخلفاء يستحلفون على العهد و يستوعبون الايمان كلها لذلك ، فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة . . .

واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل ، أُطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هـذا الخضوع في التحية من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيهِ حتى صارت حقيقة عرفية واستُغني بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل

شارات الملك

ان للسلطان شارات واحوالاً تقتضيهـا الابهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولتهِ ، والمشتهر منها :

الآلة — من شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون

السرير — اما السرير والمنبر والتخت والكرسي فهو اعوادٌ منصوبة او ارائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن اهل مجلسهِ . ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم ، وقد كانوا يجلسون على اسرّة من الذهب . وكان لسليمان بن داود كرسي وسرير من عاج مغشى بالذهب . الاَّ انهُ لا تأخذ بهِ الدول الاَّ بعد الاستفحال والترف ، اما في اول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليهِ . واول من اتخذه في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيهِ وقال لهم : اني قد بدنت . فاذنوا له واتّخذه . واتّبعهُ الملوك الاسلاميون فيهِ وصار من منازع الابهة . ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيهِ المقوقس الى قصره ومعهُ سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسهِ شأن الملوك ، فيجلس عليهِ ، وهو امامه ، ولا يغيرون عليهِ وفاءً له بما اعتقد معهم من الذمة واطراحاً لأبهة الملك . ثمّ كان بعد ذلك لبني العباس وسائر ملوك الاسلام شرقاً وغرباً من الاسرّة والمنابر والتخوت ما عفى عن الاكاسرة والقياصرة

السكة — وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد يُنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويُضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج الرسوم عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى . . . ولفظ السكة كان اسماً للطابع ، وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل الى اثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة ، فصار علماً عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة

الخاتم — وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية ، والختم على الرسائل

والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام و بعده ، وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يكتب الى قيصر ، فقيل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الاّ ان يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه « محمد رسول الله » . قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينقش احدٌ مثله . وقد تختم به أبو بكر وعمر وعثمان

الطراز — من ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول ان تُرسم اسماؤهم او علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير والديباج او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحاماً وسدى بخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكم الصنّاع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم ، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصداً للتنويه بلابسها من السلطان فمن دونه ، أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه . . . وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم او أشكال وصور معينة لذلك . ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفال أو السجلات . . . وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز . وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز . . .

(باختصار عن ابن خلدون)

ألفرد ده موسه

ALFRED de MUSSET

اذكريني كلما الفجرُ بدا فاتحاً للشمس قصرَ الذهبِ
واذكريني كلما الليلُ مضى راكضاً بين جنودِ الشهب
واذا ما صدركِ ارتجَّ على نَغم اللذات وقت الطرب
او دعاكِ الظلُّ يا ميّ الى لذة الاحلام عند المغرب
فاسمعي من داخل الغابِ صدى صارخ فيهِ يناديكِ اذكري

اذكريني ان غدا صرف القدَرْ فاصلاً ما بيننا للأبدِ
يومَ لا تبقي الليالي والعبرْ من رجاء لفؤادي الكمد
واذكري حباً بهِ قلبي انفطر ووداعاً ذاب منهُ كبدي
واذا الحبُّ على القلب انتصر غلبَ البعد وطول الامد
وانا ما عشتُ يكفيني خبر منكِ والقلبُ يناديك اذكري

اذكريني عندما ألقى المنونا ويضمُّ الترب ذا القلب الكسيرْ
عندما تفتحُ للفجر الجفونا زهرةُ القفرِ على قبري الحقيرْ
لن تري من بعدها ذاك الحزينا انما نحوك روحي ستطير
وبها ابقى على العهد امينا جاعلاً حبك لي خير سمير
واسمعي من جانب القبر انينا هاتفاً في ظلمة الليل اذكري

هذه أبيات عرَّبها عن الافرنسية حضرة الدكتور نقولا افندي فياض، ولا شك في ان هذه القصيدة عصرية الفكر واللهجة لأنها نُظمت سنة ١٨٤٢ وقد وضع لها ألحاناً تناسب معانيها الشجية بعض الموسيقيين

وأجمل هذه الألحان وأحبها الى عشاق البيانو والكمنجة — لأنها اكثر وقعاً في النفس — نغمة ابتكرها الموسيقي الافرنسي جورج روييس

وناظم هذه الأبيات بالفرنسوية هو الذي يسميه الفرنساويون «شاعر الشبيبة» . هو ذاك الذي لا ينساه ابداً من قرأه مرةً ، بل كلما قلب صفحات بعض الكتب الغزَلية تعود اليهِ تلك المعاني البديعة ، والتعبيرات المحزنة التي تصدع القلوب ، فيكاد يرى ما بين يديه من القصائد ، اذا ما قابل بين هذه وتلك ، سبك اسجاع فارغة ، وتلاحم اصطلاحاتٍ لغوية وكتابية ثقيلة ، وثرثرة جالبة الصداع لفقدانها معاني العواطف ، وعجزها عن إظهار آثار الآلام الروحانية

يقلب القارئ صفحات الكتاب فتحول بين نظره والمجلد صورة الشاعر الفتى : رقة في الجسم ورقة في الشعور ، خيالات احلام متتابعة تجول في مياه العينين الصافيتين ، علامات الذكاء الوقاد مرسومة على الجبهة الجميلة تحت طيات الطرّة الذهبية ، وعلى الشفة تحوم شبه ابتسامة ، مزيج هيام ومرارة . . . .

هو فتى العذابات والدموع الذي عند ما تذكره يتبادر الى ذهنك اسما « بايرن » الانجليزي « وادجر ألن پو و » الأمريكاني . لأنَّ في كتابات هؤلاء الثلاثة شيئاً من المشابهة والمقارنة ، وكثير من شعب تخيلاتهم تتلامس في سماء الغزَل ، كما انك تجد في حياة كل منهم ظروفاً ومميزات تجعله أشبه بالآخر برغم سكناهم بلاداً تختلف باللغة والتقاليد

قيثارة ساحرة اوتارها العواطف ، وأغنيتها النوح ، وقرار هذا النوح

قروح القلب ؛ شاعر الشبيبة في كل آن ومكان « ألفرد ده موسه » من لا يعرفهُ ولو بالإسم على الأقل ؟

ولد ألفرد ده موسه في باريس سنة ١٨١٠ وتلقن دروسه في مدرسة هنري الرابع حيث امتاز على سائر أترابه بحدة ذكائه وقوة شاعريته . وبعد خروجه من المدرسة اخذ يدرس الشريعة ثم الطب . لكن مشاكلات المهنة الأولى والمنافرات التي لا بدّ منها فيها ، وشناعة التشريح وكراهته في المهنة الثانيـة احدثت نفوراً في روحهِ الشديدة التأثر فعدل عنهما ، وصار يمضي اكثر اوقاته في جنائن باريس وضواحيها حيث يختلي بذاته ويطلق العنان لتأملاته ويهيم ساعاتٍ طويلة في عالم الخيالات والأحلام

وكان اذ ذاك فريق من الأدباء والشعراء الافرنسيين قد ألفوا جمعية دعوها « سناكل » (Cénacle) الغرض منهـا العمل على ترقية الشعر وتسهيل بعض الصعوبات التي تقيد فكر الناظم وتحدّد حرية قلمه . وكان شاعر فرنسا الكبير « فكتور هوجو » رئيس تلك الجمعية . فدخلها موسه ولاقى فيها ما تتوق اليهِ نفسه من التحكك بمثل هذه النفوس السامية ، والعقول الراقية ، والقلوب الرقيقة . لاقى شعراء مثله ، وذكاء مثل ذكائه ، ومحاورات ادبية فنيةمفيدة ، واصدقاء يفهمون طبيعته واخلاقه ويقدرونها حق قدرها ، بالنسبة لاشتباك مجانسات تخيلاتهم ومطالبهم . ولا شيء في الدنيا يشبه الروح الذكية اكثرمن روح اخرى ذكية ، والعكس بالعكس

دخل موسه في جمعية كان هو اصغر اعضائهـا سناً ، اذ لم يكن له من العمر سوى ثماني عشرة سنة ، فسعد حيناً . وكان الجميع يدعونهُ تحبباً

بنيامين او « الفتى الهائل » (l'Enfant Terrible) فكتب قصائده الاولى متقلداً فيها تارة الشاعر الافرنسي « اندره شنيه » ، وطوراً فكتور هوجو ذاتهُ ، وعرب في الوقت نفسه عن الانجليزية كتاب « تومس دوكانسي » المعنون « اعترافات أفيونيّ » (Confessions of an opium-eater)

ولما لم يكن والد الفتى الشاعر راضياً عن حياة ولده على هذه الكيفية التي لا فائدة منها — على زعمه — ، اراد ان يضعهُ في وظيفة تضمن له سعادة مستقبله المادية ، لكن ألفرد لم يرد تضحية حريتهِ العزيزة ، وإضعاف ذكائهِ الفريد ، واستعداداتهِ الادبية في مثل هذه الاشغال الاعتيادية . فابرز الى عالم القراءة مجموعة اشعاره الاولى ، وكان عمره نحو عشرين عاماً . فكان لظهور هذا الكتاب دوي عظيم بين ذوي الاقلام ، وانتقدتهُ الجرائد ، وذمهُ الناقدون وسخط على مؤلفهِ اعضاء الجمعية لانهم رأوا ان « بنيامينهم » شط عن الخطة المحدودة ، غير مبالٍ بقوانين النظم عندهم ، وهم لم يكونوا نفوا تماماً قواعد الشعر المدعو بالكلاسيك (classique) ، وكانت منظومات ده موسه تضرب كلها على نغمة جديدة (romantique) لم يسبقها تمهيد في تاريخ الآداب الفرنساوية . وقد اتبع هذه الخطة شعراء فرنسا مدة حتى اتى « ادمون روستان » فكان آخر هذه الفئة ، وزارع بذور الشعر الحالي الذي ينعتونه « بالمائل الى الزوال » (décadent) وذلك لان شعراء العصر يتصرفون بالافكار والتخيلات والاوزان والاسجاع بحرية لم يُسمع بمثلها من ذي قبل. وترى كثيرين يتعجبون كيف ضمّت الاكاديميا الفرنسوية الى اعضائها

منذ شهرين تقريباً أحد هؤلاء الشعراء ، وهو « هنري ده رنييه »

لم يبالِ ده موسه بالنقد والناقدين بل اكتفى برضى السيدات عن اشعاره ، واعجاب الشبيبة الفرنساوية بمنظوماتهِ . فانفصل عن اعضاء جمعيتهِ انفصالاً تاماً ، ولم تمضِ سنة حتى نشر قصيدة اخرى اتبعها بمنظومات متعددة ، لم يفهم قيمتها ابناء تلك الايام الاَّ القليلون منهم . ولما كان في الثالثة والعشرين من عمره اجتمع بالكاتبة الشهيرة جورج ساند ، وكانت هذه تكبره بخمس سنوات تقريباً ، وقد مثّلت هذه المرأة النابغة دوراً مهماً مؤلماً في حياة الفرد ده موسه ، وكان تأثير ذكرها في كتاباتهِ عظيماً جداً حتى انك تكاد لا تقرأ شيئاً مما كتبهُ بعد التقائهِ بها ، الاَّ وترى فيهِ رمزاً يدل عليها . تحكك ذكاؤه بذكائها ، وناهضت قواه الادبية قواها ، فاحدث هذا التحكك وهذه المناهضة ، بين هذين النابغتين ، شعلة محرقة ، كما يحدث في تلامس الاسلاك الكهربائية . وكادت هذه الشعلة تذهب بحياة الشاعر فادرك الخطر وابتعد عنها ابتعاداً كلياً (١٨٣٥) لكن ذكرها تبعهُ كيفما توجه . فنظم كتابهُ الى لامارتين (Lettre à Lamartine) ، ولياليه (Les Nuits) وهو يعنيها دائماً ، وهذه القصائد تعدُّ من ابدع وارقّ ما كُتب بالفرنساوية في هذا الباب

وكانت ايام الفرد ده موسه الأخيرة معذبة تعسة ، حتى سئم الحياة وأضحى ينتظر الموت بفروغ صبر ، وتراكمت الامراض على جسمه فاعيته وسحقت ، أو وزادت في سحق فؤاده . وظل على هذه الحال حتى وافاه القدر في سنة ١٨٥٩ ، فتوفي على أثر مرض في القلب ، ولا عجب ان يموت

شاعر القلوب من علة من قلبه . وآخر كلمات لفظها تدل على كثرة احزانه وكرهه الحياة اذ قال : « سأنام سأنام عن قريب والحمد لله ! »

وكانت الاكاديميا الفرنساوية انتخبته عضواً في سنة ١٨٤٢ كما أنه ظل سنين طويلة أمين خزانة الكتب في نظارة المعارف ، ولا يخفى ما في هذين المنصبين من الشرف الذي يتمناه كثيرون لأنفسهم ، لكن ألفرد ده موسه لم تكن تغره الظواهر الفارغة

وقد كتب ما عدا منظوماته البديعة — وكان معاصروه يتهمونه بنقلها من منظومات لورد بايرن الشاعر الانكليزي — مجلدات نثرية متعددة ، وروايات تشخيصية أجاد فيها . فادّعوا ايضاً انها مسروقة من كتابات أدجر ألن پوو الشاعر والكاتب الامركاني . وهذا شأن الحساد دائماً ، فهم يتهمون الممتاز عنهم بما يتصورونه ضده

لا ، ألفرد ده موسه لم ينقل عن أحد ، وأعظم فضيلة فيه كانت فضيلة الاخلاص . لكن حياة كل من هؤلاء الثلثة كانت تعسة جداً ، كأنه سبحانه تعالى يبخل بالماديات على الذين اغناهم بالادبيات ، فان معظم الرجال الكبار كانت حياتهم مفعمة بالاوجاع المتنوعة ، مما لا تذوقه الارواح الاعتيادية ، والعقول الساذجة ، ولا عجب في ذلك

هذه نظرة عامة في حياة ناظم « اذكريني » . فافتكر به أيها القارئ ولو برهة ، وارثِ لحاله ، وقل معي : سلام عليك أيها الراقد تحت الصفصافة ! سلام ورحمة ! »

(مصر)　　　مي

الزهور : سنقول كلة عن الاديبة التي اتحفتنا بهذه المقالة في باب « ثمرات

المطابع» من هذا العدد . وبهذه المناسبة ننشر للقراء اياتاً نظمها الشاعر خليل افندي مطران وكتبها على الصفحة الاولى من ديوان شعر لموسه اهداه الى فتاة ادبية :

عاش هذا الفتى محبًّا شقيا　　وقضى نحبه محبًّا شقيا
وبكى دمع عينه في سطورٍ　　جعلته على المدى مبكيّا
منشدٌ للغرام لم يشدُ إلاّ　　كان إنشادهُ نواحاً شجيًّا
شاعرٌ كان عمره بيت تشبيبٍ　　وكان الانين فيه الرويًّا
فاقرإي شرحَ حاله واعجبي من　　ذلك القلبِ كيف بات خليّا
ان في نظمه لحساً لطيفاً　　باقياً منه في السطورِ خفيّا
فاذرفي دمعةً عليه تعيدي　　ورقَ الطرس بالحياةِ نديا
وتثيري من روحه نسماتٍ　　وتفيحي منها عبيرًا ذكيا

الغناء العربي

في مصر

عبده الحمولي — رزىء الغناء العربي في مصر في اوائل الشهر الماضي بالمرحوم الشيخ يوسف المنيلاوي احد مشاهير المغنين الذين عاصروا عبده الحمولي واخذوا عنه [١]

كان الحمولي في مصر كما كان ابرهيم الموصلي في بغداد . كلاهما إمام المغنين في عصره . وكما التفَّ حول الموصلي جماعة ممن عاصروه فاخذوا

(١) اطلب الاسطوانات المدوَّنة فيها اصوات اشهر المغنين من شركة الجراموفون في القاهرة والاسكندرية The Gramophone Company, Ltd.

عنهُ ثم تفننوا في الذي اخذوه وحسَّنوا فيـهِ ، هكذا التفَّ حول الحمولي كثيرون من المتأخرين فاخذوا عنهُ ثم تفننوا في الذي اخذوه ايضاً . وكان اشهر هؤلاء محمد افندي سالم والشيخ يوسف المنيلاوي



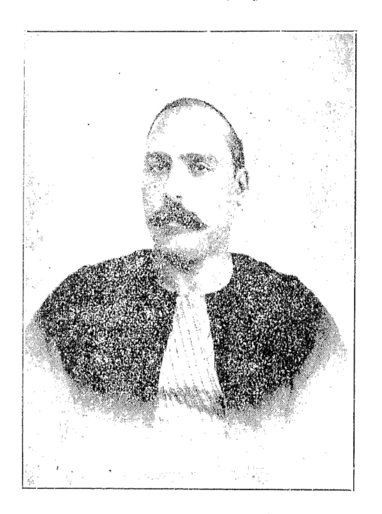
عبده الحمولي

يخرجُ المالكين من حشمةِ المـ　　لك وينسي الوقور ذكر وقارهْ
يسمع الليلُ منهُ في الفجر « يا لـ　　يلُ » فيصغي مستمهلاً في فراره

« شوقي »

وكانت لعبده طريقة في الغناء ابتكرها لنفسه فأنزلتهُ المنزلة الأولى

بين أرباب هذا الفن الجميل فاقتبس المنيلاوي ما حلا له منها وحسَّن فيهِ حتى لقد كان يسمعهُ الحمولي نفسه فيقول : « اخذ عنا فسبقنا »



الشيخ يوسف المنيلاوى

والله لو انصف العشاق انفسهم اعطوك ما ادخروا منها وما صانوا
ما انت حين تغنيهم وتطربهم الاَّ نسيم الصبا والقوم اغصانُ

وأخذ عن الحمولي ايضاً عبد الحيّ افندي حامي المغني المعروف فأجاد في تقليده اياه ولم يزل الى يومنا هذا المغني الوحيد الذي يقلّد عبده في الأغاني التي سمعها منهُ وهي مزيتهُ الأولى

آثر الناس عن عبده انه ولد في طنطا، وكان له أخ أكبر منه فوقع شقاق بين أخيه وأبيه، ففرّ به أخوه من وجه والدهما هائماً به في الخلوات لا يجدان أحداً يأنسان به و يلجآن اليه ، حتى دنا الغروب فسخر الله لهما رجلاً آواهما في ليلتهما ثم اقاما عنده اياماً . ومن غريب الاتفاق ان الرجل كان يشتغل بصناعة الغناء و يضرب الآلة المعروفة بالقانون ، فلما سمع صوت عبده أعجبه فعاد به الى طنطا واشتغل معهُ فيها مدة وجيزة . وقد بقي تاثير تلك الوحشة والانفراد مع التعب والجوع في تلك الليلة التى خرج فيها عبده من بيت أبيه مرسوماً في نفسه فكنت تراه الى آخر عمره ينقبض صدره ، ويتقطب وجهه كلما دخل عليه اوان الغروب . ولما اشتهر صيته وتفرد في صناعة الغناء الحقه المرحوم اسماعيل باشا الخديوي الأسبق بمعيته ، وسافر معه الى الاستانة مراراً فاقتبس شيئاً كثيراً من الغناء التركي وادخله في الغناء العربي وقد حسنه وتفنن فيه . وغنى وهو في عاصمة الترك السلطان عبد الحميد، واتصل بكبار اهل الدولة يومئذ فأعزوا مقامه على شدة اثرتهم بالعز لانفسهم . وقصد الى الاستانة مرة اخرى فلقي فيها ما اقصاه عنها كل حياته

وآثروا عنهُ كرم الأخلاق ورقة المعشر والمروءة وسلامة الطوّية . حدثنا بعضهم قال : جمع عبده في منزله حلقة من الفضلاء فغناهم حتى الهزيع الثالث من الليل . وانه لكذلك اذ أقبل عليهِ خادمهُ الخاص فاسرّ اليهِ امراً فهبّ من موضعهِ معتذراً للقوم بما حضره . ومشى عابس الوجه مقطب الحاجبين . ثم كانت ساعة ورجع الى مكانه فجسّ عودَه وغنى

أصحابه صوتاً شجياً مؤثراً كان يشرق بدمعهِ في خلاله . ثم استمرّ في الغناء حتى كان الهزيع الرابع من الليل ، فهمّ ضيوفهُ بالانصراف ، فأقبل عليهم يحدثهم في امره قال : « انكم شاركتموني في فرحي فهلاّ تشاركوني في حزني ؟ » وكان له ولد وحيد اتاه الخادم بنعيه وهو يغني فمضى الى ذويه فبكاه معهم حيناً ثم عاد فغنى اصحابه كأن لم يكن له ولد ومات . اما الصوت الذي شرق بالدمع في خلاله فقد آثره عنه بعض المغنين وأودعه في آلة الغناء المعروفة « فونوغراف » وقد سمعناه فهو منتهى ما يكون من الرقة والتأثير

وآثروا عن مروءته وبذله للمعروف حوادث يعلمها الناس لا يجهلونها وجميعها يدل على أخلاقه الفاضلة رحمه الله

محمد عثمان — اذا ذكرت عبده الحمولي تبادر الى ذهنك فوراً ذكر المرحوم محمد عثمان . فقد كان هذا الرجل الى جانب عبده ما كان معبد الى جانب اسحق بن ابراهيم الموصلي . غير ان عثمان ابتلي بداء عقيم ذهب بجمال صوته وطلاوته فانصرف الى تأليف الالحان فكان بصيراً بأخذ النغم من مواضعها وبجمعها على نسق مستحب كَلِفاً بصناعته ، جاداً في اتقانها ارادة ان يستعيض عن طلاوة الصوت بحسن الاسلوب ولطف السياق ولهذا كان لا يغني منفرداً الاّ على اجنحة الآلات . فاذا لحن أغنيّة وأسمعها لأول مرة خرجت متقنة الوضع رائقة للسمع ، ولكن يبدو عليها اثر إعنات الفكر ويشتم منها ريح الشمع المذاب في السهر على تخريج أجزائها ، وتوجيه ضروبها والملائمة بين رنّاتها ومعانيها . وعلى الحقيقة

فان عثمان كان في أخريات عمره واضع معظم الألحان فيأخذه عبده عنه ، وهو ضريبه ، ويكسوه من الحلي والحلل ما تشاء بديهته الخاصة به

الشيخ المسلوب — ومن ذكر محمد عثمان ذكر معه الشيخ محمد عبد الرحيم الشهير بالمسلوب فقد كان هذا لرجل وما برح الى يومنا هذ شيخ الملحّنين . غير ان الكبر اقعده عن الانشاد في السنين الاخيرة — وهو



خير من انشد الاذكار الصوفية في هـذا العصر — وحالت الشيخوخة بينه وبين صناعتـه الجميلة فأقصى نفسه عن حلقات الغناء . ولكنه ما فتيء يجيد التلحين والوضع اذا سئل شيئاً منها

اذا لقيت هذا الرجل الشيخ اليوم لقيت راوية للغناء العربي في هذا العصر . فان حدَّثته حدثك من تاريخ الغناء في القرن الفائت ما لا تحتويه بطون الاوراق فهو تاريخ حيّ للغناء والمغنين

محمد سالم — وكما اقعدت الايام الشيخ المسلوب اعجزت معهُ ايضاً زميله محمد سالم وهو احد اربعةٍ يحق لنا ان نسميهم بأئمة الغناء العربي في مصر في العهد الاخير . نريد بالثلاثة الآخرين عبده الحمولي ومحمد عثمان وسلامه حجازي



الشيخ سلامه حجازي

كان محمد سالم ابَّان عهده بالفن من نظراء عبده في الاتقان وجودة الاداء . وقد اعترف له عبده نفسهُ بذلك اذ كان يقول عنهُ :



محمد افندي السبع

« أحسن الاصوات في مصر صوتان : صوت سالم في الرجال ، وصوت ألمز في النساء »

المغنون والملحنون — من المغنين من اشتهر بالغناء وبالتلحين معاً ، ومنهم من عرف باحدى هاتين المزيتين فقط . فمن الفئة الاولى عبده الحمولي ومحمد عثمان ، والشيخ سلامه حجازي

ومن الذين أخذوا بالتلحين وحده الشيخ عبد الرحيم المسلوب ، وأبو خليل القباني الدمشقي ، وابراهيم افندي القباني ، وداود افندي حسني ، واحمد افندي غنيمه



عبد الحي افندي حلمي

اما الذين أخذوا وغنوا فكثيرون اشهرهم محمد افندي سالم ، والشيخ يوسف المنيلاوي ، وعبد الحي افندي حامي ، ومحمد افندي السبع والشيخ سيد السفطي ، وعلي افندي عبد الباري ، وكثيرون آخرون

النساء المغنيات — ولم يكن نصيب النساء من الاجادة في الغناء بأقل كثيراً من حظ الرجال منهُ فقد اشتهرت « ألمز » زوجة المرحوم عبده الحمولي بحسن الاداء ورخامة الصوت ، وفهم اسرار الصناعة ، وعرفت « ليلى » — وليلى اشهر من أن تعرف — بطلاوة الصوت وعذوبتهِ والبراعة الفائقة في الاداء والمقدرة على الاخذ والتقليد

وهناك قيان زاولنَ هذه الصناعة واختلفت منزلتهنَّ فيها باختلاف استعداد كل قينة منهنَّ ، وباختلاف الوسط الذي نشأت كل

واحدة فيه . على ان اشهرهنّ اليوم توحيده والسويسية وبهيه اللواتي يغنينَ عامة الناس في قهوات مصر

اشهر الاغاني — من الأغاني ما تداولها الناس وغنوها ناسين أسماء ملحّنيها على حين ان الواجب يقضي بأن يُعرف الملحّن بالأغاني التي وضعها كما يعرف الشاعر بالقصائد التي نظمها . لهذا رأينا — ضناً بفضل اولئك الملحنين ان يذهب به النسيان — ذكر اشهر الأغاني مقرونةً باسماء الملحنين كما ترى

أشهر الألحان التي وضعها عبده :

أهين النفس وأتذال اليكم . . .

غرامك علمني النوح . . .

كادني الهوى وصبحت عليل . . .

قده المياس زوّد وجدي . . .

جددي يا نفس حظك . . .

متع حياتك بالأحباب . . .

اشهر اغاني محمد عثمان :

ياما انت وحشني . . .

قدك أمير الأغصان . . .

القلب سلَّم من زمان . .

عهد الاخوّة نحفظه . . .

اليوم صفا داعي الطرب . . .

اشهر اغاني المسلوب :

ناحت فأجبتها . . .

رايح فين يا مسليني . . .

في مجلس الأنس الهني . . .

اشهر اغاني ابرهيم القباني :

الكمال في الملاح صدف

البلبل جاني وقال لي . . .

تضحكني الحواسد في غرامي . . .

يعيش و يعشق قلبي . . .

اشهر اغاني داود حسني :

يا طالع السعد افرح لي . . .

دع العذول . . .

سلمت روحك يا فؤادي . . .

اسير العشق . . .

عزيز حبك . . .

القلب في ودّك . . .

نقيجة عومية — لولا ان أتاح الله للغنـاء العربي في العهد الاخير المرحومين أبا خليل القباني ، وعبده الحمولي ، لكانت صناعة هذا الفن الجميل قد اندثرت ولم يبقَ لها أثر . فان القباني نقل الى مصر ما أخذه بالسماع والتواتر عن الاغاني العربية القديمة فأحياها ، والحمولي أخذ تلك الطريقة وهذّبها ثم تفنن فيها حتى اختصَّ بها واخذها عنه معاصروه فذهبوا فيها ايضاً مذاهب شتىً

حبذا لو استطاعت الحكومة المصرية — وهي الحكومة العربية الوحيدة التي تسعى ابداً الى تخليد مجد العرب — ان تنشىء مدرسة لفن الموسيقى العربية فتحفظ هذا الفن من الضياع ، وتعيد له مجده القديم . ان هذه لأمنية لنا على الحكومة لعلنا ان نعود اليها فنوفيها حقها من البحث

ثمرات المطابع

تاريخ آداب اللغة العربية [1] — واضع هذا السفر النفيس جرجي افندي زيدان ليس بحاجة الى التعريف . فهو من اشهر كتّابنا واكثرهم نشاطاً واجتهاداً ، وأجلهم خدماً للغة العرب وآدابها وتاريخ تمدن أممها . واذا ما ذكر يوماً الكتّاب الذين كانت لهم يدٌ في النهضة الادبية في هذا العصر جاء اسم زيدان في مقدمتهم . فان مؤلفاته — بين تاريخ وروايات وآداب واجتماع — تعدُّ بالعشرات . وهي — وان اختلفت في القيمـة

(١) ثمنه عشرون غرشاً صاغاً . عدد صفحاته ٣٢٠ يطلب من مكتبة الهلال بمصر

باختلاف موضوعها — تشهد لصاحبها بسعة الاطلاع وحب البحث والتنقيب عن الحقائق وخصوصاً بالثبات على العمل ، الامر الذي لا يحق لكثيرين من كتاب الشرق ان يفتخروا به : ويسرُّ « الزهور » التي وقفت نفسها على نشر آثار ادبائنا وتعريفهم الى قرائها ان تعلن اليوم فضل هذا الرصيف الكريم وتزين صفحاتها برسمه بمناسبة ظهور كتاب تاريخ آداب اللغة العربيــة . وهو كتاب « يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعهــا وتراجم العلماء والادباء والشعراء . . . من أقدم ازمنــة التاريخ الى الآن » وهذا الجزء الأول « يحتوي على تاريخ آداب اللغة في عصر الجاهليــة وعصر الراشدين والعصر الاموي »

لا يخفى على اديب ما هو عليه هذا الموضوع من تشعب الاطراف ووعورة المسلك واضطرار من يعالجه الى الوقوع في هفوات عديدة . ولم يفت هذا الأمر زيدان افندي فانه العالم الحقيقي الذي يعرف ان ما لا نعلم هو اكثر مما نعلم ، فاشار الى ذلك في مقدمته بكل صراحة وحرية ضمير شأنه في ما تقدم من مؤلفاتهِ . فاذا كان في النظرة العامة التي وضعها عن حالة العرب وآدابهم ولغتهم ولهجاتهم في الجاهلية نقص ، أو اذا كان في سرد اسماء الشعراء سهو أو إهمال ، او في الحكم على شعرهم ولغتهم ما هو موضوع المناقشة فلأن الموضوع غير واقع تحت الحصر ، ولأن المستندات الواجب الاعتماد عليها مبعثرة في مئات من الكتب بين مطبوعة وخطية وهذه الكتب منثورة في مكاتب مختلفة بين عواصم الغرب والشرق فلا

يتسنى الوقوف عليها . ولذلك ترى ان تاريخ الآداب العربية الذي نحن الآن بصدده قد جمع بين دفتيهِ جلّ ما يمكن جمعه من المعلومات عن هذه الآداب . وهو من هذا القبيل اشبه بواضع اول معجم لمفردات اللغة فانهأغفل بطبيعة الحال كلمات كثيرة جاء بعده من استدركها ودوَّنها فكمل عمله . وفي رأينا ان اكبر مساعد على وضع تاريخ شامل وافٍ لآداب لغتنا هو اولاً : انتقاء مختارات من ادباء العرب . فان هذه الكتب على وفرتها — واوسعها « مجاني الأدب » — لا تفي بالمطلوب لا سيما من حيث التنسيق والتبويب



جرجي زيدان

— فالحاجة ماسة الى تقسيم الكتّاب حسب العصور وايراد نبذة موجزة عن حياة كل كاتب أو شاعر مع اسماء مؤلفاتهِ وابداء رأي في كتاباته ثم ذكر المأثور من هذه الكتابات ، على الطريقة التي سار عليها الافرنج في تبويب مختاراتهم . والأمر الثاني الذي يساعدنا على ضبط تاريخ آداب لغتنا هو الدروس الافرادية وذلك ان يعمد ادباؤنا المعروفون

الى كاتب او اكثر من كتاب العرب فيدرسونه درساً ادبياً وافياً من حيث ترجمته ونقد كتاباته وتأثير الوسط فيه الخ فيضمون عنه لمحة تجمع زبدة الآراء وهكذا يتسنى من مجموع هذه الدروس ابداء احكام صادقة وايراد روايات راهنة عن كتابنا السالفين . وسنباشر ذلك في « الزهور » قريباً ان شاء الله . ويجدر « بالجامعة المصرية » وبغيرها من معاهدنا العامية الشرقية ان تفرض على كل مرشح لنيل الشهادة النهائية وضع درس من هذه الدروس عن احد شعراء العرب كما تفعل معاهد الغرب . هذه في رأينا أهم الوسائل التي توفر لدينا المعدات اللازمة لوضع تاريخ حقيقي لآداب لغة العرب

فالى زيدان افندي نزفّ اطيب التهاني بما خدم به هذا الموضوع الجليل منتظرين توفيقه الى إظهار الجزء الثاني من كتابه وهو سيكون ولا ريب أوفى بحثاً واتم بياناً لانه يتناول عصراً كثرت آثاره وتوفرت المعلومات عنهُ . وعلى كل حال فان هذا الكتاب يُعد صفحة جميلة في حياة مؤلفهِ المملوءة بالاعمال الادبية

ازهار احلام[1] Fleurs de Rêve, par Isis Copia — يسرنا ان نرى عدد الاوانس والسيدات اللواتي ينزلنَ الى مضمار الكتابة يزداد يوماً فيوماً . فنحن اليوم نحتاج الى صفحة كبيرة لتعداد اسماء الكواتب والشواعر عندنا . ويزيد سرورنا عندما نرى فتاتنا تحمل مع القلم العربي الريشة الافرنجية ، وتجاري الاجانب انفسهم في لغتهم . عرف قراء العربية

(١) ثمنه ثلاثة فرنكات ونصف ويطلب من مكتبة ديمر ومكتبة بريه بمصر

الكاتبة الاديبة « مي » مما نشرتهُ من الروايات الجميلة والمقالات الشائقة والابحاث النفسانية الدقيقة في جريدة « المحروسة » الغراء وقد اتحفتنا بمقالة لطيفة عن ألفرد ده موسه نشرناها في غير هذا المكان من هذا الجزء . وامامنا الآن كتاب شعر افرنسي رقيق ، في ذيله بضع صفحات نثرية جميلة ، تأليف « إيزيس كوبيا » . وايزيس ومي هما شخص واحد ، والقلم الذي حبر المقالات والروايات العربيـة ، والريشة التي حاكت برد هذه القصائد الفرنسوية ، تحملهما يدٌ واحدة ويملي عليهما فكرٌ واحد . الكتاب الذي نحن بصدده الآن مجموعـة ازهار عطرية نبتت في رياض الاحلام الجميلة ، وهي مهداة الى روح لامرتين شاعر القلوب الحزينة ، وهذه الروح المتألمة ترفّ على كل صفحاتهِ وتجعل الكاتبة تقول في قصيدة « هل هي شاعرة ؟ » ما معناه : « البكاء والرأفة والحبُّ والألم هذه هي صفات الشاعر » وقد ظهر من المواضيع التي طرقتها الكاتبة انها لا تصف الاَّ ما ترى ، ولا تعبر الاَّ عما تشعر به . فجاءت منظوماتها صورة حقيقية لما يشغل فكرها ويحرك قلبها ، ولذلك انت تشاركها عند تلاوة اشعارها في هذه العواطف مهما كان رأيك في القالب التي سبكتها فيه . فلا تمالك من ان تصبو معها الى مصر ونيلها وآثارها وسهولها ، وتحن معها الى لبنان وجباله واوديته . واذا كانت ايزيس كوبيا شاعرة في نظمها فقد وجدناها اشعر منها في تلك الصفحات النثرية التي ختمت بها « ازهار احلامها » حيث لم تعد مقيـدة بقيود القافية والوزن ، وكثيراً ما تكون الازهار المنثورة اجمل من الازهار المضفورة على شكل مقرر . ولولا ضيق المقام

لأتينا على ترجمة بعض هذه الافكار المدوّنة في هذه الصفحات

قالت « ايزيس » في مقدمة صغيرة استهلت بها مجموعتها : « اذا كانت كتاباتنا صادقة ، فلا اهمية لقيمتها من حيث الفن . فنحن تارةً نتألم وتارةً نفرح ، ولكننا دائماً نتنهد . وان التنهدات التي تملأ صدر الانسانية متشابهة ، وما الاختلاف الاّ في توقيعها . . . فلا تحاولنَّ يا من يطالع هذا الكتاب ان تنتقد او تعلّل ، بل ابتسم ، فان ابتسامة التسامح هي اجمل زهور النفس ؛ فلا تبخل عليَّ بهذه الابتسامة التي ألتمسها . . . »

ونحن لم نبخل بهذه الابتسامة عند مطالعة هذا الكتاب ، ولكنها كانت ابتسامة رضى عما فيهِ ، واعجاب بالقلم الذي كتبه

منتهى الافادة [١] — من الكتب التي لها مساس بالحياة العائلية ، كتاب « منتهى الافادة في اسرار الجمال والصحة والسعادة » لمؤلفهِ حضرة البارع الدكتور أمين افندي ناصيف . تصفحناه فوجدناه سفراً جليلاً يبحث عن الطرق الصحية لتحسين الخلقة ولتلافي العاهات ولتقويم الاعضاء منذ الصغر والتدابير التي يجب اتخاذها لتجنب كل ما يشوه الوجه . وقد ذكر المؤلف عدة وصفات لنعومة البشرة ولحفظ الاسنان ولصحة العينين واعتدال القامة وغير ذلك وختمه بمباحث طبية جاء فيها على خلاصـة ما يقال في الامراض الكثيرة الشيوع ، واسهل الطرق لعلاجها . والكتاب جدير بالمطالعة لما فيه من الفوائد الجمة

---

(١) طبع في المطبعة الادبية في بيروت . عدد صفحاته ٣٤٠ وثمنه ١٢ غرشاً يطلب من مكتبة كليو بترة بشارع نوبار باشا بمصر ومن مكتبة المعارف

تهنئة اخلاص — عرف قراء « الزهور » سليم افندي عبد الاحد الكاتب المجيد الذي ينشر في هذه المجلة « رسائل غرام بين نساء شهيرات ورجال عظام » ونحن نقدمه اليوم اليهم شاعراً بارعاً في اللغتين العربية والانكليزية . يدل على ذلك كراس صغير اهداه الينا وفيه قصيدتان عربية وانكليزية رفعها الى جلالة الملك جورج الخامس بمناسبة تتويجه نقتطف من الاولى قوله في وصف الاسطول :

عرشٌ تؤيدهُ السفائن دونها	شمُّ الجبال الراسيات وتعضدُ
الشامخات السابحات تعجُّ من	اثقالها لجُّ المحيط وتزبدُ
تَخِذُ البحار وفي حشاها زفرةٌ	تمتدُّ في موج الخضمّ فتوقدُ

وقوله :

يا باسطاً ظلَّ السلام وناشراً	للعدل ألويةً بفضلك تشهدُ
فخرُ الملوك سيوفهم مسلولةٌ	وفخارُ سيفك انَّ سيفك مغمدُ . .
مجدٌ اذا قيس الخلودُ فغترةٌ	تفنى وعرشك في القلوب مؤبدُ

اما القصيدة الثانية فقد نشرتها الصحف الانكليزية في مصر واثنت على ناظمها اجمل الثناء

صحيفة الوجدان — نشرت « الزهور » في سنتها الاولى شيئاً مختاراً من نظم الاديب رمزي افندي نظيم . وقد اتحفنا حضرته اليوم بمجموعة ما نشره في جريدة « العفاف » الغراء في مواضيع مختلفة وهي تبشر شاعرها الشاب بمستقبل مجيد في هذا الفن

لغة العرب — هو عنوان مجلة ادبية تاريخية سيُصدرها قريباً في

بغداد حضرة العالم المدقق الأب انستاس ماري الكرملي المعروف لدى علماء الشرق والغرب بابحاثه الجليلة . والغاية الاولى من اصدار هذه المجلة كشف النقاب عن احوال العراق وجزيرة العرب واحوال اهلها وعلومهم وآثارهم وآدابهم الخ . وحضرته اقدر من طرق هذه المواضيع . فنرجو لهُ نجاحاً وفلاحاً في هـذه المهمة النبيلة ، وسنعود الى هذا الموضوع ببيان اوفى . لأن هذه المجلة ومديرها الفاضل جديران بالتفات الادباء . والمفاوضة مع مدير مجلة « لغة العرب » في بغداد

الى قراء الزهور

﴿ عطلة الصيف ﴾

كتبنا في العدد الاول من هذه السنة الجملة الآتية :

صدر في السنة الماضية اثنا عشر عدداً من « الزهور » في ٥٦٠ صفحة . ولما كان العدد الكبير من المشتركين يغيرون محل إقامتهم في شهري الصيف حدث تبلبل في توزيع المجلة وفقد منها اعداد كثيرة . ولذلك رأينا ان نوقف إصدارها في شهري الصيف . وقد زدنا عدد صفحات كل عددٍ حتى تبقى مجموعة العشرة الأعداد ٥٦٠ صفحة كمجموعة الاثني عشر عدداً . . . »

فعدد هذا الشهر والحالة هذه هو آخرعدد يصدر من « الزهور » قبل عطلة الصيف وموعدنا القراء الكرام اول اكتوبر (ت ١) المقبل

منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١١ السنة الثانية

العودة

كان شهر يوليو وكان فصل الذهاب ، فاخذت القطورات الحديدية والبواخر البحرية تقلُّ الناس افواجاً الى مصايف مختلفة ألطف هواءً وأعدل مناخاً . فسكنت الحركة في العاصمة ، وهدأ دولاب الاشغال ، وأقفلت المعاهد العلمية

وجاء الآن شهر اكتوبر ، وهو فصل العودة والاياب ، فعاد التاجر الى متجره ، والمحرر الى قلمه ، والموظف الى ديوانه ، والمحامي الى مكتبه ، والطبيب الى عيادته ، والتلميذ الى درسه بعد ان جمعوا في عطلة الصيف ذخراً من القوة والنشاط لمواصلة العمل في مراحل هذه الحياة

وقد عادت « الزهور » الى قرائها وعاد قراؤها اليها ، والشوق ملءُ جوانح الفريقين ، بعد فراق شهرين . فهي ترحب اليوم بالجميع وتسأل للجميع كل صفاء وهناء

* * *

نهنيء الجميع بسلامة العودة ، ويلذّ لنا اليوم ان نخصك بالتهنئة ، ايها

التاميذ العزيز العائد الى رياض المدرسة لتجني من زهر الآداب والعلوم عسلاً شهياً لك ولأهلك وبلادك . نخصك بالتهاني ، وجميع القراء يشاركوننا في ذلك ، لان فيهم أباك وامك ، وأخاك واختك

منذ شهرين ونيف جرت الامتحانات في المدارس ، واقامت معاهد العلم الحفلات الشائقة لمكافأة ذوي الجد والاجتهاد . فنشرت اسماؤهم علناً ، ولم تضنّ الصحف اليومية بافساح محل واسع بين اخبارها للثناء على المبرّزين من الطلبة واطراء ذكاء من حاز قصب السبق منهم في ميدان الدرس . فكم كان يخالج صدرك حينذاك من عواطف الفرح والحبور لقيامك بالمفترض عليك إن كنت من الفائزين . أو كم كان يتلاعب في رأسك من افكار التأسف والندم على ما فات من فرض أهملته او درس تهاونت فيه او واجب تأخرت عن القيام به إن كنت من الخاسرين .

من يصف لنا ما دار في خلدك عند أوبتك الى أهلك ظافراً غانماً او خاسراً صفر اليدين ؟ اواي قلم يصور لنا ما كان في تقبيلك لأهلك وتقبيل اهلك لك من العواطف والمعاني ؟

بهذه القبلة قلتَ لهم انك فهمت ما يتكبدونه من الضحايا في سبيلك وسبيل تهذيبك اذا كنت قد عدت اليهم ويداك مثقلتان بشهادات جدك ، وا كليل الغار والظفر يعلو جبينك الوضاح المتلألئ بنور الغبطة والأمل . وكم كان اذ ذاك بقبلتهم لك من الفخر والابتهاج ، لانك شرفت اسمهم الذي ستُعرف به في المجتمع الانساني ، فأنسيتهم عرق الجبين وكدّ اليمين والنفقات الباهظة

بهذه القبلة عبّرت لهم عن شديد اسفك على ما فات وعزمك الأكيد على الدرس والاجتهاد اذا كنت قد رجعت اليهم ولم تفلح وكم كان بقبلتهم لك من اللوم والتأنيب على خمولك وانت لم تكسب شيئاً في الجهاد الأول من هذه الحياة . . . .

كل هذه الافكار والعواطف خالجت صدرك وصدر ذويك ، فشعرت بفرح او حزن ، وشعروا بذاك الفرح او هذا الحزن . فعزمت على مواصلة السير في خطتك الحميدة كما في الماضي ، او على التعويض بالدرس والتكفير بالجد عن ذلك الماضي

مضى الآن اكثر من شهرين على تولد هذه العواطف في صدرك . وقد قضيت هذا الردح من الزمن بين القمم الخضرة والمناظر النضرة ، اذا كان اهلك من ذوي اليسار ، فتنقلت بين ربى لبنان او سويسرا ، وزرت آثار الحضارة الجليلة في عواصم اوربا ، فانفتحت نفسك لشعر الطبيعة وسجدت مخيلتك لذكاء الامم الراقية ، او انك بقيت في بلدك تطالع وتدرس حركة الزراعة والاسواق تحت ادارة ابيك او ولي امرك فطُبع فيك حبُّ العمل والسعي وراء الرزق . وعلى كل فقد قضيت هذه الايام بين ذويك ، فجدّدت نشاطك وقواك وادّخرت في المعيشة العائلية حزماً جديداً وعزماً اكيداً

ما اعظم ما كان تأثيرك ايها التلميذ العزيز عندما نزعت ورقة التقويم اليومي فوجدت مسطراً على الورقة التي تليها بحرف ضخم « اول اكتوبر» وهو تاريخ العودة الى المدرسة

منذ شهرين استقبلك أهلك بقبلة اللقاء ، واليوم يستودعونك الله بقبلة الوداع . وليست هذه القبلة بأقل من الاولى معنى ورمزاً . فتحوا ذراعيهم لضمك الى صدرهم بعد عشرة اشهر قضيتها بين المحابر والاوراق ، وهم يفتحونهما الآن لوداعك بعد شهرين قضيتهما بالقرب منهم . يودعونك ولسان حالهم يقول .

« سرْ يا ولدي باسم الله مسراك ، واقضِ سنتك المدرسية جادّاً منعكفاً على دروسك مطيعاً لرؤسائك محباً لرفقائك ، فترد منهل المعارف وترتشف كأس العلوم وتعود الينا اكمل عقلاً واوسع فكراً واغزر ادباً واكثر علماً . ضع نصب عينيك مستقبلك فهو سيكون غداً ما تريده اليوم فتحصد آتياً ما تزرعه حاضراً . انت عماد بيتك وعصا شيخوخة اهلك ، انت محطّ آمالنا ووارث شرفنا واسمنا وكل ما لنا . . . وعليك ان لا تنسى انه لا منقذ للانسان ولا معين في هذا الاعصار الهائل الذي ثارت رياحه وعصفت عواصفه على المجتمع الانساني الاّ « الفضيلة والعلم » فاجعل الكتاب أليفك والجد حليفك لتكون رجلاً نافعاً لبلادك وعضواً عاملاً على ترقية أبناء جنسك »

هذا بعض ما تقوله لك ساعة الوداع قبلة ابيك الحنون «يامنتهي امله» وقبلة امك المحبوبة « يا نور عينها » ولن نزيد عليها شيئاً لان فيها احسن فصاحة وابلغ بيان بل نقول لك : لا تنسَ هذه النصائح التي املاها عليك قلب اعز الناس اليك ، بل اتخذها دليلاً ومرشداً لك فهي تشدّد عزيمتك حين التهاون والخمول ، وتجدّد املك ساعة اليأس والقنوط . . .

لم اجدها

فتشتُ عنها فلم أجدها ، وهي موجودة . ولا ازالُ أَنشدها ، فهل أجدُ تلك الضالة المنشودة ؟

بين رفيقات طفولتي ، وعشيرات شقيقتي بحثتُ ، فلم أجدْ ضالتي !

جبتُ المدُن والاقطار، وخبرتُ الناس ودرستُ الاميال والاخلاق وأنا أبحثُ عنها . طرقتُ الانديةَ والمجتمعات ، وعاشرتُ المتمدنات المتعلمات باحثاً منقباً عمن أُريد . فلم أجدها

قصدتُ القرى والجبال . فاختلطتُ بالقرويات الساذجات، ودرست معيشة الفلاحين في مزارعهم، فتوهمتُ اني وجدتها ، واذا من توهمتُ انها هي ، هي غير من اطلب ، فرجعتُ ولم أجدها

درستُ تاريخ الأُمم الغابرة والعصور السالفة ، ونفضتُ غبار النسيان عن تلك الوجوه الماضية علّي اجد بينها تلك التي أرجو . فلم أجدها

لكلّ شاعرٍ عروسُ شعرٍ يتغزّل بحسنها ، ولكلّ كاتبٍ خريدةُ روايةٍ يشدو بذكرها . فتشتُ بين العرائس والخرائد . فلم اجدها

***

أُسألُ : أين هي ؟ فلا أعلم ... ومن هي ؟ فلا أدري ... وكيف هي ؟ فلا أعرف ... لساني قاصرٌ عن وصفها ، وقلمي عاجزٌ عن تصويرها لا يعرفها غيري ليهديني اليها ، أو يهديها اليّ . لاني أنا أيضاً اجهلها وتكادُ نفسي أيضاً تجهلها ، فأفتش عنها ولا أجدها

أُغمض عينيَّ عما أرى ، واصمُّ اذنيَّ عما أسمع ، فأضيع في عالم الخيال فيترآى لناظري شخصها بين خيالات الاوهام ، وينساب الى مسمعي صوتها بين حفيف الاحلام . فأتوهم اني عرفتها أو عرفتُ بعض الشيء عنها . فاذا ما عدتُ الى عالم الحقيقة أراني عاجزاً عن إعادة بعض ما رأيت وسمعت أو ما توهمت اني راءٍ وسامع

لم أجدها حتى الآن ، ولكني لا ازالُ أفتش عنها ، لانها موجودة ولن ازال انشدها حتى ألتقي بتلك الضالة المنشودة

***

البلبلُ يجدُ الغصن الذي يغرّد عليهِ في ليالي القمر ، والفراشة تجد الزهرة التي تتغذى منها عند السحر ، والزهرة تجد قطرة الندى التي تحييها ، والغوّاص يجدُ الدرّة التي يسعى اليها ، والشاعر يجد القصيدة التي يحوم خاطره حواليها . . .

فهل أجدُ من تكون غصن شبابي لأزهر ، وزهرة ربيعي لأثمر ، وندى ايامي لأحيا ، ودرة عيشتي لأتحلّى ، وقصيدة ايامي لأتغنى . . ؟

فتشتُ عنها والى الآن لم اجدها . ولقد تكون فتشتْ عني فلم تجدني . ولعلها هناك وأنا ابحث هنا ، وقد تكون هنا وأنا افتش هناك فهل تلتقي نفسانا ؟ ومتى تلتقيان . . ؟

سأبحثُ عنها حتى أجدها ، لانها موجودة . ولن أزال أنشدها حتى التقي بها تلك الضالة المنشودة

حالة العلم في نجد

«قبل الوهابية وبعدها»

أرسل الينا حضرة مراسلنا البغدادي الفاضل « ساتسنا » تابع البحث عن بلاد العرب الذي نشرنا منهُ قسماً في « زهور » هذه السنة (ج ٤ ص ١٧٦ و ج ٥ ص ٢٣٣) وهو البحث الذي وضعهُ خصيصاً لقراء مجلتنا بمساعدة حضرة الالمعي سليمان افندي الدخيل صاحب جريدة « الرياض » الزاهرة . وما جاء في المقالة بين قوسين « » هو لمراسلنا والباقي للصحافي البغدادي الاديب

« رأيت من مقالتنا الاولى ان ديار نجد واقعة في اقليم تحيط بهِ النفُوذ احاطة الهالة بالقمر ، بحيث ان الطبيعة قد عزلتها عن سائر البلاد وجعلت العلوم والآداب لا تصل اليها الاّ بعد تجشم المشاق التي لا تطاق . هذا فضلاً عن ان هناك سبباً آخر أوقف سير نجد في سبيل التقدم ومجاراة أهل سائر الاقطار في رقيّ سلّم المعارف وهو انها أصبحت منذ الاعصار المتوغلة في ظلمات القدم طريقاً للحاج ينتابهُ العرب منْسلّين إليهِ من كل حدب سحيق وشِعب عميق. على ان الاختلاف الى تلك الديار اصبح اعظم من سابق منذ استحكام قدم الاسلام في الارض ، فغدت نجد من الديار التي يدخلها العراقي والفارسيّ والهنديّ ومن كان وراء هذه الارجاء النائية . ولهذا ازدادت رغبة النجديين في الترحيب بالحاج واستقبالهم وحسن ضيافتهم، ولم تعدِ الحال تمكّنهم من ان يتفرغوا لغير القِرى وما ضارعهُ من الامور التي تنشأ منهُ او تستند اليهِ

« ولهذا السبب لما ظهر الاسلام ودان اهل نجد بهِ خفّت اتعابهم

لقلة مؤونة ما يطلبهُ الايمان منهم وعلى هذا المبدإ قلنا في مقالتنا الاولى : ان اهل نجد يعتمدون في دياناتهم واعتقادهم على الكتاب والسنَّة

وبودّي ان ابسط الكلام في هذا الموضوع وأبيّنهُ بأجلى برهان حتى لا يبقى للمعترض أدنى حجة ، ولكن ضيق الوقت لا يسمح لي بذلك وعليهِ فلا جناح عليَّ اذا تابعتُ هذا البحث في مقالات متتالية . وعندي ان فوائدها لا تقل عن فائدتها اذا كانت مفرغة في حلقةٍ مقالة واحدة .

نجد في سالف العهد

اذا هبَطْتَ ديار نجد وتجوّلت في انحائها تجوُّل مفكر متدبّر تعثر فيها على آثارٍ تدلك دلالة واضحة على أنها كانت في العهد القديم معهد حضارة ومنتجع علم ومرتاد عمران راقٍ وان لم تكن على نحو غيرها التي كشف لنا تاريخها عن احوالها وما كانت عليهِ من العُرُوقِ في المدنية والشموخ في العز والاصالة في العلم والحضارة؛ ترى اليوم في المغاور والكهوف المنقورة في الاودية والجبال البعيدة عن السكنى ما يدهشك من الآثار؛ ترى رسوم كتابة ورُقُماً لا تشبه كتابتها الكتابة الافرنجية ولا العربية بل هي كتابة خصوصية لعلها كلدانية قديمة او نبطية او مُسْنَد او ما ضاهى هذه الكتابات القديمة ؛ ترى عاديات وآثاراً وهيا كل كالتي تشاهد مثلاً في « سدوس » قرب بلدة « ملهم » اذ هناك تمثال دفعت بدلاً عنهُ دولة اوربية مبلغاً طائلاً من المال فأبى اصحابهُ بيعهُ ؛ ترى أبنية فخمة ضَخْمَةً وآثاراً جليلة تشهد بأن بُنَاتَهَا كانوا اهل جدٍّ وجهد وجلد،

وان لهم مهارة عجيبة بأعمال الهندسة والبناء لارتفاعها في الهواء وحسن نظام اجزائها ، وتناسبها وبديع مجاورتها بعضها لبعض

نجد بعد الرسالة

ومن بعد ان بعث الحكيم (صلعم) بالهدى والحق وانتشر الدين الاسلامي في هاتيك الربوع ، عمَّ بلاد نجد من جملة ما عمَّ . فسار أهلها على هذه الطريقة المثلى ، بيد أن الحوادث التي طرأت على قادة الأمة من بعد أبي بكر وعمر رضه شغلتهم عن مشارفة تلك البلاد فأهملوها ؛ هذا من جهةٍ ، ومن الجهة الاخرى ان الحروب والمنازعات والاختلافات شغلت أهالي نجد عن الامعان في حقائق دينهم فمرَّت عليهم السنون الطويلة وهم يَحْبُوْن في الايمان والاعتقاد إلى ان وصل الحال بهم الى درجة أصبحوا فيها وقد تعددت فيهم الاوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة بالشجر والمطر والبحر والنجم وعبادات القبور والعكوف عليها والاعتقاد بأهلها النفع والضر الى غير ذلك مما للعراق فيهِ اليوم النصيب الأوفر والحظ الاكبر رغماً عن انتشار العلم فيهِ . وبقي أهل نجد في هذه الحالة وليس لهم سوى الحرب والضرب والاعتقاد الضارّ بالانسان دِيناً ودُنيا وأخرى وليس لهم من الدين الحق الاّ الاسم وذلك الى زمن الشيخ محمد عبد الوهاب

نجد في عهد الشيخ محمد عبد الوهاب

نشأ الشيخ محمد رحمهُ الله في بلدة العُيينة في حضن والده عبدالوهاب

ابن سليمان فربّاهُ أحسن تربية ولقّنهُ العلم هو بنفسهِ ، وكان والدهُ حينئذٍ قاضياً في بلدة العينة من قبل حاكمها الامير عبد الله بن محمد بن حمد المُعَمَّر ، ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير المطالعة والتدبُّر والتفكُّر شديد الشوق الى العلم وطلبهِ ، حدثتهُ نفسهُ بأن يسير في طلب العلم الى بلاد أخرى فحجَّ ثم سار الى المدينة فاتصل بالشيخين : عبد الله بن ابرهيم مؤلف كتاب العذب الفائض في علم الفرائض ، والشيخ محمد حياة السنوي المدنيّ ، فأقام عندهما مدة ثم رجع الى نجد ومن هناك سار الى البصرة فبغداد وهو في هذه الاثناء يتزوَّد الكفاية من علم التوحيد والفقه وسائر العلوم . ثم حاول المسير الى الشام فمصر ولكن صدهُ عارض في الطريق فرجع ادراجهُ الى بلاده حاملاً من زاد العلم ما لم يتسنَّ لأحدٍ غيرهِ في وقتهِ . ثم ذهب لرؤية والدهِ وكان يومئذٍ في حرَيملاَ وسبب تحوُّل الوالد الى هذه البلدة هو انهُ في غياب الشيخ محمد توفى الله الامير عبدالله وخلفهُ في الامارة ابنهُ محمد فعزل والد الشيخ عبدالوهاب بن سليمان عن القضآء وأقام مكانهُ احمد بن عبد الله بن عبد الوهاب ورحل عبد الوهاب القاضي الى حريملا Hremlâ

ولما ثبتت قدمهُ عند والده باشر الشيخ تزييف الخرافات والبدع والاضاليل وشمَّر عن ساعده لابادة الأوهام المضرَّة بالدين وأخذ بنشر الاعتقاد الصحيح الذي لا يأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ

هرب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بلدة حريملا

كانت حريملا في عهد الشيخ بلدة لا ترجع الى أمير ولا الى امارة بل كانت كرةً تتقاذفها صوالجة قبيلتين وهما قبيلة العبيد وقبيلة أخرى ، فاتفق يوماً ان الشيخ زجر بعض السفهاء من قبيلة العبيد عن ارتكاب بعض المخازي الدالة على سوء الاخلاق ، فعمد هؤلاء الى اهانتهِ بل الى قتلهِ وأرادوا اتمام الامر بالفعل فساروا اليهِ ليلاً وتسوَّروا الجدار وبينما هم في هـذا العمل اذ صاح صائح في المحلة ، فظن هؤلآء المفسدون ان الصياح عليهم فهربوا وكفاهُ الله شرَّهم

ولما اسفر الصباح رحل الى بلدة العيينة وكان محمد الامير قد توفاهُ الله وقبض على زمام الامارة من بعده عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقاهُ الامير عثمان بالتجلة والترحاب والاكرام التام ، وهناك أخذ يبثّ حقائق التوحيد ، والامير عثمان يتعهدهُ بحفظ حياتهِ ونصرهِ على أعدائهِ

حكاية الشجرة والقبة

وقد طلب الشيخ الى الامير أن يقطع شجرة كانت تُعبد في البلدة وان يهدم قبة زيد بن الخطاب رضه فتمنع الامير ، وبعد ذلك ألحّ الشيخ عليهِ وأقنعهُ فأذن لهُ في الآخر . ثم طلب اليهِ أن يسير هو أيضاً معهُ فسار الامير مع الشيخ ومعها ستمائة فارس ولما وصلوا الى المحل المطلوب قُطعت الشجرة وهُدِمت القبة ، وكانت قرب بلدة الجُبَيلة . فكان ذلك العمل من أخطر الاعمال التي أتاها الشيخ

أمير الاحساء

ما فعل الشيخ هذا الفعل الاّ واشتهر أمره ونَبَهَ ذكرهُ ، فبلغ خبرهُ أمير الاحساء سليمان بن محمد ، وكان ذا قوة وباسٍ شديد ، فبعث الى عثمان بن محمد بن معمر يتهدده بقطع رَوَاتبهِ عنهُ والسيرِ اليهِ ان لم يطرد الشيخ من بلاده . فأذن حينئذٍ الشيخ عثمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يسافر الى حيث يريد

الدرعية

فاختار الشيخ الذهاب الى بلدة « الدَّرْعِية » فسار وسيَّر الشيخ عثمان معهُ جماعةً تحافظ عليهِ من أعدائهِ حتى وصل الى الدرعية ، فحلَّ ضيفاً عند عبد الله بن عبدالرحمن بن سُوَيْلم أحد أعيانها . ثم علم بهِ بعض كبار الدرعية فزاروهُ ، ولما اطَّلعوا على مبدإه استحسنوهُ وأحبوهُ . ثم أرادوا أن يسعوا عند أميرها محمد بن سعود لينزله ضيفاً عنده فتخوفوا. ففاوضوا بذلك أخاهُ ثنيان الاعمى وزوجتهُ وأخاهُ شاري، فاتفق الجميع على تحقيق ما في الامنية ، فتمَّ الأمر وذلك ان الامير لما دخل قصرهُ وقابل زوجتهُ اجتمع بهِ أخواهُ وعرضا عليهِ الأمر مع زوجة الامير وأشاروا عليهِ باكرامهِ واحترامهِ . فسار اليهِ برجلهِ ثم أخذهُ من عند عبدالله السالف الذكر وجاء بهِ الى قصره فاحتفى بهِ أحسن الاحتفاء وأعزهُ وقام مؤيداً لدعوتهِ بكل قوتهِ . فأخذ الناس يفدون الى الدرعية أفواجاً أفواجاً فازدادت بذلك قوة الامير بل تضاعفت وشرع يكاتب بلدان نجد وقراها ويدعوها

الى طريق الحق ، وما لبث أياماً قلائل الاّ وخضعت لهُ القبائل ودانت لهُ أغلب البلدان . وما زالت الامارة في امتداد واتساع حتى أصبحت دولة آل سعود في درجة لو وُفّق أمراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها الى ثروةٍ وَمَدِّ نظرٍ في السياسة لغـدت اليوم من أعظم الدول الاسلامية قوة وسطوة ورهبة ولامتدت أمرتهم الى بلاد شاسعة ، الاّ انهُ دهمها ما لم يَدُرْ في خلد أصحابها فانها لمَّا شدّدت في بعض أمورها كثر أعداؤها فاحتالوا على الفتك بها فأوقع بعض الامرآء ما يلقي النفور بين آل سعود وبين الحـكومة العثمانية وللحال اتقدت تلك النار الحامية نار الحروب والمضاغنات والزحفات المتكررة فأضرَّت بالطرفين

ولا بد من ذكر تلك الاسباب التي حملت القوم الواحد على القوم الآخر في فرصة أخرى والله ولي التوفيق . وهو نعم الرفيق

في جنائن الغرب

﴿ حديث القلوب ﴾

« للكاتب الاجتماعي لامينه(١) »

١

أعيروا السمع وقولوا لنـا من أين يأتي ذاك الدوي المصم الغريب

---

(١) (Lamennais) فيلسوف فرنسوي عاش من سنة ١٧٨٢ الى سنة ١٨٥٤ وكان من انصار المبدإ الثيوقراطي — وهو المبدأ القائل بصدور السلطة

الذي يُسمع في الجوانب كافة ؟

ضعوا الايدي على الارض وقولوا لنا لماذا هي تضطرب وقد اكتنفها الظلام

هناك شيء مجهول يتحرك في جوف المسكونة فهناك والحالة هذه عمل من أعمال القدرة

أفي الوجود خليقة لا تنتظر الساعة ؟ أفي الاجسام قلب لا يخفق لها ؟

ارتفع يا ابن الانسان الى الاعالي وقل لنا ماذا ترى ؟

أرى في الافق سحابة ممتقعة اللون يحيط بها شعاع احمر كأنهُ لهيب

وأرى امواج البحر تتلاطم ، وقمم الرواسي تتزعزع ، والروابي تتمايل ، فتنهال على الوديان فتغير مجارى الانهر

أرى الآن ان الثوابت كلها تتحرك ، وان الوجود يتخذ لنفسه شكلاً جديداً .

— وماذا ترى أيضاً يا ابن الانسان ؟

أرى الغبار يتصاعد فينعقد سُحُباً في الفضاء البعيد ، فتنتشر في الارجاء وهي تختلط وتتصادم مارة فوق المدن فتبدو كالسهول

وأرى الشعوب تهب افواجاً والملوك يضطربون فوق عروشهم . فهناك اذن حرب قائمة

في الهيئة الاجتماعية من الله ووجوب حصرها في يد وكلائه على الارض كما كان عليه العبرانيون . ثم ما لبث هذا الكاتب أن انحاز الى مبادي الثورة الفرنسوية فكان من اشد انصارها . وهو كاتب بليغ ومفكّر متعمق ولكنه متقلب في ارائه (الزهور)

وأرى عرشاً بل عرشين قد تحطما وبددت الشعوب بقاياهما

وأرى شعباً ينازل شعباً آخر غاطساً في الحـديد . ضربات الاول ساحقة ولكن هوذا قد سقط والدماء تسيل من جسمه العاري فهو قد طُعن طعنة قاتلة

بل انهُ جُرح ليس إلاَّ ، فانهُ لايزال يبدي حراكاً وقد اقبلت عليه عذراء طرحت عليه ثوباً ابيض وهي تبتسم لهُ ابتسام الاشفاق ثم أخرجتهُ من ساحة القتال وقد اصطبغت يداها بالدماء

وأرى شعباً آخر ينازل منازلة متواصلة مجدداً قواه التي يفقدها في الجهاد توصلاً الى بغيتهِ التي ينشدها

وأرى شعباً ثالثاً قد وطأته اقدامُ ستة من الملوك قد شهروا خناجرهم وهم يغمدونها في نحره كلما ابدى الحراك

وأرى ساحة شاسعة قد اقيم فيها بنيان شاهق توارى بين الستائر السوداء

وأرى الشرق يضطرب ناظراً مذهولاً الى انهيار آثاره الشاهقـة وتحول معابده الصوَّانية الى رماد ، باحثاً في طيات الوجود عن عظمة زاهرة يستعيض بها عظمة زالت ، ومجد جديد يقام على اطلال مجـد قد اندثر

واري حسناء في الغرب حادة العينين عالية الجبين وضاحة الوجه ممسكة مرقماً لا تحركه أناملها مسطرة كلمة حتى تهتف لها الشعوب وتحييها الناشئات وتمجدها الافئدة

وأرى في الشمال رجالاً يكتنفهم برد أبدي فاستعانوا عليه بحرارة الايمان

وأرى في الجنوب رؤوساً ذليلة تحت تأثير لعنةٍ أجهل ما هي، وهي رؤوس قد ثُقّلت بنير هائل أيضاً فطأطأها ذووها شديداً وأخذوا يجولون أرقّاء ، ولكن هوذا روح قد حل في ربوعهم فأخذوا في تقويم هذه الرؤوس تدريجياً

— وما الذي تراه أيضاً يا ابن الانسان ؟

أرى النور والظلمة يتزاحمان ويتدافعان

وأرى الشر هارباً امام الخير الذي أقبل محفوفاً بأعوانه واضعاً قدمه على العرش ليحكم ومادّاً يمناه الى الصولجان ليثبّت به البسيطة

٢

عدنا بالفكر الى الزمن الغابر ، وحلّقنا في فضاء تلك القرون حيث كانت الارض خصبة تدرُّ الخيرات على بنيها وقد عاشوا سعداء فيها فكانوا كاخوة

فرأينا الثعبان قد أخذ يزحف بينهم موجهاً عينيه النافذتين الى الكثيرين فاستهواهم فاضطربت منهم النفوس ، ودنا بعضهم من بعض فهمس الثعبان في آذانهم بضع كلمات اصغوا اليها لاهثين ثم انهم قالوا « اننا ملوك »

وللحال امتقعت الشمس واصطبغت الارض بصبغة الحداد ثم سُمعت ضوضاء شديدة عقبتها أنة طويلة تلتها رعدة استولت على النفوس

فقل اذن ان الساعة كانت كساعة الطوفان . وساد الرعب على

الاكواخ – حيث لم يكن هناك قصور – واستسلم القاطنون بها الى مفزعات الاوهام والوساوس وتولتهم رجفة

واستل الذين قالوا انا ملوك سيوفهم وهاجموا الاكواخ

فوقعت فظائع جمة داخل تلك الحصون القصبية وجرت الدموع ممزوجة بالدماء

وصاح الرجال وجلين لقد عاد القتل فانتشر . وكان هذا غاية دفاعهم فان الخوف قد قتل فيهم النفوس وأوهن السواعد

وتخلوا عن أنفسهم يائسين فثقلت أيديهم بالاغلال التي جعلت منهم ومن نسائهم وبنيهم مجموعاً زُج خليطاً في كهف أعده لهم أولئك الذين قالوا انا ملوك ، فبات بنو الانسان وهم كذلك كحيوانات في مربط

ومزقت العاصفة طيات السحب وبددتها وقصف الرعد شديداً وسمعنا صوتاً أشد يقول : لقد انتصر الثعبان ولكنه انتصار لا يطول

ولم يصل الى آذاننا بعد ذلك سوى خليط أصوات مبهمة راهزة الى الضحك والزفير والسب

ففهمنا أن الشر سائد فبكينا بكاءً مرّاً تلاه انتعاش في النفس بدا لأمل تولّد ، الا وهو ان ذاك الشر الواقع انما هو مقدمة للخير المقبل

لاح لنا هذا كله كما وقع في حينه ولاح لنا ذاك الخير ، فقل اذن أن الانسانية ستتحرر فتنطلق من عقالها ويهوي أولئك الذين قالوا انا ملوك الى الكهف نفسه فيجدون الثعبان يتلظى

٣

أبناء أب واحد أنتم، وأمٌّ واحدة قد أرضعتكم فلماذا لا يحب بعضكم بعضاً كاخوة ولماذا تسعون الى التنازع كأعداء..؟

ملعون الانسان الذي لا يحب أخاه. واكثر من ملعون هو إن جعل من نفسه عدوًّا لأخيه. ولذا لُعن الملوك والامراء والعظماء فانهم لم يحبوا اخوتهم. وعاملوهم كما لو كانوا لهم أعداء

ليحب بعضكم بعضاً وأنتم لا تخشون الملوك والامراء والعظماء. انهم ليسوا بأقوى منكم غير متوحدين في المحبة الاخوية

لا تقولوا ان ذاك من شعب ونحن من شعب آخر فان الارض وطن الجميع، فيجب أن يكون الجميع واحداً

تفضي اصابة العضو بأذى الى تألم الجسم كله، وأنتم هذا الجسم، فتحاشوا وقوع الأذى بالعضو ولا تدعوه يسقط تحت نير، فان في ذلك سقوط المجموع، ولا تكونوا كذاك القطيع الذي ينقض عليه الذئب فيفترس منه كبشاً حتى اذا عاوده الجوع عاود الافتراس. نعم لا تكونوا كذلك ميلاً منكم الى الظن بأن افتراس الكبش الاول يعود عليكم بما كان له من النصيب في المرعى، فانه لظن يؤدي بصاحبه الى أن يكون الفريسة السائغة لذاك الوحش الذي يروي ظمأه بالدماء ويسد سَغَبَهُ باللحم.

٤

ان صادفتم رجلاً يُقاد الى الاعدام أو السجن، فلا تسرعوا في

القول بأنه رجلُ شرٍ يجب أن يبتر ، اذ انه يجوز أن يكون رجلَ خيرٍ قد رغب في خدمة الانسان فعاقبه مضطهدو الانسان بالقتل أو السجن

وان رأيتم شعباً دُفع مثقـلاً بالحديد الى قساوة جلاده فلا تقولوا بأنه شعب دموي عكر السلام وأثار الاضطرابات فانه قد يكون صائراً الى الفناء لخلاص البشرية

تعريب منا صاوه

سياحة في اسبانيا [1]

عواصم البلاد ومتاحفها ومعابدها وآثارها — المكتبة العمومية — سراي الملك والاصطبلات — زيارة الشاعر روستان في جبال كامبو — مصارعة الثيران — لعبة « بلوت باسك »

وعدتكم ووعد الحر دَين ، أن أوافيكم ببعض الاخبار عن سياحتي في البلاد الاسبانية ، وكنت أود كثيراً أن أقوم بالوعد أحسن قيام ، لولا شواغل كثيرة تحول دون بلوغ المرام ، وما أكثر شواغل الايام ! خصوصاً لمن كان معها في جهاد وخصام . . . ولكني بحمد الله قد فزتُ الآن بما أرجو بالرغم من العقبات التي حاول أن يضعها في سبيلي ذوو الغايات فأزالتها يدُ الحقيقة ومهدت لي السبيل

اذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا فأسهلُ ما يمرُّ به الوحولُ

(١) طلبنا من الاديب الفاضل صاحب هذه المقالة قبل سفره الى اسبانيا ان يوافي قرّاء « الزهور » بشيء عن تلك البلاد التي سطع فيها مجدُ العرب فأرسل الينا في الشهر الفائت هذه الرسالة واعداً ان يتبعها بغيرها

أختلس هذه الفرصة من وقتي لأحرر لكم ما يجول بالخاطر مما شاهدته النواظر فعسى أن يكون به تفكهةً لقراء « الزهور » واني أعدكم بتفصيلات أهم وأخبارٍ أتم ، عند انهاء سياحتي في هذه البلاد

اسبانيا بلاد جميلة تشبه كثيراً جبال لبنان بحسن مناظرها وعذوبة مائها وأخلاق رجالها وخلق وعادات نسائها . ولكنها أكثر منه عمراناً ، وجبالها أقل منه وهاداً ، وبعضها قاحل وأغلبها تكسوه الخضرة الجميلة والاشجار الباسقة واكثرها من صنف الحور والسنديان والزيتون والصنوبر . وقد يستخرجون من هذا الشجر الاخير المادة الصمغية الموجودة فيه ، ويبيعونها بأسعار غالية . أما في بلادنا فلا يستفيد الاهالي شيئاً تقريباً من شجر الصنوبر مع كثرة وجوده

برشلونة : مدينة جميلة جداً وفيها كثيرٌ من البنايات البديعة ، وشوارعها في غاية الاتقان والانتظام ، ومركزها الطبيعي أشبه شيء بمركز مدينة بيروت ، تبتدي بناياتها من المرفإ وتنتهي بعلوٍ متتابع الى جبلٍ عالٍ يحيط بها عن قرب . وفي أعلى ذلك الجبل أقامت شركة انكليزية بنايات بغاية الاتقان وفنادق وقهوات وتياترات وكنائس ومحلات ألعاب مختلفة وقد سموا تلك القمة Tibidabo إشارة الى ذلك الجبل العالي الذي صعد اليه الشيطان وقال للسيد المسيح : انظر الى هذه الممالك التي تحت سلطتي . . الخ حينما أراد استغواءه كما جاء في الانجيل . وفي الحقيقة إن المنظر من ذلك العلو الشاهق من أبدع ما يمكن أن تتصوره الافكار . ومنه تشاهد شوارع البلدة في غاية التنسيق والإبداع تكتنفها الاشجار

من الجانبين بكمال الترتيب . وطريقة الوصول الى ذلك الجبل بواسطة سكة حديد فينيكيلير (Funiculaire) كهربائي جليل الفائدة لانه يسير بواسطة تكافؤ القوى ، فعند صعود القطر يوجد قطر آخر ينزل والواحد متصل بالثاني بواسطة شريط واحد . وحين الوصول الى منتصف الطريق يفترقان بواسطة شريط خصوصي وهكذا يأخذ كلٌّ منهما طريق الآخر ، فيصل الصاعد والنازل في آنٍ واحد والمسافة التي يقطعها ذلك الفينيكيلير هي ١١٨٠ متراً

وبرشلونة هذه بلدة تجارية كثيرة المصانع والمعامل وأهلها اكثر شدةً وحماسة من أهالي العاصمة . ولذلك ترى عدد الثورويين في برشلونة اكثر بكثير منه في مدريد . ويوجد فيها كما في كل اسبانيا تقريباً عدد كبير من الكنائس الضخمة الكثيرة الاتقان الدالة على ما وصلت اليه عظمة الدين في الايام السالفة في هذه البلاد . وأهم الكنائس التي شاهدتها هي في برشلونه وسراجوسا (سرقسطة) وبُرْجُس ودير الاسكوريال الشهير بضواحي مدريد الذي فيه بانتيون ملوك اسبانيا وعظماء رجالها وسوف يأتي الكلام عن ذلك . وأما عموم هذه الكنائس فهي أشبه بقلاع متينة ومعارض ومتاحف عظيمة لكثرة ما تحويه من التماثيل والصور البديعة وعواميد الذهب الضخمة والآنية الفاخرة والآثار التاريخية الجليلة . وأما الاندلس ففيها من الجوامع والآثار العربية العظيمة ما سوف نأتي على ذكره بعد

مدريد : عاصمة الاسبان مدينة جميلة أيضاً تمتاز خصوصاً بعرض

التصوير العظيم الموجود فيها ، ويحتوي على أبدع ما خطته ورسمته أيدي البارعين في هذا الفن الجميل . واكبر البنايات التي شاهدتها بعد قصر جلالة الملك هي البنك الاسباني الملوكي والمتحف ودار الكتب الوطنية . وهما بناية واحدة وقد زرتها وسررت كثيراً بما شاهدته في الكتبخانة الوطنية من الكتب العربية القديمة . وأما مكتبة دير الاسكوريال فهي أهم من مكتبة مدريد وقد عثرت اثناء مطالعتي فيهما على الابيات الآتية التي أنقلها لقراء « الزهور » من باب التفكهة

أحنُّ الى عتابك غير أني　　أجلك عن عتابٍ في كتابِ
ونحن اذا التقينا قبلَ موتٍ　　شفيتُ عليك قلبي بالعتابِ
وان سبقتْ بنا أيدي المنايا　　فكم من عاتبٍ تحت الترابِ
كتبت ولو قدرتُ هوىً وشوقاً　　اليك لكنت سطراً في الجوابِ

غيره :

يا رب ان لم يكن في وصله طمعٌ　　ولم يكن فرجٌ من طول جفوتهِ
فاشفِ السقام الذي في طرف مقلتهِ　　واستر ملاحةَ خدّيهِ بلحيتـهِ

غيره :

أغار عليها من أبيها وأمها　　ومن كل مَن يرنو اليها ويبصرُ
ومن حملها المرآة يوماً بكفها　　اذا نظرت فيها الذي أنا انظرُ

غيره :

حمت مقلتاها مقلتيّ من الكرى　　فعيني لِما ألقاه لم تعرفِ الغمضا
سهرتُ وأجفاني صحاحٌ فلم أنمْ　　ونامتْ ولم تسهرْ واجفانها مرضى

غيره :

بديعة حسنٍ تخجل البدر بهجةً　　وتسبي قلوب العالمين بلحظها

تصامتُ قصداً كي يطول حديثها فيطرب سمعي عند تكرار لفظها

غيره :

وظبية أسبى الورى طرفها وحسنها قد حير الناظرين
قد كتب الحسن على خدها انا فتحنا لك فتحاً مبين
تخاطب الناس على رفعةٍ كأنها موسى على طور سين
يا قلب ان ملت الى غيرها ما انت الا في ضلالٍ مبين

غيره :

ثلاثٌ هنّ في البطيخ فخرٌ وفي الانسان منقصة وذلّهْ
خشونة جلدهِ والثقلُ فيهِ وصفرة لونهِ من غير علّهْ

وكثيرٌ من هذا القبيل مما لا محل لذكره الآن

وأما القصر الملوكي فهو اكثر جمالاً وعظمةً داخلاً وخارجاً من سراي عابدين بمصر . وقد زرت ذلك القصر الجميل بتصريح خصوصي في صحبة نجل الجنرال ميلانس دلبوش قائد فرقة الخيالة والصديق الحميم لجلالة الملك . وهو قائم على رأس رابية في الحد الغربي من المدينة . وعلى الجانب القبلي توجد الاصطبلات والعربخانات الملوكية ، وقد زرتها أيضاً ودُهشت كثيراً لما فيها من العظمة والغنى . فان في الاصطبل الملكي ١٥٤ حصاناً من جياد الخيل بعضها للحفلات الرسمية وبعضها للأيام العادية والبعض الآخر للحاشية الخاصة ، وقسمٌ كبير من الخيل مُهدىً الى جلالة الملك من الجمهورية الفضية وملك انكلترا وبعض الأمراء . وأما العربات فهي على جانب كبير من العظمة ، أغلبها محلى بالذهب ومكسو بالحرير الغالي والبرونز الثمين ، والعربات الليلية مصفحة داخلاً بالحديد

حذراً من طوارئ الفوضويين حتى ان الديناميت لا يكاد يؤثر فيها

وهناك عربات ملوكية من نحو أربعمئة سنة ، وهي كأنهامصنوعة حديثاً لكثرة الاعتناء بها . وأجمل عربة هي عربة مصنوعة كلها من الابنوس الجميل ومشهورة باسم عربة (Jeanne la Folle) التي فقدت شعورها حزناً على زوجها (Philippe le Beau) ويقال ان حكومة انجلترا دفعت لحكومة اسبانيا مئة مليون فرنك لتبيعها هذه العربة حرصاً على تاريخها وقدميتها فرفضت . وأما الرياش الجميلة المتنوعة الاشكال والالوان والعدد والاسلحة التابعة للاصطبل فحدث عنها ولا حرج فهي على جانب عظيم من الاهمية

وفي صدر السلم الاول من الاصطبل يوجد صورة كبيرة تمثل جلالة الملك راكباً على جواده ، والقواد والامراء يحيطون به وجواده مكسو بالشراريب العربية كأنه أمير من أمراء العرب الاقدمين

وفي آخر المدينة من الجهة القبلية أنشأت الحكومة حديثاً حديقة كبيرة مترامية الاطراف جميلة التنسيق شوارعها أشبه شيء بلتوياتها بشوارع (Garden City) التي حلت محل القصر العالي بمصر الآن وهو ما يسمونه (Art nouveau)

وهذه الحديقة الغناء كثيرة المرتفعات والمنخفضات تكسوها الخضرة الجميلة وتعلوها الاشجار الباسقة وتتخللها جداول كثيرة من الماء في غاية التنسيق والابداع

والمقاعد كثيرة لانها محل نزهة مشهور يقصدها أغلب العائلات

وخصوصاً الاولاد . وعلى جانبي هذه الحديقة شارعان كبيران تسير فيهما المركبات والسيارات . وفي أغلب المواقف ترى تماثيل لطيفة لبعض مشاهير رجال الاسبان . وفي الآخر تقريباً قامت قبة جميلة الصنع تحيط بها من الجهات الاربع عواميد الرخام العظيمة ، وفي أعلاها الكرة الارضية وفوقها غادة حسناء حاملة اكليلاً من الغار ولوحة منقوشة مكتوباً عليها « الوطن » باحرف ذهبية كبيرة

ويتراآى للمتأمل في هذه الحديقة الغناء وما هي عليه من الكبر مع كثرة منخفضاتها ومرتفعاتها وتكاثف اشجارها وكثرة جداولها واخضرار ارضها انه في جبال كامبو اللطيفة الشهيرة في فرنسا وهي موطن الشاعر الشهير ادمون روستان . وقد زرته اخيراً في قصره الجميل فقابلني بمزيد الاكرام واهدى اليَّ بعض مؤلفاته وكتب عليها تذكاراً جميلاً . وقصر ذلك الشاعر الطائر الصيت قائمٌ على رأس جبل عال تحيط به اشجارٌ كثيفة في حديقة غناء بديعة الاتقان كثيرة الازهار ، وفي وسطها بحيرة كبيرة تحيط بها التماثيل الجميلة ، وعلى الجانبين مساكن الطيور المختلفة الاجناس والطاووس بريشه الجميل يسرح بين تلك الازاهر . ولا بدع ان خطت يد ذلك النابغة ابدع الاشعار وجادت قريحته باحسن الافكار لان الجالس في مكتبه الفاخر يشاهد من جمال المناظر الطبيعية ما يعجز عن وصفه أبلغ الاقلام

ويظهر ان لمدام روستان فضلاً عظيماً في مساعدة زوجها في مؤلفاته الجميلة ولها ايضاً عدة مؤلفات شخصية تشهد لها بطول الباع وعظم

الاقتدار في النظم والكتابة

ويوجد تشابهٌ كبير ايضاً بين اخلاق اهالي تلك الجبال المعروفة بجبال الباسك واخلاق اهالي اسبانيا عموماً . فان لكلا الشعبين ورعاً شديداً في الدين وشغفاً عظيماً بكل ما فيه اجهاد القوى البدنية وفنون الفروسية . واعظم ما يشتهيه الرجل والمرأة والفتى والفتاة هو ان لا يفوتهم مشهدٌ من مشاهد مصارعة الثيران التي يحتفل بها في كل مدن اسبانيا تقريباً وجبال الباسك ايضاً مرة او مرتين في الاسبوع

ولهذه الحفلات بنايات خاصة من انخم البنايات الموجودة في هذه البلاد . ففي سان سبستيان مثلاً بنايةٌ انشئت حديثاً لمصارعة الثيران من ابدع البنايات وهي تفوق بكثير كل التياترات ومحلات اللهو الموجودة وتعدّ بعد الكازينو الكبير وقصر ميرامار الشهير أحسن بناية هناك . وقد حضرت تلك الحفلة مراراً ولا أبالغ اذا قلت انه في كل مرة لم يكن هناك أقل من عشرة آلاف نفس او اكثر بالرغم من علو اسعار الدخول التي تتفاوت بين ٣ و ٢٥ فرنكاً للشخص الواحد ومئتي فرنك اللوجات ، ما عدا الجند فان له محلات مخصوصة بسعر فرنك ونصف فقط

وقد شاهدت بعيني في حفلة واحدة قتلة ستة من فحول الثيران بعد عراك عظيم ومحاورات مؤثرة مع المصارعين . وقد شقت بطون اثني عشر حصاناً بقرون الثيران ، ووقعت اشلاؤها على الارض وكان الفارس يضرب الثور برمحه ويغرسه في ظهره والدماء تسيل منه بكثرة ، وصياح الابتهاج ، والتصفيق من الرجال والنساء يتصاعد كل مرة كان الثور يرفع

بقرنه الحصان وفارسه فيقع الحصان صريعاً والفارس مجندلاً على الارض .
وكذلك حينما يتمكن أحد المصارعين من ان يغرس في ظهر الثور او في رأسه حربته فيجندله قتيلاً كان الشعب يحيي ذلك المصارع الشجاع بالتهليل ويرميه بالقبعات والمناديل . وهنالك خدمة مخصوصون لارجاع كل ذلك لاصحابه . وحينما كان الثور يهاجم المصارعين فيهربون ويقفزون من فوق أسوار الخشب كان الشعب يقابلهم بالصفير وأصوات الخزي والعار

ولقد سبق واعترض كثيرون على هذه الالعاب شفقة على الخيل كي لا يعرضوها للقتل بمثل تلك الطريقة الشنعاء ، ولكن يظهر انه لا بد من هذه التضحية لان المصارعين لا يقدرون ان يقربوا الثور قبل ان يكون نطح بقرنه الحصان مرتين او ثلاث ورفعه بفارسه عن الارض ، فعند ذلك تخور عزيمته وتضعف قوى رأسه خصوصاً ويسهل على الفارس صرعه من غير خوف تقريباً

واما لعبة البلوت باسك (Pelote Basque) التي يعرفها المصريون فهي في اسبانيا وخصوصاً في برسلونة مثل بورصة الاسكندرية وبورصة مصر ايام عزّها القديم . فانهم يعتنون كثيراً بالمراهنات فيها وبطريقة رسمية كأنهم في بورصة تجارية قانونية ورسم الدخول اليها ثلاثة او اربعة فرنكات

ومن غريب ما سمعته عن هذه البلاد هو انه يوجد بعض أديرة للرهبان تتعهد بأن تضع تلميذاً في احدى المدارس الداخلية او شيخاً في احد ملاجئ العجزة مقابل مليون ورقة من ورقات الترامواي المستعملة

او خمسمائة الف ورقة من ورقات الاعلانات المنتشرة وار بعمائة الف عود كبريت من العيدان المستعملة وهلمَّ جرًّا على حسب أهمية الاشياء التي يقدمونها لها . ولذلك ترى كثيراً من النساء والبنات والاولاد يجمعون مثل هذه الاشياء لتقديمها لتلك الاديرة طمعاً بعمل الاحسان او للاستفادة شخصياً

ولم أجد بلاداً في اوربا يجلس بها القسوس في القهوات ويغازل الجند النساء مثل اسبانيا فاني في كل المحلات العمومية التي قصدتها كنت أجد عشرات من الجند برفقة حليلاتهم او خليلاتهم يغازلنهنَّ علناً بكل احتشام　　مدريد ١٥ اغسطس ١٩١١　　*نجيب زلزل*

أين اريد بيتي

اريد بيتي هناك عند منحدر الرابية ، تحت الاشجار المخضلة ، مثل عش العصفور المبني في وسط غيضة من الزعرور الملتف فلا أحوطه بالفنادق الكبيرة ولا بالبساتين الواسعة بل بالزهور ، تلك العطية السماوية الجميلة تكون منشورة في كل جوانبه ، والكرمة البتول تبسط عليه في الربيع ستاراً اخضر واسعاً لتردَّ عنه حرارة الشمس

اما بيتي هذا فلا اريده يتراءى في مياه نهر كبير ، بل يكفيني غدير صغير صافٍ ينساب فوق سرير لؤلؤ من الحصى ، ويمرُّ تحت نوافذي ، فاقعد ساعات طويلة اسمع انينه اللطيف واصغي الى الاصوات الخفيفة المسلية التي تصعد من المياه غير خائف ان تنقطع سلسلة تأملاتي او ان

ألهو بحركة غريبة . واما افقي فارضاه عليقة تأتي الاولاد فتقطف ثمارها

فاذا كان بيتي كذلك فحدث ولا حرج عمن يقاسمني وحدتي من الطيور التي تلذ معاشرتها ، فتأتي السنونو في الربيع فتسلم على بيتي بزقزقتها المفرحة وتطلب فيه منزلاً فتحلّ فيه على الرحب والسعة وتكون احسن جليس وخير انيس ، ثم يفد البلبل الغرد ويلتجي الى غياضي المنفردة في عشيات الصيف الجميلة ويقيم طويلاً مترنماً بنغماته الشجية الملائكية فلا اضيع منها نغمة واحدة

فهناك – اذا تم لي ذلك – في وسط تلك الوحدة اللذيذة التي يؤنسها حفيف الاشجار وتغريد الاطيار وخرير الانهار ، هناك هناك في وسط تلك الطبيعة الساكنة البعيدة عن شرّ الانسان اقضي حياتي بهدؤ مسامراً العصافير ومغازلاً جمال الطبيعة وممجداً الخالق العظيم ومنتظراً ملاك الموت

فيليب الجميل

في رياض الشعر

﴿ ابناء الحكماء ﴾

أتقضي معي إن حانَ حيني تجاربي　　وما نلتها إلاّ بطول عناءِ
ويحزنني أن لا أرى لي حيلةً　　لاعطائها من يستحق عطائي
اذا ورّث المثرون ابناءهم غنىً　　وجاهاً فما اشقى بني الحكماءِ

مفتي ناصف



محمد توفيق علي

قومندان قسم أورطة السكة الحديدية في حلفا (السودان)

نبغ في الجيش المصري ادباء اعلام خدموا في آنٍ واحد دولتي السيف والقلم فاعادوا لنا عهد « الفرسان الشعراء » نذكر منهم الآن حافظ ابرهيم ومحمد فاضل وعبد الحليم المصري وصاحب هذا الرسم . وقد عرفهم كلهم قراء الزهور مما نشروا في هذه المجلة . وسنعود الى هذا الموضوع بالتفصيل في عددٍ آتٍ

﴿ شيخ يعاقر الخمر ﴾

لولا الهوى وبواعث الأشجان لجفوتُ بعد الشيب بنتَ الحان
لكنني دنِفُ الفؤاد معذبٌ بلحاظ ساقٍ فاتر الأجفان
لولا المدام بكفه لأرقتها وسقيته من أدمعي وسقاني
فلقد ضنيت من المدام وشربها وحكيت ناحل جسمها وحكاني
في الكأس بعد الكأس ضاعت ليلتي والليلِ بعد الليل ضاع زماني
ألقت عليَّ الخمرُ في شرخ الصبا من شيبتي كفناً من الكتان
كم تحسبون سني حياةٍ عشتها كم في فمي باقٍ من الأسنان
انا ما بلغت الأربعين وانما ادمانها لم يُبقِ غير لساني
أتلفت فيها ضيعتي وأضعت منـ ـزل اسرتي ورضيت سكنى الحان
وصرفت ايامي على نُدمانها والعمر خير ذخيرة الانسان
مقبورةٌ في الدّن تنّ ريحها ممقوتة في العقل والأديان
مرّت ومرّرت النفوس وأنزلت اهل العقول منازل الحيوان
فترى الوقور اذا تناول كأسها متغنياً متمايل الأركان
ويكاد يحسب أمةً عِرساً له ويرى الصلاح عبادة الأوثان
ان قيل أرقصت الحزين مسرةً فاسلم بعقلك ذاك مسُّ الجان
أو قيل حمرة كأسها فلأنها ملئت دماً من مهجة السكران

وأقول والساقي يدور بكأسها　　كم يفتك الانسان بالانسان
عجباً لبائعها بنفس مريدها　　ولمشتريها كيف يتفقان

حلفا　　محمد توفيق على
ضابط بالجيش

زهير وهند

« أو الغيرة تجدد الحب »

رآها بعد ان صدَّت وصدَّا　　وجدَّت في مغاضبةٍ وجدَّا
فهمَّ بأن يطارحها سلاماً　　ولكنَّ الإباء لهُ تصدَّى
وهمَّتْ أن تناجيَهُ ولكن　　أصابت من رصانتها مرَدَّا
تذكر ما مضى وتذكرتهُ　　فلم يجدا من الصعداء بدَّا
وذكرى ما يسرّ تهيج عطفاً　　وذكرى ما يسوءُ تهيج صدَّا
وتبرم تلك عهد هوًى قديم　　وتنقض هذهِ للحبّ عهدا
فطوراً يرفعان الطرفَ حبًّا　　وطوراً يغضيان الطرف حِقدا
وحيناً يطلب القلبان قرباً　　وحيناً تبتغي النفسان بُعدا

***

وحانت نظرةٌ منهُ اليها　　فلم يرَ مثلها عيناً وخدَّا
وخالَ الصبحَ ينسج من ضياءٍ　　لها بأناملِ النسماتِ بُرْدَا
وخالَ الروضَ يلثمها غراماً　　ويترك في مكان اللثم وردا
وظنَّ فؤادهُ شطرين اضحى　　كلا الشطرين للحسناء نهدا
وحانت نظرةٌ منها اليه　　فلم ترَ مثله وجهاً وقدَّا

***

وحيّتْ غادةٌ حضرتْ زهيراً	وحيّا هندَ ذو غيدٍ تبدّى
فغارتْ هندُ ممن زاحمتها	وغار زهيرُ ممن ودَّ هندا
فقال هيَ الحبيبةُ لا سواها	وقالت إنهُ بالروح يُفدى

***

وحينَ خلا المكان رأى زهيرٌ	حبيبته تكادُ تذوب وجدا
ولم تمهله ان عطفتْ عليه	تطوّقُ جيدهُ الوضّاحَ زندا
فقبّل نحرها فاحمرَّ حتى	كأنَّ من العقيق عليهِ عقدا
وقالا ليس فوق الارض حرٌّ	اذا هو لم يكن للحبِّ عبدا!

امين ناصر الدين

ملحق بالشوقيات

اهدى الينا شاعرٌ من اصدقاء « الزهور » وعشراء شوقي في عهد الصبا الابيات الآتية وكان قد نظمها شاعر الامير في مدح المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق . ولم نعثر لها على أثر في « الشوقيات » بل وجدنا هناك ابياتاً من وزنها وقافيتها ، اما الابيات المفقودة فهي :

مضنىً وليس بهِ حراكْ	لكن يخفُّ اذا رآكْ
ويميل من طرب اذا	ما ملتَ يا غصن الأراكْ
إنَّ الجمالَ كساك من	ورق المحاسنِ ما كساك
فنبتَّ بين جوانحي	والقلبُ من دمهِ سقاك
ليت اعتدالك كان لي	منه نصيبٌ في هواك
يا ليت شعري ما أما —	لك عن هواي وما ثناك
ما همتُ في روض الحمى	الاَّ واسكرني شذاك

والقلبُ مخفوضُ الجنا ح يهيم فيهِ على جناك
يا يوسفاً في الحسن عط فاً بالعزيز على فتاك
يا أيها المولى العظيـمُ حباك ربك ما حباك
لك ارضُ مصر ونيلها الـوافي المشيرُ الى غناك
يجري بأمرك مثلما تُجري يداك لنا نداك

ومنها : يا قصر رأس التين ما أحلى سناءك في سناك
إنّا رأينا للندى ظلاً يرفُّ على ذُراك
لم يلتقِ البحران والـقمران الاّ في حماك
بدرُ الزمانِ وشمسهُ في الخدر تحجبها سماك

ومنها : لمّا سعت لرحابك السا — داتُ لأئمة ثراك
رُفع الحجابُ فقمت فيـنا تستجيبُ لمن دعاك
ان شئت منثوراً فمر او شئت منظوماً فهاك (١)
قلْ يا فتى الشعراءِ قلْ لا فضّت الايامُ فاك

النهود

بين صاحب اليتيمة والعازار والمطران

جاء في اليتيمة قوله :

في صدرها حقان خلتهما كافورتين علاهما ندُّ

---

(١) وهذا المعنى قد ورد في شعر ابن مطروح حيث قال :

ان شئت نظماً فالذي أمليتهُ او شئت نثراً فاقترح واستحسنِ
هذا مقامٌ لا الفرزدق ماهرٌ فيه ولا نظراؤه لكنني ...

وقال الشيخ اسكندر العازار :

حقاقٌ من العاجِ قد رُكِّبت على صحنِ صدرٍ من المرمرِ
خشينَ السقوطَ فاثبتنهـا بشبهِ مساميرَ من عنبرِ

وقال خليل مطران في قصيدة له عن فتاة حاربت في صفوف الرجال مخفية انوثتها تحت بزة الفرسان و بعد ان ابلت البلاء الحسن قبض الاعداء عليها وهم يحسبونها فتىً عنيداً ولشد ما كانت دهشتهم حين خلعت بزتها وابرزت نهديها وهما على ما يصفهما الشاعر بقوله :

فأقصى الفتى عنهُ حراسهُ وشقَّ عن الصدر ما يرتدي
وأبرز نهـدَي فتاةٍ كعاب بطرفٍ حييٍّ ووجهٍ ندي
كحقي لُجينٍ بقفلي عقيقٍ وكنزين في رصدٍ مرصدِ
فكبَّر مما رآهُ الاميرُ وهلَّل كلٌّ من الشهَّدِ
وراعهمُ ذانك التوأمان وطوقاهما من دم الاكبد
ووثبهمـا عندما أطلقا الى خارج الدرع والجسد
كوثب صغار المها الظامئات نفرنَ خفافاً الى مورد

مدارس البنات

قد لفتت حالة فتيات مصر وما هنَّ عليهِ بالنسبة الى اخواتهنَّ في البلاد الاوربية انتباه المفكرين الى ضرورة انشاء المدارس لهنَّ ، وانتشرت جذوة هذه الفكرة بين طبقات الامة ، فبادر الجميع الى تحقيقهـا ، وأنشيء في وقت قصير بعض المدارس لهذه الغاية . ولذلك

أحببت أن أجيء بهذه الاسطر مبينة بها حالة مدارسنا الحاضرة ليعمل مؤسسو المدارس على ملافاة هذا الخلل ، فيفوزوا بالغاية التي يرمون اليها من وراء انشاء هذه المعاهد

ان مدارس البنات في مصر ينقصها اشياء كثيرة ، ان لم أقل ان ما ينقصها هو أهمّ ما وُجدت لاجله . وذلك لان المديرات سرنَ في تنظيم مدارسهنّ على طريقة لا تؤدي الى الغاية المرموقة بل ربما كان القصد من انشاء بعض مدارسنا الربح او انفاذ غاية أو لسبب آخر

وُجدت المدارس لتربية الاخلاق ، وتثقيف العقول منذ الصغر اذ يسهل في ذلك العهد تكييفها بالكيفية التي يريدها من يتولون أمرها . فلذلك ليس الحمل الملقى على عاتق مديرات المدارس ومعلماتها بالحمل الخفيف بل هو عبء ثقيل كما لا يخفى على بصير

تأتي الابنة للمدرسة تصحبها والدتها أو ولية أمرها ، فتقابلها الرئيسة بوجه باش مرحبة ، مطنبة بوصف ما تبذله لتعليم تلميذاتها وتهذيبهنّ ، وهو وصف نظري جميل لو حققهُ العمل ، تقول : مدرستي ليست كسائر المدارس ، انا أُعلّم تلميذاتي قبل كل شيء علم ترتيب المنزل والخياطة وباقي الاشغال اليدوية والقراءة والكتابة الخ الخ ، وان شاء الله في نهاية هذه السنة المدرسية سترين ابنتك قد اكتسبت الشيء الكثير وامكنها في عطلة الصيف القادم ان تساعدك في تدبير امور البيت

فتخرج الأم والأمل ملء صدرها وقد طربت لهذا الوصف ، وتدخل الابنة الى المدرسة فتقضي فيها سنتها ، ومتى جاءت عطلة الصيف

ورجعت الابنة الى منزل والديها ، تكون قد نسيت ما اكتسبته من امها او اذا كان قد خصها الله بمواهب الذكاء النادر ترجع الى البيت كما كانت

البروجرام الذي تلته الرئيسة جميل ولطيف وقد أفعم قلب الأم فرحاً . فما سبب عدم تقدم التلميذة ؟ قد يجوز ان تكون السنة الاولى سنة إعدادية لا يعوّل عليها فعسى ان تجيء السنة الثانية بنتيجة حسنى

تجيء السنة الثانيـة كالأولى والثالثة كالثانية ، وتخرج الفتاة من المدرسة وهي لم تستفد الاّ الشيء القليل الذي لا يكاد يذكر . فاين هي من ذلك البروجرام البديع ! هل كان يا ترى حبراً على ورق او علالة تعلل بها الامهات ؟ لم ننكر ان البروجرام كان جميلاً ولكن لم توفر المدرسة اسباب تنفيذه بايجاد المعلمات ذوات الكفاءة لان همّ الرئيسة الاول كان ايجاد معلمة براتب طفيف . فلذلك نستنكر انشاء المدارس للربح لأن المتاجرة بمعاهد التربيـة حرامٌ ، والغبنُ واقعٌ على الفتاة أمّ المستقبل ، فتخرج من المدرسة حيث قضت السنين الطوال ترتقي من صف الى صف وقد اكتفت من العلوم بالقشور ، فتعرف من النحو والصرف صعوبتهما ، ومن الفلك والكيميا اسمهما ، ومن الطبيعيات غرابتها وقس على ذلك ، هذه حالة معظم فتياتنا المتعلمات ، وان كان هناك فئة منها تنبغ في الدرس وتشرّف المدرسة التي ربتها ، على ان القليل لا يقاس عليه . وهذه حالة اكثر مدارسنا وان كان هناك مدارس قد بلغت من التقدم شأواً بعيداً كبعض مدارس الراهبات والانكليز

هذه هي المسألة الخطيرة التي يجب على المفكرين وقادة الرأي العام

ان يحلوها محل النظر ، فيولوا مدارس البنات شطراً من الاهتمام الذي يوجهونه الى مدارس البنين ، فتسعد البلاد برجالها الصالحين ونسائها الفاضلات

(مصر) لويزا خوري



﴿ احمد عرابي ﴾

ثار عرابي ثورته سنة ١٨٨٢ . فكانت من أهم الحوادث شأناً في تاريخ مصر الحديث ، بل من اعظمها تأثيراً في السياسة الافريقية . وقد مرَّ عليها ما يناهز الثلاثين سنة وهي لا تزال تبدي لنا نتائجها المختلفة . اما شهرتها في الشرق وخصوصاً في القطرين المصري والسوري فهي تفوق كل شهرة سواها ، وقد اتخذها العامة للتأريخ فيقولون « مات فلان أو ولد فلان أو حدث ذلك سنة عرابي »

في ٢١ من سبتمبر الماضي غادر هذه الحياة موقد نار تلك الثورة الذي يرى القارئ رسمه في هذه الصحيفة ، وكان قد غادر حياة السياسة منذ بضع عشرة سنة . . . ولد احمد عرابي في قرية « هرية رزنة » في مديرية الشرقية حوالي سنة ١٢٤٨ هجرية من ابوين عربيين ودرس القراءة والكتابة على المعلم ميخائيل غطاس صراف تلك الناحية مدة خمس سنوات ، ثم دخل المدرسة العسكرية وطرد منها بعد سنتين فالتحق بالازهر حيث قضى اربع سنوات . وكان سعيد باشا والي مصر يحث عن اولاد الفلاحين ليعلمهم ويوليهم الوظائف فدخل عرابي العسكرية ثانية واظهر من الصفات ما مكّنه من الوصول الى رتبة بكباشي في سنين قلائل . وكان في هذه الرتبة على اول عهد اسماعيل باشا ولكنه اختلف مع رئيسه خسرو باشا فحكم عليه بالتوقيف ٨ ايام ، فلم يمتثل لان الضباط الوطنيين كانوا قد تشبعوا بالكره للجراكسة والترك بحجة انه ما كان واحد منهم يرقى الى اكثر من رتبة اميرالاي . فانضم عرابي الى جمعية سرية ألفها علي الروبي لمناكسة الجراكسة . ولما ارسل اسمعيل باشا

الحملة الى الحبشة ، عيّن عرابي مديراً للنقل في مصوّع . فنقص المال الذي بعهدته ٤٠٠ جنيه فعد الضباط المصريون اتهامه وشاية به من الجركس ، فعزله اسمعيل باشا من الجيش . فانصرف الى خدمة الجمعية السرية بين العساكر وفي الازهر تخشى علي مبارك باشا العاقبة فاشار على اسمعيل باشا بأن يستميل عرابي ورفاقه باللين ففعل ورقى ٧٠ ضابطاً الى رتبـة قائمقام ومنهم عرابي

ولما تولى توفيق باشا انعم عليه برتبة اميرالاي . وبعد قليل اختصم مع ناظر الجهادية عثمان باشا رفقي على قانون القرعة بحجة انه يحول دون تقدم الوطنيين وأخذ مع علي فهمي وعبد العال حلمي بالسعي ضد الجركس والترك حتى استمالوا اليهم الجيش . ولما وثقوا من ذلك قدموا عريضتهم المشهورة الى رياض باشا رئيس النظار فطردهم . ثم ارتأى ان يحاكموا في قصر النيل فابلغهم محمود سامي البارودي الخبر فاتفقوا مع الآلاي المعسكر بعابدين على ان يسرع لنجدتهم . أما دعوتهم الى قصر النيل فكانت بحجة الاحتفال بعرس احدى الأميرات . وما كاد يصدر عليهم الحكم بالحبس حتى وصل الآلاي وضرب أمام قصر النيل نفير الحريق فخرج عساكر قصر النيل لاطفاء الحريقة ودخل عساكر قشلاق عابدين قصر النيل وخلّصوا عرابي ورفيقيه وفرّ ناظر الجهادية

وعاد عرابي الى عابدين فائزاً وطلب من الخديوي عزل ناظر الجهادية والعفو عنه وعن زميليه وتعيين محمود سامي البارودي ناظراً للجهادية ، فاجاب مطالبهم . وكان ذلك فاتحة كل الشرور لان الحزب تهور كثيراً

حتى ان عربة نقل داست عسكرياً في الاسكندرية فحملوا العسكري الى رأس التين واخذوا يطالبون الخديوي بدمه فعزل الخديوي ناظر الجهادية وعين داود باشا لهذا المنصب، فأمر داود باشا بنقل آلاي القلعة وآلاي الاسكندرية، فزاد هياج العرابيين واعدوا العرائض يطلبون فيها الاصلاح وقدموها للخديو وهو مع القناصل في عابدين . فوعد بالنظر فيها . ثم زار ثكنات العساكر ولما وصل الى ثكنة عرابي بالعباسية لم يجده فيها . وعاد الى عابدين فاذا بعرابي قد صفَّ الجيش في الساحة وهو مستلٌّ سيفه يهدد السراي ، فاطلَّ عليه الخديوي وطلب منه ان يتقدم فوصل الى باب السراي على جواده وسيفه مسلول والضباط محيطون به فأمره الخديوي باغماد سيفه ففعل ونزل عن جواده فسأله الخديوي : لماذا تفعل ذلك ؟ فاجابه : لأنال خمسة امور ، الاول اسقاط الوزارة والثاني تأليف مجلس نواب والثالث زيادة عدد الجيش والرابع انفاذ قانون العسكرية الجديد والخامس عزل شيخ الازهر . فطلب القناصل من الخديوي أن يعود الى قصره وقال قنصل الانكليز لعرابي ان اسقاط الوزارة من خصائص الخديوي ، وزيادة الجيش لا تسمح بها الميزانية ، وعزل شيخ الازهر لا يمكن ان يكون بلا سبب ، وانفاذ قانون العسكرية ينظر فيه مجلس النظار ، وتأليف مجلس النواب من خصائص الامة لا الجيش . فردَّ عرابي انه يطلب ذلك كله بالنيابة عن الامة وهذا الجيش اولادها وانه لا يبرح مكانه حتى ينال مطالبه . فقال له القنصل ماذا تفعل اذا لم تجب مطالبك . فقال : عندي مليون شاب وليس لاحد ان

يتداخل بشؤوننا الداخلية . فعاد القنصل وتقرر بعد ثلاث ساعات من التباحث اجابة المطالب تدريجاً الاّ مجلس النواب فانه يؤخذ رأي الباب العالي بشأنه ، فأصرَّ عرابي على اسقاط الوزارة فسقطت وألّف شريف باشا وزارة جديدة ، ونقل آلاي عرابي الى رأس الوادي وآلاي عبد العال الى دمياط . ولما رأت الحكومة ان عرابي يبث روحه في الشرقية نقلته وكيلاً للجهادية فاشتغل حتى عزل الشيخ العباسي من مشيخة الازهر وعين الشيخ الامبابي بدلاً منه . ونفذت كل المطالب وتألف مجلس النواب . ولكن المراقبين على الميزانية وهما الفرنساوي والانكليزي أبيا على مجلس النواب النظر في الميزانية ، وسقطت الوزارة لهذا السبب ، فألف محمود سامي الوزارة الجديدة واختار عرابي ناظراً للجهادية . فنفذ قانون الضمائم والمعاشات وعزل ٦٠٠ ضابط شركسي وتركي ، وأرسل الآخرين الى السودان وسجن ٤٠ ضابطاً كبيراً وفي مقدمتهم عثمان باشا رفقي بتهمة المؤامرة فحكم عليهم بالتجريد من رتبهم وبابعادهم الى السودان فأبى الخديوي التصديق على هذا الحكم

ثمَّ تفاقم الأمر وعرضت رئاسة النظار على مصطفى فهمي باشا فأبى قبولها . وأرسلت انكلترا وفرنسا مراكبهما الحربية . فطلب الاسطولان عزل الوزارة وابعاد عرابي وعبد العال وعلي فهمي ، فاحتجت الوزارة على ذلك ، ثم سقطت في ٢٦ مايو ١٨٨٢ وقبل شريف باشا تأليف وزارة جديدة . وورد تلغراف من آلاي الاسكندرية بانهم لا يقبلون ناظراً للجهادية غير عرابي فابقي في وزارته ريثما يصل الوفد الذي ارسله السلطان .

وارسل الى القناصل يتعهد بحفظ الامن بشرط ابعاد الاسطولين من المياه المصرية . واخذ عرابي يسعى لخلع توفيق باشا وتولية حليم باشا وتحصين المرابط المصرية . ووصل الوفد المرسل من الاستانة فشجع عرابي

وفي ١١ يونيو ١٨٨٢ اختصم حمّار ومالطي في الشارع الابراهيمي بالاسكندرية فنجمت عن ذلك فتنة شديدة عقبتها مذبحة وتمارض قومندان الضابطة السيد قنديل وطلب المحافظ عمر باشا لطفي من اميرالاي الجند سليمان داود ارسال العساكر لاخماد الفتنة فاجاب انه لا يفعل الاّ اذا تلقى أمراً من عرابي . وبلغ عدد الجثث التي التقطت من شوارع الاسكندرية ٦٠٠ جثة وهاجر في ذلك الاسبوع نحو ٢٠٠ الف . وفي ١٣ يونيو سافر الخديوي الى الاسكندرية ، واسقط وزارة شريف وألّف وزارة راغب باشا ، فظل عرابي فيها وطلبت هذه الوزارة العفو عن المجرمين ، وانعم السلطان على عرابي ، فازدادت حماسة الحزب . وتخلل ذلك مساعي الدول لعقد مؤتمر في الاستانة فسوّف الباب العالي وماطل . اما عرابي فانه تولى قيادة ٩ آلاف جندي في الاسكندرية واخذ باقامة الحصون فاتخذت انكلترا ذلك حجة وضربت الثغر فجأة فبدأ ضربها في الساعة ٧ صباحاً وظلّ حتى الواحدة ونصف بعد الظهر (١١ يوليو ١٨٨٢) وتولى الرعاع أمر المدينة فاحرقوها واحاط ٤٠٠ جندي بسراي الخديوي بالرمل ليحرقوها ، ولكن عرابي منعهم ، ومكث أحد البكباشية مع ٢٥٠ عسكرياً على ولاء الخديوي وارسل الاميرال سيمور ثلاث سفن لحماية السراي وارتد عرابي وعساكره الى كفر الدوار وأعلن راغب

باشا عصيانه وطلبه الخديوي الى رأس التين فاجاب انه لا يطيع الاّ اذا سافر الاسطول الانكليزي . وقرر اعيان القاهرة استمرار الحرب وصدر أمر الخديوي بعزل عرابي ولكن مجلس الاعيان في العاصمة قرر ابقاءه

وكان جيش عرابي بكفر الدوار مؤلفاً من ٤ آلايات مشاة وآلاي فرسان وآلاي طوبجية وبطارية مدافع ، وارسلت اليه المديريات ٢٥ الفاً والعربان افواجاً عديدة

وبعد ذلك أصدر الباب العالي منشوراً بعصيان عرابي . وفي ٢٠ و ٢١ و ٢٢ أغسطس هاجم الانكليز كفر الدوار واخذوا بانزال عساكرهم بالسويس فذهب عرابي الى الوادي وبدأ القتال في ٢٣ اوغسطس وفي ١٢ سبتمبر هجم الانكليز قبل الفجر على التل الكبير فانهزم العساكر وفرّ عرابي الى مصر وتبعه الجيش الانكليزي وفي ١٤ سبتمبر دخل الانكليز القاهرة وفي ١٥ سلم لهم عرابي فسجنوه في العباسية ثم حوكم فحكم عليه بالاعدام واستبدل الحكم بالنفي فنفي الى سيلان ثم صدر العفو عنه فعاد الى مصر سنة ٩٧ مع رفاقه واجرت الحكومة عليه ٦٠ جنيهاً في الشهر وسكن بجهة الناصرية حيث توفي

ازهار واشواك

فلسفة العيد

كان في الشهر الماضي ختام صوم رمضان وحلول عيد الفطر المبارك فأقيمت الافراح والزينات وأقفلت المصارف والدوائر والمحلات التجارية

فاشتركت الأمة باسرها في هذا العيد لا فرق بين المسلم والنصراني ولا النزيل والوطني ، فكان ذلك مما تسرُّ له خواطر محبي السلام ، لا سيما في هذه الايام حيث كثرت مشاغبات دُعاة التفريق والخصام . وكان منظر الاولاد ، وقد اشتركوا في العيد ، من ابهج المناظر لان روح التحزبات والغايات لم تنفث سمها في صدورهم الطاهرة . فرددنا قول شوقي

فهذا بلعبتـهِ يزدهي　　　وهـذا بحلتهِ يفخرُ
وهذا كغصنِ الربى ينثني　　　وهذا كريحِ الصبا يخطرُ
اذا اجتمع الكلُّ في بقعةٍ　　　حسبتهمُ باقةً تزهرُ
او افترقوا واحداً واحداً　　　حسبتهمُ لؤلؤاً يُنثرُ
فلاسفةٌ كلهم في اتفاقٍ　　　كما اتفقَ الآلُ والمعشرُ
ولا لغة غير صوتٍ شجي　　　كروضٍ بلابلُهُ تصفرُ
ولا يزدري بالفقير الغنيُّ　　　ولا ينكر الأبيضَ الأسمرُ
فياليت شعري أضلَّ الصغارُ　　　ام العقل ما عنهمُ يُؤثرُ
سؤالٌ اقدّمهُ للكبارِ　　　لعلَّ الكبارَ به اخبرُ

لا والله لم يضل الصغار ، فليقتدِ بهم الكبار

الجوق العربي

مديره عبد الله عكاشه ، وقد جمع واخوته الى رخامة الصوت حسن الاستعداد . وواضع رواياته الياس فياض ، الشاعر والكاتب المعروف بالرقة والطلاوة . ومسرح تمثيله التياترو المصري ؛ وقد أُلبس حلة جديدة من الرواء بادارة صاحبه اسكندر فرح واخيـه توفيق . واعضاؤه افراد

جوق الشيخ سلامه ، وهو احسن جوق عرفناه . ومتعهد ملابسه كيريني ، متعهد ملابس الاوبرا الخديوية . فكلُّ اسباب النجاح متوفرة ، كما ترى ، لهذا « الجوق العربي » الذي بدأ باحياء لياليه في منتصف الشهر الماضي . . . نحن لا نقول ان الجوق قد بلغ آخر مراحل الكمال ، فهذا ما لا يرضاه منا مديره الاديب . ولكننا نشهد انه باذل همة تشكر في سبيل ارضاء الفن وحق القيام بشروطه ولا جدال في انه قد خطا خطوةً واسعة في ترقية التمثيل العربي . ولذلك نحن نصفق له كما صفق له الذين حضروا لياليه في مدن القطرين المصري والسوري .

ضفرتُ باقةً من ازهاري للقائمين بهذا المشروع . ولا بدَّ من تسديد بعض الاشواك الى مرتادي مسارحنا العربية . يذهب الواحد منا الى التياترو الافرنجي ، كالاوبرا او برنتانيا مثلاً ، فلا يجيز لنفسه الحضور بغير ملابسه الرسمية السوداء ، فيجلس كما يشاء الادب ، ولا يدّخن الاَّ في المحل المعدّ للتدخين . حتى ترى فيه « الجنتلمن » الكامل . واما اذا رأيت هذا الشخص ذاته في تياترو الشيخ سلامه او التياترو المصري ، وهما لا يبعدان عن الاوبرا وبرنتانيا الاَّ بضع مئاتٍ من الخطوات ، فانك لا تكاد تعرفه ، وقد جلس ومدَّ رجليهِ على كرسي جاره ، واولع سيجارته ، بالرغم عن الحروف المرقومة على الجدران « ممنوع التدخين » او اشتغل « بقزقزة اللب » بل تسمعه يقهقه ضحكاً في اشد المشاهد تأثيراً حتى يضايق الممثلين ايما مضايقة . . . فالى متى نحن نحتقر انفسنا ؟ وما دمنا كذلك ، فكيف نطلب من الاجانب ان يحترمونا . . ؟



الفيلد مارشال هوراشيو هربرت ڤيكونت كتشنر اوف خرطوم

معتمد دولة بريطانيا العظمى في مصر

وقد وصل الى القطر المصري وقدَّم أوراق تعيينه في الاسكندرية

الى سموّ الخديوي في ٢٨ سبتمبر الماضي

كتشنر والفأر

تهمني السياسة بقدر ما تهم اسعار البورصة فراشة الحقل ، أو بقدر ما تهمّ « ازهاري واشواكي » امبراطور الصين . ولذلك لست بمحدّث

قرأني عن المعتمد الانكليزي الجديد الاّ على سبيل الفكاهة . . . روي ، والله أعلم ، ان لورد كتشنر اوف خرطوم ، لما كان قائداً للحملة السودانية ، دخل الى مضربهِ في احد الايام وقد اشتد عليهِ التعب والحرّ ، واوصى الجندي السوداني القائم على خفارتهِ ان لا يدع احداً يصل اليهِ لانهُ في حاجة الى قليل من الراحة . انطرح القائد بملابسهِ على مضجعهِ العسكري ونام ، وبينما هو كذلك اذا بطلقين ناريين قد دويا في جانبهِ ، فأفاق مذعوراً وهرول الى خارج الخيمة وهو يظنّ ان العدو قد هاجم المعسكر على حين غفلة . فرأى الخفير والبندقية في يده ، والابتسامة على شفتيهِ ، فسأله عما هناك فأجاب « الرصاصة الثانية كانت القاضية عليهِ . . . هو فأر كان يحاول الدخول الى الخيمة فخفت ان يزعج مولاي في رقاده »

مغزاه : سيرى العميد كثيرين من الزعماء يطلقون النار حوله — كالخفير — من اجل فأر ، بغية راحته

ماصر

ثمرات المطابع

التشخيص الجراحي[1] — لما تكلمنا عن رسالة «الحمل خارج الرحم» (زهور سنة اولى ص ٥٤٩) التي وضعها حضرة العالم الدكتور محمد افندي عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب ، اثنينا على همة المؤلف لنشره مثل هذه الابحاث العلمية في اللغة العربية ورجونا من حضرته متابعة طبع

(١) طبع بمطبعة المعارف ويطلب منها ومن المؤلف « بقليوب » . عدد صفحاته ٦٥٦ وثمنه خمسون قرشاً صاغاً

مثل هذه الكتب المفيدة . ولم يمضِ على ذلك بضعة اشهر حتى اتحف الدكتور عبدالحميد العالم الطبي بمؤلف نفيس هو الذي نحن الآن بصدده . وقد استخلصه من اربع مؤلفات انكليزية تُعدّ من خير ما كُتب في هذا الموضوع فجاء كافياً وافياً ، وتناول تشخيص الاصابات كافةً وما يطرأ عليها من المضاعفات كاصابات الرأس والعمود الفقري والمسالك الهوائية والحنجرة والصدر والبطن والحوض والمفاصل واعضاء التناسل الخ مع ابحاث مستوفاة في كل انواع الخلوع والكسور والاورام والقروح . ومن يتصفح هذا الكتاب الضخم يدرك ما بذله صاحبه من العناية والتدقيق وتكبده من النفقات ليقدّم لقراء العربية هذا السفر الثمين الذى كانوا بحاجة قصوى اليه . فاذا هم اقبلوا على اقتنائه فانهم لا شك واجدون فيه من الفوائد والمنافع ما لا يُعدُّ ثمنه شيئاً بجانبه . فلا يسعنا الاّ اسداء الشكر الجميم للدكتور عبد الحميد الذى عرف كيف يخدم امته وبلاده الخدمة الحقيقية ، وهذا ما سمعناه من الكثيرين

وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان (١) — وجاءنا كتابٌ طبيٌّ آخر ورد علينا من الديار الاميركية لمؤلفه حضرة النطاسي الدكتور سعيد افندي ابي جمره صاحب جريدة « الافكار » البرازيلية ، وقد بحث فيه بحثاً دقيقاً عن الامراض الزهرية — المشتق اسمها من « الزهرة Vénus » الهة الحب والجمال — واورد تاريخها في العالم عموماً وفي الشرق خصوصاً ودخولها الى بلادنا مع حملة بونابرت الى القطر المصري

(١) طبع بمطبعة الهلال طبعة ثانية عدد صفحاته ١٧٥

سنة ١٧٩٨ وامتدادها الى القطر السوري لكثرة المعاملات بين القطرين وتسميتها بالمرض او الحب الافرنجي لان مصدرها الافرنج . ثم وصف كل انواع هذه الامراض وصفاً طبياً مع طرق معالجتها والوقاية منها ، وسهّل فهم كل ذلك بالصور والرسوم فخدم بذلك الشبان خدمة كبيرة عساهم ان يجدوا فيه ما يكفيهم شرّ هذا المرض الفتّاك

يا حسرتي عليك يا زعيتر[1] — اشتهر شكري افندي الخوري الكاتب الظريف بلطف اسلوبه وخفة روحه في الكتابة . وجريدته « ابو الهول » التي تصدر في البرازيل تشهد له بذلك وقد امتاز على زملائه بالتعويل على اللغة العامية لإفهام عامة الشعب ما يريد من الحقائق الادبية والعمرانية . وله في عالم التأليف كتب لطيفة من هذا القبيل اشهرها « رحلة فنيانوس » . واذا كان كتابه الاخير الذي اهداه الينا اخيراً ينقص عن اسلافه من حيث الطبعية في اللهجة والحديث فهو لا يقلُّ عنها مطلقاً من حيث دقة الملاحظة وقوة الوصف وشدة الانتقاد. وقد ذكر لنا فيه حكاية « زعيتر » — وهو قروي لبناني يهاجر الى اميركا بلاد الذهب — وما يصادفه اثناء هذه الرحلة من الحوادث والامور الغريبة . ولا يسعك الاَّ ان تقهقه ضحكاً عندما تطالع حكاية هذه النوادر وهي بسيطة بحد نفسها ولكن قلم شكري الخوري يلبسها حلة ترتاح اليها النفس . وهو يذكّرنا من حيث دقة الملاحظة والنقد بقلم فارس الشدياق ، وان كان بين انشاء الكاتبين بون عظيم . وهو يشبه

(١) طبعت بمطبعة « ابي الهول » في سان باولو (البرازيل)

تيودور بوترل وفردريك مسترال من حيث وصف عادات البلاد والتغني بجمالها ، والحث على الاحتفاظ بتقاليدها

غرازيالاّ [١] Graziella — كتابٌ ثالث جاءنا من البرازيل في هذين الشهرين فلا يسعنا الاّ الثناء على همة كتّابنا الادباء الذين هاجروا الى اقصى الامصار وباتوا ينشرون فيها لغتنا العربية ... وغرازيالاّ هي الرواية الفلسفية الاخلاقيـة الغرامية التي ذاع صيتها في عالم الادب الفرنسوي ، ولا عجب فهي من ارق ما خطت يمين الشاعر الشهير لامارتين . وقد نقلها الى العربية الاديب اسكندر افندي كرباج . وكنا نودّ لو كان اكثر امانةً في الترجمة وامتن سبكاً في التعبير لئلا يفقد شيءٌ من جمال الاصل وطلاوته . على ان في مؤلفات لامارتين — كما في مؤلفات كل نوابغ الكتّاب — صفحاتٍ قد يعجز عن تأديتها حقها من الترجمة اقدر المترجمين ولذلك نحن نقدّر عمل مترجم غرازيالاّ حق قدره ، فهو اجلّ واشرف من ترجمة القصص التافهة

رواية الشهر

أوله لهوٌ وآخره قتلُ

كان في فلورنسا تاجر واسع الثروة تزوج باحدى مثريات المدينة ورزق منها ولداً ذكراً دعاه ألفرد . ولم تكد تقرّ بالمولود عينه حتى دعاه خالقه اليهِ فترك وحيده يتيماً بعد ان اوصى به ارملته وذويه

---

(١) طبعت في سان باولو (البرازيل) عدد صفحاتها ١٢٨

ترعرع الولد واخذ يخرج في البلدة يلعب مع أقرانه وما عتم ان شعر بميل خصوصي الى صبية كانت تلعب معهم اسمها ماري، فكان يخرج الولدان من منزلها في ساعة واحدة ليلتقيا في مكان متفق عليهِ من قبل . وهناك يصرفان الساعات الطوال منهمكين في ألعاب لا لذة فيها ولا سلوى الا انها تجمع الولدين المتحابين وهما شاعران بفرح لا يدركان له سبباً حتى اذا دنت الشمس من المغيب واضطرا الى الافتراق أحس كل منهما بوحشة زائدة و بحزن ما كان يخففهُ غير أمل اللقاء في اليوم التالي .

وقد كرَّت الأيام والأعوام والولدان يعيشان عيشة واحدة لا يلذ لهما شيء اذا افترقا ولا يحزنهما شيء اذا اجتمعا ... ولما شبّا عن الطوق فبرز نهدا الفتاة وانفتل ساعد الغلام تبدَّل ذلك الشعور الرقيق الكامن بحب ووجد وغرام . فأوجس أهلهم خيفة لاسيما أم الفتى، وهي تحسب ان حب ابنها لتلك الفتاة يحمله على التهور والتفريط حتى وصل بها الخوف الى انها فاوضت عمّ الغلام بالأمر وقالت له : اذا دامت حال ألفرد وحال ماري على ما هي عليهِ فلا أعجب اذا أفقت يوماً وأنا جدّة وهناك الفضيحة فأنى لنا تلافي الخطب قبل استفحاله ؟ . . فاطرق العم يفكر كأن مسئلة الغلام معضلة ولا كالمعضلات ولما أعياه التفكير ولم يوفّق الى حل للمشكلة أشار على الأم بأن تعقد مجلساً عائلياً تطرح عليهِ المسئلة فيتدبرها و يبتُّ فيها رأياً يكون فيه خير الفتى وراحة الأم . . .

عُقد المجلس العائلي وشرحت له الأم اسباب قلقها وجزعها ولم يكن في المجلس غير شيوخ ماتت قلوبهم فباتوا يحسدون الشباب و يضيقون عليه الخناق كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً . و بعد البحث والتفكير والمداولة قرَّ رأيهم على ابعاد الفتى آملين بذلك بلوغ المرام فيفعل البعاد ما لم تفعله النصائح فتتزوج الفتاة من جهة و يسلوها الفتى من جهة أخرى . . .

ثم كلف المجلس عم ألفرد بابلاغه ذلك القرار بالطرق التي يراها مناسبة طبقاً لحاسات الفتى وامياله . . فجاء العم صبيحة يوم الى ابن اخيه فرآه غارقاً في بحر من الغرام كم تاهت فيه سفن وضلّت مراكب فاقترب اليهِ وبادره بالسلام مبالغاً بالملاطفة والمؤانسة حتى هشّ له الفتى وما كان يبسم الاَّ لحبيبة قلبهِ . . .

ولما شعر العم باستعداد الفتى لسماع كلامهِ قال له بمزيد الحنان :

ها أنت قد أصبحت رجلاً بحمد الله وآن لك ان تسافر الى بلاد أرقى ووسط ارفع فتتفقه بالاسفار ومخالطة الاقوام ، ثم تعود الينـا وقد تحليت بالأدب والعلم والاطلاع فيكون لك بين قومك كلمة وشأن . . . ولن يطول زمن هجرتك اكثر من سنتين فقط ، فما رأيك ؟ . . . .

فابتسم الفتى ابتسامةً دلت على انزعاج واضطراب وقال : « ما فكرت قط يا عماه بهذه السفرة وها أنا بعد سماعي ترغيبك اياي فيها وتشويقي الى اقتحامها كما كنت من ذي قبل : لا أحب السفر . فأنا هنا مرتاح الى الطبيعة وما أحببت ، غير طامع بالمزيد فلا تكرهوني على ما لا ترغب فيه نفسي . . .

فعضّ العم على شفتيه وأخفى الكيد وأظهر الجلد وأخذ يسرد على ابن أخيه البراهين والحجج والاسباب التي تقضي عليهِ بالسفر حتى ضاقت بالفتى أنفاسهُ ورأى انهُ لم يعد له بين ذويهِ مقام فطلب الى عمهِ ان يمهله الى الغد فيعطيه الجواب الاخير

خرج العمّ ونظر الفتى الى واقع الحال فراعهُ . . فكر بافتراقه عن معبودة قلبه فهاله فكره وتذكر ساعات لقياها حيث حديث الغرام أرق من النسيم وأشجى من نوح الحمام فهاجت أشواقه الذكرى فبكى ولسان حاله ينشد :

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهِ ان كان توديع الاحبة في غدِ

ثم سار الى حيث يلتقي عادةً بحبيبة قلبـه فوجدها بانتظاره فراعهُ اصفرارها — وقد خبَّرها ذووه بعزمهم على تسفير ألفرد ورجوا اليها مساعدتهم حباً بخير الفتى ، فوافقتهم مكرهة — وما وصل اليها حتى عرتهُ هزَّة يعرفها من وقف تلك

المواقف فتقدم اليها واجلاً مضطرب الجوارح خفاق الفؤاد ومد اليها يداً مرتجفة باردة ، فشدَّت عليها بيد مرتجفة باردة ، وتناظر الحبيبان فتفاهما وعلما ان لا بدَّ من الفراق فتجسم بنظرهما كل ما في قلوب العاشقين من وجد وجزع وطوقا بعضهما بعضاً بدافع غير منظور وشهقا بالدمع ، حتى اذا هدَّت حيلهما تلك الدقيقة بما فيها من هول الوداع ضم الفتى شفتيه الى شفتي الفتاة وجمع كل ما في نفسهِ من هوى وطبعهُ على تينك الشفتين بطابع من نار فانتفضت الفتاة انتفاض من جرى في عروقهِ تيـار كهربائي وتراجعت الى الوراء مذعورة وتراجع مذعوراً وقد شعرا بخطورة الموقف فافترقا وقد مزق الوداع نسيج قلبيهما

أفاق ألفرد في اليوم التالي منهوك القوى شاحب اللون وأخذ يتأهب للسفر فدخلت علية أمه وفهمت ان رأيه قد قرّ على مغادرة البلاد فسرت من جهة وحزنت على فراق وحيدها من جهة أخرى ثم جاء الأهل والاخوان فودَّعهم ألفرد وهو ينظر اليهم شارد اللحظات ويكلمهم وعقله وقلبه حيث حلت حبيبته ماري ، ثم سار ووجهته باريس عروس المدن . . . .

وصل مدينة النور وفي قلبه ظلام القبور ووحدة الأجداث وبات ليلتهُ الأولى فيها كما يبيت الملسوع متقلباً على فراش الآلام والاوجاع . وقد حاول بعدها عبثاً ان يسلي فؤاده فما كان يزداد الاّ شوقاً وحنيناً الى الوطن الى تلك البقعة الصغيرة ، حيث محبوبته . فاذا هب نسيم حمله اليهـا السلام واذا رفَّ طائر ناشده المروءة والدمع هتون ان يحمله الى أرض ميعاده ولسان حاله ينشد :

يا طير صوب بلادنا خدني معك		جسمي أرقّ من النسيم شو بيمنعك
قَلْبي بيمنعني نحيلك والبكا		خايف تبلل جانحي من مدمعك

مضت السنتان — وهما مدة اسر الفتى — وقد كانت كل ساعة منهما دهر .
فعاد الفرد الى فلورنسا وهو يتساءل : ترى ما حلَّ بماري ؟ ... حتى اذا وصلها وقلبه

خافق ونفسه جازعة علم ان حبيبته قد زفت الى سواه فاسودت الدنيا بعينهِ ويئس من الحياة وعزم على الانتحار — وهو خاتمة الغرام — الا انه خطر على باله ان يرى حبيبته قبل الموت للمرة الاخيرة. انتظر ألفرد حتى اسدل الليل على المدينة سدوله وانسل تحت جنحه الى منزل حبيبتهِ وتوصل الى غرفة نومها فاختبأ تحت السرير حتى خلت اليه فنزعت ثيابها ونامت وهي لا تشعر أن في الغرفة روحاً جاءت تودعها قبيل احتجابها في الأثير ...

نامت فخالت كأنها بالقرب من حبيبها ألفرد فطاب لها الحلم فكشف در ثناياها ابتسامٌ خفيف ... وكان ألفرد قد انساب في تلك الاثناء الى سريرها فشعرت بحرّ انفاسهِ فأفاقت وهي تحسب نفسها حالمة فاذا بها تضاجع رجلاً ليس بزوجها فهمت بأن تصرخ فضغط الفتى على يدها متمتماً : لا لا تجزعي . . أنا ألفرد ....

دهشت ماري وغسلها العرق البارد وهي لا تدري اذا كانت لا تزال حالة حلمها اللطيف أو هي في الحقيقة تلمس حبيبها القديم ... وما عتمت ان عادت الى هداها فتحققت ان رفيق الصبا في جنبها فخافت كثيراً وقالت له : بالله عليك قم واذهب فزوجي في الغرفة معي وأنت تكاد تفضحني . . فقال لها : لا تخافي . . ما اتيت أفعل منكراً . أنتِ زففتِ الى غيري فلتكن حياتك سعيدة ، أما أنا فلم يبقَ لي مطمع في الحياة .... دعيني أنام بقربك كما ينام الملك قرب الملك أو الأخ قرب الأخت فأحيا دقيقة وبعدها اموت غير آسف على الدنيا ...

فحنت عليه ورق له قلبها وقالت : لك ما طلبت ... فنام الفتى بقربها وقد تجسمت له السعادة فغاب فيها ... أما هي فقد استغربت من حبيبها هذا الهدوء وما عهدها بالحب يبقي على العقل فأخذت يدَه في يدها فوجدتها مجلدة فحسبت ان الغرام جلَّدها ... فنادتهُ همساً : ألفرد ! ألفرد ! ... فخافت وخامرتها الشكوك ... فحاولت انهاض رأسه فوجدته بارداً فحركت جسمه فانقلب كالعود ، ففهمت وبهتت

وقد صعقتها الحقيقة : ان ألفرد قد مات ! .... سكبت دمعة محرقة وشعرت ان عروق قلبها قد تقطعت ثم أفاقت ونظرت الى ما حواليها فراعها ذلك الموقف وما فيه من اسباب القيل والقال فاستجمعت رشدها وصممت على رأي وقامت الى زوجها فنادتهُ فأفاق فقصت عليه كل ما حدث كأنها تروي حادثة وقعت لسواهم بعيدة عنهم ثم قالت : حينئذٍ ما كان يجب على أهل البيت ان يفعلوا وامامهم تلك الجثة ؟ فقال : كان يجب عليهم ان يقوموا الى الجثة وينقلوها بكل هدو الى بيتها ويتركوها على الباب فيظن القوم في الصباح ان فقيدهم مات قضاء وقدراً ...

فقالت : اذن قم وافعل ذلك فالجثة في سريري ...

فذُعر الرجل ثم ثاب الى رشده وقد تحقق ان امرأته صادقة في كل ما روت فقام الى جثة ألفرد ونقلها بمساعدة امرأته حتى اوصلها الى باب منزله فتركاها هنالك وعادا من حيث أتيا والحزن ملئ قلب ماري ...

اصبح الصباح فوجد أهل ألفرد جثة الفتى على الباب فأعولوا وندبوا واستدعوا الطبيب فجاء وفحص الجثة فاذا الموت طبيعي فقرروا انهُ كان قضاءً وقدرًا

واحتفلوا بتشييع الجنازة فقال الرجل الذي مات ألفرد في بيتهِ لامرأتهِ : قومي بنا الى الكنيسة نرافق الجثة حتى لا يخالج الناس ريب . فقامت والحزن يقتلها وقد عاد الى ذهنها ذكر أيامها الأولى فسارت خلف الجثة وعينها تسكب الدمع مدرارًا حتى اذا وصلوا بها الى الكنيسة وصلوا عليها وهموا بحملها الى مرقدها الأخير سمع القوم صرخة هي اشبه بتنهد عميق تلاه هبوط جسم الى صحن الكنيسة ... فترا كض الناس فاذا ماري جثة هامدة تحت تابوت ألفرد ...

راع ذلك المنظر القوم المحتشد فأحنوا الرؤوس خشوعاً وسكتت القلوب اضطرابا واحتراماً وجعلوا الجثتين في تابوت واحد وواروهما في لحدٍ واحد كأنهم شعروا بأن ليس لهم ان يفرقوا جسمين اتحدت روحاهما بالموت ...

وهكذا اتحد هذان العاشقان في اللحد بعد ان افترقا على الأرض وقد فعل الموت ما لم يفعل الحبّ ...　　(عن الافرنسية)　　حسون

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١١ السنة الثانية

الاعلام العربية

في اللغات الاجنبية

بالنظر الى انشغال العالم السياسي بحوادث طرابلس الغرب ومراكش كثر في جرائدنا ورود اسماء العلَم عن تلك الاصقاع العربية . ولما كانت الجرائد تستقي معظم أخبارها من الصحف الافرنجية رأينا اكثر هــذه الاسماء مشوهاً في الترجمة تشويهاً يكاد ينزلها منزلة الاعجمي من الالفاظ . فأحببنا ان ننبه الى هذا الخطإ طالبين الى كل من يهمهم هذا الأمر ان يعملوا على ملافاته :

منذ أربع سنوات تقريباً أرسل الاستاذ نلّينو الى الجمعية الجغرافية الخديوية مقالاً بحث فيه عن اسماء العالم الاسلامي الجغرافيــة وما يطرأ عليها من الاغلاط والتحوير في النقل من لغة الى لغة . وليس الاستاذ نلينو بمجهول لدى المصريين ، فانه من علماء المشرقيات المعروفين ، وبعد ما كان مدرس اللغة العربية في كلية بالرمة (جزيرة صقلية) اختارتهُ الجامعة المصرية منذ سنتين ليدرّس في القاهرة تاريخ العلوم عند قدماء

العرب . ولقد جاءت رسالتهُ في الموضوع الذي ذكرناه طافحة بالملاحظات الجديرة بالاعتبار

***

مهما كابر المكابرون لا يُنكر ان الغربي الآن قد نال الاسبقية على الشرقي في ميدان الحضارة والعلوم . وقد اصبحنا في حاجةٍ الى الرجوع الى ابحاث علماء الغرب حتى في الامور التي تتعلق بنا أشد العلاقة . فبتنا ندرس تاريخ امتنا وجغرافية بلادنا في كتبهم ومؤلفاتهم . فأحدث ذلك عندنا تبلبلاً واضطراباً في ضبط الاعلام العربيـة وارجاعها الى اصلها . وهذا هو الامر الذي قام الاستاذ نلّينو يدعو الى تلافيهِ اعني آفـة التحوير بل التشويه الذي يدخل على الاعلام الشرقية . فان كتّاب الافرنج وعلماءهم قلما يحسنون نقل هذه الكلمات بلفظها الصحيح الى لغاتهم . ولذلك ، على ما نرى ، سببان : الاول ان آذانهم لم تتعود سماع بعض مقاطع ومخارج لغاتنا فيسيئون كتابة ما يسمعون من اسماء الاعلام. والثاني — وربما كان هذا هو السبب الاساسي — ان اللغات الاجنبيـة تخلو من بعض حروف اللغات الشرقية ولا سيما الحروف الحلقيـة كالحاء والخاء والعين والقاف ، فيستعيضون عنها بحروف تماثلها على قدر الامكان ، وكثيراً ما يخلط هؤلاء الكتّاب بين التاء والطاء ، والدال والضاد ، والسين والصاد ، والقاف والكاف الخ وذلك للسبب نفسهِ ، اي خلو لغاتهم من حروف فارقة بين هذه المخارج ، فتجيء كتاباتهم احياناً بعيدة عن اصلها ، غريبة في وضعها ، وكثيراً ما يلبسونها بالنقل حلة

جديدة ، فيتعذر على قارئها او مترجمها اعادتها الى اصلها . من ذلك انهم يكتبون صلاح الدين سَلادَن ، ونخر الدين فهرادَن ، وابن رشد افرّويس ، وابن سينا افيسن ، ووهران أُران ، وعين ماضي أين مدها ، الى غير ما هنالك من هذا القبيل مما يطول بنا ايراده

***

يأخذ الغربيون قطننا وحريرنا فيصبغونهُ وينسجونهُ ويعيدونهُ الينا ، فهل نستغرب اذا اخذوا كلماتنا فنحتوها وصقلوها واعادوها الينا مصبوغة بصبغة لهجاتهم ؟

على ان هؤلاء الكتبة لا يلامون في كل الاحوال على هذا التحريف لما قدمنا من الاسباب . ولكن اللوم علينا ، نحن معشر الشرقيين ، فاننا عندما نقرأ مثل هذه الاسماء الشرقيــة او نضطر الى نقلها الى العربيــة نأخذها عن الافرنجية ونكتبها بحروف تماثل حروف صورتها الغربيــة كأنها غريبة عنا . فتبقى في حلتها الاجنبيــة كأنها من الكلمات الموضوعة في اكادمية اللغة في باريس او لندره او برلين . ولا نذكر من هذا القبيل على سبيل الفكاهة الا ذاك الذي ترجم سلادَن (صلاح الدين) بلفظة سلادينوس (؟) ألا رحم الله السلطان الايوبي وكفاه شرّ المعربين

اما الآن — وقد أخذ علماء الغرب يقبلون أيما اقبــال على درس العربية والفارسية والسريانية وسائر اللغات الشرقية من ميتة وحيــة — فانهم تنبهوا للامر ، لانهُ تعذر عليهم مراراً تطبيق أسمــاء الاعلام على اصلها عندما رأوها في ذلك الاصل بعدما ألفوا شكلها الاجنبي . فاخذوا

ينقبون ويبحثون ويطالعون في كتب قدماء العرب ليعيدوا الى هذه الاسماء صورتها الحقيقية

هذا بعض ما خطر على البال عندما تصفحنا مقالة الاستاذ نلينو . وكان حضرته قد كتب قبل اليوم ما مفاده :

« طُبع في بولاق سنة ١٨٩٣ كتاب اسمه « تاريخ العرب وآدابهم » لجامعيهِ ڤانديك وفيليبيدس ، صدّره الكاتبان بمقدمة جغرافية عن جزيرة العرب ترى فيها اكثر الاسماء مشوهاً اي تشويه لنقلهما هذه الكلمات عن لغات اجنبية دون مراعاة أصلهـا فيجعلون مثلاً (ص ٦) جزيرة «خوريان» كوريان ، وبلد «الكويت» قويط ، و«جبل العارض» الجبل العريض ، و « القصيم » القسيم . . . »

هذا وقد توفق الاستاذ نلينو الى تنقيح اسماء مختلفـة فاعادها الى أصلها واكثرها من اسماء الامكنـة في مراكش والجزائر ، وهي مغلوطة الكتابة حتى على الرسوم الجغرافية المعوّل عليها ، وها نحن نورد أهمها للفائدة:

تل امرنا والصحيح تل العمـارنة ، قبيلة دوى منيه والصحيح ذوي منيع . وسهل تافراته والصحيح سهـل تافراطا ، وقد ورد ذكره في ابن خلدون وسائر مؤرخي بلاد المغرب

وقد ذكر العرب في كتبهم قبائل ايت سغروشن وايت شخمان . فصارت في كتاباتنا الحديثـة ايت شروشن وايت سغمان . وقبيلة غياثة صارت رياطة

ونحن نعتقد ان سبب هذا التحوير الاخير ان بعض الافرنسيين

كما هو معروف يلفظ الراء كالغين ، كذلك قل عن وادي تدغه فقد حوروها فصارت وادي طدرة

اما وادي ذرا فصوابها وادي درعة ومدينة ششوان صوابها الشاون

ولا مجال الآن لايراد كل الاسماء الجغرافية التي أعادها الاستاذ نلينو الى أصلها كما وردت في كتب العرب فلا تبقى تحت رحمة المترجمين يشوهونها عندما ينقلونها عن الافرنج بعد ما يكون هؤلاء قد حرّفوها في نقلها الى لغتهم

ولا بد في هذا المقام من ذكر اسم عالم آخر هو من ابناء الشرق قد أدّى مثل هذه الخدمة اعني بهِ الامير شكيب ارسلان اللبناني المعروف لدى قراء « الزهور » فانهُ في رواية « آخر بني سراج » التي نقلها الى العربية عن الكاتب الفرنسوي شاتوبريان بحث أدق بحثٍ عن الاعلام الاندلسية الشائعة في اسبانيا حتى توفق الى تطبيقها على اصلها

ولما عني الامير بتأليف تاريخ الجزائر وحياة الامير عبد القادر وكان جل اعتماده على كتب افرنجية استعان بالسيد محمد مرتضى الحسني لضبط اسماء الاعلام . وقد أشار الاستاذ نلينو في مقالته الى آراء الامير الارسلاني واعترف بدقتها

*
* *

اما وقد رأينا الآن الداء فما يكون الدواء ؟ . . ان الحاجة تدعو الى وضع معجم لاسماء الاعلام يكفينا شر آفة التشويه في النقل — وكلنا معرض لها — وان يعول علماء المشرقيات على علامات خصوصية

يصطلحون عليها لكتابة ما ينقصهم من الحروف الشرقية

ونختم هذه الملاحظة الاجمالية بما أشار اليهِ الاستاذ نلّينو عن ضبط تلك الاسماء قال :

« لا يتم ذلك الاّ في بلاد الشرق ، وانا أعتقد ان نقطة الشرق المعينة للقيام بذلك هي مصر . ففي مصر تلك الجمعية الجغرافية التي خدمت العلم الخدم الجلّى . . . وفي مصر نقطة تجلب اليها المسلمين من كل صقع ، اعني بها الجامع الازهر ، وفيهِ الطلاّب الذين يؤمونهُ من كل صوب فيمكن الاستعانة بهم على أخذ التعليمات اللازمة . وأخيراً نعرف في مصر جماعة من نخبة علماء المسلمين هم على تمام الاستعداد لتحقيق هذا المشروع اذ انهُ في وسعهم ، فضلاً عن معلوماتهم الشخصية ، ان يستفتوا اخوانهم في سائر الامصار الشرقية ، الامر الذي يتعذر على علماء اوروبا . وفي هـذا العمل فائدة كبرى للغربيين ، لانهُ يضع حداً لهذا التشويه الذي جعل الدروس الشرقية وعرة المسالك ، وللشرقيين لانهُ يحفظ لهم إرثاً لغوياً ثميناً باتت تهدده أيدي النساخ والمترجمين »

ولسنا نزيد شيئاً على هذه الاقوال المملوءة حكمة ، بل نضم صوتنا الى صوت هذا المستشرق طالبين من القادرين على ملافاة هـذا الخلل ألا يتأخروا عن ملافاتهِ

ولا يسعنا في الختـام الاّ تهنئة رئيس وأعضاء جمعيتنا الجغرافيـة الخديوية بما نالوه من التفات علمـاء اوروبا ، وشكرهم على ما يبذلونهُ من الاجتهاد في سبيل تعزيز العلم في أصقاعنا

في منازل الاموات

زيارة القبور واكرام الموتى عادة شائعة عند أهل جميع المذاهب قديماً وحديثاً ، ولا يخفى ما فيها من العبرة والذكرى والوفاء . وقد خصص المسيحيون اليوم الثاني من هذا الشهر للقيام بهذا الواجب (٢ نوفمبر : تذكار الموتى)

هناك في مثل هذا اليوم بين تلك المنازل المقفرة أقضي ساعة من الزمن فى كل عام ، وأقوم بواجب تفرضه عليَّ المحبة ويقضي بهِ تذكار المودة . ساعة اقضيها في بكاء ورثاء فتولّد راحة في القلب وتسكيناً في الفؤاد ، كأن الاحزان تذوب مع الدموع المتساقطة ، والاشجان تتطاير وتضمحل مع الزفرات المتصاعدة

هناك في منازل الاموات بين القبور الساكنة وتحت أشجار السرو الباسقة وقفت وبكيت ، واتعظت وتعزّيت . . .

فيا طلاب العواطف الرقيقة ومحبي المواقف الرهيبة ، اقصدوا المقابر في مثل هذا اليوم فتشعروا بأرق العواطف وتمتعوا بأجل المواقف . . !

ويا عشاق الفنون الجميلة ، أيها الشعراء والمصورون أُمُّوا القبور فتلقوا غذاءً لقريحتكم ، اسقوا أقلامكم بالدموع التي تذرف هناك ، فتسيل منها أرقّ القصائد وترسم أسمى المناظر وأبدع المشاهد

ويا أيها الاحياء زوروا منازل الاموات فتدركوا ماهية الحياة وجوهر الممات . . .

*
* *

وصلتُ الى المقبرة فوجدت بابها مفتوحاً والناس يتقاطرون اليها أفواجاً ، وهم متشحون بالسواد حاملون الزهر والاكاليل المضفورة ، وقد استولى عليهم الانقباض ورفرف على رؤوسهم روح الخشوع . فدخلت مع الداخلين حاسر الرأس كابت الفؤاد . وما وطئت قدمي هذه الارض المقدسة حتى اعترتني هزة واستولت عليّ قشعريرة وهتف صارخ في صدري : « سلام على أهل القبور الدوارس ، سلام على سكان الديار الموحشة والمنازل المقفرة ، رحمة وسلام عليكم ايها الراقدون بسلام. . ! »

وقفت منفرداً في احدى زوايا المقبرة أدير الطرف حولي وأتأمل ما يكتنفني . . . هنا أمٌّ ثاكلة جاثية على ضريح وحيدها تذرف على بلاطهِ البارد عبراتها المحرقة وتسكب على الراقد طيه صيّب صلاتها الحارة . وهناك يتيم جاثٍ على قبر والدين اختطفهما ملاك الموت قبل الأوان . هنا أخٌ يبكي على رمس أخيهِ ، وهناك حبيبٌ يصلي على جدث حبيبهِ . وقد امتدت فوق هاتيك القبور اغصان السرو ذات الخضرة القاتمة الدائمة ، ناشرة على مراقد الموتى ظلها الرهيب ، وحفيف الاوراق فيها أشبه بالندب والعويل

أخذت أطوف في أنحاء المقبرة ، فرأيت قبوراً زينتها الاكاليل ونمت حولها زهورٌ ورياحين زرعتها يد المحبة وسقتها دموع الوفاء فنبتت رمزاً عن الحب ودليلاً على الذكر وحفظ العهد . ورأيت غيرها عارية مهملة وعلى جوانبها قليل من العشب اليابس وليس من يضع عليها زهرة الذكر او يذرف عليها دمعة الوداد ، فقلت : « اين الذين أحبوهم ؟ تبرّأ

منهم القريب ، وانصرف عنهم الحبيب . . . » . تابعت السير فاذا بأخشاب باليـة وعظام نخرة فوقفت عندها بكل خشوع واخبـات ، وتساءلت : لمن هي يا ترى ؟

لو بُعثرت للخلق أطباق الثرى هل يُعرف المولى من العبـدِ

فسقياً لك يا موت ، أنت تسوّي بين الكبير والصغير ، فهذه بقايا الرفيع والوضيع ، ورفات الغني والفقير ، فمن يقدرُ ان يجد بينها فرقاً

الى هنا مصيرك يا ابن آدم مهمـا علوت وارتفعت . فجهلاً تتباهى وحمقاً تتفاخر وتعتزّ . ان الراقدين هنا كانوا مثلنا يعبرون نهر هذه الحياة فتردّد شواطئ النهر صدى أصواتهم وأغانيهم ، وها ان الموت قد أغلق أفواههم وأخمد أنفاسهم . . . تراءت لهم الدنيا بمجدها وزخرفها ، ومدت اليهم كأس ملذاتها ، فمدوا يدهم لارتشاف هذه الكأس ، فانكسرت على أقدامهم . وتجلت لهم الحيـاة بمظهر الغادة الحسناء فنظروا اليهـا نظرة العاشق المتيم ، فاذا بها قد انقلبت شمطاء شنعاء ثم اضمحلت كالدخان

وبينما أنا أسير بين القبور أستنطق مرمرها الناصع وأناجي الراقدين تحت حجارتها اذ خيّل اليّ ان هاتفاً يقول :

كما أنتم كذا كنا كما صرنا تصيرونا

وخلت ان شبحاً قد خرج من كل ضريح وهو يشير اليّ بكفنه قائلاً :

قف واعتبر يا من ترى قبري وما بي قد جرى

بالأمس كنتُ نظيركم واليومَ صرتُ كما ترى

قل : ربنا ألطف بنـا وارحم عظاماً في الثرى

فوقفت واعتبرت وترحّمت . ثم خرجت من تلك المنازل مودّعاً الراقدين فيها متسائلاً : هل تطول غيبتي عنهم ، ام تكون عودتي اليهم قريبة لأودع حبيباً او نسيباً او لأرقد بينهم رقادي الاخير . . ؟

الشعر

قبل ان نعطي الكلام قياده ، ونلقي على كاهل القلم زمامه ، لا نرى بدأ من ان نعرّف ما هو المفهوم بالشعر عند أربابه وبماذا يختلف عن كل قول ليس بشعري

يطلقون لفظ الشعر اجمالاً على كل صناعة تقوم باظهار « الحسن البالغ » (Le Beau Idéal) ومن ثمَّ فقد يكون لحذّاق المصوّرين والموسيقيين وغيرهم نصيب في ذلك كما لصانع الشعر بالقول

أما على سبيل التخصيص ، فالشعر حقيقةً هو القول الذي يُظهر « الحسن البالغ » بالاقاويل الشعرية وهي الاقاويل المخيّلة فقط — اعني الغير موزونة — فالوزن واللحن

والمراد بالوزن العروض ، وهو رصف اللفظ وسبكه في قالب القريض . ويراد باللحن الانغام التي تحدث من الوزن عند نظم الكلام وسبكه في مهيع التفاعيل ، فاللحن اذن داخل تحت حكم القول الموزون . انما في بعض الاشعار يتولّد اللحن بنوع خصوصي بواسطة تطابق ألفاظ وتجانس حركات ، فتنبعث نغمات اكثر مما في سواها مثلما في نوع

الموشحات التي استنبطها أهل الاندلس وفي الازجال (راجع تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر تأليف ابي الوليد بن رشد)

وقد ينفرد على حدة كل من الاقاويل المخيلة والوزن واللحن فنرى المحاكاة المخيّلة في الاوصاف ونرى الوزن في الرقص واللحن في الزّمر وآلات الطرب كافة

والمفهوم عند الفريق العظيم من بني نحلتي إلّا أقل السواد الأعظم ، ان الشعر هو كل قول منظوم ومقفّى بدون اعتبار المعنى الشعري ركناً ضرورياً له . على ان في هذا الاعتقاد شططاً فاحشاً ، ومن ذهب هذا المذهب قل عنهُ ولا حرج بانهُ لا يفقه معنى الشعر ولو كان من الذين امتطوا متنه وتقلدوا أعنّته . فقد يدعى شعراً — وهو ليس منهُ — بعض أقاويل منظومة اذ انها لا تتضمن الا الوزن فقط وقد قيل : الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وما سوى ذلك فان لقائله فضل الوزن

ومثيل ذلك كثير في كل اللغات كاقوال سقراط وانبادقليس في الطبيعيات وكل من استخدم الشعر في الرياضيات وعلم الهيئة والآداب

ولا مشاحة في ان الأقاويل المخيلة فقط كالأوصاف وغيرها أقرب الى حقيقة الشعر وأحق بأن تدعى شعرية من منظومات هؤلاء الذين نظروا بها الآداب او قواعد الاعراب ودوّنوا فوائد علمية او فلسفية لان كل هذا خارج عن حدّ « الحسن البالغ » أللهمّ الا اذا التجئ الى صورة الشعر الحقيقية وطلاوة طرازه فلم يفتهم ضرب التخييل ولا روح الشعر

كما فعل هوراس الروماني في الصناعة الشعرية وحذا حذوه بوالو الفرنساوي فانه والحق يقال تلطف في تأدية القواعد واودعها قالب القريض بصورة بديعة النزعة حتى جاء نظمه من باب الشعر

الشعر اذن وُضع ليمثل كل حسن سيان أدبي او مادي ، وكان من شأنه ان ينفذ الى النفس فيحرك أوتارها مثل ذلك في وصف الخيال والجمال والصفاء والسناء والمكرمات وكل شيء تنبسط له النفس وتجدّ اليه كما في وصف مشاهد الكون الجميلة من رياض باسمة وبدور ساطعة وبقاع شاسعة وبحار واسعة

وليس من خواص الشعر ولا من مواده سنّ الشرائع ونشر الحقائق وتدوين الوقائع والحوادث التاريخية

ولربما التجئ في الشعر الى استعارة ما لا يدخل في صناعتهِ متى كان ذلك على سبيل التشبيه على شريطة ان يكون التشبيه واقعاً ومألوفاً كقول الطغرائي في لاميته :

لو ان في شرف المأوى بلوغ مُنًى   لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ

فهذا القول وان كان من قضايا علم الهيئة الا ان فيه تشبيهاً يقرّب المعنى ويكسبه طلاوة

وبعد ما تقدم يمكننا النظر في الشعر من الوجهة المعنوية والوجهة اللفظية وهذا ما نراه في مقال آت

حلمي المصري



رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الثالثة

من كليوپاطره الى انطونيوس (١)

تحية وسلام يحملهما رسول كليوپاطره حاكمة النيل المبارك ، وسليلة البطالسة العظام ، الى انطونيوس الشريف ، النسر الجاثم على ضفاف التيبر

مرَّت أربع سنوات على هجرك هـذه البلاد التي دعاها آبائي في

(١) انطونيوس هو قائد روماني شهير أقام في رومة بعد انتصاره على بروتوس وكاسيوس (سنة ٤٢ ق م) حكومة ثلاثية (Triumvirat) ألّفها مع أُكتافيوس وليبدوس ، ثم سار من الغرب الى الشرق غازياً فأسره حبّ كليوپاطره ملكة مصر الموصوفة بجمالها ، وكان القيصر قد وقع قبله في حبالها . ولما اشتدَّ الخلاف بينه وبين زميليهِ في الحكومة الرومانيـة ، كان له في ملكة مصر حليفة شديدة . ولكنهُ انكسر في موقعة اكسيوم البحرية وحوصر في الاسكندرية فانتحر . ولما بلغ كليوپاطره خبر انكسار حليفها وحبيبهـا أطلقت على نفسها أفعى فماتت بسمها (سنة ٣٠ ق م)

وكليوپاطره من اكثر نساء التـاريخ شهرةً بجمالها ونفوذها الغريب . وقد أشار بسكال الى هذا النفوذ في خواطره حيث قال « لو كان أنف كليوپاطره اصغر مما كان لكان قلب وجه العالم » . وقد أفرغت حكايتهـا مع القائد الروماني في روايات تمثيلية كثيرة ، اشهرها رواية شكسبير الانكليزي التي مثّلت لأول مرَّة سنة ١٦٠٨ (الزهور)

القديم الارض المظللة باجنحة المجد والملائكة . قد عبثتَ بهبة الزُهرة وهجرت هيكلها الذي فتحتُ لك فيهِ قلبي وخضدت شوكة كبريائي لانني أحببتك غير حبي لسلفك القيصر وأردت ان أرى عرشك بقربي على ضفاف هذا النهر المقدس . أحللتني في قلبك الى ان سحرتك عذارى « ڤستا » في شخص « اوكتاڤيا » الفاتنة فسدلت على الماضي حجاباً من النسيان وأغواك عرش « روملس » ففضلتهُ على عرشٍ أمجد في قلب امرأة طالما تمنى القياصرة والاكاسرة ان يركعوا عند موطىء قدميها

كلما قارب الاله « را » ان يحتجب وراء الافق ويغطس خلف أمواج الابدية حمّلتهُ لك تحياتٍ ازكى من الطيب الآتي من الجنوب ، وأنقى من النسمات المنبعثة من الرياحين . ذلك لان الشعلة المقدسة لا تزال متأججة في احشائي ولا تطفئها الاّ رفرفة الاجنحة — اجنحة ذلك النسر الذي يتنقل الآن بين عذارى « ڤستا » كما تتنقل الفراشة في الحقول . فلتنشر تلك الفراشة أجنحتها الذهبية وتعبر أمواج الابدية راجعة الى حيث الازهار والرياحين

ولقد كنت أظنك ايها القائد الشريف تكتفي بما قد نلته من جاه ومنعة، وتمسك عنان مطامعك عند الحد الذي بلغته من الشهرة والعظمة . فانني أتمثل شبحك الهائل والمحبوب معاً — وقد ثبّتّ قدمك الواحدة على ضفاف التيبر ، والاخرى على ضفاف الفرات ، فلم يبقَ أمامك مزيد للشهرة الا في مخيلة الآلهة . لذلك أحبتك العذارى وصارت كل منهنّ تتغنى لك بنشيد ذلك الحكيم العبراني القائل « أنا سمراء وجميلة يا بنات

الزهرة . لا تنظرنَّ اليَّ لكوني سمراء لأن الشمس قد لوّحتني . بنو أمي غضبوا عليَّ فجعلوني ناطورة الكروم »

كن معافىً ايها الشريف انطونيوس . ولتحرسك الآلهة من قسيّ الاعداء . ولكن لا تنسَ وأنت مستوٍ على منصة « سلقيا » ان في الاقاليم البعيدة عن حقول « اريكية » مليكةً تضحي بتاجها في سبيل مسرتك ولا ينعم لها بال الا اذا أشرقت عليها أشعة ابتسامتك . فتعال نتمتع بهذه الحياة في حمى « افروديتي » . تعال نقم لها معبداً في حقول الآلهة فنأكل ونشرب لأن غداً نموت . لا تغرنك بسطة الملك وسعة الجاه فان الحياة مستمدة من أشعة الزهرة لا من سهام «مارس» وكرسي « رعمسيس» ليس أقلّ مجداً من عرش « روملس » . تعال . تعال . لأن الحياة أقصر من أيام البنفسج ، والأحلام التي أتعلل بها أبهج من ان يتمتع بها بنو البشر

قد أعددت لك فلكاً ينسيك قصور رومية وعطرته بأريج يزري برياحين مادي وفارس وجعلت لك فيهِ من العبيد والاماء ما سوف تحسدنا عليهم الآلهة . فهلمَّ اليَّ يا ساحر رومية وصديق القيصر . هلمَّ واسمع أناشيد الحب التي تلهج بها شفتاي . ان كان التيبر قد سحرك فالنيل يفك عنك قيود ذلك السحر . او كانت تلال البلاتين قد اغوتك فان اهرام الفراعنة تكون موطئاً لقدميك . والأرض المظللة باجنحة المجد والملائكة ترحب بك اينما حللت وحيثما أتيت

ان رسولي الذي يحمل رسالتي هذه اليك يحمل ايضاً معه قارورة

طيب تقيك نبال الحاسدين وترشدك الى حيث تقيم من هي مقيمة على عهود هواك . كن معافىً . ولتحرسك الآلهة

من كليوباطرة
وارثة النيل

(بقلم سليم عبد الأحد)

الحاجـــة

(العفة ثوبٌ تمزّقهُ الحاجة)

يا مثيرة الآمال ومنبهة الافكار ، وجالبة الشقاء والنار التي تذيب العزائم وتحرق القلوب وتذل العزيز وتدفع المضطر بيد القسوة والغلظة الى هاوية الجرائم والآثام . أنتِ الوباء الذي يفتك بالشرف والشعور ، أنتِ المجتثة لجذور الضمير من الصدور . أنتِ القادرة وحدكِ على انزال الشهب من أفلاكها والملوك من عروشها وابراز الحقائق من مكمنها واستخراج اللآلئ من أصدافها

كم ذات خدر طلعتِ عليها وهي في وحدتها تناجي ربها ، وترجو منه افراج كربتها ، فانقضضتِ عليها انقضاض الباز على الورقاء ، وأنشبتِ فيها مخالبكِ الحديدية حتى ضيقتِ عليها الانفاس ، وأريتها سبيل العيش اكثر سواداً من جناح الغراب وأضيق من سمّ الخياط

كم حليم أخذتِ عليه مسالك التسامح ، وكم كريم بلعتِ ما كانت تجود به كفه ، وكم ابيٍّ راضٍ بيومه باسم لغده غير باكٍ على أمسه تخللتِ منه بين تيار العقل والقلب ، وزينتِ له طريق الشر وهي منضدة بالنضار والتبر . فأثرتِ فيه شجوناً لذاعة لحشاه لم يقدر على اخمادها حتى قضيتِ

فيه مأربك وبلغتِ منه مرامكِ . . .

بيدكِ الاثيمة – ايتها الحاجة – تُبذل الاعراض ، وتنهتك الحرائر ، وتنضب مياه الوجوه

وبيدكِ الاثيمة تفتح أبواب الشرور ، وتشاد هيا كل الرذيلة ، وتحفر القبور لوأد العفاف والشرف والضمير

وأنفاسكِ المستعرة بنار الشهوة تمرّ على الجباه العالية والانوف الشماء فتترك عليها أثراً من دخانها الاسود يجذبها للتمرغ في جحيم الرذائل

ليتكِ تخلعين عن منكبيكِ دثار الخفاء ، وتظهرين أمام عين الرائي كما تظهر أفعالكِ الخبيثة ، اذن لجرّدتُ من عزيمتي ماضياً أغمده في صدركِ . اذن لأرحت العالم من شرّكِ وبدّلت هذا الناموس الفاسد الذي يسيرون عليه ، وأطلقتهم من عقال الهم والشقاء ، وأريتهم كيف يكون الهناء في العيش وأين يجدون السعادة التي ينشدونها ؟

(مصر)　　　　محمد شريف وصفي

حقائق

رُفع ستار ليل ٤ يونيو ، فظهرت ألسنة النور المندلعة من فم الشمس . وكأنما هي ثكلت أولادها ، فباتت تندبهم فأصبحت متلهبة الأنفاس محروقة الكبد تذيب دماغ الضب

استعاذ الناس بمن لو أراد لأثلج كبدها وقالوا : ألهمَّ انك خالق

الانسان وعالم بمقدار ما وهبتهُ من القوة ، وما ابتليتهُ بهِ من الضعف ، وهو مسيَّر بمشيئتك ان تشأ فرَّجت عنهُ بنسيم بليل يُنعش قواه ، وان تشأ جعلت له في دنياه درساً وعظة ففتحت عليهِ ثغرة من ثغرات جهنم

سمع الله نداءهم وحال بينهم وبين ألسنة اللهيب ببساط من الغيوم بل قل ببساط من رحمتهِ

احتكت السحب فأرعدت ، وما هو في الحقيقة الاَّ صوت من قبل الله لمن يذّكر او يخشى يقول : اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بها ولا تكفرون . . . ثم دمعت عيناها فبللت وجه الارض وغسلت أوراق الشجر ، فسكن الغبار وصحا الجو وظهرت الطبيعة بأجمل مظاهرها

نظرت بعد ذلك الطير وقد اجتمعت فوق الاغصان فأقامت الصلاة لله خاشعة مؤتمة بكبيرلها وسمعت القمريّ الى جانبها يذكر الله ، كأنه المقرئ يرتل سورة الكهف يوم جمعة في مسجد ، او الأرغن يلحن الترنيات الالهية في كنيسة يوم أحد

نظرت الظباء وقد سرحت في مراعيها تحت ظل الادغال بجانب الآساد والذئاب كأنما هي بالبيت الحرام في شهر المحرّم وسمعتها تهمس بذكر الله الذي بدلها عن الشر خيراً

نظرت نهر النيل وقد مخض مياهه فتلاطمت امواجه وتداخل بعضها في بعض فظهر سطحه كقباب من الفضة متجاورة صفّت صفاً صفاً وكأنما قد ركبت على زئبق فهي دائمة الحركة ، وسمعت من حركتها الحمد لله والثناء عليه

نظرت الاشجار فاذا بها تهتز يمنة ويسرة كأنها صفوف من ارباب الطرق والاشاير يذكرون الله قياماً وقعوداً

نظرت ثنيات الهضاب والجبال تتثنى تحت رشاش دموع السحب فتحسبها المولوية ترقص على نغمات الناي

نظرت ما نظرت وسمعت ما سمعت ، فقلت : تباركت يا ذا الجلال والاكرام فهذه الكائنات كلها تحمدل بآلائك وتثني على نعمائك

وبينا أنا أمتع نظري بهذه المرئيات اذ أوحت اليَّ الامّارة بالسوء ان انظر الى اكمل وأبدع هذه المخلوقات وهو الانسان هل حمد الله وأثنى على نعمته التي أنعم عليه بها ؟

أجبت وقد تميزت من الغيظ : تباً لكِ من نفس سيئة الظن ، أتحسبين ان الانسان ، وهو سلطان هذه الكائنات ، لا يشكر فضلاً ولا يذكر جميلاً ؟

قالت : ليس الخبر كالخُبر وحبذا لو كذب حدسي وخاب ظني

قمت وانا حانق على نفسي ، ومررت في طريقي بحانات الخمر ومحال اللهو والقصف ، فوجدتها غاصة بالناس على اختلاف طبقاتهم ونحلهم وبين ايديهم كؤوس ام الكبائر ، يدور بها فتيان وفتيات ، سمعت من فاجر القول وفاحش اللهجة ما أبدل سروري حزناً ، سمعتهم يقولون ما احلى السكر وما اجمل الخمر في هذا اليوم الصحو الذي لا يصلح معه الاَّ اللهو ، ولا تُظهر محاسنه غير الخلاعة ، ولا ينعش الفؤاد فيه الاَّ ما حرّم الله !!!

نظرت ذلك وسمعت وقارنته بما نظرت وسمعت من الطير والحيوان ، بل من الاشجار والجبال ، فوددت لو مسخ الله ابن آدم فصار حجراً ولو أنطق تلك الحيوانات ودبت الروح في تلك الجبال والاشجار ، لكي يتبدل العالم الفاسد بآخر نقي الذيل نقي القلب لا فجور فيه ولا فحش ، واستغفر الله وأتوب اليه واليه المرجع والمآب ؟

عطبره (السودان)　　**محمد فاضل**

في جنائن الغرب

ضعة الانسان

خواطر ايسكال [1]

لا شيء يثبت للانسان حقارة قدره كنظره في العلة الحقيقية لاضطرابه المستمرّ الذي يقضي به أمد الحياة . . .

---

(١) پسكال كاتب وفيلسوف فرنسوي وُلد في مدينة كليرمون سنة ١٦٢٣ وتوفي سنة ١٦٦٢ وروت شقيقته التي دونت ترجمة حياته انهُ ما كاد يبلغ الثانية عشرة من عمره حتى توصل دون مساعدة أحد الى حل الاقتراحات الهندسية التي وضعها اقليدُس العالِم اليوناني . وكتب في السادسة عشرة من سنه رسالة في علم الهندسة دهش لها الفيلسوف ديكارت لما فيها من دقة الملاحظات . وبعد ذلك بسنتين اخترع آلة للحساب . ويرجع اليهِ الفضل في تقرير نواميس ثقل الهواء وتوازن الموائع والضغط بالماء الخ . وعلى أثر حادث أصابهُ انقطع الى بور رويال Port Royal وهو دير شهير كان يؤمهُ رهط من كبار العلماء . ولما انتصر مريدو

طُرحت النفس في الجسد لتحل به زمناً قصيراً ... تعلم ان العيش في الدنيا هو مسلك يؤدي الى سفرٍ أبدي وانها لا تملك من الوقت للتأهب له غير زمن وجيز مدة عيشها في هذا الوجود . وحاجاتها الطبيعية تسلبها النصيب الاوفر من هذا الوقت ، فلا يبقى لديها سوى النزر القليل تصرفه طوع ارادتها . ولكن هذه البقية اليسيرة تزعجها وتهمها حتى انها لا تفكر الا في اضاعتها . لأن اكراه النفس على مؤانسة نفسها وسوامها الفكر في ماهيتها كربة هي لا تطيق الصبر عليها . ولذا كان همها الاول ان تتغافل عنها فتدع هذا الوقت القصير الثمين يمرّ بلا تروٍّ لاهية بما يشغلها عن الفكر فيها

ضعة الانسان رائد كل ملاهيه ذات الجلبة والضوضاء وكل ما يدعونه لهواً ولعباً فانه في حقيقة أمره لا يريد به الا ان يقطع الوقت دون ان يشعر بهِ او بالحري دون ان يشعر بنفسه فيقيها باضاعته ذلك الشطر من حياتها الغم والكره لذاتها اللذين هما لا محالة عاقبة التأمل فيها . لا ترى النفس منها شيئاً يسرها ، لا ترى الا ما يحزنها كلما امعنت النظر في ذاتها فهذا الذي يلجئها الى المعاشرة ويكلفها بشغلها في الامور الخارجية ان تبحث عما يفقدها ذكرى حالتها الحقيقية . فان سرورها كله متوقف على

هذا المكان الى بدعة جانسنيوس – وهم المعروفون بالجانسنيست Jansénistes كان پسكال من أشد انصاره فكتب رسائله الشهيرة Les Provinciales تحامل فيهِ على مخالفيهِ في المذهب تحاملاً شديداً . واشهر كتاباته كتاب « الخواطر »

(الزهور)

هذا النسيان وليس لمن أرادها شقية بائسة سوى ان يلزمها مشاهدة نفسها وملازمتها

* * *

للطبيعة كمالات لتظهر للعالم انها صورة الله . ولها نقائص لتريهم انها صورته فقط

* * *

أهون على المرء تكبد الموت دون الفكر فيهِ من الفكر في الموت دون تكبده

* * *

انما الانسان في الدنيا قصبة واهنة ، أوهن قصبة في الخليقة ، لكنه قصبة مفكّرة . ليس للكون ان يتحالف عليهِ ليسحقه فقليل من البخار ، او نقطة من الماء كافية لتقتله . على انه وان سحقه الكون باسره فهو يظل أرفع مما يسحقه لانه يموت وهو عالم بموته والكون غير شاعر بغلبته عليه

* * *

يعرف الرجل انه شقي ، فهو شقي لانه يشعر بشقائه ، لكنه كبير لانه يعرف هذا الشقاء

قليل يسلينا لان قليلاً يشجينا

* * *

ازدراء الفلسفة عين الفلسفة

* * *

بلغ الزهو من الانسان ان يتمنى الشهرة في أقاصي الارض حتى يلهج بذكره كل قاطن فيها بعده ، وبلغ العجب منه ان يضطرب فرحاً بما

يلقاه من الاكرام والحظوة لدى خمسة او ستة من اقرانه

***

اننا لا تقنع بحياتنا الطبيعية التي وُهبت لنا منذ نشأتنا ، بل نطمع في ان نحيا في مخيلة الناس حياة وهمية ، ولذا نكلف انفسنا ان تمثُل بينهم في مظهر غير مظهرها

***

بلغ الجنون من الناس ان يروا العاقل بينهم مجنونا

***

شقاوة الانسان برهان على جلاله ، فهي شقاوة سيدٍ كبير وملاك معدَم

***

اذا ترقب الانسان فكره في جميع هواجسه ، رآه ابداً دائم الشغل بماضيه ومستقبله . فيكاد الانسان لا يفكر في حاضره الا لينير به غلس مستقبله . فليس الحاضر غرضه وما ماضيه وحاضره سوى عدة مستقبله... المستقبل فقط مطمحاً بصاره فهو في الحقيقة لا يعيش بل يؤمل ان يعيش

***

من أراد ان يتحقق زهو الانسان وبطله فعليه ان يتأمل اسباب حبه ونتائجه . اما اسبابه فغامضة مجهولة ، واما نتائجه فهائلة مروعة . هذا السبب المجهول ، هذا اليسير الذي تتعذر معرفته يقلب الأرض بطناً لظهر ، ويزعج الامراء ويقلق الجيوش ويحرك الدنيا باسرها . . .

***

لو كان أنف كليوپاطره أصغر حجماً لتغيرت حال البسيطة برمتها [١]

*
* *

اوشك كرومول [٢] ان يخرب النصرانية ، ويحط الاسرة المالكة الى الحضيض ، ويرفع عائلته الى الاوج لولا حبة رمل صغيرة حلت من جسمه في مجرى البول . ولكن هذه الحبة الصغيرة التي لم يكن ليعتد بها اينما وجدت كفت وقد حلت في هذا المحل لتقتله وتحط عائلته وتعيد الملك الى العرش

*
* *

وجهان متشابهان لا يُضحك كل منهما على حدته يُضحكان بتشابههما اذا شوهدا معاً

*
* *

نرى حادثاً يتكرر أمامنا على هيئة واحدة فنقضي من تواتره بوجوب حدوثه كما نعتقد اعقاب الصبح للدجى . على انه كثيراً ما تكذبنا الطبيعة فانه لا شيء يضبطها حتى ولا نواميسها　　　تعريب — عزيز مرزا

---

(١) راجع ما جاء في هذا الصدد في « رسائل غرام » في حاشية ص ٣٤٩ من هذا العدد　　(٢) كرومول (Cromwell) (١٥٩٩ — ١٦٥٨) زعيم الثورة الانكليزية التي ذهب الملك شارل الاول ضحيتها وقد تمكن من قلب الملكية ودُعي « حامي جمهورية انكلترا » . ولكنهُ ما لبث ان توفي بداء الرمل فتقوَّض البنيان الذي شاده بالدهاء والإقدام

في حدائق العرب

﴿ الزوج والزوجة ﴾

قال رجل للحسن : ان لي بنيـة فمن ترى ان ازوجها ؟ — قال : زوّجها ممن يتقي الله ، فان أحبها اكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها

***

وقيل ايضاً للحسن : فلان خطب الينا فلانة ، قال : أهو موسر من عقل ودين ؟ — قال : نعم . — قال : فزوّجوه

***

قال الاصمعي : أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مقلاً ، فخطب اليه مكثر من مال مقلٌّ من عقل . فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يزيد ، فقال : لا تفعل ولا تزوّج الا عاقلاً ديّناً ، فانه ان لم يكرمها لم يظلمهـا . ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء ، فقـال له : زوّجه فان ماله لها، وحمقه على نفسه . فزوّجه فرأى منهُ ما يكره في نفسه وابنته ، فانشد :

ألهفي اذ عصيتُ أبا يزيد ولهفي اذ أطعت أبا العلاء
وكانت هفوةٌ من غير ريح وكانت زلقة من غير ماء

***

خطب عمرو بن حجر الى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم أياس ، فقال : نعم ازوجكها على ان اسمي بنيها ، وازوّج بناتها . فقال عمرو بن

حجر : اما بنونا فنسميهم باسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، واما بناتنا فنزوجهنّ اكفاءهنّ من الملوك ، ولكني اصدقها عقاراً في كندة وأمنحها حاجات قومها فلا تردّ لأحد منهم حاجة

فقبل ذلك منه أبوها وزوّجه اياها ، وخلت بها أمها فقالت :

اي بنية ، انكِ فارقت بيتكِ الذي منهُ خرجتِ ، وعشكِ الذي منهُ درجتِ ، الى رجل لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه فكوني له امة يكن لكِ عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

اما الاولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له بالطاعة

واما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وانفه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيح ، ولا يشمّ منكِ الا أطيب ريح

واما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة

واما السابعة والثامنة ، فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير

واما التاسعة والعاشرة ، فلا تعصين له أمراً ، ولا تفشين له سراً ، فانكِ ان خالفتِ أمره اوغرتِ صدره ، وان أفشيتِ سرّه لم تأمني غدره ثم اياكِ والفرح بين يديه اذا كان مهتماً ، والكآبة بين يديه اذا كان فرحاً

فولدت له الحرث بن عمرو جدّ امرئ القيس

***

قال ابن عبد ربهِ : الهناء كلهُ مقصور على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة . والبلاء كلهُ موكول بالقرينـة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقرّ العين برؤيتها

***

ذكروا انــ هنداً ابنة عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبتِ انك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي . فعرض لي معهُ ما عرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض عليَّ أمره وتبين لي خصاله

فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوهـا وهو يقول :

أتاكِ سهيلٌ وابن حرب وفيهما رضاً لكِ يا هند الهنود ومقنعُ
وما منهمـا الا يُعاش بفضله وما منهمـا الا يضرُّ وينفعُ
وما منهمـا الا كريم مرزّأٌ وما منهمـا الا اغرّ سميذعُ
فدونك فاختاري فانتِ بصيرة ولا تخدعي ان المخادعَ يُخدعُ

قالت : يا أبتِ والله ما أصنع بهـذا شيئاً ، ولكن فسّر لي أمرهما وبيّن لي خصالهما حتى أختار لنفسي أشدهما موافقةً لي . فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال : أما أحدهما ففي ثروة وسعة من العيش ، ان تابعتهِ تابعك وان ملتِ عنهُ حطّ اليكِ تحكمين في أهله وماله . وأما الآخر فموسعٌ عليهِ منظور اليهِ في الحسب والنسب والرأي الأريب مدرهُ أرومتهِ وعزّ عشيرتهِ شديد الغيرة كبير الطهرة لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه عن أهله

فقالت : يا أبتِ الاول سيد مضياع للحرة فما عست ان تلين بعد اباثها وتضع تحت جناحهِ اذا تابعها بعلها فأشرت ، وخانها أهلها فامنت فساء عند ذلك حالها وقبح دلالها ، فان جاءت بولد احمقت ، وان انجبت فعن خطإٍ ما انجبت فاطوِ ذكر هذا عني ولا تسمهِ عليَّ بعد . واما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة ، واني للتي لا أريب له عشيرة فتعيّره ولا تصيّره بذعر فتضيره . واني لاخلاق مثل هذا لموافقة ، فزوجنيهِ — فزوجها من ابي سفيان فولدت له معاوية وقبله يزيد . وقد قال سهيل في ذلك شعراً . فبلغ أبا سفيان فقال : والله لو أعلم شيئاً يرضي سهيلاً سوى طلاق هند لفعلته . وتزوج سهيل بن عمرو بعد ذلك امرأة فولدت له ولداً . فبينا هو سائر معهُ اذ نظرا رجلاً يركب ناقة ويقود شاة . فقال لأبيـهِ : يا أبتِ هذه ابنة هذه (يريد الشاة ابنة الناقـة) فقال أبوه : يرحم الله هنداً — يعني ما كان من فراستها فيه

الحقائق عندهم

أوهام عندنا

ان القلب الذي لا يشعر بتألم الغير ، لقلبٌ قدَّ من جلمد الصخر ، لا يرى السعادة قط ، والانسان الذي لا يتألم لتألم أخيه الانسان ، لهو في شعوره وأمياله أقرب الى الجماد منهُ الى الحيوان

روح الانسان جزء من روح الله فكل من لا يعنى بترقية هـذا الجزء يصبح مسؤولاً امام الله والانسانية . . .

ليت شعري متى تقف انانية الرجل وحيوانيته عند حدّ يسمح لهذا الجزء بالرقيّ الى أسمى درجات الكمال الادبي ؟ . .

متى تفيق هذه النفس المتخدرة أعصابها بملاذ المحسوسات الخارجية، المعرضة عن الاصغاء الى نغماتها الداخلية ، اللاهية بزخرف المرئيات التي تجعلها آلة في يد ما يحدثه محيطها من المؤثرات الخادعة ؟ . .

متى تحسّ هذه النفس الملتحفة باسمال العار الثملة من سورات الرخاء ؟ شعلة رفق وحنان تذكرها باختها أليفة الهم والكرب ، حليفة الجهاد والعمل ، ربّة الخلّة والعيال ، نزيلة الكوخ والغار فتأوي الى مفاقرها ، وتلوي الى تخفيف أثقال أبهظت كاهلها ، وفتت في ساعدها ، وخلفتها كالارض البراح مضرعة مستضعفة في زوايا هذا الكيان ! . .

ثمانون قرناً مرّت على هذا المجتمع ، وويلات البشرية المتألمة لم تخفف بعد ؟

آلامها التي كانت ترزح تحتها هي نفس الآلام التي لا تزال تئن منها ، والقروح التي كانت بالأمس تأكل لحمها هي نفس القروح التي تنخر اليوم عظمها

جمود مستولٍ على الطبقة العليا من بني الانسان ، قاضٍ على شعورها ، حائل دون رقيّ روحها ، ولولاه لما رأينا الشقوة تبلغ حدها من هذا الوجود المملوء اوزاراً وأتعاباً !

هذا الوجود ، الذي يمثل الحاكم الظالم والشعب الخائن ، بعيد عن العمران آئل الى الانتقاض

لو علم الظالم انه باستقلاله الرعية واستذلالها يزيد عذابه في محكمة الخلود ، وان لا مفرّ للخائن من عذاب الضمير وتعنيف الوجدان ، اذا هو أفلت من يد القانون ، لما ظلم الظالم ولما خان الخائن

ولو كنت ممن يعتقدون بمذهب اليسيمسم القائل بتقلص الخير تقلصاً تدريجياً من هذا الكون الفاسد وسيادة الشر فيه لتمنيت مع هارتمان الالماني ان تثور شرارة كهربائية فتحرق البشر في أقل من لمح البصر

ولكني ادين بدين ليس في شيء من هذا المعتقد الوهم المناقض لقاعدة بقاء الانسب ، والعامل على تقويض هذا المجتمع وتشنيعه بلا اثم ولا حرج

أدين بدين الحب أنى توجهت　　　ركائبه فالحب ديني وايماني

تأملات يتمخض بها فكر الكاتب في الصين فتلد فتصادف قلوباً واعية وآذاناً صاغية لربما أجزلت ثوابه واعلت جنابه . وحقائق لو قذفها يراع في بلادنا غتت بلادنا في الضحك منها وسخرت واستغربت وصعرت خدها وصخبت وجازته بالجبه والغلظة ، وما ذاك الا لأن الرقي في الصين – وهي في اول عهدها بالدستور يتحفز للانزلاق من حجر أمه ولا بد له من يوم يعض نواجذه ويبلغ أشده وهو عندنا موثوق بخناقه ، مخنوق بوثاق من لا مبدأ لهم ولا أخلاق

لو لم أدن بدين الحب ولو لم يتغلغل في فؤادي حبي لبلادي لحطمت هذه القصبة ، مجلبة المتربة ، وجلوت عن هذه البلاد مهد الخمول والشقاء ، وصقر المصلحين الادباء

ولو لم أعلم ان النفس لا تنتهج محجة الاهتداء ، ولا تخفُّ الى معالجة داثها العياء الا بالاستهداء الى عيبها ونقائصها ، وبالوقوف على ذامها ومغامزها لصوَّرت لبلادي الحسن قبيحاً والقبيح حسناً ، وأتيتها من خلب القول ما أقعدها عن كبير الفعل ، والسلام

بيت جالا (فلسطين)　　　　　　اسكندر الخوري

في رياض الشعر

المحبة

١

لولا المحبة لم تكن من الفةٍ　　　في العالمين ولا عهود اخاءُ
ولكان بذل النفس في نفع السوى　　　وهماً برأس الغول والعنقاءُ
فارعَ المحبة فالاله محبةٌ　　　في صنعهِ والذات والاسماءُ

٢

أجهلتَ انَّ من الفضائل كلها　　　غير المحبة لا يدوم ويخلدُ
لولا المحبة كان سكان الثرى　　　حطباً لها في كل أرضٍ موقدُ

ابراهيم الحوراني

وقفة

ولما استترنا بالظلام عن الورى　　　ولم نستطع ستراً عن الدمع والعتبِ
تنكّرني عزمي وغابت فصاحتي　　　فأنطقها صمتي وشجّعها رعبي

عبد الحليم المصري

﴿ بنتي ودواتي ﴾

تطوفُ في البيت مثلَ العصفور تطلبُ حبّا
حتى التقتْ باناء فيهِ الأرزُّ تخبا
تناولتهُ وألقت بهِ الى الأرض غضبى
وراءها ما أتتهُ فأسرعتْ تتخبا
حتى اذا صار أمناً ذاك الذي كان رعبا
وأيقنتْ انَّ ما قد جنتهُ لم يكُ ذنبا
دبَّتْ الى الحَبِّ دبًّا وأمعنت فيهِ نهبا

* * *

تزري الحبوب على الأرضِ وهي تضحكُ عجبا
فليس تقبل زجراً وليس تفهمُ عتبا
وتملأُ الأرض حَبّا وتملأ البيت حُبّا
فقلتُ يكفيكِ زرعاً لا ترتجي فيهِ خصبا
يا بنت قد ساءَ طفلٌ على العناد تربى
فاستضحكت فرحاً اذ ظنت اقول « المربى »

* * *

وكان عندي دواةٌ كم فرَّجت ليَ كربا
وسوَّدتْ لي حظًّا وبيَّضت ليَ قلبا
توهمتها اناء الحلوى فجاءتهُ وثبا
وهاجمتها تريد الحلوى غلاباً وغصبا
اردُّها لا تبالي أصدُّها هي تأبى

فكان موقفنا في الـ خصام يشبه حربا
تغلّبت وهي طفـلٌ والطفلُ يأنف غلبا
فكان حظ دواتي والحبرِ كسراً وصبّا

* * *

وارحمتـــــا لدواتي وقد سباها الأحبّا
كانت لدى الغزو تسبي فصارت اليومَ تُسبى

طانيوس عبده

﴿ الى اسماعيل باشا صبري ﴾

مما وجدناه في الاوراق الشعرية التي اهداها الينا حضرة حفني بك ناصف الابيات التاليـة وقد نظمها منذ سنوات في تهنئة صديقهِ اسماعيـل باشا صبري (وكيل الحقانية سابقاً) بوظيفة النائب العمومي :

لم ينلها سواك من اهل مصرِ والمعالي بالخاطب الكفءِ تدري
طمحت انفسٌ اليهـا فصانت حسنهـا عنهمو صيانة بكرِ
راودوها عن نفسها فاستخفت بنُهـــــاهم وقابلتهم بهجرِ
وابتغت كفأها فكنتَ رضاها فهي شمس جرت الى مستقرِ

ومنهـا :

أمضِ فينـا القانون لا فرق فيهِ بين زيدٍ من الرعايا وعمرِو
وانصر الحق ما استطعت وأصلح امره ان نصره خيرُ نصرِ
لا تكن ليناً فترمى بضعفٍ لا ولا جافياً فترمى بكسرِ
بين هذا وذاك نهجٌ حميـدٌ آمن من يجوزه كل شرِ

حفني ناصف

﴿ وصف القلم ﴾

(بعثها الشاعر الى صديق اهدى اليه قلماً محبراً)

اهديتني قلماً كي انشيءَ الكلما ... فبات شكرك عندي واجباً لزما

لا غرو ان يهديَ الاقلام ذو ادبٍ ... من معشرٍ عشقوا القرطاس والقلما

* * *

احسن بهِ اهيفاً لدن القوام متى ... يسر على الطرس يجعل رأسه قدما

يفترُّ حين يرى بيضَ الصحائف عن ... ثغر لطيف إخال الحبر فيهِ لمى

كأن من سود احداق الحسان له ... لوناً لذلك غير السحر ما رقما

كأن (ريشته) الصفراء قد طليت ... بذوب شمس فباتت تكشف الظلما

يكاد يغني عن التفكير صاحبه ... فيرقم الشعر جزل اللفظ منسجما

يكاد يبتكر المعنى البديع له ... ان شاء منتثراً او شاء منتظما

وقت السلام يسيل الماء منهُ لمن ... يصدى و يرعف في وقت الخصام دما

وتارةً تجتلى الانوار منهُ اذا ... جدَّ الحوار وطوراً يقذف الحمما

وليس ينضبُ منهُ الحبرُ فهو كمن ... اهداه يأنف ألاَّ يألف الكرما

يهوى الطروس فلم يبرح يدغدغها ... حباً فتلثم منهُ جبهة وفما

وحين يبكي تراها وهي ضاحكةٌ ... مثل الرياض اذا دمع السحاب همى

* * *

نعم الهدية جاءتني مخبرةً ... ان الهدايا (بمعناها) غلت قيما

فاقبل ثنائيَ منظوماً على عجلٍ ... ان الامين اذا حق الثنا نظما

امين ناصر الدين

الزهور السياسية

لعبت الزهور في التاريخ دوراً خطيراً ، وكان لها في الاحزاب السياسية شأن كبير . وكثيراً ما كانت — وهي رمز الحب والوداد — رمزاً للبغضاء والعدوان

كانت انجلترا في القرن الخامس عشر مرسحاً للحروب الاهليـة . وكانت فيها عائلتان تتنازعان الاستيلاء على العرش . هما عائلة يورك وعائلة لانكاستر . وقد جعلت الاولى شعارهـا وردةً بيضاء والأخرى وردة حمراء ، ورسمت كل منهما صورة الوردة على وساماتها وأسلحتها وأزرار ملابس جنودها . ودارت في ذاك الوقت حرب طاحنة عرفت بحرب الوردتين

وكان الناس في القرن الثامن عشر يعتنون اعتنـاءً كبيراً بالقرنفل الابيض ويفضلونه على جميع الازهار خصوصاً بعد قتـل الملك لويس السادس عشر

ومعلوم لدى كل من له المام بالتاريخ انـ الملكة ماري انتوانيت سجنت وكانت تنتظر المشنقة بين ساعة وأخرى، وفي خلال سجنها كان يحضر لها كل صباح شخص من الحزب الملكي لبث مجهولاً الى اليوم زهرة القرنفل الابيض فكانت الملكة تغرزها في منطقتها السوداء ومن ذلك الحين سمي القرنفـل الابيض زهرة الملكة وأخذت السيـدات يغرزنَ الازهار في مناطقهنّ بعد ان كنّ يحملنها على صدورهنّ

وفي عهد الاصلاح كان انصار العرش والكنيسة يتزينون بالقرنفل

الابيض ، وكان الاحرار يتزينون بالورد الاحمر . فكانت هـذه الزهور تدعو كل يوم الى معارك دموية ، فان كل حامل قرنفلة بيضاء عندما كان يصادف شخصاً في عروة ردائه وردة حمراء كان يقابله بالشتم والاهانة ، وقد قابل مرة في ليموج احد أنصار العرش شقيقه الذي كان من الاحرار وفي عروة ردائه وردة حمراء ولم يكن الواحد منهما من قبل يعرف مبدأ الآخر فتبارزا وقتل أحد الشقيقين شقيقه بسبب حمله الوردة الحمراء

وعلى عهد شارل الخامس كانت الافضلية بين الزهور في فرنسا لزهر الزنبق وهو زهرة ملوك فرنسا . غير ان نابوليون بونابارت قال قد انتهى عهد الزنبق واستبدله بزهر البنفسج الزكي الرائحة

وأقرب زمن الينا عهد الجنرال بولانجه فان هذا القائد اتخذ شعاراً له زهر القرنفل الاحمر فكان يتزين بهِ هو وجميع أنصاره

ثم ان غليوم جد امبراطور المانيا الحالي اتخـذ الريحان شعاراً له وأمر بجعله الزهر الوطني للامبراطورية الالمانية . ويقولون انه كان يجمع بنفسه باقات الريحـان في الحقول والسهول وهو زاحف على باريس في حرب السبعين التي قامت بين فرنسا وبروسيا

ثم ان الريحان والورد يعتبران الآن في نظر العالم انهما من اختصاص الامة الفرنسية . ولما احتفلت هذه الامة ببلوغ شاعرها المشهور فيكتور هوجو الثمانين من عمره أحاطت بهِ الشبيبة الفرنسية وعلى صدر كل فتاة زهرة ريحان او وردة وكذلك في عرى أردية الشبان

السنوسيون

طرابلس الغرب التي استعرت نار القتال بسببها بين الدولة العثمانية وايطاليا بلاد قاحلة وصحارى مترامية الاطراف متسعة الاكناف تبلغ مساحتها مليوناً و ٥١ ألف كيلومتر مربع وعدد سكانها لا يزيد على المليون بكثير . وقد عرف القراء من الصحف اليومية معظم ما تهم معرفته بشأنها ولكننا أحببنا ان نذكر لهم شيئاً عن قبائل السنوسيين الضاربة في كل شمالي افريقيا والتي كثر ذكرها في معرض الكلام عن تلك الحرب ، فنقول :

ان قبائل السنوسيين من أشهر قبائل الغرب واكثرها نزوعاً الى القتال وأشدها شغفاً بخوض غمرات الحرب ، وهي عزيزة الجانب نافذة الكلمة ، تكاد بنظامها تحاكي امارة من الامارات ، وبشجاعة افرادها تفوق الرجال ، وهي منتشرة في معظم تلك البقعة من افريقيا ، وقد لاقت منها فرنسا في الجزائر أهوالاً . ولا عجب اذا كانت قبائل السنوسيين ذات دربة في القتال وحنكة في الحرب فان موقع البلاد الضاربة فيها على طريق الغزاة الفاتحين . فدعاها ذلك الى المكافحة مدة عشرين قرناً ونيف . واذا كانت قد هدأت وسكنت في النصف الثاني من القرن المنصرم فالسبب في ذلك راجع الى شدة ما أصابها من جراء الحملة الفرنسوية الاولى سنة ١٨٥٢ وخصوصاً الحملة الثانية سنة ١٨٥٧

وتشهد باهمية ذلك الموقع من الوجهة العسكرية الحركات الحربية المتعددة التي جرت في تلك الانحاء . ففي هذه الاصقاع كان ممرّ الرومانيين والفندال والعرب ، وفيها كان معترك المراودة والمهاودة والمراونة بعد الفتح

الاسلامي ، كما ان سلاطين تلمسان وفاس قد تنازعوا السيادة هناك مدة ثلاثة قرون . وقام بعد ذلك مولاي اسماعيل معاصر لويس الرابع عشر ملك فرنسا واقفاً في وجه الاتراك الفاتحين في ذلك الموضع نفسه

وفي ذاك العهد كان السنوسيون منحازين الى صاحب الجزائر . ولربما كان مولاي اسماعيل اول من تمكن من اخضاعهم بعد حملتين قويتين حملهما عليهم سنة ١٦٧٩ و ١٦٨٠ فخرّب دورهم واقتلع آثارهم وانزل بهم الويلات حتى ساءت حالهم وتضعضعت اركانهم ، ولم يسالمهم الا بعد ان سلموا سلاحهم وخيولهم وبنى في جبالهم ثلاثة حصون منيعة

واول مقابلة في ساحة القتال بين الفرنسويين والسنوسيين كانت سنة ١٨٤٤ وكان عددهم الاكبر وبأسهم الأشد في جيش سيدي محمد الذي انتصر عليه المارشال بوجو في معركة إسلي . وقد كان هذا الانتصار عظيماً ، لكن المعاهدة التي تلته جرّت على الفرنسويين كل ما لاقوا بعد ذلك من الصعاب في تلك الامصار ، لانهم كانوا يجهلون تخطيط البلاد فقبلوا بتحديد التخوم الفاصلة كما عرضت عليهم فاصبح قسم من القبائل داخلاً في منطقة الحماية الفرنسوية وظل قسم كبير خارجاً عنها ، فصعب على فرنسا توطيد سلطتها في مستعمراتها الافريقية

على ان الجيوش الفرنسوية لم تتقيد في حملة ١٨٥٢ بنص المعاهدة ولم تحترم تلك الحدود . فقد جاء في تاريخ الجزائر تأليف بليسيه ده رينو ان الجنرال ده مونتوبان لم يخشَ ان يجتاز التخوم الفاصلة ، بل تعدّاها متتبعاً آثار السنوسيين ، وقد فعل الجنرال ماك ما هون فعله من جهة

حدود تونس دون ان يقوم من يعترض . وذلك لان أنظار الدول في ذاك العهد لم تكن متجهة الى ذلك القسم من افريقيا ، ولم يحتج السلطان عبد الرحمن صاحب مراكش لأن فرنسا كانت قد هددته بالزحف على بلاده اذا صدر منهُ ما يقلقها

اما السنوسيون فدفعتهم جرأتهم الى شن الغارة على القبائل الراضخة للفرنسويين ، فجندت فرنسا ٤,٥٠٠ مقاتل بين مشاة وفرسان . وزحفت الحملة الى جهة تخوم مراكش وكانت القبائل قد حشدت هناك جيشاً لا يقل عن ٦,٠٠٠ محارب . ولكنهُ لم يهاجم الفرنسويين بل اكتفى بمناوشات صغيرة مدة من الزمن ، ولما عولوا على الهجوم أصابهم الفشل وعادوا خاسرين . هذا أهم ما كان في حملة سنة ١٨٥٢

اما حملة ١٨٥٩ فانها كانت اكبر أهمية . وسببها ان رجلاً في بلاد الزاوية اسمه سيدي محمد بن عبد الله قام ونفخ في صدور السنوسيين روح الثورة والتمرد . فهجموا في شهر اغسطس من تلك السنة على سيدي ظاهر وكسروا الجنود الفرنسوية المرابطة هنالك وسلبوا القبائل الموالية لها . فلعبت برؤوسهم خمرة الانتصار وجمعوا جموعهم حتى بلغوا السبعة آلاف وهجموا على وادي التيولي فدحرتهم الجنود الفرنسوية فتقهقروا الى ما وراء التخوم واشتدت الفوضى في البلاد فعزمت فرنسا على ان تضرب الضربة القاضية فارسلت جيشاً يناهز العشرين ألف مقاتل بقيادة الجنرال ده مارتنبري فتحصنت القبائل في الجبال والمضايق . ولكن لما سدت في وجهها أبواب الفرج حضر الحاج ميمون أحد زعمائهم الى

مضرب الجنرال ده مارتنبري طالباً الأمان والسلم وقدم الرهائن ورضي بدفع ضريبة مئة فرنك عن كل بندقية

هذا بعض ما جرى لفرنسا مع السنوسيين ، وايطاليا الآن في اول عهد مناوشاتها معهم ، وهي لا شك لاقية من قوة بأسهم وشدة مراسهم ما يحملها الخسائر الباهظة بالمال والرجال

ونختم هذه اللمحة التاريخية الوجيزة بما كتبهُ عن السنوسيين أحد الصحافيين الافرنج الذين زاروا طرابلس الغرب منذ مدة قريبة قال ما ملخصه :

. . . . وبينما كنت سائراً في أحد الشوارع سمعت ضجة وأصواتاً تكاد تشق الفضاء وطبولاً تضرب ومزماراً يعزف ووقع حوافر جياد ، فوقفت لأفتح طريقاً لجمهور كبير عن الاولاد والبرابرة والسودانيين ، وما هي الا برهة وجيزة حتى علمت ان هذه الحفلة أُقيمت لشرذمة من فرسان السنوسيين قدموا الى طرابلس . . . سار الفرسان أربعة أربعة بنظام مدهش وترتيب عجيب : وجوه سوداء ورؤوس تعلوها عمائم بيضاء وقد التحفوا باردية بيضاء ايضاً (برانس) ، وبنادقهم مربوطة بسروج خيولهم والرماح على اكتافهم والسيوف متدلية الى جانبهم . سار موكب هؤلاء الفرسان بترتيب عسكري جميل ، وكانت ركاب الفارس ملتصقة بركاب الفارس المحاذي له ، وخيلهم تسير بخطوات منسقة على نقرات الطبول ونغمات المزمار . وقد وقفت عند مرورهم جامداً لا ابدي حراكاً وقد دهشت لجمالهم الرائع وسوادهم اللامع وصحة أبدانهم وطول قاماتهم ، وأيقنت انه لو تمّ تنظيمهم على الطرق العسكرية الحديثة لحاربوا

مملكة عظيمة وحدهم . وقد رأيت هؤلاء السنوسيين ايضاً في احدى قهوات طرابلس ، رأيتهم جلوساً وقد خيمت عليهم السكينة ، فلا ضجة ولا هرج بل كانوا كأنهم خارجون للانتقام وعلامات الرزانة والرصانة بادية على وجوههم . وقد جلست الى جانبهم أتأمل حالتهم ، وما هي الا هنيهة حتى رأيتهم وقفوا وبسرعة البرق امتطوا صهوات خيولهم ونظموا صفوفهم وساروا تكتنفهم الهيبة والوقار . . . »

هذا بعض الشيء عن السنوسيين الذين تعتمد عليهم الدولة الآن في رد غارات الطليان عن طرابلس الغرب

الوصايا العشر

« للنساء المتزوجات[1] »

وضع احدهم الوصايا العشر الآتية وهو يعتقد ان فيها سعادة النساء المتزوجات . فلتجربها قارئاتنا الكريمات وليعرّفنا مبلغ صحتها

١ — تحاشي الخلاف الاول مع زوجكِ ، ولكن اذا لم يكن بدٌّ من حدوثه فاعملي على الخروج منهُ منتصرة لان انتصارك الاول يرفع قدرك في عين رجلك

٢ — لا تنسي انكِ تزوجتِ رجلاً لا الهاً ، فتسامحي عن نقائصهِ

(١) نشرنا ص ٣٦١ وما يليها من هذا العدد بعض وصايا العرب للزوجات ورأينا ان نترجم للقراء والقارئات هنا للمقابلة وصايا وضعها أحد الكتاب المحدثين

٣ — لا تجعلي طلب الدراهم همكِ الوحيد مع زوجكِ ، بل اعملي على الاقتصاد مما يعطيكِ

٤ — اذا كنتِ تعتقدين ان زوجكِ بلا قلب فلا تعتقدي انهُ بلا معدة . واذا اعتنيتِ بمعدتهِ فانك تتوصلين بالطعام الجيد الى اكتساب قلبهِ

٥ — سلمي له بالحق من حين الى حين في الجدال ، فهذا مما يسره ولا يضركِ

٦ — اقرأي الجرائد والمجلات ليس فقط لمعرفة اخبار المودة والحوادث المختلفة بل ايضاً لمتابعة الحركة الفكرية والادبية ، فيبتهج زوجك عندما يراكِ قادرة ان تحدثيه بالعلوم والسياسة

٧ — لا تكوني فظة غليظة في جدالك مع زوجك ولا تكوني البادئة في الخلاف ، واعتبريه عادة أرقى منكِ

٨ — سلمي من حين الى حين بانهُ اكثر منكِ ادراكاً للامور واقدر على حل المشاكل ، ولا تعتقدي انكِ معصومة عن الغلط

٩ — اذا كان زوجكِ ذكياً عالماً فكوني صديقتهُ ، والاَّ فكوني صديقتهُ ومستشارته

١٠ — كوني كثيرة الاحترام لاهل زوجكِ وخصوصاً لأمهِ ، ولا تنسي انها أحبتهُ واعتنت به قبلك بكثير . . .

تقدم هذه النصائح للقارئات علهنَّ يجدنَ فيها السعادة والهناء . . .

ثمرات المطابع



الدكتور محمد عبد الحميد

طبيب مستشفى قليوب

وصاحب كتاب التشخيص الجراحي ، والحمل خارج الرحم ، والعملية القيصرية ، والعلاج بعد العمليات الخ

العلاج بعد العمليات[1] — تكلمنا في الجزء الأخير من «الزهور» ص ٣٢٨ عن كتاب « التشخيص الجراحي » الذي وضعه حضرة الدكتور محمد افندي عبد الحميد ، وأثنينا على همة هذا الطبيب البارع الدائب على اتحاف العالم العربي بانفس الكتب العلمية الطبية . ولم يخطئ ظننا بصديقنا الدكتور عبد الحميد ، فانه ما كاد يفرغ من كتابه المتقدم ذكره حتى زفّ الى القراء كتاباً آخر متمماً له لا يقلّ عنهُ نفعاً وفائدة ، وعنوانه يكفي للدلالة على أهمية موضوعه . فهو يتناول طرق العلاج الواجب اتباعها بعد كل عملية من العمليات الجراحية المختلفة اتماماً للشفاء وتفادياً من المضاعفات التي تطرأ عادة على المريض . وقد اعتمد في كتابه هذا على مؤلف شهير للعلامة لوكهارت ممري P. Lckhart Mummery فجاء البحث كافياً وافياً من حيث الموضوع ، طلياً واضحاً من حيث العبارة . اما الخدمة التي يقدمها الدكتور عبد الحميد فهي تعد من الاعمال التي يكفي ذكرها لاظهار فضل القائم بها . واذا نحن عرّفنا القراء اليوم بصورته المادية بعد ان عرفوا صورته الادبية فلكي نذيع فضله وأدبه ونلفت كل قراء «الزهور» الى كتبه النفيسة حيث يجدون الفوائد الكثيرة

تذكار المؤتمر القبطي[2] — هو من الكتب التي جاءتنا في عطلة الصيف فاضطررنا الى ارجاء الكلام عنهُ لليوم وان كان مضى على صدوره

(١) طبع بمطبعة التقدم عدد صفحاته ٣٢٢ ثمنه عشرون قرشاً صاغاً وهو يطلب من مؤلفهِ بقليوب (٢) طبع بمطبعة « الاخبار » عدد صفحاته ٣٦٧ وثمنه نصف ريال وهو يطلب من مؤلفه بمصر

بضعة أشهر . وهو كناية عن مجموعة رسائل مصورة بحث فيها واضعها حضرة الكاتب المعروف توفيق افندي حبيب المحرر في جريدة « الأخبار » بحثاً مسهباً في تاريخ المسألة القبطية والمؤتمر وما تُلي وجرى فيه من الخطب والمناقشات . ولحضرة المؤلف معرفة واهتمام بشؤون طائفته وله في هذه المواضيع كتابات اصلاحية نافعة ، وان كان بعضها لا يخلو من التطرف شأن كل الذين يحاولون بثّ روح جديدة في الاجسام القديمة . فعسى ان تحقق اماني النهضة التي يرجوها الكاتب الاديب

من أفواه الاسود [١] — نالت « رسائل الغرام » التي ينشرها حضرة الناثر الشاعر سليم افندي عبد الاحد في هذه المجلة تباعاً استحسان عموم القراء ، وراق الجميع حسن اسلوبها الكتابي وطلاوة انشائها . وقد أهدى الينا اليوم رواية بالعنوان المتقدم ترجمها عن الانجليزية وكان قد نشرها تباعاً في مجلة « الشرق والغرب » وهي كثيرة الوقائع متنوعة الحوادث رشيقة العبارة حسنة السبك مزينة برسوم جميلة وسيجد القراء فيها ما يلذهم

تاريخ حرب فرنسا والمانيا [٢] — توجهت الانظار في المدة الاخيرة الى فرنسا والمانيا بسبب اشتداد الازمة المراكشية فكان ظهور هذا الكتاب في اوانه وهو من قلم جرجي افندي يني الطرابلسي منشئ مجلة

---

(١) طبع بالمطبعة الانكليزية الامركانية ببولاق عدد صفحاته ١٩٦ وثمنه فرنك ما عدا اجرة البريد

(٢) طبع بالمطبعة الجمالية بمصر عدد صفحاته ٢١٦ وثمنه ١٢ غرشاً صاغاً

« المباحث » وقد عني باعادة طبعه بعد ما كان قد نشر في مجلة « الجنان » يوسف افندي توما البستاني وحبس ٢٠ في المئة من ثمنه لاعانة الاسطول العثماني . اما الكتاب فهو يتناول حوادث تلك الحرب الشعواء التي اتقدت نيرانها في السنة السبعين بين دولتي فرنسا وبروسيا وكان من أمرها ما كان ، وفيه رسوم أبطال تلك الوقائع الشهيرة . وكنا نتمنى زيادة اعتناء في ضبط أسماء الاعلام لا سيما وهي من الاسماء المشهورة ، فكثيراً ما ترد في الصفحة الواحدة مكتوبة على شكلين او مغلوطة في اكثر من حرف . وعلى كل فيسرنا زيادة انتشار الكتب المفيدة في لغتنا وهذا التاريخ منها

لغة العرب — لم يبقَ من حاجةٍ الى تعريف القراء بمراسلنا البغدادي العلامة المدقق فان ابحاثه عن بلاد العرب كان لها أجمل وقع عند العلماء وكنا قد أشرنا في الجزء الخامس من هذه السنة الى قرب اصداره مجلة في بغداد . وها قد أنفذ هذا المشروع وجاءتنا الاعداد الاولى من « لغة العرب » محققة ما كان ينتظر من أدبهِ الرائع وعلمهِ الواسع . وبدل الاشتراك في البلاد العربية ٩ فرنكات . والمكاتبة تكون بعنوان دير الآباء الكرمليين في بغداد او بعنوان « الزهور » بمصر

مجلة الآثار — مجلة اخرى ادبية علمية أصدرها كاتب مدقق معروف وهو عيسى افندي اسكندر المعلوف صاحب الآثار الادبية الكثيرة . وهي ستنال منزلة رفيعة في عالم الادب بهمة منشئها وسعة اطلاعهِ ونشاطهِ في العمل . قيمة الاشتراك : ريال ونصف . وفي البلاد الاجنبية ١٠ فرنكات

ازهار واشواك

مقاطعة الطليان

لا حديث للقوم ولا اهتمام لهم الاّ باخبار الحرب الدائرة رحاها بين الدولتين العثمانيــة والايطالية ، والصحف السياسية تواصل القراء صباح مساء بانباء آخر ساعة . واصحاب الغيرة الوطنية يدعون ذوي المروءة الى بذل الدرهم والتطوع للذود عن حياض الوطن ومقاطعة الطليان في صناعاتهم ومحصولاتهم ، ولستُ ادعو احداً من قرّائي الى امرٍ أحجم عنه ، فاني لا اخشى ان اقول « اخشى على فخّارتي ان تحطما » ولكنَّ هناك مقاطعة لغوية لا تجارية أحب أن اكون رافع لوائها . لم اعرف قطراً عربياً تفشّت لغة الطليان في لغة قومه تفشيها في لغة وادي النيل ، وان كانت الالفاظ العربية المشتقة من الطليانية وامها اللاتينية ليست بالشيء القليل ، على ان شيوعها في مصر بلغ حدّ التطرف . فاذا جلست في قهوة تسمع المصري الصعيدي الذي يبيع الخبز ينادي « عيش فينو » وبائع الحلوى يجيبه « طازه فريسكا » وبائع العصفور التيّان يصرخ « بكافيكا » الى غير ذلك « كالفراوله » و « اللامپا » و « اليپنا » واذا انتبهت الى حديث الشبان الذين على آخر مودة لا تسمع إلاَّ : كنت في التيرو (يعني صيد الحمام) وذاهب الى التياترو وامثال ذلك . واذا كنت في بيتك ساعة الظهيرة تسمع فجأةً صوتاً يشق الفضاء « روبا فكيا » يعني ملابس عتيقة للبيع . اما التجارة فتكاد لا تجد فيها مسمى غير ايطالي

الاسم كالمانيفستو والمايسترو والبلنشو والبروتستو وفرنكو بوردو الخ . انا لا أريد ان اكون لغوياً ثقيلاً متطرفاً ولكن كثرة الدخيل الايطالي الى لغتنا لما يكاد يفسدها علينا . فهيّا الى المقاطعة !

السلام التركي

أريد هذه المرة ان يُسرّ الوطنيون العثمانيون بازهاري واشواكي . فبعد ان دعوت الى مقاطعة الطليان ها انا داعٍ الى الاقتباس من الاتراك من حيث عادة السلام ... للتحية انواع كضرب القدم بالقدم أو حس الانف بالانف او غير ذلك من الاصطلاحات الغريبة ولكن الطريقة الاكثر شيوعاً هي المصافحة باليد ، وهي وان كانت تفضل سواها من انواع التحيات التي اشرت اليها على اني أفضل عليها السلام التركي وهو وضع اليد على الصدر فالفم فالرأس ، ولهذا التفضيل في نظري اسباب منها شعرية ومنها صحية ومنها عملية . من ذلك انك اذا حييتَ صديقاً على هذه الطريقة فكأنك تقول له : إن ذكرك في قلبي وعلى لساني وفي فكري . واذا سلّمت بالسلام التركي تأمن على نفسك من عدوى امراضٍ كثيرة تنتقل باللمس ناهيك بما يصيبك من مصافحة بعض الأيدي من الاشمئزاز وخصوصاً في ايام الصيف . والاطباء يوافقوني على ذلك . والعامة تقول عن الرجل الطمّاع « اذا صافحته فعدّ اصابعك » فسلّم دائماً سلاماً تركياً تأمن على اصابعك العشر . واذا دخلت الى مجتمع عام وحاولت ان تسلّم بالطريقة المعتادة اعني بالمصافحة

فانك تحدث تبلبلاً يزعجك ويزعج المجتمعين ، وكثيراً ما لا تعرف بمن تبتدئ ولا بمن تنتهي . اما اذا سلّمت كما اشير فانك باشارة لطيفة تحيّي الجميع بكل سرعةٍ وأدب دون أن تُزعج او تنزعج . وفي الختام اترك قلمي واضع يدي على صدري ففمي فرأسي وأحييك ايها القارئ العزيز تحية تركية استنابولية ولن اصافحك بعد اليوم . . .

في منزل سليم سركيس

اجتمع في الاسبوع الماضي رهطٌ من الافاضل وفيهم الباشا والبك والشيخ والاديب والشاعر والطبيب والتاجر احتفاءً بالسيدة نجلا صباغ صديقة سليم سركيس وصاحبة الايادي البيضاء على المشروعات الادبية والاجتماعية في الديار الاميركية . جمع سركيس نخبةً من اصدقائهِ (من كل الثمر) في هذه الحفلة الزاهرة ولكني لم أرَ بينهم محامياً واحداً فقلت في نفسي : يخاف صاحبنا أن يجتمع بمن قد يفوقه بحركة اللسان و «لا يُجمع السيفان في غمدٍ معا » . . . أديرت كؤوس الشراب ومدت موائد الطعام وسرعان ما كانت تفرغ هذه وتلك وتذهب الى حيث . . . وقد حفظت قائمة الاكل لقرائي ليشاركوني ولو بالفكر في هذه اللذة : شوربا . دندي . باميا . بوغاشه . حمام . كفته . ورق عنب . كستلاته . الجاويش . الارز عيش السرايا . فطير باللحمه . كشك الفقراء (كذب الاسم) الماظيه وفواكه متنوعة . ولولا مهارة الطباخ . وابتهاج الآكلين وبشاشة صاحب الدعوة لأصيب اكثر من واحدٍ بتخمة . وكانت بعد ذلك بعض سويعات

لطيفة انقضت بالهضم والمسامرة . وسركيس بملابسه البلدية كأم العروس ينتقل من حلقة الى حلقة ، ومدامته تُرحّب بالجميع بمنتهى الرقة والظرف، وولده « أنور » على ذراعي مرضعهِ ينظر مدهوشاً الى اعمال ابيهِ . ومن محاسن هذه السهرة ان كل شاعر او كاتب لم يرَ من المتحتّم الواجب ان ينغّص عيش المتسامرين بقصيدة او خطاب شأننا في كل اجتماعاتنا بل اكتفى القوم بان طلبوا من خليل مطران ان يطربهم بشيءٍ من النظم ، فاسكرهم بالشعر بعد الخمر ، وتلا قصيدةً وصف بها حالته وحالة ابنة عمه المحتفل بها ايام كانا ولدين يلعبان على شاطئ النهر . ولو وفى صديقي خليل بوعده لكنت ناشرها اليوم للقراء . . . ثمَّ وقفت السيدة نجلا وألقت كلماتٍ هي الدرُّ او أغلى بلفظٍ مليح ونطق فصيح . فذكرت المهاجرين وتعلقهم بابيهم الوطن وامهم اللغة . وهكذا مضى هزيع من الليل والبشر مخيمٌ على المنزل نمرة ١٥ بشارع الفجالة بمصر حاصر

قوة تركيا وايطاليا

بمناسبة نشوب القتال بين الدولة العثمانية وايطاليا ننشر لفائدة القراء الارقام التالية وفيها مقابلة بين قوى الدولتين :

القوى البحرية	تركيا	ايطاليا
مدرعات	٧	١١
طرادات مدرعة	٠٠	١٠
طرادات صغيرة	٢	٦
نسافات	١٠	٢٣

رعادات وحراقات	١٥	٧٤
غواصات	٠٠	٧

و بين المدرعات العثمانية السبع مدرعتان فقط يصح الاعتماد عليهما ، وهما اللتان ابتاعتهما الدولة من المانيا ، وتقطع الواحدة منهما في الساعة ١٧ عقدة . اما الاسطول الايطالي فيعدّ في المنزلة الرابعة بين اساطيل اوربا

القوى البرية	تركيا	ايطاليا
جنود في السلم	٣٨٠،٠٠٠	٣٨٤،٠٠٠
في وقت الحرب	١،٠٠٠،٠٠٠	٣،٠٠٠،٠٠٠
مدافع	١،٦٠٠	١،٧١٦
نفقات عسكرية	٤،٦٠٠،٠٠٠ جنيه	١١،٠٠٠،٠٠٠ جنيه

اللورد افبري

(هو كاتب وفيلسوف انكليزي شهير وقد نقل حضرة الاديب وديع افندي البستاني بعض مؤلفاته الى اللغة العربيـة . ولما ذهب الى لوندرا في هذا الصيف زاره في منزله وكتب عنهُ النبذة الآتية لتكون مقدمة لكتاب « مسرات الحياة » الذي سيظهر في هذا الشهر ، وارسلها الينا فأحببنا ان ننشرها للقراء ليروا كيف يعمل ذوو الجد والنشاط على خدمة بلادهم واخوانهم في الانسانية) :

وُلد اللورد افبري في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٨٣٤ ، فهو اليوم شيخ جليل ، على اعتاب الثمانين ، وفرد من أفراد العالم المعدودين ، معروف لدى بضعة ملايين ممن طالعوا كتاباته ، ولدى عشرات الملايين ممن انتفعوا باصلاحاته . ففضله كبير عميم ، وقدره رفيع عظيم

ولئن اعتبرنا صاحب المليون من الاصفر الرنان الذي يغلب ان يكون قد ابتزّ

أمواله ابتزازاً ، وأتى كل فرية ، واقترف كل إثم في سبيل جمعها وتوفيرها ، فما قولنا في فردٍ أفاد الملايين من الناس ، حتى اصحاب الملايين كما سترى ؟

فهو رجلٌ يعدُّ برجال ، وسيرته سيرة ابطال . وأنى لي في هذه العجالة ان اذكر جميع ما أعرفهُ عنهُ . مع اني لا اعرف الاَّ البعض من أعماله العظيمة ، وآثاره الخالدة ، وقد رأيت ان اكتفي بما يلي تأييداً لما سبق

ولعل قارئ هذه الاسطر من قراء « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » اللذين نشرتهما الأول في اواسط ١٩٠٩ (وقد نفدت طبعته الاولى والثانية صادرة عن قريب) والثاني في اواخر ١٩١٠ (وطبعته على وشك النفاد) . وانما اذكر ذلك دلالةً على أن مؤلفات اللورد افبري قد انتشرت انتشاراً سريعاً حتى بين قرّاء العربية ، على قلة عددهم وحداثة عهدهم بالاقبال على هذا النوع من المؤلفات

ولكن اين انتشارها بين ظهرانينا من انتشارها في انكلترا وسائر الاقطار الغربية ! واني لا أعلم أأخجل ام أفتخر اذ اقول ان غيرنا من الشرقيين أسبق منا الى نقل مثل هذه الكتب الى لغاتهم ، واكثر اقبالاً عليهـا واستفادة منها ، فقد أُعيد طبع « معنى الحياة » خمس مرّات في اليابان ونقل الى كثير من اللغات الشرقية التي لا تقاس بشيءٍ من أهمية لغتنا الشريفة المحبوبة . . . ولا غرو فانما اللغة بابنائها . ولقد كانت اجيالنا الاخيرة اجيال ظلم وظلام ، وجهل واستبداد ، وتأخرٍ وانحطاط . . . والله يعلم مَن الملوم ومن المسؤول

أجل اين انتشار هذه الكتب بين أقوامنا من انتشارها بين سائر الأقوام ! فقد بيع من « مسرّات الحياة » هذا ٢٥٠٠٠٠ نسخة في انكلترا وحدها ، وطبع اكثر من ٣٠ طبعة خارج البلاد الانجليزية

وقد بيع من « معنى الحياة » ٢٠٠٠٠٠ نسخة انكليزية ، ونُقل الى كلٍّ من اللغات الاوربية المعروفة كالفرنساوية والالمانية والتليانية الخ والى أغلب لغات الدنيا

الحية والأقل شأناً كالبوهيمية واليونانية واليابانية والهندية (الهندوستاني) والروسية الخ

وقد بيع للآن ٧٠٠٠٠ نسخة انكليزية من كتابهِ « محاسن الطبيعة » وترجم الى عدد كبير من اللغات كسابقيهِ

أما كتابه « السعادة والسلام » فقد ظهر في اواخر ١٩٠٩ ولا اعلم عدد النسخ التي بيعت منهُ الى الآن ولا عدد اللغات التي نقل اليها . ولا شك ان نصيبه من الرواج كنصيب امثاله ان لم يكن اعظم ، لأنهُ آخر تآليفه وأتمها في هذا الموضوع

فاذا أحصينا عدد النسخ التي نفدت من الاربعة المذكورة من مؤلفاتهِ ، وذكرنا ان له غيرها في هذا الموضوع ما لا يقلّ عنها شأناً ورواجاً ، وعلمنا ان مصنفاته عشرون ونيّف ، وان ما نقل منها الى الافرنسية (تلك اللغة الغنية) اكثر من ١٢ وان الرجل لا يزال ينفح العالم بنفثات يراعه — أجل اذا اعتبرنا كل ذلك سهل علينا ان نتصوّر كيف يكون لكاتبٍ واحدٍ ملايين من القراء . وها المخاطب الكريم واحد من اولئك الملايين ، وما أنا الاّ واحد من مئات المترجمين لهذا المؤلف العظيم . فهل تراني كنت مبالغاً في القول « انهُ رجل برجال »

على ان اللورد افبري ليس كاتباً فقط . فقد أفاد العالم أجمع وانكلترا خصوصاً بخدماته الجلّى العلمية والاداريّة والسياسية والاجتماعيّة كما يتضح لك مما يلي نقلاً عن رسالة نشرتها « شركة التراجم » بلندرا سنة ١٩٠٣ : « ان اللورد افبري — مَن يعرفهُ جمهور العمال والمستخدمين في هذه البلاد ويذكرون جميله ويشكرون صنيعه ، لأنهُ اول مَن منحهم العيد السنوي المعروف (بينك هوليداي اي عيد المصارف « البنوكة ») واول من سعى في أمر قفل محالّ العمل باكراً — هو رجل أتى في حياتهِ من الاعمال العظيمة ما يكفي لاذاعة شهرة رجال . لأن نصيبه من خدمة العلم والآداب في القرن التاسع عشر كان نصيباً وافراً ، ومصنفاته في التاريخ الطبيعي وسائر الفروع العلميـة ، فضلاً عن اصلاحاته المجلسية والاجتماعية ، تبرهن لنا انهُ

يمكن لرجل واحد ان يلعب في حياتهِ عدة ادوار على مرسح هذا العالم ، ويكون محرزاً الفخر الحقيقي لنفسه ، وجالباً النفع العمومي على قومهِ وبني جنسه »

ومن اصلاحاته الادارية في عالم التجارة والماليّات إحداثه الطريقة المعروفة بالتصفية المحلية . وحينما كان سكرتيراً لنقابة صيارفة لندرا (وهو مركز شغله مدة ٢٥ عاماً) تمَّ له ايضاً ان يصلح طريقة التصفية العمومية . واذا اردت ان تتصوَّر اهمية هذين الاصلاحين فحسبك ان تعلم قيمة الأوراق المالية التي تمرّ في الادارة التي كان هو الداعي الى تأسيسها قلما تقلّ عن ١٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ جنيه انكليزي في اليوم الواحد

ولنذكر في هذا المقام انه تخرّج في كلية ايتون حيث اظهر ذكاء غريباً ، وفاز بقصب السبق في جميع الفروع ، ولكنه لم يدخل جامعة اكوكسفورد او كمبردج بل دخل مدرسة العالم الكبرى وابتدأ حياته العلمية في الرابعة عشرة من عمره . وكل ما احرزه من العلم والمعرفة بعد ذلك انما احرزه بفضل رغبته وصدق عزيمته . والحق يقال انه لم يرث من أبيه الاموال الطائلة فقط ، بل ورث معها الاميال العلمية التي اتبعها وكان خير خلف لخير سلف . فان أباه كان راسخ القدم وطويل الباع في الفلكيات والرياضيات وله آثار تأليفية خالدة . ولعل نجله الصغير (وهو فتى دون العشرين من السن) يكون خير خلف له ايضاً ، فانني رأيت فيه على حداثته شاباً غزير المواهب وأسع الاطلاع ، وقد خرجت معه لفسحة في الاحراج والجنائن المغروسة حول القصر ، فشهدت وسمعت منه ما اود لو سمح المجال بذكره مثالاً للتربية الانكليزية

ولنعد بعد هذا الاستطراد الى حيث وصلنا من ذكر الاصلاحات التي أحدثها موءلف هذا الكتاب في التجاريات والماليات ، فنرى ان فضله يشمل حتى اصحاب الملايين ، ولكنه غير مقصور على هوءلاء الافراد القلائل ، فانه يعم الملايين ، بلا

مبالغة . واعتبر ذلك بما تم على يده من الاصلاحات التي جاءت عن طريق مجلس النواب واصبحت شرائع آئلة الى نفع كل فرد من ملايين الرعايا الانكليز . فان عدد اللوائح التي مرّت تحت نظر المجلس النيابي وكان هو العضو الساعي والناجح في تنفيذها وجعلها نظامات وشرائع مقررة يبلغ ٢٩ وهذا شأو لم يبلغه غيره من اعضاء المجالس النيابية . ومن تلك اللوائح التي أعدّها وقدمها اللائحة التي قصد فيها تعديل النظام المختص بالمكاتب الحرّة ، وهو عمل آل ويؤول الى زيادة انتشار العلم ، ونعم المآل . ومنها ايضاً لائحة التحاويل التي اصبحت نظاماً جامعاً لجميع الموادّ القضائية المتعلقة بالاعمال المالية . ومنها لائحة ساعات العمل ولائحة القفل الباكر ولوائح أخرى عادت على العمال والمستخدمين بالنفع العميم .

فمن وقف على مثل هذه من اعماله العظيمة فكيف يتردد في القول انه :

« خدم البلاد وليس اشرف عنده من ان يسمى خادماً لبلاده »

وبلاده تحوي الملايين من النفوس ، ولا غرو اذاً ان قلنا ان فضله عم عشرات الملايين

اما الرتب والالقاب التي نالها بفضل علمه وعمله ، فلا اظن انه تسنى لاحد غيره ان يفوز بمثلها عدداً واهمية . ولنقل كلمة في هذا الصدد تنويهاً بشهرته التي أحرزها عن جدارة واستحقاق .

حتى عام ١٩٠٠ كان يُعرف بالسير جون لبك ، وحينئذٍ توّج لورداً وصار يعرف باللورد افبري . وعنده رتبة « لجيون دونور » من الحكومة الفرنساوية ، ورتبة « اوردر اوف مرت » من الحكومة الألمانيـة ، وهو اليوم عضو في اللجنة الملوكانية ، ومن اكبر أفراد مجلس الأعيان الانكليزي ، وعضو شرف في اكبر جمعيات العالم العلمية والفنيّة . وقد تنقل في ادوار حياته الحافلة بالأعمال الخطيرة بين منصب كبير الى اكبر ومركز سامٍ الى أسمى . فقد كان في ١٨٨٨ نائب

رئيس للجنة الحسابات العمومية ، وعضواً عاملاً في الهيئات الملوكانية التي تألفت لترقية العلوم ، وتحسين احوال المدارس العمومية ، واصلاح العملة الدولية ، وكان ايضاً رئيس اللجنة التي وضعت نظام العملة الانكليزية المستعملة اليوم . ومن جملة الجمعيات التي رأسها ايضاً « الجمعية البريطانية » و « جمعية علم الحشرات » و « الجمعية الافريقية » و « جمعية الاحصاء » وكان ايضاً نائب رئيس للجمعية العلمية الملوكانية ، واول رئيس لمعهد علم الاجتماع الدولي ، ورئيس « جمعيـة الآثار وما قبل التاريخ الدولية » ورئيس « جمعية المكاتب الدولية » الخ الخ

ومع انه لم يدخل جامعة كما ذكر آنفاً ، فان الجامعات اقرت بقدره واعترفت بمقدرته العلمية الفائقة ، فقد منحته جامعة لندن لقب نائب رئيس لها ، وعنده درجة « دكتور في الحقوق المدنية » من اكسفورد ، ودرجة « دكتور في الحقوق » من كامبردج ، ودرجة « دكتور في الطب » من ورسبرج الخ الخ

أما اخلاقه فاقرأ كتبه وتفهم مبادئه تعرفها جميعاً ، فانهُ رجل يقول ما يعتقد ، و يفعل ما يقول . وقد دعاني للغداء في قصره الصيفي (خارج لندرا) وجالستهُ وحادثتهُ فلقيت منهُ شيخاً جليلاً وقوراً متواضعاً ، وكان يلاطفني و يحدثني بطريقة ذكرتني بقول نسيبي « سليمان البستاني » الذي يضارعهُ في كثير من الوجوه « ان السنبلة الملأى هي التي تحني رأسها وهي رمز الرجل الكبير . . . أما السنبلة الفارغة فرأسها شامخ في الفضاء وهي رمز المتكبر المتكابر . . . . »

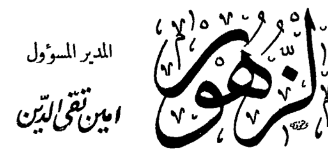
وحبذا جعل ذكر الرجلين معاً مسك الختام ، والسلام

وديع البستاني

لندرا في ١٥ اكتوبر (ت ١) ١٩١١



منشئ المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن دسمبر (كانون الاول) ١٩١١ السنة الثانية

المطر

لا نغالي اذا قلنا ان مصر لا تعرف من فصول السنة الاّ اثنين الصيف والربيع ، ويكاد فصل الشتاء وما يتخلله من الزوابع والأمطار يكون فيها اسماً لغير مسمى . على ان شوكة القيظ قد إنكسرت الآن وبتنا على باب ما يُعدُّ في معظم الأمصار فصل الأمطار . اضف الى ذلك ان توسيع نطاق الري وزيادةِ المغروسات واختراق الاسلاك البرقية لجوّنا لما احدث بعض التغيير في تقلبات الطقس عندنا ، فصارت السحب تجود علينا بمزنها اكثر من ذي قبل ، فرأينا سماءنا في شهر واحد ممطرةً اكثر من ثلاث مرّات . فأحببنا ان نقول كلمةً في المطر وماهيته ومصدره ومظاهره المختلفة :

الغيوم مصدر المطر — ان حرارة الشمس تعمل في البحار والبحيرات ومجاري المياه ، فتحدث فيها ما نسميه « بخاراً » . تتبخر المياه فتتصاعد في الفضاء وتتركب منهـا تلك الغيوم التي نراها متلبدةً في كبد السماء .

ومرجع الغيوم الى ثلاثة أنواع : منها ما هو معروف باسم «سيرُّس» وهو كناية عن قطع مستطيلة بيضاء تظهر في سماء زرقاء في اواخر الطقس الحسن . ويتفاوت علوُّها بين تسعة او عشرة كيلومترات ، وكثيراً ما تكون درجة حرارتها تحت الصفر ، فتكون مركبةً من إِبر جليد سابحة في الفضاء . ومنها نوعٌ معروف باسم « كومولُس » وهو عبارة عن غيوم مستديرة الشكل كبيرة الحجم بيضاء اللون ، كثيراً ما تغشي السماء دون ان يعقبها مطر . والنوع الثالث معروف باسم « نمبُس » وهي غيوم قاتمة تحجب أشعة الشمس ، وهي أقل ارتفاعاً من النوعين الاولين بحيث انها تكون احياناً على مقربة من سطح الارض

اما الغيوم عموماً فهي مجموع نُقَيطات ميكروسكوبية يتلاعب بها مجرى الهواء فتتجمع معاً ، ويزداد حجمها فتسقط على الارض مطراً ، ويكون سبب ذلك برودة تحدث بغتةً في الهواء . وفي بعض الاحيان تتحول هذه النقط الى ابر جمدٍ يزيد ثقلها على الهواء فتقع وهي تذوب أثناء وقوعها . ويسهل على سكان الجبال ان يتحققوا هذا الحادث الطبيعي ، لأنهُ عند سقوط المطر في الاودية يقع الثلج على قمم الاطواد

فمما تقدم يمكننا ان نقول ان المطر هو مبادلة الماء بين الارض والهواء بواسطة الحرارة اولاً ، والبرودة ثانياً . ولمجرى الهواء تأثير في المطر ، فالهواء المار على البحار يحمل المطر في غالب الاحيان لانهُ يقذف بالغيوم المملوءة بخاراً . وقد فقـه العامة والزرّاع ذلك فهم يقدّرون وقوع المطر حسب هبوب الريح

ميزان المطر — قياس كمية المطر الواقع أمر سهل لمبتغيه . وميزانه كناية عن اناء عمودي ، في قسمهِ الاعلى قمع يستقبل المطر النازل ، وكل مدة يقاس علو الماء في الاناء فتعرف كمية المطر . وفي بعض الموازين ابرة تدوّن على الورق الارقام زيادة في الدقة والضبط

مياه المطر — وفي مياه المطر جراثيم ميكروبية خلا الاملاح المعدنية كالامونياك والكلور والحامض النتريك ، فليس هذا الماء اذن نقياً طاهراً كما يعتقده الكثيرون . واكثر الامطار ميكروباً ما يقع في الاشهر الحارة

مقدار المطر — وليس الشتاء كما يعرف الجميع متساوي النسبة على سطح الارض ، فان بعض الاصقاع يصيبه اكثر مما يصيب غيره . واكثر البلاد مطراً البلاد المجاورة خط الاستواء . ففي اميركا بلاد غويان وفي افريقيا سييرا ليونه وخليج جينه وشواطئ نهر النيجر ، وفي آسيا واوقيانيا جزائر جاوى وصومتره وبورنيو وملقه يصيبها مطر أغزر من سائر الاقطار . ففي أنحاء سييرا ليونه مثلاً يبلغ علو المطر اربعة امتار ونصف متر ، وفي فيدجه ستة امتار ونيفاً ، ويتوصل في خليج بنغال الى اثني عشر متراً وما فوق . ومعدل المطر في سوريا ٩٢ سنتيمتراً ، وهو في مصر دون ذلك بكثير

ويصيب الانحاء الجبلية عموماً من المطر نصيب اوفر من سواها . وللشجر والمزروعات تأثير عظيم في استجلاب ماء السماء كما تقدم

ويقال ان مدينة بايتا في البيرو من اقحط البلاد فقد تمرّ سبع

سنوات دون ان ينزل فيها نقطة ماء . اما مقدار ما يقع سنوياً من المطر على سطح الارض فيبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٨٠ مليون متر مكعب

المطر الاصطناعي — لاحظ أصحاب التدقيق ان المواقع العظيمة قد عقبها غالباً مطرٌ غير منتظر مثل مواقع هوهنلندن وايلو وواترلو (في حروب الامبراطورية الفرنسوية) وموقعة بويبلا (في حرب المكسيك) وانكرمن (في حرب القريم) وماجنتا (في حرب ايطاليا) الخ . وجرى مثل ذلك ايضاً عقب اكثر التمرينات الحربية المدفعية . ففي ٢٥ سبتمبر كانت جيوش المتحالفين تقوم بمثل هذه المناورات قرب بيانست وكانت الغيوم متلبدة في كبد السماء ، فعند اطلاق المدافع انهمر المطر بغتةً وانقشعت الغيوم

فبعد هذه المشاهدات والملاحظات اخذ العلماء يتساءلون عما اذا لم يكن لاهتزاز الهواء — وإن بطريقة اصطناعية — تأثير في سقوط المطر . وكان الفلكي الاميريكي « بويرس » قد ذكر في كتابه « الفلك والحرب » ان المواقع التي جرت في حرب اميركا قد عقب اكثرها نزول المطر . فحدت الهمة بالقائد « ديرنفورث » الى اختبار ذلك باطلاق المدافع على الغيوم . فالتأم مؤتمر علمي لهذه الغاية وجعل له مبلغاً قدره خمسون ألف فرنك . فاجرى القائد المذكور اختباراته في ولاية « تكساس » من أعمال الولايات المتحدة سنة ١٨٩١ فلم يتوصل الى نتيجة مرضية

وقام بعد ذلك العالم « بودوان » مستنداً الى هذا المبدأ « ان الماء ثابت في الفضاء بقوة الكهرباء ، وانه اذا توصل الى تفريغ المجموع

الكهربائي بواسطة طيارة مكهربة ينال المطلوب » فنجحت اختباراته بعض النجاح ولكن طيارته المكهربة كانت تعود مراراً بصفقة خاسرة فلا تليها نقطة ماء

وأصاب مثل هذا النجاح الجزئي المهندس الّن في الهند لكن بطريقة اخرى ، فانه كان يرسل في الفضاء اسهماً مملوءة من الاثير ، فكانت عند انفجارها تحدث برودة في الهواء من شأنها ان تحول الغيوم الى مياه تنهمر على الارض

هذا معظم ما رأينا ذكره في هذا الصدد سائلين ان يكون مطر هذا العام مطر خيرٍ واقبال على الفلاّح العزيز عماد الثروة والفلاح فيتسنى لنا ان نقول عن بلادنا ما قاله الشاعر فرجيل عن بلاده « بلاد غنية بالرجال والغلال »

محاكم الاحداث

لا يمضي يوم الا ويأتينا غيره باخبار وحوادث لم نسمعها من قبل . فمن يوم الى يوم ، ومن شهر الى شهر ، ومن سنة الى سنة ، تظهر اختراعات واصلاحات لم نكن نحلم بها ولم تخطر لنا على بال . . .

ومن الاصلاحات الحديثة العهد نهضة اصلاح شؤون الاحداث كما يسمونها Child Labor Question فقد سمعنا ولا نزال نسمع كل يوم بالنظامات الجديدة والشرائع الحديثة التي تسنها الحكومات الراقية حباً بتخفيض ويلات الاحداث ومصائبهم ولاسيما العاملين منهم باشغال مختلفة

كالمعادن والمعامل وما شاكل . فقامت باصلاحات نعجز عن تعدادها الآن لضيق المقام . ومما نظرت فيهِ الحكومات اخيراً هو محاكمة الاحداث الغير البالغين . فقد كانوا فيما مضى يعاملون كالرجال تماماً ، اذ كانوا يحاكمون بموجب قانون واحد يشمل الكل على السواء

فكنت ترى الاحداث مسوقين الى السجن ليقضوا فيهِ أياماً وأسابيع وشهوراً كأكبر المجرمين

ولم يكن السجن نصيبهم فقط بل كانوا يساقون الى النطع فيعدمون كالآخرين . والتاريخ يدلنا بأجلى بيان على الايام التي كانت رؤوس المجرمين تطير فيها عن أجسامهم لجرائم لا نعدها اليوم ذنوباً تستوجب عقوبة الاعدام . فكنت ترى في انكلترا مثلاً في القرن الماضي رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً معلقين على أخشاب إرهاباً للجانين وتسكيناً للحوادث والجرائم

ولا نحتاج للاسهاب في موضوع القصاص والعقاب فما غرضنا الآن شرح فلسفة العقاب والثواب ، بل جلّ ما نقصده هو اظهار عدم موافقة الحكم على الصغير كالكبير بمقتضى شريعة واحدة او قانون واحد . واليك حادثة حقيقية حدثت في اوائل القرن الماضي في بلاد الانكليز مأخوذة عن كتاب (حوادث المحاكم وماجرياتها في انكلترا) فمن القوانين التي سنّت عام ١٨٣٠ قانون الاعدام لأي سرقة كانت خصوصاً سرقة المخازن ، صغيراً كان السارق او كبيراً . فالحادثة التي نحن بصددها تروي ان فتاة لا تتجاوز السابعة عشرة من عمرها قُبض عليها في أحد مخازن الاقمشة الكتانية وهي تحاول السرقة واذ كانت تخبئ القماش تحت ثوبها

لمحت صاحب المخزن فتركت القماش وهربت . فاتبعها الرجل بالبوليس فساقها الى السجن توًّا دون ان يسمع شكواها ، واحضرت اخيراً امام المحكمة الجنائية فكان ما دافعت بهِ عن نفسها قولها انها ابنة رجل متوسط الحال وانها كانت تعيش برخاء ، ولم تعرف الشقاء ولا الجوع الاَّ بعد تغيب أبيها عنها لانه كان قد مضى عليه مدة طويلة ولم يرجع الى البيت . ولما لم يكن الا والدها سنداً لها ولاخوتها الصغار عضهم الجوع وقرصهم البرد لطول غيبته عنهم . فاخذت هي تجول في أسواق المدينة علها تجد شيئاً تسد بهِ رمق اخوتها ورمقها ، فاعياها التعب والكلال ولم ترَ نفسها الا داخل المخزن فدفعها ما كانت عليهِ من الجهد الى أخذ بعض الاقمشة لتبيعها وتتقوت بثمنها . فحدث لها ما تقدم

ولما كان غرض المحكمة بتجريمها ومعاقبتها إرهاباً وعبرة ، رأى القضاة ان يشددوا في القصاص فعلقوها على خشبة في ساحة المدينة كأكبر المجرمين

أهذا هو العدل وهل كان حكمهم عادلاً ؟

اذا نظرنا الى القانون المسنون في ذلك الحين نرى انه كان حقاً ولكن هل يعدّ القانون الذي يقضي قضاءً كهذا قانوناً عادلاً ؟ أو هل كان اعدام تلك الابنة ارهاباً للمجرمين والسارقين . كلا لعمر الحق بل قد جاء في الكتاب الذي اخذنا عنهُ هذه الحادثة ان تعدد السرقات لم ينقص بل ظل آخذاً بالازدياد . والعقاب لا نفع منهُ الا اذ كان غرضه مساعدة الفرد الواحد واصلاحه ففي اصلاح الفرد صلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام

كلنا يعلم ان بذور الشر والجريمة سهل زرعها في الصغير . ومتى شب عليها تمكنت منهُ فقادته الى شر الهلاك وكانت عاقبة أمره الدمار . ومن النادر ان ترى مجرماً لم تتمكن فيهِ عاداته وأعماله منذ الصغر . فاذا لم ينقد الفتى في ما بين الرابعة عشرة والعشرين من عمره الى الشرور والجرائم لا خوف عليه من التهور فيها بعد ذلك . فالعمر المذكور هو الذي تنمو فيهِ أخلاق الفتى والفتاة ، وتتكوَّن فيهما العواطف والانفعالات فيكونان شديدي التأثر من الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية على السواء . فان كانت هـذه الانفعالات والمؤثرات رديئة فاسدة تمكنت في الولد فيشب عليها ويصبح شريراً فاسداً . والعكس بالعكس

وهذا معنى قولهم « العلم في الصغر كالنقش في الحجر »

ثلاثة عوامل تؤثر في الولد في صغره فتقوده اما الى النعيم واما الى الجحيم

اولها وأهمها في غرس المبادئ وانمائهـا هو البيت وأعني به كل ما هو داخل البيت وخارجـه من العوامل والفواعل التي تؤثر في الولد في حداثته كتصرف الأب والأم والاخوة والاخوات وطرق المعاملة بينهم الى غير ذلك مما لا نحتاج لذكره الآن

والعامل الثاني هو المدرسة فكل ما يجري بالمدرسة من تصرف المعلمين ومعاملتهم لتلاميذهم وسلوك التلاميذ مع بعضهم البعض وسياسة المدرسة نفسها كل هذه او بعضها معاً تؤثر في الولد أشد التأثير فلهـذا يختار في المدارس الراقية أفضل المعلميـن صفاتٍ وآداباً وعلماً وتسنّ القوانين والنظامات التي تؤول الى خير الولد علماً وأدباً

والعامل الثالث هو الدين ويراد بهِ مجموع التعاليم والفوائد الدينية التي يأخذها الانسان لنفسه دستوراً فيعيش سالكاً بموجبه

فالدين من أشد المؤثرات على الافعال وهو الضابط لكثير من الشرور والقبائح والمانع لضروب من المفسدات والجرائم

فان عجز البيت عن اتمام واجباته فَقَدَ أعظم العوامل في تربية الولد فتقع اذ ذاك المسؤولية على اولياء الامور وقد يعجز هؤلاء في اغلب الاحيان عن القيام باعباء ما يلقى اليهم من اتمام واجبات آباء أهملوا شأن اولادهم . وقد رأينا ان الحكومة في الماضي كانت تعامل اولاداً كهؤلاء معاملة البالغين تماماً متغاضية عن البون الشاسع بين الفريقين . ولكنها قد أفاقت من غفلتها وسرى اليها حب السعي والاقدام والقيام بالواجب فسعت في هذه الايام لتخفيف ويلات الاحداث الغير البالغين فأصدرت لذلك في اكثر الممالك المتمدنة القوانين والنظامات بمنع تشغيل الحدث كالرجل لا سيما في المعامل والمعادن . فقامت عليها قيامة أصحاب المعامل والمعادن فاصلتهم حرباً عواناً دارت عليهم بها الدائرة . ولما رأت ان هذا لا يعدّ اصلاحاً تاماً عاودت الكرة فكانت هذه أشد من الاولى لانها عرفت أصل الفساد ومنبع الشرور فاعدت لذلك سبيلاً اذ أنشأت محاكم خصوصية للنظر في شؤون الاحداث وطرق اصلاحهم فكان ذلك من أجلّ ما فعلتهُ لاصلاح الاحداث

هذهِ هي المحاكم التي نحن بصددها الآن وسنأتي على تفصيلها وبيان احوالها في العدد الثاني ان شاء الله

نوفيق جبر بريني

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الرابعة

من مدام ركاميه الى السير رالف انزورث

(فى القرن الثامن عشر ولدت فرنسا للعالم نبوليون ابن المريخ ومدام ركاميه ابنة الزهرة . فاخضع الاول العالم بسيفه واخضعته الثانية بجمالها . واشتد النضال بين الاثنين . فبينما كان العالم يركع عند قدمى باريس كانت باريز تركع عند قدمى مدام ركاميه . واراد ذلك الجبار ان يتزوجها فرفضته لان مفتاح قلبها كان بيد شاب من اشراف الانكليز

ولم يكن نبوليون الرجل الوحيد الذى رفضته . فقد ذكر التاريخ من الذين تزاحموا عليها عدداً غير قليل منهم البرنس اوغسطوس البروسيانى والدوق ولنتون الانكليزى وغرندوق آخر عظيم وجمهور من الحكام والاشراف والعظماء ورجال السيف والقلم . فكانت ترفض الجميع على حد سواء لانها وهبت قلبها للشاب المذكور وقد كان سابقاً رئيس جمعية تألفت يومئذ من اشراف الانكليز لانقاذ الاشراف الفرنسويين من مخالب الثورة الفرنسوية

ولكن موانع حالت دون اقترانها بحبيبها فاقترنت بغيره مكرهة . وكان زواجها هذا ارتباطاً اسمياً فقط . ثم مات حبيبها بعيداً عنها ومات بعده زوجها ايضاً . وقيل ان نبوليون سبّب موت زوجها انتقاماً منها . على ان باريز كانت تفديها من غضب نبوليون ولهذا لم يستطع ان ينالها باذى . وبعد سنين قليلة نشأت مودة عظيمة بينها و بين شاتوبريان الكاتب الافرنسى الشهير فزعم الناس انها ستقترن به ولكن قلبها كان لا يزال متعلقاً بذكرى حبيبها القديم . وقد بقيت اربعاً وثلاثين سنة وعالم الجمال خاضع لسلطتها . وفى اثناء مرضها كتبت الرسالة الآتية الى السر انزورث ولكنها لم تستطع اكمالها فختمتها صديقتها مدام ستايل الكاتبة الافرنسية

الشهيرة وكانت من اعز صاحباتها . ولمدام ركاميه صورة شهيرة في احد متاحف باريز الكبرى)

ملاكي الحارس :

جلست الآن الى نافذتي اراقب الافق وانظر الى الغيوم القطنية تنعكس عنها اشعة الشمس الحمراء . وقد هاج مرآها في نفسي عواطف وتذكارات رجعت بي الى ايامنا السالفة فأخذت القلم لاكتب اليك هذه السطور مع ان الطبيب قد نهاني عن الكتابة والمطالعة وأمرني بالتزام الراحة والسكون . ولكنني اشعر بشوق الى مخاطبتك ولو عن بعد واريد ان ابث اليك ما أبقتهُ الايام من آثار ذلك الحب القديم

لست اعلم اين انت يا رالف فقد طال عهد فراقنا حتى صرت أرى ايامنا الماضية اشبه بغمامة صيفٍ لاحت قليلاً ثم تلاشت في الفضاء . يقولون لي انك الآن في الهند حيث تمتع بهواء أجف من هوائنا فان الفصل عندنا الخريف ومرأى الاغصان المجردة يثير في النفس لواعج محزنة . ولو كنت هنا لأحزنك مشهد الاشجار العارية والحقول المقفرة فان زقزقة العصفورة قد انقطعت وهديل الحمام قد بطل ولم يبقَ الاَّ خرير الماء يملأ الوادي كأنهُ أنة عاشق منكسر القلب

وقد ذكرتني هذه الشمس الزائلة وقفتنا الاخيرة عند الغروب يوم اتيت لتعيد اليَّ رسائلي وتأخذ رسائلك لان أهلك وقفوا يومئذٍ بيننا وحالوا دون تحقيق احلامنا السعيدة

في ذمة الله تلك الايام الماضية ! في ذمة الله احلام غرام لم يبقَ

منها الأ ذكرى تتضاءل بمرور الايام . أيعود الماضي فيبعث لنا من اكفانه اماني دفناها فيهِ ؟ أيعود فيحيي لنا آمالاً كانت تظللنا باجنحتها الذهبية ؟ هوذا الآن قد انطوت تلك الاجنحة واستراح الرقباء الذين لم يكونوا يغمضون عنا أجفانهم حتى بلغوا من امانيهم ان فرّقوا بيننا فلا يعلم احدنا بمقر الآخر

بل ان مقرّك في فؤادي يا رالف . وانما فقدت فؤادي ففقدتك معهُ . وقد كنت اظللك بأجنحة الحب وارسل عليك أشعة الحب واسمعك أناشيد الحب فلم يبقَ اليوم من تلك الاجنحة الاَّ سحابة زائلة ومن تلك الاشعة الاَّ نور ضئيل ومن تلك الاناشيد الاَّ خفوق قلب منكسر

قضيت أشهر الصيف متقلبة على سرير المرض . وانا الآن في طور النقه . يقولون لي انني كنت اردد اسمك في ساعات غيبوبتي واذكر أيامنا الماضية . اما انا فلا اتذكر من ذلك سوى انني كنت كلما سمعت صوتاً بباب غرفتي ألتفت لأرى هل انت الداخل ام غيرك

كنت في اثناء مرضي اتعزّى بفكر غريب . كنت اعلل نفسي بالموت واتمنى ان انتقل الى عالم الارواح لكي تحلق روحي في فضاء الابدية فترفرف حولك وترقبك من علوها الشاهق . ولكن فكراً آخر كان يروعني فقد كنت اخشى ان يزيد موتي في حزنك فلا تعود ترى لذة في الحياة . ولكن من يعلم : لعل حبي لك غير حبك لي يا رالف . انا اعلم انك تفضلني في كل شيء . فأنت اشرف مني اصلاً واغنى ثروة واجمل طلعة واوسع جاهاً واكثر ذكاءً . انت تفوقني في كل شيء . ولكن

هنالك شيئاً واحداً افوقك فيهِ وهو الحب . حبي لك مستمد من حب الملائكة فهو انقى من ندى الصباح وارق من خطرات النسيم وارسخ من راسيات الجبال واطول من مدى الخلود وابعد من حدود الابدية . حبي لك يريني للحياة معنى جديداً فيصوّرها لي ربيعاً مستمراً . ولكنهُ يخيفني من الخلود لان الخلود قصير المدى في نظر العاشقين

أجل يا رالف . كثيراً ما تمرّ بي دقائق تزيد في شقائي فأندم لأنني رضيت بالبعد عنك وأتمنى لو أبيت مفارقتك على رغم معارضة أهلك . ولكنني اعود فأتعزى بهذا الفكر وهو انني فعلت ذلك لكي اكفيك مؤونة الخلاف مع اهلك لانني اكره ان اكون السبب في ذلك

انا اميل اليوم الى الوحدة واجد فيها تسلية كبيرة لانني استطيع بها ان اتفرغ للتفكر فيك . هل تذكر كم كنتُ محبة للّهو والمرح ؟ واما اليوم فانني احب العزلة لانني اجد في هدوء الطبيعة عظة ابلغ من النطق ، واسمع من خلال سكوتها اناشيد « هلاّس » ذات القيثارة الذهبية فاتصوّرني مترامية بين ذراعيك احدق النظر فيك واسرّ اليك نغمات الغرام

لعلي أطلت هذه الرسالة عليك . ولكن قلبي مفعم بتذكارات تهيج في نفسي لواعج حزن وسرور وأنا اريد ان ابثك ما استطيع من مكنونات الفؤاد اذ من يدري هل أعود فأجد فرصة كهذه لمناجاتك ايها الحبيب ؟ ولكن الظلام قد أحدق فسأبقي هذه الرسالة الى الغد .

الى الغد . . .

. . . .

(بعد اسبوع)

مولاي . . . طلبت اليَّ « جان » ان أكمل هذه الرسالة وأبعث بها اليك فقد علمت عنوانك ولا شك انك تود الوقوف على خبر منها . مسكينة « جان » ! انها تحبك حتى الموت وتزدري العالم كله من اجلك . مضى عليها يومان وهي في غيبوبة لا تشعر معها بشيءٍ وتراني جالسة الى سريرها اذرف العبرات ولكنني أتجلد قدامها وأتعلل بالآمال . قلت لها اول البارحة ان الطبيب شديد الأمل بشفائكِ فابتسمت ابتسامة ازدراء وأدارت رأسها على وسادتها كأنها تقول « أنا أخبر بنفسي من الطبيب » حقاً لو تراها اليوم لأدهشك كم قد غيّرها الزمان . ليتك تحضر وتشاهدها فلعل رؤيتك تعيد اليها شيئاً من الحياة . . .

مرام سنايل (بقلم سليم عبد الاحد)

الحرب اليونانية العثمانية

موقعة دوموكوس [1]

يوم ١٧ مايو (ايار) سنة ١٨٩٧

عند الساعة الرابعة من صبيحة هذا النهار نبّه البوق الجنود العثمانيين ، فهبوا من رقادهم ، وعكفوا على الصلاة ، فكان لهم لغط في غدر ذلك الوادي

---

(١) لما انتشبت الحرب اليونانية العثمانية سنة ١٨٩٧ كان « بيار ميل » Pierre Mille الصحافى الفرنساوى مندوب جريدة « الديبا » Débats فيها . وقد كتب فى وصف المعارك التى حدثت بين العثمانيين واليونانيين فصولا شائقة

الفسيح . ثم مالوا الى القهوة فكانوا يشربونها ، وهم يسرجون خيولهم ويتحدثون ، فتبدل لغطهم حينئذٍ بضوضاء شديدة كان يخالطها ضجيج الفرح لشعورهم بأنهم كانوا يتأهبون في تلك الساعة للحرب والكفاح . اما أنا فسقت جوادي اريد اللحاق بفرقتَي نشأت باشا وخيري باشا ، لاني كنت قد عقدت النيـة على ان لا أصف الا ما أراه بعيني ، ولا اكتب الا عن يقين

وكانت الى جانبنا الايمن طريق دوموكوس التي كنت مزمعاً ان اسلكها مجتازاً في ختامها تلة غير مرتفعة لا يكترث لها . على انه كان أمامنا في منحدر ذلك التل ممرّ وَعر ، ناشز الصخور ،

كثير الثلوم كأن الفتى　　　اذا زلّ يهوي على مِبرَدِ

وكان هـذا الممر الضيق ينتهي من الجانب الآخر بفرسالا وهو أقرب الطرق الى ذلك السهل ، ولكنه ليس بالسبيل الوحيد اليهِ لأن

اخترنا منها وصفه لمعركة « دوموكوس » فترجمناه بمناسبة شبوب الحرب الحاضرة فى طرابلس الغرب . والكاتب المذكور وُلد فى سنة ١٨٦٤ وكان مكاتباً لجريدة « الديبا » فى مداغسكر ابّان الثورة التى شبّت فى تلك الجزيرة سنة ١٨٩٦ . ثم انتدبته تلك الجريدة نفسها ليمشي فى صفوف العثمانيين فى الحرب اليونانية العثمانية . ثم اختارته جريدة الطان Le Temps المشهورة رئيساً لتحرير القسم السياسى الخاص بالمستعمرات فاقام فى هـذه الوظيفة من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩١١ وقد نال من حكومته نشان اللجيون دونور من رتبة شفاليه Chevalier de la Légion d'Honneur وله كتاب مشهور عنوانه « من تساليا الى كريت » De Thessalie en Crète ومؤلفات اخرى تدل على مكانتـه وفضله فى عالم الادب

هنالك طريقاً أخرى كان يمكننا ان نسلكها عن جانبنا الشمالي الأقصى وهي ممتدة من « فاليستينون » على مقربةٍ من الشاطىء البحري الى « خاليروس » من حيث تسهل مهاجمة « دوموكوس » ولكن من ورائها لا من أمامها مواجهةً . وكانت خطة الجيش العثماني ان يسير نشأت باشا والحاج خيري باشا بكتيبتيهما الأولى والثانية في الطريق الأولى الوعرة فيهاجمان دوموكوس من الامام، وان يمشي ممدوح باشا وحقي باشا بفرقتيهما الثالثة والرابعة متتبعين الطريق الاخرى فيهاجمانها من الوراء بحيث يطوّق العثمانيون دوموكوس ويلتفون حولها . اما أنا فاتبعت الفصيلتين الهاجمتين من الامام !

وصعدنا الى التلّ واجتزناه مسرعين حتى اذا دخلنا في الممرّ الضيق أبصرنا مسيل ماء يتحدر على الصخور الناتئة الى وادٍ، بينا هو يتسع أمامنا اذا بهِ يضيق كثيراً من الجنوب وقد اخضرّ زرعهُ وارتفعت فيهِ سنابل الشعير ارتفاعاً كثيراً عن الارض كانت تظهر لنا في وسطه ومن خلاله قبالة اطرافه العالية ، قرًى كبيرة تحيط بها تلك السهول الخضراء فتبين لنا كالجزُر في البحر . ومشى جنود خيري ونشأت في وسط تلك الزروع فاستولوا على أقرب القرى بدون ان يتكبدوا خسارة ما . وكان رجال المدفعية يطلقون القنابل من خلال سنابل الشعير العالية فلم نكن نستطيع ان نعلم قوة تأثيرها في العدو الا ساعة كانت تشب النار في مراميها ويصعد اللهيب الى العلاء ويبين لنا دخان القرى المحترقة كعمود منتصب في الفضاء . اما اليونانيون فاخذوا يطلقون علينا مدافعهم ولكننا

كنا نرى فرسانهم يحثون خيولهم هاربين مسرعين . ولم يكن يعبأ العثمانيون بنيران العدو بل كانوا يتقدمون الى الامام وهم لا يطلقون بنادقهم لان قنابل مدافعهم كانت تكفل لهم وحدها هزيمة اليونان

وكان هؤلاء قد تكاثر عددهم وتألبت جموعهم حينئذٍ ، غير ان المدافع العثمانية امطرتهم ناراً حامية فرأينا احدى كتائبهم قد نكصت على اعقابها وارتدت الى الوراء تريد الالتجاء الى دوموكوس . فكان ذلك بدء انهزامهم لاننا ما لبثنا ان رأينا فرقهم تتشتت عن شمالنا ، وتحرق القرى والدساكر في طريقها وهي فارّة لا تلوي على شيء . وتصاعد لهيب النار حينئذٍ الى عنان الجوّ ، وتلبد الدخان في الفضاء فذعرت الطير في اوكارها ، ورُوّعت اللقالق في اعشاشها فكنا نراها هاربة خائفة تمرّ فوق رؤوسنا مرور السهام أطلقت عن القوس

وكان العثمانيون يتقدمون بسرعة الى مواقف العدوّ حتى اصبحنا نرى الجيشين مرأى العين . وحينئذٍ انفصلت الفرقتان العثمانيتان فمشت فرقة نشأت باشا بقدم ثابتة في وسط السهل الى شبه تلة صخرية عالية ، وسارت فرقة الحاج خيري باشا الى الشمال . وكان اليونانيون قد تحصنوا خلف قمم من التراب أقاموها للاحتماء بها فاخذوا يطلقون نيرانهم من ورائها . ووقعت في تلك الساعة قنبلة على قيد خطوتين منا ولكنها لم تنفجر ولم تزحزح الكولونل « بوي دلاتور » رئيس البعثة السويسرية الحربية الذي كان واقفاً الى جانبي فالتفت اليَّ وتبسم ابتساماً معنوياً ، ثم تناول علبة « طون » من جرابه وأشار اليَّ فتقدمت منهُ واقتسمناها

معاً . وهي منة له عليَّ لن انساها أبد الدهر . ثم صعدنا الى التلة الصغيرة فاشرفنا منها على العسكرين وقد التقيا وجهاً لوجه . ولم تكن الا دقائق قليلة حتى شبت بينهما نيران معركة طاحنة . وكنا نسمع في الوقت نفسه دوي البارود ، ونرى تفجر القنابل من الجانب الآخر حيث كان قد سار خيري باشا برجاله

ولما طال أمد المعركة وقد صمت آذاننا ، وغشا الدخان عيوننا أبصرنا فريقاً من المشاة العثمانيين هاجماً على قلب العسكر اليوناني وقد أخذ اليونانيون يصوبون رصاصهم عليهِ وهو سائر غير مكترث . فما هي الاّ هنيهة حتى تزحزح اليونان عن مراكزهم وارتدوا الى الوراء . وكانت طلقات البنادق المتواصلة حينئذٍ أشبه بقرقعة الآلة الكاتبة تكتب عليها يد خفيفة رشيقة

وحدقنا بابصارنا الى جهة اليونانيين فرأينا احدى الفرَق قد غادرت مركزها في القلب حيث هجم العثمانيون وولت الادبار منهزمة الى جهة دوموكوس . ولكن ضابطاً يونانياً خف اليها فردها الى مواقفها

اما فرقة الحاج خيري باشا فاننا لم نرها ولم نعرف اخبارها الا حين صرنا نرى اليونانيين يفرّون من قدامها من الجانب الايسر المحاذي للتل الذي كنا واقفين عليه . فتحققنا حينئذٍ ان النصر تمّ او كاد يتمّ للعثمانيين

وفي تلك الساعة وصلت الى ساحة القتال فرقتان لانجاد العثمانيين أرسلهما أدهم باشا فانضمتا الى خيري باشا وعززتا موقفه

وأبصرت ادهم باشا حينئذٍ راكباً جواداً صغيراً هزيلاً وهو رجل

ذكيُّ الفؤاد رزين بارد الطبع ، وقد تقدم منهُ احد الضباط طالباً اليهِ أن يصدر أوامره بالهجوم على الاعداء ولكنهُ لم يجاوبه بل تبسم ثم التفت الى ضابطين واقفين حذاءه فاسرَّ اليهما كلمتين فهمنا بعدئذٍ معناهما اذ أبصرنا فرقتي ممدوح باشا وحقي باشا قد ظهرتا للعيان وأتمتا حركة الالتفاف حول دوموكوس

وأصبح اليونانيون حينئذٍ تحت رحمة العثمانيين اذ طوَّقهم هؤلاء من الجهات الأربع . فلما تبينا هذه الحقيقة تقدم الملحق العسكري الالماني من أدهم باشا وقال له : « انك تستطيع يا حضرة القائد أن توجد في هذا المكان معركة « سيدان » Sedan أخرى فان اليونانيين كما ترى قد أُخذوا في الشبكة ولن يستطيعوا الانفلات منها » فسكت ادهم باشا ولم يكترث لما قيل له . فقلت في نفسي حينئذٍ ان هذه الحرب انما تجمع بين السياسة والحرب معاً . فالعثمانيون كما يخيَّل اليَّ لا يريدون التمادي في القساوة والضغط على اليونانيين لكيلا يثور عليهم الرأي العام في اوروبا والاَّ لكانوا قادرين ان يفعلوا اضعاف ما فعلوه

***

ولما أصبح الصباح التالي كان العثمانيون قد بلغوا منتهى آمالهم . وقد أشرفت طلائعهم على « لاميا » بلاد اليونان الحقيقية ، ووطنهم الاصلي القديم . وكان الألبانيون اولئك الشجعان الصناديد لا يزالون يطلقون بنادقهم على العدو الذي كان قد ربط في رؤوس بنادقهِ المناديل البيضاء كأنما كان يريد أن يقول : « رحماكم فان الصلح قد تمَّ »

هكذا انقضت هذه المعركة ، بل هكذا انقضت هذه الحرب التي لم تكن الاّ أشبه شيء بمأساة تمثيلية مثّلت سهول فرسالا آخر فصولها المحزنة

بيار ميل
مكاتب جريدة « الديبا » الحربي

وبعد هذه التفاصيل المنقولة عن شاهد عياني نروي الابيات الآتية لشوقي بك من قصيدته العصماء التي وصف فيها تلك الحرب أبلغ وصف ، قال في الهزيمة :

ونادى منادٍ للهزيمة في الملا	وان منادي الترك يدنو ويقربُ
فأعرض عن قواده الجند شارداً	وعلّمهُ قواده كيف يهربُ
وطار الاهالي نافرين الى الفلا	مئين وآلافاً تهيم وتسربُ
نجوا بالنفوس الذاهلات وما نجوا	بغير يدٍ صفرٍ واخرى تقلبُ
يسير على اشلاء والده الفتى	وينسى هناك المرضع الام والابُ
وتمضي السرايا واطئاتٍ بخيلها	أرامل تبكي او ثواكل تندب
فمن راجلٍ تهوي السنون برجله	ومن فارس تمشي النساء ويركبُ
يكادون من ذعرٍ تفرُّ ديارهم	وتنجو الرواسي لو حواهنّ مشعبُ
يكاد الثرى من تحتهم يلجُ الثرى	ويقضم بعض الارض بعضاً ويقضب
تكاد تمسُّ الارضَ مساً نعالهم	ولو وجدوا سبلاً الى الجوّ نكّبوا
هزيمة من لا هازم يستحثهُ	ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجبُ

الاستاذ مرغليوث



الاستاذ مرغليوث انكليزي ناطق بالضاد . . . فانه مستشرق تضلع من العربية وملك عنانها . ولا بدع فانه وقف عليها ذكاء خارقاً وعزيمة ماضية . فهو اليوم مليء بعلومها وآدابها الماماً قلما تسنى لغيره من المستشرقين

وهو يقيم في اكسفورد « مدينة العلم » وهي على نحو ٦٠ ميلاً من لندرا ، سكانها طلبة ، ومخازنها مكاتب ، وشوارعها حدائق . أهم مبانيها واقدمها ثلاثة وعشرون هي صروح العلم منذ القرن الرابع عشر ، اذ هي

المباني المتفرقة هنا وهناك التي تتألف منها جامعة اكسفورد الشهيرة .
واستاذنا استاذ العربية في هذه الجامعة

زرته في بيته وخاطبتهُ بالانكليزية فردّ عليّ بالعربية ، وهو يتكلمها بكل طلاقة ويجيد الاسلوب العامي (الشامي والمصري) لانهُ زار القطرين غير مرة ومكث فيهما مدة طويلة . وهو معروف لدى جمهور من ادباء القطرين وعلمائهما وله منهم صفوة اخوان يجلهم ويجلونه

وهو رجل على علوّ قدره وسمو مكانتـه في عالم الادب متواضع ليّن الجانب ، يمدحه عارفوه ، وتعظمه افعاله . وقد ذكـره لي زميله ارنولد [1] وقال « انه فرد نادر الذكاء » . فقـد كان يفوز بقصب السبق على اقرانه مدة تلمذته بطولها ، وانه لذو مقدرة غريبة في درس اللغات واتقانها . فلتفتخر العربية بان مثل ذكائه ومقدرته موقوفان عليها دون سائر اللغات الشرقية

اما ما يجيئه الآن من خدمة هذه اللغة « المظلومة » فهو طبع كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي . فان لديه النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب . وقد أراني الجزء الذي تم طبعه فرأيتـه حافلاً بالشروح والتفاسير التي تشهد له بسعة الاطلاع وطول الباع في علوم اللغة وآدابها

وقد ظهر له مؤخراً كتاب جليل في الاسلام كنت قد طالعته قبل التشرف بمقابلته ، فحدثتني نفسي بنقله الى العربية لما وجدت في فصوله من الاحصاآت والحقائق التاريخية والابحاث الفلسفية والسياسية مما يهم

(١) وهو أحد المستشرقين وسننشر رسمه في عدد تال

الاطلاع عليه كلّ متصدٍّ للبحث والكتابة في الشؤون العربية والاسلامية على الاطلاق . وهو سفر مختصر بحث فيهِ عن ماضي الاسلام وحاضره من أوجه الدين والامة والدولة جميعاً بحثاً دقيقاً متحاشياً فيه ذكر كل ما يجرح الاحساسات ، ومقتصراً على ايراد الحقائق وارداف النتائج باسبابها

وقد طلبت اليهِ ان يتحف « الزهور » برسمه الكريم وبنفثة من يراعه العربي ، فتفضل بقبول متمناي وبعث اليّ الى لندن بالرسم وقد وقّع اسمه عليه بيده ، وبالجملة التالية وقد كتبها بقلمه البليغ　　وديع البستاني

مذهب المستشرقين

ذكر صاحب الفخري في اخبار امير المؤمنين عبد الملك ان مذهب المستعربين اخترع في عصره وهو يريد بهم رجالاً من الاجانب اتخذوا اللغة العربية لغة وتزيوا بآداب العرب . وقياساً على تلك الكلمة وُضع في ايامنا اسم المستشرقين تسمية لمن ينتمي الى علوم الشرق من أهـل الغرب لا كالذين يشير اليهم المتنبي بقوله

وقـد يتزيا بالهوى غير أهـله　　ويستصحب الانسان من لا يلائمه

فان فيهم أُناساً لا يُطعن في أهليتهم ، وانما تركوا جادة طريقة أصحابهم لاسباب نريد ان نبينها لمن ذهبت عنهُ او خفيت عليـه . فأول داعية دعت قوماً من علماء الافرنج الى اكتساب العلوم الشرقية هي الديانة . فان التوراة اساس أُسّس عليه الدين المسيحي ولغتهـا الاصلية عبرانية تختص باليهود الذين مع حفظهم لكتابهم المقدس وتعبدهم بفروضه

لم يهتدوا الى تبويب وتدوين قواعدها وقوانينها الاّ بعد توطئة نوابغ نحويي الاسلام للطريق . وبعد ما ألف سيبويه كتابه وجمع ابو عبيد غريبه ورتب الراغب مفرداته حملت بعض اساتذة اليهود الغيرة على الاقتداء بهم . وقد سهل ذلك عليهم ما بين اللغتين من التقارب والتشابه فلما استهل عند الافرنج قمر المعارف صار لاهوتيوهم يأخذون من علماء اليهود تفسير التوراة. وبتقفية الآثار تدرجوا الى الموارد العربية فاصبح كل من يرغب في الوقوف على حقائق معاني التوراة طالباً للعربية لا يستغني عن طرف منها . فالسبب الاصلي في تأسيس استاذيات اللغة العربية عند الافرنج هو ديني صرف اضيف اليهِ ما كان اشتهر من حذق اطباء العرب وحكمائهم ومنجميهم وانه لم يزل عندهم متون أئمة اليونان القدماء وشروحها وكان طلبة الطب عندنا قبل ٢٥٠ سنة يضطرون الى حضور دروس مدرّس العربية . ثم عندما بلغت حرية الافكار ما بلغت وانتجت علوم جديدة تنقر عن الانسان من حيث هو انسان وتبحث عن مصادر السياسات والاديان وتاريخ الممالك والبلدان واختلاف الانواع باختلاف الزمان والمكان لم يخف على المتبحرين في هذه العلوم اتساع الممالك الاسلامية وعظم ما تشتمل عليهِ من المواد اللازمة لاشغالهم من آثار متواترة وعوائد غير مخل بها ومذاهب متشعبة وطرائق متفاوتة فازدادوا رغبة في الحصول على الآلات التي تمكنهم من الاكتشاف عن خفايا التاريخ وهؤلاء لا بد لهم من الاستشراق

مرغليوث

في حدائق العرب

الحرب

الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونفاقها الاناة ، وزمامها الحذر . ولكلّ شيءٍ من هذه ثمرة : فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقامٍ مقال ، ولكل زمانٍ رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها ابلغ من القتال

قال عُمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب : « صف لنا الحرب » قال : « مُرّة المذاق اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عُرف ، ومن نكل عنها تلف ، ثمّ انشأ يقول :

الحربُ اول ما تكون فتية　　تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتى اذا حميت وشبّ ضرامها　　عادت عجوزاً غير ذات حليلِ
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت　　مكروهةً للشمّ والتقبيلِ

وقال عنترة الفوارس : اول الحرب شكوى ، واوسطها نجوى ، وآخرها بلوى

وقال نصر بن سيار ، صاحب خراسان ، يصف مبتدأ الحرب :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ نارٍ　　ويوشك أن يكونَ لها ضرامُ
فان النارَ بالعودين تذكى　　وان الحربَ اولها كلامُ

والعرب تقول : الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني

ومن اقوالهم : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة

وقال هشام بن عبد الملك لأخيهِ مسلمة : هل دخلك ذعرٌ قط لحربٍ او عدو ؟ — قال : ما سلمتُ من ذعرٍ نبهني الى حيلة ، ولم يغشني ذعرٌ سلبني رأيي . — قال هشام : هذه والله البسالة

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرت استبقي الحياةَ فلم اجد		لنفسي حياةً مثل ان أتقدما

وقال المهلب لبيته : عليكم بالمكيدة في الحرب ، فانها ابلغ من النجدة

وسئل اهل التمرين بالحرب : اي المكايد فيها احزم ؟ — قال : اذكاء العيون ، وافشاء الغلبة ، واستطلاع الاخبار ، واظهار السرور ، وامانة الفرق ، والاحتراس من المكايد الباطنة من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستفشٍ ، واشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزراً وكلموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً

وكان أبو مسلم يقول لقواده : اشعروا قلوبكم الجرأة ، فانها من اسباب الظفر ، واكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب

وكانوا يتمادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ، ويقولون فيهِ « مات فلان حتف انفه » . ولما بلغ عبد الله بن الزبير مقتل أخيه قال : ان يقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قطعاً باطراف الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف ، ومن ذلك قول السموأل : وما مات منا سيدٌ حتف انفه

في رياض الشعر

﴿ أمين بك ناصر الدين ﴾

رئيس تحرير جريدة الصفاء



صاحب هذا الرسم هو صاحب تلك القصائد الجميلة التي نشرتها « الزهور » في بعض أعدادها السابقة ، والتي ما برحت تنشر منها الى اليوم ما توفقت اليهِ . وهو الشاعر الذي قلنا عنهُ يوم نقلنا لقرائنا قصيدته « شاعر يناجي صورة » انهُ معروف في سوريا ولبنان ومجهول في مصر ،

ووعدنا حينئذٍ بتمثيل رسمه على احدى صفحات « الزهور » لنجمع بين صورتيهِ المعنوية والشخصية . ولقد سرَّنا ان فريقاً كبيراً من الادباء أُعجب بشعر هذا الشاعر المجيد ، وهو ما توقعناه من قبل ، فكتب الينا يسألنا عنهُ ، ويلحّ علينا بنشر ترجمته الى جانب رسمه ، فخاطبناه في ذلك فبعث الينا حضرته بالكلمة التالية فلم نرَ خيراً من نشرها كما هي . قال :

« طلبت اليَّ كلمة تعرفني الى القراء . فان أردت تلك الكلمة عن منتماي فهو الى الشيخ بدر الدين الذي كانت بينهُ وبين الامراء المعنيين صلة قربى . وهذا الجد الاعلى رزقهُ الله عدة ابناء منهم ناصر الدين الذي نسبت اليهِ اسرتنا . كان بدر الدين يقطن عين داره [1] وتوفاه الله فيها وبها قبره الى الآن . ثم طرأت بعد موته حوادث صدعت شمل ابنائه فانتحى كل منهم ناحية . وكان ان اتخذ ناصر الدين كفرمتّى [2] وطناً له

وان أردتها عن مولدي فقد كان في شهر محرم الحرام من سنة ١٢٩٧ هجرية . فعمري الآن اثنتان وثلاثون سنة . وأشهر حوادث حداثتي اني كنت أقول ابياتاً من الشعر قبل ان تعلمت القراءة والخط فكان والدي يكتبها لي ، ويصحح لغتها دون وزنها . ومرةً بعثت الى المرحوم الشيخ خليل اليازجي ، وكان مصطافاً في عبيه ، ببيتين من شعري الصبياني فسرَّ بهما كثيراً وأجابني عليهما بهذه الابيات :

انت الصغير الكبير النفس منتسباً بها لاسلافك الشم العرانينِ

---

(١) قرية في جبل لبنان على ساعة من صوفر (٢) قرية في جبل لبنان على مقربة من عبَيه ، وعلى ساعة من عاليه واربع ساعات من بيروت

هلال سعد نرجي منه بدرسناً　　يلوح في افق باليمن مقرونِ
غالبت فن القريض المستطاب وقد　　غلبته بانتصـار منك ميمونِ
منه لك الامن والنصر المبين ولا　　بدع فانت أمينٌ ناصر الدينِ

ولم تزل الرقعة المكتوبة فيها هذه الابيـات محفوظة عندي وهي بخط الناظم رحمهُ الله

وبعد ان تعلمت القراءة والخط درست مبادئ النحو والصرف والبيان والبديع والعروض على بعض الاساتذة ثم عكفت على المطالعة ، واستظهرت من اقوال البلغاء ، وخصوصاً الشعراء منهم ما يصح ان أقول انه كثير

وفي سنة ١٨٩٩ ميلادية أعدت نشر جريدة الصفـاء وذلك اول عهدي بالصحافة فحررت فيها نحو أربعة اعوام مع تدريس اللغة العربية في مدرسة عبيه الداودية . ثم أسس والدي مدرسة المعارف في عام ١٩٠٥ فتسلمتُ ادارتها مع تدريس العربية فيها ولم اكن أنفك عن المطالعة

وفي سنة ١٩٠٨ أعدت نشر جريدة الصفاء ولا أزال اكتب فيهـا الى الآن »

***

هذه كلمة الشاعر عن نفسهِ . أما كلمتنا عنهُ فقد أغنانا عن قولها ما نشرناه لحضرته من القصائد الرائقة في ما مرّ ، ونحن على يقين ان قرّاء « الزهور » قد قدروها قدرها ، وأنزلوها المنزلة التي تستحقها بين جيد الشعر وأطايبه . وان في النفثة التي نحن ناشروها له اليوم ما يصح ان يكون دليلاً ساطعاً على فضله وأدبه :

﴿ صدى اليأس ﴾

آثرَ الدهرُ ان أعيشَ كئيبا بين قومي وفي بلادي غريبا
تنتحي قلبيَ الهمومُ دراكاً والي الخطوبُ تزجي الخطوبا
حسبَ الدهرُ أنني من جمادٍ فرماني بالنائبات ضروبا
غير أنّ الارزاء ما أفقدتني جَلَدًا راسخاً وعوداً صليبا

* * *

ضاع رأيي في من أرى حين أمست ألسنُ الناسِ لا تطيعُ القلوبا
تارةً أحسبُ الحبيبَ بغيضاً وزماناً أرى البغيضَ حبيبا
كم رأيت ابتسامةً فوقَ ثغرٍ ثم عادت من بعد ذاك قطوبا
ولكم بتُّ راضياً عن أناسٍ حين أصبحتُ غادروني غضوبا
ولكم قد وثقت بالبعض لكن قد أبى الخُبْرُ ان اكون مصيبا
ينتحيني الأنامُ من غير داعٍ ومتى أدعُ لا ألاقِ مجيبا
يحسبون الجميل اسوأ صُنعٍ والسجايا المكملاتِ عيوبا

* * *

ودَّ غيري دوامَ عصرِ شبابٍ بينما جئت استحثُّ المشيبا
حبذا الشيبُ في دجى الشعر صبحاً منبئاً أنّ للحياة غروبا
لا تظننَّ ان في العيش طيباً ضلَّ من ظنَّ في الخبائث طيبا
وكفى بالشقاء طلقَ لسان عن خطوب الحياة قام خطيبا

* * *

أرقبُ النجمَ في الدياجي وما من وَلهٍ بتُّ للنجوم رقيبا
غير أني أرى لهنَّ خفوقاً كفؤادٍ يحيي الظلامَ طروبا
ويزيد النسيمُ قلبيَ حرًّا مثل نار بالريح زادت لهيبا

وإذا ما رأيت إشراقَ شمسٍ قلت يا ليتَهُ يعودُ مغيبا
انَّ ستر الظلام يحجب عني كل شيءٍ أريده محجوبا

***

يا هزارَ الاراكِ انك أوفى في الملذات من سواك نصيبا
أنت تشدو على الغصون سروراً وأنا أجعل القريضَ نحيبا
أنت تبغي البقاء في ظلِّ دوحٍ وأنا أبتغي الفناء القريبا
لك في الطير أوفياء واني لم أجد في الأنام إلاّ مريبا
يا هزارَ الاراك لو كنتَ مثلي لاستحال الصداحُ منكَ نعيبا
ليس من طبعي الكآبة لكن آثرَ الدهرُ ان أعيش كئيبا

امين ناصر الدين

حقائق

سألتك يا ربّ بالانبياء وبالمصطفين وبالاتقياء
وبالمنزلات وبالمعجزات وبالارض والبحر ثمَّ السماء
تمنّ عليَّ بصبر جميل اذا المرء ضاق عليهِ الفضاء
فكم قد صبرتُ على ما ألاقي فلم يجدني الصبر غير العناء
تمنيت لو لم تلدني الولود جزاها المهيمن خير الجزاء
تمنيت لو ثكلتني رضيعاً فلم أتغذَّ بهذا الهواء
أرى أنفساً كان خيراً لها الـ ـقتل تعلو علوًّا رفيع البناء
وأخرى لها شيم المرسلين تضام وقد نال منها العياء
أرى جاهلاً يتخطى الرقاب أرى عالماً نال منهُ الشقاء
أرى الصدق في النزع والصادقين تولى عذابهمو الادعياء

أرى النـاس بعضاً لبعض عدواً نسوا أنهم خلقوا للفنـاء
تراه تظن الصديق الحميم وان رحت فهو شديد العـداء
وتلقـاه يقسم بابن البتول ونسل الذبيح وحق الولاء
بأن عرى الودّ حبـل متين غدائره من خيوط الاخاء
أدر شطر وجهك عنـهُ قليلاً يقطع حبـال الاخا والرجاء
تبـاركت يا رب هـذي الذئاب أضرُّ على النـاس من وطأة الداء
عقارب تلدغ من يلتقيهـا أفاعٍ تعض فكيف الشفاء
اذا كان يرضيك هذا فزدنا والاَّ فعجـل بمنح الدواء
فأني وحقـك أقسم صدقاً بأن الفساد سرى في الدماء
وإنا نرى اللؤم رأي العيـان ونلمس بالكـف جسم الرياء

عطبره (السودان) محمد فاضل

﴿ الشرق والغرب ﴾

ايه يا برق العدى كن خلبـا أوشك المشرق يحكي المغربا
غلبتهُ في قواه خدعة فاحذروا كيد قويّ غُلبا
يتسامى للعلا لا راهباً فاذا صادف موتاً ركبـا
حاولوا ان تحجب الشمسُ بهِ ليتهم ما حاولوا ان تحجبـا
كلمـا مدُّوا اليهـا طنبـا قرَّبوا للنـار ذاك الطنبا
ربَّ شعب أيقظتهُ رقدة فرأى الراحة كانت تعبـا
درَّ درُّ الجهل والنوم معـاً أعقبا بعـدهما ما أعقبـا
ربَّ طير أسقطتهُ ذروة فسما عنهـا فكانت سببـا
يا نئوساً في ربى النيـل رأت عزَّها في عزّ هاتيك الربى

رائحـات كل يوم برضى غاديات كل يوم بنبـا
كلما طار صدى ما بينهـا أهَّبَ النـاس اليـهِ موكبا
يا أوليهـا ذلَّل الله لكم من أساليب المنى ما صعَّبـا
كلأ الله رجالاً كلأوا أرضهم حتى قضوا ما وجبـا
سطَّروا ما أضمروا في صفحة اعجبوا فيهـا فكانت أعجبا
حاول الجبار ان يقرأها فرأى في كل حرفٍ عقربا
فبكى كالطفل عيناً وفماً وطواها فضحكنا عجبـا
ويكَ يا غربُ اتقِ الشرق فلم تحتمل غيظ حليم غضبـا
قوَّةٌ كالنار لو جاوزها نفَسُ المطفيء زادت لهبـا
او كأمواه ترامت من علٍ كلمـا صُودرن زادت صَبَبا
لا وايم الله ما كانت وهت رب ذي بأس تواهى رغبـا
كم قلوب يتمـارضنَ هوى لترى من قد سلا ممن صبـا
ضيعة كانت . فولت . فانثنت كم ضياع رُدَّ لمـا سلبـا
في يمين الشرق تجري زبدا ويمين الغرب تجري ذهبـا
فاتحـات الخير بآسم الله ما شـاء لا يسأل عمـا وهبا
أخلقُ النـاس بنعمى ربه مخلص لله فيما طلبـا

***

يا رجالاً لفتوا الدهر لهم فمتى أملوا عليـهِ كتبا
رب قول في دم المرء جرى وحسام في يد المرء نبـا
لا سقى الغيث ثرى مصر اذا هو لم ينبت رجالاً نجبـا
أنفساً طابوا وقرُّوا أعيناً وعلا زادوا وطالوا حسبا

عبد الحليم المصري

﴿ أين فؤاده ﴾

أهذا الذي جنبَ الحشا إسمهُ القلبُ ‏ ‏ أمِ القلبُ حيث الصبُّ مهجتهُ تصبو؟
وذاك الذي سمّاه أهلُ الهوى جوًى ‏ ‏ أهــذا الذي لا تستقرُّ بهِ جنبُ؟
وتلك السيوفُ الناقماتُ على الحشا ‏ ‏ أم المقلةُ النجلاءُ أرهفهــا الهدبُ؟
اذا سئل الانسانُ أين فؤادهُ ‏ ‏ فأيُّ جوابٍ للذي ما لهُ قلبُ؟

رشيد نخله

﴿ الفلّ ﴾

زانت الرأسَ بفلٍّ ‏ ‏ هو بالرأس تحلّى
ما رأتْ قبلكِ عيني ‏ ‏ وردةً تحملُ فلاّ

خليل مطران

﴿ اصابع العاج ﴾

ليس « البيانو » الذي باتت تكهربهُ ‏ ‏ يداكِ أطوعَ من قلبي وافكاري
لمستهِ فتمشى السحرُ بي فكما ‏ ‏ تهتزُّ أوتارُه تهتزُّ أوتاري
أصابع العاج هذي تلعبين بهــا ‏ ‏ أم تلعبينَ بأسمــاعٍ وأبصارِ

الدكتور نقولا فياض

﴿ دمعان متشابهان ﴾

رأيت كتابهــا فقرأت فيهِ ‏ ‏ شكاياتٍ ألذَّ من الثنــاء
فقلت فؤادها يحكي فؤادي ‏ ‏ لذاك بكاؤها يحكي بكائي

ولي الدين يكن

حلب الشهباء

موقعها — قدمها — اصل اسمها

ما نحن من يصف قدرها الخطير ومحلها الاثير[1] او يطنب في بسيطها المشهور وما تجده النفس فيهِ من الانبساط والسرور[2] ولا من يتغزل بظلها الضافي ومائها الصافي وسعدها الوافي وانوارها المشرقة وازهارها المونقة واشجارها المثمرة المورقة[3] ولا من يقف على اطلالها فيندب كبار رجالها ويبكي منازلها وديارها وينعي سكانها وعمارها[4] ولا بالنتيجة من يجدها من (الشام) الواسطة من العقد والقلب من الصدر والانسان من العين[5] الى ما اشبه هذه من ألفاظ مبتذلة وفواصل باردة وقفت عندها البداءه فلاكتها الألسن وتداولتها الأقلام دهراً طويلاً فما زادت هذه المدينة تعريفاً ولا اجدت في حقيقه حالها شيئاً مذكوراً

وانما نضرب عن ذلك كله لقلة فائدته الى ان حلب مدينة عهيدة دالت بها الاحوال والدول بين العزة والذل والقوة والضعف والرفعة والانحطاط شأن سائر بلاد الله العديدة فكان لها في غالب الاحيان من الاسباب والوسائل ما تدرجت معهُ في مراقي العمران والحضارة وأصابت

---

(١) ابن جبير في رحلته المعروفة (٢) ابن بطوطة في رحلته المشهورة
(٣) ابن احمد المهلبي في كتابه المسالك والممالك (٤) ابن جبير وابن فضل الله في كتابه مسالك الابصار (٥) ابن شداد في اعلاقه الخطيرة وابن الشحنة في دره المنتخب

من زمن بعيد من الخطورة والأهمية ما جعلها من امهات البلاد السورية على ما هو مقرر بالاجماع

وجل ما نذكره في هذه النبذة موقعها وقدمها وشعوبها ومشاهيرها ومرافقها وما يتصل بها من احوالها مستندين فيها الى أوثق المصادر وأثبت الآثار فعسى ان تصادف قبولاً عند القراء الكرام

ان حلب واقعة في جوف بعيد الاكناف والاطراف في جهة سورية الشمالية وتبعد عن البحر المتوسط ٧٠ ميلاً او ١٥٠ كيلومتراً وهي في درجة ٢٥َ ١١ً ٣٦ْ من العرض الشمالي و ٩َ ٣٧ْ من الطول الشرقي على ما قاله فانديك في مرآته الوضية

تتوسد جوفها المطمئن الى رياض وبساتين نضرة وسهول واسعة خصيبة يكتنفها ربى وتلال مجدبة قاحلة كما هو الغالب في جبال سورية ويجري الى جانبها نهر قويق الذي دعاه كزينوفون (خالسن) ويعزى الآن الى قويق آغا الذي اصلحه وكان يلقبهُ أهل الخلاعة (بابي الحسن)

ولا تبدو حلب للمسافر الاَّ عن كثب فيراها متراصة مركومة بعضها فوق بعض . واول ما يشاهده منها قلعتها المشهورة ومناور جوامعها ومآذن مساجدها وقباب كنائسها العظيمة ومنازلها الكبيرة وبين شهبة أبنيتها وخضرة بساتينها وحمرة رباها مشاهد رائعة ومناظر فاتنة تدهش الابصار وتأخذ بمجامع القلوب

وكانت المدينة محاطة بالاسوار فلا يؤذن في البناء خارجاً عنها حتى ضاقت على أهلها في اواخر القرن الثالث عشر فشرعوا يشيدون من

حولها حارات بانقوسا والاكراد والهزازة والجديدة والمشارقة والكلاسة وما اشبـه . وفي اواخر العصر الماضي أخذوا يبنون ايضاً احياء الجميليـة والعزيزيه والتلل والسليمانية والنيال والحميدية وما يتصل بهـا حتى كاد البنيان الحديث يعادل القديم

واما حاراتها القديمة فحسنة على الجملة وأسواقها مرصوفة وأزقتها ضيقة وبيوتها مبنية من الحجر الابيض وتشابه دور دمشق واما احياؤها الحديثة فبالغة حد الاتقان وأبنيتها متقنة الهندسة وشوارعهـا مرصوفة الجوانب على طرز المدن المستحدثة وأطول طرقها واوسعها طريق الخندق الذي مده رئيف باشا من دار الحكومة الى محلة الجميلية

وشرب أهلها من آبار نابعة ومن صهاريج تجتمع فيها مياه الامطار ومن قناتها التي تجري اليهـا من جيلان على مسافة ثلاث ساعات شمالاً وتتفرع في القني الى الدور والمساجد والخانات والحمامات والقساطل ويقال ان هيلانة ام قسطنطين الكبير هي التي جرتهـا الى الكنيسة العظمى فعرفت بها ولا ريب في ان ماء حلب عذب فرات

وشتاؤها معتدل تشتد نوافحه في شهري كانون الاول والثـاني وتكثر فيهما الأمطار والثلوج واما صيفها فليست وغرته بمفرطة ولو تصاعد فيها الى الـ ٤٠ درجة من المقياس المئوي وذلك لنشف هوائها وهبوب الريح الغربية عليها في حمارة قيظها فتلطف اوارها وترطب هواءهـا في معظم ساعات النهار . ولهذا ترى حلب طيبة السكنى معتدلة الجوّ تصح به الاجسام

ولكن لا بد لاهلها دائماً وللغرباء نادراً من ظهور بثرة او خراجة تسمى حبة حلب او حبة السنة لا تبرأ قبل سنة من ظهورها وليس لها علاج خصوصي يعول عليه في معالجتها . وقيل ان سببها من الماء وقيل بل انه من المناخ او الهوام لانها لا تظهر الا في المحال المكشوفة من البدن كالوجه واليدين والرجلين وهي توجد ايضاً في عين تاب وعلى شطوط الفرات الى بغداد

وهي المدينة السورية الوحيدة التي حافظت على مزاياها الشرقية البحتة من حيث البناء والعيش وعادات السكان وجودة الطباع الى اشباهها مما فقد من غالب البلاد السورية فلا عجب ان راقت هذه المدينة في أعين السياح لانها تذكرهم في القرن العشرين بمزايا المدن الكبرى التي عمرها العرب في القرون الوسطى وأودعوا أخبارها ومفاخرها بطون تواريخهم المعروفة

قال كتبة العرب [١] : ان اسم حلب عربي لا شك فيهِ وهو لقب لتل القلعة . فكان ابرهيم (عم) اذا اشمل من الارض المقدسة ينتهي الى هذا التل . . . فكان يأمر الرعاة بحلب ما معهم طرفي النهار . . . يتصدق به على الضعفاء والمساكين فينادي الضعفاء : (ابرهيم حلب ابرهيم حلب) فيبادرون اليهِ . وغلبت هذه اللفظة لطول الزمان على التل كما غلب غيرها من الاسماء على ما هو مسمى به فصار علماً بالغلبة

واول من تنبه لهذا الوهم ياقوت الحموي [٢] فقال : وهذا فيهِ نظر

(١) ابن شداد فى كتابه الاعلاق الخطيرة فى امراء الشام والجزيرة
(٢) معجم البلدان مج ٢ ص ٣٠٤

لان ابرهيم (عم) وأهل الشام في ايامه لم يكونوا عرباً . انما العربيـة في ولد ابنه اسماعيل (عم) وقحطان . . . فان كان لهـذه اللفظة أعني حلب أصل في العبرانية او السريانية جاز ذلك لان كثيراً من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقهُ الا بعجمة يسيرة كقولهم : (كُهنم في جهنم)

والصواب انها (حلبون) بتر العرب علامـة الاعراب من آخرها فصارت (حلب) كما فعلوا بانجيل من اونجيليون وبطريق من بطريقيوس وبطرك من بطريركا او فطريركيس وما أشبه . قال السيد يوسف داود[1] انها سريانية بمعنى (الخصوبة او الصفوة) وأثبت الاب انستاس الكرملي[2] انها ساميّة الاصل بمقتضى الاشتقاق اللغوي ومعناها (المدينة الخصبة الارض المكتنزة التراب الدسمتهُ العلكته) وصار الاديب يوسف اليان سركيس[3] الى ان أصل اسمها ارامي ومعناه (اللبن او البيـاض) وعندي انه لا يتجلي اصل اسمها ومعناه الا بعـد الكشف عن كتابات الحثيين وآثارهم

وحلب قديمة العهد رقاها مؤرخو العرب الى زمن ارتحال ابرهيم من ادر وحران الى ارض كنعان على ما يظهر من الرواية السابق ذكرهـا وذهب كثير من المؤرخين الى انها حلبون التي ذكرها حزقيال[4] وكالبون التي ذكرها استرابون وبتولـماي . وقال بعض أهل التحقيق والسياحة بل هذه حلبون احدى قرى دمشق المشهورة بخمرها وزعم

(١) النصارى ص ٢٣　(٢) المشرق ١٠ : ٩٦٩　(٣) الدر المنتخب ص ٢٨　(٤) نبؤة حزقيال ٢٨ : ١٨

ابن العبري ان بانيها بخوس ملك اشور [١] ووهم قوم ان بانيها نمرود اول ملوك بابل وكل هذا يقتضي له من اعمال النظر ما لا يسعه صدر هذه المقالة

وما لا شبهة فيه ان حلب كانت مدينة عامرة في المئة الرابعة عشرة قبل الميلاد كما يظهر من كتابة مصرية ترتقي الى عهد رعمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشرة وصف فيها عاملٌ مصري رحلته الى شمالي سورية وذكر في اثنائها (خلبو) اي حلب مرات . وقد نظر هذه الرحلة شباس العالم معلقاً عليها بعض الشروح

ولا يمتري احد الآن فيما يرجحه الاكثرون من ان بناة حلب هم الحثيون الشماليون وقد كانوا شعباً قوياً نشيطاً نزلوا على سورية الشمالية فعمروها وتغلغلوا في اطرافها في عهد فتوحات ملوك مصر الفراعنة التي توالت على سورية من القرن السابع عشر الى الرابع عشر قبل المسيح وما تركه هؤلاء الحثيون من الكتابات والآثار والرسوم في نواحي حلب وحمص وحماه أسطع دليل على ذلك الترجيح

ولما غشي رعمسيس الثاني سورية بجحافله الجرارة لقتال موتنار ملك الحثيين بسبب نقضه شروط المحالفة التي عقدها مع سلفه ساتي الاول كان ملك خلبو (حلب) الى جانب موتنار وتحت قيادته ثمانية عشر ألف جندي فجرت وقعة هائلة على اسوار قادس دارت فيها الدوائر على الحثيين فتفرقت صفوفهم طرائق وهرب موتنار وغرق ملك حلب في جملة من غرقوا في نهر العاصي وفي صورة هذه الواقعة المنقوشة على هيكل الاقصر

(١) مختصر الدول ص ٣٨

يُرى ملك حلب مستخرجاً من النهر ومعلقاً برجليه يتدفق من فيـهِ ما
كان يظن انه ابتلعه من الماء　　القس جرجس منش

﴿ المعلوم والمجهول ﴾

صدر منذ عامين الجزء الاول من هـذا الكتاب لمؤلفهِ الكاتب والشاعر الشهير ولي الدين بك يكن ، فكان له رواجٌ كبير بين القراء . ثم فرغ حضرته الآن من وضع الجزء الثاني من هذا المؤلَّف وهو صادر بعد بضعة ايام من مطبعة المعارف . وتيسر لنا أن نطالعه فنقدم لقراء « الزهور » شيئاً منه قبل سواهم . فاقتطفنا منه وداع المؤلف للاستانة وذكر سفره منها يوم نُفي الى سيواس :

يممت فروق مدعواً ونزحت عنها مجفواً . فلا الدعوة أبطرتني ولا الجفوة كفرتني . وما زلت من لدن وطئت مهادها وعلات انهارها وشممت طيبها ورعيت كواكبها صادق الود . مخلصاً في السر والجهر . وما فروق الا وطن ميلادي استهلت فيها حياتي ونما في ارضها عودي . بذلت لها روحي ولا أمن بها ومنحتها آمالي ولا أدل بها . وكانت شقوة فغلبت على أمري ، ونزعت عنها نزوع الصب عن موطن صبابته . . . .

على ظهر قصر سابح . في لجج البسفور . بين شطي اوروبا وآسيا . من الوطن المحبب الى غاية مجهولة . فراق أهل وولد . من غير توديع ولا تسليم . كل ذلك تحت ليل كأنه ظل الشقاء وسماء كخاطر الواله . في حيث تتراءى تفاريق نور على البيوت كبسمات ارواح المظلومين من وراء حجب الوجود . لقد كنت شاعراً في ظلمك يا عبد الحميد . . . .

واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الاعين على احسن منهما . شطي آسيا واوروبا . يتناغيان بالمصابيح . عاشقان ضنت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما ام مرًّا بنا . لا أعلم . صحائف أجاد الحسن فيها منمقه . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم . فرائيها متخيل وعارفها متوهم . ما شك ناظر الى السماء واليها ان تلك كواكب سقطت عليها . عهدي بها في حالتيها . بينا هي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلة عندليب . تتجاور بها مسارح آرام ومصارع كرام . تسقى من ماء معين ومن دم مهراق . تطالعها وجوه ضاحكة واخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتى وآونة مصيف وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم . فتنتني يوم لقائها وتوشك ان تفضحني يوم فراقها . فروق يا ظلوم . خذي روحي فما هبطت عليَّ الا فيكِ واسترجعي من انحاء الفضاء متفرقات انفاسي . أنتِ أولى بحسراتي منه . استبقي لي خاطراً احييكِ به وشعراً أنوح به عند فراقكِ . يا نعيمي الماضي وشقائي الحاضر . ألا يضطرب ماء هـذا الخليج مجاراة لجوانحي . وددت لو ان ارتطم عبابه وترامت امواجه وأغرقتنا قبل ان نجتاز ربوعكِ . كان بكِ مهدي . واريد ان يكون بكِ لحدي . هنيئاً يومئذٍ لحوتكِ ونونكِ ما ابقت الايام من لحم على وضم . ولتتصرف رياحكِ بأخريات انفاسي ولترنّ في ارجائكِ نوحاتي . الوداع الوداع يا فروق . وسلام الله عليكِ وعلى بنيكِ كلهم . هـذا طريد جديد . مظلوم يلحق بمظلومين . يخرجونني منكِ ليلاً لأزاكِ في ثوب حدادكِ .

أمن أجلي كل هـذا . كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا اضيع فيكِ من دمعة على خد مهجور . أنا اهون على الدهر من ذرة من ذراتك ضلت بين ثنيات الاثير . . . . .

ولي الدين يكن

ازهار واشواك

اقرار ومتاب

هذا هو عنوان القصيدة التي اشرت اليها في العدد الماضي اثناء ما رويتهُ عن الحفلة الجميلة التي أقيمت في منزل صديقي سليم سركيس اكراماً لصديقته السيدة نجلا صباغ . فزت بها لأتحف قرائي بعذوبة نظمها واطربهم ببديع معانيها ، وقد شاء خليل مطران منضد دررها ان يخصني بها وهي خير ما اقدمه لقراء الزهور في هذا الشهر . قال خليل متذكراً وما أجمل تذكاراته !

هل تذكرين[1] ونحن طفلان عهداً «بزحلة»[2] ذكره غُنمُ
اذ يلتقي في الكرم ظلاّنِ يتضاحكان وتأنس الكرمُ ؟

هل تذكرين بلاءنا الحسنا حين اقتطافِ أطايب العنبِ
نُعطي ابتساماتٍ بهـا ثمنا وبنا كنشوتها من الطربِ ؟

عنب « زحلة » يساوى كثيراً على ان الشاعر لم يدفع به ثمناً بخساً

هل تذكرين غداة نخطر عن مَلكين حفًّا بالمسرّاتِ
بين السماواتِ النواضر من عليـا ودنيـا والثرياتِ ؟

(١) الشاعر يخاطب السيدة نجلا صباغ قريبته (٢) مدينة فى لبنان

والنهر .. هل هو لا يزال كما كنا لذاك العهد نألفهُ
يسقي الغياضَ زلالهُ الشبما ويزيد بهجتها تعطفهُ
ينصبُّ مصطخباً على الصخرِ ويسير معتدلاً ومنعرجا
يطغي حيال السدّ او يجري متضايقاً آناً ومنفرجا
متخللاً خضر البساتين متهللاً لتحية الشجرِ
متضاحكاً ضحك المجانين لملاعب النسمات والزهرِ
واهاً لذاك النهر خلّف لي عطشاً مذيباً بعد مصدرهِ
يا طالما أوردتهُ أملي وسقيت وهمي من تصورهِ

بورك فى هذا النهر الذى ينفخ هذه الروح فى وارد مياهه العذبة ولا عجب فهو « البردونى » الشهير

تمتدّ أيام الفراق وبي ظمئي لذاك المنهل الشافي
وبمسمعي لهديرهِ اللّجب وبناظري لجماله الصافي
تلك المعاهد بدّلت خطلاً بمعاهد مدنيّة الزّين
كانت غوانيَ فاغتدت بحلًى ألقتْ عليها شبهة الزمنِ
الدهر أغلبُ وهو غيَّرها وكذاك كانت شيمة الدهرِ
لو أدرك الجنّات صيرها من حسن فطرتها الى نكرِ
ما أنسَ لا أنسَ العقيق وقدْ جزناه بعد السيل نفترجُ
كان الربيع وكان يوم أحدْ ومسيرنا متمعّجٌ زلجُ
ونبيهة (١) الكبرى ترافقنا مجهودةً ضجّتْ من التعبِ
ولها صويحبة (٢) توافقنا حسناء كل الحسن في أدبِ

(١) يريد بها السيدة نبيهة مدام سليم افندى مغبغب (٢) يريد بها سيدة متزوجة الآن فى نيويرك كانت فى صغرها رفيقة الشاعر وهى قريبته ايضاً

ضحاكة كالنَّور في الزهَرِ　　رقاصة كالغصن في الوادي
كرارة كنسيمة السحرِ　　ثرثارة كالطائر الشادي

لا أعرف شدواً أحسن من شدو خليل حينما تضرب الذكرى على اوتار قلبه

صنعت بقلبي صنعها فاذا　　هو ينكر القربى ويجحدها
ترك الهوى الاهليَّ واتخذا　　تلك الغريبة عنهُ يعبدُها

وكذاك قلب الطفل يلتفت　　ان يلفِ حبًّا غير ما ألفا
كالطائر البيتيّ ينفلت　　تبعاً لسانحة بها شغفا

حسنٌ تملّكني فأدّبني　　ما شاء في قولي وفي فعلي
وبمثل لمح الطرف اكسبني　　خُلُقاً وعلمني على جهلي

اكرم بالجمال اذا كان يكسب مثل هذا الادب

أوحى اليَّ دَداً أُجربهُ　　في آية من فطنةٍ ودَدِ
فجمعت صلصالاً أركبهُ　　وصنعت تمثالاً لها بيدي

قلم خليل فى الوصف يفوق قلم ابرع المصورين فلا بدع اذا جاء هذا «التمثال» الرامز الى الحب آية فى الجمال

صوَّرت شبه الفرخ في وكرِ　　من غير سبقٍ لي بتصويرِ
فأتى على ما شاءه فكري　　ورضيت عن خلقي وتقديري

ما كان ذاك الفرخ معجزة　　فتانة الاتقان والحسنِ
كلا ولم اجعله معجزةً　　لكفاءة الحذاق في الفنِ

فلربَّ عينٍ فيه لم تكنِ　　في الحق غير مظنّة العينِ
ومظلة للزغب لم تبنِ　　حتى ولا ريش الجناحينِ

ولعلَّ ذاك العش لم تفرِ   فيه شروط الوضع والنقشِ
لكن على حلم من النظر   تستام فيه معالم العشِ
رسم على تلك العيوب بدا   لحبيبتي من أعجب العجبِ
فتناولتهُ برقةٍ وغدا   بين الصواحب أنفس اللعبِ
أمُحيّري الاحلام بالهرم   و بناة بابل فتنة الحقبِ
ومهندسي اليونان من قدم   والفرس والرومان والعربِ
ومشيّدي بغداد والجسرِ   وممصّري الامصار للبدوِ
ومزخرفي الحمراء والقصرِ   حيث انتهى بهم مدى الغزوِ
اي رافئيل المبدعَ الصورا   اي ميكلنج الناقشَ الباني
اي كلّ فانٍ تاركٍ اثرا   من طابع التخليد في فانِ
لا تستعزَّ بكم روائعكم   ممدوحة في الشرق والغرب
أترون كم صغرت صنائعكم   في جنب ما صنعت يدا حبي
بدليل انَّ حبيبتي فرحت   بهديتي وقضت لها عجبا
ومضت تداعبها وما اقترحت   شيئاً يتمُّ لها بها اربا
يوم تقضّى والفراق تلا   سرعان ما وافى وما انصرما
بهوىً تولَّد فيهِ واكتهلا   في ساعتيهِ وشاخ وانعدما
ولّى وابقى في دجى الماضي   شفقاً بعيداً واضح الأثرِ
كم اجتليهِ وراء انقاضِ   واقول يا اسفي على سحرِ
هذي حكاية حالة عبرت   واستغرقت في لجة المحنِ
ما زلت أنقذ كلّ ما ذكرت   قطعاً طفت منها على الزمنِ

فاذا صفاءُ النفس عاودني　　وأقرَّني فوق التباريح
دال الهوى الاهلي من حزني　　وبقيتما ريحانتيَ روحي

لا مجال اليوم للاشواك مع هذه الزهرة الزهراء ، فالى العدد القادم　　(حاصد)



سمو الامير ضياء الدين افندي اكبر انجال جلالة السلطان وقد قدم الى القطر المصري لتحية جلالة ملك وملكة الانكليز في سفرهما الى الهند

﴿ رواية الشهر ﴾

القطار الضائع [١]

في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ، وقف رجل في محطة سكة حديد « لندن والنواحي الغربية الوسطى » في ليڤربول ، وطلب أن يرى مستر جايمس بلاند ناظر تلك المحطة . وكان هذا الرجل كهلاً اسمر اللون ، قصير القامة ، محدودب الظهر ، كأنَّ في عموده الفقري تقوساً أصلياً . وكان يرافقه رجل مهيب تدلّ ملامحهُ على انهُ اسبانيّ الجنس ، او اميركي من اهالي اميركا الجنوبية . وهو متأبط محفظةً صغيرة من الجلد الاسود مشدودة الى يده اليسرى بسيرٍ قد انطبقت عليهِ قبضتهُ بحرصٍ شديد

ولما مَثل الاقوس بحضرة مستر بلاند تسمَّى قائلاً : انا لويس كاراتال . وقد وصلت الساعة آتياً من احد ثغور اميركا الوسطى ، وقاصداً الى باريس حيث تستدعيني اشغالٌ عظيمة الاهمية جدًّا . ولقد ساءني كثيراً انني لم ادرك قطار الاكسبريس الذي سافر منذ هنيهةٍ الى لندن . وليس في طاقتي أن أتربص ريثما يسافر القطار الآخر لأن كل ساعة أقضيها بعيداً عن باريس تكون بمثابة قضاء مبرم على اعمالي وآمالي . لهذا اودُّ السفر في قطارٍ خاص بي وحدي غير مكترث للمال الذي يجب عليَّ بذله في هذا السبيل

فأمر مستر بلاند بأن تعدّ قاطرة خصوصية ، وبأن تربط بها عربة للفحم ، وعربتان ، احداهما تحتوي على قسم مُعدٍ للجلوس فيهِ ، وقسم يُعرف « بغرفة التدخين » والاخرى لا معنى لها سوى تخفيف ارتجاج العربة الأولى . فدخل لويس كاراتال ورفيقهُ الذي لم يعرف احد اسمهُ الى الاولى وبقيت الثانية خالية خاوية ولم يكد يعود مستر بلاند الى مكتبه حتى وقف بين يديه رجلٌ يُدعى مستر

---

(١) The lost train للكاتب الانكليزى المشهور Conan Doyle كونن دويل

هوراس مُور وطلب منهُ بالحاح ما طلبهُ وفاز بهِ من قبل مسيو لويس كاراتال ورفيقهُ . قال ان مرضاً فجائياً اصاب زوجته في لندن ، وانهُ يخشى عليها كثيراً . فسفره لازم لازب لأنَّ اموراً عائلية متوقفة على ان يدرك زوجتهُ قبل وفاتهـا فان هي ماتت قبل أن يراها جرَّت معها الى القبر مستقبل عائلةٍ بأسرها

فقال مستر بلاند ان القانون يحظر عليهِ أن يُسيّر قطارين خصوصيين على خطٍ واحد في زمان واحـــد . على انهُ لا يرى مانعاً من السعي مع مسيو كاراتال فلعله يسمح بأن يُشرِك آخر معهُ في قطاره الخاص . وقيل لمسيو كاراتال في ذلك فأبى كلَّ الاباء . وحاول بعضهم أن يقنعهُ ولكنهُ اصرَّ على الرفض متشبثاً بكونهِ قد دفع اجرة القطار وحده فهو والحالة هـــذه الآمر الناهي . فاسقط في يد مستر هوراس مُور حين غلب جفاء الاميركي الأقوس على لينهِ والحاحـــهِ ، فاضطرَّ الى انتظار القطار العادي الذي كان مزمعاً أن يسافر في مساء ذلك النهار

ومشى القطار الخاص المقلّ لويس كاراتال ورفيقه في الساعة الرابعة ونصف تماماً . وكان الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر خالياً ، فلم يكن من الواجب أن يقف في محطةٍ ما قبل بلوغهِ الى منشستر اذ يصلها حوالي الساعة السادسة

ثمَّ كانت الساعة السادسة وربعاً ولم يبلغ القطار محطة منشستر . وابرقت هذه المحطة في ذلك الى اختها في ليفربول فقلقت هذه ، وساورتها المخاوف ، وأبرقت في دورها الى محطة « سنت هيلنس » الواقعة على نحو ثلثي الخط الحديدي بين ليفربول ومنشستر وسألتها عن ذلك القطار فورد منها الجواب التالي :

« مر القطار المخصوص فى الساعة ٤ والدقيقة ٥٢ »　　دوسر
سنت هيلنس

وكان ورود هذا النبأ على ليفربول في الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ . وفي الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ وصل نبأ برقي آخر من منشستر يقول : لا عين ولا أثر للقطار المخصوص . ثمَّ انقضت عشر دقائق أخرى فوردت البرقية التالية : تحققوا جيداً من الموعد الذى مشى فيه القطار المخصوص ، فان قطار سنت هيلنس المحلى الذى كان يجب أن يصل بعده قد دخل محطتنا بدون أن يرى له أثراً او شبه اثر　　منشستر

فقامت محطة ليڤربول وقعدت لهذا النبأ ، ولكنها اطمأنت قليلاً اذ عرفت ان قطار سنت هيلنس لم يرَ اثراً للقطار المخصوص . فانتفى بذلك كل خوفٍ داخلها من حدوث أمرٍ ذي بال للقاطرة ، وترجح عندها ان احدى المحطات حجزت القطار المخصوص ريثما يمر القطار العادي . على انها رأت أن تتيقن الأمر فأبرقت في ذلك الى جميع المحطات بين ليڤربول ومنشستر فوردت عليها الاجوبة التالية :

مرّ القطار المخصوص في الساعة ٥ — محطة كولنس كرين
مرّ القطار المخصوص في الساعة ٥ والدقيقة ٦ — « إرلستون
مرّ القطار المخصوص في الساعة ٥ والدقيقة ١٠ — « بنيوتون
مرّ القطار المخصوص في الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ — « كنيون تجنكشون
لم يمر قطار مخصوص قط من هنا — « بارتون موس

فالتفت حينئذٍ مستر بلاند الى مدير الخطوط الحديدية لفتة دهش واندهال وقال : مرَّ عليَّ حتى اليوم زهاء ثلاثين سنة في خدمة مصلحة السكة الحديدية ولكنني لا أتذكر ابداً انهُ مرَّ بي مثل هذا الحادث الغريب من قبل !

فقال المدير : حقاً ان هذا لمن الغرائب التي تحير العقول ، واني لأعتقد ان هناك مصاباً أصاب هذا القطار بين محطتي كنيون تجنكشون و بارتون موس

— وفي رأيي ان القطار قد حاد عن الخط فشرد فتدهور في وادٍ ما

— اذا كان ذلك كذلك فكيف مرَّ قطار الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الخط بدون ان يرى له أثراً او يعثر على شبه أثر ؟

— لست ادري شيئاً يا مستر هود ، ولكن الواجب يقضي علينا بأن نأمر بفحص الخط بين كنيون تجنكشون و بارتون موس

ثم ما لبث ان ورد على ليڤربول النبأ التالي من محطة منشستر :

« ما برحنا جاهلين كل شيء بشأن القطار المخصوص . اما الخط بين كنيون تجنكشون ، و بارتون موس ، فسليم كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

وعلى أثر هذا النبأ وردت البرقية التالية من ناظر محطة كنيون تجنكشون :

« كل الآثار تدل على مرور القطار المخصوص من هنا ، ولكن من اليقين عندنا انه لم يصل الى بارتون موس . فحصت بنفسي الخط الحديدي فوجدته سليماً كالعادة وليس فيه أثر لحادث ما »

ونزل هذان النبأ آن نزول الصاعقة على مستر بلاند فأخذ ينتف شعره ، ويحرّق اسنانه من القهر والتأثر الشديدين ، وهو يقول: اني اكاد أجنّ يا مستر هود . أمن الممكن أن يتحول قطار حديدي الى بخار يتطاير ثمَّ يتلاشى في الفضاء ؟

وفيما كان مستر بلاند ورفيقه مستر هود تتنازعهما الريب والشكوك، وتساورهما الأوهام والمخاوف اذ ورد عليهما من محطة كنيون تجنكشون هذا النبأ :

وجدنا الساعة جثة المسكين جون سلندر المهندس الميكانيكي للقطار المخصوص مطروحة في منحدر مثلَّم على ميلين ونصف ميل من المحطة

واتفق يومئذٍ ان صحف انكلترا لم تهتم لهذا الحادث الغريب لأنها كانت مشغولة عنهُ بحادثة اخرى أعظم أهمية ، وأشدّ تأثيراً في النفوس . ذلك انها كانت مشاركةً باريس في اضطرابها لفضيحةٍ سياسية كبرى كانت تهدد الحكومة الفرنساوية ، وفريقاً من عظماء القوم في ذلك العهد . فلما ذكرت حادثة القطار المخصوص لم تنظر اليها الاّ نظرها الى الحوادث الجنائية التي لا يعلّق عليها شأن ما

أما مستر بلاند فاستصحب المفتش كولنس مدير بوليس السكة الحديدية ، وقصد الى كنيون تجنكشون للبحث والتدقيق في أمر القطار الضائع . وكانت على جانبي الخط الحديدي بين تلك المحطة ومحطة بارتون موس ، مناجم فحم عظيمة ، ومعامل حديدية كبرى ، مربوطة بخطوط حديدية مفردة تصل بينها و بين الخط العام المزدوج . على ان بعض تلك المناجم كان قد أهمله أصحابهُ بعد ان استثمروه واستنفدوا فحمهُ ، فتركوه أشبه شيء بهوّات عظيمة فاغرة أفواهها ، ومظلمة كأن لا قرار لها . وخيّل الى مدير البوليس لأول وهلة ان القطار المخصوص شرد الى أحد تلك الخطوط الصغيرة التي لم تحوّل إبرتها عند نقطة الاتصال بالخط العام . ولكنهُ عاد فتذكر ان القطار الذي تلا في سيره القطار المخصوص مرَّ من هنالك ولم

يشرد . فقال في نفسهِ انهُ لا يبعد ان تكون هناك يدٌ أثيمة جرّت القطار المخصوص الى كمين من اللصوص كان يتربص له في احدى الغابات المجاورة

وشدّ ما كان انذهال مستر بلاند ورفيقه حين رأيا ان معظم الخطوط الصغيرة كان غير متصل بالخط العام لأن أصحاب المناجم المهملة كانوا قد اقتلعوا بضعة أمتار من الحديد عند نقطة الاتصال لعدم حاجتهم بها ، ودفعاً لما قد ينجم عنها من المصاعب للقُطُر السائرة اذا أهملتها أيدي العملة . ومع ذلك فلم تفتر عزيمة هذين الرجلين عن التدقيق والتفتيش بل ماشيا جميع الخطوط الى غاياتها ، ولكنهما لم يقفا على أثرٍ للقطار الذي كانا يفتشان عنهُ ، ولا تبينا شبهةً ما . وكان أشد ما لاقياه من الذهول حين وقفا في المكان الذي وجدت فيهِ جثة المهندس سلندر على قيد أمتار قليلة من الخط العام الى جانب أحد الخطوط الصغيرة المقتلع حديدها قديماً عند نقطة اتصالها بالخط الكبير . وقد حيرهما أمرها فلم يفهما سبب وجودها هنالك على حين كان تهشمها دليل حدوث الوفاة فور السقوط من القطار اثناء سيره السريع

وعادت الصحف الى هذه الحادثة فذكرتها بعد أيام متهمةً مستر كولنس بالعجز والتقصير . وحملت عليه حملةً اضطرتهُ الى اعتزال وظيفتهِ حاقداً جازعاً

وفي اليوم الخامس من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٩٠ نشرت الصحف الرسالة التالية وقد كتبها « ملك فرسن » الذي كان يقود القطار المخصوص وأرسلها الى زوجتهِ من نيو يرك فدفعتها زوجته الى الجرائد فنشرتها هذه وهي :

زوجتي المحبوبة

تذكرتكِ في غربتي وتذكرت شقيقتي العزيزة لويزا فهاجت الذكرى أشواقي اليكما . وتفكرت ملياً في حالنا الحاضرة فوجدت ان المروءة تقضي عليَّ بألاّ أترككما وحيدتين في لندن لا تجدان نصيراً ولا تلقيان سلوى . فلهذا أنا باعث اليكِ أيتها الحبيبة بمبلغ عشرين جنيهاً تبذلينها نفقةً لكما في سفركما الى هذه البلاد . فتعالي اذن توًّا الى نيو يرك واقصدي الى بيت « جونستون » فيها حيث تجدين اني قد تركت لك الارشادات اللازمة لمعرفة المكان الذي سنتلاقى فيه . أما حالي فهي

قلقة جداً في الاثناء الحاضرة ولكنَّ قلقها يجب ان لا يكون عقبةً في سبيل اجتماعنا.

السلام عليكِ وعلى الحبيبة لويزا   من زوجك

جايمس منك فرُسن

ثم سافرت هاتان المرأتان الى نيويرك تحت مراقبة البوليس السري . وأقامتا برهةً في بيت جونستون ولكن على غير جدوى فعادتا الى لندن خائبتين . ومرَّت الايام على هذه الحوادث فنسيها الناس ، وأهملتها الجرائد فكأنها لم تكن

* * *

في سنة ١٩٠٨ اي بعد انقضاء زهاء ثماني عشرة سنة على ضياع القطار المخصوص بين ليڤربول ومنشستر ، نشرت جرائد مرسيليا في صباح احد الايام الرواية التالية ، وهي خلاصة ما اعترف به رجل يدعى « هربرت ديڤ لرناك » الجاني المحكوم عليه بالاعدام عقاباً لقتله تاجراً يُسمَّى « بونثالو » . قال :

« متى قرأ اعترافي هذا فريق من كبار القوم ، وعظماء السياسة في باريس ، فليعلموا أني أنتظر في سجني على مثل جمر الغضا تدخلهم في امري وتوسطهم في سبيل العفو عني . والاّ فان حديثي الخالي من الأسماء اليوم ، يتحول غداً الى إفشاء أسرار هائلة قد طوتها الايام منذ سنة ١٨٩٠ ، فان العالم ما برح يجهل حتى الساعة حقيقة حكاية القطار المخصوص الذي حمل لويس كاراتال ورفيقهُ من ليڤربول في اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٠ ثم تبخر بين محطتي كنيون تجنكشون ويارتون موس فتلاشى في الهواء . فحديثي اليوم حديث بطل تلك الرواية الذي كان يعمل بامرةِ اولئك الرجال العظام الذين وعدت بكتم أسمائهم طمعاً بأن يستصدروا العفو عني ويخرجوني من هذا السجن الذي دفعت كرها اليهِ

في سنة ١٨٩٠ قامت باريس وقعدت لتلك الفضيحة السياسية المالية الهائلة التي كادت تميت موتاً ادبياً لا حياة بعده عدداً كبيراً من ساسة فرنسا وعظماء رجالها . ان أولئك القوم كانوا أشبه شيء بهذه القطع الخشبية المهندمة الواقفة عالية الرأس في اللعبة المعروفة بلعبة « الكِيْل » وكان المرحوم لويس كاراتال أشبه شيء أيضاً بتلك

الكتلة الخشبية الثقيلة التي يدحرجها اللاعبون بقوة نحو تلك الاخشاب . . . لطمةٌ أثر لطمة ، وصدمة تلو صدمة ! واذا بتلك القطع الواقفة قد وقعت جميعها الى الارض ، الواحدة تلو الأخرى في مثل طرفة عين . اذا عرفت هذا عرفت أي خطر كان يتهدد أولئك الرجال في قدوم كاراتال الى باريس وهو المعتمد السياسي الخبير والمثري العظيم . وعليهِ فقد تألفت في باريس في ذلك المهد ، لجنة عُهد اليها القيام بكل عملٍ للفتك بهذا الرجل قبل وصوله الى العاصمة الفرنساوية ، وكان يعوز هذه اللجنة رجل داهية يكون يداً لها فاختارتني لذلك ، وأمدتني بالمال والنفوذ

وكان اول اعمالي اني بعثتُ الى ميركا رجلاً من اتباعي كنت اعتمد عليه كثيراً واثق باخلاصه ، وامرته بأن يتبع كاراتال كظله ، ويوقفني على حركاته وسكناته . ولكنَّ رسولي بلغ الى اميركا فور سفر كاراتال منها ، ولولا ذلك ما وصل عدونا الى ليفربول ولا رست سفينته قط الاَّ في مقر الحيتان !

ولم يكن شخص كاراتال وحده جلَّ قصدنا بل كان من اقصى امانينا ايضاً اخفاء اوراقهِ واتلافها والقضاء على رفيقه قضاءً مبرماً

وأقمت في ليفربول انتظر وصول السفينة وقد اعددت عدَّتي . ورسمت الخطة التي ازمعت ان اعمل بحسبها . واشتريت فئةً من نبهاء الانكليز لمساعدتي على اتمام قصدي . فما وقفت السفينة في الميناء حتى كنا على تمام الاهبة والاستعداد

ولما نزل كاراتال الى البر كان معه رجل اميركيّ كبير الجثة ، مهيب الطلعة ، في عينيه شرر يتقد دائماً اتقاد الكهرباء . وقد عرفناه بما سمعناه عنه من قبل . وكان اسمه غوميز وهو شجاع باسل يحب سيده ويتفانى في خدمته . ومما يجمل بي ان اتباهى بهِ الآن اني عرفت انه كان لا بد لكاراتال أن يسافر توًّا الى لندن ليتمكن من الوصول الى باريس في وقت سريع . فلم اشك قط انه سيستأجر قطاراً مخصوصاً يحمله ورفيقه الى العاصمة اذ يكون قطار الاكسبريس قد سافر قبل أن يدركه في محطة ليفربول . وكنت قد علمت ان السائق الذي سيعهد اليه بقيادة ذلك القطار يرجَّح أن يكون المسمى « مك فرسُن » فاشتريت هذا الرجل في عداد الذين

اشتريتهم . ثمَّ كان ما توقعته . فان كاراتال جاء مستر بلاند وطلب منه بالحاح قطاراً مخصوصاً دفع اجرته فوراً واستقلَّ به . حينئذٍ تقدم أحد اتباعي ووقف بحضرة مستر بلاند متسمياً باسم هوراس مور ، وطلب بدعوى اختلقها ما طلبه مسيو لويس كاراتال ونحن عالمون ان القانون يحظر تسيير قطارين مخصوصين في وقت واحد الى وجهة واحدة . ولكننا طمعنا بأن كاراتال يسمح بأن يشاركه في قطاره سواه . غير ان هذا الرجل كان خائفاً وجلاً فأبى واصرَّ على ابائه رغم الحاح مستر هوراس مور الظاهري . اما انا فكنت واقفاً على تلة مشرفة على منجم الفحم المهمل في « هرتسيس » وقد ربطت خطه المفرد بالخط العام بمعاونة الفعلة الذين كانوا معي ، وحوَّلنا الطريق الى هذا الخط الصغير بحيث مرَّ القطار المخصوص شارداً عن طريقه الى طريق المنجم بل الى طريق الهاوية اللاقرار لها . وكان رفيقنا سميث الوقَّاد في قطار كاراتال ، قد أخذ على نفسه تنويم مستر سلندر المهندس لكيلا يشعر هذا بتحوّل القطار عن خطه في المكان المختار . ولكنه قام بمهمته بطريقة فظَّة كان من جرَّائها ان سلندر وقع من القطار ومات . على ان قتل المهندس على تلك الصورة كان في عملنا المرسوم اشبه شيءٍ ببقعة سوداء في رسم جميل !

ولما اشرف القطار على الهاوية من أعلى التل خفف ملك فرسن سيره حتى تمكن سميث من القفز الى الارض ثمَّ عاد فادار اللولب فجأة وقفز هو ايضاً قبل أن يفوته الوقت . ومشى القطار وحده بسرعة فائقة

وكنت اراقب من موقفي كلَّ ذلك فرأيت كاراتال قد اوجس خيفةً من تمهل القطار وسرعته الفجائية فأطل من النافذة وابصر الخطر المحدق به ؛ ثمَّ رآنا واقفين ننظر اليه ، فاستجار بنا ، واشار لنا مستغيثاً . واطلَّ غوميز من النافذة نفسها وهو يصرخ ويستغيث ايضاً ولكن على غير جدوى

كنت أرى ذلك المشهد المخيف وأنا طلق المحيا ، باسم الثغر لأني كنت أشعر في نفسي باني أتيت حينئذٍ عملاً متقناً كل الاتقان ، وقمت بمهمتي احسن قيام . ولقد خامرتني حينئذٍ فكرة التباهي والزهو ففتلت شاربيَّ كبراً واعجاباً وقلت لمن كان

حولي : ان لجنة باريس عرفت من اختارت لهذا العمل العظيم . وشعرت كأن قلبي قدَّ من فولاذ لأنني لم أتأثر قط ، ولم اكترث لذينك الرجلين البريئين

وكأنما قنط غوميز من النجاة فأشار لنا بيده ، ورمى محفظة الجلد السوداء فالتقطتها وأنا لا أعلم قصده من وضعها بين أيدينا

وسمعنا بعد هنيهةٍ قرقعةً عظيمةً عرفنا منها ان القطار المخصوص قد وقع في الهوَّة . وحدث على أثر سقوطه انفجار هائل سمع له دوي شديد وتكاثف الدخان في الجوّ ، فقلنا ان ذلك انما كان من انفجار مرجل القطار . . . ثم ساد على تلك النواحي سكون عميق ! ! !

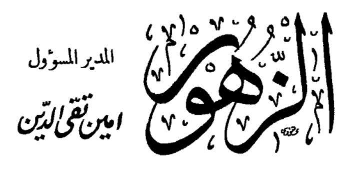
حينئذٍ تحوَّلنا الى محو كل أثرٍ يدل على ارتكاب هذه الجريمة . فاقتلعنا الخطوط الحديدية التي كنا قد وصلنا بها خط المنجم بالخط العام ، وأعدناها بذلك الى ما كانت عليهِ من قبل ثم تفرقنا فذهب كلٌّ منا في سبيله

أما محفظة الجلد فقد احتفظت بها لنفسي لأن الحكمة تقضي بأن لا يجرّد المرء نفسه من السلاح لاسيما متى كان كثير الصلات بمثل أولئك الرجال العظام الذين أريد منهم اليوم ان يستصدروا العفو عني . وانهم فاعلون ذلك ولا ريب ، لأنهم يعلمون ان أوراق المرحوم لويس كاراتال هي في محفظة الجلد السوداء

حاشية : راجعت ما كتبتهُ الساعة فوجدت اني نسيت ان أقول كلمة عن مك فرسن الذي كتب الى زوجتهِ يستقدمها اليهِ في نيويرك . لقد كان من شأن تلك الرسالة ان توقع ذلك الغبي في شبكة البوليس . فكان من المحتم علينا والحالة هذه ، ان نفصل بين هذا الرجل وامرأتهِ ففعلنا . واني أشير على هذه المرأة ان تتزوج اذا شاءت فقد أزلنا من طريق زواجها كل عقبة ؟

كاتبه هربرت دي لرناك
المقيم في سجن مرسيليا

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء التاسع — يناير (كانون الثاني) ١٩١٢ — السنة الثانية

حول السنة الجديدة

في أول الشهر الجاري ابتدأت السنة الثانية عشرة بعد التسعمئة والالف للميلاد ، وقبل ذلك التاريخ بتسعة أيام كان مطلع السنة الثلاثين بعد الثلاثمئة والالف للهجرة : مرحلة جديدة من مراحل أيامنا تأهبنا لاجتيازها ، وحلقة جديدة من حلقات العمر هممنا باضافتها الى سلسلة الحياة . فاذا كانت توافق السنة العشرين او الاربعين او الستين من عمرنا فهي توافق سنة ٧١١١ للخليقة و ٥٦٧٢ للحساب الاسرائيلي و ٣٩٢٧ لابرهيم الخليل و ٢٦٦٥ لتأسيس رومة و ١٦٢٨ للحساب القبطي

وللسنة حسابات مختلفة ذكرناها في مثل هذا العدد من العام الماضي (ص ٤٦٦) على انها في كل هذه الحسابات مقسومة الى اثني عشر شهراً : وأسماء الاشهر تختلف باختلاف الحساب : فهي في الحسابين الغربي والشرقي : يناير (كانون الثاني) ، وفبراير (شباط) ، ومارس (اذار) ، وابريل (نيسان) ، ومايو (ايار) ، ويونيو (حزيران) ، ويوليو (تموز) ،

واغسطس (آب) ، وسبتمبر (ايلول) ، واكتوبر (تشرين الاول) ، ونوفمبر (تشرين الثاني) ، ودسمبر (كانون الاول)

وفي السنة الهجرية : محرم ، وصفر ، وربيع الاول ، وربيع الآخر ، وجمادى الاولى ، وجمادى الآخرة ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة

وفي السنة القبطية : توت ، وبابه ، وهاتور ، وكيهك ، وطوبه ، وامشير ، وبرمهات ، وبرموده ، وبشنس ، وبؤنه ، وابيب ، ومسري ، والنسيء

وفي السنة الاسرائيلية : تشري ، وحشوان ، وكسليف ، وطيبت ، وشباط ، وآذار ، ونيسان ، وايار ، وسبوان ، وتموز ، وآب ، وايلول

ومدات الاشهر تتراوح في كل الحسابات بين ٢٩ و ٣١ يوماً

ولما كنا في مطلع العام الماضي قد ذكرنا كل ما تجدر معرفته عن السنة وحساباتها وتقسيمها فلم نرَ حاجة الى إعادة ذلك ، بل اكتفينا في مناسبة العام الجديد بذكر شيء عن اليوم النجمي واليوم الشمسي لانهُ قاعدة الحساب السنوي وقد اعتمدنا فيما يأتي على تقويم « البشير » المعروف بدقته وضبطه :

للنجوم الثابتة في الرقيع حركة ظاهرة منتظمة لا تخفى على المراقب . فاذا رصدت نجماً من النجوم يمر في وقت معين على هاجرة مدينة ما وأعدت المراقبة في الليلة التالية وفي الثالثة الخ ترى ان النجم الذي راقبتهُ يعود الى الهاجرة في الوقت نفسه في مدات متساوية تماماً . فتلك المدات

هي عبارة عن دوران الارض على محورها دورات تامة . فمدة رجوع النجم الى الهاجرة يسميها الفلكيون اليوم النجمي وهو غاية في الدقة والضبط حتى انهُ لا يختلف يوم نجمي عن آخر ولا جزءًا واحداً من مائة جزء من الثانية بعد مرور الفي سنة

ومع ذلك لم يتخذ الناس اليوم النجمي قاعدة لحسابهم لصعوبة مراقبة النجوم فيرجعون في اشغالهم الى حساب اليوم الشمسي لسهولة مراقبتهِ ومعرفتهِ

واليوم الشمسي هو أطول من اليوم النجمي . لانك اذا رصدت الشمس تأكدت انها لا تعود الى الهاجرة في نفس المدة التي يعود النجم اليها بل تتأخر قليلاً . لان الارض في مدة دورانها على محورها تنتقل كل يوم قليلاً في فلكها حول الشمس فبعد ان تدور دورة واحدة على محورها كل يوم يبقى عليها ان تدور مقدار ما تقدمت في فلكها حتى تلحق الشمس الهاجرة ويقتضي ذلك اربع دقائق . فيكون اليوم الشمسي أطول من النجمي بنحو اربع دقائق

ثم انهُ ليس لليوم الشمسي طول مقرر ثابت . فالايام الشمسية غير متساوية فتكون احياناً أقصر واحياناً أطول ، اي ان زمن دوران الارض من ظهر الى ظهر او من غياب الى غياب يتغير فيكون احياناً اكثر من ٢٤ ساعة واحياناً اقلّ . وأطول ما يكون اليوم الشمسي نحو ٢٣ كانون الاول (دسمبر) وأقصر ما يكون نحو ١٦ ايلول (سبتمبر) . وسبب هذا الاختلاف هو ان الارض تسير حول الشمس بسرعة غير متساوية وفي

فلك هليلجي اي في دائرة البروج المائلة على دائرة الاعتدال . فهذان الأمران يسببان اختلافاً في طول اليوم الشمسي

فلاستدراك الخلل الناتج عن اختلاف طول اليوم الشمسي افترض العلماء شمساً وهمية تسير بسرعة متساوية في خط الاعتدال بينما الشمس الحقيقية تسير (بحركتها الظاهرة) في دائرة البروج المائلة على خط الاعتدال وبسرعة غير متساوية . ويسمون يوماً شمسياً اوسط مدة دوران الشمس الوهمية من الهاجرة الى ان ترجع اليها فعندما تمرّ الشمس الوهمية على خط الهاجرة يكون الظهر المتوسط . وعندما تمرّ الشمس الحقيقية على خط الهاجرة يكون الظهر الحقيقي . فليس اليوم الشمسي المتوسط الاَّ معدل الايام الشمسية في مدار السنة . والفرق بين الظهر الحقيقي والظهر المتوسط يسمونهُ مساواة او معادلة الوقت لمعرفة الظهر الاوسط . وتكون المعادلة ناقصة اذا مرّت الشمس الحقيقية على الهاجرة قبل الشمس الوهمية وتكون المعادلة زائدة اذا مرّت بعدها . ويتفق الظهر الحقيقي والاوسط اربع مرات في السنة نحو ١٥ نيسان (ابريل) و ١٥ حزيران (يونيو) واول ايلول (سبتمبر) و ٢٥ كانون الاول (دسمبر) . والظهر الاوسط يسبق الظهر الحقيقي من ٢٤ كانون الاول الى ١٥ نيسان ومن ١٤ حزيران الى اول ايلول . اما في سائر اوقات السنة فالظهر الاوسط يتأخر عن الظهر الحقيقي . وقد يبلغ الفرق بين الظهر الاوسط والظهر الحقيقي نحو ربع ساعة لكنه لا يبلغ ابداً ١٧ دقيقة ويكون معظم الفرق نحو اليوم الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) والثاني عشر من شباط (فبراير)

والساعات انما تسير بموجب الوقت الاوسط وتدل عليه لا على الوقت الحقيقي . فاذا كانت ساعتك مضبوطة ودلّت على الظهر فليس من الضرورة ان تكون الشمس في الهاجرة وان يكون اذ ذاك الظهر الحقيقي بل قد يتقدم الظهر الاوسط على الحقيقي وقد يتأخر عنه . مثلاً في اول كانون الثاني اذ تكون الشمس الحقيقية في الهاجرة اي وقت الظهر الحقيقي تدل الساعات المضبوطة على الساعة ١٢ والدقيقة ٣ والثانية ١٠ فيكون الظهر الاوسط قد مضى منذ ٣ دقائق و ١٠ ثانيات . وفي اول تشرين الثاني وقت الظهر الحقيقي تدل الساعات المضبوطة على الساعة ١١ والدقيقة ٤٣ والثانية ٣٩ فيبقى للظهر الاوسط ١٦ دقيقة و ٢١ ثانية

ثم اعلم ان الزمن المتوسط يتغير بالانتقال من بلد الى آخر فزمن القاهرة المتوسط مثلاً لا يطابق زمن باريس المتوسط او غيرها من المدن

البرد والصحة

ذكرنا في الجزء الماضي من « الزهور » نبذةً عن المطر وماهيته ومصدره ومظاهره المختلفة ، ونرى الآن ان نذكر شيئاً عن البرد وتأثيره في الصحة لاننا دخلنا في فصل الشتاء ، فنقول :

اذا نظرنا الى الانسان من حيث تركيبه الطبيعي نجد ان الحر يؤثر فيه اكثر من البرد . فانهُ يحتمل بصعوبة وبضنك شديد درجة الحرارة اذا بلغت الاربعين (في ميزان سنتغراد) ، مع انها درجة تقارب

درجة حرارة الجسم في حالته الطبيعية وهي ٣٧° ، فيكون الفرق ثلاث درجات فقط . على ان الانسان يحتمل البرد بسهولة حتى الدرجة ١٠° و ١٥° تحت الصفر مع ان الفرق بينها وبين حرارة جسمه تكون ٤٧° او ٥٢° درجة . ومن ذلك البيان يظهر باجلى برهان انه اقدر على احتمال البرد من احتماله الحر

نعم قد تسلم الحياة في بعض الانحاء حيث تبلغ الحرارة ٥٠ او ٥٣ درجة كما في السنغال او غيرها من الاصقاع الافريقية . لكن الاستيطان في مثل هذه الاماكن يصعب جداً على اهالي البلاد المعتدلة ، واذا وُلِد لهم هناك اولاد تراهم مهازيل الجسم نحفاء البنية

وبعكس ذلك نرى الجسم يتعوّد شيئاً فشيئاً احتمال البرد ولو شديداً ، وقد قرأنا أن الذين قصدوا القطب الشمالي قد وصلوا الى اصقاع لا يقلُّ بردها عن ٤٠ او ٤٥ تحت الصفر

غير ان هذه الارقام مما لا يسوغ تعميمه على كل الاحوال . فهناك مسألة العمر وطريقة المعيشة وغير ذلك من الامور والبواعث يكون لها اكبر تأثير في احتمال البرد . فالرجل الهرم ، وقد قلّ غذاؤه ، يحتاج الى الحرارة اكثر من سواه . اما الولد فهو اسرع تأثراً من البرد ، على ان انسجته تحتمل فقد الحرارة الى درجة مدهشة فتقوى على احتمال ما لو اصاب الشاب لفتك به

ويمكن القول بالاجمال ان فصل الشتاء هو افضل فصول السنة لصحة السواد الاعظم من الناس لولا ما تسرّب الى احوال معيشتنا من

العادات المضرّة كالمبالغة في تدفئة المنازل والاقبال على الاشربة الكحولية فانه عند ما كان الناس يصطلون على نار الحطب — وهي طريقة الفلاحين حتى الآن — لم تكن حرارة المسكن تزيد على الدرجة ١٥ . اما اليوم فمع ما توفر لدينا من الاختراعات العصرية كاستعمال الكهربائية وغيرها لتوليد الحرارة واتقاء البرد ، فقد تبلغ حرارة الغرفة ٣٥ درجة او اكثر . ولا يخفى ما يعقب ذلك من الضرر العظيم عند الانتقال الى الهواء الطلق ، فيكون تأثير البرد شديداً ومضرّاً بالصحة لانه يجب السير بالتدريج في ذلك كما غيره من الامور . وقد بيّن ذلك احد العلماء باختبار اجراه من هذا القبيل ، فاخذ اسماكاً ووضعها في ماء درجة حرارته ٢٨ ، ثمّ نقلها بغتةً الى ماء درجته ١٢ ، فماتت الاسماك للحال

واذا كان الانسان يبالغ في اتخاذ الاردية وتوفير الملابس لوقاية جسمه من البرد ، فانهُ يجعل نفسه عرضةً للسعال والنزلات والصدرية وغير ذلك من الامراض عند اقل اهمالٍ يبدر منه من هذا القبيل فتكون العاقبة غير محمودة

وعليه فمن افيد الامور أن تدع نافذة غرفتك مفتوحة عند ما لا تكون الحرارة دون الدرجة العاشرة . وهي طريقة ظهرت الآن فوائدها ومنافعها ، واذا اعتادها الانسان كان له فيها احسن واقٍ لما يتأتى عن ذلك من تجديد الهواء وتصلب الجسم . وفي كل الاحوال لا يجب أن تجاوز حرارة غرفتك الدرجة ٢٠ او ٢٥

اما شاربو الكحول فان البرد يؤثر فيهم اكثر مما في سواهم . لأن

الأشربة الكحولية اذا كانت تولّد بعض الحرارة في جسم متناولها ، فهي لا تلبث أن تُحدث ردّ فعل فتنخفض حرارة الجسم درجةً او درجتين عما كانت عليه قبل تناول المشروب . وقد لوحظ ذلك خصوصاً في بلاد روسيا حيث يُكثر الفعلة ايام الشتاء من تناول المشروبات . فان كثيرين منهم يموتون برداً حين خروجهم من حانات الشرب

هذه ملاحظات اجمالية يجدر التذكير بها في هذه الأيام

وصف غرق

وهو فصل من رواية يترجمها بعضهم وينشئها السيد مصطفى لطفي افندي المنفلوطي الكاتب المشهور

من سوزان الى ماجدولين [1]

كنا على وشك أن نزورك يا ماجدولين انا وابويّ فحدث حادث حال بيننا وبين ذاك . فقد دعانا احد الاصدقاء منذ ايام الى زيارتهِ في

(١) ماجدولين فتاة قروية جميلة تعيش مع ابيها الفلاح فى قرية من قرى المانيا فعلق بها شاب سكن حديثاً فى غرفة من غرف المنزل الذى تسكنه وكتم عنها حبه فكان يخرج من المنزل كل يوم الى ضواحى القرية ويمعن فى الغابات ويتنقل على شواطىء الانهار ليروح عن نفسه آلامها فعاد الى المنزل يوماً محموماً لا يذكر لاحد سبب مرضه فلما زاره والد ماجدولين ارسل معه اليها باقة من الزهر فلم تفهم غرضه من هديته ولا سر حبه ولا سبب مرضه حتى جاءها هذا الكتاب من صديقتها سوزان التى تسكن بلداً قريباً من قريتها والتى كانت عشيرتها فى صغرها ثم افترقتا فقامت بينهما المراسلة مقام المعاشرة

بلدتهِ ، وهي على بعد ثلاثة فراسخ منا ولا تبعد عنكِ الاَّ قليلاً ، فذهبنا اليهِ صبيحة يوم وقضينا في منزله برهة ، حتى اذا زلقت الشمس عن كبد السماء خرج القوم الى الخلاء للتنزه في غاباتهِ ومزدرعاتهِ . وانت تعلمين فيما تعلمين من امري انني فتاة لا احب الغابات والمزدرعات ، ولا الادغال والأجمات ، ولا اطرب لخرير الماء ودوي الريح وهزيم الرعد ، ولا اغتبط بحرارة الشمس ووعث الطريق وخشونة الارض واقتحام الصخور والتعثر بين اغوار الفلوات وانجادها ، ولا استطيع أن اجد في نفسي تلك اللذة التي يجدها الشعراء المتخيلون في جمال الطبيعة ورواْئها ، ومحاسن الاحراش وبهجتها . ولكنني لم أرَ بدًّا من الكون معهم والإِصحاب لهم فمشيت صامتةً ومشوا يتحدثون بجمال الحياة القروية وعيش العزلة بين سكون الطبيعة وهدوءها وجمال الكائنات وجلالها . والله يعلم ان احداً منهم لا يعلم من نفسه انهُ صادق فيما يقول او من يتمنى لنفسه ذلك الشقاء الذي يحسد عليه الاشقياء . فكان مثلهم في ذلك كمثل اولئك الكاتبين الذين يكتبون الفصول الطوال في مدح الفلاح والتنويه بذكره والثناء على يده البيضاء في خدمة المجتمع الانساني ، حتى اذا مرَّ ذلك المسكين باحدهم واراد أن يمدَّ يده لمصافحته تراجع وكفكف يده ضناً بها أن تلوثها باقذارها تلك اليد السوداء .

وما زلنا كذلك حتى بلغنا شاطئ النهر فراعنا أنَّا رأينا هنالك جمعاً عظيماً من الناس يتدفع فوق الشاطئ الآخر تدفع الموج المتراكب ويشير الى الماء باصابعه وينادي : الغريق الغريق ! والنجدة النجدة !

فالتفتنا حيث اشاروا فاذا رجل بين معترك الامواج يصارع الموت والموت يصرعه ، ويغالب القضاء والقضاء يغلبه . يبدو تارة فيمد يده للناس فلا يجد يداً تمتد اليه ، ويختفي اخرى حتى تنبسط فوقه صفحة النهر فنحسبه من الهالكين

وما زال يطفو ويرسب ، ويثب ويقع ، حتى كلَّ ساعداه وابيضت عيناه واستحال اديمه ، ولم يبقَ بين اعيننا منه الاَّ رأس تضطرب ويد تختلج فبكى الباكون ، واعول المعولون ، وتواثبت الاحشاء ، وتزايلت الاعضاء ، ومشى اليأس في الرجاء مشي الظلال في الاضواء ، ونظر الناس بعضهم الى بعض كأنما يتساءلون عن رجل رحيم ، او شهم كريم

وانهم لكذلك وقد زاغت ابصارهم الى رؤوسهم ، وتمشت قلوبهم من صدورهم . واذا رجل يدفع الجمع بمنكبيه ويمر بين الناس مرَّ السهم الى الرمية ، حتى اندفع الى النهر وسبح الى المكان الذي هبط فيه الغريق فهبط وراءه ، وما هي الاَّ نظرة والتفاتة ان انفرج الماء عنهما فاذا هما صاعدان يمسك كل منهما بذراع صاحبه ، فكبَّر الناس اعجاباً بهمة الرجل الكريم ، وفرحاً بنجاة الغريق المسكين

ولكننا ما كدنا نستفيق من هذا المنظر المحزن حتى راعنا منظر آخر أجل منه وقعاً واعظم هولاً ، فقد رأينا الغريق كأنما جن جنونه فظن ان مخلصه يريد به شرًّا وانه ما امسك بذراعه الاَّ وهو يريد أن يهوي به الى قعر الماء فيعيده سيرته الأولى . فضربه بجمع يده في صدره ضربة قاتلة ثم أنشب اظافره في عنقه ولفه بساقيه لفة خلنا ان عظامه

تئن لها انيناً فاستيأس الرجل وعلم انه لا بد هالك وان مقص الفناء قد كاد يأتي على آخر خيط من خيوط اجله ، فرفع يديه الى السماء وهتف باسمٍ احسب انه يشبه اسمك يا ماجدولين

ثم ما لبث ان هوى الماء بهما وجرى مجراه فوقهما ، فخفقت القلوب ووجفت الصدور وخفتت الاصوات وتعلقت الانفاس وشخصت الابصار وامتدت الاعناق ومرّت على ذلك ساعة لا تضطرب فيها موجة ولا تهبُّ نسمة ، فنظرت الى ابي حائرة وقلت : أيتعذب الغرقى كثيراً في مصارعة الموت ؟ قال نعم يا بنية ، ولقد يبلغ الأمر باحدهم ان يدور بيده في قاع البحر علّه يجد صخرة يضرب بها رأسه ضربة قاضية يستريح بها من الآلام والاوجاع ... فركعتُ فوق الرمل ومددت الى السماء يديَّ وقلت : اللهم انك اعدل من أن تجازي الاحسان بالسوء او الخير بالشرّ فلقد أبلى هذا الرجل في سبيلك بلاءً حسناً وبذل في مرضاتك ما ضنّ به الناس جميعاً ، وها قد ضاقت عليه المذاهب وتقطعت به السبل واعوزه المعين والنصير فامدد اليه يدك البيضاء التي طالما أنرت بها ظلمات البائسين ، وأنر له ظلمته التي يعالجها ، انك ارحم الراحمين واعدل الحاكمين

ثم استغرقتُ في صلاتي فلم أعد أشعر بشيء مما حولي حتى سمعت ضجة على الشاطئ فاستفقت فاذا النهر يتثاءب عن الرجل واذا الرجل صاعد وحده الى سطح الماء فتنفس طويلاً فصاح به الناس : انجُ بنفسك فقد أبليتَ ... فهبط مرة اخرى وعاد بالغريق يجرّه وراءه وما زال

يسبح به حتى أبلغه الشاطئ فسقطا جميعاً فتولى الناس أمرهما حتى افاقا فمشى الغريق الى صاحبه يتمسح به ويتوجع له كأنما يشكر له يده عنده ويعتذر له عن ذنبه اليه ، ثم انفض الجمع وبقي الرجل وحده فلبس ثيابه ومشى يتحامل على نفسه الى شجرات كنّ على الشاطئ ، فاخذ يقتطف بعض زهورها ويضعها في منطقته كأنما يريد أن يجعلها لتلك الحادثة تذكاراً فتركناه على حاله تلك وعدنا الى المنزل صامتين وقد فاتنا ما كنا عزمنا عليه من زيارتكِ في قريتك

لا استطيع ان اكتب اليكِ اليوم يا ماجدولين شيئاً غير هذا فلقد اصبحت لا اذكر تلك الحادثة الاّ واجد لذكراها من الاثر في نفسي ما يخيل لي انها حاضرة بين يديّ وربما كتبت اليكِ فيما بعد والسلام —

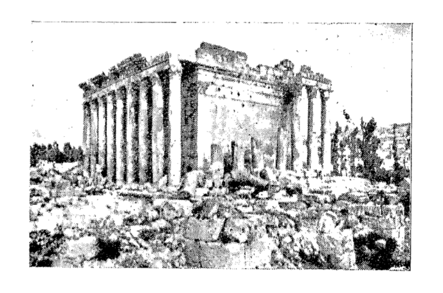
سوزان

مصطفى لطفى المنفلوطى

بينهما

قالت لقد أشمت بى عذّلى	اذ بحتَ بالسرّ لهم معلنا
أهكذا يحكم شرع الهوى	ان تطلع الاعدا على سرنا ؟
قلت أنا ؟ قالت نعم انت هوْ	قلت أنا ؟ ؟ قالت والا أنا ؟
قلت نعم ! انت التى صيرتْ	جفونها جسمى حليف الضنى
قالت فلمْ طرفك فهو الذى	جنى على قلبك ما قد جنى
قلت لقد كان الذى كان من	طرفى فكونى مثل من احسنا
قالت وما الاحسان؟ قلت اللقا	قالت لقانا ؟ عزّ ان يمكنا
قلت فمنينى بتقبيلة	قالت امنيك بطول العنا
قلت اموت حسرةً او جوًى	قالت فمت ذاك لقلبى منى
من يعشق الاعين مكحولةً	بالسحر لا يأمن ان يفتنا

ذكرى بعلبك



« معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعه كان أعظم الاسرار »
(خليل مطران)

« يقول الغد فى نفسه : لو علم هذا
« الجامع انه يجمع للوارث ، وهـذا
« البـانى انه يبنى للخراب ، وهذا
« الوالد انه يلد للموت لما جمع الجامع
« ولا بنى البانى ولا ولد الوالد »
(المنفلوطى)

تحرك القطار صباحاً في محطة بيروت وهو يهـدر ويشخر ويزمجر غضباً ، وقد فاض بركان غيظه فاخذ يقذف دخاناً قاتماً أثقل الهواء حتى ترامت أطرافه على أطراف الامواج فازعجت زرقتهـا . وما برح صراخه الهائل كأنه زئير ألف أسدٍ معاً يتردد في جوانب الفضاء البعيـد ، حتى

خيّل اليّ ان صدى تموجات هذا الزئير المرعب قد لمس رؤوس أعمدة بعلبك متمتماً : ها اني سبقت زائريكِ العتيدين لأقول لكِ اني لو تجاسرت لاحتقرتكِ ايتها الاعمدة ، لكن سخطي عظيم عند مرآي هؤلاء الناس الذين يستعملونني ، أنا آية اختراعات السنين الحاضرة وأنفع آلة تجارية ، للوصول اليكِ ، أنتِ يا رمال الايام ويتيمة الليالي الغوالي !

بيد ان القطار ما لبث ان أسرع في سيره متلوياً بين الشجيرات الخضراء ، وهدأ سخطه تحت قبلات النسيم الآتي من أعالي الجبال ، فتدرج صاعداً على اكتاف لبنان ، وظل يترك محطة ويمرّ باخرى حتى وقف في محطة صوفر ، وهي أعلى نقطة فوق وادي حمّانا الذي قال فيهِ لامرتين انه أجمل أودية العالم القديم ، فرأيت التلال فيهِ تتطوى ، كانها أقمشة حريرية ، لمداعبة أطراف الجبال المجاورة ، فتنبسط هذه تحتها سطوح مستديرة الشكل تكسوها أشجار الصنوبر وتتخللها القرى البيضاء المساكن ، والقرميد الاحمر يكلل كل بيت من بيوتها كأنه هالة قرمزية. وهناك على الشاطئ ترى آكاماً صغيرة رابضة كاسود تحرس الامواج ، والبحر الفسيح يبسط أمامها زرقته مرتفعاً في أطراف الافق حيث يمتزج أثيره بأثير الجو متلاشيين وراء آفاق بيروت القائمة في المياه العثمانية مليكة عليها ، كانها قيثارة الجمال تضرب الامواج على أوتارها أغاني الارواح ، وأناشيد البحار ، وتهاليل العناصر وتعاظيمها

ثم أخذ القطار في النزول حتى بلغ سهول بعلبك الغائبة حدودها وراء آفاق بعيدة لا يدركها النظر . سهول هي أشبه بوادٍ متسع ينحصر

بين سلسلتي لبنان وأنتي لبنان القائمتين على جانبيها ، كأنها اسوار الدهر تحدق بمروج الحياة

وبعد ان تواصل السير في السهول نحو ثلاث ساعات ، تراءى لنا عن بعد ، في عصر النهار ، شبح (مدينة باعال) محاطاً بنطاق لطيف من الاشجار المغذية والحور الرجراج . وفوق المدينة وجنائنها ترى أعمدة هيكل الشمس ترتفع بقدها الاهيف العظيم . أجل ! ان هيكل الشمس هذا الذي كان أعجب عجائب الدنيا ببنائه ولا يزال اليوم أعجبها بأخربته ، لا يبقى منه سوى ستة أعمدة قائمة في المروج البعيدة ، وكأني بطيفها ينادي المسافر قائلاً : تعال وانظر اليّ ، يا ايها المارّ ، فهل من حزن أشد من حزني ؟

أثرٌ عظيمٌ من عظمة باهرة تظهر حوله اكبر الاشجار اعشاباً ، بل شبح الاعصر الغابرة يحاول تخليد ذكر الأصنام المعبودة . . . وثلوج لبنان تطلُّ من أعالي فم الميزاب وظهر القضيب مستفهمةً عن سر هدم الهياكل

منذ الوفٍ من الاعوام ترسو هذه الثلوج في مكانها . فالشمس تشرق وتغيب ، والصيف يأتي والشتاء يذهب ، وينقضي الخريف ويحل الربيع وقلعة بعلبك تظل شاخصةً في عظمتها المحطمة ، وثلوج لبنان الطاهرة تحدق بها وتود أن تفهم أي خطب جرى ، لكنها لا تفهم ! . .

*
* *

تجسم حزني وجثا على اعتاب القلعة باكياً . ولست ادري أتراه

بكى هناك لوعةً على أعجوبة الدهور البالية ، او هو منظر الدرجات التي وضعتها يد الالماني هنالك حديثاً غشى بصره وأسال دموعه

عند مدخل هذا الهيكل الذي لم يكتشف علماء الآثار له من مثيل ، هـذا الهيكل الذي ألقت اساساته المخيفة في طبقات الارض شعوب شرقية تلاشت وتركت لنا في ذكرها شيئاً من روحها الكبيرة ومطالبها السامية ، أتى الاجنبي ووضع درجات اجنبية موصلة الى معابد آلهـة الشرق القديم . عند هذا المشهد شعرت بغصّة أضاقت صدري كأن هذه الحجارة بجملتها ثقلت على فؤادي ، لأنهـا دليل تداخل الغربي في قديمنا وجديدنا ، وعنوان طمعه في الاستيلاء على بلادنا وجبالها وآثارها . وكان الأولى بالالماني أن يتركنا نبكي بسلام تراب هيا كلنا الغالي دون أن تأتي يده الضخمة عاملةً في ترميم مداخل المعابد ، مدنسةً ما قدسته دهور البلايا وعززته بلايا الدهور !

دخلت أمشي الهوينـا بين كوم الابنيـة وبقايا الخرب وحولي الأعمدة المطروحة على الحضيض ، كأنها جبابرة وعمالقة ، يلامس بعضها بعضاً ، ورؤوس الأسود المهشمة تتعانق عناقاً ابدياً . وآثار شعب سابق تختلط بآثار شعب لاحق . وتراب يتراكم فوق الأفاريز المرضضة والنقوش المحفّره . مشيت في عالمٍ من العجـائب الفنية وانا لا ادري كيف قدر الانسان على إيجاد هذه الجمالات، وأتعجب كيف سطا الزمان عليها فهدمها وجعلها أشبه شيء بغابةٍ هاجتها العواصف فكسرت منها الاشجار واقتلعت منها الاصول وغادرتها تاركة بعض اغصانها ملقاة على حضيض الهوان

أين من هذه العظمة عظمة قصور عصرنا ! فانها تخال ألعاباً صبيانية شيدت في اوقات فراغ ولهو ، فيها الحصا تقوم مقام الحجارة ، والاشبار فيها توازي الاميال . . .

لقد تألبت أعظم شعوب الارض على هذا الحصن الحصين مهاجمة جدران مجده . فالعرب والرومان ثم العرب ثانية قد خرّبوا بعض هياكله الفسيحة ، وشيّد المسيحيون كنيسة على قوائم معابد الاصنام ، ثم اصبحت الكنيسة والمعابد حصناً حتى اتت الزلازل مدهورة جدرانه ، محطمة عظمته بعد ان هشمتها وأهانتها في وقوفها وارتفاعها يد الانسان !

لكن آثار المجد لا تزال كامنة في أخربة بعلبك . والروح العصرية تقف مترددة بين السخرية والاحترام عندما ترى ان هذه الهياكل شُيدت من أجل آلهة خيالية تضحكنا الآن أسماؤها . وتهبط على القلب تأثيرات متعددة متضادة من خوفٍ واعجاب وحزن وشفقة وغضب لكن هذه تتلاشى بكليتها وتقوم مقامها عاطفة واحـدة تستغرق سائر العواطف ، وتضم في قوتهـا قوى النفس جمعاء ، وهي الشعور بعمق السرّ العظيم ، سر الاكوان غير المتناهي . . .

. . . وهناك على ارتفاع هيكل الشمس تقف ستة أعمـدة حاملة افريزاً كأنه تاج مكسّر ، ورؤوسها تنحني على وهدة الذل المطروح في اعماق عزّها المفتّت ، وانحناء هـذه الأعمدة هو بكاء وتأبين ، بل هو التأبين الوحيد الذي يليق بقلعة بعلبك . . .

على ان ثلوج لبنان تنظر من اعاليها الى حزن الجماد الدهري وتود

أن تفهم ، لكنها لا تفهم . . .

***

ألا كسّروا باليأس الاقلام وأزيلوا المداد عن الطروس ، والجموا الشفاه المتمتمة ، وشدوا وثاق الايدي المتحركة للدلالة والكتابة !

عند هذا الخراب الهائل والتهدم الموجع تفوح رائحة الاكفان ، وتتطاير عطور القبور ، ويعبق فضاء المخيلة من غيوم البخور المحرق على هذه التي دكّتها يد الدهور !

كسروا الاقلام ومزقوا الطروس ! ان هـذا الموقف لا يجوز فيه التأبين الاّ بحزن الجماد ولوعة النفوس

أتأبين الارواح لا زلت للأفئدة مفطّراً ، ما دامت عِبرُ الزمان تطرح بالجبابرة على حضيض الهوان ! أدموع القلوب لا زلتِ محرقة كشعلات النيران ما دامت تبتر سلسلة الحياة ، وتعتل حركة القلوب !

أآثار الحياة لا زلت غالية كزهور الآمال وسواد العيون ، ما دامت الآمال تذوي بالمتأمَل ، وما دام سواد الموت يبيّض سواد العيون !

أأعمدة بعلبك لا زلتِ محطمة ، صامتة ، محزنة ما دامت بقايا المنى راقدة فيزوايا المهج، وخيالاتَ الآلام والاوجاع هاجعة في طيات الصدور !

اذا كان الدهر يهزأ بهذه الجدران الدهرية ، فماذا انتم من الدهر منتظرون ؟ اذا كانت خيالات اقدام الزمان تمر على هذه القوات المشيدة والعظائم المؤيدة فتسحقها سحق الصخر للتراب فماذا تعني بعـد ذاك حركة قصبتكم المضحكة، ونقش اوراقكم البالية ؟ اين من الامكنة موضعها ،

والى اين في الفضاء مصيرها ؟

ضموا الى شفاهكم الاقلام والى قلوبكم الطروس ! دعوها تنطق يأساً باسم قلعة بعلبك ، ثم حطموها وان كانت غالية ، ومزقوها وان كانت شطراً من الارواح !

. . . الزمان يتابع سيره ويلاً لتربة تدوسها قدمه ! هناك تترا كم الزلازل وتفيض البحار ، هناك يشعر الانسان بانه عبد لحظات الاقدار ، وان عينيه لا تعرفان من الكون غير سواد الليل واسوداد النهار . . .

مى

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الخامسة

من دورثي اوسبرن الى السر وليم تمبل

(السر وليم تمبل من اشهر رجال السياسة الانجليز نبغ فى اواخر القرن السابع عشر وتقلب فى عدة مناصب سامية . وكان فى صباه قد علق بحب فتاة تدعى دورثى اوسبرن وهى من اسرة شريفة . وبعد ان قاسى الحبيبان الشدائد من اهلهما تزوجا واعتزل السر وليم الى موضع يعرف بحدائق « شين ومور » بضواحى لندن حيث قضى بقية حياته مع زوجته . وقد طبعت رسائلهما منذ ثمانى سنوات فى انكلترا فكان لها وقع عظيم . والرسالة الآتية مأخوذة منها)

في رسالتك الاخيرة عبارةً أضحكتني وادهشتني معاً . قلت انك لم تكتب اليَّ في الاسبوع الفائت لأنه لم يكن لديك اخبار تستحق الاهتمام.

فهل فاتك ان الخبر الوحيد الذي يهمني هو ان تقول لي انك لا تزال تحبني ؟ أليس مثل هذا القول أطرب الاقوال اليك واوقعها في مسامعك؟ وما الذي يهمنا من سقوط العروش واندثار الممالك ما دمنا ثملين بخمرة الحب متمتعين باحلام الغرام ؟

تسألني هل أحب السكنى في الشرق . وقد قلت لك مراراً ان العالم كله أضيق من أن يسعني اذا لم يكن لي موضع في قلبك . فطالما انا مقيمة فيه فلا يهمني أين أسند رأسي ، سواء في صحارى افريقيا او مجاهل سيبيريا او احراج الهند . وما دمنا معاً فالعالم كله فردوس زاهر وايام الحياة كلها ربيع مستمر

لعلك نسيت وقفتنا الاخيرة في مثل هـذا اليوم من السنة الماضية وكنت قد علمت يومئذٍ بان اهلك يمانعون في قراننا فقلت لك ان حبنا اما أن يكون عقاباً على سيئة اقترفناها او جزاءً لحسنة اتيناها . اما سيئاتي فكثيرة واما الحسنات فلا اعرف لنفسي واحدة منها

تلومني لانني لا انفك ملازمةً لغرفتي . أو ليست سعادتي العظمى أن اعتزل عن الجميع واخلو بنفسي لكي اتمتع بمناجاتك ولو عن بعد واعلل نفسي باحلام الغرام . واذا كانت هـذه سعادتي فلماذا تحاول ان تنزعها مني وتطلب اليَّ أن افعل ما يشغلني عن مناجاتك ايها الحبيب ؟

اني أتمنى أن أراك سعيداً يا وليم سواء قدّر لي ان اكون زوجتك او لم يقدّر . لان سعادتي مستمدة منك كما يستمد القمر نوره من نور الشمس . فاذا كنت أنت سعيداً كنت أنا ايضاً سعيدة . لذلك أنا

أحبك أيها الملاك الحارس . أحبك ايها المعبود الكريم . بل ان حبي لك هو العبادة بعينها لانني لا اشعر بفرح الا وأنت ينبوعه ولا أعرف سعادة الا وأنت مصدرها . وكلما تمثلت نفسي منحنية على صدرك أتنفض كأن مجرى كهربائياً يتخلل أحشائي فتسرع نبضات قلبي وأكاد أركع أمام خيالك كما يركع العابد أمام معبوده . ولا اخال السماء تحسبها لي ذلة ان اركع أمام أحد ملائكتها . وما كان الله ليخلقك كاملاً لولا انه غفور يتجاوز عن فتاة مثلي تنساه قليلاً لكي تعبدك

لست أخشى العثرات التي في سبيلنا يا وليم ما دام قلبك مخلصاً لي ولا اعلم قوةً بشرية تستطيع التفريق بيننا اذا كنا مخلصين في الحب . اما انا فانني اشعر بعزم يثبت امام الانواء ولا تؤثر فيه العواصف . وكلما نظرت الى صورتك اشعر بقوة كالقوة التي يستمدها البوذي من صنمه المقدس

هوذا الايام طويلة مملة . وكلما غابت الشمس أتنفس الصعداء واقول ها قد انطوت صفحة اخرى من سفر هذا الفراق فلننتظر ما يأتي به الغد . ولكن الغد ممل طويل كاليوم والحياة كلها فراغ لا يملأه الاَّ انت . وجمال الطبيعة انما يزيد في ثورة عواطفي لانني اشتاق ان اراك يا وليم . اشتاق أن أراك لنتمتع كلانا بربيع الحياة . اشتاق أن أراك لارى ماذا فعل الزمان بفؤادي الذي أتمنتك عليه . فان كان الله قد قدر لنا العذاب في الحب فما أعذبه في النفس وما أحلاه في الفؤاد — الفؤاد الرازح تحت ثقل الهموم

يقولون ان الزمان هو الطبيب الشافي من داء الحب . ولقد مرّ على حبنا ثلاثة اعوام نما في خلالها وتأصل . واهلك يزعمون ان طول الفراق ينسيك غرامك القديم . ولقد فاتهم ان من الحب ما يزيده الفراق قوةً ، وان الزمان ان ألقى بيننا حجاباً فالى اجلٍ محدود لا يتجاوز القبر . واما بعد القبر . . .

رحم الله ايامنا في رشموند كم دفنا فيها اماني غرام ! اذا افسح الله في اجلي فسأحج الى تلك الصفصافة التي كنا نجلس تحتها عند الامساء . ترى الى أين تمتد بنا فسحة الفراق ؟ ألى القبر ؟ لا بأس – بشرط أن تفتح الابدية احضانها وتضمنا معاً . هناك حيث ينقطع كل صوت وتبطل كل حركة . هناك حيث لا تسمع الاَّ حفيف الاجنحة وهمس الملائكة هناك حيث لا سعادة الاَّ سعادة الحب ولا نشيد الاَّ نشيد الحب ولا خلود الاَّ لمن يعرف الحب

هب انهم منعوني عن ان اكون زوجة لك في هذه الحياة . فهل ينالنا اذاهم وراء القبر وهل تنتقل المظالم التي تجري تحت الشمس الى ظالمة الابدية فتزيد في كثافتها وتقضي على آمالنا ؟ كلا يا وليم ان الآلهة أرحم من أن تقسى الى هذا الحد . فاذا اخفقت آمالنا في هذه الحياة فامامنا مجال الابدية اللانهاية لها حيث نخلع اثوابنا الفانية ونحلق في فضائها الرحيب فنشاهد من علونا الشاهق ما يجري على هذه الارض من الشرور الفظيعة . واي شر افظع من أن يقف الانسان بين نفسين متحابتين ليس لهما ذنب سوى ان الله أوجد في قلبيهما ميلاً متبادلاً وهو

ما يسمونه الحب

اود كثيراً أن اطيل رسائلي اليك . لو استطعت لجعلت اليوم خمساً وعشرين ساعة وانفقته في مناجاتك عن بعد . كم انا اغار من رسائلي لأنها تستطيع الوصول اليك واما انا فكالطير المقصوص الجناح

بقلم حبيبتك حتى الموت

(سليم عبد الاحد) دورلى

غرائب اميركا

أمدنية أم ماذا ؟

لقينا فى هـذه الايام اديباً من ادباء الشرق اقام سنوات طويلة فى البلاد الاميركية يخدم فيها الصحافة العربية ، فرغبنا اليه فى أن يحدث قراء « الزهور » عن مدنية العالم الجديد فكتب الينا الفصل التالى ولعله يتابع هـذا البحث فى اعداد قادمة :

تُشرف على بلد عظيم فلا تقع عيناك الاَّ على قصور شاهقة وصروح نخمة ورؤوس اشجار في غابات ورياض فتخاله ، وانت بعيد عنه ، الفردوس المفقود . فاذا نزلته وأمعنت في انحائه مطوّفاً في زواياه تجلّت لك الحقيقة وعرفت ان ما يترآى لك عن بعد لأشبه شيء بالملابس الجديدة تستر داميات القروح

كذلك اميركا ، والولايات المتحدة أعظمها شأناً وأعرقها مدنية وفي ما اسطّره الآن عن تلك الجنة الموهومة « تقرير » عن حالتها المدنية

والاجتماعية ، ادفعه الى قراء هـذه المجلة بسيط العبارة خالياً من كل ما يمق به الكتّاب مقالاتهم من زخرفة في الكلام وابداع في الافكار ملتزماً فيه شروط « التقرير » فلا ينتظرنّ القارئ مني سوى ذلك في مثل هذا البيان

قد يكون غيري سبقني الى طرق هذا الباب الاّ انني على يقين انه اقتصر في البحث على أحسن الوجهين لأحد أمرين : إما ليقال انه عاشر علية القوم ووقف على مدنيتهم ورقيهم ، فيلصق بذهن القارئ ان الكاتب اصبح ارقى منه قبلاً وربما كان أرقى من القارئ ايضاً وهذا أجل عنه الاديب ؛ واما لكي يوقف قومه على مبلغ الفرق بينهم وبين من هم أرسخ منهم قدماً في المدنية مؤملاً ان وراء ما يسطره لهم مدرجة الى اصلاح الحال . وهذا ما ينزع اليه بعض الكتّاب . اما كاتب هذه السطور فلم يرَ « لسوء حظه » ما يدعى مدنية حقيقية في تلك الاصقاع القصية وكل ما رآه طلاء خارجي ناصع ينطوي تحته ما ينطوي تحت طلاء القبور

***

اذا كان المقصود من المدنية وفرة التمثلات والملاهي وكثرة المراقص والملاعب وتسهيل اسباب المعيشة وتكثير موارد الارتزاق لمريدي العمل ونهضة في العقول والهمم وغزارة في العلم ، كانت الولايات المتحدة اعظم الامم شأناً واعلاها منزلة في معارج المدنية . اما وقد شاء واضعو مفردات اللغات أن يكون بين ما يضعونه كلمات مثل الخلاعة واللهو والقصف

والزهو والمفسدة ثم التجارة والصناعة والزراعة والمعارف والفنون وما شاكلها ، كان لكلمة المدنية او التمدن معنى محصور لا يتجاوز مفهومه دائرة الاخلاق وآداب الاجتماع ، وكانت الولايات المتحدة بهذا المعنى أحط من اكثر بلدان العالم ومساوية للبعض الآخر الاقل . واذا شاء احد ان يرد قائلاً ان التمثّلات وما يجانسها لمن مظاهر المدنية وأدلة الرقي قلنا نعم ولكن اذا روعيت فيها شروط وضعها لا حسب مصيرها . أما وهي في هذه الحالة فهي هاوية تسترها أزهار وتغشاها رياحين

ما انا معترض على التمثَّلات بعينها وأخص منها الشرقية التي لا تزال الحشمة تلازمها فلا تضيع الفائدة المقصودة من التمثيل ، وانما اشجب تلك التمثلات الاميركية وما تدرَّجت اليهِ مما يستظهر بهِ الضعف الانساني على ارادة صاحبهِ . وكلكم يعلم ان ارادة المرء موكولة الى ما يحيط بها من العوامل الخارجية فهي كقطعة من الحديد تدور بها قطع من المغنطيس فتنجذب الى أقواها فعلاً عليها

ومن الغريب المدهش ان كل ما يجري فيها متسامح بهِ ولو بدت منهُ أقل حركة وانزه اشارة في مجتمع لاستوجب فاعلها الرجم . وهذا أشبه شيءٍ ببعض الحكومات التي تمنع الميسر في بلادها من وجه وتجيزه وتحلله من وجوه ، كأن المقام والاسم اذا اختلفا تختلف بهما الحقيقة والجوهر

من مذلأت الفتاة الاميركية بين بنات جنسها ، ومن دواعي حزنها العميق ان لا تكون حبيبة الى كل القلوب . تبيحُ لها الحقوق الشرعية

والشرائع البيتية ان تستهوي كل من راقــ منظره في عينها وكثيراً ما تجتمع لديها عشرات القلوب فتتناوب الاجتماع مع اصحابهـا تؤنس منهم قوماً وتوحش آخرين وهي ما دامت عزبةً غير مسؤولة عما تفعله . وقلما تلقى فتاة لم تتجاوز المدى في الهوى وما ذلك عندهم بالامر المكروه بل ان التي لا تتبع هذا الصراط السوي كانت من الضالات المغضوب عليهنّ اللواتي لا نصيب لهنّ من الحياة على احدث الأزياء

وتظل « ملكة القلوب » على هذا النمط الى ان تتزوج بمن يحلو لها من عشاقها الكثيرين وللاستحلاء امور جمة لا اظنها تخفى على قارىء

واذا تزوجت هذه الفتاة تابت الى ربهـا ، مبقية لنفسها حقوق الامانة وعدمها وفقاً لمراعاة زوجها هذه الحقوق فاذا خان خانت . وتلك حقوقها كما هي حقوقه ايضاً . ويقيم احدهما رقيباً على الآخر فاما ان يزلّ احدهما وهذا لا يحصى . وقلما يمرّ نهار واحد في نيويورك مثلاً ولا يسمع فيهِ أهلوها بعشر حوادث طلاق على الاقل وتلك جرائدها تنبئك اليقين

قد تشعر احدى العائلتين بما يختلج في صدر ابنها او ابنتها فتحاول الحؤول دون الزواج ، ولكنه حؤول لا يثمر غير هرب الحبيبين فلا تمرّ عليهما ساعات الاَّ وقد نزلا بلداً آخر يجريانــ فيهِ عقد الزواج المدني والكنسي وما شرطهُ الاَّ رضًى متبادَل بينهما منــ غير ما نظر الى رضى اهليهما

ولا يخالنّ القارىء ان العائلات والأسر الوجيهة الشريفة والموسرة ارفع من ان يحدث فيهـا مثل هذه الامور وانما هي اقرب لتغذية هذه

الجرثومة مما دونها بل ربما هربت الفتاة الغنية صاحبة الملايين مع الحوذي او الطاهي او من كان في منزلتهما ، وذلك كثير الحدوث

***

ومن غرائب تلك البلاد اختطاف الاحداث فانهُ لا يمرّ اسبوع الاَّ وتفقد احدى العائلات طفلها اسابيع وشهوراً ، وربما عاماً او عامين غير عارفة له مقرًّا ولا سامعة عنهُ خبراً الاَّ من مختطفيهِ المجهولي الاقامة والاسماء في رسائل الوعيد والتهديد باعدام الطفل اذا لم يؤدوا الفدية ومقدارها كذا ألوف ترسل بالطريقة الفلانية الى المحل الفلاني

تأخذ الرعدة من قلوب الاهلين فيتذرعون بكل وسيلة ويلتجئون الى الحكومة لمعرفة مقرّ الطفل متنازلين عن مطالبة المختطف ، قانعين برد الطفل المفقود . ولكن اين يد الحكومة لتصل الى ما يراد ؟ واين قوتها لتقتصّ من الاثيم وهو كل يوم في واد ؟ واين سلطانها لتهتدي الى مقر الطفل ، والطفل كل يوم في ايدٍ جديدة يتنقل من بيت الى آخر ومن بلاد الى بلاد

الاَّ انه مما يُشكر المختطفون لاجله هو كثرة اعتنائهم بهؤلاء الاحداث فيوفرون لهم اسباب الراحة والعيشة الرضية والانشراح فلا يبخلون عليهم بشيءٍ . وبينهم عدد كبير من النساء المنخرطات في سلكهم لاصطياد الاطفال تارة وللاعتناء بهم طوراً

واخيراً يومَ لا يتوفق الاهل الى ايجاد طفلهم لا يرونَ وسيلة اصوب من التسليم بمطالب المختطفين فيدفعون الجزية صاغرين . ومن غرائب

امور هذه الفئة ان الفدية تدفع ودافعوها لا يعرفون مستلميها ولا مقرّهم ولا يرون لهم وجهاً . وكثيراً ما ضجت الجرائد لاستئصال هـذه الآفة الاّ انها كالنافخ في البوق بين الاموات . . .

هذا قليل من كثير مما يجري في بلاد تكاد البلاد الاخرى تتخذها منزل آلهة التمدن الحديث . واذا قيل اين حكومتها واين بوليسها واين ما يقال عن عدلها وقسطها ؟ قلت حكومتها موجودة ، وبوليسها موجود ، ولكنها الوحيدة بين الحكومات في العالم التي اتخذت مبدأهـا الوحيد توفير ثروة البلاد وجعل شعبها وامتها وبلادها اغنى شعوب امم وبلاد العالم على الاطلاق ، والى غير هذه الوجهة لا تنظر ، منصرفة اكثر الانصراف عن بقيـة الوجوه الاخرى . واذا كان جمع المال غاية المرء عميت عيناه وبصيرته عن سائر الغايات

وعندهم ايضاً ما يعرف بتجارة الرقيق الابيض وهي تجارة ذات شركات في كثير من البلاد الاميركية تستجلب من البلاد الاوربية كل رشيقة القد أسيلة الخد تبيعها من تجار الحسن وتبالغ في طلب الثمن المختلف لا باختلاف درجات الجمال فقط بل باختلاف الجنسية فلكل جنس عندهم ثمن معروف . والافرنسية أغلى الفتيات ثمناً وارفعهن مقاماً واكثرهنّ رواجاً . وقد اهتمت الحكومة الاميريكية في العامين الماضيين اهتماماً مشكوراً لاصطلام هذه الآفة الاّ انها لم تؤتَ نجاحاً يذكر ، ولا يزال مؤلفو هذه الشركات يتابعون هـذه التجارة الرابحة . والمدنية الحقيقية تنظر كل ذلك وتلطم خديها بيديها　　العامري

في رياض الشعر

﴿ دعاء الحبيب ﴾

ناظم هذه الابيات عبد الحميد بك الرافعي الفاروقي شاعر من شعراء العصر المعدودين وقد توفقنا الى الحصول على شيء من شعره سننشره للقراء تباعاً :

سلُوها لماذا غيَّر السقم حالها　　تُرى شُغفتْ حباً والاَّ فما لها
تبدَّل ذاك الوردُ بالورسِ وانطفى　　سناها ورقَّت فهي تحكي خيالها
اظنُّ هوى الغزلان قد هدَّ حيلها　　فاني رأيت الريم يوماً حيالها
تناجيهِ سرًّا وهي في زيّ واله　　فخلتُ اخاها كان او كان خالها
فيا حبُّ غلغلْ في صميم فؤادها　　ويا ربِّ لا تُعطف عليها غزالها
ولكن أرحها بعض حين فانني　　شمتُّ بها والقلبُ يأبى زوالها
ومن حبَّ لم يُبغض ولو حب هاجراً　　فقد رقَّ قلبي مذ رأيت هزالها
عسى انها من بعد ان ذاقت الهوى　　تنوحُ على من كان يهوى جمالها
وتذكر اذ كانت وللحسنِ عزةٌ　　ترى مُهجَ العشاق صرعى قبالها
فتبكي زماناً فيهِ أبكت بصدّها　　عيوناً تولاّها الأسى فأسالها
ولعتُ بها حيناً من الدهر لم أفز　　بساعة لطف كنت ارجو نوالها
ولو عطفتْ يوماً عليَّ بزورةٍ　　لقبَّلت حتى بالعيون نعالها
وكم غربة قاسيتُ من اجل حبها　　اجوب الفيافي سهلها وجبالها
ولولا الهوى ما هام في الكون واحد　　ولا فارقت اسدُ العرين دحالها
وقلت لقلبي وهو يذكرُ عهدَها　　رويدك هذي بغيةٌ لن تنالها
تركتُ هواها واشتغلتُ بغيرها　　ومن قطعت حبلي قطعت حبالها

تعوضت عنها حب ظبي مهفهف ... له قامة تهوى الغصون اعتدالها
اذا أبصرت عين الغزالة حسنهُ ... تغطَّت بيمناها وعضَّت شمالها
أنستُ بهِ حيناً الى أن سلوتها ... فكان هُدى نفسي وكانت ضلالها

﴿ الابتسام ﴾

عاشقان التقيا فابتسما ... واذاعا للورى ما انكتما
فتلا الناسُ على وجهيهما ... ما احتوى القلبان من سرهما
ظهرت اسطره واضحةً ... حين لم يمسك بنان قلما
واتى الشاعر والشاعر لو ... راقه منظر شيء نظما
وابتسام الحب حلوٌ فاتني ... واصفاً اياه وصفاً محكما

* * *

هو في القلب سرور عكست ... فوقه العين شعاعاً فنما
وعليها وعلى الثغر بدا ... معرباً من شغف ما اعجما
بل هو المرآة تبدو للفتى ... في محيا من كسته السقما
فاذا ما وجهه قابلها ... عاد منها بضياء مفعما
هو نور ساطع لكنهُ ... بين قلبَي عاشقين انقسما
فاذا ما العين بالعين التقت ... حاول الجزآن ان يلتئما
واذا الوجهان ضاءا فرحاً ... تم للجزئين ان ينتظما
هو في قلب المعنّى ماسة ... رخص الدرُّ لديها قيَما
ولها اسنى شعاعٍ كلما ... جذبتهُ نظرة زان الفما
ينجلي مزدهراً حتى اذا ... غضت الابصار عنهُ اظلما
كشعاع البدر ان حدقت الا ... عين فيهِ بالجفون التحما

واذا العين انقضى تحديقها ابصرتْ ذاك الشعاع انفصما
هو برقٌ لامعٌ ان ملأتْ كهرباء الحب قلباً يُتِّما
زهرة تبــدو على الثغر ولم تك ضمن القلب الا بُرعما
هو قلب المغرم الصب على شفتيهِ بالهوى قــد رُسما
وضمير الغادة الحسناء في وجههــا ساعة تلقى المغرما
بل هو الحب الذي قد ضمه كل قلب بالغرام اضطرما
فتراه العين في العين اذا عاشقان التقيا فابتسما

امين ناصر الدين

﴿ راحة القبر ﴾

ان سئمت الحيــاة فارجع الى الأر ضِ تنم آمنــاً من الأوصابِ
تلك أمٌّ أحنى عليكَ من الأ مِّ التي خلفتكَ للاتعــابِ
لا تخف فالممات ليسَ بماحٍ منــك الاَّ ما تشتكي من عذابِ
كلُّ ميتٍ باقٍ وان خالف الــــعنوان ما نصَّ في غضون الكتابِ
وحيــاة المرء اضطراب فان ما تَ فقد عاد سالماً للترابِ

اسماعيل صبري

﴿ الساعة الدقَّاقة ﴾

ومحصيةٍ أعمارنا كلمــا آنقضت لنــا ساعة دقَّت لها جرس الحزنِ
فيــا بنتَ هذا الدهر سرتِ مسيرهُ فهل أنتِ دون الناس منهُ على أمنِ ؟

ابرهيم اليازجي

﴿ القلوب اليائسة ﴾

سلا قلبي وقد تسلو قلوب ملؤها يأسُ

فلا خدٌّ ولا قدٌّ ولا وردٌ ولا آسُ
تظنُّ هواكَ يخدعني وبعض الظن وسواسُ
سأصرف عنك انفاسي فتصرف عنك أنفاسُ
وأبكي فيكِ آمالي فيبكي الطاس والكاسُ

ولي الدين يكن

﴿ رائعة المشيب ﴾

ورائعةٍ لما ألمت بمفرقي تلقيتُها خوف الفضيحة بالقطفِ
فقالت على ضعفي قويت وانني طليعة جيشٍ سوف يأتيك من خلفي

حافظ عبد المالك

﴿ البلبل المغرد ﴾

تذكار ليلة

صدّاح يا مؤنس هذا الاراك * مالي اراك * تشدو فسبحان الذي قد براك

***

تستقبل الفجر بصوت رخيم يحيي الرميم
وتلثم الزهرَ بثغر بسيم لثمَ النسيم
وتنشد الغصن الرشيق القويم فيستهيم
أما ومَن جوهرَ بالسحر فاك * حين اصطفاك * لم يصف هذا الروض لولا صفاك

***

صفّق كما شئت بهذا الجَناح فلا جُناح
وشمّ خدّ الزهَرات الصباح فهو مباح
وحيِّ بالانشاد ثغر الاقاح خدن الصباح
فالروض لم يختر مليكاً سواك * فانشر لواك * فكلنا مجاهد في هواك

منْ هذه الاطيار ان تنشدا فتنشدا
منْ هذه الاقمار ان تسجدا فتسجدا
منْ هذه الاعمار ان تخلدا فتخلدا
وبعد فافعل ما تشا في فتاك * فشفتاك * حسبي فماذا تبتغي مقلتاك

***

ما أجمل الوردة بين الكمام ذات ابتسام
كأنَّ على مبسمها العذب حام رمزُ الغرام
يا مبسماً يفتن لبَّ الانام بلا كلام
أنجمةٌ لامعةٌ ام سناك * أُرى هناك * طوبى لثغرٍ طاهرٍ قد جناك

***

روح فتى الشعر الاديب الاريب هذا النسيب
أودعته بعض مزايا الحبيب لكي يطيب
عساه من ذات العفاف العجيب له نصيب
صدّاح ان تقبله فانشد أخاك * نلت مناك * روحي فداها وحياتي فداك

بشاره الخوري

صاحب جريدة البرق

رصاص دُمْ دُمْ

هو هذا الرصاص العريض ذو الحدين يغرز في الجسم فيلتوي فيشبه ذنب العقرب المعكوف ، او يلتف التفاف علامة الاستفهام في لغات الافرنج، التواء يشرط ما حوليه حتى لا ينفع معه مشرط الطبيب ، والتفاف يمزق ما على جانبيه حتى لا تفيد فيه ابرة الجراح . يصيب فيجرح ، ويجرح

فيدمي ، ويدمي فيقتل . فالموت لا محالة عقبى المصاب به ولكنه موت بأشد ألم ، وافظع عذاب

سمي دُم دُم فكان الاسم دليلاً على مسمأه . او ليس في اشتباك هاتين اللفظتين معنى من الهول والرعب ؟ دمدم اسم لبلد في الهند على بضعة أميال من كلكوتا . قاتل اهله الانجليز في حروب هؤلاء مع الهنود فقاتلهم الانكليز بهذا النوع من الرصاص . الانكليز كانوا اول من استعمله واهالي دمدم اول من اعترض عليه . حتى اذا بلغت شكوى الدم دميين الى مسامع الاوربيين ، وعرف ابناء المدنية الحديثة ما يأتيه فريق من اخوانهم من ضروب القساوة في الحرب ، عنيت ما كان يفعله الانجليز في قتال الهنود ، قام رسل الانسانية بينهم فايدوا شكوى اهالي الهند . وخافت الدول ان يعمّ استعمال هذا الرصاص في الحرب — وهي لا تأمن شرّها في اوربا — فاتفقت على منعه اشفاقاً على ابنائها . غير ان هذا المنع انما تناول الحروب التي قد تنتشب بين ابناء المدنية ، ولم يشمل الحروب التي قد يشبها هؤلاء على الاقوام الذين اخرجهم حكم تلك المدنية من عداد بني الانسان . كأن الاوروبيّ ذو لحم ودم وروح وكأن زنجي افريقيا او هندي جزر « اوقيانيا » وحش ضار تستحل حياته كما يستحل قتل الافاعي والنمرة والذئاب . ذلك هو بعض رفق الانسان بالانسان وعطف البشر على البشر . ولما كثر ترديد الالسنة للفظة دمدم في خلال المفاوضات التي دارت بشأن ذلك الرصاص ، ولاكتها السنة القوم في ذلك العهد فكان يقال مثلاً « الرصاص الذي اطلقه الانكليز في دمدم »

او « رصاص دمدم » على سبيل التخفيف ، عمّ هذا التركيب كما عمّ قولهم « بنادق مارتين » وبنادق « موزر » حتى اصبحت الاضافة علماً مركباً . ثم حذف المضاف لدلالة المضاف اليه عليه فقيل دمدم والمقصود به الرصاص الذي كان يطلقه الانكليز في دمدم في الهند كما قيل « مارتين وموزر » في تعريف البنادق التي هي من طراز « مارتين وموزر » مخترعَي هذين النوعين من السلاح

هذا هو رصاص دمدم . وكذلك كان اصل التسمية فيه . فاذا كان الايطاليون يستعملونه اليوم في طرابلس الغرب كما يقول ويؤكد الطرابلسيون ، او كان الطرابلسيون يطلقون منه على الايطاليين كما يزعم ويدعي هؤلاء ، فالدول التي حظرت استعماله واجب عليها التداخل اليوم لتأييد ذلك الحظر ، والاّ جاز لاية دولة ان تستعمله في حربها مع أية دولة اخرى ولم يجز لهذه الشكوى والاعتراض

*
* *

عجبت لهذا العالم المتمدن ! يقول بالحرب ويجيزها . ويعدُّ لها عدتها من رجال ومال وسلاح ، ثم يعود فيرى رصاص دمدم مثلاً فيروعه خطره وتهوله فظاعته ، فيمنعه بدعوى الشفقة على الانسانية ، والرفق بها . لماذا تراه لا يشفق عليها من الحروب على اطلاقها ؟ أرصاص دمدم يقتل قتلاً ، ومدافع مكسيم تدغدغ دغدغة ؟ ارصاص دمدم يصيب فيميت ، ومقذوفات كروب ، وسنت اتيان ، وشميث ، ومارتين ، وموزر ، وشاسبو ، وغرا وهلم جرا تخمش تخميشاً ؟؟

الحرب مناجزة عدو لعدو . فما بالك تدفعني اليها بطمعك وعنفوانك ، ثم تحظر عليّ قتلك واراقة دمك ؟ اذا خفت الموت فلا تطلبه تحت ظلال الاسنة ، وخفق البيارق ، ودخان البارود . وان لم تخفه فمت بالرصاص او بالحديد أو بالنار . تعددت الاسباب والموت واحد !

تناجزني في ساحة الوغى ثم تدعي الشفقة عليّ فتقول لي : انا لا اقتلك برصاص دمدم ، ولكن بشظية من شظايا مدافع مكسيم . ويل امها شفقة !

ولأغرب وانكى انك وأنت أنت هو « نوبل » صاحب معامل الديناميت والمقذوفات النارية الفتاكة ، تضع جوائز للسلم تعرف باسمك ويكافأ بها كل عام أكثر الناس سعياً في سبيل نشر السلام العام . إما هذه وإما تلك . وهل من الممكن الجمع بين النار والماء ؟

بالامس تلاقى البوير والانكليز في حرب سجال قتل فيها الابن الوحيد للورد روبرتس قائد الجيوش الانكليزية يومئذٍ . فبعث القائدان البويريان بوثا ودويت برسالة الى زميلهما البريطاني يعزيانه فيها عن مقتل وحيده . يا ويحها تعزية خففت حزن ذلك الاب الشفوق ، وبردت في صدره جمرات الاسى !! مغالطات ومساخر حكمها حكم الجزار يذكر الله ويذبح !!!

بمثل هذا يهزأ العالم بعضه ببعض ، ويسخر الناس فريق من فريق . انهم يهزأون ويسخرون ثم يسمون ذلك الهزؤ وتلك السخرية واجبات ومجاملات !!

الشرع الذي خوَّلك الحق بمحاربتي وقتلي ، خولني الحق الصراح بقتالك واراقة دمك. والقانون الذي اباح لك أن تجتاح بلادي ، اباح لي أن ادافع عن نفسي ووطني بكل انواع الدفاع . الشر بالشر والبادئ أظلم . اقتلني اذا استطعت ولا تهزأ بي ، كما اقتلك اذا قدرت ولا اسخر منك . سواءٌ عليَّ وسواءٌ عليك رصاص دمدم او مدافع كروب ومكسيم !!

ولكن حبذا قول ولي الدين يكن :

لا احبُّ الوغى ولا انا منه   كل ما يقتل النفوس حرام

محاكم الاحداث

محاكم الاحداث التي نحن بصددها غايتها العظمى اصلاح الأحداث باية طريقة كانت . فلا يوجد لديها نظامات مسنونة تجري عليها في معاملة هؤلاء الاحداث فهي تعامل كل ولد بحسب مقتضى حاله وظروفه . تبحث لتمنع وقوع الذنب او الجرم قبل ارتكابه وغرضها الاصلاح والمساعدة. مساعدة الذين يريدون أن يساعدوا أنفسهم دون ان يتسنى لهم ذلك . فتسهل لهم السبل وتوردهم اقرب موارد الاصلاح وهم لو تركوا وشأنهم لاصبحوا اشقياء قتلة مجرمين فهي تشعر بعظم مسؤوليتها وتعلم ان الولد يشبُّ على ما يربى عليه . فتبدأ من البدء وتزيل الموانع والعقبات القائمة في سبيل ترقيه. وترده عن الطريق التي قد تؤدي به الى الهلاك والشقاء ، فتغرس في نفسه حب الفضائل والصفات الشريفة في زمنٍ تتأثر عواطفه

فيهِ أشد التأثر للمؤثرات الخارجية والانفعالات الداخلية . تهتم بالاحداث والصغار على اختلاف طبقاتهم ونحلهم ومشاربهم واعمارهم . فتدرس الواحد منهم درساً مدققاً اذ تبحث عن احواله وطرق معيشته وعائلته (ان كان له عائلة) ومحيطه وكل ما يتعلق به . ولا تقضي امراً قبل تأكدها من صحة ما رأته وسمعته عن ذاك الحدث

كل هذا قد يظهر للقارئ سهل المتناول . لكنه ليس كذلك حقيقةً . فاسباب البلاء متعددة جداً لا تتوفر معرفتها حالاً في كل حين . وأهم جرائم الاحداث الكذب والغش والسرقة واللعن والحلف والكلام القبيح الفاسد وارتكاب المنكر وما اشبه . والاسباب الداعية لهذه المساوىء كثيرة متنوعة يصعب احصاؤها وعدُّها . تنشأ من عدم وجود مَن فيهم الكفاءة لتربية الصغار تربية حسنة

وما جرَّ عليهم هذه الويلات الاَّ جهل والديهم او عدم اكتراثهم لاولادهم . او ان الاحوال قضت بتفريق الاب والام كالطلاق والسكر والجهل والسياسة الخرقاء (كما سنرى) . كل هذه قد تتحد معاً او بعضها معاً فيترك الاولاد وشأنهم لا وازع او مرشد يهديهم الصراط المستقيم فيضلون ويهيمون ويصبحون ضربة على الانسانية وعيالاً على المحسنين

ولنبحث الآن في الاسباب والعلل التي تؤدي بالاحداث الى سوء العاقبة وشرّ المصير . وتوصلاً لهذه الغاية قد اعتمدت الاحصاءات المأخوذة عن مائة قضية من قضايا الاحداث ممن احضروا أمام محكمة واحدة من محاكم الاحداث في ولاية شيكاغو من ولاية اميركا المتحدة .

فكانت كما يأتي :

٤٨	منهم	أحد والديهم غائب او متوفي
٣١	«	امهاتهم يشتغلنَ ليعلنَ أولادهنَّ
٣	«	عدد عائلاتهم فوق العشرة اشخاص
٣٦	«	بحالة الفقر المدقع
٣٣	«	احوال بيوتهم سيئة رديئة
٣٦	«	محيطهم غير صالح لسكناهم
١	«	لا بيت ولا مأوى له

وهذه الاسباب المذكورة ينتج بعضها عن بعض . فيتسبب عن موت الاب فرضاً فقرٌ مدقع تلتزم الأم معهُ ان تشتغل لتعول بنيها القاصرين فتهمل أمر اولادها وتربيتهم فتسيء احوالهم

يتجلى للناظر حالاً ان اكثر هذه الاسباب عدداً هو غياب احد الوالدين او موته . فالوالدان هما ركنا العائلة التي تقوم بهما . فان فُقد احدهما اصبحت العائلة واهية القوى . فيخسر الاولاد خسارة ادبية كبيرة

ولنرَ الآن الاسباب من جهة تأثير الام على الاولاد فنجد ما يأتي :

٢٠	منهم	امهاتهم بدون عمل	
٣٤	«	«	يعملنَ اعمالاً طفيفة قليلة الاجرة
١٦	«	«	يشتغلنَ طول النهار خارج البيت بالغسل والكنس والمسح الخ
١٠	«	«	يشتغلنَ طول النهار في البيت باشغال متنوعة

٤ منهم امهاتهم يشتغلن طول النهار خارج البيت اعمالاً غير المذكورة آنفاً

٦ « « ساكنات بعيداً عنهم

١٠ « بدون امهات

كلنا يعلم اهمية مركز الأم في البيت من حيث تربية الصغار وتنشئتهم على الطرق المثلى فيشبون رجالاً يعتمد عليهم . ولكن متى تركت الأم أمر صغارها او اضطرت الى ذلك لا يقدر الاب أن يقوم بوظيفتها حق القيام . فيخسر الاولاد عناية الأم وحنوها وارشادها . فيشبون وهم خلوٌ من صفات الرجولية الحقة . هذا من جهة تأثير الأم على الاولاد اما تأثير الاب عليهم ففي الجدول الآتي ارقام تدل عليهِ :

٣٧ منهم آباؤهم يعملون طول النهار بالمعادن والمعامل وما شاكل

٣١ « « يحترفون حرفة حقيرة

١٧ « « لهم اشغال تشغلهم طول النهار

٦ « « يعملون اعمالاً شتى

١٩ « « عجزٌ لا يستطيعون عملاً ما

١٠ « « لا عمل لهم

فمن مقارنة ارقام هذه الجداول ترى نسبة عدد الاحداث المجرمين الى الاحوال التي وجدوا فيها . وهناك امور كثيرة تختص بهذه المحاكم سنعود اليها في العدد القادم

توفيق جريديني

ازهار واشواك

كل عام وانتم بخير

بهذه العبارة ، او بعبارة أخرى تشابهها معنى وان خالفتها مبنى ، يتقابل الاصدقاء والاقارب في هذا الشهر شهر المواسم والاعياد من رأس السنة الهجرية فعيد الميلاد فرأس السنة الغربية فالشرقية . وبكلمات التبريك وتمنيات الهناء والتوفيق تُصافح كلٌّ من تجمعك بهِ صلة رحم او رابطة صداقة او علاقة عمل . . . تبريكات وتمنيات كثيراً ما لا تشترك القلوب مع الشفاه في التلفظ بها ؛ على انها من المصطلحات التي جرى عليها بنو الانسان في معيشتهم الاجتماعية . ومهما يكن قد افقدها الابتذال من رونقها الاصلي ومعناها الوضعي ، فانها لا تزال تدلُّ على عاطفة جميلة ، وهي تناسي الضغائن والاحقاد التي تولّدها المنازعات اليومية بين الناس في معترك تنازع البقاء . وكلما زاد هذا التنازع شدة ، زاد شعور بني البشر بالحاجة الى ايام تتبدد فيها من جوّهم غيوم المشاحنات وتشرق شمس البِشر والسلام . . . أقف عند هذا الحد لاني لا اريد ان أعكّر على قرائي صفاءهم بعطرةٍ من الفلسفة الاجتماعية . ولكنني اقول لهم من صميم الفؤاد لا من الشفاه فقط : « كل عام وانتم بخير » شاكراً الذين ارسلوا تهانيهم الى صديقهم « حاصد » على حسن التفاتهم ، سائلاً للجميع خير ما يُسأل في هذه الاعياد للاصدقاء المخلصين ، وكلنا في حاجة الى اشياء

كثيرة ، لان العام المنصرم قد حرمنا من كثير مما كنا نتمناه ، حتى بات « كلُّ من تلقاه يشكو عامهُ »... طوينا صفحة السنة الماضية وعرفنا رصيد حسناتها وسيئاتها . اما نَعَم وتقم السنة الجديدة فلا تزال في عالم الغيب

وأعلم ما في اليوم والامس قبله　　ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

جلاّد مصر

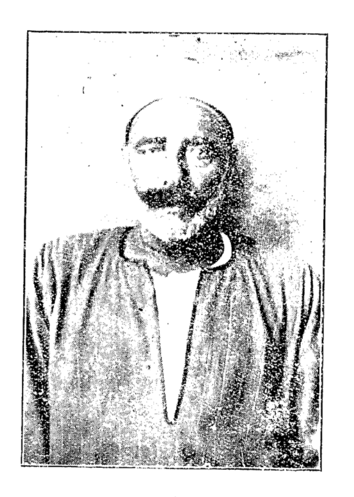
بانقضاء السنة انقضت حياة رجل ولا كالرجال ، وانصرم حبل ايام من صرّم الكثير من الآجال ، بشدّ الحبال ... مات العشماوي الجلاّد « باشمحرّك الآلة الشانقة » أو « محتكر صنف الإعدام رسمياً » في وادي النيل . توفي فتنفس المجرمون الصعداء ، وهبّت أشباح الذين شيعهم الى عالم الفناء ترحب بقدومه ... حُمل على الآلة الحدباء الى القبر ، بعد ان ظلّ السنين الطوال يحمل آلة الاعدام من بلد الى بلد ، حيث يدعوه حكم القضاء ، فكان

يمشي وعزرائيل من خلفهِ　　مشمّر الأردان للقبضِ

وقد اختلف الرواة في وصف اخلاقه ، فمنهم من يمثل العشماوي قاسياً فظاً غليظاً ينفّذ مأموريته دون ان تمس قلبه عاطفة شفقة ، ومنهم من يقول غير ذلك . اما انا فلم أتشرف — والحمد لله — بمعرفته ولا حاولت ان اصير من زبائنه ، حتى اكون راوية صدق ... كانت الحكومة تنقد العشماوي راتباً شهرياً مقرراً ، قدره اربعة جنيهات ، وكان يتقاضى عن كل مشنوق يشرّفه بوضع « الكرافاته » في عنقه خمسة جنيهات اخرى .

فاذا عرفتَ انه قضى ١٥ سنة في هذه المهنة وانه شنق ٥٧٦ مجرماً تعرف ان المبلغ الذي حصّلهُ من شدّ الحبال حول الأعناق لا ينقص عن ٣٫٦٠٠ جنيه اي بمعدَّل ٢٠ جنيهاً في الشهر ... تجارة رابحة والله، ولكني أفضّل على ذلك الذهب الوهاج المكتسب من شقّ المهج بضعة دراهم اكسبها من شق القصبة بعد جهاد النفس

ماصر



عشماوي

من كل حديقة زهرة

* يؤخذ من التقرير الذي وضعهُ مسيو ديشانيل عن المدارس الفرنسوية في الشرق ان عدد تلاميذ هذه المدارس في السنة المدرسية المنصرمة (١٩١٠ — ١٩١١) قد بلغ ٧٤٫٠٠٠ في تركيا، و ٢١٫٥٠٠ في مصر، و ٢٫٩١٠ في اليونان، و ٣٢٥ في كريد، و ٦٦٧ في قبرس، و ٢٫٠٠٠ في بلغاريا، و ٢٠٠ في رومانيا، و ٢٫٨٠٠ في ايران. فيكون المجموع فوق ١٠٤٫٤٠٠ تلميذ. وبلغ عدد الذين تلقوا العلوم العالية ٧٥٢، والصناعة والتجارة ١٫٦٩٥ والعلوم الثانوية ٩٫٩٤٣، والعلوم الأولية ٨١٫٤٨٥

* أراد أحد العلماء ان يعرف مقدار الميكروبات التي نتجرعها مع الهواء الذي نستنشقه، فاخذ في آلة خصوصية عشرة ليترات من الهواء في الشارع اثناء زوبعة فوجد فيها ٢٠٠٫٠٠٠ ميكروب من أنواع مختلفة، وعليه ففي كل ليترٍ من الهواء الذي نستنشقهُ ٢٠٫٠٠٠ ميكروب

* بدأ مسيو اوبلي مدير سكة حديد بغداد بالاعمال الفنية للخط الحديدي في الموصل وحواليها. والمنتظر ان يتم الخط بين الموصل وبغداد وبين الموصل وحلب في مدة سنتين او أقل. وسئل مسيو اوبلي عن درجة سرعة القطار على الخط المذكور فقال انه سيقطع ٣٠ كيلومتراً في الساعة. ولما كانت المسافة بين الموصل وبغداد ١٠٠ كيلومتر، فسوف لا يستغرق السفر اكثر من ثلاث ساعات، وكذلك المسافة تقريباً بين الموصل وحلب. وعليهِ فسيتوسع نطاق التجارة والزراعة في تلك

الاصقاع وتستثمر المعادن المدفونة في ارضها ويعود اليها شيء من رخائها السالف

* كل قذيفة تقذفها المدافع التي تبلغ فوهتها ١٤ بوصة تقتضي نفقة ٣٠٠٠ فرنك . وتقذف هذه المدافع قذيفتين او ثلاثاً في الدقيقة وعليهِ اذا اشتبك اسطولان في معركة مدة خمس ساعات فانهما ينفقان مبلغ ١٥٠ مليون فرنك ثمن قذائف

* تشتغل معامل انكلترا البحرية بصنع مدفع عظيم من طراز جديد قياسه ٤٠٦ ميليمترات وهو يقذف القنابل الى مسافة ٢٦ كيلومتراً وزنة القنبلة ١٠٨٠ كيلو تحتوي ٦٣ كيلو من المواد القابلة الانفجار وفيها قوة كافية لخرق أضخم المدرعات المصفحة . على ان معامل بحرية الولايات المتحدة تشتغل الآن بصنع مدفع من هذا النوع يفوق الاول في ثقل مقذوفاته وقوتها

* كتب مستر ابورت في مجلة « الطبيعة » الانكليزية فصلاً عما يمكننا ان نسميه « ميزانية » الرجال والنساء في العالم ، اي عدد الجنسين والنسبة بينهما

واول ما لاحظه هذا الكاتب يتعلق بالوفيات في الاولاد ، فانها في البنين اكثر منها في البنات قبل تجاوز السنة الخامسة . ثم تنعكس هذه النسبة منذ السنة الخامسة حتى الخامسة عشرة اذ تزيد الوفيات بين البنات . ولكنها تعود فتنقص بعد هذه السن فتصبح بين الذكور اكثر منها بين الاناث . ويتفاوت عدد مواليد البنين والبنات بالنسبة الى عمر

الأم بحسب ما يبينهُ الجدول التالي :

سن الامهات	عدد البنين	عدد البنات
حتى ١٩	٦٥٩	١٠٠٠
من ٢٠ الى ٢٤	٨٩٥	١٠٠٠
« ٢٥ « ٢٩	١١٠٥	١٠٠٠
« ٣٠ « ٣٤	١١١١	١٠٠٠
بعد ٣٤	١١٦٥	١٠٠٠

والذي ينتج عن هذا البيان انه كلما تقدمت الأم في السن زاد عدد مواليدها الذكور

ثمرات المطابع

مسرات الحيـاة — امعن النظر في الرسم الممثَّل أمامك . فهذا الرأس الاصلع الذي ابيضّ جانباه ، وهذه الجبهـة النافرة البارزة فوق ذينك الحاجبين الكثيفين الفضيين اللذين يكادان يغطيان تينك العينين البرّاقتين، وهذان الشاربان المختلطة أطرافهما بتلك اللحية البيضاء المستديرة حتى تختفي بينهما الابتسامة اللطيفة المرسومة على الشفتين ، هذا الرسم الذي يمثـل العلم والذكاء والوقار هو رسم لورد أڤبري الشيخ الذي يتمشى اليوم في الثمانين من العمر ، والعالم الفاضل المعروف « بفيلسوف الحيـاة اليومية » وصاحب سلسلة الكتب الذهبية التي نقلت الى معظم لغات العالم ، والتي كادت تخلو اللغة العربية من محاسنها لولا ان أقدم على تعريب بعضها حضرة الكاتب الاديب الفاضل وديع افندي البستاني ، فانه ترجم

منها كتابي « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » ونشر اليوم الكتاب الثالث « مسرات الحياة » الذي يحتوي على مباحث خير ما يقال فيها انها نتيجة درس واختبار لورد افبري للحياة الاجتماعية . ولقد قرأناه



اللورد افبري

فرأيناه مساوياً لأخويه السابقين فائدة ونفعاً ولكنه يفضلهما بالعناية التي اختصه بها المترجم حتى جاء بهِ عربياً صحيحاً سليماً على الغالب من كل ما يشين الترجمة . فنحن نشكر لوديع افندي اعتناءه ونحث على مطالعة هذه

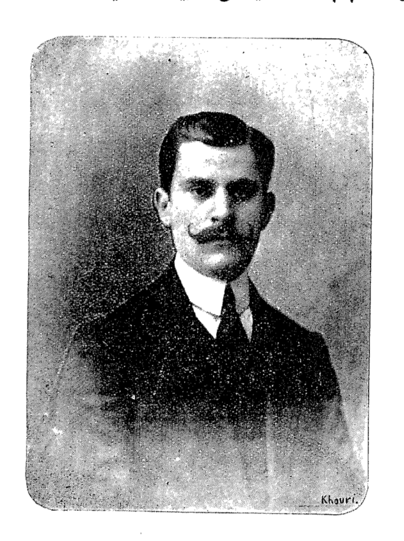
الكتب التي يعربها من حين الى آخر فهي خير من اكثر ما يترجمه كتّابنا في هذه الايام

وقد تولى طبع ونشر هـذه الكتب حضرة نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها . وهي مأثرة له نضيفها الى مآثره العديدة في خدمة العلم والأدب بما تنشره مطبعته من المؤلفات النفيسة

كتاب البنين[1] — هو كتابٌ كان لظهوره في فرنسا منذ بضع سنين تأثير كبير ، فان واضعه رجلٌ قد خبر الشؤون الاجتماعية وحركة الافكار العصرية فكان له في امته التي ترأس مجلس نوابها شأن يذكر بالثناء ، وليس اسمه بالمجهول لدى ابناء الشرق ، عنينا به مسيو پول دومر الخطيب البليغ والكاتب المفكر . اما كتابه هذا فقد تناول جميع المسائل التي يهم الفتيان الاطلاع عليها والبحث فيها بعد خروجهم من المدرسة . فكتب واجاد في « الارادة والواجب والاقدام والعدل والاخاء والحرية والتسامح والمحبة والزواج والديمقراطية والدستور والمساواة والوطنية والتعليم والتعاون والامة والحرب » الى غير ذلك من الابحاث التي تشغل خاطر المفكرين . واراد المؤلف أن يدرس هـذه المسائل الخطيرة درساً خاصاً بالناشئة التي ادركت اول مراحل الرجولة ، فجاء كتابه من خير ما كُتب في هذا الموضوع الجليل . ولما كانت امتنا الشرقية في مطلع نهضة فكرية من هذا القبيل كان مثل هذا الكتاب من أحسن ما يقدم لها ويهدى اليها . هذا ما رآه حضرة الكاتب الاديب عبد الغني افندي

(١) المطبعة الاهلية في بيروت وثمنه نصف ريال عدد صفحاته ٢٨٤

العريسي احد صاحبي جريدة « المفيد » البيروتية . فحدت به الهمة الى ترجمة « كتاب البنين » ليقدمه الى اخوانه شبان الامة العربية وهو معروف بغيرته عليها وسعيه الدائم الى ترقية شؤونها . فكان في عمله هذا احسن خدمة لابناء جلدته تقابلها بالشكر والثناء . والكتاب متوّج باسم رجل من افاضل الامة العربية وهو عزتلو السري رفيق بك العظم الذي صدّر الكتاب بمقدمة ضافية عن التربية الاخلاقية



عبد الغني العريّسي

تقويم البشير لسنة ١٩١٢[١] — هو اتقن تقويم سنوي يصدر في اللغة العربية يجمع في مئتي صفحة أهم ما يجب معرفته عن تاريخ السنين والاشهر والايام والاعياد المختلفة وقاعدة القمر والشمس واسماء الرؤساء الروحيين والمدنيين وجداول العملة وبلاد الدولة العثمانيـة مع تعليمات كثيرة جغرافية وتاريخية وفلكية وصحية مع ملحق يتضمن فوائد بيتية متعددة ونبذ ادبية وفكاهية متنوعة جمعت بين اللذة والفائدة وقد عني بجمعه وترتيبه هذه السنة ايضاً حضرة العالم الفاضل الاب لويس معلوف مدير جريدة « البشير » فاستحق كل شكر وثناء

المعارف[٢] — سلسلة كتب عظيمة الفائدة جمـة النفع يسعى في نشرها اديبان من ادباء بيروت وهما الافنديان عبد الوهاب ومحمد التنير يقصدان بها نشر العلوم الطبيعية ، وما تتناوله من الفروع ، بين الناشئة العربية . وقد صدر الكتاب الاول منها وهو يبحث في علم الفلك باسلوب واضح جلي يقرّب هذا العلم من ادراك القارىء ، ويساعد على تفهم قواعده ما فيه من الرسوم العديدة . وقد عوّل منشئا هذا الكتاب على اشهر مؤلفي الغرب في هذا الباب واعتمدا على الكتب العربية القديمـة لوضع الاصطلاحات العلمية . ونحن نرى بمزيد السرور اقبال كتابنا على التأليف في هكذا مواضيع مفيدة

جمعية العروة الوثقى — جاءنا التقرير السنوي لهذه الجمعية الخيرية التي اشتهرت مبراتها في وادي النيل وهو يتناول السنة الدراسية ١٩٠٩ —

(١) مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (٢) المطبعة الاهلية في بيروت

١٩١٠ ويؤخذ منه ان عدد مدارس الجمعية ١٧ فيهم ٢٢٦٧ تلميذاً و ٦٢٤ تلميذة منهم ما يزيد عن الخمسين في المئة يدرسون مجاناً ، واذا عرفت ان عدد المدارس في اول عهد الجمعيـة (سنة ١٨٩٥) لم يكن سوى اثنتين فيهما ١٥٠ تلميذاً وتلميذة عرفت الشأو البعيد الذي أدركتهُ بفضل اعضائها الكرام ومعاونة ذوي البرّ والاحسان . وفي التقرير بيانٌ ضافٍ عن سائر أعمال الجمعية وحساباتها مما يدل على الخطة المثلى التي تسلكهـا . جزى الله القائمين بالاعمال الخيرية احسن جزاء

الاستقلال الفكري[1] — هو نص خطبة فلسفية عمرانية ألقاها في جمعية الترقي القبطية في اسيوط حضرة وليم افندي بقطر وقد بحث فيها عن الاستقلال الفكري وتدرجه حتى يومنا معززاً أقواله بالشواهد التاريخية والبراهين العقليـة ، مفنداً مزاعم من يتورطون في تفهم الحرية على غير معناها الحقيقي ، محذراً من « الحرية التي لا ينيرها التهذيب »

مفكرة المعارف — اشتهرت مطبعة المعارف بالاعتناء الكثير بكل ما يطبع فيها حتى اصبح الاتقان صفةً خاصةً بهـا . ولقد اعتاد حضرة صاحبها الفاضل نجيب افندي متري أن يُصدر في مطلع كل سنة يومية صغيرة تُعرف « بمفكرة المعارف » ، واصدرها في هذه المرة ممتازةً بالاعتناء والاتقان فنلفت الانظار اليها والى النتيجة (روزنامة) الجميلة التي تضاهيها محاسن وتدقيقاً وكلتاهما تطلب من المطبعة المشار اليها وثمن المفكرة ٤ قروش صاغ والنتيجة ١٠ قروش صاغ

(١) مطبعة يوسف الجديدة باسيوط

رواية الشهر

ليلة عيد الميلاد

كان ذلك في عشية ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨١١ وكان نابليون الأول يشتغل في غرفتهِ الخصوصية بقصر التويلري

وكانت القاعة الواسعة تكاد تكون مظلمة لولا أشعة أنوار ضئيلة متكسرة على الذهب الغالي تشعّ على الرسم الكبير المعلق على الحائط او منعكسة على رأسي الأسدين الذهبيين الموضوعين على مسند المقعد او متموجة على الجواهر المتهدلة على استار النوافذ فكان ضوء الشمع ينعكس على المكتب العريض المكتظ بالرسوم الجغرافيــة والكتب الضخمة المجلدة بالجلد الاخضر الموسومة بحرف النون وتاج الامبراطورية

وكان الأطلس الجغرافي مفتوحاً عن خريطة آسيا الكبرى ويد الامبراطور الناعمة اللطيفة تبحث بسبَّابتها هناك فيما وراء العجم عن طريق تؤدي الى الهند

نعم الى الهند ! بطريق البر ؟ وماذا عليهِ اذا كانت بوارجه قد تدمرت وأساطيله تشتت فلم يبقَ لهذا المحارب العظيم الاَّ طريق البر الوعرة يسلكها تحت اشجار الغابات القديمة تصحبهُ نسوره القشاعم المتوهج ذهب أثوابهــا بين امواج الحديد والفولاذ ، ووهج السيوف ورهج الدروع ، فيضرب الدولة الانكليزية في خزائنها الغنية ، وهي مستعمراتها الواسعة ، فتدور عليها الدوائر وتطوح بها الطوائح

أجل لقد نال نابليون عظمة قيصر ومجد شارلمان ولم يبقَ الاَّ ملك الاسكندر وليس نابليون ممن يجهلون المشرق فقد ترك في مصر آثاراً لا تفنى وقد رأتهُ ضفاف نهر النيل العظيم قائداً صغيراً راكباً هجينه يقود شرذمة من الخيول الشواذب . وستراه ضفاف نهر الكنج امبراطوراً كبيراً مدثراً بدثاره الرمادي . أفلا يلزم حينئذٍ لركوبهِ الفيل الضخم الذي ركبهُ بوروس لمحاربة الاسكندر ذي القرنين

بلى ان نابليون يعرف كيف تغزى الأمم وتستعبد الشعوب فتمشي بين جنوده

هناك جنود وجوهها كلون الحديد وعمائمها من نسج الحرير ويرى بين قوّاد جيشه امراء الهند تسحب المطارف الفضفاضة المثقلة بالدرّ الثمين والجواهر الغالية ، فيقف أمام الأصنام الهائلة العاقدة زنودها فوق رؤوسها ويسألها عما خبأه له الغيب ، فتجيبهُ عما سأل لأنهُ سأل في الزمن الغابر أبا الهول أيام وقف أمامه في مصر مفكراً متكئاً على سيفهِ المحدَّب وأبو الهول لم يجبهُ ببنت شفة

امبراطور المغرب ! سلطان المشرق !

انهُ لا يريد ان ينحت على رخام قبره غير هذين اللقبين

غير ان هنـاك عقبةً كؤوداً وهي روسيا العظيمة . ولكنهُ إذا لم يتوفق الى مصادقة الاسكندر فانهُ يقهره ويكسر شوكته

ثم انبرت يد نابليون البيضاء تنبش الكتب الضخمة والتقاويم العديدة باحثة عن عدد الجيش اللجب الذي يلتف حول قيصر الروس بوجه التقريب

نعم نعم انهُ سيدحر ذلك الجبار الغاشم ويجره مع من يجر من اتباعهِ وحلفائهِ ووراءهم الفرسان المستوحشة تؤم المشرق لتغزوه

امبراطور المغرب ! سلطان المشرق !

ما كان تحقيق هذا المشروع ليصعب على ذكائهِ ودهائهِ . واذا توطدت قدمه في تلك البلاد واستتبَّ الأمر طبق رغباته فلن ينقسم ملكه من بعده فيفرّق على كبار القوّاد ، كما انقسم ملك اسكندر المكدوني . لأنهُ قد ولد لنابليون منذ عشرين آذار ولد هو وارث مجده وسلطانهِ

فتبسم ثغر الامبراطور بسمةً واضحة حين افتكر بالطفل النائم بجواره في ذلك القصر العظيم الهامد . ثم رفع رأسه بغتة بحركة فجائية وأنصت . . .

ان الغرفة مقفلة وأستار النوافذ الغليظة مرخية فمن أين جاء هذا الزنين الغريب العميق كأن النحل الذهبي المعلق على الديباج قد دبَّت فيهِ الحياة فطار وأخذ بالزمزمة . ثم ازداد الامبراطور إصغاء فتبين له في ثنـايا تلك الضجة انهُ يسمع قرع اجراس . « آه . نعم . عيد الميلاد . . . صلاة نصف الليل »

وكانت أجراس كنائس باريس تقرع مبشرةً بتذكار ولادة الطفل يسوع .
تلك الاجراس التي أعلى مكانها بوناپارت وردَّ لها بقايا جلالها واكرامها أيام كان قنصلاً يحب السلام عامداً على مصالحة فرنسا مع اخوانها المبغضين

كم مرة قرعت تلك الأجراس احتفالاً بنصراتهِ وغزواتهِ وليس العهد ببعيد وقد كانت جميعها تدق منذ ايام قلائل احتفاءً بولادة ابنه ملك روما . في ذلك اليوم التاريخي الذي ارسلت بهِ السماء ولداً للامبراطور كأنها تعترف بملكه الشرعي وتعده ببقاء ذلك الملك

على انها في هذا المساء تتهلل كما تهللت يوم اوسترليتز او ڤاجرام وتقرع عند منتصف ذلك الليل البارد احتفالاً بتذكار ولادة الطفل الوضيع بابن النجار الذي ولد على مهد من القش في مغارة بيت لحم . وكأن تحت استار ذلك الليل اصواتاً عجيبة تصرخ في لانهاية ذلك الفضاء الواسع المزدان بالنجوم الفضية : « المجد لله في العلا وعلى الأرض السلام »

فأصغى الامبراطور الى قرع الأجراس ثم استسلم الى عالم الخيال فقاده فكره الى زمن طفوليته وتذكر قدَّاس نصف الليل في كنيسة خاله زعيم الكهنة فيجزيرة اجاسيو ورجوعه مع عائلتـهِ العديدة الى البيت القديم حيث الفقر المحتمل ببعض الكبرياء وتذكر امه مترئسة وليمة العيد تفرق عليهم الأثمار المشوية . . . .

أما ابنه وهو سليل امبراطور فرنسا وارشيدوقة النمسا فلم يعرف ولا يعرف ولن يعرف مثـال ذلك الفقر المدقع بل سيكون مالكاً رقاب الأمم وساحباً ذيل التيه والفخر على المعمورة جمعاء

وكانت الأجراس تقرع دائماً في ذلك الليل المثلج لأجل عيد الميلاد . . .
ان الجندي المقطب الجبين العابس الوجه اللابس قبعة من القش على باب قصر التويلري يخال غضبان وهو ماشٍ يوسع الخطى لتدفئة مناكبه الباردة . انهُ ليفتكر في مثل ذلك الوقت ببضع كلمات أبتهالية يتمتمها او بانشودة صغيرة حفظهـا قديماً في قريته وهو جالس على ركب امه يرتلها وتتبسم شفتاه تحت شاربه الكثيف

عند افتكاره بالطفل يسوع في مغارته

اما الامبراطور فلم يسمع نداء تلك الاجراس الطاهرة ولم يفتكر الا بولي عهده وقد خامره وجدٌ مبرّحٌ لمشاهدته فاستوى واقفاً وصفق بيديه فانفتح للحال باب منزوٍ وراء حاشية الستر وظهر رستم ذلك المملوك الامين الذي استصحبه من ارض مصر فاشار اليهِ اشارة فطن لها رستم فحمل الشمعدان ومشى أمام سيده في دهاليز القصر المقفرة تواً الى غرفة الملك الصغير حيث دخل الامبراطور وصرف المرضع والنساء النائمات حول مخدع الطفل ووقف نابليون أمام سرير مولوده العظيم

وكان ملك روما مستغرقاً في نومه الطاهر غارقاً في بياض فراشه الوثير مزنراً بزنار اللّيجيون دونور وقد أرخى يده الحريرية اللطيفة على حافة الفراش وأطبق جفنيهِ الناعسين الغائرين في ام رأسه الصغير . فكأن زنار اللّيجيون دونور الشديد الحمرة الذي يعترض وسط الفراش غامراً تلك الطهارة والرقة رقة وطهارة الطفل النائم . كأنه رمز عن الدماء التي سيجريها أبوه أملاً بعقد تيجان الممالك كافة على هذا الرأس الضعيف ووضع صوالجة تلك الممالك في هذه اليد النحيفة اللطيفة

فنظر نابليون الى ابنه نظراً طويلاً وقد أفعم فؤاده كبرياءً مما لم يحدّث عن كبرياء عظيم قبله وهو يقول في نفسه ان كبار هذه المملكة وعظماءها وقواد جيوشها اولئك الابطال الذين تفوق شجاعتهم شجاعة أبطال الياذة هوميروس وكل الحكام والنظار المرصعة صدورهم بالاوسمة والنياشين الجوهرية . كلهم يطأطئون هاماتهم امام سرير هذا الطفل الصغير مرتجفين تهيباً وخشوعاً

ثم استسلم لأفكاره فخيل اليه انهُ يسمع في قرع اجراس العيد وقع سنابك خيله وأقدام رجله وقعقعة اللجم وصليل السيوف ودوي المدافع وان هذه الضجة ضجة المعمعة تحت العجاج الثائر وشرار النار المتطاير . او انها جيوشه زاحفة على روسيا والهند . . . فثمل من خمرة افتكاره وعقد نيته عقداً باتاً على شن الغارة على روسيا والهند مقسماً انهُ سينصب لابنه عرشاً يشرف على أقاليم البسيطة من أقصاها الى أدناها

كيف لا وقد اهدى اليهِ وهو طفل رضيع مدينة بطرس الرسول فهو ولا شك حين يشب سيهدي اليهِ كثيراً من المدن المقدسة

امير مكة ! امير بناريس ! انها لألقاب تليق بملك روما

آه . لماذا لم تلد نساء فرنسا اكثر مما هنَّ والدات . بل لماذا لا يحتشد تحت أمره المليون والمليونان من الرجال الابطال ليغزو بهم ممالك المعمورة قاطبة ويهبها لهذا الطفل النائم

وقد صُمَّت اذنه في استسلامه الى عالم الخيال فلم يسمع قرع الاجراس الطاهرة ولم يفتكر ولو قليلاً بالمالك على السماوات الناظر الى ممالك الارض نظره الى وكور النمل . . . بل لم يرَ بعين خياله عسكره المجر مشتتاً تشتيتاً على ضفات نهر البرزينا مدحوراً مقهوراً والثلج له قبور ومدافن . . . بل لم يرَ ألويته الخفاقة تحطمها القذائف الانكليزية في واقعة واترلو . . . بل لم يرَ ذلك الصخر القاحل وسط الاوقيانوس العظيم وهو له بالانتظار . . . بل لم يرَ في متنزه شنبرون (Schœnbrunn) تحت سماء الخريف ابنه شاباً شاحب الوجه هزيل الجسم مرتدياً ثوب ضابط نمساوي يمشي الهوينا كئيباً حزيناً ينفث نفثة المصدور بين اوراق الاشجار الذابلة المتساقطة . . .

وبينما كان الامبراطور مستسلماً لافكاره الفظيعة ناظراً بعين مخيلته الى ملك ابنه وذرية ابنه ممتداً من مشارق الارض الى مغاربها زاعماً انهُ سيصبح هو نابليون من عظماء القرون الخالية او من أبطال الحكايات الخرافية كأنهُ المريخ او ملك من ملوك الشمس تحف بهِ الاجرام الاثنا عشر وتتدفق من وجنته الانوار والاضواء...

كانت أجراس عيد الميلاد تدق دقات الفرح والنصر متهللة بتذكار ولادة الطفل الصغير في مغارة بيت لحم الذي ملك على العالم بأسره فعلاً ولكنه لم يملكه بشن الغارات واهراق الدماء بل بكلمة السلام والمحبة وسيبقى ملكه على الارواح الى جيل الاجيال

فرنسوا كوبه

تعريب — خليل شيبوب

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء العاشر		فبراير (شباط) ١٩١٢		السنة الثانية

حلم ويقظة

﴿ أمس واليوم ﴾

ريع العالم المالي في هذه الربوع من كثرة التفاليس في المدة الاخيرة ، واشتد العسر على الاهالي ، واصبحت الصحف تروّعنا كل يوم بسقوط محلات تجارية كنا نتوهمها قائمة على أمتن الاسس ، فاذا هي غير قادرة على الثبوت أمام آخر عاصفة هبت من عواصف الازمة المالية

اذا صح ان يقال « ان التاريخ يعيد نفسه » فليس من بلادٍ تنطبق عليها هذه الحقيقة المبنية على الاستقراء اكثر من القطر المصري . فانك اذا تصفحت تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة والبطالسة حتى يومنا هذا ، تكاد تجده إعادة دائمة ومراجعة مستمرة

الاسماء تتغير ، والاشخاص تتبدل ، لكنهم دائماً يمثلون الحوادث نفسها ، فيلعب كل منهم دوراً واحداً في مظهر واحد . هناك بعض

تفاصيل خارجية وأحوال عرضية تختلف ، لكن الجوهر واحد يكاد لا يمسه تغيير ولا يطرأ عليهِ تبديل

ترى مصر تارة خصبة غنية ، وطوراً قاحطة فقيرة . تجدها آناً اهراء العالم يقصدها الاجنبي من كل صوب وحدب . وتلفيها آونة خالية خاوية تضيق بمن أظلته سماؤها ورواه ماؤها . فهي كالماء القراح يتلوّن بلون الوعاء الذي يكون فيه ، ان صافياً فصافٍ ، وان كدراً فكدر . وهو على تينك الحالتين هو ، لم يفقد شيئاً من عذوبته ولذته ونفعه ، يروي من قصده ، ويبرد غليل من ورده . والسبب في تغير ظاهره انما هو راجع الى امور عرضية لا تؤثر في الجوهر

وهذه التقلبات الطارئة على مصر من رخاء وشدة ، وغنى واحتياج ، اكبر دليل وأصدق برهان على جودة هذه الربوع وكرمها ، اذا حسن تدبير شؤونها ، وصلحت ادارة احوالها

رقيت مصر في السنين الخالية الى اوج الغنى : اتسعت ثروتها كل اتساع ، وراجت اشغالها ايّ رواج ، حتى جارت في هذا الميدان اغنى بلاد الله قاطبة . وقد استمرت الحالة على هذا المنوال حتى ولدت المضاربات ذلك الاعصار الهائل الذي صير العمار دماراً ، والنضار رماداً

***

جاء في الفصل الحادي والاربعين من سفر التكوين : « قال فرعون ليوسف : رأيت كأني واقف على شاطىء نهر ، وكأن قد صعد منهُ سبع بقرات سمان الأبدان حسان الصوَر فارتعت في المرج . واذا سبع بقراتٍ

أُخر قد صعدنَ وراءَها عجافاً قباحَ الهيئات جداً دقاق الأبدان لم أرَ مثلها في أرض مصر في القبح . فأكلت البقراتُ العجافُ القباحُ السبعَ البقراتِ الأول السمان .. ثم رأيت في حلمي كأن سبع سنابل قد نبتت في ساقٍ واحدة ممتلئة حساناً ، وكأن سبع سنابل جافة دقاقاً قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها فابتلعت السنابلُ الدقاق السنابلَ الحسان. فقال يوسف لفرعون : إن الله مكاشفٌ فرعون بما هو صانعه . سيأتيكم سبع سنين فيها شبعٌ عظيم في جميع ارض مصر، ويأتيكم بعدها سبع سني جوع فيُنسى جميع الشبع الذي كان في أرض مصر ويُتلف الجوع الأرض ، ولا يتبين أثر ذلك الشبع في الأرض من قِبل الجوع الآتي عقبه لانهُ شديد جداً . . . فليجمع كل طعام سني الخير الآتيـة وليخزنْ بُرَّها تحت يد فرعون طعاماً ، فيكون الطعام ذخيرة لسبع سني الجوع فلا ينقرض أهل الأرض بالمجاعة . . . »

ألا يخيل الى القارىء عند تلاوة هذه الصفحة من تاريخ مصر القديم انه يطالع تاريخها في هذه المدة . رأت مصر سني الشبع العظيم في جميع أرضها ، ثم زحفت عليها سنو الجوع فأنستها رخاءها وغناها . قام من أنذرها بمجيء العسر بعد اليسر ، وإدبار الأيام بعد الاقبال ، لكن صوت المرشد لم يقع في آذان مصغية ، بل كان بعض القوم من اكبر العاملين على جر سني الجوع ، بل هم الذين غلّوا البقرات الحسان وكبلوها ووضعوها بين فكي البقرات القباح لتفتك بها . هم جعلوا مخدّراً قوياً في الكأس التي رشفتها البلاد فزادوا في سكرتها، ولما أفاقت من سباتها العميق كانت

يقظتها هائلة مروّعة . وكان هذا البعض أول من ذهب ضحية هذا الحلم فعسى ان تكون هذه آخر صاعقة تنقض على البلاد فيعقبها شروق الشمس. وتعود مصر الى الرخاء والصفاء

محادثة شبح [1]

عن اصل الحروف الهجائية

كنت اكتب منذ زمان طويل في سكون الليل وكان المنور (غطاء القنديل) يرسل على المنضدة ضوء القنديل ويبقي الظلام منتشراً على الكتب الموضوعة على طبقات تعلو الواحدة منها الاخرى في جهات الغرفة الاربع . وكانت النار الموشكة أن تنطفئ تبدو خلال الرماد كأنها شذرات من الياقوت. وكان دخان التبغ المهيج يمتزج بهواء الغرفة ويزيده تكثفاً وامامي لفافة من التبغ في قدح على كومةٍ من الرماد يرتفع دخانها اللطيف الازرق ارتفاعاً عمودياً . وكان شكل الظلمة في تلك الغرفة سرياً لأن الجالس فيها يشعر شعوراً مبهماً بروح تلك الكتب الملقاة في موضعها وقد سكن قلمي بين انامِلي كأنَّ النعاس قد عبث باعطافه فجعلت اعمل الروية في امور قديمة العهد واذا بشخص غريب برز من دخان لفافتي كما يبرز من دخان العشب السحري . وكان شعره متجعداً ، وعيناه

(١) من وضع أناطول فرانس الكاتب الفرنساوي المشهور وتعريب الياس أفندي طنّوس الحويّك الكاتب المجيد

نجلاوين براقتين، وانفه اقنى، وشفتاه غليظيين، ولحيته سوداء متجعدة على الزي الأشوري، ولونهُ نحاسياً فاتحاً ، وقد طبعت على محياه علائم الدهاء والميل مع الهوى ميلاً عنيفاً ، ودلّ شكل جسمه الربعة القامــة ولباسه الفاخر على انهُ من اولئك الاسيويين الذين كان الاغريقيون يطلقون عليهم اسم بربر . وكان لابساً على رأسهِ قبعة زرقاء مصنوعة على شكل سمكة ترصعها النجوم ، ومرتدياً ثوباً ارجوانياً موشىً بصور الحيوانات وحاملاً باحدى يديهِ مجذافاً وبالاخرى ادراجاً . فلم اضطرب عند رؤيته لاعتقادي ان ظهور الاشباح العديدة في المكاتب أمرٌ طبيعي.. ألا تظهر اشباح الموتى في العلامات التي تحفظ ذكرها ؟ ودعوت الغريب الى القعود فنبذ دعوتي وقال :

ارجو منك أن تدعني وشأني ولا تعتبرني حاضراً في هذا المكان فلقد اتيتك لأنظر ما تكتبه على هذا الورق العاطل لأني أسرُّ بذلك . واعلم ان الافكار التي تعبّر عنها عليه لا تهمني البتة وانما يهمني جداً منظر الحروف التي ترقمها عليه فانا اعرفها وان يكن قد درج على استعمالها ثمانية وعشرون قرناً وطرأ عليها تغيرٌ ذو بال . وانا اعرف هذه الباء التي كانت في ايامي تدعى « بيت » ومعناها بيت او منزل وهذه اللام التي كنا نسميها « لامد » لمشابهة شكلها لشكل الحمة . وهذه الجيم مشتقة من الحرف الذي كان يقال له « جمل » في حروفنا الهجائية ومعناه عنق البعير . وهذه الالف مشتقة من الفنا وهي على شكل رأس الثور . واما الدال التي اشاهدها امامي فانها على مثال « دالث » المأخوذة عنها تمثل تماماً

شكل مدخلٍ مثلث الزوايا لخيمة مضروبة في رمال الصحراء ان انت لم تجعل محيط تلك العلامة الدالة على عيشة البدو القديمة مستديراً برسمك خطّاًمنحنياً . لقد غيرتم «الدالث» وسائر حروفي الهجائية ولكنني لا انحي عليكم باللائمة على ذلك لانكم لم تفعلوه الاّ حباً بالايجاز والاسراع لاعتباركم قيمة الوقت فليس الوقت سوى التبر والعاج وريش النعام . ان الحياة قصيرة ولذلك يقضى على المرء أن يزاول التجارة ويركب مركب الاسفار دون أن يضيع دقيقة واحدة ليتسنى له أن يصيب الثروة ويصل الى حد الشيخوخة وهو رائعٌ في بحبوحة الهناء ونائلٌ نصيبه من الاحترام

فقلت له : يا سيدي يبين لي عند رؤيتي اياك وسماعي كلامك انك من اولئك الفينيقيين القدماء

فاكتفى بان يجاوبني قائلاً : انا قدموس او شبح قدموس

فقلت له : بناءً عليه انك لست موجوداً وجوداً حقيقياً فانت اختلاقي ورمزي وأن تصديق كل ما قاله الاغريقيون عنك يعدُّ من رابع المستحيلات فهم يروون انك بطشت على عدوة ينبوع آريس بتنين كان يقذف النيران من شدقيه، وانك قلعت اسنان ذلك الوحش وغرستها في الارض فتحوّلت بشراً . ان هذه الرواية من باب الاساطير وانت يا سيدي شخص مختلق

من المحتمل أن اكون قد صرت كما تقول مع تعاقب الاجيال وان يكون اولئك الاولاد الكبار الذين تسميهم اغريقيين قد قرنوا بذكري روايات ملفقة . اني اظن ذلك الأمر ولكنني لا اكترث لهُ ولا اهتم بما

اعتقد بي الناس بعد موتي . فخاوفي وآمالي لم تكن لتمتدّ الى ما وراء هذه الحياة التي يتنعم بها الناس على الارض والتي افهمها الآن دون سواها ، ولا اسمّي حياةً الطواف كشبحٍ في غبار المكاتب ، والظهور بشكلٍ مبهم للمسيو ارنست رينان او للمسيو فيليب برجه لحالة الشبحية هذه تزيد كآبتي لأني قضيت في الدنيا حياةً سداها النشاط ولحمتها تميم الواجبات ولم اكن ألهو بغرس اسنان الافاعي في الحقول البيوسيانية اللهمّ ما لم تكن تلك الاسنان عبارة عن البغض والحسد اللذين غرسهما غناي وقوتي في نفس رعاة سيترون . وقد انفقت ايامي في الاسفار ومخرت في جميع اللجج وانتجعت جميع الامصار وانا راكب متن سفينتي السوداء الموضوع على جؤجوئها مسخٌ احمر هائل يحرس كنوزي ويرصد الكبيرات السبع المجوّلات في الفضاء بزورقهنّ اللامع ويهديني بتلك النجمة الثابتة التي كان الاغريقيون يسمونها الفينيقية اكراماً لي . وقد انطلقت للاتيان بالذهب من «الكلشيد» والفولاذ من «الشاليب» واللآلئ من «اوفير» والفضة من «طارطس» واخذت من «البيتيك» الحديد والرصاص وسلفور الزئبق والعسل والشمع والزفت واجتزت حدود الدنيا وتوغلت في غمام المحيط حتى انتهيت الى جزيرة البريطانيين القاتمة وعدت منها شيخاً بيّض الدهر لمتهُ ومعي مقادير وفيرة من القصدير الذي ابتاعه مني المضريون واليونانيون والايطاليون بمبالغ من النضار توازي زنته زنتها . وكان البحر المتوسط في ذلك الحين يعتبر بحيرة لي فشيدت على سواحله المهجورة مئات من المحلات التجارية . ولم تكن «طيبة» تلك المدينة المشهورة سوى

منيع أخزن فيه ما كان لديّ من الذهب وقد لقيت في بلاد اليونان قوماً متسكعين في دياجي الهمجية ، مسلحين بقرون الوعل والحجارة المحددة فاعطيتهم النحاس وكان انهم عرفوا بفضلي جميع الفنون

وكان يظهر في عينيه وفي كلامه قسوة جارحة فاجبته بكلام خالٍ من الحب :

انك كنت تاجراً موصوفاً بالنشاط والذكاء ولكنك لم تكن تحجم عن اتيان المنكر وكنت تتصرف عند سنوح الفرصة تصرف قرصان حقيقي . وحين كنت تنزل الى البر في ساحلٍ من سواحل اليونان او في جزيرةٍ من الجزائر كنت تعمد الى بسط ادوات الزينة والمنسوجات الثمينة على اليابسة ، وحين كانت فتيات تلك الانحاء يجذبنَ انجذاباً لا يقوينَ على دفعه ويأتينَ وحدهنّ بغير معرفة والديهنّ لرؤية تلك السلع كأن بحارتك يخطفون اولئك العذارى اللواتي كنّ على غير جدوى يطبّقنَ الفضاء باصوات الاستغاثة ويولونَ منتحبات ويلقونهنّ مكتوفات مذعورات في قعر سفائنك واكلين حراستهنّ الى ذلك المسخ الاحمر . ألم تسبِ أنت وذووك « إيو » الصبية ابنة ايناخوس الملك لتبيعوها في مصر ؟

— من المحتمل ان يكون هذا الامر قد جرى فان ايناخوس الملك هذا كان زعيم قبيلة صغيرة من البربر وكانت ابنته بيضاء البشرة ذات لطف ورواء ولا يخفى ان العلاقات بين القوم الهائمين على وجوههم في مجاهل الهمجية، والقوم المستنيرين بمشكاة التمدن هي عينها في كل زمان

— حسناً قلت ولكن الفينيقيين ذويك قد ارتكبوا في العالم سرقات لم يسمع بمثلها فانهم لم يحجموا عن سرقة الداميس ونهب المدافن المصرية ليزينوا جبانات « جبيل » بما يعثرون عليهِ فيها

— بعيشك يا سيدي قل لي أمثلك يعنف انساناً أكل الدهر عليه وشرب كان « صوفوكل » يسميه قدموس العتيق ؟ لقد نسيت اني اكبر منك بثمانية وعشرين قرناً قبل ان يمضي علينا اكثر من خمس دقائق ونحن نتحدث في غرفتك . فاعلم يا سيدي العزيز اني رجلٌ كنعانيٌّ عتيق فلا ينبغي لك أن تشدد عليَّ النكير من جراء بعض صناديق من الموميات وبعض فتيات همجيات مسبيات من مصر او من بلاد اليونان وقد كان الأشبه بك أن تعجب بقوة ذكائي ومحاسن صناعتي . لقد حدثتك عن سفائني واستطيع أن اريك قوافلي شاخصةً الى اليمن للإتيان بالبخور والمرّ والى حاران للمجيء بالحجارة الكريمة والبهارات والى الحبشة لجلب العاج والابنوس ، ولم تقف همتي عند هذا الحد من المتاجرة والمقايضة بل كنت صاحب معامل معروفاً بالحنكة في زمن كان في اثنائه العالم المحدق بي غارقاً في لجة الهمجية. وكنت بصفة كوني من علماء المعادن والصباغين والزجاجين والصاغة استعين بما أوتيتهُ من الدهاء على مزاولة فنون النار هذه الغريبة الى حدٍّ يجعل المرء يخالها سحرية . انظر الى الكؤوس التي نقشتها وتعجب مما للجوهري الكنعاني العتيق من الذوق السليم . ولم تكن خبرتي في المسائل الزراعية مما يستهان بهِ فاني صيرت تلك الارض الضيقة المحصورة بين لبنان والبحر جنة خضراء ولا تزال آثار الاحواض

التي بنيتها فيها قائمة حتى يومنا هذا . وقد قال احد علمائكم : « ان الكنعاني دون سواه يقدر أن يبني معاصر خالدة » اعرف قدموس العتيق حق المعرفة واعلم اني انتقلت بشعوب البحر المتوسط من العصر الحجري الى العصر النحاسي وقد علّمت الاغريقيين مبادئ جميع الفنون واعطيتهم بدلاً من الحنطة والخمرة وجلود الحيوانات التي جاؤوني بها كؤساً يتعانق عليها الحمام ودمى من الخزف ومنذ ذلك الحين نشطوا الى نسخها وترتيبها على ذوقهم . وفي آخر الأمر اعطيتهم حروفاً هجائية لم يقدروا بدونها أن يحددوا ويحصروا افكارهم التي تخلب لبك . هذا ما فعله قدموس العتيق وهو لم يفعله حباً بالجنس البشري او رغبة في مجدٍ زائل بل حباً بالكسب والاستفادة الحقيقية الممكن لمسها باليد . وقد فعله املاً بحشد الثروة وطمعاً بشرب الخمر في شيخوخته في كؤوس من الذهب على مائدة من الفضة بين غانيات بيض الوجوه يرقصنَ رقصاً يثير الشهوات من مرابضها ويعزفنَ على القيثارة عزفاً يرنح المعاطف لأن قدموس العتيق لا يؤمن بالصلاح ولا بالفضيلة وهو يدري ان البشر اشرار وان الآلهة وهم أقوى من البشر شرٌ منهم . وهو يخافهم ويبذل المجهود لتسكين غضبهم بالقرابين الدموية ولا يحبهم ابداً لأن الأنانية متسلطة عليه كل التسلط . وهاءنذا اصف لك ذاتي على ما انا عليه في واقع الحال واعتقد اني لو لم اجرِ وراء ملاذ الحواس القوية ما كنت قد سعيت لجمع المال واخترعت الفنون التي لا تزالون تتنعمون بها في هذا العصر . وحيث لم يكن لك يا سيدي العزيز عقلٌ كافٍ تستطيع بهِ أن تصير تاجراً وحيث

انك قد اخترت مزاولة الكتابة سالكاً فيها مسلك الاغريقيين وجب عليك أن تحترمني احترامك للآلهة لأن لي الفضل عليك بالحروف الهجائية التي تستعين بها على الكتابة، فانا مخترعها ولا يخفى عليك اني لم ابتدعها الاَّ لترويج تجارتي دون أن يبدر الى وهمي ما سيكون لتلك الحروف من الشأن في العالم الادبي . وكان يعوزني لوضع تلك العلامات اسلوب بسيط وقريب المتناول وودت من صميم الفؤاد لو كنت استطيع اقتباسه من جيراني الذين تعودت ان آخذ عنهم كل ما لا أعني لأن مسألة الاصول لم تكن عندي أمراً يعتدُّ به . فان لغتي هي لغة الساميين ونحتي تارة بابليٌّ وتارة مصريٌّ ولو كان ثمت خطٌّ جميل لكنت اكتفيت مؤونة الاختراع في هذا الموضوع ولكن لم يكن يسدُّ مسدَّ حاجاتي الخط الهيروغليفي المستعمل عند الشعوب التي تسمونها الآن حطية ولا تعرفونها ولا الخط المقدس عند المصريين فان ذينك الخطين كانا على جانب عظيم من التعقيد وكانت كتابتهما بطيئة جدًّا وهما من الخطوط التي يُفضل نقشها على جدران الهياكل والرموس على رقمها على ادراج التاجر . فالخط المصري وان يكن مختصراً ومنحنياً قد بقي له من مثاله الاصلي شيءٌ من الثقل والارتباك والتردد لان الاسلوب بجملته كان فاسداً . وبقيت الهيروغليفية المختزلة هيروغليفية اي مبهمة ابهاماً هائلاً . وأنت تدري كيف كان المصريون يخلطون في الهيروغليفية المطولة والهيروغليفية المختصرة وبين العلامات المعبرة عن الافكار والعلامات المعبرة عن الاصوات. وأنا بفضل دهائي اخترت اثنتين وعشرين علامة من تلك العلامات

الكثيرة العدد وصنعت منها حروفي الهجائيـة الاثنين والعشرين وهي حروف اي علامات يقابل كل منها صوتاً مفرداً وتنشأ عن مجموعها الداني المنال واسطة لرسم جميع الاصوات رسماً مدققاً . ألم يكن عملي هذا معدوداً من باب البراعة والتفنن ؟

— أجل ان عملك كان ولا مراء معدوداً من باب البراعة والتفنن اكثر مما تتوهمه فيُقضى علينا والحالة هذه ان نقدم لك هدية كبيرة القيمة لأنه بغير الحروف الهجائية لا يوجد علامات مضبوطة تعبّر عن الكلام ولا انشاء ولا تعبير عن أفكار دقيقة ولا تجريد ولا فلسفة سامية المعاني . فالتصوّر بانّ «باسكال» كتب سفره المعنون باسم (بروفنسيال) بحروف مسمارية لا يقلُّ استهجاناً عن التصور بان تمثال «زوس الاولمبي» نحتته فقمة . فالحروف الهجائية الفينيقية التي اخترعت لاجل مسك الدفاتر في التجارة اصبحت في المعمورة كلها اداةً للفكر تامةً لا يستغنى عنها وان تاريخ ما طرأ عليها من التغيير مرتبطٌ ارتباطاً متيناً بتاريخ العقل البشري وتقدمه وان اختراعك وان لم يكن كاملاً يعتبر آيةً في الجمال وعظيم القيمة فانت لم تخطر على بالك الحروف الصوتيـة التي اخترعها الاغريقيون البارعون المتفننون الذين قسم لهم في هـذا العالم ان يبلغوا بكل شيء الى درجة الكمال

— اني اقتبست عادة سيئة وهي ان اخلط الحروف الصوتية بالحروف الساكنة . ألم تلاحظ هذا المساء ان قدموس العتيق يتكلم قليلاً من حلقه ؟

— اني اصفح له عن هذا الأمر واغضي الطرف ايضاً عن سبيهِ « إيو »

العذراء لأن ايناخوس والدها كان زعيماً للبربر حاملاً صولجاناً من قرن الوعل نحتتهُ مديةٌ من الصوان واتغافل عن تعليمهِ البيوسيانيين المساكين الفضلاء الرقص الخلاعي الذي كانت الباكانات يزاولنهُ واتجاوز عن كل هفوة ارتكبها لأنه جاد على اليونان والعالم طرًّا بأثمن تعويذة أعني بها الحروف الهجائية الفينيقية الاثنين والعشرين وقد اشتقت من هذه الحروف الاثنين والعشرين جميع الحروف الهجائية في الدنيا . ولا يجري في وهم الناس فكرٌ على سطح البسيطة الاَّ وتحدده وتحفظه. فمن حروفك الهجائية يا قدموس الفاضل انبثق الخطان الاغريقي والايطالي اللذان خرجت منهما جميع الخطوط الاوروباوية . ومن حروفك الهجائية ايضاً نشأت جميع الخطوط السامية من الارمنية والعبرانية الى السريانية والعربيـة وان الحروف الهجائيـة الفينيقية نفسها امٌّ للحروف الحِميَرِية والحبشية وسائر الحروف الهجائيـة في اسيا الوسطى كالزند والبهلوي والحروف الهجائية الهندية المشتقة منها اللغة الدفاناغارية وجميع الحروف الهجائية في اسيا الجنوبية. فسقياً له من غنىً طائل ورعياً له من نجاح عام فلا يوجد الآن في جميع اصقاع المعمورة خطٌّ واحد غير مشتق من الخط القدموسي . وكل من يكتب كلمةً واحدة في هذه الدنيا يعترف بفضل التجار الكنعانيين الأقدمين . وهذا الفكر يجعلني اسدي لك اوفر الشكر والاحترام يا حضرة السيد قدموس ولا ادري كيف اقدّر هذه النعمة حق قدرها بقضائك ساعة من هذا الليل في غرفتي يا بعل قدموس يا مخترع الحروف الهجائية

— يا سيدي العزيز اعتدل في اظهار حماستك واعلم اني مبتهج كل الابتهاج باختراعي هذا الطفيف . فليس في زيارتي لك ما يجعلك تفتخر متباهياً لأني صرت أتبرم تبرماً يحبب اليّ الموت منذ الحين الذي أصبحت فيه شبحاً وهمياً ولم أعد أبيع قصديراً ولا تبراً ولا عاجاً واضطررت على هذه الارض التي يطأ فيها المسيو ستانلي عن بعد مواطئ قدميّ الى التحدث من حين الى آخر مع بعض العلماء او الفضوليين الذين يهمهم أمري . والآن يخيل اليّ اني سامع صياح الديك فاودّعك وانصح لك بان تسعى لحشد الثروة لأن الخير الوحيد في هذا العالم ملاكه الغنى والقوة

قال هذا الكلام وتوارى عن نظري وكانت ناري قد خمدت وبدأت أشعر ببرودة الليل وصداع أليم　　الياس الحويّك

شيء عن الفن

لقد عرف الانسان الفنون قبل ان عرف العلوم ، لأن مخيّلته اشتغلت قبل تنبّه افكاره. المخيلة ضيف تائه على الارض وهي اقوى القوى الادبية . حركتها لا تبطل ابداً في الحياة ، بل هي كالقلب تشتغل دائماً وعملها مستمر متواصل في النوم وفي اليقظة . فيها تحفظ تذكارات الماضي وآثار ما تنقله اليها الحواس من مناظر واصوات وانغام وروائح وتأثيرات ، ومن مزيج هذه التذكارات والآثار تتكوّن اصول الفنون، فيأتي التصوّر والابتكار عاملاً في توسيعها ، وزيادة فروعها واتقان كمالاتها

اذا انت عدت بافكارك الى تاريخ الأعصر الغابرة تجد للفن المكان الاول في عظمتها ، ولا ترى للعلوم الاّ زاويةً حقيرة في اسفار المنشئين وتواريخ المفكرين . اما الكليات الغربية التي تأسست في القرن الحادي عشر فلم تكن تشغل الطلاّب الاّ بالشعر القديم والاحاديث الحربية وتواريخ الآداب المختصة باشهر شعوب العالم . فقد كان التلاميذ يدرسون اللغات اللاتينية ، واليونانية ، والعبرانية ، وربما العربية والآشورية ايضاً ، او غيرها من لغات الشرق القديم ، بدلاً من الطبيعيات والكيميا والهندسة . ولم يدرسوا من تآليف الأقدمين الاّ اشعارهم وتواريخهم وفلسفتهم ، ضاربين صفحاً عما كتبه بعضهم في الرياضيات

على ان العلوم اخذت في الانتشار رويداً رويداً منذ القرن الخامس عشر . فتعددت الاكتشافات ، وزادت الارباح ، وتكاثرت المداخيل الآلية فانصرف الفكر البشري الى العلم التجاري ، وامسى الفن شهيداً تقام له هياكل العبادة في ارواح الأفراد المفكرين من البشر . فالقرن العشرون الذي ندعوه عصر المدنيـة والنور ليس الاّ عصراً ميكانيكياً تجارياً !..

قال رُسكن الناقد الفني الكبير: « كل شعب يرتقي عنده الفن الى ما يقارب درجة الكمال تسقط مملكته وتتلاشى عظمته . »

لست ادري اذا رأيتَ في حياتك صورة رُسكن ، ايها القارئ اللبيب . اما انا فقد رأيتها ! وكثيراً ما انظر اليها فاحاول نتف شعر لحيته عند ما اذكر جملته هذه

اني اجهل ايَّ عاطفة دفعته الى كتابة هـذه الخاطرة القاسية ، ولست ادري كيف يفسرها لو كان حياً . ترى كيف يمكننا ان نقدر قدر المصريين لو لم تكن لدينا بقايا هيا كلهم وتماثيلهم ونقوشهم ، ونبوغ اليونان ان لم يكن بآدابهم وفنونهم ، وعظمة الرومان ان لم يكن بفلسفتهم وشعرهم ؟ ؟

واذا قابلت الشعوب الآتية بين هـذه البدائع الفنية القديمة وبين آثار اجيالنا الحاضرة ، كبرج ايفل مثلاً . . . ألا تظن انهم سيحكمون باننا ، نحن ابناء الحاضر ، سليلة ابن نوح الملعون من ابيه خلقنا كي نكون عبيد ابناء عمينا المباركين ، ابناء القرون المنصرمة ؟ . .

يقول پول بورجه احد اعضاء الاكاديميا الفرنساوية « اثنان يفهمان الجمال الفنيّ : العالِم الراقي والفلاّح الساذج . وبين هاتين الطبقتين ، طبقة البشر العادية وهي كثيرة العدد ، ضيقة الفكر ، قاصرة المدارك ، باردة الروح » . ثم يأتي رُسكن ذو اللحية المنتفة قائلاً : « ان الفضيلتين اللازمتين لمحب الفن هما الحنان والصدق » . وكلاهما محق ، بل ان كلام الواحد منهما يفسر فكر الآخر .

يعني رسكن ان كل مصوّر ، او شاعر ، او موسيقي ، او نقاش يجب أن يكون سريع التأثر ، رقيق العواطف ، دقيق الملاحظة ، صادق القلب أهلاً لأن يكون ترجمان الروح ، وناقل بدائع الاحلام من عالم الاوهام الى عالم الوجود والافادة . وهو يشترط في الشاعر والمصوّر الحنان قبل الصدق لأن الحنان عاطفة طبيعية ثمينة ، واما الصدق فهو

عادة جميلة يكتسبها الانسان بالتربية الحسنة، والدرس، ومعاشرة الصالحين، ومناجاة الطبيعة . فلا تجد هاتين الفضيلتين بقوتهما العظيمة الاّ في فؤاد العالِم المفكّر وفي فؤاد الفلاح الساذج ، والاثنان اخوان !

أجل ! لقد احتضنت روح الانسان الفنون الجميلة منذ فجر المدنية ، لكن ذلك الارتعاش الطاهر لم يعد مالكاً على قلوبنا . لقد تلاشت افكار آبائنا العظيمة وتحولت قوتهم في الابناء الى اقتدار على اختراع الآلات المتنوعة ، والجهازات الغريبة . وفي هذه وفي تلك من الاختلال بقدر ما في أجسام البشر من الاختلاط والتناقض . واما الغرض من كل هذه الاختراعات المذهلة فهو ينقسم الى قسمين : الاول خدمة احتياجات الانسان الجسدية ، والثاني ، قتله بسرعة وسهولة . . . !

ولكن العلوم الراقية المجردة عن اطماع التجارة والارباح ، كالتي انعكف على اتقانها غليلوس ونيوتن وبسكال فنحن نضعها في صف المعارف الثانوية . . . لأن حب المضاربة والمكسب يصرعنا كما تصرعنا بهرجة الاكتشاف والاختراع

ألا تظن ان ذلك المفكر العظيم نيوتن الذي استنتج من كيفية سقوط التفاحة قاعدة الناموس الابدي الذي يدير حركة العوالم الهائلة — ألا تظنه ناشئاً من نبت أفضل وأجمل من نبت تكوّن فيهِ فكر مخترعي الاجراس الكهربائية ، والعجلات والفونوغرافات ؟ ألا تظن ان هذه الاختراعات الدقيقة ، الجميلة في ذاتها ، تبرهن على دناءة الفكر العصري ، وسقوط النفس البشرية من اوج الجمال الى هوة التجارة ، حيث تتطلب

معاملة الاسواق غشاً وخداعاً وسرقة وخبثاً وكذباً ؟ . .

لست أدري أمخطئة أنا ام محقة ؟ لكن هـذه الاكتشافات التي تهم الجمهور معرفتها ، لا أظنها تؤثر في ارواح الافراد كما تعمل فيها صوَر الفكر القديم وظواهره الفنيـة . ان هؤلاء الافراد يؤثرون على بلادة الترفه المكانيكي شرف العمل الروحي . فهم يظلون مدى حياتهم عبيداً لأحلام الجمال اللطيفة ، وذوي الامزجة السريعة التأثر حيث تختلط الحدة بالدعة ، والضحك بالغضب ، والسكوت بالسرور ، والتأملات بالخيالات الجميلة

مي

في جنائن الغرب

﴿ حلاَّبة جميلة ﴾

هي فتاة الريف البعيدة عن عالم الجمال الاصطناعي ، نظرة من عينيها البراقتين تغيّر وجه الناظر اليها ، هي تعرف ان نظرة الجميل خطيب صامت ينطق بمدح الفضيلة الا انها لا تبالي به ، فضائلها تؤثر السكينة على الضوضاء ، كأنها تجهل ما هي عليهِ من الجمال ، وما أودع فيها الرحمن من كمال

بطانة ثوبها — اي جسمها — أجمل كثيراً من ظاهرها . لأنها وانِ كانت لا تلبس البز والارجوان فهي مزدانة بالطهر والعفـاف — انعم به من حلّة جميلة حاكتها يد الصانع العظيم لا يد الانسان اللئيم

هي لا تفسد جمالها ولا تبلي ثوب صحتها بالنوم الكثير . لأنها تلقنت عن امها الطبيعة ان عدم الاعتدال في النوم هو صدأ النفس ، والنفس اذا علق بها الصدأ أفناها كما يفني الحديد . فلذا هي تبكر في الصباح بكور الطائر ولا تأوى الى سريرها الا اذا حان وقت النوم

اللبن الذي تحلبه بخفة ورشاقة يزداد بياضاً ليضاهي ثوب عفافها ، ويزداد نقاوة ليضارع نقاوة قلبها مقرّ الاخلاص ومسكن الحب وقدس اقداس الجمال

سنابل الحنطة الذهبية تخرّ ساجدة وتقبل قدميها عند ما تقطفها كأنها تسلم نفسها طوعاً واختياراً لليد التي قلعتها من تربة الارض التي كانت تغذيها . انفاسها مسك وما ادراك ما المسك

نضبت يداها من ماء الشباب لكثرة العمل المطلوب منها ولكن قلبها قد اذابته نيران الشفقة على الانسانية المتخبطة في حمأة البؤس ، وتقرّحت اجفانها من كثرة بكائها على الموت الأدبي المتسلط على بني الانسان الذين أفسدت عواطفهم المطامع الكاذبة والشهوات الشريرة

قلب فتاة الريف كالزهرة النقية التي فتحت اكمامها وسقط ندى الربيع على اوراقها ، فراحت تميل مع النسيم . تزاول اعمالها بهمة دونها الهمم ، ومع ذلك تراها آمنة مطمئنة ، كأنّ الطهارة والاخلاص والحب ثلاثة اقانيم جُمّعت في واحد . قلبها أنقى من الثلج في بياضه ويسمو الى المجد عن السفاسف . وهنا مصدر تأثيرها . . . نظرة منها كافية لتذيب افئدة الاسود الضارية وتسكّن الوحوش الكاسرة حين غضبها وتوقف

الاجرام السماوية في حركتها ودورانها

ومتى أقدم الشتاء بلياليه الطويلة وبرده القارس جلست تدير دولاب غزلها ونطق لسانها بكل لحنٍ شجي يزيل عن النفس الحزينة ما ترزح تحته من شقاء وبؤس

كل ما تمتدُّ اليه يدها من العمل تعمله وهي قريرة العين ، مسرورة الخاطر .هي لا تعمل الاَّ خيراً لأنها جبلت على حب عمل الخير والمعروف . وهي تعرف ان العمل الشريف هو المهذّب الحقيقي لبني الانسان ، وان الكسل يتلف الانسان نفساً وجسداً فتعلم يقيناً ان تسعة اعشار رذائل العالم ومصائبه ناجمة عن كل عمل يأتيه الانسان ويتأفف منه الشرف

في آخر السنة تفيض يداها بما ملكت من كدها واجتهادها على المحتاجين . وفي ملابسها لا تختار الاَّ ثياب الحشمة والادب

اذا اعتراها داء كان طبيبها هواء حديقتها البليل ودواءها من جنيّ النحلة الحكيمة

هي لا تخشى نازلة تداهمها اذا خرجت دون رفيق لأنها لا تقصد اذية أحد بل تريد ان تردّ الشر خيراً الصاع صاعين . والحق هي ليست منفردة انما تصحبها حاشية كبيرة من ترانيم مطربة وأناشيد منعشة

هذه هي حياتها . ولا امنية لها الا ان تموت في زمن الربيع فتوضع الازهار والرياحين فوق نعشها

(عن السر توماس اوفربري) بياوى غالى — الخرطوم

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة السادسة

من الاميرة اميليا غوستاف الى الامير هنري اولدنزال

(كان الامير رودلف غوستاف ملك احدى المقاطعات الالمانية قد تزوج فى اثناء احدى سياحاته بفرنسا فتاة فرنسوية وضيعة الاصل وكتم زواجه عن الناس ثم هجر زوجته وعاد الى المانيا . وبعد زمن بلغه ان امرأته قد رزقت منه ابنة هى طريدة شريدة فى أزقة باريس . فعاد الى فرنسا وأخذ يبحث عنها الى ان وجدها بعد عناء كبير ورجع بها الى المانيا. وكان كل من يراها يقف حائراً مبهوتاً لجمالها الساحر فلم يمرّ على قدومها بضعة أيام حتى كان جمالها الرائع حديث القوم وموضوع تغزل الشعراء . ولم تكن محاسن آدابها تقل عن محاسن جمالها فقد كانت على جانب عظيم من الشمم وعزة النفس . واتفق انها رأت ابن عمها البرنس هنرى اولدنزال فاحبته وأحبها حباً مبرحاً . ولكن تاريخها الماضى كان فى نظرها لطخة سوداء فلم تشأ ان تصمَ بها حياة ابن عمها . ففضلت الترهب حباً به . وهكذا فعلت على رغم الحاح أهلها وجميع أهل البلاط . وماتت فى دير جيرولستين شبعانة من متاعب الحياة وآلام التذكارات . وقد كتبت الرسالة الآتية الى حبيبها عند أوائل دخولها الى ذلك الدير)

ايها الحبيب

أمامي رسالتك الاخيرة ، كلما قرأتها شعرت بشوق اليك وحنين الى مخاطبتك . اراك رازحاً تحت ثقل من اليأس فيزيد بي حزني واتمنى لو اننا لم يرَ بعضنا بعضاً قط ، اذ لولا الحب ما كنتَ حزيناً منكسر القلب .

ولو لم تعرفني ما شُغلتَ بي عن العالم أجمع . فان كان ذنبي اليك انني اذكيت في قلبك جذوة الحب فاني مستعدة أن اطفئ تلك الجذوة وأكفّر عن ذلك الذنب بأن اضع حدّاً لنبضات قلبي المثقل باعباء الهموم والاّ فلماذا انت حزين يا هنري ؟ ولماذا يجعلك حبي شقياً عوضاً عن ان يمتعك بالسعادة والحبور ؟ هل يسوءك انني دخلت الدير وانت تعلم لاجل من دخلتهُ ؟ أليس ذلك أسطع برهان على انحبي لك صحيح ثابت ليس له بداءة ولا نهاية ؟ فان كنت تحبني كما أحبك فلا تكتب اليّ بلهجة اليائس ، بل كن فرحاً مسروراً لانني أحب ان اراك كذلك ايها الحبيب وينقبض صدري كلما تمثلتك حزيناً مثقلاً بالهموم

دخلت الدير يا هنري لانني اجد فيهِ راحةً وسلاماً واستطيع ان اخلو بنفسي فاناجيك ولو عن بعد ، واضيف الى عهودي السابقة عهداً جديداً لا تفصم عراه حتى تنطوي صفحة الخلود . فاذا لم يُقدَّر لي أن أراك في هذه الحياة ، فان موعدنا الضفة الأخرى من نهر الأبدية ، حيث نحلّق كلانا في ذلك الفضاء الرحيب متنقلين بين الكواكب ، كما تتنقل الفراشة بين الحقول

لماذا تلومني على دخولي الدير يا هنري ؟ أليس الدير اول محطة على الطريق الى السماء حيث نجتمع كلانا بعد أن نخلع هذا الثوب الهيولي ؟ فلماذا يسوءك هذا الأمر وانت عالم بما ينطوي عليه من راحة وعزاء ؟

هي ايام تنقضي يا هنري. فإما أن يشفيك الزمان من غرام الشباب، او ان يزيدنا الفراق ثباتاً في الحب. وسواء قدّر لنا اللقاء في هذه الحياة ،

او لم يقدّر ، فانني مقيمة على عهودي لك لا اميل عنك قيد شعرة ولا انساك طرفة عين

... إكفني عذاب الذاكرة يا هنري . ان السرور الذي تجده في تذكرك ايامنا السالفة ينقلب عندي الى آلام مبرّحة ، فاخلو بنفسي وعيناي مغرورقتان بالدموع اذ تمثل لي ايامنا السعيدة ونحن لاهيان عن كل شيء ما سوى الحب

سقياً لمواقف العهد القديم ! ليتني استطيع أن انساها ، لأنني كلما تذكرتها تقوم في نفسي ثورة عواطف تضيع بين الشجن والسرور . فلقد كانت تلك الايام اشبه بحلم هنيء أعقبته يقظة محزنة . لذلك أُحاول أن اتناساها فلا استطيع ، لأن رسمك لا يبرح من فكري وصوتك الرخيم يرنُّ دائماً في اذنيَّ . حقاً انني مدينة لك باياي السعيدة يا هنري . ولو كنت الآن واقفاً امامي ، لألقيتُ بنفسي بين ذراعيك واسمعتك خفوق هذا الفؤاد الذي تنطق كل نبضةٍ من نبضاته بما يكنه لك من الحب الخالد

ربما تحزنك رسالتي هـذه يا هنري . ولكن فؤادي مفعم بهموم تضيع معها الابتسامة التي كنت تعهـدها في شفتيَّ . كيفما التفتُّ أرى مظاهر الطبيعة تذكرني بك ، لأن حبي لك يمثلك حاضراً في كل مكان وزمان . وهذا دليل آخر على أن حبنا الطاهر يزيد كلما طال بنا الفراق ، ولا تؤثر فيهِ الايام . ولقـد كنت أستكثر على البشر روميو وجوليت ، وأتصور حبهما من أساطير الاولين الى ان أحببتك ، فعلمت ان في العالم

روميو آخر وجولييت أخرى ، وان الحب قد يبلغ من النفس الى درجة يحملها على ارتكاب كل جريمة ، وجرائم المحبين حسنات عند الملائكة !

ان الراهبات هنا يسمينني الزنبقة ، لأن كل فتاة تعطى عند دخولها هذا الدير اسماً جديداً للدلالة على انقطاعها عن العالم وابتدائها بحياة جديدة . فهل يعجبك اسمي الجديد يا هنري ؟ وهل أنت واثق انه سواء تغير اسمي ، او بقي كما هو ، فان حبي لك ثابت لا يتغير

في هذا الدير « زنابق » كثيرة مثلي داميات القلوب . لعلهنّ يجدنَ في الانقطاع عن العالم بلسماً يشفي جروحهنّ التي لا تقبل الاندمال. اما أنا فلم أجد بعد هذا البلسم . والصلاة الوحيدة التي اركع كل يوم لارفعها الى الله هي ان تعيش سعيداً في هذه الحياة

لو خيِّرتُ ان أجلس على العرش طول العمر او اكون زوجتك يوماً واحداً ثم أموت لنبذت العرش ولم أحفل بهِ ، لان سعادة يوم واحد معك أفضل عندي من أبهة الملك . ولو كان في كرهك اياي سعادة لك لكنت أنا ايضاً أتمتع بذلك الكره لان سروري لا يتم الا بسرورك ايها الحبيب

الى الملتقى يا هنري . بودي لو ينفسح لي ان اطيل حديثي معك ولكن . . .

اميليا

(بقلم سليم عبد الاحد)

الشعر [1]

(٢)

﴿ الوجه اللفظي والوجه المعنوي ﴾

ان حقيقة الشعر لا تتوقف على الوجه اللفظي الذي مراده الوزن . فان للوجه المعنوي فعلاً كبيراً في ماهية الشعر لا بل هو الروح ، وقد قال ارسطو وهو اول مَن كتب في فلسفة الشعر : ان حقيقة الاشياء هي التي تميز القول الشعري عن ماهية غيره وتجعل الشاعر شاعراً وليس هيئة الشعر

وانت اذا قرأت تلياك او تصفحت الشهداء (Les Martyrs) يخيَّل اليك تارة انك تسرح في رياض زاهية زاهرة ، وتمرح في مروج باهية باهرة ، وطوراً تنظر قصوراً شاهقة ، وتشعر كأنك على ظهر سفنٍ تنساب بك في الدأماء،واحياناً تحلق فوق ذيل الهواء، وتشاهد السحب الزهراء مبعثرةً في بساط الزرقاء ، وغير ذلك بحيث تثور في باطنك لواعج الاشجان في مآزق الكروب وامام اوصاف الحزن . او تجيش بك

(١) رأينا في مقالنا السابق ان الاقاويل الشعرية هي الوزن فاللحن فالاقاويل المخيلة اي غير الموزونة . ويلاحظ ان هذه الثلاثة لا تجتمع بحكم الضرورة في أشعار العرب التي ركناها الوزن والمحاكاة المخيلة . (راجع تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الشعر لابن رشد) ثم قلنا ان اللحن داخل تحت حكم الوزن وهو غير ذلك في أشعار العرب

بواعث الاعجاب والاستحسان تجاه مناظر الكون ، بيد انك في كل ذلك تكون منيطاً طرفك بصفحات الكتاب

وكأني بك تقول واذا كان ذلك كذلك فما بقي وراء الشعور وماذا يفيد اذن الوجه المعنوي في الشعر ؟ قلت ان ارباب هذه الصناعة أجمعوا على ان هذه المحاكاة المخيلة لا تعدّ شعراً باي وجه من الوجوه وليس في هذا القول اثنان . فللقريض في الاقاويل الشعرية مزية كبرى . فهو أحق بان تفرغ فيه المعاني الشعرية السامية والعواطف الرقيقة . واذا تتبعت ذلك استقراءً تدركه من تلقاء نفسك ، فانك اذا اطلقت للقلم العنان في مجال وصف ، وارسلت فيه الكلام ارسالاً يأتي عليك وقت تتقد فيه العواطف اتقاداً وتمتلئ النفس حماساً ، وتشعر بضيق نطاق العبارة المرسلة فتهجم عفواً على العبارة المتوازنة المسجّعة وهي ضرب من الشعر

ثم ان القريض من شأنه أن يحرّك اوتار النفس ويبث فيها ثورةً وانفعالاً بمعنى انه يولّد فيها العواطف وينمي فيها روح الجمام والنشاط ويرغّبها ويطربها ولقد صدق مَن قال : ان الشعر أشبه بزمام مجمّل يمتلك من النفس ويديرها كيفما شاء

ومما لا ريب فيه ان للقريض نصيباً وافراً في اللذة التي تخالج افئدتنا والسهولة التي تخدّر اعصابنا عند تلاوة الشعر او سماعه . فلولاه لتعذّر على أيٍّ كان أن يأتي على آخر قصيدة مؤلفة من مئة او من مئتي بيت فاكثر نظراً لذبول زهرة العواطف واخماد انفعالات النفس الحماسية التي يستحيل أن تظلّ مضطرمة . كذلك ان المعاني اذا طالت متتابعة لا بدّ

أن تهي وتخللها ركاكة ولكن القريض يوجد اللذة مستمرة رغماً عن طول القصيدة وما ينتج من الملل والسأم

غير ذلك فالقريض كسمير للشاعر او هو كعروس الشعر . يرزقه الهاماً ويفتح عليه مغلق الكلام ويفجّر له عيون المعاني . ولقد يقرّ بذلك كل من اعتاد ركوب بحر الشعر . وعلى ما يحكى ان المتنبي كان دأبه اذا عمد الى الصناعة أن يتغنى ويصنع ، حتى اذا ما توقف رجع الى الانشاد من اول القصيدة الى حيثما توقف ، وبذلك يأتي عليها بكرةً . وعلى هذا المذهب حذاق الشعراء لما فيه من قرب المدرك

هذا هو فعل الوزن في الأقاويل الشعرية

ثم ان هناك فرقاً آخر يبعد القولين — الشعر والنثر — بعد الخافقين . فان للشعر خواصاً وأساليب انفرد بها ولا تصلح ان تكون لغيره ، وهي كثيرة يضيق نطاق هذه العجالة عن حصرها

فمن ذلك ان الشاعر كثيراً ما يكتفي بالحذف والزيادة ويشير الى معان بطريق التلميح والايجاز

يذكّرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمسِ

فهاتان الصورتان — طلوع الشمس وغروبها — تؤديان حسناً المعنى الذي أشارت اليهِ الخنساء . فطلوع الشمس كناية عن جمال أخيها ويحتمل ان الغروب يذكرها انزواءه . وقيل ان المشهد الاول كناية عن الغارة والغروب عن الضيفان

وهذا ومثاله يدخل في صناعة الشعر . ثم ان الشاعر يكثر من تقديم

القيود على المقيدات والصفات على الموصوفات واعادة الضمير الى ما يريد تجاهله او التعريض به . ويسهل على الشاعر ايضاً ان يفصم عرى الروابط اللغوية والوصل والمتعلقات بقدر ما تسوّغ له الجوازات الشعرية وليس في النثر شيء من ذلك فانه اذا نُحي فيـهِ منحى الشعر ساق ذلك الى الالتباس والاستغراق

ومعلوم ان المعنى في الشعر أقرب الى الفهم مما في النثر . خذ مثلاً مرثية المتنبي في أم سيف الدولة واقرأ الصدر من كل بيت فتدرك عفواً المعنى الذي تضمنهُ العجز

ناهيك ان الشعر كلِفٌ بالتشابيه الرائعة والمجازات البديعة والكنايات المستملحة والمبالغات الظريفة ، فاذا نما فيها وانمى أطرب الالبـاب وبلغ مبلغاً عظيماً من الالذاذ والاعجاب بخلاف النثر فانه اذا تعددت فيهِ الصوَر المخيلة والتشبيهات والمجازات ظهرت به الكلفة واستولى على القارئ سأم او مجه الذوق كارهاً . ولئلا يقال اننا ترسل الكلام اعتباطاً ، دونك قطعة من مقامتي الغربة والغريبة للامام شهاب الدين الخفاجي :

« لما هزتني أريحية الشباب ، الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب ، وقد أجدبت الارض من كل ماجد ، يجتني جنى المجد ويجني له ثمار المحامد ، وتعطلت من كريم تلتفـّ عليهِ المحافل ، وتسير في ظلال أعلامه الجحافل . . . اقسمت ببيت سالت بيطحائهِ أعناق المطايا ، وثمل ركبانه بكأس السرى في الغدايا والعشايا . » آه . . .

في ذلك كفاية ليشعر ذو الذوق السليم بيدء سآمة ، مع ان لهذا

الكلام منزلة علياء من البلاغة، فالمعاني سامية، والانشاء من النمط العالي، والتخييل في منتهى الكمال انما ليس هـذا اللباس كساءه فكان أولى بامثال هذه الاقوال ان تفرغ في مهيع القريض وتنسج على منواله

حلمي المصري

في رياض الشعر

﴿ الى سابا باشا ﴾

كتب سعادة اسماعيل صبري باشا وكيل نظارة الحقانية السابق الى سعادة السر يوسف سابا باشا ناظر المالية يعزّيه على فقد نجله فريد وقد قصف الموت غصنه الرطب في خلال الشهر الفائت :

سابا اتقِ اللهَ وخلِّ الأسى ... لجـاهلٍ يُعذرُ فـي جهلهِ
لا تكترث بالرزءِ وانهض بهِ ... فالرأي كلُّ الرأي في حملهِ
مثلك مَن يلجأُ إن راعهُ ... يومٌ بمكروهٍ الى عقلهِ
قضى «فريد» وهو غضّ الصبى ... وخلَّف الحسرةَ في أهلهِ
وقابلتهُ في الجنانِ العُلى ... ملائكٌ للهِ في شكلهِ
واهاً له من غصنٍ ما نمـا ... حتى ذوى واجتُثَّ من أصلهِ
سابا أبكِ لكن كالحكيم الذي ... يخافُ أن يُطعنَ في نُبلهِ
واصبر فكم من جزعٍ آكلٍ ... من صحة المرءِ ومن فضلهِ
فالليثُ لا تنسيه أحزانهُ ... مقامَهُ ان ضيمَ في شبلهِ

اسماعيل صبري

﴿ قطرة دم ﴾

لقي خليل افندي مطران منذ ايامٍ سيدةً في اصبعها خاتم فصُّهُ من الياقوت فقال لصاحبٍ كان معه :

حذارِ لقلبك من لحظها فما فيهِ من رحمةٍ للمحبّ
ألم ترَ في يدها خاتماً بهِ قطرةُ الدمِ في شكل قلبٍ؟

خليل مطران

﴿ عطفاً على الفقراء ﴾

ابني القصور بني الاطالس والغنى عطفاً على فقراء هذي الدارِ
هم في الكهوف على الخضيض وانتم بين الرياض وباذخ الاسوار
هم للانين على الشقاء وانتم لرنين حلي او رنين سوار
هم يشربون من الدموع وانتم بين الكؤوس ورنة الاوتار
هم ينزعون الى الرغيف وانتم تتناولون الخبز بالقنطار
هم بين اشواك الحياة وانتم فوق الصدور منابت الازهار
انتم بأثواب الحرير وهم كما ولدوا وان سعدوا ففي اطمار
هم في الجحيم وانتم في جنة انتم على بردى وهم في النار
فتفقدوا يا قوم اخواناً لكم هؤلاء ايضاً من صنيع الباري

شبلي ملاط

﴿ أنا والبدر ﴾

انا كالبدر عاشقٌ وكلانا ساهر الجفن خاشعُ الطرف صابرْ
نقتل الليلَ صامتينِ لئلا يعلمَ الليلُ ما تجنُّ الضمائرْ

ونذيبُ الأنفاسَ في الصدر كيلا تكشف السرَّ نار تلك المجامرْ
يا سميري في وحدتي لا تدعني في سكون الظلام وحدي حائرْ
وحشةُ الليل والفؤاد فهل لي يا شريكَ الأسى سواك مسامرْ
تتجلى يا بدرُ فيك معان من حبيبي اذ كان مثلك زاهرْ
قد تشابهتما جمالاً ولطفاً وكمالاً في الخلق للبّ ساحرْ
وتخالفتما مقاماً ووقعاً . انت في العين وهو في القلب حاضرْ

وليم غرزوزي

﴿ النحو في الشعر ﴾

سألتني عن « التنازع » يوماً غادةٌ بالجمال تسبي وتصبي
قلتُ إن كان للتنازع معنى فهو ما بين ناظريكِ وقلبي

امين ناصر الدين

﴿ خلقتَ جميلاً ﴾

خلقتَ جميلاً ولم تعطفِ وفيك الحنان ولم ترأفِ
وتقتلني سهام اللحاظِ وتوهم انك لم تعرفِ
فان كان طبعك هذا الدلال فالله للمغرم المدنفِ
وان كان ذنبي لديك الهوى فعذريَ في حسنك اليوسفي
قوامك يوصف بالاعتدال فما بال قلبك لم ينصفِ
ولي من عيوني عيون تسيل ولكنَّ ناريَ لا تنطفي
فلا تحسب الدمع لي عادة فدمعي لغيرك لم يذرفِ

ابرهيم العريب

﴿ عهد الطفولة ﴾

طوتْ عهودَ الصبى يدُ القصَرِ وشوبت صفوهنَّ بالكدرِ
طفولتي أين انتِ من زمن واين ليلُ الغرام من سمرِ
طفولتي ردّكِ الزمان وكم اعطى وردَّ الزمان من اثرِ
طفولتي هل اذا ذكرتك بالدمـ ـع تفيد الدموع في الذكرِ
يرحم الله منك ماضيـة من الليالي مضت مع السيرِ
زمان كانت (فلانةٌ) معنا درّة تجتلى من الدررِ
زمان كان الهوى لعهدكِ بي رضيع ثدى الآصال والبكرِ
نامياً مثلنا ومفتقداً منتظر الظل مرتجى الثمرِ
وارداً صادراً هناك ولم نعلم بذاك الورود والصدرِ
ونحن قلبان خافقان على الأر ض خفوق الحيا على الشجرِ
وحولنا صبية مجمَّعة كأنهم باقة من الزهرِ

***

أين نداء البنات (يا ولدٌ) يمزجنَ جد المقال بالهذرِ
وهنَّ مثل القطا اذا انتثرت يلقطنَ حب القلوب في السحرِ
تمشي التي لا آسمها بمنكشف عندي ولا حبها بمستترِ
مشي غزال النقا اذا طُرحت عليه احدى حبائل النظرِ
خضباء من دمعها على زمن كنا بهِ درتين في نهرِ
تكاد في العين من ملاحتها تنزل في العين منزل الحورِ
لو أنزل الله في امرئٍ غزلا أنزل فيها جوامع السُّوَرِ
فقل لمن ينكرون قدرته لتلك احدى عجائب القدَرِ

وقل لمن يعبدونهـا سفهاً لهذه صورة من الصور
وقل لمن يدّعي الغرام بهم خذ بجميع الغرام او فذر
وقل لمن يعذل المحب أفق لهـذه عـبرةٌ لمعتبر

***

آهِ من الحب لا رماك بهِ اللـــه فان المحب في سقر
فاختبر امره على حـذر منه فليس العيان كالخبر
يا ويلتاه عليكِ يا كبدي من حاكم جائر ومقتدر
لقد جهلنـا الغرام في الصغر وهل عرفنا الغرام في الكبر
أخاطرٌ في الرؤوس منبعث شعاعه في النفوس بالشرر
وهاجس جاعل مطـاوعه بين الورى سخرة من السخر
وحاجة كل أمرها عجب منوطة بالبكاء والسهر
طلاسم تلك لست اعرف مَن يحلهـا غيرُ فاطر البشر

عبد الحليم المصري

﴿ البنفسجة ﴾

لما ارادت ربة الازهار أن تأتي الطبيعة بالأرق الألطفِ
خلقت بنفسجة الحقول واصبحت مفتونة بجمالهـا المستظرف
حتى اذا غارت على حسناتهـا وغدت تود بأنهـا لم تقطف
قالت لها ماذا ازيدك يا ابنتي حتى تصيري آية اللطف الخفي
قالت اذا شئتِ المزيد فغطّني يا أمِّ بالاوراق حتى اختفي .

طانيوس عبده

سادوم وعامورة

ايهِ أهل سادوم وعامورة ، استروا وجوهكم عن مرأى ضياء الآلهة وضعوا أصابعكم في اذنيكم لئلا تسمعوا توبيخ الرب ، بلغ سيل آثامكم الزُّبى ، فها وجه السماء يكفهرّ . فعن قريب ستمطركم ناراً وكبريتاً ، وتحوّل قصوركم الشامخة التي تنبعث منها روائح الفساد والخطيئة الى مستنقعات آسنة ، وبحيرات مالحة

قصة تاريخية قرأناها منذ نعومة أظفارنا ثم تركناها في احدى زوايا ذاكرتنا غير عالمين ان ما يسطره المؤرخون عن حوادث الاقدمين انما هو عبرة للمتأخرين

من هم أهل سادوم وعامورة ؟

هم ابناء هذا الجيل ، ومعاصرو القرن العشرين الذي نصفه بالمدنية تمويهاً وتفاخراً . فلا تغرنك الاختراعات والاكتشافات ، وما أتيناه من باهر الحكمة في سن النظامات ، وضبط قواعد اللغـات ، وبقر بطن الارض وانتزاع أحشائها ، واختراق كبد السماء بمراكبنا الهوائيـة الى غير ذلك من مستنبطات هذا العصر . فما هذه الا زخارف نزين بها جدران تلك القبور المكلسة كي تلهي الناظر وتشغل الخاطر . . . فنحن نحن المتمدنين الذين امتلكوا ناصية الهواء والماء وكادت الطبيعة باسرها تكون رهن أمرهم نحن أهـل سادوم وعامورة . ولا يخدعنك من « باريس » لطافتها ورقتها ، ولا من « لندن » فخامتها وعظمتها ، ففيهما

تمثل اليوم فظائع تينك المدينتين بالامس . . . يخون الصديق صديقه . ويتعمد الأخ قتل أخيه . ويشاحن الزوج زوجته . ويعق الابناء آباءهم ، فلا حب ولا مقة ، ولا عهد ولا ثقة . أسرت الشهوات القلوب ، وغلت الاهواء الافئدة باصفادٍ فولاذية فاختفت الرحمة وأسلم الحنان الروح . بهر البواصر بهاء الفضة ، وخلب القلوب لمعان الذهب . فخرّ الناس ساجدين وأوقدوا شموع عواطفهم على مذبح الجشع الاشعبي . فما بالكم يا اهل سادوم وعامورة مسترسلين في الغرور ، ومنغمسين في الشرور ، كأن لا ضجعـة في القبور ، ولا حشر ولا نشور ، أنسيتم باريكم ام تناسيتموه فدستم وصاياه المقدسة ، أين وجدانكم يناقشكم الحساب وينخسكم بمهماز تأنيبه ؟ أراكم به لا تشعرون . ولكن صوت الضمير يرنّ في أعماق صدوركم فترتعد النفس جزعاً وتضطرب هلعاً ، فهنالك الجحيم وهنالك جهنم منكم وفيكم

تعالَ معي ايها القارئ نمتطِ منطاد التصور ، ونمرّ على بني البشر لنشاهد بعض أعمالهم . . . أترى ذلك الانسان الذي يشبه قول عنتر :

بنواظر زرق ووجه اسودٍ وأظافر يشبهنَ حدّ المنجلِ

ماسكاً بعنق رجل آخر وهو يقوده الى دار القضـاء ليفي الفلس الاخير ، انظر هناك شخصين في مقتبل العمر متشابهي الملامح وأظنهمـا شقيقين . ولكن تفرس في يد الاكبر مدية يتعمد بها طعن أخيه . هناك رجلان يتخاصمان على بعض دريهمات لم يتفقا عليها ، وهنا كهلٌ جالس مع بغيٍ ينظر اليها نظرة الظفر بعد ان قتل مزاحمه المضرج أمامه بدمائه.

هيا الى تلك البقعة السوداء ترَ جماعة كالابالسة شكلاً يتآمرون على السرقة والفتك . هناك في تلك البناية الباسقة المتلألئة بالانوار جماعة من الشبان يتناولون باقداح بلورية سائلاً يقتـل الشعور ، ويميت الفضيلة . هذا ربح مال رفيقه حراماً بالميسر ، وهذا خسر ما تملكه يده فانتحر . وهناك وراء البحار دخان متصاعد في الفضاء ورعود قاصفة وبروق لامعة وأشلاء متطايرة هناك نار الحرب شبها الطمع فذهبت بالارواح والاموال ولم تبقِ ولم تذر . . .

يا أهل سادوم وعامورة ! ان السماء أزمعت ان تصب عليكم جام غضبها ، فاقلعوا عن هذا الغرور فليس من ابراهيم يشفع بكم الى الله . . أو هل بينكم عشرة أبرار تتذرعون بهم لديهِ فتنجوا من عذاب أليم ؟ أين نجد هؤلاء الصالحين ؟ لا أدري ، فتش معي ايها القارئ ، فقد أعياني البحث والتنقيب ، ولم أظفر بضالتي المنشودة

حمص بدري فركوح

محاكم الاحداث

يقف الانسان لدى هذه المصاعب والاسباب مدهوشاً بائساً لا يدري طريقاً للعمل . لكنَّ صاحب الاقدام والسعي لا يخيب له أمل . فيحسم الداء قبل ان يبتلى بهِ ويدفع الامر قبل وقوعه وذو العدة لا تعييه الحيلة التي يرجو بها المخرج من هذه المصاعب بالوسائط والذرائع التي يتوفق الى ايجادها

ولبيان خطورة الامر وحرج الموقف زر السجون على اختلاف طبقاتها ترَ ما لم تكن تتصوره من الشرور والاثام . ترَ الشر متجسداً بأجساد بشرية تعمل على خراب الانسانيـة ودمارها . ترَ رجالاً ونساء وأولاداً ائمة قتلة اشراراً لا ناموس لهم ولا ضمير يردعهم عن شرورهم ومعاصيهم يصرفون معظم اوقاتهم بالاحاديث القبيحة الفاسدة . تصوراتهم رديئة كأخلاقهم واعمالهم وكلامهم لا تقـدر الاذن على سماعه فماذا يحل بحدث صغير يُزَج بمكان كهذا ؛ أنلومهُ بعد ذلك ونعاقبه العقاب تلو العقاب لاعمالٍ كنا نحن السبب بغرسها في نفسه . ونقول بعد هذا كله ما غرضنا الا اصلاحه وارجاعه الى سبيل الرشاد . أفهكذا يكون الاصلاح وهل يتم تقويم المعوج بطرق كهذه . ان هي الا طرق يشتم منها آثار الهمجية والظلم . آثار الاعصر الماضية المظلمة . فقـد أصبحنا وعصرنا اليوم يختلف تمام الاختلاف عما سبقهُ من العصور الخوالي فما بالنا نستعمل ما كانوا يستعملونهُ في تلك الايام ؟

هل قعد الدهر بالانسان فتقدم في كل أمر وشأن الا في مسئلة القضاء والاحكام اذ ما فتق له عقله استعمال الوسائط والاسباب لتخفيف مصائب الانسانية الصغيرة المظلومة

أجل. فقد كان الناس فيما مضى لا يهتمون للجاني واصلاحه بل كان جلُّ مقصدهم اصلاح ما أضرَّ بهِ وافسده فيصرفون قواهم وأوقاتهم لارجاع مسروق واسترداد مسلوب . اما الآن فصرنا ننظر الى المذنب الجاني نظر الطبيب الى المريض لنرد اليهِ ما فقـده من الحرية الشخصية لاساءته

استمالها وقصدنا الوحيد اصلاحه وارشاده . هذا اذ كان رجلاً مدركاً كبيراً فكيف اذا كان ولداً عاجزاً صغيراً

ولشرح كيفية معاملة الحدث في « محاكم الاحداث » قد اخذت دليلنا محكمة واحدة من هذه المحاكم وهي محكمة انقر من ولاية شيكاغو احدى الولايات المتحدة الاميركية وذلك لانها كانت اول ما نشأ من نوعها في تلك الولايات ولان كل ما قرأته وحصلت عليهِ من الكتابات في هذا الموضوع عائد بالفضل الى مؤسسها الفاضل اذ تكرم عليَّ ببعض نسخ من مؤلفاتٍ له وضعها في هذا الموضوع نفسه

ومحكمة انقر هذه مشهورة في تلك البلاد لشهرة مؤسسها فانه كان منذ اول نشأته ميالاً الى السياسة فصار متشرعاً ثم قاضياً الى ان احرز رئاسة محكمة ولاية شيكاغو وذلك سنة ١٨٩٩ لانه يمتاز بكفاءته وشدة ميله الى الاستقلال الفكري والاداري. وأخيراً اهتم بأمر اصلاح شؤون الاحداث ومحاكمتهم اذ انتبه الى حالتهم الرديئة ومعاملتهم السيئة ، وبعد جهاد عنيف تمكن من انشاء محكمة مختصة بهم للنظر في شؤونهم واحوالهم فاستقال من منصبه العالي واخذ على نفسه ادارتها وتنظيمها الى ان تم له ذلك فنشأ لنجاحها عدد كبير مثلها في اغلب الولايات الاميركية

واليك بيان ما جرياتها باختصار :

يُحضر المتهم الى المحكمة فلا يرى هيئة المحكمة على كراسيها وراء المنابر بل عند دخوله يستقبله القاضي بوجه ضحوك ويجلس بجانبه ويأخذ بمحادثته كأنه ولد مثله الى ان تتمكن بينهما عرى الالفة والمودة . فيثق

الولد به ويعتمده . فيفهمهُ القاضي ان هذه الحكمة ليست كغيرها من نوعها تهويلاً وتعذيباً بَجلّ مرادها مساعدته لاصلاح نفسه بنفسه ، ومتى وثق الولد بالقاضي ائتمنهُ وأطلعه على كل ما يريد الاطلاع عليه فيشرع بتشجيعه وانهاض غيرته فيستفز حميته بالكلام المؤثر اللطيف . يلقي عليهِ النصائح المتعددة ويخبره جلياً بالاضرار الناتجة عن قبح اعماله وسوء تصرفه وكم يعاني غيره من جراء أعمال يحسبها هو طفيفة لا تأثير لها ولا ضرر . فيشرح له واجباته نحو نفسه اولاً ثم واجباته نحو حكومته وبلدته ومحيطه وكيف انه بسلوكه وتصرفه يقدر هو نفسه ان يؤثر في محيطه فبلدته فحكومته بكونه عضواً حياً عاملاً على نجاحها ورقيها . ثم يريه تدريجاً وجوب اطاعة الاوامر والنظامات ويبين له كيفية التصرف والسلوك الحسن وبالاجمال فان القاضي بكلامه وافعاله وأمثاله ينفث فيهِ روحاً جديدة كانت كامنة فيهِ فتهيج معها عواطفه فيرى قبح أعماله السابقة وأفعاله الماضية فيندم على ذلك أشدّ الندم ويشعر من جهة اخرى بواجباته ومسؤوليته ويعلم ان مقابل هذه المسؤولية والواجبات حقوقاً كان قد خسرها باهماله تلك . فيعد القاضي وعداً صادقاً مخلصاً بتغيير سلوكه ومنهاج حياته . فيطلق القاضي سراحه بعد ان يثق بكلامه تمام الوثوق . فيخرج الولد شاعراً بروح شريفة تجددت فيهِ ونفس نشيطة تحثهُ على اتمام واجبات طالما اهملها سابقاً

هذا هو سر المحكمة وقوامها الوحيد فانهُ لا شيء يؤثر في نفس الولد ككلام اللطف المنبعث من صدر شفوق ونفس حساسة تود خيره

ونجاحه ومتى شعر الولد بذنبه وأقرّ بهِ هانت طريقة اصلاحـه وارجاعه عن ضلاله

ولكن كثيرين لا يتمكنون من تغيير سلوكهم لاول مرة وما ذلك الا لشدة تأثير المحيط عليهم او لتمكن عاداتهم واخلاقهم منهم فيصعب نزعها حالاً. فتنقلهم المحكمة الى محيط يشجعون به على عمل الحسن والمعروف فينسون أعمالهم السابقة ولا يرجعون اليها

وان عاد أحدهم الى سابق اعماله يعيد عليهِ القاضي الكرة فيسمعهُ النصائح والمواعظ ويورده طريق السير والعمل ثانية فيتغير بمداومة النصح والارشاد وقد يحدث له ما يميله عنها فلا تؤثر فيهِ . فترسله اذ ذاك المحكمة الى احدى مدارس الحكومة الصناعية التي لها علاقة بها فيدرَّب هناك على نظامات وتعاليم تؤديه طريق الصواب والصراط المستقيم

هذا وقد يبقى الواحد مع كل هذه الوسائط ميالاً الى الشر لا يحيد عنهُ فيعسر طريق اصلاحه وهذا نادر شاذ ولا يقاس على الشواذ

نوفيق جريديني

قال ابن المقفع :

ليس من خلةٍ هي للغني مدح الاّ هي للفقير عيب : فان كان شجاعاً ، سمي أهوج ؛ وان كان جوّاداً ، سمي مفسداً ، وان كان حليماً ، سمي ضعيفاً ؛ وان كان وقوراً ، سمي بليداً ، وان كان لسناً ، سمي مهذاراً ؛ وان كان صموتاً ، سمي عيياً

ثمرات المطابع

المعلوم والمجهول (١)

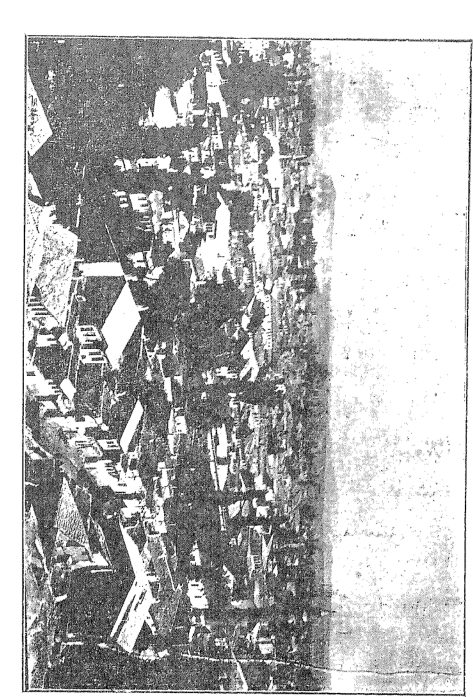
أصدر وليُّ الدين بك يكن الجزء الثاني من كتابه «المعلوم والمجهول» في نحو ١٦٠ صفحة مطبوعة طبعاً جميلاً في مطبعة المعارف المشهورة ومزينة بصوَر بعض الذين ورد ذكرهم في الكتاب، وبرسوم الاماكن التي عرفها المؤلف ابّان وجوده في المنفى . ولو كان ولي الدين بك من الادباء الذين لا يكترث لهم، او لو كان كتابه هذا من الكتب التي تهمل في زاويات المكاتب، لزدنا على ما قلناه الآن كلمة الثناء ثم وقفنا عند هذا الحد . ولكن «الزهور» لا تنظر الى ما يهدى اليها من المطبوعات نظرة التقريظ المبتذل فقط، ولا تكتفي بذكرها لمجرَّد الاعلان عنها ولا سيما متى كان الكتاب كتاب المعلوم والمجهول، والكاتب ولي الدين بك يكن

طالعنا هذا الكتاب بما يستحقهُ من الامعان والتدقيق فرأينا فيهِ انموذجاً من السياسة العثمانية تجاه الافراد العثمانيين في خلال ثلاثة وثلاثين عاماً من سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني . بل هو تاريخ في شخص ولي الدين بك يكن لحياة الاحرار الذين اضطهدهم العهد العثماني الماضي . وفي رأينا لو ان كل واحد من اولئك الذين تمكن منهم عبد الحميد وحكومته، قرأ هذا الكتاب، لتوسم انه يقرأ فيهِ تاريخ حياته الخاصة فما

---

(١) طبع في مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بأول شارع الفجاله بمصر وثمنه عشرة قروش صاغ

يختلف عليهِ سوى الاسماء والتواريخ . اما الوقائع والظروف فمتشابهة متماثلة ، واما الفظائع والمظالم فهي هي . فاذا كان ولي الدين قد كتب في « المعلوم والمجهول » تاريخ اضطهاده ونفيه فانما وصف في شخصه شقاء



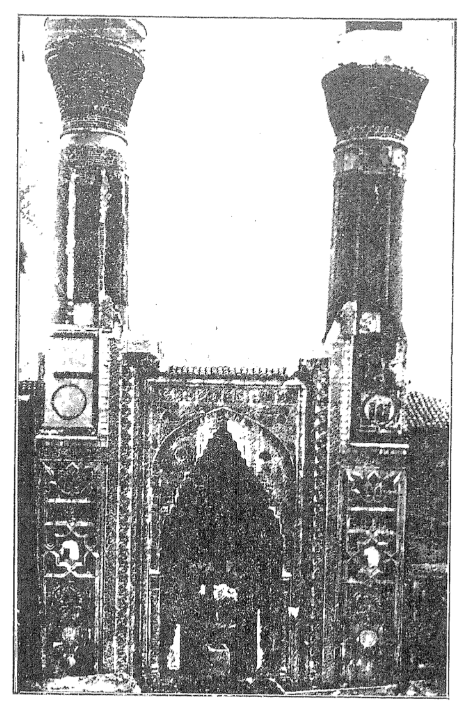
جانب من مدينة « سيراس » التي أقام صاحب « المعلوم والمجهول » منفياً فيها سبع سنوات

اخوانه الذين ابتلوا بمثل بلواه ، وقاسوا من الشدائد ما قاساه . ولولا انه قد رأى هذا الرأي من قبل ما أقدم على كتابة المعلوم والمجهول فان في أخلاقه من الدعة والتواضع ما يربأ بهِ عن نشر هذا التاريخ لمجرد التباهي اليوم بما لقيه بالأمس ، والافتخار بما نزل بهِ من مظالم العهد الحميدي ولعله أشار الى ذلك حيث قال :

«لا ابالي الثناء ولا ابالي الهجاء ، وانما ابالي ان يصدق فيَّ أحدهما»

الجزء الثاني من المعلوم والمجهول، كالجزء الاول منهُ وكلاهما «كالصحائف السود» صورة مجسمة لنفس ولي الدين . انني لا أعرف كاتباً او شاعراً عربياً في يومنا الحاضر أقدر من صاحب المعلوم والمجهول على تصوير العواطف وتمثيل الشعور . اقرأ له أية قصيدة شئت وأي مقال أردت فانك تحسُّ ان نفسه تسيل مع ألفاظهِ وقلبه يتمشى بين كلماته وسطوره . هذه الجمل القصيرة المقطعة التي لا تربطها الواوات والفاآت ، ولا تتخللها « عنجهية » « بعض الكتاب » وتقعره وتصنعه في الانشاء ، وتثاؤبه في كل جملة من جمله حتى ليتثاءب معها القارئ وتجيش لها النفس ، هذه الجمل المنتقاة ألفاظها ، والسليم تركيبها ، تؤثر في النفوس تأثير السلافة في الرؤوس

ولقد يقول قائل ان وليّ الدين في شعره أسمى منهُ في نثره ، فارده حينئذٍ الى « المعلوم والمجهول » فأريه ذلك الشاعر الرقيق الحساس ، نائراً ملء قلمه الفصاحة والبيان ، وملء تعابيره البلاغة والايجاز السليم ، وملء وصفه للاشياء وللحوادث سلامة الذوق، ونزاهة الفنّ حتى لكأنه يكتب



« كوك مدرسة » وهي من الآثار القديمة في سيواس ، ومنقوش على مدخلها (عُمِّر في ايام دولة السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن قليج ارسلان خلّد الله دولته) وذلك في سنة ٦٧٠ ه

بريشة « رافائيل » فيصوّر العواطف تصويراً ، ويرسم المعاني رسماً ، وما الكاتب القدير الا من استرق اليهِ النفوس ، وملك قيادها فتلاعب بها ما شاء وما شاء له التفنن والابداع ، فصيَّر قارئه أسيره وطوع ارادته يضحك لضحكه ، ويغضب لغضبه . كذلك رأيت ولي الدين . فهو يرضيك ساعة الرضى ويستبكيك حين يبكي حتى تكاد تلمس دموعه لمس اليد ، وتحسُّ بناره تتأجج من خلال ألفاظه وهي تأكلها أكلاً . ولقد وقفت أنظر اليه وأتأمله في وداعه للآستانة يوم أُكره على مغادرتها في الليل أسيراً منفياً ، تاركاً أهله وولده ، غير عالم الى اين مصيره ، وسمعتهُ يتحسر على فروق ويتأوه على البوسفور ، نخلت اني أسمع أنينهُ بأذني ، وأرى شقاءه بعيني ، وألمس جراحه بيدي . ورأيته وهو يكتب نثراً كأنه ينظم شعراً ، بل رأيت في تفجعه الشعر الحقيقي مجرداً عن الوزن ، طليقاً من القافية ، فقلت في نفسي انما هذا ارمياء آخر يبكي على اورشليم جديدة

فالى الادباء كتــاب « المعلوم والمجهول » فهو من خير ما تحتويه المكاتب ، ومن أنفس ما يخلد فيها من نفائس المطبوعات في هذه الايام. وجزى الله كاتبه خير الجزاء وعفا عنه

نعمان خوري قنصل فرنسا

هو اسم رجلٍ عرفه وعرف مآثره الطيبة ابناء الشرق والغرب فقد ولد في بكاسين من اعمال لبنان ودرس اللغات العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية في بيروت فنبغ فيها ولم يلبث ان سافر الى عاصمة الفرنسيس

حيث ساعد في تحرير مجلة سياسية كان يديرها السياسي الكبير مسيو ليون غامبتا فتمكن من اظهار صفاته الممتازة فعينته الحكومة الفرنسوية موظفاً في البلاد التونسية فكان ذلك بداية عهده في السلك السياسي . وظلّ صاعداً في معارج الترقي حتى عُيّن سنة ١٨٩٤ ترجماناً وقنشليارا لقنصلية فرنسا في القاهرة ورقي بعد سنتين الى درجة ڤيس قنصل وبعد ان عهدت اليه حكومته بمهمة خصوصية في بلاد الحبشة سمي قنصلاً في سيواس فعدن فجده فحرر (في الحبشة) فالصويره (مغادور) . وفي سنة ١٩١٠ رأت الحكومة الفرنسوية ان ترقيه الى رتبة قنصل من الدرجة الاولى. وكان في جميع هذه الوظائف التي تقلدها موضوع ثقة حكومته واعجاب رؤسائها . وفي ١٥ اغسطس سنة ١٩١٠ عاجلته المنية في ميدان عمله فراح شهيد الواجب .



وقد رأى حضرة المسيو جان ريڤول ان ينشر مآثر هذا الفقيد الكريم فطبع ترجمة حياته المملوءة بالاعمال المجيدة . وكأنه أبى ان يكيل له المدح جزافاً فشفع هذه الترجمة بخطابات التعيين التي كان يتلقاها الفقيد في وظائفه من اساطين السياسة — كفليكس فور وهانوتو ودلكاسه — وبمكاتيب وتلغرافات التعازي التي وردت بعد وفاته . يلي ذلك تآبين رجال السياسة له وخصوصاً تأبين مسيو بيشون وزير خارجية فرنسا الاسبق ، وأقوال

امهات الجرائد الفرنسوية . وكلها تشهد للفقيد بحرية الفكر واصالة الرأي وطيب السريرة والثبات في العمل . طالعنا كل ذلك في كتاب مسيو ريقول فرأينا كيف يقدر الرجالُ الرجال ، وكيف يكون الناس بالاعمال . فنشكر الكاتب على كتابهِ ونكرّر تعزية آل الفقيد ولا سيما حضرة شقيقه مسيو نجيب خوري الموظف بالحكومة التونسية وابن عمه سليم افندي الخوري الموظف في نظارة الداخلية المصرية . وننشر رسماً للفقيد اخذناه عن مجلة « الالّوستراسيون » وهو يمثله بملابس المكتب

ازهار واشواك

بابٌ للرزق

أصبح غلاء المعيشة فاحشاً وصارت أبواب الرزق اضيق من سم الابرة . والناس عاملون جادون لاستنباط حيلة أو لايجاد وسيلة تفتح بوجههم باب الفرج وهم لا يجدون . مرةً واحدة في حياتي أريد ان أكون اقتصادياً لعلّي أصيب بعض النجاح فينجح معي من يقبل على مشترى اسهم مشروعي . ولا تزيدني التفاليس المالية الكثيرة في هذه الايام الاّ إقداماً . واليك هذا المشروع الغريب الذي تنازل لي عن امتيازه احد الامريكان : نهتم بتربية القطط فنجمع منها مليوناً . وكل قطة تلد في السنة ١٢ وجلد القطة البيضاء يساوي ٥ بنسات وجلد السوداء ٣ شلنات فيمكننا أن نقدّر ثمناً متوسطاً لكل جلد شلناً و٣ بنسات . وهكذا يتوفر

لدينا في السنة ١٢ مليون جلد يبلغ معدّل الدخل من بيعها الفي جنيه انجليزي في اليوم . هذا من حيث الايراد اما من حيث النفقات فان العامل الذي يتقاضى اجرة يومية ٨ شلنات يقدر ان يسلخ ٥٠ قطة في اليوم . وهذا المشروع يحتاج الى الف عامل فيكون صافي الايراد اليومي بعد دفع أجرة العمال الف جنيه . بقيت مسألة تغذية هذه الحيوانات. وسنحلها بتربية الجرذان قرب القطط . ومن المعروف ان الجرذان تتناسل اربع مرات اكثر من القطط ، فيكون عندنا اربعة جرذان لكل قطة وفي ذلك كفاية . أما الجرذان فنغذّيها من جثث القطط بعد سلخها . وهكذا تأكل الجرذان القطط وتأكل القطط الجرذان ونأكل نحن الجلود — اعني الارباح الناتجة من بيعها — وقدرها الف جنيه في اليوم . فما قول اصحاب الراسمال في هذا المشروع . ؟ هم يضحكون مني ومن مشروعي وأنا اضحك معهم . ولكن قد مرّت ايام على القطر المصري كان يكفي فيها أن تتصور المخيلة مثل هذه الالاعيب المالية لتتسرب الاموال الطائلة الى جيوب مخترعيها . وما العهد ببعيد . وما تفاليس اليوم الاّ معلولات تلك العلل . .

قلبٌ من ذهب

اهدى صديقي « حسون » الذي يعرفه قراء « الزهور » قلباً من ذهب الى احدى السيدات ، وارفق « القلب » بأبيات جميلة اطلعني عليها . هديته الذهبية كانت للسيدة ؛ اما هديته الشعرية فانها لها وللقراء ، وهي :

يا ليت قلبي معدن مثل الذي أهديتـهُ لا يعرف الخفقانا
لصبرتُ فيكِ وأنتِ اظلم ظالم وحملتُ منكِ الهجرَ والسلوانا
لكنَّ قلبي شبهُ أوتارٍ اذا ضُربت شكت نغمانها الاشجانا
أو ما رأيتِ نحولها كنحولنا شبحٌ يؤثره الاثيرُ كلانا
ان تضربي وتر الفؤاد فحاذري بالضرب من ان تقطعي الشريانا
او كان لا يرضيكِ الآ دامياً ليت الذي ما بيننا ما كانا

حاصر

جرائد جديدة

الجديد — جريدة أصدرها في سان باولو من أعمال البرازيل نجيب أفندي نسيم طراد الكاتب المشهور وفارس أفندي نجم . ان لها من اقتدار صاحبيها الفاضلين ما يكفل لها النجاح

البرهان — جريدة ينشئها في طرابلس الشام حضرة الكاتب المعروف الشيخ عبد القادر المغربي فنتمنى لها الانتشار الذي تستحقهُ

البيرق — جريدة اسبوعية أنشأها في الحدث (لبنان) حضرة نجيب افندي شديد عقل وسعيد أفندي فاضل عقل من أفاضل الأدباء المعروفين في سوريا فنرجو لها النجاح

المراقب — دخلت جريدة المراقب الغراء التي ينشئها في بيروت حضرة الكاتب الفاضل جرجي أفندي عطيه في سنتها الرابعة مطردة خطتها الجميلة

جبل عامل — جريدة اسبوعية يصدرها في صيدا (سوريا) حضرة الكاتب الالمعي احمد افندي عارف الزين صاحب مجلة العرفان الزاهرة فنؤمل لها مزيد الانتشار

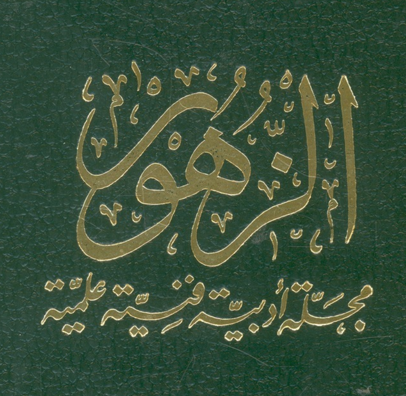
آخرها وكانت في ملكة العَبَيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم ، زحف الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام و بنوا على الصخرة المقدسة منهُ كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا أثر العبيديين و بدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان بهِ من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام ، وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة و بنى المسجد على النحو الذي هو عليهِ لهذا العهد » . انتهى

هذا واما الذي اردت الإيماء اليهِ من بعض ما بأورشليم وبيت لحم من الصدقات الجاريات والمآثر الباقيات فهو المدرسة الصلاحية في القدس الشريف ومدرسة اليتامى العلمية الصناعية في بيت لحم

اما المدرسة الصلاحية المعروفة بمدرسة القديسة حنة فهي مدرسة كهنوتية كبيرة متقنة البناء مجانية معدة لمائة وخمسين طالباً ، ومدة الطلب فيها عشر سنين ، لكنها مخصصة بمن يترشح لخدمة الله من طائفة الروم الكاثوليكيين دون سواها . وكلما انتهى فوج تستقبل فوجاً آخر . والقائمون فيها على انارة العقول بالتعليم وتهذيب الاخلاق بالترويض رجالٌ ممن برزوا في حلبة الفضل وممن أخذوا السبق في مضامير العلم . الأ وهم اجلاء من الرهبان البيض الذين كأنما بياض ثيابهم ينادي ببياض سرائرهم . وقد تخرّج في هذه المدرسة العظيمة الشأن عدة من الكهنة الذين تعتزّ بهم المنابر وتستنير باقوالهم الجامع والمحافل ويفوح من آثارهم شذا الفضائل فاذا نظرت يا رعاك الله الى ما تجني من العوائد الكبيرة طائفة يقوم على ارشاد أبنائها رجال من اهل العلم والصلاح من امثال

﴿ فهرس ٢ كتّاب « الزهور » ومقالاتهم ﴾

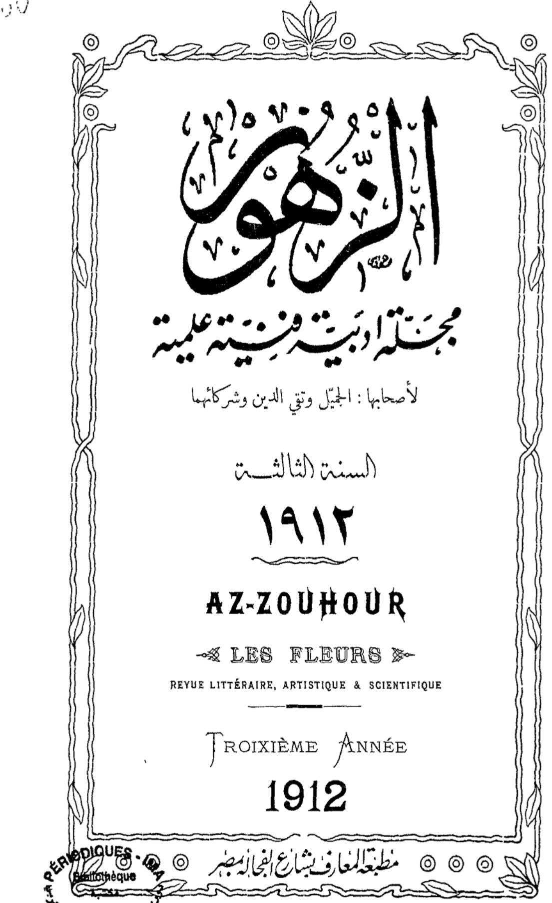
فهرس ٣ الصوَر والرسوم



دار صادر







الزهور

مجلة أدبية فنية علمية

لأصحابها : الجميّل وتقي الدين وشركائهما

السنة الثالثة

١٩١٢

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

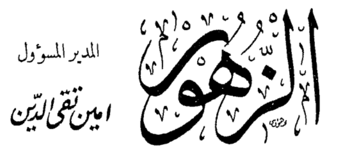
REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

TROIXIÈME ANNÉE

1912

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الاول　　مارس (اذار) ١٩١٢　　السنة الثالثة

السنة الثالثة

تدخل «الزهور» مع هذا الجزء في سنتها الثالثة وهي عاملة على اتحاف قرائها بكل ما لذَّ وطاب من ثمرات القرائح الناضجة والعقول المفكرة . فالاجزاء التي ظهرت منها الى اليوم تؤلف سلسلة مقالات شائقة وعقداً من القصائد الغراء لأشهر حمَلة الأقلام في مصر وسوريا والعراق . واذا نحن فاخرنا بذلك فانما نحن نفاخر بمآثر كتاب العربية وشعرائها في هذا الجيل . على انهُ ليسرنا ان يرى أبناء لغتنا ان « الزهور » كانت في خلال عامين ماضيين من جملة البواعث على تأييد النهضة الأدبية الحديثة التي تزداد اتساعاً يوماً فيوماً بفضل عوامل النشر الجديدة . ولقد عقدنا العزم على متابعة السير الى الأمام ونحن على رجاء ان نتمكن من توفير أسباب التحسين في عملنا جهد المستطاع



ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« رأس الوهابية »

تقدم الكلام في هذه المجلة (٢ : ٢٨٧) عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأس الوهابية بمنزلة كونه منهض دين الاسلام في النجديين عند انحطاطه فيهم ، والآن نذكر ترجمته لكونه عالماً ناشراً الآداب في بلاده ، نلخصها عن عدة كتب مخطوطة ، منها : كتاب عنوان المجد ، في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ، للسيد ابرهيم فصيح الحيدري ، وكتاب روضة الافكار والافهام ، لمرتاد حال الامام ، وتعداد غزوات ذوي الاسلام ، للشيخ حسين بن غنّام الاحسائيّ ، فنقول :

١ً **الشيخ محمد من بيت علم** — كان أبوه الشيخ عبد الوهاب عالماً فقيهاً على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، وكان قاضياً في بلدة العُيينة ، ثم في مدينة حريملة (تصغير حرملة) ، وذلك في منبلج القرن الثاني عشر من التاريخ الهجري ، وكان له معرفة تامة بالحديث والفقه والتفسير وغيرها ، وله أسئلة وأجوبة في هذه الابحاث . وكان والد الشيخ عبد الوهاب الشيخ سليمان عالماً فقيهاً أعلم علماء نجد في عصره ، وله اليد الطولى في العلم ، وانتهت اليهِ رئاسته في نجد . صنَّف ودرّس وأفتى . الا ان الشيخ محمداً لم يكن على طريقة أبيهِ الشيخ عبد الوهاب ، وجده الشيخ سليمان ، بل كان شديد التعصب ، كثير الاعتراض على العلماء ، ويجوّز قتال من خالفهُ ، بل يعتقد كفره ، ويسمي قتال المسلمين المخالفين لآرائه

« جهاداً في سبيل الله » ويجعل أموالهم كغنائم أهل دار الحرب ، ويمنع من قصد زيارة صاحب الدعوة والاستغاثة والاستشفاع بهِ الى الله تعالى ، الى غير ذلك مما يطول شرحه

٢ً **سعيه في ترقية العلم في بلاده** — سعى الشيخ غاية السعي في تعليم الناس العلم وحثهم على الطاعة ، وأمرهم بتعليم اصول الاسلام وشرائطه ، وأحكام الصلاة واركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين ، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين في معرفة الله تعالى ، فلم يبقَ أحد من عوام أهل نجد جاهلاً باحكام الدين ، بل أتقنها جميعهم ، بعد ان كان أغلبهم جاهلاً لها الا الخواص منهم

وقد أخذ عنه عدة مشايخ منهم : أبوه الشيخ عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن حياة السندي المدني ، والشيخ عبد الله بن سيف وغيرهم

وقد قدم الشيخ محمد الى بغداد وأخذ العلم عن السيد صبغة الله الحيدري وعن غيره

٣ً **اولاده واحفاده** — ولد للشيخ محمد اربعة اولاد وكلهم تلقوا العلم عن والدهم ، وأسماؤهم : الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله ، والشيخ علي ، والشيخ ابرهيم . فاما الشيخ حسين فهو خليفته من بعده والقاضي في بلد الدرعية . ولحسين المذكور عدة اولاد علماء وهم : علي ومحمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك

واما الشيخ علي ابن الشيخ محمد فكان عالماً في الاصول والفروع والحديث والفقه والتفسير ، وكان قاضياً في « حوطة بني تميم » ، ثم ولي

القضاء في الرياض في ايام فيصل بن تركي

واما الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد فكان عالماً جليلاً وله مصنفات عديدة . وهو الخليفة بعد أخيهِ الحسين . ولي قضاء الدرعية في زمن سعود وابنهِ عبد الله

واما الشيخ ابرهيم ابن الشيخ محمد فكان عالماً ايضاً ، لكنه لم يولَّ القضاء

وحسن بن حسين كان فقيهاً ، وولي القضاء في الرياض في عهد تركي

وعبد الرحمن بن حسن كان من العارفين للفقه أتم المعرفة وكان قد أصاب سهماً حسناً من التفسير والنحو وغير ذلك . ووُلّي القضاء في ناحية « الخرج » في ايام تركي وفيصل

واما حمد وعبد الملك فكانا من طلبة العلم وأهل الذكاء والمعرفة

وممن أخذ العلم عن الشيخ محمدٍ عبدُ الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد (وهو ابن ابنهِ) ، وقد وُلي القضاء في الدرعية في عهد سعود الامير المشهور

٤ً **كلمة عامة في صفاته** — كان الشيخ محمد مع وفرة علمه من دهاة العرب ايضاً . والذي ميزه عمن سواه تشديده في بعض الاصول والاحكام ومخالفته للامام احمد بن حنبل وما عليهِ جمهور الحنابلة في كثير من المسائل

٥ً **وفاته ورثاؤه** — توفي الشيخ المذكور وله من العمر اثنتان وتسعون سنة . ورثاه كثير من شعراء نجد وغيرها . وممن رثاه الشيخ حسين بن غنام بالقصيدة الآتية ، وفيها ما يدلك على كيفية النظم واسلوبه

في تلك الديار في منبلج صبح القرن الثالث عشر للهجرة . وفي القصيدة بعض أغلاط لعلها من الناسخ ونحن نذكرها على علاتها :

الى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس الى غير المهيمن مفزع
لقدكسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع
امام اصيب الناس طراً بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع
واظلم ارجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى في الترب واراه بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للانام ضياؤه ... فداجي الدياجي بعده متقشع
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا ... فاسماعهم للحق تصغي وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة ... حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة ... ازيل بها عند حجاب وبرقع (؟)
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيار المعارف يقطع
فاحيا به التوحيد بعد اندراسه ... واقوى به من مظلم الشرك مهيع (؟)
فانوار صبح الحق بادٍ سناؤه ... ومصباحه عالٍ ورياه ضيّع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميذع
وشمر في منهاج سنة احمد ... يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع
وينفي الاعادي عن حمى وسوحه (؟) ... ويدفع أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التي ... أمرنا اليها في التنازع نرجع
فاضحت به السمحاء (كذا) يفتر ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً ... وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالالمعي ترفع

فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع
لقد وجد الاسلام يوم فراقه مصاباً خشينا بعده يتصدع
وطاشت اولو الاحلام والفضل والنهى وكادت له الارواح تبرى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه وظنوا به ان القيامة تقرع
فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً وكادت قلوب بعده تتفجع
وفاضت عيون واستهلت مدامع يخالطها مزج من الدم همع (كذا)
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فمالى أرى الابصار قلص دمعها وليست على فقداه تهمى وتدمع
ومالى أرى الالباب تبدى قساوة وليست على ذكراه يوماً توجع
لقد سخنت عين تضن بمائها عليه وكبد قد أبت لا تقطع
يحق لارواح المحبين ان ترى مقوضة لما خلت منه أربع
وتتلو سريراً فوقه قمر الهدى وشمس المعالى والعلوم تشيع
فما بالها قرت باشباح أصلها ولم تك في يوم المعالى تودع
فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى وحل به طود من العلم مترع
لئن كان في الدنيا له القبر موضع فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
سقى قبره من هاطل العفو ديمة وباكره سحب من البر همع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ولا زال بالرضوان فيها يمتع

٦ً **تآليفه** — للشيخ محمد تآليف كثيرة فيها المطوّل والمختصر ، فيها الكتاب والرسالة . فمن تصانيفهِ : ١ً كتاب التوحيد وقد شرحهُ جماعة من العلماء بعده ٢ً كتاب فسَّر فيهِ آيات من القرآن واستنبط منها احكاماً كثيرة ، حتى انهُ ذكر في قصة موسى والخضر اكثر من مئة مسئلة . ٣ً كتاب كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفهُ والرد على المشركين . ٤ً كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ٥ً رسالة

في تفسير شهادة أن لا اله الاّ الله . ٦ً كتاب في تفسير الفاتحة . ٧ً رسالة في معرفة العبد ربهُ ودينهُ ونبيهُ . ٨ً رسالة في بيان التوجه في الصلاة . ٩ً رسالة في معنى الكلمة الطيبة . ١٠ رسالة في التقليد وانهُ جائز لا واجب . ١١ كتاب مفيد المستفيد . ١٢ كتاب اصول الايمان ١٣ كتاب الكبائر . ١٤ كتاب آداب المشي الى الصلاة وهو مختصر الاقناع . ١٥ كتاب مختصر الشرح الكبير . ١٦ كتاب مختصر الانصاف . ١٧ كتاب مختصر سيرة ابن هشام . ١٨ مختصر الهدى النبوي، للامام ابن القسيم . ١٩ مختصر الفتاوى المصرية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية . ٢٠ نبذة في معرفة الدين الذي معرفتهُ والعمل بهِ سبب لدخول الجنة واضاعتهُ والجهل بهِ سبب لدخول النار . ٢١ المسائل التي خالف فيها رسول الله (صلعم) اهل الجاهلية . وهي تزيد على مائة مسئلة وقد طبعت في الهند وقد شرحها الشيخ العلاّمة السيد محمود شكري افندي الآلوسي . وهنالك غير هذه المؤلفات والرسائل ما يطول شرحهُ وسرده . وكلها لا تخرج عن المواضيع الدينية . وانشاؤه سلس لا كلفة فيهِ ولا تعقد . الاّ ان النساخ قد حرفوا وصحفوا ألفاظاً يعرفها من له الاطلاع في العربية . — هذا ما أردنا ان نبينهُ بوجه الاختصار لكي يقف القاريء بعد ذلك على ما يكتب في هذا الصدد والسلام

(بغداد) سائـنـا

الخواتم

نشرنا فى الزهور (٢ : ٢٤٥) مقالة عن «التعليم الاجبارى فى مصر» لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة هند كريمة سعادة اسكندر عمون بك المحامى المشهور. ووعدنا حينئذ باتحاف القراء بشيء جديد من نفثات قلمها . وانه ليسرنا أن يكون من جملة محسنات «الزهور» فى سنتها الحاضرة سلسلة مقالات ستكتبها حضرتها فى موضوع لم تطرقه مجلاتنا من قبل على ما نعلم ، وهو تاريخ الحلى النسائية وعادات التحلى بها عند جميع الشعوب ولا ريب عندنا فى ان هذا البحث سيروق قراءنا كثيراً — وقارئاتنا على الاخص — لا سيما وان حضرة الكاتبة قد احاطت بالموضوع من جميع اطرافه ووفته حقه من التحري والتنقيب . وقد اختارت ان تفتح هذا الباب بمقالة عن «الخواتم» وهى اكثر الحلى شيوعاً :

الخاتَم والخاتِم نوع من انواع الحليّ الشرقية الأصل ، اشتقّ العرب اسمهُ من «خَتَمَ» ، لأنهُ كان يُستعمل للختم ، وكان العرب في جاهليتهم يتختمون لمجرَّد التحلّي ، ويصوغون خواتمهم من الذهب والفضة والشبه وغير ذلك من المعادن ويرصّعها امراؤهم بالحجارة الكريمة . وفي الحديث «التختم بالياقوت ينفي الفقر» اي انهُ اذا ذهب مال الرجل ، باع خاتمهُ فوجد فيهِ الغنى . وقال ابن الأثير : انهُ قد ينفي الفقر لخاصةٍ فيهِ . وقد نهى النبيّ عن التختم بالذهب . وفي الحديث انهُ نهى عن لبس الخاتم مطلقاً الاَّ لذي سلطان يحتاجهُ ليختم بهِ الكتب ، وكره له ان يلبسهُ للزّينة المحضة او لغير حاجة . وفي الحديث ايضاً انهُ جاءه رجل عليهِ خاتم شبَهٍ (١) فقال : ما لي اجد منك ريح الأصنام ؟ — لأنها كانت تتخذ من الشبه . وقال في خاتم الحديد : ما لي أرى عليك حلية اهل النار ؟ — لأنهُ كان من زي الكافرين

(١) برونز

اصحاب النار . وروي عن عمر بن عبد العزيز انهُ أتاه أن ابنهُ اشترى فَص خاتم بالف دينار ، فكتب اليهِ : عزمت عليك الاَّ ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع، واستعمل خاتماً من ورق[١] وانقش عليهِ « رحم الله امرءًا عرف نفسه»، ومما قاله ابن خلدون انَّ الخاتم من الخطوط السلطانية والوظائف الملكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام و بعده . وقد ثبت في الصحيحين ان النبيَّ اراد ان يكتب الى كسرى فقيل له ان العجم لايقبلون كتاباً الاَّ ان يكون مختوماً . فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيهِ « محمد رسول الله » . قال البخاري: جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر ، وختم بهِ وقال « لا ينقش أحد مثله » . قال وتختم بهِ أبو بكر وعُمر وعثمان . ثمَّ سقط من يد عثمان في بئر أريس ، فاغتم عثمان وتطيَّر منهُ وصنع آخر مثله . واقتدى الخلفاء في صدر الاسلام بالنبي فنقشوا على خواتمهم الحكم والآيات بعد ان كانوا لا ينقشون عليها سوى الاسماء

فنقش أبو بكر على خاتمـهِ « نعم القادر الله » وعمر « كفى بالموت واعظاً يا عمر » وعثمان « لتصبرنَّ او لتندمنَّ » وعليّ « الملك لله »

وفي الجدول التالي ما نقشهُ بعض الخلفاء على خواتمهم :

الخلفـــاء	ما نقش على خواتمهم
الوليد بن عبد الملك	يا وليد انك ميت ومحاسَب
سليمان بن عبد الملك	آمنت بالله مخلصاً
عمر بن عبد العزيز	الوفاء عزيز
يزيد بن عبد الملك	فنيَ الشباب يا يزيد
الوليد بن اليزيد	يا وليد احذر الموت
يزيد بن الوليد	يا يزيد قم بالحق

(١) فضة

ابرهيم بن الوليد	توكلت على الحيّ القيّوم
مروان بن محمد	اذكر الموت يا غافل
ابو العباس السفّاح	الله ثقة عبدالله
المنصور	عبدالله و بهِ يؤمن
المهدي	العزة لله
الهادي	بالله أثق
هرون الرشيد	كن من الله على حذر
الأمين	حسبي الله
المأمون	عبدالله يؤمن بالله مخلصاً
المعتصم بن هرون الرشيد	الحمد لله الذي ليس كمثله شيء
الواثق بالله	الله ثقة الواثق
المتوكل على الله	على الله توكلت
المنتصر بالله	على الله توكلت
المستعين بالله	استعنت بالله
المعتز بالله	استعنت بالله
المهتدي بالله	هداني الله
المعتمد على الله	اعتمادي على الله وهو حسبي
المعتضد على الله	أحمد يؤمن بالله الواحد
المكتفي بالله	المكتفي بالله
المقتدر بالله	العظمة لله
القاهر بالله	القاهر بالله
الراضي بالله	الراضي بالله

المتقي لله	ابراهيم بن المقتدر بالله يثق
المستكفي بالله	المستكفي بالله امير المؤمنين
المطيع لله	المطيع لله
الطائع لله	الطائع لله
القادر بالله	القادر بالله
القائم بأمر الله	العزة لله وحده
المقتدي بأمر الله	من توكل عليهِ كفاه
المستظهر بالله	ثقتي بالله وحده
المسترشد بالله	من توكل عليهِ كفاه
الراشد بالله	من آمن بالانتقال عمل للمآل
المقتفي لأمر الله	كن مِن الله على حذر تسلم
المستنجد بالله	من أحبَّ نفسه عمل لها
المستضيء بنور الله	من فكر في المآل عمل للانتقال
الناصر لدين الله	رجائي من الله عفوه
الظاهر بأمر الله	راقب العواقب
المستنصر بالله	العفو بك أولى

وكان الخلفاء من الصحابة يتختمون في اليد اليمنى ، فجعل ذلك معاوية بن أبي سفيان في اليسرى ؛ واخذ الأمويةُ في ذلك ، الى ان نقله السفاح العباسي الى اليمنى ، فبقي الى ايام الرشيد فأعادَهُ الى اليسرى ، واخذ الناس في ذلك

وفي كيفية نقش الخاتم والختم بهِ وجوه كثيرة : فمنهُ خاتم السلطان او الخليفة اي علامتهُ . قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفراً ويستبدل بهِ من الفضل أخيهِ : « اني اردت أن أحول الخاتم من يميني الى يساري فكنى له بالخاتم

عن الوزارة لمّا كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم . ثمّ صاروا في دول المغرب يعدونهُ من علامات الملك وشاراتهِ فيستجيدون صوغهُ من الذهب ، ويرصعونهُ بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ، ويلبسهُ السلطان شارة في عرفهم ، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية ، والمظلة في الدولة العُبيدية

ويروون ان الخواتم اربعة : الياقوت لارواء العطش ، والفيروزج للمال ، والعقيق للسنّة ، والحديد الصيني للحرز ، وقيل للخوف . ومن كلام المتأخرين : من تختم بالعقيق وقرأ لعمر بن العلاء ، وتفقه للشافعي ، وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل ظرفه . اما أقدم خاتم عربيّ فقد وجده الباحثون في ضواحي دمشق ، وعلى فصّه كتابة حميريّة ، ولا يبعد ان يكون من عهد الغساسنة الأول

الخواتم عند المصريين — الخواتم في مصر قديمة العهد جداً ، وأجملها ما عثر عليهِ في قبور الدولة الثامنة عشرة ، والدولة التاسعة عشرة ، والدولة العشرين . وكانت خواتم الملوك والامراء من الذهب الخالص ، وعليها في غالب الاحيان اسم صاحبها وألقابه محفورة بحروف هيروغليفية على فص مستطيل الشكل . وكانت خواتم العامة مصنوعة من مواد أقل قيمة من الذهب ، كالفضة والشَبَه والزجاج والخزف المطلي بطبقة من الزجاج الملون باكسيدات النحاس الواناً زاهية من الأصفر والأزرق . وكان على هذه الخواتم الخزفية كتابات هيروغليفية مطبوعة عليها قبل طبخها بالنار . وقد وجد في تلك القبور ايضاً خواتم مصنوعة من العاج والكهرباء والحجارة الصلدة ، كالجزع والعقيق . وكان بعض الخواتم في زمن السلالة الثامنة عشرة مرصعاً بفصوص من الجُعَل (الجعران) مركبة في حلقات من الذهب تدخل في ثقوبها فيتسنى لحاملها ان يديرها كيف يشاء .

وقد اتخذ المصريون الخاتم عندهم رمزاً للسلطان من قديم الزمان ، كما يظهر ذلك

من قصة يوسف الصديق . فان فرعون ألبسهُ خاتمهُ لما قلدهُ خطة الوزارة . وكان تزوير الختم عندهم جريمة من الجرائم الكبيرة التي تنصل النفس منها يوم المعاد . ومن الغريب ان اسم الخاتم بالمصرية مثل اسمهِ بالعربية

وفي المتحف المصري خواتم كثيرة منها خاتم من ذهب على فصهِ صورة طائر من الطيور التي كان يقدّسها المصريون . وقد وجد هذا الخاتم في ناووس من الرصاص وعليهِ من النقوش ما يدل على انهُ صنع في زمن البطالسة يوم امتزجت العقائد المصرية بالعقائد اليونانية (١) وقد آثر هذا الرأي ايضاً العلامة سايس . والغريب من أمر هذه الخواتم ان فتحاتها اهليليجية لا توافق استدارة الاصبع

الخواتم عند البابليين — لم يكن الخاتم معروفاً على ما يظهر عند قدماء البابليين ؛ فكانوا يتختمون باسطوانات من البلّور ، او غيره من الحجارة الصلدة في كلّ منها ثقب نافذ من الطرف الواحد الى الطرف الآخر كانوا يدخلون فيهِ سلكاً ويلبسون الاسطوانة في المعصم كالسوار . وقد اشار الكتاب المقدس في سفر نشيد الأناشيد الى ذلك بما نصّهُ : اجعلني كخاتم على قلبك ، كخاتم على ذراعك

الخواتم عند الفينيقيين والأشوريّين — كان الفينيقيون والأشوريّون كالمصريين ينقشون على خواتمهم صور اشخاص وحيوانات ورموز أخرى . ومهروا في ذلك حتى لم يفقهم المتأخرون وكثيراً ما كان الخاتم عند الفينيقيين مرصعاً بجعلٍ على أحد جانبيهِ اسم صاحبهِ وقد ركّب الجعل على محورٍ يدور بهِ من جانبٍ الى آخر

الخواتم عند العبرانيين — كان خاتم الختم عند العبرانيين ضرباً من كماليات الملبس وقد جاء في أخبارهم ان طوبال قايين كان أول من صاغها فاستعملها العبرانيون

(١) وفى المتحف المصرى ايضاً فى قاعة الحلى والجواهر القديمة نحو ٩٠ خاتماً فى صندوق عدد ٤ فنوجه انظار الزائرين الى هذه المجموعة الثمينة وخصوصاً فى الفئة عدد ٣٩٩ الى الخواتم ذات الاعداد الآتية ٣٩٦٩٥ و٣٩٦٩٩ و٥٢٣٦٥ و٥٣٣٦٥

رمزاً الى المقام والسلطان . وفي التوراة ان احشويرش ملك فارس أعطى خاتمهُ هامان الاجاجي لما فوّض اليهِ قتل اليهود ، ثمَّ استرده منهُ واعطاه مردخاي اليهودي . اما الاسرائيليات فكنَّ يلبسنَ خواتم كبيرة الفصوص للتحلي فقط . وقد رمز البعض من اليهود بالفتخة [١] الى دوام رباط الزيجة ، ولعلهم اقتبسوا ذلك من قدماء المصريين لأن الدائرة عند هؤلاء رمز الدوام

خاتم يوناني عليه جُعَل من الذهب غاية في الاتقان

الخواتم عند اليونانيين والرومانيين — لم يكن الخاتم معروفاً عند قدماء اليونانيين قبل زمن هوميروس . وكان أول عهدهم بهِ في القرن السادس قبل المسيح . ثم شاع استعماله عند نسائهم ورجالهم ، فكان يتحلى بهِ عظماؤهم كأرسطوطاليس وذيموسطنيس . وكانت أنواعهُ كثيرة أثمنها ما صنع من الذهب ورصّع بالحجارة الكريمة كالجزع والعقيق واليشب والجمشت ولا يزال كثيراً منها محفوظاً في دور العاديات الى يومنا

أما الرومانيون فلم يتختموا لمجرد الزينة كاليونانيين ، بل كان الخاتم عندهم رمزاً الى طبقة معلومة من الشعب ، أو الى منصب من المناصب . فكان خاتم الحديد رمز العبودية ؛ وخاتم الذهب رمز الشرف وعلو المرتبة . وكانت لهم في ذلك شرائع وقوانين لا يتعدونها فلا يتختم العبد بخاتم السيد ، ولا الأمير بخاتم العبد

وقد كان اول استعمال الرومانيين للخواتم أن الحكومة كانت تمنحها للشيوخ الذين ترسلهم سفراء الى الحكومات الاجنبية . ولما منحت هؤلاء حقّ التختم بتلك الخواتم في الاجتماعات الرسمية بعد استقالتهم من مناصبهم ، أخذ غيرهم من الاشراف في أوائل القرن الخامس يقتدي بهم . وما كان الاشراف عندئذٍ الاّ نفراً قليلاً

---

(١) الفتخة وتعرف في مصر بالدبله وفي الشام بالمحبس

من بيت تولى احد ابنائهِ كرسيّ القضاء العاجيـة [١] . وفي أوائل المئة السادسة أجازت الحكومة حمـله لأعضاء مجلس الشيوخ ، سواء كانوا من الاشراف او من عامة الناس . ولم يمضِ على ذلك زمن بعيد حتى أنعمت بهِ على بعض الفرسان من أنسبائهم ، وأكثرهم من الكتائب الست الأولى [٢] . ثم أذنت فيهِ شيئاً فشيئاً لفرسان الكتائب الأخرى . ثم لغيرهم من الفرسان

على ان التختم لم يكن عندئذٍ اجبارياً . والادلة على ذلك كثيرة منها امتناع ماريوس عن استبدال خاتمه الحديدي بخاتم من ذهب ، الى ان عُيّن للمرة الثانية والياً على رومة . وفي أواخر العهد الجمهوري خوَّلت الحكومة قوَّادها وولاتها حق الانعام بالخاتم على من يشاؤون ، فكانوا في أول الأمر يكافئون بهِ الابطال والعظماء الذين يظهرون بسالة عظيمة ، او يأتون خدمة جليلة ، ولكنهم ما لبثوا ان تطوَّحوا في السلطة المعطاة لهم ، ورأت الجمهورية ان تضع حداً لهذا الافراط فسنت لذلك قوانين جديدة لم تأتِ بفائدة تذكر . ثم قامت الامبراطورية فاعارت الأمر اهتماماً كبيراً ، ولجأت الى كل الوسائط لاصلاحه ، لكنهـا لم تفلح . وما زال التختم ينتشر في البلاد الى ان أمسى حقاً شرعياً لكل الفرسان الذين يملكون ار بعمائة ألف سسترس [٣] . وكان ذلك بأمر أغسطُس قيصر . ثم بعد سنوات قليلة أراد الاغنياء المحرَّرون ، وأصلهم من سفلة الشعب ، ان يضيفوا الرتب والالقـاب الى الثروة والسعة ، وأخذوا يسعون للحصول على بعضها كالتختم . فهاج الاشراف لهذه المطامع وخشي الامبراطور طيباريوس ان تحتدم نار العـداء بين طبقات الشعب ، فعجل

---

(١) انعام خاص تمنحه الحكومة لبعض قضاتها وهو الجلوس على كرسي من العاج Chaise Curule ويسمى هؤلاء القضاة بالقضاة العاجيين Magistrats Curuls نسبة اليها (٢) كان عند الرومانيين القدماء ١٨ كتيبة من الفرسان الاغنياء الاحرار والمظنون ان عدد فرسان الكتيبة مئة كما يدل عليه اسمها Centurie وهو مشتق من اللفظة اللاتينية Centium ومعناها مئة (٣) Sesterce يساوي $\frac{1}{٢٦}$ من الفرنك فيكون المبلغ ٤١٦ فرنكا و ٦٦ سنتيما

لتلافي الأمر ، واقتدى بهِ كل من كاوديوس ودومتيانوس وتريانوس . ولكنهم كانوا اول من خرق حرمة القوانين التي وضعوها لهذه الغاية فأنعموا بالخواتم على غير مستحقيها حباً منهم بالحصول على فوائد شخصية ، او رغبة في تنفيذ أغراض سياسية .

وفي أوائل المائة الثانية بعد المسيح ألغى الامبراطور ادريانوس كل القوانين التي وضعها سلفاؤه للتختم ، وأجازه قانونياً للعبد المحرَّر ، ثم جعله من شروط التحرير .

وفي زمن سبتيموس سيفيروس واورليانوس ، أصبح حمل الخاتم حقاً لكل عسكري ، فقيراً كان او غنياً ، فصار الخاتم الذهبي بطبيعــة الحال رمز الحرية فقط ، كما صار الخاتم الحديدي رمز العبودية وما كان تاريخ الواحد سوى عكس تاريخ الآخر .

ويقال ان الرومانيين اقتبسوا لبس الخواتم من الصابئيّن الذين كانوا يقيمون في الشمال الشرقي من رومة . وكانوا يحملون لمجرد التحلي خواتم مصنوعة من الفضة والعاج والكهرباء . ويتضح من تواريخ هوراس كونتليانس ويوفنال ان استعمال هذه الحلى لم يكن جائزاً الا لمن جاز لهم حمل الخواتم الذهبية . وقد غالى الرومان في اثمانها حتى بلغ ثمن الواحد من بعضها ستين ألف دينار وأسرفوا في حملها حتى كان بعضهم يلبس خاتماً او اكثر في كل اصبع

وكانوا في أول الأمر لا يتختمون الاّ في البنصر ثم أجازوا التختم في السَّبابة ففي الخنصر ففي الاصبعين الباقيتين . ومن الخواتم عندهم ما كان يحمل في الأعراس رمزاً الى عقد الزيجة ويلبسونهُ في السبابة

الخواتم الدينية — كان الأساقفة في صدر النصرانيـة يحملون الخواتم كسائر الناس ، وينقشون عليها الرموز والآيات كالصليب والسمكة والمرساة والحمامة والسفينة وغير ذلك . وكان بعضهم يحفر فيها اسم المسيح وصوَر الرُّسل وعبارات دينية مثل « عشْ بالله » وما شاكل . أما الخاتم الأسقفي فهو الذي كان يعطى المطرانَ عند سيامتهِ اشارةً الى اتحاده بالكنيسة . ولما انتخب غريغوريوس الرابع للسدَّة البابوية في سنة ٨٢٧ منع حمل الخاتم في اليد اليسرى لكيلا يتبادر للأذهان ان الأساقفة انما كانوا يفعلون ذلك تصديقاً لزعم الوثنيين انَّ شرياناً يمتد من بنصر اليد

اليسرى توًّا الى القلب . وأوجب حمله في اليمنى لأنها اليـد التي تمنح البركة . وكان الخاتم الاسقفي من الذهب الخالص وله فص من الجمشت او الياقوت الازرق



خاتم اسقفي من القرن الثالث عشر



ختم البطريرك الماروني منذ مئتي سنة

او الاحمر او الزمرّد غير محلّى بالنقوش . ثمَّ اجيز استعماله لرؤساء الديور على الاطلاق . أما الخاتم الكردينالي فكان فَصّه من الياقوت الازرق ومحفوراً عليهِ اسم البابا وشعاره . وكان البابا يحمل خاتماً عليهِ صورة القديس بطرس وهو جالسٌ في



قطعة من فتخة الخاتم نفسه



خاتم ذهبيّ من صنع القرن الخامس وجد في ازمير وقد نقشت عليه سبع صور في وسطها صورة السيد المسيح

قارب وطارح شبكته في البحر . وحول هذا النقش اسم البابا والى جانبهِ رقم روماني يشير الى منزلتهِ العدديّة بعد سلفائهِ الذين سبقوا فتسمّوا بنفس الاسم . فكان خلفاء بطرس الرسول يستعملونهُ لختم منشوراتهم بالشمع الأحمر . ثم اتخذوه بعد ذلك لدمغ لفافة الرقّ او لختم عصبتهِ . ولما كانت هذه الطوابع تتكسر عند فتح

المنشور صعبَ وجود أثرٍ سليم منها

الخواتم السحريّة – ما من امة في الارض الاّ وقد اعتقدت في جاهليتها بخواتم الجنّ والسَحَرة . ومن أشهر هذه الخواتم ، خاتم سليمان الحكيم ، وخاتم علاء الدين المشهور في احدى روايات الف ليلة وليلة وخاتم الراعي جيجس

خاتم سليمان [١] – كان سليمان اذا تمعن في فص خاتمهِ رأى كل ما شاء رؤيته ، واذا لمسهُ ازداد حكمةً فوق حكمة وقوةً فوق قوة . زعموا انهُ دخل يستحمُّ مرةً وقد ترك خاتمهُ في حجرةٍ محاذية ، ثمَّ تفقده فلم يجده . وكان أحد خدمه قد سرقهُ وطرحهُ في البحر . فاغتمَّ سليمان لذلك كثيراً ، وبلغ اليأس منهُ اشدَّه ، حتى لقد كره الملك . على انهُ ما لبث ان وجد ذلك الخاتم في جوف سمكة قدَّمت له مع طعامهِ ، فعادت اليهِ حكمته التي طبقّت شهرتها الخافقين . ولقد شاعت هذه الرواية شيوعاً عظيماً في العصور الوسطى ، واعتقد صحتهـا أهل الشرق والغرب الذين كانوا يميلون الى المستغربات ، ويؤمنون بالسحر والجنّ ، وينسبون الى نوابغ الرجال ، كهوميروس وفرجيل وسليمان ، قوة السحر ومعرفة الغيب . ومن المرجّح ان حكاية خاتم سليمان حديثة العهد فلا ترى لها ذكراً عند قدماء السلف ممن ذكروا سليمان في تآليفهم او تناقلوا احاديث الجن وعجائبه

خاتم علاء الدين – اعطاه اياه الساحر الافريقي الذي ادخله مغارة المصباح العجيب . والغريب من أمر هذا الخاتم انهُ كان اذا لُمس خرج مارد وانتصب وقال : لبّيك عبدك بين يديك

وكان هذا المارد يأتي بالآيات والمعجزات كسائر الجن والآلهة فلا يسأله صاحب الخاتم امراً الاّ استطاعهُ

خاتم جيجس [٢] – نقل شيشرون عن افلاطون ان السموات تصببت يوماً

---

(١) كان على فص خاتم سليمان صورة مثلثين يقال انهما كانا رمزاً لاسم الجلالة

(٢) وكان خاتم جيجس مصنوعاً من الزئبق المتجمد وفي قلبه حجر صغير حملته الجنّ من عش هدهدة

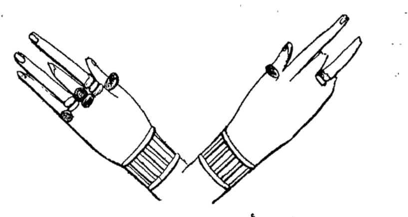
أنهراً وبحاراً ، وان الأرض زلزلت زلزالها ، فانشقت بمن عليها ، وزلّت بجيجيس القدم فسقط في الهاوية ، فوجد جواداً من النحاس الأصفر فيهِ جثة أحد الجبابرة متختماً بخاتم كبير الفص مستديره فاخذه ولما تختم بهِ اختفى عن العيان

وهنالك أيضاً خواتم اخرى من شأنهـا ان تقطع بحاملها مسافات كبيرة في وقت قصير أو تحوله الى حيوان أعجم . وتقسم الخواتم السحرية الى قسمين عامين: الخواتم التي تمنح صاحبهـا قوًى غير مألوفة ، والخواتم التي تقيده بقيود العبودية ؛ وفي ذلك وجه للشبه بين معنى الخواتم السحرية والخواتم التاريخية . ألم يقلد فرعون خاتمه يوسف لما استوزره ؟ ألم يلبس يوبيتير اسيره بروميتيه Prométhée خاتماً ليذكره بهِ كيف قيده وخذله على جبـال القوقاس ؟ وفي الخواتم السحرية أقوال وخرافات أخرى لا موضع لذكرها رغبة في الايجاز

الخواتم المجوَّفة — الخواتم المسمومة ذات الفصوص المجوَّفة قديمة العهد جدًّا . فمنها الخاتم الذي مصَّ هنيبال السمَّ منهُ بعد فشله في يوم «زاما» وخاتم ذيموستينس وحكايتهُ معروفة . وقد ذكر پلينيوس الروماني انهُ لما سرق قراسوس الكنز الذي كان تحت عرش يوبيتير في الكابيتول ، خاف الحارس شرَّ العاقبة ، فمصَّ سماً كان في خاتمهِ ومات لساعتهِ . وكان القتل بالخواتم المسمومة شائعاً في الأعصر الوسطى ، فكان للخاتم منها فصٌّ فيه إبرة مجوفة تتحرك بزنبلك وهي متصلة بنقرة وراء الفصّ مملوءة سُماً . فاذا أراد حامله قتل عدوّ له خدش يده بالابرة عند التسليم فتسرَّب اليهـا السمُّ . وفي روايةٍ انهُ لما تعذَّر على الزّباء النجاة من عمرو بن عدي مصَّت السمَّ من خاتمها وهي تقول : بيدي لا بيد عمرو

خواتم الزواج — لا يُعرف اول من اتخذ الخواتم رمزاً الى عقد الزيجة . ولكن من المؤكد ان العبرانيين استعملوها لذلك قبل النصرانية بزمن طويل . وكان الجرمانيون والفرنساويون في العصور الوسطى يتغالون في ثمن خاتم الزواج . ثم تغيرت الحال فاقتصروا على فتخة من الذهب . ولكن بقي التأنق عندهم وعند غيرهم من الامم في خاتم الخطبة الى يومنا هذا . وفي المتحف البريطاني خواتم قديمة من خواتم

الزواج بعضها ذهب و بعضها فضة او حديد او شبه او رصاص او نحاس او صفر او عاج او عظم . وعلى واحد من هذه الخواتم المصنوعة من عظم صورة قلب انسان، وهو من آثار سكان البحيرات في سويسرا ، وعلى آخر رسم يدين متصافحتين وهو مصري الاصل ، وعلى آخر من الحديد رسم يد قابضة على قلب وأصله روماني



رسم يدين من تمثال امرأة مصنوع من الخشب وجد على تابوت مومية في مصر وهو الآن في المتحف البريطاني

وفي القرن الرابع عشر للميلاد أشار أحد الايطاليين باختيــار فصوص خواتم الزيجة على حسب الشهر الذي ولدت فيه العروس . فلشهر كانون الثاني الحجر البجادي فيزيد تعلق أصدقائها بها ، ولشباط الجمشت فيقوي فيها الاخلاص ويقيها من السموم ومن النميمة ، ولأذار الياقوت فيعطيها الحكمة والطاقة على احتمال اتعاب بيتها ، ولنيسان اللازورد فيطهر قلبها ، ولأيار الزمرد فيسعدها ، ولحزيران اليشم فيحفظ صحتها ويقيها الجن والغيلان ، ولتموز الالماس فيقيها غيرة زوجها ، ولآب العقيق فيسعد اولادها ، ولأيلول اللؤلؤ فيمنع الخصام من بيتها ، ولتشرين الاول الزمرد المائي فيقوّي الحب ، ولتشرين الثاني الياقوت الاصفر فيجعلها مطيعة لزوجها ، ولكانون الاول الفيروز فانه حرز العفــة . وشاعت هذه الخرافة في اوروبا وعمل الناس بها . فكان الزوج في فرنسا يهدي الى عروسه اثني عشر خاتماً لكي تتختم بخاتم منها كل شهر . ولا يزال الجرمانيون يرصعون خاتم الخطبة بالفيروز وعندهم

ان المحبة تثبت مادام لونه ثابتاً . ومن عادات الانكليز أن يتبادلوا اهداء الخواتم في الاعراس . « فادورد كِلي » أهدى الى احدى خادماته يوم زواجها خواتم قيمتها اربعة آلاف ليرة انكليزية . والاورو بيون جميعهم يعتبرون خواتم الزيجة شديد الاعتبار . ومنهم من لا يحسبها ثابتة ما لم يكن فيها خاتم ذهب ، كالارلنديين مثلاً ، فالفقراء منهم يستأجرون خاتماً من أحد الصاغة لهذه الغاية . وعند بعضهم ان انكسار خاتم الزيجة يدل على قرب موت أحد الزوجين

واختلف الناس في الاصبع التي يلبس فيها خاتم الزيجة والشائع اليوم حمله في بنصر اليد اليمنى قبل الزواج ، وفي بنصر اليسرى بعده . ويقال ان سبب ذلك وجود وريد في هذه الاصبع يحمل الدم الى القلب رأساً . وورد في كتاب الطقوس الدينية الرومانية ان الكاهن يبارك الخاتم حين عقد الزيجة ويسأل الله ان يحلَّ عليهِ بروحهِ فتستنير لابستهُ بنور الهدى الالهي . ثمَّ يرجعهُ الى الزوج مشيراً بذلك الى انَّ الله قد ختم بهذا الحب على قلبهِ فلا ينفتح لحبٍ آخر ، فيصبح بين يدي الزوج رمز المحبة المتبادلة ، وضمانةً لارتباط قلبه بقلب عروسهِ ، ثمَّ يخرجهُ الزوج من اصبعهِ ويضعهُ في البنصر اليسرى من يد زوجتهِ . ثمَّ توسع بعضهم في معنى خاتم الزواج فرمز بهِ الى دوام الصداقة ، او الى دوام السلطان ، او الى دوام العهود ، وما شاكل ذلك . فكان ولا يزال بعض الانكليز يتبادلون الخواتم عندما يحلفون يمين الصداقة. وكان دوج البندقية يطرح في بحر الادرياتيك يوم خميس الصعود خاتماً ويقول : ايتها البحار اننا نتخذك زوجةً لنا اشارةً الى تسلطنا الدائم عليك

فالخاتم الذي اختلفت اشكاله ، وتنوعت رموزه ، وتعددت معانيه بحسب اختلاف الشعوب والأزمنة ، وتنوّع العادات وتعدّد الاغراض ، لا يزال الى يومنا أوفر الحلي حظاً ، واكثرها نفعاً ؛ يتختم بهِ الغنيُّ والفقير معاً وانما الفرق ان الأول يتخذه من الذهب محلًّى بالجواهر ، والثاني يكتفي بأن يلبسهُ من نحاس أصفر

هند اسكندر عموره

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

كان للقراء في السنة الماضية ولع كبير بهذه الرسائل اللطيفة التي ينشرها في « الزهور » حضرة الكاتب المجيد سليم افندي عبد الاحد . وقد نقل بعض الصحف والمجلات شيئاً منها مع اطراء صاحبها على حسن ديباجتها . وسيوالي حضرته في هذه السنة ايضاً اتحاف قرائنا بما يختاره من هذه الرسائل اللطيفة



سليم عبد الاحد

الرسالة السابعة

من الشاعر سونبرن الى سيبيل اشتن

(علق الشاعر سونبرن بحب فتاة قروية تسمى سيبيل اشتن ، قيل انها كانت ذات جمال يندر مثله بين النساء . وكانت في اول الامر تبغض سونبرن بغضة

شديدة ولا تطيق مرآه . ولكن مرور الايام حول بغضتها الى حب مبرح أسقمها وكاد يودى بحياتها . وكان أهل سونبرن يمانعون فى قرانه بها ، لانها كانت من أصل وضيع ، فسعوا جهدهم وأبعدوها عنه . ولكن الحبيبين ظلا يتراسلان نحواً من اربعة أعوام ، ويتعللان باللقاء . ثم انقطعا عن التراسل لسبب غير معروف . ولعل الزمان شفاهما من داء الحب ، او لعلهما يئسا من اللقاء . ولا يعلم ماذا وقع لسيبيل فيما بعد . قيل انها ماتت فى اثناء سياحة قامت بها أملاً بأن تنسى الماضي . وقيل انها تزوجت أحد قواد الجيش ، فلم تقم معه طويلاً حتى ماتت ، والله أعلم)

.... لا تعلمين كم اترقب ورود البريد بفروغ صبر . كلما قرب ميعاده ، يخفق فؤادي خشية ان لا يكون حاملاً اليَّ كلمة منك تعزيني في هذه الايام المظلمة . لماذا انت بعيدة يا سيبيل ؟ ولماذا تفصل بيننا فراسخ هذا عددها ؟ ان كان الله يحاول ان يفرق بيننا ، فقد اساء الينا بان جمع بيننا قبلاً . وان كانت الاقدار تداعبنا ، فالقلوب ارقُّ من ان تحتمل مداعبات الزمان

سيبيل يا معبودتي . اراكِ من خلال رسالتك الاخيرة حزينة كئيبة النفس . لعلي اسأت اليكِ بكلمة فرطت مني ؟ فهل لكِ ان تضميها الى سيآتي العديده التي قد سامحني عنها قلبك الطاهر ؟ كلما قابلتُ نفسي بك ، اراني مجموعة سيآت ، لا تشفع بها إلاَّ حسنة واحدة ، وهي انني احبك حباً يجعلني انظر اليك كما ينظر العابد الى معبوده ، بل ان حبي لكِ اسمى من العبادة يا سيبيل ، لان العبادة تخرج من الشفتين ، واما الحب فهو صادر عن القلب

غداً تنطوي صفحة أخرى من صفحات العمر ؛ غداً يتم لي خمسة

وعشرون ربيعاً من حياةٍ لولاكِ لكانت خمسة وعشرين شتاءً مظلماً . ولكنني منذ احببتكِ ، صرت ارى للحياة معنى جديداً . ولئن كان اهلي يعدّون عليَّ هذا الحبّ هفوة من هفوات الشباب ، فسلام الله على هفوات كلها حسنات ، وحبذا غرور انتِ مبعثه ايتها الساحرة المعبودة !

خمسة وعشرون ربيعاً يا « سيبيل » ؟ بل ثلاثة وعشرون شتاءً وربيعان . فلقد مرَّ على حبنا عامان ، كنّا في خلالهما عائشين في احلام هنيئة . ولسوف يأتي يومٌ يرى فيه العالم ان حبنا الذي يزعمونه هفوةً من هفوات الشباب ، انما هو السبيل الوحيد الى السعادة الخالدة . وما اطمع المحبين بتلك السعادة فانهم يرون الخلود قصير المدى لا يكفيهم للتمتع باحلام الغرام .

هل تذكرين ايامنا في « وندرمير » بقرب تلك البحيرة الهادئة ؟ سلام الله على تلك الايام يا سيبيل .. ان من التذكارات ما ينبض لها الفؤاد طرباً ، ويطفر لها الدمع سروراً . لقد كانت إقامتنا بقرب تلك البحيرة اشبه بحلم في إشراق النهار ، ما لبثنا ان استيقظنا منه ، فصاح بنا داعي الفراق . اذا افسح اللّه في ايامنا ، فسنحج الى « وندرمير » ونجلس على شواطئها الهادئة ، لانه اذا كان للبوذي نهره ، وللمسلم مكّتهُ ولليهودي اورشليمه ، فلماذا لا تكون تلك البحيرة كعبتنا المقدسة نزورها من آن الى آن ، ونتم عندها فروض الغرام ؟

دعيت البارحة للذهاب الى . . . فأبيت محتجاً باعذار باطلة . ولكن أختي علمت السبب ، وادركت ان رؤية ذلك الغدير وحدها كافية ان

تعيد اليّ التذكارات الماضية ، وتثير في نفسي عواطف كان اولى بها ان تظلّ دفينة في الفؤاد . مسكينة أختي ! . . . . هي تظن ان الغدير وحده يذكرني بكِ في هذه الحياة ، وفاتها ان خيالكِ مالئ كل فبكري ، وانني اتمثلكِ حاضرة في كل مكان ؛ فلا تشرق الشمس الاّ واتذكر محياكِ الجميل ، ولا تزقزق الطيور ، الاّ واخالني منصتاً الى صوتكِ الرخيم ، ولا اشاهد الازهار ، الاّ واتصورني انشق عبيركِ الفيَّاح . نعم انكِ تمثلين لي بسائر مشاهد الطبيعة ، لان رسمك مالئ فكري ، وشبحك مالئ الفضاء

عفواً يا سيبيل ! ان كان حبي ينشئ لكِ آلاماً ، فانني اسعى منذ الان لاطفاء جذوته المحرقة . وان كنتِ ترين السعادة لا تتفق مع حبك لي ، فلماذا لا تنزعينه من قلبك وتستريحين من آلامه ، وامامك مجال الشباب الواسع كلما قطعتِ منه مرحلة نسيتِ مواقف العهد القديم . لا تظني انني اشقى اذا رأيتك سعيدة مع غيري يا سيبيل . أ ليست سعادتي مستمدةً منك ؟ فكيف اشقى متى رأيتك تبتسمين ابتسامة السرور ؟ وكيف احزن اذا رايتك متمتعة باحلامٍ لا يجوز لغيرك ان يتمتع بها في هذا العالم ؟ وان كان يعوزك موتي لاكمال سعادتك ، فهوذا روحي بين يديكِ . ضعي لها حدًّا ، فاموت شبعاناً سعادة عند موطئ قدميك . ولكن . . . حسن ان يحب الانسان ، وأحسن من ذلك ان يكون محبوباً

ما اقصر الايام التي نعمنا بها يا سيبيل ! وما اطول فسحة هذا

الفراق . . . ! تلك ايام مرّت بنا مرّ السحاب ، وهذه ايام تمشي متثاقلة بنا الى القبر ، غير عابثةٍ بما تطيل من آلام وعذابات ؛ فلا تنطوي منها دقيقة ، الاّ وتنطوي معها انفاس . والابدية محبة لذاتها تضم الى سفرها من اعمارنا ايام السعادة ، وتبقي لنا ايام الشقآء . ولولا شعاع املٍ ضئيل يخترق حجب الظلام ، لكانت الحياة اعظم نقمة ينتقم بها الله من خليقة يديه

لا يا سيبيل ! بل الحياة كلها سعادة وهناء ، لانك انتِ فيها . ولولاكِ لكان العالم في نظري فراغاً ، وكل ما فيه ألغازاً واوهاماً . وكثير ما اتساءل : ترى لماذا لا يكون العالم كله سعيداً لوجودك فيه . ؟ ثم اثوب الى نفسي وأقول : بل يجب ان تكوني لي وحدي لا للعالم اجمع . لاننا اذا كنا كلانا سعيدين ، فما الذي يهمنا سعدَ العالم او شقيَ ؛ عُمّر الكون او خرب ، ثبتت الكائنات او زلزلت

لماذا تطلبين اليّ يا سيبيل ان احرق رسائلك ؟ أ إنجيل الغرام المنزل تُجعل آياته أكلاً للنار ؟ استغفر الله ايتها القاسية . ان رسائلك تبقى الى الابد في مأمن من عيون الرقبآء ؛ فليهدأ روعكِ وليطمئن بالك . واسلمي لمن لا ينساكِ مدى العمر

(بقلم سليم عبد الاحد) سونبرنه

في رياض الشعر

﴿ في عزّ مُلك الصّبي ﴾

نشرنا في الجزء الاخير من سنة « الزهور » الثانية ابياتاً لسعادة اسماعيل باشا صبري يعزّي بها سعادة السير يوسف سابا باشا ناظر المالية المصرية عن فقده ولده فريداً وهو في ربيع الحياة . وننشر اليوم ابياتاً في هذا المعنى لحضرة خليل افندي مطران الشاعر الشهير :

ما في الاسى من تفتّت الكبدِ ... مثلُ أسى والد على ولدِ
كم بطلٍ عاش وهو ذو صيَدٍ ... فردّه الثكل غير ذي صيدِ
اهونُ من رزئه عليهِ أذًى ... كفاح جيش او ملتقى اسدِ
سابا لك الله وهو ألطف من ... يأسو جريحاً وأنت ذو رشدِ
ان قلوباً محيطــة بك من ... كرامة ساهمتك في الكمدِ
لهفي على ذلك الحبيب ذوى ... منهصرَ الغصن لم ينل بيدِ
ماد نسيم به فمــات وفى ... معطفهِ رقة من الميَدِ
مات كنُضر الفروع يلزمها ... بعد الردى حسنها الى أمدِ
في جاه اوراقه وبين حلى ... أزهــاره من مبشر وندي
في عزّ ملك الصبى وحاشية ... من غر آماله بلا عددِ
في منتهى مجده وصولتــهِ ... اذ يقتل السعد لاهياً ويدي
ويصدم المكر غير ملتفت ... ويقحم الدهر غير مرتعدِ
ويترك اللوم حائراً وجلاً ... منعقداً في لسان منتقــدِ
يا راحلاً في الغداة عن نعم ... تترى وغن بسطة وعن رغد

وتاركاً رسمَه لفاقده مصوراً بالجراح فى الخلدِ
لا انكرت روحك التي أمنت ما فارقت من مخاوف الجسدِ

وبينما كان الشاعر ينظم هذه الابيات الرقيقة اذ استوقفت قلمهُ ألحان محزنة تصدح بها موسيقى كانت سائرة فى الطريق ، فاذا هو بجنازة تسير خلف طبل وبوق . فسأل عنها فقيل له انها جنازة المرحوم جبران زريق وقد مات فى العشرين من عمره . فأثر هذا الموكب الكئيب السائر على نغمات الموسيقى المفجعة فى نفس الشاعر وهو لا يعرف ذلك الفتى المتوفى فقال : « وهذا يأخذ حصتهُ في الطريق » وكتب فيهِ الابيات التالية :

مشهدٌ سُيّر فى طبلٍ وبوقِ عظةٌ جُنَّت فغنَّت فى الطريقِ
عِظة الموت وما عهدي بها ان تزفَّ النعش في تدليل سوقِ
لا ولا عهدي بهـا خاطبةً عن ثغورٍ من نحاسٍ وحلوقِ
ويح تلك القطع الصفراء فى صوتها حسٌّ جراحٍ وحروقِ
من ترى علمهـا ما مزجت من وجيفٍ وعويل ونعيقِ
ألقت الفجعـة فاستولت على كل سمعٍ وأجفّت كل ريقِ
تلك شكوًى عن فؤادٍ ثاكل صاخب الآلام رنّان الخفوقِ
يا أباً يبكي ابنهُ ملتمساً ذلك التنبيه للحس الصعيقِ
واضحٌ عذرك مهما تفتنن للعدوّ الصلب والخدن الرفيقِ
آه من نار الجوى فهي التي تفجر البركان من قلب رقيقِ
آه من صدع النوى فهو الذي يرسل الاحزان كالسيل الدفوقِ
أن تذيبوا هكذا اكبادنا يا بنينا فالردى أقسى العقوقِ

خليل مطران

لؤلؤ الدمع

لا تذكريني فانَّ الذكر يُرجع لي　　عاداتِ وجديَ فى ايامي الأولِ

وعالجيني بيأسٍ منكِ ينفعني　　البرء باليأس يُنسي السقمَ بالأملِ

طاب التجافي فلا تأساكِ قسمتهُ　　اذا مللتِ فما يُشكيكِ من مللي

لسائم الود امَّا يَنصرمْ بدلٌ　　منهُ وليسَ لراعي الودّ من بدلِ

دعي ليالِيَّ . اوطاني تطالبني　　بها فلا تشغلي نفسي بلا شغلِ

وكفكفي الدمعَ . هذا الدمع يفتنني　　أشجى الشكايات عندي أدمعُ المقلِ

هي اللآلئ تطفو في المحاجر لا　　تختار للسبحِ الا موضعَ الكحلِ

لو لم اكن شاعراً اصبحت حاسدها　　فلؤلؤ الدمع منهُ لؤلؤ الغزلِ

ولي الدين يكن

الخال

قلتُ لخالٍ بين حاجبيها　　انت الذي تلعبُ بالسيفينِ

فقال لا لكنني عنبرةٌ　　تمدُّ من دخانها قوسينِ

أصونُ بالبخورِ حسن وجهها　　خوفاً عليهِ من سهام العينِ

عبد الحميد الرافعى (١)

نفس الكريم

مهلاً أبا الفضلِ لا تجزعْ فقد وُجدت　　مكدراتُ الليالى للأساطينِ

(١) نشرنا فى الزهور (٢ : ٤٧٧) قصيدة السيد عبد الحميد بك الرافعى الشهيرة « سلوها لماذا غير السقم حالها » وقد تفضل حضرته على هذه المجلة ببعض قصائد غراء سننشرها تباعاً مبتدئين فى الجزء القادم بقصيدته التى يساجل بها شوقى بك ويقرظ قصيدته فى وصف هلال العام الجديد

ولا تقلْ عقَّني دهري فما خُلقت ... نفسُ الكريمِ لغير الصبرِ واللين
فإن تجدْ فى ودادِ الناس شائبة ... او فى حديثهم سمَّ الثعابين
فقل سلاماً ولا تبذلْ لهم عَبَثاً ... نصحاً فما النصحُ من عُرفِ المجانين

أتبره (السودان) محمد فاضل

﴿ ذات البرقع الأحمر ﴾

مرّت بنا في طريق النور نسألها ... جاءت من الارضِ أم جاءت من الافقِ
كأنها وقناع الوجه يحجبها ... شمسٌ تدلُّ عليها حمرةُ الشفقِ

امين البستانى

﴿ كيف كنا ﴾

ولقد كنا وما كنا سوى ... مثلما يستجمع العينين خَدّْ
أو جناحَي طائر روّعهُ ... شرك الصياد يوماً فشردْ

(البرق) بشاره عبد الله الخورى

﴿ كان معي ﴾

هل من فتى ينشد قلبي معي ... بين خدور العين بالاجرعِ
كان معي ثم دعاه الهوى ... فمرَّ بالحيّ ولم يرجعِ
فهل اذا ناديته باسمه ... يُفيق من سكرتهِ او يعي
فانتِ يا عصفورة المنحنى ... بالله غني طرباً واسجعي
وأنتِ يانسمة وادي الغضى ... مرّي بريّاكِ على مضجعي
وأنتِ يا عين اذا لم تفي ... بذمّة الدمع فلا تهجعي

محمود سامى البارودى

تربية الطفل

عرف قرّاء « الزهور » حضرة النطاسي الفاضل الدكتور محمد أفندي عبد الحميد مما نشرناه مراراً عن مؤلفاتهِ المفيدة فى الطب . وقد تفضل حضرته فوعد هذه المجلة بكتابة فصول طبية تهذيبية سننشرها على التمادي . وقد قصر مباحثه فى هذه السنة على موضوع العناية بالاطفال وهو موضوع لا تخفى فائدته على احد

صحة الام اثناء الحمل

على الام ان تعتني اعتناءً شديداً بصحتها اثناء الحمل . عليها ان تلاحظ ان الامعاء تنطلق يومياً وان تعمل حماماً دافئاً مرة كل يوم ، أو ثلاث مرات في الاسبوع على الاقل . ويجب أن يكون غذاؤها كافياً ومغذياً دون أن تخم معدتها بالاكل فوق الشبع . وعليها ان تمتنع عن المشروبات الروحية . ويجمل بها ان تستريح ساعةً على الاقل في كل مساء ولا بد لها من أن تتأنى في كل اعمالها ، فلا تُسرع فيها ، ولا تجهد نفسها . ويحسن أن لا تذهب الى الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالتياترات والمجتمعات العمومية . أمّا من الوجهة الادبية فيجب ان تكون هادئة الخاطر مطمئنة الضمير ، فتتحاشى كل ما يثير العواطف ويؤثر في الفؤاد . وبالاجمال يجب ان تكون معيشتها صحية ساكنة

التحضير للطفل

يمكن الحامل ان تشغل نفسها في أواخر ايام الحمل أي ، قبل الوضع

بشهرين أو أكثر ، بتحضير ملابس الطفل ومهده . ويستحسن تحضير هذه المعدات في الشهر السابع لاحتمال حصول الولادة قبل ميعادها المعروف . وعلى كل حال يلزم أن تكون هذه الاشياء جاهزة تماماً قبل ميعاد الولادة المنتظر بأسبوعين

واليك قائمة بالملابس اللازمة عادةً للطفل :

٤ لفافات قياس الواحدة ٥ × ٢٥ قيراطاً — ٦ صدريات من الصوف الرفيع مفتوحة من الامام وذات أكمام طويلة — ٤ دست (دزينات) فوَط او مناشف — ٦ مربعات فلانلا لتغطية الفوط — ٤ فلانلات طويلة — ٤ أزواج من الجزم الصوف — ٤ قطع من الفلانلا للرأس — ١ شال رفيع — ١ عباءة وطاقية للرأس — جاكتتان صغيرتان من الصوف

مهد الطفل

لا يستحسن استعمال الاراجيح لنوم الاطفال . وخير المهود ما كان متيناً ومصنوعاً من المعدن كالحديد أو النحاس ، ومرتفعاً عن الارض بقدر قدمين ونصف ويفضل أن يكون المهد خالياً من الزركشة لسهولة تنظيفه ولحاجة الطفل الى الهواء . وكل ما يلزم له كلّة (ناموسية من الشاش)

ويجب ان يحتوي المهد على الاشياء الآتية :

حصيرة للمهد — قطعة من الماكنتوش (المشمع) لوضعها في وسط المهد — ملاءة سفلى — وسادة — غطاء للوسادة — بطانيتان

رقيقتان . ويجب استبدال الملاءة السفلى بغيرها اذا ترطبت من البول او البراز

وصول الجنين

يربط الحبل السري ثم يقطع بعد نزول الجنين . فاذا حدث التنفس بعد الولادة مباشرة ، فيكون الطفل قد ابتدأ حياته الخارجية . وعلى المرضع ان تلفه بفلانلا دافئة ، وتضعه في مكان دافيء حيث يبقى الى ان تستعد لعمل حمام له ويجب تفقد الحبل السري والفم والعينين من وقت الى آخر

المولود الجديد

يصرخ الطفل عند ولادته مباشرة . ويلزم أن نعتبر صراخه هذا علامة صحية عادية . ويزن الطفل السليم الاعتيادي نحو سبعة أرطال مصرية ويبلغ طوله نحو العشرين قيراطاً وتكاد توازي حافات الاظافر أطراف الاصابع . ويوجد عادة بعض الشعر على الرأس ويكون جلده بلون أحمر مغطى بمادة شحمية يحسن ازاحتها بقدر الامكان بلطف بقطعة قديمة من القماش قبل الاستحمام

وليس الطفل في هذا الوقت بكامل العقل ليتدبّر حياتهُ فهي تتعلق بأمه أو مرضعه . فيجب عليها أن تفحصه حتى تتأكد من عدم وجود أي تشوه خلقي كالشفة الارنبية (الفلح) والشق الحنكي ، وعقدة اللسان ، وضخامة الرأس أو أي شيء آخر في الجسم أو الاطراف . وعليها ان تلاحظ

اذا كان يخرج من الجفون افراز بعد فتحها وان تتعهد التبرز والتبويل في وقتهما

غسيل الطفل

من البديهي انه يجب عند تحميم الطفل إقفال باب الغرفة والنوافذ والتحقق من عدم وجود أي تيار هوائي . ثمّ يملأ الحوض (أو الطشت) المعدّ لغسيل الطفل بالماء لارتفاع ٦ قراريط . ويجب ان تكون حرارة الماء معتدلة لا تتجاوز درجة ١٠٠ (بمقياس فارنهيت) واذا لم يكن هناك ترمومتر — مقياس الحرارة — فيكفي أن توضع اليد في الماء حتى اذا تحملت الحرارة بسهولة امكن استعمال الماء . وعلى المرضع ان تلبس فوطة من الماكنتوش ثم تلبس بعدها فوطة أخرى من القماش . ولتنتبه الى وضع كل ما ستحتاج اليه اثناء الغسيل في قربها لئلا تضطر الى ترك الطفل في الماء لاحضار ما يلزم . وبعد ذلك تجلس على كرسي منخفض وتضع فوطة ناعمة على حجرها تجعل عليها الطفل موجهة وجهه الى أعلى وتضع فوطة دافئة أخرى على جسم الطفل ورجليه وتتقدم الى غسل الطفل . ولهذا الغرض تغسل وجه الطفل أولاً وتنشفه بسرعة ثم تغسل بعد ذلك جسمه ورجليه بقطعة من القماش بالصابون وبعد اتمام هذا العمل تغمس الطفل في الماء الذي في الحوض حتى عنقه ويسند بوضع اليد اليسرى تحت العنق وذراع الطفل اليسرى وباليد اليمنى تغسل المرضع الرأس بالماء والصابون . ولا يلزم عادة غسيل الرأس لمدة ايام بعد المرة الاولى ولا يحسن

أن تستعمل أي زيت لاذابة المادة الشحمية التي على جسم الطفل لانها اذا لم تذب في الغسيل في المرة الاولى فهي لا شك ذائبة في المرة الثانية ولا بد من الاعتناء في غسيل الثنايا الجلدية لا سيما التي حول العنق . ويبقى الطفل دقيقتين أو ثلاثاً في الماء قبل اخراجه ولذلك تسند المرضع الطفل بوضع يدها اليسرى تحت العنق وتمسك باليد اليسرى رجليه وبعد اخراجه من الماء تضعه على الفوطة التي على ركبتيها جاعلة وجهه الى أسفل وتنشف بفوطة أخرى دافئة بكل سرعة وبكل لطف ورفق العنق والظهر والاطراف . ثم بعد ذلك تذر عليه قليلاً من المسحوق ويقلب الطفل بعد ذلك على ظهره بكل اعتناء وترفع الفوطة المبلولة التي على ركبتيها وتنشفه من الامام ويلزم تجفيف الجلد في كل اجزائه لا سيما حول العنق والاذن والابط والاربية ويذر على هذه الجهة أيضاً قليل من المسحوق ما عدا الوجه ثم توضع عليه الملابس

الدكتور محمد عبد الحميد
طبيب مستشفى قليوب

شيء عن الفن

نشرنا في الجزء الفائت من الزهور (٢ : ٥١٨) مقالة عن الفن بقلم حضرة الكاتبة الاديبة الفاضلة الآنسة « مي » فلما اطلعت عليها حضرة الفاضلة السيدة لبيبه هاشم تفضلت بالردّ الآتي :

رأى القارئ الكريم من مقالة الآنسة مي (شيء عن الفن) حسن تصوّر هذه الكاتبة وسمو نفسها الى اوج الجمال الفني . فهي تنظر من

سماء تخيلاتها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية والاكتشافات العلمية نظرة ازدراء واحتقار لانها لا تجد فيها ما يؤثر في روحها الشريفة ولا ترى في نتائجها المادية ما ينطبق على تصوراتها الشعرية البديعة . ولا غرو فالآنسة مي من الفتيات اللواتي قلما يسمح الدهر بامثالهن أدباً وذكاءً مع سعة اطلاع وحرية فكر. ولما كانت هذه منزلة صفاتها من الاحترام وكان أمر البحث في الفنون من المواضيع الجديرة بالاهتمام رأيت ان اعلق عليهِ كلمة أستأذن حضرتها بايرادها تمحيصاً للحقيقة التي هي غرض كل عاقل أديب

ذكرت الكاتبة ما لا جدل فيهِ من امتياز أهل العصور القديمة بالفنون الجميلة والآثار البديعة التي لا يرجى وجود نظير لها في العصر الحاضر ولا المستقبل . على ان ذلك لا يؤخذ حجة على دناءة الفكر العصري وتقصيره عن سلفه وانما هو دليل على ان ارتقاء الاقدمين كان محصوراً في بعض نوابغ انصرفت قرائحهم الى بعض الصنائع كالرسم والنقش والنظم وما شاكل ذلك من الفنون الجميلة . وهذا بالحقيقة لا يعد ارتقاءً لبعدهِ عن الفوائد العمومية المطلوبة في ترقية الاجتماع . وما دام الانسان منصرفاً الى هذه الوجهة الفنية مكتفياً بها عن سائر العلوم فمن المقرر انهُ يظل مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ . وعلى ذلك بنى رُسكن فلسفته ورأى المتأخرون رأيهُ فشرعوا بتعرف أسرار الطبيعة وروابطها وأحكامها واستخدموا ما فيها من القوى الكامنة لفائدتهم فقاوموا البحار بقوة البخار واستخدموا الكهرباء في دفع الامراض وتقصير

الشاسع من المسافات . وعلى الجملة فقد أتوا بأعمال عظيمة واختراعات مدهشة تدل على ان النبت الذي تكونت فيهِ أفكارهم ليس أقل فضلاً وجمالاً من نبت تكون فيه فكر الفيلسوف الرياضي اسحق نيوتن. فان هذا استنتج قاعدة الناموس الطبيعي اتفاقاً من وقوع تفاحة الى الارض ثم وقف عند هذا الحد . اما علماء الطبيعة فبنوا على هذا الناموس سائر العلوم الطبيعية التي بين ايدينا الآن واتصلوا بواسطتها الى اختراع الآلات المتنوعة والجهازات الغريبة التي تزعم حضرة الكاتبة انها دليل سقوط النفس البشرية من أوج الجمال الى هوة التجارة

ولعمري كيف نفضل بناء الاهرام ونحت المسلات على تلغراف ماركوني واشعة رنتجن في حين ان ذاك على عدم فائدتهِ ينطق بما كانت عليهِ الشعوب الغابرة من الذل والضغط واستعباد الكبير للصغير . اما التلغراف اللاسلكي فان أهميتهُ وفائدتهُ توازيان قوة الذكاء التي بذلت في سبيل اتمامهِ وهي لا يمكن ان تقل قيمة عن قوة ذكاء اصحاب الفنون الغابرين . ولا يعقل ان مجرد حب الكسب هو الذي دفع ماركوني لعمل اختراعهِ وانما هي دواعٍ كثيرة تجاذبتهُ بين النفع العام والرغبة في الشهرة والتلذذ باتمام عمل عظيم وهي نفس الاسباب التي دفعت برافائيل المصور الى قمة الكمال الفني

واني أرى رأي الآنسة مي من حيث جمال الفنون واجلال قدر أصحابها ولكني لا أرى فضلاً للمشتغلين فيها يميزهم عن غيرهم من المخترعين والعلماء العصريين اذ ان فضل المرء يكون على قدر عظمة أعماله واتقانها

لا فرق بين ان يكون ذلك العمل تمثالاً متقن الحفر او قصيدة بديعة النظم او حذاء محكم الصنع ما دام كل من هذه الاعمال يقتضي لاتمامه قوة عقل

واذا قسنا أعمال المتأخرين بآثار الاقدمين لا يسعنا الا المساواة بينها فيما تحتاج اليهِ من المقدرة العقلية لاتمامها وذلك يدل على ان مدارك النوابغ متساوية قوة في جميع العصور وانما هي تحول احياناً الى ما يوافق روح العصر ويقوم باحتياجات الاجتماع. واذا كان فضل الاعمال على قدر الفائدة الناجمة عنها كان في علوم العصريين وأعمالهم ما يزيد منزلتهم العقلية رفعة عن منزلة اسلافهم المتفننين بلا ريب

ان العقل البشري كحجر الرحى يدور دائماً على نفسه طالباً ما يعمله فاذا لم يكن له من العلوم ما يصقله ويوسع نطاقه ويديره على محور الاعمال المفيدة والاكتشافات المهمة التي تشترك منفعتها بينهُ وبين ابناء جنسهِ ظل بليداً وحيداً بافكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً في حين انهُ متى تحول فكره الى العلم اندفع بكليته الى خدمته والاستفادة منه صارفاً همهُ الى كل ما يجديهِ فائدة محسوسة من بحثهِ وجهاده . وفي هذه الحال فهو يأبى طبعاً ان يسير على خطة أجداده من تعشق الفنون وضياع العمر في سبيل اتقانها

ويكفي لاثبات فضل المحدثين ما بلغ اليهِ عصرهم من الارتقاء المدهش في الزمن الاخير . فانهُ ما اشرق فجر العلوم حتى استنار جو العقول والافهام فتحولت الابصار عن شفق الفنون السابح في ظلمات الخيال الى

شمس الحقائق المتلألئة في أفق العمل والنشاط فشمروا عن ساعد الجد وقطعوا مسافات شاسعة في النصف الثاني من القرن الاخير لم يكن يصدقها العقل لولا ما نراه من النتائج العظمى المترتبة على جهادهم الغريب

أما وهم قد بلغوا هذا الشأو من الكمال بجدهم ونشاطهم فهل يجوز بشرع ربة اللطف ان تصوّب فيهم نظر الاتهام والاحتقار بينما هم ينتظرون من يدها الجميلة اكاليل الغار ؟ لبيبه هاشم

في جنائن الغرب

نشرنا في اجزاء « الزهور » الماضية تحت هذا العنوان شيئاً كثيراً من خير ما يؤخذ من آداب الغربيين ، لان نقل افكارهم واساليبهم في التأليف لما يعود على لغتنا بالفائدة الكبرى . وسنظل فاتحين هذا الباب لنشر ما نختاره أو يختاره قراؤنا الكرام من غرر كتابات حملة الاقلام عند الافرنج

✻ الفرَس ✻

عنوان قصيدة فرنسوية مشهورة لناظمها Aug. Barbier أوغست بربيه (١٨٠٥ — ١٨٨٢) . وكلها تورية عن قبض نابوليون على زمام الاحكام واضطراره فرنسا الى شن الغارة على أوربا جمعاء مدة سنين طويلة ، كما سيرى القارىء . وبمناسبة مرور مئة عام على الحملة التي سار بها هذا الرجل الكبير على بلاد قياصرة الروس فاننا سننشر في العدد القادم رأي الفيلسوف تولستوي في نابوليون مترجماً بقلم أحد أدباء كتابنا . واليك الآن ترجمة القصيدة الفرنسوية المذكورة :

أيها القرسي[1] ! ما كان أجمل فرنسا تحت أشعة شمس مسيدور

(١) نسبة الى جزيرة La Corse مسقط رأس نابوليون بونابرت

العظيمة [١] ! كانت كالفرَس الجموح الشامس [٢] الذي لم يروّضه حديد اللجام ، ولم يكبح جماحه عسجد الزمام

كان متين الكفل ، آبداً ، مضرّج الحجول بدماء الملوك ، كان أبياً عتياً ، يقرع بساقيه المجدولتين ارضاً قديمة عرفت الحرية لاول مرة

لم تكن مرّت عليه قط يدُ بشرٍ لتسومه الضيم والاهانة ، ولم تكن خواصره الضامرة قد اطمأنت يوماً الى سرج الاجنبي

كان لمّاع الوبر ، برّاق العين ، مرتجّ الارداف ينتصب على رجليه فيرتجف العالم رهبةً من دوي صهيله

وحينئذٍ برزتَ الى العالم . ولما رأيتَ هيأته وخواصره اللينة أيها الفارس الكمي قبضت على ناصيتهِ وامتطيت صهوته

ولما كان هذا الفرَس ولوعاً بخوض الحروب، شغوفاً برائحة البارود وقرع الطبول ، جعلتَ له الارضَ مضماراً ، والمعامع تسليةً

وحينئذٍ لم يبقَ لهُ من الراحة حظ ، ولا من النوم نصيب ، بل هناك جريٌ مستديم ، وعَدْوٌ مستمر ، فيطأ دائماً ابداً اشلاء الرجال كما يطأ الثرى ، وهو مضرجٌ بالدماء حتى لبانهِ

خمسة عشر عاماً ظلّت سنابكه القاسية في جريه السريع تطحن الامم ، وهو مطلوق العنان مصعّد الانفاس يروح ويغدو على صدور الشعوب

(١) يشير الشاعر الى عظمة فرنسا اثر الثورة الكبيرة . و « مسيدور » هو اسم من الاسماء الاثني عشر التي كان رجال الثورة قد اطلقوها على اشهر السنة بدلاً من الاسماء القديمة . ومعنى « مسيدور » شهر الحصاد

(٢) شمس الفرس كان لا يمكن احداً من ظهره ولا من الاسراج والالجام

ثمَّ اعياهُ العدو دون بلوغ الغايةِ ، وانهكه الكرُّ دون طيّ الشقة ،
وملّ من عركِ العالم بأسره وإثارة ابناء البشر كما تثير الريح الغبار

فوقف ، وقد خارت قواه وكاد يكبو لكل خطوة ، وقف يسترحم
فارسه القرسي . . ولكنك أيها الظالم لم تعره الاّ أُذُناً صمّاء

بل زدتَ ضغط ساقيك على خاصرتيه . وقلّبتَ شكيمته في زَبَدِ
فكيهِ لتُخمد شكواه ، فحطمت نواجذه قهراً

نهض الفرس من عثرته ولكنه خارت قواه في احدى المعامع وعجز
عن قرض لجامه فسقط صريعاً على فراش من الرصاص وقد قصف
اضلاعك في تلك الكبوة　　　　　　عزيز مرزا

ثمرات المطابع

رباعيات عمر الخيام[1] — عمر الخيام شاعر يمثل روح عصره ككل
الشعراء وقد بات ما نظمه الغازاً لابناء القرون الحاضرة لانهم حاولوا فهمها
على غير الغرض الذي وضعت له

والعارفون به في الشرق نادرون وهم في الغرب كثار يكادون لا يعدون
نقلت رباعياته الى معظم اللغات الاوروبية ودوّن الناقدون عنها فصولاً
وألفوا كتباً وقام له اختصاصيون وقفوا أعمارهم على البحث في رباعياته
واغراضها وأصبح لاصحاب كل رأي فيه عصبية معروفة . فمعظم كتاب

(١) طبعتهُ مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها وثمنهُ عشرة قروش صاغ

الالمان يعتقدونه شاعراً صوفياً وكتاب الفرنسيس يرون فيه رجلاً يهوى الخمر والنساء كما يبدو من ظاهر أشعاره . اما الانجليز والاميركان فلا رأي خاص لهم فيه بل كل أقوالهم عنه تقليدية مأخوذة عن غيرهم من الامم واذا كان فتس جيرولد قد نقل رباعيات الخيام الى لغة الانجليز شعراً بشعر وأذاع صيته في تلك البلاد وحبب لبني السكسون شاعر الفرس العظيم فليس معناه أن الانجليز هم الذين عرّفوه الى العالم

على ان ابناء اللغة العربية لا يعرفون من عمر الخيام الا ما نقله اليهم الغرب من تآليفه ورباعياته . ولولا ما بذله الفرنج من المجهود في سبيل احياء هذا الشاعر ما وصل الينا خبر من اخباره حتى ان أدبيات الفرس التي نحن أحق الناس بمعرفتها وتقديرها قدرها لقرب اللغة الفارسية من اللغة العربية غابت عنا محاسنها ولا نجد منا من اطلع عليها بحيث يستطيع نقلها الى العربية

ولا شك أن نقل آداب لغة الى لغة أخرى يستلزم مواهب وصفات شتى منها الاقتدار الطبيعي في الناقل وتضلع حقيقي في اللغتين يمكنه من فهم أسرار اللغات وادراك روحها ادراكاً تاماً . ومنها صفات أخرى كسبية أوجدتها فيه ظروف الزمان والمكان بحيث تسهل عليه ترجمة العواطف والاحساسات على اختلافها وتباينها ترجمة صحيحة

فاذا لاحظنا كل هذه الاعتبارات ولاحظنا أيضاً أن رباعيات بن الخيام هي من اسمى ما جادت به قرائح البشر على عالم الأدب اعتقدنا ان ناقل هذه الرباعيات الى العربية وهو وديع افندي البستاني قد قام بعمل جليل وقدّم للعربية وابنائها خدمة لا تنسى . وسنبقي الكلام على مكانة

الترجمة في الادب العربي الى ما بعد الكلام على شعر الخيام نفسه

ان شعر الخيام من قبيل الشعر الليريقي أو الشعر الغنائي الذي يصور عواطف النفس ويرسم أميال الفؤاد . ورباعياته من هذا النوع أيضاً غير ان عددها لا يحويه الحصر اذ أن كثيراً من الرباعيات منسوب اليهِ فلا يمكننا والحالة هذه أن نقيدها بقيد ونضعها تحت قاعدة معينة . على أن الرباعيات التي استخرجها فتس جيرولد مما نسب الى عمر الخيام ، ان صدقاً وان كذباً ، واضاف الى روحها الفارسية تلك الروح القلبية لا يمكننا ان نجزم بأنها رباعيات الخيام نفسها لأن فتس جيرولد كان خياماً غربياً أي أنه لما كانت أمياله كلها مشابهة لأميال عمر الخيام الفارسي ، وكانت حياته شبيهة بحياة ذلك الشاعر ، وكان من جهة أخرى واسع الاطلاع على ادبيات الفرس ، أثرت على قلمه كل هذه المؤثرات فأخرج رباعياته خليطاً من روح الخيام ومن روح حافظ الشيرازي ومواهب السعدي

بيد أننا اذا رجعنا الى رباعيات الخيام التي ترجمها فتس جيرولد وغضضنا النظر عن بقية ما ترجمه المترجمون الآخرون من المان وفرنسيس يمكننا – وان كان في ذلك شيء من الصعوبة – ان نقسمها الى اقسام شتى كالحنين الى الماضي واليأس من المستقبل والحث على انتهاز الفرص وتتطلب الملاذ لساعتها أنى وجدت ، والسخرية من الحياة ، والحيرة في الوجود ، والزهد الناشئ عن العجز ، وامتداح الخمر ، والهزؤ بالاديان ، وذكرى الحبيب . وبالجملة فشعر الرباعيات كما قدمنا من نوع الشعر الليريقي الذي يعبر عما يجول في النفس لساعته بدون تقييد

هذا ما تيسر لنا من القول عن الخيام بمنتهى الايجاز . واما رأينا في تعريب وديع افندي البستاني فيحتوي بعض ملاحظات قليلة نرجو الصفح عنها من صديقنا المحبب الذي لا نشك في أن له من اسمه نصيباً وافراً اذ أن نقد الشيء فرع من تقديره وابداء الملاحظات على أمر من الامور معنى من احترامه . فأول ما نقوله عن هذه الترجمة ان المعرب خرج بالرباعيات عن شكلها الطبيعي فجعلها سباعيات والسباعيات ضرب من ضروب الشعر العربي كما أن الرباعيات ضرب من ضروب الشعر الفارسي وقد أدى هذا بصديقنا الوديع البستاني الى أن يقول في سبعة اسطر ما قاله الخيام في أربعة . ثم انه قسم الرباعيات الى نشيدين مقلداً في ذلك الطريقة اليونانية وبين الطريقتين الفارسية والاغريقية من التنافر مابينهما لان اليونان كانوا يقسمون قصائدهم الكبرى الى أناشيد وكل نشيد يبين حالة من أحوال النفس أو فصلاً من فصول القصة المروية كما هي الحال في الياذة هوميروس . ولكن شعر الخيام ان هو الا صرخات نفس متألمة حائرة لا نشيداً تجد فيه الحروب ولا الحياة ولا القوة . هذا من جهة الشكل أما من جهة الصياغة فان فيها مآخذ شتى اضطر اليها وديع بعامل التعريب الحرفي كقوله : واضطراراً قد جئت هذي الديارا — وسأضطر للرحيل اضطرارا — واختياري ان استطعت اختيارا

على أن له حسنات كثيرة وله أعذار اكثر فانه شاب لم يتألم وناقل عن لغة لم تكتب الرباعيات بها وكفاه فخراً أنهُ قام نحو الشعر الفارسي بما لم يقم بهِ فحول كتاب العربية من قبله وحبذا قوله في أول النشيد الثاني

أقبل الفجر بهجة يتلالى — فأدِرها تزري الصباح جمالا — واعتزل حلبة الفخار اعتزالا — والاماني خلّ والآمالا — وتأمل فروع هنـد الطوالا — واسمع العود واطّرح عنك هما — واصفُ واهنـأ بالكأس عيشاً و بالا

محمد لطفي جمعه

المحامي

كتاب في التربية [١] — لا تزال ادارة « الجامعة المصرية » دائبةً على توفير أسباب التعليم والتهذيب للناشئة الوطنية . وقد عهدت الى نخبة من أفاضل العلماء واعلام الادباء من وطنيين وأجانب بالقاء محاضراتٍ في مواضيع مختلفـة من اداب وعلوم وفنون واقتصاد الى غير ذلك من فروع المعارف الحديثة . وقد سرّنا انها وجهت عناية خاصة الى تهذيب الفتاة فأناطت ببعض السيدات القاء محاضرات في مواضيع نسائية لا غنى للمرأة الشرقية عنها حتى تجاري أختها الغربية في مضمار الترقي . وقد تولت القاء هذه المحاضرات في العام الماضي سيدةٌ من فضليات سيداتنا وكاتبة من أشهر كاتباتنا ، عنينا السيدة لبيبة هاشم صاحبة ومحررة مجلة « فتاة الشرق » المعروفة . وقد جعلت موضوع محاضراتها « التربية » وهو الامر الذي نحن في حاجة ماسة اليه . فتناولته من جميع أطرافه فتكلمت عن التربية الوالدية من حيث اعتناء الوالدين بالاولاد ، وعن التربية البدنيـة من حيث غذاء الاطفال ونظافتهم وملبوسهم وترويضهم ؛ وعن التربية

(١) مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ويطلب من مكتبتها ومن ادارة مجلة فتاة الشرق وثمنه ٦ قروش صاغ

الادبية من حيث تقويم الاخلاق وارهاف القوى العقليـة الخ وخصت بكلامها الفتاة من حيث تعليمها تدبير المنزل وادب المعاشرة وإعدادها لتكون أماً صالحة -- وقد كنا إبان القاء هذه المحاضرات نتمنى ان يكثر عدد السيدات اللواتي يقبلن على سماع هذه المواضيع . ولكن السيدة لبيبة



لبيبه هاشم

قد عممت فائدة هذه المحاضرات بجمعها وطبعها على حدة فبات بوسع الجميع اقتناؤها ومطالعتها . فنشكر لصاحبة « فتاة الشرق » هذه الخدمة الجديدة التي اضافتها الى مآثرها الجليلة في سبيل الادب

الانسانيّة والتمدّن [١] — قال ابن المقفّع : « من حاول الأمور احتاج

(١) طبع في مطبعة المعارف بمصر ويطلب من مكتبتها وثمنه عشرون قرشاً صاغاً

فيها الى ستّ : العلم ، والتوفيق ، والفرصة ، والاعوان ، والأدب ، والاجتهاد . وهنّ أزواج : فالرأي والأدب زوج . لا يكمل الرأي بغير الأدب ، ولا يكمل الأدب الاّ بالرأي ؛ والاعوان والفرصة زوج . لا ينفع الاعوان الاّ عند الفرصة ، ولا تتم الفرصة الاّ بحضور الاعوان ؛ والتوفيق والاجتهاد زوج . فالاجتهاد سبب التوفيق ، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد »

هذه الستُّ قد اجتمعت لحضرة الوجيه الفاضل عزتلو جرجس بك انطون أحد أفاضل موظفي الحكومة المصرية فاخرج للناس كتاب « الانسانية والتمدن » وفيه الادلة الناصعة على العلم والادب والاجتهاد عنينا الصفات التي كانت أعواناً لحضرته فلزمتهُ في المباحث التي تحدّاها في هذا المؤلف المفيد . اما الفرصة فلعلهُ كان يسترقها من أوقات فراغهِ وساعات استراحتهِ من عناء الاعمال والواجبات الرسمية . وفي ذلك أبلغ برهان على الفضل . وكأنّ جرجس بك لم يكتفِ بالفائدة التي أرادها للناس من كتابة « الانسانية والتمدن » فزاد عليها فائدةً لا تقل قيمةً عن تلك ، فوقف ثمن الكتاب على الاعمال الخيرية واعانة البائسين . فكان في هذا العمل المجيد تطبيق محكم لاسم الكتاب ومباحثهِ على المغزى الذي رمى اليه واستفاده القراء منه . وانّ خير الاقوال ما اقترن بالافعال . جزى الله حضرة المؤلف الاديب بما يجزي به العاقل الفاضل

تاريخ آداب العرب — قام في مصر في السنوات العشر الاخيرة شاعر بليغ أجاد في اكثر المواضيع التي طرقها وكان لهُ المقام الرفيع بين شعراء العصر ، فأخذ ينشر عاماً بعد عام ما يجتمع لديه من منظومه ، وكان

الناس يقبلون على تلك المجموعات ويثنون على صاحبها الثناء الطيب . ثمَّ سكت ذلك الشاعر منذ اكثر من سنتين فلم نسمع له صوتاً ، ولا قرأنا له شعراً الاّ في ما ندر . وطال هذا السكوت حتى كان الشهر الماضي فاذا نحن وبين أيدينا الجزء الاوّل من كتابٍ جليل الفائدة ، عظيم النفع فقلنا لقد صدقت الحكمة القائلة : « اذا كان الكلام من فضةٍ فالسكوت من ذهب »

ذلك الشاعر هو ابو السامي مصطفى صادق الرافعي ، وهذا الكتاب هو « تاريخ آداب العرَب »

قال المؤلف في الكلام على نمط الكتاب وأبوابه : « وقد جعلنا أبوابه اثني عشر باباً تنطوي على جملة المأثور ، ويدور عليها التاريخ كما تدور السنة على عدة الشهور وهذه سياقتها بعد فصلين من التمهيد في تاريخ الادب ، وأصل العرب :

الباب الاوَّل : في تاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك

الباب الثاني : في تاريخ الرواية ومشاهير الرواة

الباب الثالث : في منزلة القرآن الكريم من اللغة واعجازه وتاريخه ، وفي البلاغة النبويَّة ونسق الاعجاز فيها

الباب الرابع : في تاريخ الخطابة والامثال جاهليةً واسلاماً

الباب الخامس: في تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منهُ

الباب السادس: في حقائق القصائد المعلقات ودرس شعرائها

الباب السابع : في أطوار الادب العربي وتقلّب العصور بهِ وتاريخ أدب الاندلس الى سقوطها ومصرع العربية فيها

الباب الثامن : في تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها ورؤساء الكتاب

الباب التاسع : في حركة العقل العربي وتاريخ العلوم وأصناف الآداب جاهليةً واسلاماً

الباب العاشر : في التأليف وتاريخه عند العرب ونوادر الكتب العربية

الباب الحادي عشر : في الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون

الباب الثاني عشر : في الطبقات وشيء من الموازنات »

فأنت ترى أن الرافعي قد ألمَّ بتاريخ الادب من جميع أطرافه وتناول البحث فيهِ من كل جهاته . فكتابهُ ، وهو الكتاب الثاني المطوَّل الذي ظهر الى اليوم في هذا الموضوع [1] ، مشبع للادباء ووافٍ بالغرض المقصود منه . ولقد كتب الينا احد أفاضل الادباء يسألنا أن نفسح لهُ في « الزهور » مجالاً لنقد هذا الجزء الاوَّل على ان يكون انتقاده مظهراً لحسنات الكتاب وسيئاته معاً ، اذا كان هنالك سيئات . فرغبنا اليهِ في ذلك ولعله يمكّننا من نشر مقالهِ في الجزء التالي من هذه المجلة . لذلك نحن نكتفي الآن بكلمة الثناء نوجهها الى أبي السامي الفاضل ونتمنى أن ينشط كبار الكتاب والشعراء الى مثل عمله المجيد حتى يكون فضلهم للناس أظهر ، وشكرهم علينا أحقّ

الأدب الصغير [2] — لعبدالله بن المقفَّع فضل عظيم لا ينكرهُ أديب من أدباء العربية فهو أستاذ الكتاب والمنشئين في سلامة تعابيره ، وجمال

(١) نريد « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان　(٢) طبع في مطبعة جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية ويطلب من جميع المكاتب

أسلوبه حتى لقد أطلق علماء الادب على انشائهِ صفة السهل الممتنع ، وما برح كتابه « كليلة ودمنة » الى يومنا هذا رفيق المتأدبين . وأخرج اليوم سعادة الاستاذ العالم احمد زكي باشا كاتب مجلس النظار كتاباً آخر لذلك المنشئ النابغة هو « الادب الصغير » فعرفت فضله نظارة المعارف العمومية فقررتهُ لمدارسها الابتدائية ونعم ما فعلت . أما الكتاب فيكفي في تقريظه أن يكون كاتبه عبد الله بن المقفع ، وناشره والواقف على طبعه احمد زكي

ازهار واشواك

عمر النساء

عمر النساء من المسائل الحسابية العسرة الحل ، فقد تبوح المرأة بكل شيء الا بعمرها الحقيقي . وقد جرت لي حكاية من هذا القبيل لا اتمالك عن سردها ولو جرَّت عليّ سخط بعض القارئات : كنتُ منذ ايام في احد مجالس السمر ، وكان فيمن حضر اربع سيدات يتفاوتن في السن تفاوتاً كبيراً ، فأولاهن في الثمانين من العمر ، والثانية في الستين ، والثالثة في الاربعين ؛ وكان مع هذه ابنةُ اختٍ لها في ربيعها الحادي والعشرين . جلستُ الى الفتاة أجاذبها اطراف الحديث ، واذا بها تقول لي : « ما قولك بخالتي ؟ فهي تحاول ، وقد جاوزت حدّ الاربعين ، ان تجلس على عرش الجمال . » فقلت : « عبثاً تحاول ، فقد تربعتِ على هـذا العرش دون سواكِ » ثمَّ دنوت من الخالة احدّثها ، فابتدرتني بالسؤال : « الآ بربك قلْ

لي ما رأيك في هذه السيدة التي أربى عمرها على الستين وهي لا تزال تقضي كلّ يوم ساعةً من الزمن أمام مرآتها ؟ » فقلت : « تضيع الوقت سدًى ، فأنّى للمرآة توليها ما اولتك الطبيعة من الرونق ؟ » وبعد برهةٍ كنتُ الى جانب « ابنة الستين » فسرعان ما قالت لي : « انظر الى هذه العجوز الدرديبس فهي تحاول بطلاء وجهها ان تمحو آثار الثمانين عاماً التي تثقل كاهلها » فاجبت « هذا خَرَف الشيوخة » قلتُ هذا وبقيتُ مدةً أُفكّر . ثمّ عزمت على إعادة طوافي مبتدئاً هذه المرة من الكبرى الى الصغرى . فجلستُ بقرب « الثمانين سنة » وقلت لها : « ان هيأتك يا سيدتي اشبه شيء بهيأة السيدة التي كنتُ احدثها الآن ، فكأنكما أختان ولدتا في سنة واحدة » فتبسمت وقالت : « أنت مصيب فقد ولدنا في عام واحد » تركتها وعدتُ الى الستين سنة » فقلت « تراهنت واحد اصحابي على انكِ وهذه السيدة (وأشرتُ الى ابنة الاربعين) قد ولدتما في شهر واحد في سنة واحدة» فأمالت رأسها إمالة الاثبات الشديد وقالت « وأظن في اسبوع واحد » انتقلتُ بعدئذٍ الى جنب ابنة الاربعين فقلت : « لاريب في انك مازحة بقولك ان هذه الفتاة ابنة شقيقتكِ ، فان الناظر اليكما يظنكما توأمين » فأجابت « لا. هي بالحقيقة ابنة أختي ، لكنّ أمها أختي كانت تكبرني بخمسة وعشرين عاماً ، وقد اخبرتني اني ولدتُ وابنتها هذه في عام واحد . . . » تقول ابنة الثمانين انها ولدت في سنة ولادة ابنة الستين ، وهذه ولدت في السنة التي ولدت فيها ابنة الاربعين . وهذه ولدت وابنة العشرين في عام واحد . فتكون العجوز

الثمانينية — على هذا الزعم — من سنّ الفتاة ابنة العشرين . . . . ؟
آه من عمر النساء . . . !

تمثال « مويّار »

لا يزال الانسان يغالب عناصر الطبيعة ، فيتغلب عليها ؛ ويسترق اسرارها ونواميسها ، فيستخدم قواها لزيادة قوته ، او لتوفير اسباب رفاهيته . فتوحاتٌ وانتصاراتٌ احرزها وهي ابهى واشرف من انتصاراته في ميادين القتال . وآخر فتح تمّ له من هذا القبيل ، تذليله الهواء ، واتخاذه اياه مطية سهلة المقاد . فصار يسافر هواءً كما كان يسافر برًّا او بحراً ، فدانت له الطبيعة باسرها . على ان هذا الفتح لم يتم له دون تضحية العدد الكبير من الابطال . نخص منهم اليوم بالذكر المهندس الفرنسوي « مويار » الذي رفعت له شركة « مصر الجديدة » تمثالاً في ارضها ، وجمعت الوجهاء والادباء حوله في الشهر الغابر ليحتفلوا بذكره . هكذا يكرم الغربيون نوابغهم . . . وقد اراد علاّمتنا زكي باشا ان يكون لنوابغ الشرق نصيبهم من هذا الاكرام ، فأبان في خطبةٍ ملؤها التنقيب والبحث ان اثنين من العرب — وهما الجوهري وعباس بن فرناس — قد حاولا الطيران قبل سواهما . وقد اعترفت بذلك لجنة الاحتفال ، فنقشت الابيات الآتية على قاعدة التمثال وهي لحافظ ابراهيم :

إن يركبِ الغربُ متنَ الريح مبتدعاً ما قصّرتْ عن مداه حيلةُ الناسِ
فانّ للشرق فضلَ السبق نعرفه للجوهريِّ وعباس بن فرناس
قد مهّدا سُبُلاً للناس تسلكها الى السماء بفضل العلم والباسِ

خصت مصر « مويار » دون سواه من ابطال الطيران لترفع له تمثالاً تحت سمائهـا ، لان « مويّار » الافرنسي المولد ، عاش ومات في مصر . وفي مصر كان يشتغل لتحقيق مسألة الطيران ، فوضع قواعد هذا الفن كما هي معروفة اليوم ؛ ولكنّ ضيق ذات يده حال دون ابراز فكرته الى حيز العمل ، فعاش فقيراً ومات فقيراً . وقام بعده علماء آخرون فعملوا بالمبادي الميكانيكية التي وضعها ، فتمكنوا من امتلاك ناصية الهواء ومجاراة الطير في مضمار السماء . مات « مويّار » فقيراً كما عاش ولكنـه أغنى ابناء جنسه باختراعه العجيب ؛ فكان شأنه شأن معظم كبار المخترعين والمكتشفين كغاليله وكولمبس ، فهم لا يحيون ولا يمجّدون الاّ بعد موتهم . . . خمسة عشر عاماً مرّت على وفاة هذا المخترِع . فأدرك العالم سموَّ مداركه ؛ وقام اليوم يجود بتماثيل البرونز والرخام ، على من حُرِم في حياته ما يسدُّ به الرمق . فما اعجب مغالطات بني البشر . ويا ما احدّ سهام اللوم التي صوّبها اليهم حكيمنا شبلي شميل اذ قال :

مُيّار انك قد قضيت ككل من ... نفع البريــة وهو قد نال الضررْ

قد عشتَ بين الناس أوحـد بائساً ... والعقل مقتدرٌ وفي الايدي قِصرْ

هم ضيَّقوا الدنيا عليك وانت في ... فتح السماء لهم تحلّق في الفكرْ

ضنّوا عليـك وانت حيٌّ بينهم ... وتسابقوا للميت في نثر الدررْ

جهلوك حتى اوقعوا بك ريبــةً ... وتفاخروا بك بعد موتك عن أشرْ

لو انهم نفعوك يوم خدمتهم ... لوفوك حقــاً غير حق منتظرْ

أو أنهم فهموك يوم هـديتهم ... عزّاك علمـك انهم حقاً بشرْ

يستمسك الانسان بالبالي فان ... عنـه تزحزحه تجـده قد نفرْ

مـا فضلك المغنيّ وهو به الغنى　　بل جهلهم يعنون في هـذا الأثرْ

سهم نافذ . . . ! ولكن الخلف الذي يعوّض عن السلف باعلان فضل من غمط فضله يستحقّ قسطه من الثناء　　ماصر

لمن هذا الشعر . . . ؟

وقعنا على الابيات التالية وهي لشاعر كبير من شعراء اليوم الذين عرفهم قراء « الزهور » فاذا بهـا تنم كثيراً عن شاعرها . فرأينا أن ننشرها غفلاً من التوقيع تاركين لفراسة القراء أن يعرفوا اسم الشاعر . ومن عرفه وكتب الينا اسمه في خلال شهر بعد صدور هذا الجزء جعلنا لهُ جائزة كتاباً أدبياً من أفضل الكتب التي ظهرت حديثاً وعليه توقيع الشاعر بخط يده

نظرت اليهـا نظرة فتأثرت　　وبان على الخدين من نظرتي أثَرْ

ولما تراءى الوجد بيني و بينهـا　　مددت له ستراً من الرأي فاستترْ

وقد كدت أنسى كبرتي فادكرتها　　وراجعت نفسي أن يراجعها الصغرْ

تضن بها النعمى وتبذلهـا المنى　　وتنأى بها السلوى وتدنو بها الفكَرْ

فيجذبني وجدي وتدفعني النهى　　وينهضني شوقي و يقعدني الكبر

أرى في ديارات الأحبـة أوجهاً　　فأطلب اغضاءً فيسبقني النظر

يلمُّ بهـا يشتار منهـا محاسناً　　كذا النحل يشتار العسول من الزهر

وكم ليَ في الالحاظ سرًّا مكتماً　　ينمُّ عليه آثنان شعريَ والحوَر

مضى زمن اللهو الذي لست ساخطاً　　على ما مضى منهُ وذا زمن العبر

فأسكتني ما أسكت الورق في الدجا　　وأنطقني ما أنطق الورق في السحر

كلانا له ان ردد النوحَ سامعٌ　　فتسمعني كتبي و يسمعها الشجر

تمنت قلوب ان أكون دخلتها　　ولاغرو لكن آفة الورد في الصدَرْ

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني　　ابريل (نيسان) ١٩١٢　　السنة الثالثة

الكهانة

اذا كان سعادة اسكندر عمون بك من مشاهير رجال القانون فهو ايضاً من كبار الكتاب العارفين آداب اللغة كل المعرفة . واذا كان اشتغالهُ بالقضاء فالمحاماة قد صرفهُ عن معالجة المواضيع الكتابية ، فان له في عهده الأول آثاراً ادبية تدل على تمكنهِ من صناعتي النظم والنثر . ولقد ظفرنا ببعض تلك الآثار وسننشرها بادئين بالفصل التالي وقد كتبهُ حضرته منذ نحوٍ من خمسٍ وعشرين سنة وهو مقتبس من موادٍ كثيرة كان سعادته قد اعتنى بجمعها واعدادها لوضع كتابٍ مطوّل في تاريخ العرب قبل الاسلام :

الكَهانة في اللغة القضآء بالغيب . والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الاسرار . وقد اختلف العلماء في وجه سبب الكهانة ؛ فنهم من قال ان نفس الانسان اذا صفت وتغلّبت على الجسم ، اطلعت على أسرار الطبيعة . ولذلك كان اكثر الكهّان معتلّي الاجسام ، بتغلب النفس فيهم على المادة ، كما اتصل بنا عن « شقٍّ » و « سطيحٍ » و « عمرانَ » وغيرهم من الكهان المشهورين .

ومنهم من قال : انّ وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكيّ ؛ ولعلّ ذلك خاص بالمنجمين دون غيرهم من الكهان . ومنهم من قال : ان للكاهن تابعاً من الجنّ ، ورئياً يلقي اليهِ الاخبار . وهو القول المشهور عندهم ، المعتمد في الاسلام . وقد جاءَ في صحيح البخاري عن النبي : أن الملائكة تحدث في العِنان (أي الغمام) بالأمر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أُذُن الكاهن ، كما تقرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة . وقال الله في كتابه : يوحي بعضهم الى بعض زخرفَ القول غروراً . وقال : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم (الآية) . وقال الازهري : كانت الكهانة في العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ؛ فلما بُعِثَ نبياً وحرست السماء بالشهب ، ومُنعت الجن والشياطين من استراق السمع والقائهِ الى الكهان ، بطل علم الكهانة . وقال الله في كتابه : وانّا لمسنا السماءَ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً

وكان للكهانة في الجاهلية شأنٌ عظيم لشدة اعتقاد القوم بها . فكان الواحد منهم اذا ضلّت له ضالة ، أو سرِق له شيءٌ ، أو همَّ بأمرٍ ذي بال أو أُصيب أحد من أهله بمرضٍ ، يذهب الى الكاهن فيستطلع منهُ ما يحبُّ الوقوف عليهِ من مكان الضالة ، أو محل السرقة ، أو مآل الامر ، أو دواء المريض . وكانوا يقصدون الكهان بنوع أخصّ لأجل تفسير الاحلام المؤثرة ، لأنهم كانوا يعتقدون انها نبأ روحاني عما سيقع لهم من الأمور الخطيرة في مستقبل الزمان . وكانوا يحترمون أقوال الكهان فيما يسألونهم عنه ، فلا يخالفون لهم رأياً . وكان الكهان يتوخون السجع

في كلامهم ، لانهُ أوقع في النفوس ، فيستصغون الى أقوالهم الاسماع ، ويستميلون بها القلوب . . . أقول : وربما كان الغرض الاول من التزام السجع ترك الكلام مبهماً غامضاً ، لانَّ المتكلم اذا التزم في كلامهِ قافيةً ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، يباح له من الإبهام في أقواله ما لا يباح لغيره . وكل متكهن محتاجٌ الى ذلك الابهام

وقد اشتهر في الجاهلية عدد من الكهان ، أكثرهم في بلاد اليمن . فكان العرب يقصدونهم من أطراف البلاد لاستطلاع الغيب منهم في الأمور العظام ، غير معتمدين في ذلك على الكهان الذين بين ظهرانيهم . ثمَّ اذا صدَّقت الحوادث شيئاً من ظنونهم ، وصحَّ شيءٌ من أقوالهم ، تناقلتِ الالسنةُ الخبر ، وزادت عليهِ الرواة من الحكايات المختلفة أضعاف أضعاف الحقيقة ، فتزداد بذلك شهرتهم . وربما نسبوا اليهم أموراً في أزمنة لم يكونوا موجودين فيها ، كما نسبوا الى سطيح الكاهن أنهُ أنذر باستيلاء الحبشة على اليمن قبل الاستيلاء بسبعين سنة . ثم أوَّل رؤيا الموبذان بعد مولد النبي . ولذلك اقتضى الامر ان يجعلوا عمره نحواً من ثلثمائة سنة . وقد عنَّ لقوم أن يجعلوا مولدهُ قبل ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ، لكي تتفل هذه الكاهنة في فيهِ ، فينتقل اليهِ علمها ولذلك اضطروا أن يمدوا عمره الى ستة قرون أو اكثر

و « سطيح » هذا أشهر كهان الجاهلية . ثم يليه « شقّ » وكانا متعاصرين . وممن اشتهر قبلهما ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ملك اليمن الذي تفرقت الازد في عهده بسبب سيل العرم ؛ وعمران الكاهن أخو

عمرو المذكور ؛ وعمران هو أوّل من رأى في كهانته أن قومه سوف يمزّقون كل ممزّق ، ويباعد بين أسفارهم . ثم رأت ظريفة في كهانتها نبأ السيل، فانذرت عمرواً . ومن الكهان الذين اشتهروا في آخر زمن الجاهلية سملقة وزوبعة وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وسديف بن هرماس ، وغيرهم ممن يضيق بنا المقام عن ذكر أخبارهم

ولنذكر هنا شيئاً من أخبار « سطيح » الكاهن على سبيل الانموذج والمثال ، لا سيما وأنهُ كان عند القوم بمنزلةٍ صيّرتْهُ امام الكهانة ، فاصبحت أخباره جزءًا من تاريخ الكهانة نفسها

قالوا : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي ابن مازن بن غسان ، وسمي سطيحاً لعجزه عن القعود والقيام ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الارض ؛ ولما كان ذلك الرجل عجيباً عندهم في كهانتهِ، اقتضى الامر أن يكون كل شيءٍ متعلق بهِ عجيباً أيضاً . فكما انهم زعموا ان شقاً كان نصف انسان ، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ؛ كذلك زعموا انهُ لم يكن في جسم سطيح عظم سوى الجمجمة ؛ ولذلك كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب . وقالوا ان الجمجمة نفسها كان يلين عظمها اذا لمست باليد وانهُ كان اذا غضب اشتدت أوصاله فينتصب قاعداً ويبقى كذلك الى ان تسكن سورة غضبه . وقد ذكرنا أقوالهم في طول عمرهِ . وقد زعموا انهُ خرج مع من خرج من اليمن في أيام سيل العرم ومات في أيام كسرى أنو شروان

وأوّل ما تكهن بهِ سطيح انهُ كان نائماً مع اهلهِ في ليلة سهاكية

مظلمة ، فاذا هو قد زعق من بينهم ورنّ وتأوّه وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنّكم ما طرق . قالوا : ما طرق يا سطيح . قال : ما طرق الاّ الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم فيه دح . قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح . قال : امر بسد النقرة ذو حبة في الوجرة وحرّة بعد حرّة ، في ليلة قرّة . فلم يكترثوا لقوله ، وتعاصفت مدود من أودية هنالك ، فجاءتهم في ليلة قرّة كما ذكر ، فساقت الانعام والمواشي وكادت تذهب بعامتهم

ومن اشهر ما يروى عن سطيح تأويله رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن اذ أنذرَ باستيلاء الحبشة على بلاده . وذلك ان ربيعـة رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من اهل ملكه الاّ استدعاه اليه ، فلمـا اجتمعوا في داره قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا قصّها علينا نخبرك بتأويلها . قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئنّ الى خبركم عن تاويلها انه لا يعرف تأويلها الاّ من عرفها قبل ان اخبره بها . فقال له رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق اذ ليس احد اعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث الملك اليهما . فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له : اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها . قال : أفعلُ . حُمَمَه ، خرجت من ظلمه ، فوقعت بارض تَهِمَه فأكلت منها كل ذات جمجمه . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنش ،

لينزلنّ ارضكم الحبش ، وليملكنّ ما بين أبين الى جرش . فقال له الملك وأبيك يا سطيح ، ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أ في زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين . قال : أ فيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم ؟ قال : يليه أرِم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم احداً باليمن . قال : أ فيدوم ذلك من سلطانه او ينقطع ، قال : بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن مالك بن فهر بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أ حق ما تخبرني ؟ قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتم ما قال سطيح لينظر أيتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت حممه خرجت من ظلمه فوقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الاّ ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمه ، فأكلت كل ذات جمجمه . وقال شق وقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمه . فقال له الملك ما اخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلنّ ارضكم السودان ، وليغلبن على كل طَفلة البنان وليملكن

ما بين أبين الى نجران . فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده ؟ قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم اشدّ الهوان قال ومن هـذا العظيم الشأن قال غـلام ليس بدني ولا مدَن يخرج من بيت ذي يزن قال أ فيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولات تدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس ليوم الميقات؛ يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول ؟ قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه أمض

وروى الأزهري باسناده عن مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيـهِ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ارتجس ديوان كسرى وسقطت منهُ اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك مائة عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعهُ ما رأى فلبس تاجه وأخبر مرازبته بما رأى ؛ فورد عليهِ كتاب بخمود النار . فقال الموبذان وأنا رأيت في هذه الليلة وقصّ عليهِ رؤياه في الابل . فقال له وأي شيء يكون هذا ؟ قال حادث من ناحيـة العرب فبعث كسرى الى النعمان بن المنذر أن ابعث اليَّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله . فوجه اليهِ بعبد المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني ، فأخبرهُ بما

رأى فقال : علمُ هذا عنـد خالي سطيح قال : فأتهِ وسلهُ وأتني بجوابهِ .
فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمّ ام يسمع غطريف اليمن　　　ام فادَ فآزلمَّ بهِ شأو العنن ؟
يا فاصل الخطّة أعيت مَن ومَنْ　　　أتاك شيخ الحيّ من آل سنَنْ
رسول قَيل العُجم يسري للوسَن　　　وأُمه من آل ذئب بن حجَنْ
ابيضُ فضفاضُ الرداءِ والبَدَن　　　تجوب بي الأرضَ علنداةٌ شزَن
ترفعني وجناً وتهوى بي وجَنْ　　　حتى أتى عاري الجآجي والقطَنْ
لا يرهب الرعدَ ولا ريب الزمن　　　تلفُّهُ في الريح بوغاء الدمَنْ
كأنما حُثحِثَ من حضني ثكَنْ

قال . فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مُسيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان، وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبُعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عـدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قبض سطيح مكانه . فكان ذلك آخر ما تكهّن بهِ ونهض عبد المسيح الى راحلتهِ وهو يقول :

شمّر فانك ما عُمّرت شمّيرُ　　　لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
ان يمس ملك بني ساسان أفرطهم　　　فان ذا الدهر اطوارٌ دهاريرُ
فربما ربما أضحوا بمنزلةٍ　　　تخاف صولهم اسدٌ مهاصيرُ
منهم اخو الصرح بهرام واخوتهم　　　وهرمزانٌ وسابورٌ وسابورُ

والناس اولاد علاّتٍ فمن علموا | أن قد أقلَّ فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأم لما ان رأوا نشباً | فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان في قرَنٍ | فالخير متّبعٌ والشرّ محذورُ

فلما قدم على كسرى اخبره بقول سطيح فقال كسرى : الى ان يملك منا اربعة عشر ملكاً تكون امور . فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى زمن عثمان . وكان من أمر انقلاب دولتهم ما كان[1]

اسكندر عمون

نابوليون الأول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تولستوي، الكاتب الروسي المشهور ، كتاباً تحت عنوان « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيهِ فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوبٍ انتقادي خطّأ فيهِ مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيس والروس الذين أسهبوا في الكلام على تلك الحرب ، وسفّه آراءهم من مثل ايجاد مؤرخي الفرنسيس أعذاراً لعاهلهم تنصّلهُ من تبعة تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الالوف من البشر ، وانفقت في سبيلها القناطير المقنطرة من المال ، ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قيصرهم وقادة جيوشهِ تمكنوا بدهائهم من القاء الفرنسيس في تلك الورطة التي فغرت فاها وابتلعتهم . ولما كان تولستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلة التي ينظر بها اليهِ السواد الأعظم من بني الطينة ، أحببنا ان ننقل لقراء « الزهور » الكرام الفصل الاخير من الكتاب المذكور وننشره لهم على علاتهِ ، فاسحين على صفحات هذه المجلة مجالاً لأقلامهم

(١) لهذا الفصل بقية سننشرها في الجزء الآتي مع فصولٍ اخرى كتبها عمون بك في مباحث شتى عن العرب قبل الاسلام كما أشرنا الى ذلك

لعلهم يتحفوننا بما يعنّ لهم من الملاحظات في الموضوع الذي نحن في صدد الكلام عنهُ . قال تولستوي :

﴿ نابوليون واسكندر الأول ﴾

اذا جارينا المؤرخين في ان الرجال العظام يسيرون بالانسانية الى غايات معلومة ، وأن الموازنة الأوروباوية ، وانتشار الافكار الثورية ، وعمران البلدان وغير ذلك من الأغراض تتعلق بعظمة الدولتين الروسية والفرنساوية ، تعذّر علينا والحالة هذه ان نفسّر معاني الحوادث التاريخية دون ان نجعل للصدفة والدهاء شأناً فيها

ولو كانت الغاية من الحروب الأوروباوية التي شبت نيرانها في مفتتح هذا القرن (التاسع عشر) اعلاء شأن الدولة الروسية لكان من الممكن ادراك تلك الغاية بغير الحروب التي سبقتها وبغير تلك الغزوة

ولو كانت عظمة فرنسا هي الضالة المنشودة لكان من المستطاع اصابتها بغير الثورة والامبراطورية

ولو كان الغرض الذي يرمون اليهِ نشر الافكار الثورية لكانت الكتب أسهل منالاً له من الجنود

ولو كان رفع منار العمران هو الحاجة التي يطلبونها ، لسهل عليهم قضاؤها بذرائع أنجع من اهلاك عباد الله ونهب أشيائهم

ولماذا جرت الحوادث في هذا المجرى ، ولم تجرِ في غيره ؟

ان التاريخ يجيب ان الصدفة أوجدت الحالة ، فاستفاد منها الدهاء

ولكن ما هي « الصدفة » وما هو معنى لفظة « دهاء » ؟

ان كلمتي صـدفة ودهاء لا تعبّران عن شيء موجودٍ في الحقيقة . وهذا هو السبب الذي يجعل تحديدهما متعذّراً

فهما لا تدلاَّن الاَّ على طريقة واحدة يستعان بها على ادراك حقائق الأمور . اني أجهل مثلاً سبب هذا الحادث ، ويجري في وهمي اني أعجز عن فهمهِ ، ومن جراء ذلك لا اعالج الوقوف على كنههِ ، فأقول ان الصدفة هي التي أوجدتهُ

اني أرى قوةً تنتج عملاً لا ينطبق على صفات البشر المألوفة ، وحين تصعب عليَّ معرفة سبب تلك القوة ، أقول ان هذا ضرب من ضروب الدهاء

ان الخروف الذي يضعهُ الراعي كل مساءٍ في حظيرة خصوصية ، ويقدّم له طعاماً زائداً ، يفوق من جراء ذلك رفاقهُ في السمن ، ويبين لأولئك الرفاق انَّ في أمرهِ شيئاً من الدهاء ، على ان الحقيقة هي ان ذلك الخروف ، بدلاً من ان يدخل كل مساء الحظيرة العمومية مع رفاقهِ يفرز في حظيرة خاصة يقدّم له فيها العلف . وحين يسمن ذلك الخروف ، ينحر ويباع للجزار ، فيؤثر ذلك الأمر في باقي الغنم ، ويبين لها انهُ نتيجة من نتائج الدهاء المقرون بسلسلة من سلاسل الصدف الغريبة

ولو لم تعد الغنم تعتقد ان كل ما يجري يرمى بهِ الى غاياتٍ تتعلق بها دون سواها ، ولو زعمت ان الحوادث الطارئة تجري الى غاياتٍ تجهل حقيقتها ، لتجلت لها للحال وحدةٌ في العمل ، وتعاقب منطيقي في كل ما يطرأ على الخروف الذي يُسمّن

ان الغنم وان لم تكن تدرك الغاية من تسمينهِ ، تدرك انهُ لم يحدث

شيء من الذي حدث للخروف من باب البداهة ، ولا تحتاج الى تفسير معناهُ الى الالتجاء الى الصدفة أو الى الدهاء . انّا لا نكتشف في حياة الاشخاص المذكورين في التاريخ تعاقباً منطيقياً للحوادث التي تقتضيها الضرورة الآّحين نعرض عن معرفة غاية الاشياء الاخيرة باعترافنا ان فهمنا يقصر عن الوصول اليها . فحينئذٍ يتجلى لنا سبب التفاوت بين أعمالهم ومقدرة الاشخاص العاديين ولا نعود محتاجين البتة الى الاعتقاد بكلمتي صدفة ودهاء . وبناءً عليهِ نقول انهُ يكفينا أن نعتقد انا نجهل الغرض من حركات الشعب الاوروباوي وانا لا نعلم الاّ الحوادث الناشئة عن المجازر التي جرت في فرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا وان الداعي لتلك الحوادث هو زحف الشعوب الغربية على الشعوب الشرقيـة وبالعكس أي زحف الشعوب الشرقيـة على الشعوب الغربية . وحسبنا الاعتقاد بهذه الأمور حتى لا نعود نجد شيئاً من الدهاءِ والشذوذ في صفات نابوليون واسكندر الاول ولا نعود نعتبر ذينك العـاهلين الاّ رجلين مثل سائر الرجال ولا نعود فقط محتاجين الى ان نفسر بالصدفة معنى الحوادث الصغيرة التي صيرت ذينك الرجلين في الحالة التي كانا عليهـا بل يتضح لنا بجلاء ان تلك الحوادث الصغيرة لم يكن بدٌّ منها

وحين نهمل امر المسير الى الغاية النهائية ندري انهُ كما يتعذر وجود ازهار وبذور لنبات من النباتات غير الازهار والبذور التي له، يتعذر وجود شخصين من الاشخاص الذين ينوه عنهم التاريخ يستطيعان على مثال الاسكندر الاول ونابوليون من مفتتح حياتهما الى مختتمها ان ينهضا كل

النهوض باعباء المهمة الملقاة مقاليدها اليهما

ان السبب الاصلي للحوادث الاوروباوية في فاتحة هذا العصر منشأهُ الحركات الحربية التي اجرتها في بدء الامر الشعوب المحتشدة للزحف من الغرب على الشرق وفيما بعد من الشرق على الغرب

كان بدء هذه الحركة في الغرب وكانت الامور الآتية تدعو الشعوب الغربية الى الاغارة على الديار الروسية والتوغل فيها حتى موسكو :

١ً ان تلك الشعوب كانت متكاتفة تكاتفاً حربياً يمكنها من تلقي صدمة مجموع الشعوب الحربية الشرقية

٢ً انها نبذت كل تقاليدها وعاداتها

٣ً انها كانت تأتمر لاجراءِ تلك الحركة الحربية بأمر رجلٍ تمكن من تزكية نفسهِ وتبرئة ساحتها باستعاذتهِ بالكذب والنهب والقتل لادراك غايتهِ . ان الثورة الاصلية الصغيرة المنتمية الى الثورة الفرنساوية الكبرى تبددت من جراء صغرها . وتغيرت التقاليد والعادات فتألفت شيئاً فشيئاً جماعة جديدة ونشأت معها تقاليد وعادات جديدة وفي ذلك الوسط نهض للاضطلاع بمهمتهِ الرجل الذي ساقتهُ الاقدار يوماً من الايام الى ترأُس الحركة وحمل اعباء مسئولية الحوادث التي توالت . ان ذلك الرجل الذي لم تكن لهُ مبادئ ولا عادات ولا تقاليد ولا اسم والذي لم يكن فرنساوياً هادنتهُ الاحداث مهادنةً غريبة وعرَضية فنال ما وصلت اليهِ يدهُ في أول الأمر وتدخل مع جميع الاحزاب التي كانت تلقي الشقاق في فرنسا دون أن يعتصم بحبل واحدٍ منها وكان من أمرهِ انهم رفعوهُ الى أعلى درجة

ان جهل المحيطين بهِ وضعف خصومهِ وعدم الاعتداد بهم واخلاصه في الكذب وضيق دائرة عقلهِ الذي تكتنفهُ الدعوى دفعت ذلك الرجل الى تولي زعامة الجيش

ان حسن الانتظام في جيش الحملة الايطالية وما أبداهُ العدو من الرغبة عن القتال وثقة ذلك الرجل بنفسه وجرأته الوهمية كانت مرقاة الى مجدهِ العسكري . وقد رافقتهُ في كل شيء صدف سعيدة على زعم البعض وكان أولياء الامور في فرنسا ينظرون اليهِ شزراً الاَّ ان تلك المعاملة كانت مساعدةً لهُ على نيل رغائبه .

ان المساعي التي بذلها لتغيير الخطة التي توخى انتهاجها احبط الواحد منها بعد الآخر، فالدولة الروسية أبت أن تدخلهُ في خدمتها والدولة العثمانية نبذت ما كان يعرضهُ عليها من الخدمة

وفي حرب ايطاليا كان غير مرةٍ الخطر أدنى اليهِ من قاب قوسين بيد ان احوالاً غير منتظرة كانت تخرجهُ من تلك الورطة الوبيلة .

ان الجنود الروسية التي كانت قادرة على تقويض أركان مجدهِ بجميع أنواع التدابير السياسية لم تطأ أوروبا بأقدامها مدة بقائه فيها .

ولدن رجوعه من ايطاليا وجد الحكومة الفرنساوية في حالة من الانحلال تقضي على الاشخاص المتألفة منهم بأن يتواروا أو يهلكوا . فكأنَّ الخروج من تلك الحالة المصحوبة بالخطر على نابوليون قد عرض من غير سعيٍ ولا تمهيد وكان ذلك الأمرَ عبارة عن حملتهِ الى أفريقيا وهي حملة لا محل لها من الاعراب تدلُّ على الحماقة

وعادت الصدفة الى خدمته بنوع عجيب فان مالطة المعتبرة منيعةً جدًّا استسلمت اليهِ بغير حربٍ وان عزائم نابوليون التي لم تكن تخلو من التغرير بالنفس كللها النجاح

وترك أسطول العدو أي أسطول الانكليز جيشاً برمتهِ يمرُّ في عرض البحر على انهُ بعد قليل من الحين لم يعد يأذن لمركب وان زورقاً ان يمرّ على متن اللجة

وفي أفريقيا ساق كثيراً من الفظائع الى قوم عزَّل على التقريب وكان الرجال الذين أتوا تلك المنكرات وخصوصاً زعيمهم يزعمون ان ما أجروهُ عظيم وجميل وانهم يجنون من أدواحهِ ثمار المجد وان مآثرهم الخطيرة تحكي مآثر قيصر والاسكندر المقدوني

وان تصوراته الوهمية بالمجد والسؤدد التي لم يكن من شأنها فقط الاحجام عن اقتراف الجرائم بل الافتخار بها والنسبة اليها معنى يفوق الطبيعة والتي ستكون هادياً لهذا الرجل ولجميع مريديهِ وأشياعهِ أطلقت حريتها للاستعداد في أفريقيا

وأفضى كل ما عالجه الى الفوز فان الطاعون تجاوزهُ ولم يُعتبر قتلهُ الأسرى جناية تلصق به

وان انطلاقهُ المعجل الوهمي الخالي من السبب والدالّ على النذالة لتركهِ وراءهُ رفاقهُ في حال الضيق عدَّهُ لهُ بعضهم فضيلةً وقد مكَّنهُ الاسطول الانكليزي مرة ثانية من النجاة

فحينئذٍ انبهر من تلك الجرائم التي فتحت في وجهه باب السعادة

وانتهى الى باريس دون ان يكون له غاية مقررة . فالحكومة الجمهورية التي كانت منذ سنة من الزمان تقدر ان تهلكهُ كانت في حالة من الانحلال أوصلتها الى شفير الدمار وكان حضور ذلك الرجل الذي لم يكن ينتمي لحزب من الأحزاب مدرجة لارتقائهِ الى مكانة عالية . ولم يكن قد رسم له أدنى خطة بل كان يخاف كل شيء الاَّ ان الأحزاب اعتقدت ان فيهِ نجاتها ولذلك التمست مساعدتهُ

فهو وحده بما كان يجول في خاطره من أوهام المجد والعظمة وما كان يساورهُ من تلك الأحلام في ايطاليا وفي مصر وما كان فيهِ من الاعجاب بنفسهِ والجرأة على ارتكاب الجرائم والاخلاص في الكذب يستطيع ان يحقق تلك الحوادث الموشكة ان تتمّ

وكان هو الشخص اللازم للحلول في المركز الذي كان يتوقعهُ وقد اشترك بغير ارادتهِ ومع فقدان الخطة الواجب الجري عليها ومع ما كان هو عليهِ من التردد ومع ما كان يأتيه من الهفوات في تدبير مكيدة يراد بها القبض على ازمة السلطة فكان الفوز مواليًا لهُ

فدفعوهُ الى وسط جلسة كان الديركتوار قد عقدها فذُعر وصمم على الهرب لتوهمهِ انهُ قد هوى الى وهدة العطب فادَّعى انحراف الصحة وفاه بكلمات خالية من المعنى كادت تكون القاضية عليهِ

ولكن الاشخاص الذين كانت حينئذٍ حكومة فرنسا مؤلفة منهم وكانوا قبل ذلك الحين كبار النفوس وراجحي الحصاة شعروا في تلك الساعة بأن دورهم قد انقضى وكانوا أشد اضطرابًا من نابوليون نفسهِ ففاهوا

بخلاف ما كان يجب عليهم التفوه به للمحافظة على السلطة وخذل المختلس

ان الصدفة او بالحري ملايين من الصدف ساقت اليهِ السلطة وان جميع الناس قد اتفقوا على تثبيت تلك السلطة كأنهم قد تداولوا في ذلك الأمر . ان الصدفة أوجدت ضعف اخلاق اعضاء الديركتوار الذي حملهم على الخضوع لنابوليون

ان الصدفة منحت بولس الأول تلك الاخلاق وجعلتهُ يعترف بسلطة نابوليون

ان الصدفة كادت لهُ تلك المكيدة التي ثبتت صرح سلطتهِ بدلاً من ان تنقض دعائمها

ان الصدفة اسلمته البرنس « دنفين » ومكنتهُ من الفتك بهِ بنوع لم يكن منتظراً وقد برهن هذا العمل اكثر من سواهُ للملإِ طرًّا ان لنابوليون الحق باجرائهِ لان القوة بجانبهِ

ان الصدفة جعلتهُ يستنفد الميسور لتأليف حملة على انكلترا وهو مشروع يؤول الى هلكتهِ ويتعذر وضعهُ موضع الاجراء بيد انهُ وقع على غير انتظار على « ماك » والجيش النمساوي الذي استسلم من غير ما حرب ولا قتال

ان الصدفة والدهاء جعلاهُ ينتصر في أوسترليتز وقد اعترفت بالصدفة جميع الأمم وأوروبا بأسرها ما عدا انكلترا التي لم تشترك في الحوادث الموشكة أن تجري مع ما كانت جرائم نابوليون تثيرهُ في أفئدتها من النفور والفظاعة بسلطتهِ واللقب الذي انتحلهُ لنفسهِ وأوهام المجد والعظمة

التي كان جميع الناس يجدونها جميلة ومعقولة

وكانت قوات الغرب التي كان يبين انها تتهيأ لاجراء حركة في المستقبل تعظم وتتثبت اركانها بعد ان كانت قد رمت بأنظارها غير مرة الى الشرق في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٦ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩

وسنة ١٨١١ اتحدت العصابة التي تألفت في فرنسا مع شعوب الوسط وانشأت مجموعاً هائلاً

وكان مع تعاظم ذلك المجموع يتعاظم تبرئة ذلك المترأس عليهِ من تبعة المسئولية

وكان ان ذلك الرجل في خلال السنوات الست التي جرى فيها الاستعداد للحركة العظيمة تولى العلاقات مع جميع عمال أوروبا وملوكها وأمرائها . وان الاقيال الذين فقدوا تيجانهم لم تكن أوهامهم المعقولة مما تقاوم بهِ الاوهام غير المعقولة التي ابتدعها نابوليون لنيل العظمة والمجد . وقد بادر الواحد منهم بعد الآخر ليبينوا لهُ انهم ممن لا يُعتَدُّ بهم

وأرسل ملك بروسيا زوجتهُ الملكة الى ذلك الرجل العظيم طمعاً بنيل الحظوة لديهِ واعتبر عاهل النمسا ان ذلك الرجل يوليهِ نعمةً كبرى باقترانهِ بابنتهِ وجعل البابا حارس القداسة في البشر الدين قاعدةً لتمثال مجد ذلك الرجل العظيم[1]

الياس طنوس الحويّك

(١) في الجزء القادم تتمة رأي تولستوي في نابوليون والاسكندر

في رياض الشعر

لو يُفيد اللهف

لما نكبت الاستانة في العام الماضي بحريقها تألفت في مصر لجنة لجمع الاعانات للمنكوبين ، وأنفذت ولي الدين بك يكن الى حضرة السري الأمثل الخواجه حبيب لطف الله . فوفد عليه وليس بينهما معرفة من قبل . حدثنا ولي الدين قال : « تلقَّاني ذلك الشيخ الجليل على الرحب والسعة وأدناني منهُ . ثم أعلمتهُ بحاجتي فانبسطت لها نفسه وجاد بخمسين جنيهاً مرتاحاً الى تلك الغاية النبيلة » فأبقت هذه المقابلة أثراً طيباً في نفس الشاعر حتى اذا فجع الخواجه لطف الله بزوجتهِ في الشهر الماضي ، رثاها بالأبيات الآتية وانما يذكر الانسان بحسناته :

بكتكِ عيونُ العلى ... وناح عليكِ الشرَفْ
لحى الله هذا الرَّدى ... فأيَّ الشموس كسفْ
أيعلمُ ماذا جنى ... أيعرفُ ماذا اقترفْ ؟
ألا تلفتْ مهجةٌ ... حمتْ مُهجاً من تَلفْ
ألا جلَّ فيها الأسى . ألا عمَّ فيها الأسفْ
بكى الناس جوداً مضى ... وكان يحاكي السَّرَفْ
تُكتّمهُ جهدَها ... ويعرفهُ من عَرَفْ
بهِ كَلفتْ دهرَها ... فزادَ ونعم الكلفْ
تواضعُ في عزِّها ... وأترابُها في صَلفْ
وما حلَّ لطف الإلـه ذا القلب الاَّ لَطَفْ
فكمْ لبكيٍّ رثى ... وكم لأسيٍّ عطفْ
لقد شَرُفَتْ بالسَّلَفْ ... وقد شرُفَتْ بالخلَفْ

وما ترفتْ نعمةً وان نشأتْ في الترَفْ
أُفيضَ عليها الثنا ففاضَ الى أن وكَفْ
ولو أنها كفكفتْ ثناءَ الورى ما استكفْ
تخالَفَ في غيرها ولكنَّ فيها ائتلفْ
فصار لها كالحلى وباتَ لها كالتُّحَفْ
وما الوصفُ مدحاً إذا جرى الصدقُ فيما وَصَفْ
أيا دُرَّة المجد قد رجعت لجوف الصدَفْ
فلهفاً لفقدك لو يُفيدُ عليكِ اللهفْ

ولي الدين يكن

❋ إلى شاعر الأمير ❋

هذه هي القصيدة التي وعدنا بنشرها وبها يقرظ شاعرها المجيد قصيدة شوقي بك التي يقول في مطلعها :

العام أقبل قم نحيِّ هلالا كالتاج في هام الوجود جلالا

ويرى القراء في ختامها ان « شاعر الفيحاء » قد شاء مساجلة « شاعر النيل » فاذا رأى اميرُ الشعراء ان يفعل فمن حسن حظ الأدب وقراء الزهور :

حلَّق فكري في سماء الخيالْ وساحَ في سُوح المعاني وجالْ
وغاصَ والوجدُ له سائقٌ في أبحرِ الشعرِ لجنى اللآلْ
فلم يجدْ أبدعَ من دُرَّة قد صاغها «شوقي» بنعتِ الهلالْ
غارتْ لها الشمسُ وخافتْ بأن تُعلي على الأيام فضل الليالْ
يا شمس فاستجدي الهلالَ الضيا فإنما حالُكِ للعكس حالْ
ألبسهُ « احمد » في وصفهِ نوراً على نورٍ ففاق المثالْ

لا تُنكروا من أحمدٍ مُعجزاً إن قيل سحرٌ فهو سحرٌ حلالْ
سطورُ حسنٍ مشرقات السنا كأنها بعضُ ليالي الوصالْ
وتارةً تحكي عيونَ المها سواحرَ الدلِّ مواضي النصالْ
آياتها بيّنةٌ للنهى وقدرُها أرفع من أن يطالْ
هيهاتِ ما الاتيانُ من مثلها بسورةٍ الاّ ورا الاحتمالْ
تظهرُ من أحرُفها هيبةٌ تشخّصُ الضرغامَ وسطَ الدحال
فلو تحدّى في البرايا بها داست على هام النهى بالنعالْ
هذا هو الشعرُ الذي تعتلي بمثل شأواهُ معالي المقالْ
في كل شطرٍ منهُ ثغرٌ غدا يفترُّ عن نظمِ اللآلىء الغوالْ
وكلُّ بيت حلَّه « يعربٌ » مطنّباً فوق الدراري العوالْ
فصاحةُ البدو على لفظهِ تسيل كالماء النمير الزلالْ
أما مغازيهِ فكم سلسلتْ بلاغةً فيها يهيمُ الخيالْ
سهلٌ على الأفهام لكنهُ ممتنع ان يُنتحى بالنضالْ
فيهِ مع الرقّةِ روحٌ وما ال أرواح بالتقليدِ مما ينالْ
يُعجزُ من جاراه مهما ارتقى فضلاً كمن حاولَ نيلَ المحالْ
وجاذِبُ الحسنِ لعمري لهُ معنىً يراهُ الذوقُ فوق الجمالْ

* * *

فيا أمير الشعر مهلاً فقد سلبتَ واللهِ شعورَ الرجالْ
كم لك من عذراء فكرٍ زهتْ كالروض وافي الزهر ضافي الظلالْ
فتنتَ أهل الشام في حسنها وفخرُ وادي النيل فيها استطالْ
رقّت فكانت كنسيم الصبا إذا تلوناها على الغصن مالْ
إيجازُها رحبُ المعاني على زهوٍ كغمز اللحظِ من ذي الدلالْ

وجوهرُ الاطناب منها جلا عقودَ أجياد بها النور قالْ
اذا العقول العشر أبصرنها أصبحنَ من دهش بها في عقالْ
«والملك الضلّيل» لو رامها مُعارضاً لم يجنِ الاّ الضلالْ
خفَّت على السمعِ وكم ضمَّنت معنىً بهِ استنزرت رسوخ الجبالْ
لهُ على الألباب مع لطفهِ كالراح سلطانٌ عظيمُ الجلالْ
يخالهُ الطبعُ على أنسهِ ليثاً تبدّى من كناسِ الغزالْ
لذا تراني مضمراً رهبةً ورغبتي تدفعني للسؤالْ
أودُّ إن تجريَ ما بيننا رسائلُ الشعر بملء السجالْ
وإن يكن ثمَّة فرقٌ فقد تُشبِّهُ البيض بيبض الرآلْ
وقصديَ الفخرُ فما أدَّعي أنيَ من فرسان هذا المجالْ
بل اجتلي نهجَ ابتداعٍ بهِ ملائكُ الشعر عليكم عيالْ
انير فكري باحتكاك الضيا ما يُظهرُ الافرندَ غيرُ الصقالْ
فإن اجبتم فهو لطفٌ وما للُّطفِ عن أهليهِ قطُّ انفصالْ
وما عليكم حطةٌ انما تواضعُ العالين عين الكمالْ

عبد الحميد الرافعي

﴿ رُسُل الثغور ﴾

وما شُربنا « الدخان » عيبٌ وانما قصدنا بهِ مَعنى قفوا وتأملوا
أدرناهُ فيما بيننا فلعلَّنا الى ثغرِ مَن نهوى بهِ نتوصلُ

نجيب زلزل

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الثامنة

من توماس هود الى روح مس كليمانسي

(توماس هود شاعر من أبلغ شعراء الانكليز عاش في النصف الأول من المئة التاسعة عشرة . توفيت أمه وتركته طفلاً لعناية رابّته فنشأ رقيق الاحساس شديد التأثر حتى بلغت به رقة الشعر حد الجنون . وكان يهوى فتاة جميلة تدعى مس كليمانسي عاهدها على الاقتران ولكن فرط الديون التي كان يُطالب بها الجأته الى الفرار من انكلترا فلم يرجع اليها الاّ بسبب موت حبيبته . وقد كتب اليها الرسالة الآتية على أثر موتها ونظم فيها قصيدة هي من أرق ما تصوره شاعر في هذا الموضوع)

أيتها الروح الطاهرة :

لستُ أعلمُ أين أنتِ الآن ، وأين مقرُّكِ من عالم الأبدية . لعلك رفرفين بأجنحتكِ الذهبية في هذا الفضاء اللانهاية له ، وتتنقلين بين كواكبهِ السابحة ، كما تتنقلُ الفراشة في الحقول . وسواء كنتِ مستقرّةً في رحبتهِ أو محلّقةً في فراغهِ ، فلا شك انكِ ترين عالمنا هذا أقلّ مما رى النسرُ النملة من علوهِ الشاهق ؛ وتتذكرين ايامكِ القليلة على هذه لارض السابحة معكِ في فراغٍ غير مدركِ الحدود

فان كنتِ ، وأنتِ خالعة ثوب الهولى ، قد نسيتِ ايامَ كنا نجلس معاً على شاطئ تلك البحيرة الهادئة ، فأنا لا أنسى تلك الايام السعيدة ،

بل أذكر كيف كنا نحبس شفاهنا عن النطق لتتكلمَ القلوبُ ، ونحدق بأبصارنا في الأفق لنتفرّغ أكثر للتأمل في الحب . ولقد اذكرتني بكِ اليومَ مفكراتي التي ولعت بتدوينها منذ حداثتي ، وقد كان بودي لو بقيت ذكرى الماضي دفينةً في الفؤاد لأن في عودتها الى البال فتحاً لجروحٍ لا تقبل الاندمال

أيتها الروح الطاهرة . سلامُ الله عليكِ ، كلما خفق جناحاكِ وخفق معهما فؤادي لذكراكِ ! سلام الله عليكِ ، كلما برزت الشمس من وراء الأفق تنثر التبر من أشعتها الذهبية ! إنْ كنتِ قد سلوتني ، فان بين جنبيّ قلباً لا ينبض الا لذكراكِ ، ولا يخفق الاّ لخفوق جناحيكِ . وان كان عالم الأرواح قد أنساكِ عالم الهيولى ، فلا كانت الأبدية ولا عالمها ! لأنّ ساعةً واحدة بقربك أشهى من الخلود في فردوسٍ لا تكونين فيهِ . وما الذي يهمني ان طال الخلود أو قصر ، انْ لم تكوني في ذلك العالم الخالد ، كما كنتِ في هذا العالم الفاني ؟

بل انعمي بالاً ، ولتقرّ عيناكِ بما أنتِ فيهِ من نعيم وهناءٍ ! فحسبي سعادةً ان تتمتعي بما تشتهين . وثقي ان قلبي الذي كان يودُّ لو ترفرفين فيهِ بجناحيكِ لهو فارغ الا من رسمك ؛ وقد دُفن الحبُّ في كل زاويةٍ من زواياه فهو مثقلٌ بيأسٍ تنوءُ بثقلهِ راسيات الجبال

ايهِ أيتها الروح الطاهرة ! ما الذي ترينه في ذلك العالم الواسع من أسرار الحياة ؟ وما الذي شغلكِ عن ذكرى حبنا القديم ، وقد كنتِ ، وأنتِ على هذه الارض ، تصفينه بالخلود ، وتقولين انهُ مستمدٌّ من عالم

لأرواح ، اذ لا بداءة لهُ ولا نهـاية . فاذا صدق قولهم انَّ الأرواح تحلق في الفضاء ، فلماذا لا ترفرفين حولي بجناحيكِ ، وتسمعينني ذلك الصوت الرخيم الذي عوّدتني سماعهُ وأنتِ بعد على هذه الارض ؟

سقياً لمواقف ذلك الغرام ، أيتها الروح الطاهرة . قد كنتِ في الحياه خافقةَ الفؤاد ، وأنتِ الآن خافقة الجناحين . وأما أنا ، فلا أزال كما كنت ثابتاً على الولاء ، مقيماً على العهود ، وان كان لي بعد أُمنية في هذه الحياة فهي ان أُمتَّع بنظرةٍ منكِ في عالم الابدية ، وأظللكِ بجناحيَّ في فردوس البقاء

كثيراً ما أقصدُ الى مثواكِ وأتفرَّسُ في تلك الحفرة التي يرقد فيها هيكلكِ الجثماني رقدته الدائمة ، فتضيق الدنيا في عينيَّ وتمثل لي رحبة الفضاء الذي تحلّقين فيهِ أضيق من سُمّ الخياط . ولكم وقفتُ برمسكِ خاشعَ الطرف ، حاسرَ الرأس ، وعواطفي ثائرةٌ في داخلي ، فأرى الحياة حلماً ، والعالم كله مجموعة شقاء . وأنّى للحلم ان يستمرَّ نعيمهُ ، اذا انتقلت النفسُ منهُ الى يقظة رائعة ؟

القبر !

هناكَ ، حيث ينقطع كلُّ صوت ، وتبطل كلُّ حركة ؛ هناكَ ، حيث تحلّ الهيولى وتنتهي الحيـاة ؛ هناكَ ، حيث يضيع كلُّ عزاء ، وتقلُّ كل مواساة

ما أتفه الحياة بدونكِ يا كليمانسي كل يومٍ منها أبديةٌ مملّة ؛ والنفسُ لا عزاءَ لها سوى الغد ؛ ولكنَّ الغد غامضٌ كأسرارِ الأبدية ، فاذا لاح فجرُه بكيتُ على أمسهِ

نعم ، هي أيامٌ تنقضي يا كليمانسي وما بقي منها أقلُّ مما عبر. ولا بدَّ ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيهِ آخر صفحةٍ من العمر ، فيتثاءب القبرُ وأُصغي الى حفيف اجنحتكِ ، والنفس تائقةٌ الى النجاة من اغلال المادة لتحلِّق معكِ في فراغٍ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ إنَّ أحلامنا لم تحققْ في هذه الحياة ، فهل تحقق في العالم الآخر ؟ أم تكون الأبدية أقسى من عالم الفناء ، فيمتدُّ بنا الفراق ، وينقطع كل أملٍ من اللقاء .

هوذا أنا أنتظرُ ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء . . .

(بقلم سليم عبد الأحد)　　نوماس هود

شيء عن الفن

كتبتُ في مجلة « الزهور » مقالاً تحت هذا العنوان ، فتفضلت السيدة لبيبة هاشم بالردّ عليَّ مبديةً رأياً غير رأيي . فلم يذهلني ذلك لعلمي أن قيمة الفنون الجميلة في نظر السيدة لبيبة توازي قيمة خرافات العجائز « وقصص الغول وعنقاء بنت الريم » في نظر الفيلسوف الباحث ، فضلاً عن ان حضرتها تسيء الظن في جماعة الفنّيين وربما تحسبهم أعضاء عليلة في جسم المجموع الانساني . فلذا أظنها مستحسنة في سرّها ان يمرَّ الطبيب آلته الكهربائية على جسم كل واحدٍ من أفراد هذه الزمرة الخبيثة : زمرة الموسيقيين والمصوّرين والنقاشين والشعراء ، لعلهم يعودون

ن مسارح أحلامهم البليدة الى عالم المحسوس !!!

لكنَّ شيئاً آخر أذهلني في مقالها، وهو اتّهامي باحتقار العلوم. امحها الله؛ نعم قد أتهمتني؛ لقد نسبت اليَّ أقوالاً لم أرِدْ قولها، وصوَّرتني بورة جميلة قبيحة (لكنها قبيحة اكثر منها جميلة) في وقت واحد، اذ علتني فتاة «تنظر من سماء أحلامها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية الاكتشافات العلمية نظرة الاحتقار والازدراء». فتاة غريبة الاطوار، ستقلة في دوائر أحلامها، متكبرة متوحشة مع كثير من البلاهة — دت لا أعرف نفسي في هذه الصورة، ولكني لم ألبث ان فكّرتُ في ن الصديقة الفاضلة تقصد مداعبتي. ولعمري أني أُحبُّ مداعبة يدها لطيفة وان ظلمت وجارت

***

يتنازع السيادة في عالم الافكار عنصران: العنصر الروحي والعنصر المادّي. فالمادّيون يقولون إن الغنى هو السعادة وان أهمَّ واجبات الانسان و السعي وراء الثروة للتوصل الى السعادة عن طريق التجارة. والروحيون تقدون أنَّ الانسان خلق لغاية أسمى من الغنى، وان سعادته الحقيقية ' توجد في التجارة ولا تتأتّى من الأرباح الناتجة عنها، فيذهبون أملاتهم الى ما وراء المحسوس متسمسين آثار هذه السعادة التي تذوب ن لقياها الارواح، باحثين عن الجمال المطلق المقرون بالكمال المطلق، هذا هو المحور الذي تتيهُ حولهُ الأنفس الملتهبة بنيران حبّ الجمال وحبّ لحقيقة. فهذه الفئة (وهي من أعلى طبقات البشر أدبياً) لا تجد حظوى

في عيني صاحبة « فتاة الشرق » الفاضلة . وهي تقول في كل فردٍ من أفرادها انه « يظلُّ مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ » (واأسفاه عليه ! ! !) ، وانه « يظلُّ بليداً وحيداً بأفكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً » (يا للخسارة ! ! !)

يعلم الله أني لا أريد الدفاع عن الفنّ ومحبيه لانه من المستحيل ان يُقنع أحد الطرفين خصمه ، ولو كان محقاً ، ولعلمي ان الحرّية الأدبية مزيّة غالية ، وانّ لكل انسان حريته في اعتقاداته وآرائه . لكني أودُّ أن أستفهم حضرة الكاتبة لماذا يا ترى يظلُّ محبُّ الفن مقصراً في معارفه وشرائعه وآدابه ، كما تزعم حضرتها ؟ أَلِأنهُ لا يدرس « المكانيك » ، وهل كل الناس يدرسون هذا الفرع من العلوم ؟ ان لكل مخلوقٍ خطة يسير فيها فهو لا يتقن من العلوم الاّ الفرع الذي يستخدمه لقضاء حاجته والسير في خطته

ومع ذلك فاننا نرى معارف محبي الفن تزيد على معارف غيرهم لأنهم يميلون طبعاً الى البحث في كلّ مهمّ مفيد ، والى استكشاف كل جديد

ولماذا يظلُّ الغنيُّ مقصراً في آدابه ؟ ان من أحبّ شيئاً برهن على ان في روحه جوهراً يشابه جوهر الشيء المحبوب ، ومن أحب الفنّ فقد أحب الجمال والكمال ، لأن الفنّ صورتهما . في روح الشاعر اذاً شغفٌ بالجمال وميلٌ الى الكمال ، فهو والحالة هذه أقرب الناس الى

ا هو حسن، والأدب أحسن حسنات الاجتماع . يقول صديقنا روسكن:
« ان روح الشرير لا تقدر أن تفهم الجمال والكمال ، بل ان الارواح الجميلة
لطاهرة الشريفة تقدرهما حق القدر لانها من أمثالهما » . وأودّ أن
ضيفَ الى هذا خلاصة ما قرّره علماء الفلسفة الاجتماعية وهو ان العلم
شيء والاخلاق شيء آخر . فان لم تصدقني السيدة لبيبة فعليها بكُتب
« هربرت سبنسر » وكتب غيره من المفكّرين أمثاله الذين يقولون انّ
مفعول العلم والدرس يتجسم في القوى العقلية ، وقد يؤثر أحياناً في الاخلاق
لكنه لا يؤثر دائماً

أما قول صاحبة «فتاة الشرق» ان الشاعر يظلُّ بليداً ، فهذه مسألة
فيها نظر بل نظران وأكثر . فعليها ببدائع « شوقي » وبتأملات « الخليل »
فان هذه وتلك تظهر شيئاً من العظمة والجمال وغيرها من الصفات الباهرة
التي تميز روح الشاعر . أما وحدة الفنيّ وميله الى العزلة فان الفيلسوف
العصري « ماترلنك » ينبئها عني أن « الأرواح الاعتيادية لا تفهم أسرار
العزلة وفوائد مناجاة النفس ، مع ان الانفراد أحياناً رياضة ضرورية للقلب
والعقل . وان الروح التي لا تشعر بالاحتياج الى الانفراد هي روح فاسدة »
ثم يهتف هذا الفيلسوف نفسه قائلاً مع كارلايل الكاتب الانكليزي :
« يا محبي العزلة والصمت ، أنتم ملح العالم ، فان لم تكونوا فيه ، فسد ! »
ثم فلتذكر حضرتها أنّ حبّ الذات هو محرّكُ أعمال كل واحدٍ من البشر،
سواء كان شاعراً يقرض الشعر أو فلاّحاً يحرث الارض ، لكن هذه
العاطفة الغريزية تظهر في كل انسان مظهراً مختلفاً متغيراً بتفاوت الاطباع

والاميال والمدارك . وقصارى الكلام اني أؤكد للسيدة لبيبة أنَّ حبَّ الفن منحة الهية تخلق مع الانسان وتمو فيه على التمادي كلما تقدم في السن: هي صفة جميلة غريزية لا اكتسابية كالعلوم واللغات والصنائع . هي نفحة من روح الله الأبدية السرمدية . وليس القصد من الفنون البهرجة ، كما تظنُّ حضرتها ، وانما القصد منها تلطيف الشعائر ، وإعلاء الفكر وتجريده عن الدنايا ، ولمس الروح بيد الجمال ودفعها الى ما هو عظيم شريف . القصد منها تهذيب الأميال وإفهام الانسان أنَّ القوى الالهية الراقدة في طيات نفسه تفرض عليه واجباتٍ ، حبها شرف ، والعمل بها مجدٌ لا يضاهى . القصد منها تنوير الافهام وتنبيه العواطف الكريمة في قلبه ، كالشجاعة والمروءة والصدق والحزم والرحمة . ولئن عجبت من قول رسكن « كل شعب يرتقي عنده الفنُّ الى الكمال تسقط مملكته » فلأنَّ هذا الرجل لم يكتب الاَّ لاعلاء شأن الفنّ وتمجيدهِ وتعظيمهِ ، واظهار الخطة التي يجب على كل فنيّ اتباعها . ليس لرُسكن فلسفة ، ان لم تكن فلسفة الانتقاد الفني ، وأراهُ أعظم ناقدٍ فنّي في انكلترا بل في أوروبا بأسرها اذا وضعنا معهُ « فاين » الفرنساوي الكبير . وقد ظهر رُسكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وتوفي منذ سنوات قليلة

تقول حضرة الكاتبة أيضاً أن لا فرق عندها بين حذاءٍ حسن الصنعة وقصيدة بديعة النظم ما دام يجب لاتقان كل عمل قوة عقل . وا لوعتاه على درر الأفكار تنزّل فتلامس الأحذية ! فحضرتها والحالة هذه لا ترى فرقاً بينها وبين الخياطة التي تزين الثوب بالزركشة

« والدنتلا » ؟ معاذ الله أن أقول أنا بهذا القول ! الجسد عزيز بلا شك والاهتمام بهِ واجبٌ على كلّ عاقل ؛ على انّ أهمية الروح تفوق أهميته بمراحل ، فضلاً عن ان الدماغ ينفق من قواه في عمل عقلي في ساعة واحدة أكثر مما ينفق للعمل الجسدي في ساعات طويلة .

نعم ان العمل جميل ، وهو شريف في ذاته مهما كان حقيراً في أعين الناس ، غير أنّ هذا لا ينفي ان لكل شيء درجات : يوجد الحسن والأحسن منهُ ، والعظيم والأعظم منهُ ، والغني والاكثر غنى ، والفاضل والأفضل منهُ ، وهلمّ جرًّا

***

لقد انتقدت حضرة الكاتبة الفاضلة تفضيلي آثار الفن القديمة ، وتساءلت كيف أؤثرُ بناء الاهرام ونحت المسلات على أشعة رنتجن والتلغراف اللاسلكي في حين ان تلك الآثار تنطق بما كانت عليه الشعوب الغابرة من الذلّ واستعباد القوي للضعيف . هذا موضوع يطلب البحث لنعلم هل كان الذل أشد وطأةً في الماضي على العباد منهُ اليوم . أما أنا فلا أرى الانسانية قد تمتعت بالحرية التامة بل أراها قد استبدلت قيودها القديمة بقيود جديدة . على ان هذا بحث طويل يضيق عنهُ نطاق هذه العجالة . وأجيب السيدة على سؤالها ، بأني لا أرى نسبة بين المقابلتين لاني لم أتناول المقابلة الاّ من الجهة الفنية ، فلا تجوز النسبة الا بين كل شبيه ومشابه له ، فان وُجدتْ نسبة بين هيا كل أثينا وبرج ايفل ، فان هذه النسبة تتلاشى عندما نقابل تلك الهياكل بالتلغراف اللاسلكي .

ولو انتبهت حضرتها الى هذه النقطة لانصفتني في هذا المعنى . أما الاكتشافات العلمية فمن منا لا يقدرها حق قدرها ؟ ان علماء الاكتشاف هم أبطال عصورنا الذين يجب أن تكتب أسماؤهم بدماء القلوب وان تجثو الافكار لدى ذكرهم المجيد . اني أعبد هؤلاء الابطال وأميل بكليتي الى العلوم التي تسير بالانسانية الى التقدم والارتقاء ، ولم أعن في مقالتي السابقة الا العلوم التجارية المحضة التي يتمسك بها البشر طمعاً بالارباح الناتجة عنها . حسن أن يجتهد الانسان في جمع الثروة لأن أهمية الدرهم تزداد يوماً فيوماً ، ولكنني لا أظنُّ أنَّ الارتقاء الصحيح قائم بالثروة وحدها ، وأعتقد مع رسكن ان هناك تربية هي ارتقاء في نفسها وان لم يكن صاحبها مثرياً

هذا اعتقادي يا سيدتي . فاعذري تطوحي واصفحي عن هفوات قلمي . إن لكل امرىءٍ أخلاقاً وأميالاً ، فأنصح لكل واحدٍ ان يعمل بها ، بعد استشارة ضميرهِ . أقول للرياضي : « اشتغل بارقامك » ، وللطبيب « اشف مرضاك » ، وللتاجر « اضحك من زبائنك لئلا يضحكوا منك » ، وللشاعر « احلم أحلامك وأنشد أناشيدك »

فليعمل كل انسان على اكتساب سعادته كما يفهمها هو ، لا كما يفهمها الآخرون ، ما دامت السعادة غاية الخلائق القصوى وكعبة آمال الكون

مي

نوابغ مصر الاحياء

﴿ اقتراح الزهور على قرّائها ﴾

قام في مصر في نهضتها الاخيرة رجال برهنوا على ان الشرقيّ اذا أعدّته التربية، وتوفر له العلم، لا يقلُّ نبوغاً عن الغربي . واذا كانت مصر قد فقدت في السنوات الاخيرة عدداً من هؤلاء النوابغ لم يفسح لهم في الأجل فكان موتهم خسارة جلّى، على حين ان الحاجة اليهم والى أمثالهم شديدة، فان فيها اليوم عدداً أيضاً ممن تصحُّ تسميتهم بالنوابغ اذا حُفظت النسبة بين النبوغ وبين النهضة الحاضرة التي تعدُّ طفلةً بالنسبة الى نهضة الغربيين في هذا العصر

فالزهور

تقترح على كل واحدٍ من قرّائها ان يختار عشرة رجال في مصر يراهم انهم أشهر النوابغ اليوم . وان يبعث اليها بأسمائهم مجرَّدةً عن الأسباب التي بنى عليها اختياره اذ يكفي ان يسرد تلك الأسماء سرداً ولا يُعنت نفسه بالشروح والتعليقات وذكر المِهَن أو الفنون التي كان النبوغ فيها . وانما تجب مراعاة شرط اساسي هو: ان يكون العشرة المختارون من الأحياء

والزهور

تجمع هذه الأسماء ثم تنشرها في الجزء القادم والى جانب كل اسم منها عدد الذين أجمعوا على اعتباره نابغة . وتنشر بعدئذٍ صور اولئك العشرة النوابغ المختارين فاسحةً لكل نابغةٍ منهم صفحةً من صفحاتها يكتب فيها للقراء ما يحلو له . ان عشر صفحاتٍ يكتبها عشرة نوابغ . تحتوي ولا ريب عشرات كثيرة من الدرر الغالية

حادث في الصحافة

بعد ثلاث وعشرين سنة في « المؤيد »

صدر الأمر العالي الخديوي في اوائل الشهر الماضي بإسناد منصب نقابة الاشراف ومشيخة الطرق الصوفية الى فضيلة السيد عبد الحميد افندي البكري ، وبتولية سعادة الشيخ علي يوسف مدير سياسة جريدة « المؤيد » مشيخة السادة الوفائية لمصاهرتهِ بيت السادات المشهور

وفي ١٦ منهُ جرى الاحتفال بالسيدين في سراي عابدين العامرة ، في قاعة الاستقبال الكبرى للتشريفات الرسمية ، فجلس الجناب الخديوي والى يمينه فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ففضيلة مفتي الديار المصرية فنائب قاضي مصر . والى يساره فضيلة السيد عبدالحميد البكري فسعادة شيخ السادات الوفائية . وجلس على الجانبين بقية كبار العلماء من اعضاء مجلس ادارة الازهر ومشايخ الأروقة ومشايخ المذاهب ورجال القضاء الشرعي

وعقب ان استقرَّ المجلس بالجمع ، قُدِّمت القهوة لحضرة المتشرفين بالحضرة السنية ؛ ثم قال الجناب العالي :

« اني مسرورٌ اليوم كثيراً اذ أرى هـذا الاحتفال يجمع كبار العلماء حولي ؛ وأحوال المعاهد الدينية على ما نرجو لها من انتظام السير وتمام الهدوّ والسير في طريق التقدم والارتقاء . ولذلك يسرُّني ان اعرب لجميع رؤساء المعـاهد الدينية عن الشكر والامتنان . ومما يزيد سروري

اني احتفل اليوم بهذين الرئيسين الدينيين اللذين عُهِدت اليهما المحافظة على مجد بيتين من أعظم بيوت المجد والشرف

وقد سبق لي ان استقبلتُ عقبَ وجودي في هذا المركز حضرة السيد توفيق افندي البكري ، وأنا اليوم أستقبل حضرة السيد عبد الحميد البكري خلفاً له ، وأستقبل معهُ حضرة السيد علي يوسف شيخاً للسادة



السيد علي يوسف

الوفائية ؛ وأراهما خيرَ اهلٍ لما عهدتُ اليهما ، وبمعونتكم ان شاء الله يقومان بوظيفتهما خير قيام »

ثم أمر سر تشريفاتي خديوي فألبسهما خلعتين سنيتين مصنوعتين من الجوخ الاخضر ومبطنتين بالفرو النفيس ، وكانت عمامتا السادة البكرية والسادة الوفائية قد احضرتا في الجلسة ، فأمر الجناب العالي سعادة السر تشريفاتي خديوي بالباسهما اياهما

وبعد انتهاء الحفلة الرسمية في سراي عابدين قصد فضيلة السيد عبد الحميد البكري سراي السادة البكرية في الخرنفش ؛ وقصد سعادة السيد علي يوسف في جمع من رجال الطريقة الوفائية وقد لبسوا الاخضر وتعمموا بالعمائم الكبيرة « زاوية الرباط » في جهة الخرنفش ايضاً وهي الزاوية القديمة التي كان يتعبَّد فيها سيدي « علي وفا » الأستاذ الاكبر الاشهر للطريقة الوفائية مدة حياتهِ ، وكان يعيش في أواخر القرن الثامن للهجرة

وهناك دخل شيخ السادات الوفائية الجديد كعادة كل شيخ يتولى مشيخة هذه الطريقة ، فتوضأ وصلَّى ركعتين في القبلة . ثم قرأ جماعة الطريقة حزب السادة الوفائيـة وكرَّروا شعارها وهي كلمة « يا مولاي ، يا واحد ! يا مولاي ، يا دائم ! يا علي يا حكيم ! »

وفي الساعة الأولى بعد الظهر عاد هذا الجمع الى بيت السادة الوفائية في درب الجماميز ؛ حيث جلس شيخ السادة برهة من الزمن على سجادة السادة الوفائيـة ؛ وهي أقدم سجادة توجد في مصر اذ كان يصلي عليها سيدي « محمد وفا » الاكبر ، والد سيدي « علي وفا » ، الذي ولد في أوائل القرن الثامن للهجرة لوالده السيد « النجم الأنور » الذي كان استاذ سيدي ابن عطاء الله السكندري

هذا ولما كان خروج السيد علي يوسف من الصحافة ، بعد ان خدمها في « المؤيد » زهاء ثلاثة وعشرين عاماً ، حادثاً ذا شأن في عالم الأدب رأت « الزهور » ان تجمع لقرّائها زبدة أقوال بعض الكتاب والصحافيين في زميلهم السابق ؛ من حيث هو كاتب صحافيّ فقط ، وهذا ما تيسر لنا جمعهُ

الشيخ علي يوسف سهلُ التأليف ، شديد المضاء . هو في بيانهِ أقربُ الى العامة منهُ الى الخاصة . اذا غالبَ غالبَ بصوتهِ دون روحهِ ؛ صحافيٌّ محنّك وليست الكتابة من عملهِ

كأنما يراعهُ سوطهُ　　يضربُ ان جدَّ ولا يكتبُ

لا تَدَعُ العجمةُ اسلوبَهُ　　فليس في اسلوبهِ مُعربُ

ولي الدين يكن

لو كان غيرَ سياسيٍّ بطبيعتهِ ، لما كان من الكتاب

ابو السامي الرافعي

أنظرُ اليهِ بعين الصحافي ، فأراهُ عظيمَ البراعة ، في تقليب اليراعة ، وشديد الحصافة ، في ميدان الصحافة ؛ ولو وجد قلمهُ من عواطفهِ دعامة ، لرفعهُ بيننا الى مقام الزعامة ؛ ولقد زاد فضلهُ أنه من الطبقة العصامية ، وجهّال اللغات الأجنبية

يوسف البستاني

سيف لا يزال في غمده صدِئاً حتى يجلوَه القراع

مصطفى لطفي المنفلوطي

كان للانشاء في مصر ديوان أنت رئيسه ، والكتاب جميعاً عمّاله

مصطفى لطفي المنفلوطي ايضاً

له اسلوب جمع بين المتانة والطلاوة ولا سيما في الايلام والهجاء ، وقلم يطاوعهُ في الشيء ونقيضهِ على السواء . ولكنَّ علمهُ قليل فما هو من الكتَّاب الذين يبقى أثر مقالاتهم الى حين

اسكندر شاهين

يكتب بقلم ذي أنبوبتين : أفرغ في هذه أرياً ودرياقاً ، وأفعم هذه سُماً زعافاً وكلما دافَ من هذه على تلك وصلَ الى أبعد غايةٍ من قوة التأثير وسلامة التعبير . كتابتهُ صورة من دهائهِ وما سَلِمَ من عاب وان كان من أقدر الكتاب

ابراهيم الدباغ
صاحب مجلة الانسانية

تربية الطفل

لباس الطفل

يغيَّر على الحبل السري الذي ينفصل بين اليوم الخامس والعاشر ، باحدى القطع المربعة الاربع السالفة الذكر . تقطع القطعة المربعة من أحد الجانبين ومن منتصفها الى مركزها ، ثم توضع القطعة بحيث يكون هذا الشرم الى أعلى ، والحبل السري في أسفل الشرم المذكور ، ثم يثنى الجزء الأيمن على الحبل السري وأخيراً الجزء الأيسر ، ثم تقلب القطعة بما فيها من الحبل السري الى أعلى . ومن اللازم أن يكون الحبل جافاً وان يبقى كذلك ، وذلك بذرّ قليل من المسحوق عليه . وعلينا أن نلاحظ الحبل السري لحدوث نزف منهُ أحياناً . وبعد انفصال الحبل السري يوضع على السرة قطعة من القطن ، وتحفظ في مكانها باللفافة ويجب أن

تكون اللفافة بحيث تكون السرة في منتصفها ، وتلف جيداً من أسفل ، وتلف لفاً بسيطاً من أعلى حتى لا يحدث أي ضغط على المعدة والرئتين. ثم توضع بعد ذلك الصدرية التي من الصوف وتربط من الامام ، ثم تثنى لفافة لتكون بشكل مثلث فوق الصدرية ، وتحكم على الطفل فوق الصدرية بالطريقة الآتية : توضع اللفة التي بشكل المثلث بحيث تكون أطرافها العليا تحت إبط الطفل بقليل حتى لا تمتنع حركة الذراعين ؛ ثم يدخل الطرف الأسفل من اللفة بين ساقيّ الطفل ويضم الطرفان الآخران على جسمه الواحد فوق الآخر . ويلف الطفل بعد ذلك بلفة مربعة أخرى ، ويوضع على قدميه الحذاء المصنوع من الصوف ، ثم يوضع الشال فوق رأسه

ويشترط في ملابس الطفل ان تقيه البرد ، لانه يتأثر بسرعة لصغر سنه ؛ وان تترك للطفل الحرية التامة حتى يستطيع أن يحرك أعضاءه بكل سهولة ، لأن ذلك يساعد على نمو الجسم نمواً كاملاً ؛ وان تكون جافة نظيفة وتستبدل بغيرها متى ترطبت من البول أو البراز . وعلينا أن نلاحظ اثناء إلباسها للطفل ان تكون خالية من التجعدات لانها تؤلمه

الاعتناء بالاذن والانف والعيون والفم

وبعد إلباس الطفل يجب على المرضع أن تنظف الأذن والأنف والعيون بقطع من القماش مبللة بالماء الدافىء وتنشفها بقطع من الفلانلا الجافة أو بفوطة ناعمة . ويلزم التأكد من عدم وجود إفراز في العينين ،

لانهُ اذا وجد يحسن غسلهما بمحلول البوريك ، ومعالجتهما بأي علاج حسب أمر الطبيب . وينظف الفم بادخال السبابة ملفوفة عليها قطعة من القماش بعد ان تُغمس في الماء الدافئ ويحسن مسح اللثة واللسان وسقف الفم بقطعٍ من القماش المبللة بجلسرين البورق

متى يحسن عمل حمَّام للطفل

يرى البعض تحميم الطفل مرتين في اليوم ، ويقتصر البعض على حمام واحد في الصباح مع تغيير الملابس وملاحظة السرَّة وإحكام رباطها . ومن المهم عند تنظيف شعر الطفل (بالفرشة) أن يكون ذلك بلطف لوجود مساحة صغيرة في الرأس لم يلتئم فيها العظم تسمى باليافوخ ولا يتم التئام العظم الا بعد ١٨ — ٢٤ شهراً والضغط على اليافوخ قد يحدث اعراضاً خطرة لوجود المخّ تحته مباشرة

الطفل في المهد

من المستحسن ان لا ينام الطفل مع أُمه في فراشها مطلقاً لما يحدث أحياناً من الخطر بنوم الأم عليه . وأفضل مكان لنوم الطفل هو المهد ويؤخذ الطفل من المهد آناً بعد آخر لارضاعهِ . ويحسن ارضاعه على أثر إخراجه من الحمام ثم يُصبح ميَّالاً الى النوم فيجب أن يكون المهد مُعدًّا لاستقبالهِ واذا كان الجوُّ بارداً يمكن تدفئة المهد بوضع زجاج مملوء بالماء الساخن . ولا يحسن هزُّ الطفل في مهدهِ خشية أن يتعود ذلك . وكل ما يحتاج اليهِ هو السكون والهوآء المطلق دون وجود مجرى هوائي

الدكتور محمد عبد الحميد

لمن هذا الشعر ..؟

نشرنا في الجزء الفائت أبياتاً أخفينا اسم ناظمها ، تاركين لفراسة القراء ان يعرفوه ؛ فوردت علينا اجوبة كثيرة من أنحاء مختلفة . فاذا بمعظم الكاتبين قد نسب تلك الأبيات الى سعادة اسماعيل صبري باشا ، وقد بلغ عدد هؤلاء ٥٣ ، وعزاها بعضهم — وعددهم ٢٧ — الى خليل افندي مطران . وزعم ١٦ انها لسعادة شوقي بك . وتوزع بعض الأجوبة على حافظ افندي ابراهيم وأبي السامي الرافعي وأمين بك ناصر الدين محرّر الصفا وعبد الحليم افندي المصري . وقال مكاتب من السودان انها للدكتور شدودي . واعتقد بديع افندي الحوراني انها لوالده الاستاذ الشيخ ابراهيم الحوراني

أما الأبيات فهي من نظم **ولي الدين بك يكن**

وأما الذين أصابوا في نسبتها اليهِ فهم حضرة : عبد المعطي بك حسين عمدة الصوالح — والسيدة لبيبة عقيلة أيوب افندي نقاش — وأندراوس افندي حنا — واسكندر افندي سعيد البستاني — والخواجات حنا ويوسف شيخاني — وعبد الله افندي نادر — وأمين افندي حمدي . وقد أرسلت ادارة مجلة « الزهور » جائزةً لهم كتاب « المعلوم والمجهول » لوليّ الدين بك يكن وعليهِ توقيعه بخط يده

هذا واننا نقتطف من بعض الأجوبة التي وردت علينا الشذرات الآتية :

كتب ابو اسحق الصابي في مساجلة استاذه الشريف الرضي قصيدته النونية الساكنة فأجابهُ الشريف بقصيدة اخرى من نفس البحر غير انهُ اطلق الرويّ زاعماً انهذا الرويّ الساكن مما ينافي العذوبة ويكدُّ اللسان ويضطرب في اسلتهِ . وهو رأي العرب الذين تظهر فطرتهم اللغوية في ألسنتهم لأنهم انما يريدون الوجوه اللفظية التي نشأت بها اللغة حسناء رائعة ونمت بها هيفاء بارعة فما كان من ذلك في الشعراء فهو أثر ورأيي يجري هذا المجرى

ولما قرأتُ الأبيات التي نشرتها « الزهور » عجبت من أول بيت لهذا التقييد الذي أراه في الرويّ . ثم مررت في هزّها حتى أتيت عليها . فاذا صقال مطبوع ، واذا فكر دقيق و بصيرة نفاذة وفطنة شفافة . فراجعت رأيي متّهماً ثم رجّعت النظر كرتين فصحّ عندي ان تقييد الروي انطلاقٌ في حرية الشاعر وانهُ من أفراد شعراء المعاني الذين ينبع الشعر في قلوبهم قبل ان يفيض على ألسنتهم ولا أعرف ذلك لأحد كما أعرفهُ للرجل الكبير الذي يكاد يكون قلباً كلّه وهو اسماعيل باشا صبري

ابو السامي الرافعي

« الأبيات لولي الدين بك يكن . فان أخطأ ظني فما ذلك الاّ لأن الشعر الحقيقي روح واحدة تتجلّى بمظاهر متعددة حسب ما توحيه قرائح الشعراء وكثيراً ما تتشابه هذه المظاهر فتعسر معرفة اسم الناظم مهما كان لاساوبه في النظم من المميزات »

اسكندر سعيد البستاني

هذه الأبيات تشابه في روحها الأبيات المنشورة تحت عنوان « لؤلؤ الدمع » في الجزء نفسه ولا سيما في قول الشاعر « وقد كدت أنسى كبرتي فاّدكرتهـا » فانهُ ينطبق على ما ورد في مطلع « لؤلؤ الدمع » لولي الدين بك يكن

لا تذكريني فانّ الذكر يرجع لي　　عادات وجدي في أياميَ الأول

هنا و يوسف شيخاني

هذه الأبيات ليست لشوقي لأنّ شعره يعلو ويخفض كموج البحر ؛ وليست لحافظ لأنهُ يعتني بالديباجة اكثر من اعتنائهِ بالمعاني ؛ وليست لخليل لأنّ ألفاظهُ أقلّ من معانيه ؛ وليست لوليّ الدين لأنهُ على فصاحته يعوزه بعض الجزالة ، وليست لالياس فيّاض لانصرافه عن الشعر الى سواه في الأيام الحاضرة . على انهُ لو كان البارودي لا يزال حيًّا لنسبتها اليه لما فيهـا من رصانة القول وجزالة المعنى وحسن السبك . فهي في رأيي والحالة هذه لسعادة اسماعيل باشا صبري

يوسف الخوري كرم

أرى في هذه الأبيات افكار ومعاني اسماعيل باشا صبري ، وفي اسلوبها وديباجتها لهجة وليّ الدين بك يكن

لمع لمع

هذه الأبيات هي للشاعر الذي نشرت له الزهور في مجلّدها الأول « شكوى المنفي » صفحة ١٤٠ و « ياليل الصب » صفحة ٣٢٧ ، و « نفس مكرمة » صفحة ٤٢٨ . وفي مجلّدها الثاني «ما كان» صفحة ١٩٠ و« القلوب البائسة» صفحة ٩٧٤. وفي مجلّدها الثالث « لؤلؤ الدمع » صفحة ٣١ فهي لوليّ الدين بك يكن

لبيبه نقاشى

هي للشاعر الذي سُمعت أنّاتهُ على ضفاف البسفور، ودوت صيحاتهُ في ارجاء يلدين. الشاعر الكاتب المجرّد عن كل تعصب ان دينيًّا او جنسيًّا . هي لوليد الاستانة ومنفي سيواس ونزيل مصر اليوم صاحب « المعلوم والمجهول » عرفتهُ وانا اطمع بأن أرى توقيعهُ على الجائزة فاحتفظ بخط الرجل الحرّ الذي علَّم الأحرار كيف يكون على الحرية . هي لولي الدين بك يكن ؟

عبد الله نادر

قرأت كثيراً لولي الدين بك يكن وتشبعت من روحهِ فلم اشكّ في ان الأبيات لهُ

امين حمدى

وقد ورد علينا جواب مطوّل من حضرة الكاتب المجيد الشيخ ابرهيم الدباغ صاحب مجلة الانسانية فيهِ نقدٌ لهذه الأبيات وددنا ان ننشره لما فيهِ من الفائدة لولا ان منعنا ضيق المقام . على ان حضرتهُ اخطأ في نسبتها

***

هذا واننا نشكر المكاتبين الادباء الذين تفضلوا بالرد على اقتراحنا ، ونُلفت نظر القراء جميعهم الى اقتراح « الزهور » المنشور في هذا الجزء صفحة ٨٩ بعنوان نوابغ مصر الاحياء

ثمرات المطابع

كتاب خالد — قرأتُ كتاب خالد من الفاتحة الى الخاتمة . وكنت قد رأيتُ مؤلفه مرةً في بيروت منذ ثلاث سنين في صيدلية صديقي الفاضل مراد أفندي بارودي . فلما قرأتُ في الكتاب وصف « خالد » نفسهُ انهُ « حليق الشاربين ، مسترسل شعر الرأس » تمثلت أمام مخيلتي صورة المؤلف جليةً واضحة . والكتاب كغيره من نتائج الافكار يجمع بين الحَسن وغير الحسن وذلك شأن كل مؤلَّفٍ على الاطلاق

وقد أدهشني في هذا الكتاب ما يلوح للقارىء لأول وهلة من سعة اطلاع مؤلفه وتعمقهِ في معرفة اللغة الانكليزية وسهولة انشائهِ وغزارة مادته . الاَّ انهُ قد تكلف استعمال الالفاظ الانكليزية النادرة فكأنهُ أراد ان يظهر مقدرته اللغوية ونبوغهُ في ادراك اسرار تلك اللغة الاجنبية

والكتاب مقصود بهِ سرد سيرة « خالد » وما لقي في مسقط رأسه وفي بلاد الغربة من تقلبات الأيام فهو مكتوب للعامة وكان يستحب ان تكون ألفاظه سلسة كمعانيهِ لا ان يكون معجم كلمات غريبة .

وقد حمل المؤلف في كتابهِ حملة شديدة على الجزويت والاتراك ولا يعنّ لنا هنا ان نخطّئ او نصوّب عمله بالنسبة الى هذين العنصرين ولكننا نقول اذا كان هذا التقريع لا يجلب فائدة فما هو الاَّ نفثة مصدور او ثورة غيظ لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً . وأجدر بأرباب الاقلام ان يكونوا أوسع صدراً واكثر حلماً فلا يدفعهم الغضب الى شطة قلم تنكأ

جرحاً قديماً لا يرجى شفاؤه ولكنها تزيده ألماً

ومن أحسن ما ورد في الكتاب وصف الأماكن التي زارها المؤلف ووصف معيشة القرويين في سذاجتها الطبيعية حتى انكَ اذا قرأتَ وصف الجبال والأودية وبزوغ الشمس ومغيبها ، وظلال الصخور وأغصان الاشجار وخضرة الوادي وخرير الماء وهبوب النسيم وتغريد الاطيار وشذا الازهار ، تظن انك انتقلتَ بالفكر الى المكان الذي يصفهُ وكأنك تشاهده بعينك . وهي لا شك مقدرة للكاتب يحمد عليها

وفي الكتاب مباحث كثيرة فلسفية دقيقة تدلّ على ذكاء خارق وذهن متوقد ، وسعة اطلاع ، والمام بأكثر الفنون القديمة والعصرية ، حتى لترى المعاني تسطع متقطعةً كوميض البروق فتبهر البصر بشدة لمعانها ثم تضمحلّ بسرعة فيعقبها ظلام دامس . بل هي شرر النار المتطاير من حديد محمي الى البياض تحت مطرقة الحدّاد . تراه ينبعث في كل مكان ثمَّ يختفي بمثل السرعة التي ظهر بها . ذلك انهُ لا يرمي الى غاية واحدة بل ينتشر في كل جهة ثم يندثر فلا تدري ما العلاقة التي كانت بين مصدره ومرجعه

ولا مشاحة في ان المؤلف شاعر اكثر مما هو كاتب . وقد بلغ بهِ الخيال الى الحلم فيرى ان المستقبل سينشيء دولة عربيةً في سوريا تجعلها بهجة الدنيا . وهو حلمٌ لذيذ نتمنى ان يصير حقيقةً ولكن بينهُ وبينها مراحل حتى الآن لا يبلغها الاَّ الوهم . ومن المؤكد ان المؤلف قد استفاد كثيراً من الغربيين ادباً وعلماً وفلسفةً ولكن الفطرة الشرقية لم تزل شديدة فيهِ وهي التي تجعل الأمل يقوم عندنا موضع العمل . وهذا ما جعل

الشرقيّ غارقاً في سبات منامهِ لاهياً بآماله وأحلامهِ

هذه خلاصة ما تأثر به ذهني من مطالعة كتاب « خالد » بسطتهُ كما أرسلتهُ النفس وما خشيت ان يسوء موقع بعض الحقائق التي فيهِ من ذلك الفكر المتقد وذلك العلم الجامع

نجيب

مختارات المنفلوطي[1] — رأى السيد مصطفى لطفي المنفلوطي، صاحب « النظرات »، حاجة طلاّب الأدب الى «كتابٍ يجمعُ لهم من جيّد منظوم العرب ومنثورها، في حاضرها وماضيها، وفي كل فنّ وغرض من فنونها وأغراضها، ما يستعينون باستظهارهِ او ترديد النظر فيهِ، على تهذيب بيانهم وتقويم لسانهم . . . فهزّ دوحة الأدب العربي هزّةً، تناثرت فيها هذه الثمرات الناضجة» التي سمّاها « مختارات المنفلوطي ». بين يدينا الآن الجزء الأول من هذه المختارات وهو يشتمل على بابي الفصاحة والبيان، والأدب والحكمة، مأخوذة فصولها عن مئة شاعرٍ وكاتبٍ تقريباً بين قديم وحديث؛ وستليهِ اجزاء اخرى تتضمن سائر أبواب الكتابة . وقد برهن السيد المنفلوطي في انتقاء هذه المختارات عن ذوقٍ سليم واطلاعٍ واسع، الأمر الذي لم نعجب له، لأن صاحب « النظرات » من كتّابنا المعدودين ومن ذوي الخبرة التامة بالأدب والأدباء . وقد أحسن بوجهٍ عام في وصف كل كاتب من الكتاب الواردة أسماؤهم في كتابهِ، غير اننا كنا نودّ ان نرى زيادة تفصيل في هذهِ التراجم كأن يذكر لنا دائماً سنة ولادة المترجَم كما ذكر غالباً سنة وفاته،

(١) طبع بمطبعة المعارف في مصر . ثمنهُ عشرة قروش صاغ وعدد صفحاتهِ ٢٧٠

أو على الاقل القرن الذي عاش فيهِ ، ملحقاً ذلك بأسماء اشهر مؤلفاتهِ ، لكي يطلبها من يرغب في زيادة الاطلاع ، او على الأقل ليكتفي بمعرفة أسمائها . وكان يُستحبُّ ايضاً مراعاة تاريخ الكتّاب في إيراد كتاباتهم ، فلا نقرأ شيئاً للمتنبي المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وبعدَه أبياتاً لبشار بن برد الذي توفي قبله بنحو من مئتي سنة ، ثم ننتقل دفعةً واحدة الى احد شعرائنا المعاصرين . فهذه الأمور لا تخفى أهميتها في تنسيق المختارات وترتيبها ، وقد راعاها الافرنج قبلنا في مختاراتهم ، فكانت نتيجتها تفوّق ناشئتهم في حفظ تاريخ آدابهم الأمر الذي يكاد يجهله حتى المتأدبون منا . على ان « مختارات المنفلوطي » تُعَدُّ من خير ما لدينا من هذا القبيل

الدولة والجماعة [1] — عنوان لكتيّب يقع في ٦٥ صفحة وضعهُ بالتركية احمد شعيب بك ، ونقله الى العربية محبُّ الدين افندي الخطيب احد محرري جريدة المؤيد ، وصدَّرهُ رفيق بك العظم بمقدمةٍ عن علم الجماعة في الشرق . الواضع من مشاهير الكتاب الأتراك ، والمترجم من حملة القلم البارعين . أما رفيق بك فمنزلتهُ الادبية معروفة لدى الجميع . ان كتاباً هذا شأنه لخليق بكل اديب ان يطالعهُ بامعان ولا سيما انه يحتوي بحثاً مفيداً قلّما عالجتهُ الاقلام العربية الاَّ في العهد الاخير . فلمحبّ الدين الخطيب الثناء الوافر

---

(١) طبع بمطبعة المؤيد وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

لما نُكِبت بيروت نكبتها الاخيرة في ٢٤ فبراير — شباط ، هزّت الأريحية والمروءة دولة الأمير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي الخديوي ، ونخبةً من سراة مصر وكرمائها ، فتألفت لجنة رئيسها دولة الامير ، وقوامها أصحاب السعادة والوجاهة : محمد شواربي باشا ، ومحمود رياض باشا ، وعزيز عزت باشا ، واسماعيل باشا صبري ، وحسن باشا مدكور ، واسماعيل باشا اباظه ، وحسين باشا واصف ، وعبدالرحمن باشا صبري ، وخليل باشا خياط ، ونجيب باشا شكور ، وسليم بك ايوب ثابت ، ورفيق بك العظم ، وحبيب افندي لطف الله ، فاحتفلوا باحياء ليلة خيرية في تياترو الاوبرا الخديوية مساء الثلاثاء في ١٩ مارس الماضي ، لإعانة المنكوبين في تلك الحادثة الاليمة ، فضمت الليلة أوجهَ وجهاءِ المصريين والسوريين يتقدمهم صاحبا الدولة الاميران محمد علي باشا ، وحسين باشا كامل (عم سمو الجناب العالي) وصاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأصحاب السعادة النظار الكرام . فرأى الحاضرون في تلك الحفلة الانيقة احسن ما يُرى ، وسمعوا خير ما يُسمع

ولما كانت « الزهور » منذ نشأتها الى يومها الحاضر ، عاملةً ابداً على إحكام الروابط الأدبية بين القطرين الشقيقين — مصر وسوريا — وقد طالما كتبت واستكتبت في هذا الموضوع المقالات والقصائد التي كانت صحف هذين البلدين تردّد صداها ، وتعزّز مبدأها ، رأت من الواجب عليها أن يكون لها يدٌ في تلك الحفلة التي أقامها ابناء أحد القطرين لاعانة ابناء القطر الآخر في بلواه . فتقدمت الى اللجنة بلسان سعادة السري الأمثل سليم بك ايوب ثابت ، فأُذن لها وحدها في نشر ما أُعدّ لتلك الليلة فجمعتهُ في كرّاس خاص ، صدّرتهُ برسم دولة الأمير الرئيس ، وقدمت منهُ عدداً كبيراً الى اللجنة ، ليلة الاحتفال ، ليُضاف ثمنهُ الى مبرات المتبرعين . وقد ارتأت « الزهور » ألاّ تحرم قراءها من تلك النفثات الشائقة ، فأودعتها في هذا الجزء ليبقى لديهم اثراً لروح التآخي والتضامن ، ذلك المبدأ الشريف الذي بسطهُ حضرة سليم بك ثابت الخطيب المشهور في ختام تلك الحفلة في خطبة بليغة ألقيت ارتجالاً فلم نتمكن من إثباتها



صاحب الدولة الامير الخطير محمد علي باشا
شقيق الجناب العالي الخديوي

جريح بيروت

وهى ابيات تمثل حالة جريح من جرحى حادثة بيروت الاخيرة
وضعها لهذه الليلة سعادة اسماعيل باشا صبرى وحافظ افندى ابرهيم

الممثلون : الجريح البيروتى — جورج افندى ابيض
ليلى زوجته — الست ابريزستاتى
العربى — فؤاد افندى سليم
الطبيب المصرى — عبد الرحمن افندى رشدى

الجريح: ليلاي ما أنا حيٌّ يُرجى ولا أنا ميتُ
لم أقضِ حق بلادي وها أنا قد قضيتُ
شفيتُ نفسي لو أني لما رُميتُ رَميتُ
بيروت لو أن خصماً مشى اليَّ مشيتُ
او داس أرضكِ باغٍ لدسته وبغيتُ
او حلَّ فيكِ عدوٌّ منازلٌ ما اتقيتُ
لكن رماكِ جبانٌ لو بان لي لاشتفيتُ

***

ليلايَ لا تحسبيني على الحياة بكيتُ
ولا تظني شكاتي من مصرعي إن شكوتُ
ولا يخيفنكِ ذكرى بيروت اني سلوتُ
بيروت مهد غرامي فيها وفيكِ صبوتُ
جررت ذيل شبابي لهواً وفيها جريتُ
فيها عرفتكِ طفلاً ومن هواكِ انتشيتُ

ومن عيون رباها وعذب فيكِ ارتويتُ
فيها لليلى كناسٌ ولي من العزّ بيتُ
فيهـا بنى لي مجداً أوائـلي وبنيتُ
ليلى سراج حيـاتي خبا فما فيـهِ زيتُ
قد أطفأتهُ كراتٌ ما من لظاهنَّ فوتُ
رمى بهنَّ بغـاةٌ أصبنـني فثويتُ

⁂

ليلى : لو تُفتدى بحيـاتي من الردى لفديتُ
ولو وقاك وفيٌّ بمهجتي لوقيتُ
ان عشتَ او متَّ أني كما نويتَ نويتُ

⁂

الجريح : ليلاي عيشي وقرّي اذا الحمـامُ دعاني
ليلايَ ساعات عمري معـدودة بالثواني
فكفكفي من دموع تفري حشاشة فان
ومهّدي ليَ قـبراً على ذرى لبنان
ثم اكتبي فوق لوح لكل قاصٍ ودان
هنـا الذي مات غدرا هنـا فتى الفتيان
رمَتـهُ أيدي جناةٍ من جيرة النيران
قرصان بحر تولوا من حومة الميـدان
لم يخرجوا قيـد شبر عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتاً في اوجه الفرسان
فشمَّروا لانتقـام من غافل في أمان
وسوَّدوا وجـه روما بالكيد للجيران

تبًّا لهم من بغاثٍ　　فرُّوا من العقبانِ
لو انهم نازلونا　　في الشام يوم طعانِ
رأوا طرابلس تبدو　　لهم بكلِّ مكانِ
يا ليتني لم أُعاجَلْ　　بالموتِ قبل الأوانِ
حتى أرَى الشرق يسمو　　رغم اعتداء الزمانِ
و يستردُّ جلالاً　　لهُ ورفعة شانِ
وليعلم الغرب انَّا　　كأمّة اليابانِ
لا نرتضي العيش يجري　　في ذلة او هوانِ
أراهــــم أنزلونا　　منــازل الحيوانِ
وأخرجونا جميعــاً　　عن رتبــة الانسانِ
وسوف تقضي عليهم　　طبائع العمرانِ
فيصبح الشرق غرباً　　و يستوي الخافقانِ
لاُهمَّ جدّدْ قوانا　　لخدمــة الأوطــانِ
فنحن في كل صقعٍ　　نشكو بكل لسانِ
يا قوم انجيل عيسى　　وامــة القرآنِ
لا تقتلوا الدهر حقداً　　فالملك للديَّانِ

ليلى : اني أرى من بعيدٍ　　جماعةً مقبليـــنا
لعلَّ فيهم نصيراً　　لعلَّ فيهم معينـا
هوّن عليكَ تماسكْ

(يدخل الطبيب المصري ورجاله مع رجل عربي)

الطبيب : 　　　　اني سمعت أنينـا
أظنُّ هذا جريحاً　　يشكو الأسى او طعينا
بالله ماذا دهــاهُ　　يا هــذهِ . خبّرينـا

ليلى : لقد دهتـــهُ المنايا من غارة الخائنينــا
صبُّوا عليـــهِ الرزايا لم يتقوا الله فينــا
فخفّفوا من اذاه ان كنتم فاعلينا
الطبيب: لا تيأسي – وتجلّدْ أراكِ شهماً ركينا
أبشر فانك ناجٍ واصبر مع الصابرينــا
(ثمَّ يفحصهُ و يلتفت الى اخوانه ويقول)
اوّاه اني أراهُ للموت أمسى رهينا
جراحــه بالغـــات تعيي الطبيب الفطينا
وعن قريبٍ سيقضي غضَّ الشباب حزينا
العربي : أفٍّ لقومٍ جياعٍ قد أزعجوا العالمينــا
قِراهمُ أينَ حلُّوا ضربٌ يقـدُّ المتونا
عقّوا المروءة هدّوا مفاخر الأولينـــــا
عاثوا فساداً وفرّوا يستعجلون السفينــا
وألبسوا الغرب خزياً في قرنهِ العشرينــا
وألجموا كلَّ داعٍ وأحرجوا المصلحينــا
فيــا اوربّة مهــلاً أين الذي تدَّعينــا
ماذا تريدين منــا والداء أمسى دفينــا
أين الحضارة ؟ إنّا بعيشنـــا قد رضينــا
لم نؤذِ في الدهر جاراً ولم نخاتل خدينــا

⁂

« مسرّة » الشام إنّا اخوانكم ما حيينا
ثقوا فإنا وثقنـــــا بكم وجئنا قطينا
إنا نرى فيك عيسى يدعو الى الخير فينــا

قرَّبت بين قلوبٍ قد أوشكت ان تبينا
فانت فخر النصارى وصاحب المسلمينا

الجريح: رأيت يأس طبيبي وهمسهُ في فوآدي
لا تندبيني فاني اقضي وتحيا بلادي

العربي: أستودع الله شهماً ندباً طويل النجادِ
أستودع الله روحاً كانت رجاء البلادِ
فيا شهيداً رمتهُ غدراً كرات الأعادي
نم هانئاً مطمئناً فلم تنم أحقادي
فسوف يرضيك ثأرٌ يذيب قلب الجمادِ

قصيدة شاعر الامير

يا ربِّ أمرُك في الممالك نافذٌ والحكم حكمك في الدَّمِ المسفوكِ
ان شئت أهرقهُ وان شئتَ احمهِ هوَ لم يكن لسواك بالمملوكِ
واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن بالممترَى فيهِ ولا المشكوكِ
ألأَجْلٍ آجالٍ دنت وتهيأت قدَّرتَ ضرب الشاطئ المتروكِ
ما كان يحميه ولا يُحمى بهِ فُلكانِ أنعم من بواخر « كوكِ »
هذي بجانبها الكسيرِ غريقة تهوي وتلك بركنها المدكوكِ

***

بيروتُ مات الأسدُ حتف أنوفهم لم يشهروا سيفاً ولم يحموكِ
سبعون ليثاً أحرقوا أو أغرقوا يا ليتهم قُتلوا على « طبروكِ »
كل يصيدُ الليث وهو مقيَّدٌ ويعزُّ صيد الضيغم المفكوكِ
يا مَضرِب الخِيم المنيفة لِلقرى ما أنصف العُجْم الأُولى ضربوكِ
ما كنت يوماً للقنابل موضعاً ولو أنها من عسجدٍ مسبوكِ

بيروتُ يا راحَ النزيل وأنسهُ　　يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ
الحسن لفظٌ في المدائن كلّها　　ووجدته لفظاً ومعنىً فيكِ
نادمت يوماً في ظلالك فتيةً　　وسموا الملائكَ في جلال ملوكِ
يُنسون (حسّاناً) عِصابة (جلّق)　　حتى يكادَ بجلّق يفديكِ
تاللهِ ما أحدثت شرًّا أو أذى　　حتى تُراعي أو يُراعَ بنوكِ
انت التي يحمي ويمنع عِرضها　　سيف الشريفِ وخنجرُ الصعلوكِ
ان يجهلوكِ فان املّكِ (سوريا)　　والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوكِ[1]
والسابقينَ الى المفاخر والعُلى　　بلهَ المكارمَ والندّى أهلوكِ
سالت دماء فيكِ حولَ مساجدٍ　　وكنائسٍ ومدارسٍ و « بنوكِ »
كنا نؤملُ ان يُمدَّ بقاؤها　　حتى تبلَّ صدى القنا المشبوكِ
لكِ في رُبى النيلِ المبارك جيرةٌ　　لو يقدرون بدمعهم غسلوكِ
يكفيكِ بُرءًا للجراح ومرهماً　　أنَّ الأمير « محمداً » يأسوكِ
لو يستطيع كرامُ مصرَ كرامةً　　« لمحمدٍ » بقلوبهم ضمدوكِ
هو في ابتناء المجد صورة جدّهِ　　أذكرتِ « ابرهيم » في ناديكِ؟

شوقي

خطبة سعادة الاستاذ احمد زكي باشا

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »

يا سيدي الامير النبيل، يا زهرة الربيع في روضة النيل، يا حفيد محمد علي الكبير، وشريكه في اسمه الجليل وفعله الجميل!

حيَّاك الله وبيَّاك! فأنت القدوةُ الصالحة للأكابر في حبّ قومك، وأنت

---

(١) عنى الشاعر بالأبلق الفرد جبل لبنان

أنت المتفاني في خدمة العرب بما يفيض من قلبك على قلمك ! نراك تتطوّف الشرق في أقصاه ، وتزور الغرب حتى منتهاه ، ووطنك لا يزال نُصب عينيك لا تنساه . تجوب الآفاق كما تتنقَّل الشمس في البروج ، وشعاعك الروحاني متصل على الدوام بهذه الربوع ، بل بما بين الجنوب من القلوب . تلك آثار يراعك ونفثات صدرك ، نراها متمثلة في مثـاني السطور ، وفي تضاعيف الطروس التي أملاها وجدانك على بنانك . فجاءت أسفار أسفارك خير آية شاهدة بأنك اذا ابتعدتَ عن مصر ، فلا تزال نفسك تناجيك بمصر ، ولا تزال روحك تحن " الى ساكني مصر . تلك عواطف سامية يمنحها الله من يشاء ! ويمنعها عمن يشاء . عواطف شريفة تتجلى بأظهر معانيها حين حاولك في روضة المقياس ، بعاصمة أخيك العباس ، وهل يخفى القمر عن أبصار الناس ؟

فلا غروَ يا مولاي أن جاءت هذه الليلة الغرّاء غُرَّةً في جبين الليـالي ، فأنت بدرها الذي تسجد له الاهرام والبرابي . لأنك أحييتَ فيها آية من آي الفرقان ، آية عائدة بالخير الحقيقي على المستحقين من بني الانسان :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .

أيها السادة الكرام !

شكر الله صنيعكم ، ووفقكم لخير أمتكم ! فبمثلكم ترفع مصر رأسها بين الأمم ، وفي اجتماعكم هذا معنى شريف لمن ينشُد الوطنية الصادقة ، ولمن يريد أن يتعرّف ما هو التضامن الانساني على وجهه الصحيح .

هذه مصر ، وهذه الشام ! صنوان ، بل توأمان متلازمان ، جمعتهما أواصر السُّلالة والقرابة والجِوار ، ومزجت بينهما لُحمة اللغة والأدب ، وربطتهما ببعضهما الآمال والآلام .

ارجعوا الى التاريخ ، في القديم وفي الحديث ، « ولا يُنبّئكم مثل خبير » . فطالما

كان القطران تحت صولجان واحد ، وطالما كانت الأمتان كجسم علا رأسه في العلا الى السماء ، ووضع إحدى قدميه على قارَّة أفريقية ، وأقرّ الاخرى على قارة آسية ! تعاونت الشقيقتان ، في الشدة والرخاء ، ورفعتا معاً منار العرفان ، فاستضاءت بهِ جميع الارجاء .

نعم إن كرسيّ الملك كان في أغلب الاحيان في طيبة ومنف على عهد الفراعنة في الجاهلية الاولى ، ولكنهُ كان ايضاً في دمشق الفيحاء حينما بدا فجر الاسلام ، ثم انتقل الى فسطاط ابن العاص فقطائع ابن طولون فقاهرة المعز لدين الله

فهل من عجيب أن يلتحم القطران ببعضهما ٱلتحاماً تاماً في الحسّ والمعنى ؟

هكذا بقيت الحال في ايام الفتح العثماني الذي شمـل الاختين معاً الى اليوم والى أبد الآباد ، حتى ظهر ابو الرجال ، وسيد الاقيال ، وأمير الابطال ، أعني بهِ محمد علي الكبير والجد الأعلى لمولانا العباس

وهنا أقف موقف الإِجلال والإِكرام ، وأنحني باحـترام أمام ذكرى ذلك الهمام المقدام ، وأستمطر شآبيب الرحمة والرضوان ، على ضريح ذلك الذي استنقذ مصر من مخالب الفوضى وعوامل الخراب ، ثم أحياها ووضع لها قواعد العمران . وسعى حتى جمع بين الشقيقتين تحت الراية العثمانيـة مستعيناً بابراهيم نجله الكبير ، ذلك البطل المغوار ، المستوي فوق صهوة الجواد ، أمام رَدَهة هذه الدار . وها هو لا يزال يشير باصبعـه على الدوام . . . . . الى نحو الشام ؛ دلالةً على تمام الارتباط والاتحاد في ظلال الهلال .

جاءت قناة السويس على عهد سعيد وتلاقى فيها البحران ، في يوم ولا كمثله يومٌ من أيام اسماعيـل . فكان اتصال الاحمر بالابيض انفصالاً بين بَرَدَى وبين النيل ، وانفصمت تلك العروة الصغرى ، فيما بين الغوطة والدلتا . غير ان ذلك التفريق كان على التحقيق اكبر عامل في جمع القلوب وفي ازدياد الحنين .

فمصر لا تزال ترمق الشام بعيون وامقة ، وقلوب خافقة ؛ وأبناء الشام ينظرون

الى مصر . . . وكأنها لهم أرض الميعاد . فهم اليها يحُجُّون وبها يعتمرون ، وفيها يعمّرون ويعمُرون .

وها هي جاليتُهم قد آستوطنت وادي النيل ، لما تلقاه من الحفاوة التي امتاز بها المصري الكريم ، منذ الزمان القديم .

وكيف لا نقابلهم بهذا الارتياح ، وقد جمعتنا بهم تلك العلائق ، ونحن مجبولون على إكرام كل وافد من الخلائق ، ولو كان بعيد الديار ، وربما كان ممن يُنكر المعروف ويغمط الفضل ويقابل الاحسان بالكفران ؟

لا جَرَمَ أن في فيضان النيل أثراً كبيراً في فيضان القلوب ، وفي فيضان الجيوب . لذلك اشتهر بنو مصر الخصيبة بالاسراع في مدّ يد المعونة الى كل منكوب ، ولو كان ممن لا رابطة له بهم . فانهم مشغوفون بالاحسان — لمجرد الاحسان — الى الانسان ، مهما كان . فهذا لسان الحال لا ينطق عن الهوى ، وهو شاهدُ عدلٍ على ان مصر تتألّم لكلّ من يصيبه الأذى أو يحلّ به الردى . فاذا ما فوجئَ الانسان — كائناً ما كان — بقارعة من قوارع الدهر ، سارع أهل مصر الى بذل المعونة بقلوب رحيبة رحيمة ، وأيدٍ مبسوطة كريمة . وكلما دعا الداعي لعملٍ من أعمال البرّ ، كان لصوته في هذا الوادي أقوى صدى ، وتسابقت عشائرنا لتلبية النداء بالندَى

ولا أذهبُ بكم بعيداً في إثبات هذه القضية البديهية . غير انني لا أجد مندوحةً عن ذكر مثالين ، قريبٌ عهدهما ، وقد جئنا في هذه الليلة لنعزّزهما بثالث ، ومعاذ الله ان يكون هو الاخير !

أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الكثيرين من السادة السامعين وأكثر منهم ممن ليسوا في زمرة الحاضرين ، قد تسابقوا منذ عامين لاغاثة المنكوبين في پاريس ، عند ما طغى نهر السَّيْن فجعل ذلك الفردوس الأرضي كبحيرة تتلاطم فيها الأمواج . وما ذلك إلاّ لأن المصريين قد علّمهم طغيان النيل في بعض الأحايين بما يتبعهُ من الكوارث والنكبات .

كذلك هم أعرف الناس بغوائل النار . ولذا تنافسوا في تلبية الداعي الذي دعاهم لنجدة المنكوبين من أهل صقلية وقَلَوْرِية (كلابريا) من أعمال ايطاليا ، وذلك على إثر ما دهاهم من نوازل الزلازل وثوران البركان ، منذ ثلاثة اعوام من الزمان . وقد بلغت قيمة ما جاد بهِ الخيّرون من اهل مصر عشراتٍ من الوف الجنيهات ، كان لها الأثر الطيّب في تخفيف المصائب عن بني الانسان في تلكم الديار .

ولقد اعترفت حكومة ايطاليا بهذه الأريحية ، فشكرت مصر وأهدتها نَوْطاً من الذهب ، هو الآن محفوظ بدار الكتب الخديوية .

هذان مثالان ناطقان بأن اهل مصر هم ممن يُدرك معنى التضامن الانساني ، وإن كان بعض الذين لا خَلاق لهم يُنكرون عليهم هذه الخليقة الكريمة .

كيف لا يفقهُ المصريون معنى التضامن الانساني ، وهو متأصل في أخلاقهم منذ ثلاثة عشر قرناً ؟

نعم ، فهذه النظرية الجليلة يظنها قصار النظر من آيات العصر الحاضر ، ومن بدائع الحضارة الغربية . وليت شعري ! ماذا يقول المفتون بأُوْرُوبَّة وتعاليمها إذا ما هداه الله الى ما بين يديهِ وتحت عينيهِ من آداب الإسلام ومبادئه في العمران ؟

لا جَرَمَ انهُ يرى في نظامهِ الاجتماعيّ البديع كثيراً من الحكم الباهرة ومن قواعد الأخلاق الجميلة . ولكنهُ قد حيل بينهُ وبين مآثر الاسلاف بحجابٍ ، يا له من حجاب !

في هذه الليلة الباهية ، يجدر بأبناء العرب الكرام ، أنْ يتدبّروا قول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الحثّ على بثّ التضامن بين المؤمنين بوجه عام . ودونكم ايها السادة نصّ حديثه المشهور :

« مَثَلُ المؤمنين في توّادهم وتراحُمهم كمَثَلِ الجسد ، إذا اشتكى عُضو منهُ تداعَى له سائره بالحمى والسهر . » أو كما قال :

هذا هو التضامن !

وقد عرفه الشرقيون منذ اجيال طوال .

هذا هو التضامن الذي جرينا عليهِ مهتدين بسنَّة السلف الصالح !
هذا هو التضامن الذي جمعنا من كل فج عميق ، في هذا الاحتفال الجميل البهيج ! !

أيها السادة الكرام

يحلو لي ولكم في هذا المقام ترديد قوله تعالى : « مَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كَمَثَل حَبَّة أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلّ سُنبلةٍ مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسعٌ عليم . »

لهذه الحكمة البالغة قد تواصَيْنا بالحقّ وتواصَيْنا بالصبر ، وعقدْنا الخناصر لمساعدة المنكوبين من إخواننا في الشام . ولسنا في حاجةٍ لتزكية عملنا وتبرير سعينا بالأسباب التي قد يتشبَّثُ بها الانسان في إغاثة الانسان . وذلك لأنَّ اتحادنا مع المنكوبين في الأصلِ والسُلالة وارتباطَنا وإياهم بتلك العلائق الكثيرة الثمينة ، يجعلان من أقدس واجباتنا أن نبدأ بالإسعاف لفروع دَوْحتنا وأفراد أُسرتنا . « والأقربون أولى بالمعروف »

نعم ، فقد تعوّدنا من دهرنا على الإحسان بوجه الاطلاق ، وان كانتْ مَناحينا قد اختلفت فيهِ على ضروبٍ شتى . فمنا من يجنحُ اليه في المعاملات ، وفريقٌ يستهدف اليه في المجاملات ، وآخرون يبتغون وجه الله . « ولكلّ وِجهةٌ هو مولّيها » !

فكيف لا نتسابق الى سبيل الخير ، عند ما يكون أخونا في حاجة ماسّة الى نفحة من نفحات البرّ ؟ ليس المنكوب في بيروت بغريبٍ عنا ، فانَّ الدَّمَ الذي يجري في عروقه هو هو الذي نستمدّ نحن منه الحياة . وكلانا من طينة واحدة ، ومن مشرب واحد ، وأجسامنا تنتعش بروح واحدة ! هذا الى ما أوصانا الله تعالى به من الاحسان الى « ذي القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب » . وتلك الصفات الثلاثة قد توفّرت كلها في أبناء الشام ، بالنسبة الى اخوانهم المصريين . فلا عَجَب اذا كنا نشاطرهم الأتراح ، كما نحن نشاركهم في الأفراح . سُنةٌ قضى

بها التضامن الانساني ، بل هي فريضة أوجبتها قوانين الاجتماع ونواميس العمران . والجار أولى بالشفعة ، والاخ أحقُّ بالشفقة !

أئذا كنا نشترك من صميم الفؤاد في تخفيف الكوارث التي حلّت بالأقوام البعيدين ، في الاقطار النائية ، أفيكون من شيَمِنا أن لا نبالي بما ألمّ باخواننا في الشام ، أولئك الذين كانوا آمنين مطمئنين ، في مدينة هادئة ساكنة ، وكانت قرائن الاحوال جميعها تدلّ على أنهُ « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؟

لغيرنا أن يحدّث نفسه بالمرحمة في السرّ والنجوى . واما نحن فقد طفحت قلوبنا بالتألم والشكوى . فلا مندوحة لنا عن المجاهرة بما تكنُّهُ جوانحنا لاخواننا من حسن الانعطاف ، الذي يمليه التضامن على كل من أوتيَ مثقال ذرّةٍ من الانصاف.

فان القلوب إذا تواثبت في الصدور ، بعثت النفوس الى الجود بالموجود ، وحركت الأيدي الى إخراج المكنوز في الجيوب والبيوت ، لتخفيف المصاب الذي دَهِمَ المساكين من أهل بيروت .

« ان الله يحب العدل والاحسان »

سادتي !

لعلي اكون لسانكم الناطق ، وترجمانكم الصادق ، اذا قلت إنكم تتحدّثون الآن بشكر الامير الجليل الذي دفعتهُ عواطفه البارّة بالانسانية لجعل هذه الليلة الشريفة تحت رعايته العالية . أفليس هو الذي أوجد لجمعنا المحتشد الآن فرصةً جميله للاعراب عما في نفوسنا من معاني المروءة العربية ، ومن العطف على قوم هم لدينا من أعزّ الناس ؟

فشكراً لك يا ابا العباس :

مولاي !

إن الذين تبارَوْا في إجابة دعوتك ، واجتمعوا في هذه الساعة حول طلعتك ، يتقدمون الى ساحتك ، وقلوبهم على أكفّهم ، وأيديهم في الجيوب ، ليبرهنوا على

عظيم إخلاصهم وجليل احترامهم لشخصك المحبوب .

ولا تسلْ عما سيكون في بيوت بيروت ؟ هنالك آياتُ الحمد والمدح يرتّلها المغاثون في الغداة والآصال ، تعرّج بها طائفةٌ من الملائكة المقرّبين ، وترفعها الى أعلى علّيّين ، فيتقبّلُها ذو الجلال والاكرام ، الذي وفقك لأعمال الخير وخير الاعمال ، بتصدُّرك في هذا الاحتفال . احتفالٌ فيه « لِلّذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولَدَارُ الآخرة خيرٌ ولَنِعْمَ دار المتقين » . « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » . « إن الله مع الذين اتقَوْا والذين هم محسنون »

احمد زكى

تحية الشآم لمصر

الى مصرٍ أزفُّ عن الشآمِ	تحيات الكرام الى الكرامِ
تحيات يفضّ الحمد منها	فمَ النسمات عن عبق الخزامِ
نُدبت لها وجرّأني اعتدادي	باقدار الدعاة على القيامِ
اذا ما كان معروف وشكر	مبادلة التصافي والوئامِ
فحباً ايها الوطنان اني	وسيط العقد في هذا النظام
وسيط العقد ... لا عن زهو نفس	أقلّ الرأي يُلزمني مقامي
ولكن عن ولاء بي أكيدٍ	وعن رعيٍ وثيق للذمام
أعرني ثغرَ بيروت ابتساماً	اصغ فرض الجميل من ابتسام
ويا بحراً هناك أعرْ ثنائي	نفيس الدرّ ينظم في الكلام
ويا غاباتِ لبنان المفدّى	من الدوح المجدّد والقُدام
أراكِ على الكنانة عاطفات	وقد ذكرت.أميلكِ من غرام ؟
أمدّيني بأرواحٍ زواكٍ	لاقرئها الزكيّ من السلام

* * *

بلادي لا يزال هواكِ مني كما كان الهوى قبل الفطام
اقبّل منك حيث رمى الاعادي رغاماً طاهراً دون الرغام
وافدي كل جلمود فتيتٍ وهى بقنابل القوم اللئام
فكيف الشبلُ مختبطاً صريعاً على الغبراء مهشوم العظام
وكيف الطفل لم يُقتل لذنب وذاتُ الخدر لم تُهتك لذام
لعمر المنصفين أبعد هذا يلام المستشيط على الملام
لحى الله المطامع حيث حلّت فتلك أشدّ آفات السلام
تشوب الماء وهو أغرٌّ صافٍ وتمشي في المشارب بالسقام
أيُقتل آمن ويقال رفّهْ عليك فما حِمامك بالحمام
ستسعد بالذي يشقيك حالاً وتنعم بعد خسف بالمقام
فأما أن تعيش وانت حرٌّ فذاك من التغالي في المرام
واما ان تساهم في المعالي فطائشة بمرماك المرامي
مضى عهد يجار الجار فيه ويؤخذ للحلال من الحرام
وهذا العهد ميدان التباري بلا حدّ الى كسب الحطام
مباح ما تشاء فخذه إمّا بحق الرأي او حقّ الحسام
ولا تكرثْك نوحات الثكالى ولا شكوى ضميرك في الظلام

* * *

اساتذةَ المطامع ما ذكرتم هو الناموس يقدم وهو نام
فلا يضعفْ ضعيفٌ او نراه لناب الليث يصلح في الطعام
فهمنا مأخذ الجاني علينا واعذار السواسية العظام
وأن بديل عصر كان فيه عجاف القوم ملكاً للضخام
زمان ساد شعب فيه شعباً وأنزله بمنزلة السوام

فقوم من ملوكٍ كيف كانت مراتبهم وقوم من طغام
وبين العنصرين خلافُ نوع على كون الجميع من الأنام
أقول وقد أفاق الشرق ذعراً من الحال الشبيهة بالمنام
على صخب الرواعد في حماه ورقص الموت بين طلىً وهام
أقول بصوته لحماةِ دارٍ رماها من بغاةِ الغرب رام :
أباةَ الضيم من عربٍ وتركٍ نسورَ الشم آسادَ الموامي
قرومَ العصرِ فرساناً ورجْلاً نجومَ الكرِّ من خلفِ اللثام
بنا مرضُ النعيم فنسّمونا وغى يشفي من الصفوِ العُقام
بنا بردُ المكوث فادفئونا بحمّى الوثبِ حيث الخطب حام
بنا عطلُ السماع فشنّفونا بقعقعة الحديد لدى الصدام
لقد جئتم ببرهانٍ عظيمٍ على انّا نعودُ الى التمام
وأنا ان جهلنا او غلطنا أنفنا ان نعاتب باحتكام
وأنا حيث فاتحنا كذوبٌ بميعاد فطنّا للختام
فان زينت لنا الأقوال عفنا تعاطيها كما كرة المدام

* * *

على هذا الرجاء ونحنُ فيهِ نسيرُ موفّقين الى الامام
مثولي رافعاً إجلالَ قومي الى « عباسٍ » الملكِ الهمام
الى ملك التضامنِ والتآخي عميدِ الشرقِ من بعد «الامام»
وجهري جُهدَ ما تسعُ المعاني بمدح شقيقهِ السنِم المقام
متمّ امارة الأصلِ المعلّى بفضلٍ باذخٍ كالأصلِ سام
وادعو ان يُعزّ اللهُ مصراً ويوليها السعودَ على الدوام

خليل مطران

منشئ المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثالث   مايو (ايار) ١٩١٢   السنة الثالثة

كسوف الشمس

كسفت الشمس في السابع عشر من الشهر الفائت حوالي الساعة الثانية وربع بعد الظهر ، فرأينا ان نذكر للقرّاء شيئاً عن هذا الحادث الطبيعي :

يعرف كلٌّ من له المام بالنظام الفلكي ان القمر يدورُ حولَ الارض ، وهو والارض يدوران حول الشمس . وعليهِ فلا بدّ من أن يكون القمر تارةً بين الشمس والارض ، فلا نرى منهُ إلاَّ القسم المظلم اذ ان القسم المنير يكون محاذياً للشمس ، وهذا هو « المحاق » ؛ وتارةً تكون الارض بينهُ وبين الشمس فيمكننا ان نرى حينئذٍ القسم المنير ، وذلك بعد خمسة عشر يوماً ، وهذا هو « البدر » ؛ وطوراً يكون والارض متحاذيين على مسافةٍ واحدة من الشمس ، وذلك هو « التربيع » . وبين المحاق والتربيع يكون « التثليث » ، وبين التربيع والبدر يكون « التسديس » . ولما كان القمر كالارض غير مضيء بنفسهِ بل يستمدُّ كلاهما النور من الشمس ، كان لا بدّ من أن يكون وراءَ القمر ووراء الارض في الفضاء ظلٌّ ، وكل من يكونُ في هذا الظلّ لا يرى الشمس ، فتظهر الشمس

مكسوفة ، عندما تدخل الارض في مخروط ظلّ القمر ، ويظهر القمر مخسوفاً عند ما يكون في ظلّ الارض لأنها تحول دون وصول نور الشمس اليهِ

ويسهل عليك ان تمثّل ذلك اذا افترضتَ القنديل بمثابة الشمس ، وجعلت يدك بمثابة القمر ورأسك الارض فعند ما تمرُّ يدك امام المصباح يحتجب ضوؤه قليلاً عن ناظريك حتى يختفي تماماً ، ثمَّ يعود فيظهر ثانيةً . هكذا يكون كسوف الشمس

ميعاد الكسوف وانواعه — عرفه الاقدمون باسم ساروس (Saros) وهو كناية عن ١٨ سنة و ١١ يوماً ، يحدث فيها ٤١ كسوفاً و ٢٩ خسوفاً تتعاقب في المدة نفسها كما دلّت مراقبتهم للسماء . اما اليوم فان لدى العلماء جداول فلكية وضعوها بعد الاختبار الطويل

والكسوف إما جزئي ، و إما كليّ او تام ، وإما دائري على شكل حلقة وذلك عندما تصير الشمس شبه دائرة قاتمة اللون حولها هالة منيرة . وفي الكسوف التام يكون المنظر ذا عظمةٍ مروّعة تلقي الرعب في النفوس ، فتسودّ الشمس ، ويخيّم الظلام وتظهر النجوم في السماء ويستولي على الحيوانات نفسها رعب ذكره جميع الفلكيين الذين وصفوا هذا المشهد ، فرأوا المواشي واجفةً تنقطع عن المرعى ، والطيور تلجأ الى وكناتها والكلاب مرتعشة تُشغل عن متابعة اصحابها . ولو اردنا ذكر كلّ ما كتبه علماء الفلك في هذا الباب لأستغرق الموضوع صفحات عديدة

درس الشمس اثناء كسوفها — تروى هذه المغالطة عن فونتينل « لا شيء أكثر ظلاماً في طبيعته من الشمس ، فلا يتسنى لنا درسها الاّ

اثناء كسوفها » وواقع الحال يؤيد هذا القول ، فان الكسوف قد أفادنا عن الشمس أكثر من جميع المظاهر الجوّية . واذا كان أطول كسوفٍ لا يدوم أكثر من بضع دقائق فان ذلك الوقت ، وإن كان وجيزاً ، يكفي لأخذ الرسوم ودرس اطوار الشمس وبقَعها . فان التقارير عن هذه الحوادث قد افادت العلم فائدة عظمى ومهّدت السبيل لاستخراج النتائج المهمة من هذا القبيل

اعتقادات الشعوب — قال فونتنيل « نرى لدى كسوف الشمس من الخزعبلات والخرافات ما يقضي بسنّ قانونٍ يمنع العلماء من الاشارة الى هذا الحادث قبل اوانهِ . . . » وكان القدماء ينسبون الكسوف الى غضب الآلهة ، او الى حنق الشمس التي تحجب طلعتها النيرة دون فظائع البشر . وقد عزا ذلك قومٌ الى يدٍ قوية تسدلُ ستاراً على منبع الأنوار ، وآخرون الى ضلال الارض عن مركزها ، وتوهم البعض ان هذا الحادث الطبيعي ليس إلاَّ مفعول اعمال السحرة التي تطفئ النور . وهذا هو سبب ما كان يقدم عليهِ العامة — حتى في ايامنا — من صراخٍ وهتاف وضرب على صفائح نحاسية زعماً منهم انهم يبطلون بهذه الطريقة مفعول السحر أو يخيفون « التنّين » الذي يبتلع الكواكب . ونجد ان هذا الاعتقاد كان سائداً بين معظم الشعوب ، كالهنود والصينيين واليونان والرومان والعرب وسكان اميركا . وقد رأينا مما تقدم ان هذا التنين المخيف ليس الاَّ القمر الذي يقف بيننا وبين اختهِ الشمس فيحجب عنا نورها

زعمُ هيرودوتوس ٤٨٤ — ٤٢٥ ق م — إنَّ كتابات هذا المؤرخ

الشهير تدلُّ على ان اوهام الشعب كانت ساطية على افكاره من هذا القبيل . فهو يذكر حدوث الكسوف اربع مراتٍ في كتابهِ، والالفاظ والعبارات التي يستعملها لوصف هذا الحادث تدلُّ على جهله حتى كلمة بمعنى « كسوف » فهو تارة يقول « أظلمت السماء بغتةً » وتارة « صار النهارُ ليلاً والنورُ ظلاماً » ومرةً واحدة يفصّل ذلك اذ يقول « تركت الشمس مكانها في السماء واختفت عن الأبصار ولم يكن اذ ذاك لا غيم ولا سحاب ، وكان الجوُّ صافياً »

زَعْمُ اليونان — وكان من عادات بلاد مكيدونيا على عهد سقراط (٤٨٦ — ٤٠٠ ق م) ان تُوصد ابواب المنازل وتُحلَق شعور الاولاد حزناً وحداداً . ويروى عن الاسكندر الكبير انه عندما كُسفت الشمس قبيل موقعة أربيل قرّب القرابين وذبح الذبائح استرضاءً للشمس والقمر ودفعاً لغضب الآلهة وتمويهاً على الشعب

زَعْمُ الرومان — في سنة ١٧٨ ق م اثناء الحرب التي دارت رحاها بين پرسه وبولس اميليوس حدث كسوفٌ ألقى الهلع في قلوب المتحاربين ولكنهُ لحسن طالع الرومان كان بين قوّادهم فلكي مشهور اسمه سلبيسيوس جالُّوس وكان قد انبأهم عن هذا المظهر الجوّي قبل اوانه فاصاب اعداءهم الفشل واصابوا الظفر . ويروي المؤرخ ديون كاسيوس ان الامبراطور اقلوديوس لما علم ان يوم تذكار تبوّئهِ السدة الامبراطورية يوافق يوم كسوفٍ خاف ان يتشآءم الشعب ويتطير منهُ فامر بنشر الخبر في كل المملكة مع شرح اسبابه الطبيعية وذلك تلافياً لوقعهِ السيِّئ

زَعْمُ الهنود والصينيين — حدث سنة ١٨٧٧ كسوف في مدينة

لاوس من اعمال الهند الصينية ، فأحدث قلقاً عظيماً بين السكان .فكنت تراهم سائرين في الشوارع والازقّة ينشدون الاهازيج الحربية ، ويطلقون العيارات النارية نحو السماء لتهويل التنين . وفي الصين تجري احتفالات عديدة من شأنها ، على زعمهم ، إعادة الأجرام السماوية الى نظامها المسنون. ولما كان الصينيون يعتقدون ان ملكهم «ابن السماء » ومملكتهم « المملكة السماوية » أصبحوا يتوهمون ان كلّ خللٍ يطرأ على نظام السماء ناجمٌ عن خللٍ في نظام بلادهم ، وعليهِ فهم يقيمون الاحتفالات ويقربون القرابين عند حدوث مثل هذه الامور

الكسوف في التاريخ — ان النظر في بعض الحوادث التاريخية التي كان للكسوف دورٌ عظيم فيها يبيّن لنا ما وراء العلم من الفوائد ، والى اي حدٍّ تبلغ الخرافات بالشعب متى سطا عليهِ الجهل

أقدم كسوفٍ يرويه لنا المؤرخون مدوّنٌ في تاريخ الصينيين على على عهد الملك « شو » ويرتئي العلماءُ انهُ حدث في الثالث عشر من اكتوبر (ت ١) سنة ٢١٢٨ قبل الميلاد

وأشهرُ كسوفٍ ذكره التاريخ القديم هو كسوف سنة ٥٨٥ ق م وهو جديرٌ بالذكر لسببين : الأول لأن العالِم « تالس » Thalès كان قد تنبأ عنهُ ، وهو أول فلكيٍّ عند الأقدمين قد شرح هذا الحادث وأدرك اسبابه ؛ والثاني لأنهُ بواسطة هذا الكسوف قد توصل العلماءُ الى تقرير بعض حوادث مهمة . وقد رواه المؤرّخ هيرودوتس في معرض كلامهِ عن الحرب المنتشبة بين الفرس وأهل « ليديا » حيث قال ما ترجمتهُ :

« كانت رحى الحرب دائرةً بين الأمتين منذ ست سنوات ، ففي احدى المواقع صار النهار ليلاً والنور ظلاماً ، فذُعر المتحاربون لهذا المشهد ، وكفوا عن القتال وعقدوا الصلح » وكان المؤرّخون مختلفين على السنة التي جرت فيها هذه الحرب ، فمنهم من جعلها في سنة ٦١٠ ، ومنهم في سنة ٥٩٣ . غير ان الأبحاث الفلكية دلت اخيراً على ان هذا الكسوف كان حدوثهُ تماماً في ٢٨ مايو (ايار) سنة ٥٨٥ ، وهكذا ساعد علم الفلك علم التاريخ على حلّ هذا المشكل وغيره

وقد حدّث « كسنوفون» عن كسوفٍ آخر في كتابه « آناباس » لما روى وصول اليونان الى ضفاف دجلة ، قال ما ملخصه : « وكان هناك مدينة قديمة مهجورة تحدق بها أسوار منيعة يبلغ علوّها مئة قدم ، وهي مبنية بالأجرّ الأحمر ، وكان الفُرْسُ قد حاصروها دون جدوى لمناعتها ، حتى ساعدتهم الاقدار على فتحها ؛ وذلك انه في احد الايام احتجبت الشمس عن العيان فهلع السكان وخلّوا المدينة بين أيدي العدوّ [١] » وقد حقّق العلماء ان هذا الكسوف حدث في ١٩ مايو ٥٥٧

وفي ٣ اغسطس سنة ٤٣١ حدث كسوف تام رواه « بلوترخوس » في كتابه حياة بريكلس [٢] ، قال : « وكان الاسطول (اسطول اليونان) على أهبة السفر للحرب (محاربة أهل سبارطه) وكان بريكلس على ظهر السفينة اذ كسفت الشمس كسوفاً تاماً . فأثر ذلك في البحارة وتشاءموا

(١) Xénophon — Anabase l. I. ch. 4.

(٢) Plutarque — Vie de Périclès,

من هذا الظلام غير المنتظر ، وكادت همتهم تخونهم ، لو لم يعمد بريكلس الى حيلة لطيفة ، وهي انه أخذ رداءه ووضعه على وجه احد القواد قائلاً : ألستَ الآن في الظلمة ؟ وهل في هـذا الامر ما يخيفك ؟ — فأجاب القائد نفياً ، فقال بريكلس : وأي فرقٍ بين هذا الظلام وذاك سوى ان الاول ناتج عن شيء اضخم من ردائي . . ؟

وجاء في توسيديد [١] « وفي ذلك الصيف عند ولادة القمر ، بعد الظهر بقليل أصاب الشمس كسوف ، حتى أصبحت كالهلال ، وظهر في السماء بعض نجوم ، لم تلبث ان عادت الى منظرها الاول »

ثم كثر بعد ذلك ورود ذكر الكسوف وشرح مظاهره في التاريخ مما لا مجال لذكره الآن . على اننا نكتفي بايراد خبر نجاة كريستوف كولمبس : كان ذلك في غرة مارس سنة ١٥٠٤ وكان الزاد قد فرغ من السفينـة فألقت مرساتها تجاه الجزيرة المعروفة اليوم باسم «جامايكا» فطلب كولمبس من سكانها المتوحشين مؤونة وزاداً ، فرفضوا . وكان عالماً بان الشمس ستكسف في اليوم الثاني فاتخذ ذلك وسيلة للتهويل عليهم ، فأنذرهم بمنع نور الشمس عنهم ، اذا هم لم يجيبوا طلبـه ، ولا تسل عن رعبهم في ثاني يوم عندما رأوا كسوف الشمس ، ولم يفهموا فيـه الاّ تنفيذ ما هدّدوا به . فتراموا على اقدام كولمبس يستعطفونه ، وقدموا له كلّ ما طلب وأصبحوا ينظرون اليه نظرهم الى اله ٍ

(١) Thucydide le II ch. 28.

العرافة

قلنا فيما تقدَّم ان الكهَّان يعرفون الغيبَ بوحيٍ من الشيطان ، فتلك هي الكهانة الأصلية عندهم ، وأصحابُها أوسع الكهان علماً وأعظمهم خطراً ، وأسماهم مقاماً ؛ ولكنَّ هنالك طُرقاً اخرى لمعرفةِ الغيب تختلف عن الكهانة الأصليـة في أسبابها وشروطها وكيفيتها ؛ كالعرافة والعيافة والطرق بالحصى والحَزو والتنجيم وكلها ضروبٌ من الكهانة الاَّ أن أهلها أقلُّ من الكهان علماً ، وأدنى منهم رتبة ، وهم نفسهم مراتب ودرجات . والعربُ يطلقون اسم الكاهن على العرَّاف ، والعائفِ ، والطارق بالحصى ، والحازي ، والمنجّم ، وعلى كل متكهّن يتعاطى الخبرَ عن الكائنات في مستقبل الزمان . وربما استعمـل بعضهم العرَّاف بمعنى الكاهن ، فيطلقهُ على كل متكهن

أما العرَّاف فهو الذي يعرف الأمورَ بمقدمات أسباب يستدلُّ بها على مواقعها من كلام مَن يسأله أو فعلِهِ أو حاله . فعلمـهُ قاصرٌ على معرفة الشيء المسروق وسارقهِ ومكان الضالة ، ودواء المريض ، ومواقع السحاب ، ونحو ذلك

وقد اشتهر من العرَّافين في الجاهلية رُباح بن كحلة[1] عرَّاف اليمامة ، والأبلق الأسدَي عرَّاف نجد ، وكان كلاهما في العصر الأخير من زمن الجاهلية . وأولهما هو المقصود بقول عروة بن حزام :

فقلتُ لعرَّاف اليمامة داوِني   فانك ان داويتني لطبيبُ

واليهما معاً أشار الآخر في قوله :

جعلتُ لعرَّاف اليمامة حكمهُ   وعرَّافِ نجدٍ ان هما شفياني

فقالا شفاكَ اللهُ واللهِ ما لنا   بما حملتْ منك الضلوع يدان

ومن اشتهر أيضاً بالعرافة هند صاحب المستنير الذي يقول عنهُ المسعودي انهُ

(١) هكذا في مروج الذهب وجاء في مقدمة ابن خلدون رباح بن عجلة

كان في غاية التقدم فيها ، وكذلك الأجلح الزهَري وعروة بن زيد الأسدي

وأما العائف فهو الذي يتكهن بواسطة العيافة ، وهي زجرُ الطير او الوحش ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها . قال الأعشى :

ما تعيفُ اليوم في الطير الرَّوَح . من غراب البين أو تيسٍ بَرح

وقال الفرزدق :

وليس ابنُ حمراء العجان بمفلتي ولم يزدجر طير النحوس الأشائم

وقال الاخطل يخاطب امرأة وسيمة تزوَّجها رجل دميم :

فهلا زجرت الطير ليلة جئته بضيقةَ بين النجم والدَّبران

وهو كثير في شعرهم . وهذا النوع من الكهانة أشهر أنواعها عندهم : ومنشأوه اعتقادهم باليمن والشؤم . فاليمين عندهم خير ، والشمال شرّ . ولذلك اشتقت لفظة التيامن واليمن والتيمن من اليمين ، كما اشتقت لفظة التشاؤم والشؤم من معنى كلمة الشمال ، لأن المشأمة في اللغة بمعنى الميسرة ، واليد الشؤمى والجانب الأشأم ، بمعنى اليد اليسرى والجانب الايسر . فلذلك الاعتقاد كان الرجل منهم اذا أراد حاجة أتى الطير في وكره فنفّره ، فان أخذ يميناً مضى لحاجته ، وان أخذ شمالاً ، رجع . وهذا هو الاصل في زجر الطير (١) . ومن ثم استعملوا كلمة الطيَرة بمعنى التشاؤم ، ثم أطلقوا الزجر على الوحش ايضاً ، وتوسعوا في كيفيــة الزجر واحواله ، فقالوا : الزجرُ للطير وغيرها ، التيمنُ بسنوحها ، والتشاؤم ببروحها ، والاعتبار باسمائها واصواتها وممرّها . فلما صار كذلك اختلط أمره على العامة فأصبح ضرباً من الكهانة بعد ان كان اعتقاداً بسيطاً باليمن والشؤم ، فصار العائف ، اذا عاف طيراً او وحشاً ، يتكهن فيخبر بأمور من الغيب ، كما يفعل العرّاف . وربما عاف بالحدْس ، وهو لم يرَ شيئاً ، لا طيراً ولا وحشاً . وبقي التفاؤل والتشاؤم على بساطته الاصلية للعامة فقط

ومن القبائل التي اشتهرت بالعيافة في الجاهلية بنو أسد . قيل ان قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم ، فأتوهم ، فقالوا : ضلَّت لنا ناقة فلو ارسلتم معنا من يعيف ، فقالوا

(١) مقامات الحريري

لغُلَيِّمٍ منهم انطلق معهم . فاستردفه احدُهم ، ثم ساروا فلقيتهم عقاب كاسرةً احد جناحيها . فاقشعرَّ الغلام و بكى . فقالوا مالك ؟ فقال كسرت جناحاً ، ورفعت جناحا ، وحلفت بالله صراحا ، ما أنت بانسيٍّ ولا تبغي لقاحا

وممن اشتهر بالعيافة من الاشخاص عبيدُ الراعي حدَّث المنقريُّ عن العتبيّ قال : وقف عبيد ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم ، اذ سنحت ظباء سود منكَّرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها ، واقفة على شأنها ، فانكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه اليهِ اصحابه فقال :

ألم تدرِ ما قال الظبـاء السوانحُ　　أطفنَ أمام الركب والركب رائحُ
فكبَّر من لم يعرف الزجر منهم　　وأيقن قلبي أنهنَّ نوائحُ

ثم شارفوا مقصدهم ، فألفوا الرئيس قد نهشتهُ أفعى فأتت عليه . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وهذا من غريب الزجر . وذلك ان السانح مرجوٌّ عند العرب ، والبارح هو المخوّف ، وأظن عبيداً انما زجر الظباء في حالة رجوعها ، ووصف الحال الاول في شعره كما ان من شرط الواصف ان يبدأ بهوادي الاسباب ، فيوضح عنها فهذا هو وجه زجر عبيد الراعي في شعره

اما السانح والبارح فقد اختلف أئمة اللغة في تعريفهما . قيل السانح ما أتاك عن يمينك من ظبي او طائر او غير ذلك ، والبارح ما أتاك من ذلك عن يسارك . وقال رؤبة : السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره . وقيل : السانح الذي يجيءُ عن يمينك فتلي مياسره مياسرك . وقال أبو عمر الشيباني : السانح من جاء عن يمينك الى يسارك وولاك جانبه الايسر وهو انسيُّه . والبارح ما جاء عن يسارك الى يمينك وولاك جانبه الايمن وهو وحشيُّه . وقيل : بل السانح ما مرَّ بين يديك من جهة يسارك الى يمينك ، والبارح ما مرّ من يمينك الى يسارك . ولا يخفى ما في كل ذلك من المناقضة . وكذلك قال بعضهم : السنُح الظباء الميامين . وقال البعض الآخر : السنُح الظباء المياشيم

وا كثرُ العرب يتيمنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح . ومن ذلك المثل « من

لي بالسانح بعد البارح » وأصله ان رجلاً مرّت بهِ ظباء بارحة فتطيَّر من ذلك فقيل له : عسى ان تمرَّ بك اخرى سانحة ، فقال المثل . وهو يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه . وقال أبو دؤيب :

أربتُ لإربتهِ فانطلقتُ أرجّي لحبّ اللقاء سنيحا

وأنشد أبو زيد :

أقول والطير لنا سانحٌ يجري لنا أيمنهُ بالسعودِ

وأنشد الليث :

جرت لك فيها السانحات باسعدِ

وقال الشاعر :

أبالسنُح الأيامن ام بنحسٍ تمرُّ بهِ البوارحُ حين تجري

وقال ذو الرمّة :

خليـلَيَّ لا لاقيتما ما حييتما من الطيرِ الا السانحات وأسعدا

وقال النابغة :

زعم البوارحُ انَّ رحلتنـا غداً وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسود

ومن العرب مَن يتيامن بالبارح ، ويتشاءم بالسانح ، قال الأعشى :

أجارَهما بشرٌ من الموت بعد ما جرَى لهما طيرُ السنيح بأشأمِ

وبشر هذا هو بشر بن عمرو بن مرثد ، وكان مع المنذر بن ماء السماء يتصيد في يوم بؤسه الذي يقتل فيهِ أول من يلقـاه . وكان قد أتى في ذلك اليوم رجلان من بني عمّ بشر فأراد المنذر قتلهما ، فسأله بشر فيهما فوهبهما له

وقال زهير متشائماً أيضاً بالسانح :

جرت سَنحاً فقلتُ لها أجيزي نوًى مشمولةٌ فمتى اللقـاءُ

وقال كثيّر :

أقولُ اذا ما الطيرُ مرَّت مخيفةً سوانحها تجري ولا أستثيرُها

وقال عمرو بن قميئة :

فبيني على طيرٍ سنيحٍ نحوسهُ وأشأم طير الزاجرين سنيحها

قال ابن بري : أهل نجد يتيمّنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح ، والعكس من ذلك عند أهل الحجاز . فهذا هو الأصل ثم قد يستعمل النجديّ لغة الحجازي، والحجازي لغة النجدي ، أقول : والظاهر من كل ذكرناه ان جميع العرب يتيمنون بالأيامن ، ويتشاءمون بالأشائم ؛ وانما الخلاف واقع عندهم في معنى السانح والبارح لغةً . فقد رأيتَ ان السانح عند قوم على حسب تعريفهم له هو البارح عند غيرهم . وكذلك السنح عند قوم الظباء الميامين ، وعند غيرهم الظباء المياشيم ؛ فلذلك يتايمن هؤلاء بما تشاءم بهِ الآخرون فكانوا بذلك موافقين لهم في الحقيقة ، لأن الخلاف انما هو في الإسم لا في المسمّى

قلنا إن اصل العيافة هو اعتقادهم باليمن والشؤم وان اليمين عندهم خير ، والشمال شرّ . أما تفضيلهم اليمين على الشمال ، فقد جاروا فيهِ الطبيعة التي جعلت الأعضاء اليمنى من جسم الانسان أقدر من اليسرى وأقوى . وجاراهم في ذلك التفضيل جميع الشعوب . فكان المحل الأيمن أفضل المحلين ؛ وبذلك قضى الله نفسهُ اذ جعل اليمينَ لأهل الجنَّة ، والشمال لأهل النار ، وجعل لكل رجلٍ ملكاً عن يمينهِ ، وشيطاناً عن شماله . وقد جاء في صحيح البخاري ان النبيّ كان يحب التيمن ما استطاع في شأنهِ كلهِ في طهوره وترجله وتنعلهِ

وأما الطارق فهو الذي يتكهن بواسطة الطرْق بالحصى ، وذلك ان يخطَّ في الأرض أو الرمل خطوطاً باصبعين ، ثم باصبع ، ويقول : ابني عيَان أسرعا البيان ثم ينبيء عما سئل عنهُ . وربما يكون النداء لابني عيان في العيافة أيضاً وفي غيرها من ضروب الكهانة . واكثر كهان الطرق من النساء . قال لبيد :

لعمركَ ما تدري الطوارقُ بالحصى ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

وقيل الطرقُ ان يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن . والظاهر ان الطرقَ في الأصل كان بالحصى ، ثم توسع فيهِ بعضهم الى القطن والصوف ، وبقي الإسم على أصله . ومن أمثال العرب التي تُضرب للذي يخلط في كلامهِ ، ويتفنن فيهِ ،

قولهم : اطرقي وميشي . قال رؤبة :

عاذلَ قد أُولعتِ بالترقيشِ   اليَّ سرًّا فاطرقي وميشي

وفي لسان العرب : الطرق في الأصل هو ضرب الصوف بالعصا ، والميش خلط الشعر بالصوف

وأما الحازي فهو الذي يتكهن بواسطة الحزو ؛ وهو ان ينظرَ في الأعضاء والغضون وخيلان الوجه فيتكهن . قال الشاعر :

وحازيةٍ ملبونةٍ ومنجّسٍ   وطارقة في طرقها لم تسدّد

قال ابن شميل : الحازي أقلُّ علماً من الطارق ، والطارق يكاد يكون كاهناً ، والحازي يقول بظنٍّ وخوف

والعرب يستعملون لفظة الحزو بمعنى الزجر أيضاً فيقولون : حزَونا الطير نحزوها حزواً ، أي زجرناها زجراً . قال ابو زيد وهو عندهم ان يَنغِق الغرابُ مستقبل رجل ، وهو يريد حاجة ، فيقول : هو خير ، فيخرج او ينغق مستدبره فيقول هذا شرّ فلا يخرج وان سنح له شيء عن يمينهِ تيمن بهِ ، او سنح عن يساره تشاءم بهِ ، فهو الحزو والزجر

وأما المنجّم فهو الذي يتكهن بواسطة التنجيم . وذلك ان يرعى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ليعلم منها احوال العالم . وفي كتب اللغة علم النجوم عندهم علم يبحث فيهِ عن احوال الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب . وموضوعه النجوم من حيث يمكن ان تعرف بها احوال العالم . ومسائله هي كقولهم : كلما كانت الشمس مثلاً على هذا الوضع المخصوص فهي تدلّ على حدوث امر كذا في العالم

والاصل في هذا الضرب من الكهانة أنهم كانوا يعتقدون ان كل ما يحدث في هذا العالم من الحوادث انما سببه النجوم من حيث سيرها ومنازلها وأنوائها واقترانها الى غير ذلك من احوالها ومظاهرها . فنسبوا اليها البرد والحر والصحو والمطر والخير والشر والصحة والمرض والحرب والسلم والسعد والنحس ، وهو الاعتقاد الذي جعلهم يعبدونها في القِدَم . فلما وُجد عندهم ذلك الاعتقاد أخذوا يلاحظون النجوم

ويراقبونها ويلاحظون سيرها ومواقيتها حتى اذا حدث في الأرض حادث ما في زمن ما ، ثم عاد الفلك الى هيأتهِ التي كان عليها حين وقع ذلك الحادث ، أنبأوا بعوده ايضاً بناءً على ان الاسباب الواحدة ، في حالة واحدة ، تُنتج دائماً نتائج واحدة . فهذا هو الاصل في علم النجوم . ثم اتخذه بعضهم طريقةً لكسب المـــال فجعلوه ضرباً من ضروب الكهانة ، وصاروا يخبرون بما يخبر بهِ الكهّان من احوال الغيب المختصة بافراد الناس ، كتفسير الاحلام ، وادواء الامراض ، ونجاح المسعى ، وما أشبه ذلك . واعتقدت عامة الشعب ان كل شيءٍ سرُّه في النجوم ، وان الانسان قد يعلم الغيب بالوحي الفلكي . فمن ثم قالوا في كلامهم : نظر فلان في النجوم ، بمعنى انه فكَّر في أمرٍ ينظر كيف يدبّره . فصار ذلك في اللغة [1] كما تقول : بفلان جُنَّة ، بمعنى انه مختلّ العقل . وهـــذا من شواهد تأثير اعتقاد الشعوب في لغاتهم وهو كثير في اللغة العربية

تلك هي أشهر ضروب الكهانة في الجاهلية . فاذا كان عندهم ضروب اخرى فلا عبرة بها لعدم شهرتها بينهم ، فضلاً عن انها لا بد ان تكون مأخوذة من الضروب الاصلية التي أتينـــا على ذكرها كما أُخذ الطرقُ بالقطن والصوف من الطرق بالحصى

ولم يكن للكهّان صفة دينية اصلاً ، بخلاف الكهنة عند اليهود . ولعل السبب في ذلك كون وحيهم من الشيطان ، ووحي كهنة اليهود من الله . وكان أهل الرتبة العليا منهم ينقطعون الى الكهانة فلا يشتغلون بعمل آخر ، ولا يشتركون مع القبيلة اشتراكاً مادياً في شؤونها العموميـــة بل كانوا يعيشون عادة محتجبين عن ابصار العامة ، الا يخالطهم أهلهم وذووهم ، ولا يقابلهم من الناس الا مَن قصدهم ليستطلع

---

(١) جاء في القرآن الشريف عند الكلام على ابراهيم : « فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم » قال الليث : يقال للانسان اذا تفكر في امر ينظر كيف يدبره ، نظر في النجوم قال : وهكذا جاء عن الحسن في تفسير هذه الآية ، أي تفكر ما الذي يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم　　　　(لسان العرب)

منهم الغيب . وكان معاشهم من الهدايا التي يقدمها لهم أولو الحاجات . وكان العرب يحترمونهم لعلمهم وسعة اطلاعهم ، وربما احترموهم بسبب علاقتهم ذاتها بالجنّ والشياطين . وبناء على ذلك الاحترام كانوا يسمون كل صاحب علم دقيق كاهناً كالطبيب والقُناقِن وهو البصير بالماء تحت الارض وكذلك كل حكيم بصير بالامور . وقد جاء في الحديث ان شريحاً كان زاجراً شاعراً . وفي حديث ابن سيرين : ان شريحاً كان عائفاً . أراد انه كان صادق الحَدْس والظن ، لا انه كان يفعل فعل الجاهلية في العيافة . ومن المحتمل ايضاً ان تكون تسميتهم للطبيب والقناقن كاهناً من قبيل الحقيقة في لغتهم لا المجاز ، لان الجهل كان مخيماً على عقول عامتهم ولا فرق عند الجاهل بين من ينذر بموت رجل ، حيث لا ترى العامة شيئاً من الخطر ، او ينذر بخوف قبل حصوله ، وبين من يخبر بمكان الضالة ، او بتفسير الاحلام ، فكلا الامرين عند الجاهل من قبيل معرفة الغيب . وبناء على ذلك لا يبعد ان يكون قد دخل عندهم في عداد الكهان كثيرون من الاشخاص الذين كان لهم المام حقيقي بالطب والفلك او غير ذلك من العلوم

ولم تزل الكهانة في الجاهلية الى ان جاء الاسلام فابطلها . وقد اوردنا كلام الأزهري في هذا الخصوص . وجاء في الحديث أنهُ نهى عن حلوان الكاهن ، وعن الطيرة . وفي الحديث ايضاً من أتى كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد . قالوا أي من صدَّقهم

وجاء في صحيح البخاري انهُ كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان ابو بكر يأكل من خراجه . فجاء يوماً بشيء فأكل منهُ ابو بكر فقال له الغلام : تدري ما هذا ؟ فقال ابو بكر وما هو ؟ قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة ، الاَّ اني خدعته فلقيني فاعطاني بذلك فهذا الذي اكلت منه . فادخل ابو بكر يده فقاء كلَّ شيء في بطنه

على اننا بالرغم عما جاء به الدين ، لا نزال نرى حتى الآن سوق الكهانة رائجة في كل بلاد نطق اهلها بالضاد ، كأنَّ الجهل يأبى الاّ ان يكون محفوفاً ابداً بانواع

الخرافات ، او كأن خرافات الجاهلية ملازمة للغتهم ، لا تنفصل عنها ، فورثناها معها . وكأني بنا قد خجلنا من وقوفنا عند الحد الذي وصلت اليه اجدادنا ، فبعد ان كانت الكهانة على نحو ما ذكرناه في هذا الباب ، جعلناها نحن علماً بل علوماً باصول ذات قواعد وروابط وشروط . وألّفنا فيها الكتب العديدة ، وأضعنا فيها الوقت الثمين ، وزدنا عليها ضروباً وانواعاً لم تكن معروفة في الجاهلية اصلاً فافسدنا عقول الشعب بالاوهام والاكاذيب . وقد كان عدد الكهان في الجاهلية قليلاً بحيث لا يصيب العشرَ القبائل كاهن واحد ، وأما الآن فلا شارع من شوارع مدننا الاّ وفيه الرمّال والحاسب والحازيء ، وباصر البخت ، وضارب المندل ، وكلّ دجّال خدّاع ، يسلبون فقراء الناس اموالهم عاجلاً ، ويعدونهم بالسعادة آجلا . نعم ان الكهانة ممنوعة بامر الحكومة في بلادنا ، ومعاقب عليها في قوانيننا ، ولكن اخلاق الشعب ورجال الضبط والربط بالجملة لم تزل على حالتها الاصلية ؛ وربما تعجبوا من وجود مثل ذلك النصّ في قوانين الحكومة وأنكروا عليها معارضتها لأناس يعلمون الغيب ويخدمون الناس باطلاعهم على أسرار المستقبل . ولذلك تراهم يغضون الطرف عنهم فلا يتعرضون لمنعهم . وقد رأيتُ مرّةً احد رجال البوليس انحرف عن قارعة الطريق قاصداً احد الرمّالين ، فظننتُ انهُ ذاهب لمنعه من نشر بضاعته في الشارع العمومي واثبات مخالفته للقانون ، ولم اكن اظنّ في أمثاله ذلك الترقي الأدبيّ . فأخذني العجب وأتبعتهُ بنظري ؛ فاذا هو وقد جلسَ بين يدي الرمّال ، وأخذ يستطلع منهُ الغيب ، ويسمع شقشقتهُ بغاية ما يكون من الجد والاحترام

اسكندر عمون

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة التاسعة

من جوزيفين الى نابوليون بونابرت

(لا نخال أحداً من القراء يجهل اسمَي جوزيفين وبونابرت وما وقع بينهما من النفور الذي أفضى الى الطلاق . وكان ذلك في أواخر سنة ١٨٠٩. الا ان جوزيفين ظلت تراسل نابوليون حتى أيامها الاخيرة . ولو سمحت لها الدول المتحالفة لرافقتهُ الى منفاه . وكان موتهـا في سنة ١٨١٤ أي بعيد سقوط نابوليون . وقد وصفها جميع المؤرخين بالصفات الطيبة وأجمعوا على ان نابوليون كان مديناً لها بأمور كثيرة لا يسعنا الاسهاب فيهـا الآن . قيل انها كانت تتشاءم من ارتقائهِ الى العرش وتخشى ان يحمله ذلك على طلاقها والاقتران بأميرة من أميرات الأسر المالكة . وقد تم ذلك . أما الرسالة الآتية فقد بعثت بها اليهِ على أثر ولادة وليّ عهده من ماري لويز) :

صحوت اليوم وقرْع النواقيس يملأ الجوّ وهزيم المدافع يرنّ في الفضاء . فسألت عن السبب فقيل لي ان جلالة الامبراطورة قد وضعت مولوداً سيرث عرش فرنسا ويضيف صفحة مجدٍ جديدة الى تاريخ آبائهِ . وقد كنت أودّ لو بلغتني هذه البشارة منك قبل ان اسمعها من افواه النـاس فكنت افرح لفرحك وتقرّ عيناي بأن ترى لك من يخلّد لك ذكرك ويورثه للأجيال المقبلة . فان ساءك انني تمنيت سماع هذه البشارة من فمك فان ما كان بيننا من العهد السابق شجّعني على تعليل نفسي بهذه

الامنيَّـة . ولعلّ ذكرى أيامنا الماضية تشفع بي لديكَ وتبدد عن محياك غمامة الكدر والاستياء

لست اقصد يا صاحب الجلالة ان اراضيك بهذه الرسالة او أكفّر عن سيآتي الماضيـة اليك . فان تلك السيآت أعظم من ان يشفع بها ما اعانيـه من مضض هذا الفراق واحتمله من اراجيف الوشاة . لاسيما وانني لا أعرف لنفسي حسنةً سوى اني أحببتك حباً يقرب من العبادة فكان جزآء حبي لك انك فصمت عرى مواثيقنا المقدسة بحجة انني لم ألدْ لك من يرث عرشك من بعدك . و بلغتْ منك القسوة أن اتهمتني بامور ما أنزل الله بها من سلطان

ولست بلائمتك على تصرّفك هذا يا صاحب الصولجان . ولكن راعني ما رأيت نفسي فيه من اليأس . فرأيت ان أبسط اليك كتابي هذا واهنئ شعبك بولي عهدك ووارث عرشك . مع انني احسبك في غنى عمن يخلد لك ذكرك لان الذكر الذي قد خلفته ستتوارثه الاجيال المقبلة خلفاً عن سلف . ولسوف يأتي يوم يرى فيهِ العالم ان الالهة أساءت اليَّ أكثر مما اسأتُ انا اليك اذ لم تقدّر لي ان أهبك من يخلد لك ذكرك من بعدك . لذلك حاولتَ ان تنتزع حبي من قلبك . فلجأت الى غيري لتبلغ بها ما كانت نفسك تطمح اليه . فهنيئاً لهـا من امبراطورة سعيدة وهنيئاً لفرنسا بوارثها المقبل

ولقد رضيت بنصيبي هذا بعد ان احتملت منهُ في اول الأمر ما تنوء من ثقله راسيات الجبال . وكنت أقول يومئذٍ ان الزمان هو الطبيب

الاكبر فلن يمرّ العام حتى انسى ما بيننا من وعودٍ وعهود . وهوذا الآن قد مرّ ذلك العام وانا لا ازال اعاني ما كنت اعانيه يومئذٍ من غصص وحسرات

والذي يحزنني اكثر من كل شيء هو انني محرومة رؤيتك اذ تمرّ بي ايام طويلة مملّة ولا ارى لك حتى شبه خيال الاّ في الحلم . ولو تعلم شدة هذا العقاب لكان لي من دموعي شافع لديك . ولكنك قد اغمضت عينيك فلست ترى ما اعانيه من غصص مبرّحة . واذا كان في العالم قوة تمنعني عن اخماد أنفاسي بيدي فذلك لأنني واقفة على عتبة الأبدية وقد غطست فيها ركبتاي . فلماذا أضيف الى آثامي العديدة اثماً آخر بوضع حدٍ لأنفاسي بيدي ؟ وفضلاً عن ذلك فان موتي يورثك من تأنيب الضمير ما لا اطيق ان أراك معذباً به . ولأشهى على قلبي ان أراك سعيداً ولو على بعد منك ، من ان تعيش معذباً وأنا قريبة اليك

كان ينبغي ان افرح لفرحك اليوم . ولكنّ ذكرى عهودنا السالفة لم تُبقِ في قلبي مجالاً للسرور اذ كيفما التفتُّ أرى ما يروعني من الفرق بين الامس واليوم . ويزيد روعي كلما تأملت في ما عسى ان يجيء به الغد وقد يتمثل لي شبح الغد بصورة تنين هائل . فيزيد بي انقباضي ولا أرى من خلال ظلمته الحالكة الا شعاع املٍ ضعيف هو ان انام اليوم ولا استيقظ في الغد . ترى هل يحزنك غداً موت امرأة كنت تعبدها بالأمس ؟ أم يصدق فيك المثل القائل ان البعيد عن العين بعيد ايضاً عن القلب ؟

لا يسوءك عتابي هذا فان اليأس الذي انا فيهِ هو الدافع لي على النطق بكلامٍ ربما لا ترضاه . وانني ليدهشني فرط الشجاعة التي بدت مني في خلال العام الغابر اذ لم اكن اصدّق قبلاً ان امرأةً مثلي تستطيع ان تحتمل ما احتملته من عذاب وشقاء . والذي شجعني على احتماله هو أملي ان يكون لي من ورائه كفّارة عن هفواتي تشفع بي لديك وتنسيك كل شيءٍ ما عدا حسنتي الوحيدة وهي انني أحببتك حباً مخلصاً على رغم ما كان يبلغك عني من الاراجيف . وليست غايتي الآن ان ادافع عن نفسي بين يديك ، فإن ما كان بيننا قد انطوت صفحته ، وقضاءك لا مرد له . وانما أردت ان انبهك الى أمرٍ قد يسهو عنهُ الملوك والعظماء . وهو ان واضع الشرائع يجب ان يكون نموذجاً للعدل . واما انت فقد وضعت نفسك موضع الخصم والحكم ، وسددت اذنيك عن سماع صوت الرحمة والرأفة

لما كنت أسمع بانتصاراتك الباهرة كنت أفرح وأشعر كأنني حاملة راية النصر . ولا أزال حتى الآن أتوق الى سماع أخبار انتصاراتك وأتمنى ان تزيد منها كل يوم صفحةً جديدة الى تاريخك المجيد

وفي الختام اقبل تهنئاتي لك بوارث عرشك وأطال الله بقاءك حتى ترى أولاد أولاده . . . .

(بقلم سليم عبد الاحد)　　　　جوزفين

نابوليون الأول وحرب روسيا [1]

ان كل ما كان يحفُّ بنابوليون أوحى اليهِ المنهاج الذي جرى عليهِ في تمثيل دوره ، وجعله يلقي على عاتقهِ عبء مسئولية الحوادث الحاضرة والمستقبلة بدلاً من ان يتهيأ نفسهُ لتمثيل الدور المقضي عليهِ تمثيله

انهُ لم يكن يأتي عملاً من الأعمال او يقترف جريمة من الجرائم او يباشر سرًّا من الأسرار البسيطة ، الاَّ ويبادر الناس الى التنويه بيسالته

ان الألمان لم يجدوا شيئاً يروقهُ أفضل من الاحتفال بتذكار معركتي ايانا وارستاد ولم يكن هو وحده عظيماً ، بل كان أجداده واخوتهُ وأولاد اخوتهِ وأصهاره جميعهم عظماء . وكان كلُّ شيءٍ يأول بسهولة الى ان يزيل منهُ آخر أثرٍ من آثار العقل ويعدُّه لتمثيل دوره الهائل . ولما تمَّ له الأمر كانت جميع القوى مستعدَّة لمناصرتهِ

وباشر غزو المشرق فانتهى الى الغاية الأخيرة وهي موسكو، فاستولى على تلك العاصمة وساق الى الجيوش الروسية متالف لم يكُ قد ساق مثلها الى الجيوش المعادية له من عهد موقعة اوسترليتز الى اليوم الذي جرت فيهِ موقعة واغرام

وعوضاً عن الصدفة والدهاء اللذين جعلاه يتنقل من انتصار الى انتصار جارياً الى الغاية المنصوبة لهُ ، نلقى فجأة مجموع صدفٍ معاكسة له من الزكام الذي أصابهُ في بورودينو الى الشرارة التي أضرمت النار في موسكو والبرد القارس في روسيا . وبدلاً من الدهاء نجد فيهِ ضعفاً وصغارة لم يذكر التاريخ شيئاً يماثلهما

وكانت الغزوة تتقدَّم ولكن بشكلٍ معاكس، وصارت جميع الصدف معادية له بعد ان كانت من أحلافهِ . وحينئذٍ شهدنا حركة مخالفةً موجهةً من الشرق الى الغرب تشابه كل المشابهة الحركة التي سبقتها

---

(١) راجع الزهور الجزء ٢ ص ٦٥

وقد أُعلنت حركة جديدة بمساعي عديدة جرت في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩ ، فتألفت عصابة كالعصابة الماضية وجعلت تكبر حتى صارت جماهير غفيرة وتألبت شعوب اوروبا الوسطى عند تلك الحركة التي كانت معتبرة تكراراً للحركة السابقة ، لأنهُ لم يكن ينقصها شيء لتماثلها مماثلة تامة من مثل التردُّد في اثناء الطريق وازدياد السرعة عند الاقتراب من الغاية . وأُدركت باريس ، وهي الغاية الاخيرة لتلك الحركة ، وكان من وراء ذلك انكسار نابوليون وجيوشه

وان نابوليون ذاتهُ لم يُعَدّ شيئاً مذكوراً وصارت أعماله الاخيرة تستثير الشفقة عليهِ والنفور منهُ . ومع ذلك بدت صدفة جديدة تعجز الافهام عن ادراكها ، فان المتحالفين كانوا يبغضون نابوليون ويعتبرونهُ سبباً لجميع نكباتهم

وكان يُقضى عليهم في ذلك الحين ، عند زوال مهابتهِ وتقلص ظلّ قوّتهِ واتهام الناس له باقتراف الجرائم والغدر ، ان ينظروا اليهِ بنفس المقلة التي كانوا ينظرون اليهِ بها قبل ذلك العهد بعشر سنوات وبعده بسنة واحدة ، اي ان يروا فيهِ لصاً نبذتهُ الشريعة الاَّ ان صدفة غريبة لم تجعل الناس يعتبرونهُ ذلك الاعتبار . ولكنهُ لم يكن بعد قد اكمل تمثيل دوره . فان ذلك الرجل الذي كانوا يعتبرونهُ لصاً نبذتهُ الشريعة أُرسل الى جزيرة تبعد يومين عن فرنسا وأعطي تلك الجزيرة وعُيّن لخدمتهِ خفراء وخصص لنفقاتهِ ملايين من الفرنكات لأسباب لا يعلمها الاَّ الله

وبدأتْ حركة تلك الشعوب تسكن ، وهدأت الأمواج الزائرة وعقبها في ذلك البحر الساكن تموجات لطيفة ركب متنها سياسيون كانوا يتوهمون ان الفضل من ذلك السكون مرجعهُ اليهم

وعاد البحر الى الهيجان ، فاعتقد اولئك السياسيون ان الخلاف الذي نشأ بينهم كان أصلاً لذلك الهيجان ، وباتوا يتوقعون انتشاب حرب بين مواليهم وبانت لهم تلك الأحوال مأزقاً لا مخرج له . بيد ان الأمواج التي كانوا يشعرون بدنوّها منهم لم تأتِ من الجهة التي كانوا ينتظرونها ، بل كانت هي نفس الأمواج الآنفة الذكر آتيةً من باريس

وان ذلك الرجل الذي ألقى فرنسا في وهدة الخراب عاد اليها وحده دون ان تصحبهُ الجنود ، ودون ان يكون لديهِ خطة معروفة يسير عليها ؛ وكانت حياتهُ تحت رحمة كل خفير يلقاه في طريقهِ . ولكنهُ بصدفةٍ غريبة لم يُمس بأدنى أذى . وهرع القوم لملاقاته باحتفاء خلافاً لما كان منتظراً منهم ؛ وطبقت أصواتهم الفضاء بالتهليل لذلك الذي كانوا بالأمس يقذفونهُ باللعنات ، والذي سيعودون بعد شهر من الزمان الى لعنهِ . ولم يجرِ ذلك الاَّ لأنهم كانوا لا يزالون محتاجين الى ذلك الرجل لاتمام الفصل الاخير . انتهى الفصل وتمَّ الدور الاخير ، وأُمر الممثل ان يخلع لباسهُ وينزع عنهُ خضابهُ لاستغنائهم عنهُ

وهو نفسهُ أظهر للملا طرًّا بكل وضوح حقيقةَ ذلك الشيء الحقير الذي كان البشر يعتبرونهُ قوَّة حين كانت يد الحوادث غير المنظورة تقوده

وان مدبّر الكائنات الحقيقي عند انتهائهِ من تلك الرواية أمر أهم الممثلين فيها ان ينزع عنهُ ما كان متنكراً بهِ وأرانا اياه ، قائلاً : « انظروا ذلك الذي آمنتم بهِ . واعلموا الآن اني أنا الذي جعلتكم تسيرون على الطريق التي سلكتموها . وليس هو ! »

الاَّ انَّ البشر الذين تعمي بصائرهم قوَّة الانجذاب لبثوا مدَّة طويلة وهم لا يدركون الحقيقة

وانا نجد اموراً كثيرة مقدَّرة في حياة الاسكندر الأول وهو ذلك الشخص الذي ترأس الحركة المعاكسة ، اي تلك التي جرت من الشرق الى الغرب . فما هي الصفات التي كان مزداناً بها ذلك الرجل لتمكنهِ من تصييره سواه نسياً منسياً وترؤس تلك الحركة ؟

انهُ كان ولا مراء قد ازدانَ بعاطفة العدالة وعُني عناية حقيقية بشؤون اوروبا ولم يتعلق بأذيال امور لا طائل تحتها . وكان متحلياً بصفات ادبية تفوق صفات الملوك المعاصرين له وذا اخلاق لطيفة تستميل اليهِ القلوب وقد شعر باهانة شخصية نالتهُ من نابوليون

ان جميع هذه الاشياء المميزة كانت متجمعة عند الاسكندر الأول ، وقد حشدتها الصدف الكثيرة او الصدف المزعومة التي حدثت في حياتهِ الماضية ، وساعدها كل شيء كتربيتهِ واصلاحاته المبنية على أساس الحرية ؛ والمستشارين الذين كانوا يؤازرونهُ بصرف النظر عن اوسترليتز وتلسيت وأرفورت

وكان هذا الرجل في اثناء الحرب الوطنية لائذاً بعقوة الخمول ، لانه كان مستغنى عنهُ . ولكنهُ لما أصبحت الحرب الأوروباوية مما لا يستغنى عنها ، برز في المواقف الخطيرة الى الموقف المعدّ له ، ليضمَّ متفرّق الشعوب الاوروباوية ويسير بها الى الغاية المعروفة

ادركت تلك الغاية . وبعد الحرب الاخيرة التي اتقدت نيرانها سنة ١٨١٥ كان لدى الاسكندر أعظم قوة يستطيع الانسان ان يصيبها .

وماذا فعل بتلك القوة الهائلة ؟

ان الاسكندر الاول معيد السلم الى اوروبا ، الذي هبت في صدره منذ حداثتهِ نسمات الرغبة الحقيقية في جرّ الهنا، والراحة الى رعيتهِ ، والذي كان أول من أدخل الاصلاحات الموسومة بسمة الحرية الى بلادهِ ، ذلك العاهل الذي كان قابضاً بيديهِ على عنان سلطة مطلقة كان يقدر بالحقيقة ان يعمل لخير رعيته ونجاحها . وماذا يبدو لنا الآن ؟ بينما كان نابوليون في منفاه يرسم خططاً كاذبة ووهمية ليظهر السبيل الذي يمكنه ان ينتهجهُ لسعادة الانسانية لو كانت له السلطة على ذلك ، كان الاسكندر الذي كانت له تلك السلطة ينهض باعباء مهمتهِ ، وهو شاعر بيد الله على قلبهِ ، ويعلم ان تلك السلطة هي من جملة الأباطيل ؛ ولذلك أعرض عنها وتركها في أيدي أشخاص محتقرين ، ولم يكن ينِي عن ترديد هذه الكلمات : « ليس لنا المجد ولكن لك وحدك »

أنا انسان نظيركم ، فاتركوني أعيش عيشة رجل بسيط لأتمكن من التفكير بنفسي وبالله

كما ان الشمس او كل ذرة من ذرات الاثير تنشىء كرة مستقلة بذاتها ، مع

انها لا تؤلف الاَّ ذرة من ذلك الكائن العظيم الذي يعجز الانسان عن الوصول اليهِ ، فان لكل انسان غاية خاصة وفي الوقت عينه يخدم الغاية المشتركة التي يقصر العقل البشري عن الوصول اليها

ان النحلة التي تطير عن الزهرة تقع على ولد وتلسعهُ ، فيصير الولد يخاف النحل ويتوهم ان غاية النحل في هذا العالم لسع الناس

ان الشاعر يعجب بالنحلة التي تمتصُّ من كاس الزهرة ، ويصير يتوهم ان غاية النحل امتصاص شذا الازهار

ان المشتغل بتربيـة النحل يلاحظ النحلة وهي تجمع اللقاح وعصير النباتات لتغذية اليعسوب وصغار النحل ويصير يتوهم ان غاية النحل بقاء الجنس

ان النباتي يلاحظ ان النحلة تنقل اللقاح من احد النباتات الى عضو التأنيث في زهرة اخرى لتلقيحها ، فيصير يتوهم ان غاية النحل التلقيح

ان نباتياً آخر يلاحظ ان النحلة تساعد على نقل النباتات من مكان الى مكان آخر ، فيصير يتوهم ان غاية النحلة نقل تلك النباتات

ولكن الغاية الاخيرة للنحلة ليست في الغايات الاولى والثانية والثالثة التي مرَّ بيانها ، والتي يستطيع عقل الانسان ان يكتشفها

وكلما اكثر المرء من البحث عن حقيقة تلك الغـاية الاخيرة تجلى له ان عقله يرتدُّ كليلاً عن الوصول اليها

ولا يمكنهُ الاَّ ان يلاحظ العلاقة المشتركة بين حياة النحلة والحوادث الطبيعية الاخرى . فهو يبقى محصوراً في نفس الدائرة الضيقة للبحث عن غايات الحوادث والاشخاص الذين يذكرهم التاريخ فيظلُّ عاجزاً عن البلوغ الى الغاية الاخيرة

(عن تولستوي) **الياس الحويك**

في رياض الشعر

ما برحنا انجازاً لوعودنا السابقة باذلين الجهد في زيادة عدد الكتاب والشعراء الذين يحلّون «الزهور» بنفثات أقلامهم حتى أصبح قرّاؤنا يفاخرون بمن يكتب لهم مجلتهم الشهرية . والى جمهور كتّاب «الزهور» المعروفين نضيف اليوم أديباً كبيراً رفعهُ شعره على قلتهِ الى منزلة سامية بين حملة الاقلام ونعني بهِ حضرة المحامي المشهور داود بك عمون فقد ظفرنا منهُ بأوراقٍ مطويّة منوالي نشرها :

﴿ يوم ڤلادمير[1] ﴾

« او دعوى الحق الإلهي »

لا تلوموا تلك السيوفَ الدوامي جَلَتِ الشكَّ عن عقول الآنامِ
علّمتهم أن لا حياة لشعبٍ رازحٍ تحت مطلقِ الاحكامِ
أيُّ نصفٍ ترجون من حاكمٍ يحسـ ـبُ هذي الرقابَ كالأنعامِ
ورث الملكَ بالرجال وبالما ل كأن الرجال بعضُ الحطامِ
فاذا اهتمَّ منةً بالرعايا فاهتمام الجزّار بالأغنامِ

* * *

قيصرُ الرّوس قام بين البرايا ناشراً دعوةَ الهدى والسلامِ
ذاكراً اننا بنو رجلٍ فر دٍ خلقنا للحبّ لا للخصامِ
موعزاً بانعقاد مؤتمر التحكيم يقضي في المعضلات الجسامِ
ضحكَ الضا كحون منها وعدّوهـا أمانيَّ نيلها بالمنامِ
رُبَّ أمرٍ صعب المنال بعيدٍ صيّرتهُ العقول سهل المرامِ

(١) نظمهما الشاعر ابّان الحرب الروسية اليابانية الاخيرة

هبهُ حلماً فالسعي فيــهِ جميـل　　وجمــالُ الحيــاة بالأحلامِ
هذهِ الأرض ترتجيكَ فحقق　　ظنَّهــا فيكَ يا سليل الكرامِ
لكَ في منحها السلامَ أيادٍ　　خالداتٌ غرٌّ مدى الأيامِ

* * *

ولبثنــا عيوننــا شاخصاتٌ　　ناظرين انجلاء ذاك الغمــامِ
فاذا بالسلام حربٌ عوانٌ　　كلَّ يومٍ نيرانهــا في اضطرامِ

* * *

قيصرَ الروسِ لا تضيّق على الصفـــرِ مداهم فالصفر أهل انتقــامِ
لكَ مُلكٌ رحب الفضاء فسيحٌ　　فتمهــدْ اجزاءه بالنظــامِ
أفهما أوجستَ من شعبك الموتو　　رِ خوفاً دفعتــهُ للصدامِ ؟

* * *

لا رعاكِ الإله يا أرض منشو　　را ولا بلَّلت ثراكِ الهوامي
ما لعقبانكِ اتخذنَ وغدرا　　نكِ أصبحنَ بالدماء طوامي
كم خميسٍ وافاكِ يمرحُ زهوًا　　ثمَّ لم يبقَ منــهُ غير العظامِ
شهر الحرب شاهروها وباتوا　　في أمانٍ والقتل في الاقوامِ
سئمَ الروسُ فتكها بئست العيـ　　شة من ذلةٍ لموتٍ زؤامِ
قال مقدامهم هلمّوا الى « الوا　　لد »[1] نشكو مظالم الحكامِ
ومشوا للمليكِ عُزلاً ومد　　لين اليــهِ بحرمــةٍ وذمامِ
فتلقتهمُ جنــــود أبيهم　　برشاش الردى وحدِّ الحسامِ
مـلأت منهم الشوارع اشلا　　ء كراديس فهي كالآكامِ

* * *

(١) يطلق الروس اسم الوالد على القيصر

قيصرَ الروس ان شعبك أولا　　دكَ فاربأ واشفق على الأرحامِ
قيصرَ الروس خفْ دعاء الثكالى　　وبكاء الاطفال والأيتامِ
أفهذا الحق الإلهيُّ ان يقتـل شعبٌ أتاكَ لاسترحامِ
زالَ ما كنتَ تدّعيهِ من الحـقِّ بما سال من دماءٍ حرامِ

داود عمون

﴿ سجن الهوى ﴾

أصل سُقمي من العيون السقيمهْ　　وانحنائي من القدودِ القويمهْ
تلك غرَّت بالانكسار فؤادي　　ورمتهُ فما استطاعَ الهزيمهْ
وهوى لِين هذه قد دعاني　　لدواعي الغرام أَيْنَ الشكيمهْ
صرتُ من بعد عزّة وإباء　　أجدُ الذلَّ في الهوى خيرَ شيمهْ
ما غزَتْ أعينُ الحسان قلوباً　　قطُّ الاَّ ومهجتي في الغنيمهْ
لا ولا شمتُ من ثغورِ الغواني　　لمعَ برقٍ الاَّ ودمعيَ ديمهْ
علَّمتني نظمَ الفرائد لكن　　تيَّمتني منها اللآلي اليتيمهْ
أنا أبكي ومهجتي في سعير　　وهي في عذبها البراد بسيمهْ
وبروحي رشاً رخيمَ المعاني　　حبُّهُ حلَّ من فؤادي صميمهْ
أهيفَ القدّ باهرَ الحسنِ يزهو　　بجبين أضحى الهلالُ خديمهْ
ان تبدَّى او ماس تيهاً وعجباً　　لم يدعْ للهلالِ والغصن قيمهْ
وعلى خدّه من المسكِ خالٌ　　أشتهي لثمهُ وأهوى شميمهْ
غير اني أخاف نبل جفونٍ　　منهُ تولي الضنا وتوهي العزيمهْ
سامحَ الله حبّهُ كم دهاني　　دونَ صحبي بالمقعدات المقيمهْ
كبَّل القلبَ بالقيود وألقا　　هُ بسجن الهوى لغير جريمهْ

ليتهُ اذ دعا الفؤادَ أسيراً ... لم يكن صيَّر الغرام غريمهْ
تبذلُ العينُ دمعها في هواه ... ولهذا قد سُمّيَتْ بالكريمهْ

عبد الحميد الرافعي

هل للهموم قلوب

ألقى الجمال عليكَ آيةَ سحرهِ ... فغدوتَ ما شاء الجمالُ حبيبا
حتى الهموم سَمتْ اليك بودّها ... من كان يحسبُ للهموم قلوبا

خليل مطران

الى بحمدون (١)

« عبرات البين »

من دونكِ البينُ يا ليلى ومن دوني ... و بعض ما كان قبل البين يكفيني
خطا اليَّ خُطى الآجال ساربةً ... في القلب والقلبُ لا يدري الى حينِ
خطىً كنسف الجبال الراسيات على ... نفسي وكالدمع دمع الحزن في الاينِ
تمشي على الأمل الزاهي فتحطمهُ ... وقد يرفُّ رفيفاً كالرياحينِ
وتغمر الحبَّ ظلاًّ بعد ما صبغتْ ... مني الشباب حواشيهِ بتلوينِ
يا بينُ ما ضربات الدهر غير خطىً ... تمشي بها في المحبّين المساكينِ
شيئان ما لهما في الناس تعزيةٌ ... ولا تعزّيهما يوماً بمظنونِ
قلب بأضلاع مشتاقٍ تجاذبهُ ... يدُ الفراق وعقل عند مجنونِ

⁂

يا بينُ ويحك ما أبصرتَ قطّ سوى ... شخصَي حبيبينِ من هذي الملايينِ

---

(١) قرية في جبل لبنان يكثر فيها المصطافون

رفقاً بلؤلؤةٍ في جانبَي صَدَفٍ　　ضُمَّا عليها كضمّ القلبِ للدّينِ
فلو ترى الهائم المسكين مرتعداً　　من النوى كذبيحٍ تحت سكّينِ
روح ضئيل وشخص جامد وهوًى　　بَرْحٌ وهمٌّ سليبِ العقل مفتونِ
ملقيً لدى الناس لو أبصرت حالتهُ　　في الناسِ أبصرتَ ميتاً غير مدفونِ

* * *

ليتَ الفراق نجا بي من عواذلها　　ولو الى مطرحٍ في القبر يطويني
كأسٌ ظمئتُ لها حتى اذا عرضت　　شرقتُ منها بما قد كان يُرديني

مصطفى صادق الرافعي

الفتاة العمياء[1]

سادتي انَّ في الوجودِ نفوساً　　ظلمتها الأقدار ظلماً شديدا
هيَ تشقى من غير ذنب جنتهُ　　ولكم مذنبٍ يعيش سعيدا
رحم الله أعيناً لم تشاهدْ　　منذُ كانت الاَّ لياليَ سودا
تتمنى لو فُتّحت فتملَّتْ　　من جمالِ الوجود هذا الشهودا
تتناجى حمائم الروض صبحاً　　لا نراها ونسمعُ التغريدا
ويكون الربيع منا قريباً　　فنظنُّ الربيع منا بعيدا
حين ترنو الى الوُرود عيونٌ　　ليت شعري كم تستطيب الورودا
أبويَّ اللذين أوجدتماني　　أتريدانِ شقوتي ؟ لن تريدا
عشتما في ظلالِ شملٍ جميعٍ　　أناوحدي وجدتُ شملي بديدا
واذا كنتُ قد ولدتُ فقيداً　　ليتني كنتُ قد فقدتُ وليدا

(١) قالها الشاعر بلسان فتاة عمياء فانشدتها فى حفلة مدرسة الحياة الجديدة للبنات الكفيفات فى مصر

سادتي انّنــا صبرنا امتثــالاً ما ضجرنا ولا شكونا الجدودا
فانظروا نظرةَ الكرام الينــا وارحموا أدمعاً تخدُّ الخدودا

ولي الدين يكن

﴿ أوهى قرنه الوَعِلُ ﴾

هذي طرابلُسٌ صحراؤها جدَثٌ للطامعينَ ومسرى ريحها عِللُ
يذودُ عن حوضها اسدٌ مقذّفةٌ لا ينزِلُ النصرُ الاَّ حيثما نَزلوا
أشاوسٌ من بني الاعراب ما لثموا الاَّ ثغورَ مواضيهم ولا نَهلوا
ما قامَ يطمعُ في أملاكهم شرِهٌ الاَّ تحكَّم من أعضادِه الشللُ
وضاقت الارض عنه وهي واسعةٌ وأظلمتْ بمرامي عينــهِ السبُلُ
« كناطحٍ صخرةَ يوماً ليوهنهـــا فلم يَضِرْها وأوهى قرنهُ الوعِلُ »

شبلي ملاَّط

﴿ روعة نبأ ﴾

روى البرق منعاهُ فأصعق بالنبا يدكٌّ من الصبر الجميل ويخربُ
بليلٍ من الاشجان ضاوٍ هلالهُ وعقد الثريَّا دمعهُ المتصبّبُ
كأنَّ السماك الرامح آعتقل القنا لثار اخٍ والنسر في الجوّ موكبُ
كأن بني نعشٍ على نعش من ثوى نوائح ترثي المكرمات وتنــدبُ
كأن بشير الصبح اجفل رهبــةً من الأرض يدنو تارةً وينكّبُ
كأن عبوس الأفق يلطم خدَّهُ فلاح عليــهِ احمر اللون اصهبُ
كأن الضحى قد شقَّ جلبابهُ اسًى فلم يدرِ أنَّى بعــدهُ يتجلببُ

نسيب ارسلان

رواية عطيل

ترجم حضرة الكاتب الشاعر الشهير خليل افندي مطران رواية عطيل لشكسبير، ومثّلها في تياترو الاوبرا الخديوية جوق جورج افندي ابيض نابغة التمثيل العربي . ثمّ تمنى جمهور الأدباء على المترجم الفاضل أن ينشر هذه الرواية بالطبع ، فصدّرها بمقدّمة بليغة درس فيها الشاعر الانكليزي وروايته هذه درساً جميلاً جدًّا فنقلناه عنهُ . والرواية لا تلبث ان تتداولها أيدي القراء . قال خليل :

ندبني لتعريب هذه الرواية جورج افندي أبيض صاحب الفرقة (الجوق) المعروفة الآن باسمه، فترددتُ زمناً ، ثم أتيح لي ان رأيتهُ يمثّل تجربة من «اديب» فأعجبني اتقانه واتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله في نقل عُطَيل الى لغتنا الشريفة

فلأذكرْ أولاً ما دعاني الى اختيار اسم عطيل ردًّا على بعض المعترضين

كان عُطيل في زعم القصّاص الذي نقل عنهُ شكسبير اصل هذه الحكاية ، بدويًّا مغربيًّا جلا الى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الاكبر، وعقيده في الملمّات . والمغاربة يومئذٍ خليط من العرب والبربر المستعربة . فامَّا ان يكون قد دعي منذ مولده باسم افرنجي فغير محتمل ، وامَّا ان يكون قد دعي باسم عربي حرَّفته العجمة، فهو الأصح عقلاً . فاذا رددنا أوتلّلو الى لسانهِ الاصلي، فالذي يستخرج من حروفهِ أحد اثنين : عطاء الله او عُطيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل الى تحقيق أن مغربيًّا واحداً سمّي بهِ ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما عُطيل فقد اعتقدت انهُ الاخلق بالاختيار لسببين : أحدهما انهُ أشبه بما جرت عادة العرب على تسمية الزنوج بهِ من ألفاظ التحبب امثال مسعود ومسرور وزيتون ومرجان الذكور ، وخيزران وضياء للجواري. ومعلوم ان عُطيلاً تصغير تحبّب لصفة عُطْل بمعنى عاطل اي خلوٌ من الحلية فتسمية احد الزنوج بهِ انما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيهما لأن «عُطيلُ» بضمّ أوله ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب الى أوتلّلو من كل اسم سواه

بقي في هذا الصدد ان أقول مروراً للذين تمنّوا لو أُبقيت اسم أوتللو كما أورده المؤلف ، انني لم اوافقهم على هذا لانني كرهت ان أُثبت في العربية اسماً من أسمائها على الرطانة التي حرّفتهُ اليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة ، في حين انهُ لا يتعذّر علينا اكسابهُ مثلها وهو مردود الى اصله التقديري او التحقيقي من غير ان نسوم مسامعنا جراحة تحريفهِ . ذلك ما اوحى اليَّ اليقين أنهُ خير وأولى

بعد هذا التفسير الذي تقاضتني اياه بعض الصحف ، ونفر من الاصدقاء ، ارجع الى الرواية ولي فيها مبحثان موجزان ، من جهة الاصل ، ومن جهة التعريب

* * *

اما من جهة الاصل فأقول ان واضع هذه الرواية انما هو نابغة الادهار في فنهِ وأعني بهِ شكسبير . وضعها لاظهار الغيرة وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دلَّ عليهِ الاختبار من أمرها ، ولذلك اختار عاشقاً افريقياً بدوي الفطرة — ليكون وثّاب الشعور عنيفهُ — عسكريَّ المهنة — ليكون سريع التصديق والانخداع — مكتهلاً أي في أوّل الانحدار من سنّ الاربعين — ليكون أشدّ في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب وليكون ايضاً في الحالة التي يتهم فيها الانسان نفسه بفقدان اكثر الصفات التي يقتضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام اسود البشرة من احلاس الحروب ، والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الاخلاق مترفين

ذلك هو الغرض الأساسي العام الذي رمى اليهِ شكسبير فأصاب بهِ دقائق الحقائق اصابة كانت في جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعاظم الكتبة على الشهادة له بأنهُ أخبر خبير بخفايا القلوب ، وأمهر كشاف لخباياها

ثم انهُ أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين : أحدهما اثبات أن العفة لا تنتفي من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفي عشيرتها ، والثاني تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغهُ من نفس رجل

ذكي مطماع خسيس أصمّ الضمير ، مستبيح كل محرم ، مستهين كل منكر في سبيل غايتهِ

كيف صرف شكسبير قريحتـه العجيبة في ألوف الجزئيات التي تؤدّي الى تصوير الغرض الكلي والغرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليهِ القارىء من مجرَّد مطالعتهِ للرواية فانهُ يشعر قليلاً قليلاً ان الأسماء تمحى وتستبدل بأشخاص مقوَّمين في أصلح تقويم لكل منهم ويدخل متدرّجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع و يسمع وهو شاهد مَشاهد مما ألفهُ في الحياة لايردّه الى كونهِ قارئاً سوى انتهائهِ الى دفة الكتاب

ومن جهة هذا التصوير الأخَّاذ الذي يصوّر بهِ شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد ان ذلك الاستاذ العظيم يبالغ فيـهِ مبالغة قد يجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذي رزقهُ كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذي « افتتن فكتور هوجو » بغرابة شعره ، ووجد عند فراسته وطلاقته وقوَّة تمثيله للمعنويات بالحسيات ، مبدأ المذهب الحرّ الذي ذهب اليهِ فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنَّة الكتاب في العالمين

الكاتب المنقّب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيـار و براعة في التأليف وسلطة على اللفظ يستدني بهِ أبعد المعاني و يقيد أوابد الوجدانات ، الذي اعجب بهِ المؤرخ الفيلسوف « تاين » وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده

الأديب الذي تترجم مكتوباته على وفرتها الى كل لغات الدنيا ، وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع و يجيز احسنها المجمع الأدبي الاكبر كما اجيزت ترجمة « مونتيجو » و « ليتورنور » وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الالسنة والاجناس والاذواق والملل والنحل على مكتوباتهِ سواء في اصلها او في غير اصلها ، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعهـا المُذهِب والمطرب الى المهكه والمفيد والمبكي والمضحك الى الزاجر والمؤنس

أهذا الذي يطلب منـهُ ان يكون اسير اصطلاح وعبد لفظة ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل . ولو أبقاه في عنقهِ لما اشرأبَّ صعداً الى مناجاة اجرام السماء، ولا أطاق الإِكباب الى أبعد اغوار الاسرار في الطبائع البشرية

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهي احدى آيات مستخرجاته ولما كنت اعهده فيها من نادر المزايا وجدتُ من كافي بها معواناً على معاناة تعريبها

* * *

فأما من جهة التعريب فأقول ان في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو . أقرأ لغتنا ام نقلت اليهِ عنها بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا اعلم . ولكن بينه و بيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فان عنده مثلما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها في كل مذهب ، وله مثل ما لنـا كلفٌ بالتنقل الوثبي من غير تمهيد ولا استئذان يدفعكَ من القصد الى القصد وشيكاً وعليك ان تمهل في فكرك وتجد الرابطة ، و بهِ مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين الاّ الذين في تصوُّرهم حدَّة وجماح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب . وعلى الجملة ففي كل ما يكتبهُ شكسبير شيء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم الى الفطرة الحرة

تناولتُ الرواية لأعرّبها وكأنني أنوي ردّها الى اصلها كما رددتُ اسم عطيل وقبل ان أشرع فيها تفكرت في الأسلوب الذي اختاره لها

أهو ذلك الاسلوب المخرّق الذي تشف الفصاحة فيهِ عن رقع العامية ؟ لا وألفاً لا

فتالله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم اكن بقتلي اياها الاَّ منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلتْ من هيكله الذهبي الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزفيتين القذرتين فهو فوقهما متداعٍ وبهما مشوَّه ، منتقماً لأمة كسرت العاميـة وحدتها وكانت عليها اكبر معوان للتصاريف التي مزّقتها في الشرق والغرب كل ممزق ،

متقياً للفصاحة نفسها وأية فصاحة في خُشَارة لا تصيب فيهـا تبر الاصل الاَّ وقد تلوّثت بذريرات لا تحصى من أوضار الرطانات بأنواعها

ُبعداً لهذا الاسلوب اذن ! ولنختر غيره . . . أنوْثر الاسلوب الجزل المتين القديم ؟

لا ولا ! لأن الروايات انما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منهـا مغزى بجانب التفكهة . أفنعكس عليهم تلك السنَّة الشريفة التي سنها النبي القرشي بقوله أمرتُ ان اخاطب الناس على قدر عقولهم

بعد هذا وذاك لم يبقَ الاَّ الاسلوب الوسط وهو الذي تكون بمقتضاه الالفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكاك الجمل تفكيكاً يقرّب مراداتها من الافهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير ان يفوتنا الالتفات في ذلك التفكيك الى اشتات ما صنع ادباء العرب من مثله لمناسبات مخصوصة وان لم يألفهُ جمهور الكتَّاب الاحتفاليين

هذا هو الاسلوب الذي آثرتهُ وأرجو ان اكون قد وفقت فيهِ بعض التوفيق فتجتمع معه لهذه الرواية مزيتان : احداهما انها تكون عربية فصيحة لولا الاعلام ولولا تشقيقـ الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثا ، والثانية نها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظةً بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني او الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثَّلين فيصحُّ ان تكون هذه التجربة مثالاً للتعريب يتحداه طلبة المدارس

خليل مطران

نوابغ مصر الادباء

لا تزال رسائل القراء ترد علينا بكثرة رداً على اقتراحنا الذى نشرناه فى الجزء السابق فرأينا والحالة هذه ان نرجيء نشر النتيجة الى الجزء الآتى

تربية الطفل [1]

الغوط – والتبرّز

على المرضع ان تتعهد الطفل من وقت الى آخر وهو في مهده ، فاذا كان مستيقظاً فقد يحتاج الى إضجاعهِ على الجانب الآخر حتى يكون مستريحاً . فاذا لم يفد ذلك واستمرّ مستيقظاً مع صراخ يجوز ان تكون احدى اللفافات مبلولة من الغائط او البول ويحتاج الحال الى تغييرها ، ومن الغريب ان الطفل وهو في مبدإ حياته يكره رطوبة الملابس

ولا بدّ من ان تكون الملابس نظيفة جدّاً وجافة قبل استعمالها . ولا يحسن استعمال الصودا في غسيل الملابس لأنها تحدث طفحاً في جلد الطفل لأنه يكون رقيقاً في هذا الوقت . وأما اذا كانت الصودا ضرورية لتنظيف الملابس اثناء الغسيل ، فلا بدّ من إزالة كل آثارها بتكرار غسلها بالماء الخالص . ولا حاجة الى القول انه يجب ابعاد كل الملابس القذرة من غرفة الطفل بعد تلوثها مباشرة كما انه يجب غسلها او تجفيفها في مكان آخر

يبوّل الطفل عادة بعد ساعات قليلة من الولادة ويتبرز في هذا الوقت أيضاً ولون البراز أسود في الأيام الخمسة الأولى وهو اللون الطبيعي. وعلى كل من يعتني بأمر الأطفال ان يلاحظ النقط الآتية : نوب التبرز في الأربع والعشرين ساعة الأولى هي اثنتان أو ثلاث ، والمواد تكون بدون رائحة كريهة ولونها أصفر (فاقع) بعد الخمسة الأيام الأولى ، والمواد

(١) راجع الجزئين الأوّل والثاني من « زهور » هذه السنة

تكون رخوة ولا تتشكل الاَّ بعد زمن طويل . وليس فيها كتل بيضاء (لأن الكتل البيضاء تدل على اللبن غير المهضوم) . وأما البراز الأخضر المحتوي على كتل بيضاء فيجب استشارة الطبيب في شأنه ، وكذا المواد البرازية ذات اللون الردغ سواء كانت محتوية على دم أم لا ، لأن الوقاية من أمراض المعدة والامعاء أسهل من معالجتها . وأما المواد البرازية الجامدة فتحتاج الى علاج أيضاً خشية ان يتعوَّد الطفل الامساك

ويجب تغيير الفوطة المبلولة بأخرى خشية تهييج الجلد . وعلينا ان نجفف الجلد جيداً ونذرّ عليهِ قليلاً من المسحوق قبل وضع الفوطة النظيفة . وتنطف الاليتان جيداً بعد كل تبرُّز مع تجفيفهما وذرّ قليل من المسحوق عليهما . ويستحسن البعض وضع قليل من المرهم على الاليتين بدلاً من المسحوق . ولا بأس من ذلك اذا عمل المرهم من أجزاء متساوية من مرهم زنك وزيت الزيتون . وأما اذا احمرَّ جلد الاليتين فاستعمال المرهم المذكور واجب

لبن الأم

يختلف لبن الأمهات كميةً وصفة ، وعند بعض الأمهات اللبن الكافي بعد مضي ١٢ ساعة من الولادة . والبعض الآخر لا يوجد عندهنَّ اللبن الكافي الاَّ بعد ثلاثة أيام . فاذا ظهر اللبن في ثدي الأم في الاثنتي عشرة ساعة الأولى بعد الولادة يحسن ارضاع الطفل في هذا الوقت ، لأن الطبيعة قد هيأت في لبن الأم كل ما يحتاج اليهِ الطفل من التغذية

وفضلاً عن ذلك فاللبن الذي يخرج من الثدي بعد الولادة مباشرة يكون له تأثير خاص في امعاء الطفل . ويعرف هذا اللبن باللبآ ، ويختلف عن اللبن الذي يظهر في الثدي بعد ذلك بكثرة المواد الدهنية فيهِ . وارضاع الطفل من الثدي يحدث تنبيهاً ويحرض على افراز اللبن . وأما اذا لم يظهر اللبن في اليومين الأولين فيمكن اعطاء المولود كل ثلاث ساعات او اربع ملعقة شاي من اللبن والماء . ويحضَّر اللبن باضافة جزء من اللبن الحديث الى ثلاثة أجزاء من الماء النقي المغليّ جيداً في اناء نظيف ويمكن استعماله بعد ذلك متى هبطت حرارته الى درجة ١٠٠ (فارنهت)

كيف يرضع الطفل

تحتاج الأم الى قليل من المهارة حتى تستطيع ان ترفع طفلها من ثديها ؛ ولإرضاعهِ من الثدي اليسرى عليها ان تضع الطفل على ركبتيها وذراعها اليسرى حتى يكون رأسه أعلى من رجليهِ وحتى يمكنها ان تجذبهُ اليها متى أرادت . وهي مع ذلك تسند جسمه ورأسه . ويحسن ان تضع الأم تحت مرفقها وسادة صغيرة ، وتوضع الحلمة في فم الطفل ، وتمنع الأم بسبابتها والأصبع الوسطى من اليد اليمنى ضغط الثدي على أنفهِ . وأما اذا كانت الرضاعة من الثدي اليمنى فيسند الطفل باليد اليمنى ويمنع الثدي من من الضغط على أنف الطفل بأصابع اليد اليسرى . ويختلف زمن الرضاعة من ١٠ الى ١٥ دقيقة وعلى المرضع ان تلاحظ أيبلع الطفل اللبن ام لا . واذا داخلها شك في ذلك فعليها ان تزنه قبل الرضاعة وبعدها مباشرة .

ومن الأطفال مَن يفهم عند أخذه الى صدر أمهِ الغرض المقصود فيلتقم الثدي بسهولة ، ومنهم من يحتاج الى عناية واغراء للارضاع . وقد يجب أحياناً ان توضع نقطة من جلسرين البورق على الحلمة لاستغواء الطفل لالتقامها ، أو ربما كان عدم بروز الحلمة هو السبب في عدم استطاعة الطفل للرضاعة ، وكل ما يلزم وقتئذ هو ان تضغط ضغطاً خفيفاً حتى تبرز

وبعد انتهاء الرضاعة يبقى الطفل ساكناً قليلاً من الوقت ثم يوضع في مهده حيث ينام نوماً هادئاً غالباً حتى يأتي ميعاد الرضاعة الثانية

وتغسل الحلمة ، بعد كل رضاعة ، بقليل من الماء الدافىء وتنشف جيداً ، ويحسن استعمال ثدي واحدة لكل رضعة لأنه لا يحسن ان يرضع الطفل من الثديين في كل مرَّة بل يلزم ان يرضع مرَّة من الجهة اليمنى والمرة الأخرى من الجهة اليسرى وهكذا بالتناوب

الدكتور محمد عبد الحميد

الى قراء الزهور

لدى الزهور مقالات كثيرة اضطَّرنا ضيق المكان في هذا الجزء الى تأجيلها ، فليعذرنا كتَّابها الأفاضل . واننا نغتنم هذه الفرصة لإعلان الذين يرسلون الينا دائماً القصائد والمنظومات الشعريَّة على اختلافها ، انَّ « الزهور لا تنشر » في « رياض الشعر » الاَّ ما كان من الطبقة الجيّدة منه وعبثاً يلحُّ علينا الناظمون الادباء

السيدات والقلم

مضت الأيام الطيبة على دول الشرق ، دول تجاوب على أفنانهـا الشعراء والشاعرات ، والكاتبون والكاتبات . حيث أصاخت عروشُ الملوك والملكات لكل مُسمعٍ ومُسمعة من سادة الكلام . ومضت الأيام الطيبة على دول الغرب ، دول أطلعت من آفاقهـا وجوه المطربين والمطربات ، أصحاب الفن وصاحباته . حيث تألقت التيجان على محاسن الوجوه ومحاسن النفوس . ولكن أدرك الشرق الكبرُ حتى اورثه اللكَن وسرَت على الغرب نسمة الحياة فجدَّ وتقدَّم

ملكاتنا وولائدنا بتنَ عواقر ، وملكاته وولائده أنجبنَ وأكثرنَ . فما خلَّفتْ « عنان » التي زعموا ، ولا « ولاّدة » التي وصفوا ، قينةً ولا اميرةً . ولقد أتت بعد «مرغريت ده فالوى» ومدام « ده سفينيه» كثيرات مثل مدام «ستايل» و « جورج ساند » . بلى أتت عقائل متوَّجات مثل ملكة الانكليز المرحومة فيكتوريا ، ومعاصرتها كرمن سلفا . فباتت سماء الغرب حالية ، وسماؤُنا عاطلة

على اننا اصبحنا اليوم نرى في الشرق سيدات يبارينَ الرجال ، ويجاوزنَ كلَّ سابق منهم . وكنا ظننا حقبة من الدهر ان لن نسمع ذلك الترجيع يخالطه ذياك الأنين ، ولكن العصر ربيع الشباب ، والميدان روض الحياة فأهلاً بالساجعات المطربات

أعجبتُ إعجاباً شديداً بما نسجته انامل الكاتبة الفاضلة السيدة هند عمون في تاريخ الخواتم . فذلك فصل اقل محاسنه انه بلا نظير

وقد تنظر عيني في هذه (الزهور) الطيبة فترى كل زهرة كأنها ثغر الأمل . فأقول لمن الزهرة ، فيقال لفلانة الفاضلة . اهلاً بالزهرات في حديقة الزهور . . !

(٢١)

كنت قاربت الكبر . وادركني الاعياء . وها انا اليوم اسمع بلابل الله في ملكه فاجاوبهـــا . ما هذه بنات هديل ، وانما هي بنات حواء . آن لاقلامنا ان تختار احسن ما عندها من الدرر

تلك الاجياد جديرة بهذه العقود . . .	ولى الدين يكن

جريدة « الأخبار »

بلغت الصحافة المصرية منزلة سامية من الترقى واشتغل بهـــا فى العهد الاخير جمهور من كبار الكتاب ورجال السياسة ، فأصبح لها تأثير بليغ فى الرأى العام ، فرأينا ان نخصّ من حين الى آخر كل جريدة بفصل يصوّرها لقراء « الزهور » من حيث خطتهـــا وأسلوبها وكيفية تحريرها . ونبتدىء فى هذا الجزء بجريدة « الاخبار » لمناسبة عودتها الى الظهور فى هذه الاثناء على أثر توقيفهـــا شهرين بمقتضى القرار الذى أصدره مجلس النظار

الأخبــــار — أنشأها صاحبها ســنة ١٨٩٦ بالاشتراك مع داود افندي بركات رئيس تحرير الاهرام اليوم . وتوقفت سنة ١٩٠٠ ثمّ عادت الى الصدور سنة ١٩٠٦ فكانت اول جريدة عربية مصرية تصدر في الصباح . وهي اصغر الصحف المصرية حجماً ولكنها من أغزرها مادَّةً بالنظر الى الأسلوب الذي توختهُ في ايراد الحوادث . وقد كادت تقصر ابحاثهـــا على الشؤون المحلية او ما كان لهُ علاقة بها من الشؤون الخارجية . وانك لتقرأ الخبر في صحف المساء ثمَّ تصبح فتقرأه في « الأخبار » فلا تستنكف من معاودة قراءَتهِ لأنك على يقين من انك ستجد في طريقة ايراده شيئاً جديداً . وللأخبار على سائر الصحف ميزتان : الأولى انها تنشر ما لها وما عليها تاركة لمن يكتب فيها الحرية التامة في ابداء فكره ولو جاء هذا الفكر مخالفاً لمذهبها ، والثانية انها ذات اعتناء خاص بعنوانات اخبارها ومقالاتها

حتى لقد يجيء العنوان فيها وحده ابلغ من مقالة طويلة . ولقد جرى بعض هذه العنوانات مجرى المثل بين القرّاء

أما الشيخ يوسف الخازن صاحب « الأخبار » فهو معروفٌ بشدَّة الذكاء وتوقد الذهن . وهو من اكثر كتَّابنا حفظاً للتاريخ ونوادره وأقدرهم على الاستشهاد بها عند اللزوم ، فتراه دائماً ابداً حاضر القريحة لإيراد حادثة او نكتة يطبّقها على حوادث اليوم ، يظهر لك ذلك في حديثه كما يظهر في كتابتـهِ ، وقد حلَّى كثيرًا



الشيخ يوسف الخازن

بالدرس والمطالعة السليقة الانتقادية التي عرفت بها الاسرة الخازنيـة . وله من هذا القبيل نكت وأجوبة تروى بين الناس . والشيخ لطيف المعاشرة لا يملهُ جليسهُ .

وخصومه السياسيون أنفسهم يشهدون له بخفة الروح. وقد لا تفارق الابتسامة ثغره — كما ترى في رسمهِ الذي امامك — وهي غالباً ابتسامة استهزاء من كل شيء . .
عثرنا في بعض اعداد « الاخبـار » على مقالة نعتقد ان الشيخ قد كتب مقدَّمتها وهو امام المرآة يصوّر نفسه اذ قال « لي صديقٌ شاذٌّ الاخلاق ، غريب الاطوار قلما يتفق رأيه مع رأيك ، او يوافق خاطره خاطرك ؛ ولذلك تراه في معظم الاحيان منفرداً في رأيهِ ، مخالفاً للجمهور في حكمـهِ . وليس السبب في ذلك كونه يحبُّ المخالفة والمعارضة ، بل كونه ينظر الى المسائل من غير الجانب الذي اعتاد معظم الناس ان ينظر اليها منهُ ، فيكشف اموراً جديدة قد تخفى على الآخرين ، وهو يعبّر عنها تعبيراً فكهاً لا يخلو من نكتةٍ تسرُّك فتجعلك تضرب صفحاً عن شذوذه وغرابة اطواره لا سيما وانهُ بعيدٌ عن المكابرة فلا يحاول ان يقنعك بصواب رأيهِ بل يقول هذا رأيي والسلام »

وصاحبنا مزيجٌ من التعصب والتسامح بل هو بوجه عام شديد التعصب لمذهبهِ فلا يخط حرفاً الا تأييداً لهذا المذهب او انتقاداً للمذهب المخالف ، وان كان ذلك لا يظهر لأوّل وهلةٍ في جريدتهِ التي اباح أعمدتها لكل المذاهب . ومن رأي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ان خطة «الاخبار» تظهر فيما تختاره من أقوال الصحف اكثر مما تظهر في مقالاتها الخاصة . وقد أثَّرت اخلاق الرجل في اسلوب الكاتب اي تأثير حتى صحَّ فيهِ قول بوفون « الكتابة هي الرجل » فجريدته هي صورته المعنوية وهو شديد الولع بها فقد ضحى لأجلها في مراكز عديدة عُرضت عليـهِ وأنفق في سبيلها حتى اليوم ستة آلاف جنيه من ثروتهِ . وهو كثير التأني في كتابتهِ شديد الحكم على انشائهِ ، يكتبُ ويشطب ويشذّب ويمزّق كثيراً قبل ان يدفع الى الطبع مقالة لا تتجاوز العمود فهو من هذا القبيل أقلّ الصحافيين مقدرة على سدّ الفراغ ، على ان مقالته تخرج بعد ذلك موسومةً بسمتهِ الخاصة فتُعرف بهِ
ويشاركه الآن في تحرير « الاخبار » توفيق افندي حبيب ، ومقالاتهُ لا تخرج عن دائرة التعليق على الحوادث اليوميـة بأسلوبٍ فكاهي لذيذ لا يخلو غالباً من


توفيق حبيب

ملاحظات دقيقة وقرصات انتقادية ، وهي غالباً موقعة بامضاء « محدّث » وله ابحاث حسنة في شؤون طائفتهِ القبطية ؛ وقد لا تعجبك المقالة منهُ على انك قلما تضجر او تسأم منها . وهو كثير المطالعة ، يقرأ كلَّ ما تصل اليهِ يدهُ مما يطبع باللغة العربية ، وله ذاكرة قويّة تجعله بمثابة قاموس للحوادث المصرية على عهدهِ ، ويصعب على الشيخ يوسف ان يجد مساعداً للتحرير اطوع من توفيق حبيب وأقرب منهُ لفهم أفكاره ، كما انهُ يصعب على توفيق حبيب ان يجد صاحب جريدة يترك له الحرية في الكتابة كصاحب الاخبار ، ولذلك قد مرَّت عليهما بضع سنوات وهما جالسان الى طاولة تحرير هذه الجريدة ، وكلاهما راضٍ عن صاحبه

معرض الزهور السابع عشر
« في الاسكندرية »

في الاسكندرية جمعية زراعية اوربية النشأة ، وطنية العمل ، تقيم في كل سنة معرضين تشهر بهما عملها ، احدهما في اوخر شهر ابريل وتسميه « معرض الزهور » ، والآخر في اواخر شهر نوفمبر وتسميه « معرض الأقحوان » والأول يطلق عليه اسمه بالغلبة لأنه يكون معرضاً للزهور وطوائف متنوعة من النباتات ، واصناف شتى من البقول والفواكه والخضروات . والثاني يطابق اسمه مسماه لأنهُ لا يعرض فيهِ غير

طوائف الاقحوان . وما اكثر اشكالها والوانها . وكلا المعرضين يفتح في وقتهِ يومين متواليين – السبت والاحد – وبديهي ان الجمعية انما تختار هذين اليومين لأنهما يوما الراحة والتنزه في الاسكندرية ، ويكثر اقبال الجمهور فيهما على مشاهدة معروضاتها الجميلة

فشهر ابريل «نيسان» الحالي هو شهر معرض الزهور . وقد فتح هذا المعرض في يومي السبت والاحد الواقعين في ٢٠ و ٢١ منهُ وأقبل الالوف من الناس يتمتعون برؤية زهوره وبقوله منسقةً أبدع تنسيق

وقد جرت العادة السنوية ان يحتفل بافتتاح معرض الزهور بحضور امير البلاد او نائب ينوب عن سموه من امراء العائلة الخديوية ، ولكن في هذه السنة كانت حفلة افتتاحه بسيطة على خلاف العادة فقد جرت بحضور اعضاء الجمعية وجماعة من اصحاب المعروضات وجمهور من الزائرين . ولم يرأسها احد من الامراء ولا النظار . غير ان ذلك لم يؤثر في رونق المعرض ولا أنقص من جماله في نظر الجمهور

* * *

قبل ان نصف معرض الزهور يجمل بنا ان نورد لقراء « الزهور » نبذة موجزة عن نشأة الجمعية صاحبة هذا المعرض لأنهُ ثمرة من ثمار اعمالها :

كثير من الناس من يظنُّ أنَّ الجمعية الزراعية في الاسكندرية هي نفس الجمعية الزراعية في القاهرة ، او هي فرعٌ منها . والحقيقة انها مستقلة عنها تمام الاستقلال ، وعملُ هذه يختلف عن عمل تلك . ووجه الشبه بينهما ، من حيث الاشتغال بالزراعة ، ان الأولى هي بمثابة البستاني ، والثانية بمثابة الفلّاح . وكلتاهما تقوم بعملها « تحت رعاية الجناب العالي الخديوي » ورئاسة دولة الأمير حسين باشا كامل . ومصر في حاجة اليهما معاً

قبل ان تنشأ هذه الجمعية في الاسكندرية منذ سبع عشرة سنة خطر لبعض وجهاء الانكليز من موظفي الحكومة المصرية والنازلين في هذه المدينة ان يقيموا معرضاً للزهور هنا على نمط المعارض الزهرية التي تقام في انكلترا . فاستعدوا لذلك

وانشأوا معرضاً صغيراً من هذا النوع في النادي العمومي الانكليزي المعروف « بنادي جنود البر والبحر » . فكان كأنهُ معرض للنزالة البريطانية في الثغر اذ لم يهتمّ بهِ غيرها من سكان الاسكندرية إلاَّ قليلاً . وبعد سنةٍ من الزمن أقاموا معرضاً آخر في نفس المكان فكان هذا أفضل من المعرض الأول. وفي سنة ١٨٩٦ رأى اولئك الغواة أنْ يوسّعوا دائرة عملهم ويؤلّفوا جمعيـةً زراعية للمثابرة على ترقية توليد النبـات والزهور في هذا القطر ، واقامة المعرض في كل سنة . وكان كذلك . فأنهم ألّفوا الجمعية برئاسة الاميرال « بلامفيلد » الذي كان مديراً لمصلحة المواني والمنائر في الاسكندرية ، وارسلوا وفداً الى الجناب الخديوي يلتمس منهُ ان يشمل جمعيتهم برعايته السامية ، فسُرَّ سموه من المشروع وجعل الجمعية تحت رعايتهِ ؛ وإنتخب دولة الامير حسين كامل باشا رئيس شرف للجمعية ، والامير عمر باشا طوسون وكيلاً لها

واتفقت الجمعية مع شركة فنادق نكوفتش على اقامة أول معرض رسميّ في تلك السنة في فندق « سان ستيفانو » في يومي السبت والاحد الواقعين في ٢٣ ابريل « نيسان » و ٢٤ منهُ ، وطلبت الى سمو الأمير ان يفتتح هذا المعرض ، ولكنَّ سموَّهُ اعتذر وقتئذٍ عن الحضور وأناب عنهُ دولة البرنس حسين باشا كامل فرأس حفلة الافتتاح

كان المعرض الأول صغيراً فأُقيم في قاعة اللهو من بناية « كازينو سان ستيفانو » . ولكنَّ الجمهور هرع لمشاهدة الزهور التي تعرض في منتزه عام ؛ فضربت الجمعية على الدخول رسماً قدرُهُ خمسة غروش صاغ عن كل شخص ، وجمعت من تلك الضريبة مبلغاً كبيراً ، لأنَّ عدد الذين زاروا المعرض بلغ نحواً من خمسة آلاف . ولا يزال هذا الرسم بعينه مورداً من موارد الجمعية . وفي سنة ١٨٩٧ تبنَّت جمعية الزراعة البريطانية في لندن جمعية الاسكندرية ، وأباحت لها استعمال مداليتين من مداليّاتها « فلورا » و « بنكسيان » — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٣ . ثم استقلَّت جمعية لندن بمدالياتها ، وضربت مداليات مخصوصة للجمعيات التي تستمدّ رعايتها ،

ومنها جمعية الاسكندرية . ولما رأت الجمعية الزراعية الخديوية في القاهرة ترقّي جمعية الثغر في السنة التالية ، أرسلت اليها اربع جوائز لتقدّمها للفائزين من العارضين . ومن ذلك الوقت صارت تمدُّها بالمساعدة المستمرّة . وكانت الجمعية تدعو لمعارضها الأولى افواجاً من تلاميذ المدارس من ذكور واناث ، وتوزّع عليهم باقاتِ الزهور عند انصرافهم الى منازلهم ، ولكنها أبطلت تلك العادة عند نجاح معارضها

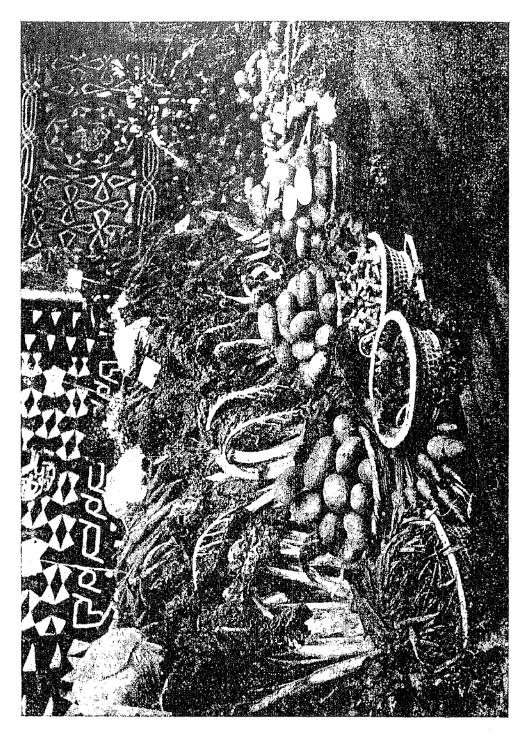
* * *

اما معرض الاقحوان فقد أُنشئ في سنة ١٩٠٢ ؛ وكان ايراده لاول مرّة أكثر من نفقاته . وكان افتتاحه في يومي السبت والاحد — ٢٩ و ٣٠ اكتوبر — ولا يزال يجيء في وقته تالياً معرض الزهور

وقد اضطّرت الجمعية قديماً الى اقامة معارضها في فندق «أبات» القديم وبورصة البرنس طوسون ودار الجمعية اليونانية في الاسكندرية ، ومنذ عدة سنوات لم تعد تقيم معرضاً في غير سان ستيفانو . وإدارة الفندق المذكور لا تتناول من الجمعية اجراً على إشغالها ساحة بنايتها بخمائل الازهار ، بل تكتفي بما تستورده بسبب المعرض من اثمان المشروبات والمأكولات ، وهو شيء كثير . اما ايراد « الدخول » فتأخذه الجمعية كما تقدّم

* * *

كانت الجمعية عند نشأتها فقيرة تجمع من أعضائها من المال ما تستعين بهِ على القيام بعملها في الزراعة ، ولكنها كانت حكيمة مقتصدة لا تشتغل الاَّ بقيمة ما تستوردهُ . ولم تخطو خطواتٍ سريعة في ميدان العمل الاَّ منذ سنة ١٩٠٧ ، فان الحكومة منحتها في تلك السنة اعانة سنوية قدرها ٦٠٠ جنيه ، فوسعت دائرة زراعتها ، وعيَّنت لها سكرتيراً خاصاً هو المستر «فش» الذي لا يزال يشغل مركزه فيها بكل كفاءة . ثم أعطتها بلدية الاسكندرية بقعةَ أرض في « حديقة النزهة » لتجري التجارب الزراعية فيها ، وجعل السكرتير مكتبه في تلك الحديقة الواسعة للاشراف على العمل ، ومنذ تلك السنة صارت تستغلّ زراعتها



(نموذج مما عرضتهُ الجمعية الزراعية من البقول والخضراوات)

وفي سنة ١٩٠٩ استأجرت من مصلحة الاوقاف الخديوية عشرين فداناً من أرض عزبة خورشيد القريبة من الاسكندرية لمدة ثلاث سنوات ، الفدان باجرة ١٣ جنيهاً في السنة . وفي سنة ١٩١١ زادت الحكومة اعانتها فجعلتها ٨٠٠ جنيه

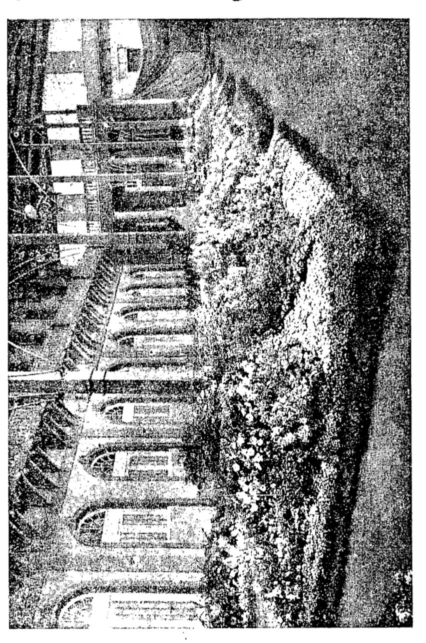
وعنيت هذه الجمعية منذ نشأتها بتهذيب مغروسات البساتين وغرس ما لا يعرفهُ المصريون من أشجار الفاكهة الأجنبية ، والنباتات المتنوّعة في أرض مصر . وقد توصلّت بقوّة تجاربها الكيماوية والفنيّة العديدة الى ادخال بضعة أصناف جديدة على ما نراه عندنا من البقول والفاكهة والازهار . ونذكر على سبيل الاستشهاد فيما يأتي بعض ما رأيناه من الجديد في المعرض الاخير :

الليمون الحامض النباني ، وهو أشبه بالليمون البلدي والرشيدي الاَّ انهُ اكبر حجماً ولا نوى فيهِ ، والبطاطس الانكليزي وهو نوع من أجود أنواع هذا الصنف والباميا البيضاء ، واللفت الذي يستعمل لاستخراج السكر ، وأنواع كثيرة من البقول والخضروات . وكثير من أنواع الزهور والرياحين وأخصها « الجيرانيوم » وزهر « الايرس » الاسباني . وهي تشتغل الآن بتلقيح البرتقال البلدي بالبرتقال اليافاوي المعروف «بالشموطي» وتحسين الصنف المعروف « باليوسف افندي » المصري . وقد أهدت اليها إدارة الزراعة في الولايات المتحدة عدّة أنواع من أشجار البرتقال والخوخ والدرّاقن . واستحضرت من اليابان أنواعاً من الاشجار والبقول

وهي تستعمل في زراعتها السباخ الكيماوي وأخصُّ تراكيبه ما كان ممزوجاً بفوسفات حمض الكلس والبوتاس ونترات السودا . وتستخدم أحدث الأدوات الزراعية وتبيعها للطالبين . وكانت منذ بضع سنوات توزع البذور على الزارعين مجاناً تشجيعاً لهم على اتباع خطتها في العمل . أما الآن فتبيع البذور وغيرها برأس المال ولولا ذلك لكانت أرباحها وافرة

معرض الزهور الذي أقيم في هذا الشهر هو مجموعة نموذجات متنوّعة مما تغرسهُ الجمعية في أرضها — ما ذكر وما لم يذكر — ومما يزرعهُ غواة الزراعة ورجال الحقول من شتى الازهار والنباتات والبقول على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها

ساحة المعرض هي ساحة « كازينو سان ستيفانو » الداخلية المشرفة على البحر من الجهة الشمالية . وقد نسقت فيها أنواع المعروضات تنسيقاً هو كل جمالها الفني .



(بعض خمائل معرض الزهور في ساحة كازينو سان ستيفانو)

ولا يخفى ان الزهرة لا يعوزها شيء لتكون جميلة : فهي جميلة في منبتها في الحقل ، وجميلة في يد القاطف ، وجميلة في قاعة الاستقبال ؛ ولكن مجموعة الزهور والنباتات

يعوزها الترتيب في وضعها لتكون جميلة ، ما دام الجمال في تناسب الاشياء ؛ وهذا ما كان متوفراً في معرض الزهور الاخير

ساحة المعرض تنقسم الى نصفين بينهما « كشك » للموسيقى . اذا وقفتَ في أوَّلها متجهاً الى الشرق تجد أمامك في النصف الأوَّل خمائل الزهور ، وفصائل النباتات ذات الورق الاخضر تدبّج البقعة بأشكالها الهندسية الجميلة في ثلاثة صفوف : صفّ الى اليسار للجهة البحرية ، وصفّ الى اليمين والثالث في الوسط

أما النصف الآخر فأهمُّ ما فيهِ معرض المجلس البلدي وهو بمثابة بساط من الزهر مرسوم على مربع كبير من الأرض رسماً قد لا تكوّن اليد في التصوير أجمل منهُ للعين . ولا تسل عما فيهِ من أنواع الزهور والنبات ، فان عدّ أصنافها ، اذا لم نقل لا يتيسر لغير علماء النبات – وهو العذر الحقيقي – نقول انهُ يستغرق وقتاً ويستوجب شرحاً طويلاً

وهنالك ثلاثة أقسام اخرى للمعروضات : قسم مخصوص للسيدات وهو يشتمل على أنواع الورد من أبيض وأصفر وأحمر ، والاقحوان ، والمنثور وغير ذلك ، موضوعة كلها على موائد كبيرة في ظروفٍ زجاجية مستطيلة بترتيب جميل . وقسم يشتمل على صنفين احدهما للورد المقطوف والثاني لزهر الايرِس . والقسم الثالث هو محلّ البقول والخضروات والفواكه وقد خصصت له في المعرض خيمة واسعة لا تقلّ مساحتها عن ٢٠٠ ذراع مربع

وقد قسمت المعروضات من الوجهة الفنية الى اربعة أقسام رئيسية

(١) معروضات «الشوالي » للغواة (٢) الازهار المقطوفة – وهي تشمل الورد والايرِس (٣) أزهار الموائد (٤) البقول والاثمار وغيرها

وقدّمت للعارضين المتسابقين مداليات وجوائز عديدة على ما امتاز من معروضاتهم المتنوّعة . والاربعة الذين نالوا الجوائز الاولى في الاقسام المذكورة هم بحسب ترتيب الاقسام : مدام شارلوت دبانه ، والمستر هنري سفر ، ومدموازل جشر ابنة رئيس المحكمة المختلطة ، ومسز هو بكنسون قرينة حكمدار بوليس الاسكندرية

وللمعرض نظام معروف بمعاملته مع المزارعين والعارضين وشروط الاشتراك في المعرض وقبول المعروضات ونحو ذلك . وله لجنة عاملة دائمة تخدم الجمعية . ولجنة موقتة خاصة تؤلف من المحكمين عند اقامة المعارض للحكم في استحقاق الجوائز . والأولى تؤلف من ١٤ عضواً تحت رئاسة المستر سندرز القاضي في محكمة الاستئناف المختلطة ، والثانية تؤلف من ١٠ اعضاء بينهم سيدتان انكليزيتان

على ان جمال المعرض الحقيقي مستمدٌّ من زائريه ، والمُشاهِدُ يستجلي هذه الحقيقة لأوّل وهلة عند دخوله الى ساحة المعرض . وا كثر ما يزيد المنظر جمالاً وجود الاوانس والسيدات فيهِ متفرقات بين الأزهار والرياحين ، بقبعات تستلفت الانظار بأشكالها ، وأثواب تنافس الازهار بألوانها ، ولا تنسَ جمال الصور ، ومحاسن الدعج والحور ، وفخامة المظهر ، ولطف المعشر

(الاسكندرية) عباس المصفى

ثمرات المطابع

تاريخ آداب اللغة العربية [1] — لما قرَّظنا في الزُّهور (٢ : ٢٧٦) الجزء الأوَّل من كتاب آداب اللغة العربية لمؤلفه جرجي افندي زيدان العالم المؤرّخ الشهير ، قلنا في الختام : « . . وانا ننتظر توفيقه الى اظهار الجزء الثاني من كتابهِ وهو سيكون ولا ريب ، أوفى بحثاً ، وأتمّ بياناً ، لأنهُ يتناول عصراً كثرت آثاره ، وتوفرت المعلومات عنهُ » وقد صدق ظنّنا اليوم ، وثبّت صاحب الهلال اعتقادنا فيهِ ، فانهُ لم يحُلِ الحول على اصداره الجزء الاوَّل ، حتى وضع بين أيدي ابناء العربية الجزء الثاني الذي نحن بصدده الآن وهو أوفى بحثاً ، وأتم بياناً ، كما أمّلنا أن يكون

اذا طالعتَ هذا الكتاب ، وأمعنت النظر في تنسيقهِ ومباحثهِ ، عرفتَ كم عانى الأستاذ زيدان من التعب وكم اجتاز من المصاعب حتى توفرت لديهِ موادّهُ ،

---

(١) طبع في مطبعة الهلال عدد صفحاته ٣٥٧ وثمنه عشرون قرشاً

ودانت له أشتاتها، فألّف منها ذلك الكتاب النفيس . ولكنّ صاحب الهلال مأثور عنهُ النشاط والانكباب على الدَّرس ، والرغبة في افادة الناشئة العربية في هذا العصر ، وليس كتابة هذا بأوّل عملٍ مجيد يشكره عليهِ ابناء هذا اللسان

ويحتوي هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من قيام الدولة العباسية الى دخول السلاجقة بغداد ، ويدخل فيهِ تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة ، وفيهِ تراجم العلماء والأدباء والشعراء وسائر أرباب القرائح ، ووصف موْلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها من أقدم أزمنة التاريخ الى الآن . فأنتَ ترى ان هذا الكتاب تاريخ لم يوضع قبله في العربية كتاب مثله ، وقاموس يرجع اليهِ من طالب معرفة ادباء اللغة العربية في جميع الأمصار . ولقد كان المتأدّبون منا يُقضى عليهم بالتعب والدَّرس السنين الطويلة لكي يلمُّوا الماماً عاماً بتاريخ الآداب العربية — وقد يملُّ كثيرون العمل ، ويقنطهم السعي والبحث — فأصبحوا اليوم ، بفضل الأستاذ زيدان ، يتناولون ذلك التاريخ على أهون سبيل ، وأصبح في وسعهم أن يشغلوا أيامهم بدرس علوم شتى كان ذلك السعي والبحث يحولان دونها . فكتاب تاريخ آداب اللغة العربية ، وكتاب تاريخ التمدُّن الاسلامي وحدهما ، يحلّان صاحب الهلال المحلّ الأسمى من الكرامة والاحترام في نفوس ابناء اللغة العربية ، وهما الى جانب ما لحضرته من التآليف والأعمال يصفانِ حياته بأنها حياة العمل والنفع الحقيقيَّين

تعليل النوع[1] — اذا سمينا لقراء « الزهور » الدكتور محمد عبد الحميد فلا نسمّي لهم من يجهلون،فهو الذي يتحفهم بتلك المقالات الشهرية عن « تربية الطفل » وهو الذي طالما اشرنا الى كتبهِ الطبية النفيسة التي لم يسبقه عالم الى وضعها باللغة العربية . واامامنا اليوم كتابٌ جديدٌ له في « تعليل النوع » وهو يشرح نظرية النوع الجديدة المبنية على المشاهدات الاكلينيكية مع ذكر الطريقة المؤدية الى معرفة نوع الطفل في بطن أمه وقبل ولادتهِ وبيان طريقة الحصول على النوع المرغوب فيه من

(١) طبع في مطبعة المعارف عدد صفحاته ٢٦٤ وثمنه عشرون قرشاً .

ذكر او انثى — وهذه المسألة من المسائل التي لا تزال مغمضة ، وقد تضاربت فيها آراء الاطباء واختلفت اقوالهم . ولا مجال هنا لتأييد مذهب وتفنيد آخر فضلاً عن ان ذلك من شأن العلماء الاختصاصيين . على انهُ لا يسعنا الاَّ تجديد الثناء على همة صديقنا الدكتور عبد الحميد التي لا تعرف الملل في خدمة قومهِ و بلاده بما ينشره لهم من المباحث العلمية الجديدة . وفقه الله الى متابعة اعماله المشكورة التي أخذت الامة تقدّرها حق قدرها

اللُّغة العربيَّة [١] — وهو خطاب ألقاه في بيروت حضرة العالم الفاضل الاستاذ جبر ضومط م . ع استاذ اللغة العربية في المدرسة الكليَّة السوريَّة . وقد بحث فيهِ بحثاً تاريخياً فلسفياً عن موطن العربية المُضَريَّة ، ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية . ودقق النظر في تقسيم السامية الى فرعيها القحطاني ، وهو الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها ؛ والعادي ، وهو الذي كان يتكلم بالعربية تسميةً بأشهر قبائله عاد . ثمَّ توغل في هذه المباحث حتى اذا وفاها حقها من البرهان التاريخي والعقلي والأثري ، نظر نظرةً صادقة في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة ألفاظها وعباراتها واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية. وما هو معروف عن الاستاذ ضومط من العلم وسعة الاطلاع يجعل لخطابه هذا منزلةً كبرى في نفوس الباحثين والمدققين من علمائنا الذين يعنون بهذا الموضوع التاريخي الفلسفي ، فله الشكر الوافر

الحب الطاهر [٢] — خطرات أوحى بها الخيال الى حضرة الكاتب الشاعر الاديب امين افندي حمدي وتقطرت من قلمهِ كما يتقطر الندى ، فجمعها في كتيّب حرصاً عليها ، ولا يُحرص الاَّ على الثمين . فحبَّذا لو أقبل عليها محبوّ الأدب ليروا كيف توحي الطبيعة التصورات الجميلة

ديوان المصري [٣] - نشر عبد الحليم افندي المصري الجزء الثاني من ديوانه

---

(١) المطبعة الادبية بيروت (٢) طبع في المطبعة الاهلية الكبرى بطنطا

(٣) طبع في مطبعة التأليف ويطلب من مكتبتها

المعروف باسمه ، وفيهِ القصائد والمقاطيع الشائقة التي نظمهما في خلال الثلاث السنوات الاخيرة ، وكانت « الزهور » قد نشرت بعضاً منهما كما يذكر القراء . والذي يقارن بين هذا الجزء من الديوان ، و بين الجزء الذي سبقه ، يرى كيف ترقّى الشاعر في خيـاله ، وفصاحته ، واسلوبه ، وطلاوته ، ولكنه لا يختلف عليهِ النَفس الشعري لأنَّ عبد الحليم شاعر مطبوع تكاد تلمس شاعريته في كلّ قصيدةٍ لمس اليد . فنحن نثني عليه كلَّ الثناء ، ونتمنى ان يُقبل الادباء على ديوانهِ فانَّ له في ذلك اعظم تنشيط

ابراهيم ادهم باشا

في ادارة « الزهور »

تفضَّل صاحب العطوفة القائد الهمام الباسل ابراهيم أدهم باشا بطل الحرب الطرابلسية ، وصاحب السعادة السَريّ الأمثل سليم بك أيوب ثابت ، فزارا ادارة هذه المجلة ، وأثنيا على أصحابها لما يبذلونهُ في سبيل نشر المعارف والآداب . وقد ذكر القائد الكريم انهُ اتصل بهِ ما « للزهور » من المكانة في نفوس القوم فأحبَّ ان يزور ادارتها ليعرب لنا عن اعجابهِ ، وليثبّتنا في الخطة التي اتخذناها ، اذ توسلنا « بالزهور » لإحكام الصلات الأدبية بين الاقطار العربية . ونحن نقابل هذا الصنيع بالشكر للزائرين الكريمين ، ونعدُّ ثناء القائد الهمام اكبر منشّطٍ لنا في عملنا

أزهار وأشواك

استغرقت الحملة التي أقيمت لمساعدة منكوبي بيروت قسماً كبيراً من الجزء الفائت ، فاضطرَّت ادارة هذه المجلة الى زيادة ملزمة كاملة عليهِ . وكثرت المواد أيضاً في هذا الجزء ، ولم يكن بدٌّ من نشر مقالة عن معرض الزهور الاسكندري فحرمتُ من المحادثة الشهرية معَ قرائي ، مع اني كنتُ اعددتُ لهم أزهاراً وأشواكاً كثيرة . . . فالى الملتقى في الجزء القادم

حاصد

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الرابع　　يونيو (حزيران) ١٩١٢　　السنة الثالثة

النذل

« في قاموس اللغة وفي قاموس العالم »

النذل في القاموس الخسيس الساقط . فهل تعلم معنى هاتين اللفظتين ؟

هما في القاموس ايضاً تجمعان في طيّهما معاني الحقارة ، والسفالة والرذيلة والنقص والجبن ، وما سوى هذا من المترادفات . ولكنني لا إخالك قد فهمتَ المعنى الحقيقي . انّ قواميس اللغة تنتقل بك من لفظةٍ الى لفظة ، وتفسّرُ لك كلمةً بكلمة . دعها الى جانب ، وهلمَّ بنا الى هذا القاموس العظيم ، قاموس العالم ، واليك منهُ الرواية التالية فقد حدثت وقائعها في مصر ، في مثل هذه الأيام من السنة الماضية ،

* * *

كَلِفَ فتىً بفتاة . جارانِ تجاور بيتاهما ، كما تحابَّ قلباهما . والحبُّ

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

وتشا كيا ما بهما . الوجد في نفسها ، والنار في كبده . والقلوبُ

أرقُّ ما تكون ، في صدورٍ لم تنفتح للحب ، ولم تدرِ معنى الغرام . فهي حينئذٍ كذلك الغشاء الرقيق من « الجلاتين » يُلصق على الزجاج في الآلة المُصوِّرة ؛ فاذا تناوله النور لمحةً أثر فيهِ ، فانطبعت عليهِ صوَر ما يمرُّ حياله في خلال تلك اللمحة

وعفّت فتأدب . ووقف لهما غرورُ الشباب وقفةَ العدوّ الغادر . يهزُّ الفتاة ويدفعها فتردّهُ بعفّة البكر ، ويهيجُ الفتى ويغالبهُ فيتّقيهِ بأدب الحبّ وأعانت الأيام ، على الجوى والهيام . فتلاقيا على ضفاف النيل ، وتفيئآ ظلال الاهرام ، وتسامرا من نافذتَي بيتيهما تحت بريق النجوم في سكون الظلام ، فما زادتها الليالي الاّ جوًى ووجداً ، وما زادته الاّ صبابةً وهياماً

ولما فاض القلبان بالحبّ ، ولم يبقَ في قوس الصبر منزع ، حدَّث الفتى أهلهُ بأمره ، وقصّت الفتاة حكايتهـا على ذويها . قالَ يا أبي هذه التي أحبُّ ، وقالت يا أمّ هـذا الذي أريد . اما الأمُّ فرضيت ، واما الأب فأبى . ولكنّ الإباء أجّج نار الغضا بين ضلوع الفتى ، فالتظى قلبهُ بالشوق والتهب لوعةً وجوى ؛ وشجّع الفتاةَ من أُمها الرضى ، فتمادت في الوجد ، وتطوّحت في الهوى . ولم يكن للعاشقين سبيل الى السلوى ، فانقطع هو الى القنوط ، وتعلّلت هي بالمنى . حتى اذا غلب اليأس على الرجا ، وفتّ في ساعد الفتى وقد سامهُ الشوق صبراً ، اندفع مع غرور الصبي ، وحببّ اليأس الى نفسه الردى ، فهوى بهِ الغرور الى ذلة الانتحار فهوى وما ارعوى

قال : اما الحياة فقد مرَّرها أبي ونغَّصها عليَّ فلأجعلنَّ حياته مرَّةً منغَّصة ، ولأنتقمنَّ لنفسي منهُ شرَّ انتقام . اني أموت فأشقُّ قلبه حزناً عليَّ ، وافتّت كبده تفجعاً وغماً ، فلا يعيش بعدي ، ولئن عاش فليستنفدَ دموع عينيهِ ، ولتعذّبهُ الشيخوخة حتى يجرَّه العذاب الى القبر . . .

. . . . ولكن هبني قد متُّ ، وانتقمت بموتي من أبي ، فكيف أطيق أن تحيا الحبيبة بعدي ؟ أأرضى لها الحياة لكي يتلاشي الحبّ في نفسها فتنساني وقد لا تلبث ان تعلق بغيري فتلقم قبري حجراً ؟ انما قلوب النساء كالعصافير تتنقَّل من غصنٍ الى غصن ، فاذا استقرَّت فريثما يقف اهتزاز الفنن الذي استقرَّت عليهِ ! . . واذا لم يكن من الموت بدٌّ ، فمن الظلمِ ان يموتَ الحبيب وحده ، وتعيش الحبيبة بعده ! ! . .

ثم كاشف فاتنتهُ بهذا الرأي ، وبسط امامها افكاره وامانيّه ، فزجرتهُ فما ارعوى وانما أثار تأنيبهـا في نفسهِ نزقَ الشباب فتصلَّب وأبى الاَّ أن يموتا معاً . وخافت الفتاة أن تتَّهم في حبّها ووفائها فقالت له : انت لست بأشدّ حباً لي مني حباً لك ، ولست بأشجع قلباً ، واشدّ بأساً . الحبُّ ساواني بك وما آثرك عليَّ في شيء . ان كنت رجلاً فأنا امرأة . انما المرأة أرقّ شعوراً من الرجل ، واكثر تمادياً في الحبّ ، واندفاعاً مع الشهوات . ولقد شئتَ لي أن أموت معك فلتكن مشيئتك فيَّ يا ربّ

فمدَّ الفتى يده وشدَّ على يد الفتاة فتعاهدا على الردى . ثم افترقا على هذا العزم بغيةَ ان يضمّهما القبر ، ولم يضمّهما القصر ، وارادةَ ان يجمعهما الموت ولم تجمعهما الحياة

***

الانتحار جبن والمنتحر جبان . قد ييأس امرئ فيرى الفرج في الموت ، وقد يدفع الغرور صاحبه الى مهواة الرّدى تخلصاً من متاعب الحياة ، وفراراً من نائبات الدهر . ولكنّ الانتحار ، مهما تنوّعت اسبابه ، واختلفت دواعيه ، ليس الاّ دليل الخوَر والجبن ، والذلّة والصغار ، فالمنتحر جبان وان استبسل في طلب الموت . لولا الجبن لم يكن الانتحار !

***

شُلّت يده ! صبّ لها وصبّ لنفسه . فالسُمُّ في كأسها ، والسمُّ في كأسهِ

ودنا الموت من شفتيها ، ودنا الموت من شفتيهِ . يا ويح لحظّهما ! كلاهما غضُّ الصبي ، رطب الأهاب ، وكلاهما والهٌ تيّمهُ الحب ، وبرّح به الجوى !

حمل الكأس الى شفتيهِ ، فاهتزّت بهـا يمناه ، وارتجف لها قلبه . وأدنت الكأس من شفتيها فما اهتزّت يمينها ، ولا خفق فؤادها

وتلاقى الناظران من النافذتين ، ففي مقلتها دمعة ، وفي عينهِ جمرة !!

هي فتاة وهو فتى ! هي امرأة وهو رجل ! هي شربت ، وهو . . لم يشرب !

الفتاة شربت كأسها حتى الثمالة ، والفتى صبّ كأسه على الأرض !

***

هل عرفت الآن معنى النذالة ، ومعنى قولهم : فلان نذل ؟!!

القدَر والمقدّر

الاعتقاد بالمقدّر من أهمّ الاعتقادات التي أثرت في حياة البشر في الأعصر الغابرة . وهو لا يزال متملكاً على افكار ابناء اليوم وان اختلفت كيفية اعتقادهم باختلاف مذاهبهم وآرائهم في عواقب الانسان . وتقسم هذه المذاهب الى ثلاثة اقسام : المادّيون والقائلون بمذهب جمع الكائنات (الوهية العالم) (Panthéistes) والروحيون

فالماديون يعتقدون ان الانسان ليس الاَّ مجموع اجزاء كيماوية تنحلُّ بالموت ثم تتفرَّق دقائقها ، وتنضم الى اجرام اخرى فتصير لها ومنها . وعندهم ان لكل واحدٍ من البشر ان ينتقي لحياته غاية ترمي اليها اغراضه ، وتطمح للوصول اليها افكاره ، وتوقف عليها اتعابه وآماله . اما قيمة الحياة فمتعلّقة بفضل صاحبها ، وهي تقاس بما تجلبه على العالم من الخير — او الشر ؛ ولا يعبّر عنها عند الماديين الاَّ باللذة والألم . العلم الوضعي يحسب كل ما يراه ظواهر طبيعية ونتائج حركات آليَّة تتشابه كلها في نظره ، فلا تفرق ماهيّتها الاَّ بواسطة الحسّ ، فيسمي المادّيون ما يسرُّهم خيراً ، ويدعون ما يؤلمهم شرَّا ؛ وهم مع ذلك يؤثرون — نظرياً — خير المجموع على خير الفرد

اما القائلون بالوهية العالم فيعتقدون ان كل جرمٍ من أجرام الخليقة هو شكل بارز عن الجوهر الالهي المنتشر في طبقات الكون ، وان الروح بعد انفصالها عن الجسد تعود الى ذلك الجوهر العظيم كما يعود

الجسد الى المادة الكلية التي تكوّن منها . وكان فيثاغورس وافلاطون وغيرهما من فلاسفة الماضي يعتقدون بالتقمص (Métempsycose) ولا يزال الهنود والدروز الى ايامنا الحاضرة يعتقدون هذا الاعتقاد . وسواء غرقت الروح في بحر الحياة الكلية أم سكنت جسداً آخر ، فان الشخصية الحقيقية تنتهي عند عتبة القبر . فلهم ، والحالة هذه ، ان يعملوا في حياتهم كل ما يؤول الى سرورهم وارتياحهم دون افادة الغير . بيد ان ذوي الأخلاق الكريمة منهم يسعون في نفع الجمهور ما استطاعوا

والروحيّون يؤمنون بأن الروح ابدية لا تفنى ، وانها تحفظ بعد الموت ذاكرتها وسائر مميزات شخصيتها الجوهرية . هي لا تموت لأنها شعلة من روح مبدعها العظيمة ، فهي تعمل الحسنات وتسير في طريق الصلاح ، وتفيد وتستفيد ، وتُضحّي من لذتها وراحتها شيئاً كثيراً بقصد الوصول الى المصدر الالهي السامي والتمتع بغبطة لا نهاية لها

مهما تعدّدت المذاهب والمشارب فقد أجمع البشر على ان هناك قوة تدير حركة العالم ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها . يسميها بعضهم « عناية » او « ارادة الهية » ، وينعتها آخرون بالـ (Déterminisme Universel) وقد اصطلح الجميع على التعبير عنها بكلمة « قضاء » او « قدَر »

***

وضع الأقدمون « القدَر » فوق جميع الالهة . وهو في علم اديانهم (Mythologie) ابن « العدم » و « الظلمة » وهما الالهان الوحيدان اللذان لم يكن لهما ابتداء ، ولكنهما انتهيا اذ ان « العدم » اضمحلّ في

الخليقة كما ان « الظلمة » تلاشت في النور . « المقدّر » يقبض بيده على حظوظ البشر ، ويحكم فيهم كيفما شاءَ . وفي الخرافات القديمة أن اوامره منقوشة على صفحات من نحاس ، ولا قوة ارضيّة تستطيع ان تمحوَها او تغيّر منها شيئاً . كانوا يصوّرونه شيخاً طاعناً في السن كفيف البصر ، وتحت قدميه الكرة الأرضية وعلى رأسه اكليل من نجوم ، دلالة على خضوع السماء له . يسراه تمسك القارورة المحتوية على حظوظ البشر ، ويمناه تقبض على عصا من حديد اشارةً الى سطوته وقدرته المطلقة ، وقساوته وصلابته في احكامه

وقد جاء في الياذة هوميروس ان جوبيتير كان قد أراد انقاذ هكتور من شر آخيل ، على انهُ لما وزن حظّيهما ورأى ان هكتور سيموت لا محالة تركه وشانه . وكذا فعل « ابولّون » الذي كان يرافقه في غدواته وروحاته ويمده بالمساعدة ، فانهُ ابتعد عنه لعلمه أن القدَر لا يُعاند

توالت القرون وسبحت الافكار في فضاء واسع من الحرية العلمية فتناول الفلاسفة هذا الموضوع ودرسوه درساً مدققاً فنفوا وجود آلهة عمياء تلقي على البشر صواعق غضبها ونقمتها بحسب أهوائها ، ونسبوا « القدَر » الى نواميس ثابتة وعلاّت رياضية تأتي بالنتائج التي ندعوها « قضاءً وقدراً » . وقال « ارسطو » ان الاقدار ناجمة عن قوتين : قوة خارجية ، وقوة داخلية اي آتية من نفس الانسان . وكان جميع المفكرين الذين سبقوا ديكارت يقولون بوجود سلسلة علات آلية هي أساس النظام الكلّي . ثم جاء ذلك الفيلسوف الفرنساوي وثبَّت هذه القاعدة ،

وأخرجها من دائرة المعقولات وأدخلها في دائرة الفلسفة الرياضية اذ شرحها شرحاً رياضياً ، وأسندها الى قواعد علمية رأسها القاعدة التي تستند اليها جميع العلوم الطبيعية ، وهي ان لا شيء يموت بكل معنى الكلمة ، ولا شيء يحيا ، بل ان الموت كالحياة ليس الا تقلب المادة من حال الى حال بحكم النواميس الابدية التي تديرها ، وانهُ لا بداية للكون ولا نهاية له ، بل ان كل حركة نراها ان هي الاَّ نتيجة حركة اخرى سبقت وهي تابعة لحركة او لحركات تقدمتها . وفي العلوم الوضعية أن كلّ ما في الكون حركات متتابعة متوالية ، وأن كل حركة « فسيولوجية » تعقبها فينا نتيجة « بسيكولوجية » او «فسيولوجية» . فالهضم مثلاً نتيجة الاكل ، والغذاء نتيجة الهضم ، والدورة الدموية نتيجة الغذاء ، وانتظام الدماغ نتيجة الدورة الدموية ، والفكر نتيجة انتظام الدماغ . فلو لم تنتظم الدورة الدموية في اجسام « روجر بايكن » و « البرت كريسي » و « شورتز » ما عرفت اوروبا البارود ولا قُتل بهِ الوف الجنود وملايين المحاربين . ولو لم تنتظم حركة القلب عند مخترع التلغراف اللاسلكي لما خلصت الباخرة « كرباثيا » النفوس التي انتشلتها من الباخرة «تيتانيك» كما انه لو أصاب مخترعي السفن مرض ما ، لما سارت السفن في البحار ولا غرقت الملايين فيها . وقس على ذلك . لا شيء يستطيع الخروج من دائرة النظام العامي وهذا النظام هو قدر الأقدمين الفلسفي بعينه

*
* *

أجل ان النواميس تظلّ ثابتة لا تتغير . الأجرام الكبيرة تسقط

الى الأرض بقوة الجاذبية ، ولا تقدر ان تسبح في الجو ما لم يكن هناك من المواد الكيماوية ما يساعدها على معادلة ميزانيتها الطبيعية . شجرة التفاح لا تستطيع ان تحمل عناقيد العنب ، كما ان الدوالي لا تثمر موزاً ، وكل ما في الكون مرتب محدود . يقول فولتر : « قُدِّر على الانسان ان يكون له عددٌ محدود من الاسنان والشعر والافكار ؛ وقُدِّر عليه ان يأتي يوم بهِ تسقط اسنانه ، ويقع شعره ، وتتلاشى افكاره . »

ثم يتابع كلامه قائلاً : بعض البلهاء يقول : « ان طبيبي البارع قد شفى عمتي من مرضها الخطر ، وزاد في حياتها عشر سنوات »

« تقول ، أيها الأبله ، ان طبيبك شفى عمتك من مرضها ، ولكنهُ بفعله هذا ، لم يغلب ارادة الطبيعة ولم يعاكسها بل اتّبعها . قُدِّر على عمتك ان تولد في هذه البلدة ، وان تمرض في يوم كذا بمرض كذا ، وقُدِّر على الطبيب ان يسكن في هذه البلدة ، وان تدعوَه عمتك اليها ، وان يلبّي طلبها ، وان يعطيها العلاج الذي شفاها . هكذا شاءت الظروف الجارية بأحكام الناموس الأبدي »

« الفلاّح الجاهل يظن ان الجوّ أمطر حقله اتفاقاً ولكن الفيلسوف يعلم ان الصدفة اسم بلا مسمّى . وانّ التراكيب الجوّية أوجبت وقوع المطر على تلك البقعة في ذلك اليوم »

« من الناس من تخيفهم هذه الحقائق فيقولون ان بعض ما في الكون ضروري ، والبعض الآخر ليس الاّ حوادث وعوارض . وأنا اجيبهم انهُ لمن المضحك ان يكون نصف الكون مرتّباً وتابعاً لنواميس

ونظامات ، وان يكون النصف الآخر مهملاً . عند ما يتأمل المفكر ويبحث في دقائق هذا الموضوع يرى ان كل مبدإٍ يخالف الإقرار بالمقدَّر لهو مبدأ مستهجن

« لكن حُكم على بعض الناس ان يفهموا قليلاً ، وعلى آخرين ان لا يفهموا مطلقاً ، وعلى غيرهم ان ينتقدوا الذين يفهمون وان يضطهدوهم »

مي

خواطر

* خلق الله العالم كله واستراح ، وخلق الله الرجل واستراح ايضاً ؛ ثم خلق المرأة ومذ ذاك لا استراح هو ، ولا استراح الرجل　　« رأي اميركاني »

* لا طريقة لايقاف تأثير الجرائد الا في تكثير عددها ؛ واني لمتعجب كيف ان حقيقة راهنة كهذه لا تزال مجهولة　　« توكفيل »

* خيار خصال النساء شرار خصال الرجال : الزهو والجبن والبخل

« الامام علي »

* أُحبُّ حرية الصحافة باعتبار ما تمنعهُ من المضارّ ، اكثر مما أحبها باعتبار ما تجلبه من المنافع　　« سنت بري »

* انما ينشئ الجريدة مشتركوها لا محرروها　　« جيراردين »

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة العاشرة

من فكتور هوغو الى خطيبته اديل فوشه

(فكتور هوغو أشهر من ان يعرَّف لأنه المجلّي في حلبة الشعر والانشاء كما تشهد له بذلك موءلفاته وروایاته التي أظهر بها مساوئ المجتمع العمراني بطريقة لم يسبقه اليها أحد . ومن احسن ما نُشر له من آثاره الأدبية بعد موته مجموعة رسائله الغرامية التي كان يبعث بها الى خطيبته أديل فوشه . وقد اخذنا منها الرسالة الآتية كتبها في ساعة يأس بلغه فيها ان خطيبته ستقترن بغيره اطاعة لرغبة والديها)

في مثل هذه الايام من السنة الماضية كنا نعدّ الايام الباقية لنا من أمد الفراق . واليوم نعدّ الأيام الباقية لنا من حرية التراسل قبل ان تعتزلي الى بيتكِ الجديد وتتكافي المعيشة مع الرجل الذي قد اختاره لكِ والداكِ ، واني عالم انهُ لا يحق لي أن اكاتبكِ فيما بعد ، وانما تشفع بي ذكرى غرامٍ لا تزال في النفس بقية باقية منهُ . فان كنتُ أدعوكِ الآن رفيقة صباي فلأني لا أزال أطرب لذكرى أيامنا الماضية وأحن الى ربوع صبانا كما يحنّ الفطيم الى أحضان أمه

تلقّيت رسالتكِ الاخيرة مع بريد هذا الصباح فأحببت ان أُجيبكِ عنها قبل ان تنطوي آخر صفحةٍ من استقلالكِ فلا يعود يسوغ لكِ ان تبتسمي لغير زوجكِ او تهتمي بغير مرضاته . وربما كانت هذه آخر

رسالةٍ مني اليكِ. فائذني لي ان أُخاطبكِ باللهجة التي اعتدتُ مخاطبتكِ بها قبل الآن. لأنكِ تقولين ان الحب الذي يضمّ قلبينا سيظل ثابتاً الى الأبد، وإن إكراه أهلكِ اياكِ على الاقتران بغيري لا يمكن ان ينسيكِ حبنا القديم وعهد غرامنا المنصرم

أراكِ من خلال رسالتكِ تكتمين عني هموماً ثقيلة الاعباء. فلماذا أنتِ حزينة يا اديل ولماذا تفسحين للهموم مجالاً في فؤادكِ المثقل باعباء الغرام؟ ان كان الغد يروعكِ فان لكِ من بعده موقفاً تنسين بهِ مواقف الامس اذ تجدين من حب زوجكِ ما يلهيكِ عن ذكرى غرام فاض بهِ قلبكِ ردحاً من الدهر ثم انطوت صفحته وانطفأت شعلته، وحلّ محلَّهُ حبٌ آخر ربما فتحتْ لكِ السعادة من ورائهِ احضاناً رحيبة

لعلكِ تتهمينني بفتورٍ في الحب. ولكن متى عرفتِ ان رسمكِ لا يبرح من مخيلتي دقيقة واحدة وان قلبي لا يزال يخفق كلما عرض لي ما يذكّرني بكِ، علمتِ ان اليمين التي أقسمتها لكِ تحت تلك الصفصافة سأظلّ اردّدها حتى آخر نفس من الحياة. فافرحي ولا تحزني يا اديل. ان قلباً وقفته على حبّكِ لن ينفسح لغير رسمكِ الجميل. ومواقف حبنا هذه أرسخ من أن تعبث بها أيدي الزمان

سحابة وتنقشع يا أديل. فمتى انقشعت لا تعودين تذكرين من أيامنا هـذه اكثر مما يذكر الشيخ من ايام طفولته. لأن واجبات الغد ستنسيكِ أحلام اليوم، وداء الحب المستحكم فيكِ سيشفيهِ مرور الزمان. وما الذي يهمكِ غداً ولكِ من ثغور بنيكِ ما ينسيكِ ابتسامة حبيبٍ

قديم ، ومن محبة زوجكِ ما يفتح لكِ ابواب فردوسٍ كنت قد اغمضت عينيكِ عنهُ قبلاً لتتمتعي باحلامٍ زائلة ؟ فافرحي ولا تحزني لأنني أنا ايضاً أفرح متى رأيتكِ في سعادة وهناء

أرى الحياة مملّة يا أديل . لم أعد أطرب لشيء فيها كما كنت اطرب لها من قبل . لأن الآمال التي كنت أتعلل بها في الأمس قد زالت فصرتُ أرى الحياة أشبه بدور هزلي يلعبه الانسان في العالم ثم يفسح المجال لشقيّ آخر يجيء بعده . فما الذي يحبّبها الينا ولا شيء يخلد فيها سوى الآمال ؟ نعم ان الآمال كثيرة متشعبة ، وأنعشها للنفس ما كان مبعثهُ القلب ومنشأه الحب . ولكن أية لذةٍ للحياة اذا انطوت صفحة تلك الآمال وحلّ محلّها اليأس وانتقلت النفس من حلمٍ هنيء الى يقظة رائعة

تقولين انكِ عازمةٌ على الانقطاع عن العالم ، والالتجاء الى دير تقضين فيهِ البقية الباقية لكِ من الحياة . أفما يكفيكِ أن لكِ من قلبي ديراً ليس فيهِ سواكِ يا أديل ؟ ألا يكفيكِ أنكِ تحوّلين هنالك من عابدةٍ الى معبودة فتسمعين من مزامير الغرام وأناشيده ما يفتح لروحكِ الطاهرة فردوساً تتنعمين فيهِ ؟ فان خطرَتْ لكِ فيهِ العبادة فهنالك تجدينها على أسماها وانما هي موجهة اليكِ عند مذبح الغرام .

كنت البارحة في ملهى ... وكانت عيناي شاخصتين كلّ الوقت الى المقصورة التي كنا فيها معاً لآخر مرّة . وكان فيها رجل ضخم الجثة وبرفقتهِ فتاة حسناء في مقتبل العمر وهما يقهقهان لنكات الممثلين ويصفقان لهما طرباً . فقلت في نفسي هل هما سعيدان كما كنا في تلك

المقصورة منذ اشهر خلت ؟ وهل يمكن ان يبلغا من السعادة ما بلغناه منها في عهد غرامنا القصير ؟

ما اطيب قلبك يا أديل ! تطلبين مني ان اسامحك وانتِ تعلمين انني لا أعرف لكِ سيئة غير ما أسأتِ بهِ الى نفسك اذ أحببتني حباً مخلصاً كنتِ في غنى عنهُ . فحرامٌ عليكِ ان تستذنبي نفسكِ الطاهرة وتنسبي اليها ما هي بريئة منهُ . وان كانت سيئات البشر كلها من قبيل ما تستذنبين بهِ نفسك فما أقدسها ذنوباً تفتح لمرتكبيها أحضان الآلهة ، وتبلغ بهم الى نعيمٍ تجري من تحتهِ الانهار . أأنتِ تذنبين يا أديل ؟ اذاً مَن بعدكِ لا يخطئ في العالم ؟ ولمن تبقى أبواب السماء مفتوحة إن هي أُوصدت في وجوه الملائكة ؟

لي حاجةٌ اليكِ يا أديل وهي ان تسمحي لي بحفظ صورتكِ التي اهديتها اليَّ في عيد ميلادكِ الفائت فانها التعزية الوحيدة الباقية لي بعد مأساتنا هذه . فإن أنكرتها عليَّ فليس لي الاَّ ان أُعيدها اليكِ . ولكن ثقي انكِ سواء استرجعتها مني او لم تسترجعيها فانَّ رسمكِ منقوش في قلبي ولن يمحوه مرور الأيام او كرور الأعوام

سلام الى حين اللقاء وراء « مرسحنا » الفاني . سلام يحمله اليكِ النسيم في اليقظة ، والملائكة في الحلم　　فكتور

(بقلم سليم عبد الاحد)

لقمان الدويبات

قال ارسطوطاليس « يُرى على نهر هيپانيس[١] (Hypanis) دويبات لا تعيش الاَّ يوماً واحداً[٢]، فالتي تقضي نحبها في الساعة الثامنة من الصباح تُختضَر، والتي تطوي بساط ايامها في الساعة الخامسة من المساء، تموت هرماً . »

وقف أحد كتَّاب الافرنج على هذا القول الذي نقله شيشرون، فكتب فصلاً يتدفق زلاله حكمةً رائعة، فجاريناه فيهِ فوضعنا هذه الاسطر التالية :

لنفرض انَّ ذكراً من ذكور هذه الدويبات الهيپانية عمَّر نهاراً واحداً لمتانة بنيتهِ، واندماج خلقهِ، وتوثيق آرابه، أي انهُ وُلد مع انبثاق الفجر؛ ثم قضى عمره عاملاً بنشاطٍ وهمة وكدٍّ وجدٍّ، مدة الثواني العديدة

---

(١) كان يطلق اسم نهر هيپانيس في السابق على نهرين في اوربة البربرية : أحدهما يُعرف اليوم باسم « كوبان » ويخرج من كوه قاف، ويدفع مياهه في بحر ازوف؛ والآخر يُعرف باسم « بوغ » ويأتي من ديار ياجوج وماجوج الاوربية (اسكيثية الاوربية) ويصب في أولبية في فوهة نهر البورستين

(٢) الكلام هنا عن هذه الدويبات المسماة « بنات اليوم » وهي طويئرات لا تعيش الاَّ يوماً واحداً، ومن ذلك اسمها العربي الذي وضعناهُ . وهي تُعرف في ديار العراق باسماء شتى كالچليلو او الاكليلية، والخيتعور، والزُخْرُف، والبعصوصة ونحوها . واسمها بالفرنسوية : (Éphémère)، وبلسان العلم (Ephemeris) وتوجد في جميع الاصقاع التي تكثر فيها الغدران والبطائح والمستنقعات

التي تنشأ منها الساعات العشر او الاثنتا عشرة وهي مدة عمره الطويل

ما عاش هذه الساعات الطوال الاَّ وقد حنكته التجارب ، وعجم عود الزمان ، وغمز قناته ، فقام بين اخوته واخواته خطيباً مصقعاً ، ذرب اللسان ، بليل الريق ، جزل الخطاب ، قوي العارضة ، تخلب أقواله كل سامع . كيف لا يكون كذلك وقد رَكِبَ من الأمور اكتافها ، واقتعد ظهور المكاره ، وحلب الدهر اشطره ، فأصبح طويل الفكرة ، دائم التدبُّر ، ولذا لا تعجب اذا قلتُ لك انهُ غدا لقمان أوانهِ ، وسحبان زمانهِ ، وسليمان عصره ، وقسَّ دهرهِ

أجل انهُ لكذلك لا سيما وقد رأى أنداده ولِدَاتهِ ، قد اخترمتهم المنية عند الظهر ، كأنهم خلائق نجت نجاة سعيدةً من مساوئ الشيخوخة ، التي كانت تحلُّ بهم لو كانوا بلغوا مداها . ولهذا يحقّ لهذا الشيخ الجليل ، لقمان هذه الدويبات ان يقصّ على احفاده الاخبار المتواترة التي تروي أموراً كلها عجائب وغرائب لم تدر في خلد أصحاب التواريخ المدوَّنة

وعليهِ ، جمعهم ذات يوم ، وهم كلهم أقوام من جنسهِ ، في مقتبل الشباب ، وغضّ الأهاب ، عمرهم ساعة . ثم قال لهم : هلمَّ ايها الشبان اسمعوا وعُوا . . . وما قال هذه الكلمات الاَّ ورأيتهم جميعهم آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية . ثم أخذ يتكلم وهو يتحدَّر تحدّر السيل ، ويتدفق تدفق اليعبوب ، كأنَّ الله فجَّر ينابيع الحكمة على لسانهِ ، وأراه الغيب من وراء ستر رقيق شفاف . اما الجلاَّس فكانوا يطربون بغُرَر تلك الأقوال ،

ويثملون بارتشاف سُلاف الحِكَم التي تزري بالدرر الغوال . وكل ما كان يرويهِ عليهم كانوا يقضون منـهُ العجب العجَاب ، ويطيبون لهُ نفساً ، ويودّون ان يسمعوه مدى الأحقاب

على ان سماعهم اياه الى المساء ليس بقليل ؛ فهو عندهم بمنزلة اعوامٍ ، بل قرون . إذ الغروب عندهم من قَبيل عصر من أُعظم عصور الخاق اذا بلغوه

ولنفرض الآن ، ان هذه الدويبة الذكر — لقمان ذاك الاوان على نهر هيپانيس — أزمع على الرحيل ومغادرة هـذه الدنيا الدنية ، لأنهُ أحسّ بدنو أجله لميل شمس النهار الى المغيب . فجمع جميع أولاده وأحفاده من صلبهِ ولفيف اصدقائهِ ومعارفهِ ليودّعهم وداع الفراق ، ويوصيهم وصاياه الاخيرة . فاحتشد جميعهم تحت ظل فُطرَةٍ ظليل . فأخذ الشيخ الجليل المحتضر يقول :

« يا اصدقائي ووطنييَّ ، اني أشعر بأن لا بدَّ من نهاية هذه الحياة ، لأنهُ كان لها بداءَة . ولقد حانـ أجلي ، وقربت ساعة وفاتي ، ولست متأسّفاً على زوال أيامي ، وتصرُّم حبل حياتي . فلقد أصبح طول عمري عبئاً ثقيلاً على كاهلي ، ولم يبقَ لي في هذه الدنيا ما يُطيّب لي فيها مرارة سُؤر رمقي . هذه الفتن والمحن وضروب النكبات أتلفت دياري ، وكثرة البلايا والرزايا أمالت قناتي ، وتتالي الأمراض والادوآء التي تحلّ بقومنا استفرغت قواي ، وتعاقب المصائب والنوائب التي ألمّت بأهل بيتي استنفد الذماء الباقي من حياتي . كل هذا ، اذا ضُمَّ الى ما رأيتهُ واختبرتهُ بنفسي

في حياتي هذه الطويلة ، تحققون ان الزمان علمني هـذه الحقيقة الثابتة الاركان وهي : ليس من سعادة قارّة دائمة على هذه الارض ، ولا سيما اذا كانت تلك السعادة منوطة بأمور ليست بأيدينا ولا بارادتنا ، بل بمشيئة عنايةٍ غامضة . فلقد رأيتُ طائفة من أقوامنا ماتوا عند هبوب ريح صرصر ؛ وشاهدت جماعةً من شبيبتنا المتهوّرة قد غرقت في طحمة سيل جارف ؛ وكنت يوماً ممن حضر فرأى مطراً مدراراً أحدث طوفاناً عرمرماً اكتسح زرافاتٍ زرافاتٍ من ابناء وطننا العزيز ؛ ولقد تحطمت ديارنا ذات يومٍ كل محطَّم بعد ان سقط بَرَد هائل القدر أمات ربواتٍ وربواتٍ من اخوتنا المظلومين . وزيدوا على ذلك ان قوماً منّا اذا رأوا سحابةً سوداء قالوا في أنفسهم : ان هذه الاّ سحابة قوم عاد

« اني لقد عشت في عصور الخلق الأولى ، في زمان الفطحل ، وحادثتُ جماعةً عظيمة من الدويبات كنّ أطول مني قامة ؛ بل كنتُ بجانبهنّ كأحد بني ياجوج وماجوج ، بجنب واحدٍ من بني عُوْج كنّ ذوات بنيةٍ أقوى من بنيتي ، وذوات حكمةٍ تزري بحكمة سليمان . ولهذا اعلموا ، يا سادتي ، ان كل ما أنطق وأتفوّه بهِ ، لا يشوبهُ ريب ، ولا يخامره شك . وليس في نيتي ان اخدع واحداً منكم

« يا قومي ، صدّقوا كل ما أقوله لكم ، وتأكّدوا ان الشمس التي ترونها الآن متسترة ورآء المياه ، ويخيَّل الينا انها غير بعيدة عن الأرض ، رأيتها سابقاً قد تكبّدت السماء ، قاذفةً سهام أشعتها مصوّبةً اياها علينا ؛ وكانت الارض في ذلك العهد العهيد سابحةً في سبحات وجه الله ، اكثر

مما هي عليهِ في هذه العصور المتأخرة ؛ وكان الهواء أجف من هذا السكاك ، وأحرَّ منهُ ؛ وكان اجدادنا الفضلاء أصحاب جدٍّ وكدٍّ وجَلد وقناعة سامية

« يا قومي ، ان حواسّي وان كان قد فلَّ غربها ، وكلَّت شباة ذاكرتي، الاَّ اني أؤكد لكم ان هذا النجم المتلألئ المجيد ، يتحرَّك ويسير . ولقد رأيتُ بزوغهُ الأول من ورآء قمة هذا الطود الباذخ ، ونشأتُ في الوقت الذي أخذ يرتفع رويداً رويداً على الأفق ، ويخطو بعد ذلك في السماء خطوات جبَّارٍ عنيد من أعظم الجبابرة قوةً وحولاً وطولاً وهولاً . ولقد تقدَّم في السماء تقدُّماً حثيثاً عجيباً مدة أعصار متطاولة متتالية ، وهو يقذف حرارةً غريبة ، وأنواراً عجيبة ، لا يمكنكم أبداً ان تتصوروها ، ان لم تروها بعيونكم ؛ بل ما كان يمكنكم ان تحتملوا أمريهِ الأمرين

« اما الآن ، وقد قارب الأُفول ، وان يوارى في قبور المياه ، أرى ان أفراد هذه الامة كلها سائرة ، بل صائرة الى الزوال والاضمحلال الوشيك ، وتسجَّى هذه الدنيا الغرور بأكفان الظلامات ، في أقلّ من مائة من الدقائق

« وا حرَباه ! يا أصدقائي ، وا حرَباه ! ما أعظم ما كان غروري في سابق العهد ، في عنفوان شبابي ، وغضاضة اهابي ! كنتُ إخالني من الخالدين المقيمين في هذه الارض ! وان ليس من شيءٍ في هذه الدنيا يستطيع ان يتغلّب عليَّ ، ويُفني جواهر بدني ، وعناصره المتركب منها ! وكنت اذا نظرت الى مساكني التي كنت قد نحتّها في الصلصال

الملك ، كنت أقول : وهل يموت مَن يقيم في مثل هذه المباني المحكمة البنيان ، التي لم يشيّد مثلها سليمان ، ولا الانس ولا الجان ! فما أشدّ ما كانت ثقتي بنفسي ، وطمعي بهذه الحياة ، وبقوة أعضائي ، وبتراكيب مفاصلي ومواصلي ، وقوة أجنحتي ! ! ! كل ذلك أصبح كأن لم يكن ، لقد عشتُ للطبيعة وللمجد ، لقد عشت لنفسي ولمنفعتي . لقد عشت ولم استفد فائدةً تذكر لآخرتي ، لقد عشت في دار الفرار ولم اتخذ عملاً فيهِ الثواب لدار القرار . ولقد أحسن مَن قال :

يا صاحبي ان الزما　　نَ كما علمت وما علمتَهْ
يُفني الذي جمَّعتُهُ　　بيدي ويحصد ما زرعتَهْ
ويخون مَن صافيتَهُ　　عمداً ويعشق مَن مقتَّهْ
وجهلتَهُ فحمدتَهُ　　وذممتَهُ لمَّا عرفتَهْ
ولطالما عاتبتَهُ　　حتى على رغمٍ تركتَهْ

بغداد　　　　　　　　سائسنا

✱ المودَّة ✱

المودة بين الأخيار سريع اتصالها ، بطيءٌ انقطاعها . ومثَلُ ذلك كمثَل كوب الذهب ، هو بطيء الانكسار ، هيّن الاصلاح . والمودَّة بين الاشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها ، كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ، ثم لا وصل له ابداً . والكريم يمنح مودَّته عن لقيةٍ واحدة ، او معرفة يوم ؛ واللئيم لا يصلُ احداً الا عن رغبة او رهبة　　　　(ابن المقفَّع)

في رياض الشعر

حنين الى لبنان

برح عزتلو داود بك عمّون القطر المصري الى باريس للسعي في خدمة جبل لبنان . وقد عثرنا بين اوراقه على الابيات الآتية فاحببنا ان ننشرها بمناسبة ذلك السعي ، وهي تنمُّ على ما في نفس الشاعر من الحب لوطنه والحنين اليه ، ولبنان — وهو سويسرا الشرق كما يسمّونه — ما فتئ منذ القِدَم حتى اليوم موحى الشعر وملهَم البيان . قال :

هاج اشواقي الى الدِّمَنِ طائرٌ غنَّى على فننِ
ايهِ يا قمريُّ انَّ بنـا فوق ما يبكيكَ من شجَنِ
ولو انَّ الدمعَ منطلقٌ لهمى كالعارض الهتنِ
انما بالرُّغم أحبســـــهُ خشية التلوام واللسنِ

* * *

حبذا المصطاف في جبلٍ ينطحُ الجوزاءَ بالقننِ
موئل الاحرار من قدمٍ واباةِ الضيم من زمنِ
ليس لبنانٌ لمكتسحٍ بضعيف العزم ممتهنِ
سل ملوكَ الروم كيف غدا عرشهم مستوهن الركنِ
علَّم الأهلونَ جيشهمُ فنَّ نظم النحر باللـدنِ
فبنو لبنـان أسد وغًى أُطلقت فيهم يدُ المحنِ
واختلاف الدين أورثهم عِلَل الاحقـاد والاحَنِ
ليتَ ذا عزمٍ يضمهمُ ضمـةَ الاعضاء في البدنِ

فيعيدوا السابقات من المجـــدِ والعليـاء للوطنِ

* * *

يا بني أمّي اذا حضرت ساعتي والطبُّ أسلمني
اجعلوا في «الأرز» مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني

داود عمون

﴿ جرى في دمعهِ دمهُ ﴾

بهِ سحرٌ يتيّمــهُ كلا جفنيك يعلمهُ
هما كادَا لمهجته ومنك الكيد معظمهُ
تعذّبهُ بسحرهمـــا وتوجدُهُ وتُعـدمهُ
فلا هاروتَ رقَّ لهُ ولا ماروت يرحمـهُ
وتظلمهُ فلا يشكو الى من ليس يظلمهُ
أسرَّ فمـات كتمانًا وباح فخانهُ فمـهُ
فويح المدنف المعمو د حتى البثُّ يُحرَمهُ
طويل الليل ترحمـهُ هواتفـهُ وأنجمـهُ
اذا جـدَّ الغرام بهِ جرى في دمعهِ دمهُ
يكاد لعهـده ابداً بعادي السقم يسقمهُ
ثنى الأعناقَ عوَّدُهُ وألقى العذرَ لومـهُ
قضى عشقاً سوى رمقٍ اليك غداً يُقـدّمهُ
عسى إن قيل مات هوى تقول اللهُ يرحمـهُ
فتحيا في مراقدهـا بلفظٍ منك أعظمهُ

شوقي

﴿ وداع وشكوى ﴾

جاءتنا القصيدة التالية من « الولايات المتحدة » وقد قالها شاعرها مودعاً بلاد الشرق شاكياً متألماً ، ومستقبلاً العالم الجديد باسماً مؤملاً . والشاعر قد عرَّفتهُ الزهور الى قرَّائها (س ٢ : ج ٤ : ص ٢١٤) قال بعد مقدمةٍ وجيزة :

ولقد ركبتُ البحرَ يزأر هائجاً ... كالليث فارق شبله بل أحنقا
والنفسُ جازعةٌ ولستُ ألومُها ... فالبحر أعظم ما يُخاف ويُتقى
فلقد شهدتُ بهِ حكيماً عاقلاً ... ولقد رأيتُ بهِ جهولاً أخرقا
مستوفزٌ ما شاء ان يلهو بنا ... مترفقٌ ما شاء أن يترفقا
متحفزٌ وكأنهُ متوقعٌ ... تحتَ الظلام سفينةً او زورقا
تتنازع الأمواج فيهِ بعضها ... بعضاً على جهلٍ تنازُعَنا البقا
بينا يراها الطرفُ سُوراً قائماً ... فاذا بها حالت فصارت خندقا

***

(نويُورك) ياذات البخار بنا اقصدي ... فلعلنا بالغرب ننسى المشرقا
وطنٌ أردناه على حبّ العلى ... فأبى سوى ان يستكين الى الشقا
كالعبد يخشى — بعدما أفنى الصبى ... يلهو بهِ ساداته — ان يُعتقا
او كلما جاد الزمان بمصلحٍ ... في أهله قالوا طغى وتزندقا
فكأنما لم يكفهِ ما قد جنوا ... وكأنما لم يكفهم أن أخفقا
هذا جزاء ذوي النهى في أمَّةٍ ... أخذ الجمود على بنيها مَوثقا
وطنٌ يضيق الحرّ ذَرعاً عنده ... وتراه بالاحرار ذَرعاً أضيقا
ما ان رأيتُ بهِ أديباً موسراً ... فيما رأيتُ ولا جهولاً مملقا
مشتِ الجهالة فيهِ تسحب ذيلَها ... تيهاً وراح العلمُ يمشي مطرِقا
أمسى وأمسى أهله في حالةٍ ... لو أنها تعرو الجماد لأشفقا

شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى	متفرقٌ ويكاد ان يتمزقا
مستضعفٌ ان لم يُصب متملقاً	يوماً تملّق ان يُرى متملقا
لا يرتضي دين الاله موفّقاً	بين القلوب ويرتضيه مفرّقا
لم يعتقد بالعلم وهو حقائق	لكنهُ اعتقد العزائم والرقى
ولربما كرهَ الجمود وانما	صعبٌ على الانسان ان يتخلقا
وعصابةٍ ما إن تُزحزح أحمقاً	عن رأسها حتى تولّي أحمقا
راحت تناصبنا العداء كأنما	جئنا فرياً او ركبنا موبقا
بينا الأجانب يعبثون بها كما	عبثَ الصبا سحراً بأغصان النقا
«بغداد» في خطرٍ و«مصر» رهينة	وغداً تنال يد المطامع «جلّقا»
قيل اعشقوها قلتُ لم تسلم لنا	معَها قلوبٌ كي نُحبَّ ونَعشقا
ان لم تكن ذاتُ البنين شفيقة	هيهات تلقى من بنيها مشفقا

* * *

أصبحتُ حيثُ النفس لاتخشى أذًى	أبداً وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلقا
نفسي اخلدي ودعي الحنين فانما	جهلٌ بُعيدَ اليوم ان نتشوقا
هذي هي «الدنيا الجديدة» فانظري	فيها ضياء العلم كيف تألقا
اني ضمنتُ لكِ الحياة شهيةً	في أهلها والعيش أزهر مونقا

(سنسناتي اوهايو)	ايليا ظاهر ابو ماضي

﴿ دموع الحبيب ﴾

دموعكَ صنها او فغالِ بمثلها	من الدُرّ الّا عن صوانٍ من الحبِّ
فانَ تغلبِ الأشجان قلبك مرّةً	على أمرهِ فاذرفْ دموعكَ في قلبي

خليل مطران

﴿ كرامة المرأة ﴾

يا ربَّنا أجِرِ العذارى ... من كيدِ مَن خلَع العِذارا
أجِرِ الحسانَ الساذجا ... تِ ونجّ الاحداثَ الصغارا
من كلّ فظٍّ في السما ... جة والوقاحةِ لا يبارى
سكران سكرَ جهالةٍ ... ولربما شرب العقارا
ألِفَ القبيح فما يُبا ... لي أن يجرَّ عليهِ عارا
يمشي ويثني عطفَهُ ... وكأنَّ في عينيهِ نارا
او يغتدي متقلداً ... خُلُقاً ووجهاً مستعارا
واذا رأى منهنَّ وا ... حدة تبسَّم أو أشارا
أو راح يتبعُها ويأ ... ملُ أن يزور وأن تزارا
حتى يطوفَ ببيتها ... ليلاً ويرصده نهارا

* * *

ما أوفرَ العثراتِ للـ ... ـغاداتِ وُقّيت العثارا
من كل سافرة تودُّ ... لو انها اتخذتْ ستارا
كي لا ترى ثقلاء ينـ ... ـبو عنهمُ الطرفُ احتقارا
وخريدة لولا الخما ... رُ حياؤها كان الخمارا
تمضي لحاجتها ولا ... ترنو يميناً او يسارا
لا سمعَ تلقيهِ الى ... ما قيل سرًّا او جهارا
هي واللواتي مثلها ... يفعلنَ ذاك ولا فخارا
يحسبْنَ تطرئة الوجو ... ه على محاسنها شنارا
أولاء ربّات الفضا ... ئل قد رفعنَ لها منارا

لكن من الغاداتِ مَن لا آسماً يَصنَّ ولا إزارا
أُولعنَ بالأسواق فهـي لهنَّ ما برحتْ مزارا
يمشينَ فيها لا حياءٍ ولا احتشامَ ولا وقارا
متأوداتٍ كالقنا مترنّحاتٍ كالسكارى
يُبرزنَ أجياداً كأجياد الظباء ولا نفارا
وترائباً لصقَ المشدِّ بجانبيها واستدارا
او يرتدينَ ملابساً شفّافة عما توارى
ويُجلنَ في من حولهنَّ لواحظاً ترنو حيارى
خلاّبةً في قلب عاشقهنَّ يُضرمنَ الأوارا
ولقد يكنَّ عقائلاً يُولين ذا الجهلَ اغترارا
أشكالهنَّ المصبياتُ تثير في النفس المثارا
تُغري بهنَّ المستهامَ فؤادُهُ والمستطارا

⁂

يا من تليقُ بها الكرامة حاذري ذاك الصَّغارا
صوني جمالاً طالما أولاكِ تيهاً وافتخارا
لا كان حسنٌ فيكِ لم يكن العفاف له شعارا

نقولا رزق الله

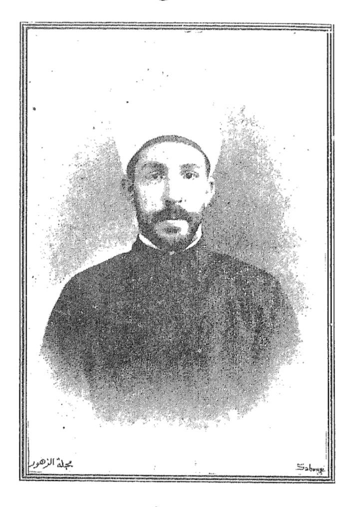
❊ أنين القوس ❊

عجباً تلومُ على الجوى دَنِفاً أضناهُ بُعدُ حبيبهِ غمّا
فالقوسُ لا قلبٌ ولا كبدٌ وتئنُّ عند فراقها السَّهما

وليم غرزوزي

نقيب الأشراف

« وشيخ مشايخ الطرق »



سماحة السيد عبد الحميد البكري

نشرنا في الزهور (س ٣ : ج ٢ : ص ٩٠) صورة سعادة السيد علي يوسف بمناسبة إسناد منصب مشيخة السادة الوفائية اليهِ . وذكرنا ان سمو الجناب العالي قد ولّى سماحة السيد عبد الحميد افندي البكري منصب نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية ؛ ولكننا لم نتمكن من نشر صورة فضيلتهِ لأننا لم نظفر بها يومئذٍ

السيّد عبد الحميد هو نجل نقيب الأشراف المغفور له السيد عبد الباقي البكري . والبيت البكري « يتتوَّجُ بالشرف النبويّ من جهة سيدنا الحسن رضي الله عنهُ ويقبض بيمناه على النسب الأسمى الصدّيقي ، ويسراه على النسب العُمَري الفاروقي ؛ فالشرف محيطٌ بهِ من سائر الأطراف ، متدلٍّ عليهِ من جميع الأكناف(١) »

وُلد سماحتهُ سنة ١٢٩٣ هـ وتلقّى العلم عن جماعةٍ من الفضلاء ، فأخذ اللغة عن العلّامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي حتى برع فيها ؛ وتلقّى النحو والفقه وسائر العلوم على الشيخ حسن السقّا خطيب الازهر ؛ وتعلَّم اللغة الفرنسوية فقرأ بها الكتب الرئيسة في علم التاريخ وفلسفته وعلوم العمران حتى أصبح له في كلّ منها ملكةٌ عالية

وقد رأينا ان نذكر شيئاً عن هذين المنصبين الساميين اللذين أُسندا الى سماحتهِ لما في ذلك من الفائدة

مشيخة المشايخ الصوفية(٢)

مشيخة الطرق الصوفية من المناصب الدينية التي حدثت بعد حدوث الصوفية . ولصاحبها التكلم على جميع الطرق . والشأن في هذه الطرق ان لكل طريقة شيخاً ولكل شيخ خلفاء في القرى والأمصار ولكل خليفة مريدين . فالشيخ يدير أمر الخلفاء والخلفاء ، أمر المريدين من حيث ارشادهم ومراقبتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتربيتهم

(١) كتاب « بيت الصدّيق »　(٢) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان

ونحو ذلك . ولشيخ المشايخ الولاية العامـة على الجميع . ولم يكن للصوفية مشيخة عامة ترجع اليها أعمالهم وتتوحّد بها مقاصدهم بل كانت كل طريقة أو زاوية مستقلة بنفسها فكانت الفتن تكثر بسبب ذلك . فلما أنشأ السلطان صلاح الدين الايوبي خانقاه سعيد السعداء وسماها دويرة الصوفية جعل لشيخها شبه تقدّم على غيره من المشايخ وكان لا يولّي عليها الاّ أعاظم رجال الدولة من الاكابر والاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حموية مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش . ووليها ذو الرئاستين الوزير الصاحب تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز وغيره . وما زالت الحال كذلك الى ان توحّدت رئاسة الصوفية بمصر في القرن التاسع للهجرة فجعلت الولاية فيها للسيد محمد شمس الدين البكري وكان من أعظم رجال عصره علماً وديناً . قال الشعراني عنهُ (ولو قلت انهُ أعلم أهل زمانه لم أبعد عن الصواب) ثم تولّى بعده ابنه الامام شيخ الاسلام العلاّمة الشهير أبو السرور البكري وانتقلت بعده الى ذريته ولا تزال الى الآن في البيت البكري الصديقي بمصر

نقابة الاشراف[1]

الشرف هو بمعنى الرفعة . وكان يطلق في الجاهلية على عظماء العرب . فلما جاء الاسلام خصّه بيوتات قريش . وجعلهم أكفاء في النسب وما عداهم ليس بكفوٍ لهم . ومن هذه البيوتات بيت هاشم وجاء الاسلام

(١) كتاب « بيت الصدّيق »

ورئيسه العباس بن عبد المطلب . وبيت تيم بن مرة وجاء الاسلام ورئيسه أبو بكر وبيت عدي وجاء الاسلام ورئيسه عمر وهكذا . قال الفرزدق في هذا المعنى

ما حملت ناقة من معشر رجلاً مثلي اذا الريح لفتني على الكورِ
حاشا قريشاً فان الله فضّلهم على البرية بالاحسان والخيرِ

ولهذا نجد في كتب التاريخ والدروج القديمة فلاناً الشريف العباسي وفلاناً الشريف العلوي ونحو ذلك . وأما حصر الشرف في ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما فهو بدعة حصلت في زمن الخلفاء الفاطميين . قال الامام ابن الحاج (وتخصيص الشرف بذرية السبطين ليس بشرعي) اهـ

وقد حرص القوم منذ الصدر الأول على حفظ أنساب تلك البيوتات فأحدثوا وظيفة نقابة الأشراف . وهي وظيفة عامة تشمل التكلم والنظر في أنساب جميع الأشراف من أهل تلك البيوتات . وربما كان تحت ادارتها عند تكاثر ذرية بعض الفروع نقابات أخرى فرعية كنقابة الطالبيين ونقابة العباسيين ونحوهم

أما مركز هذه الوظيفة فكان من الرفعة والجلالة في المكان المكين. وهذا الشريف الرضي نقيب بغداد يخاطب الخليفة بقوله :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي مُعرقُ
الاّ الخلافة ميّزتكَ فانني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّقُ

ولا يزال نقيب الأشراف في الدولة العلية يقدّم في التشريفات

الرسمية على جميع رجال الدولة حتى الصدر الأعظم وشيخ الاسلام

ولم تزل هذه الوظيفة في البيت البكري من القرن الثاني عشر الى الآن لم تخرج منه الا بريهات يسيرة وأول من تولاها من رجاله السيد محمد افندي البكري

تربية الطفل

اوقات الرضاعة

يرضع الطفل في اوقات منتظمة بعد اليوم الثاني او الثالث ، واذا كان نائماً يوقظ بلطف متى جاءَ وقت الرضاعة . ولا يمضي الا القليل من الوقت حتى يتعود الطفل ان يستيقظ من تلقاء نفسه وقت الرضاعة ، وينام بعدها . فاذا رضع الطفل في اوقات منتظمة نما النموَّ الاعتيادي ، وحسنت صحته . واما ارضاع الطفل بغير انتظام ، وكلما بكى ، فتلك طريقة رديئة تلبّكُ معدته فتفسد صحته . فاذا بكى الطفل ، او لم ينم وهو في مهده ، وجب على الأم ان تلاطفه قليلاً وان تتحقق من ان بكاءه ليس بناشئ عن ألم او قلق او غير ذلك ، فيهدأ ويرقد مطمئناً

يرضع الطفل ، بعد اليوم الثالث ، مرة كل ساعتين اثناء النهار ، ومرتين اثناء الليل في المواعيد الآتية : الساعة ٥ و٧ و٩ و١١ صباحاً ؛ و١ و٣ و٥ و٧ و١٠ مساء والساعة ١,٣٠ صباحاً . وتراعى هذه المواعيد حتى يبلغ الطفل الاسبوع السادس . ووقتئذٍ يمكن تطويل الفترات بين

الرضعتين حتى تصير الفترة ساعتين ونصفاً ، وبذلك لا يتناول غذاء اكثر مما يحتاج اليهِ ، فلا ترتبك المعدة ولا يعسر الهضم . ولما كان لبن الأم يكثر في الثدي الى الشهر السابع او العاشر وجب الاحتراس من اتخام الطفل بكثرة الرضاعة

وبعض الاطفال ينام من الساعة العاشرة مساء الى الساعة الرابعة او الخامسة صباحاً ومثل هؤلاء الاطفال لا يلزم ازعاجهم اذا حسنت صحتهم وكان وزنهم مناسباً لعمرهم

ويحتاج الطفل عند بلوغه الشهر الثالث الى ٨ رضعات في كل ٢٤ ساعة ، ويكفي البعض ٧ رضعات ، ومتى بلغ الشهر السادس يُرضع سبع مرات

ولحالة الطفل الصحية وكمية لبن الأم ونوعه شأن كبير في تنظيم اوقات الرضاعة . غير اننا نقول بوجه عام انهُ يجب في الأشهر الاولى تكثير عدد الرضعات وتقليل كمية الرضاعة ، وكلما تقدم الطفل في العمر يُقلل عدد الرضعات وتزاد كمية الرضاعة وهكذا تتعود المعدة هضم الغذاء

وفي مراعاة مواعيد الرضاعة أعظم راحة للوالدة واكبر فائدة للولد . فانهُ اذا تعوَّد أخذ غذائهِ في اوقات مقررة لا يعود يشغل والدته في كل ساعة من النهار ويؤرّقها في كل فترةٍ من الليل فيحرمها الراحة ويصرفها عن كل عمل ، بل يصير يكتفي بالمواعيد المخصصة له ويسهل على معدته القيام بوظيفتها . فلتراعِ الامهات هذه القواعد يجدنَ راحة لهنَّ وفائدة لأولادهنَّ

الأم وطفلها

كما ان الطفل قد استمدَّ حياته قبل ولادته من أُمه ، فهو كذلك يستمدُّها منها بعد ولادته الى ان تنبت اسنانه ؛ ولذلك يحسن ان تُرضع الأم طفلها بنفسها اذا استطاعت ؛ ولا تتوهم الوالدات ان الرضاعة تضعفهنَّ بل هي بالعكس تزيدهنَّ صحةً ونشاطاً ، ما لم يجهدنَ أنفسهنَّ في أعمال أخرى

تأثير الغذاء والشرب والدواء في لبن الأم

يظن البعض ان الأم يمكنها ان تتناول أي صنف من اصناف الغذاء ، وان تأكل منهُ ما شاءت دون ضرر على الطفل . ذلك رأي فاسد لأن اللبن من الدم ، والدم من الغذاء والشرب ، فهو يتنوّع باختلاف الغذاء . ولا يخفى كيف يكون لبن البقر حلو الطعم لذيذاً اذا اقتصر غذاؤها على البرسيم والتبن ؛ وبالعكس فاللبن يكون رديئاً اذا أكلت من البصل والحشائس المختلفة . وكم تقاسي الأطفال من الأمراض الجلدية وخلافها اذا لم تحتط الأمهات اللائى يرضعنَ أولادهنَّ في غذائهنَّ . ولذا يلزم ان يكون غذاء الأم كافياً وجيداً خالياً من الخضراوات والبقول التي تنفرز مع اللبن ، فتغيّر طعمه وينفر منه الطفل كالجزر والبصل والجرجير والثوم والخرشوف . كما يلزم ان يكون خالياً من الفواكه غير الناضجة والتوت البلدي والافرنجي (الفريز) لأن هذه الأشياء قد تحدث مغصاً عند الطفل

الدكتور محمد عبد الحميد

مصر وسوريا

انهُ ليلَذُّ لنا كلما سنحت الفرصة ان نجمع بين هذين الاسمين العزيزين ، ونذكرهما متدحين في كل مكرمة ومأثرة . وقد عرف القرّاء مساعي « الزهور » المتواصلة في هذا السبيل ، واطَّلعوا على كتاباتها الكثيرة في هذا الموضوع . وانهُ ليروقنا وايم الحق ان نرى في هذه الايام الفرَص سانحة للشدو بما نشاهده من إحكام روابط الإخاء الادبي بين القطرين الشقيقين ، والتغنّي بما نراه من التضامن بينهما

ان مثل هذا التضامن يظهر عادةً بأبهى مظاهره إبّان النوائب والمحن . وقد كان لنا برهانٌ حسيٌّ على ذلك في هذه السنة ، حيث توالت النكبات على سوريا ، فهبّتْ شقيقتها مصر هبّةً واحدة تعطف عليها ، وتسكب بلسم التعزية والحنان على جراحاتها . أدمت قنابل الطليان قلب بيروت ، فحرَّكت المروءة والانسانية قلب الامير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي ، فألّف تحت رئاسته لجنةً من سراة مصر وأعيانها ، فأقاموا في « الاوبرا » تلك الحفلة الشائقة التي تُعدّ اجمل صفحةٍ في تاريخ علائق القطرين ، فتجلى فيها الكرم المصري بأشرف مجاليه ، وانهال الذهب مدراراً لمؤاساة المصابين . (وقد خلّدت « الزهور » ذكر تلك الليلة البيضاء في الكُتيّب الذي اصدرته خصيصاً لهذا الموضوع) فقلنا حينئذٍ : ليس لمستزيدٍ من مزيد ! . وكان بعد ذلك أنْ نُكِبَت دمشق بحريقها الهائل ، واصابها من الخسائر ما جعل الناس يحجمون في بداية الامر عن استنداء الأكفّ للتعويض ، اذ ما عسى ان تعوّض المئات والالوف عن الملايين . ثم كتب كاتب « مجهول » على صفحات الجرائد يقول : كنا نودّ ان نعرف مصراً ثانيةً تعطف على دمشق عطف مصر على بيروت . . . فكبر مثل هذا القول على مصر ، وأبتْ ان يكون هناك مصر ثانية تُباريها في المكرمات ، أو ان يكون يَدٌ تسبقُ يدها في تضميد جراح شقيقتها . فهبّت لمساعدة دمشق ، هبّتها لمساعدة بيروت ، وقام مقام الامير محمد علي الموجود الآن في اميركا ، أميرٌ آخر من الاسرة العلويّة ، فالتفّت حولهُ لجنةٌ جديدة

من اكابر المصريين لاحياء أربع ليالٍ ينفق ريعها على المصابين من الدمشقيين فلم نتمالك لدى هذا المشهد من ترديد قول القائل

نجومُ سماء كلما غاب كوكبٌ　　　بدا كوكبٌ تأوي اليه كواكبُهْ

وما الامير الجديد إلاّ دولة البرنس عمر باشا طوسون الذي « عدّ نفسه سعيداً في انتهاز هذه الفرصة لخدمة الانسانية » كما قال في التلغراف الذي أرسله من الاسكندرية لسعادتلو سليم بك ايوب ثابت . فهكذا يكون التلطّف بعمل البرّ



عزيز باشا عزت

وقد طلب الينا كثيرون من قرّائنا السوريين أن نزيدهم معرفة بهؤلاء السراة الاماثل بنشر صوَرهم . وهذا واجب فطنّا له يوم زينّا « الزهور » بصورة دولة رئيس اللجنة . ولكن حال دون رغبتنا تمنّع الكريم عن التباهي بعمله ولو عظيماً .

على اننا ما زلنا بذلك حتى فزنا ببعض المرام

فمن أعضاء هـذه اللجنة الكريمة صاحب السعادة عزيز باشا عزّت ، وكيل نظارة الخارجية سابقاً ؛ وهو من أهل البيوتات ، وله المجد المؤثّل والجاه العريض ، وصلة قربى بالأسرة المالكة في وادي النيل . وقد زان ذلك المجد التالد بأخلاق غرٍّ ومناقب عالية تستميل اليهِ كلَّ من جالسه ؛ فهو ممن يصدق فيهِ ما يُعبِّر عنهُ الانكليز بلفظة « جنتلمن »



محمود باشا رياض

أما سعادة محمود باشا رياض فهو سليل اسرة رفيعة الدعائم وفرع دوحة ليس في أرض النيـل من لا يعرفها ويعرف ما لها على مصر من الآثار الطيبات ؛ ونعني بها اسرة الوزير الخطير ساكن الجنان رياض باشا صاحب المواقف المشهورة في تاريخ

السياسية المصرية . وقد تقلّب صاحب هذا الرسم في عدّة مناصب سامية لم يترك احدها الاَّ وقد ترك فيه آثاراً تبعث على الحاجة اليهِ في ما هو أسمى منها فكان مديراً لأسيوط فمديراً للمنيا فوكيلاً لنظارة الداخلية . وهو اليوم معتزل ميدان السياسة بعد ان خلد له فيها آثاراً غراء ستعيش الى زمن طويل



حسين باشا واصف

اما سعادة حسين باشا واصف فانهُ من الرجال الذين يشهد لهم تاريخهم بالفضل والتفوُّق فانك اذا تتبعت سيرتهُ منذ عودته من فرنسا حاملاً لشهادة الحقوق العليا ، الى تولّيه منصب القضاء في المحاكم المختلطة ثم تدرجّه فيها الى ان أصبح وكيلاً لنظارة الحقانية ، تجد له في جميع تلك المناصب آثاراً غرآء ، ومآثر عديدة في ترقية شأن القضآء الاهلي . ثم دخل في سلك الادارة فتولّى مديريّتي المنيـا وقنا فمحافظة

السويس . ثم اعتزل المناصب بناءً على رغبته ليتفرَّغ للمشروعات الادبية المفيدة .
ومن آثاره الطيبة المدرسة الواصفية التي يتخرَّج فيها نفرٌ عديد من رجال المستقبل



خليل باشا خياط

وأما سعادة خليل باشا خياط فانهُ من السراة المعدودين في هذه البلاد جاءها منذ عهدٍ بعيد وله من الهمة ما ينزع بهِ الى أسمى الذرى فجعل يعطف على كل المشروعات الكبيرة حتى عُرف ببعد الهمَّة والغيرة الوطنية وأصبح له في كل مشروع يدٌ وفي كل مأثرةٍ باع . ولا نخال أحداً من القراء يجهل ما لهذا الشهم الهمام من الغرر المحمودة في سائر الوقائع التي ظهر فيها سكان هذه البلاد بما يسجل الفخر للشرقي في بطون الأوراق . ومَن ألقى نظرة عمومية على العهد الاخير من تاريخ المشروعات الخيرية النافعة في مصر تجسّمت لمخيّلته همة الخياط السامية وما له من الحسنات



عبد الرحيم باشا صبري

ومن اعضاء هذه اللجنة سعادة الشهم الأبيّ عبد الرحيم باشا صبري المعروف بنزاهة المبدإ ، والجامع بين الوقار والاتضاع والخلق الكريم مما حلّته به التربية الصحيحة ، واكسبه اياه اختلاطه بالعظماء والكبراء إبَّان وجوده في وظيفة تشريفاتي خديوي ، وهي من الوظائف التي يقلّدها سموّ العزيز مَن كان كصبري باشا متحلياً بخير الصفات وغرر المواهب

وقد كان امين صندوق اللجنة شابٌّ في مقتبل العمر عُرف بالجدّ والنشاط والمثابرة على العمل هو حبيب افندي لطف الله نجل حضرة الوجيه الفاضل حبيب بك لطف الله المثري المشهور . ويرى القارئ رسمهُ بالثوب العسكري يوم كان في الجيش المصري في السودان . أو ليس في تجنّدِ هـذا الشاب الذي وُلد وربي في

النعمة والترف دليلٌ على بُعد همته ، وفهمه معنى الحياة الحقيقي ؟ ولقد أبدى من الغيرة على إنجاح مشروع اللجنة ما يخلّدله في بيروت أجمل ذكر

هذا ونحن نأسف لأننا لم نتوفّق الى صوَر سائر من بقي من أعضاء اللجنة كأصحاب السعادة محمد الشواربي باشا منشئ مستشفى قليوب الشهير من ماله الخاص، واسماعيل باشا صبري الشاعر النابغة ، وحسن باشا مدكور سرّ تجار العاصمة ، واسماعيل باشا أباظه الوطني الجريء، ونجيب باشا شكور المهندس والاداري المشهور ، ورفيق بك العظم الكاتب القدير



حبيب افندي لطف الله

ولا بدّ لنا في هذا المقام من المجاهرة بما كان لسعادة سليم بك أيوب ثابت من المساعي المأثورة في سبيل هذا العمل المبرور ، ومن الهمة في ضمّ اواصر القطرين الشقيقين ، فقد كان بفضل ما أُوتيهِ من الذكاء الوقّاد ، والسياسة الحسنة ، وما عُرف به من المحبة الصادقة لوطنه ، روحَ هذه الحركة المؤدية الى تلك الغاية النبيلة ، وسيذكر له منكوبو حادثة بيروت مأثرته هذه بالشكر الجزيل

نوابغ مصر

كانت « الزهور » قد اقترحت على قرّائها س ٣ : ج ٢ : ص ٨٩ ان يذكروا أسماء العشرة الذين تصحُّ تسميتهم بنوابغ مصر في الأيام الحاضرة فلاقى هذا الاقتراح ارتياحاً عظيماً بدليل كثرة الأجوبة التي وردت من مصر وسوريا وأميريكا من المشتركين وغيرهم من القرّاء ، ويظهر ان هؤلاء ليسوا بالنزر اليسير ، وقد استكبر البعض لفظة « النابغة » فرأى اننا طلبنا كثيراً بطلب عشرة نوابغ . وفهم البعض الآخر اننا انما نعني في الحقيقة بهذه الكلمة كلَّ رجلٍ كبير فاضل يحقُّ لمصر ان تفاخر بهِ فرأى اننا ضيَّقنا النطاق بطلب عشرة فقط . ولاحظ علينا فريقٌ انهُ كان الأجدر بنا ان نحصر الجواب على هذا السؤال ببعض الأفاضل الذين يعتدُّ بآرائهم فتجيء النتيجة معبّرة عن رأي الخاصة المفكّرين لا عن رأي العامة بوجه الاطلاق . غير اننا في اقتراحنا لم نرمِ الى كل هذه الأمور ، بل أحببنا ان نجسّ نبض الرأي العام فنعرف من هم العشرة الذين يمثّلون في نظر الأمة بوجه عام الفئة الممتازة التي تُعدُّ في طليعة البلاد عقلاً وفضلاً ، ولا نوافق من أنكر علينا وجود النوابغ في بلادنا . فمن جهةٍ كلُّ شيء في هذا العالم يُقاس بالنسبة ويكون الحكم عليه نسبياً . فالرابية الصغيرة تعدُّ في عين الطفل طوداً شامخاً ، والأستاذ في عين تلميذه عالماً نحريراً وقس على ذلك . ومن جهة ثانية فان في البلاد فئة تفرَّدت بصفاتها العقلية والأدبية ولو أُتيحت لها أحوال اكثر موافقةً لأعربت عن نبوغها ببراهين حسيّة

ذكرنا ذلك ردًّا على ما علَّق بهِ بعض المجاوبين على أجوبتهم . ولا نجزم بأن حكمهم سيكون يوماً حكم التاريخ ؛ فكم من شهير عظيم في حياته ، تضمحلّ شهرته ، ويصبح نسياً منسياً بعد مماتهِ

هذا ما لاحظهُ البعض علينا . ومما لاحظناه نحن انهُ كان للصحف تأثيرٌ كبير في حكم فريقٍ من المجاوبين . فان الجرائد أكسبت قوماً منا شهرةً جعلت لهم مقاماً رفيعاً في أعين العامة . ومما يجدر بالذكر خصوصاً ان رجال القلم هم أرفع من سواهم في النفوس بدليل ان معظم « نوابغنا » ان لم نقل كلّهم من الكتَّاب والشعراء كما سترى . ولا يُستغرب ذلك لأن حملة الأقلام هم قادة الأفكار ويسهل عليهم اكثر من سواهم عرض مواهبهم العقلية على ابناء جلدتهم . على ان هذا الحكم في بلادنا أعمّ مما في سواها لعدم وجود نوابغ عندنا في العلوم والفنون والصنائع والتجارة

وها نحن ذاكرون نتيجة الأجوبة التي وردت على اقتراحنا ، وليس في من ستقرأ اسماءهم الاَّ كلٌّ فاضل نجيب

الاسم	العدد		الاسم	العدد	
احمد بك شوقي	٣٧٠	صوتاً	سعد باشا زغلول	٢٦٩	صوتاً
السيد علي يوسف	٣٠٧	اصوات	ولي الدين بك يكن	٢٦٧	»
حافظ بك ابرهيم	٣٠٥	»	الدكتور فارس نمر	٢٦٤	»
جرجي افندي زيدان	٢٨٩	صوتاً	احمد زكي باشا	٢٥٩	»
الدكتور يعقوب صرُّوف	٢٧١	»	خليل افندي مطران	٢٥٤	»

هؤلاء هم العشرة الذين أحرزوا اصواتاً اكثر من سواهم . ويليهم اسماعيل باشا صبري والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي وفتحي باشا زغلول واحمد بك لطفي السيد وعبد الخالق باشا ثروت وعلي باشا أبو الفتوح

ويوسف باشا سابا والشيخ محمد بخيت. وتوزّعت اصواتٌ على كثيرين غيرهم

وممن ذُكروا بين النوابغ جورج افندي ابيض في فن التمثيل ؛ وسمعان بك صيدناوي في التجارة ؛ ونجيب بك هواويني في الخط ؛ والشيخ سلامه حجازي وعبد الحي افندي حلمي وابرهيم افندي القباني في الغناء والتلحين . وحسبو بك محمد في الصناعة

ولم ينسَ القراء سيداتنا الاديبات . فنالت السيدة لبيبة هاشم والسيدة ملك ناصف (باحثة في البادية) والآنسة مي اصواتاً غير قليلة

وقد ذكر بعض الظرفاء على سبيل الفكاهة مَن يعدُّون « نوابغ » في نوعهم ، كحافظ نجيب المحتال الشهير ، و « الحاتي » في شيّ اللحم الخ . .

ومن هذه النتيجة يرى القراء مرآةً للرأي العام في رجال مصر في هذا العصر . فنرجو ان يزداد عدد نوابغنا الأعلام في كل فنٍ وعلم وحرفة حتى يعيدوا للشرق مجده القديم وفخره الغابر

أزهار وأشواك

كان سبب انقطاعي عن محادثة القرّاء على غير ارادة مني . وهـا أنا اليوم عائد اليهم ببعض ما جنيت لهم . كانت «الازهار والاشواك» كثيرة في هذه المدة ، ولا عجب فاننا كنا في فصل الربيع . على ان بقاءها شهرين متواليين في جعبتي قد أفقد الازهار بهجتها ، وكسر من الاشواك حدّتها . فطرحتُ بكثيرٍ منها على الطريق

غرق تيتانيك

هي الباخرة الكبرى التي أقلُّ ما يُقال في وصفها انها كانت مدينة عائمة على

وجه المياه . تفاصيل غرقها — وقد عرفها القرّاء — مما تقشعرّ له الابدان ؛ وتصوُّر الفاجعة التي حدثت في وسط الاوقيانس ، بين الماء والسماء ، مما تنخلع له القلوب . لا احاول اعادة ما رددتهُ الصحف عن عظمة « تيتانيك » وهول نكبتها ؛ بل أنا ذاكرٌ للقراء بعض خواطر دوّنتها لهم : تيتانيك نسبة الى التيتان ، وهم ، في خرافات الأقدمين ، طائفة من الجبابرة تمرّدوا على جوپيتر فصعقهم صعقاً . وكأن الانسان الذي توصل بقوة ذكائه الى تذليل القوى الطبيعية ، فسخّر لخدمته المـاء والهواء وسائر العناصر ، قد غالى بفوزه ، فأحبَّت الطبيعة ان تنتقم لنفسها : جبل من الجليد انفصل عن البحار المتجلدة وصدم تلك الباخرة فذهب بها وبمن عليها ، فيا لله من انتقام الطبيعة ! وقد كان بين ضحايا هذه الفاجعة رجل من ابناء سوريا هو المرحوم ابرهيم المشعلاني . اخصهُّ بالذكر لأنه كان يتولى ادارة الجريدة التي كانت تصدر في الباخرة يومياً ، وتتلقى اخبار العالم بالتلغراف اللاسلكي . غريبٌ في السوريّ هذا الميل الى الصحافة اينما حلَّ وحيثما وُجد . ولا أُغالي في قولي انهُ اذا كان في العالم الثاني جرائد ومجلات سيكون كتابها في الجنة وفي الجحيم من ابناء سوريا

حافظ بك ابراهيم

هطلت في الاسبوع الماضي على موظفي الحكومة مزنُ الالقاب والرتب السنوية ، فاصابت الرتبة الثانية الشاعر الكبير حافظ ابرهيم ، وكيل الكتبخانة الخديوية . فاصبح حافظ « عزتلو بك » . ولا تسل عن فرح الشعراء وزمرة الادباء ، فانهم استبشروا بهذا الانعام ، وباتوا يؤمّلون من ورائه خيراً وأيقنوا ان ادبهم سيرفعهم يوماً الى اعلى المناصب والرتب ، بعد ما كان عليهم مجلبةَ شقاء ونصَب . لا اعتراض لي على هذا الانعام « الذي صادف محله » كما تقول الصحف عادةً . بل اني اثني مع المثنين على حكومتنا الخديوية التي اخذت تقدر الادباء قدرهم . وسألبي الدعوة التي جاءتني من سليم سركيس وداود بركات الى الاحتفال الذي سيقيمه في الكونتيننتال جمهورٌ من ادباء وادي النيل برئاسة شوقي بك اكراماً للشاعر البك . غير انني

لا ارى رأي الذين يرون ان قدر حافظ قد زاد بتبييكه فهو ، في حكمي وحكم التاريخ ، مجرَّداً عن كل لقب اسمى واشهر منه محلًّى بأعظم الالقاب ، فاذا انت قلت « الشاعر حافظ ابرهيم » عرفه كل الناطقين بالضاد ، واذا قلت عزتلو الوجيه الفاضل حافظ بك ابرهيم » قد لا يعرفه الاَّ بوّاب منزله وفرّاش الكتبخانة . وقد قال لي احد الظرفاء عن الانعام بالرتبة الثانية على شاعرنا « ان شعره رفعه الى الرتبة الاولى ، ولمَّا توظف ، سكت ، فانزله سكوته الى الرتبة الثانية »

الرتب والألقاب

مهما أطنب الانسان بمدح المساواة ، لا يزال في فطرته ميالاً الى علاماتٍ تميّزه عن سائر ابناء جنسهِ ، مشغوفاً بألقابٍ ترفعهُ عن عامة الناس . لأن العامة تُكرم صاحب الرتبة ، وتنظر الى حامل اللقب بغير العين التي تنظر بها الى مَن كان خلواً منه ، حتى رأينا الاميركان أنفسهم ، وقد حظّرت عليهم قوانين بلادهم حمل القاب الشرف ، يسعون في تزويج بناتهم صاحبات الالوف والملايين بحملة الالقاب علّ العدوى تسير اليهم . . . على ان هذه الفئة من الناس قد تكاثر عديدها ، حتى أصبح الامتياز بعدم الحصول على لقب امتياز . يذكّرنا ذلك بكلمة تُروى عن ريشليو الكردينال الوزير على عهد لويس الثالث عشر ، فانهُ لما كان يسعى الى كسر شوكة الأشراف ، اخذ ينعم بالقاب الشرف على عامة الناس حتى يساويهم بغيرهم ، وقد قال مشيراً الى ذلك : « سأجود بالالقاب على معظم الرعية ، حتى يصبح من العار ان يحمل الانسان لقباً ، كما يصبح من العار عليهِ ان يكون بلا لقب . » وقد اتفق في الأيام الاخيرة ان كاتب ادارة « الزهور » أردف في عنوانٍ كتبهُ اسم أحد اعيان البلاد بلقب « بك » فورد على الادارة كتابٌ من الوجيه المذكور يطلب فيهِ استبدال البكوية بالافندية « رجوعاً الى الحقيقة » . ولعمري انها لمأثرة تُذكر في هذه الأيام حيث اصبح منتحلو البكوية والبشوية لا يحصرهم عدٌّ

قليلٌ من السياسة

يعلمُ الله أني لا احب السياسة ولا أنا منها ، وقرّائي ايضاً يعرفون ذلك . واذا كان قلمي يخط عنها اليوم كلمةً فلعلاقة بينهـا و بين مشتركي « الزهور » : في بلاد السلطنة العثمانية حزبان سياسيان — الاتحاديون والائتلافيون — ولكليهما خطةٌ ورجال . واذا كنتُ أنا — لجهلي بالسياسة — لا ارى بينهما الاّ الفرق الذي يراه اللغويون بين « اتّحد » و « ائتلف » فالظاهر انه يوجد هناك في الواقع فرقٌ عظيم جداً ، بدليل تلك الحرب الطاحنة التي شبت نيرانها إبّان الانتخابات ، فدارت فيها الدائرة على حزب الائتلاف ، وكانت النتيجة اقفال صحفٍ كثيرة ومحاكمة او نفي صحافيين عديدين . أما علاقة هذه الحوادث بهذه المجلة ، فهي أن « للزهور » في بلاد السلطنة مشتركين ، وهم لا يخرجون عن أن يكونوا من رجال أحد الحزبين ، لأنهم والحمد لله من قادة الافكار وزعماء القوم . فرأيناهم ، بعد انجلاء المعمعة ، فريقاً منهم في مجلس النواب متربعين ، وفريقاً آخر في طي السجون معتقلين

قضية قديمة

بين الإله الخلاّق ، وجماعة العشاق ، قضية قديمة : خلق الله لهم من جهةٍ كل حسن مليح ، وخلق لهم من جهة ثانية أعيناً تنظر وقلوباً تخفق. فحدث بين الفريقين نزاع — ويا له من نزاع ، على ما يقول فرسان هذا الميدان — كانت نتيجته دائماً أبداً شؤماً ووبالاً على الفريق الثاني غالباً كان او مغلوباً . فأصبح لسان حاله ينشد :

ما بين معترك الاحداق والمهجِ　　أنا القتيل بلا اثمٍ ولا حرجِ

وقد تطوّع الشعراء منذ القديم للدفاع في هذه القضية ؛ كيف لا وهم من عبّاد الجمال ، وحارقي البخور على مذابح الحُسْن. أنا لا أحاول التحيّز الى أحد الخصمين بل احافظ على موقف الحياد . فقد عرفتهُ أربح لي وأنفع . ولكني سمعتُ في هذه القضية مرافعات لطيفة دوّنتهـا لقرّائي لأنهم يحبون الشعر الجميل ، وناقلُ الكفرِ ليس بكافر . . . من جبل لبنان جاءنا هذان البيتان لأمين ناصر الدين :

جعلتَ يا ربِّ هذا الحسن واسطةً   نلقى بهـا الهمّ أشكالاً وألوانا
إن شئتَ فاخلق وجوه الغيد أجمعها   شنعـاء او فاخلقِ الشبّان عميانا

وفي وادي النيل أنشدنا طانيوس عبده :

لا تظلمي دَنِفاً ذابت حشاشتهُ   فقد عطفتِ عليهِ قبلُ أحيانا
أو كان شأنكِ شأن الله متّعنا   بكلّ ما قد نهى عنهُ وجازانا

بليغٌ والله دفاع الشاعرين ! وهو جديرٌ بأن يُضمَّ الى دفاع من تقدمهما فقال :

إلهي ليسَ للعشّاق ذنبٌ   لأنك أنتَ تبلو العاشقينا
فتخلق كلّ ذي وجه مليح   بهِ تسبي عقول الناظريـنـا
وتأمرنا بغضّ الطرف عنهُ   كأنكَ ما خلقتَ لنا عيونا

وما دام المجال منفسحاً أمامي في هذا الجزء ، لا بأس عليَّ من ايراد أبيات وردت على ادارة « الزهور » من ناظمها محمود أفندي الناظر ، وهي لا تخرج كثيراً عن هذا الموضوع . قال موجّهاً السؤال الى خليل مطران :

أتنجلي في النهـارِ   محجوبة الأقمـارِ
أم تلك سرب ظبـاءٍ   كرهنَ سكنى القفارِ
جاءت تصولُ علينـا   بأعين كالشفـارِ
بالقدّ كالغصنِ لدناً   والخدّ كالجلّنارِ
قد كنتُ من قبل جلداً   واليومُ عزَّ اصطباري
ان دام واللهِ هـذا   فسوف ألقى تباري
فيا « خليل » أجبني   كيما يقرّ قراري

وزار خليل ادارة « الزهور » ، فعرضت عليهِ الأبيات ، فكتب للحال تحتها :

« محمودُ صبراً على ما   لقيتَ في الأقمـار
وفي الظبـاء الجوافي   وهنَّ أنسُ الديارِ
لا يكمل الحبُّ ما لم   يَجُزْ مدى الاصطبارِ »

فصبراً اذن أيها المحبّون حتى يبلغ حبكم حدّ الكمال . ماصر

ثمرات المطابع

ليالي الروح الحائر[1] — قرأتُ هذا الكتاب من البسملة الى « تمَّ طبعه » وأنا بين أرقام اعالجها في ديوان ، وصفحاتٍ اسوّدها في عزلة ، فكنت اصل أناءَ نهاري بأطراف لياليه ، وأحار مع الروح الحائر حيرة مصطفى كامل في امر مصر ، والشاعر الحرّ في اخلاق العصر

قرأته وملئ نفسي السرور والاعجاب بأسلوبه العصري الجديد الموفَّق فيه بين سموّ الخيال ودقة الشعور وشدَّة اللهجة من حيث المعاني ، وبين حسن الرصف وسلاسة التركيب وانتقاء الالفاظ (الاَّ نادراً) من حيث المباني

وما لاح لي فجر الليلة الخامسة عشرة من لياليه وهي الاخيرة الاَّ وقد لاح لي انه كتاب سياسي فاجتماعيّ فأخلاقيّ بأغراضه ومراميه ومغازيه ، وديوان شعريٌّ أشبه بليالي ألفرد دي موسيه على خلوّه من بيتٍ واحد يأوي اليهِ الروح الحائر . فأسلوبه أسلوب النثر الشعري ، او الشعر المنثور ، وهي طريقة جديدة تجري عليها أقلام نفر قليل من كتَّابنا المصريين ، وأظن أوّلَ من حببها الينا الشاعر الفيلسوف اللبناني امين الريحاني ، وما « الأجنحة المتكسرة » لجبران جبران الاَّ شوط في هذا المضمار بعيد ، أودُّ لو جاراه فيه غير واحد من المتبارين في حلبة الأدب

يقع الكتاب في ١٩٢ صفحة وليلة « شعر الأرواح » واقعة في الصفحة

---

(١) طبعتهُ مكتبة التأليف

المئة والخامسة اي نحو منتصفه ، وتتلوها ليلة « أناشيـد العلا » فليلة « الوداع » وهي مسك الختـام . ومَن قرأ « بسمة الربيع » ص ١٠٧ و « أغنية الروح الحزين » ص ١١٢ فأغنية النار فعروش الجبابرة لم يشكّ في انه يقرأ شعراً هو كل الشعر لولا انه غير مقفّى وغير موزون — استغفر الله — بل هو كل الشعر لأنهُ طليق من هذه القيود . ولئن كان للشاعر الناظم بحور يجتازها بما عنده من اصول سلك البحار ، فان للشاعر الناثر أجنحة يرفرف بهـا فوق بحار المعاني حرًّا مطلقاً ، وأخلق بهِ ان يكون أقرب الى ربَّة الشعر وأحب اليهـا . ولنرجع بعد هذا الاستطراد الى « أناشيد العلا » فأقول انها ستة فصول مندمجة في ليلة واحدة وأسلوبها يكاد يكون نثراً مرسلاً ، لأن العبارات في الغالب طويلة وغير متقطعة كما في أناشيد الليلة السابقة ، ولكنهُ يسميها أناشيد وقد أصاب في ذلك

فيظهر مما تقدَّم ان نصف الكتاب شعر نثري يجسّ فيهِ الكاتب أوتار النفس فيثير عواطفها بما يُشعرها بجمال الطبيعة فيطربها ، او بحقيقة البشر فيؤلمها

ولنرجع الى صفحة ١٠٥ وما ازاءها ووراءها فننتهي حيث كان يجب ان نبتدئ لولا ان ما يتراءَى حول سطور الليلة الأولى ولواحقهـا من اشواك السياسة وقتاد الانتقاد قد يخنق قلماً رطباً لم يجرِ (ولن يجري الى حين) الاَّ في مثل صفحات « الزهور » . فاذا رجعنا الى تلك الصفحة وهي الى اليسار ونظرنا ذات اليمين وقعت العين على سؤال يلقيهِ صاحب الليـالي على الروح الحائر وهو : وهل أحببتَ هـذه ؟ سؤال يتوارى

الروح بدون ما جواب عليهِ ، وبتواريهِ تختم الليلة الثانية عشرة وعنوانها « الفاكهة المحرَّمة » وموضوعها الحب . والحب موضوع الليلة السابقة ايضاً وعنوانها « الاخوات الثلاث » اما علاقة هذه الليلة بطريدتها فهي على ما يلوح لي حبية شعرية لأنها تبتدئ بذكر الحب (بمعنى الصداقة هذه المرة) والشعر وعليهما مدار الليلة العاشرة وان كان عنوانها « إشراف النفس على المستقبل » . اما الليلة التاسعة « حيُّ الاموات بلوزان » فليلة على هولها كم أودّ أن أحياها وأموت فيها أو أُحييها وتميتني ، فهي ليلة في مثلها تتنبّه نفس الشاعر ويُجهد عقل الفيلسوف . وما الليلة الثامنة الاَّ نذيرها الصادق . وأخلق بمَن سيحزن أن يحزن قبل وقوع البليّة كما جاء حديث « الحزن الانساني » مقدَّماً على حديث المقابر في هذه الليالي . وما قصتا «الصديق علي» و «نرجس العمياء» اللتان يقصهما الروح الحائر في ليلتين متتاليتين الاَّ بسط آراء اخلاقيـة بالاكثر في اسلوب روائي لطيف. وقد خيّل اليَّ لمح فكرة سياسية خلال أسطر «نرجس العمياء» . اما الليلة الخامسة فعنوانها « حديث الروح المجنون » وهي ليلة سوادهـا من سواد قلب الهيئة الاجتماعية ووجهها . وهي ليلة على قصرهـا من أجمل اخواتها . ولهجة الكاتب فيها شديدة مرّة وعباراتها تشف عن تألم وامتعـاضٍ في النفس . وكذلك الليلة الرابعـة وموضوعها « غرور الناس بالناس »

ولم يبقَ لنا الاَّ ثلاث ليالٍ فنبيت حيث كان يجب ان نغدو . اما الثالثة فقد احياها الكاتب في وصفٍ « علّة الشرق » وهي كما يوحي اليهِ الروح

الحائر « بُغض العظماء » . وقد ذكرني قوله نحو آخرها « واقيمي (يا امم الشرق) لكل كبير تمثالاً » مقالات « الأخبار » وغيره عن تمثال مصطفى باشا كامل

أما الليلة الثانية فهي « حديث بعض الأمم » — امة الهوَز — وما أدراك ما أمة الهوز ، ان لم تكن امة خيالية لو تمخضت بها الليالي لوضعتها على ضفاف النيل ؟

وأما الليلة الأولى (وقد كان البدء بها الأولى) فهي رثاء مؤثر لصديق اسمه مصطفى وهو اسم كامل وان نقصه اللقب . . . ومما أعجبني من بنات أفكار صاحب الليالي (والليالي « من المعاني » حبالى) قوله في الهرم :

« وأرفع بصري مرةً الى قمة الهرم فيغلي دمي في عروقي غيظاً من رافع بنيانه وواضع جدرانه لأن صخوره دموع متحجرة أذرفها شعبٌ شقيّ انجازاً لشهوة ملك ظالم ، فانني لا أنظر الى الاهرام الاّ متألماً لا مُعجباً . . ولكنني اعجب له احتلالاً قديماً كان داخلياً فتحوّل خارجياً . وقد روي لي ان عسكرياً انجليزياً تساق الهرم الاكبر وقد تأبّط زجاجة « وسكي » ولما دارت برأسه انقلب شرّ منقلب ولطّخ تلك الصخور بدمه — وهل تلك الصخور الاّ دماء — لا دموع — متحجرة استنزفها ملك ظالم من شعب شقي ؟

فالكتاب بالاجمال مجموعة آراء الكاتب وخواطره وعواطفه الوطنية والاجتماعية والشخصية جميعاً او جزء اول من هذه المجموعة لأنهُ مختوم بليلة الوداع « الأول » لا الاخير . فعسى ان لا يطول الهجر بين الروح

الحائر وصاحب الليالي ليتحفنا بكتاب آخر على منواله

وديع البستاني

***

روميو وجوليت[1] — عُطيل[2] — لويس الحادي عشر[3] —

في مصر اليوم نهضة فعليـة في التمثيل لا يسع محبي هذا الفن الجليل الاَّ الارتياح اليها والاستبشار بها . فقد توفَّق جورج افندي أبيض — بعد ان درس هذا الفن في باريس على ايمتهِ — الى تأليف جوقٍ عربي متقن لم ترَ مسارحنا العربية له مثيلاً . وشهدت القاهرة والاسكندرية وغيرهما من مدن القطر الكبرى تلك الليالي الشائقة التي أحيـاها جوق أبيض فكان الاقبال عظيماً والرضى تاماً . ولسموّ أمير البلاد يدٌ على هذه النهضة تُذكر بالشكر الجميم لسموّه . وكانت نتيجة هذه النهصة في فنّ التمثيل بروز فئةٍ من كتابنا الى الميدان وإخراجهم لنا سلسلة روايات تشخيصية أدبية تعوّض علينا بعض ما تفقدنا اياه روايات «اللص الشريف» وأمثالها من الحكايات التي تكتب للمتاجرة . . . .

يُعدُّ الروائي الانكليزي شكسبير إماماً في فنّ الروايات التمثيلية ، فلا عجب اذا تبارى كتابنا المجيدون في نقل رواياته الى لغتنا . ومن أشهر تلك الروايات رواية « روميو وجوليت » التي مرَّت عليها العصور ، ولم تُبلِ جدَّتها ، وبرزت على اكثر مسارح العالم ولم تفقد بهجتها . ولدينـا

(١) طبعت في مطبعة « الروايات الجديدة » بمصر　　(٢ و٣) طبعتا في مطبعة المعارف بمصر

الآن نسخة عربية منها بقلم الشاعر المجيد والكاتب القدير نقولا افندي رزق الله ؛ طالعناها فوجدناها محكمة التركيب ، منسجمة الألفاظ ، محلاَّة بأبيات شعرية جميلة من نظم مترجمها المعروف بحسن سبكهِ وسلاسة معانيه ، واننا لننتهز هذه الفرصة لإِطراء رزق الله افندي والثناء على همتهِ التي لا تعرف الكلال فهو من أكثر كتَّابنا نشاطاً وعملاً ومثابرةً على مداعبة القلم

ومن روايات شكسبير المشهورة أيضاً رواية أوتللو Othello أو « عُطَيْل » وهي التي مثَّلها جوق أبيض ، فنالت استحساناً جزيلاً . وقد ترجمها الى اللغة العربية شاعرنا المشهور خليل افندي مطران المذكور في غير هذا المكان من هذا الجزء بين نوابغ العصر في مصر . ولسنا في حاجة الى تعريف القرَّاء بسحر قلم الخليل بل نكتفي بأن نذكر هنا ما رواه لنا أحد المتضلعين في لغة الانكليز ، قال :

« أخذتُ رواية عطيل وقابلتها بأصلها الانكليزي فوجدتُ ترجمة مطران تنطبق على الأصل انطباقاً تاماً فهي كالحسناء وظلها في المرآة » وقد نشرنا مقدمتها في الجزء الماضي من الزهور

ومن الروايات التي مثَّلها جوق ابيض ايضاً رواية « لويس الحادي عشر » للشاعر الفرنسي كازيمير ده لاڤين ترجمها له بالعربية قلم كاتبٍ متفنن وشاعر رقيق عرفه ادباءُ القطرين، عنينا به الياس افندي فياض الذي طالما أتحف مسارحنا العربية بكل رواية جميلة شائقة. وروايته هذه كأخواتها تمتاز بسهولة العبارة مع بلاغتها، وطلاوة التركيب مع متانته شأن « السهل

المتنع » . وفياض يشتغل الآن بترجمة رواياتٍ شهيرة لجوق ابيض ننتظرها بفروغ صبر

هذا ما يسمح لنا المجال بذكره عن هذه الروايات الثلاث . واننا لنعدّها خير ما جاءنا بهِ موسم الأدب في فصل الربيع

جواهر الأدب من خزائن العرب[1] — لمكتبة صادر في بيروت فضلٌ لا ينكر على الأدب العربي ، فهي منذ نصف قرنٍ دائبة على خدمة لغتنا بجدٍّ واستقامة قد كلّلهما النجاح . وهي لا تزال تبحث عن كل نقص في كتبنا المدرسية والأدبية فتسدُّه ، حتى أصبحت الكتب الصادرة من هذه المكتبة الشهيرة ومطبعتها تعدُّ بالمئات . وقد جاءنا منها اخيراً كتاب « جواهر الأدب » وهو يشتمل على خير ما يؤخذ من « خزائن العرب » من مقتطفات ادبية ومقطوعات شعرية . وقد ظهر من هذا الكتاب حتى الآن ثلاثة أجزاء وهو مضبوط بالشكل الكامل . فنثني على همة سليم افندي ويوسف افندي صادر ونغبطهما على توفيقهما في خدمة الأدب والعلم

معنى الحياة[2] — لدينا الطبعة الثانية من هذا الكتاب النفيس لمؤلفهِ اللورد افبري . وقد سبق لنا الكلام مطولاً عن مؤلفات هذا الفيلسوف الجليلة التي ترجمها الى العربية الاديب البارع وديع افندي البستاني فأجاد وأفاد . وان في اقبال القراء على كتبهِ خير تقريظٍ له

(١) يطلب من المكتبة العمومية في بيروت وثمنه ٧ غروش ونصف . وعدد صفحاته ٢٧٢ (٢) يطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه خمسة قروش

ديوان منصور شاهين الغريّب[1] — في الشعر العامي روحٌ شعرية قد لا تجدها في دواوين الشعراء . يعرف ذلك من له بعض الإلمام فيما يسمّونهُ « زجلاً » في مصر و « معنّى » في لبنان . فان الزجّالين وقوّالي « المعنّى » شعراء في فطرتهم لا ينظمون الاَّ عن شعور ولا يقيّدون طائر مخيّلتهم بسلاسل القواعد الثقيلة ؛ فتجيءُ أقوالهم في اكثر الاحيان آخذة بمجامع اللب . ومن الذين اشتهروا بهذا الفن في لبنان منصور شاهين الغريّب . طبع ديوانه حضرة نجله امين افندي الغريّب صاحب جريدة « الحارس » البيروتية . وقد طالعنا في هذا الديوان « مطالع » وقصائد ومحاورات تدلّ على قوة سليقتهِ الشعرية

الحياة القومية[2] — هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الفائدة كناية عن عشر مقالات كتبها في « الجريدة » حضرة الاديب امين افندي حمدي في مواضيع اجتماعية يخلق بالناشئة الامعان فيها . وقد ختمت بكلمة طيبة من قلم الاستاذ حفني بك ناصف

وعش خالياً — كثر إقبال قرّاء العربية في هذه الايام على القصص الخيالية . وهذه رواية من الروايات التي تستحق التفاتهم . ترجمها الى العربية الاديب الياس افندي منّسى الذي سبق ونقل الى العربية اشياء كثيرة عن آداب الافرنج

الإقدام — جريدة يومية ادبية سياسية بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً في السنة تصدرها في الاسكندرية حضرة السيدة الغيورة على الأدب

(١) مطبعة جدعون بيروت (٢) مطبعة « الجريدة » في مصر ثمنه ٥ قروش

البرنسيسه الكسندره افرينوه ويتولى رئاسة تحريرها صديق « الزهور » الكاتب الشهير ولي الدين بك يكن ويودعها من نفثاته الشائقة ما هو مأثور عنه في فني المنظوم والمنثور ، فلا عجب اذا اكتسبت « الاقدام » على حداثة عهدها مقاماً يُذكر بين الصحف الممتازة

المجلة المصرية La Revue Egyptienne — مجلة جديدة تصدر باللغة الفرنسوية في القاهرة لمديرها الموسيو بول تريبيه Mr. Paul Tribier ورئيس تحريرها الموسيو جاك دوبفر Mr. Jacques Dopffer . جاءنا منها العددان الاول والثاني فألفيناهما حافلين باللطائف الادبية والمباحث العلمية مما يتعلق بمصر وشؤونها المختلفة . ولا شك في ان هذه المجلة ستصادف انتشاراً واسعاً لما عُرف بهِ صاحباها من التفنن في الكتابة والغيرة على الشرق والشغف بالبحث في احواله . وهي تصدر مرتين في الشهر وبدل اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً

صدى البرق — جريدة اجتماعية ادبية انتقادية تصدر في بيروت . صاحب امتيازها الشيخ اسكندر العازار ، ومديرها المسؤول عزت افندي الجرّاح ، ورئيس تحريرها بشاره افندي الخوري ، صاحب جريدة « البرق » المعروفة في عالم الادب والتي احتجبت عن قرّائها المولعين بها بأمرٍ من المجلس العرفي . فنحن على ثقة من ان الإقبال الذي لاقاه « البرق » سيلاقيه « صداه » بفضل محرره صاحب الجولات الصادقة في ميدان الكتابة



منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس — يوليو (تموز) ١٩١٢ — السنة الثالثة

الجنايات والاجتماع

ان للاجتماع أمراضاً كما للجسم الحيّ . وهي كأمراض الجسم الحيّ إما مستوطنة وتسمى جنايات وجرائم ؛ واما وافدة وتسمى قلاقل وثورات . وأسبابها كأسبابها اما متمة واصلة وهي في أحوال الافراد الخاصة . واما مُعدّة مهيئة وهي في نظامات الاجتماع نفسه كما هو الحال في الجسم الحي. فالجنايات كالامراض نفسها لا تقع الا اذا توفر لها هذان العاملان : احوال خاصة في الافراد ، واستعداد في جسم الاجتماع

وسياسة الاجتماع كطبابة الجسم الحي: رادعة توجَّه الى الجاني كما يداوي الطب المريض ؛ ومانعة او واقية تمنع أسباب الجناية لوقاية المجتمع منها قبل وقوعها ، كما يمنع الطبّ المرض بمقاومة أسبابه بعلم حفظ الصحة المعروف بعلم الهيجين

فساسة الاجتماع يقاومون الجنايات بالشرائع المسنونة ، وهي كالطب الشافي للأمراض . ويحاولون منعها بالنظامات الموضوعة وهي كالطب المنعي الواقي من الامراض . وكما ان طبابة الاجسام الشافية والواقية

تتوقف على تعرُّف طبائع الجسم الحي وطبائع الامراض التي تفتك بهِ ودرس الوسائل النافعة ، كذلك سياسة الاجتماع الرادعة والواقية تتوقف على تعرّف طبائع المجتمع وطبائع الجناة ودرس الشرائع والنظامات الموافقة ايضاً . وكما ان الطب البشري لم يقُل كلمته الاخيرة في كل ذلك ، كذلك الطب الاجتماعي لم يقل كلمته الاخيرة ايضاً

غير انا اذا قابلنا بين الطبين نجد ان الطب البشري تقدم اكثر جداً مما تقدم الطب الاجتماعي . فشفاء الامراض صار أسهل مما كان في الماضي وصارت طبائعها معروفة اكثر كذلك . واذا كانت صناعة الطب لم تتقدم كل التقدم المطلوب في شفاء الأمراض حتى الساعة ، لكنها تقدمت كثيراً في علم الوقاية منها . فان علم حفظ الصحة يكاد يكون قد ألمَّ بكليات نواميس الامراض وكيفية تولدها ووسائل منعها . وقد تمكن من حصر كثير منها . وفي بعض البلدان تمكن من منعها اصالة لان الطب البشري سار مع العلم سيراً حثيثاً وجنباً لجنب . واذا كان لم يتمكن من منعها بتاتاً فليس من نقص في علمهِ ، بل من صعوبات اخرى تعترضهُ متأتية من نظامات الاجتماع نفسها . فالامراض الوافدة التي كانت تنقضّ في الماضي على اوروبا وتفتك بمئات الالوف من سكانها في زمن قصير كوافدات الطاعون والجدري الاسود والهواء الاصفر والحمَّى التيفوئيدية نفسها حتى خانوق الاطفال المعروف بالدفثيريا قد قلَّت اليوم جداً وزالت منها في بعض الاماكن طبيعتها الوافدة . فاذا كانت اكثر المدن الكبرى في هذه الجهات بلغت الغاية في النظافة بعد ان كانت

مجمعاً للقاذورات وصار السكان فيها اكثر اعتناء من قبل بنظافة مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وملابسهم وأجسادهم ، فالفضل في ذلك للطب الذي عرف كيف يستفيد حالاً من العلم . وسوف تخفّ الامراض جداً وتقلّ ويلاتها كلما اصطلحت نظامات الاجتماع ومكّنت الطب من العمل بقواعد علم الصحة كما هي معروفة له اليوم

بخلاف الطب الاجتماعي فانهُ لم يتقدّم على نسبة تقدُّم العلم اليوم فهو لم يتعرّف طبائع الاجتماع وطبائع الجناة جيداً . وشرائعه الشافية ونظاماتهُ الواقية لا تزال قاصرةً جدّاً عن المقصود وما ذلك الاّ لأن نظرهُ في طبيعة الاجتماع لم يتغير كثيراً عما كان في الماضي ، ولم يتيسر لهُ حتى اليوم تطبيق نظاماتهِ وشرائعهِ على النواميس الطبيعية التي اكتشفها لهُ العلم . والحق يقال ان هذا التطبيق محفوف بالمصاعب لاسباب كثيرة ناشئة عن غلبة تعاليمهِ الدينية والأدبية في شرائعهِ ونظاماتهِ وتأثيرها في طبائع أفراد المجتمع أنفسهم . فاذا كان الطب قد استفاد كل الفائدة من العلم الطبيعي فلأن موضوعهما واحد فلم يكن يمكن فصل أحدهما عن الآخر بخلاف سياسة الاجتماع فهي حتى الآن لا تزال للاسباب المتقدمة باقية في واد والعلم الطبيعي يسير في وادٍ آخر

ولا يستفاد من ذلك ان الاجتماع لم يستفد من حركة العلم اليوم في سياساتهِ فان انكار ذلك مجازفة . فأمراضه الوافدة قلت جدّاً فقلت حروبه وانكسرت حدّة ثوراتهِ وخفت وطأة قلاقلهِ . ولا شك ان الجرائم والجنايات قد قلت كذلك عما كانت في الماضي البعيد . كل ذلك لسهولة

مراسهِ اليوم أكثر من قبل لاصطلاحهِ نوعاً بفضل ما انتشر عليهِ من ظل العلم الحديث

غير ان القلاقل اذا كانت قد خفت وطأتها فهي لم تقلّ اليوم بل زادت واستوطنت كذلك كقلاقل العمّال . واذا كانت الجنايات قد قلت عما كانت في القديم فهي لم تقلّ قلة مطلقة بل ربما زادت كذلك بالنسبة الى ما كانت عليهِ في الماضي القريب لزيادة انتشار العلم وزيادة الشعور بالحاجة معهُ مع بقاء أسبابها . لان الطب الاجتماعي لم ينظر كثيراً في هذه الاسباب واذا نظر فلم يهتدِ كثيراً الى الوسائل الواقية منها أو انهُ لم يحسن تطبيقها عليها . وأسبابها انما هي في نظامات الاجتماع نفسها التي لا تزال حتى الآن بعيدة جدًّا عن توفير التضامن له بتوفير العمل وتوفير المنفعة المتبادلة

فالشارع لم ينظر في الجنايات الاّ الى العقاب فكأن الصعوبات التي تعترضهُ في نظامات الاجتماع صرفتهُ عن تعرّف طبائع العمران للبحث في الوسائل الواقية الى تعرّف طبائع الجناة أنفسهم لتحديد العقوبة . وقد هداهُ العلم اليوم في ذلك كثيراً وخدعه أكثر لأن الاعتماد في العلم على جهة واحدة مضرٌّ جدًّا . فنظر في الامر نظرة عامية هي في مصلحة الجاني أكثر منها في مصلحة المجنيّ عليهِ . اذ نظر الى الجاني كنظرهِ الى المريض المستحقّ غالباً للشفقة والحنان بقطع النظر عن تأثير جنايتهِ في الاجتماع . وهو نظرٌ يوافق عليهِ العلم اذا كان الغرض منهُ توفير عضوٍ من أعضاء المجتمع لنفعٍ منهُ لهذا المجتمع . والاّ فالشفقة في الطب كما في الشرائع يجب

أن تشمل الأهم وهو الجسم الاجتماعي نفسهُ . ولو كانت هذه الشفقة في الشرائع اليوم ترمي الى اصلاح الجاني لحمدنا العمل . والحال ليس كذلك غالباً . لأن وسائل اصلاح الجاني لا يعتنى بها كثيراً في الشرائع حتى اليوم . وكل ما تفعله هذه الشرائع لمصلحة الاجتماع هي أن تحبس الجاني وتكفّ شره عن المجتمع الى حين . وكثيراً ما يضيف الجاني الى عيوبه وهو في السجن عيوباً اخرى يكتسبها من مخالطته لسائر الجناة المحبوسين معه في سجن واحد . فلا يخرج من السجن حتى يعود الى جنايته بجسارة وتفنن لم يكونا له من قبل

فتخفيف العقوبة على الجاني لم تفد الاجتماع بل ذكر بعضهم ان القتل كان يزيد كلما قلّ القصاص بالقتل . وليس في الامر غرابة والدواء على ما تقدم . حتى ولا القتل نفسه يستطيع بالارهاب أن يقلّل القتل عسى أن يستطيع الجاني ان يستغفل نظام الاجتماع وينجو من عقاب مؤجل . ولذلك رأى بعضهم ان يشغَّل الجاني في سجنه حتى يدفع ثمن جنايته فيكتسب عملاً نافعاً ويعوّض على المجنيّ عليه ويُرهَب لطول الاقامة حينئذٍ في السجن . وهو أقرب الآراء الى العدل مهما قام عليه من الاعتراضات. ويلزم حينئذٍ أن لا يقبل عن شغله عوضاً ولو كان ذا مال ويشمل التعويض حوادث القتل التي كثيراً ما يذهب فيها التعويض المدني هدراً فيفقد الانسان عزيزاً له ويفقد معيِّلاً كذلك

على ان الجاني نفسه مظلوم ، وظالمه نظام الاجتماع نفسهُ سواء عن جهل لقلة انتشار العلم او عن حاجة لقلة توفر العمل او عن مرض لتطرّق

ذلك اليهِ بالوراثة المكسوبة هي نفسها من الاجتماع . والشرائع التي تعاقبهُ كأنها تعاقب بهِ جهلها في تطبيق نظاماتها على حاجة العمران والتي كثيراً ما يكون الجاني المزوم فيها أنبل جداً من الذين يحرجونه ويسترون جناياتهم بالخبث ؛ فما دامت تعاليم الاجتماع لا تتمشى على قواعد العلم الحديث فتضع العمران في مقامهِ الطبيعي وتعتبره ُ جسماً حياً كسائر الاحياء وتطلق عليهِ نواميسها الطبيعية فمن المستحيل ان تهتدي الى إحكام الروابط بينهُ . وما دامت نظاماته لا توفّر له النفع المتبادل فيصعب جداً ضبطهُ ولقد صدق القائل: « ان توفر أسباب الثروة فى بلاد لمن أفضل اسباب تقليل الجنايات فيها » . فالناس فى كل أمورهم دنيا وآخرة انما هم يقتتلون على رغيف

الدكتور شبلى شميل

الحزم

الرجال ثلاثة : حازمٌ ، وأحزم منهُ ، وعاجز . فالحازم من اذا نزل بهِ الأمر ، لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم تعيَ بهِ حيلتهُ ومكيدته التي يرجو بها المخرج منهُ . وأحزم من هذا ، المقدامُ ذو العدّة ، الذي يعرفُ الابتلاء قبل وقوعهِ فيعظّمهُ إعظاماً ، ويحتال له حيلةً ، حتى كأنهُ قد لزمهُ ؛ فيحسم الداء قبل أن يُبتلى بهِ ويدفع الامر قبل وقوعهِ . وأما العاجز فهو فى تردُّدٍ وتمنٍّ وتوانٍ حتى يهلك

(ابن المقفّع)



رجل الدم والحديد

« نابوليون بونابرت »

ذلك الجبار الطاغية ! رأيته مضطجعاً ضجعتهُ الأخيرة وقد أخرس الموتُ لسانه وأبطل القبر صوته

جرّد سيفه فأقلق الكون ، وتمادى في جبرؤته فازعج السموات . وضع قدمه اليمنى على « اهرام » مصر ، واليسرى على « كرملين » القيصر ، ثم صاح باور باّ صيحة مرعبة ، فكان لزئيرهِ دويٌّ ضجّت له الأرض ، وهلعت له الكائنات

رجل الدم والحديد !

كان يرى العالمَ كما يرى النسرُ النملة من علوّهِ الشاهق . هدم « الباستيل » ؛ ليطلق منه الأسرى ؛ ثم بنى على انقاضه باستيلاً آخر ، سجن فيه العالم أجمع . وكان السعد يخدمه ، فنصره في « اوسترلتز » ، وعقد له الظفر في « مازنجو » ، وحالفه في الاهرام . فاما رأى الله طغيانه ، قال : ليس حسناً أن يبني هذا النسر عشّهُ في الجوّ لئلا يقلق السماء ؛ هلمّ نترل ونضرب به فلا يُزعج الكائنات !

وكان ظلّ ذلك الجبار يُلقي رعباً على المسكونة ؛ وكلما رفع يده ، تلمّس اوربا رأسها ، لترى هل هو بعد على عنقها !

لو ولدت فرنسا بونابرتاً آخر لاضطرّ اللهُ ان يتجسّد مرة أخرى لانقاذ العالم من شرّه وطغيانه . ألم يحفر جهنماً اخرى في الأرض ، ليدفن فيها

اوربّا ؟ ألم يستوِ على عرش مصنوع من عظام القتلى ، ومصبوغ بدمائهم

وكان الفضاء مملوءاً بدويّ مزعج : انين الارامل وبكاء الثواكل ، وعويل النادبات ؛ من ساحة « اوسترلتز » الى براري « موسكو »

ثم حدث بعد ذلك سكوتٌ طويل ، لأنّ الكائنات حبست انفاسها لتنظر الى شبح ذلك الطاغية . ونادى المرّيخ ابنه فقال « تقلدّ سيفك ، أيها الجبار، ولا يغرّك نجم سعدك ؛ فان بعد « اوسترلتز » ، «موسكو» ؛ وبعد « مارنجو » ، « واترلو » !

وكانت « ألبا » تتثاءب ، « والقديسة هيلانة » تفتح ذراعيها ؛ وقد بدأ الشهاب المذنّب بالسقوط من علوّه الشاهق ، فترك وراءه خيطاً ضئيلاً كان يضعف كلما اقترب من الافق

ولاحت في ذلك الافق غمامة سوداء بقدر كف اليد ؛ ثم أخذت تكبر وتعلو ، الى ان صارت تهدد ذلك النجم اللامع

ولمح « نابوليون » تلك الغمامة ، فأراد ان يموت كما تموت الجبابرة . فصاح بالكائنات صيحة مرعبة من على قمة الاهرام وقال « ايها الجنود ، ان اربعين قرناً تنظر اليكم من قمم هذه الاهرام »

ثم مرّتِ الايامُ ، وذلك النسر يبسط جناحيه على المسكونة ؛ وكان خفوقهما يقلق العمالقة في قبورها ، ويلقي هلعاً في قلوب البشر

الاّ انّ لكل « جليات » داوداً

في ذلك اليوم سخر نابوليون من « ولنتون» . فأجابه ولنتن : «غداً نلتقي في واترلو ! »

وكان « نبتون »، اله البحر، يُعدّ سفينة لنقل « جليات » الى جزيرة القديسة هيلانة. وتنفّست ارامل اوربا، لأن الله نهض لينتقم لدمآء ازواجهنّ، ويلجم ذلك التنّين!،

أما نابوليون فظلّ يحلم. رأى كل شيء، ما عدا « ألبا » و « واترلو » وضاع عليه في الخارطة موقع القديسة هيلانة. لو درى بها يومئذٍ، لأخسفها في قعر البحر، وجعل مَن عليها أكلاً للتنانين العظام. ولكن « لوياثان » كان يحرسها ويدفع عنها صدمات الجبار

ولما سقط ذلك النسر، أقلته السفينة الى الباستيل المعدّ له واعتقلته بين أزرقين — مآءٍ وسمآء. وتنفست أوربّا، لأن حملاً ثقيلاً أُزيح عن صدرها؛ واصبحت صروح اللوفر والتويلري تصفر فيها الريح

***

هوذا اليوم يرقد رقدته الأبدية — عظيماً في موته كما في حياته — والنفس تهيّب الأسد ولو كان جثة هامدة

ألا نمْ يا صاحب الجبروت! لقد احسنت بموتك الى العالم، فهل كفّرت عن ذنوبك الى الله؟ انت تطلب المجد حتى في القبر؛ لذلك تنام في حفرةٍ عميقة حتى يكون كل من ينظر اليك حاني الرأس

أنت في حفرةٍ ترى القوم حوليـ ـها خشوعاً فكيف لو كنت حيًّا
ليت شعري وقد نزلت برمسٍ من لُلك الدنيـا تركتَ وصيًّا

***

فسلام عليك يوم طواك الـ ـقبر ميتاً ويوم تُبْعَث حيًّا

سليم عبد الاحد

دمعة الروح

« على المغرد الصامت »

« كان لي كنار صغير أحببته بكل »
« ما في فؤادي من الحب . دنوت من »
« قفصه في صباح ذات يوم فوجدته ميتاً »
« فبكيته وندبته »　　— مي —

ما أسرع ما تمزق أثواب الورود ، وما أتعس القلوب الشديدة التأثر !
يمرّ النسيم العليل على الأزهار النضرة فتتمزق بوطئه اللطيف اثوابها وتنتثر وريقاتها . هكذا يكفي لاستمطار العبرات ان يلامس الألم بأطراف بنانه أثير الروح الموحدة . وما الدموع الهاطلة من الاجفان الاّ حسرات قديمة كامنة في طيات الفؤاد ، أوقدت شعلتها يد سوداء — يد الكذب والافتراء ، وقد زاد الانفراد والتأمل في اشتعالها

من الرجال من يكتفون بالوجاهة والمجد والفخر ، ومن النساء من لا يفهمنَ الحياة الا بالزينة والغنى وارتفاع القدر

اما انا فلا هذه العطايا تغرّني ، ولا تلك المواهب تستهويني . شيء واحد جميل في نظري وهو ما يشترك في تركيبه قسم كبير من الفكر وقسم اكبر من القلب . شيء واحد ينبه اعجابي ، وهو ما كان مترفعاً عن الصغائر والدنايا — هو زهرة نادرة المثال غرستها يد الوفاء في حدائق الاخلاص الصافي، شمس الذكاء والمعرفة تحييها ، ومياه العواطف السامية العذبة تسقيها

ما أتعس القلب الحساس وما ألينه لاستحكام الجروح في ثنياته ! !

***

طائر صغير نسجت اشعة الشمس ذهب جناحيه ، وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة في عينيه . ثم سطت عليه يد الانسان فضيّقت دائرة فضائه وسجنته في قفص كان بيته في حياته ونعشه في مماته

طائر صغير أحببته شهوراً طوالاً . غرّد لكآبتي فاطربها . ناجى وحشتي فآنسها . جاور روحي فآخاها . غنى لقلبي فأرقصه ، ونادم وحدتي فملأها ألحاناً

امتزج ذكره في دقائق حياتي فأصبح عندي بمنزلة صديق لا تصانني به اللغة ولا يقربني منه التفاهم الروحي ؛ بل يعزه اليّ حضوره الدائم وان لم يبالِ هو بحضوري ، وصوته الرخيم وان لم يغرد الاّ لأن التغريد من طبعه ، وسروره الذي لا يعرف الكآبة ، واصطباره على ضيق الفضاء واقتناعه بما قدّر له من النور والهواء

عندما كانت تبكيني الآلام كنت أريه منديلي مبللاً بالدموع فيعرض عني . ان الدموع تعقب ظلمة الاحزان كما يعقب الندى ظلام الليل ، وروح الطيور نور مغرّد فكيف يفهم النور الظلام ؟

كنت أنظر اليهِ مشيرة بأصبعي الى الاثير البعيد لعلي أرى منهُ زفرة تنبئني عن لوعة في قلبه غير انهُ كان يقمز على قضبان عشه الصغير غير مبالٍ بي كأنهُ يقول : « النور لا ينظر الى الشمس والقلب لا يحدق بالروح لان كليهما واحد . أنا لا أنظر الى الأثير لأني نقطة منهُ . اني أسكنهُ وان بعدت عنهُ ، كالشاعر الذي يظل جوهر نفسه سابحاً في سماء الجمال وان خاله الناس جالساً بينهم مصغياً الى أحاديثهم »

واذ كنت آتيهِ بالأزهار نازعة عنها وريقاتها فارشة بها أرض القفص لعلي أرضيه كان يدوسها باهمال متابعاً تغريده ، كأنهُ فيلسوف لا يكترث للصغائر وان كانت جميلة المظاهر ، ولا يعمل في حياته الا بما يشغل أفكاره وينبه قوى البحث والتنقيب في فؤاده

في الصباح كنت أفتح عيني فيستقبلني بالغناء وتسيل موسيقى ألحانه على قلبي فتذيبه وتسكره في آن واحد

كنت أجلس للدرس والتحبير فتشمئزّ نفسي أحياناً من عبوسة الكتب ، ويثقل قلمي في يدي كأنهُ صولجان تنازل عن ملكه ، فيأخذ كناري في الزقزقة والتغريد وتأتي جماعة طير من الخارج وتضم تغريدها الى تغريده كما تمتزج الالحان في طيات الامواج . فتبتسم الافكار على صفحات الكتب امام ناظري ، ويترنح اليراع بين أناملي ، ويتمايل تمايل الصفصاف بقرب الغدير ، وتنجلي الغيوم عن فؤادي وتطرب روحي

وفي المساء كان يصمت الكنار اجلالاً لقداسة الظلام فيخفي رأسه بين جناحيه ويجمد جمود المفكّر . اذ ذاك تأتي بنات خيالي محلولة الشعر وورد الابتسام مزهر على شفتيها ، ومصباح الشعر متقد في يمينها . فتعقد حلقة وتدور راقصة حول أحلامي ، وتغني أناشيد على ألحان سرية كأعماق اللجج ، أناشيد غريبة لم يسمعها الا خيال روحي المتموج بين تلك العذارى الراقصات ، ولم أفهمها الا بحاسةٍ سادسة تولد في قلب الشاعر في ساعات الوحدة والكآبة . بينا ملوك الجوزاء تطل من أعالي علاها ناظرة اليَّ من نافذتي ، والكنار يرقبني بعينيه المخفيتين تحت جناحيه الذهبيين

***

والآن انظر الى القفص !

لقد صمت الطائر المغرد ، والشعاع المحيي تجمد ، فلا ترى في القفص الاّ قليلاً من الشمس المائتة !

مات الصغير المغرد ، مات صغير حشاشتي !

مات قبل غروب الشمس وقبل انقضاء الربيع ، ولا يبقى في نفسي الاّ أثر من ذلك اللحن البديع !

شعاع ذهبي اطل حيناً واختفى في كبد الآفاق

ابتسامة نور أشرقت وما لبثت أن تبددت

نور فكر ضاء ثم اضمحل في لجج العدم

وردة أثير تنفست فعطرت واسكرت ثم ذبلت

نغمة حب تموجت ساعة ثم تلاشت في هاوية السكينة

صديق صغير غرد فاطربني وسكن بجوار روحي فآنسني ولما آلم قلبي العالم بدناءته وكذبه غنى طائري فانساني قباحة البشر وغشّهم وجعلني أفكر في كل حسن بهي

هذه قيثارتي فقدت أحد أوتارها فناحت بلابل أنغامها

فما أتعس القلوب الشديدة التأثر ! وما أكثر مرارة الجرح الصغير الذي يفتح جراحات كبيرة !!

مي

مشاهير علماء نجد

في النهضة الأخيرة

بيّنا في المقالات السابقة ان الذي انهض العلم والأدب في ديار نجد هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سلمان بن علي بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيّب التميمي النجدي الذي تضاف اليه الوهابية . والنسبة هي الى الشيخ محمد لانهُ هو الذي شيَّد اركان هذا المذهب دون ابيهِ لا بل خالف أباه فنسبت الى عبد الوهاب لاشتهار الابن باسم والدهِ ، ولان المسمَّين بمحمد كثيرون ، ولانهُ لو كان سموا بالمحمديين لوقع الالتباس بين المحمديين المسلمين وبين المحمديين الوهابيين فاختار الناس ما يزيل الالتباس

ولما اشتهر الشيخ محمد بعلمهِ وفضله وأدبهِ جاءه عدة رجالٍ ليقرأوا العلوم عليه فاتقنوها وامتازوا بها وألّفوا فيها ثم اصبحوا هم مدرسين لغيرهم من الطلبة فانتشر نور العرفان في ربوع نجد كلها . فمنهم :

١ً الشيخ احمد بن ناصر بن عثمان بن مُعمّر ، قاضي الدرعية في عهد سعود وقد أخذ العلم عن الشيخ محمد

٢ً الشيخ العالم الورع الزاهد عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري قاضي ناحية الوشم في أيام عبد العزيز وابنهِ عبد الله

٣ً الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم في زمن عبد العزيز وابنه سعود

٤ً الشيخ الفاضل محمد بن سويلم قاضي بلد الدلَم وناحية الخرج في عهد الأمير عبد العزيز

٥ً الشيخ الحبر البحر الزاخر عبد الرحمن بن خُمَيّس قاضي الدرعنية

في أيام الامير الخطير عبد العزيز وابنه سعود

٦ً الشيخ الدرَّاكة عبدالرحمن بن نامي قاضي بلد العُيَيْنة ، ثم قاضي الأحساء في زمن الأمير سعيد وابنه عبد الله

٧ً الشيخ الوقور محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل ، ثم قاضي الاحساء في أيام أمارة سعود

٨ً الشيخ الجليل عبد الرحمن بن عبد المحسن قاضي بلدة حريملة وبلدة الزلفى في عهد سعود وابنه عبد الله

٩ً الشيخ الغذّ حسن بن عبد الله بن عيدان قاضي حريملة في زمان عبد العزيز الأمير العزيز

١٠ً الشيخ الفرد عبد العزيز بن سويلم قاضي ناحية القصيم في أيام عبد العزيز وابنهِ سعود وحفيدهِ عبدالله . والشيخ العالم حمد بن راشد العريني قاضي ناحية سدير . فهؤلآء كلهم نبغوا في أيامهم لأنهم اخذوا العلم عن الشيخ محمد رأس الوهابيين وقد طووا بساط أيامهم في عهد الامير الذي ذكرنا اسمهُ أو ثاني الاميرين اللذين ذكرنا اسميهما . وقد قرأ عليهِ العلم غير هؤلاء من الافاضل والادباء ممن لم يولّوا القضآء لأنهم اخذوا على انفسهم تدريس العلم والأدب في ديارهم وسائر ديار العرب بدون أن يتقلدوا وظيفة تتعلق بالحكومة أو الامارة

ومن علماء نجد الذين كانوا في ذلك العهد الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العُيَيْنَة . له من التصانيف : ١ً زاد المستقنع ٢ً شرح المختصر ٣ً شرح الاقناع ٤ً شرح المنتهى . ٥ً حاشية الاقناع ٦ً حاشية المنتهى ٧ً كتاب العمدة وكل هذه الكتب من المؤلفات الدينية والمذهبية الحنبلية

وقد اخذ العلم صاحب هذه التآليف عن الشيخ منصور البهوتيّ شارح الاقناع والمنتهى ، وعن الشيخ احمد بن محمد بن بَسّام

ومن طبقات اولئك العلمآء الشيخ محمد بن احمد بن اسمعيل النجديّ المشهور في بلدة اشَيْقِر . اخذ الفقه عن الشيخ احمد بن مشرف النجديّ ، واخذ عنهُ

كثيرون منهم الشيخ احمد بن محمد بن بَسّام والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان .
وكان الشيخ محمد بن احمد بن اسمعيل المذكور معاصراً للشيخ سليمان جدّ الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الوهاب المذكور

ومن عداد اولئك الفُحول في ذلك الأوان العالم الفقيه القاضي الشيخ سليمان ابن علي بن مشرف جدّ الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب المشهور . وكان سليمان المذكور فقيه عصره على مذهب الامام بن حنبل إليهِ انتهت رئاسة العلم في نجد كما سبقت الاشارة اليهِ . وجميع العلمآء المعاصرين لهُ يرجعون اليهِ في حلّ المعضلات من المسائل الفقهية والتفسيرية والفرائضية وغيرها . ولهُ من التصانيف ١ً و ٢ً كتابان في المفاسد ، ٣ً شرح الاقناع. الاَّ انهُ لما وقف على شرح الاقناع للبهوتيّ أتلف شرحهُ على ما قالهُ بن بشر النجديّ

وقد اخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن مشرف النجديّ وغيرهِ . وأخذ عنهُ جماعة من أكابر العلمآء منهم : ابناهُ الشيخ عبد الوهاب والشيخ ابراهيم، والشيخ احمد بن محمد القصير النجديّ المتوفي سنة ١٠٧٩ هـ = ١٦٦٨ م

ومن علمآء نجد الذين يشار اليهم بالبنان الشيخ حسن بن عبد الله المشهور في بلدة أُشَيْقِر . كان لهُ اطلاع وافرٍ على جميع فنون العلم الدينيّ اذ لهُ تعليقات في جميع مواضيعها . أخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد القصير . توفي سنة ١١١٣ هـ = ١٧٠١ م

ومنهم العالم الفقيه الشيخ احمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير المشهور في بلدة أُشَيْقِرِ . أخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن اسمعيل . والشيخ الفاضل سليمان بن علي بن مشرف . وأخذ عنهُ عدة من العلمآء كالعالم الفاضل الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن عضيب الناصريّ النجديّ

هوءلاء هم أشهر علماء ذلك العصر . ثم حدث ما ثبَّط عزائمهم فتقهقر أمر العلم وأصحابهِ وكان ذلك في سنة ١١٣٣ هـ = ١٧٢٠ م اذ ظهر فيها سعدون بن محمد ابن عزيز الاحسائيّ على نجد وحاصر آل كُثَيّر في العارض وأظهر المدافع من

الاحساء ونزل في عقْرُبا المعروفة وحاصر بلدة العمارية حتى هزلت مواشيهم وأصابتهم اضرار كثيرة . ثمَّ سار الى الدرعية ونهب بيوتها فقتل اهل الدرعية كثيراً من قومهِ وفرَّ العلماء الى بلادٍ يجدون فيها راحتهم . ولما مات سعدون المذكور سنة ١١٣٨ هـ = ١٧٢٥ م عُمِّرت منازل بني هلال ومنازل بني سعيد وآل بني سليمان في بلدة الروضة المعروفة في ناحية سدير . فتنفس العلماء الصعداء وعاد أغلبهم من مَفَرِّهم الى مقرّهم . و بعد ذلك بمدّة ظهر آل سعود في الدرعية واستولوا على بلاد نجد والاحساء والقطيف وعمان والعسير وجبل شمَّر (جبل طيّئ) وانقادت لهم القبائل والبلاد وحصل من أمرهم ما هو مشهور . ورجع العلم الى دياره وانبعث من قبره كما سنذكره بعد ذلك ان شاء الله تعالى

بغداد　　　　سائسنا

أيها القمر

الآن وقد أظلم الليل و بدأت النجوم تنضح وجه الطبيعة التي أعيَتْ من طول ما انبعثت في النهار برشاش من النور النديّ ينحدر كأنهُ قطرات من الأمواج المتلاطمة في بحر النسيان الذي تجري فيهِ السفُنُ الكبيرة من قلوب عشاق مهجورين برَّحت بهم الآلام ، والزوارق الصغيرة من قلوب أطفال مساكين تنتزعها منهم الأحلام ، تلك تحمل الى الغيب تعَباً وتَرَحاً ، وهذه لعباً وفرحاً ، والغيب كسجلّ اسماء الموتى تختلف فيهِ الألقاب ، وتتباين الأحساب والأنساب ، وتتنافر معاني الشيب من معاني الشباب ، وهو يعجب من الذين يسمّونهُ بغير اسمهِ ولا يعلمون انهُ كتاب في تاريخ عصر من عصور التراب

والآن وقد بدأت الطبيعة تتنهد كأنها تُنفّس بعض اكدارها ، أو تُملي في الكتاب الأسود أخبار نهارها ، و بدأ قلبي يتنفس معها كأنهُ ليس منها قطعة صغرى ، بل طبيعة أخرى ، ولله ما اكبر قلباً يسع الحب من قبلة اللقاء الى ذكراها ، ومن

حياة الصبي الأولى الى ما يكون من الجنة أو النار في أُخراها ، إن هذا لهو القلب الذي ترى فيه الطبيعة كتاب دينهـا المقدس فاذا لحق العاشق الذي يحمله بربهِ تناولتهُ وهي جاثية كأنها في صلاة الحزن ثم قبلته ثم قلبته ثم أودعته في مكتبة الابد لأنهُ تاريخ قلب آخر بل هو جزء من الموسوعات الكبرى التي يدوّن فيها الدهر تاريخ النفس الانسانية على ترتيب بعينه تعلّم الناس منهُ أن يبدؤا لغاتهم جميعاً بحرف (الألف) لا لأنهُ من أقصى الحلق . . . بل لأنهُ من أقصى القلب ، بل لأنهُ من أقصى التاريخ ، بل لأنهُ أول اسم (آدم) ذلك العلم الأول في تاريخ الحب

والآن وقد رقَّت صفحة السماء رقة المنديل ، أَبلتهُ قُبَل العـاشق في بعاد طويل ، أو هجر غير جميل ، وتلألأت النجوم كالابتسام الحائر على شفتي الحسناء البخيلة كأنهُ قطرة من الندى تلمع بين ورقتين من الورد . وأقبل الفضاء يُشرق من أحد جوانبهِ كالقلب الحزين حين ينبع فيهِ الأمل ومرَّت النسمات بَليلةً كأنها قِطَع رقيقة تناثرت في الهواء من غمامة ممزقة . وأقبلت كل نفس شجية ترسل آمالها الى نفس أخرى كأنها أحلام اليقظة . ونظر الحزين في نفسهِ والعاشق في قلبهِ ونام قومٌ قد خلت جنوبهم فليس لهم نفوس ولا قلوب . ولبس الكون تاجه العظيم فأشرق عليهِ القمر

والآن وقد طلعتَ أيها القمر لتملأ الدنيا أحلاماً وتشرف على الارض كأنك روح النهار الميت ما ينفكُّ يتلمَّس جوانب السماء حتى يجد منها منفذاً فيغيب . فهلمَّ أبثك نجواي أيها الروح المعذب واطرح من أشعتك على قلبي لعلي أتبيَّن منبع الدمعة التي فيهِ فأنزفها ، إن روحي لا تزال في مذهب الحس كأنها تجهش للبكاء ما دامت هذه الدمعة فيـهِ تجيش وتبتدر . ولكن اذا أنا سفحتها وتعلقت بأشعتك الطويلة كأنها معنى غزلي يحمله النظر الفاتر فلا تلقها على الارض أيهـا القمر فان الارض لا تقدّس البكاء وكل دموع الناس لا تبل ظمأ النسيان ولو انحدرت كالسيل يدفع بعضها بعضاً

أرأيت أيها القمر هذا النهر الصافي الذي يجري كأنهُ دموع السحر من أجفان

هاروت وماروت ويطَّرد بجملته كأنهُ قطعة من السماء هاربة في الارض . وهل ترى في شاطئهِ تلك الشجرة الناضرة الممتلئة بالاوراق كأنها مكتبة يتصفحها الهواء ؟ هذه هي مثال الفلسفة الطبيعية فكل حكيم لا ينبت على شاطئ الدموع الشريفة فهو فيلسوف جافّ كأنهُ مصنوع من جلود الكتب . وما دمعتي الاَّ النهر الذي نبتَّ في شاطئهِ وهي أطهر شيءٍ وأصفاه لأنهـا مخلوقة من ثلاثة عناصر تقابل العناصر السماوية . من الحب الذيُ يقابل عنصر النار ومن اللين الذي يقابل عنصر الهواء ومن البكاء الذي يقابل عنصر الماء

ليس كل مَن عصر عينيهِ فقد بكى . ان البكاء لأشرف من ذلك . وكما يكون الضحك احياناً حركة في الافواه تبعثها العادة كحركة الحواس الغليظة فيضحك المرء وقلبه صامت كذلك يكون من البكاء ما هو حلم الأسى لأن في العين حاسة لا بد من تمرينها أحياناً تسمى حاسة الدموع

وما إن لقيت باكياً الاَّ رأيت وجهه مقبلاً عليَّ كأنهُ يسألني : تُرى من أين يُذبح الانسان اذا كانت دموعه هي دماء روحه ؟ ذلك لأن الدموع لم تعد على طبيعتها دموعاً بل هي علامات الألم او السخط . الألم من المخلوق والسخط على الخالق فهي ألفاظ من لغة العجز قد تكون أفصح منها كلمات السفاه والغيظ والحنق وما اليها

ولكن الباكي بها لا يجد من الجراءة ما يرفع صوته من حفرة الحلق لضعف إحساسه بالذل السياسي او لضعف قلبه بالتقوى التاريخية فيرفع صوت روحه وهي تتكلم من العين

أريد أن أبكي أيها القمر لأنهُ يخيَّل اليَّ ان حقائق كثيرة تغتسل بدموعي وأني لا أكون في حاجة الى البكاء الاَّ حين تكون هي في حاجة الى الدموع . ولقد شعرت مراراً باهتزاز عقلي في تصفح الأسفار ، واضطراب نفسي في متاحف الآثار ، واختلاج قلبي في معابد الطبيعة التي قامت الجبال في بنائها لأنها أحجار ، فما أفدت من كل ذلك ما أفدته من دمعة تفور في صبيبها ، كأنهـا روح عاشق

يطاردها الموت بين يدي حبيبها ، فان في هذه الدمعة ثواب آلامي ، ويقظة الحقائق من أحلامي

وما زلت حائراً في أمر مشتبه لا أُصيب الوجه فيهِ فلا أدري اذا كانت هذه الدموع المتساقطة تنقضُّ من بناء الحياة لينهدّ ، او هي تضاف اليهِ ليشتدّ ، فاني أرى أقواماً يحيون بالدموع وآخرين يموتون بها . ولعل عين الانسان ملئت بالدموع من اصل الفطرة لتكونَ منها خنادق مستفيضة حول الروح فلا يقتحمها الفكر ولا يرى أبداً الاَّ ظاهرها .ولولا ذلك ما بقيت الروح من أمر الله

أولسنا نرى الذين يبكون كثيراً يؤملون ان يدركوا من أسرار الروح كثيراً اذ يرون تلك الخنادق قد أخذت تمجُّ ما فيها فكأنهم بالماء قد غِيضَ وكأنهم بالأمر قد قُضِي

ولكن الانسان ليس إله نفسه فمتى انكشفت أرض الخنادق الروحية ظهرت فيها حفرة القبر وكانت آخر دمعة تجف منها هي دمعة الموت

بَيد أن الحقائق التي تهيء للبائسين ذلك الأمل بكثرة ما تفيض أعينهم من الدمع هي في رأي الناس علم وفلسفة لان الجهل في الانسان لا حد له فكل ما ظفر بهِ عده حداً علمياً . أولا نرى ان أجمل ما في الديانات والشرائع قد تحول الى حجارة البيَع والصوامع والمساجد والأضرحة والمحاكم والسجون وكثير من مثلها حتى صارت هذه الأبنية تُفهم الناس من ضروب المعاني اكثر مما تفهمهم الكتب السماوية في الارض والارضية في السماء

ما لي ولك ايها القمر لا أحب ان أُفيض عليك دمعتي فقد ترى فيها أشعة كثيرة من ألوان الأسرار المختلفة . بل أنا أراها في قلبي وقد اشتمل بها الخيال الحزين . خيال هذا الأمل الذي يسميه الناس (الحب) وتسميه الطبيعة (الحياة المعذبة) لان الناس قد مضوا على ان لا يعرفوا الحقيقة الا باوصافها ولا يعرفوا من أوصافها الا ما يتعرف اليهم من ظاهرها الجميل . اما باطن الحقيقة الذي يحتوي السرَّ المحزن فهذا يعرفهُ من يفهم لغة الطبيعة وما لغتها الاَّ أفعالها . وأنت فاذا أردت

ان تدرس علم البلاغة من هذه اللغة فادرس المصائب والآلام والأحزان انها هي أقانيم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع وانك ان درستها وتدبّرتَ شواهدها الصحيحة التي لم يصنعها رُواتها أصبحتَ أفصح من ينطق عنها في هؤلاء البكم الذين يقرأ احدهم صفحة الزهر بعينين في أنفهِ . . . ولا يستحي الغبيّ أن يقول لك ان في الزهرة معنى جميلاً

فمن أحبَّ ورأى حبيبته من فرط اجلاله إياها كأنها خيال مَلك يتمثَّل له في حلم من أحلام الجنـة . ورأى في عينيها صفاء الشريعة السماوية وفي خدّيها توقد الفكر الإلهي العظيم وعلى شفتيها احمرار الشفق الذي يخيل للعاشق دائماً ان شمس روحه تكاد تُمسي . ورآها في جملتها تمثال الفنّ الإلهي الخالد الذي يُدرَس بالفكر والتأمل لا بالحسّ والتلمُّس فأطاعها كأنها ارادته واستند اليها كأنها قوّته وعاش بها كأنها روحه . فذلك هو الذي يشعر بحقيقة الحب وهو الذي يقول لك صادقاً مصدوقاً : ان كل لفظة من لغة الطبيعة في تفسير معنى الحب كأنها صَلْصَلة المَلَك الذي يفجأُ الانبياء بالوحي في أول العهد بالرسالة

ليس كل ما يعجبك يرضيك ولكن كل ما يرضيك يعجبك فالجمـال الوصفي الذي يقاس بالنظر ويخرج منهُ الفكر بنسبة هندسية جمال صحيح وحريٌّ أن يكون معجباً ولكنهُ على كل حال بناء جسمي كالقصر المشيد الذي يعجب الفقير المعْدَم فيتمناه فان هو صار لهُ خالياً لم يرضه لأنهُ لا يلتحف سقوفه المموَّهة ولا يفترش أرضه الموطأة ولا يلبس جدرانه الموشاة ولا يقتـات من هوائهِ الطلق . أما الجمال الذي يرضي فهو الذي يشفُّ عن صورة روحك بغير ما يخيلها لك ماء الحياة العكر هذا الذي لا يشفُّ عن شيء ولا يزال يضطرب فيجعل شبحك في اختلاطه كأشباح البهائم اذا ضربت في الماء بأرجلها . فترى من ذلك الجمال كأن ملكاً هبط عليك من السماء وفي يده مرآة فنظرتَ فاذا صورتك بعينها ولكنها في يد ملك

وقليل أن يجد الناس مثالاً من ذلك الجمال فكثير منهم يجحدونه ويرونه ضرباً من الوصف الشعري الذي يظهر في خلقهِ وابرازه مقدار ما في الشعراء من روح

الله . وانما يجحد مثال الجمال الكامل من لا يستطيع أن يكون مثال الحب الكامل
واذا كانت المرآة قد علاها الصدأ فكيف يعلوها الوجه الجميل . وكيف تخلص الى
روحك من طين هذه الكأس الزجاجية (المرآة الصدئة) نشوة الجمال ولو سكبت
فيها حور الجنة كل ما في خدودها

ولقد قيل ان قوماً من العرب ترحّلوا عن بعض منازلهم فكان من أنْسَائِهم [1]
قطعة مرآة صقيلة كأنها وجه المليحة التي نسيتها فمرت بها ضبع كأشأم ما خلق الله
قبح طلعة وجهامةَ منظر حتى كأن في وجهها تاريخ الجيف التي اغتذت بها . فوقفت
عليها تعجب من اشراقها وسنائها وما كادت تنظر فيها حتى راعها وجهها ولا عهد لها
برؤيته من قبل لأن الله رحيم ومن رحمته أن لا تعرف الوحوش أنها وحوش وأن
لا تجد أسباب هذه المعرفة . فانقبضت الضبع وزَوَت وجهها وقالت : من شرّ ما
اطَّرحك أهلك أيها المرآة . . !

فجمال هذه الضبع الذي جحدته المرآة كما يجحد الكافر رحمة الله وحسنها الذي
أحالته قبحاً كما يُحيل الطبع اللئيم كل حسنة تتصل به هما أشبه شيء بالعقل والقلب
في المحب الاخرق الذي يحب بحواسه فتجوع روحه وتشبع وتعتلّ بالتخمة ايضاً ...
وكم في الناس من مثل هذه الضبع وكم في الحسان من مثل تلك المرآة

ما احسب الاحساس الاَّ نكتة صافية في القلب تقابل نكتة العين التي يكون
بها البصر فكل ما انطبع في هـذه انطبع في تلك لكي تكون الروح بين مرآتين
فيسهل عليها أن تدرس الحقيقة بالمقابلة فاذا نزل الشاعر الحسَّاس بروضة غناءاحسّ
بقلبه كأنما يخضرُّ بعد يُبس . واذا اطلّ في الغدير الصافي أحسّ بمعنى الماء ينصبُّ
في عروقه . واذا نظر الى وجه الجميلة الحسناء فلماذا لا يحس ان قلبه امتلأ جمالاً حتى
كأنهُ لا يعشق الا شيئاً في نفسه

بلى وأكثر من ذلك فان الشاعر ليكتب عمن يحبها فيرى كأنه ينفخ في كل

---

(١) الانساء ما ينساه القوم المترحلون من هنات المتاع وكان العرب اذا
تحملوا قالوا انظروا أنساءكم

كلمة معنى من الحياة لأنهُ لا يكتب كلاماً بل يخط صورة قلبهِ . والعواطف الحية تبقى حية ولو كانت مرسومة لانها لا تجتمع في شكلها الذي تنتهي اليهِ الاَّ بعد أن تمر في أدوار الحياه فتألفها الأرواح وتصير كاللفظ ما هو الاَّ أن يذكر حتى ترى معناه للذهن ماثلاً

بلى واقد يخيَّل اليَّ أيها القمر الجميل حين أكتب عمن أهواها انك لفظ في ألفاظي تطلع من المداد فاذا قلت « وجهها » فهل تظن هذا اللفظ الذي هو جملة الجمال الا قمراً في الكلام . واذا قلت « ابتسامها » فهل ترى الحروف الاّ الفجر النديّ واذا قلت « هي » فهل ترى الاّ « ضمير » الطبيعة التي تأخذ عنها الانسانية دينها ؟

آه لو تعلم أيها القمر من « هي » !

مصطفى صادق الرافعي

في رياض الشعر

✻ رأي مختبر عاقل ✻

عذيريَ من خُلُقٍ باسلٍ — أحدَّ وأمضى من الذابلِ
صليبٍ على القسر لا يلتوي — اذا غمزتهُ يد الناقلِ
اذا شاقني الأمر صعب النوال — مضيت ولو أنهُ قاتلي
وان حال من دونهِ حائلٌ — مشت أخمصاي على الحائلِ
حديد قوى النفس ذو همة — تضايق في جسدٍ ناحلِ
وأورثنيها فتىً أمثلٌ — وأورثها لفتىً ماثلِ

* * *

بلوتُ الزمانَ وأهل الزمانِ — فخذ رأي مختبرٍ عاقلِ

رأيتُ الملوك اذا أُطلقوا أضرّ من الجارف الغائلِ



داود بك عمون

نفوس الرعايا وأعراضها وأرزاقها أكلة الآكلِ

وُعودهمُ برقهـــا خلَّبٌ　　وأقسامهم ضحكةُ الهازلِ
ولو عقلوا قيَّـدوا نفسهم　　ومن لك بالمطلق العاقلِ
فتلك القيودُ ضمان العروشِ　　توطّدها في المدى القابلِ
حقوق الملوك بتقديسها　　دعاوى على الحقِ للباطلِ
همُ الاجَراء وان تُوِّجوا　　عليهم لنا عمل العــاملِ
وما ميَّز الله أشخاصهم　　بشيءٍ ولكن رضى الخاملِ

* * *

بني الشرق هبُّوا فقد طالما　　زحفتمُ في الدَّرك السافلِ
الى مَ تنــامون عن حقكم　　وتعبث فيكم يدُ العــاملِ
ويظلمكم رجلٌ واحــدٌ　　وأنتم عداد الدَّبى النــازلِ
فدونكمُ العلم فهو المحرّ　　ر والرّق لازمـة الجاهلِ
وخلّوا الديانات طيَّ القلوب　　وكونوا عن الخلف في شاغلِ
ألم تنظروها غدتْ آلةً　　لتفريقِ جمعكم الحـافلِ
ولا ترهبوا الموت فالموت لا　　يؤخرُهُ وَجَل الواجلِ

داود عمون

ان في هذه الأبيات لصورةً معنوية لشاعرها الكبير . ولئن كنا قد اخترناها لهذا الجزء فلأنهـا اشبه شيء بمرآةٍ تتجلى فيها نفس داود بك عمون . ففي الجزء الأوَّل منها وصفٌ ينطبق على الشاعر انطباقاً تاماً ، وفي سائرها أفكار ومبادىء عرفها الناس في هذا الرجل المتقد ذكاءً وعزماً . فهي لمن عرفوا داود عمون ولمن لم يعرفوه صورة عنهُ وعن افكاره « طبق الأصل » وانما نشرناها مع صورتهِ لتكون متممة لها

﴿ زهرة بنفسج ﴾

الدكتور نقولا فياض أشهر من ان يُعرَّف ، فهو الشاعر الذي يسحر القلوب ، والخطيب الذي يسترقّ الألباب . وستتحف « الزهور » قرّاءها تباعاً بما ستجود بهِ قريحة هذا الأديب الكبير . وهذه القصيدة الرقيقة باكورة ما تقدّمهُ اليهم

أهوى البنفسج آية الزَّهرِ　في الشكل والتصوير والعطرِ
وأحبّــهُ في الأرض مختبئاً　وأحبُّهُ في بارزِ الصدرِ
ولكل عــذراء أقدّمهُ　ما دام فيــهِ حياؤه العذري
لكن شجاني منــهُ حادثة　أجرتْ دموع عرائس الشعرِ
هي زهرة بجوار ساقيــةٍ　نبتت وعاشت عيشة الطهرِ
لم تدرِ غيرَ العشب مُتّكأً　وسوى عناق المــاء لم تدرِ
فاستيقظت يوماً كأن بهــا　سكراً وقد شربت ندى الفجرِ
تبكي جوًى وتقول « ما أملي　لو عشتُ خالدةً بذا القفرِ
حسناء لكن لا عيون ترى　حسني ولا من عارفٍ قدري
هلاَّ صعدتُ الى ذُرى جبلٍ　وبدلتُ هذا الكوخ بالقصرِ
فأرى الجديد من الوجود وما　تحوي معاني الكون من سحرِ
وأشارف الدنيــا وأجملهــا　تطوي مناظرها على نشري »
قالت وقام بها الهوى فمشتْ　في القفر مثل ظبــائهِ العُفرِ
والريح تحملهــا وتقعدهــا　وتموج بين الشعر والخصرِ
حتى اذا صعدتْ وما ابتعدتْ　وقفتْ تجيل الطرفَ عن كثْبِ
فرأت بساط العشب منتشراً　تلوي عليــهِ معاطف النهرِ
جاراتهــا في الحيّ نائمــة　حمراً على أعلامهــا الخضرِ

فاستبشرت بالفوز وانطلقت　　تعدو ولا تلوي على أمرِ
وحلا لها السفَرُ البعيـد وما　　حسبت حساب الحلو والمرِّ
الأرضُ موعرةٌ ومحرقةٌ　　فكأنهـا تمشي على جمرِ
ورفيقها هُوج الرياح وقد　　ثارت عليهـا ثورة الغدرِ
ترمي بهـا كل الجهات فلا　　ترتاح من كرٍّ الى فرِّ
حتى أصابت هضبةً فاذا　　فيهـا نعيم العين والفكرِ
من تحتها الجنات مشرقةٌ　　بالزَّهرِ كالأفلاك بالزُّهرِ
والناس والاشيـاء مائجةٌ　　كالبحر في مدٍّ وفي جزرِ
قالت « بدأتُ أرى فواطربي　　لو كنت أبلغ موطىء النَّسرِ
أعلو الى قمم تحجّبهـا　　تلك الغيوم بحالك الستر
فأرى بديع الكون تحت يدي　　وأفضُّ منهُ غامض السرِّ »

* * *

يا للبنفسجة الجميـلة من　　أهوال ما قاستـهُ لو تدري
عزَّ السبيل الى مطامحها　　في مصعد الاشواك والوعرِ
وأصاب أرجلهـا الضعيفة ما　　يُمني الحديدَ الصلبَ بالكسرِ
فتأوَّهتْ ندماً ولو قدرتْ　　رجعتْ على أعقابهـا تجري
لكنهـا داخت وصيَّرها　　خوفُ السقوط كراكب البحرِ
فتشبثتْ بالأرض مفرغةً　　جهد القوى وبقيَّة الصبر
حتى تسنَّمتِ الذُّرى وغدتْ　　في الأوج تتلو آية الشكرِ

* * *

لكنها لم تلقَ وا أسفي　　في الأوج غير جلامد الصخرِ
لا عشب ينبت في جوانبـهِ　　أبداً ولا أثرٌ لمخضرِّ

والعاصفات كأنها اسدٌ في الجوّ تزأر أيما زأرِ
والغيم ساوى في تلبُّدهِ ما بين نصف الليل والظهرِ
لجثت لأوّل مرَّة وبكتْ كالطفل من تعب ومن ذُعرِ
والبرْدُ أفسد لونها كمداً من كلّ مزرَقٍّ ومحمرِّ
فاصفرَّ ذيالك الجبين كما ذهبتْ نضارة ذلك الثغرِ
من قهرها أنَّتْ وقد سُمعتْ وسط الزوابع أنَّةُ القهرِ :
« يا ليتني لم أصبُ نحو عُلًى وبقيتُ بين عرائس الزهرِ »
ثم ارتمتْ ضعفاً وأخرسها شبَحٌ بدا من جانب القبرِ
وتصلَّبتْ أعصابُها ومضتْ بالموت هاويةً الى القعرِ

* * *

مسكينةٌ قد غرَّها شرفٌ هو كالسراب لكل مُغترِّ
ظنت بأن لها العلاء غنى فاذا بهِ فقرٌ على فقرِ
ما كان أهناها وأسعدها لو لم تفارق ضفة النهرِ

الدكتور نقولا فياض

✻ بين فؤادي والجوى ✻

نشرنا للسيد عبد الحميد بك الرافعي شاعر الفيحاء مقاطيع شعريَّة دلَّت على مقدرته في هذا الفن . ونحن ننشر اليوم قياماً بوعدنا صورته ومقدمة قصيدة شائقة له نظمها في مديح آل الرفاعي . وقد أعادت علينا هذه الأبيات الطيبة ذكرى شعراء البداوة المجيدين

أيُّ قلبٍ يا غريبَ المنحنى ضلَّ منّي ويحكم يومَ النوى
هل له يا هل ترى من ناشدٍ هل له من ناشدٍ يا هل تُرى

أحرقَ البينُ بقاياه فمن لي بهِ وهو رمادٌ بالغضا
كلّما هبَّت ريـاح الملتقى خلتُ في ادراجها منهُ هبا
لا أبيتُ الليلَ الاَّ شاكياً كرَّة السهد على جيش الكرى



السيد عبد الحميد الرافعي

واذا مرَّ خيال طارقٌ منكِ يا ميُّ بوهمي وانثنى
قامت الحرب لكِ الله على سوقها بين فؤادي والجوى
والاسى ويلاه من نيرانه قوَّم الأضلاع مني وبرى
ولقد كانت لعَمري قفصاً لفؤادٍ طار في جوّ الهوى

ما درى ان الهوى اشراكه — تقنص الاسدَ ومَن لي لو درى
يا مهاةَ العُرب يحمي خدرها — في صدور البيد أطراف القنا
أنا مَن تدرين لم يخطر على — قلبهِ السلوان او حبّ السوى
غير أني يا ابنــة القوم فتىً — يبذل النفس بتطلاب العلى
حملتــه هذه الدنيــا على — غارب الغربة يجتاب الفلا
في ضواحي الارض أياماً وفي — حاجرٍ يوماً ويوماً بالنقــا
صيَّر الأنجاد أغواراً بمــا — قد برى منها بتكرار السُرى
تتشاكى النوق من أسفاره — وتملّ الارض من ضرب البرا
ولحـكم الدَّور أضحى مثلا — ما انتهى بالسير الاَّ وابتدى
فكأني خاطرٌ ما وسعت — دركه يا سعد أفكارُ الدُّنا
فغدت تجهد في ترديده — فمتى يا دهر ينزاح الغطا
كم ليالٍ يفرق الليل بها — حار في اطباقها بدر الدجى
خضتها كالنجم في غلوائه — اذرع البيد بأخفاف المطا
تتهادى بيَ تيهاً ناقــة — تسبق السهم عن القوس انبرى
قد عراها بعض ما بي فغدت — تملأُ الدنيــا دويًّا بالرغا
كلما أزعجهــا طول الونى — نهَّضتها عزماتي بالحــدا

عبد الحميد الرافعي

✱ الحجاب ✱

احجبي وجنتيكِ عن أعين النا — س فسرُّ الغرام خلف الحجاب
وانظري مثلما يلوح المنارا — نِ اذِ الشمس غُيّبت في الحجاب

خليل مطران

في بلاد الاندلس

الرحلة الثانية [1]

قصدت عاصمة الاسبان هـذه المرة عن طريق غير الطريق التي اتّبعتها السنة الماضية . فبعد ان زرنا نابولي قامت بنا الباخرة الى جنوى ، فوجدناها اكثر جمالاً ونظافة من نابولي ، وهي تمتاز عنها بمحاسن شواطئها ، وكثرة متنزهاتها ، وجمال حدائقها الغنآء ، وأهمها حديقة المركيز دي بلافتشيني وفيها كل اصناف الزهور والاشجار الموجودة في العالم ، وكثير من التماثيل البديعة والرموز التاريخية . وقد شاهدنا فيها اشجاراً كبيرة من ارز لبنان الجميل . وهذه هي المرة الثانية التي اشاهد فيها ارز لبنان العزيز بعد ان شاهدته للمرة الأولى في حديقة القصر الملكي في بلدة الجرانخا في اسبانيا كما سيجيء الكلام عن ذلك . وانهُ ليعزّ عليّ أنه لم يتيسر لي حتى الآن مشاهدة اشجارنا التاريخية نفسها في أعلى تلك القمم الجميلة التي يفتخر لبنان بمحاسنها . وبالقرب من هذه الحديقة التي يقولون عنها انها اكبر وأجمل حديقة في اوربا يوجد قصر جميل وروضة غنآء للشاعر الكبير « ادمون روستان » ولكنهما أقل جمالاً وعظمة من قصره الشهير وغياضهِ ورياضهِ الفسيحة الكائنة في مسقط رأسهِ « كامبو » التي أتينا على ذكرها في مقالتنا السابقة لدى زيارتنا لهذا النابغة في الصيف الماضي

(١) راجع « الزهور » السنة الثانية ص ٢٩٩

ومما تفاخر بهِ جنوى ايضاً جميع مدن اوربا مقبرتها الشهيرة التي تستحق الزيارة لكونها آية في الترتيب والعظمة والجلال وفيها تماثيل وصور بغاية الاتقان والجمال . وهذه المقبرة هي لأهل البلد من جميع الطوائف والملل . ولكل فئة ترتيب خاص بغاية الاتقان والكمال . ومما يجعل لجنوى أهمية كبرى حسن موقعها الجغرافي وجمال شواطئها البحرية التي خصتها بهِ الطبيعة . وهي بلدة عامرة آهلة بالسكان كثيرة المصانع والمعامل أخص منها بالذكر معمل «أنسلدو» الشهير بصنع السفن الحربية

والطريق بين نابولي وجنوى من أجمل الطرق التي يقطعها الانسان في البحار لأن الجزر الآهلة بالسكان ، والجبال الكثيرة الأحراج والغياض تخللها عن قرب على طول المسافة تقريباً

وبعد ان قضينا نحو ٣٦ ساعة في جنوى زرنا في اثنائها بالاوتوموبيل شواطئها الجميلة التي يقصدها السائحون والسائحات من كل جهات العالم للتمتع بجمال مواقعها الطبيعية وطيب هوائها وصفاء سمائها ، قامت بنا الباخرة الى مدينة الجزائر (Alger) ، حيث شاهدنا بمزيد الاعجاب والسرور آثار العمران الحديث وآيات المدنية الفرنسية التي جعلت هذه المدينة الافريقية من أجمل المدن الحديثة . وهي تشبه كثيراً بيروت بموقعها الطبيعي وشكل بناء منازلها ومبانيها على علوّ متتابع . ولكن أنّى لبيروت تلك الشوارع الجميلة التي تسير فيها العربات والسيّارات دون ان يشعر الانسان بأقل ارتجاج او انزعاج . ولكل منزل في هذه المدينة تقريباً حديقة لطيفة تحيط بهِ وتحتوي على أجمل الازهار وأحسن

الاشجار . اما الفنادق الفاخرة التي فيها ، فهي ، وان تكن أقل عظمةً وغنىً من لوكندات شبرد وسافواي وهليو بوليس في مصر ، اكثر جمالاً ورونقاً لحسن مواقعها العالية التي تطل على أحسن المناظر براً وبحراً ولاتساع الحدائق النضرة التي تحيط بها وتساعد كثيراً على انشراح الزائرين الذين يقضون بين اشجارها الكثيفة وأزاهرها الفائحة العبير أطيب الأوقات وألذّ الساعات

وبعد ان تمتعنا بمحاسن ما في هذه المدينة من آثار المدنية والعمران التي قامت بفضل واجتهاد الامة الفرنساوية قصدت بنا الباخرة رأساً الى جبل طارق ، ذلك المضيق المنيع الذي لا يعرف اهميته ومناعة تحصينه الاَّ مَن يُسعِدُهُ الحظ بزيارته . وقد اتفق اننا وصلنا الى جبل طارق في آن واحد تقريباً مع الباخرة كرباثيا (Carpathia) وهي التي أنقذت بعض ركاب الباخرة تيتانيك في تلك الفاجعة المؤلمة المعروفة . وعند تقابلنا حيتها باخرتنا بانغام الموسيقى . وفي سفح ذلك الجبل يوجد بلدة آهلة بالسكان يقطنها اكثر من ٢٥ الف نفس . ولولا ممانعة الحكومة الانكليزية وعدم تصريحها لكل اجنبي بالاقامة اكثر من اسبوع واحد فقط في تلك البلدة ، لكان عدد سكانها ازداد كثيراً . اما البلدة فهي بغاية النظافة والترتيب . والعادات الانكليزية متأصلة فيها تماماً بحيث ان الانسان يحسب نفسه في انكلترا . ومعظم الدكاكين والمخازن يقفل يوم الأحد ، وبعضها يقفل يومي الجمعة والسبت ايضاً . والعربات لا تقدر ان تسير الاَّ خطوة خطوة امام الكنائس ، خصوصاً

عند اقامة الصلاة . والرقص ممنوع تماماً في الملاهي والقهوات ، بحيث انه لا يوجد في البلدة الاَّ محلات للسينماتوغراف فقط . اما القلاع والطوابي والاستحكامات التي تحيط بذلك الجبل ، وخصوصاً المدافع العديدة المحكمة الوضع من داخل تلك الصخور الهائلة ، فحدث عنها ولا حرج . ولا يدلُّ على وجود تلك المدافع في داخل الجبـل الاّ الثقوب العديدة المحفورة في تلك الصخور وأغلب تلك الثقوب مغطى ببعض الأشجار والأزهار ، ولكن عند ما تعكس الشمس أشعتها عليها في بعض ساعات النهار يتلألأ فولاذ تلك المدافع من فوهات تلك الخروق ومن تحت ظلال الاشجار والأزهار . وهناك مرقاة (ascenseur) حربية تصل بين البلد وأعلى قمة ذلك الجبل وتلك الحصون المنيعة لسهولة التواصل وسرعة مناولة الاشياء عند لزومهـا . وبعد ان زرنا ما أمكننا زيارته من جبل طارق ، وتمتعنا بمحاسن حديقتها الغناء التي تعزف فيها الموسيقى العسكرية كل يوم مساءً ، ركبنا باخرة صغيرة أوصلتنا الى « الجزيرة البيضاء » الشهيرة بمؤتمرها الدولي المغربي الاخير ؛ وهي أول الحدود الاسبانية ، بعد ان تنازلت اسبانيا لانكلترا عن حقوقها في جبل طارق سنة ١٨٨٢ . ولهذا الحادث التاريخي تذكارٌ في منتصف بلدة جبل طارق ، وهو عبارة عن بابين كبيرين بشكل قنطرتين ، يمثل أحدهما الحكم الاسباني القديم ، وعليهِ الرموز الملكية الاسبانية ، ويمثل الثاني الحكم الانكليزي مع رموزه وشعاره المعروف « فليخسأ من يسيء الظن (Honni soit qui mal y pense)

ولم تطل مدة اقامتنا في الجزيرة لأنها بلدة صغيرة ليس فيهـا من

الملاهي والآثار المهمة ما يستوقف المسافر ، لا سيما انا كنا في شوق عظيم الى مشاهدة الاندلس الجميلة التي يتحدث بجمالها الركبان ، ويتوق للتمتع بمحاسن آثارها العربية كل شرقي

والأندلس أجمل وأخصب جهات اسبانيا ، واكثرها آثاراً وأجلّها تذكاراً ، وهي بلاد كثيرة السهول والروابي ، قليلة الصخور والجبال . والسير في أرجائها الفسيحة يشرح الخاطر ويسرّ النواظر ، لكثرة مايشاهد الانسان من المروج الخضراء ، وجنائن الفاكهة المتنوّعة الأصناف ، وسهول الزيتون المترامية الأطراف ، وهي تشبه كثيراً بتنسيق مزروعاتها وألوان خضرتها سهول البقاع في سوريا

ولأهل الأندلس عادات خاصة بهم ، ومزايا وأخلاق قومية يمتازون بها عن سواهم . فرجالهم من أشد الرجال ، واكثرهم نشاطاً واقداماً ؛ ولذلك يكثر بينهم عدد مصارعي الثيران الذين يمتازون على أقرانهم في ساحة المصارعة . أما نساؤهم فمن أجمل نساء اسبانيا ، وللجمال الأندلسي شهرة عظيمة في العالم . فهنّ على الغالب طوال القامة ، يقرب لونهنّ الى السمرة اكثر منهُ الى البياض . ومع ذلك فقد شاهدت منهنّ من يُخجل بياض وجوههنّ نورَ الصباح . وللنساء ولعٌ شديد في حب التزين بالزهور ورصفها على الصدور والرؤوس . وللفلّ الأندلسي الجميل الحظّ الاكبر في ذلك مما جعلني أتذكر عفواً حين مشاهدة بعضهنّ قول « خليلنا » العزيز شاعر بعلبك

زانت الرأس بفلٍّ هو بالرأس تحلّى

ما رأت قبلكِ عيني وردة تحمل فُلاّ

أما تلك العيون التي ان رَمت قتلت ، فبسوادهنّ تفاخر الاندلسيات كلّ حسان العالم ، وقد خطر على بالي بعض أبيات للمرحوم الشيخ خليل اليازجي بعد ان كنت قد هجرت ونسيت الشعر وأهله . أما الابيات فهي

بيض الصوارم تفدي الأعين السودا فتلك لا تبتغي للضرب تجريدا

وأسمرُ الرمح يفدي العطفَ منثنياً فذاك لا يبتغي للطعن تسديدا

وأما ذلك الفمُ الصغير الجميل الذي يفترّ عن درر ، ويبسمُ عن أقحوان، فقد نطقت جوارحي عند رؤيته ، قبل أن ينطق فمي بقول بعضهم

وفم كصدري ضيّق لكنّ ذا يحوي اللهيب وذاك يحوي الكوثرا

وأما تلك الأيدي والزنود الجميلة فلا أجد في وصفها قولاً أوفق وأتم مما قال الشاعر :

وزندين لو لم يمسكا بدمالج لسالا من الأكمام سيل الجداول

والاندلسيون أهل كرم وأنس . وقد اقتبسوا من العرب الانفة والمرؤة واكرام الغرباء . ولم تزل الى الآن مآكلهم تشبه كثيراً المآكل العربية ، ودورهم حافظة أيضاً شكلها الشرقي الجميل القديم فكل دار لا تخلو من فسحتين عند مدخل الباب الكبير ، تفصل بينهما قنطرة شرقية الشكل ، وفي وسط الساحة الثانية بركة مياه ، والأزهار مرصوفة من حولها ، مما يجعل للبيت رونقاً جميلاً ويزيد أهله استعداداً حسناً للانشراح وتعاطي كؤوس الراح

والنساء مثل رجالهنّ أهل طرب وأنس . ويمتزن عن باقي النساء

بسلامة القلب وشدّة التأثير . ولكن اذا عاق قلبهنّ بأحد فمن الصعب أن يخلص من أيديهنّ لشدة مفعول الغرام والانتقام في قلوبهنّ السليمة

ومن العادات الخاصة بأهل الاندلس ، والمنقولة طبعاً عن العرب ، ان الشاب لا يقدر أن يقابل خطيبته ولا يكلمها مباشرة الا بعد مرور بضعة أشهر على عقد الخطبة ويجب أن يتردّد في تلك الاثناء الى منزل والدها دون أن يصعد الى الدور الأعلى حيث تكون خطيبته فيضعون له كرسياً في أول المدخل وعروستهُ تكلمهُ قليلاً من نافذة البيت

وفي أيام الآحاد والاعياد — وما اكثر الأعياد في هذه البلاد — عند ذهاب الخطيبة الى الكنيسة يجب على الخاطب أن يتبع خطواتها ، وعليها أن تحاول الإعراض عنهُ وتتظاهر بعدم الرغبة فيهِ . وفي أثناء الخطبة يجب على الفتاة أن تظهر اكثر من ألف مرة عدم رغبتها في الاقتران ، ومع ذلك عند مجيء خطيبها في الساعة المحددة الى البيت يجب عليها ان تطل من الشباك وتكلمه

وسنجيء في مقالٍ آتٍ على ذكر ما نشاهده من احوال الاندلس

(مدريد) نجيب زلزل

من ادارة « الزهور »

هذا هو الجزء الاخير الذي يصدر من « الزهور » قبل عطلة الصيف السنوية . وموعدنا والقرّاء الادباء أول اكتوبر (تشرين الاول) القادم

تربية الطفل

قد يستعمل فريق من الأمهات بعض المشروبات كالجعة لزيادة اللبن . ولكن اللبن الذي تزداد كميته بمثل هذه الوسيلة يصبح رديئاً ويعرّض الطفل لجملة أمراض ؛ ولا يغترّ الانسان بالنمو الذي قد يظهر على الطفل عند ابتداء استعمال هذه المشروبات لأنهُ يكون وقتياً . وكل المشروبات الروحية تفرز ايضاً مع اللبن وتحدث تاثيراً رديئاً كالصراخ والبكاء بدون سبب والقلق في النوم والتشنجات العصبية والضعف العمومي

وعلى كل مرضع ان تتحاشى الدواء بقدر الامكان فلطالما انطلقت امعاء الطفل بالمسهل الذي تأخذه الأم ، دون ان تتأثر هي به ، وطالما كان للمسكنات والمخدرات تأثير أقوى في الاطفال منهُ في الأمهات ، وكم من دواءٍ قوي تناولتهُ الأم فأتلف صحة الطفل ، فيجب على كل مرضع ان تسأل طبيبها الذي يصف لها الدواء اذا كان مؤثراً في الطفل أم لا

الرضاعة والطمث — ينقطع الحيض غالباً اثناء الرضاعة . ولوحظ ان الحيض يظهر عند المرضع في الشهر الثاني الى الرابع في ١٥ في المائة ومن الشهر الرابع الى الثامن في ٣٠ في المائة ومن الشهر الثامن الى الثاني عشر في ٣٠ في المائة ايضاً ، وفي السنة الثانية في ٢٥ في المائة . وعند ظهوره يلاحظ تغيّر في صفة اللبن وكميتهُ يضعف معهُ الطفل ويحتاج الحال الى استعمال الرضاعة المختلطة حتى يفطم الطفل . وقد لا يكون لظهور الحيض تأثير في اللبن في بعض النساء ، وذلك نادرٌ

الرضاعة والحمل — لا تحمل النساء الاّ بعد انقطاع الرضاعة وظهور الحيض ؛ ولكن بعضهنّ يحملنَ اثناء الرضاعة . ذكر رمفري (Remfrey) ان النساء اللواتي يحملنَ اثنـاء الرضاعة بدون ظهور الحيض لا يتجاوزنَ ٦ في المائة بيد ان النساء اللواتي يحملنَ اثناء الرضاعة وبعد ظهور الحيض يبلغنَ ٦٠ في المائة . ولا بأس من ارضاع الحامل طفلها اذا لم يبلغ السنّ المناسبة للفطام واستطاعت هي ذلك دون ان يطرأ عليها او على ولدها ضعف

المراضع — اكمل غذاء للطفل هو لبن امهِ ، وان لمن واجب كل أمٍّ قوية البنية جيدة الصحة ارضاع طفلها . وأما اذا لم يكفِ لبن الأم أو كان لبنها رديئاً ، أو كانت صحتها غير جيدة لإصابتها بالسلّ او بمرض قلبي أو بحمى شديدة أو بخرَّاج في الثدي ، فيجب ان يمنع الطفل عن لبن الأم ويستبدل الغذاء الذي هيأته له الطبيعـة . لأنه من الخطإِ ان نسمح للأم المصابة بتدرُّنٍ رئوي مثلاً ان ترضع طفلها فتنتقل العدوى اليهِ بطريق اللبن ، وأفضل طريقة حينئذٍ هي احضار مرضع سليمة البنية لأنهـا خيرٌ من الرضاعة الصناعية . ويجب عرض المرضع وطفلهـا على الطبيب كما انه ينبغي ان لا يقلّ عمرها عن العشرين ولا يزيد عن الخامسة والثلاثين ، وان يكون عمر طفلهـا مساوياً بالتقريب لعمر الطفل المراد ارضاعهُ ؛ ولا بدَّ من الاعتناء بهِ ايضاً خشية ان تتكدر حزناً عليهِ فيتكدر لبنها. ويجب الاهتمام بالمرضع من وجهة الغذاء والشرب والنظافة والرياضة البدنية والمعيشة الأدبية لأن لكل ذلك تأثيراً في الطفل كما تقدَّم

وزن الطفل — يحسن وزن الطفل مرة او مرتين في كل اسبوع ،

لأن ذلك يعرّفنا درجة نموّه وبالتالي حالة غذائه . وهناك انواع مختلفة من الموازين لهذا الغرض . ومن البديهي ان في زيادة وزن الطفل دلالة على صحته . ويكون وزن الطفل عند الولادة نحو سبعة ارطال انجليزية ، ولا ينتظر ان يزيد في الاسبوع الاول بل ربما نقص في الأيام الثلاثة الأولى عما كان عند الولادة . ويسترجع هذا النقص في اليوم العاشر تقريباً ، ولا بد ان يزداد بعد ذلك بالتدريج وتتراوح الزيادة بين ٤ أواق الى ٨ في الاسبوع . ومتوسط الزيادة هو ٦ أواق تقريباً . فالطفل الذي يزن سبعة ارطال انجليزية وقت الولادة يزداد وزنه الى تسعة تقريباً في نهاية الاسبوع السادس ، ويكون ١١ رطلاً في نهاية الشهر الثالث ، و ١٦ رطلاً في نهاية الشهر السادس ، و ٢٠ رطلاً في نهاية الشهر التاسع ، و ٢٢ رطلاً في نهاية السنة الأولى . ويمكن أن يقال على وجه العموم ان الوزن يبلغ الضعفين في آخر الشهر الخامس وثلاثة اضعاف في آخر السنة الأولى. ومتى نقص وزن الطفل عما ذكر يجب الالتفات الى أوقات الرضاعة وتنظيمها ، او الى زيادة كمية اللبن اذا كانت لا تكفي الطفل ، او الى صفة اللبن فانهُ قد يكون رديئاً ولا يكفي للتغذية كما يحسن عرض الطفل على الطبيب حتى تتحقق الأم من سلامتهِ من الأمراض

نزهة الطفل — يصحّ اخراج الطفل للنزهة ، اذا كان سليماً ، بعد انتهاء الأسبوع الأول في زمن الصيف ، وبعد انتهاء الاسبوع الثاني في الربيع والخريف ، وبعد انتهاء الشهر الأول في الشتاء . والنزهة في الهواء الطلق تزيد الشهية وتحسّن الصحة وتساعد على النموّ . ويجمل ان لا تتجاوز

النزهة ربع ساعة او عشرين دقيقة وتكون في أنسب وقت من النهار ، فيلزم ان تتقي الأمّ ساعة البرد في زمن الشتاء ، وساعة الحرّ في وقت الصيف . كما يلزم ان تحذر التيارات الهوائية ولتكن الخادمة نفسها على استعداد قبل ان تهيء الطفل للخروج بالباسه طاقية على رأسه وتغطية وجهه بقطعة من الشاش ، ولفه برداء من الصوف فوق الملابس الاعتيادية ويحمل الطفل على الذراعين في الشهر الاول ، واما بعد ذلك فيمكن اخراجه في مركبة صغيرة . واذا لم يشعر الطفل براحة وجب ارجاعه سريعاً . وعند رجوعه لا بد من خلع الملابس الزائدة التي استعملت في النزهة . ويكفي الطفل ان يتنزه مرة في اليوم في الشهر الاول ويمكن اخراجه بعد ذلك مرة في الصباح وأخرى في المساء ، دون ان تتجاوز المرة الواحدة ثلاثين دقيقة

مركبة الطفل — أفضل مركبة للطفل ماكانت متينة التركيب بعجل فيهِ منطقة من المطاط حتى يكون اهتزازها ليناً ، وبغطاء اي (كبوت) يقي الطفل حرارة الشمس وتأثير المطر . ولا بد من وضع الطفل بحيث يكون وجهه أمام الخادمة او المرضع فيسهل عليها ملاحظته . وعلى الخادمة ان تسير بتأنٍّ في طريق سهلة غير وعرة ، وان لا تقف في الطريق للكلام مع فرد من الافراد لئلا يشغلها هذا الكلام عن ملاحظة الطفل وهو واجبها المهم وعليها ان تحترس فلا تعبر الطريق حتى تتأكد من خلوّها من السيارات وعربات الترام وخلافها　　　　الدكتور

محمد عبد الحميد

(٣٥)

شؤون لبنانية

اتجهت الانظار في الآونة الحاضرة الى جبل لبنان لمناسبة انتهاء مدة حاكمِهِ العام واجتماع السفراء بالباب العالي في الاستانة لتقرير التعديل المرغوب في ادخاله على النظام الاساسي . ولما كانت مثل هذه الشؤون السياسية لا تدخل في دائرة ابحاث « الزهور » لم نشأ ان نتعرض لها من هذه الوجهة بل اكتفينا بايراد كلمة من الوجهة الاجتماعية التاريخية سنردفها ببحثٍ وافٍ في وقت قريب

كان الامراء في لبنان اصحاب السلطة المطلقة شأن معظم حكام ذلك الزمان . فكانت البلاد تسعد او تشقى لمجرد استعداد أميرها ورغبته في اسعادها او ظلمها . وقد تولى الحكم في لبنان امراء كثيرون اشهرهم الامير فخر الدين المعني والامير بشير الشهابي والامير حيدر اللمعي . ثم كان ان أخذت الرعية تفهم حقوقها وتدرك ان الحاكم انما هو منها وبها ، فشرعت تعمل على تقييد سلطته . وأخذ افرادها يجدّون ويجتهدون ، فاثروا علماً ومالاً واكتسبوا نفوذاً بعيداً ، فحدثت في البلاد « حركات » سياسية واجتماعية أفضت منذ نصف قرن الى تغيير الهيأة الحاكمة ونزع السلطة من الامراء والزعماء وتأليف الحكومة اللبنانية على شكلها الحاضر . وكانت قاعدتها الأساسية المساواة بين افراد الرعية بالغاء امتيازات الأسر وأصحاب المقاطعات . فكان لهذا الانقلاب اكبر تأثير في ذوي المقامات وهم لم يتعوّدوا الا تولّي الاحكام فتضعضعت أحوالهم وساء مصيرهم ، وهذه

سنّة الاجتماع في سيره . على أن فريقاً منهم لم يستسلموا الى هذا الانقلاب بل شمروا عن ساعد الجدّ لينالوا بالاجتهاد ما لم يكن بقي في الامكان نيله بفضل الآباء والاجداد . ولنعم ما فعلوا . ومن هؤلاء «العظاميين العصاميين» الامير يوسف ابي اللمع .



الامير يوسف ابي اللمع

وقد جاءنا بمناسبة وفاته في الشهر الماضي مقالة ضافيــة من أحد كبراء كتّاب لبنان ضمّنها كاتبها نظرة في تاريخ لبنان الاجتماعي منذ عهد ابرهيم باشا المصري ونبذة من ترجمة حياة الامير المتوفى ضاق نطاق هذا الجزء عن استيعاب هذه وتلك ، فاكتفينا بما تقدم مرجئين الافاضة في البحث التاريخي الى فرصة أخرى

اما الامير المتوفى فهو ابن الامير اسماعيل

ابن الامير حسن سليل امراء قيدبيه . وأمه السيدة اسماء وحيدة الامير حيدر اللمعيّ الشهير ، وللاسرة اللمعية شأن كبير في تاريخ لبنان . ولد رحمهُ الله في بيت شباب سنة ١٨٤٨ . وبعد ان أحرز نصيباً وافراً من العلوم واللغات دخل في سلك الحكومة وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، فعيّن وكيلاً لقائمقامية المتن على عهد الامير بشير عساف وأخذ بعد ذلك يتقلب في وظائف الادارة مدة ثلاثين سنة فأسندت اليهِ قائمقاميات مختلفة ترك فيها آثاراً طيبة تشهد له برغبة حقيقية في نفع بلاده وتحسين شؤونها الاقتصادية . وهذه ميزة حياته الكبرى ، فان له فضلاً يذكر في تمهيد سبل المواصلات ، وانشاء المجالس البلدية ، واحياء التجارة والصناعة والزراعة ولا سيما زراعة التبغ التي اعتنى بها مدة خمس عشرة سنة حتى أحيا مواتها وأعاد الى البلاد ما كانت تجني قديماً من المنافع من هذا الصنف . فأصبح اليوم الألوف من اللبنانيين يستدرّون الارباح الطائلة من زراعة التبغ والمتاجرة بهِ . وقد عرفت الحكومة له فضله فكافأته بالأوسمة والرتب العالية . وكان رضيّ الاخلاق سليم الطوية ناهض الهمة ، أحب وطنه حباً جمّاً وخدمهُ خدمة صادقة . وبالاجمال فانه عرف ان يحفظ بسعيه مقام أسرته الكريمة فجمع بين طارف المجد وتالده ، فعاش حميداً ومات فقيداً . ووقف شبلي بك ملاَّط شاعر لبنان على قبره باكياً :

على الركنِ الذي كانت لديهِ تهونُ المثقلاتُ من الأمورِ
على الرجلِ الذي رمتِ المنايا بهِ القطبين من حسَبٍ ونورِ

مس كايل

على الجانب الأيمن من الخط الحديدي الواصل بين مصر ومصر الجديدة ، في المكان المعروف بكبري غمرة ، بناء فخم متسع الأرجاء ، ممتـد الاطراف ، في منبسط مخضرّ الأديم ، طلق الهواء ، يحيط بهِ شبه سهـل يتمشى فيهِ شارع عباس حتى أقصاه ، وهو مطلٌّ عليه يستأنس بحركةٍ غير منقطعة فيهِ من دون ان يبلغ اليهِ ضجيجها فيزعجهُ في راحته وسكونه . . ذلك البناء الجميل هو دار علم وفضيلة ؛ هو نتيجة الاجتهاد والثبات ؛ هو منشأ امهات المستقبل في مصر ؛ هو الكلّيـة الأميركية للبنات في هذا القطر ؛ هو الأثر الطيب الخالد للمرحومة مِس كايل التي اغتالها الموت في أوائل الشهر الماضي

وددنا ان نكتب تاريخ هـذه المرأة الفاضلة فاذا بنا أمام تاريخ النهضة الادبية النسائية في مصر في الثلاثين السنة الاخيرة ؛ ولا غرو فان مس كايل رافقت تلك النهضة منذ استهلالها حتى عهدها الحاضر فكانت تنشيء المدارس للبنات وتديرها بحكمة واجتهاد يوم لم تكن دُورُ العلم آهلةً بغير النزر القليل من الطلبة فضلاً عن الطالبات ؛ ومشت معها آخذة بيدها ، ومتدرجة بها في مرقاة النجاح حتى لقد ارتبط تاريخ حياتها بتاريخ نشوء وارتقاء هذه النهضة ، وما عمل ثلاثين سنة مملوءة بالنشاط والثبات والاخلاص بالعمل اليسير الذي لا يكترث له

قدمت مِسْ كايل القطر المصري فبدأت عملها في اسيوط حيث اقامت زهاء ثماني سنوات رئيسة لمدرسة البنات التي انشأتها الرسالة الاميركية في تلك المدينة . ثم رأست مدرسة الاميركان الكبرى بالازبكية في القاهرة تسع عشرة سنة متوالية بذلت لها في خلالها كل مواهبها الفطرية ، وخبرتها المكتسبـة ، فما برحت تلك المدرسة تنمو وتزهو حتى رأيناها في هذا العهد من خيرة معاهد التربية والعلم

ولما رأت ثمرات اعمالها يانعة في هذا القطر وعلّمتها خبرتها وكثرة احتكاكها بالمصريات ان الفتـاة المصرية لا يعوزها غير الوسائل لادراك الترقي الحقيقي ،

رأت ان تنشيء في مصر كلّية كبرى للبنات تجعل تنشئتهنّ فيها امكن في العلم ، وأعمّ في الفائدة . ولم يكن في وسعها ، وهي امرأة لا ثروة لها غير اجتهادها واخلاصها، أن تنفق على تشييد هذا المعهد ، وتهيئته لغرضها المقصود . ولكن ذلك لم يحل بين همتها و بين تحقيق هذه الأمنية فقصدت الى الولايات المتحدة الاميركية



مس كايل

تستدرّ المال بالخطَب عن الشرق وحاجته الى العلم ، وتستجدي قومها باسم الانسانية فجمعت نحواً من اثني عشر ألف جنيه وحملتها الى مصر راضية عن نفسها لقيامها

بالواجب ، وعن سعيها لتكلله بالنجاح . وجاد لها المحسنون في مصر ايضاً بمبلغ غير يسير فأنشأت ذلك البناء الفخم الذي أشرنا اليهِ في فاتحة هذا المقال ، وجعلته كلّية للبنات يتعلمنَ فيهِ العلوم على أنواعها ، ويتربَّينَ فيهِ التربية الفضلى

ومن المأثور عن هذه المرأة انها كانت فاضلة بكل قوة هـذه الكلمة . فقد حدثتنا عنهـا حضرة الآنسة اميليا بدر — والآنسة بدر رفيقة مس كايل ويدها اليمنى في عملها المجيد خلال خمسة عشر عاماً — انها كانت متصفة بكل الاخلاق الطيبة التي كانت تحببها الى تلميذاتها اللواتي كنَّ يحترمنَ فيها الرئيسة المرشدة ، والأم الحنون العاقلة معاً . وبلغ من حب تلميذاتها لها انهنَّ كنَّ يتسابقنَ الى خدمتها وفاءً لسابق جميلها عليهنَّ فكانت اذا انتدبت احداهنَّ لعمل ما لا تجد منها الا اندفاعاً لاتمام ذلك العمل . وقد طالما أحوجتها مساعدة في التعليم لسبب من الاسباب فكانت السيدة هند عمون ، والآنسة سلمى خشف — وكلتاهما من متخرجات مدرستها — تلبيانها الى ما تريد حباً وكرامة . ولو ان مس كايل اضطرت الى معونة كل تلميذاتها لرأتهنَّ جميعهنَّ هند عمون وسلمى خشف . ذلك هو بلا ريب عنوان التربية المثلى والأدب الصحيح . اما هي فكانت تعامل الطالبات معاملة الأم لبناتها فلم تكن تميز نفسها عنهنَّ بشيءٍ ولا تفرق بينهنَّ لأمرٍ من الامور . ولما أنشأت الكلية كان في الفرقة الاولى خمس أوانس انقطعت أربع منهنَّ عن المدرسة لأسباب عائلية فجعلت مس كايل من الخامسة وحدها — وهي الانسة نجلا داغر — فرقةً لذاتها تعطى حقها من العلم اعتباراً للأسبقية التي كانت لها على سائر التلميذات وفي ذلك ما فيهِ من الانصاف والعدل

وخلاصة ما يقال ان النهضة الادبية النسائية في مصر قد فقدت ، بفقد مس كايل ، يداً نشيطة كانت تدفعها أبداً الى الامام ، وعاملاً قوياً كان يساعدها على الترقي والانتشار . وما أجمل الفكرة التي رآها بعض ذوي الفضل اذ اقترحوا نصب تمثال هذه السيدة في باحة كليتها بغمرة تخليداً لفضلها واعترافاً بجميلهـا ، وان تكن تلك الكلية نفسها أثراً خالداً يذّكر أبداً بحسناتها وأياديها الغرّاء

صوَر الشعر

ان للنفس لنزعاتٍ تختلف باختلاف عواملها ، وكأنها امام تلك العوامل لوحة الصوَر المتحركة تنطبع عليها صوَر تمحى بما تتلوها وهكذا

فهي مسرح تتعاقب عليهِ روايتا السرور والابتهاج والوحشة واليأس ، فبينا ترى المرء يهتزّ اليوم طرباً اذ تراه في الغد ينقبض غماً ، وما الحياة التي حارت في تكييفها الافهام الا مجموعة لمختلف تلك المظاهر

اما تذكارات اويقات البشر والايناس فانها تبدد عن النفس المحزونة غياهب الكرب وتقشع سحب الاكدار ، اذ هي فجر السرور يطرد ليل الهموم فيجعل للانسان من ضيقه فرجاً ومن وحشته انساً . وأحسن تلك التذكارات لغة للفؤاد في اويقات الفرح يرنّ صداها في الوجدان فتلقي على مشاعر النفس معنى السعادة

السعادة خيال ما تحقق لانسان ، وسراب قصده الناس فتقطعت بهم الاسباب فرضوا من الغنيمة بالاياب ، وعندي انها في وادي الحقيقة اسم لغير مسمى

وما السعادة الحقة الا في جولان خاطر الشاعر في مسارح الخيال حيث يكون بطلاً لروايات مختلفة ، فطوراً يرى نفسه كأنهُ المحب وافاه حبيبه في غفلة العيون ، وطوراً يهيم بالطبيعة فتتجلى له في أبهى حللها ، وطوراً يترقب طلعة البدر فيظهر له قوسه من وراء خط الأفق المرئي تعلوه طبقة من ذهب ابريز فيستعطفهُ ليملي عليهِ كثيراً من معاني الخيال ، وطوراً يرى من ظلام الليل شريكاً له في وجده ، وفي هاطل المطر تقديراً لكمية مسكوب دمعه ، وفي وميض البرق شبهاً لخلب أمانيه ، وفي طرف النجم ذكرى ليل الأماني ، وفي أشعة الصباح صورة الأمل الوفر ، وفي مجرى الغدير جلال الخيال ؛ وطوراً يحب الجمال حقيقة ؛ وطوراً يحبهُ خيالاً

لا شيءَ أروح للنفس المحزونة من ان ينشر أمامها مطويّ صفحات رقصت عليها ريشة الخيال فجاءت صوَراً ما وُجد أبدع منها في معرض الحياة . تلك صوَر الشعر

امين محمدي

كلّلي

وهو موشح للغناء نشرناه اجابة لطلب الكثيرين من القراء

كلّلي يا سحب تيجان الربى بالحلي	يعذلِ الاَّ لحاظ الرشأ الأكحلِ
واجعلي سوارهــا منعطف الجدولِ	***
***	لا أريمْ عن شرب صهباء وعن عشق ريمْ
يا سمـا فيكِ وفي الارض نجوم وما	فالنعيم عيش جديـد ومدام قديم
كلّمـا غيّبتِ نجماً أطلعت أنجما	لا أهيم الا بهـذين فقم يا نديم
وهي ما تهطـل الا بالطـلا والدما	وانهلِ من أكؤسٍ صوّرنَ من صندلِ
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي	أفضل من نكهة العنبر والمندلِ
وانقلي للدنّ طعم الشهـد والفوفلِ	***
***	هل يعودْ عيش قطعناه بوادي زرودْ
تتقـدْ كالكوكب الدريّ للمرتصد	والجنودْ في حضرتي تضرب جنكا وعودْ
يعتقـد فيها المجوسيُّ بمـا يعتقـد	والحسودْ في معزل عنا غدا لا يسودْ
فاتئـد يا ساقيَ الراح بهـا واعتمد	عذّلي لا تعـذلوني فالهوى لذّ لي
واملِ لي حتى تراني عنك في معزلِ	ما الخلي في الحب مثل العاشق المبتلي
قلّـلِ فالراح كالعشق فزد يقتلِ	***
***	أسفرتْ ليلتنـا بالأنس مذ أقمرت
من ظلمْ في دولة الحسن اذا ما حكم	بشرتْ بملتقى المحبوب واستبشرت
فالسدمْ يجول في باطنـه والنـدم	شمّرتْ فقلت للظلماء مذ قصّرت :
والقلمْ يكتب ما سطر فوق القمم	طوّلي يا ليلةَ الوصـل ولا تنجلي
من ولي في دولة الحسن ولم يعدلِ	واسبلي سترك فالحبيب في منزلي

ثمرات المطابع

* شرح الهاشميات (١) — « الهاشميات » من أهمّ ما قيل في مدح بني هاشم وآل البيت النبوي . وناظمها الكُمَيت بن زيد الاسدي . نشرها بالطبع وضبطها بالشكل التام وشرحها شرحاً وافياً حضرة الكاتب البليغ السيد محمد محمود الرافعي . وقد صدَّرها بنبذة شائقة عن الشيعة وتاريخ التشيع وأخباره وأسبابه ونتائجه ، وبترجمة حياة الكميت وهو من أشعر شعراء الاسلاميين وأسماهم بياناً وأعلاهم كعباً ، وُلد ايام مقتل الحسين سنة ٦٠ ومات سنة ١٢٦ هـ . في خلافة مروان بن محمد . وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم . قال أبو عكرمة الضبّيّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان . وقد سئل أبو معاذ الهرّاء : مَن أشعرُ الناس ؟ — قال : أمن الجاهليين أم من الاسلاميين ؟ — قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص . قالوا : فمنَ الاسلاميين ؟ قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعي . فقيل له : ما رأيناك ذكرت الكميت في مَن ذكرت . قال : « ذاك أشعر الاولين والآخرين » . فكان حرياً بمن هـذا مقامه في دولة الشعر والأدب ان يُنشر ديوانه وتُدوَّن أشعاره . وقد تنبـه لهذا الواجب السيد محمود الرافعي ، فخدم الأدب والأدباء خدمةً جلَّى بنشره هذا السفر النفيس . وقد أردف « الهاشميات » بمجموعة اختارها من بليغ شعر الكميت في شؤون مختلفة ، ومن أجود كلام الفحول من شعراء الصدر الأول الذين أدركوا اللغة أيام مجدها وشبابها . فعسى ان يقدّر الادباء هذا العمل الجليل قدره فيقبلوا على اقتناء ذلك الكتاب . ولا نشك في ان جماعة علماء المشرقيات سيحاونهُ عندهم محلاً رفيعاً

* كلمات نابوليون — إياك (٢) — كتابان جليلا الفائدة نقلهما الى العربيـة حضرة الكاتب الاديب ابرهيم افندي رمزي ، فاحسن نقلاً وعمـلاً . موضوع

(١) طبع بمطبعة شركة التمدن الصناعية في مصر ثمنه خمسة غروش صاغ (٢) طبعا بمطبعة الهداية في مصر عدد صفحات الاول ١٣٥ والثاني ٥٦

الكتاب الاول يدل عليه عنوانه . وهو مختارات من الاقوال المأثورة عن الرجل النابغة الكبير نابوليون بونابرت في شؤون مختلفة كالعائلة والتربية والحب والنساء والحياة والصفات القومية والسياسة والدين والحرب والشجاعة الخ . واذا صح ان « كلام الملوك ملوك الكلام » فان هذا ينطبق أتم الانطباق على أقوال ذلك الرجل العظيم صاحب الفكر الثاقب والرأي السديد . وان هذه الكلمات المأخوذة من كتاباته وخطبه ورسائله او التي آثرها عنهُ معاصروه تشفُّ عن حقيقة نفس الرجل وأخلاقه . فهي خير درس لمن يريد ان يفقه تاريخ نابوليون وسرّ نجاحه العجيب ، فضلاً عن ان فيها ما يبعث على المروءة والاقدام والجد . وقد أحسن رمزي افندي بتصدير هذه « الكلمات » بحياة قائلها الواقعة في ثلاثين صفحة فان ذلك يساعد على تفهمها . والكتاب يزين باشهر صوَر نابوليون

اما الكتاب الثاني فهو مجموعة نصائح مفيدة تتعلق بما يجب اجتنابه او عمله على المائدة وفي اللباس والعادات وغرفة الاستقبال والمكاتبة والزيارة وغير هذا من مظاهر حياتنا اليومية فيجدر بفتياننا وفتياتنا ان يتدبروا ما فيهِ لانهُ مقوّم للعادات مهذّب للأخلاق يرشد الى ما يجب ان يتحلى بهِ المتأدبون

* النخبة الراغبية في الأفعال العربية — اذا جمع الرجل بين الثروة الأدبية والثروة الماديَّة ، وعرف كيف يستخدم هذه في سبيل تلك كان منهُ لبلاده النفع الأتم والخير الوافر . وهاتان المزيتان قد اجتمعتا للرجل الفاضل صاحب العطوفة ادريس راغب بك . فقد عرفهُ الخاص والعام بنصرته للأدب وتفانيهِ في خدمتهِ بما له من المآثر الطيّبة في هذا السبيل . وكأنهُ لم يكتف بما يبذله لتنشيط الادباء والعلماء فأراد ان تكون له يدٌ على اللغة العربية فعني بتأليف كتاب سمَّاه « النخبة الراغبية في الأفعال العربية » شهد فيهِ حضرة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر شهادة طيبة جاء فيها قوله : « وجدتهُ لطيف العبارة ، سهل المأخذ ، كبير الفائدة ؛ قد جمع من مقدمات التصريف ومقاصده ما فيهِ كفاية الراغبين ورغبة المستكفين وقد رتبهُ المؤلف حفظهُ الله ترتيباً جميلاً فصلَّ فيه أقسام

العلم وأجزاءه وأنواعه تفصيلاً حتى لا يتشوش مستفيده ولا يضلّ طالبه» . والكتاب مخطوط بخط جميل متقن ومنقول بالزنكوغراف نقلاً بديعاً جاء معهُ تحفة في فن الطباعة

* مصر وسوريا — عنوان بحث سياسي انتقادي في تاريخ علائق القطرين المصري والسوري قديماً وحديثاً . وضعهُ حضرة الكاتب البارع الشيخ بولس مسعد صاحب «لبنان والدستور» و « دليل سوريا » ، وأهداه الى اللجنة المؤلفة لمساعدة المنكوبين في حريق دمشق ، فاستحق الثناء الجمّ على عمله . ومن عرف ميل الكاتب الى المباحث التاريخية ولا سيما ما كان يتعلق منها بمصر وسوريا عرف قيمة هذا الكتاب الكثير الفوائد على صغر حجمه

* الخيل وفرسانها [١] – للدكتو نجيب بك الخوري الطبيب الأول لحكومة جبل لبنان ولع شديد بالخيل وتربية الافراس الجياد . وقد دفعهُ هذا الولع الى وضع كتاب قال عنهُ انهُ « ثمرة أتعاب ثلاثين سنة قضاها بين الخيل وفرسانها والبحث عن الجواد العربي والفروسية عند القبائل البدوية » ولم يكتفِ حضرته بخبرته في هذا البحث بل زار من أجل التوسع والتدقيق فيهِ مدارس اوروبا العليا ونقَّب في تعاليم الافرنج في هذا الفن ثم أودع كل تلك الفوائد في كتاب سماه «الخيل وفرسانها» فتصفحناه فوجدناه وافياً بالغرض الموضوع له وجديراً بعناية المولعين بالخيل والمتاجرة بها ولا سيما أندية السباق في مصر وفي سوريا . فنثني على المؤلف أطيب الثناء لعنايته بهذا الموضوع الذي طالما عني بهِ فرسان العرب وأفاضل الكتاب

* الرقيّ والاعتدال [٢] — هو هذا الكتاب الذي سبقنا الى درسه بعض الكتاب المجيدين في بعض الصحف والمجلات الأدبية . أهداه الينا مؤلفه الفاضل اسكندر افندي قزمان فالفيناه سلسلة مباحث في ما يجب تناوله بالاعتدال من المسائل الاجتماعية ووسائل الترقي . وهذا الكتاب هو الحلقة الاولى من تلك السلسلة

---

(١) طبع في المطبعة الانطونية في بعبدا (لبنان) ويطلب من جميع المكاتب (٢) طبع في مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها وثمنه عشرة قروش

ومداره على الفتاة وعلاقتها بالتمدن والحرية وما يتفرع عن هذا الموضوع ، مع آراء طائفة من مشاهير الكتاب فيه . وقد ختمه بارجوزة في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً ونيف موضوعها الفتاة العصرية . والكتاب في مجمله مفيد لمحبي هذه المواضيع التي يسرنا ان يكثر عدد الباحثين فيها والمولعين بقراءتها لأنها أنفع من معظم الأقاصيص الرائجة تجارتها في هذه البلاد . فحبذا العمل الذي قام به اسكندر افندي وعسى ان يجد من الاقبال على كتابه ما يشجعهُ على اتمام هذه السلسلة

* شهيدة شهر العسل [1] — رواية تقع في ٣٠ صفحة وضعها الأديب فيليب افندي داود فرحات . ومدارها على غرق الباخرة «تيتانيك» وهي اجتماعية تاريخية غرامية تمثلت وقائعها في تلك الحادثة الهائلة

* طرق البناء في مصر — خطاب فني تاريخي يبحث في أساليب البناء القديم والحديث في هذا القطر ألقاه جناب المستر ريتشموند المدير العام السابق للمدن والمباني الاميرية وترجمهُ حضرة الكاتب الفاضل وديع افندي البستاني

* آراء الدكتور شبلي شميّل [2] — آخر ثمرة من ثمرات المطابع في هذا الشهر رسالة كتبها الدكتور شميّل وقد جاء في اولها :

نشرت جريدة الاخبار منذ مدة للكاتب ا . ش . انتقاداً على كتاب « خالد » للريحاني جاء فيهِ تعريض بآرائي وانها آراء غريبة . ولما كان هذا القول يشبه ان يكون صدى رأي الجمهور اكثر من ان يكون رأي الناقد الخاص ، ولئلا يرسخ في الاذهان ان الغرابة هي دائماً في مخالفة الشائع المشهور ، رأيت ان أنشر هذه الكلمة في رسالة على حدة جلاءً للحقيقة عملاً بقولي : « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم » فقط

---

(١) طبعت بمطبعة جدعون وتطلب من مكتبة التوفيق في بيروت
(٢) طبع بمطبعة المعارف بمصر

أزهار وأشواك

من بحمدون الى الرافعي

نشر السيد مصطفى صادق الرافعي في الجزء الثالث من هذه المجلة قصيدة لطيفة عنوانها « الى بحمدون » – وبحمدون قرية جميلة في جبل لبنان – تأوَّه فيها من النوى وسكب « عبرات البين » على فراق ليلى . فوصل صدى زفراته الى تلك الربوع ، وجاءه جواب « ليلى » منظوماً بقلم حبيب افندي ثابت . نسمةٌ لطيفة هبَّت من قمم لبنان فأحببتُ ان تسري الى القرَّاء من نافذتي ، لا سيما وقد حُرِم الكثيرون في هذا الصيف من نسيم لبنان البليل ؛ واليك بعض ما في الجواب :

«ليلى» تحيِّيكَ من أعلى « بحمدونِ »　　والبينُ فاعلمْ كما يُشجيك يشجيني
إن كنتُ قد متُّ بعد البين من شجني　　« فبعض ما كان قبل البين » يُحييني
او كان المرء دينٌ يستعزُّ بهِ　　فمنتهى عزَّتي أنّ الهوى ديني
« والصادق » الحبّ يبقى في مودَّتهِ　　ان حالَ من دونهِ بينٌ ومن دوني
لهُ بمصر مقامٌ طابَ مرتعهُ　　تصوُّر الفكر يدنيهِ ويدنيني . . .
وينبض القلب في طيّ الضلوع كما　　يرفُّ نحلٌ على خضرِ الرياحينِ
وان عينيَ من وجدي تُمثّل لي　　« أهرامَ » مصر تناغي طودَ «صنّينِ »
اني لأذكر مصراً لا لبهجتها　　لكنْ لمن هو من مصرٍ يحيّيني
وأذكرُ الحَرَّ والحرُّ الشديد بها　　كنارِ قلبي لا تعنو لتسكينِ
الاَّ اذا « صادقٌ » وافى وأدركني　　محمومةً فهو من يأسو فيشفيني

ثم شاركت ليلى الرافعي في شكواه ، وتمنت لقياه في الجبل

حيثُ النسيمُ عليلٌ في خمائلهِ　　اذا سرى لم ينبه طرف نسرينِ

والماء يجرى على الحصباء في غُدُر مثــل اللجين على درٍّ يحلّيني
والكرم يبدو لنا كالدرّ ناضجه لوناً فيعنيك معنــاه ويعنيني

☆☆☆

اليَّ يا « صادقاً » في الحبِّ مرتهناً قلبي فما أنا من يحيا الى حين . . .
وان ضننتَ ففي الحالين ما برحتْ ليلى تحيّيك من أعلى بحمدون

بقي سؤالٌ لي أوجّهُ الى الرافعي وهو : هل ليلاكَ يا أبا السامي « أخيلية » ام « خيالية . . . ؟ »

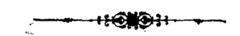
سوق عُكاظ

عُقدت هذه السوق في مصر في فندق الكونتنتال منذ شهر من الزمن على طرز حديث واسلوب شائق جميل ترأسها امير الشعر في مصر ، احمد شوقي بك ، وتصدّرها ناظر المعارف العمومية ، احمد حشمت باشا ، وحضرها كل ذي مقامٍ في دولة الأدب ، وتبارى في ميدانها نثراً ونظماً ، أشهر من نثر وأبلغ من نظم . لم يكن موضوعها المفاخرة بين قبيلتين ولا التحكيم بين شاعرين ، بل إكرام حافظ ابرهيم الشاعر وتهنئته « ببكويته » . في الجزء الفائت قلتُ كلمتي في الرتب والالقاب ، وفي لقب حافظ على الأخص . وكلمتي اليوم قاصرة على هــذه الحفلة او بالأحرى على الاشارة اليها فقط . لأني كنت قد جمعت لقرّائي أهم ما قيل فيهـا من طيب الشعر وجيد الخطب . ثم نظرت الى الاتعاب والمشقات التي كابدها سليم سركيس فقدّرتها قدرها ، ورأيت ان أحرمهُ الانتفاع بتعبه كما فعل بعض الصحف بسبقه الى نشر ما نُظم وكتب خصيصاً له . ولهذا أكتفي بتوجيه أنظار القراء الى العدد الأخير من مجلته وقد دوّن فيه جميع القصائد والخطب التي قيلت في حافظ . فاهنئه واهنئُ شريكه في العمل داود بركات فانهما أقاما هذه الحفلة فاكرما الأدب ورفعا شأن الادباء وحملا فريقاً من كتّابنا على شحذ قريحتهم بعد ان كادت تصدأ فسمعنا نغمات مطربة كانت قد خمدت حيناً من الزمن

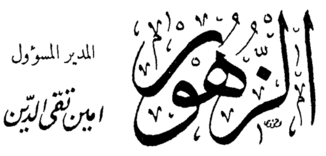
شارع الفجالة

لاحظ القرّاء منذ مدة تغييراً في عنوان مجلة « الزهور » فبعد ان كانت الادارة في أول شارع الفجالة أصبحت في نمرة ٧٢ منهُ . مع ذلك فهي لم تبرح مكانها ولم تنقل منهُ قيد شبر . والسرّ في هذا الأمر ان محافظتنا — حفظها الله — رأت من الحكمة ان تغيّر اسماء بعض الشوارع . وتقلب نمر البعض الآخر رأساً على عقب ، فأصبح الأولون آخرين والآخرون أولين . وهذا بعض ما أصاب شارع الفجالة فصار أوله الآخر وآخره الأول باعتبار النمر . وفي هذه المناسبة أقترح على اللجنة التي غيّرت اسماء بعض الشوارع ان تبدل اسم شارع الفجالة **بشارع الادب** وذلك لأنهُ لم يبقَ في هذا الشارع من أثر للفجل والفجالين . وهو من جهةٍ ثانية شارع الجرائد والمجلات والمطابع والمكاتب . ففي أوله — أو في آخره حسب الترتيب الجديد — مكتبة ومطبعة المعارف ، ومجلة الزهور ، ومكتبة الهلال ، ومطبعة ومجلة الروايات الجديدة ، ومجلة سركيس ، ومجلة فتاة الشرق ومجلة الجنس اللطيف، وجريدة الوطن ، ومطبعة وجريدة الأخبار وجريدة مصر وجريدة الرقيب ومجلة المحيط ومجلة رعمسيس ومجلة فرعون وجريدة العمران ومطبعة العرب ، وادارة الهلال ومطبعتها حيث تطبع أيضاً مجلة طبيب العائلة ، ومطبعة السلام ، ومكتبة الاخبار ، ومكتبة الطلبة ، ومطبعة الجوهر الساطع وجريدتها . فترى مما تقدَّم أي عددٍ من المطبوعات والنشرات يصدر من هذه البقعة الصغيرة في ارض العاصمة ، ويُنشر في أربعة أقطار العالم . أفلا يجدر ان يسمى مثل هذا الشارع الذي ضمَّ بين جنبيه جميع هذه الصحف والمجلات والمطابع « بشارع الأدب » ؟

ماصر



منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس — اكتوبر (ت ١) ١٩١٢ — السنة الثالثة

القنصل الروماني والوالي العثماني

أتيليوس ريجلوس وصبحي بك

لما احتلّ الايطاليون جزيرة رودس منذ بضعة أشهر أسروا واليها صبحي بك ، وظل عندهم معتقلاً مدة من الزمن ، حتى وافتنا الصحف في الشهر الغابر بخبر الافراج عنه . وذلك ان الايطاليين أطلقوا سراحه ليعود الى الاستانة فيفاوض حكومته العثمانية بأمر تبادل الأسرى الذين وقعوا في أيدي كلتا الدولتين المتحاربتين . وأعطت حكومة رومة صبحي بك مهلة شهر ليقوم بهذه المهمة ، فاذا لم تفضِ المفاوضة الى نتيجة ترضي الفريقين عاد الى الأسر

قرأنا هذا الخبر في جرائدنا اليومية فذكّرنا حادثة من هذا القبيل جرت منذ اثنين وعشرين قرناً تقريباً في حرب التحمت مواقعها ، كحرب اليوم ، على سواحل افريقيا ، وكان بطلها ، القائد الروماني ماركوس اتيليوس ريجلوس (Marcus-Atilius Regulus) وهو أحد أبناء رومة

القديمة الذين لا يزال التاريخ يردد أعمالهم العظيمة وأقوالهم المأثورة . وقد بلغ حب الوطن عندهم مبلغاً لم يبلغ اليهِ سواهم حتى انهم جعلوا هـذه الفضيلة في مقدمة الفضائل التي يتحلى بها المرء وبهـا يفاخر . وما هذه الحادثة التي نرويها اليوم الا واحدة من تلك الحوادث المدهشة التي يتألف منها تاريخ رومة الجمهورية ورومة القياصرة

***

كان ريجلوس هذا قنصلاً لرومة سنة ٢٥٣ ق م . وكان زمام الجمهورية الرومانية في ذلك العهد في يد قنصلين يديران شؤونها . وكانت رومة على ايام قنصلية ريجلوس في حربها الأولى مع قرطجنة . فتولَّى ريجلوس قيادة الجيوش . وبعد ان انتصر على الاعداء في موقعة «إكنوم» البحرية تمكن من النزول بجنوده الى ساحل افريقيا حيث ظلّ النصر محالفه حتى افتتح مدن الشاطئ ووصل الى مدينة تونس فشدَّد عليها الحصار . ولما أنس من الأعداء ميلاً الى عقد الصلح وضع لهم من الشروط القاسية ما لم يسعهم معهُ قبول السلم . وكان ان أتتهم من بلاد اليونان نجدة بقيادة القائد كسانتيبوس . نخرجوا على الرومانيين واشتبك القتال بين الفريقين فوقع ريجلوس اسيراً بين أيديهم . وظل في الأسر سنتين كاملتين

ثمَّ ان القرطجنيين أفرجوا عنهُ ، وأرسلوه الى رومة ليفاوض حكومتها بشروط الصلح وبأمر تبادل الأسرى ، بعد ان أخذوا عليهِ الأيمان المحرّجة انهُ يعود الى أسره اذا هو لم ينجح في ما هو مطلق لأجله .

— وهذا ما فعله الايطاليون اليوم مع صبحي بك — فوصل ريجلوس الى رومة ، وبلّغ مجلس الشيوخ (السناتو) المهمة الموكولة اليهِ . فتضاربت الآراء واختلف القوم في الأمر . فسُئل حينئذٍ ريجلوس عن رأيهِ . فتكلم بجنانٍ ثابت عن وجوب رفض الصلح ، لأن في استمرار الحرب دمار قرطجنة ، وارتفاع شأن رومة على مناوئيها . اما بشأن تبادل الأسرى فأشار ايضاً بعدم القبول . لأن معظم الرومانيين المأسورين من الشيوخ الطاعنين في السن فاذا أُطلق سراحهم لا يجني الوطن منهم فائدة في القتال . اما القرطجنيون المأسورون في رومة فمعظمهم في مقتبل العمر فاذا أفرج عنهم عادوا الى بلادهم وكانوا عوناً كبيراً لها على رومة

أعرب ريجولوس عن هذا الرأي وهو عارف انهُ بهذا الكلام يقضي بنفسه على حريتهِ . لكن منفعة الوطن كانت فوق كل منفعةٍ سواها . فوافق المجلس على رأيهِ ورفضت رومة مطالب قرطجنة

وللحال أخذ ريجولوس أهبتهُ للسفر ليقفل راجعاً الى محل أسره ، فأحاط بهِ الشعب الروماني — وقد أعجب ببسالته وتفانيه — وطلب اليهِ بالحاح ان لا يعود الى الأسر والعذاب المنتظر له ، فأبى . وأقبلت أمهُ وزوجتهُ تذرفان الدموع السخينة وتستحلفانهِ بالبقاء في وطنه لأن الموت الأكيد ينتظره عند الأعداء ، فأبى وقال : « حلفتُ أنــ أعود الى قرطجنة اذا لم تقبل رومة بمطالبهـا ، فلن أحنث بيميني مهما أصابني » . ثم ودّع ذويه وسافر لا يلوي على شيء

فلما وصل الى القرطجنيين — وكان قد اتصل بهم حضّهُ لمواطنيه

على مواصلة القتال — حنقوا عليهِ حنقاً شديداً وأذاقوه العذاب ألواناً . فكانوا يضعونهُ في برميل محشوٍّ بالمسامير ويدحرجونهُ من أعلى الجبل حتى يتخدَّش جسمه ، ثم يطلونهُ بالعسل ويعرضونهُ في أشعة الشمس فتحوم حوله الزنابير والحشرات فتذيقهُ من لسعاتها أشد الآلام . وظلوا بهِ على هذه الحالة حتى مات

هذه حكاية مثال الوفاء والبرّ باليمين عند قدماء الرومانيين . وقد تغنى بها الشعراء في قصائدهم وسبكها الكتَّاب في روايات تمثيلية ، وخلَّد المصوّرون والنحاتون ذكرها في صوَرٍ وتماثيل بديعة

وهي تذكرنا بحكاية السموأل المعروفة ، وحكاية الطائي وقراد مع النعمان [1]

*
* *

رأى القارئ شدة المشابهة بين ارسال القرطجنيين القائد ريجولوس الى رومه وارسال الايطاليين الوالي صبحي بك الى الاستانة . فعسى ان يكتب الوالي العثماني في تاريخ قومه صفحةً مجيدة كما فعل القائد الروماني ، وان كان لا ينتظر صبحي ما انتظر ريجولوس من العذاب في الأسر

(١) وقد جاء تفصيل ذلك في الزهور (سنة ٢ ص ١٢٤)

مقالات باكون

باكون أشهر مشاهير فلاسفة الانكليز، كان له تأثير كبير في عصره، وهو يُعدُّ مؤسس الفلسفة الحديثة المبنية على الاختبار والاستقراء . وقد شاء صديقنا محمد لطفي جمعه الكاتب الالمعي والأصولي الضليع أن يتحف قرَّاء « الزهور » بمختارات من مقالات هذا الفيلسوف . واليك النبذه الأولى منها :

١ — أصحاب السلطة وأهل المكانة العالية

وإنَّا أُناسٌ لا توسُّطَ بيننا لنا الصدر دون العالمين أوِ القبرُ

إن من ولي أمراً كبيراً يكون عبداً ذليلاً لثلاث : أمته وصنعته وسمعته . فيطيع وليَّ أمره طاعةً عمياء، ويردعه صيتهُ عما تميل اليهِ نفسهُ، وتستغرق أعماله كل أوقاتهِ . وأيُّ رجل يشتري بحريته قوةً، ويسعى لنيل الحول على غيره فيفقد سلطانه على نفسه ؟

وان أحد الناس يجهد نفسهُ لينال سمعةً . وما السمعة الاَّ أم المتاعب؛ فقد يدفع حبُّها الرجل الى اقتراف الذنوب، فيصل الى المكانة السامية بعد ان ينال شرفه الاذى

والسبيل الى العلى غير ميسر، والدرب الى الصيت زلِق لا تؤمن عاقبة السير عليهِ . وان من تزلُّ قدمهُ فقد هوى، او عاد ذليلاً محسوراً . وأذكر قول شيشرون « اذا أفل نجمُ سعدك، ووضعك سواد حظك وأمسيت وضيعاً بعد ان كنت رفيعاً، نخليقٌ بك أن لا تعيش »

واذا شاء من حصل على السلطة والسطوة أن يتخلى عنهما لا يستطيع

الى ذلك سبيلاً . فاذا استطاع ذلك قلّت رغبته في التخلي ولو اشابه كرّ الغداة ومرّ العشيّ . ومثله كمثل العجوز من النساء ، فانها تفتأ تتبرّج وتتزين كأنها تهزأ بالدهر والدهر منها هازئ

واذا تاقت نفوس ذوي الصيت والسمعة الى السعادة يوماً ، فيكفيهم أن يسمعوا بها ممن يتطلب مكانتهم ويسعى في الحصول على ما لهم من السطوة والسلطان . لأنهُ لا يحبّب الصيت للانسان سوى ان مئين من الناس يتمنون ولو بجدع الأنف أن ينالوا مناله

ولو علم الناس بما يلاقيه أصحاب المكانة السامية من المتاعب ، لاكتفوا بما لديهم . ولكن

لا يعرف الشوق الاَّ من يكابده　　ولا الصبابة الاَّ من يعانيها

وأحدنا أول من يشعر بهمومه ومتاعبه وآخر من يحس بعيوبه ومثالبه وقد لا يستطيع من يقوم بشأن الناس أن يقوم بشأن نفسه ، فيكون أجهل الناس بحاله ويكون الناس أعرف بهِ منهُ

وان المكانة السامية تمكن صاحبها من صنع الخير وعمل الشر . وخير ما ينجي من عمل الشر هو النية الصالحة وعدم القدرة على اتيانهِ . واما صنع الخير فهو أسمى المقاصد وخير ما تطمح له النفس الفاضلة . ومن كانت نيته صالحة فان له عند الله ثواباً وأجراً . اما الناس فلا يؤمنون الاَّ بما يرونهُ امامهم من الأعمال الصالحة . وليس في طاقة أحد الناس ان يصنع ما ينويهِ من خير، الاَّ اذا كان قادراً ذا سطوة ونفوذ . ولم يكن لله في خلق الانسان من غرض سوى أن يكون الانسان مخلوقاً خيراً ،

يعمل الخير ويقابل الخير بالخير . وليس يهدأ قلب الرجل في صدره ، الاَّ اذا صنع الخير أو نواه

وكن اذا وليت منصباً مقتدياً بمن سبقك اليهِ ممن كانوا مفلحين . ولا تنسَ أمر من أفسد قبلك لأن لك في أمره عبرة . واذا رأيت خللاً في ما بين يديك من العمل فاجهد نفسك في إصلاحه ، ولا تعجب بنفسك ولا ترمِ من سبقك بالعجز والتقصير

ولا تعمل عملاً الاَّ اذا كان النظام رائدك ؛ ولا تكن متشبثاً في أمورك . ولا تخفِ أمراً لا يخشى على عملك من افشائهِ

ولا تمكّن أحداً من سلب حقوقك . ولا تدع غيرك ينال مما لك من النفوذ منالاً . وكن عليماً بشؤون من وليت امورهم ، وكن منهم بمثابة العقل المدبر من الجسم المطيع

ولا تحجب نفسك عمن له شكوى يبثها . واسمع ما يبلغك من النصح والارشاد واعلم ان كل كلمة تطرق اذنك لها نفع في الحال او في المآل

وقد يجبر صاحب المنصب الرفيع على ذنوب يأتيها رغم أنفه . منها المهلة في انجاز الاعمال ، والتدني الى الرشوة ، والشدة واللين . ولئلا يتمكن منك حب المهلة في اداء ما يجب ، لا تحجب عنك من له شكوى يبثها ، ولا تخلف ميعاداً ، ولا تبدأ بعمل قبل ان تفرغ مما قبله ، ولا تمزج أمرين لا علاقة للواحد بالآخر ان استطعت ذلك سبيلاً

ولأجل ان تكون ذا عفة اربط يديك وأيدي غيرك ممن يأتمرون

بأمرك برباط القناعة . ومر نفسك ومرهم بأن لا يقللوا من مقدار نفوسهم ليكثروا من قدر ثروتهم . وكن غليظاً شديداً على من يهبك هبة لتعمل له عملاً . واذا كنت كاملاً عفوفاً فقد أمنت نفسك ومن يلوذ بك . ولا يرتدع من يحاول ان يرشوك الاَّ اذا أظهرت له الكمال والعفة ، وأبيت عليهِ التمليق والاكرام

ولا تجعل لأحد سبيلاً يمكنهُ من اساءة الظن بك . فان الشك اول مراتب اليقين . ومن شك في أمانتك لا يلبث ان يؤمن بخيانتك

واعلم ان من تناءى عن مشربه قد يحرّك نفوس أهل الشر والعدوان فيرتابون من أمره . فاذا شئت ان تتحول عن مبدإ كنت بهِ معروفاً ، فلا تدع الناس يقولون ما لا يعلمون ، ولا تخفِ عليهم من أمرك شيئاً . ولا تقرّب اليك من هو أقل في المقدار فقد يظن أهل الشر انه واسطة في الشر وان المال يأتيك على يديه

واعلم ان الحدة والخشونة تولدان الكراهية والبغضاء . اما الصرامة والجفاء فتولدان الخوف والتبجيل . وكن اذا شئت ان تلوم من يستحق اللوم مهاباً وقوراً ولا تكن قادحاً مهيناً . ولا تكن ليناً فتعصر فان اللين يورث الذل والهوان . ومن يسرف في تجيل الناس فقد أودع نفسه في أيديهم أسيراً

وللشهرة تأثيرٌ في خلق الرجل . وكان أحد الحكماء يقول : إنَّ أكابر الرجال صناديق مقفلة مفاتيحها الارتقاء الى ذروة المجد . فاذا بلغ أحدهم غايته ، فتح وبان ما فيهِ ان خيراً فخيرٌ وان شرًّا فشرٌّ

وبلوغ ذروة المجد يصلح النفوس الخيّرة ويفسد نفوس أهل الشرّ.
وأنتَ ترى شبيه الشيء منجذباً اليـهِ . فان كانت نفس الرجل كريمة جذبها الخير ، وان كانت شريرة جذبت اليها الشرّ . وليس للفضيلة الكامنة في النفوس مكان سوى المجد والشرف . ولذا ترى النفوس الكريمة وهي قبل ان تصل الى ما تعلل بهِ نفسها متقدة مشتعلة ، فاذا بلغتهُ اطمأنت وسكنت اليهِ كما يسكن الطفل الى صدر أمهِ

واعلم ان سبيل المجد وعرٌ . فارتكن فيهِ الى من يعضدك حتى تصل الى غايتك ، فتستطيع ان تقف آمناً شرَّ السقوط . واذا جاء ذكر من سبقك فاذكره بالخير فان في ذلك خيراً لك ولهُ

واذا كان لك رفاق في عملك ، فكن معهم رقيق الجانب ، ليّن الخلق حسن العشرة . ولا تأنف من ان تشاورهم في الأمور ، ولا تكن في كل حال مستقلاً برأيك . واذا كنتَ مع قوم في حديث لا دخل له بعملك فاطرح العظمة جانباً وابدُ لهم كما يبدو الرجل الكريم

***

٢ — جمال الوجوه

جمال الوجهِ مع قبحِ النفوسِ   كقنديلٍ على قبرِ المجوسِ

إنَّ النفوس الجميـلة كالجواهر الكريمة ، لا يبدو بهاؤها الاَّ اذا رُصّعت في قالب خلوٍ من التزيين والتحسين. وان طلعةً ترى فيها الهيبة والجلال خيرٌ من محيا ترى فيهِ البهاء والجمال

ولقد يندر ان ترى رجلاً ذا جمال فائق قد نال المكرمات وحاز الفضائل . وكأن الطبيعة شاءت ان يكون ذو الجمال خلواً من العيوب الظاهرة ، ولكنها لم تشأ ان يكون جميلاً كاملاً . ولذا أنتَ لا ترى بين أهل الجمال رجلاً ذا نفس كبيرة او عقل عظيم . وانهم يفضلون التأدّب والاحتشام على السموّ والعظمة . ويتمنى أحدهم ان يكون مكان الاجلال والاكرام . ولا يرجو ان يكون قابضاً على صولجان دولة الأقلام

ولقد حفظ لنا التاريخ ذكر كثيرين ممن جمعوا بين جمال الوجوه وكرم النفوس . فقد كان القيصر اوغسطس قيصر الرومان أجمل أهل زمانه . وكان اليونان يفاخرون الأمم بجمال السيباديس . وكانت أمة الفرس تضرب بجمال سلطانها اسماعيل الأمثال

وليس لون الوجه وحسن تقاطيعه ورقة الانسان ورشاقته تكفي لأن يكون جميلاً ؛ لأن الجمال معنى لا يستطاع التعبير عنهُ ، وليس في في قدرة المصوّر البارع ان يظهره في صورته . وقد لا يبدو ذلك المعنى الاّ بطول المشاهدة

وليس الاحكام في الخلق جمالاً . وانك لا تجد الجمال النادر المثال الاّ في شيء لم يبلغ فيهِ الاتقان حدّه

ولقد زعم (أبلس) المصوّر أنهُ يصوّر أبدعَ الوجوه اذا ما أضاف الى عيون المهى أنفاً كالسيف أو أدقّ وثغراً كالدرّ والمرجان

وخطر ببال (ألبرت دورو) ان يخلق انساناً كامل الجمال اذا اعتمد في خلقهِ على التناسب في قياس الأعضاء

على ان مثل تلك الصورة لا تنال رضى غير مبدعها

وليس من المحال ان يصوّر مصوّرٌ وجهاً فيهِ من الجمال ما لم نرَه من قبل. على ان مثل ذلك الوجه لا تكون للفن او للصنعة فيهِ يد، انما يكون خالقه قد أُلهم إلهاماً إلاهيًّا كما يوحى الى الشاعر بالمعاني والى المغني بالأنغام وانك ترى وجوهاً ليس للإِحكام فيها أثرٌ واذا نظرتَ اليها وجدتَ بها من الجمال ما لا تجده في سواها

وليس للشباب يد في الجمال . وان صدق قول القائلين بأن رشاقة الحركات أصل كل جمال لكانت المرأة البالغة من العمر عتياً أجمل من الفتاة اليافعة لأنها نالت من الرقة والرشاقة حظاً أوفر

وقد جاء في المثل السائر ان الشباب جمال وقد يحق ذلك القول على الشباب اذا عُدَّ جمالاً ، لأنهُ ستار للعيوب والجمال كثمر الغيظ لا يلبث ان ينضج حتى يبلغهُ الفساد . وقد يكون الجمال والشباب مفسدة للمرء أي مفسدة

ولو كان الجميل فاضلاً بانت فضائله كالشمس التي تكامل ضوؤها . ولو كان ناقصاً بدا نقصه كالغيم في السماء الصافية

نقله عن الانجليزية

محمد لطفي جمعه المحامي

في رياض الشعر

الشامية

نشرنا في سنة « الزهور » الثانية ص ٩٠ رسم الأخوين الشاعرين تامر بك وشبلي بك ملاَّط . وأشرنا الى مرض الاكبر منهما الذي أصيب بذهولٍ في عقله . وهو لا يزال في دائهِ يُنشد الشعر المطرب من حينٍ الى حين عند ما يفيق من ذهوله . وقد جاءتنا هذه القصيدة البديعة قالها شاعرها العبقري في مرضهِ :

روحي فِدى ظبياتِ الشامِ والشامِ　　ولو كلفنَ ولوعاتٍ بإِعدامي
بين البريد وجابيها على كَثَبٍ　　أضعتُ قلباً معنّىً نضوَ أسقامِ
ما أنسَ لا أنسَ اذ بالجزع من بردَى　　صوبُ اللجين يباري مدمعي الهامي
تمرُّ ريحُ الصبا بالروضِ حاملةً　　للكوثر العذبِ ريّا عرفهِ النامي
وزاجل الماءِ يروي للنسيم ضحىً　　بردَ الحنانِ بتلحين وأنغامِ
واشٍ ينمُّ ونمّام يشي أبداً　　أحبِبْ بذينك من واشٍ ونمّامِ

* * *

يا ظبيةً زوّدتني نظرةً تركت　　روحي تسيلُ على أطرافِ أقدامي
ما ضرَّ بالشامِ لو ثنّيتِها فمضت　　بمهجتي وانقضى تبريحُ آلامي
أنتِ المكسّرة الأسيافَ صائلةً　　بمرهف النصل ماضي الحدّ صمصامِ
وما تخذتِ شعار السيف في لقَبٍ[1]　　الاّ بجامع فتلك الصارم الظامي
مكسور جفنكِ لو جرّدتِ باترَهُ　　يبري صحاحَ المواضي بريَ أقلامِ
لو تعرضين لذي مسحٍ بصومعةٍ　　في القدسِ منقطعٍ بالنسك قوّامِ

(١) اسم الحبيبة هند

أعطاكِ أجمع ما صلّى مناجزةً　　بنظرةٍ من صبيحٍ منكِ بسّامِ
وراح يمسح عثنوناً وعنفقةً　　تيه المقامرِ لاقى نجحَ أزلامِ
ولو سموتِ لذات الرملِ سافرةً　　بسفحِ دُمَّرَ أو في هامة الهامي
ظنّتكِ جؤذرَها الوسنانَ فابتدرتْ　　تدعوهُ بين يعافيرٍ وآرامِ

☆☆☆

ما الروض باكره طلٌّ فرتّله　　كاللؤلؤ الغضّ من زهر واكامِ
أبهى وأطرب نشراً منكِ ناضيةً　　بكلةِ الخدر ذا وشيٍ وأعلامِ
لو في الملاحةِ عن شمس النهار غنى　　كُفيتِ رمضاءها مستوطن الشامِ

☆☆☆

يا ظبية الشام ردّي قلبَ مكتئبٍ　　أو شاركيه بوجدٍ جارحٍ دامِ
ولستُ أطمع في قربٍ بخلتِ بهِ　　خوف احتراقكِ في مستوقد حامِ
أصبحتُ جذوة نارٍ تلتظي لهباً　　ستبصرينَ رمادي بعد أيامِ

(لبنان)　　　　　　ناصر مهلاط

﴿ الأسد الباكي ﴾

نظم الشاعر هذه القصيدة منذ سنتين ، وهو معتزلٌ في « عين شمس » للاستشفاء من داءٍ ألمّ بهِ ، وسألناه يومئذٍ نشرها في « الزهور » فاعتذر بأنها من الخصوصيات التي ينظمها لنفسه . وكان بعد ذلك ان امتدّت اليها احدى الأيدي على غير علمٍ من الشاعر وتلاعب بها النسّاخ ، فنشرت في بعض صحف سوريا وأميريكا مبتورة مغلوطة ، ونُسب فيها الى ناظمها أغراضٌ لم تخطر له ببال . فلم يسع الشاعر والحالة هذه الاّ ارسالها الينا لنشرها على حقيقتها

دعوتُك استشفي اليكَ فوافني　　على غير علمٍ منك أنكَ لي آسي

فإن ترني والحزنُ ملءُ جوانحي ادارية فليغررك بشري وايناسي
وكم في فؤادي من جراحٍ ثخينةٍ يحجّبها بُرداي عن أعين النـاسِ
تخذتُ لهمّي «عين شمس» مباءةً فثمّتَ إضحائي فريداً واغلاسي
يخالون أني في متاعٍ حيالها وبئس متاع الحيّ جيرة ديماسِ
أرى روضةً لكنها روضةُ الرَّدى وأصغي وما في مسمعي غير وسواسِ
وأنظرُ من حولي مشاةً وركّباً على مُزجَيَاتٍ من دخانٍ وأفراسِ
كأني في رؤيا يزفُّ الأسى بها طوائفَ جنٍّ في مواكبِ أعراسِ

* * *

وما «عين شمس» غير ما ارتجل النهى بقفرٍ جديبٍ من مبانٍ وأغراسِ
بنوها فأعلوها وما هو غير أن جرتْ أحرفٌ مرسومةٌ فوق قرطاسِ
بدت إرَمٌ ذات العماد كأنها من القاعِ شدَّتها النجومُ بأمراسِ
كفتها ليالٍ نزرةٌ فتجدَّدت ثوابت أركانٍ رواسخ آساسِ
وغالط فيها البعثَ ما خالط الحلى بها من ضروبٍ محدثاتٍ وأجناسِ

* * *

هناك أُبيحُ الشجوَ نفساً منيعةً على الضيم مهما يفللِ الضيم من باسي
يمرُّ بيَ الأخوانُ في خطراتهم أولئك عوّادي وليسوا بجلّاسي
أهشُّ البهمَ ما أهشُّ تلطفاً وفي النفس ما فيها من الحزن والياسِ
ذروني وأنجوا من شظايا تصيبكم اذا لم أطقْ صبراً فأطلقتُ أنفاسي
فاني على ما نالني من مساءةٍ لأرحمُ صحبي ان يلمَّ بهم باسي
ذروني لا يملكْ وجيبي قلوبكم اذا مرَّ ذاك الطيف وادّكر الناسي
فتالله لولا ذلك الطيفُ والهوى لهُ مُسعدٌ لم يملكِ الدهرُ اتعاسي
ذروني أحسُ الخمر غير مُنفِّرٍ عن الوِردِ منها نِفرةَ الطائرِ الحاسي

فقربتُ كاسٍ عن شفاهي رددتُها ... وقد قتلَ الدمعُ السُلافة في الكاسِ
ذروني أنكسْ هامتي غير متقٍ ... ملامة رُوَّادٍ وشبهة جُوَّاس
فبي حرّةٌ بكرٌ ضلوعي سياجها ... أراشَ عليها سهمهُ معتدٍ قاس
أُعيدُ اليها كلَّ حينٍ نواظري ... وأخفضُ من عطفٍ على جرحها راسي

* * *

يكادُ يبثُّ المجدَ ما لا أبثُّهُ ... من السَقَمِ العَوَّادِ والسأمِ الراسي
أنا الألمُ الساجي لبُعد مزافري ... أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي
أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى ... أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ
فيا منتهى حبّي الى منتهى المنى ... ونعمةَ فكري فوق شقوة احساسي
دعوتُك أستشفي اليكَ فوافني ... على غيرِ علمٍ منك أنك لي آسي

خليل مطران

﴿ النيل السعيد ﴾

صفت مرآتهُ وجلاهُ جالٍ ... فلاح كأنهُ ذوبُ اللآلي
وغازلتِ الحدائقُ شاطئيهِ ... وألقت فوقهُ خضرَ الظلالِ
فكم غصنٍ قد ارتسمت حلاهُ ... عليهِ تهزُّه ريحُ الشمالِ
كما ارتسمت على المرآة خود ... يرنّح عطفها خمرُ الدلالِ
وناحية برمان أُظلّت ... وناحية بأعراش الدوالي
ونخلٍ باسقاتٍ كالعذارى ... تثنّى في غدائرها الطوالِ
خلعنَ الحسنَ منعكساً عليهِ ... فآنسنَ الحقيقة بالخيالِ
وحلّى ألسنَ الأطيار منهُ ... وقال لها اذكري باري جمالي
فجنَّ الطيرُ باسم الله حتى ... تدانى الله والسبع العوالي

فآمن بالبديعِ الصنعِ قلبي ... وفاض الطرف بالدررِ الغوالي
وسار النيل يطلبُ وصل مصرٍ ... وهل يُرضي المحبَّ سوى الوصالِ
تُضاحكه الغزالة في علاهـا ... وبدرُ التمِّ في أوج الكمالِ
عذارى الغربِ قد سحتنَّ شرقاً ... وغرباً للجنـوب وللشمالِ
أمثل النيلِ شاهدتنَّ نهراً ... تفرَّد بالمحاسن والجلالِ
لئن كان الأُلى عبدوهُ ضلّوا ... فربَّ هدايةٍ تحت الضلالِ
أحبُّ النيلَ حبَّ أبي وأمي ... وأهوى مصرَ فوق دمي ومالي
وبي عن كلّ مشروب حرامٍ ... غنى برضـابهِ العذب الحلالِ
رضعتُ هواه في مهدي صغيراً ... وحينَ أشابت الدنيا قذالي
بلادي لا أروم بهـا بديلاً ... ولو أُسكنت في روض المآلِ
وما فكّرت في الأهرام الاَّ ... بكيتُ مفاخرَ الحجج الخوالي
فلولا يمسك التوحيدُ ركني ... سجدتُ لتلكم الرمم البوالي
بودّي لو قرعتُ صفـاة همي ... بأمثال الجبالِ من الرجالِ
ففي وخزٌ من الأيام جافٍ ... على جرحٍ قريب الاندمالِ
أيمضي الدهر لا ميت فأنسى ... ولا أشفى من الداء العضالِ
وما لي لا أرى الاَّ ظلاماً ... يكاد يغضُّ من نور الهلالِ
وما بالي أهمُّ بمـا أُرجّي ... فتقعدَ بي على نِضو رحالي
بمن يا نيـل أرمي مَن رمانا ... وقد خلتِ الكنانةُ من نبالِ

(حلفا) محمد توفيق علي

يوزباشي بالجيش المصري

نجيب وامين الحداد



الشيخ نجيب الحداد

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خيالهُ　　حرصاً عليهِ قبل يوم زوالهِ
واليوم أوشك ان يزولَ من الضنى　　فأنا لكم أهدي خيالَ خيالهِ

في التاسع من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ ، أصيب الأدب العربي بركن من أركانه ، وبكى الشعر العصريّ أميراً من اكبر أمراء ديوانه ، بوفاة الشيخ نجيب الحدّاد من لا يزال الأدباء حتى اليوم يلقبونهُ بفقيد النظم والنثر ، لأنهُ أحيا موات كلتا الصناعتين وترك لنا من آثار منظومه ومنثوره ما يخلّد له اكبر ذكر

لم تجاوز سنو حياة النجيب الاثنتي والثلاثين ، لكنهُ وضع فيها من

الروايات والمقالات والقصائد ما لا نعرف ما يوازيه قدراً ومقداراً من مؤلفات كتّاب العصر

لم يمضِ على وفاتهِ الاّ ثلاثة عشر عاماً وبضعة أشهر ، حتى راشت المنية سهماً جديداً ورشقتهُ الى تلك الأسرة فأصابت كبد شقيقه الشيخ امين ، وقد اغتالت في هذه الفترة ، بين موت الشقيقين ، خالهما اديب العصر الأكبر ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، آخر أنجال الشيخ ناصيف ، فكانت خسارة الأدب بالثلاثة فادحة ، وكانت صفقة الموت بهم رابحة

شعرَ الشيخ امين في السنة الغابرة باشتداد التعب عليهِ ، فسافر في أوائل هذا الصيف الى جبل لبنان للراحة والاستشفاء ، فما ردَّ وطنه عنه مقدوراً ، ولا أكسبهُ راحة ، ولا جاد عليهِ بالشفاء من الداء ، فمات في عين قني من قضاء الشوف ، بعد ان ارتوت نفسه من مرأى وطنه ، وشبعت عيناه عن مناظر جباله ووهاده . الشيء الذي مات اخوه نجيب متشوقاً اليهِ ، متحسراً عليهِ ، فقال وهو محتضَر :

مات النجيب فأرّخوا قبراً له قد مات مشتاقاً الى ابنانِ

* * *

وُلد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ بعد ميلاد شقيقه الشيخ نجيب بثلاثة اعوام ، ومات وهو في الثانية والاربعين من عمره ، فكان نصيبه من هذه الحياة عشر سنوات اكثر من نصيب أخيهِ . وقد تلقى دروسه الأولية في مدارس سوريا ، وأخذ العربية كشقيقهِ عن خاليهِ المشهورين ابرهيم وخليل اليازجي



الشيخ امين الحداد

تمتّعتُ من دهري بما هو حاصلٌ سواءٌ لديَّ الغرمُ فيـهِ أو الغنمُ
وما كنتُ من أهل اليسار وانما لقد كان همي انني ليس لي همُّ
أتيتَ ولا تدري وها أنتَ سائرٌ الى حيث لا تدري فحسبك تهتمُّ
وخذْ فرَص اللذاتِ قبل فواتها ألم ترَ ان الجسم يخلفهُ رسمُ

نظم طانيوس عبده

وكان أول عهده بالصحافة في جريدة « الاهرام » التي ظلّ أخوه يحرّر فيها عشر سنوات على أيام المغفور لهما سليم بك وبشاره باشا تقلا . ثم انفصل الأخوان عن الجريدة المذكورة ، واشتركا في انشاء جريدة

«لسان العرب» الشهيرة سنة ١٨٩٤ . فأصبحت حياتهما الادبية مشتركة. وهما في ذلك العهد ، يذكرانا بمعيشة الأخوين الشاعرين بطرس وتوما كورنيل ، اذ كانا ينظمان وهما في منزل واحد ، فينادي الواحد الثـاني عندما تعصاه القافية . « يا أخي أعِرني قافيةً »

وقد كتب الشيخ امين فصولاً شائقة على صفحات «الجامعة العثمانية» وجريدة « السلام » ومجلة « أنيس الجليس » . ثمَّ دخـل في جريدة « البصير » لصاحبها رشيد بك شميّل ؛ وظلَّ ثلاثة عشر عاماً يدبّج فيها من المقالات الرنانة ، والملح الأدبية المستظرفة ، ما حمل البعيد والقريب على الشهادة له بسرعة الخاطر ، والرشاقة في التعبير ، والسهولة في التفنن بأساليب الانشاء والشاعرية الحقيقية ، ومضاء القريحة

وقد اتفق كلّ من عرف الأمين على وصفهِ بكرم الأخلاق ، ولطف العشرة ، وخفة الروح ، ورعاية الذمام ، والقناعة والتواضع والبعد عن كل تظاهر . وقد سألنا حضرة الشاعر طانيوس افندي عبده — وقد كان رفيق الاخوين الشاعرين وثالث هذين القمرين — عن رأيه في الشيخ امين ، فأجابنا بالابيات الاربعة التي تراها تحت صورة الفقيد ، وقال: هذا هو الشيخ أمين وهذه هي حياته وليس لي من الابيات الا نظمها ولئن بكى فيهِ الأدب كاتباً بليغاً وشاعراً رقيقاً ، فان اصدقاءه يبكون فيهِ فوق ذلك ، خلاًّ وفياًّ وصديقاً صدوقاً

في اول سنـة ١٩١١ اقترح الأديب محمود افنـدي ابرهيم ، صاحب « الاكسبرس » الاسكندري ، على فريق من الكتّاب أن يعربوا عن أمانيهم في

مطالع العام الجديد ، فكتب المرحوم الشيخ امين الحداد نبذةً في هذا الموضوع أحببنا نشرها للقراء لأنها تنمُّ ، من وراء ستار الهزل ، عن ملل من الحياة وتعب من العمل ، كأن صاحبها كان يشعر بدنو أجله ، وقد تحققت امنيته لسوء الحظ ، ورقد رقاده الأخير مستريحاً راحة ابدية ، قال رحمات الله عليهِ :

أنت تعلم أنني منذ عشرين سنة وأنا خادم في دولتين عظيمتين خدمة لم تنقطع يوماً واحداً ، وهما دولتا الصحافة والكأس. بل اذا سامحتني دولة منهما يوماً أو بعض يوم ، كان ذلك مخصصاً لخدمة الدولة الأخرى . ولقد ترى حصان المركبة يُحلُّ لجامه ، ويُطلق الى المراتع ليستأنف حياته ونشاطه ، بل لقد ترى أمواس الحلاَّق ، وهي جماد ، تُراح من العمل لتستعيد حدتها ورهفها . اما خادم هاتين الدولتين فلا يُسمح له بشيءٍ من ذلك ، بل لقد اكون أنا المخصوص دون سائر الزملاء بهذه المهنة (التي تبِعَتها عليَّ وليس لي منفعتها) . فلطيور السماء أوكار ، ولثعالب الأرض أوجار ، وأما هذا الخادم فليس له مكان يضع فيهِ رأسه ليستريح الا ان يكون ذلك الموضع الاخير ، وربما يكون في احدى زوايا «البصير» لذلك تراني لا أتمنى في سنة ١٩١١ الا ان أُحال على المعاش في احدى هاتين الدولتين ، ولكنني أتمنى معاش الصحافة ، فقد خدمت دولتها اكثر جداً من دولة الكاس التي لا يزال لها عليَّ ديون وحقوق . فهل « للاكسبريس » ان « يسرع » في تحقيق هذه الامنية لهذا «المتأخر» الذي طال انحباسه ، وضاقت أنفاسه ، وملّت من الانتظار كاسه

امين الحداد

حياة الأخوين



١ — سعيد الشرتوني

ويراعةٍ فُجعت بفقد وحيدها	كالأُم قد فُجعت بفقدِ وحيدِ
كلٌّ المصائب هيّناتٌ عندَها	إلاّ المصيبةُ بالإمام سعيدِ

في التاسع عشر من شهر آب الفائت فجعت اللغة العربية بعلَمٍ من أعلامها العالية ، الامام الكبير المغفور له الشيخ سعيد الخوري الشرتوني ، رافع لواء الفصاحة والبيان في الربوع السورية ، ومعزّز فن التأليف بما انشأه من الكتب الجمة الغزيرة الفوائد على المدارس العامية

وهو أحد الافراد الذين تجود بهم فلتات الزمان حيناً بعد حين ، فيحدثون انقلاباً في ما تركه الأولون للآخرين

« حياتهُ » — وُلد صاحب الترجمة في بلدة شرتون نحو سنة ١٨٤٧ ؛ وأبوه عبد الله بن ميخائيل بن الياس ابن الخوري شاهين الرامي . كان وهو صبي كثير الزيغان فساقهُ زيغانهُ الى قتل احدى قريباتي . وحديث الأمر انهُ كان لنا بين بيتنا وبيت عبد الله بلوطة جاءتها مرّة الصغيرة ياسمين ابنة عمّ أبي ، وصعدت اليها تقطف البلوط ؛ فبصر بها سعيد فانتهرها ، فأبت النزول بحجة ان البلوطة مُلك عمها ، فكان انهُ أسرع الى البيت وأتى بالبندقية المحشوّة وأطلقها على الابنة فسقطت من علُ لا حراك بها . . . تراوحتُ متردّداً في ايراد هذه الحكاية ، فرأيت أنّ من الوفاء بالتاريخ ايرادها على حين انها ليست غباراً على حياة الفقيد لصغر سنّه حينذاك . فأرسله أبوه الى مدرسة عَبَيه ، حيث تلقّن مبادئ العربية فقط ، ثم شرع بالمطالعة لنفسهِ بما فيهِ من الميل الى العلم . ودرّس برهة في مدرسة عين تراز للروم الكاثوليك ، ثم عقد وأبي العزيمة على غشيان بغداد للتدريس فيها ، فجاءت الانباء بانتشار الوباء فيها فانثنيا ، وارتحل سعيد الى الشام حيث درّس زماناً ، ثم هبط بيروت واشتغل عند اليسوعيين في العلوم العربية ، ونبغ وأجاد . فألّف عندهم ونقّح وصحّح طائفة من الكتب المفيدة . ولبث عندهم زماناً طويلاً ثم بعد ذلك درّس بعض السنين الصف الأول العربي في مدرسة الحكمة المارونية فأتاح لي الحظ ان اكون من بعض تلاميذه . ثم استسلم الى الراحة متنكباً منابر

التدريس دون التأليف ، فانشأ وهو منزوٍ في بيتهِ عدة تآليف ناضجة سيأتي الكلام عليها . وقد اشترى منذ عام بيتاً في « فرن الشباك » تحوطه قطعة من الرزق كان يدير زراعتها بيده . وما هي الاَّ ايام حتى ألمّت بهِ حمى في المعدة انجلت تاركةً وراءها ألماً شديداً في رقبتهِ من جهة الكتفين ، فأضعف الألم المستديم جسمه وهدّ سلامة بنيانه

« من صفاتهِ وأحاديثهِ » — من صفاتهِ الرزانة والتروّي واعتزال ضوضاء العالمين والتواضع والأنس ولطف الحديث ، ومن صفاتهِ الاقتصاد وله أحاديث مأثورةٌ يضيق المجال عن سردها ولا بأس بحديث منها . حدثني مرة قال : زارني المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وكان الانكليز قد احتلوا مصر جديداً ، فسألتهُ عن الخطة التي ينوي انتهاجها مع المحتلين ؛ فأجاب بالرغبة في معاكستهم فأشرتُ عليهِ بالاتهم لما هم عليهِ من بسطة البأس والسلطان فتستفيد مصر من الموالاة ولا تستفيد من المعاكسة : قال فأجابني الشيخ : أصبت واني فاعل كذلك

« علومه » — يمتاز صاحب الترجمة بعلوم الصرف والنحو وعلوم المعاني والبيان والبديع وبعلم اللغة وأساليب الانشاء ، وهو في كل ذلك صاحب الإمامة يؤخذ بقوله ويُركن اليهِ وله في ذلك التآليف الجمة الجليلة التي طافت المدارس وتصدّرت في مكاتب الأدباء ، ولم يكن يعرف من اللغات أولاً سوى العربية وقد لجّ بهِ الشوق الى تفهُّم الافرنسية وهو أبيض الناصية ، فأكبّ عليها ودرسها درساً يصل بهِ الى الترجمة منها ، فوصل ، وترجم قوانين يوستينيانوس ونشرها في مجلة المقتطف . وقد نظم

الشعر رغماً عن عدم انطباعه عليهِ فأجاد في بعضهِ من ذلك أبيات كتبها تحت صورته مع عائلتهِ امرأته وبناته الثلاث قال :

رسمٌ يمثّلنا والشملُ مجتمعٌ والعيشُ صافٍ وظلُّ الخير ممدودُ
وهذه الحالُ أقصى ما يؤمّلهُ حيٌّ من الخلق بالآفات مقصودُ
لكنَّ فرقتنا لا بدَّ واقعةٌ يوماً فيُفصلُ عن أثمارهِ العودُ
فنسأل الله جمعاً بعد تفرقةٍ في جنّةٍ وجميلُ العَود محمودُ

وقد ازدادت هذه الأبيات اليوم مسحة من الجمال لانفراط الشمل بموت اثنتين من بناتهِ الصبيّات وبلحاقه بهما

ومن نظمهِ قوله من قصيدة وداعٍ

وداع لذيذاتِ الحياة وداعكم فليسَ على شاكي التفرّق من عَتْبِ
يجرّعنا هذا البعاد مرارة على قدر ما ذقنا الحلاوة في القربِ

« مؤلفاته والحكم عليها » — ان الدهر الآتي حكمٌ عدل في كتابات المنشئين ، يطرح الغث ويبقي السمين ، فقد ينال زيد مثلاً في الكتابة والنظم صيتاً طنَّاناً لجاهٍ عريض فيهِ أو لمال كثير عنده ، لا لبلاغةٍ في كلامه ؛ حتى اذا مات ومات جيله ، أنصف الدهر في كتاباته العارية من سياج الجاه والمال ، فتناولها ومحاها . وقد يموت كاتب فقير فتبقى كتاباته على هام الدهر لبلاغتها وعلوّ طبقتها . أما سعيدٌ رحمهُ الله فأرى ان كتاباته من الخالدات . ومؤلفاته عديدة منها كتاب (الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب) وهو عبارة عن رسائل في جميع أبواب المراسلة ، انشأها والنفوس الى مثلها ظمأى ، ولم يتحدَّ فيها طريقة التصنّع

والتكلّف والسجع والكلام الكثير في المعنى القليل ، بل تحدّى الانشاء المرسل من السهل الممتنع . وله رسالة انتقد بها كتاب النحو الذي وضعهُ يومذاك المرحوم احمد فارس الشدياق . وهو المصحح كتاب بحث المطالب في النحو ومعلّق حواشيه ، والمصحح ديوان المطران جرمانوس فرحات وشارحه . ولم أرَ الشيخ مجيداً في تصحيح هذا الديوان لما فيهِ من المغالط الشعرية المتعددة والجوازات القبيحة

ومن مؤلفاتهِ كتاب « المعين » للتلميذ وللمعلم وقد أحسن في وضع هذا الكتاب لما فيهِ من الطرق الرحيبة الموصلة الى مواطن الانشاء ؛ وقد اردف (المعين) بكتاب (نجدة اليراع) وهو كتاب جمع فيهِ الجمل المترادفة في وصف أمر أو شيء . وله كتاب (حدائق المنثور والمنظوم) وهو مجموعة من أطايب الشعر والنثر على نحو ما هو عليهِ مجاني الأدب وهو جزءان . ومن قلمهِ تصحيح أغلاط كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وتصحيح ديوان ابن معتوق ، وترجمة قوانين يوستينيانوس ، ومقالات جمة من أحاسن الكتابات في المقتطف خصوصاً وسواه من المجلاّت والجرائد . وفي آخر المدة وضع كتاب (مطالع الأضواء في مناهج الكتّاب والشعراء) وهو كتاب مدرسيّ في علوم المعاني والبيان والبديع ، وقد تبّسط في هذه العلوم تبسُّطاً يكاد يكون مملاً . غير انهُ فاق على سواه من المؤلفين في هذا الفن بأنهُ أردف هذه العلوم الثلاثة بقوانين الانشاء من مثل الذوق وانتقاء اللفظ والمعنى والمطالعة والتمرين الى غير ذلك من الأبواب الجميلة التي لم يطرقها مؤلف عربي سواه ، فجاء

كتاباً جليلاً للتعليم في المدارس ، وأردفه بكتاب في علم الخطاب ولم اقرأ بعد هذا الكتاب

يتضح مما تقدّم أن جميع الكتب التي ألّفها صاحب الترجمة وصححها مدرسية يستغني عنها المترسّلون في العلوم العربيـة الأ معجمه المشهور واسمه « أقرب الموارد » . وهو حتى الآن أكمل معجمٍ يصل بناشد الألفاظ الى ضالتهِ عن أقرب سبيل وفي أسرع آن ، على حين اننا في عصر أصبحت بهِ الكتاب تخطفُ الأوقات . وقد قرّظه له أجمل تقريظ صاحب السعادة عبد الله باشا فكري وزير المعارف في مصر سابقاً والمغفور له العلامة الشيخ محمد عبده

هذه حياة الشرتوني . فهي حافلة بالآثار العلمية الطيبة دالّة على ان الرجل استعمل الزمن الذي جازه بالعمل المتواصل ، ولم يكن لسعيدٍ من نظير في ذلك الاَّ المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس الذي كان يعمل كل يوم سبع ساعات رغماً عن شيخوختهِ ومرَض بصره.

وان حياة كتلك الحياة لقمينة بأن تكون مثالاً وضّاحاً لشبيبة هذا العصر، فتعلم أن العلم لا يعطينا بعضه حتى نعطيه كلنا

والآن ألقي عليك أيها الراحل الكريم كلمات الوداع الممزوجة بعواطف الاحترام ؛ وثق أن لك من سلامة بيانك ، ونصاعة برهانك ، ونقاء فصاحتك ، ومضاء بلاغتك حارساً أميناً على كتاباتك من نقد الناقدين ، وكفيلاً ضميناً على بقائها زاهيةً الى انقضاء العالمين



٢ — رشيد الشرتوني

ان رشيداً أخو سعيدٍ لأبيـه ؛ وُلد في بلدنا شرتون سنة ١٨٦٤ ، وأفضى الى ربهِ سنة ١٩٠٧ أي في روعة العمر ومعمان النشاط اذ لم يكن له من العمر سوى ثلاث وأربعين سنة

تلقَّن مبادىء العربيـة والافرنسية في مدرسة مار عبده هرهريَّا ، ودرَّس حيناً في مدرسة عين تراز ومدرسة عينطوره ، ثم انقطع لخدمة العلم عند اليسوعيين في بيروت ، فكان يدرّس صف الخطابة في كليتهم ، ويحرّر جريدة « البشير » وكان في خلال ذلك يؤلف ويترجم ويصحح الكتب المفيدة ، حتى كانت أواخر سنة ١٩٠٥ ، فهبط مصر لخدمة العلم

فقضى فيها سنة جاء بعدها للاصطياف في لبنان ، فأدركه المرض في منتصف الليل ، وفي صباح اليوم أجرى له الدكتور هاش عملية جراحية فلم تنجح ، وقضى بين قلوب تتفطّر ودموع تتقطّر . وكان جميل الصورة غضّ الإهاب كثير اللطف جميل العشرة وفير المحبة لمسقط رأسهِ وأوطانه ، وكان كأخيه نشيطاً ، يصرف أوقاته بالعمل . فانهُ مع انصرافهِ الى التدريس والصحافة طول حياته ، تمكّن من تأليف بعض الكتب ، ولو أمدَّ الله بحياته ، لكان من اكبر خدمة العربية ومن أقطاب العلم والأدب ، وله فضل كبير على فئة كبرى من الناشئة التي أخذت عنهُ ونهجت منهجه في طلاوة العبارة وتحدّي الذوق فيها

وكان ضليعاً في اللغة ، علاّماً في علوم الصرف والنحو والمعاني والبديع والبيان والخطابة . وكان شديد النفرة من الكتب القديمة لهذه العلوم لما فيها من التفاصيل الفارغة التي تذهب بوقت التاميذ وتنحت من جلدِهِ وعزمه ، فشنّ على ذلك غارةً شعواء وشمّر عن ساعد الكدّ لتأليف سلسلة كتبٍ في العلوم المذكورة على السياق الافرنسي . فوضع للصرف وللنحو سلاسل هي اليوم عمدة التدريس في المدارس الكبرى والصغرى في سوريا ، ولعلها في مصر أيضاً ، ولو استطالت حياته لأتى بالكتب المنوية لعلوم البيان على الطراز المُعلَم ، وهذه السلاسل المذكورة خير ما ألف ويؤلف النحّاة للتدريس

ومن تأليفه كتاب المراسلات نحا فيـهِ نحو اخيهِ سعيد في انشاء الرسائل المتنوّعة ، ولكنهُ دون كتاب أخيهِ حجماً وجمالاً . اما الكتب

التي ترجمها عن الافرنسية فكثيرة جداً منها تاريخ لبنان القديم ، ورواية بحيرة قدس . وهو الذي صحح ونشر الكتب التاريخية التي وضعها مؤرخ عصره المغفور له البطريرك اسطفان الدويهي ؛ وله كتاب (تمرين الطلاّب) وهو مجموع تمارين لابناء التحصيل في الصرف والنحو وقد شاع استعمال هذا الكتاب لكثرة فوائده ، وله كتاب في المنطق لم ينشره

وقد أفاضت صحف البلاد في الكلام عنهُ بعد وفاتهِ ، وقد رثاه الصديق الأديب الشاعر احمد افندي تقي الدين بقصيدة منها :

أبنات الهديل لا تَذري　　بيكاء الرشيد منسكبا
واندبي حظّه وحظّ فتىً　　عشق الكتب واصطفى الأَرَبا
شاحذاً للرقيّ عزمته　　في بلادٍ لا تُكرِمُ الأدبا

ورثاه هذا العاجز بأبيات منها :

صُحفُ البلاد وكان مهيع هديها　　صدعت بطاحن خطبهِ تبيينا
نبأٌ تطاير في البلاد فهزَّها　　حسبتهُ ملبوساً وكان يقينا
أخذتهُ أعلامُ الجبال بصيحةٍ　　سمعت لها في الهابطات رنينا . . .
لم تزدحم من حول نعشك ألسنٌ　　ألفت بغير مماتك التأبينا
وتراجع الادباء عنك لأنهم　　رهبوك يا أسد العرين طعينا
خافوا سماعك ضعف قولهم وقد　　كان الكلام اذا نطقت سمينا
مسكينٌ آلقلم الذي ايتمتهُ　　مَن سوف يرحم ذلك المسكينا

أفاض الله عليهِ سجال رحمتهِ وأحصاه بين أصحاب اليمين

(لبنان)　　محبوب الخوري الشرتوني

أزهار وأشواك

خليل بعد حافظ

النعَم على ادبائنا تتوالى تترى من حكومة أفندينا العباس . في العامين السابقين عيّن فريق منهم في نظارات الداخلية والمالية والمعارف والحقانية والأوقاف وسائر دواوين الحكومة ؛ وقد قلتُ كلمتي بهذا الشأن في حينها . وجاء في هذا العام دور الرتب والنياشين فكانت فاتحتهُ رتبة حافظ ، وقد تلاها الآن نيشان خليل مطران . والآتي للآتي ان شاء الله . . . مثل هذه الرتب والأوسمة لا تحلّي مثل تلك الصدور وفيها من درر المعاني ، وجواهر الافكار ما يزري بقلائد النحور . بل هي تكتسب من الرونق والبهاء ، ما لا يكون لها وهي على غير صدر الفضلاء والأدباء . فان أوسمة الشرف على صدر من لا يستحقّها كالطغراء السلطانية على النقود الزائفة ، أو كالتمثال البديع على قبرٍ يضمُّ عظاماً نخِرة . أما الوسام المجيدي وقد عُلّق على صدر الخليل فكأنهُ رُصع بأغلى الجواهر وأثمن الأحجار . فليهنأ النيشان باستوائهِ على صدر المطران

تذكار الأدباء

اذا كنتُ قد ضفرت من أزهاري باقاتٍ وأكاليل قدَّمتها الى من بسم لهم ثغر التوفيق من أدبائنا . فقد حفظت من تلك الازهار أبهجها وأنضرها لأنثرَها مُرطَّبة بدموع الذكرى على ضريح من اغتالهم غائلُ المنية ممن سالت أرواحهم الزكية من شق تلك القصبة . . . تُقام الحفلات تباعاً ، شائقةً رائقة ، لاكرام كبار ادبائنا وتهنئتهم بظهور فضلهم ، ولنعم العمل عمل القائمين بهذه الأعياد الأدبية . على ان لأدبائنا الأموات كذلك حقًّا علينا يجب ان لا نتغاضى عنهُ . وهل الى التغاضي من سبيل وقد كان لنـا بمن فقدنا في هذا الصيف تذكير شديد : مات الشيخ أمين الحداد فذكّرنا فاجعة الأدب بأخيه « النجيب » فوجب على أدباء وادي النيل ان يخلّدوا ذكرى الأخوين الشاعرين . وحملت الينا أنبـاء لبنان نعي الشيخ سعيد

الشرتوني ، فأعادت لاعج الأسف على شقيقهِ « الرشيد » فتحتّم على أدباء الشام ان يحيوا اسم الشقيقين العالمين اللغويين . وهذا عثمان بك جلال ، كاد يكون نسيًا منسيًّا لولا ان همة جوق أبيض أبرزت لنا على مسرح عباس طائفة من رواياتهِ التمثيلية هي كالخرائد جمالاً وجدةً بأن تحيي اسم صاحبها الأديب . وهذا الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الأيادي البيضاء على لغة الاعراب ، سيحتفَل قريباً بنقل رفاتهِ من مصر الى لبنان ، لترقد بقاياه مع بقايا أبيه واخوتهِ في لحد واحد . . . . فالفرصة اذن موافقة لإحياء ذكر ادبائنا الذين غيَّبهم القبر ، كما هي موافقة لتهنئة الذين افترَّ لهم ثغر الدهر

ولئن سرَّني تأليف اللجان في بيروت ولبنان برئاسة الآنسة الذكية سلمى أبي راشد مديرة جريدة « النصير » للقيام باستقبال رفات اليازجي بما يليق ، فقد ساءني ان أرى الشرتوني الكبير والصغير يذهبان ، ولا أرى كلمة فيهما لأساتذتنا الأعلام كعبد الله البستاني او جبر ضومط ، كما انهُ عزَّ عليَّ ان نفقد الأمين بعد النجيب ، ولا يقوم من بين أصدقائهما — ولا أسمّي — من يتحفنا ببحث تاريخي أدبي انتقادي عن آثارهما الكتابية

التمثيل العربي

من الكرسي الخاص بمجلة « الزهور » في « تياترو عباس » حضرت كل الروايات التي مثّلها « جوق أبيض » فشاهدتُ : الأحدب Le Bossu لفيقال ، ومضحك الملك Le Roi s'amuse لڤيكتور هوغو وقد ترجمهما الياس فياض ، والساحرة La Sorcière لڤيكتوريان ساردو ، وترجمتها لفرح أنطون ؛ والشيخ متلوف Tartuffe ، والنساء العالمات Les Femmes Savantes ، ومدرسة الأزواج ومدرسة النساء L'Ecole des Maris, et L'Ecole des Femmes من وضع موليير الشهير وترجمة المرحوم عثمان بك جلال . . ليلات ستّ رأيتُ وسمعت فيها أبهج ما ترى عين الأديب ، وأطرب ما تسمع أذنه : مناظر بهية ،

ومجتمع راقٍ ، حِكم بليغة ، وملاحظات دقيقة مسبوكة في ألطف قالب وأبلغ اسلوب فاجتمعت لذة البصر والسمع والعقل . كلّ روايةٍ من تلك الروايات ترمي الى تمجيد احدى الفضائل ، أو شجب بعض الرذائل بطرق متنوعة تتراوح بين الهزل والجد : فهذا يهذّب نفسك والابتسامة على ثغرك ، وذاك يرقي عواطفك والدمعة في عينيك فلكلّ مؤلفٍ أسلوب ، ولكلّ أسلوب طريق الى القلوب . هذا ما شعرنا بهِ في ليالي أبيض ، وهذا ما رأيناه بأم العين بعد ما سمعنا بهِ من تأثير الروايات في رقيّ الشعوب . ومقابل ما وجدنا من اللذة ، وجنينا من الفائدة في تلك الليالي الغرّ ، أزفُّ كلمة تهنئةٍ وكلمة شكر الى جورج أبيض على الخطوة الكبيرة التي خطاها في هذا الفن[1] ، وأشرك معهُ من التفّ حولهُ من الممثلين والممثلات ، ولا مجال لديَّ اليوم لأذكرَ كلّ من يستحقُّ الذكر . كلمة التهنئة والثناء واجبة أيضاً لمن ألبس تلك الروايات الافرنجية حلةً عربيـة قشيبة . فقد عرفنا قلم الفيّاض كاسمه فيّاضاً يتدفق بالمعاني كسلسبيل الماء ، ويتفجر منهُ الكلام وكله عذوبة وسهولة وصفاء . ورأينا من بيان منشئ الجامعة في « الساحرة » سحراً يفتن الألباب . أما المرحوم عثمان بك جلال الذي نقل روايات موليير « بالزَجَل » وجعل موضوعها بلديًّا ، فقد دلّنا الى ما يمكن استخراجه لمسارحنا من تلك اللغة العامية المملوءة جزالة وعذوبة والى ما فيها من النكات والتلاعب بالألفاظ مع سهولة فهمها وطَبَعية التخاطب بها . وان في نجاح الممثلين الباهر في تلك الروايات وتصفيق الحاضرين المتواصل لأكبر دليل على ما أقول . ويا حبذا لو جاد الزمان بزجّال من طبقة عثمان جلال ، فانهُ ولا شك قادر على ادخال نوع الكوميدي الذي كنا نقنط من وجوده في لغتنا

ولا تنسيني كلمات التهنئة التي أصوغها للمثلين والمترجمين كلمة شكر خصوصية أوجهها الى رجل يدير كل هذه الحركة كالزنبلك ويكاد لا تراه عين عنيت عبد الرزاق بك

(١) في الجزء الثاني من السنة الاولى من الزهور ص ٦٥ تجد تاريخ أبيض ونشأته في التمثيل

وقصارى الكلام ان من بات يقول اليوم ان الفنَّ التمثيلي لم يترقَّ لا يكون حضر ليالي تياترو عباس ، واذا قال ذلك وكان قد حضرها فانهُ يكون من المتعنتين الذين يرومون ادراك الكمال بين عشية وضحاها ، ولا أريد ان اكون من أولئك

نعم ان كل ما شاهدناه في ليالي أبيض كان جميلاً ، ولكن كل ذلك يكلّف مالاً جزيلاً . ومهما كان اقبال الشعب عظيماً فانهُ لا يفي بما هناك من النفقة . وهنا يبتدئ واجب الحكومة . . . حاصد

من كل حديقة زهرة

* اقترح أحد الكتاب على سبيل الفكاهة تأليف وزارة عامة من دول العالم على الشكل الآتي : هولاندا لرئاسة الوزاة . انكلترا لوزاة البحرية . الولايات المتحدة لوزاة الحربية . فرنسا لوزارة المالية . المانيا لوزارة الداخلية . تركيا لوزارة الخارجية . النمسا لوزارة المعارف . ايطاليا لوزارة الاشغال والصناعة . روسيا لوزارة الزراعة . بلجيكا لوزارة البريد . اليابان لوزارة المعادن والغابات . واسبانيا لرئاسة مجلس الأعيان . والبرتغال لرئاسة مجلس النواب . واليونان لكتابة الأسرار في الوزارة الداخلية — وقد ذكر الكاتب على هذه الطريقة ما امتازت بهِ كل دولة من الدول في الشؤون الاجتماعية

* لنا في كل يوم برهان جديد على توقد الذكاء الشرقي ، وتفوّقهِ في الفنون والصنائع، متى انفسح له المجال، وساعدتهُ الأحوال . وقد قرأنا في صحف أميريكا ان حكومة الولايات المتحدة أقرَّت على وضع نشيد وطني رسمي . فتبارى رجال الموسيقى في هذا الباب وأخذوا يضعون الأناشيد ، وفي جملتهم الموسيقي الشهير اسكندر افندي معلوف أحد المهاجرين السوريين . فوضع نشيداً دعاه « لأجلكِ يا أميريكا » ثم عرضهُ على دوائر المعارف في نيويرك وبوسطن ، فلاقى استحسان الجميع . وسئلت دوائر المعارف في جميع المدن الأميريكية الكبرى استعمال هذا

النشيد البديع في تمرينات التلاميذ اليومية ، ولم يبقَ لاتخاذه نشيداً رسمياً للبلاد الأ موافقة مجلس النواب عليهِ . وروت الصحف أيضاً ان المستر تفت رئيس الولايات المتحدة سمع تلحين هذا النشيد فأعجب بهِ كل الاعجاب

* مثّل سعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف الحكومة المصرية في مؤتمر التربية الدولي الذي عُقد في هذا الصيف في مدينة لاهاي . وقد ألقى خطبة تناول فيها مجمل تاريخ التربية الدينية والفلسفية في مصر معلناً ان التربية في وادي النيل الآن أوسع مما كانت عليهِ لامتزاجها بكثيرٍ من مبادىء التربية المدنية الحرَّة في أوروبا وان التسامح الديني بلغ مبلغاً يضمن التأليف بين العناصر المختلفة في البلاد

* زاد دخل شركة قناة السويس في الستة الأشهر الأولى من هذه السنة ٨٥٫٨٤٠ جنيهاً عن دخلها في مثل هذه المدة من السنة الماضية . ويُنتظر ان تبلغ الزيادة في السنة ١٢٠ ألف جنيه أو ثلاثة ملايين فرنك . وذلك رغم الاعتصابات العديدة والعراقيل الجمة التي عطلت الملاحة في هذا العام ورغم تخفيض الشركة للرسوم التي تتقاضاها

* من أخبار الصين ان يوانشيكاي رئيس الجمهورية الصينية أصدر أمره بتعطيل جريدة « كنغ ياو » التي كانت تنشر من نحو ألف وخمسمائة سنة أي من قبل وجود المطابع في أوروبا . وكانت الأحرف مركبة من الرصاص والفضة ، والورق من الحرير الأصفر . وقد برهن مديرو هذه الجريدة في كل آن عن استقلال في الرأي والنزوع الى التمدُّن الحديث ؛ وحدث ان أحدهم تجرَّأ في القرن الثاني عشر واقترح على الحكومة ارسال بعثة الى اوروبا لدرس عاداتها واتخاذ ما يوافق الصين منها فكان جزاؤه الاعدام . ومنذ سنة ١٨٠٠ أخذت الجريدة المذكورة تصدر يومياً وفي سنة ١٩٠٧ أمرت الامبراطورة بتعطيلها لأنها أذاعت المساعي التي كانت تُبذل أوانئذٍ في القصر لاختيار وليّ للعهد . فاستأنفت الجريدة الظهور بعدئذٍ باسم آخر، وربما فعلت هكذا هذه المرة أيضاً واستأنفت الظهور رغماً عن الأمر الصادر بتعطيلها

ثمرات المطابع

كتاب آداب العرب[1] — عرف قراء العربية شاعراً تعوّد توقيع منظوماتهِ في الصحف والمجلاَّت بامضاء « العرب » . وكان هذا التوقيع يلتبس أحياناً على بعض صحفنا في اميركا وسوريا فتتوهم تلك المنظومات من المنقولات عن العرب . اما هنا فقد عرفناها لحضرة الامي ابرهيم بك العرب ، وعرفنا شاعرها اديباً غيوراً على لغتنا ، صديقاً صدوقاً لمعظم ادبائنا . بين يدينا الآن كتابٌ من قلم حضرتهِ جمع فيهِ ما امتاز بنظمهِ من الحِكَم والأمثال على ألسنة الحيوانات ، فجاء فيهِ ما ينيف على المئة عظة قال ناظمها

عن الطيرِ في جوّ السماء أخذتها　　وفي القفرِ عن ظبيٍ وذئبٍ ورئبالِ
وقد ضمنها حكماً ومواعظ :　　لتهذيب أخلاقٍ واصلاح أحوالِ

وقد قدرتها نظارة المعارف قدرها فقررت طبع كتاب العرب على نفقتها ، كما قرّرت تدريسه في المدارس الابتدائية وفي مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب ؛ وهذا أجمل تقريظ لكتاب صديقنا ابرهيم بك

اما طريقة الارشاد وتلقين الفضائل بواسطة الأمثال فهي قديمة العهد ، فقد ورد شيءٌ من ذلك في التوراة والانجيل . واشتهر بالأمثال عند القدماء ايزوب الرومي ، وعند الافرنج لافونتين وهو أبلغ من كتب في هذا الباب . ونالت الأمثال المنسوبة الى لقمان الحكيم شهرةً بعيدة

(١) المطبعة الأميرية في مصر

عند العرب . ومن الأئمة في هذا الفن ابن المقفّع ، وكتابه « كليلة ودمنة » أشهر من أن يُعرّف . ومن كُتُب الأمثال كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » لابن عربشاه الدمشقي . وقد ورد شيء من هذا النوع في كتاب « سلوان المطاع » لحجة الدين بن ظفر ، وفي كتاب « عنوان البيان » للشبراوي ، وكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتاب « الاذكياء » لأبي الفرج بن الجوزي ، وفي مصنَّفات السيوطي . وأشهر من كتب في هذا الفن من المحدثين رزق الله حسُّون وقد طبع كتابه « النفثات » في لندرا ، ومحمد عثمان جلال ، وطبع كتابه « الأمثال والمواعظ » في مصر . ونحن اليوم نسجل اسم « العرب » الى جانب أسماء هؤلاء الائمة

* العائلة المصرية [١] — جميلة ومعزّية النهضة الادبية التي نشاهد اثارها بين نسائنا وفتياتنا . فقد قام فريق منهنّ يعاون رجالنا في ترقية مجتمعنا الشرقي ، آخذات على عاتقهنّ تنبيه أخواتهنّ الى واجب المرأة ، والدفاع عن حقوقها . وقد انضم الى هذه الفئة العاملة كاتبة جديدة ، عرّفتنا بها الجرائد في هذه المدة ، وقد زدنا بها معرفةً من كتاب جليل الفائدة أهدته الينا في الشهر الماضي ، فرأينا فيها نفساً تتلهب غيرةً على مجد قومها ، وعقلاً يقدح زناد الفكر في معرفة دائنا ودوائنا . فبحثت في موضوع « العائلة » وهي اساس العمران وركن الاجتماع ، وتتبعت بنوع خاص العائلة المصرية في جميع ادوارها ومظاهرها وطبقاتها ، وانتقدت

(١) مطبعة التقدم في مصر . عدد صفحاته ٢٥٦ وثمنه ٨ غروش

بعض عاداتنا في التربية والمعيشة الزوجية ، وهي « كتبت ما كتبت بعد ان تأملت فتألمت ، وفكّرت فتحسرت على مجدٍ آفل وعزٍ غابر » وقد قرنت هذا الشعور الرقيق بخيالٍ واسع يساعدها على تصوير الحقائق والمناظر بصورٍ تمثلها لك أبلغ تمثيل . والشعور والخيال من أهمّ صفات الكاتب ، فلا يبعد ان تنال هذه الكاتبة الجديدة مقاماً رفيعاً بين اديباتنا ، وقد مهد لها كتابها « العائلة المصرية » الطريق لذلك

* وصايا الوطن العشر[1] — واضع هذا الكتاب ، أميل فاكه Emile Faguet أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسوية ، من الكتّاب المفكّرين والمنشئين البعيدي الصيت . وقد بحث في كتابه هذا بحثاً وافياً في ماهية الوطن وأقسامهِ ، والوطنية ورسوخها في قلب الانسان والبواعث العاملة على تقويتها في النفوس كاللغة والدين ، وتاريخ البلاد وفنونها وآدابها وعلومها ، الى غير ذلك من الابحاث النفيسة المبنية على التحليل البسيكولوجي والأدلة التاريخية . وقد استنتج الكاتب من بحثهِ — وهذا ما يجدر بالشرقيين ، حكّامهم ومحكوميهم ، تفهّمهُ — انه يجب على الحكومات التي توجد فيها اليوم مذاهب سياسية وأديان متعددة ان تعتقد : أن المذاهب ليست عاملاً من عوامل الوطنية ، وان في مقاومة هذه المذاهب والاديان إضعاف الوطنية ؛ وان الوسيلة الوحيدة لجعل كل هذه المذاهب والاديان وطنيةً هي اطلاق حريتها كلها ومساواتها كلها في المعاملة . أما ناقل هذا

(١) طبع في مطبعة قره بت في الاستانة . ويطلب في مصر من ادارة المقطم ومكتبة الهلال وثمنه ٥ غروش صاغ

السفر النفيس الى العربية فهو الكاتب المشهور ابرهيم افندي سليم نجار مراسل المقطم من العاصمة العثمانية ، وهي خدمة جديدة له تضاف الى خدماتهِ السابقة في سبيل ابناء جلدته . فنسأل له التوفيق ولكتابه الرواج

* أمثال الشرق والغرب[1] — عنوان كتابٍ ضمَّ بين دفتيهِ زبدة ما دار على ألسنة الفلاسفة والحكماء من الأقوال المأثورة والأمثال المشهورة ، جمعها ورتبها حسب مواضيعها حضرة الاديب الفاضل يوسف افندي توما البستاني ؛ فأجاد وأفاد . لأن مثل هذه الأقوال هي نتاج الادمغة المفكّرة ، وخلاصة الحكمة في كل مكان وزمان ؛ فان كثيراً ما تكون الجملة الواحدة نتيجة اختبارٍ طويل وملاحظات عديدة ، فتجيء بالمعنى الكبير . وسننشر في عدد قادم طائفة من هذه الأقوال لما فيها من جزيل الفائدة

* الصديق — عنوان مجلة جديدة أصدرها في الاسكندرية الفاضل عبد الحميد افندي سالم ، وهي أدبية تاريخية روائية . جاءنا العدد الأول منها وهو يتضمن بعد المقدمة مقالة عن الشاعر البرتغالي كاموينس ، وبحثاً مستفيضاً في الروايات ومطالعتها وكتابتها والأسلوب الروائي . وقيمة الاشتراك ٣٠ غرشاً صحيحاً في مصر و ١٠ فرنكات في الخارج . فنتمنى ان يكون للصديق أصدقاء كثيرون

---

(١) المطبعة اليوسفية في مصر

يوليوس قيصر

رواية تمثيلية من أشهر الروايات ، وأحكمها وضعاً ، وأعظمها وقعاً في النفوس
لمؤلفها نابغة هذا الفن « شكسبير » الروائي الانكليزي الشهير

نقلها الى العربية بعبارة بليغة مطابقة تماماً للأصل الانكليزي حضرة الكاتب المجيد

سامي الجريديني المحامي

وسننشرها تباعاً ابتداء من هذا الجزء بمناسبة النهضة التمثيلية الحديثة

اشخاص الرواية

- يوليوس قيصر
- اوكتافيوس قيصر ، ماركوس انطونيوس ، اميليوس ليبدوس — حكام الدولة الرومانية بعد موت قيصر
- پوبيليوس ، پبليوس ، شيشرون — من اعضاء مجلس الشيوخ
- بروتوس . كاسيوس . كاسكا . ليجاريوس . تريبونيوس . سمبر . ديسيوس . سنّا — المتآمرون على قيصر
- فلافيوس
- مارو ليوس
- ارتيمدوروس
- منجّم
- سنّا الشاعر – وشاعر آخر
- لوسيليوس ، تيتينوس ، مسلاّ ، كاتو الصغير ، ڤولومنيوس — اصدقاء بروتوس وكاسيوس
- ڤارو . كليتوس . كلوديوس . ستراتو . لوسيوس . دارداتيوس — خُدّام بروتوس
- بنداروس — خادم كاسيوس
- كالبورنيا — امرأة قيصر
- بورسيا — امرأة بروتوس
- اعضاء مجلس الشيوخ . اهالي . حرس وخدَم

الفصل الاول

« المشهد الأول »

شارعٌ في رومه

(يدخل فلافيوس وماروليوس و بعض عامة الناس)

فلافيوس — الى بيوتكم ! اذهبوا الى بيوتكم أيتها المخلوقات الكسلى . أتظنون اليومَ يومَ عيد ؟ أو لا تعلمون أنهُ لا يجوز لكم وأنتم من الصنّاع ان تسيروا في الأسواق في غير أيام البطالة بدون ان تحملوا شارات صناعاتكم ؟ أنت يا هذا تكلم . ما حرفتك ؟

العامي الأول — نجّار يا سيدي

ماروليوس — أين وزرتك وأين مَسطرتك ؟ وما تصنع جائلاً مرتدياً أحسن ملابسك ؟ [1] وأنتَ يا هذا من أيّ الحرف أنت ؟

العامي الثاني — اذا عُدَّ الصناع الحاذقون فما أنا يا سيدي الاّ عامل مرقّع

ماروليوس — ولكن ما صنعتك ؟ قلْ بلا موارَبة

العامي الثاني — اني أحترف حرفة أرجو ان أواظب عليها بالأمانة والاخلاص ألا وهي ترقيع القديم

ماروليوس — (غاضباً) ما صنعتك يا دنيء ؟ أيها الدنيء المنافق ما صنعتك ؟

العامي الثاني — لا تغضب يا سيدي . لا تغضبْ عليَّ . فاني قدْ أُصلحك

ماروليوس — ما تعني بهذا أيها الوقِح ؟

---

(١) من عادات الرومانيين ان يحمل الصناع شارات صناعاتهم في كل وقت فلا يخرج صانع الا وهو حامل شارة صناعته

العامي الثاني — أي اني ارقّعك يا سيدي

فلافيوس — آه . أنتَ سكاف . أليس كذلك ؟

العامي الثاني — حقاً يا سيدي ان المخرز آلة معيشتي . فقد اصطفيتهُ لي خليلاً دون جميع الرجال والنساء . نعم . أنا جرّاح الأحذية القديمة آسوها عند إشرافهــا على الهلاك . ان خيرَ مَن مشى على الأرض مرَّت رجلاه بين يديّ

فلافيوس — ولماذا تركت حانوتك اليوم وخرجت تقود هؤلاء الناس في الاسواق ؟

العامي الثاني — حتى يقطّعوا أحذيتهم مشياً فيزداد كسبي. على اني لا اكتمك يا سيدي اننا تركنا اشغالنا لنرى قيصر ونفرح لانتصاراته [1]

ماروليوس — ولمَ تفرحون ؟ أين النصرُ المبين الذي جاءنا بهِ ؟ وأين الأسارى الذين أتى بهم الى رومة يحفّون بمركبــاته ؟ أي بني رومة قساة القلوب غلاظ الرقاب . كونوا حجارةً ! كونوا خُشُباً مسندةً ! ان الجماد لخيرٌ منكم . أنسيتم بومباي ؟ يوم كنتم تتسلقون الاسوار والمباني وتصعدون الى النوافذ والأبراج — بل الى المداخن — حاملين اطفالكم ، واقفين صابرين منتظرين اليوم كله لتختلسوا نظرةً من بومباي وهو مارٌ في شوارع رومه . حتى اذا لاحت لكم مركبته هتفتم له هتافاً اهتزّت له اعماق التيبير كأنه يتطالُّ ليسمع صدى اصواتكم المالئة شاطئيهِ ! .. والآن ؟ ماذا تفعلون الآن ؟ أترتدون أحسن ملابسكم وتخلقون لأنفسكم عيداً وتنثرون الازهار في طريق رجل جاءكم بنصرٍ مخضّب بدم بومباي ؟ اليكم عني ! تفرّقوا . اركضوا الى قعر بيوتكم وخرُّوا سجّدًا وادعوا الالهة علّها تحوّل عنكم

---

(١) المحاورة بين الصانعين وبين فلافيوس وماروليوس صعب نقلها الى العربية نقلا حقيقياً دقيقاً لأن معظمها تلاعب في الالفاظ من نوع الجناس اللفظي . وشكسبير مغرم بهذا النوع من الكلام يجعله يدور دائماً أبداً على ألسنة صغار القوم وادنيائهم من اشخاص رواياته

طاعوناً واقعاً لا محالة عليكم يا ناكري الجميل [1]

فلافيوس — يا ابناء وطني الصالحين . اذهبوا . اذهبوا واجمعوا جموعكم الذين على شاكلتكم الى ضفاف التيبير ، واذرفوا الدمع حتى يفيض منهُ النهر و يملأ عبرَيه عسى أن تُغفر لكم اوزاركم (يخرج جميع الاهالي) أنظرْ . انَّ أدنى عواطفهم قد تحرَّكت . ألا ترى كيف خرسوا في ذنوبهم وذابوا ؟ اقصد انت الى الكابيتول من هذه الناحية ، وانا من هنا ، واذا رأيت صوراً مزدانة بزينة قيصر فانزع زينتها

ماروليوس — أيليق أن نفعل ذلك واليوم عيد لوباركال ؟ [2]

فلافيوس — لا بأس . يجب ان لا ندع الصور مزدانة بزينات قيصر . انا ذاهب لاطرد العامة من الشوارع فافعل انت فعلي وفرّقهم حيث تراهم متكاثفين . فإنّا اذا نزعنا الآن هذه الريشات المتنامية من جناح قيصر ما استطاع ان يطير فوق الطيران العادي . اما اذا لم نفعل فانهُ يحلّق الى حيث لا تراه العين ، ونبقى نحن خاضعين خائفين (يخرجان)

« المشهد الثاني »

محلٌّ عام . هتاف

(يدخل قيصر وأنطونيوس وكالبورنيا امرأة قيصر، وبورسيا امرأة بروتوس،

---

(١) يشير شكسبير الى رجوع قيصر من اسبانيا منتصراً على اولاد بومباي القائد الروماني الشهير وكان لبومباي هذا حزب كبير في رومه فلم يكونوا ليسروا بانتصار روماني على روماني آخر عظيم . ولكن شكسبير جعل يوم رجوع قيصر منتصراً هـذا النصر موافقا لعيد لوباركال والتاريخ لا يصدقه في ذلك . فعيد لوباركال يقع في ١٥ فبراير ورجوع قيصر كان في اكتوبر من سنة ٤٥ قبل الميلاد المسيحي

(٢) لوباركال اسم محل في رومة يعتقد مؤرخو الرومان الأقدمون انه المحل الذي وجدوا فيه الأخوين روميلوس وريموس ومعهما عنزة ترضعهما (وروميلوس مؤسس رومة) فصار الرومانيون يعيدون في ١٥ فبراير من كل سنة هـذا العيد اكراماً لمؤسس رومة . وكان من عاداتهم في هذا العيد ان يزينوا جميع التماثيل والصور بزينات ابطالهم

وديسيوس وشيشرون وبروتوس وكاسيوس وكاسكا . وجمع كثير يتبع ، وبينهم منجّم ، لمشاهدة السباق[1])

قيصر — كالبورنيا ! [2]

كاسكا — يا هو ! اسكتوا ! ان قيصر يتكلم

قيصر — كالبورنيا !

كالبورنيا — هانذا سيدي

قيصر — قفي واعترضي أنطونيوس في طريقهِ حين يمرُّ بكِ جارياً ! أنطونيوس !

أنطونيوس — سيدي قيصر

قيصر — لا تنسَ وأنت تجري في السباق ان تلمسَ كالبورنيا . فان شيوخنا يقولون انهُ اذا لمس أحد المتسابقين عاقراً في مثل هذا اليوم زالت عنها لعنة عقرتها

أنطونيوس — سأذكر ذلك ولا أنساه . ان قيصر اذا قال لشيءٍ كن فيكون

قيصر — ابدأوا . والعبوا لعبكم (هتاف واختلاط)

المنجم — أي قيصر !

قيصر — ها . من يناديني ؟

كاسكا — قولوا للناس تسكت ! اسكتوا !

قيصر — من يناديني في مثل هذا الزحام ؟ فاني أسمع صوتاً أرفع من صوت الموسيقى ينادي قيصر . تكلم . ان قيصر مصغٍ يسمع

---

(١) كان الرومانيون يتسابقون جرياً على الاقدام في أعيادهم وكان من عاداتهم ان تقف النساء العاقرات ويمددن أيديهنّ في سبيل الراكضين فيضربهنّ أحد المتسابقين . وكانوا يعتقدون ان في ذلك ازالة لعقرتهنّ (٢) كالبورنيا امرأة قيصر الرابعة فانه كان قد تزوج ثلاثاً قبل ان يتزوج بها وهي ابنة كالبورنيوس بيزو

المنجم — إحذر خامس عشر مارس !

قيصر — مَن الرجل ؟

بروتوس — ان منجماً يحذرك خامس عشر مارس

قيصر — إيتوني بهِ . دعني أرَ وجهه

كاسيوس — (يخاطب المنجم) تقدَّم من بين الجمع وانظرْ الى قيصر

قيصر — ماذا قلتَ لي ؟ قلْ مرةً اخرى

المنجم — احذر خامس عشر مارس !

قيصر — انهُ لحالِمٌ . لندعه وشأنه . هيّوا بنا

(يخرج الجميع ويبقى بروتوس وكاسيوس)

كاسيوس — أتأتي معي لمشاهدة السباق ؟

بروتوس — ما أنا بالذاهب

كاسيوس — رجوتك . افعلْ

بروتوس — ما أنا باللعَّاب . انهُ لينقصني بعض ما عند أنطونيوس من الميل الى اللهو . ولكن لا يقفنَّ امتناعي في سبيل ذهابك أنت . ها أنا منصرف

كاسيوس — اني ألحظُ اليك منذ زمن يسير فلا أرى في عينيك تلك المودة التي عوَّدتنيها . ولا تُظهر لي من الحبِّ ما كنتُ أنتظره منك . ولا تمدّ يدك السمحاء مدًّا يرقبهُ صديقك الصدوق

بروتوس — لا تخدعنَّك الظواهر يا كاسيوس . فما حوَّلتُ وجهي عنك بل عن نفسي . . . عواطف متباينــة تتقاذفني . إنْ هي الاّ أفكار خاصة بي قد تصطبغ بها أعمالي . فلا يحزن أصدقائي لأمري — وأنتَ يا كاسيوس في عدادهم — وليعلموا ان بروتوس قد اشتغل بمحاربة نفسه عن اظهار المودّة لهم

كاسيوس — اذن عفوَكَ عن اخطائي حسن مقصدك . بل عفواً عن خطاءٍ

جعلني أخفي عنك في طيّ قلبي أفكاراً وتأملات ذات شأن وقيمة قلْ يا بروتوس!
هل تستطيع ان ترى وجهك ؟

بروتوس — كلاّ . فان العين لا ترى نفسها الاّ اذا انعكست صورتها اليها بشيء آخر

كاسيوس — هذا أكيد . أسفي ان لا يكون لديك مرآةٌ تعكس لك فضائلك المخبأة فتريك ظلك . اني سمعتُ كثيرين من أعلى الناس مقاماً في رومه — عدا قيصر — يئنون تحت نير هــذا الزمان . يذكرون بروتوس ويتمنون لو ينظر الى نفسهِ بأعينهم

بروتوس — الى أيّ الأخطار تدفعني يا كاسيوس فتجعلني أفتش في نفسي عما ليس فيَّ

كاسيوس — اذن تهيأ للسمع . وما دمتَ تعلم انك لا تستطيع النظر الى نفسك فأنا أقفُ لك مرآةً صغيرة تعكس ما خفي عليك منك . لا تسيء الظنّ بي . لو كنتُ ضَحِكة بين الناس او من الذين يطرحون صداقتهم طرحاً على أول قادم . او كنتُ ممن ينقلب على الصديق عدوًّا أغتابهُ بعد ان اكون قد مدحتــهُ . او كنتُ أحفلُ باسترضاء عامة الناس لحقَّ لك الحذرُ مني (هتاف في الخارج)

بروتوس — ما هذا الهتاف ؟ اني أخشى ان يكون الشعب قد اختار قيصر ملكاً

كاسيوس — آه . أتخشى الأمر ؟ اذن أنت لا ترغبُ فيهِ ؟

بروتوس — أي كاسيوس . اني لا أريد ذلك ولكني أُحبّ قيصر . . . . ولمَ تمسكني عن الذهاب ؟ ما الذي تودُّ ان تبوح لي بهِ ؟ ان كان هناك ما يعود بالنفع على بلادي فدونك عينيَّ ! ضعْ الموتَ أمام احداهما والشرف أمام الأخرى فتراني أنظرُ الى الأمرين نظراً واحداً وأسيرُ في طريقي إما الى الموت واما الى الشرف. لتعجّل الآلهة بالقضاء عليَّ إن كنت لا أحبُّ الشرف اكثر مما أخاف الموت

كاسيوس – أعرف بكَ هذه الفضيلة كما أعرفك . خفّف عنك . اني أسوقُ اليك حديثاً موضوعه الشرف . ما الحياة ؟ اني أجهل رأيك ورأي الناس في قيمة هذه الحياة الدنيا . أما أنا فسيَّان عندي الموت والحياة اذا كان لا بدَّ لي من العيش خائفاً من نفسي... لقد ولدتُ حرًّا مثل قيصر . او لستَ أنت حرًّا أيضاً ؟ تغذَّينا كلانا من غذائهِ . وكلانا يتحمل برد الشتاء كاحتماله . فاني كنت مرة مع قيصر على شاطئ نهر التيبير في يوم مطير ذي ريح عاصفة . وأمواج النهر تودُّ لو استطاعت التملص من شاطئيه فتلطمها حَنِقةً غضبى . فقال لي قيصر أتجسر يا كاسيوس ان تقفز معي الى هذا النهر الشرس فنسبح الى الضفة الأخرى . فامتثلتُ الأمر حالاً ووثبتُ الى الماء وقلتُ له اتبعني . فتبعني . وتدفق السيلُ وعلا خريره فأخذنا نكافحه بأعصاب كَلِبَةٍ ندفع الأمواج غير هيابين فتندفع . وما كدنا نصل الى هَدَفِنا حتى سمعتُ قيصر ينادي « اليَّ يا كاسيوس أو أغرق » فانتشلتهُ من ماء التيبير مضنوكاً كما انتشل جدُّنا الأعلى اينياس العجوزَ أنشيزيس من نيران ترواده الملتهبة . وها قد صار هذا الرجل الهاً و بقي كاسيوس رجلاً تعساً ، عليهِ ان ينحني خاشعاً اذا تكرَّم قيصر ورمقهُ شزراً . انهُ اصيب بالحمى في اسبانيا فكان يرتجف ارتجافاً عند ما تأتيه النوبة . لقد شاهدت ارتجافه . نعم لقد رأيتُ هذا الإله يرتجف ورأيت شفتيه وقد جَبُنتا ففرَّتا هاربتين من لونهما الطبيعي . وتلك العين التي يرتعب العالم من نظرتها رأيتها وقد زال عنها لمعانها . لقد سمعتهُ يئن . ان لسانه الذي أمر الرومانيين ان يكرموه ويدوّنوا خطَبَهُ في كتبهم كان يصرخ طالباً كأساً من الماء كما تصرخ امرأة على سرير المرض . إيهِ أيتها الآلهة ! اني أعجب كيف يتسنى لرجلٍ بهِ من ضعف الخُلق ما بهِ ان يحوز قصب السبق وحده على هذا العالم العظيم (هتاف في الخارج)

بروتوس – انهم يهتفون أيضاً . وما أظنُّ هذا الهتاف الاَّ تكريماً يضاف الى حساب قيصر

كاسيوس — ويلك يا رجل . انهُ مثل صنم رودس يضمُّ بين ساقيه هذا العالم الضيق ولا يُبقي لنا نحن صغار الخلائق الاّ ان نمشي بين رجليه الضخمتين ثمَّ نتطال لنجدَ لأنفسنا قبوراً ندفن بها عارنا . الناس يملكون في بعض الأحيان آجالهم اننا نعيبُ زماننا والعيب فينا . بروتوس — قيصر — بما الفرق بين الاسمين وبمَ يفضل قيصر بروتوس ؟ ولمَ ينادى باسمهِ اكثر مما ينادى باسمك ؟ اكتب الاسمين معاً . ليس اسمه بأجمل من اسمك . تلحن في قراءتهما . ان اسمك عذب اللفظ كاسمهِ . ضعهما في كفتي ميزان فلا يرجح اسمهُ اسمك . عزّم بهما فسرعان ما تخرج الأرواح من بروتوس خروجها من قيصر . وأيم الالهة جميعها ! على أي طعام يقتات قيصر هذا حتى ينمو ويصير عظيماً ؟ خزياً لهذا الزمان ! لقد أضعت الدم الشريف من عروقك يا رومه . وانهُ ما مرَّ منذ الطوفان زمن احتكر شهرته رجل واحد فقط . وما استطاع رجل ان يقول قبل الآن ان جدران رومه الواسعة ضاقت عن ان تسع اكثر من واحد . وها نحن، ورومه رومه ، ولا مكان لاكثر من رجل فرد فيها . اني سمعتُ آباءَنا تقول ان قد كان فيما مضى رجل يُدعى بروتوس ودَّ لو خضع لحكم الشيطان الأبدي ولا يرى ملكاً على رومه

بروتوس — لا اشكُّ في حبّك لي . واظنني قد حذرت بعض ما تدفعني اليهِ . سانبئك بما يستقرُّ عليهِ رأيي في هذه الأمور . اما الآن فأرجوك أن لا تزيد في تحريك شجوني . اني سأمعن النظر فيما قلت وسأصغي الى كل ما ستقول ثمَّ لي جواب على هذه المهام . واعلم اني أوثر ان اكون قروياً حقيراً على ان اكون ابناً لرومه ينوء تحت أحمالٍ قد يحمّلنا اياها هذا الزمان . فامضغ هذا الكلام جيداً حتى نلتقي مرةً أخرى

كاسيوس — أنا فرحٌ لأن كلماتي الضعيفة قد أذكت مثل هذه النار في صدرك

بروتوس — قد انتهت الألعاب وعاد قيصر .

كاسيوس – عند ما يمرّ القوم اجذب كاسكا من كُمّ ثوبه اليك فيروي لنا باسلوبه الساخر ما يستأهل الرواية من حوادث اليوم (يدخل قيصر واتباعه)

بروتوس – سأفعل . انما تعالَ وانظر . ها علامة الغضب تلمع على جبهة قيصر . واتباعه يمشون كاسفين . ان الاصفرار يعلو خدي كلبورنيا . وشيشرون ينظر بأعين من نار تذكرنا مواقفه في الكابتول حين يعارضه في الكلام أحد اعضاء المجلس

كاسيوس – سيقص كاسكا الخبر علينا

قيصر – انطونيوس !

انطونيوس – قيصر ؟

قيصر – أبغِني رجالاً يحيطون بي . رجالاً سماناً ذوي رؤوس ناعمة ينامون الليل كله . ان لكاسيوس الواقف هناك نظرات جائعة مهزولة . انهُ كثير التفكير ومثل جانبه لا يؤمن

انطونيوس – لا تخفهُ ، ليس منهُ خطر . انهُ روماني نبيل يميل اليك

قيصر – ليتهُ كان سميناً . ولكني لا أخافه . على انهُ لو أُعطي لي ان أخاف ، لما تجنبتُ رجلاً تجنبي كاسيوس الناحل . انهُ يقرأ كثيراً ، وهو شديد الملاحظة ، يحدق بنظره فيخترق اعمال الناس . لا يلهو ولا يلعب نظيرك يا انطونيوس ، ولا يسمع الغناء ، يتبسم قليلاً ، واذا تبسم فكأنهُ يهزأ من نفسه او يحتقر قلباً يجد ما يستأهل التبسم . ان امثاله قلقون أبداً ، لا يهدأ لهم بال اذا رأوا من هو أعظم منهم . فهو خَطِر . على اني انبئك عما يجب ان تخاف وليس عما أخافهُ انا . لأن قيصر لا يزال قيصر . تعالَ الى يميني ، فان هذه الأذن ثقيلة السمع وأبدِ لي رأيك فيهِ بالحق . (يخرج قيصر واتباعه ما عدا كاسكا)

كاسكا – انك جذبت كمَّ ثوبي . هل تبغي محادثتي ؟

بروتوس – نعم ، انبئنا ما الذي اساء قيصر اليوم

كاسكا – انك كنت معهُ . . ألم تكن معهُ ؟

بروتوس – لو كنت معهُ ما سألتك شيئاً

كاسكا – لقد قدّموا له تاجاً ، وبعد ان قدّموه ردّه بيده هكذا . فهتف له الشعب

بروتوس – وما كان سبب الهتاف الثاني ؟

كاسكا – الأمر نفسه

كاسيوس – ولكنهم هتفوا ثلاثاً

بروتوس – هل أهدوا التاج اليهِ ثلاث مرات ؟

كاسكا – نعم . ثلاث مرات ، وقد ردّه ثلاثاً ايضاً . لكنه تمهّل في الثانية اكثر مما في الأولى ، وفي الثالثة اكثر مما في الثانية . وكان الذين حواليَّ يهتفون له المرة بعد الأخرى

كاسيوس – من قدّم له التاج ؟

كاسكا – انطونيوس

بروتوس – كيف كان ذلك ؟

كاسكا – أما كيف كان ذلك فصعب عليَّ وصفه . ما اكترثتُ . ظننت الأمر ألعوبة . رأيت ماركوس انطونيوس يقدّم له شيئاً ليس بالتاج حقيقة بل اكليلاً صغيراً . وقد قلت لك انهُ رفضهُ . على اني أظنهُ كان يود لو أبقاه . فقدّم الاكليل ثانية ، فردّه قيصر ايضاً . على انني أظنهُ استثقل ان يعيد يده خاليةً منه . فعاد انطونيوس وقدم الاكليل مرة ثالثة ، فردّه بين هتاف الجمهور وتصفيقهم . وأخذوا يرمون قبعاتهم القذِرة في الهواء فتختلط رائحتها برائحة أنفاسهم المنتنة حتى كاد يُقضى على قيصر . فقد اعتراه الاغماء وسقط الى الأرض . اما

أنا فلم أجسر ان أضحك مخافة ان أفتح فمي فيمتلئ ريحاً خبيثة

كاسيوس — مهلاً . مهلاً . هل أغمي على قيصر ؟

كاسكا — انهُ سقط على قارعة الطريق ، وأزبد فمه ولم يتكلم

بروتوس — والأمر معقول . فان قيصر مصاب بداء الصرع

كاسيوس — ليس قيصر المصاب بالصرع ! بل أنت ، وأنا ، وهذا الأمين كاسكا . نحن المصابون بالصرع !

كاسكا — لا أفهم ما تقول . ولكني أعلم ان قيصر وقع الى الأرض وكان قد لحظ قبل ان يقع سرور الشعب لرفضه التاج فجذبني اليهِ لأنزع الرداء عن عنقه ، والتفت الى جمهور الواقفين وقال « تعالوا اضربوا عنقي » . اما أنا فلو كنت أحد هؤلاء الصنّاع لصدقته حالاً . وعند ما رجع الى نفسه ، اعتذر عما بدر منهُ ونسب السبب الى مرضه ، فصاحت ثلاث او اربع نساء كنَّ بجانبي «يا له من ملك كريم» وغفرنَ له من كل قلوبهنَّ . انما لا عبرة باعمالهنَّ فلو طعنَ قيصر امهاتهنَّ ما فعلنَ خلاف ذلك

بروتوس — و بعد ذلك خرج كئيباً ؟

كاسكا — نعم

كاسيوس — هل تكلم شيشرون ؟

كاسكا — نعم . تكلم باليونانية

كاسيوس — ماذا قال ؟

كاسكا — لو كنت أعلم ما قال لما نظرت الى وجهك بعد الآن . اما الذين فهموه فكان ينظر بعضهم الى بعض ويتبسمون ويهزّون الرؤوس . اما انا فلم افهم شيئاً . كان الكلام يونانياً — دونك خبراً آخر : انهم قبضوا على ماروليوس وفلافيوس لأنهما نزعا الزينات من صور قيصر . وهناك مساخر أخرى قد نسيتها . (مودّعاً) طيبا نفساً

كاسيوس — تعالَ تتعشى في بيتي هذا المساء

كاسكا – لا . فان لي موعداً آخر

كاسيوس – فليكن الأمر غداً

كاسكا – لا بأس . ان عشتُ، وكان غذاؤك طيباً ، وان أنت لم تنسَ

كاسيوس – سأكون بانتظارك　(يخرج كاسكا)

بروتوس – غريب أمر هذا ! وكيف صار بطيء الفهم . فقد كان رفيقي في المدرسة وعرفته على جانب عظيم من الذكاء وسرعة الخاطر

كاسيوس – انهُ لا يزال سريعاً في التنفيذ سبّاقاً الى غايات الشرف والشجاعة رغم ظاهره البطيء . وليست هذه الخشونة البادية عليهِ الاَّ مرقاً في صحن ذكائهِ يذيقهُ الناس فيحسنون هضم كلامه بشهية

بروتوس – وهو كذلك . سأتركك الآن . فاذا أحببتَ ان تراني غداً أجيئك . أو تعالَ انت الى منزلي . اني اكون بانتظارك

كاسيوس – سأفعل . استودعكَ التفكير في شؤون هذا الزمان (يخرج بروتوس) . انك شريف يا بروتوس . على اني أرى معدنك الشريف قد يُصكُّ ويحوَّل الى غير وجهتهِ . ولذلك وجب ان لا يخالط الشريف الاَّ الشريف ، فالعصمة ليست لأحد ، وأي الرجال لا يُستغوى . ان قيصر حاقدٌ عليَّ ولكنهُ يحب بروتوس . فلو كنتُ أنا بروتوس وكان بروتوس كاسيوس لما استطاع ان يثير مكامنَ عواطفي . فلأذهبنَّ الليلة وأكتبُ رسائل أرميها اليهِ من نوافذ بيته — رسائل مختلفة الخطوط تشيرُ الى ما له من عظيم المكانة في قلوب أهل رومه وتلمّح الى اطماع قيصر ومآربه — وبعد ذلك ليطمئن قيصر في مقعده ان استطاع للاطمئنان سبيلاً . فإنّا سنهزه تهزيزاً أو نخضع للنحس طويلاً　(يخرج.)

« المشهد الثالث »

رعد وبرق . (يدخل كاسكا من جهة شاهراً سيفه ، وشيشرون من جهة أخرى)

شيشرون – السلام يا كاسكا . أكنتَ في ركاب قيصر حتى منزله ؟ مالك

تكاد تختنق ؟ الى أيّ شيء تحدّق

كاسكا – وأنتَ مالك ساكناً لا تتحرَّك والأرض تكاد تميد بما فيها كورقة يهزُّها الريح . أي شيشرون ! اني رأيت أعاصير اقتلعت الاشجار ذات العقد ؛ وشاهدتُ البحر ينتفخُ ويرغي ويُزبِد طامعاً بأن يرتفع الى السحب الغضبى ولكنني لم أرَ قبل اليوم عاصفة تمطرُ ناراً . فقد يكون أهل السماء قام بعضهم على بعضٍ عدوًّا . أو ان الأرض تطاولت على الآلهة فاستفزتها الى ارسال صواعق الهلاك

شيشرون – ماذا رأيتَ من الغرائب ؟

كاسكا – رأيت عبداً رافعاً يده اليسرى تلتهب ناراً كأنها تضمُّ عشرين مشعالاً ولكنها سليمة لا تحترق . والتقيتُ بأسدٍ سلتُ له سيفي فكان يحملق فيَّ ثم سار بسلام . وثَمَّ نساء بدَّلهنَّ الخوف أشباحاً حلفنَ لي انهنَّ رأينَ رجالاً من نارٍ يسيرون في الشوارع . والبارحة جثمت البومة طائرُ الليل تنعبُ في رابعة النهار . . أفإذا اتفقت هذه الخوارق على الوقوع يعللها الناس بأنها طبيعية ويخلقون لها أسباباً ؟ أما أنا فأراها نُذُرَ سوءٍ للبلاد التي تحلُّ عليها !

شيشرون – لا ريب انهُ زمنٌ غريب الأطوار . انما الناس يؤوّلون على هواهم أموراً ليست مقاصدها مقاصدهم . أيجيء قيصر الى الكابيتول غداً ؟

كاسكا – يجيءُ . فقد أمرَ أنطونيوس بأن ينقل اليك نبأ عزمه على الذهاب

شيشرون – مُسّيتَ بالخير . ليس هذا الطقس بلائق للسُرى

كاسكا – يحفظ الله يا شيشرون (يخرج شيشرون)

(يدخل كاسيوس من ناحية أخرى)

كاسيوس – مَن هنا

كاسكا – رومانيّ

كاسيوس – أنتَ كاسكا . عرفتك بصوتك

كاسكا — أذنك سمّاعة ! أي كاسيوس ما هذا الليل ؟

كاسيوس — انها لليلةٌ تسرُّ المخلصين الأمناء

كاسكا — مَن رأى السماء تزمجرُ هكذا

كاسيوس — الذين رأوا الأرض مملوءة ذنوباً . أنظر يا كاسكا ! اني كما تراني قد خرجتُ أجول في الأسواق معرّضاً نفسي لأخطار هذا الليل ، مفكوك الازار معرّياً صدري للصواعق حتى اذا ما أرعدت وشقّت صدر السماء كنت أتعرَّض لها مستقبلاً انقضاضها هكذا ؟

كاسكا — ولمَ تستفزُّ السماء هذا الاستفزاز ؟ ان علينا نحن البشر ان نخاف ونرتجف عند ما ترسل الآلهة البطّاشة مثل هذه النذر الهائلة لترهبنا

كاسيوس — انك بليد يا كاسكا ! فإما انه يعوزك شررُ الحياة اللازم لكلّ روماني واما ان يكون مخبوءاً فيك لا تقدح بهِ . تلبس لباس الخوف والدهشة ، ويعلو وجهك الاصفرار ، وتحدّق لترى علة ملل السماء . ولو استقصيتَ السبب الحقَّ لوجدتَ ان هذه النيران وهذه الأشباح الزاحفة وهذا الطير والحيوان وهذه الاشياء جميعها لم تخرج عن مألوفِ سليقتها وأصل كيانها ولم يستعصِ سرُّ انقلابها على الرجال عاقلهم ومجنونهم وطفلهم، فضاعَ منهم سبب تحوّلها هذا التحوُّل الرهيب الاّ لأمرٍ جللٍ خارق ؛ وان السماء قد نفخت فيهم هذه الأرواح لتجعلهم آلةَ رعبٍ وانذار ! أي كاسكا ! هل أُسمي لك رجلاً هو أشبه الاشياء بهذا الليل — رجلاً يرعد ويبرق وينبش القبورَ ويزأر كالأسد في الكابيتول — رجلاً لا يفضلك ولا يفضلني في الاعمال ولكنهُ نما فصار مخيفاً هائلاً كهول ما نشاهد من الخوارق

كاسكا — قيصر عنيت . ألم تعنهِ يا كاسيوس ؟

كاسيوس — ليكن من يكون . تعساً لهذا الزمان ! فان للرومانيين الآن أعصاب أجدادهم وعضلاتهم. أما عقول آبائنا فقد ماتت و بقيت لنا عقول الامهات.

ان نيرنا وصبرنا عليهِ لمظهرٌ من مظاهر تخنّثنا

كاسكا — يقال ان الاعيان ينوون المناداة بقيصر ملكاً يحمل التاج في البرّ والبحر وفي كل مكان خلا ايطاليا

كاسيوس — اذن فانا أعرف أين أغمد هذا الخنجر وأحرر نفسي من هذا الرق ! إيهِ أيتها الآلهة ! انكم في هذا تجعلون الضعيف قوياً وتقهرون المستبدين !.. لا تستطيع الحصون الحجرية ولا الاسوار المصفحة بالنحاس ، ولا السجون المخنقة ، ولا سلاسل الحديد ان تقف حاجزاً في سبيل عزم نفس ا كيد . انما قد تملُّ الحياة هذه القيود الأرضية فلا تعدم قوة تعينها على الفرار . فاذا كنتُ أعلم ذلك — وهو ما يعلمه الناس كلهم — فاني أستطيع ان أنزع عني متى شئت هذا الاستبداد الذي أحمله

كاسكا — هكذا أنا . وهكذا كل عبد يحمل في يده قوة تزيل عنهُ عبوديته

كاسيوس — اذن لماذا يكون قيصر السيد المستبد ؟ مسكين هو – الذنب ليس ذنبه . انهُ لا يودّ ان يكون ذئباً لو لم يرَ الرومانيين حملاناً ؛ ولا ان يصير أسداً لو لم يكن الرومانيون ظباء . ان أعظم النار التهاباً تبدأ بشرر في العشب الصغير البائد . يا لرومة . ما ازراها وما أشبهها بالحثالة والنفاية حيث هي اداة هوان تُحرق مشكاةً لشيء سافل اسمهُ قيصر ! رويدكِ نفسي لقد أضلتني شجوني ، فقد أكون مخاطباً رجلاً راضياً بالرق . على أني أتحمل مسؤولية كلامي ، فلا أخشى الخطر بعد ان سلحت لملاقاته عزيمتي

كاسكا — انك تخاطب كاسكا . وليس كاسكا بالثرثارة المهذار . ضع يدك في يدي ! كن في عصبة تقوم في وجه هذه المساوئ ، فأصبح واحداً منكم لا يسبقهُ الى العمل سابق

كاسيوس — هذا عهد بيننا . (يتصافحان) فليكن في معلومك الآن اني قد أثرت بعضاً من أشرف رؤوس رومه ليكونوا عوناً لي على أمر جلل نبيل ؛ وهم

بانتظاري الآن في رواق بومباي في هذا الهزيع من الليل حيث لا سار في الاسواق . . . ما أشبه وجه الطبيعة بعمل دموي مخيف سوف نقدم عليهُ (يدخل سنّا)

كاسكا — اختبئ هنيهةً ! انسان قادم على عجل

كاسيوس — هو سنّا . اعرفه بمشيته . انهُ صديق . ما لك تسرع يا سنّا ؟

سنّا — لأراك . من هذا ؟ أسمبر هو ؟

كاسيوس — لا . هو كاسكا ، أحد الملتفين حول غرضنا

سنّا — اهلاً بك وفرحاً ! يا لهول هذا الليل ! ان بعضاً من قومنا رأى مناظر غريبة

كاسيوس — أينتظرني القوم ؟ قل !

سنّا — نعم . هم بانتظارك . ايه كاسيوس لو تستطيع ان تجعل بروتوس منا

كاسيوس — اطمأن بالاً . خذ هذه الورقة للمجلس ، وضعها في كرسي بروتوس الخاص بهِ بحيث لا يراها سواه ، وارمِ بهذه الى نافذة بيتهِ ، علّق هذه على تمثال جدّه بروتوس ؛ ثم تعالَ والحق بنا في رواق بومباي . أهناك داسيوس وتريبونيوس ؟

سنّا — الكل عدا سمبر الذي خرج وراءك الى بيتك . ها أنا أُسرع لأوزع هذه الأوراق حسب قولك

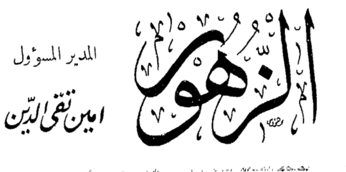
كاسيوس — ثم ارجع بعد ذلك الى رواق بومباي . (يخرج سنّا) (مخاطباً كاسكا) كاسكا . هلمَّ بنا الى منزل بروتوس قبل ان يفاجئنا النهار . ثلاثة ارباعه لنا الآن ، وسنأخذه كله بعد هذا الاجتماع

كاسكا — ان منزلته رفيعة المقـام في قلوب الشعب وما يرونهُ تهجماً اذا صدر منا ينقلب بسحر هيبتهِ فضيلةً واحساناً

كاسيوس — لقد قدرته وفضله وحاجتنا اليهِ حق القدر . هيا بنا فقد آذن الليل بالانصراف ، وسوف نكون واثقين منهُ قبل ان يلوح الفجر (يذهبان)

(تمّ الفصل الاول)

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع نوفمبر (ت ٢) ١٩١٢ السنة الثالثة

الرتب والنياشين

الانسان بطبيعته ميال الى الزهو، توّاق بفطرته الى التفوّق على ابناء جلدتهِ، شغِفٌ بكل ما يميزه على الغير. تلك غريزة ملاصقة للنفس البشرية كيفما تكيفت وحيثما وُجدت. ولذلك ترى منح الرتب والنياشين من العادات القديمة المنتشرة بين جميع الأمم والشعوب، ايّاً كان شكل حكومتها. ولطالما استخدمها الرؤساء والحكام لاستمالة أصحاب النفوذ من المرؤوسين والمحكومين، لانهُ اذا كان للرعية ألف وسيلة تتزلف بها الى عاهلها، فللعاهل فيما تجود به يده من نعم الالقاب والاوسمة أحسن ذريعة للتزلف بدوره الى تلك الرعية. ولإن روى لنا التاريخ حادثة ذلك الكونت الذي مننه ملكه بقوله «من جعلك كونتاً ؟» فأجابهُ، ويده على قائم سيفه «أنت. ولكنني صيّرتك ملكاً» فلكم روى لنا عن استكانة أصحاب الألقاب الى الذل والخنوع لمانحيهم ذلك اللقب الذي يخوّلهم حق التشامخ على من كان عطلاً منه. ولإن كان قانون الولايات

المتحدة يمنع الاميركيين من حمل الالقاب وعلامات الشرف ، فلكم رأينا من أغنيائهم يسعون زحفاً لتزويج بناتهم صاحبات الملايين من ذي لقب وان كان معدماً لا يملك شروى نقير

البحث في الرتب والنياشين من الابحاث التي كثر خوض الكتاب فيها . فمن محبّذ ومن مسفّه . وأدلة الفريقين مشهورة ، والحجج لها وعليها معروفة . يمكن ان تقابل وتقارن بينها دون ان تتوصل الى اقناع صاحب رأي فيها . هذا يسميها زينة فارغة ، ومجداً باطلاً ، وبهرجة كذابة . وذاك يقول عنها : علامة شرف ، وشهادة نبل ، ودليل مروءة ورفعة

تقول هذا مجاج النحل تمدحهُ وان ذممتَ تقُل قيْءُ الزنابيرِ

يسعى الآن فريق لالغاء الرتب وإبطال النياشين وسائر علامات الامتياز . وحجتهم في ذلك نشر المساواة بين الوطنيين . ولا سيما ان هذه الامتيازات لا تزيد في قدر الرجل وليست دائماً في الواقع علامة امتياز حقيقي ، بل كثيراً ما تكون موضوع تجارة سافلة من مانحيها ، وذريعة للاعجاب والغطرسة من نائليها . ولطالما كانت موضوع الدسائس والمساعي الدنيئة في جميع أنواع الحكومات من امبراطوريات وملكيات وامارات وجمهوريات . وقد تبادر فكر الغاء النياشين والرتب الى ذهن رجال الثورة الفرنسوية الكبيرة فألغوا كل ما خلّفه عهد الملوك من الرتب والالقاب والنياشين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اضطروا الى انشاء غيرها ليجعلوها علالة لكبرياء الناس . فأوجدوا اولاً ما سمّوه «أسلحة الشرف» وذلك مكافأةً للابطال الذين امتازوا في حملة ايطاليا . ثم لما قبض نابوليون

بونابرت على أزمة الاحكام أخذ يمطر ألقاب الامتياز على قواده ، مضيفاً الى أسمائهم الاصلية أسماء الانتصارات التي أحرزوها في المواقع الحربية . وكان قد أنشأ وسام فرقة الشرف (لجيون دونور) وجعل عدد حاملي هذا الوسام ٦٠٠٠ فقط . فجاءت الامبراطورية الثانية وزادت على هذا الرقم أصفاراً فجعلته ٦٠,٠٠٠ . ولا يزال التاريخ يذكر ذلك الاحتفال الباهر الذي أقيم يوم وزّع بونابرت هذا النيشان على مستحقيه

ولا ينكر ان من الخدمات الجلّى ما لا يمكن اثابة من يقوم بها بالدراهم . وهذا ما يدّعيه مريدو الرتب والنياشين . فيرونها والحالة هذه أسمى ثواب وخير جزاء ، فضلاً عن أنهم ينظرون فيها باعثاً للنشاط ، معزّزاً للجدّ في سبيل الخير العام ، مثيراً للعواطف النبيلة في النفوس واذا كانت احياناً تُنال عن طريق الثروة ، فكثيراً ما تكون ايضاً جزاء عمل جليل يؤول الى ترقية البلاد مادياً أو أدبياً أو علمياً أو فنياً ، فأصبحنا نراها على صدر الجندي والشاعر والعالم والمخترع وصاحب الفن ، وصار عدد حاملي النياشين من هذه الطبقات يزداد يوماً فيوماً . وقد قال الشاعر الفرنسوي روستان عن لسان ابن نابوليون : «كان بودّ أبي ان يجعل الشاعر كورنيل اميراً فسأجعلنّ فكتور هوغو دوقاً» ... وعلى كل فيجب التحفظ والاعتدال في توزيعها حتى تبقى علامة امتياز حقيقي لا تبتذل فتفقد قيمتها في أعين الناس . ولا بأس في هذا المقام من ايراد نكتة للملك ڤيكتور عمانوئيل الايطالي فانه كان يقول « شيئان لا يمكنني ان أرفضهما لأي رجل فرنسوي يطلبهما مني بتأدب : عود كبريت ليولع

سيجارته ، ونيشان القديسين موريس ولازار ليزين صدره » . . .

ولقد اشتهر أمر كثيرين من مشاهير العلماء وكبار الرجال الذين رفضوا بتاتاً الرتب والنياشين ، وكان رفضهم عن اخلاص في الاعتقاد ورسوخ في المبدإ . غير ان رفض البعض كان ينمّ عن كبرياءٍ حقيقية وعجرفة فعلية . وما الرتب والنياشين في الحقيقة الاّ كمصباح يحمله الانسان ، فيبدي عيوبه اذا كان ناقصاً ، ويُظهر محاسنهُ اذا كان كاملاً

قال أحد كتّاب الغربيين : « يجب ان نعجب لا ان نضحك من هذا الاختراع الكبير — اختراع الاوسمة والنياشين — فهو اختراع قوة أدبية هائلة تفوق أهمّ الاختراعات اذ يحمل الناس على اقتحام غمرات الردى لنيل قطعة من المعدن يرون فيها أمجد مجدٍ وأشرف شرفٍ وأعظم جزاء . هذا جنون ولكنهُ جنون جميل »

وكأن الناس خافوا على هذه الامتيازات من الطامعين فيها يدّعونها كذباً وزوراً فجعلوا في القانون مادة تعاقب بالسجن من ستة أشهر الى سنتين من يحمل نيشاناً لم يُنعم عليهِ بهِ ، كما انهم يغرّمون من ينتحل لنفسهِ لقباً من ألقاب الشرف جزاءً نقدياً من ٥٠٠ الى ١٠٠٠٠ فرنك

وأحسن ما يختم بهِ هذا المقال كلمة جامعة شاملة على ايجازها ، لأحمد فارس الشدياق عن الالقاب قال : « هي خرقة تستر عورة الاسم الذي أُطلق على المسمى . . . بل هي كالبطاقة شُدَّت الى لابسها ليُعرف بها سعره . الاّ انه كثيراً ما يقع الغلط في إلصاقها بمن ليس بينهُ وبينها علاقة . . . »

***

بعد أن تكلمنا عن الرتب والنياشين من الوجهة الادبية الاجتماعية ، يجدر بنا ان نقول عنها كلمة من الوجهة التاريخية

تقدم ان منح النياشين وعلامات الشرف والامتياز عادة قديمة . وكان أبطال الرومانيين عدا ما يصيبهم من الغنيمة على العدو يُثابون بأسلحة شرف يوزعها عليهم القائد في مجمع من الجيش ويطري بسالتهم وإقدامهم . وكان يُنعم عليهم بنياشين وعلامات يتزينون بها في الحفلات العمومية ، كما هي العادة اليوم ، وأشهرها الاكاليل :

فكان « اكليل المعسكر » يُمنح لاول جندي يدخل معسكر الاعداء ، و « اكليل الحصن » لأول جندي يهاجم قلعتهم . وكان يُنعم « باكليل البحر » على القائد البحري الذي يكسر اسطولاً أو على النوتي الذي يسبق رفاقه بالصعود الى مركب العدو . اما « اكليل الزيتون » فكان للعساكر والضباط الذين امتازوا في معركة حربية ، و « الاكليل المدني » للذي ينقذ حياة احد الرومانيين . وكان الجيش يقدّم « اكليل الكلإ » للقائد الذي ينجيه من أيدي العدو . أما « اكليل الآس » و « اكليل الغار » فكانا للقائد الذي يخرج شعب رومة لملاقاته بعد العودة من فتح كبير او انتصار باهر

وعلى عهد الامبراطورية الرومانية ، وُضع حدٌّ فاصل بين هذه الانعامات . فكانوا يسمون الاكاليل « الانعامات الكبرى » . أما « الانعامات الصغرى » فمنها « السوار » في الذراع و « القلادة » في

العنق و « الدائرة » على الصدر و « القرون » على الخوذة . وكانت هذه الشارات من الذهب أو الفضة . وكان منح الانعامات الكبرى من حق مجلس الشيوخ (السناتو) أو الجيش ، ومنح الانعامات الصغرى من حق قواد العساكر . وكان يجوز للروماني ان يُحرز كل هذه الامتيازات معاً وعدداً كبيراً منها . فان سكسيوس دنطاطوس نال ٢٢ رمح شرف و ٢٥ اسطوانة و ٨٣ قلادة و ١٦٠ سواراً و ٢٦ اكليلاً

أما قدماء اليونان فلم يكن عندهم كل هذه الانواع الكثيرة من علامات الشرف . وأشهرها عندهم « الاكليل » ولخطيبهم الاكبر ذيموستينوس خطبة معروفة في هذا الموضوع

وكانت علامات الامتياز في ما مضى عسكرية على الغالب للتمييز بين القواد وطبقات الضباط والعساكر . على أن الملوك أخذوا يوجدون الاوسمة الخاصة ينعمون بها على كل من خدم بلاده . فأنشأ شارلمان وسام « التاج الملكي » والملك لويس التاسع وسام « كوز اللزّان » والملك جان وسام « النجمة » والملك هنري الثالث وسام « الروح القدس » وانشأ لويس الرابع عشر وساماً باسم جده الاكبر « القديس لويس » واتخذ لويس الخامس عشر من هذا الوسام طبقة ثانية سماها وسام « الاستحقاق العسكري » للانعام به على غير الكاثوليك من رعاياه . ولما جاءت الثورة الفرنسوية ألغت جميع الألقاب والنياشين . على ان نابليون أعادها فانشأ نيشان اللجيون دونور كما تقدم[1]

(١) سنأتي في الجزء القادم على ذكر الالقاب والنياشين الموجودة في كل دولة من الدول

مقالات باكون

٣ — الانتقام

وما مات منا سيّدٌ حتفَ أنفهِ　　ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ

الانتقام عدالة الوحشيين . واذا امتزج حبهُ بالنفوس يكون كالسُّم خالط الشراب ؛ لأن من يقترف ذنباً يضرُّ بنظام الشرائع ؛ وأما من حقد على عدوٍّ له ، وأخذ بثأر قتيلٍ ، أو شرفٍ ناله أذى ، فانهُ ينتزع سلطة الشرائع ويعبث بها

على أن من قابل السيئة بالحسنة ، وعفا عمن أذنب ، فقد أمسى كريماً ، لأن العفو من شيم الكرام . وأما من استكبر ، وقابل الاساءة باختها ، فقد حطَّ من مقدار نفسهِ ، ووضعها ونفسَ المسيء على بساط المساواة . وقد كان سليمان الحكيم يقول : ان الجنة مأوى الغفور

وما الانتقام الا تمرّد في النفس قد أنبته ذنب انقضى عهده . فما لنا وذلك الماضي الذي فات ، وخير لنا أن نعني بيومنا وغدنا من أن ننظر في شأن أمور كانت بالأمس

وليس الظلم من شيم النفوس ، انما حب النفس يدفع الناس الى الظلم والشر . فكل يظلم لمغنم يستجلبه ، أو لحاجة في نفسه يقضيها ، او لنيل شرفٍ يسعى ليدركه . فماذا علينا من رجل يحب الخير لنفسهِ ، ويكرههُ لغيره . أما من يظلم الناس ليشفي غليلاً في الفؤاد ، لان الشرّ

كامن في نفسهِ كمون الكهرباء في الاجساد ، فهو خليق بالرحمة والغفران ، لانهُ كالافعى ليس لديها الأ سمها

ولقد يُزكى الانتقام ، اذا كان لذنبٍ لا ينال المذنبَ عليهِ عقاب سوى الأخذ بالثأر . على ان الانتقام في مثل هذه الحال جدير بأن لا يكون ذنباً يقع آتيه تحت طائلة العقاب والا يكون المنتقم قد ألقى بنفسه في التهلكة وأصابه الشر مرتين

وأشرف أنواع الانتقام ما كان على مرأى من الناس ومسمع . فليس الغرض من الانتقام ان ترد الاساءَة الى من أساء اليك ، انما الغرض ان يتوب المسيء عن الاساءة ، ويعلم ان هذه بتلك والبادئ أظلم . وقد ينتقم الجبان لنفسه تحت طي الخفاء ، فيكون كالسهم أرسلته القوس تحت جنح الظلام

وقد يعفو الناس عن المسيء ان كان عدواً لدوداً ، ولكنهم لا يلتمسون للصديق عذراً ، اذا نقض عهداً ، او خان وداً

ومن الناس من يفتأ يذكر الثار والانتقام ، فيبقى جرح نفسه غير ملتئم أمداً فيقضي عمره بين الهم والكدر . ولو أنه نسي ما فات لالتأمت جراحه

وقد يقوم المنتقم للانتقام وهو آمن شر العاقبة ، لأن الله يعضده والناس ، وذلك اذا كان المأخوذ بثأره كبيراً بين قومه ، قد غدره اعداؤه وأوقعوا بهِ ظلماً . فقد هبّ اغسطس قيصر للانتقام ممن أراقوا دم يوليوس قيصر ، فعضده أهل رومة وأخذوا بيده وحكموه فيهم

٤ — الدرس والمطالعة

ان للدرس والمطالعة نفعاً كبيراً : فان الخلوة بالكتاب تشرح الصدر وتحسن الحديث وتزيد القارئ علماً وعرفاناً . وأيُّ شيءٍ أحبُّ الى من هجر الدنيا ومن عليها من كتاب يجلس اليهِ ؟ وأيُّ شيءٍ أنفع الى رجلٍ يحبّ اذا ما فاه ان يفوه بالقول البليغ من كتاب يحسّن لفظه ؟ وأيُّ شيء يعلم رجل الدنيا كيف يسير في الدنيا غير كتاب مفيد ؟ وانك لا تجد رجلاً يدبر أُمور غيره وينظر بشؤون أمته ويأخذ على عاتقه عبئاً ثقيلاً ، الاَّ وهو على بيّنة من العلم ، ونصيبه من المعرفة وافر

على ان لكل نافع ضرًّا . وليس ضرُّ العلم بناشئ منه . انما يعاب صاحبه اذا لم يسلم من ثلاث : الافراط فيهِ والاعجاب ومزج العلم بالعمل. فان الاكثار من الدرس والمطالعة والعلم يورث الخمول . وانك ان حاولت إظهار معرفتك في حديثك فقد عرَّضت نفسك للنقد واللوم . وانك ان شئت ان تسير في عملك وفقاً لغرض علمك فانك لا تستطيع

وليس الغرض من العلم ان يكون كل بضاعتك ؛ انما هو كالصقل لليماني ، فانه يشحذ القرائح ويخرج القوى الكامنة في النفس فتبدو كالأحجار الكريمة اذا أخرجها العامل من جوف الارض او قاع البحر وصقلها فبدت محاسنها وخفيت عيوبها . على ان العلم في حاجة الى التدريب وليس يكفيك ان تكون ذا علمٍ واسع ان لم تكن قد هذبتك الأيام وأمسيت لمعول الحوادث صفاً صلداً . لأن العلم كالأسد الهصور لا تستطيع أسره الاّ اذا كبلته بقيود من اختبار

وقد يكون أحدنا ماكراً ختلاً مخادعاً ، فيسخر بالعلم ويسكن الى خداعه ومكره لأنهما يمكنانه مما يريد . وقد يندهش الجاهل منه . انما لا يستطيع ان ينتفع به الاَّ العاقل الحكيم . فانهُ يعلم علم اليقين أنَّ العلم ليس الاّ مشكاةً يستضيء بها في ديجور هذه الحياة الدنيا فعليها النور وعليهِ المسير

وليس الغرض من المطالعة ان تنتقد قول المؤلف او تنقض آراءه ، او لتأخذ كلامه قضية مسلمة لا نزاع فيها ، او لتتمشدق بما قرأته على رؤوس الاشهاد ، لتُظهر للملأ أنك تقرأُ الكتب ؛ انما الغرض ان تزن أبحاث الكاتب وتمعن النظر في مقدماته ونتائجه

على ان الكتب كالطعام : بعضه تذوقه ولا تأكله ، وبعضه تلتهمه التهاماً ، وبعضه تلوكه وتهضمه هضماً . فبعضها تقرأُ زبده ، وبعضها تطالعه بلا امعان كثير ، وبعضها تطالعه وتدرسه درساً دقيقاً وتمحصه تمحيصاً

وفي مطالعة الكتب منافع غير التي ذكرت ثلاث . فالدرس يدّخر منهُ العقل حكمة . فالدرس يمدّ العقل بالحكمة فيدّخرها ، والجدل يشحذ الذهن ويوقد القريحة ، والاقتباس يورث الدقة والاتقان . فاذا كنت ممن لا يطالعون كثيراً ، فانت في حاجة الى ذكاء تخفي به جهلك ؛ وان كنت ممن يفضلون راحة البال على الجدل والمناقشة ، فانت أحوج الناس الى ذهن حادّ يدلك على كلام تلقى به حجة خصمك ؛ وان كنت قليل الاقتباس فانت في حاجة الى حافظة شديدة تتقي بها شرَّ النسيان

وكل فرع من شجرة الحكمة يوسع دائرة من دوائر العقل . فالتاريخ

يعلّم الناس فنّ السياسة ، والشعر يولّد الآراء السامية ، وفنّ الرياضيات يعلّم الدقة ، والعلوم الطبيعية تكون واسطة للتبحر في العلم ، والفلسفة الأدبية تورث الحزم والثبات ، والمنطق والبلاغة يقرّبان المرء من المقدرة على الخطابة والمناظرة

وليس في العقول نقص لا يكمله العلم ، او عاهة لا تشفيها الحكمة . وكما ان لكل داء من ادواء الجسم دواءً يشفيه فالمشي ذهاباً وجيئة ينفع الامعاء ، وركوب الخيل يشفي المخ ، والرماية تصلح الرئتين . فمن كان قليل الانتباه فدعه يدرس الرياضيات فانهُ ان سها او نسي او أخطأ فيها مرةً ، تكبد مشقة العمل ثانياً ، وان آنس من نفسه عجزاً في الاستنتاج فدعه يصرف قليل وقت في مطالعة المناظرات الدينية . وان أحس من نفسه بضعف في ضرب الامثال فدعه يقرأ كتب الشرائع والقوانين

محمد لطفي جمعه المحامي

المودّة الكاذبة

ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ، ويتواصلون عليهما ؛ وهما ذات النفس ، وذات اليد . فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء . وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض . ومن كان يصنع المعروف ببعض منافع الدنيا ، فانما مثلُه فيما يبذل ويُعطي كمثل الصياد والقائهِ الحبّ للطير ، لا يريد بذلك نفعَ الطير وانما يريد نفع نفسه　　(ابن المقفّع)

النساء الرجال

اطلعنا على الفصل التالي في احدى المجلاّت الفرنساوية فرأينا ان نترجمه لما فيه من بيان فضل المرأة الغربية ، وفوزها على الرجل في كثير من الاعمال الجلّى التي قلما يقدم عليها غير الشجاع الباسل . وهو مكتوب بقلم السيدة « ريموند دلاروش » « الطيّارة » الفرنساوية التي أدهشت بطيرانها المتفرجين في حفلة « عين شمس » بمصر في شتاء سنة ١٩١٠ . وقد أرادت بنشره أن تردَّ على جمهور من الكتّاب قام ينتقدها على أثر سقوطها من الجوّ في حفلة الطيران في مدينة « ريمس » ويُعنّف من أجلها سائر النساء بدعوى ان المرأة لا تستطيع ما يستطيعه الرجل

قالت الكاتبة :

تعجب بعضهم من إقدامي على الطيران ، وأدهشتهم جرأتي ومخاطرتي أحياناً كثيرة بدعوى ان الطيران خاص بالرجال لا يتعداهم الى النساء . ثم انقلب تعجّبهم ودهشتهم الى انتقاد وتأنيب يوم وقعتْ بي طيارتي في مدينة « ريمس » فأصبتُ ببعض الجراح والرضوض ؛ ولو أسعدني الحظ فلم أقع لحوَّل اولئك الناس تعجبهم ودهشتهم الى اعجاب بفضلي ، واقرار بعلمي ، وكان مديحهم لي وثناؤهم على جراءتي وخبرتي بدلاً من الانتقاد والتأنيب اللذين وجهوهما اليَّ ! او لم يقولوا علناً على أثر إصابتي تلك انني حصدت ما زرعت ، ولقيت ما سعيت اليه ؟ ؟

قلت مراراً عديدة من قبل ، وأنا اكرّر اليوم ما قلتهُ بالأمس ان الطيران ليس بأعظم خطراً من سواه بين أنواع الرياضات البدنية والاختراعات المعدة لها . واذا جاز لي أن أتباهى بكوني أول امرأة لامست

الغيوم ، وصعدت الى عالم النجوم فأشرفت من أعالي الفضاء على هذه الأرض ، وقسم لها شؤم حظها ان تقع مرة من شاهق فتصاب بالجراح والرضوض ، فاني لست المرأة الاولى التي قارعت الرجال في كثير من أنواع الرياضة ، وركبت من الاخطار كل مركب صعب ، فدلّت على جلد ثابت ، وشجاعة فائقة

ان نساء كثيرات وأخص الانكليزيات والاسوجيات والدانماركيات بلغنَ حداً قاصياً في اتقان بعض الرياضات كالجمنستيك ، وكرة القدم بجميع أنواعها ، والسباحة ، ولعب السيف ، وركوب السيارات والدرّاجات وهلمَّ جرًّا من أمثال هذه الفنون المروّضة التي اختصّ بها الرجال على دون النساء !

ولقد وددت لو تمكنت من ذكر جميع الشهيرات في العالم في مثل هذه الاعمال غير اني سأقصر كلامي على بعضهنّ مخافة أن يطول المجال . وسيرى القارىء من خلال حديثي هذا ان في وسع المرأة ان تسير الى جانب الرجل وترفع رأسها تباهياً وكبراً

***

جرَّب كثيرون أن يقطعوا خليج « المانش » سباحة فلم يُفلح منهم سوى القبطان « وب » في سنة ١٨٧٥ على انهُ كان بين أولئك المجرّبين امرأتان اشتهرتا بإقدامهما ، احداهما البارونة « فالبوكا دساسكو » والثانية الآنسة « كلارمن »

أما الأولى وهي نمسوية اشتهرت بالسباحة في نهر الدانوب (الطونه)

ومصادمة التيار فيهِ ، فانها نزلت البحر في « كاله » في الساعة السابعة من صباح اليوم الخامس من سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ فعاكسها التيار وتقاذفتها الامواج واللجج نحواً من ست ساعات متوالية حتى خارت قواها فأقرّت بفشلها بادىء ذي بدء حتى اذا أراد المركب الذي كان يرافقها أن ينقلها اليهِ أبت عليها كبرياؤها الاقرار بالعجز فعادت تعارك الامواج وتغالب اللجج حتى كانت الساعة الخامسة مساءً فتلاشت قواها تماماً ولم يعد في وسعها الثبات فأعلنت عجزها بعد مكافحة عشر ساعات . وكانت المسافة التي قطعتها ثلاثين كيلومتراً

وأما الثانية فنزلت الى البحر من « دوفر » في صباح اليوم السادس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٠٥ فسبحت ست ساعات متوالية وكاد يسعدها الحظ ببلوغ أمنيتها لولا ان عاكستها الريح بعد ذلك وغالبها التيار فلم تمكن من قطع ما كان قد بقي أمامها من المسافة الى البرّ الفرنساوي . ومما يؤثر عن هذه المرأة انها قطعت سباحة مسافة ٣٧ كيلومتراً في ثلاث ساعات واحدى عشرة دقيقة

وبين النساء السبَّاحات كثيرات اشتهرنَ بجلدهنّ وقوتهنّ وإقدامهنّ على منازعة الرجال الجوائز في السباقات المتنوعة ، وأشهرهنّ الاختان الشقيقتان « مارث وسيسل روبرت » السويسريتان ، والآنسة « مارفنت » الفرنساوية ، والآنسة « فردندوفر » النمساوية ، والآنسة « جونسون » الانكليزية

وقد طالما وضعت أندية الألعاب المروّضة في الدانمارك جوائز كبيرة

للسابقين في السباحة فنال كثيرات من النساء عدداً منها بعد أن زاحمنَ أشهر السباحين في سبيلها فتغلبنَ عليهم ، وعرف الجميع مقدرتهنَّ وسبقهنَّ في هذه الرياضة الخطرة المتعبة فأقرّوا لهنّ بالفضل

ومن الاعمال التي اختص بها الجنس القويّ دون الجنس الضعيف التصعيد في الجبال العالية المغطاة قممها بالثلوج ، والمحفوفة سبلُها بالاخطار والمكاره كجبال « الألب » في أواسط أوروبا

كل من زار سويسرا في الصيف عرف ان كثيرين من الاجانب عنها انما يؤمونها بغية التصعيد في جبالها فيسير الواحد منهم متوكئاً على عصا طويلة صلبة يغرزها قدامه في الثلج ويتنقل وراءها بحذر وانتباه شديدين مرتقياً قمة فقمة ، وهو لا يأمن ان تزلّ بهِ القدم فيهوي من شاهق الى أسفل حيث لا ينجو من الهلاك الا باعجوبة بالغة . وكثيراً ما تتدحرج عليهِ القطع العظيمة من الثلوج فيموت شرّ ميتة . فلهذا كله كان التصعيد في تلك الجبال عملاً شاقاً خطراً لم يقدم عليهِ الا الشجاع الباسل واذا أقدم فمجازفة بحياته طلباً للشهرة . على ان كثيرات من النساء قد صعّدنَ في جبال « الالب » وفزنَ بالغاية القصوى منها . فان مسز « سايرس » الانكليزية فازت مرتين ، والآنسة « كرونبرجر » مرتين ايضاً . ومدام هو بلر مرتين ايضاً وكان زوجها رفيقها فيهما . وفازت مدام « رهاتش » مرة برفقة زوجها ايضاً ، ومدام «فون شزايو» مرتين ايضاً وكان رفيقها فيهما مسيو « اولر » . فكان فوز اولئك النساء مدعاة لاعجاب الناس واكبارهم هذه الاعمال الشاقة تأتيها المرأة المنسوب

جنسها الى الضعف والوهن

واشتهر عن الرجل دون المرأة ايضاً اطلاق المسدسات ، واتقان الاصابة بها . غير ان بعض النساء اللواتي جربنَ هذا العمل برعنَ فيه براعة أقرّ بفضلها الرجال أنفسهم . فان ساره برنار الممثلة المشهورة معروفة بأنها قلما صوّبت فأخطأت . ومثل ساره برنار الآنسة « لويزا بايما » فان شهرتها في ذلك لا تقلّ عن شهرة زميلتها الممثلة الطائرة الصيت

ومما يؤثر عن براعة النساء في الاصابة بالرصاص ان الماركيزة « دي نسل » غارت من الكونتس « بولينياك » وكلتاهما كانت تحب الدوق ريشيليو ، فتبارزتا واختارتا الرصاص دون السيف وقد كانتا مشهورتين باتقان الرمي ولا تخطئان المرمى الا نادراً . فلما تقابلتا في ساحة البراز أطلقت المركيزة رصاصها أولاً فأخطأت مرماها عمداً غير ان الكونتس اكتفت يومئذٍ بان تقطع برصاصها اذن ضرّتها عقاباً لها . وممن اشتهر بهذا الفن البرنسيس تشيكا الرومانية فانها كسرت ١٥ لعبة بخمس عشرة رصاصة بعد التصويب، وحطمت تسعاً أخرى باثنتي عشرة رصاصة أطلقتها متتابعة بدون تصويب بل تبعاً لاشارة المشاهدين

أما المبارزة بالسيف فقد اشتهرت بها نساء كثيرات ايضاً لأن في هذه المبارزة مجالاً للمرأة لأن تستخدم نظراتها الحادة الصائبة ، ورشاقة قدها ، ولين أعضائها ، وخباثتها الفطرية . وان في تاريخ انكلترا شاهداً بليغاً يصحُّ ان يتخذ دليلاً على براعة النساء بالمبارزة . فقد حدث في اليوم التاسع من افريل سنة ١٧٨٧ ان الشفاليه « سان جورج » وهو أعظم

من اشتهر بضرب السيف واتقان المبارزة بهِ بارز السيدة « ديون » الانكليزية في منزل لورد « بروكهام » بحضرة ولي عهد انكلترا يومئذٍ وعدد غفير من لوردة الانكليز ، وكبار رجالهم . فأسفرت المبارزة عن اصابة السيدة « ديون » للشفاليه سان جورج سبع مرات متوالية بدون ان تمكنهُ من اصابتها مرة واحدة . اما اليوم فان انكلترا وفرنسا تتباهيان بوجود نساء عارفات بهذا الفن كمسز سندرسون ومدام فيني في لندن ، ومدام اميل مارينياك ، والآنسة كاميل ليففر في باريس »

وانتقلت مدام دلاروش من هذا الحديث في مقالها الى ذكر الشهيرات في ركوب الدرّاجات والسيّارات ، فسمّت النساء الشهيرات فيها وذكرت عدداً من اللواتي ربحنَ الجوائز وفزنَ بها على الرجال وذلك في حديث يطول ، حتى انتهى بها البحث الى الطيران فقالت انها أول امرأة طارت . ولكنها ليست بالطيّارة الوحيدة الموجودة اليوم بين جماعة الطيّارين

ثم قالت انها ذكرت يسيراً من كثير عن شجاعة المرأة وإقدامها وتفوّقها في هذه الاعمال المختصة بالرجال دون النساء . ونقول — ونحن قد اختصرنا أقوالها كثيراً ايضاً وصرفنا النظر عن أعمال وألعاب جلّى فلم نذكرها — هل يصح بعد ذلك ان يقال « الجنس القوي » و « الجنس الضعيف » على تعميم واطلاق هاتين الصفتين ؟ ؟



في رياض الشعر

الثلاثون عاماً

ظلُّ الثلاثين عنكَ اليومَ منتقلُ　　هل أنتَ من بعدها بالعيشِ محتفلُ
بعد السنين التي كانت محبّبةً　　ثم انقضتْ فتقضّى الأنسُ والجذَلُ
تلك الليالي التي قضّيتها حلُماً　　ما كان أقصر حلماً كلهُ غزلُ
ماذا لقيتُ من الدنيا وما عَلِقت　　منها يداي وما إن عشتُ أقتبلُ
لاحتْ كواكب ليل الشعرِ تُنذرني　　بأنني عن مغاني اللهوِ مرتحلُ
ان أنكرتني العيونُ السودُ رانيةً　　فطالما عرفتني تلكم المقلُ
أيامَ أخطرُ في روضِ الصبا مَرِحاً　　تميلُ بي نشوةُ الدنيا وتعتدلُ
والغيد تبسم لي من كل ناعمةٍ　　في خدّها ويديها تصدقُ القُبَلُ
حريرُها جسمها . فوها جواهرها　　فحسنها حسنها . لا الحليُ والحللُ

* * *

ما لي تروّعني الذكرى وتفتنني الـــدنيا وما لي في معروفها أملُ
ألا يخفّف عني أنني رجلٌ　　قد أنقضتْ ظهرَهُ أيامهُ الأُوَلُ
لعلَّ شيبي الذي راعت بوادرُهُ　　نورٌ تضيء به للتائه السّبلُ
أسرفتُ في حبّ دنيا لا بقاء لها　　وعشق ملك وشيكاً عنهُ أنتقلُ
فالناس قد خلقوا لا للبقاء بها　　بل للترحّل لولا أنهم غفلوا
أين الألى نحن نمشي في منازلهم　　أين المواكب والأقيال والدولُ
العقلُ يستهجنُ الدنيا ويمقتها　　والقلبُ مستغرَق فيها ومختبلُ
فليس من راغبٍ عنها وان رغبت　　عنهُ وكلٌّ لهُ في جذبها حيلُ

لا راهبٌ ساكنٌ في الدير منصرفاً … عنهـا ولا عابدٌ في الغار معتزلُ

* * *

فاكدح الى الله كدحاً غير ملتفتٍ … لزينة الأرض وآلحق بالأُلى وصلوا
وابرأ الى الله ليس العصر مرتقياً … ما دام يزري بما جاءت بهِ الرّسلُ
أين التمدُّن والأهواء غالبـةٌ … والناس مثل وحوش الغاب تقتتلُ

(حلفا)

محمد توفيق علي
يوزباشي بالجيش المصري

﴿ التمدُّن العصري ﴾

ننشر الأبيات الآتية من قصيدة عصماء جاءتنا من شاعر من اكبر شعراء العراق :

يقولون أحيي المغربانِ حضارةً … وهل حيِّيت الاّ لمصلحة الذاتِ
يعيش سعيدٌ مفردٌ بين معشرٍ … شقيٍّ وحيٌّ واحدٌ بين أمواتِ
وكم جائعٍ يرنو الى مُتفكهٍ … وعادم قوتٍ حول واجد أقواتِ
وكم جسدٍ فوق الأخادع شاخص … الى جثةٍ تحت الأخامص مُلقاةِ
وما الزمن المـاضي بأعظمَ محنـةً … من الحاضر الموصول بالزمن الآتي
ولم أرَ كالانسان ربّ شرائعٍ … حديثات وضعٍ او شرائع موحاةِ
ولكـنهُ لم يطوِ ليلَ ضلالهِ … هدى شارع في الارض او في السموات
يظنون هـذا العصر عصر هدايةٍ … وأجدر أن ندعوه عصر ضلالاتِ
فان خرافاتٍ مضت قد تبدَّلت … حقائقَ الاّ انهـا كالخرافاتِ
وأكذبُ عصرٍ ما تشدَّق أهلهُ … على ظالمهم بالعدل أو بالمساواة
ذئابٌ وشاءٌ لا الذئاب رواجعٌ … عن الغيّ او تعدو على زُمر الشاةِ

ألا سل يعود الدين وهو مشتتٌ　　جماعاتِ هـذا العصر جامع اشتاتِ
ولكن أبوا الاّ التنازُعَ فالتقتْ　　أدلةُ نفيٍ في أدلة اثبـاتِ

(النجف)　　محمد رضا الشبيبي

﴿ الكريم ﴾

قامت تُعنّفني على تبديدي　　مالي لفعلِ المكرمات وجودي
وتقول « ماذا قد حفظتَ لصبيةٍ　　يبكون بعدك ربَّهم وعميـدي
هل ذكرُك المحمود يُشبع جوعهم　　أو فخرُك الموهومُ يستر جيدي
أكرمتَ حتى حاسديك فهل ترى　　ان الحسود يسرّ بالمحسودِ
هم يحمدونك في الرخاء فان بدتْ　　لك شدةٌ عمدوا الى التنديد . . »

* * *

فأجبتهـا « كفّي ملامكِ انني　　لابنُ المكارم عن أبي وجدودي
أُعطي اذا منعوا وأمدح ان هجوا　　شتانَ بين طريقهم وتليدي
وأنا ابنُ بجدتها اذا قلمٌ جرى　　فوق الطروس أكرُّ كرَّ الصيدِ
فأزيّن القرطاس لا فحشاً ولا　　فُجراً وكلُّ القارئين شهودي »

(أتبره) السودان　　محمد فاضل
بالجيش المصري

﴿ السلطان الغازي ﴾

أقول لظبي راعني زهرُ حسنهِ　　حنانيك قلبي فيك يرجو الأمانيـا
غزوتَ قلوبَ الناس حتى ملكتها　　تباركت «سلطاناً» وحيّيتَ «غازيا»

(صيدا)　　محمد على حامد مشيشو

﴿ الفكاهة في الشعر ﴾

« اسبوع فلورة أو تكريم الكلاب »

لا أعني تكريم كلاب المجاز ؛ فليس تكريمُ هذه الكلاب بالأمر الطارىء أو البدع الغريب ؛ وما خلا زمانٌ ولا مكان من كلبٍ من كلاب الأنس علا بهِ الجدُّ الى حيث باتت تتزلف اليهِ الأسود ، وتمشي بين يديه السباع . وان المرء ليجد كيف سار انساناً له خسةُ الكلب ونذالته، وليست له نظرته وأمانته . والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها، ويرون نهاية الزراية وصفهُ بصفتها . وان الكلبية لتبرأ براءة الانسانية منهُ . . . ولكني عنيتُ الكلاب ذات الاذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ، ولكنهم لم يسبقونا الى الاحتفاء بهـا ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وان حقًّا على الناس ان يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نُلام اذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله ؟ ؟

اجتمعنا في رهط من الادباء ليلة من الليـالي ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضيّ اسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا . فقلتُ أبارك للنفساء وأحيي المولود :

أعلني « يا فلورة » الافراحا　　واملأي الارض والسماء نباحا

ما حبا الدهر بنتَ كلبٍ بأعلى　　من ذراريكِ عنصراً ولقاحا

ابشري دولةَ الكلاب بجروٍ　　سوف ينفي عن قومهِ الاتراحا

ما تقضّى الاسبوعُ الاّ وأمسى　　يذرع الدار جيئة ورواحا

خلع الليلُ والنهـار عليـهِ　　فتوارى عن العيون ولاحا

حرّك الدهرُ ذيلهُ حين وافى　　وعوى الكون بهجـةً وانشراحا

سوف يغدو على الكلاب أميراً　　يُفزِع الاسدَ وثبـةً وصياحا

بل سيمحو عن الفصيـلة ضيماً　　بات عـاراً لنسلهـا فضّاحا

بل أراه يُقيم ما اعوجَّ منهـا　　من ذيولٍ فتستقيم صحاحا

بل أراه يُعيد سيرة قطمير[1] وقاراً وفطنــةً وصـــلاحا
لا أصابتْ عصا لئيم قفــاه أو ثوى في الطريق ليل صباحا
لا ولا عضَّهُ من الجوع نابٌ يُثخنُ الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً يرقبُ العظمَ سائلاً ملحــاحا
أو براه داء الكلاب وأخفى بين جفنيــهِ عسجداً لمـَّاحا
كان ايواؤهــا حراماً فلمــا جاء أضحى لنــا حلالاً مبــاحا
قد فرحنــا في عيــده وطربنا وشربنــا في نخبــهِ الأقداحا
يا كليباً ازرى بذكر « كليبٍ » لا تظننَّ ما نقول مزاحا
ما مدحتُ الأنام يوماً واني لست آلوك يا كليب امتداحا
أعجم النــاس في المودَّة بكماً وتلا عهدهــا الكلاب فِصاحا
انَّ عيَّ اللسان خيرٌ من النطـــق اذا كان للأذاة سلاحا
وسعــار الكلاب أهون شرًّا من سعــار يمزّق الارواحا

عباس محمود العقاد
بالأوقاف بمصر

﴿ حافظ بك المنشاوي ﴾

ان صحَّ في رجل ان ينعت بالسريّ النبيل ، فان حافظاً من أجدر كبراء القطر المصري بهذا النعت . وقد فزنا برسالة وقصيدة أهديتا اليه في هذا الشهر بمناسبة انعام الحضرة الفخيمة الخديوية عليه بالوسام العثماني الرابع بصفته احد اعضاء الجمعية العمومية . فآثرنا نشرهما لبلاغتهما وللدلالة على ما لسليل اسرة المنشاوي من المكانة في نفوس الادباء . أما الرسالة فهي من قلم الذكي النجيب محمد بك البابلي ، وهذا نصّها البليغ بعد الديباجه :

« تالله ، لو صاغوا لك من الثريا وساماً ، وجعلوا فوق السما كين لك مقاماً ، ما حلّوا صدرك بأحلى وأشرف مما انطوى عليهِ من كرم ، ولا زادوا مكانك رفعةً

(١) كلب أهل الكهف

عما أوصله اليك علوُّ الهمم ، وحسبك صدرٌ ضلّت الفضيلة حتى اهتدت اليهِ ، فاستقرَّت عليهِ ؛ ومقام بناه خيرة الآباء الامجاد ، وأعلاه صفوة الابناء الأجواد . .

البابلي

أما القصيدة فهي لشاعرنا الكبير خليل مطران ، وهذا نصُّها :

هل لشعري وأنتَ منهُ مرادي ... وصف حاليك من علي وانفرادِ
كلُّ مدحٍ أراهُ فيكَ قليلاً ... وكثيرٌ ما يقتضيني فؤادي
خطةٌ غيرُ بالغٍ كلُّ جهدي ... بعضَ شيءٍ من شوطها المتمادي
فليكنْ من تمام جودك عذري ... فقبولُ الأعذارِ شأنُ الجوادِ
أيها الحافظُ الأمينُ بحقٍّ ... للمعالي من طارفٍ وتلادِ
قد وفدنا حجيج أكرم بيتٍ ... واعتمدنا نوءٌ أشرفَ نادِ
لا بقصدِ البناء فخماً ولا الـ ... ـزينةِ أبهى ما جوَّدتها الايادي
لا ولا المجدِ باقياً عن كبارٍ ... من كرام الآباء والاجدادِ
انما شاقنا لقاء المعالي ... والمروءاتِ والندى والأيادي
في فتى حازمٍ جريءٍ همامٍ ... ثابتِ العهد صادق الميعاد
ثقفٍ ان يهزّه الخطبُ يوماً ... هزَّ لدناً من القنا الميَّاد
راسخِ العزم في كفاح الليالي ... باسم الوجه في قطوب العوادي
موئلِ المستجير كهفِ اليتامى ... والأيامى منارة الروَّادِ
حيثما تدعُهُ الذمار يُجبْها ... صوتُ حقٍّ منهُ وسيف جلادِ
ويجبها رأيٌ مدلٌّ عداها ... ربَّ رأيٍ أغزى من الاجنادِ
أي كفيل الحمى اذا قيل من في الـ ... ـقوم يومَ الندى ويوم التنادي
بعضُ تلك الخلالِ في نفرٍ مهـ ... ـما يقلُّوا كفايةٌ للبلادِ
تلك حسبُ الفتى مقاماً وبيتاً ... وحديثاً يبقى على الآبادِ

وبها يُدرِكُ المقامَ المعلّى　　من بك آتمٌّ عن هدى ورشادِ
عِشْ طويلاً في غبطة وصفاء　　سالماً ناعماً رفيعَ العمادِ
وليزِنْ صدرَكَ الرحيبَ وسامٌ　　بات فيهِ وقدرُهُ في ازديادِ
نِعمُ المالكين لا فرقَ فيها　　غير أن الفروقَ في الأندادِ

خليل مطران

السعادة

قالوا السعادة في الغرا　　مِ وفي الملاهي والشبابْ
فأنا فتىً ذقتُ الغرا　　مَ فلم أجد غيرَ العذابْ

(زحلة)　　سليم ابرهيم دموس

حول النياشين

في احدى معارك الحرب المشهورة بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ أسر الالمان جندياً فرنساوياً اسمه « فوكه » وقادوه الى مكان الاسرى ولكنهُ لم يلبث ان آنس غفلة من حراسه فهرب وعاد الى المعسكر الفرنساوي فقاتل في اليوم التالي قتالاً شديداً وأظهر شجاعة واقداماً فائقين فوعده ضابط فرقته بالمداليا الحربية وقدم اسمه بين اسماء اخوانه المستحقين تلك المكافأة . . . ثم مرّت الايام وتوالت السنون ولم تلمع على صدر فوكه المداليا الفضية حتى تقدمت لناظر الحربية في هذه السنة قائمة بأسماء المعدة صدورهم للمداليات والنياشين لهذا العام وبينها اسم فوكه وتاريخ استحقاقه للمداليا فبحثت الحكومة عنهُ حتى وجدته لا يزال حياً يرزق فقلدته النيشان . . . بعد اربعين سنة

جريمة الرجل

﴿ وجريمة المرأة ﴾

فتاةٌ في ربيع حياتها ، تلوح على وجهها امارات الطهر والعفاف ، أطلّت ذات ليلة من نافذة منزلها ، وكانت الطبيعة هادئة ، والناس نياماً والسكون باسطاً جناحيه تكاد لا تسمع سوى حفيف الاشجار وتغريد الطيور وخرير المياه . . .

نظرت الى ما فوقها فرأت النجوم تنير القبة الزرقاء ، والقمر يتهادى كالعروس مبدّداً جيوش الظلام باسطاً ضوءه على العالم فيزيد الطبيعة بهاءً وجمالاً ، ثم حانت منها التفاتة الى ما تحتها فرأت منظراً رائعاً مهيباً رأت منحدراً تغطيه أشجار الصنوبر والأعشاب الجبلية ينتهي الى وادٍ جميل تكسوه المروج الخضراء . . .

راقتها تلك المناظر البديعة التي طالما سمت بالشعراء الى عالم الخيال وانتعش فؤادها من نسيم الليل العليل ، فغادرت منزلها في سكون الليل وسحر القمر ، وجعلت تسير بين الكروم بخفة الغزال ، وهي تمتع نظرها بمحاسن الطبيعة وجمالها حتى وصلت الى مكان تظلله شجرة فتقدمت اليها وجلست على غصن من أغصانها لتستسلم الى سرورها وهنائها . . .

ما كادت الفتاة تجلس حتى مال بها الغصن فوق هوة عميقة تنتهي الى ذلك الواد ، فتماسكت به وصاحت بأعلى صوتها : أدركوني ! ولكن ما من مجيب

رأت الهوة الفاغرة فاها تحاول ان تبتلعها ، وفوقها سماء وتحتها فضاء فأيقنت بالهلاك .. ظلت معلقة في الفضاء حتى ضعفت قواها ، وكلت يداها ، فهوت الى الحضيض ، فتهشمت اعضاؤها ، وذهبت ضحية غواية الجمال .. كانت سعيدة بحياتها هنيئة بما حولها فماتت أشنع ميتة ، وذهبت طعاماً للوحوش . فوا أسفي على شبابها الزائل ! أما الغصن الذي كان سبباً في هلاكها فعاد الى ما كان عليه قبلاً ، وقد يورد غيرها مورد الهلاك ...

تلك هي حال المرأة الساقطة . تولد الفتاة طاهرة عفيفة ، وتشبّ ساذجةً وديعــةً ، ترى الحياة لذيذةً وتبني لنفسها قصوراً من الآمال ، حتى يعترض هناءهــا رجل تحسبه نجم حياتها وقبلة رجائها ، فتركن اليه وهو يخادعها حتى اذا ما نال بغيته منها تخلى عنها ، فترى هول سقطتها ، فتضيق بها الدنيا على رحبها فتتمسك به مستغيثة بالعدل وما من سميع ، وبناصر الضعفاء وما من مجيب ، الى ان يستولي عليها اليأس فتسقط في وادي الشقاء مستنجدة بالانسانية فلا تجد الاّ وحوشاً يأتون اليها منتهزين فرصة ضعفها ليسلبوها البقية الباقية من عفافها ، ويعصرون جمالها عصراً ويقضون القضاء الاخير على كل وسيلة لها الى العيش الى ان تصير عالة على الانسانية .. أما الرجل الذي كان سبباً في وقوع هذا البلاء فيتجاوزون عن هفوته ولا يناله شئ من الضرّ كأنه لم يأتِ أمراً فرياً ، ويظل راتعاً في بحبوحة الصفو والهناء ، وقد يوقع غيرها في شرك خداعه . ولا يتحمل عاقبة تلك الجنايات سوى الفتيات الضعيفات

اني اذا بكيت حزناً على شباب الاولى فاني هنا أصيح نادباً تلك

الانفس التي تفسد يوماً بعد يوم واقول ، ان العالم يفسد شيئاً فشيئاً وسياتي يوم لا نرى فيه للشرف والعفاف اثراً . وما ذلك الأ لأن الرجل لا يجد رادعاً اذ لا عقوبة تحلُّ بهِ من جرَّاء عمله فتراه مندفعاً في سبيل خداع المرأة . الا ان ذلك ظلم وعدوان وتلك حال لا تدعو الى الطمأنينة والأمن . . . انا احترم القانون ولكني أقول ان ما جاء به من محللات تلك الجريمة (جريمة افساد الفتيات) كالرضا مثلاً الذى يعتبر مسوغاً لما يقدم عليه الشبان والفتيات . أقول ان هذا الرضا لا يصح الأخذ به فانه محاط بوعود طويلة عريضة من جهة الشاب واعتقاد راسخ من جهة الفتاة بصحة ما يقوله مغويها . ولست أظن هذا الرضا يخرج عن حدود الضعف المسبب عن الحيلة الشريرة . نعم فان تلك الغواية من جهة الشاب حيلة وأكثر من الحيلة للوصول الى غرض مقصود فهي شبيهة من كل الوجوه بجريمة النصب والاحتيال من أجل المال التي جعل لها القانون بين بنوده عقاباً . وأقول ان العرض أثمن قيمة من المال ، فلم لا يفرض القانون عقاباً للمحتال على العرض كما فرضه للمحتال على المال . من ذلك يظهر ان هذا الامر جريمة تستحق العقاب ، والرأي العام يطلب ذلك والقانون الذي لا يسير مع الرأي العام في مستوى واحد ، من جهة ما يعتبر جريمة وما لا يعتبر جريمة ، قانونٌ ناقصٌ أو متجاوز ، وأعيذ قانوناً ان يلحق به النقص أو التجاوز

ولقد يرى البعض اني أبالغ في وصف جريمة الرجل دون الفتاة ؛ على ان قليلاً من الامعان يكفي المتامل في الحوادث التي تمرّ أمامه من هذا

القبيل ان يرى ان مصيبة الفتاة بسقوطها هائلة تودي بنفسها الى الهلاك فتصير طريدة شريدة تحمل أنواع البؤس والشقاء ، فضلاً عن انها تصير سماً زعافاً يسري في عروق الهيئة الاجتماعية . أما الرجل فانه كما ذكرنا لا يناله شيء من الضر مع انه جانٍ على المرأة والمجتمع الانساني في وقت معاً

ليست الحالة تتوقف على خداع شاب لفتاة بل هنالك قطيع من سفلة الاغنياء يساعدهم على تحقيق أمانيهم قومٌ هم وتجار الرقيق سواء ... ان الفضيلة تتعذّب لضياع العفاف ، والانسانية تتألم لأن الكمال يفر مدبراً أمام جيوش الفساد التي تزداد انتشاراً . فيا ليت السماء تمطر صواعقها على هؤلاء الناس الذين يقوّضون دعائم الفضيلة ويهدمون أركان العمران والرقي الادبي . ولكن مضى زمن الصواعق والمعجزات . فيا أصحاب الشرائع ويا أيها الحكماء تعالوا واندبوا هذا العصر الذي يدعونهُ بعصر الماديات فان حالتنا تستدعي الندب والبكاء . ولعلّ تلك الدموع تغسل شرورنا وتطهّر آثامنا . . .

. . . لقد تعب فلاسفة الاخلاق فكتبوا المقالات ، وألّفوا الكتب وألقوا الخُطَبَ ضمنوها نصحاً خالصاً وحضّاً على الكمال ، ولكني أرى انها لا تؤثر الاّ في من كانت نفسه في استعداد لقبولها . فان من فسدت أخلاقه ومات ضميره تعذّر علينا ارجاعه الى السبيل المستقيم بكلمات عذبة رقيقة . ولله در سليمان الحكيم حيث قال « ان من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً ؛ ومن ينذر شريراً يكسب عيباً » . ومثل هؤلاء قد اجتمعت فيهم الصفتان وانبعثت فيهم روح الاستهزاء ، وامتزجت في

نفوسهم روح الشرّ ، فلا يرجى اصلاحهم بالنصح والارشاد . وقد خطرت على بالنا كلمة لشكسبير نابغة الانكليز وشاعرهم قال « دع المتشرّد يقترف الجنايات كل يوم ، ويتوغل في شروره صباح مساء ، دعهُ ولا تنصحهُ الى يوم قريب يسقط فيـهِ الى الهاوية على عنقهِ ، فالقانون له بالمرصاد ولا تفوته الفرص ، وهو يستطيع ان يربيه ويقوّم أخلاقه فان مادة أو مادتين في القانون تقوم مقام عشرين من ألفاظك العذبة الرقيقة » نعم يجب ان يكون القانون واقفاً بالمرصاد للمجرمين الاشرار . وهو أعظم رادع يقف في سبيل هؤلاء الفاسقين . ولو جاءَ فيهِ بندٌ يقضي بعقوبة من يخدع الفتاة ويجرّها الى الهلاك سواء كانت بالغة سنّ الرشد أو لا لخفت وطأة هذه المصيبة شيئاً عن الهيئة الاجتماعية . واذا عُدَّ حكم قدماء المصريين بقتل الزاني وقطع أنف الزانية في منتهى القساوة فان التجاوز عن تلك الجريمة يُعَدُّ منتهى التساهل الذي يكون سبباً لانتشار الفساد في الاخلاق وعلةً لخراب العمران　　فيليب . م . ايليا

أمثال وأقوال[1]

— القلم شجرة ، ثمرها المعاني ؛ والفكر بحرٌ ، لؤلؤه الحكمة . (عبد الحميد بن يحيي)

— الرجل القليل العلم ينمو نموّ الثور : يزداد لحمه لا عقله

(١) من كتاب « أمثال الشرق والغرب » الذي جاء الكلام عنه في « ثمرات المطابع » من الجزء الفائت

— لو صوّر العقل لأضاء منه الليل ، ولو صوّر الجهل لأظلم منه النهار

— سئل أحد القدماء : ماذا تعلمت من الفلسفة ؟ قال : تعلمت ان أعيش بالسلام مع جميع الناس

— مرّن نفسك حتى على الاشياء التي تيأس من عملها ، وخذ مثالاً على ذلك اليد اليسرى فانها اقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين

— لا يصلح للصدر الاّ واسع الصدر (ابن سهل)

— لو وُضعت مصائب الناس كلها في كومة واحدة ، وأبيح لكل واحد ان يختار منها ما شاء ، لأختار كلّ مصيبته واستردّها (سقراط)

— الجاهل يُسأم ، أما مدّعي العلم ادّعاءً فلا يُطاق (نابوليون)

— كن المشتوم لا الشاتم ، وكن من الذين يُجار عليهم لا من الجائرين . (بولانو)

— المرأة الجميلة تبهج العيون ، والمرأة الصالحة تبهج القلب ، الاولى حلية والثانية كنز . (نابوليون)

— يجب علينا ان ننتحل أعذاراً للجميع : للاولاد لأنهم صغار ، وللنساء لأنهنّ ضعيفات ، وللحكام لأن مهامهم عظيمة فلا بدّ لهم من الخطإ ، وللصالحين لأنهم لا يقصدون الاساءة ، وللاشرار لانهم يستحقون الشفقة لأن الشقاء مستقبلهم . (سنيكا)

— عمل الخير اختياري ولكن رده إلزامي . (شيشرون)

— الشحّ أضرُّ على الانسان من الفقر ، لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع وان وجد . (الامام علي)

— من يأكل وهو شبعٌ يحفر قبره بأسنانه . (مثل تركي)

— ما من انسان تكشَفُ أفكاره وأفعاله الا يستحق الشنق عشر مرّات . (مونتاين)

— ابكِ على العاقل يوم يموت ، وابكِ على الاحمق حتى يموت . (افلاطون)

— اني لأرى الرجل فيعجبنى ، فأقول هل له حرفة ؟ فان قالو لا ، سقط من عيني . (عمر بن الخطاب)

— اذا لم تكن سعيداً ، فذلك لانك تطلب ما ليس لك ، وتنسى ما عندك . (شكسبير)

— تحتاج لثلاثة لتكون سعيداً : عافية الجسد ، وصحة العقل ، وسلامة القلب . (من أقوال العرب)

— العبد له سيد فرد ، والرجل الطماع عبد لكل فرد يساعده على سد مطامعه . (لابروير)

ومن أمثال الانكليز :

— من كان ضميره مطمئناً نام والرعود تقصف

— ارقب عدوّك كأنه أسد ولو كان فأرة

— يجب ان نهتمّ للمستقبل اهتماماً لا يحرمنا لذة الحاضر لأنه ليس من الحكمة ان نشقى اليوم مخافة ان نشقى غداً

— درهم الفقير اذا غُصب كان جمرة في كيس الغنيّ

ازهار واشواك

﴿ حول الرتب والنياشين ﴾

عيّن بوالو الشاعر الفرنسوي الشهير في القرن السابع عشر مؤرخاً للملك الكبير لويس الرابع عشر يدوّن أهم أخبار البلاط وحوادث المملكة على عهده . ولما عاد الملك الى باريس من احدى حروبه ، وقد أحرز النصر تلو النصر ، رفع اليهِ الشاعر قصيدةً اشتهرت بمطلعها حيث قال ما معناه : « أيها الملك العظيم كفَّ عن الانتصار او أكفَّ أنا عن الكتابة » يعني بذلك ان الملك ينتصر في كل حرب بأسرع مما يقدر المؤرخ على تدوين خبر الانتصار . . . وأنا ، وليس لي مقدرة بوالو في الكتابة ، أكاد أقول لسموّ افندينا العباس : « يا اميري كفَّ عن الانعام على الادباء ، او أكفّ أنا عاجزاً عن تهنئتهم وشكر آلائك » اذ انني ما كدت أفرغ من تهنئة حافظ برتبته ، وتهنئة خليل بنيشانه ، حتى وافتني الجريدة الرسمية زاهيةً بخبر الانعام على جرجي زيدان بالرتبة المتمايزة . ومع ذلك فقد قابلتُ هذا الخبر كما قابله جميع قرّاء العربية بالارتياح التام ، لأن جميع قرّاء العربية يعرفون ما لصاحب « الهلال » من الفضل الجمّ والأدب الغزير فكانت هذه الرتبة مكافأة عن ربع قرن قضاه في التأليف والتصنيف . واذا سعى البعض الى الرتب والنياشين بمأثرةٍ باهرة أو بثروة طائلة ، فان الرتبة سعت الى زيدان بك اعترافاً بأنهُ لم يعش الا ليكتب ، ولم يكتب الا ليفيد . وليس مثل هؤلاء الادباء بالعدد العديد

أقتطف من الرسائل الواردة باسمي الى ادارة مجلة « الزهور » شيئاً عن الرتب والنياشين ، لأن هذا الموضوع حديث الناس في هذه الايام .

كتب لي أحد القراء من مصر يقول « ما كان أصدقك يا حاصد في تعليقك على رتبة حافظ حيث كتبت : فاذا نحن قلنا الشاعر حافظ ابرهيم عرفهُ كل ناطق بالضاد . ولكننا اذا قلنا عزتلو الوجيه حافظ بك ابراهيم لا يعرفهُ الاَّ بواب منزله وفرَّاش الكتبخانة . وقولك هذا يصح في كل اديب كبير ، فقد حدث منذ ايام في نظارة المعارف ما أثبت ذلك : كان صاحب الهلال ، بعد الانعام عليهِ بالرتبة ، في النظارة ، وكان هناك احد كبار علماء الهند . فعرَّف الناظر الواحد الى الثاني ، قائلاً « زيدان بك » فلم يُعره العالم الهندي كبير التفات لظنهِ انهُ احد البكوات — والبكوات في مصر اكثر من الهمّ على القلب — فأدرك الناظر الامر ، وأراد ان يستدرك ما فات فما لبث ان ذكر « جرجي زيدان منشىء الهلال » فقام الهندي اليهِ وصافحهُ مصافحة الاعتبار والاجلال مثنياً على تآليفهِ واعماله الادبية » . . . فما أجمل مغزى هذه الحادثة وما أبلغ . . .

وكتب اليَّ قارىء من الارياف يقول : « كثرت المؤامرات في هذا الصيف واني لأكاد أرى في رتب أدبائنا واحدة منها ، وما المتآمرون الاَّ عصبة من الباشاوات والبكوات . فان حافظاً وخليلاً وزيدان كانوا بصفتهم الادبية يُعدّون في طليعة أهل البلاد قبل هؤلاء الباشاوات والبكوات . فدبَّر لهم المتآمرون هذه المكيدة ، وقد انطلت عليهم الحيلة فأصبح حافظ برتبتهِ الثانية ، وخليل بنيشانهِ الثالث ، وزيدان برتبتهِ

المتمايزة بعد فلان باشا ، ودون هذا الذي يحمل العثماني او المجيدي الاول ، وذاك الذي يرفل في كسوة الميرميران او الاولى صنف أول

وبهذه المناسبة اقترح على الحكومة — وهي مهتمة الآن لاعداد ميزانية مصالحها وايجاد المال اللازم لانفاذ المشروعات النافعة للبلاد — ان تضع رسماً على حاملي الرتب والنياشين . ومهما كان هذا الرسم زهيداً فانه يعود على الحكومة بايراد وافر يسد شيئاً كثيراً من حاجاتها بسبب كثرة الذين ستتناولهم هذه الضريبة . ولكان هذا الايراد يزيد أضعاف الاضعاف ، لو ضوعف الرسم على « البهوات التقليد » . فانك لو مررت حوالى الساعة الحادية عشرة مساء في ميدان باب الحديد او في ميدان الاوبرا ، لتمزقت اذناك من ترديد « حمار يا بك ؛ أجي يا بك ؟ » ولو كان بينك وبين البكوية مراحل . . .

وفي الختام أورد لقرائي الحادثة الآتية وقد روتها الجرائد الفرنسوية في الشهر الفائت قالت : لقي بوليس باريس قرب « الشانزليزه » شاباً متقلداً شارة « اللجيون دونور » ، فرابه أمره لاعتقاده ان مثل هذا الوسام لا يحمله الا الشيوخ الذين أتوا في حياتهم أعمالاً جليلة . فأخذه الى أقرب مخفرٍ هناك . فسئل الشاب عن اسمه ولقبه وسبب تقلده شارة هذا النيشان العظيم الشأن ، فأجاب بكل بساطة « أنا عمانوئيل ملك البرتغال السابق » فانحنى سائله أمامه باحترام ، واعتذر له بما حضره من الكلام

ماصم

صوَر هذا الجزء

كنا قد أعددنا لهذا الجزء من الزهور صوَر أسرة اليازجي ، لننشرها بمناسبة الاحتفال بنقل رفات المرحوم الشيخ ابرهيم من مصر الى لبنـان . فـكان تأجيل الاحتفال سبباً في تأخير نشر الصوَر

موت الكنار

في الجزء الخامس من الزهور ص٢٤٢ نشرنا مقالة للكاتبة « مي » ترثي فيها كناراً لها . وقد نقلت جريدة « الزمان » هذه المقالة وأردفتها بالأبيات الآتية :

بكتِ الكنارَ فهيَّجتْ بي لوعةً   نفسي بها امتلأت لموت كناري
ان تُشجِ «ميَّ» وفاة عصفورٍ لها   فتقول فيــهِ النثرَ كالأشعــارِ
فبما تراني في الرثاء أجودُ من   بعــد الحبيبِ ونكبةِ الاقدارِ ؟
ذيَّالكَ عصفورٌ بكتهُ بلهفةٍ   فإذا بكيتُ بمدمعٍ مِدرارِ
ومثيرُ أشجاني ملاكٌ ، هل أكو   نُ موفياً حقَّ الغرامَ شعاري ؟
شتَّانَ بين مصيبــةٍ ومصيبةٍ   يا ميُّ . من يُنهي اليكِ سراري ؟
مَن همتُ فيهِ لا كلامَ يفيهِ حقَّ   الوصفِ . والهفي من التذكارِ !
قد كان أجمل زهرةٍ في روضةِ   الآمالِ لي ومحجّة الأوطـارِ
حاولتُ ما اسطعتُ المطار بهِ فلم   أُفلح فماتَ ولم نفز بمطـارِ
فتحسُّرٌ أضنى الكنارَ أصابنــا   وكلاهما قد بتّ بتٌّ بنــارِ

اسطفان غانم

صاحب جريدة « الميزان » البرازيلية

جرائدهم وجرائدنا

نشر مسيو ارثور ماير مدير جريدة « الغولوى » الفرنسوية كتاباً بعنوان « الذي رأيتهُ بعيني » فلما بلغ الى وصف الجرائد قال عن جريدة « الماتان » :

« يصحّ القول في جريدة « الماتان » انها الجريدة العصرية الراقية . فهي اذا قالت « أقول كلّ شيء » جاز لها هذا الادعاء . فان لها أسلاكاً تلغرافية خصوصية تربطها ، وهي في باريس ، بلندن ونيويرك وبرلين ؛ ولها مراسلون في كل مكان . وهي متحدة بجريدة « التيمس » الانكليزية المشهورة فتنقل أخبارها الخاصة في كل صباح . أما صبغتها السياسية فجمهورية بحتة ولكنها لا ترفض نشر أفكار وآراء رجال السياسة على تباين أغراضهم وسياساتهم . فهي والحالة هذه أنموذج الجرائد الحرة ذات المقام السامي في عالم الاعمال والاشغال من كل نوع ، وهي أشبه بمنبر عال مباح لكل خطيب من كل مبدأ ومن كل غاية ولست أظن انهُ توجد بين الصحف صحيفة اكثر منها اقداماً وشجاعة . وتشغل ادارتها بنايات كل واحدة منها كبيرة على حدة . وتبلغ المساحة التي أقيمت فيها هذه الادارة ثلاثة آلاف وأربعمائة متر مربع . أما عمالها المأجورون فيعدون تسعمائة عامل ، عدا المراسلين . وفيها ست ماكنات أميركية كبرى تطبع في الساعة الواحدة مئة ألف عدد ولها مستودع كهربائي خصوصي يغنيها من المستودع العمومي ولا سيما ابان الاعتصابات . وفيها معمل لحفر الصوَر وقد كانت الجريدة الاولى في فرنسا التي استعملت هذه الطريقة لنشر الصوَر فهي تكتب وتطبع وتنشر لنفسها بنفسها ولا تشتري من المعامل الاَّ الورق والحبر . أما ايرادها اليومي فيبلغ ثمانين ألف فرنك ولكنها تنفق على الورق يومياً عشرة آلاف فرنك . وقد كان مجموع ما أنفقتهُ على أخبارها التلغرافية الخارجية في سنة ١٩٠٩ نصف مليون فرنك وأما دائرة تحريرها فمؤلفة من مئة كاتب ينقسمون تحت ادارة رئيس التحرير الى ثلاث فئات فئة المخبرين المحليين وفئة الساسة وفئة المخبرين الاجانب

ثمرات المطابع

عجائب غرائب

لما سألنا قراءنا هذه السنة عن النوابغ في مصر ، أجابنا كثيرون منهم ذاكرين حافظ نجيب النابغة في الاحتيال . والحق يُقال انهُ لنابغةٌ فذٌّ في بابه ، يُعدّ أرسين لو بين واللص الشريف وسائر أبطال روايات البوليس السري عيالاً عليهِ . كانت المحاكم قد حكمت عليهِ ثلاثة أحكام غيابية لاتهامهِ بالنصب والاحتيال في حوادث غريبة الوقائع ، وحكمت عليهِ مرة حكماً حضوريًّا ، ولكنهُ تمكن من الفرار من سجنهِ في ٢٧ دسمبر سنة ١٩٠٧ ، وظلَّ خمس سنوات يتنقل في القطر المصري والبوليس ينقّب عنهُ وهو يواصل أعماله الغريبة . ذهب إثر هربه من السجن الى الوجه البحري ؛ ودخل في دير ابشواي ، وادَّعى انهُ راهب واسمهُ غبريال جرجس وبقي هناك بضعة شهور اكتسب في خلالها ثقة الجميع ، حتى أصبح صاحب الكلمة المسموعة وحينئذٍ احتال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمئة جنيه واختفى . ثمَّ قصد دير المحرّق متخذاً اسم الراهب غالي جرجس ، وراسل من هناك بعض صحف العاصمة ، وكان له كتابات تُذكر في موضوع الخلاف الذي كان قائماً في ذلك العهد بين الجرائد الاسلامية والجرائد القبطية . ولما افتضح أمره ، غادر الدير واختفى أثرهُ ، الى ان كان اليوم العاشر من شهر اكتوبر الماضي . فقد بلغ البوليس ان حافظاً موجود في دائرة قسم مصر القديمة وهو متنكرٌ يحترف حرفة درويش « يعطي عهوداً » فهاجمتهُ قوة من رجال البوليس فوجدوه محاطاً بعدد كبير من الدراويش في حلقة ذكر ، ولما رآهم مقبلين اليهِ ، أخذ يكبر بصوتٍ عالٍ « الله ! الله ! » ولما قبضوا عليهِ ، ادَّعى انهُ الشيخ عبدالله ابرهيم من المنوفية وانَّ الله يخلقُ من الشبه أربعين . على ان ادعاءه هذا لم يجدِه نفعاً ، وسيق الى السجن . وكان مدة اقامته في مصر العتيقة قد اقترن باحدى جاراتهِ — وهي تجهل

حقيقة أمره — ورزق منها ابنة سماها عزيزة وهي الآن في حولها الثاني

هذا شيء قليل من نوادر هذا الرجل الغريبة . وما كنا لنشغل بهـا قرّاء «ثمرات المطابع» لولا ان الرجل كاتب بليغ وله مصنّفات نفيسة واليك تحرير الخبر : قصدتْ مطبعة المعارف منذ مدةٍ سيدة وطنية اسمها وسيله محمد وعرضت على نجيب افندي متري صاحب المطبعـة نشر كتاب عنوانه « روح الاعتدال » لواضعه شارل وانير . فارتاح متري افندي الى موضوع الكتاب الجليل ورآه جديراً بالنشر باللغة العربية لما فيهِ من الفائدة للبلاد فطبعه ؛ وتناولت الصحف الكتاب بكلمات الاطراء ، وأقبل عليهِ القراء أيّما اقبال ، وقرَّرت مدارس كثيرة تدريسه . وبعد مدة وجيزة عادت وسيله محمد الى مطبعة المعارف وبيدها نسخة من كتاب آخر ، عنوانه « غاية الانسان » فلم يتردَّد نجيب افندي متري في قبوله اذ رآه لا يقلُّ فائدةً عن الكتاب المتقدم ذكره . فطبعهُ ونشره في الشهر الماضي وكان له نصيب كبير من إقبال القراء . وفي أوائل اكتوبر عادت وسيلة محمد الى المطبعة ومعهـا القسم الأول من ترجمة كتاب « الناشئـة » وفي ١٠ اكتوبر قبض البوليس على حافظ نجيب ، فحال دون انجاز الكتاب الثالث من هذه الكتب التي كان ينشرها حافظ باسم زوجتهِ — وهي لا تدري من سرّ زوجها شيئاً . . . .

أهدت وسيلة محمد كتابها الأول الى ابنتها « العزيزة » فقالت ، — أو قال حافظ نجيب : « أنتِ اليوم طفلة في المهد ، تسرّك ابتسامتي ، ويكفيكِ حنوي . وطفلة اليوم أم الغد . . . والزمان قلَّب ، والغد مجهول ، فقد لا أكون الى جانبكِ اذ ذاك ، فترجعين الى هذا الكتاب . . فتؤثرين العمل بما فيهِ من الآراء السديدة على ما يحدو اليـهِ نزق الشباب ، أو جنون الصبا ، وطيش الرعونة . . . واذا ما أعوزتكِ النصيحة فان في آراء الكتاب الاجتماعيين ما قد ينوب عن نصيحة أمٍ ثوَت ، أو والدٍ قُبر ، هذه هديتي . فانْ تعلمتِ علماً صحيحاً وكنتِ رقيقة العواطف ، عرفتِ منها كم كنتُ أحبكِ وأرغب في نفعكِ »

والكتاب الثاني أيضاً مهدى الى « الابنة العزيزة » وقد جاء في كلمة الاهداء :

« الدهر عبر ، والحياة سير ، والنفس بينهما لا تستقرّ ، فمن تتقي الأيام تأمن عِبَرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها . والحوادث جائية ذاهبة ، والاعمار فانية ناضبة ، فالحال لا تدوم أسعدتْ أم أشقتْ ، والذكرى لا تفنى قبحت أم حسنت . فاتقي بنيتي العاقبة الأخرى ، فانما الحياة هي الذكرى »

نكتفي بهذه النتف للدلالة على مقدرة حافظ نجيب الكتابية ، لأن المجال غير متسع لزيادة البحث في كتبهِ وآرائهِ[1] . على انهُ لا يسعنا قبل الختام الاّ ابداء الاسف لضياع مثل هـذا الذكاء النادر . ولو عرفت الحكومة الآن ان تقوده في الطريق المستقيم لنفعت وأفادت كثيراً

* الهدية الفهمية[2] — أتحفنا بهذه الهدية حضرة الفاضل محمد افندي فهمي المغربي أحد موظفي نظارة الحربية . وهو عنوان الكتاب وضعه « لتذليل صعوبات اللغة الانكليزية » فاذا بهِ ثمرة مطالعات كثيرة ، وخبرة كبيرة . والكتاب مقسوم الى قسمين : يتضمن القسم الاول الاصطلاحات اللغوية والافعال المختلفة المعاني باختلاف الحروف التي تليها مع جمل تدل على كيفية استعمالها ؛ والقسم الثاني يتضمن الاصطلاحات الادارية والعلمية والفنية ، وتجاه كل عبارة ترجمتها العربية . فجاء هذا الكتاب المفيد أشبه شيء بقاموس مرتب حسب المعاني . فنوجّه اليهِ أنظار طلاّب اللغة الانجليزية فيجدون فيهِ فائدة عظيمة

* الاسلام والاصلاح[3] — هو عنوان « تقرير رسمي رفعهُ جناب السر ريشارد وود قنصل دولة انكلترا الجنرال ووكيلها السياسي في تونس الى جناب ناظر خارجيتها » وقد نشرتهُ الحكومة الانكليزية في الكتاب الازرق الذي أصدرتهُ سنـة ١٨٧٨ عقب وقوع الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا . وأعاد طبعه بالعربية حضرة الاديب محب الدين افندي الخطيب أحد محرري جريدة المؤيد . وأردفهُ

(١) تطلب هذه الكتب من مكتبة المعارف بالفجالة بمصر وثمن الكتاب ٥ غروش صاغ
(٢) طبع في مطبعة مدرسة أم عباس عدد صفحاته ٤٩٠
(٣) طبع في مطبعة « المؤيد » ويطلب من مكتبة « المنار » بمصر

بلمحة في « تاريخ الجندية العثمانية » ترجمها عن الكاتب التركي رفيق بك مانياسي وزير العدلية العثماني المتوفى . وهو من الكتب التي يحسن الاطلاع عليها في الآونة الحاضرة

* سوريا ومصر[1] — كثرت هذه المدة الابحاث في موضوع القطرين الشقيقين لشدة صلة الروابط الادبية بينهما . وآخر ما جاءنا بهذا المعنى كتيّب بالعنوان المتقدم أرسله الينا حضرة الاديب نسيم افندي ملول ، وقد جمع فيهِ سلسلة مقالات كان قد نشرها في جريدة « النصير » البيروتية ، ثم جمعها « خدمة للدولة والوطن العثماني »

* الشعب — جريدة جامعة أنشئت لخدمة الشعب الشوفي ، يُصدرها في عين زحلتا حضرة الكاتب الشاعر رشيد بك نخله الاديب المعروف لدى قراء « الزهور » ويودعها ما اشتهر عن قلمهِ من النفثات الشائقة . فنرجو لها النجاح في الخدمة القومية التي تتوخاها

* الصحة [2] — كلَّ يوم يأتينا دليل جديد على نهضة اللغة العربيـة في العالم الجديد على يد المهاجرين النشيطين . وقد حمل الينا البريد الاخير العدد الأول من مجلة صحية طبية اسمهـا « الصحة » يُصدرها في نيويرك الصيدلي الكيماوي يوسف افندي يبرودي ، فاذا بهـا حافلة بالموضوعات العلمية والفوائد الطبيـة والابحاث الصحية المفيدة

مكتبة المنـار — أهدت الينا هذه المكتبة الزاهرة لأصحابها رضا وخطيب وقتلان قائمة كتبها عن السنة الجارية ، وهي طافحة بالكتب الادبية المفيدة . والمكتبة ترسلها مجاناً الى كل من يطلبها منها

* ننشر في هذا الجزء الفصل الثاني من رواية « يوليوس قيصر » لشكسبير ترجمة سامي افندي الجريديني المحامي :

---

(١) طبع في مطبعة « النصير » في بيروت

(٢) Al-Sahhat, 53 Washington St., New-York

الفصل الثانى

« المشهد الأول »

(رومه — منزل بروتوس)

بروتوس — (منادياً الخادم) لوسيوس ! يا لوسيوس ! (لنفسه) لا أقدر ان أحزر من النظر الى النجوم مقدار قرب النهـار منا . (منادياً الخادم) لوسيوس ! أنت يا هذا ! (لنفسه) ليت لي ذنبه واستغرق في مثل نومه . (منادياً الخـادم) لوسيوس ! لقد آن لك ان تستفيق . قم . انهض . (يدخل لوسيوس الخادم)

لوسيوس — هل نادى مولاي ؟

بروتوس — خذ شمعةً الى غرفة قراءتي . أضئها وتعالَ ادعني اليها

لوسيوس — سأفعل يا مولاي . (يخرج)

بروتوس — (لنفسه) فلتنجونَّ رومه بموته ! اني لا أجاهده ابتغاء مصلحة نفسي بل لمصلحة الأمة . يودُّ لو يُتوَّج . تُرى كيف يكون تأثير التاج فيه ؟ تلكم المسألة . لا يخرج الصل من وكره الاّ على نور النهار [١] عند ذلك يجب المشي باحتراس . اذا نحن ألبسناه التاج لبسنا الخطر ، فنكون قد أخرجنا الصلّ من وكره فلا نأمن . بل نكون قد حدّدنا نابه يعطبنا به حين يشاء . شرُّ ما تكون العظمة عليـه عند ما تفرّق بين القوة والرحمة . ان قيصر — والحق يقال — لم يدع عواطفه تتغلب على عقله قط . انما من يضمن المستقبل ؟ ان الطمع يتخذ في بدء أمره التواضع سلماً له . فتراه محولاً اليه وجهه عند ما يكون واقفاً في أسفله . فاذا ما اعتلا قمته ولاّه ظهره ناظراً الى السحب فوقه ناسياً تلك الدرجات الواطئة التي تسلّقهـا . هذا مثل سائر

(١) اشارة الى ان الانسان لا يظهر بمظهره الحقيقي الا عند النجاح

وبرهان معروف ... قد يفعل قيصر هذا الفعل . فلنمنعه قبل ان يأتيه[1] لا حجة لنا عليه الآن . فلنغيّر شكل دعوانا ولنقدّر انهُ اذا نما عما هو عليهِ أضرَّ وكان ضرره عظيماً . لنحسبنّه بيضة الحية نقتلها في قشرتها مخافة ان تفرّخ فتسعى لضرّ الناس .

(يرجع الخادم لوسيوس)

لوسيوس — مولاي . أضأت الشموع في غرفتك . وقد رأيت هـذه الورقة مطوية طيّتها في النافذة ، ولم تكن هناك عند ما رقدت . (يعطيه الورقة)

بروتوس — اذهب ونم . لم يطلع النهار بعد . في أي الأيام نحن يا غلام ؟

لوسيوس — لا أعلم يا مولاي

بروتوس — أنظر في التقويم وهات الخبر

لوسيوس — أمرك . (يخرج)

بروتوس — يمكنني ان اقرأ على نور هذه النيازك المتساقطة في الهواء (يفتح الورقة ويقرأ) « بروتوس انت نائم ؛ تنبّه وانظر الى نفسك ! ان رومه الخ الخ . تكلم . أضرب . أفدِ ! بروتوس أنت نائم ! استيقظ ! » (لنفسه) قد عثرت على كثير من هذه الكتب المحرّضة . (يقرأ) « رومه الخ الخ » (لنفسه) تُرى ما معنى هذا ؟ هكذا يجب ان تكون : أتستعبد رومه خوفاً من انسان فرد ؟ أرومه ؟ ان آبائي طردوا تاركوين من أزقة رومه عند ما طمع بالملك. (يقرأ) « تكلم . اضرب » (لنفسه) أكلاماً وضرباً يرجون مني ؟ ايه رومه ! لكِ عليَّ العهد ان تنالي مبتغاكِ[2] على يدي ان كان العدل ينجم عن ذلك . (يرجع الخادم لوسيوس)

لوسيوس — مولاي قد انسلخ اربعة عشر يوماً من شهر مارس

بروتوس — حسناً . اذهب وانظر من بالباب فاني اسمع قرعاً . (يخرج لوسيوس)

---

(١) يشعر بروتوس ان قيصر لم يأت أمراً اداً يستاهل القتل ، ولكنه يحتاط للمستقبل مخافة ان يكون تفوّق قيصر مدعاة للاستبداد　　(٢) أي الكلام والضرب

(لنفسه) طالت لياليَّ ولم أنم من يوم ما حرَّضني كاسيوس على قيصر . ان المسافة بين تنفيذ عملٍ فظيع و بين أول دافع يدفع اليهِ لخيال أو حلم مخيف . العقل والجسد يتشاوران ، وتصبح حالة الانسان كمملكة صغيرة تتناوبها الثورات (يرجع لوسيوس)

لوسيوس — ان أخاكَ كاسيوس في الباب يودّ ان يراك

بروتوس — هل هو وحده ؟

لوسيوس — كلاّ مولاي ! بل معهُ اكثر من واحد

بروتوس — أتعرفهم ؟

لوسيوس — لا . فان قُبعاتهم مشدودةٌ الى آذانهم وأرديتهم تغطي نصف وجوههم ، فلم أتمكن من معرفة واحدٍ منهم

بروتوس — دعهم يدخلون (يخرج لوسيوس) . (لنفسه) هم العُصبة . ايهٍ أيتها الفتنة ! أتخجلين من إظهار وجهكِ المخيف في سوادِ الليل وهو مباءة الشرور ؟ اذنْ أنّى لكِ ان تجدي كهفاً في رابعة النهار يسدُل سِترَ ظلامهِ على فظاعة وجهك ؟ لا تطلبي محالاً . خبإِي وجهكِ تحت ستار التبسّم والمخادعة فانكِ لو خرجتِ الى الناس بلا ستار لعجزتْ ظلمةُ جهنم الخامسة (1) عن اخفاءِ فضيحتكِ !

(يدخل المتآمرون كاسيوس وكاسكا وداسيوس وسِنّا وسمبر وتريبونيوس)

كاسيوس — طـاب صباحك يا بروتوس . لقد تجاسرنا على إقلاقك . أليسَ كذلك ؟

بروتوس — لم أنمْ ليلي . هل أعرفُ هؤلاء القادمين معك ؟

كاسيوس — نعم ، كلاًّ منهم . وليس منهم الاّ من يُكرمك ويَودُّ لو كان لك في نفسك مثلما للرومانيين فيها من حسن الثقة . هذا تريبونيوس .

بروتوس — أهلاً بهِ

(1) واسمها في اللاتينية ايربوس

كاسيوس – وهذا داسيوس

بروتوس – مرحباً بهِ

كاسيوس – وهذا كاسكا . وهذا سنّا . وهذا سمبر

بروتوس – أهلاً بهم جميعاً وسهلاً . أيُّ الهموم حالت بين عيونكم وبين الليل فمنعتها من النوم ؟

كاسيوس – أتأذن لي في كلمة ؟　　　(بروتوس وكاسيوس يتهامسان)

داسيوس[1] – هنا الشرق . أو ليس هذا مطلعُ الشمس ؟ (يشير الى جهة الشرق)

كاسكا　　– كلاّ

سنّا　　– عفوكَ . بلى . وليست هذه الحبائل البيضاء التي تقاطِعُ السحب الاّ رسلَ النهار

كاسكا – انكما على ضلال . وستعترفان بهِ . ان الشمس تشرقُ من هنا حيث يتجه سيفي وهي جهة قريبة للجنوب . والسنة تكون في أولها في مثل هذه الأيام . ثم تتجه بعد شهرين تقريباً الى الشمال وترمينا بحرارتها . أما الشرق فهذه وجهته . هنا حيث الكابيتول

بروتوس – هذه يدي . هاتوا أيديكم

كاسيوس – ولنحلفنَّ متفقين

بروتوس – لا . لا حلَف ولا يمين . ان لم تكن اماراتُ وجوهنا وآلام نفوسنا وجور الزمان علينا بالأسباب الكافية لنا ، فلنتفرَّق الآن وليذهب كلٌّ الى فراشهِ ولندع نسرَ الاستبداد في تحليقهِ يتخطفنا الواحد إثر الآخر . أما اذا كانت هذه الأسباب نفسها ناراً تنفخُ في الجبان شجاعةً وتجعلُ نفوس الأطفال والنساء

---

(١) الحديث بين داسيوس وكاسكا وسنا لا شأن له في المؤامرة بل ليشغلوا أنفسهم اثناء مهامسة كاسيوس وبروتوس

مفلوذةً ، فماذا تزيدنا اليمين في إقدامنا ؟ وأيُّ الروابط تفضلُ رابطة كلمة خرجت من أفواه رومانيين يكتمون السرَّ ولا يمارون ؟ وما اليمين لقوم كرام تعاهدوا على تنفيذ أمرهم أو تركه ملطخاً بدمائهم ؟ دعوا الاقسام للكهنة ، للجبناء ، للمنافقين ، للجثث الزائلة ولنفوسٍ تقبلُ الضيمَ وتصبرُ على الأذى . ان الذين يُشكُّ في أقوالهم يُقسمون ، ليحملوا الناس على تصديق أغراضهم الباطلة . أما أنتم فأعيذكم من ان تدنّسوا عِرضَ غرضنا أو تكبحوا جماح نفوسنا بقَسَم تظنونهُ لازماً . ان دماءكم التي تجري في عروقكم – على شرف محتدها – لتصبح أسفل من دم اللقطاء ان حنث أحدكم بحرف من كلمة خرجت من أفواهكم

كاسيوس – ما قولك بشيشرون . أنعجمُ عودَه ؟ أظنهُ يؤيدنا بقوَّة

كاسكا – لا نتركه

سنّا – لا نتركه أبداً

متلّوس – لنشركنَّهُ معنا . ان شعره الفضي لأكبرُ مبرّر لعملنا في أعين الناس ولأعظم داعٍ لثقتهم بنا ، فيقولون ان حكمةُ الصائبَ قد سدَّد أيدينا . ولا يظهرُ علينا شيءٌ من مظاهر نَزَق الشباب بل تُدفن كلها في عظيم رصانتهِ ورزانتهِ

بروتوس – لا تذكروا اسمهُ . اننا لن نطارحهُ الأمر . فهو لا يتبع أحداً ابتدأ عملاً قبلهُ

كاسيوس – فلندعهُ وشأنهُ

كاسكا – حقاً انهُ لا يصلح لشيء

ديسيوس – ألا يُمسُّ أحد بسوء خلاف قيصر ؟

كاسيوس – أصبتَ المحزَّ يا ديسيوس . فلا يليق بأنطونيوس محبوب قيصر ان يعيش بعده . ان تركناه نلقَ منهُ محرّكاً للفتنة يَقِظاً . وقد تمتدُّ يده الى الاساءة الينا ان هو أحسنَ إدارة ما لديهِ من الواسطة السيئة . فلنمنعنَّهُ من ذلك ، وليسقط مع قيصر !

بروتوس — اذا نحن قطعنا الرأسَ وألحقنا بهِ الأعضاء ظهرت أعمالنا بمظهر دمويّ لايليق . ويكون مثَلُنا مثلَ المتشفّي يشوّه فريسته بعد قتلها. فان أنطونيوس ليس الاّ عضواً من اعضاء قيصر ... أي كاسيوس ! لنكن فدائيين لا جزارين . اننا نناهض روح قيصر ، ولا دم للأرواح . ليتنا نستطيع ان نبطش بروح قيصر ولا نمس جسده . يا للأسف ! لا بدّ لدم قيصر ان يسيل . اذن فلنقتله شجعان لا حاقدين ولا منتقمين . لنجعله ذبيحةً تليق بالآلهة ، لا جثةً تُقطع وتُرمى للكلاب . ليكن عملنا عمل السادة الدهاة يدفعون عبيدهم الى الغضب ثم يعنفونهم على ذاك الاندفاع . بمثل هذا تظهر فعلتنا للجمهور لازمة لازبة ، لا حاقدة غائرة ، فندعى مطهّرين لا سفّاحين . دع انطونيوس من فكرك . انهُ لا يستطيع ان يعمل اكثر مما تعمله يد قيصر بعد ان يقع رأسه عنه

كاسيوس — ولكنني أخافهُ . فان محبته لقيصر ....

بروتوس — (مقاطعاً) دعه من فكرك ايها الطيب كاسيوس . ان كان يحب قيصر فما له الاّ ان يموت حزناً عليه. وليس الأمر بالهين فانهُ مغرم بالتنزه والطيش والمغازلة

تريبونيوس — لا خوف منه . لا تقتلوه فانهُ سيعيش ويضحك من هذا الأمر (تدق الساعة)

بروتوس — اسكتوا عدّوا دقات الساعة

كاسيوس — دقت الساعة ثلاثاً

تريبونيوس — حان وقت الذهاب

كاسيوس — على اننا لا نزال في شك من خروج قيصر من بيته اليوم . فلقد أصبح متطيراً متشائماً ، اذا سمعته لا تظنهُ ذلك الرجل الذي لم يكن ليعبأ بالأوهام والأحلام والتقاليد الدينية . فقد لا يأتي اليوم الى الكابيتول لسبب مظاهر هذا الليل غير العادية ولأقوال المنجمين الذين يحيطون بهِ

ديسيوس — لا تخشَ هذا الأمر . فأنا أثنيه عن عزمه اذا صمَّم على البقآء في منزله . انه يبتهجُ اذ يسمعني أقول له : « ان الشجر يُسلّمُ وحيد القرن الى الهلاك كذلك الدببة فانهم يصطادونها بالزجاج [1] ، والفيلةُ بحفر الأحافير ، والشباك تنصبُ لاقتناص الأسود ، أمّا ابن آدم فيؤخذ بالتملّق » . فاذا قلتُ له انك تكره المملقين ، يجيبني نعم أكرههم. وهو بهذا القول يكون قد خضع للتماق كل الخضوع . دعوني أتم عملي فاني أعرف كيف استميله وآتي بهِ الى الكابيتول

كاسيوس — لا . اننا نذهب كلنا ونأتي به

بروتوس — ولتكن الساعة الثامنة غاية موعدنا

سنّا — نعم ولا تتأخروا

سمبر — ان ليجاريوس يكرهُ قيصرَ ، فقد وبّخه هذا مرة اذ سمعه يطري بومباي . أعجبُ كيف لم تفتكروا به

بروتوس — اذهبْ اليهالان.اني قد أحسنتُ اليه فهو يحبني . أرسله اليّ فأ كيفه

كاسيوس — لقد هجمَ علينا الصباح . بروتوس ، ها نحن تاركوك . تفرقوا ايها الاخوان . أذكروا ما قلتموه ، وكونوا أبنآء رومه الصادقين

بروتوس — ايها السادة الأخيار . إبسموا واطربوا . ولتخفِ وجوهكم نيّاتكم . ولنظهر بمظهر الممثلين الرومانيين مالكين قياد انفسنا وواثقين منها . طاب ليلكم جميعاً . (يخرج الجميع عدا بروتوس) . (ينادي الخادم) أي لوسيوس . يا غلام ! (لنفسه) نومــه عميق . لا بأس . تمتع بندى النوم اللذيذ . انك لا تحلم ولا ترى أشباحاً وخيالاتٍ تملأ رؤوس الرجال بعيدي الهمّ ، لذلك تنام نوماً عميقاً (تدخل امرأته بورسيا)

---

(١) يقولون ان وحيد القرن اذا رأى شجرة ينطحها فترديه ، وكذلك الدبّ اذا رأى صورته انعكست اليه بمرآة او زجاجة هجم عليها ووقع في الفخّ الذي يكون ورآها

بورسيا — بروتوس ! مولاي !

بروتوس — بورسيا ! ما هذا ؟ ولِمَ تبكرين في القيام . ليس لمزاجكِ الضعيف ان يتعرّض لبرد الصباح ورطوبته

بورسيا — ولا لمزاجك أنت ايضاً ، انكَ قد انسلتَ من فراشي انسلالاً . والبارحةعلى العشاء نهضت فجأةً وأخذت تتمشى ويداك ورآء ظهرك تتنهدُ وتشكو . عندما سألتك السببَ نظرتَ اليّ مغضباً ، فأعدتُ السوءال عليك فحككت رأسك وضربت الأرض برجلك ، فألححتُ ولم تثنِ عزيمتي ، فأشرت بيدك اليَّ ان انصرفي ، فانصرفت طائعة مخافة ان أزيد في قلقك المتقد راجيةً ان يكون الأمر انزعاجاً خفيفاً قد يطرأ على جميع الناس ، ولكنه قد حرمك الأكل والكلام والنوم وتمكن منك حتى لو كان أثره في جسمك مثلما هو في عقلك لغابتْ عني معرفتك . أي مولاي دعني أعرف سبب حزنك

بروتوس — اني منحرف المزاج قليلاً . هذا كل ما في الأمر

بورسيا — ان بروتوس لعاقل حكيم . لو كان يشكو الدآء في صحته لتوقّى اسبابه

بروتوس — هذا ما أفعله . اذهبي الى فراشكِ ايتها العزيزة

بورسيا — أمريض بروتوس ؟ أمن دواعي الاستشفآء ان تنهضَ مفكوك الازار تمتصّ رطوبة الصباح ؟ أمريضٌ بروتوس اذ يهربُ خلسةمن فراشه الطيب لملاقاة عدوى الليل ولاستفزاز برد الهواء وفساده الى زيادة مرضه ؟ لا يا بروتوس ! ان علتك هنا في الرأس ، لي بحقّ الزوجيــة ان اعرفَ ماهيتها . اني أجثو لديك واستنجدُ ماضي جمالي علّــهُ يستهويك . بل أستعين عليك بعهود حبّــك وبميثاقٍ عظيمٍ جعلنا جسداً واحداً الاّ كشفت لي ضميرك وقلت لي — لمن هي مقام النصف منك — في مقام نفسك — ما سبب وجومك ؟ ومن الذي لجأ اليك هذه الليلة . فاني رأيت رهطاً يخفون وجوههم حتى عن الظلام

بروتوس — لا تركعي يا بورسيا اللطيفة !

بورسيا — ما كنت لاركع لو كنتَ بروتوس اللطيف . أي بروتوس . أمحظور عليَّ في عرف عهود الزوجية ان اطّلع على سرّك ؟ أأكون واياك واحداً في بعض الأمور ولا اكونه في الأخرى ؟ أقُسِمَ لي الاكتفاء بمنادمتك على الطعام وتسليتك عند المنام والتحدّث معك في بعض الأحايين ؟ أأسكن في ضواحي كنفك أم في وسط قلبهِ ؟ ان كانت تلك قسمتي منك فما انا بحليلتك بل خليلتك

بروتوس — أنتِ زوجتي الشريفة الصادقة ، أعزُّ اليَّ من تلك النقط الحمراء التي تطرق قلبي الحزين

بورسيا — ان كان حقاً ما تقول فقد حقّ لي ان أعرف سرّك . نعم انا امرأة ولكنني امرأة اختارها بروتوس زوجةً له[1] . نعم انا امرأة ولكنني أرضيك عند الحسب فانا ابنة كاتو أوَ لا تظنني أقوى بنات جنسي وقد انتسبت لمثل ذاك الأب واقترنت بمثل هذا الزوج ؟ اطلعني على افكارك . اني لا أبوح بها . أما علمت مقدار ثباتي اذ طعنت نفسي مرةً بخنجر في فخذي ؟ أأحتمل بصبر تلك الطعنة ولا احتمل اسرار بعلي ؟

بروتوس — ايه ايتها الآلهة . اجعليني كفوءاً لهذه المرأة النبيلة (يُقرع الباب) اسمعي اسمعي . الباب يُقرع . اذهبي الآن وستعلمين عما قليل ما انطوى عليهِ قلبي . سأقرأ لكِ كتاب حزن وجهي فتطّلعين على كل دخائلي واسراري . عجلي بالخروج (تخرج بورسيا) لوسيوس ! من الطارق ؟ (يدخل لوسيوس ومعه ليجاريوس)

لوسيوس — هنا رجلٌ مريض يودُّ ان يشافهك

بروتوس — (لنفسه) هذا ليجاريوس الذي أشار اليهِ سمبر . (للخادم) قف

(١) هي ابنة كاتو الروماني المشهور وكانت من اذكى وأجمل بنات رومه . يظهرها شكسبير بمظهر المرأة الحقيقية أي المرأة الطامعة في معرفة السر

ناحية يا غلام . كيفَ أنتَ يا ليجاريوس ؟

ليجاريوس — تقبَّل تحيةً طيبة من لسان ضعيف

بروتوس — تعساً لميعاد ضربتهُ للاعتصاب بهذه العمّة . ليتك لم تكن مريضاً

ليجاريوس — لستُ بالمريض اذا دعاني بروتوس الى مواقف النُبل

بروتوس — لو كنتَ صحيح الاذن لأسمعتك دعوةً الى مثل هذه المواقف

ليجاريوس — وأيم جميع الآلهة التي تثنى لها ركبُ الرومانيين ! ها قد اقتلعتُ مرضي مني (ينزع عصبته عن رأسهِ) أيْ حيـاة رومه . أيها الأسد الخارج من صُلب الشرف انك كالساحر عزَّمتَ فأخرجتَ شيطان مرضي مني . اني الآن أسابق المستحيل فأسبقهُ ان أنتَ أمرتني . ما العمل ؟

بروتوس — عملٌ يجعل المرضى أصحاء

ليجاريوس — أو لا نجعل بعض الأصحاء مرضى ؟

بروتوس — نعم . سنفعل ذلك . سأكشف لك الأمر في الطريق وأنبئك عمن أشير اليه :

ليجاريوس — أخطُ أمامي فأثب وراءك بقلبٍ من نار أجري الى ما لستُ أعلمهُ راضياً بانك قائدي . أنا سهمٌ من سهامك ، ارمِ بي حيث تشاء

بروتوس — اذن اتبعني　　(يخرجان)

« المشهد الثاني »

بيت قيصر . برقٌ ورعد . (يدخل قيصر بثياب النوم)

قيصر — ما سكنت السماء ولا استراحت الأرض في هذا الليل . لقد صاحت كالبورنيا في نومها ثلاثاً « اليَّ . هوَّاه . انهم يقتلون قيصر » . مَن بالباب ؟

(يدخل الخادم)

الخادم — مولاي !

قيصر — اذهب الى الكهنة ، وابلغهم أمري ، يذبحون في الحال قرابينهم ويتكهنون

الخادم — سأفعل يا مولاي　　　　(تدخل كالبورنيا)

كالبورنيا — ما قصدك قيصر ؟ أتفكر في الخروج من منزلك ؟ ما أنت بخارج منهُ اليوم

قيصر — أما قيصر فسيخرج . لا تقدر الاشياء التي تهددني ان تنظر اليَّ وجهاً لوجه بل تدور من ورائي . فاذا ما لفتُّ اليها وجهي اضمحلَّت

كالبورنيا — قيصر ! اني لم أهتمّ بالخرافات والأوهام قط . أما الآن فانها تخيفني . . . . في الدار رجل روى لنا عن أحد حرَّاس البلد ما تقشعر منهُ الأبدان هذا فضلاً عما سمعناه ورأيناه نحن : لبوةٌ تزأر في الأسواق . قبورٌ انشقت وقذفت بموتاها خارجاً . جنودٌ نارية مرعبة تصفُّ صفوفها صفَّ القتال تتحارب بين السحب ودماؤها تتساقط على الكابيتول . صوت القتال يبوّق في الهواء . الخيل تصهل . الجرحى يئنون . والاشباح تمرُّ في الازقة تولولُ وتعوّلُ تعويلاً . ايهٍ قيصر . ليست هذه الأمور بالعادية . انها لتخيفني (١)

قيصر — لا مردَّ لما قدَّرته الآلهة تقديراً . ان قيصر لذاهب اليوم . فما هذه النذُر بمرسلة له بل قد تكون مرسلةً للعالم كله

كالبورنيا — لا نيازك تُرى عند موت السوقة . اما الامراء فالسموات تسطع موتهم تسطيعاً

قيصر — الجبان يموت مراراً قبل موته اما الشجاع فميتة واحدة . أغرب ما سمعت من الغرائب خوف الانسان من أجله وهو ضربة لازب تجيءُ عند ما تجيءُ .

(١) في التاريخ ان مقتل قيصر كان يوماً عصيباً كثير العواصف كيوم موت نابوليون

(يرجع الخادم فيخاطبه قيصر قائلاً :) ما قال الكهنة المنجمون ؟

الخادم — انهم يتمنون لك ألاَّ تبرح منزلك اليوم . فقد شقّوا احشاء الذبيحة فلم يجدوا فيها قلباً

قيصر — ان الآلهة تفعل هذا حياءً من الجبن . لو أقام قيصر اليوم في صحن بيته خوفاً لكان بالحق وحشاً لا قلب له . لا . قيصر لا يقيم . الأخطار تعلم حق العلم ان قيصر أشدُّ منها خطراً . نحن اسدان وُلدنا في يوم واحد . انا اكبرهما وأشدهما رعباً . ان قيصر لذاهب

كالبورنيا — وأسفاه يا مولاي . ان حسن ظنك يبتلع حكمتك وتعقلك . لا تخرج اليوم . قل ان مخاوفي جعلتك تلبث في بيتك لا خوفك . لنبعث بانطونيوس رسولاً الى مجلس الشيوخ يحمل نبأ انحراف مزاجك . دعني — وانا على ركبتيَّ — أفز بهذه الامنية

قيصر — سأمكث اكراماً لكِ . وسيقول لهم انطونيوس اني مريض . (يدخل ديسيوس) ها ديسيوس . دعه يحمل اليهم الخبر

ديسيوس — السلام قيصر . سَعُدَ صباحك . اني اتيت ادعوك الى مجلس الشيوخ

قيصر — طاب قدومك . أحمل سلامي الى الاعيان وقل لهم اني لا أريد ان أذهب اليوم . . . لو قلتُ لا استطيع لكان قولي كذباً أو قلت لا أجسر لكان القول أكذب . . . اني لا أريد ان أذهب . هكذا تقول لهم

كالبورنيا — قلْ انه مريض

قيصر — أ ويكذبُ قيصر ؟ أ أمدُّ يدي فأتناول النصر والفتح من بعيد وأخشى الحق أقوله لذقون بيضاء . ديسيوس ! اذهب وقل لهم ان قيصر لا يريد ان يجيءْ

ديسيوس — أيــ قيصر عظيم الاقتدار ! دعني أعرف لذلك سبباً مخافة ان

يضحكوا مني اذا انا جئتهم بمثل هذا الكلام

قيصر — السبب راجع الى ارادتي . اني لا أريد ان أذهب ، وكفى بهذا سبباً للأعيان . . . على اني لا أخفي عليك انت حقيقة الامر لأنك تحبني . ان امرأتي كالبورينا تمسكني عن الخروج من البيت . لقد رأت في حلمها تمثالي يتفجر الدم من جوانبه كينبوع ذي مائة عين وأهلَ رومه قادمين باسمين يغسلون ايديهم بدمي . وهي تدّعي ان في هذا نذيراً بشرّ قادم مستطير . فجثت أمامي راجيةً ان أمكث في بيتي اليوم

ديسيوس — لقد ساءَ تأويلُ الرؤيا . انه لحلمٌ جميلٌ مبخوت .. فما تمثالك يفجّر الرومانيون الدم من جوانبه تفجيراً ويغسلون فيه أيديهم الاَّ رمز الى ان رومه سترضعُ منك ما يجدد شبابها ، وان اعاظم الرجال يتزاحمون لينالوا منك أثراً خالداً أو تذكاراً جميلاً . ذلكم تأويل حلم كالبورينا

قيصر — لقد أحسنتَ تأويله

ديسيوس — وستزداد اعتقاداً بحسن التأويل عندما أنقلُ اليك نبأً آخر : ان المجلس قد أجمع أمرهم على ان يقدموا لك التاج اليوم ! فاذا لم تذهب الآن قد يتغيرُ اقرارهم في الغــد . ومن يضمن لنا الخلاص من سخرية ساخر يقول « فضّوا المجلس الى ان تتناوب امرأة قيصر أحلامٌ أخرى » . أو لا يهمس الهامسون بأن قيصر قدخاف . عفوك قيصر ! انيأنطق بلسان حبيالشديد لك . فهو ينطقني بالحكمة

قيصر — (لكالبورنيا) ما أضلَّ مخاوفكِ يا كالبورنيا . اني أخجل من نفسي عندما أرى كيف انقدتُ اليكِ . إيتيني بردائي . أنا ذاهب . (يدخل پو بليوس وبروتوس وليجاريوس ومتلوس وكاسكا وتريبونيوس وسنا) . ها پو بليوس آتٍ ليأخذني

پو بليوس — طاب يومك قيصر !

قيصر — أهلاً بك يا پوبليوس ! بروتوس ، مرحباً بك أمبكرٌ أنتَ أيضاً بالقيام ؟ طاب يومك كاسكا . وأنتَ ليجاريوس . أنت مريض ؟ ان مَرضك الذي أهزلك لأشد عدواة لك مني ! كم الساعة ؟

بروتوس — الثامنة

قيصر — أشكر لكم أيها السادة تلطفكم واجهادكم أنفسكم بالمجيء (يدخل أنطونيوس) وها أنطونيوس الذي يقضي لياليه سامراً قد جاءنا مبكراً . سعدتْ أوقاتك يا أنطونيوس

أنطونيوس — واقيصر الشريف أسعدُ الأوقات

قيصر — دعهم يهيئوا لي ثيابي ! اني لحقيق باللوم اذ أجعل هؤلاء السادة ينتظرون . مرحباً كاسكا . مرحباً متاوس وأنتَ تريبونيوس لي حديث ساعة معك اليوم . كن قريباً مني فلا أنسى

تريبونيوس — سأكون بقربك . (لنفسه) نعم سأقرب قرباً يودُّ أصدقاؤك لو كان بُعداً

قيصر — ادخلوا أيها الأصدقاء ، نذوق معاً شيئاً من الخمر ثم نذهب معاً كاخوان الصفاء　　　　(يخرجون جميعهم)

« المشهد الثالث »

شارع قرب الكابيتول . (يدخل ارتيميدوروس يقرأ ورقة)

ارتيميدوروس — (قارئاً) قيصر . احذر بروتوس . توقَّ كاسيوس . لا تقرب كاسكا . ضع عينك على سنّا . لا تثق بتريبونيوس . الحظ سمبر . بروتوس لا يحبك . انك قد أغضبت ليجاريوس . كلُّ هؤلاء مجمعون رأيهم على ارداتك . اذا كنت انساناً غير خالد فاحتط لنفسك . الاستسلام مدعاة الفتنة . لتحرسك الآلهة القديرة　　　　محبك ارتيميدوروس

سأقف هنا حتى يمرّ قيصر فاعطيه هذه الورقة على شكل عرض تظلّم . نفسي حزينة على فضيلة لا تستطيع البقاء في وجه منافسة حاسدة تحرق الأرمّ . أي قيصر ان انت قرأت هذه الورقة سلمت . والاّ فتكون الاقدار قد اتخذت من الخونة ساعداً وعضداً . (يخرج)

« المشهد الرابع »

قسم آخر من نفس الشارع امام بيت بروتوس

(تدخل بورسيا[1] والخادم لوسيوس)

بورسيا — يا غلام . ألم تذهبْ بعد ؟ ركضاً الى مجلس الأعيان ! اذهب . ما لك واقفاً ؟

لوسيوس — لأعلم بما تأمرينني ايتها السيدة

بورسيا — ليتك تستطيع الذهاب والرجوع بأسرع مما آمرك بذلك . (لنفسها) تشدّدي عزيمتي ! وأقيمي لي جبلاً حاجزاً بين ضميري ولساني . ان لي قلب رجل وقوّة امرأة . صعبٌ على امرأة ان تكتم سرّها . (للخادم) ألا تزال واقفاً امامي ؟

لوسيوس — ما مهمتي يامولاتي ؟ أأركض الى الكابيتول وأرجع اليك ؟ أليس عليّ واجبٌ آخر ؟

بورسيا — بلى . اذهب وانظر أمعافى مولاك فانه خرج متألماً . خذ بالك مما يفعله قيصر ومن الناس الذين يقتربون منه . اسمع اسمع يا غلام ! ما هذا الصوت ؟

لوسيوس — اني لا اسمع شيئاً ايتها السيدة

بورسيا — أصغ أصغ جيداً . اني سمعتُ ضجيجاً كضجيج عراك تحمله الريح من ناحية الكابيتول

---

(١) يكون بروتوس قد أطلع امرأته على سرّ المؤامرة

لوسيوس — بالحقّ يامولاتي لم أسمعْ شيئاً (يدخل المنجم)

بورسيا — (للمنجم) تعال يا انسان . من أين انت قادمٌ ؟

المنجم — من بيتي ايتها السيدة الصالحة

بورسيا — كم الساعة ؟

المنجم — التاسعة تقريباً ايتها السيدة

بورسيا — هل وصل قيصر الى الكابيتول أم لم يصل بعد ؟

المنجم — لم يصل بعد . وانا ذاهب لأقف فأراه مارًّا في سبيله الى الكابيتول

بورسيا — ان لديك امراً تعرضه على قيصر . أ ليس كذلك ؟ قل

المنجم — نعم ايتها السيدة لي ما أعرضه عليه . فاذا أحسن الى نفسه وأعارني أذنه أوصيته بأن يحطاط لأمره

بورسيا — ولماذا ؟ هل تعلم بخطر يتهدده ؟

المنجم — اني لا أجزم بوقوع الخطر ولكني أخشى حدوثه . سعدت أوقاتكِ . هنا الشارع ضيق والجمع الذي يلحق بقيصر مؤلف من أعيان وقضاة وذوي مطالب شتى يتكاثفون فيزحمون رجلاً ضعيفاً مثلي . وقد يقتلونهُ . سأذهب الى مكان أفسح من هذا اعارض قيصر في السبيل وأكلمه (يخرج)

بورسيا — يجب ان أدخل الى غرفتي . ويلٌ لي ، ما أضعف قلب المرأة . لتُنجحِ السموات مقاصدك يا بروتوس ! آه لقد سمعني الخادم (تقول ما يأتي لتحوّل ذهن الخادم عن الجملة الأولى فيما لو كان قد سمعها) ان لبروتوس طلباً لا يستجيبه اليهِ قيصر . يكاد يُغمى عليَّ . اذهب يا غلام الى مولاك واقرأه سلامي . قل له اني مشروحة الصدر لا أشكو ألماً ثم ارجع اليَّ وانبئني بما يجيبك بهِ

(تخرج ثم يتبعها الخادم)

(تمّ الفصل الثاني)

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن — ديسمبر (ك ١) ١٩١٢ — السنة الثالثة

البلقان والحرب

ليس في الآونة الحاضرة من لا يهتم للحرب المنتشبة بين العثمانيين والبلقانيين فالناس في كل مكان على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم وأجناسهم يتهافتون على الانباء الواردة من ميادين القتال تهافتاً عظيماً جداً . لذلك أنشأنا الفصل التالي وهو مجمل ما طالعناه في المجلات والمؤلفات الافرنجية وخلاصة جامعة عن هذه الحرب ومقدماتها وسياسة البلقانيين فيها وتكهن الساسة الاوروبيين عن عقباها لعلّ في ذلك كله فائدة لقراء الزهور

الولايات العثمانية الاوروبية وسكانها — للحكومة العثمانية في اوروبا ست ولايات خلا الاستانة وضواحيها . وهي : سالونيك ، ومومناستر ، وأدرِنَه ، واشقودره ، وقوصوه ، ويانيا . ويُطلق الجغرافيون عليها جميعها اسم مكدونيا وان لم تشمل هذه التسمية في الحقيقة البلاد الالبانية . اما عدد سكان هذه الولايات فلم يحصَ احصاءً دقيقاً لكثرة التباين في الأغراض والنزعات الجنسية والسياسية والدينيـة . ولكنّ المأثور انه لا يتجاوز خمسة ملايين ونصف مليون يضاف اليهم عدد سكان الاستانة وملحقاتها فيبلغ المجموع على التقريب ستة ملايين ونيّف . وهم اخلاط من السلافيين والترك واليونانيين والالبانيين . واما عددهم بالنسبة الى الجنس

او الدين فالمشهور ان الالبانيين يعدون ١,٥٠٠,٠٠٠ ، واليونانيين يدّعون انهم يبلغون ٢,٠٠٠,٠٠٠ في حين انهم لا يتجاوزون مليوناً ونصف مليون في نظر سواهم . ويقول المسيحيون ان عدد المسلمين ١,٥٠٠,٠٠٠ فقط . وتقول « غازيت دي فرنكفورت » الالمانيـة ان الاسرائيليين يبلغون ١٩٠,٠٠٠ ، والفلاخيين الرومانيين ١٠٠,٠٠٠ والبلغاريين ٧٠٠,٠٠٠ والسربيين ٧٠٠,٠٠٠ ايضاً . ولكن الحقيقة غير ذلك فالجريدة المذكورة أنقصت في عدد البلغاريين والسربيين عملاً باشارة البارون مرشال بيبرشتين المتوفى منذ عهد قريب والذي كان سفيراً لالمانيـا في الاستانة ثم سفيراً لها في لندن اذ كان عدوًّا لدوداً للعنصر السلافي . ولعل حقيقة عدد البلغاريين في مكدونيا يزيد عن المليون . وكذلك السربيون فلا ريب في انهم يعدّون اكثر من مليون ايضاً . وقد اختلف الباحثون في نسبة البلغاريين والسربيين الى العنصر السلافي فلم يتبينوا الحقيقة حتى كانت معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ اذ انضمَّ على أثرها كلُّ جنس الى جنسه وكل قطيع الى حظيرتهِ

معاهدة برلين والبلقان — قضى البند الثالث والعشرون من معاهدة برلين المشهورة بأن يكون لمكدونيا نوع من الاستقلال الاداري يضمن حقوق المسيحيين من أهاليها تحت سيطرة الحكومة العثمانية ومشارفتها . غير ان الباب العالي سوّف المكدونيين كثيراً تنفيذ ما تضمنهُ هـذا البند ، ولم يكترث قط لالحاح دول البلقان عليهِ في ذلك . فأخذت هذه الدول حينئـذٍ باثارة رأي الأهالي على الأستانة مستعينـةً بنفوذها في

مكدونيا ورغبة المسيحيين في الاستقلال ؛ فبلغاريا ، كانت تحرّض البلغاريين ، واليونان اليونانيين ، والسرب السربيين ، حتى أصبحت البلاد ميداناً للدسائس ، وأمست جبالها معتصماً للثوار وغاباتها ملجأً للصوص ، وقُراها عرضة للنهب والحريق ، وبات أهلها أعداء بعضهم



فرديناند الأول — قيصر البلغار

لبعض فانتشرت الفوضى ، وعمّ الخوف ، وتعاظمت الويلات والشرور . وانما أتت دول البلقان كل هذا اقلاقاً للحكومة العثمانية ، وعرقلةً لسياستها في مكدونيا لأنها كانت ترمي من وراء تلك الفتن الى ثلاث رغائب شديدة الأهمية في نظرها وهي : حمل الباب العالي على تنفيذ مضمون

البند الثالث والعشرين من معاهدة برلين ، ولفت انظار اوروبا الى حالة المسيحيين في مكدونيا ، واستمالة الشعوب المسيحية في تلك البلاد كل شعب الى الدولة التي تضمُّ اخوانهُ تحت رايتها . على ان الغاية القصوى الحقيقية لم تكن الاَّ التربص لتركيا وتحيُّن ضعفها للاستيلاء على مكدونيا واقتسامها فتكون لكل دولةٍ حصة تُعطاها بمقدار عملها واهميتها : فالبلغاريون العثمانيون ينضمون تحت جناحي بلغاريا ، والسربيون تحت لواء السرب ، واليونانيون الى اليونان . اما رومانيا التي يميل اليها ابناؤها الفلاخيون الرومانيون المتشتتون في مكدونيا في كل ناحيـة وصوب ، والذين يصعب جدًّا اجتماعهم معاً في جزء واحد منهـا ، فتعتاض من حصتها هنالك جزءًا غير يسير في ما يحاذي أملاكها من أملاك بلغاريا نفسها ويكون ذلك الجزء ثمناً لسكوتها اذا شبَّت الحرب ومكافأة لها من أجل وقوفها على الحياد . وكانت بلغاريا أشد سائر دول البلقان سعياً الى الفوز بامانيّها فلم تدع وسيلةً من الوسائل الاَّ تذرَّعت بها ، وساعدها اهمال الحكومة العثمانيه نفسها واغضاؤها عن مساعيها فمكَّنت محبتها من نفوس البلغاريين العثمانيين بما كانت تبديه لهم من الحنان والانعطاف والمساعدات على اختلاف أنواعها فأنشات لهم المدارس وعمَّمتها في قراهم حتى لقد بلغ مجموع المعلمين الذين كانوا يبثون روحهـا بين الاهالي نحواً من أربعة آلاف معلم لخمسين ألف تلميـذ بلغاري عثماني . ولم تكتفِ بذلك كلهِ فأوعزت الى شاب بلغاري نبيه يدعى يوسف تعلَّم في باريس ونال شهادة دكتور في الحقوق بأن ينصرف عن المحاماة وينتظم في

سلك الاكليروس . وما زالت ترقيه بسرعة حتى عين اكسرخوساً للبلغاريين فكان موضع ثقة دولته بما أظهره من الكفاءة والحذق والدهاء فبثّ الروح البلغارية في نفوس رعيته ونشّأ الشعب على التعصب لقوميته وعلّمه ان بلغاريا انما هي أمه الحقيقية وأما تركيا فعدوّته اللدودة



بطرس الأول – ملك السرب

ولما تمادت العصابات المكدونية في غيها وشرورها وقابلها العثمانيون بالمثل ، وأصبحت مكدونيا من أقصاها الى أقصاها مسرحاً تمثّل عليه الفظائع ، وتلعب فيه كرات الديناميت ، ويتطاير فوقه رصاص البنادق تململت اوروبا في نومها وفتحت عينيها على تلك البلاد ، وأصاخت بسمعها الى استغاثة البلقان بها فأقدمت حينئذٍ على العمل وسعت حتى انشأت في سنة ١٩٠٣ رقابةً اجنبية على ادارة تلك البلاد

الرقابة الاجنبية — تألفت هذه الرقابة في البدء من مفتش عثماني ومندوبَين أحدهما روسي والآخر نمساوي ، ومن ضابطين اوروبيين قُصرت مهمتهما على مشارفة الأمن العام اذ رضيَ الباب العالي بانتظامهما في الجندرمة المكدونية من اجل هذه الغاية . وكان حسين حلمي باشا الذي وليَ الصدارة في عهد الدستور الجديد المندوبَ العثماني في اللجنة السالف ذكرها . فلما كانت سنة ١٩٠٥ رأى المندوبون شدة الحاجة الى توسيع اختصاص الرقابة فتألفت حينئذٍ لجنة خاصة لتنظيم الشؤون المالية . ثم رمَت روسيا والنمسا في اواخر سنة ١٩٠٧ الى انشاء نظام خاص بالقضاء فلم تفلحا . وحدث بعد شهور ان ملك انكلترا وامبراطور روسيا تلاقيا ملاقاتهما المشهورة في « ريڤال » واتفقا على المسئلة المكدونية . فهاج اتفاقهما رأي أحرار الضباط العثمانيين فأرغموا السلطان عبد الحميد على نشر الحكم الدستوري ففعل ، وهدأ بال اوروبا والبلقان حيناً من الدهر . وكان اعلان الدستور في تركيا بعد تلاقي الملكين في « ريڤال » بخمسة واربعين يوماً فقط مؤيداً لقول نيازي بك في خواطره عن الثورة العثمانية : لولا اجتماع « ريڤال » لم يُعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨

عهد الدستور — وكان في مكدونيا على اثر الثورة العثمانية وفوز الأحرار العثمانيين ما كان في جميع السلطنة فان الشعب تناسى لأول وهلة اغراضه ومنازعاته حباً بالدستور ؛ فتصافح المسلم والمسيحي ، وتراضى الارمني والكردي ، وتفاهم التركي والعربي . غير ان تلك العواطف الشريفة كانت اشبه شيء بشعلة القش لم تتقد حتى عاجلها الخمود فانطفأت

وتحولت الى رماد ثم تبددت ذراتها في الهواء . واصاب اوروبا من الدستور ما اصاب العثمانيين انفسهم منهُ فرضيت بالغاء الرقابة الاجنبية من مكدونيا مقتنعة بأن العهد الجديد في تركيا يعوّضها منها خيراً لان الدستور من شأنه ان يساوي بين الرعية ويهبها الحرّية والعدل



نقولا الأول — ملك الجبل الاسود

غير ان السياسة العثمانية التي ساسها الاتحاديون لم تُرضِ دول البلقان واسخطت عليها المسيحيين في مكدونيا وهم الاكثرية العظمى هنالك فعادت الحالة الى شبه ما كانت عليهِ من قبل ورجعت العصابات الثورية الى اعمالها وشرورها كما كانت ابَّان سلطنة عبد الحميد . وما برحت مكدونيا قلقةً مضطربةً حتى اواخر سنة ١٩١٠ فاختلّ الأمن كثيراً ، وعاد البلغاريون الى اوروبا يستنجدونها ويستحثونها على العمل

الصحيح . اما الحكومة العثمانية الاتحادية فلم تكن تعبأ بمساعي هذه الدوَل الصغيرة لانها كانت تعتقد باستحالة اتفاقهنَّ على العمل معاً . وما كان أشد دهشتها حين رأت بلغاريا تصافح اليونان ، واليونان السرب ، والسرب الجبل الاسود ، بعد ان كان اليونانيون اعدى اعداء البلغاريين ، والسربيين انداد الجبليين . فكان انفرادها امام دوَل اربع متحدة تناوئها وتتطلَّبنَ خذلها وفشلها دافعاً لها الى الاتفاق مع رومانيا ولكنها لم تنجح لأن بلغاريا افهمت جارتها ان تقف على الحياد فتنال ما تطمع بنيله بدون ان تسفك نقطة دم او تبذل قبضةً واحدة من المال . ولما تمّ لهذه الدوَل هذا الأمر اتفقنَ فيما بينهنَّ الاتفاق الذي ولَد الحرب الحاضرة

* * *

الحرب — نكتب هذه السطور والبلغاريون على بضعة عشر كيلومتراً من الاستانة ، وادرنه مطوقة بالجنود ومضيَّق عليها الخناق ، والسربيون قد دخلوا موناستر ظافرين ، والجبليون محيطون باشقودره ومشددون في حصارها ، والطريق قد خلت لليونانيين فتمشوا الى سالونيك واحتلوها على أهون سبيل ، والعثمانيون واقفون في شطلجه[1] معتصمين بحصونها ومحتمين بقنابل الاسطول على شواطىء البحرين بحر مرمره والبحر الاسود ، والوباء يفتك فتكاً ذريعاً بالعسكرين العثماني والبلغاري ، والقتلى يُعدُّون كالجرحى بعشرات الالوف ، وليس في بلغاريا والسرب

---

(١) شطلجه كلة تركية معناها شوكة (فرتيكة) وسمي هذا الموقع كذلك لان جباله متشعبة لى عدة شعاب على شكل اصابع الكف حتى ضفتي البحر الاسود وبحر مرمَره

والجبل الاسود واليونان غير الشيوخ العجز ، والنساء الضعيفات والاطفال الرُضَّع ، وقد اكتظت قصور الاستانة وجوامعها ومستشفياتها بالمصابين من العساكر ، والمنكوبين من الأهالي يشكون الجوع والعري ، ويتلمسون القوت ، ويصرُّون من البرد ، ويئنون من الأوجاع ، وعلى طرُق بلاد الاناضول عشرات الالوف من المساكين نبذتهم بلدانهم ، فتشتتوا في



جورج الاول — ملك اليونان

القفار لا منازل تؤآويهم ، ولا قوت يشبعهم ولا غياث لهم من غير السماء ؛ وجرائد العالم تحمل الينا أنباء هذه الفظائع ، وتقص علينا اخبارها المؤلمة حتى لنكاد نسمع بآذاننا دويّ البارود ، وأزيز الرصاص ، وصليل السيوف ، وأنين الجرحى ، وحشرجة النفوس ، ونبصر بعيوننا مجاري الدماء ، وتراكم الجثث ، ونلمس بأيدينا فقر الفقرآء ، وبؤس البؤسآء ، فما

نجيء على هذا أو بعضه حتى يعرض لنا خبر ينسينا فظائع ما قرأنا من قبل كأنْ يقف بنا الكاتب امام عانةٍ من الذئاب تفترس اشلاء القتلى بل قد تصيب جريحاً منسياً فتنشب انيابها فيهِ وهو لا يجد بعض القوة ليدفعها عنهُ ، أو قبالة مئات من الغربان والعقبان والثعالب وبنات آوى يتألبن على الجثث ، وينقرنَ الصدور ، ويبقرنَ البطون ، بل قد يقعنَ أيضاً على الأحياء في النزع الاخير فيمثّلنَ بهم تمثيلهنَّ بالموتى ، ثم ينقل الينا البرق مختصر الآراء ، وملخص السياسة ، وموجز الأنباء عن التحام الجيوش وتفانيها في القتال فنكاد لا نعي من الصباح الى المساء غير أخبار الحرب ، وأحاديث الطعن والضرب

تلك هي الحرب اليوم فواهاً لها من صورة للمدنية في القرن العشرين ! ! وتلك هي عاقبة السياسة التي يسمونها سياسة تنازع البقاء ! . قوتل الانسان ما اكفره ! !

عقبى الحرب — قد تنتهي هذه المجازر البشرية عن قريب فاذا ختمت بفشل العثمانيين أضاعت الدولة التركية أملاكها في أوروبا وفقدت بفقدها نحواً من ستة ملايين نفس من رعاياها ، واذا تمَّ لها الفوز أو بعضه قبل ان تضع الحرب أوزارها كانت الخسارة أقلّ والأضرار اللاحقة بها أخف غير ان انتصار الدول البلقانية المتحدة سيؤدي على الأرجح الى مشكلةٍ كبرى بينهنَّ تكون عقدتها في كيفية اقتسام البلدان المكتسبة لهنَّ . وقد ظهرت بوادر هذه الاشكال من خلال احتلال اليونانيين لسلانيك ومصادرتهم دخول البلغاريين اليها ، ومن سياسة السرب مع الألبانيين

واصرارها على امتلاك ميناء على بحر الأدرياتيك ومقاومة النمسا لها ، ومن الحاح رومانيا بتوسيع منطقتها في املاك بلغاريا حتى ثغر « قارنه » على البحر الاسود أيضاً جزاء وقوفها على الحياد ورغبة هذه في التنازل لها عن بعض أجزائها من الجهة الاخرى فقط وهلمَّ جرًّا ، أما الأيام فستكشف ما انطوى وان غداً لناظره قريب ؟

جمال الدين الافغاني

في نظر

« الدكتور شبلي شميّل »

يشتغل الدكتور شميل في هذه الاثناء بوضع كتاب كبير عنوانه « حوادث وخواطر » او هو مجموعة مذكراته كما يدل عليه الاسم . وقد اقتطعنا منه الفصل التالي في السيد جمال الدين الافغاني الشهير . قال عفا الله عنه :

. . . . أما جمال الدين فكان من نوابغ عصره عالماً واسع الاطلاع في علوم الأقدمين وفلسفتهم ذا ذكاء مفرط وأدب رائع مع شجاعة في القول لا تصدر الاَّ عن نفوس مستقلّة كريمة وكان ذا حديث طلي شهي لا يمل منه سامعه مع فصاحة عربية في التزام القواعد واختيار الألفاظ ولكنها ممزوجة ببعض لكنةٍ أعجمية تنمُّ عن أصله الغريب وانما وقعها على الأذن كان محبوباً . ونظره كان جذاباً وله عينان الى السواد غائرتان قليلاً تتقدان ذكاءً . وهو لم يكن يعرف لغةً من لغات الافرنج الحافلة بالأفكار الجديدة والعلوم الحديثة ولكنهُ كان ذا مقدرة عجيبة في التحصيل

حتى انهُ ليستفيد منك الشيء الجديد ويصبّه في قالب المعلوم المختمر فيه ويوهمك انهُ معروفٌ له منذ زمان طويل . وجمال الدين لم يكتب في ما أعلم شيئاً وانما كان يلقي على آخرين مقالات ضافية تنشر في جريدة مصر تحت أسمائهم . ولولا الشيخ محمد عبده يده الكاتبة لما كان لصوته صدى ولبقيت تعاليمه في صدور اكثر الذين تلقوها عنه وماتت معهم اذ كانت كل تعاليمه حديثاً يلقيه بحسب مقتضى الحال . فهو فيلسوف من الفلاسفة المشائين او بالحري الرواقيين ورواقه كان رواق القهوة التي بجنب قهوة البورصة القديمة المتقدم ذكرها . ولعلّ تلاميذه لا ينسون في مستقبل الأيام ان يحيوا ذكره بينهم في ذلك المكان . وقبل جريدة مصر كانت شهرة جمال الدين مقتصرة على الأخصاء وأعماله محصورة في دائرة مريديه وأما جريدة مصر فكانت سبباً كبيراً لاذاعة صيته ونشره في الآفاق

***

ولما عرّفت أديب[1] بجمال الدين كانت معرفتي بهذا الاخير حديثة العهد . فقد كنتُ أسمع بهِ وأنا في الاسكندرية فلما أتيتُ الى مصر وددتُ ان أتعرّف بهِ . وكان يتردد كثيراً على بيت حنا عيد قنصل دولة البلجيك . فلما أبديت رغبتي هذه لعيد المذكور ضرب لي موعداً للاجتماع به عنده في احدى السهرات . ولما تعارفنا أخذنا ننتقل من حديث الى حديث الى ان ابتدرتهُ بالسؤال الآتي (ولم يكن سبق لي كتابة أو تصريح في هذا الموضوع بعد) . قلت : ما قول سيدي الشيخ (لفظة الأستاذ

(١) يعني به اديب بك اسحق الكاتب الشهير

لم تكن قد جرت بعد على الألسنة كما هي اليوم) في المعبود الأول الذي اتخذه الانسان من بين أشيـاء هذا الوجود ؟ . وكأني لحظتُ انه أُخذ بهذا السؤال على غرّة كأنه لم يخطر له ببال من قبل . فتقلقل قليلاً كأنه



جمال الدين الافغاني

يريد ان يتمكن في مجلسه ولم يطل به ذلك حتى دخل في مقدمة مستفيضة أغنتهُ عن التزام الصمت طويلاً وأعانتهُ على تصوير الحكم بما فسحت له من الوقت ومثله لم يكن يلزم له اكثر من ذلك لما له من سرعة الخاطر وحدّة الذهن . ولا أذكر شيئاً من هذه المقدمة وانما أذكر انه

انتهى بها الى القول « ان المعبود الأول للانسان الأول كان يقتضي ان يكون في ثنايا الغيوم المتلبدة أو هي نفسها »

أما أنا فلم أكن من رأيه وكأني نظرت الى الانسان نظراً أعرق في الحيوانيـة . فاعتبرتُ الانسان الأول لاصقاً بأرضه يتخبط في ما أمامهُ متخوّفاً من كل شيء اذ كان يجهل كل شيء فاتخذ معبوده الأول من أشيائها ولم يرتفع بصره الى ما فوق الاَّ بعد ذلك بكثير . واعتبرت حينئذٍ العبادة الفتيشية أول عبادات الانسان وجعلتها في الغابات الكثيفة ذات الشان في الميثولوجية القديمة وفي الاشجار الكبيرة المنفردة القائمة في العراء يُستظلُّ بها من الرمضاء كما تدل عليـهِ بقايا ذلك فيهِ حتى اليوم . وهذا الحكم لم يقم بي اعتباطاً من دون تفكير سابق بل قام في نفسي على أثر زيارتي لمدينة بعلبك في سنة ١٨٧٠ حين رجوعي من انطاكية وكنت قد أرسلتُ اليهـا في بعثة من قبل المدرسة الكلية حين كنتُ أدرس الطب لاغاثة منكوبيها في الزلزال الذي نكبت بهِ تلك المدينـة في تلك السنة . وكان رفيقي في هذا السفر ذهاباً واياباً ادورد ڤانديك المعروف عند المصريين ابن الشهير كرنيليوس ڤانديك صاحب الفضل الاكبر على سورية وسائر الاقطار العربية في نهضتها العلمية الحديثة

فلما وصلنا بعلبك بعد سفر اربعة عشر يوماً في مروج خصيبة يتعالى فيها الحشيش الطبيعي الى قامة الانسان ولكن يد حكامها الطغاة أخلتها وتركتها قفراء من السكان لم نشأ ان نقيم في المدينة وفضّلنا ان نبيت ليلتنا في قلعة بعلبك نفسها وكان القمر بدراً والسماء صافية فبين الآثار الكثيرة

المتهدمة توجد أعمدة من الغرانيت ذات علوّ شاهق لا تزال قائمة صفاً واحداً في ساحة منبسطة . فلما وقفتُ أمامها في ضوء القمر الصافي وفي وسط ذلك السكون الرهيب والشباب غضٌّ والعواطف شديدة التأثر



الدكتور شميل

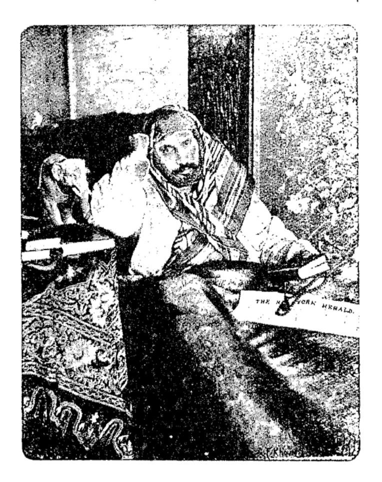
شعرتُ في نفسي بتهيب من منظرها الفخم لا يزال أثره بي حتى اليوم كدت أجثو منهُ على ركبتيّ من شدة الخشوع . فكأن هذا الشعور بي كان لي موضوعاً للتفكير بعد ذلك في أمر العبادات وان منشأها في الانسان إما تهيب عن اعجاب أو خوف عن ضعف . وأحرِ بالانسان الأول اللاصق بأرضه ان يكون معبوده الأول منها على نحو ما تقدَّم

قلت ان جمال الدين كان من الفلاسفة الرواقيين أي انهُ كان ينشر

تعاليمه في طي المحادثات الاعتيادية ولكنها كانت محادثات خلاّبة في لذّة المعنى وحسن الانسجام ولم يتهيأ له ان وقف خطيباً في قوم الأمرة واحدة أظهر فيها انه خطيب مفوّه أيضاً وكان ذلك بمسعى اديب اسحق وفي تياترو زيزينيا على محضر من جمهور غفير من علية القوم من رجال ونساء من السوريين والمصريين . فألقى خطبة اجتماعية سياسية أبدع فيها معنى ومبنىً وجرأةً وبقي يرتجل الكلام نحو ساعتين من دون ان يبدو عليهِ أدنى تعب أو يتلعثم حتى خلب العقول وأقام الناس وأقعدهم كأنه رابطهم بسلاسل كلامه يلعب بهم كما يشاء . وقد أعجبني منه قوله فيها وهو يتكلم عن استبداد الملوك واستمانة الشعوب قال «كأن الناس ليسوا شيئاً والملك هو كل شيء ان قام قاموا وان قعد قعدوا ! »

ولما بلغني ان جمال الدين بعد ان نفي من مصر ببضع سنين كتب رسالةً باللغة الافغانية في نفي مذهب الماديين ترجمها الشيخ محمد عبده الى العربيــة دُهشت لعامي بأن الرجل لم يكن من المتدينين . على ان جمال الدين كسائر الفلاسفة الأقدمين لم يكن يستطيع بمبادئة النظرية وفلسفته المجرّدة ان يجزم جزم الطبيعيين في استنادهم الى العلوم الحديثة اليوم فلم يكن يستطيع الاَّ ان يكون من الشكوكيين أمثال المعرّي وأمثال ڤولتير الذين ينكرون الأنبياء ولكنهم يقفون مترددين في أمر الخلق هل هو حادثٌ أو قديم فيكونون تارةً من الالهيين وطوراً من اللاأدريين لعدم تمكنهم من ضابط علميّ محسوس يضبط أحكامهم ويقوّي حجتهم في تردُّدهم اللهمَّ الاَّ ان يكونوا من الحصافيين النفعيين الذين يكونون في

اعتقادهم على هوى جليسهم تارةً أقرب الى المعطلين وطوراً أقرب الى المؤمنين أي انهم يكونون كما وصفهم الامام الغزالي حين قال : ان الآراء ثلاثة أقسام : رأي يشاركه فيهِ الجمهور فيما هم عليه . ورأي يكون بحسب ما



جمال الدين الافغاني في مرضه الاخير

يخاطب به كل سائل ومسترشد . ورأي يكون بين الانسان ونفسه لا يطلع الاَّ من هو شريكه في اعتقاده » اه . ويصعب عليَّ جداً بعد اختباري الرجل بنفسي من جهة ثم سماعي عنه بعد ذلك ان ابدي فيه حكماً جازماً ولكني ارجح جداً انه لم يكن من المؤمنين الدكتور شميل

(٥٣)

نشيد نهر الصفا

عين زحلتا قرية لطيفة يعرفها اكثر الذين اعتادوا الاصطياف في جبال لبنان ؛ وألطف من القرية نفسها غابات الصنوبر التي تحيطها وأجمل من هذه وتلك منظر نهر الصفا المتدفّق عند قدم الجبل ، وعلى بعد أمتار قليلة منهُ يركض نهر القاعة

كلٌّ من النهرين يسرد حكايته الابدية على الاشجار المصغية اليهما بحللها السندسية. ويظلُّ النهران في اندفاع وشكوى ، وروح الوادي تئن في أثرهما الى ان تلثم مياههما مياه البحر العظيم

في الصيف المنصرم زرت عين زحلتا لاول مرة

هنا سالت صور الكون الهيولية وذابت ذرات الاثير ؛

هنا اجتمعت بلابل أرفيوس لتعيد ذكرى أوريديس ذات القلب الكسير ؛

هنا تنهدت العطور تنهداتها الغرامية ، وتحولت الورود الى أشعة سحرية ؛

هنا اغتسل قوس القزح ، فترك في الماء من ألوانه ألحاناً فضية ؛

ومن دماء الاحلام المتجمدة استخرج قوس قزح ألوانه السرمدية ؛

هنا بعث الأفق بأسراره الى الارض مع خيوط من الاثير ذهبية ؛

هنا نامت الاشباح بين أجفان بنات المياه ، فامتزج النور بالظلام وتلاشت اليقظة بالمنام ؛

هنا ناحت حمائم الشعر ، وغنّت أطيار الانغام ؛

هنا لثمات النسيم شوقٌ وهيام ؛

ومداعبة الموجة للموجة تبادلُ نظرةٍ وابتسام ؛

وجمود الشاطىء حقد على فتور الليالي ومعاكسات الأيام ؛

هنا ارتعاش الأوراق على الغصون تحية همتْ من مُقل الكواكب وسلام ؛

وتمايل الافنان ودلالها نجوى ملك الوحي والإلهام ؛

هنا ليلةُ أنوارٍ وفجرُ ظلام . وألغاز ملامسٍ وألوان وأنغام ؛

حينما يمرُّ الفجر على قمم الجبال يرى صورته في هذه المرآة البلورية ، يرى رمز الشبيبة مع ما يتبعها من جماهير الآمال النضرة كالأزهار ، والأميال المتنقلة كالأطيار . ثم يأتي الغروب ساكباً في أعماقها كلّ ما في أحزانه من المرارة مع ما يرافقها من النظرات المتحوّلة والابتسامات المتغيبة والجباه الكئيبة والشفاه المتحركة بالصلوات ، الساكنة بالتأملات

هنا عيدان الاشجان تبكي — تبكي بقلبٍ جريح . وفي كلّ لحظةٍ يخيل انها تُسَلِّم نَفَسَها الأخير بشهيقٍ فيهِ من اللوعة والكتمان والتجلد بقدر ما فيهِ من المجد والعظمة ، من البسالة وعزة النفس الأبية

لكنّ المياه لا تموت ولا تحيا ، بل تردد ذكرى الماضي ، وتهمس خفية نبوّتها في المستقبل ، وتُرادف أصوات الافراح وتُعدد آهات الاتراح

هنا لغزٌ من ألغاز الحياة وليلة من ليالي الزمان . وأنا لغز أمام هذا اللغز ، وليلة ازاء هذه الليلة . أهيم وحيدةً على الشاطىء الحزين ، أنظر ولا أرى ، أسمعُ ولا أفهم ، أفكّر ولا أجد ، أستعلم ولا أعلم . . . .

فؤادي يخفق مع فؤاد النهر الخفي ، ونفسي قيثارة الأحلام والألحان . لكنني لغزٌ حيٌّ تائه في ظلّ الغصون ، ينظر مستفسراً الى لغز آخر ، فلا يجد فيهِ الاَّ صورته ، فيودّ تمزيقها وسحقها وان أحبها !

***

عند احتضار النهار ذهبتُ الى رأس النبع وجلست على صخرةٍ قائمة في وسط المياه المتسلسلة من صدر الصخرة الكبيرة. جلست وأرواح الخيال تستنشق الاريج العطري المعانق لشعور بنات المياه . وآلهة الأهوية الأربعة يتلاعبون بدقائق الشفق سابحين على أمواج الظلام ، وحول أشباحهم تلتفّ اكاليل البنفسج وقلائد الياسمين ، وفي ثغورهم يلمع فتيت النجوم ، بينما ابكار الشعر تسرّ لاخواتها خفايا اليأس والرجاء تحت أشجار الصنوبر ، وعذارى الطرب تستخرج من عناقيد « باخوس » خمراً تسكر بهِ ألباب الآلهة ، ومن سكر الآلهة يولد الشعراء والأنبياء

على هذه الصخرة حيث انا احلم ثملةً بما شرَبتهُ مشاعري من رحيق الخيال العلوي ، كان يجلس الامير بشير الشهابي الكبير . كثيرون من من بعده ومن قبلي جلسوا هنا وفؤاد كلٍّ منهم منقبض تهيباً وخشوعاً أمام أنفاس الطبيعة واصوات الخلود . ما يجول بخاطري الآن كان يجول بخاطرهم لان الافكار تتشابه في المصدر وفي النتيجة على رغم تعدّد شُعبها وفروعها ، والرغائب الكثيرة اللاصقة في أعماق النفس البشرية هي هي في كل آن ومكان

جميعنا طرح على النهر السؤال الذي انثر تموجاته الآن على الأمواج

المتراكضة : هو سرّ الاسرار الغامضة الذي يردّده صدى الهياكل العميقة التي تشيدها المدارك في قدس اقداس البشرية : من أين والى أين ؟ من أين والى أين ؟ ؟

من أين تأتين أيتها المياه والى اين تذهبين ؟

. . . من أين أتينا والى أين نذهب ؟ . . .

المياه تتدفق في أثر المياه مهللةً مكبرة ؛ وقد أفاضت أصواتها في الغناء والنحيب ، ودمدمت العناصر فيها اسرار الوارد الالهي ، ورفرفت على جوانبها اجنحة الخلود . . .

من أين والى أين . . . ؟

ثقل دماغي بافكارٍ لا ادركها ، وضاق مني الصدر لهموم لا اعرف ماهيتها فنزعت عن ساعدي ساعة وُضعت في اسورة ذهبية ونظرت اليها قائلة : — أيتها الساعة ! انتِ رمز الوقت الجاري في نهر الزمان فيسير قاصداً بحر الابدية . ها انا اغطسك في هذه المياه . . . عسى ان تحفظي في حياتك المعدنية أثراً لرموز معنوية . ثم جمعت بعض الحصى الجميلة الكثيرة الالوان الراكدة في أعماق النهر ، قائلة : « أيتها الجواهر ! سأحملك معي الى وادي النيل لتذكريني بالعواطف الكثيرة التي تلاطمت في فؤادي أمام نهر الصفا . . . أنتِ ذكر الابدية التي حييت فيها لحظة »

واذ رفعت عيني الى الافق رأيت مقلة الزهرة ترقب يد ملك الظلام الراسمة على رداء الليل صوَر الهيئات السماوية

فغادرت رأس النبع مرددة : أنهر الصفا ! من أين والى أين ؟

***

أنهرَ الصفا ! جئتكَ تعبة الروح والجسد معاً

قرأت خلاصة الاحوال الحاضرة فدوت في جوانب مخيلتي اصوات المدافع ، وتمثلت لناظري صوَر الحرب المريعة . ثم قصدت الاجتماعات فملأ اذني ضجيجها التافه . وضجرت نفسي من معانيها السطحية — ان لم تكن خبيثة . عجبت من بلاهة الانسان ومن ركاكة اميالة وفتور همته . اذ ذاك سمعت اسمك الموسيقي فاحببته لان فيهِ جمالاً وعذوبةً وسلاماً

لقد احرقت قدميَّ الرمال الحارة ، ومزّقت يدي اشواك الحياة ، فجئت اليك لاستخلص من اعشابك بلسمًا لجروحي . تعلّقَ بأهدابي غبارُ المادة محاولاً إخفاء الجمال المعنوي عن عينيّ ، فأتيت لاغسل أهدابي بمياهك المقدسة

جئت لأرطب يديَّ وعينيَّ برضابك العذب

ثقل فؤادي عليَّ ، فأسرعتُ لأبعث به معك الى روح البحر المظيم الذي يناديك اليهِ من عمق اعماق زرقتهِ البعيدة

أنت ابن الغيوم ، وألعوبة الحرارة الهوائية ، وضحكة المادة الدائمة ، وقهقهة الجوّ بين الهضاب والأودية . أنت قبلة الشمس للبحر . أنتَ أنشودة الجبل في الوادي . أنت الروح الصغيرة المسرعة الى احضان الروح الكبيرة

أنت جميل كأسرار الجنان . عذب كنظرات الولهان

وفي اسمك ألوان وألحان

أنت تهامم بي ، أيها النهر ، فخذني معك بعيداً عن الحياة وضوضائها خذني معك . . . لكن ، ما هي نسبتي اليك ؟

أنت مجموع سوائل لا وجدان لها ، ولا قلب يخفق بين اجزائها . وانا . . . انا شيء آخر . أنت لغز بين البحار والآفاق ، وانا لغز بين الحياة واللانهاية . انا اعرف اني لا افهمك ، واشعر بجهل الانسان وشقائهِ ، اما انت . . . ما لنا ولك ؟

سيري ، أيتها المياه ، سيري واتركيني . أسقي النباتات والاعشاب ، ضعي لآلئ في أفام الورود ، رطّبي صدر الارض الملتهب ، ترنمي في وحدة الوادي ، اسردي حكاياتك التي لا تنتهي ، اندبي ، هللي ، اصرخي ، اهمي ، انشدي ، انحبي ، اطربي ، احزني . كل هذا ننسبه اليكِ نحن ابناء الطرب والكآبة

سيري ، ايتها المياه ، ودعيني ابكي . لقد تلبَّد جوّ فكري بالغيوم القاتمة . وقلبي — ما لكِ ولهُ ! — منفرد حزين . . .

مي

﴿ الشكوكيّون ﴾

ليس شيء من أمور الدنيا الاّ وهو معرَّض للشك حتى قال بعض الفلاسفة : ان كل شيء يقبل الشك حتى قولي هذا : « ان كل شيءٍ يقبل الشك » ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم

محمد المويلحي

الرتب والنياشين

ذكرنا في الجزء الماضي شيئاً عن الرتب والنياشين وتاريخها عند القدماء ورأينا تكملةً للبحث ايراد نبذة مستقلة عن الرتب والنياشين في الدولة العثمانية لانها تهم القراء اكثر من سواها. وقد كتب هذه النبذة خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب الفاضل حقي بك العظم . قال :

تقسم الرتب في الدولة العثمانية الى ثلاثة اقسام : عسكرية وملكية وعلمية

الرتب العسكرية — وضعت الرتب العسكرية الحالية في اواخر زمن السلطان سليم الثالث المشهور بميله الى الاصلاح والتمدن الغربي الحديث ، وقد كان بدأ قبل كل شيء بالاصلاح العسكري ، ولكن الظروف لم تساعده ، وحال دون اتمام مقاصده جهل الأهالي وسوء نية زعماء الجيش الانكشاري ، فذهب شهيد التعصب . وقد أتم خلفهُ السلطان محمود مشروعهُ العسكري ونظم الجيش العثماني على الطراز الأوربي وأنشأ معظم الرتب العسكرية الحالية واليك بيانها بالترتيب :

الرتبة	يقابلها عند الافرنج	لقب صاحبها	راتبه الشهري
مشير	Maréchal	دولتلو افندم حضرتلري	اذا كان قائداً ١٥٠ ليرة في الاستيداع ٧٥ ليرة
فريق	Général de Division	سعادتلو افندم »	راتبه الشهري ٦٠ ليرة
ميرلوا	Général de Brigade	عزتلو افندم »	» ٣٠ »
ميرالاي	Colonel	عزتلو افندم »	» ٢٠ »
قائمقام	Lieutenant Colonel	عزتلو بك »	» ١٥ »

بكباشي (ومعناها رأس الالف)	Major	رفعتلو بك او افندي	»	»	١٢	»
يوزباشي (« « المائة)[1]	Capitaine	فتوّتلو بك او افندي	»	»	٨	»
ملازم أول	Lieutenant	حميّتلو	» » »	»	٥	»
ملازم ثانٍ	Sous-Lieutenant	»	» » »	»	٤	»

ولكل من اصحاب هذه الرتب العسكرية ما يكفيه ويكفي عائلته من المؤن والذخائر مثل الخبز والسمن واللحم والفحم والسكر والشعير والتبن وما اشبه يأخذها كل شهر وذلك حسب رتبته فالملازم الثاني مثلاً اربعة ارغفة خبز في اليوم ومقدار من اللحم في الشهر وثلاث اقات سمن ويزيد ذلك كلما ترتقي الرتبة .

وهناك غير هذه الرتب العسكرية الحربية رتبةٌ اخرى في الجيش خارجة عن الصفوف الحربية مثل رتبة امين الاى تقابل البكباشي ورتبة كاتب الطابور تقابل اليوزباشي ومعاون كاتب الطابور يقابل الملازم الاول. وينقطع اصحابها للاعمال الكتابية والحسابية فقط . ومفتى الاى يقابل البكباشي ، وإمام طابور يقابل اليوزباشي ، وكلاهما يقوم بالطقوس والشعائر الدينية في الاورط والالايات

الرتب الملكية : وضعت هذه الرتب في اواخر حكم السلطان محمود بعد ابادة الانكشاريه . وقد كانت وقتذاك عزيزة لصعوبة نيلها حتى كان يشار بالبنان الى من ينال الرتبة الخامسة ، وهي اصغر رتبة ملكية كما هو معلوم واستمر الحال على هذا المنوال الى زمن السلطان الخليع . وتقسم

(١) كان في الجيش العثماني رتبة تسمى قول أغاسي وهي بين البكباشي واليوزباشي وقد ألغيت بعد اعلان الدستور

هذه الرتب الى قسمين : قلمية وسيفية . فالقلمية خصت بمكافأة عمال الدولة والسيفية خصت بمكافأة اعيان الولايات واشرافها . وهذا بيان الرتب الملكية والقاب اصحابها مع ما يقابلها من الرتب العسكرية :

العلمية منها	السيفية منها	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الرتب العسكرية
وزير	...	دولتلو افندم حضرتلري	مشير { وصاحب الوزارة مقدم عليه
بالا	...	عطوفتلو « «	فريق اول
اولى صنف اول	روم ايلى بكلر بكى	سعادتلو « «	فريق
« « ثان	ميرميران	« « «	ميرلواء
متمايز	متمايز	عزتلو «	ميرالاي
ثانية	ثانية	عزتلو بك او افندي	قائمقام
ثالثة	ثالثة	رفعتلو « « « او آغا	بيكباشي
رابعة	رابعة	فتوّتلو « « « « «	يوزباشي
خامسة	خامسة	حميّتلو « « « « «	ملازم اول

ويوجد رتب اخرى من نوع الرتب السيفية هي : رتبة امير الامراء ورتبة مدير الاصطبل العامر ، يقابلهما من الرتب القلمية الرتبة الثانية ويلقب صاحب الأولى منهما بلقب « باشا » ويكتب اليه « عزتلو باشا » ورتبة قبوجى باشى الركاب السلطاني ، تقابلها الرتبة الثالثة . وهذه الرتب خاصة برؤساء القبائل والأميين من اشراف البلاد لاسيما القاصية منها . وقد كانت الدولة تراعي هذا الترتيب ، فلا تنعم مثلاً برتبة « بالا » على احد اشراف الولايات مهما كان مقامه عظيماً بل تخصه برتبة روم ايلى بكلر بكي

او ميرميران او امير الأمراء اذا شاءت ان تكافئه . واستمرّت هذه القاعدة معمولاً بها الى أوائل حكم السلطان الخليع حيث أخذ رجاله يبيعون الرتب بيع السلع دون الالتفات الى التقاليد المتبعة في منحها

والرتب الملكية ، قلمية كانت او سيفية ، لا تعطي أصحابها لقب (بك) « ما عدا رتب روم ايلي بكلربكي وميرميران وأمير الأمراء فان أصحابها يلقبون بلقب (باشا) كما مرّ ذكره» . لذلك تجد كثيراً من أصحاب رتبة بالا — وهي أعلى رتبة بعد رتبة الوزارة — يلقبون بلقب (افندي) . أما لقب (بك) فانه خاص اولاً بأولاد الأسر والعائلات الكبيرة في الولايات من اصحاب الزعامات والمقاطعات الممنوحة لهم من قبل الدولة في الازمنة السابقة ، ثانياً باولاد الباشوات فقط . وقد وقعت هذه التقاليد في فوضى عظيمة في عهد السلطان عبد الحميد حتى اصبح الانسان يرى ابن الفراش والخادم والفقير في الاستانة يلقب بلقب (بك)

الرتب العلمية — لا تمنح هذه الرتب الا للعلماء الدينيين من المسلمين ورجال باب المشيخة في الاستانة والقضاة الشرعيين في الولايات . ولبعض هذه الرتب ، خصوصاً الكبيرة منها ، رواتب قليلة تسمى (آريه لق) اى ثمن شعير لخيل صاحب الرتبة . واساس الرتب العلمية قديم العهد في الدولة العثمانية يرجع تاريخه الى مئات من السنين ، وهذا بيانها و بيان القابها مع ما يقابلها من الرتب الملكية :

الرتب العلمية	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الملكية
قاضي عسكر روم ايلي	سماحتلو افندم حضرتلرى	وزير

قاضي عسكر أناضول	سماحتلو افندم حضرتلري	وهي بين الوزراة و بالا
قاضي استانبول	فضيلتلو « «	اولى من الصنف الاول
مولويةالحرمينالشريفين[1]	« «	اولى من الصنف الثاني
« البلاد الخمسة [2]	« بك او افندي	متمايز
« المخرج	« « « «	ثانية
رتبة كبار مدرسين	مكرمتلو « « «	ثالثة
« موصلهٔ سليمانية	« « « «	وهي بين الثالثة والرابعة

ثم هناك رتبة تسمى رؤوس استانبول ليس لصاحبها لقب تقابلها الرتبة الرابعة . واما القضاة الشرعيون غير الحائزين على رتبة فيكتب اليهم (مودّتلو بك او افندى) ويكتب للصدر الاعظم « فخامتلو دولتلو افندم حضرتلرى » ولمعزول الصدارة « دولتلو ابهتلو افندم حضرتلرى » ولشيخ الاسلام « دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى » ولمعزوله « دولتلو فضيلتلو افندم حضرتلرى » وللاصهار السلطانية « عطوفتلو افندم حضرتلرى » وللسردار الاكرم « دولتـلو رأفتلو افندم حضرتلرى » ولآغا القصر السلطاني « دولتلو عنايتلو افندم حضرتلرى » وللبطاركة « رتبتلو افندم حضرتلرى » وللملوك الاجانب « حشمتلو » وللسفراء الاجانب « اصالتلو افندم حضرتلرى »

النياشين — اقدم نشان في الدولة العثمانية نشان الافتخار ، وليس له الاّ درجة واحدة مرصعة بالحجارة الكريمة وقد انشأه السلطان محمود

(١) مكة ومدينة (٢) اشارة الى مدائن قونيه وبروسه وادرنه ودمشق الشام وبغداد ، كما يقال البلاد الثلاثة عن غلطه واسكدار واستانبول في الاستانه

الثاني ، ثم اهمل امره الى اواخر زمن السلطان عبد الحميد الخليع الذي احياه وصار ينعم بهِ على العظماء من الاجانب فقط

وهذه بقية النياشين العثمانية حسب قِدَمها مع اسماء السلاطين الذين انشأوها

النشان	اسم السلطان	عدد درجاته	ملاحظات
الافتخار	السلطان محمود الثاني	١	مرصع فقط
المجيدي	« عبد المجيد	٥	وله درجة مرصعة بالاحجار الكريمة
العثماني	« عبد العزيز	٤	« « « « «
الشفقة (خاص بالسيدات)	« عبد الحميد الثاني	٢	وكلاهما مرصع بالاحجار الكريمة
امتياز	« « « «	١	مرصع { وله نوطان الواحد ذهبي والآخر فضي
خاندان آل عثمان الاسرة المالكة (Dynastie)	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة
ارطغرل	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة

ثم هناك مداليات (انواط) مثل مدالية التخليص تمنح لكل من ينجي حياة شخص من الغرق في البحر او من حريق وما اشبه ومداليات الزراعة والافتخار انشأها جميعها السلطان عبد الحميد الثاني . هذا غير انواط حربية وقتية قديمة اسست عقب الحروب الماضية كحرب الروس واليونان وكريد واليمن وغيرها منحت لكل من حضرها من الجند والضباط والقواد .

مفتي العظم

في رياض الشعر

ردّوا على الأوطان عزّاً خلا

يحيي بك علمي شاب من خيرة الفتية العثمانية المصرية جامع الى شرف المحتد علوّ الهمة ، والى الذكاء النادر براعة وافتناناً في ضروب الادب والموسيقى · رُزق في هذه الايام غلاماً سماه مصطفى . وقد فرح اصدقاء هذا الفاضل بما أتمه الله عليه من نعمة الخلف ورأى صديقه خليل افندي مطران ان يتحفه لهذه المناسبة بقصيدة فيها التهنئة وفيها العظة . فيها وصف بعض الحالات التي يكون عليها الاطفال وفيها ما هو جار من الامور العتيدة التي أفضت بالشرق الى هذا الانحطاط واشارة الى المستقبل وما يرجى منه على أيدي رجال الغد · ولقد وفق الشاعر الى كل ما قصد وأخرج للناس ضرباً جديداً من الشعر فيه تفكهة ودرس مفيد قال :

يا سبط يحيي وسليلَ العلى ... حيَّ الرضى طالعك المجتلى
وسلّم اللهُ الوليدَ الذي ... هلَّ فما أبهى وما أجملا
كأنَّ ذوبَ العاجِ صلصاله ... وأنَّ معنى الحبّ ما مثّلا
ناهيك بالعينين من قوّتيْ ... ذهن ومن نورَيْ حجىً ارسلا

* * *

كحسنهِ الحسن اذا ما غفا ... وذيدت الأعينُ ان تغفلا
محركاً في نومهِ ثغرَهُ ... كأن في الرؤيا رضاعاً حلا
لا الحلل الغراء من همهِ ... ولا يبالي باهرات الحلى
جذلانُ من نشوةِ أحلامهِ ... وأين منها نشواتُ الطلى
تراه قرباً وكأنَّ الكرى ... يحمله فوق السُهى محملا
كطائرٍ يظهر تحليقهُ ... بمظهر الترجيح مما علا
فان صحا فالدهر عبدٌ لهُ ... يرضيهِ مطواعاً والاّ فلا
وكل حيّ فمنوطٌ بأن ... يفهم ما يهوى وان يفعلا
سيان في اللطف وفي الظرف ما ... أساء من أمرٍ وما أجملا

له ولا للناسِ علمُ الذي يرى ويستحسن أن يُعملا
وحولهُ الحولُ فان يفتتن فسحره السحر ولن يُبطلا
أنلهُ ما شئت فكيف اشتهى تحويلهُ من فورهِ حُوّلا
فليكن المفتاح ثدياً جرى بالكوثر العذب كما املّا
ولتكن الساعة جنّيّةً تدير في داخلها مقولا
ولتكن الاكتافُ أفراسهُ لكنّ شرط الانس ان تصهلا
وليكن الكرسيُّ ان حثّهُ قطارَه ينساق مستعجلا
وكل ما شكّله فليكن مهما عصى الطبعَ كما شكّلا

* * *

يا ولداهُ اسعدْ وعش واغتنم من السرورِ المغنمَ الأجزلا
لكنّ دهراً جئتَ فيهِ أبى عليكَ ان تركب مستسهلا
أدبرَ بالشرق ولا يبتغي الاّ بأمثالك ان يُقبلا
اليوم لا تعقلُ لكن غداً تكون ممن سلفوا أعقلا
ما اليوم ما القابل؟ هذا مضى بنا ولم نشعر وهذا تلا
اسمع شكاتي فهي إن لم تفد حالاً ففيها النفع مستقبلا
كان لنا مجدٌ نزلنا بهِ من السماوات العُلى منزلا
وكان لا ينكر منا اذا قلنا غداة الفخر نحن الاولى
وكان منّا كلُّ ذي مرّةٍ ان صال فرداً كسر الجحفلا
وكان منا كلُّ ذي فطنةٍ يكاشفُ الوحيَ ويهدي الملا
وكان منا كلُّ حامي حمىً لا تطرقُ العصمُ لهُ معقلا
وكانَ مُلكُ الأرض ملكاً لنا وحكمنا في الأمم الفيصَلا
لكنّهُ عزٌّ مضى وانقضى بذنب مَن خانَ ومن أهملا

تراكمت أغلاطُنا آخذاً بعضٌ ببعضٍ فانتهينا الى . . .
ولا اسمّي منتهانا فقد يُؤثر بعضُ الشيءِ أن يُغفلا
واحربا بتنا وما شأننا الاّ اعتذارٌ يُشمت العُذّلا
وما تبقّى غيرُ أبنائنا تعزيةً للنفس أو مأملا
عساهم ان يُصلحوا بعدنا ما أفسد الظلاّمُ منا . . ألا . .

* * *

أي نجلَ يحيى إن يجيءُ عهدكم ردّوا على الأوطان عزًّا خلا
إنا نرجّي جيلكم كلّهُ ان يَترَ المجدَ ولا يخملا
فمن دعا يومئذٍ واجدٌ فينا عديدَ الخير مستكملا
الراجلَ الجلدَ الذي لا يهي عزم له والفارسَ الأبسلا
والعالمَ المثمرُ تعليمهُ أجملَ ما علّم أو فصّلا
والوالدَ البرّ بابنائهِ يرخص في تأديبهم ما غلا
والحرّةَ الهيفاءَ لا تنثني عن عوج الاغراس أو تعدِلا
والصانعَ البارعَ في صنعهِ يتقن مفتنًّا ومسترسلا
والزارعَ الحاذقَ في شأنهِ يعافُ ان يجمدَ أو يكسلا
بمثل هذا الجمع من ولدِهِ تشفى جراح الوطن المبتلى

* * *

أي نجلَ يحيى كنْ اذا حققوا آمالنا ندَبُهم المفضَلا
بالعلم والحزم اعتضدْ واعتدد لتغدوَ الأرشدَ والأمثلا
إنا معدّوكَ ليومٍ بهِ تكونُ ذاك السيّدَ الموئِلا
في ذلك العهد وقد صرتَ في أترابك الأمكنَ والأرجلا
تذكّر الطفلَ الذي كنتهُ وحاشِ ذاك الخُلق ان يُبدلا

اذ كنتَ في مهدكَ لا تتقي　　لو أنَّ طوداً راسخاً زُلزلا
ولا تراعي طاغياً قادراً　　ولا تحابي بَطلاً مُبطلا
ولا تني بالسؤل حتى ترى　　محققاً ما عزَّ ان يسألا
وتجهل الاثمَ بأنواعه　　كما ترى العفةُ ان تجهلا
عظائم الدنيا تحبّ الفتى　　في أكثر الاخلاق مستطفلا

* * *

تلك مُنانا يا بنينا فان　　تمّت محوتم ذنبَنا المخجلا
هيّا أعيدوا المجد فينا الى　　ما كان من سيرته أوّلا

خليل مطران

﴿ غانية فقيرة ﴾

شكتْ فقرها فبكتْ لؤلؤاً　　تساقط من جفنها فانتثرْ
فقلتُ مشيرًا الى دمعِها　　أفقرٌ وعندكِ هذي الدُرَرْ

بشاره الخوري

﴿ قساوة التشفّي ﴾

رأيتهُ يستخرجُ الشَّوكَ من　　كفّين كالبلُّورِ والآسِ
فقلتُ في نفسي له شامتاً　　ذُقْ بعضَ ما تفعلُ بالناسِ

نجيب شاهين

﴿ حظي كشعري ﴾

بُليتُ بحظٍ مثلَ شَعريَ لو حوَى　　دُجاه الدُّجى لم يَبدُ في أفقهِ فجرُ
وأعجبُ مِن صبري عليهِ سلامتي　　فقُبِّحَ حظّي والسلامةُ والصبرُ

امين

أزهار وأشواك

توارد الخواطر

توارد الخواطر أمرٌ معروفٌ بين الناس عامةً ، وكلٌّ يروي من هذا القبيل الشيء الكثير مما حدث له شخصياً او اتصل بهِ عن الغير . على ان توارد الخواطر بين الأدباء كثيراً ما جاء بصورة مدهشة غريبة ، فتقرأ الشطرة الواحدة من الشعر ، او الفقرة الواحدة من النثر ، لشاعرين او لكاتبين مختلفين ، حتى لتكاد تتصوَّر الواحد قد اقتبس قول الآخر مع انه لم يتفق له الاطلاع على شيء منهُ ؛ وتاريخ آداب العرب حافل بمثل هذه النوادر . والى القراء حادثة من هذا القبيل جرت في مصر ، واتصل خبرها بحاصد « الزهور » وهو ينقلها تفكهةً للقراء : وضع أحد الادباء كتاباً عنوانه « العرب وأطوارها » وأحبَّ ان يهديه الى العالِم العربي أحمد زكي باشا ، فسأل الأديب محمود افندي عماد ان يصوغ له كلمة الاهداء في بيتين من الشعر ، وطلب مثل هذا الطلب أيضاً من شاعر الأمير شوقي بك . فجاءه من الأول هذان البيتان :

إيهٍ « ذكيَّ » النفس تحيا نسبةٌ تنمى اليك ويستحيلُ سرارها
وكذا أردتُ لما عرضتُ (فهذهِ عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

ونظم له الثاني البيتين الآتيين :

« أذكيُّ » يا ربَّ الفضائل والنهى وأجلَّ من يُعزَى اليهِ فخارُها
إن شئتَ تعجبُ بالرجال (فهذه عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

فيري القارىء كيف اتفق الشاعران في الشطر الاخير حتى في اللفظ فجاء واحداً عند كليهما

ولقد ذكرتكِ

نهر الصفا وصفته « مي » في هذا الجزء بشعر منثور ، ووصفه من قبلها في أحد أجزاء السنة الاولى من « الزهور » الامير نسيب ارسلان بشعر منظوم قال في مطلعه

يا صاحبيَّ قفا على نهر الصفا نهر لدينا بات أشهر من « قِفا »

وقد وقف عليه في الصيف الماضي أديب مصري لا أعرف من هو ، وأديب لبناني هو رشيد بك نخله الشاعر الذي يعرفه قرَّاء « الزهور » أنقل محضر تلك الوقفة عن جريدة « الشعب » اللبنانية فقد جاء للرشيد فيها قوله : « . . . فتناشدَنا الاديب المصري وتناشدْناهُ من قديم الشعر وحديثهِ الى ان أنشد :

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ مني وبيض الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

فقلنا رحم الله فارس بني عبس (ان صحَّت النسبة) . أوَتذكر ما يقول « الرشيقُ » على حد ذلك :

ولقد ذكرتكِ في السفينةِ والردى متوقّعٌ بتلاطمِ الأمواجِ
وعلتْ لأصحاب السفينةِ ضجةٌ وأنا وذكركِ في ألذِّ تناجي

فقال واذكر للظفراوي قوله :

اني لأذكركم وقد بلغ الظما مني فأشرق بالزلال الباردِ

وأقولُ ليتَ أحبتي عاينتهم قبل المات ولو بيوم واحدِ

ولا أنسى ما يقول أبو الحسن الوزير :

ذكرتُ سُليمى وحرُّ الوغى بقلبيَ ساعةَ فارقتها

وشاكلَ سمرُ القنا قدَّها وقد ملنَ نحوي فعانقتها

قلتُ حسن ولكنك تبدَّلتَ الوزن وغيَّرت المطلع . فقال اذاً اسمع للحلّي :

ولقد ذكرتكِ والعجاجُ كأنهُ مطلُ الغنيّ وسوءُ عيش المعسرِ

فظننتُ أني في صباحٍ مسفرٍ من ضوء وجهكِ او سناء مقمرِ

قلتُ جيّد وأطرقتُ بقدر ما تقرأ وقلت :

ولقد ذكرتكِ عند آخر نظرةٍ مني لقومي والحِمامُ مهدّدي

فبكى الجميعُ وكنتُ أبسم بينهم أملاً بأنكِ حولَ نعشي في الغدِ

فارتجف المصري وتدارك دمعتين جالتا في حدقتيهِ وقال : بربك البيتين فأعدتهما له فاستظهرهما قائلاً : سأردّدهما مدى العمر

قلت : ولو اتفق لي حضور ذلك المجلس لختمت مذاكرة الاديبين ببيتٍ فردٍ ينسيهما ما تناشداه ، وهو لشاعر ظريف ذكر محبوبته في موقف لم يقفه عنترة بن عبس ولا أقرانه الشعراء ، فقد دهمه القطار الحديدي (الاكسبرس) وهو على صهوة برذون حرون فايقن بالهلاك فهاجته الذكرى ، فأنشأ يقول من فؤاد متبول :

ولقد ذكرتكِ والحمارُ معاندي فوق الشريطِ وقد أتى الوابورُ ...!

سؤالٌ من الهند

آل ابرهيم في الهند قومٌ كرام جمعوا الى شرف المحتد وعريض الجاه أدباً جماً وظرفاً وافراً ، ولهم على الأدب والأدباء في الشرق مآثر غير دوائر . قدَّرت الأيام لوديع افنـدي البستاني — وهو الفتى النشيط الأديب المعروف لدى قراء العربية بكتبهِ المفيدة النافعة — ان يكون بين هؤلاء القوم الأمجاد ، فـكاد ينـسى بينهم في الهند أرقى مجتمعات وادي النيل لما يدور بينهم من المذاكرات الشعرية والابحاث الأدبية . . . وكدتُ أنا أيضاً أنسى الموضوع الذي من أجله اكتب الآن ، وأستطرد الى ذكر ما يرويه لي صديقي عن الهنـد وعن مكارم من حلَّ بينهم على الرحب والسعة ، فأهمل السؤال الذي كلفني ان أنشره على صفحات المجلة . قال البستاني الصغير : « هذان بيتان من الشعر رواهما الشيخ أحمد آل ابرهيم قال :

لقي نبالنا مردَ العوارضِ فانثنوا لأوجههم منهـا لحىً وشواربُ
خلقنا بأطراف القنـا لظهورهم عيوناً لها وقعُ السهام حواجبُ

فامن هذا الشعر ؟ » وانا اقول : من عرف الشاعر وكتب اليَّ عنهُ ضمنت له جائزة تجيئه عن طريق الهند . . .

في كرمة ابن هاني

سبق لي حديث قديم مع القرَّاء عن كرمة ابن هاني — او منزل شوقي بك — وقد كانت هذه الكرمة في الشهر الفائت مسرحاً أقيمت فيهِ معالم الافراح والحفلات الأدبيـة . وكل حفلة تقام في ذلك الصرح

يقصر عنها الوصف مهما كان بليغاً . فأمير الشعر متفرّدٌ في حفلاتهِ كما هو متفرد في أشعاره . . . لا يعنيني من هذه الاحتفالات الاّ ذاك الذي أقامهُ اكبر شاعر عربي اكراماً لاكبر ممثل في الغرب ولصنوه في الشرق عنيتُ بالأول مسيو سلڤان وبالثاني تلميذه جورج أبيض ، والى جانب كلٍّ منهما جوقته ، وفي صدر الحفلة حشمت باشا ناظر المعارف الغيور ، فتصافح تحت رعايتهِ الأدبان العربي والغربي . وشكر الوزير لنابغة التمثيل في فرنسا اعتناءه بتلميذه أبيض حتى أخرجهُ نابغة الممثلين في الشرق ، كما شكر سلڤان للوزير تنشيطه لهذا الفن وأمَّل ان يبلغ التمثيل العربي من النجاح ما بلغهُ التمثيل الفرنسوي منهُ . وكان بين المدعوين الياس افندي فياض الكاتب الشاعر العربي المعروف ومترجم أشهر الروايات التي يمثلها جوق أبيض ، فهمس في أذن جاره داعياً بتحقيق الآمال . . . ماصر

ثمرات المطابع

* حديث القمر[1] — نشرنا في الجزء الخامس من هـذه السنة (ص ٢٤٩) مقالةً خيالية عنوانها « أيها القمر » من قلم حضرة الشاعر المشهور السيد أبي السامي مصطفى صادق الرافعي . ثمَّ أخذ حضرته هذه المقالة وتوسع فيها بما أوحى اليهِ أمير الليل من خطرات أفكار شعرية وغزَلية وادبية واجتماعيــة فجاءت سلسلة فصولٍ شائقة تتناول مباحث شتى في الحب والجمال والزواج والالحاد والطبيعة باسلوب خيالي وقالب

(١) يُطلب من مكتبة البيان بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه خمسة قروش صاغ

شعري تعمدهُ حضرة الكاتب البليغ وهو يرمي من ورائهِ الى تربية ملكة التخيّل في الناشئة ، لأنّ الخيال هو اساس الانشاء وركنه الركين ، فلا يمتلك الذين يحاولون الكتابة أعنّه هذه الصناعة الّا اذا حبتهم الطبيعة نصيباً من الخيال ، وعملوا هم على تربيــة هذه القوة بالمطالعة والملاحظة والاقتداء . وقد قال حضرة المؤلف في مقدمة هذا الكتاب : « البلاغة التي حار العلماء في تعريفها ، على كثرة ما خلّطوا ، لا تعدو كلمتين : قوة التصوُّر والقوة على ضبط النسبة بين الخيال والحقيقة . وهما صفتان من قوى الخلق تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة ، وبهما صار أفراد الشعراء والكتّاب يخلقون الأمم التاريخية خلقاً ، وربّ كلمةٍ من أحدهم تلدُ تاريخ جيل » الى ان يقول في ختام المقدمة المذكورة : « فالبلغاء هم أرواحُ الأديان والشرائع والعادات ، وهم ألسنةُ السماء والأرض . واذا شهد عصرٌ من العصور أمةً ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخاً صحيحاً لأضعف طبائع الأمم »

ونحن نحمد الله كثيراً على ان مصر لا تخلو من أمثال أبي السامي الفاضل ، فعصرها الحالي ليس بعصر الضعف وخمول الطبائع

* مفكرة المعارف[1] أصدرت مطبعة المعارف الشهيرة مفكرتها لسنة ١٩١٣ وهي حاوية التواريخ العربية والافرنجية والقبطية وفيها ذكر الاعياد الدينية والمدنية وتواريخ أشهر الحوادث السياسية وفي ختامها

---

(١) تطلب من مكتبة المعارف وثمنها أربعة قروش صاغ يضاف اليــه قرش صاغ اجرة البريد للخارج

جدول لتحويل العملة وجدولان آخران للمقاييس والموازين وقد اعتنى بها حضرة نجيب افندي متري منشئها الفاضل اعتناءً خاصاً في هذه السنة فانتقى لها أجود أصناف الورق وأجمل شكل للغلاف فجاءت غاية في الاتقان كسائر ما تخرجه مطبعة المعارف فنوجه اليها الانظار

* La sœur du Calife. (1) — عهد الرشيد والمأمون من أجمل صفحات تاريخ العرب ، ونكبة البرامكة على يد الفضل بن الربيع من أشهر حوادث ذلك العهد ، وأعظمها وقعاً في النفوس . وقد سبك هذا الموضوع جورجي بك زيدان منشئ الهلال في قالب رواية تداولتها أيدي قراء العربية فنالت شهرةً بعيدة . وشاء حضرة الاديب ميشال افندي بيطار ، المدرّس في جامعة اللغات الشرقية في باريس ، ان يعرّف الافرنج بشيء من آداب لغتنا ، فنقل هذه الرواية الى اللغة الفرنسوية بمساعدة مسيو شارل موليه Mr. Charles Moulié ، فبرزت الغادة العربية الشرقية بحلةٍ غربية جميلة ، وصادفت بين القوم إقبالاً وإعجاباً . فنهنئ زيدان بك باشتراك الغربيين مع الشرقيين في تقدير كتاباتهِ ، ونشكر لصديقنا بيطار افندي هذه الخدمة للغتهِ ، وندعو له بالتوفيق في هذا السبيل

* المنطاد — « جريدة اسبوعية حرّة » لصاحبها ومحررها الأديب زوين افندي يوسف زوين تصدر في ريودي جانيرو ، فيها مباحث حسنة ولها نزعة وطنية محمودة

(1) Fontemoing & Cie, éditeurs, Paris

الفصل الثالث

« المشهد الأول »

رومه . أمام الكابيتول . مجلس الشيوخ مجتمع فوق في الكابيتول .
جمع غير قليل بينهم أرتيميدوروس والمنجم . هتاف

(يدخل قيصر وبروتوس وكاسيوس وكاسكا وديسيوس ومتلوس وتريبونيوس وسنَّا وأنطونيوس ولبيدوس وبوبوليوس وبوبليوس)

قيصر　— (مخاطباً المنجم) ها قد جاء اليوم الخامس عشر من شهر مارس

المنجم　— نعم قيصر . ولكنهُ لم يذهب بعد

أرتيميدوروس — السلام قيصر . اقرأ هذه الورقة

ديسيوس　— (مقدّماً له ورقة أخرى) ان تريبونيوس يرجوك ان تعيد قراءة هذا العرض اذا رأيتَ من وقتك متسعاً

أرتيميدوروس — أي قيصر . اقرأ ورقتي قبل ؛ فانها تمسُّ قيصر نفسه . اقرأها يا قيصر العظيم

قيصر　— يجب تأخير ما يمسّنا عن سواه

أرتيميدوروس — اياك والتأخير ! اقرأها حالاً

قيصر　— ما هذا ؟ أجُنَّ الرجل ؟

بوبليوس　— تنحَّ يا هذا جانباً

كاسيوس　— أفي الأسواق تتهافتون على عرض مطالبكم ؟ تعالوا الى الكابيتول . (يصعد قيصر الى المجلس يتبعهُ الآخرون)

بوبوليوس – (مخاطباً كاسيوس) أتمنى لغرضكم ان ينجح اليوم

كاسيوس – أيّ غرضٍ عنيت ؟

بوبوليوس – طب نفساً (يقرب من قيصر)

بروتوس – (مخاطباً كاسيوس) ما قال لك بوبوليوس ؟

كاسيوس – تمنى لنا نجاح غرضنا . اني اخشى افتضاح أمرنا

بروتوس – انهُ يقرب من قيصر . أنظر . ارقبهُ

كاسيوس – (مخاطباً كاسكا) كاسكا . كن سريعاً في العمل ، فاننا نخشى انكشاف الأمر . ما العمل يا بروتوس ؟ ان افتضح أمرنا قتلتُ نفسي . فواحدٌ منا ليس براجع الى أهله اليوم : إما انا ، وإما قيصر !

بروتوس – تشدد ! انظر الى بوبوليوس . انهُ لا يتكلم عنا فهو يبتسم وملامح وجه قيصر لم يعلُها تغيُّرٌ او انقلاب

كاسيوس – قام تريبونيوس بمهمتهِ خيرَ قيام . لقد اصطحب انطونيوس وخرج بهِ خارجاً . (يخرج انطونيوس وتريبونيوس)

ديسيوس – أين سمبر ؟ ليذهب في الحال يقدّم شكواه الى قيصر

سنّا – كاسكا ! انت أوَّلُ من يرفع يده

قيصر – أمستعدون جميعاً ؟ من عرف منكم اعوجاجاً فلينبئ بهِ ، فان قيصر ومجلسه يقوّمانه تقويماً

سمبر – أي قيصر الرفيع العظيم كليّ الاقتدار ! ان سمبر يطرح امامك قلبه الوضيع ... (يركع)

قيصر – منعتك هذا . قد يفعل التملّق وتعفير الجباه فعله في صغار الناس فيثيرُ عاطفة نفوسهم ، فينسخون شرائع وأوامر أصدروها ، يغيّرون فيها ويبدلون شأن الاطفال . لا تغرّنك نفسك فتحسب انّ بين جنبي قيصر دماً كدم الجهل يذيبه

الكلام اللين والانحناء الواطئ والتملّق السافل المعوّج ، فيثنيه عن عزمه . لقد صدر الأمر ونفي أخوك . فاذا أنت ركعت وداهنت وتضرعت لاجله ، انتهرتك وطردتك كالكلب من امامي . ان قيصر لا يقاصُّ بلا سبب ، وكذلك لا يعفو بلا سبب

سمبر – أما من صوتٍ اكرم من صوتي يستعذبهُ قيصر فيصغي اليهِ ويعفو عن أخي المنفي ؟

بروتوس — أي قيصر . أُقبّل يدك غير مداهن ، وأرجوك ان تهب أخا سمبر حريته

قيصر – (متعجباً) ماذا ؟ بروتوس ؟

كاسيوس – عفوك قيصر عفوك ! اني أترامى على قدميك وأتسوَّلُ منك عفواً عن سمبر

قيصر – لو كنتُ نظيركم لتأثرتُ ؛ أو لو كنتُ ممن يرجو الغيرَ لتحوَّلتُ عن عزمي مرضاةَ رجائهم . ولكني ثابتٌ في عزمي ثبوتَ نجم الشمال الذي لا يضاهيهِ في الفلك نجمٌ ثبوتاً . السماء ملأى بكواكب لا تعدُّ ولا تحصى . كلها تحترق ضياءً وليس بينها سوى واحدٍ لا يحول ولا يتزعزع . كذا الدنيا مملوءةٌ رجالاً . رجالها من لحم ودم ذوو عقول ذكية ، ولا أعرف فيهم غيرَ واحدٍ راسخاً لا يُنازع ولا يتحرَّك . فلأرينكم اني ذلك الرجل . اني نفيتُ سمبرَ حازماً ، وسأبقيهِ في منفاه حازماً

سنّا – أواه قيصر . . !

قيصر – عني ! أتحاولُ ان ترفع جبال الأولمب ؟

ديسيوس – يا قيصر العظيم !

قيصر – ألا ترى بروتوس يركع على غير جدوى ؟

كاسكا – أيتهـا الأيدي تكلمي عني ! (يطعنهُ كاسكا أولاً وبعده بقيـة

المتآمرين ثم يطعنهُ بروتوس في الآخر)

قيصر — وأنتَ أيضاً يا بروتوس؟ فليسقط قيصر! (يلتفّ بردائه ويسقط ميتاً)

سِنّا — يا للحرية! يا للخلاص! لقد مات الاستبداد! اركضوا ونادوا بالأمر في الاسواق

كاسكا — ليذهب بعضكم الى المنابر ويهتف يا للعتق! يا للحرية! يا للنجاة!

بروتوس — (مخاطباً الاعيان والشعب المختلط حابلهم بنابلهم خوفاً) لا تخافوا أيها الأعيان وأنتم أيها الشعب اطمأنوا بالا. قفوا لا تهربوا. لقد وفى الطمع دَينه

كاسكا — اصعد الى المنبر يا بروتوس

ديسيوس — وكاسيوس أيضاً

بروتوس — أين بوبليوس؟

سِنّا — هنا وقد أضاع رشدَهُ

سمبر — خذوا حذركم. فقد يفاجئنا أحد أصدقاء قيصر. اعتصموا بالاتحاد

بروتوس — دعوا الحذَر والاعتصام جانباً. وأنتَ بوبليوس تشجَّع. اننا لا نُريد بك شرًّا، ولا نُريد بأحدٍ من الرومانيين شرًّا

كاسكا — ابتعد عنا يا بوبليوس لئلاّ يهجم علينا الناس ويلحقون بشيبتك أذًى

بروتوس — نعم اذهب. فلا يحملُ عبءَ هذا الأمر الاّ فاعلوه. (يرجع تريبونيوس)

كاسيوس — أين أنطونيوس؟

تريبونيوس — فرَّ الى بيتهِ رُعباً. الرجال والنساء والاولاد يصيحون ويصخبون كأنهُ يوم النشر

بروتوس — ايهِ أيتها الاقدار ها نحن مترقبون أمركِ فينا. كلنا يعلم ان مصيره الى الموت ولكنهُ يجهل ميعاد قدوم الساعة

كاسيوس — من يقتطعُ عشرين سنة من ثوب حياتهِ ، فانهُ يقتطعها من خوف الموت لا من الحياة نفسها

بروتوس — اذن . الموت دواءٌ نافع وما نحن الاّ أصدقاء قيصر اذ اختصرنا له خوفه من الموت . فلننحنِ أيها الرومانيون ولنغسل أيدينا في جراح قيصر نخضّبها حتى الاكواع . غمسوا فيها سيوفكم ، وهيّوا بنا الى الساحة نرفع سلاحنا الأحمر فوق رؤوسنا وننادي يا للسلام ويا للعتق ويا للحرية !

كاسيوس — انحنوا واغتسلوا . ستعيد الاجيال المقبلة تمثيل دورنا هذا بألسنٍ مجهولةٍ وفي بلدان لم تخلق بعد

بروتوس — نعم وسيُدمى مراراً قيصرُ خدن الترابِ المطروح الآن عند تمثال بومباي

كاسيوس — وعلى عدد تلك المرار سيلقّبنا المستقبلُ بالقوم الذين أنالوا وطنهم الحرية

ديسيوس — أتذهبون ؟

كاسيوس — نعم . بروتوس يقودنا ، وأحسنُ قلوب رومه وأشجعها تسير على عقبهِ . (يدخل خادم)

بروتوس — سكوتاً . مَن القادم ؟ صديق لأنطونيوس

الخادم — (راكعاً) أي بروتوس . بذا أمرني أنطونيوس : أخرُّ ساجداً وأعفّر وجهي وأقول « ان بروتوس نبيلٌ حكيم شجاعٌ وأمين وكذلك كان قيصر قديراً جسوراً محبًّا وعظيماً . اني أحبُّ بروتوس واكرمهُ وقد خفتُ قيصر فأحببتهُ واكرمتهُ . فليسمحْ بروتوس وليؤمنْ لي سبيل قدومي اليـهِ أستفسرهُ سبب قتل قيصر ، وله عليَّ العهد اني لا أحبُّ قيصر ميتاً بأكثر ما أحبُّ بروتوس حيًّا ؛ بل أتبع بروتوس فيسبيله غير المطروق بقلب مؤمنصادق » بذا نطقسيدي انطونيوس

بروتوس — لنعم الرومانيُّ الحكيم الشجاع سيدكَ . ما ظننتهُ بأقلَّ مما هو عليهِ قط . ابلغهُ يحضر الينا اذا شاء ، فنقنعهُ ثمَّ ينقلبُ الى أهله آمناً

الخـــادم — سآتي بهِ في الحال (يخرج الخادم)

بروتوس — سيكون منّا . أنا واثقٌ من ذلك

كاسيوس — حبذا لو تمَّ ذلك . فاني أوجس في نفسي خيفةً منهُ ، وما خانتني فراستي وتشاؤمي قط

بروتوس — ها قد جاء انطونيوس . (يدخل انطونيوس) اهلاً بماركوس انطونيوس

انطونيوس — (ينظر جثة قيصر ملقاةً ، يركع الى جانبها) أي قيصر[1] ذا السلطان ! أيطرحونك ارضاً ؟ أتنكمش فتوحاتك وانتصاراتك وغزواتك الى مثل هذا القدر الصغير ؟ وداعاً وداعاً (ينهض) اني أجهل مآربكم ايها السادة فلا أعلم من تستسمنون بعد قيصر فتدمون . ان كنتم اياي تقصدون ، فلستُ بواجدٍ زمناً للموت أليق من زمنٍ مات فيهِ قيصر . ولا آلةً على نصف شرفِ آلةٍ أغناها أنبلُ دمٍ في هذه الدنيا . ان كنتم تضمرون لي العداء فأتوسل اليكم ان تظهروه الآن وسواعدكم الحمرُ تتبخر وتدخّن . لو عشتُ ألفاً ما لقيتُ نفسي بأجدر بالموت مني الآن مطروحاً الى جانب قيصر ترديني الاسياد نخبة رجال هذا العصر

بروتوس — لا ترجُ موتك على أيدينا يا انطونيوس . انك تنظر الى هـــذه الأيدي وما جنتهُ فتخالنا قساةً سفّاحين ، ولكنك لا تعلم ما انطوت عليهِ قلوبنا . انك لو استطعت النظر اليها لرأيتها ملآى بالحنان والرأفة . نعم فاننا ما فتكنا بقيصر الاَّ شفقةً على اضطهاد رومه . فالشفقة على هذه طردت من قلوبنا الشفقة عليهِ وابتلعتها كما تبتلع النارُ ناراً أقلَّ منها التهاباً . أما أنت يا انطونيوس فإنّا نرحب بك

(١) ان انطونيوس بمخاطبته جثة قيصر يتخلص من السلام على قاتليه المتآمرين

ونقبلك بيننا على الرحب والسعة . نفتح لك قلوبنا ونحميك بسواعدنا ، فترجع سيوفنا مفلولةً عنك

كاسيوس — وسيكون لك الرأي الأعلى في تدبير مهام المُلك الجديد

بروتوس — صبرَك حتى نسكّن روع الجمهور الذي يكاد يجنّ خوفاً ثم أخبرك لما أقدمتُ على قتل قيصر وانا صديقه الصادق

انطونيوس — لا اشكُّ في حكمتكم . هاتوا كلٌّ منكم يده الحمراء . هاتها أنت أولاً يا بروتوس ثم أنت يا كاسيوس . وأنت ديسيوس وأنت متلوس وأنت سنّا . يدك ايها الشجاع كاسكا . وأنت يا تريبونيوس هاتهـا الآخر في دورك ولكنك لست بالآخر في درجة حبي لك . ماذا أقول ايها السادة ؟ ان قدميَّ تكادان تزلاّن بي عن موطئ الشرف فما أنا في أعينكم الاّ واحداً من اثنين — اما جبان او منافق . (مخاطباً قيصر) حقاً لقد أحببتك يا قيصر . فما الذي تقوله لو أطلّت علينا روحك ورأتني اصطلح مع اعدائك واضعاً يديَّ بأيديهم الدامية على مرأى من جثتك الهامدة ؟ أليس الأمر أشدَّ وقعاً عليك من قتلهم اياك ؟ ليت لي عدد جراحك عيوناً تذرف الدمع كالدم المتدفق من جسدك . لذلك موقفٌ أليق بي من تبادل عبارات الوفاق مع اعدائك . عفوك يوليوس . هنا اصطادوك ايها الوعل الجسور . هنا سقطت ، وهنا يقف صيادوك مخضبين بدمائك . ايه ايها العالم انك كنت غاباً لهذا الوعل وكان الوعل أعزَّ أبنائك . يا لك من غزالٍ تكاثرت عليهِ امراء الصيد فأردوه !

كاسيوس — انطونيوس

انطونيوس — عفوك كاسيوس . ان اعداء قيصر لا يقولون فيهِ أقلَّ مما قلتُ فما بالك باصدقائهِ . ان قولهم لتواضع بالغ حدّه

كاسيوس — لا ألومك على مدحك قيصر ، ولكني أودُّ أن أعلم أصديق أنت

فترجى ، أم عدوٌّ فيذهب كلٌّ في سبيله !

أنطونيوس — لو لم أكن صديقكم ما وضعتُ يدي بأيديكم . انما لقد أضلّتني شجوني حينما نظرتُ قيصر ملقىً . اني صديق كلٍّ منكم ، وكصديقٍ أرجوكم ان تقنعوني بأن قيصر كان خطِراً

بروتوس — ان لم نقنعك بذلك كان عملنا وحشيًّا لامسوّغ له . أي انطونيوس انّ الذي دعانا الى قتل قيصر لكافٍ لاقناعك ولو كنتَ ابناً له

أنطونيوس — هذا كلما أطلب . وأتوسل اليكم ان تسمحوا لي أنا صديقه ان أذهب بجثتهِ الى الساحة العمومية ، وأقول كلمتي في جنازتهِ

بروتوس — ليكن لك ما تريد

كاسيوس — لي كلمة أقولها لك يا بروتوس (يكلمه على جانب) انك لا تعلم ما تصنع . لا تسمح له بذلك . انك لا تعلم أي التأثير يكون لكلامه في الشعب

بروتوس — لا . لا . اني سأقف فيهم خطيباً أولاً وأُبيّن لهم اسباب قتل قيصر ، واذكر ان انطونيوس سيقيم له الاحتفال اللائق بدفنهِ باذن منا . ذلك أشفع لعملنا وأضمن

كاسيوس — لا أعلم ما سيكون . ليس الأمر من رأيي

بروتوس — (لانطونيوس) هاك جثة قيصر . خذها ! انك ستتكلم بعد ان أكون قد انتهيت ، فاذا تكلمت قل انك تفعل ذلك بأمرنا . امدح قيصر ما شئت ولكن لا تذمنا ، والاّ فلا يكون لك شأن في الجنازة

انطونيوس — اني لا أطلب أكثر من هذا

بروتوس — هيئْ الجثة واتبعنا . (يخرج الجميع عدا انطونيوس)

انطونيوس — (مخاطباً جثة قيصر) غفرانك ايها التراب الدامي ! غفرانك ان نظرتني اتبادل الودَّ والأدب مع هؤلاء الجزارين ! انك لبقية أشرف رجلٍ عاش

في الدنيا . ويلٌ لليد التي سفكت هذا الدم الثمين ! انّ جروحك تفتح شفاهها العقيقية كالافواه الخرساء تستنطقني نبوةً هي لعنةٌ تكرسف الناس . ستمتلئ جوانب ايطاليا حروباً . وسيقوم الأخ على أخيهِ والابن على أبيهِ والمملكة شعبها بعضهم لبعض عدوًّا . سيأمن الناس الدم والدمار والخوف فتبسم الأم ان رأت أولادها تتخطفهم أيدي الحروب . ستزول الشفقة من قلوب الناس لتعودها رؤية الفظائع . وثمَّ روح قيصر تزأر ثائرة يصحبها اله الشرّ الجهنمي منادياً بالويل والثبور على هذه البلاد فتنطلق كلاب الحرب تعدو وراء فرائسها تنهش بلا رحمة حتى تملأ جوانب الأرض جيفاً ليس من يدفنها . (يدخل خادم) أخادم اوكتافيوس قيصر أنت ؟

الخادم — نعم يا مولاي

انطونيوس — ان قيصر أرسل يستقدمه لرومه

الخادم — نعم . وهو قادم . وقد أمرني ان أقول لك . . (يرى جثة قيصر) ويلي ! قيصر !

انطونيوس — لقد تأثر قلبك . در جانباً وابكِ . ان الحزن مجلبةٌ للحزن وها عيناي أدمعتا اذ رأتا الحزن يجول في عينيك . . . أقادمٌ مولاك ؟

الخادم — سيبيت الليلة على بعد سبعة فراسخ من رومه

انطونيوس — عُد اليهِ مسرعاً وارو له الرواية . ليست رومة بالبلد الأمين لاكتافيوس بعد . انها نابحة ملآنة خطراً . عُدْ . عُدْ . قلْ له يلبث مكانه ولا يأتي . لا . قف قليلاً . لا تذهب قبل ان أحمل الجثة الى الساحة العمومية . سأرى هناك أثر خطابي في الناس ، وعلى أيّ محملٍ يحملون فعلةَ هؤلاء الرجال السفاحين ، ثم نذهب ونروي الأمر لاوكتافيوس . هات يدك . ساعدني . (يخرجان بجثة قيصر)

« المشهد الثاني »

يدخل بروتوس وكاسيوس ولفيف من الاهالي

الاهالي — (صارخين) هاتوا برهانكم . اقنعونا اقنعونا

بروتوس — اتبعوني ودعوني أقف فيكم خطيباً ايها الاصدقاء . كاسيوس ! اذهب الى الشارع الآخر وفرّق الجماعات . ليبقَ الذين يودُّون سماعي هنا ، أما الذين يبغون اللحاق بكاسيوس فليتبعوه . إنّا سننبئكم عن سبب قتل قيصر جهاراً

العامي الأول — أنا سألبث مكاني واسمع بروتوس

العامي الثاني — وأنا سأسمع كاسيوس ثم نقابل برهان هذا ببرهان ذاك .

(يخرج كاسيوس يتبعه بعض الاهالي ويصعد بروتوس الى المنبر)

العامي الثالث — قد اعتلى بروتوس النبيل المنبر . اسكتوا !

بروتوس -- اصبروا حتى النهاية . اسمعوا ايها الرومانيون مواطنيّ واصدقائي . اسمعوا لي دعواي . وانصتوا حتى تتمكنوا من السماع . اذا قلت فصدّقوني ، لأن لي من شرفي ما يحملكم على الثقة بي فان وثقتم بشرفي آمنتم بكلامي . زنوني بميزان حكمتكم واشحذوا عقولكم حتى تقيموا الميزان مستقيماً . . . هل في هذا الجمهور صديق لقيصر؟ ان كان بينكم صديق حميم ، فاني أرفع صوتي وأُناديه قائلاً : ان محبتي لقيصر لم تكن بأقل من محبتك . . . سيقول هذا الصديق : اذن لمَ قتلت قيصر ؟ هاكم جوابي : ما قتلت قيصر كرهاً لقيصر ، بل قتلته حباً برومه ! أوددتم لو متم ارقاء وبقي قيصر حياً ؛ أم ان يموت هو لتعيشوا جميعكم احراراً . . ؟ انّ قيصر أحبني ، فأنا أبكيه ، انهُ كان حظاً مبخوتاً . فأنا أفرح له ؛ انهُ كان شجاعاً ، فأنا اكرمهُ ؛ نعم ، ولكنهُ كان مطاعاً فقتلته . ها دموعي جزآء محبته اياي ، ها فرحي وسروري لطالعه المسعود ، ها اكرامي واجلالي لشجاعته ، وها كم الموت جزآء

عدلاً لطمعه ؟ هل بينكم من انحط فصار يودُّ لو كان عبداً رقيقاً ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من لا يودّ ان يكون رومانيًّا ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من سَفُل فصار لا يحب وطنه ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . . . هانذا واقف انتظر الجواب . . .

الجميع　— انه غير موجود . انه غير موجود يا بروتوس !

بروتوس — اذن فليس لي فيكم خصم . اني لم افعل بقيصر غيرَ ما كنتم تفعلونه انتم به . لقد دُوّنِ خبر موته في سجل الكابيتول وذُكِرت معه مفاخره وانتصاراته غير مبتورة ولا مقتضبة ! وكذلك ذكرت معايبه التي استحقّ الموت من أجلها غير مُبالغ فيها ولا مُغالى . (يدخل انطونيوس واخرون يحملون جثة قيصر) ها جثة قيصر قدمت يبكيها انطونيوس الذي سينال بعد موت صديقه محلاً رفيعاً في الحكومة وان لم تكن له يد في قتله . اليكم ختام القول . اني كما قتلت اعزَّ اصدقائي ايثاراً لامر رومه ، كذلك قد خبأت الخنجرَ نفسه أغمده في صدري اذا دعاني اليه داعي حبّ وطني .

الجميع　— ليحيي بروتوس ! ليحيي ! ليحيي !

العامي الأول — احملوه على الاكتاف الى بيته !

العامي الثاني — أقيموا له تمثالاً مع اجداده !

العامي الثالث — احلّوه محل قيصر !

العامي الرابع — انهُ قد جمع محاسن قيصر ، فلنتوّجه !

العامي الاول — سنسيرُ وراءه الى بيتهِ هاتفين منادين

بروتوس　— يا بني وطني !

العامي الثاني — سكوتاً . ان بروتوس يتكلم

العامي الاول — سكوتاً يا قوم

بروتوس — دعوني أذهب وحدي أيها المواطنون الصالحون . امكثوا أنتم واسمعوا ما يقوله لكم أنطونيوس . افعلوا هذا لأجلي . اكرموا جثة قيصر واهتفوا لأنطونيوس عندما يمدح قيصر . لقد سمحنا له ان يقوم فيكم مؤبناً فالبثوا مواضعكم ولا تلحقوا بي . دعوني أذهب وحدي　(يخرج)

العامي الاول — امكثوا يا قوم ودعونا نسمع أنطونيوس

العامي الثاني — ليصعد الى المنبر فنسمعهُ . اصعد يا أنطونيوس النبيل

أنطونيوس — اني مدين لكم من فضل بروتوس . . .　(يصعد الى المنبر)

العامي الرابع — ماذا يقول عن بروتوس ؟

العامي الثالث — انهُ يحسب نفسه مديناً لنا وذلك من فضل بروتوس

العامي الرابع — لقد أحسن صنعاً . فخير له ان لا يشير بكلمة سوء الى بروتوس

العامي الاول — تالله لقد كان قيصر عاتياً !

العامي الثالث — أكيد . مباركٌ لنا خلاص رومه منهُ

العامي الثاني — اسكتوا . دعونا نسمع ما يقول أنطونيوس

أنطونيوس — أيها الرومانيون الكرماء !

الجميع — اسكتوا . دعونا نسمعهُ

أنطونيوس — أيها الرومانيون مواطنيَّ وأصدقائي . أعيروني سمعكم . لقد جئتُ لأدفنَ قيصر لا لأؤبّنَهُ . ان الشرّ يعيش بعد فاعله أما الخير فيدفن الى جانب رفاته . فليكن حال قيصر كذلك . . . ! خطب فيكم بروتوس النبيلُ فأراكم ان قيصر كان يطمح ببصره الى الملك . إنْ صحَّت التهمة فانها لكبيرة على قيصر ، وقد نال عليها جزاءهُ كبيراً . ها أنا واقف لديكم الآن أقول كلمتي في قيصر . لقد سمح لي بذلك بروتوس النبيل ورفاقه النبلاء . ان قيصر كان صديقي — صديقاً عادلاً أميناً — ولكنَّ بروتوس يظنهُ كان مطماعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك

في كلامهِ . لقد جاء قيصر من فتوحاتهِ بأسارى لا يحصى عددهم ، فاذا ما فداهم الفادون ملأ بالأموال خزائن رومه . فهل كان ذلك من قيصر طمعاً ؟ كان قيصر يذرف الدمع ان رأى فقيراً باكياً . واللهِ ان للطمع غير هذه الاخلاق ! ولكنَّ بروتوس يراه مطاعاً . وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . أما رأيتم يوم لوبار كال وقد قدَّمتُ له التاج ثلاثاً فردَّني خائباً ثلاثاً ؟ أهذا ما يسمونهُ طمعاً ؟ . ولكن بروتوس يقول ان قيصر كان مطاعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . ما أنا مفنِّداً بروتوس ولكنني أسرد الرواية كما أعلمها . انكم قد أحببتموه كلكم فيما مضى وحاشا لحبكم ان يكون بلا سبب . فماذا الذي يقصيكم عنهُ الآن فلا تندبونهُ . ايهٍ أيها الادراك . أين أنتَ . أتركتَ رؤوس بني آدم وفررتَ الى الوحوش الضارية ؟ عونك . عونَك . ان قلبي فارقني ولحقَ بقيصر في هذا التابوت . حنانيك قلبي عُدْ اليَّ

العامي الأول — أرى معظمَ كلامه معقولاً

العامي الثاني — لو تدبرتَ الأمر لوجدتَ ان قيصر قد ظُلِم

العامي الثالث — اذن فسيظلم غيره بعده

العامي الرابع — هل تنبهتَ الى ما قال عن التاج ؟ انهُ لم يقبل التاج . اذن لم يكن طامحاً الى الملك .

العامي الأول — ان صحَّ القول فسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون

العامي الثاني — مسكين أنطونيوس ! لقد احمرَّت عيناه كالنار من البكاء

العامي الثالث — انهُ لأنبلُ رجلٍ قام في رومه

العامي الرابع — اسمعوا . لقد عاد يتكلم

أنطونيوس — بالأمس كنّا وكلمةُ قيصرَ تقفُ في وجه العالم كله لا تُردّ واليوم نحن وها هو ملقىً الى الحضيض أوضعَ من ان يُرمق بنظرةِ اكرام . . . أيها السادة !

لو أردتُ ان أحرّك عاطفــةَ قلوبكم وأفكاركم . أو ان أثيرَ غضبكم لخطّأتُ بروتوس ولخطأتُ كاسيوس ولخطأتُ غيرهما كثيرين . ولكنني لا أفعل ذلك أبداً انهم نبلاء أشراف . كيف أجسر ان أخطّئهم . اني اوثر ان أخطّئ الميت وان أخطّئ نفسي وان أخطئكم جميعاً على ان أنسبَ الخطأ لرجالٍ كرام مثل هؤلاء . أرأيتم هذه الوثيقة بيدي . انها مختومة بخاتم قيصر . وجدتها في خزانتهِ . هي وصيتهُ لو سمع أهلُ رومه مضمونها. عفوكم فلستُ بقارئها لكم . لو سمع أهلُ رومه مضمونها لجأوا الى قيصر يلثمون جراحهُ ، ولخضّبوا مناديلهم بدمه الكريم ، لا بل لتسوّلوا شعرةً من شعرهِ يحفظونها أثراً خالداً يتوارثها ابناؤهم من بعدهم

العامي الرابع — اقرأ الوصية . اسمعنا الوصية يا أنطونيوس

الجميع معاً — الوصية ! الوصية ! اسمعنا وصية قيصر !

أنطونيوس— صبراً أيها الاصدقاء الكرام . فلستُ بقارئها . لا يليق ان تعلموا كم كان قيصر يحبكم . ما أنتم من خشب . ما أنتم من حجارة . ان أنتم الاّ رجال— رجال من لحم ودم اذا ما سمعتم وصيتهُ ثُرتُم وقامت قيامتكم وطار صوابكم ! لا لا . خير لكم ان لا تعرفوا مضمونه . خير لكم ان لا تعلموا انه أوصى لكم بما ملكتْ يداه ! اهٍ ما أوخم العاقبة لو علمتم !

العامي الرابع — اقرأ الوصية . لا بد من سماعها يا انطونيوس . محتّمٌ عليك ان تقرأ وصية قيصر

انطونيوس – أتصبرون على ذلك ؟ أتستطيعون ان تمكثوا بعد ؟ لقد جاوزت الحدَّ اذ ذكرتها لكم . انى أخشى إغضاب هؤلاء النبلاء الذين أغمدوا خناجرهم في صدر قيصر . انى أخشى ذلك كثيراً

العامي الرابع — قل خونة . لا تقل نبلاء !

الجميع　　— الوصية ! الوصية !

العامي الثاني — تباً لهم من قتلة . سفكة ! الوصية . اقرأ الوصية !

انطونيوس — لقد أحرجتموني فجبرتموني على قراءتهـا . دونكم جثة قيصر . التفّوا حواليها ودعونى أنزل اليكم فأريكم الرجل الذي كتب الوصية . هل تسمحون لي بالنزول ؟

الجميع — انزل . انزل

العامى الثانى — انزل

العامى الثالث — سنفسح لك مجالاً بيننا

العامى الرابع — التفوا على شكل حلقة

العامى الأول — ابعدوا عن الجثة

العامى الثانى — افسحوا مجالاً لهذا النبيل انطونيوس

انطونيوس — لا تقربوا مني كثيراً . افسحوا لي قليلاً

كثيرون — لا تضيّقوا عليهِ . افسحوا المجال . ارجعوا

أنطونيوس — ان كان في مآقيكم دمع فاذرفوه الآن (يشير الى رداء قيصر) كلكم يذكر هذا الرداء . هو رداء قيصر ارتداه ليلةَ صيفٍ وجلس في قباب مضروب على أثر عودته من نصرٍ مبين على أعدائكم [1] . انظروا . هنا مرَّ خنجر كاسيوس . تبيّنوا طعنة كاسكا الحاقد . انها مزّقت الرداء تمزيقاً. وهنا طعن بروتوس المحبوب طعنتهُ . بروتوس حبيب قيصر وملاكه الحارس . حدّقوا في طعنتهِ انظروا كيف نزع النصل المشومَ ففتح باباً خرج منـهُ الدم يجري ليتحقق القارع القاسي . ايهٍ أيتها الآلهة ! قولي كم كان قيصر يحب هذا الطاعن ! انها لأشدُّ طعنة أصابت قيصر . فانهُ عندما رأى بروتوس يطعنهُ ، التفَّ بردائه وخبأ وجهه وسقط الى جانب تمثال بومباي قتيلَ الغدر ونكران الجميل اكثر منهُ قتيلَ السيوف والخناجر. بالسقوط

(١) هي موقعة نرفي سنة ٥٧ قبل المسيح وتعد من اشهر مواقع يوليوس قصير

قيصر من سقوط ! أي مواطنيَّ الاعزاء انّا سقطنا كلنا بسقوطه ، أنا وأنتم وكل الرومانيين . أما الغدر والخيانة فانتصرتا وعاشتا على ظهورنا . أراكم تذرفون الدمع كقطر الندى . لقد مسّت الرحمة قلوبكم . كلٌّ هذا وقد شاهدتم الرداء ممزّقاً فما تصنعون لو نظرتم الى الجسد مهشماً (يرفع الرداء عن جسد قيصر) هاكم قيصر . ها جسده شوّهتهُ أيدي القوم الخائنين

العامي الاول — يا لهول المنظر !

العامي الثاني — يا لقيصر النبيل !

العامي الثالث — يا لشؤم هذا اليوم !

العامي الرابع — آه أيها الخونة السافلون

العامي الاول — انهُ لمنظرٌ دمويٌّ فظيع

العامي الثاني — سننتقم له

الجميع — الانتقام ! الانتقام . هلموا ننتقم . اركضوا . احرقوا . اقتلوا . اذبحوا . لا تدعوا خائناً يفلت

انطونيوس — قفوا . قفوا ايها المواطنون

العامي الاول — سكوتاً . اسمعوا لانطونيوس النبيل

العامي الثاني — تسمعهُ . نتبعهُ . نموت معهُ

انطونيوس — حلمكم ايها الاصدقاء الصالحون . حلمكم اخوانى الاعزاء . ما قصدتُ أن أحرّكَ طوفان ثورتكم . انَّ الذين أقدموا على هذه الفعلة لأقوامٌ نبلاء حكماء قد يكون لهم من أنفسهم عذرٌ لا أعلمهُ يبرّرهم في أعينكم . لم آتِ لأحوّل قلوبكم عنهم فلست بالخطيب المفوّه مثل بروتوس . ما أنا الاّ ذاك الرجل الساذج الذي يحبّ صديقه . والذين سمحوا لي بالكلام يعلمون ذلك حقَّ العلم . ليس لي فهم ولم أتعلم الحكمة ولم أُعطَ موهبة الخطابة لأثيرَ فيكم دمكم . اني اهرفُ بما اعرف

منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء التاسع — يناير (ك ٢) ١٩١٣ — السنة الثالثة

العام الجديد

صدَّ عني ولا عجَبْ … كلُّ شيءٍ لهُ سببْ
ذهبتْ ساعةُ الرضى … وأتتْ ساعةُ الغضبْ
مستبدٌّ بحكمهِ … فأنا مثل ما أَحبْ
تارةً صاحبُ المنى … تارةً صاحبُ الكُرَبْ
فلقاه بهِ الهنا … وفراقٌ بهِ التعبْ
كلُّ ذنبي لأنَّ لي … فيهِ صدراً قد التهبْ
ولأني عشقتهُ … باردَ القلبِ والشَّنَبْ

***

أيها العامُ مرحباً … بالمنى فيكَ والأربْ
قلْ فما أنتَ حاملٌ … بين بُردَيك من عجبْ؟
رايةَ السلم أم تُرى … رايةَ الحزبِ والحرَبْ
فائتلافاً بهِ المنى … أم خلافاً بهِ العطَبْ

أترى الترك أم عُدا ... تهمُ تكسبُ الغلَبْ
وهل الشرقُ بعد ذا ... ك بأمنٍ من النوَب
أم هي النار في رُبى الـ ... ـغرب يعلو لها لهَبْ
وقوى العالمين في ... معركِ الخُلفِ والصَّخَبْ
فالسما مكفهرَّةٌ ... والفضا اهتزَّ واضطرَبْ
كلٌّ هذا لأجل شبـ ... ـرٍ من الأرض يكتسبْ
يا عقول الآنام ما ... زلتِ في أوضعِ الرتب
ايهِ سوقَ الوغى لقد ... هزَّني نحوكِ الطرَبْ
لا فما حدَّث الروا ... ةُ ولا كاتبٌ كتبْ
مثلما عنكِ قد رُوي ... فهو أعجوبةُ العجبْ
رحِمَ اللهُ أنفساً ... غالها عندكِ العطبْ
وجيوشاً تدافعتْ ... صُعُدًا فيك أو صبَبْ
بل اسوداً تقحَّمتْ ... غمرةَ الموتِ لم تهبْ
ساقها الحكم للهلا ... كِ فماتت كما وَجبْ
يا رفات الأسود فَا ... تنثني عندكِ الركبْ

***

أيها العام هل أرى ... راحةً فيك أم نَصَبْ
أصديقاً فترتجى ... أم عدوًّا فتُجتنَبْ
كن كما تشتهي فلا ... رغبةٌ فيك أم رهَبْ

الياس فياض

المرأة المترجلة

الرجل المتأنث كالمرأة المترجّلة : كلاهما متصنع لا يطاق !

وددت احتقار زيد فقلت زيد امرأة ، وشئت تكريم هند فقلت هندٌ رجل . أنا أحتقر الرجل اذا تأنث واكرهه جهدي ، وأعتبر قليلا المرأة اذا ترجّلت ولكنني اكرهها كثيراً

للرجولية أخلاق ، وللانوثة أخلاق وكل خُلق حسن في صاحبه .

القوة تستَحبُّ في الرجل ، والضعف يستملح في المرأة . فان تعدّت القوة الى النساء فسدت ، وان تخطّى الضعف الى الرجال كان ذلاً !

المرأة اذا ترجلت خير من الرجل اذا تأنث . هي تطمع بأن يكون لها شرف الرجولية . وأما هو فليكون له ماذا ؟

ولكنه لأيسر في نظري أن يتأنث الرجل من أن تترجل المرأة .

الويل كل الويل من الضعيف اذا قدر ، والمظلوم اذا احتكم

ليس الشرّ في ان يتحوّل الذئب الى حمل ، ولكن الشرّ كل الشرّ في أن تصير النعجة ذئباً

وليس الرجل ذئباً من طبعهِ ولكن المرأة اذا ترجلت تحوّل ضعفها الى شراسة فكانت شرّ الذئاب !

هي مخلوقة ضعيفة لا تفهم معنى القوة فاذا وجدَت القوة اتخذَتها سلاحاً ذا حدَّين !

قبيح في الرجل الضعف ، وأقبحُ منـه القوة في المرأة . التصنّع في

الأخلاق كالترقيع في الأثواب . تالله ان التصنّع والتكلّف لا يحتملان ولو كانا من المشخصين أنفسهم وهم على المسرح !

***

كرهتُ الرجل يدّعي لنفسهِ ما لغيره لأنني لا أحب الرياء . ولكنني اذا ادهشني الرياء في الرجل لأنهُ حادثٌ فيهِ ، فليس يدهشني الرياء في المرأة لأنهُ خلُقٌ فيها . ذلك ان الصدق من طبائع القوة ، والكذب من مستلزمات الضعف . ولقد تنعكس القاعدة أحياناً فيجيء الكذب مع القوة ، ويجيء الصدق مع الضعف فيكون مجال للدهشة حينئذٍ

وان شرّ ما ولّده الضعف الفطري في المرأة الكبرياء والدعوى !

ألا ترى ان الضعيف تستهويه القوة فيريدها لنفسه فلا يستطيعها ، فيتطلبها بالوهم الباطل؟ أوَليست الكبرياء والدعوى مجرد توهم في الانسان للقوة والفضل ؟

الكبرياء في المرأة شرّ الرذائل فيها ، والادعاء أقبح خلالها . والكبرياء في الرجل رذيلة ولكنه ليس شرّ الرذائل فيه ، والادعاء ضعف وخلل فيهِ ولكنهُ ليس بالضعف والخلل الأعظمين

قد يتكبر الرجل ويكثر من الادعاء ولكن قوته تجيز له هاتين الخلتين وتستر عليهِ قبحهما بعض الستر . أما المرأة فلست أرى فيها ما يجيز لها الكبرياء ويسامحها على الدعوى الاّ اذا استجزنا ضعفها واستسمحناه وحينئذٍ تظهر فيها بشاعة هاتين الرذيلتين بكل مظاهرها المستقبحة !

خيرٌ لك ان تعادي امرأة تحب منك التملق وتتطلبه لنفسها من ان تملّقها . شرّ خطإٍ يرتكبه الانسان أن يتملق المرأة ؛ لأن المرأة على ضعفها ورغبتها في القوة تتناسى التملق وتحسبه حقيقةً واقعية وثناءً صحيحاً فتكون حينئذٍ كالمهرة الجموح لا تردّها شكيمة ، ولا يُمسك بها رسن !

قد تأتي المرأة عملاً من أعمال الرجال فتستحسنه منها فتقول لها : أحسنت يا سيدتي ! ولكنه لأهون عليك لو قطعت لسانك وكسرت قلمك فلم تقل لها هاتين الكلمتين . ان البرهان في التجربة لو شئت !

هذّب المرأة على معرفة نفسها فذلك خير مؤدب لها ، أو لا فكن أصمّ فلا تسمع ، وأحمق فلا تفهم

***

المرأة كالقلعة أعدى اعدائها في داخلها . اذا هي قويت على المؤثرات الخارجية فلن تقوى على عواطفها الداخلية . وانهُ لأيسر على قلعة يحاصرها العدو أن تجيّش عليها الجيوش حواليها ، من ان يخونها جنديٌّ واحد في داخلها

المرأة لا تستطيع أن تكون قاضياً لأن عواطفها تتغلب دائماً على عقلها

لا تسألها العدل فانها لا تستطيعه . قلبها الذي يحكم ، وعقلها الذي يطيع ! عبثاً تحاول منها ان تكون غير ذلك !

تاريخ الجندية العثمانية

كانت نظارة المعارف العمومية في الاستانة قد أدخلت في برنامج المدرسة الملكية العليا -- قبل تسعة عشر عاماً -- درس (قانون التجنيد) واختارت لتفسيره وتدريسه المرحوم رفيق بك مانياسي زاده الذي صار في زمن الدستور وزيراً للعدلية والمذاهب ثم توفاه الله اليه. وهذا الفصل مقدمة لتلك الدروس وهو يتناول تاريخ الجندية العثمانية نقله الى العربيه صديقنا الكاتب الفاضل محب الدين افندي الخطيب :

لم تكن أمور الجندية في أوائل سلطنة آل عثمان موسسة على أساس متين ، وانما كان أفراد الامة القادرون على معاناة الحرب والنضال يتقلدون أسلحتهم يوم الزحف ويتقدمون للدفاع عن الدين والوطن . وكانت الجنود في عهد السلطان عثمان موسس السلطنة وفي عهد أرطغرل والده تسمى « فرساناً » لأنهم كانوا يؤدون وظيفة الجندية يومئذٍ ركباناً . وكان السلطان عثمان ينشر المنادين في المدن والقرى عند ما تصحُّ عزيمتهُ على الحرب ، فينادي هؤلاء بالناس الى دار الإمارة . ومع ذلك فقد كان ثمة -- غير هؤلاء المتطوعين -- عساكر خاصة وأتباع ورؤساء يوجدون دائماً حيث يوجد مركز الحكومة

وبعد سنة من استيلاء مجاهدي الاسلام على مدينة (بروسه) أصبحت هذه المدينة عاصمةً ، وصار للحكومة العثمانية مكانة خاصة بين ملوك الطوائف . وهذا ما حمل العثمانيين على العناية بوضع نظام للادارة وسنّ القوانين التي لا بد منها للسير في مضمار الحضارة والارتقاء . وكان في جملة ذلك أن نالت الجندية ونظاماتها حظاً من هذه العناية ، فتولى الوزير المدبر علاء الدين باشا أخو السلطان أورخان اختيار الاقوياء من أبناء الترك وخصهم بمقدار كاف من «العلف» وعهد الى « قره خليل الشندرلي » وهو قاضي (بلاجك) ان يزيد في عدد الجند وتنظيمه

أما مولانا القاضي خليل فقد بذل همةً فائقة في هذا السبيل ، حتى كثر عدد هؤلاء الابطال ، فرتب لكل واحد منهم مرتباً يومياً بقيمة أقچة (ربع درهم شرعي) تعطى لهم إبان الحرب حتى اذا انقضت قطع العلف اليومي عنهم واذن لهم

بالعودة الى أشغالهم الخاصة . ومن هذا يستدلّ على ان الجنود كانوا مكافين بوظيفة الجندية لمدة غير محددة

أخذ يزداد عدد هؤلاء الجنود وهم فريق المشاة ثم كثرت وظائفهم فدفعهم الطمع المركوز في فطرة البشر الى ما أفسد نظامهم ، فخطر للسلطان حينئذٍ ان يؤسس جنده على طراز آخر ، لا سيما وقد تبين أن خروج هؤلاء الجنود المشاة عن طاعة السلطان نتيجة طبيعية لنظامم القاضي بأن لا يكونوا جنوداً موظفين تماماً ، بل هم نوع من الجند المأجور للخدمة في زمن الحرب ليس الاّ

ولما تداول رجال الدولة في هذا الأمر وضع قره خليل الشندرلي لائحةً قال فيهـا ان استقلال العثمانيين يظلّ مهدداً بالخطر ما دام الجيش مؤلفاً من التركمن الروملليين ومن هؤلاء المشاة . وهو يرى ان خير دواء لهذا الداء أن يؤخذ من الفتيان المسيحيين الذين دخلوا في الرعاية العثمانية مقدار ألف شاب في بضع سنوات وتصرف لهم علف وتعيينات كافية باسم « وظائف الحضر والسفر » . فوقع اقتراح قره خليل من رجال الدولة أحسن وقع . وعلى هذا سنوا نظام (دو يشرمه) للوصول الى هذه الغاية

قضى نظام الدو يشرمه بأن تأخذ الدولة في كل سنة ما استطاعت من الاطفال المسيحيين وأن تعني بتربيتهم وتهذيبهم الى ان يبلغوا سنّ التجنيد ، وعنـدئذٍ يرسلون الى الثكنة العسكرية في العاصمة ، ويُصرَف لكل واحد منهم في كل يوم أقچة واحدة (ربع درهم شرعي) . وقد اقترح « الحاج بكتاش ولي » أحد رجال الصوفيـة على السلطان أورخان ان يطلق على هؤلاء اسم « يني شري » بمعنى الجندي الجديد فأجاب السلطان مقترحه

ذلك هو اصل الجنود الانكشارية وهذا سبب تسميتهم بهذا الاسم . ولم تكن أوروبا يومئذٍ قد ابتدأت بتأسيس الجندية النظامية ، اذ ان فرنسا نظمت جيش المشاة في زمن شارل السابع سنـة ١٤٤٧ م وأطلقت عليهم اسم « فرنك أرتير » في حين ان العثمانيين نظموا جيش الانكشارية سنة ١٣٢٦ م . وعلى هذ ا

فالعثمانيون سبقوا أوروبا الى تأسيس الجيش النظامي بأكثر من مائة سنة . ونحن نرى مؤرخي أوروبا يعزون شرف تأسيس الجنود النظامية الدائمة الى شارل السابع مع ان العثمانيين أجدر بأن يعزى اليهم هذا الشرف ، ولا ندري كيف نوفق بين ذلك وبين انصاف هؤلاء المؤلفين

كان عدد الجنود الجديدة قليلاً فاضطرَّ رجال الدولة الى تجنيد الأسراء ومع ذلك فقد ظلَّ الجيش ناقصاً فأكمل عددُه بالتبعة المسلمين . اما الاسراء والاطفال المسيحيون فكانوا يسمون « الغلمان الجهلة » . وقد اعترض هذا المشروع في بدايته بعض عوارض وذلك ان القسس جعلوا يبثون في النفوس ما احدث الضغينة بين المسيحيين المتجندين ولكن هذا لم يلبث ان زال أثره بارتقائهم في درجات الوظائف العاليـة وبالانصاف الذي كانوا يعاملون بهِ حتى دعى ذلك الى اقبال الجميع على التجند وأصبحت الحكومة في غنى عن متابعة سيرها في مشروع (الدويشرمه) وأحدثت في جنديتها صفاً جديداً سمتهُ « صف المتطوعين »

☆ ☆ ☆

سار الانكشاريون بنظام من مبتدإِ أمرهم الى يوم جلوس السلطان محمد الفاتح المرة الاولى . ولما عاد السلطان من وقعة (وارنه الكبرى) وارتقى عرش السلطنة المرة الثانيـة أخذ الرعب من خليل باشا مأخذه لأنهُ كان سبب استقالة السلطان من الملك . فأخذ خليل باشا يدسُّ الدسائس في صفوف الانكشاريين ، ويحثهم على التمرد والعصيان ، فكان ذلك مدعاةً لشرور ومفاسد كثيرة . وأول شيء توسلوا بهِ للمجاهرة بالتمرد والعصيان مطالبتهم السلطان محمد الفاتح بالاحسان (بقشيش) على أثر وفاة السلطان مراد الثاني وجلوس السلطان الفاتح وذلك بعد حرب القرمان

حاول السلطان الفاتح والسلطان سليم والسلطان سليمان وغيرهم من المصلحين الذين قلما تظفر الامم في كل زمان بأمثالهم ان يعيدوا روح النظام الى هذا الجيش الذي ما حارب الاّ ظفر ، ولكن ذهبت عبثاً كل مساعيهم وظلَّ الشر والفساد ممزوجاً بتلك الشجاعة والهمم . وكذا ظلَّ الانكشاريون يجنون ثمار النصر في

الحروب فيزيدون في شرف دولتهم ومجدها . ويحدثون القلاقل والفتن الداخلية في زمن السلم فيضعضعون بنيان البلاد . ولما كان عهد السلطان محمود الثاني بلغت الروح التراق وجاوز الحزام الطبيين فأدرك السلطان ان لم يبقَ لوجود هذا الجيش فائدة تذكر وكان قد أحس منذ كان وليّ العهد بمسيس الحاجة الى جيش معلّم فشرع سنة ١٢٤١ بتأليف جيش دعاه (اشكنجي) وأبلى في هذا السبيل بلاء حسناً ثم نجح في محو اسم الانكشارية من الوجود

أولئك هم الانكشاريون الذين رفعوا مجد الدوله الى هام العلى وأسمى الذرى ثم دخل بينهم خليط من السفلة والادنياء فأفسدوا تربيتهم و بدلوهم من النظام اضطراباً ومن الطاعة والامتثال تمرداً وعصياناً فتجاوزوا حدودهم وطوحوا بالبلاد الى مهاوي الهلكة ومدارج الانحلال حتى أدركهم السلطان محمود الثاني فدمرهم وأنقذ البلاد من شرورهم . وسنّ قانوناً جديداً كان من مقتضاه ان جمعت جنود جديدة باسم (العساكر المحمدية المنصورة) وكان السلطان جديراً ان يدعى باسم (مجدد القوانين العثمانية)

* * *

ولما جلس السلطان عبد المجيد على سرير الملك أيد مشروع أبيه بنصّ الخط السلطاني الذي قرئ في الكلخانة وكان فيما جاء عن الجندية في الخط السلطاني « ان طريقة الجندية حتى الآن لم يكن يلاحظ فيها عدد نفوس كل بلدة بل يطلب للجندية من بعض البلاد ما يزيد عن درجة احتماله ومن البعض الآخر أقلّ مما يجب ، وهذا أمر ينافي العدل من جهة ويضرّ في شؤون الزراعة والتجارة من جهة ثانية ، وفوق ذلك فان استخدام فريق من الناس في الجندية طول العمر يبعث في نفوسهم الملل واليأس وينتج قلة النسل — من أجل ذلك تفضلنا بابطال هذه الطريقة العقيمة والجري بعد الآن على طريقة خير منها يكون من شأنها ان يطلب للجندية من كل بلدة مقدار معين لزمن معين . ولهذا تفضلنا في هذا الخط السلطاني بوضع طريقة القرعة العسكرية وسننا لذلك نظامات خاصة »

ولما كان الدفاع عن الدين والذبّ عن حياض الدولة فريضة على كل مسلم صحيح الجسم فقد أصبح من المحتم على كل من أصابتهُ القرعة من المسلمين المقيمين في البلاد العثمانية ان يطيع أمر النظام ويدخل في سلك الجندية ، الاّ من كانت لهم موانع شرعية أو امتيازات خاصة

يتبين من هذا أن فريضة الدفاع عن الدين والوطن خاصة بالافراد المسلمين وأما المسيحيون المتوطنون في بلاد السلطنة والمتجنسون بجنسيتها فقد أسقطت عنهم فريضة الجندية في مقابل ضريبة خاصة معينة يدفعونها باسم (البدل العسكري)

وأكثر الدول المتمدنة اتخذت طريقة القرعة في جنديتها بعد تاريخ قراءة خط الكلخانة السلطاني في البلاد العثمانية . ولقد تدرج العثمانيون بجنديتهم منذ ذلك الحين في مدارج الاصلاح والتعديل وأهم هذه الاصلاحات النظام الذي أعلن يوم ٢٧ صفر سنة ١٣٠٤ فان بذلك بلغت جنديتنا ارتقاءها الحاضر

خطرات

« لكارمن سيلفا – ملكة رومانيا الحالية »

* المرأة الساقطة تنظر الى المرأة الشريفة كما تنظر الى المرآة التي تريها شناعة خَلقها فهي تودّ لو حطّمتها

* كثرة الكلام تذهب بجوهر الافكار وما تبرح تحوّل ذهبها الى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيراً

ويقرب من مغزاه في العربية المثـلُ السائر : « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »

* العقل كالملِك يسكن كوخاً ، فان مجرَّد وجوده يحوّل ذلك الكوخ الى قصر

* الديانات أوحت الفن ولكنه قلما كان أصحاب الفنون قديسين !



في رياض الشعر

الملك المظلوم

(هدية الى الفاضلة المصونة البرنسيس
الكسندرا أفيرينوه فيزنيوسكا)

مكانكَ الأفقُ فما أنزَلكْ ... بُدِّلتَ عنهُ الأرض أمْ بَدَّلكْ
يا مَلَكَ اللهِ أيرضى المَلَكْ ... مُلكُ الثرى من بعد مُلك الفلكْ ؟
كلاَّ . فلنْ تألفَ هذا الأنامْ ... خُلقتَ من نورٍ وهُمْ من ظلامْ

* * *

أين جناحاكَ ؟ متى فارقاكْ ؟ ... قد سقطا في الأرض أمْ في السِّماكْ ؟
لو صدَقاكَ الوُدَّ ما زايلاكْ ... بل صعدا للأفقِ واحتملاكْ
إنك أولى بمجدٍ ذاكَ المقامْ ... مِثلكَ لا يهنأُ فوقَ الرَّغامْ

* * *

مَنْ عندنا يفهمُ هذا الجمالْ ؟ ... أيُّ امريءٍ يهوى صفاتِ الكمالْ ؟
أنتَ خيالُ الحبِّ نِعمَ الخيالْ ... حذارِ ، لا تدخلْ قلوبَ الرجالْ
تلكَ قلوبٌ دهرها في اضطرامْ ... كأنها موقدةٌ بالآثامْ

* * *

ان تُؤْتَ خيرًا بينهم يحسدوكْ ... وانْ تجُدْ بالفضلِ لا يحمَدُوكْ
دانَيْتَهمْ لكنهم أبعدُوكْ ... لو صرتَ ربَّ القوْم لم يعبدوكْ
أفٍّ لخلقٍ ليسَ فيهِ كِرامْ ... هَلْ كرَمٌ يسكنُ هذي العظامْ

* * *

تَبقى لياليكَ وتفنى المنى ... بين الهموم الكثْرِ بينَ الضنى
وَيلي فكم تحملُ هذا العنا ... كمْ تشتكي أنتَ وأبكي أنا ! !

قدْ نفدَ الدَّمعُ فهلْ للغمامْ　　كدمعي إن زاد فيـهِ الهيـامْ

*

تفتنُ لكنْ لستَ تدْري الفِتنْ　　كذاك يؤذي كلُّ شيءٍ حسنْ
بهذهِ الروح وهذا البدَنْ　　تلقى مِنَ النـاسِ سهامَ الضغِنْ
لله ما أظلمَ تِلك السهـامْ !　　ألم تُصب غيرَ فؤاد الغرامْ ؟

*

تغفرُ جُرْمَ النـاس ان أجرَموا　　وتحمِلُ الظُّلمَ ولا تظْلمُ
قد غنموا منكَ ولا تغنَمُ　　منهم ولوْ تعلمُ ما أعلمُ
خاصمتَهم عدلاً وانَّ الخصامْ　　أعدلُ ما يجبو الكرامُ اللئامْ

*

أبكيكَ أمْ أرثيكَ هلْ نافعُ　　دَمعٌ ونَوْحٌ والقضا واقعُ ؟
هذا شقـاءٌ ما لهُ دافعُ　　إسمعْ فانَّ الله لي سامعُ
قلْ أيهـا الارضُ عليكِ السلامْ　　تحيـةً بالدَّمع لا بالكلامْ

ولي الدين يكن

صدى نشيد نهر الصفا

نشرنا في الجزء الماضي من «الزهور» شعراً منثوراً للكاتبة الفاضلة «مي» عنوانه «نشيد نهر الصفا» وفي الايات التالية صدى لذلك النشيد لشاعر ليس أبين «الصفا» بأحن من أنينه

هلْ دَرَتْ « ميٌّ » واللآلئُ تجري　　بحفيفِ النسيمِ بين الغصونِ
وهي في عالمِ الخيالاتِ سكرى　　بمعاني « ڤينوس » أو « أبُلّون »
أنَّ « ورقاء » ذلك النهرِ سرًّا　　سرقت كُنهَ سرّهـا المدفونِ
ودَرَتْ ما وراءَهُ من دموعٍ　　ودَرَتْ ما وراءَهُ من شؤونِ
واستقلّت تُذيعهُ من بلادٍ　　لبلادٍ حتى انتهت في الصين

هاجها شجوُ « أُختها » وهي تُصغي لأنينِ الأرواحِ ريَّا الجفونِ
فهمتْهـا وقد تلاشت وتاهت روحُها بينَ نشوةٍ وحنينِ
ورأتْهـا تخطُّ أنيَ « لغزٌ » في ضميرِ الوجودِ غير مبينِ
فأرفَّت بالجـانحينِ وحنّت وأسرَّت الى فتـاةِ الشجونِ
لستِ « لغزاً » بعد الوجودِ ولكن كنتِ لغزاً من قبلمـا أن تكوني

الكوخ الاخضر غبريال

﴿ هدية رأس السنة ﴾

جذبتني يومَ الخميسِ وقالتْ بعد يومين . . . قلتُ انيَ أدري
بعد يومين يقبلُ العيدُ — قالت والهدايا بين الأحبـةِ تجري
قلتُ ذي عادةٌ — فقالت وهل تفكرُ فينا ؟ أجبتُ أنتِ بفكري
سوف أُهدي اليكِ من خالص الجو هرِ عقـداً مرصعـاً بالدرّ
سوف أهدي اليكِ قرطاً ثميـناً و (بُروشاً) مذهّبـاً للصدرِ
سوف آتيكِ بالخواتم عشراً تزدهي منكِ في أصابعَ عشرِ
سوف ... قفْ قالت الفتـاةُ وقد مالتْ بغصنٍ يزهو بطلعةِ بدرِ
مازحٌ أنتَ او تقول اذن مِن أيّ أرضٍ غنمتَ أو أي بحرٍ ؟
فتبسمتُ ثمَّ ملتُ قليـلاً نحوهـا والهوى يشدُّ بأزري
وبلا اذنـٍ قد نثرتُ بأذنيـ .ها كلاماً كأنهُ نثر زهرِ
انمـا هذهِ اللآلي — ولا أنـ كرُ يا هندُ — من خزائنِ شِعري

* * *

عند ذا افترَّ ثغرهـا ثمَّ قالت انـ هذا اللسانَ آلةُ سحرِ

بشارة الخوري

﴿ السيف والقلم والمحراث ﴾

كان محمد توفيق افندي علي ضابطاً في الجيش المصري وهو شاعر من اكابر الشعراء فكان اذا خلا لنفسه من مهام الجندية استيقظ الشاعر الرقيق في صدر الجندي الباسل ، وحلّ القلم في يمينه محل السيف فنظم تلك الدرر التي كان يهديها الى «الزهور» ففي السودان آثار جنديته وفي « الزهور » آثار شاعريته . ولقد جاءنا منه انه استعفى من الجيش وانقطع الى مزرعة له مؤثراً صحبة المحراث على صحبة السيف والقلم فكتبنا اليه نستطلع امره فكان جوابه الابيات الآتية

لا السيفُ في «مصر» يرضيني ولا القلمُ ... كلاهما في يمين الحرّ منثلمُ

جرَّدتُ سيفي وأقلامي وبي أملٌ ... واليومَ أغمدُها يأساً وبي ألمُ

يُريد بي الدهر لا تمّتْ إرادتهُ ... ذلاًّ وفقراً ويأبى العزُّ والكرمُ

سأصرفُ العمرَ حُرًّا لا يقيّدُني ... الاّ التقى والنهى والمجدُ والشممُ

وأطلبُ المالَ لا زهواً ولا سرَفاً ... فإنما المالُ في أهل النهى ذممُ

وخيرُ ما يَقتني المصريُّ مزرعةٌ ... يشقى بها الفاسُ والمحراث والنَّعمُ

* * *

باللهِ يا سيفُ هل ضُمَّت عليك يدٌ ... في الرّوع مثلُ يدي والهولُ يحتدمُ

وهل سواي فتىً زانتك صحبتهُ ... يغشى بك الموتَ مختالاً ويقتحمُ

ألستَ كنت ترى حقّ الرئاسة لي ... ان راحَ يخفقُ فوق الفيلقِ العلمُ

لكنّ للدهرِ جيشاً من حوادثهِ ... اذا رآنيَ ولّى وهو منهزمُ

ويا يراعيَ انَّ الصمتَ من ذهبٍ ... لا يسمعونَ وفي آذانهم صممُ

قد يُسجنُ البلبلُ الغرّيدُ في قفصٍ ... وينعبُ البومُ في الآفاقِ والرّخمُ

للهِ بهجةُ حقلي ما يماثلها ... في حسنها السيفُ مصقولاً عليهِ دمُ

ويا سطوراً بمحراثي أدبجها ... لا يستقلُّ بها القرطاسُ والقلمُ

تفتّح الزهرُ منها عن مباسمهِ ... وراح يرتع فيها مقلةٌ وفمُ

هذا هو الخير معسولاً مواردُهُ ... هذا هو العيشُ الاّ انهُ حُلمُ

محمد توفيق علي

﴿ أُولاه وأُخراه ﴾

وَيلي لحالة صبٍّ شطَّ مغناهُ عن الأحبة لا بل ألف ويلاهُ
مضنى الحشا والهٌ زاد الغرامُ بهِ ودمعهُ من دم الأحشاء مجراهُ
كم ليلةٍ باتَ يرعى النجمَ ناظرهُ طوراً وطوراً نجوم الأفق ترعاهُ
ذا مقلة للقا الأحبابِ ساهرةٍ يا حبذا لو ترى الإغماضَ عيناهُ
لعلَّ طيفَ خيالٍ من أحبّته يزوره سَحَراً ان عزَّ مسراهُ

* * *

اللهَ في مغرمٍ ذابت حشاشتهُ والسهدُ برَّحهُ والوجدُ أضناهُ
يهيمُ في كل وادٍ بادّ كاركمُ منهُ فؤادٌ لقد طارتْ شظاياهُ
رفقاً بمهجةِ صبٍّ ما له ولكم هجرتموه فزادت بعدُ بلواهُ
شكاكمُ بثّهُ مما ألمَّ به من الغرامِ ولم تُصغوا لشكواهُ
ما أقبح الموت الاّ في هوى رشاٍ يهواكَ في الحبّ اخلاصاً وتهواهُ

* * *

مُنايَ يا دمتَ في عزّ وفي سعةٍ وفي جنابٍ مريع طابَ مثواهُ
لو كنتَ تعلمُ في حالي وشقوتها وما أقاسيهِ من قومي وألقاهُ
أُدعى غريباً واني بين أظهرهم ولي بذي الحال في بغدادَ أشباه (١)
فكلما قمتُ أدعوهم لنهج هدًى قاموا ينادونَ إياكم ودعواهُ
هذا هو الكافر المرتدُّ مذهبهُ أتى بدينٍ جديدٍ ما عرفناهُ
محرَّم ما وجدنا السالفينَ على منهاجه وعن الآبا أخذناهُ
اذاً عذرتَ فتىً وافى بمعذرةٍ والحبّ أولاهُ معروفٌ وأخراهُ

(بغداد) كاظم الدجيلي

(١) في هذا اشارة الى ما لقيه فريق من دعاة الاصلاح في بغداد وذكرته الجرائد في حينه

في جنائن الغرب

الحرب

« عن الفيلسوف جوزيف دي مستر[1] »

نرى في ميدان الطبيعة الحية قوةً غريبة كأنها غضبٌ محتوم يُسلط جميع المخلوقات على بعضها بعض، حتى يظهر حكم الموت مكتوباً على حدود الحياة كلها . فاذا أغفلنا الجماد رأيناه يبتدىء بالنبات ، ويتناول أصغر عشبة تنبت الى اكبر شجرة تمو . كم غصن ذوى وكم زهرة ذبلت . . . غير انه يتجلى هذا الحكم في الحيوان في أفظع حقائقه كأنَّ هناك دافعاً خفياً ظهرت نتيجته مشيرة الى اصل الحياة بوسائط قاسية . ففي كل طائفة من طوائف الحيوان عددٌ يفترس قويّها ضعيفها . فهي بين حشرات تقتنص ، وزحّافات تبتلع ، وطيور جارحة ، وذوات أربع كاسرة ، بحيث لا تمرّ برهةٌ الاّ قتل حيوانٌ حيواناً

(١) هو الكونت جوزيف دي مستر (١٧٥٤ — ١٨٢١) ولد في شانبيري من أعمال فرنسا ، وأرسله ملك سردينيه الى بطرسبرج سفيراً مفوّضاً ، فأقام في عاصمة روسيا سنين عديدة ورجع الى بلاده سنة ١٨١٧ . وهو فيلسوف عميق الفكر غريب الابحاث ، صنف مؤلفات كثيرة منها كتاب «البابا» و«نظرات في فرنسا» . ولكن أهم مؤلفاته كتاب «ليالي بطرسبرج» الذي ترجمنا عنه هذه المقالة . وقد تناول فيه البحث عن تصرّف العناية الالهية وملكها الزمني في هذا الكون . وفي سائر مصنفاته ترى الفيلسوف متحزباً لحكومة الفرد ، مدافعاً عن الدين المسيحي اشد دفاع ، قاذفاً ومشهراً بكتاب القرن الثامن عشر كفولتير وروسو وسواهم . وهو جزل الكلام فصيح العبارة ، صارم الحكم والانتقاد ، لم تدخل مؤلفاته فرنسا الا بعد وفاته . وقد ظنه القراء رجلا جباراً صلد القلب والعواطف ، حتى اذا نشرت رسائله العائلية والسياسية سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٥٨ ، رأى الناس فيه سياسياً محنكاً وأباً حازماً رقيق العواطف سهل الخلق لين الجانب . غير ان تحزبه الى حكومة الفرد المطلق بغضه الى الشعب وأصحاب المبادىء الديموقراطية لانهم لم يفهموه

فالحيوان أرقى من النبات ، والانسان أرقى الحيوان . وهو لا يغفل واحدة منها . لأنه يقتل ليأكل ، ويقتل ليلبس ، ويقتل ليتزيّن ، ويقتل مهاجماً ، ويقتل مدافعاً ، ويقتل متعلماً ، ويقتل لاعباً ، ويقتل قاتلاً . . . ملكٌ عظيم غاشم لا شيء يسدّ عوزه ، ولا شيء يقف امامه . تراه قد أحصى مقدار الزيت الذي يستخرج من رأس الحوت ، ثم تراه قد شكّ بابرته هذه الفراشة الجميلة الذي اقتنصها باصبعه وهي طائرة ، يحنّط التمساح ويسجن الطير ، ويخزن الحية ذات الاجراس في ماءٍ يحفظها لأعين المتفرّجين ، واذا ركب جواده ليصيد النمر كان سرج جواده من جلد ذلك النمر ؛ يأخذ امعاءَ الخرفان ليشدّها أوتاراً على قيثارة طربه ؛ وينتزع أضالع الحوت فيصنع منها مشداً لخصر الفتاة العذراء . ويستعمل عظام الذئب آلاتٍ تتقاضاها صناعاته ، ويجعل نيوب الفيل ألعوبةً لولده الصغير . ان مكاتبه لحافلة باشلاء قتلاه . غير ان الفيلسوف الذي يتتبع هذه الحوادث لا بد له من التطلع الى حيث تنتهي في هذا الكون العظيم . اذ لم يبقَ فوق الحيوان الاّ الانسان وليس غير الانسان من ينفّذ هذا الناموس عليهِ . نعم ان الانسان موكّل بقتل الانسان ، ولكن كيف يتم ذلك وهو مخلوق ملؤه الحب والشفقة ، يبكي مصائب قريبه كما يبكي مصائبه ، ويخترع خرافاتٍ لنفسهِ لكي يبكي . . . كيف يتم ذلك وقد قيل له « انهُ يُسأل عن آخر قطرة من الدم المهروق ظلماً »

الحرب كافلة تنفيذ هذا الحكم الرهيب . ألا تسمعون الأرض تهدر ظامئةً طالبةً شرب الدماء ؟ . . . لا تشفي أوارها دماء الحيوان ولا دماء

المجرمين الذين ماتوا بسيف الاحكام . ولو ان عدل البشر قضى على الكل لما بقي مجالٌ للحرب ولكنها لا تطول الاَّ عدداً نزراً لانّها تهمله في اكثر الأحايين وهي لا تدري ان انسانيتها الفظيعة تدعو الى لزومية الحرب . الأرض لا تصرخ عبثاً . هذه الحرب قد اتقدت نارها وتطاير شرارها فاذا بالانسان قد تناوله غضبٌ الهي بعيدٌ عن الحقد والغضب البشري فمشى الى ساحة القتال لا يدري ماذا يفعل ولا ماذا يريد . وهنا اللغزُ المعقَّد . اذ ان الذي يفعله الآن مباين لطبيعته ولكنهُ يفعله مستلذاً مطيعاً . ألا ترون ان الانسان في ساحة الوغى لا يعصى لكبيره أمراً . هل حدَّثنا التاريخ ان جنوداً شقوا على قائدهم عصا الطاعة ولو كان ذلك القائد من اكبر شرَّاب الدماء والقوم الظالمين

لا شيء يقف في سبيل تلك القوة التي تدفع الانسان الى الحرب فيصبح قاتلاً وهو بريء لأنهُ آلة تسيّرُها يدٌ رهيبة فيقع في المهواة التي احتفرها لنفسه قاتلاً مقتولاً وهو لا يشكّ انه هو الذي صنع الموت . .

وهكذا تنفذ تلك الشريعة الهائلة في الحشرات وفي الانسان وتبقى الأرض هيكلاً عظيماً لا تفتر اراقة الدماء على مذبحهِ بلا رحمة ولا شفقة منذ البدء الى انقضاء العالم وموت الموت . . .

خليل شيبوب

المغفرة دليلُ عدم الاهتمام والاكتراث . اذا وُجد الحب الحقيقي يجب ان لا توجد المغفرة

كارمن سيلفا

عيد الميلاد

« للكاتب الاميركي الشهير وشنطون ارفنغ »

لست أشعر بيقظة العواطف الشجية في فؤادي ، وثورة الذكرى بين جوانحي عندما نحتفلُ بالاعياد مثلما أشعر بها حينما تبدو طوالع عيد الميلاد

إخال أن في هذا العيد جاذباً علوياً يجتذب الافئدة الى هيا كل الشعور والتأمل ، ويطير بالنفوس الى فراديس المسرّات حيث تحلّق في أجواء الملذات الروحية وتتمتع باستكاناتها الى العقائد الدينية

أي شيء أعظم تأثيراً ووقعاً في النفوس ، وأسرع نفوذاً الى أوتار القلوب ، واستيلاءً على الافكار من ترنيم تلك الانشودة الملكية المنبعثة من ارجاء الهيكل الى نفس كل خاشع أمام الله في صبيحة ذلك اليوم

الغاية من العيدكما يتوهم الكثيرون مجرد تمتيع الجثمان بلذيذ الاطعمة وجديد الثياب ونفيس الحلى . ان للعيد غاية أسمى من هذه . للعيد معنى نبيل رمى به واضعوه الى تجديد المودة وربط قلوب الشعوب باسباب المحبة وتوثيق عرى القرابة بين الأسَر ، والصداقة بين الاصحاب التي فصمتها يد المصائب وعبثت بها عواصف الحياة ، فيجتمع البنون حول موقد والديهم ، ويلتئم شمل الاصحاب حول موائد بعضهم بعض ويصطبغ الجميع بصبغة العيد

ومما جعل لعيد الميلاد مزيةً وميزةً خصوصيةً على غيره هو أن

الفصل الذي يقع فيهِ فصل شتاء ، فنحن في ما سوى ذلك من الفصول الثلاثة نستمد أغلب مسراتنا من محاسن الطبيعة — من نضارة الربيع وجمال الصيف وجلال الخريف حيث كلٌّ من اخضرار المروج وتغريد الطيور وسكينة الطبيعة تستفزُّ منا كوامن السرور ، وتفتح في قلوبنا ينابيع منهُ ، اما فصل الشتاء حيث الطبيعة ملتحفة باكفانها البيضاء ، مستسلمة الى سبات الموت الى يوم تبعث في الربيع ، حيث قد تقلصت الايام وتمددت الليالي ، واكمدَّت أنوار الغزالة ونضبت عيون السرور منا نشعر بحاجتنا الى الاجتماعات ونميل الى المعاشرة لنولّد من نفوسنا سروراً لنفوسنا ، فتصبو القلوبُ الى القلوب وتشترك العواطف مع العواطف لمباثّة الاحساسات الرقيقة وتمتزج الارواح بالارواح ويتعهدها سيّال الحب فتتمّ الالفة وتتركب عناصر السعادة المشتركة ، كما تتألف العناصر الطبيعية وتساعد حرارة نار الشتاء مع تمديد الصدور المنقبضة واضاءة الثغور ببرق الابتسام وصقل غضون الجباه بمكواة الانشراح ، ثم يستهوي الكرم الجميع فيفتح كلٌّ منزله للضيوف ، وصدره للاحباب

بين هتاف الجذِلينَ ، وضوضاء المغتبطين ، وحفيف أرواح الحب ، أيُّ فؤادٍ لا يجب جوداً ، وأي صدرٍ لا تنفتح اريحيته ؟ أجل ليس فصل الشتاء الوقت الملائم لايقاظ العواطف السامية واضرام نار القرى في البيوت فقط ، بل لإِشغال جذوة الاحسان في القلوب ايضاً

أنا وان كنت نائياً عن موطن آبائي ، غريباً في هذه الاصقاع ، لا يضمني منزل والد آوي فيهِ الى ناره . ولا تصافحني كفٌّ قريب ، أو

يرحّب بي صديق فحسبي بهجة العيد التي تنفذ الى أعماق نفسي وطلعات الذين حولي السعيدة التي تُدخل فيَّ مجرى السعادة وتجعلني أشعر كأني بين أهلي وخلاّني ، لأنه حقيقةً كما يقال ان السعادة عاطفة قابلة الانعكاس كأشعة السماء ، فكل محيا يطفح ابتساماً وكل طلعةٍ تفيض حباً وابتهاجاً هي كمرآةٍ تعكس الى وجوه الآخرين أشعة السعادة وأضواء الهناء ، ومن يحوّلْ وجهه عن الاشتراك بفرح المعيدين وينزو كالحاً في عزلته تستولِ عليهِ السوداء فيضطرّ ان يطيب نفساً ويفرح مع المحتفلين ليتمَّ مهرجان العيد

كان أسلافنا في خالي الاحقاب يحتفلون بالعيد احتفالاً شائقاً ، ويرصدون من معدات الطرب وصنوف الملاهي ما يضاعف دواعي السرور اما اليوم فقد طمست مغاني تلك الحفلات واستحالت الى ما يقاربها فهي اليوم أعظم أبهة وفخامة ، ولكنها أقلُّ مجلبة للسرور وأنقص مورداً للطرب لأن قانون الاجتماع يذهب برونقها وأصفاد العادات تغلُّ القلوب فلا تستطيع وثوباً من الفرح ، ومع ذلك فعيد الميلاد في كل زمان ومكان لا يخلو من جاذبيةٍ وبهجة وحبور　　　　بدري فركوح

﴿ في حسناء اسمها وردة ﴾

وردة الروضِ قد تعيشُ قليلاً　　ثمَّ تُبلى أوراقُها بالذُّبولِ
سنّةُ الله في الطبيعةِ لكن　　وردةٌ أنتِ في جميع الفصولِ

شبلي ملاط

طربوشي بنتوفلي

لاحظتُ منذ أيام ان صبيَّ مزيّني يُطيل النظر في طربوشي اثناء تنظيفه . فتأكدتُ ان هذا الطربوش أصبح غير لائق لأن تتوَّج بهِ هامتي فأبدلتهُ بآخر فصار لديَّ طربوشان . فلبستُ الجديد ووضعتُ القديم ناحية للانتفاع بهِ في يوم ماطر ، او سفر شاق ، او مظاهرة حادة

ولكن لم تمضِ أيام ثلاثة حتى تقلَّص ظلُّ أملي في الطربوش القديم اذ قُدّم لي من قاشهِ الصفيق العتيق « بنتوفلي » من أنخر ما صنع عمال الأحذية

اذاً أصبح طربوشي حذائي ! !

فوقفتُ أمامه نحو نصف ساعة وكلما مددت قدماً للبسه أحسست بانكماش في أصابعي . لأنني مع اشتراكيتي التامة لم أرضَ لأول وهلة ان تتساوى قدماي برأسي

ولبثتُ طول النهار ولا شاغل لي غير الطربوش وتحوّله الفجائي الى « بنتوفلي » . وحدَّثت نفسي في أمره غيرَ مرّة فرأيت انه لا بأس في ان أنتعلَه لأنهُ ربما كانت قدماي أنفع وأشرف من رأسي ، بل ان رأسي يملّي عليَّ ما يؤذيني ويضرّ غيري . أما قدماي فبالعكس لا ضرر منهما ولا نفع لأحد

واذا كنت أظن ان قدميَّ لا تستحقان العناية فانني واهم لأن الناس على اختلاف طبقاتهم ينفقون على «جزَمهم» سواء في أثمانها او في تنظيفها

اضعاف اضعاف ما يصرفونه على طرابيشهم . بل منهم من يضع في جيبه قطعةً من الصوف وأحياناً علبة « ورنيش » ينظف بها من حين الى ولو بين آخر — اخوانه وأصدقائه — حذاءه الضيّق اللماع

ثم ان الرأس والقدم في درجة من الأهمية واحدة سواء في ما ورد عنهما في الكتب المنزلة او أقوال أساطين الحكمة والشعر والفلسفة

وكما يبدي المرء استحسانه او استقباحه لشيء ما برأسه فانهِ يبديهما أيضاً بقدميه . وربما كانت حركات القدمين أفعل في النفوس والعيون

وقد ذكَّرتني المسألة بأمر ذي شأن خطير . فقد كنت قبلاً تمتلئ عيناي بهجةً وحبوراً بمشاهدة الحسان وقد كللنَ رؤوسهنَّ بأفخر صنوف البرانيط . أما الآن فانني أفضل النظر الى أقدامهنَّ وحركاتها وسكناتها على التطلع الى رؤوسهنَّ سواء كانت عارية او مغطاة لتأكدي ان شعور أغلبهنَّ « عيرة » . فتلك الجدائل والضفائر والحلقات المصقولة والمنحنيات المجعدة بل كل ما تراه من الشبكات والمقصات مشترًى من السوق وتختفي تحته قطع من اللبَّاد يغمض الكثيرون عيونهم عند ما يلمحونها على طاولة التواليتْ

ومهما اجتهد امرؤ في تزيين قدميه والعناية بحذائه فان عمله لا يؤثر في غيره تأثير قلنسوات الشعور وشعور قضاة الانكليز (في بلادهم) بعقول السذّج وعامة الشعب

وأضفت الى هذا كله انهُ لولا الاقدام ومساعيها الخيرية لما كانت الرؤوس وفائدتها الادبية . فالعناية بالاقدام طبياً وذوقياً وأدبيا أسٌّ لحماية

الرؤوس . حتى ان الاميريكيّ مهما كان فقيراً معدماً يلبس برنيطة « على قدر الحال » ويصرف آخر سنت في جيبهِ على تنظيف جزمتهِ بالورنيش والبويه والبنزين والشمع

وهكذا اخذت اتدبَّر كل هذه النظريات واقارنها بعضها ببعض واخيراً قررت ما يأتي :

اولاً — الأسف على انحطاط الطربوش القديم

ثانياً — ان ألبس « البنتوفلي » الجديد في « رأس » العام الجديد

ثالثاً — ان لا أفضل رأسي على قدميّ في حال من الاحوال لأن لكل منهما عملاً لا يقوم به الآخر

وغاية الأمل ان يأتي يوم نتخلص فيهِ من شرّ الجزَم والشراريب والطرابيش والبرانيط معاً . .

وكل عام وانتم . . . نوفيق حبيب

الحقد

مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون اذا لم يجد حطباً . فليس ينفكُّ الحقد متطلعاً الى العلل كما تبتغي النار الحطب . فاذا وجد علة استعرَ فلا يطفئه حسنُ كلامٍ ولا لينٌ ولا رفقٌ ولا خضوع ولا تضرعٌ ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الأنفس وذهاب الأرواح

ابن المقفع

مستقبلنا

اذا كان قد ذهب عصر الانبياء الذين كانوا يعرفون المستقبل بقوة الوحي ، فان في عصرنا رجالاً ينظرون الى مصير الانسانية بعين بصيرتهم النيرة ، فيقولون ما نحن صائرون اليه على قاعدة سنن العمران . وقد جمعنا لقراء « الزهور » في مطلع العام الجديد شيئاً من أقوال هؤلاء المفكرين ينم عن رأيهم في مستقبل المجتمع الانساني :

* اذا نظرنا الى أطوار التاريخ يظهر لنا جلياً ان تأثير الجهل والرذيلة يضعف على التمادي كلما تقدمنا في تاريخ الانسانية . فالهيئات الاجتماعية تزداد نظاماً بل فضيلة ، ومجموع الخير يكثر ومجموع الشرّ ينقص كلما ازددنا معرفةً بالحقائق　　　　العالم برتلو

* عند ما يقال ان الترقي سنّة من سنن التاريخ لا يقصد من ذلك ان هناك قوة لازمة تولّد الاصلاح من مرور الأزمان . ان الانسان في كل زمان ومكان قد أراد اصلاح أمره فترقّى من الاصلاح الذاتي الى فكرة الاصلاح العام . فالترقي متوقف على الإرادة وحدها . على انه اذا رسخ في الأذهان يوماً ما مبدأ فلسفي قائل بتلاشي قوة الإرادة فالمدنيـة حينئذٍ تتباطأ في سيرها وتتثاقل ثم تقف　　　　الكاتب جورج بيكوت

* قصيرة هي حياة بلادٍ لا يُشيَّد بناؤها على أساس التقدّم المادي الذي هو ثمرة الاقتصاد ، ونتيجة النشاط والإقدام في الأشغال ، والاجتهاد المتواصل في ميدان الحركة الصناعية . على انهُ لم تبلغ امةٌ من الأمم الى اليوم العظمةَ الحقيقية باعتمادها فقط على تقدّمها المادّي ؛ ولذلك فانه يجب الاعتراف بفضل الذين كوّنوا ترقي الأمة سواءً كانوا من الذين اشتغلوا بعقولهم او بأيديهم في هذا السبيل　　　　روزفلت

* هوذا قد وُلدت في هذا الجيل دولة جديدة تضطرُّ اوروبا آجلاً او عاجلاً ان تحسب لها حسابها حتى في الشؤون الأوروبية نفسها . مَن تراه يقول لنا انه لا يأتي يوم نكون فيه مجتمعين للمداولة في مسئلة من نوع المسئلة الكريتية مثلاً فيفاجئنا من أقصى البحر اميرال ياباني محتماً علينا إشراكه معنا في المداولة ؟ ؟

غليوم الثاني

* ما العالَم الاَّ صورة من أفكار طائفة قليلة من أصحاب العقول المتفوّقة . هؤلاء أوجدوها وكبَّروها وزخرفوها في الماضي، ومثل هؤلاء لا يفتأون يكبرونها ويزخرفونها الى أبد الآبدين

جبرائيل دانونزيو

* لا يتعلم الانسان الحرية الاَّ من الحرية نفسها فالانسانية تكتسب قوة جديدة في كلّ مرة يُفكُّ قيد من قيودها . فليكن واجب الحكومة اذن نزع القيود ، وضمانة العدل بين الجميع

جورج كليمانصو

* عيب الهيئة الاجتماعية في حالتها الحاضرة مغالاتها في مبدأ المركزية. ومهمَّة اليوم مهمة استعداد لا مهمة قتال . ان نظام الديموقراطية الحقيقية لا يتأتى عن تسلط رجلٍ او عصبة من الرجال او ملِك او مجلس نيابي او زعيم او حزب، ولكنهُ يتأتى عن تقدم طبيعي في طوائف الاجتماع بعد ان تتمتع بكامل استقلالها . فالمركزية اليوم تضغط على هذا الاستقلال وتقيد هذا الترقي فيجب نسخها بتاتاً

بول بونكور

* اذا كان الانسان يقضي شيخوخته في التحسُّر على الماضي بعد ان أفنى شبابه في الأمل بالمستقبل ، فلا شك في ان خير أيامه ليس ذلك

اليوم الغابر الذي لا يُرَدّ ، ولا ذلك اليوم الآتي الذي لا يُعرَف ، بل هو هذا
اليوم الحاضر سواء كان جوّه صافياً او متلبداً بالغيوم　　　جول كلارتي

* ما سوف يكون القرن العشرون ؟ سيكون كغيره من القرون :
العلوم الطبيعية والمادية ستواصل سيرها فتزيد في رفاهية المعيشة ، وعلماء
السياسة والاجتماع سيظلون ينسبون الفضل في ذلك الى أنفسهم سواء
ساعدوا هذا الترقي على غير علم منهم او عرقلوا سيره ، ومخيلة البشر ستظل
تخلق لهم اسباباً للشقاء والتعاسة ، وأهواؤهم ستجلب دائماً البلايا والرزايا
وعواطفهم الشريفة تحاول مداواة تلك المصائب . والعدل سيظلّ في عمل
واحد وهو تغيير مراكز المدعوين الى تلك المائدة حيث يأكل الكبارُ
الصغار ، وأصحاب القلوب الطيبة سيظلون يعتقدون ان تلك الحالة يجب
ان تكون على غير ما هي　　　　ملكيور دي فوكيه

فؤادي والذكرى

أيها القلب الشجي ! يا لها طرفة من الأغاني قد أثارت كامن وجدك
فما هو الاّ سجع البلابل ونوح الحمائم هاجا ذكرى لوعتك
أيها القلب الشجي ! ما هو الاّ مغرب الشمس ومطلع البدر ، بل
ما هي الاّ الزهرة الساطعة تذكرك ماضياً زاهراً ، بل كوكباً تألق في صفحة
حياتك ، ثم توارى بحُجُب المغرب تحدوه نظراتُ الأسى القاتل
أيها القلب الشجي ! ما هي الاّ زهرة جافة في كتابٍ حرّكتْ

ساكن ذكراك ، وجعلتك تتنزى تنزي الأطيار وقد رابها شبح الصياد

أيها القلب الشجي : ما هي الآ دمعة الألم تعقبها ابتسامة الأمل ، وما هي الآ ذكرى الماضي يشوبها رجاء ضعيف في المستقبل ، بل ما هو الآ الحال وكأنه فردوس من حلو الأماني وسط سياج من مرّ الواقع ، بل ما هو الآ اليأس المميت قد كاد يرديك . فاخفق ايها القلب واضرب ضربات الحياة ، ولكن حياة الإباء حياة الأمل ، او فاسكن سكون الموت سكون العدم سكون الفناء ، بل اسكن الرمس وعليك في الحالتين سلام

***

أيتها الذكرى : أنتِ يا بنت الألم ، وشقيقة الأمل . تسكنين مسارح الخيال ، وتعشقين حفيف الاشجار ، وتغريد الاطيار ؛ تتخللين النغمات وتلازمين النفحات ؛ يحتويك خرير الماء ويحملك نسيم الخلاء ، فكأنكِ الشعر في صوَره وجمال الطبيعة في أبهى مظاهرهِ

أمرجعةٌ أنتِ عهداً سجلّتهُ أيدي الوفاء ، ومحتهُ أكفُّ الجفاء ؟ عهداً تذكره الاطيار في أوكارها والكواكب في بروجها ؟ تتحدث به الظباء في مسارحها والآساد في آجامها ؟ عهداً اشهد عليهِ الغدير والماء السلسبيل ، والأطيار والأقمار ، والمغرب والمشرق ، والشمال والجنوب ، والزهور والرياحين ، ونهر المجرة وتباشير الصباح ؟

كلا أيتها الذكرى فما أنتِ بمرجعة الماضي ، ولا مكررة صوَر الحياة

أقصرْ فؤادي فما الذكرى بنافعةٍ   ولا بمرجعةٍ بعضَ الذي كانا

(شبين الكوم)   امين حمدي

رواية

يوليوس قيصر

لشكسبير

تعريب

سامي افندي الجريديني

أضفنا الى هذا الجزء من « الزهور » ١٦ صفحة زيادة عن الصفحات المقررة لكل جزء ، حتى نتمكن من الاتيان على تتمة « رواية يوليوس قيصر » ؛ وذلك اجابةً الى رغبة جمهور كبيرٍ من قرَّائنا — ولا سيما طلبة البكالوريا منهم — لأن الترجمة التي نشرتها « الزهور » جاءت أكبر معوانٍ لهم على تفهُّم الاصل الانكليزي المقرَّر لامتحان هذا العام ، فلم نشأ ان نؤخرها عنهم ، وقصدُنا الاول خدمة ناشئتنا الراقية المتعلمة

وقد لاقت هذه الرواية رضى القرَّاء التام ؛ ولا عجب فهي من تأليف نابغة واضعي الروايات التمثيلية . أما ترجمتها العربية فهي من خير ما أخرجتهُ الاقلام من حيث الانطباق التام على الأصل مع متانة في التركيب ، وانسجام في الاسلوب ؛ و بلاغة في التعبير . ولقد جاء الثناء العام على هذه الترجمة وتقدير الادباء لها خير تقريظ لحضرة الكاتب المجيد سامي افندي الجريديني المحامي

و بهذه المناسبة نعلن اننـا قد جمعنا هذه الرواية على حدة وهي تطلب من ادارة « الزهور » أو من مترجمها الفاضل في مصر وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

في ادارة « الزهور » مجموعات من السنتين الاولى والثانية وثمن المجموعة مجلدة ٤٥ قرشاً صاغاً

ثمرات المطابع

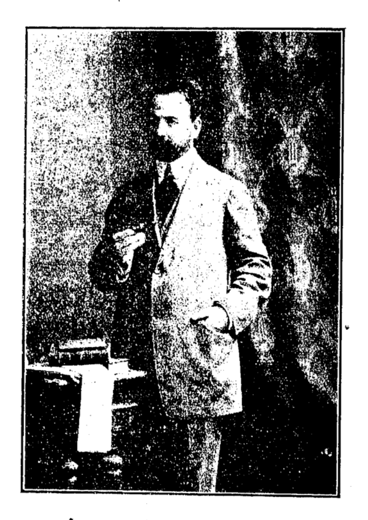


نيقولا ماكياڤيلي — مؤلف كتاب الأمير

* كتاب الأمير[١] — اذا ذُكر اسم نيقولا ماكيافيلي في حلقةٍ من الادباء تبادر الى الأذهان معهُ ذكر «كتاب الأمير». لقد ترادف هذان الاسمان حتى بات كلٌّ منهما عَلَماً لصاحبه، وحتى ما تسأل أديباً

(١) طبع في مطبعة المعارف بمصر ويطلب من مكتبتها وثمنه ستة غروش مصرية

عن أحدهما الاَّ ذكرَ الاثنين معاً كما عَلقا بذهنـه لأول مرةٍ سمعهما وهو لا يزال فتىً على مقعد التلمذة . وليس أدلّ على شهرة المؤلف من اشتقاق الـكتَّاب من اسمهِ لفظة « ماكيافيلزم » او السياسة الميخائيلية



محمد لطفي جمعه — معرّب كـتاب الأمير

— كما اصطلح عليهـا كـتَّاب العربية — ولا أدلّ على قيمة مؤلَّفهِ من قولنـا ان هذا المؤلَّف نفسهُ هو سبب ذلك الاشتقاق . فقول الفرنج « ماكيافيلزم » أو قولنـا السياسة الميخائيلية لا يُقصد بهِ سوى التعبير

عن سياسة « الأثرة والغدر » ، او سياسة « الغاية تبرّر الواسطة »

ما زالت اللغة العربية خلواً من « كتاب الأمير » حتى اكتشف خبره صديقنا الكاتب الفاضل محمد لطفي افندي جمعه المحامي ، وأتاحت له محاسن الاتفاق أن يهتدي الى الآنسة مريم البرتيني فأخذ عنها قواعد اللغة الايطالية وأصولها ، وعنيَ حينئذٍ بنقل ذلك الكتاب الى العربية نقلاً جمع بين الأمانة للأصل ، والسهولة في التعبير

« كتاب الأمير » مستهلٌّ — بعد البسملة — بترجمة حياة مؤلفه نيقولا ماكيافيلي ، ويليها بحث أدبيٌّ في تآليفهِ ثمَّ يتلو ذلك حديث طويل ولكنهُ مفيد جداً عن تاريخ المعرّب منذ أوّل عهده بهذا الكتاب حتى صباح الثلثاء في ٢٧ يونيو سنة ١٩١١ تاريخ الفراغ من تعريبه ، ويعقب ذلك فصلٌ عنوانهُ « الليلة الأخيرة » وفيهِ قصة خيالية عن حياة ماكيافيلي وموتهِ ، ثم يجيء حينئذٍ « كتاب الأمير » الحقيقي . وقد استغرقت المقدّمات المذكورة خمسين صفحة كاملة ، ووقع سائر الكتاب في مئة وخمسين أخرى

أما المباحث التي احتواها فنصائح اهداها ماكيافيلي الى أمير فيرنزه وجعلها قواعد لا بدَّ منها للحكم ، واصولاً زعم انها مرقاة الى « نيل الحاكم أرفع مقام وأسمى مكانة » . غير انَّ علماء الاجتماع ، وكبار الفلاسفة والكتّاب لم يعتبروها كذلك قط ففنّدها بعضهم ، وانتقدها آخرون انتقاداً مرّاً ، وحملوا على صاحبها حملات شديدة . وكيف كان الأمر « فكتاب الامير » خلَّد اسم ماكيافيلي وأبقاه قدوةً لمن اقتدى ،

أو عبرةً وذكرى لمن اعتبر وذكر

ولقد طبعت مطبعة المعارف الشهيرة هذا الكتاب على نفقتها طبعاً جميلاً متقناً والتزمت نشره وتعميمهُ عملاً بخطتها في نشر الكتب العلمية والادبية فاستحقَّ صاحبها الفاضل جميل الثناء . فنلفت الانظار الى « كتاب الأمير » متمنين له الرواج الذي يستحقهُ

* العلاج الجراحي[1] — ... وهذا ايضاً للدكتور محمد عبدالحميد . .

* التشريح الجراحي[2] — ... وهذا ايضاً للدكتور محمد عبدالحميد ..

وكم لهذا الطبيب العلاَّمة قبل هذين المؤلفين من الأسفار النفيسة ، التي تؤلف وحدها مكتبة عربية في العلوم الطبيــة . ولقد سبق لهذه المجلة تقريظ هذه الآثار الجليلة كل أثرٍ في حين صدوره ، كما سبق لهـا ايضاً نشر صورة صاحبها المفضال تكريماً له واعترافاً بجميله على العلم واللغة . أما الكتابان اللذان بين ايدينا الآن فان اسميهما يصفانهما خير وصف وهما مترجمان عن أشهر اساتذة الانكليز في علم الجراحة الحديث . وقد ميّزهما الدكتور عبد الحميد عن كتبه الاولى بما بذله لهما من العناية المعنوية والمادية ولا سيما هذه حيث زانهمـا بالصوَر الكثيرة الملوَّنة . وصدَّر أحدهما — التشريح الجراحي — ببيتين من الشعر هما :

أرى نفسي تتوق الى امورٍ　　　يقصر دون مبلغهنَّ حالي
فنفسي لا تطاوعني ببخلٍ　　　ومالي لا يبلّغني فعـالي

ومن عرف قلة اقبال قراء العربيــة لسوء الحظ على الكتب العلمية

(١) و (٢) طبعا في مطبعة المعارف وثمن الكتاب عشرة قروش صاغ

يفهم ما في تضاعيف هذين السطرين من المعاني . على ان همة عالمنا النطاسي لم تعرف الكلال والفتور فهو لا يزال عاملاً مجدًّا ودائباً — برغم ما في التأليف في هذا الباب من المصاعب والعقبات — على تعميم علم الطب في اللغة العربية . فهو يقوم وحده ، وعلى نفقته الخاصة ، بعمل يحتاج الى جمعية علمية تقوم بنفقاتها خزانة حكومة عامرة . فاذا وجّهنا نظر نظارة المعارف المصرية الى أعمال الدكتور عبد الحميد فانما نوجّه نظرها الى عمل جدير بعنايتها ، واذا هي فعلت — وهي فاعلة ان شاء الله — فانما تكون قد أضافت حلقة جديدة الى سلسلة آثارها المجيدة في سبيل التعليم باللغة العربية

تقويم البشير (١) — جاءنا هذا التقويم لسنة ١٩١٣ وهي السنة السادسة والثلاثون لظهوره . وهو أتم تقويم معروف باللغة العربية يتضمن حساب السنة الغربية والشرقية والهجرية والقبطية والاسرائيلية والمالية مع مقابلة الواحدة بالثانية ، والحسابين الشمسي والقمري ، والاعياد الدينية والمدنية وكل ما يتعلق بالطوائف الشرقية ورؤسائها ، واسماء قناصل الدول في الشرق ، واسماء موظفي حكومة لبنان وولايات سوريا ، ونص القانون الأساسي في تركيا والنظام الاساسي لجبل لبنان ، والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية مع كل ما يتعلق بالولايات ومدنها وسكانها . وهناك جداول عن النقود والموازين والمكاييل في جميع البلاد وفوائد شتى في التاريخ والجغرافية وسائر العلوم . فنشكر لحضرة العالم الفاضل الاب لويس معلوف عنايته بهذا التقويم الذي اصبح بفضل ما يدخله عليه من التحسين

---

(١) طبع في مطبعه الآباء اليسوعيين في بيروت

المتواصل اشبه شيء بدائرة معارف خفيفة الحمل حافلة بالفوائد والمُلَح

* الأمازون — « جريدة جامعة حرَّة » انشأها حضرة الكاتب الفاضل فارس افندي دبغي من ادباء الجالية السورية في « سان باولو » من أعمال البرازيل في امريكا . وقد أهدى الينا الاجزاء التي صدرت منها الى اليوم فطالعنا فيها المقالات الأدبية والسياسية التي تنمُّ عن مقدرة منشئها وعلمه

* جراب الحاوي — تصدر هذه الجريدة في بونس ايرس ، مديرها يوسف افندي ملحم شعيا ومحرّرها سمعان افندي منصور الحاماتي ، وهي فكاهية أدبية ، تبرز الحقائق بقالبٍ هزلي لتقربها من افهام العامة

فنمتنى لهاتين الجريدتين كل نجاح وتقدُّم ، كما اننا نثني على صحافتنا العربية في اميريكا قاطبةً لما تبذله من العناية في حفظ رابطة اللغة والوطنية

* جمعية الاتّحاد والاحسان السورية في طنطا — أهدت الينا هذه الجمعية الراقية كتيّباً جمعت فيه خلاصة أعمالها لسنتها الخامسة فتبينَّا فيه آثاراً شريفة ، ومآثر غراء لا يكبرها أحد على مؤسسيها الأفاضل ، وأعضائها الكرام . فنتمنى لها ما تمناه لها من قبلنا حضرة العالم المحترم الدكتور شميل اذ قال فيها عفا الله عنه : « عسى ان تكون هذه الجمعية قدوة لانشاء جمعيات كثيرة من أمثالها »

أزهار وأشواك

سنة ١٩١٣

معايدتي السنوية اقدّمها لقراء « الزهور » سائلاً ان يكون عامهم الجديد حافلاً بالخير ، تزينه « أزهار » اليمن خالية من « الاشواك »

قيل — ولا أدري من قال ولا لماذا قال ولا في أي عهد قال — ان رقم ١٣ اسوأ الأرقام وأشأمها . وللناس في هذا المعنى « تخرُّصٌ وأحاديث ملفقة » وخرافات منمقة . تحضرني منها الساعة الحكاية الآتية:

زعموا ان منجّماً وقف بحضرة فردريك ملك بروسيا ، ففاجأه الملك بقوله : تنبأ لي عن الزمن الذي أُتوَّج فيه امبراطوراً . . . فقال المنجم : نحن اليوم في سنة ١٨٤٩ ، فاذا ضممنا هذه الأرقام بعضها الى بعض وأضفنا مجموعها الى السنة التي نحن فيها وجدنا ذلك التاريخ (٩ + ٤ + ٨ + ١ = ٢٢ + ١٨٤٩ = ١٨٧١) وسنة ١٨٧١ هي في الواقع سنة تتويج فردريك امبراطوراً على المانيا

قال الملك : ومتى أموت ؟ فقال المنجم : أعد العملية نفسها بأرقام سنة تتويجك (١ + ٧ + ٨ + ١ = ١٧ + ١٨٧١ = ١٨٨٨) وهي سنة وفاة الامبراطور الالماني الكبير . ثم سأله ثالثة : ومتى تنحلُّ تلك الامبراطورية ؟ فقال المنجم : دونك والعملية ايضاً بأرقام سنة وفاتك :

(٨ + ٨ + ٨ + ١ = ٢٥ + ١٨٨٨ = ١٩١٣)

هذه حكاية المنجم والامبراطور . ولذلك ترى الشعب الالماني

يقابل سنة ١٩١٣ ببعض القلق والتشاؤم

جوابٌ على سؤال

نشرتُ في الجزء الماضي بيتين ، وسألتُ القرّاء اسم ناظمهما ، وأنا اليوم ناشرٌ أحسن جوابٍ جاءني من صاحب التوقيع ، وها هو بحرفه :

قرأتُ سؤال (البستاني) الذي أورده عليك أيها (الحاصد) في نسبة ما رواه الكريم الشيخ أحمد آل ابراهيم . وذلك قول القائل :

لقي نبلنا مردَ العوارض فانثنوا　　لأوجههم منها الحيً وشواربُ
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم　　عيوناً لها وقع السهام حواجبُ

أما الجواب ، فالبيتان لعبد العزيز بن نباتة السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ للهجرة وهو من شعراء سيف الدولة ، وعليهِ تخرَّج الشريف الرضي شاعر قريش المشهور. وقد وقع في البيتين تقديم وتأخير لأنهما من قصيدة يأتي فيها سياق البيت الأول بعد الثاني بأبيات غير قليلة ، وفوق ذلك فان رواية البستاني على غير وجهها

قال ابن نُباتة في مطالع القصيدة وهي من قلائده :

رضينا وما ترضى السيوفُ القواضبُ　　نجاذبها عن هامكم وتجاذبُ
فإياكُم ان تكشفوا عن رؤوسكم　　ألا إن مغناطيسهنَّ الذوائبُ

الى ان يقول بعد ابيات :

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم　　عيوناً لها وقع (السيوف) حواجبُ
أؤمل مأمولاً بغير صدورها　　فوا خجلتا اني الى المجد تائبُ
أَبَوا أن يطيعوا السمهريَّة عزَّةً　　فصُبَّت عليهم كالّلجين القواضبُ
وعادت الينا عسجداً من دمائهم　　ألا هكذا فليكسب المجدَ كاسبُ

ثم يقول منها :

بيوم العُظالى والسيوفُ صواعقٌ　　تجزُّ عليهم والقسيُّ حواصب [1]

(١) يوم العظالى احد ايام العرب المشهورة ، وقد تسمى بذلك لتعاظل الناس فيه ، اي تراكبهم ، فقد قيل ان الاثنين والثلاثة كانوا يركبون دابة واحدة لازدحامهم

(لقوا نبلها) مُرْدَ العوارض وانثنوا　　لاوجههم منهـا لحىً وشواربُ

وبعد يا حاصد الزهور فأما وقد ضمنت جائزة آل ابرهيم عن طريق الهند فاعلم ان الضامن غارم والسلام　　　مصطفى صادق الرافعي

اما كون هذا الجواب الشافي قد ورد من الرافعي فلا عجب وهو الأديب المشهور صاحب الكتاب النفيس في تاريخ آداب العرب. واما الجائزة فقد استحقت له عليّ وها أنا ساعٍ للحصول عليها

عتاب

نشرت « الزهور » (ص ٧٦) من هذه السنة أبياتاً جميلة لشاعر الفيحاء السيد عبدالحميد بك الرافعي، عنوانها «الى شاعر الامير» وقد وجه فيها الكلام الى شاعر الأمير احمد شوقي بك، وسأله مطارحة الشعر على صفحات هذه المجلة ملتقى أقلام ادباء القطرين . فمرّت بضعة أشهر دون ان تمكّن الفرصة شاعرَ النيل من الجواب، فعتب الشاعر الطرابلسي — ويحقّ له ان يعتب — ورأيتُ بعض آثار عتبه على ورقةٍ في ادارة « الزهور » فقرأتُ فيها :

يقولون أغضى عن جوابك (أحمدٌ)　　ومرَّ زمانٌ للعتـاب مجيزُ
فقلتُ عجلتم بالملامةِ ويحكم　　ألم تعلموا ان النفيسَ عزيزُ
ولم يبقَ في الدنيـا محالٌ محقّقٌ　　اذا قلتمُ بخلُ الجوادِ يجوزُ

فأحببتُ نشرَ هذه الأبيات لأن في نفسي — ونفس القراء أيضاً — عطشاً الى عذوبة شيء من الشوقيات　　　حاصد

مواليد شهر يناير (ك ٢)

يزعم الكثيرون ان لليوم والشهر الذين يولد فيهما الانسان تأثيراً في اخلاقه وحياته . وها نحن ناشرون على سبيل الفكاهة شيئاً من ذلك مبتدئين بالشهر الاول من السنة

فالذين يولدون في :

١ منه　أصحاب نشاط وجدّ ينالون الرتب العالية
٢ »　أغنياء وذوو نشاط
٣ »　أقوياء الارادة متصلّبو الرأي
٤ »　ذوو مزاج عصبي سريعو الغضب
٥ »　متطفّلون يدعون معرفة كل شيء
٦ »　سريعو الخاطر متوقدو الذهن يصلحون لكل عمل
٧ »　طليقو اللسان فصيحو اللهجة ذوو عذوبة في الحديث
٨ »　ضعفاء القلوب
٩ »　سريعو الانقياد يصدقون كلما يسمعون
١٠ »　ميّالون الى العلوم محبون للآداب
١١ »　يثرون ولكن بالعناء الجم وشقّ النفس
١٢ »　تعساء في شهواتهم وأمانيّهم وأهوائهم
١٣ »　ميالون الى التجارة يحبون الاثراء
١٤ »　ثابتو المبدأ دقيقو المعاملة .
١٥ »　ذوو حظوظ وتوفيق مستمرّ
١٦ »　سعداء بالحب
١٧ »　يميلون الى الاشتغال بالزراعة
١٨ »　يحبون الحركة . أسفارهم خطرة
١٩ »　يحبون الخلوة والانفراد

٢٠ منه قليلو الثقة بالنجاح
٢١ « ضعيفو الارادة ، عديمو الثبات
٢٢ « ذوو عقول نقّادة يدققون في كل شيء
٢٣ « كبراء النفوس
٢٤ « يرتقون مناصب الحكومة العالية
٢٥ « ظريفو الحديث ، كثيرو الكلام
٢٦ « ميالون الى الاشغال اليدوية
٢٧ « يحبون الحروب ويقتحمون أخطارها
٢٨ « متعجرفون يحبون الحرية
٢٩ « ذوو سموّ في الافكار واصالة في الرأي
٣٠ « أقوياء القلوب
٣١ « شديدو الحرص يضيعون الفرص لشدة حرصهم

غ . ١

﴿ فكاهة ﴾

« الى مدارس البنات »

الشاب — اني أحب أن أتزوج بابنتكِ ولكن هل يمكنكِ أن تخبريني عن معارفها ؟

الوالدة — قد حازت شهادات الامتيازات في الفوسيولوجيا والبكتريولوجيا والجيولوجيا والبداغوجيا وال . . .

الشاب — كفى كفى يا سيدتي . انها لا توافقني . لاني اريد فتاة تعرف الطبخولوجيا والكنسولوجيا وكافة أشغال البيوتولوجيا

وبما تعرفونه انتم جميعاً . اني أريكم جراح قيصر وهي تقوم مقامي فتخطب فيكم . أما لو كنت بروتوس وكان بروتوس انطونيوس ، اذن لرأيتم أمامكم رجلاً يُغلي الدم في عروقكم ويضع لساناً في كل جرح من جراح قيصر و ينفخ في حجارة رومه روحاً تحرّضها على الثورة

الجميع — نثور . سنثور عليهم

العامي الأول — سنحرق بيت بروتوس

العامي الثالث — تعالوا . تعالوا نفتش عن القتلة

انطونيوس — سمعكم . سمعكم . دعوني أقل كلمة بعد أيها الاخوان

الجميع — اسكتوا . اصغوا لانطونيوس . انطونيوس الشريف الشريف

انطونيوس — ايها الاصدقاء . انكم تفعلون ما لا تعلمون . أتعرفون لِمَ تحبون قيصر هذا الحبّ . قد نسيتم . ها أنا مذكركم : نسيتم الوصية التي ذكرتها لكم

الجميع — صحيح . حق . الوصية . امكثوا نسمع الوصية

انطونيوس — هاكم الوصية مختومة بخاتم قيصر . انهُ أوصى لكل روماني : — لكل واحد منكم بخمسة وسبعين درهماً

العامي الثاني — يا لقيصر كليّ الشرف . سنثأر لقتله

العامي الثالث — يا لقيصر ذي الملك

انطونيوس — صبراً صبراً

الجميع — اسكتوا يا قوم

انطونيوس — وقد أوصى لكم بجميع حدائقه وجنائنه القائمة على هذا الجانب من نهر التيبير . كلها لكم . متعة لكم ولاولادكم من بعدكم تتنزهون وترتاضون بها ما شئتم . . . ذلكم قيصر . فمتى تجدون له نظيراً ؟

الجميع — لا نظير له . لا نظير له . هلموا بنا . هلموا نحرق جثته في بيت الآلهة

ونشعل منها مشاعل نضرم بيوت القتلة من نارها . احملوا الجثة

العامي الثاني — هاتوا ناراً

العامي الثالث — حطّموا المقاعد

العامي الرابع — كسّروا النوافذ . كسروا الأخشاب . كسروا كل شيء .

(يخرج الشعب حاملين جثة قيصر)

انطونيوس — فلتعمل الفتنة الآن عملها . وأنت أيها الشرُّ هانذا قد أوقفتك على قدميك فاختر لنفسك سبيلاً . (يدخل خادم) ماذا جرى يا غلام ؟

الخـادم — حضر اوكتافيوس لرومه يا مولاي

انطونيوس — أين هو ؟

الخـادم — في بيت قيصر ومعه لبيدوس

انطونيوس — سأوافيه الى هناك في الحال . لقد جاء في الميعاد المرغوب . ان الحظ لباسم فلنغنم الساعة ونتمنى عليه المنى

الخـادم — سمعتُ اوكتافيوس يقول ان بروتوس وكاسيوس فرّا من رومه مذعورين كمن أصيب بمسٍّ من الجنون

أنطونيوس — ربما لحظا ما فعلتهُ بالشعب وكيف هيجتهُ عليهما . سرْ بي الى اوكتافيوس　　(يخرجان)

« المشهد الثالث »

شارع . يدخل سِنّا الشاعر

سنا — (لنفسه) لا يحلو لي الخروج جائلاً في الأسواق . ولكنَّ دافعاً يدفعني اليه . تخيلاتُ الشؤم تجول في خاطري فقد حلمتُ الليـلةَ اني تعشيتُ مع قيصر

(يدخل الشعب)

العامي الاول — ما اسمُك ؟

العامي الثاني — الى أين تقصد ؟

العامي الثالث — وأين تسكن ؟

العامي الرابع — أمتزوّجٌ أنتَ أم عزَب ؟

العامي الثاني — أجِب كلاًّ منا بصراحة

العامي الاول — و بالاختصار

العامي الرابع — وبحكمة

العامي الثالث — نعم وبالصدق . ذلك خيرٌ لك وأبقى

سِنا — ما اسمي ؟ الى أين أقصد ؟ أين أسكن ؟ أعزبٌ أنا أم ذو أهل ؟ . . وعليَّ ان أجيبكم بصراحة و باختصار وبحكمة و بصدق . فانبدأ بالحكمة . اني بحكمةٍ غير متزوّج

العامي الثاني — (مغضباً) أتعني ان المتزوجين حمقى ؟ ستنالُ جزاءك مني على هذه[1] . انتهِ . قلْ بصراحة

سنا — بصراحة ؟ اني ذاهب في جنازة قيصر

العامي الاول — أعدوٌّ أنتَ أم صديق ؟

سنا — صديق

العامي الثاني — لقد أجبتَ بصراحة

العامي الرابع — منزلك ؟ بالاختصار

سنا — بالاختصار ؟ قرب الكابيتول

العامي الثالث — اسمك ؟ بالصدق

سنا — بالصدق ؟ اسمي سنا

(١) كان العامي الثاني متزوجاً فأغضبه قول سنا انه غير متزوج بحكمة

العامي الاول — مزّقوه ارباً ارباً . انهُ أحد المتآمرين

سنا — أنا سنا الشاعر . أنا سنا الشاعر

العامي الرابع — مزّقوه ارباً لرداءة شِعره . مزّقوه لرداءة شِعرهِ

سنا — لستُ سنا المتآمر

العامي الرابع — سيّان . ان اسمه سنا . انزعوا اسمه من قلبهِ ودعوه يذهب

العامي الثالث — مزّقوه . مزّقوه . تعالوا . هاتوا المشاعل . هلموا الى بيت بروتوس . الى بيت كاسيوس . احرقوا

الجميع — بعضكم الى بيت ديسيوس وبعضكم الى بيت كاسكا والبعض الى بيت ليجاريوس . تعالوا . هلموا بنا . تعالوا . . . (يخرج الجميع)

الفصل الرابع

« المشهد الأول »

بيت في رومه . انطونيوس واوكتافيوس ولبيدوس جلوس الى مائدة

انطونيوس — اذن كلُّ هؤلاء سيموتون . ان اسماءهم لمحصاة

اوكتافيوس — وأخوك أيضاً سيموت . أتوافق على ذلك يا لبيدوس

لبيدوس — أوافق

اوكتافيوس — فاحصهِ معهم يا انطونيوس

لبيدوس — (مخاطباً انطونيوس) بشرط ان لا تُبقي على ابن اختك بوبليوس

انطونيوس — انهُ لن يعيش . وها قد علمت اسمه . فاذهب الآن يا لبيدوس الى بيت قيصر وائتنا بوصيته لنقرّ على ما سنبدّل فيها ونغيّر

لبيدوس — أتلبثون هنا ريثما أعود ؟

اوكتافيوس — هنا أو في الكابيتول . (يخرج لبيدوس)

انطونيوس — ما أجدر هذا الرجل بأن يقوم لدينا مقام ساعٍ يروح ويجيءُ لأغراضنا . انهُ تافه لا كفاءة له ولا استحقاق . أيخلق بنا ان نقاسمه هذا العالم مثالثةً فينال حصةً كحصة كلٍّ منا ؟

اوكتافيوس — هذا ما ارتأيته أنت . وقد استشرته في اصدار احكامنا السوداء بالموت

انطونيوس — اني بلوت الدهر اكثر منك يا اوكتافيوس . فان نحن أغدقنا التكريم على هذا الرجل فما ذاك الاّ لنخفف أعباء الحمل عنا ونتخذه حماراً لنا يحمل النضار الى حيث ندفعه أو نقوده فاذا ما حطّ الرحال نزعنا عنه حمله الثمين وتركنا له حصته تعباً وكدًّا تحت النير ثم اطلاقاً الى مراعٍ زريئة يأكل مرقصاً اذنيه من الطرب

اوكتافيوس — قد يتمُّ لك ما تريد . ولكنهُ جنديٌّ مجرّب باسل

انطونيوس — نعم وهكذا حصاني . ولذا تراني أكيلُ له العلف كيلاً وأعلمه الكرّ والفرّ والهجوم والوقوف فأُخضع قوته البدنية لارادتي . وكذا شأن لبيدوس معنا . انهُ فارغ العقل يقتات على الحثالة والنفاية والتقليد فيبدأ حيث انتهى الآخرون فهو جدير بأن نعلّمهُ وندرّبهُ ونسدد خطواتهِ . اذا ذكرتهُ فاذكره كسلعةٍ نأخذ شيئه ونحفظ شيئنا . اسمع الآن لمهامٍ عظمى أنقلها اليك : ان بروتوس وكاسيوس يجمعان جموعهما الآن فعلينا أن نسرع ونشدّد محالفتنا ونتقي اصدقاءنا ونجهد قواتنا ونتشاور في خير السبل لملاقاة الأخطار وكشف مخبآت الأقدار

اوكتافيوس — لنفعل ما تقول . فان الاعداء تحيط بنا وتكاد تردينا وكثيرون يبذلون لنا الابتسام وقلوبهم ملآى بضغائن لا تحصى . (يخرجان)

« المشهد الثاني »

معسكر قرب ساردیس . أمام خیمة بروتوس

(یدخل بروتوس ولوسیلیوس ولوسیوس وجنود . یقابلهم تیتینیوس و بنداروس)

بروتوس — یا هو ! قف !

لوسیلیوس — كلمةَ المرور ! قف !

بروتوس — أي لوسیلیوس . هل صار كاسیوس قریباً منا

لوسیلیوس — قریب وها بنداروس قدم یبلغك تحیات مولاه

بروتوس — طابت تحیاته . ان انقلاب حال مولاك یا بنداروس وسوء مشورة اتباعه جعلاني أندم على فعل ما قد فعلنا . أما وقد صار بالقرب منا فسأروي غلیلي منهُ

لوسیلیوس — لا أشك انك سترى مولاي كما تعهده مثال النبل ومحطّ الاكرام

بروتوس — ما شككتُ فیهِ . قلْ یا لوسیلیوس كیف كان استقباله لك . دعني أقف على جلیة الأمر

لوسیلیوس — جاملني وأكرمني ولكنهُ احتاط لنفسهِ في الحدیث وتكتم على خلاف عادتهِ

بروتوس — لقد وصفتَ صدیقاً أخذت حرارةُ مودّته بالبرود . فاذا مرض الودُّ وسرى في عروقهِ الفساد لبس لباس الكلفة والمجاملة المفتعلة أما الحب الصحیح الفطريّ فخلوٌ من هذه الحیل . مَثَل الفارغ من الرجال مَثلُ جواد یجمح قبل اطلاق العنان فتتخیلُ القوة وراء طغیانهِ وزهوهِ فاذا ما أدمیتَ جنبیهِ ضرباً بالركاب ذَبل عرفهُ وتبین لك عند التجربة برذوناً خدّاعاً . أقادمٌ جیشهُ معه ؟

لوسیلیوس — الفرسان قادمون معهُ وهم معظم الجیش أما البقیة فیبیتون اللیلة في ساردیس　(صوت مشي جیش عن بعد)

بروتوس — اسمعوا . انهُ لقادم . هلموا لملاقاته (يدخل كاسيوس بقوَّاته)

كاسيوس — يا هو . قفوا

بروتوس — قفوا . يا هو . كلمة السرّ

الجندي الاول — قفوا

الجندي الثاني — قفوا

الجندي الثالث — قفوا

كاسيوس — لقد أسأتَ اليَّ أيها الأخ النبيل

بروتوس — احكمي أيتها الآلهة بيننا . أيسيء الى أصدقائهِ رجلٌ لا يقدر ان يسيء الى أعدائهِ

كاسيوس — ان تحت ظاهرك الوقور كثيراً من الخطايا . فاذا ما اقترفتها . . .

بروتوس — (مقاطعاً) رويدك كاسيوس رويدك وابدِ شكواك سرًّا لا جهراً فاني أعرفك حق المعرفة . لا يليق بنا ان نظهر أمام جيشينا بمظهر المتنافرين المتخاصمين لنمنعنّهم روءية غير الالفة فيما بيننا . مُرْهم يتفرَّقوا ثمَّ تعال الى خيمتي وأطل في وصف شكاويك فاني لكَ من السامعين

كاسيوس — بنداروس ! مر القوادَ يرحلوا بجيوشهم قليلاً عن هذا المكان

بروتوس — افعل فعله يا لوسيليوس . واحمِ خيمتنا عن كل قادم الى ان نتمَّ حديثنا . دعْ لوسيوس وتيتينيوس يحرسا الباب (يخرجون)

« المشهد الثالث »

خيمة بروتوس . يدخل بروتوس وكاسيوس

كاسيوس — هاكَ ما أسأتَ اليَّ بهِ : انك حقرتَ لوسيوس بيلاّ وعاقبتهُ على رشوةٍ أخذها من أهل سارديس فكتبتُ أشفع فيـهِ اليك لأني أعرفهُ فازدريتَ الكتبَ وطرحتها جانباً

بروتوس — أنتَ المسيء الى نفسك اذ دافعتَ عن مثل هذه القضية

كاسيوس — لا يجمل بنا في مثل هذه الأحوال الحرجة ان نعاقب على مثل هذه الجرائم التافهة

بروتوس — بل أنتَ خليق بالعقاب يا كاسيوس لأجل يدك ذات الحكة ولأجل بيعك المناصب لغير الاكفاء

كاسيوس — أمثلي توصف يده بذات الحكة ؟ وايم الآلهة لو لم يكن القائلَ بروتوس لكان هذا القول آخر كلامهِ

بروتوس — ان اسم كاسيوس يُلبس الرشوةَ لباساً من النبل فيغطّي القصاصُ رأسهُ ويتوارى

كاسيوس — القصاص !

بروتوس — اذكرْ شهر مارس . اذكرْ اليوم الخامس عشر منه . أما سال دم يوليوس الكبير انتقاماً للعدل ؟ مَن مِن طاعنيه سَفُل فضرب اكراماً لغير الحق ؟ ايهٍ لكَ . أواحدٌ منا نحن الذين أردوا أعظم رجال العالم لتأييده اللصوص يدنس يده برشوةٍ سافلة ويبيع شرفه الواسع الضخم بشيء زريٍّ يمسك بين الأصابع هكذا ؟ اذنْ لتمنيتُ ان اكون كلباً يطاول القمر نباحاً ولا اكون ذلك الروماني

كاسيوس — لا تهيجني يا بروتوس فلن احتمل هذا منك . انك تنسى نفسك فتحملني فوق طاقتي . أنا جنديٌّ اكثر منك اختباراً وأعظم كفاءةً وأحرى منك باشتراط الشروط

بروتوس — اذهب فما أنت بكاسيوس

كاسيوس — بل أنا هو

بروتوس — قلت لك لا

كاسيوس — لا تستفزَّ غضبي أو أنسى نفسي . احترس لنفسك ولا تبالغ في تحريضي

بروتوس — عني أيها الرجل الخفيف

كاسيوس — لم يعد بالامكان . . . . .

بروتوس — أصغِ لكلامي . فما أنا بحاسب حساباً لغضبك الطائش . أوَأخاف تحديق رجلٍ مجنون ؟

كاسيوس — ايهٍ أيتها الآلهة . أأطيق بعد كل هذا صبراً

بروتوس — نعم واكثر من هذا . أرغ وأزبد حتى تشقّ قلبك المتعجرف . اذهب الى عبيدك أرِهم غضبك ودع أرقّاءك يرجفون خوفاً . أتظنني اكترث لك فأتهيبك أو أقف أمامك ذليلاً في حالة غضبك ؟ وايم الآلهة انك ستبتلع سُمّ كيدك ولو أرداك . أما أنا فسأسخر بك بعد الآن وأجعلك أضحوكتي كلما اشتدّ غضبك

كاسيوس — أإلى هذا الحد انتهينا ؟

بروتوس — أرِني انك ذلك الجندي الذي يفوقني . أيّد دعواك بالحجة فاسرّ لك وافرح . نعم اني أحب أن أتعلم من رجال النبل

كاسيوس — انك تسيءُ اليّ من كل الوجوه . ما ادَّعيتُ بأني جندي أفضل منك بل قلت اني اكبر منك . هل قلت أفضل منك ؟

بروتوس — وما يهمني لو قلت

كاسيوس — ما كان قيصر في حياته ليجسر على اغضابي هكذا

بروتوس — اسكت . اسكت . فما كنت لتجسر على اغرائهِ

كاسيوس — لا أجسر ؟

بروتوس — لا

كاسيوس — لا أجسر على اغرائه ؟

بروتوس — لا . لم تجسر خوفاً على حياتك

كاسيوس — لا تحمّل صداقتي فوق وسعها فقد أفعل ما أندم عليهِ

بروتوس — انك قد فعلت ما يستوجب الندم . اي كاسيوس، تهديدك لا يخيفني فاني لابس من امانتي درعاً قويّة تردّه عني فيمرُّ بي مرَّ الريح لا اعبأ بهِ . لقد أرسلت أطلب منك ذهباً فمنعته وأنا أعجز عن جمع المال بطرق سافلة . فوالسماء ! لأوثر ان أصكّ فؤادي نقوداً وأسبك من دمي دراهم على ان أنزع من أيدي الفلاحين الخشنة أموالهم الزرية بغير حق . أرسلت أطالب منك مالاً أوزعه على جنودي فمنعت ذلك عني . أيليق هذا بكاسيوس ؟ وهل كنت أجيبه بهذا الجواب أنا ؟ ايهٍ أيتها الآلهة . أرسلي زوابعك ومزّقيني ارباً اربا ان كنت طمّاعاً أحبس عن اصدقائي مالاً حقيراً

كاسيوس — ما رددت طلبك

بروتوس — بل رددته

كاسيوس — لم أفعل . ان الذي نقل اليك الخبر لمجنون . قد مزّقتَ فؤادي . على الصديق ستر مساوئ صديقه أما بروتوس فيبالغ في ذكرها ويعظّم.

بروتوس — لا . لا . بل أردها ردًّا اذ أراك توجهها اليَّ

كاسيوس — لم تعد تحبني

بروتوس — بل ذنوبك لا أحبّ

كاسيوس — عين الرضا كليلة عن كل عيب

بروتوس — بل عين المداهن كليلة لا ترى الذنوب ولو علت علوّ الأولمب

كاسيوس — ايهٍ أنطونيوس . ايهٍ اوكتافيوس . هلما انتقما من كاسيوس وحده الآن فقد ملَّ الدنيا وعافتها نفسه . ها صديقهُ يكرههُ وأخوه لا يعبأ بهِ بل يسترقّهُ كالأسير يعدُّ هفواتهِ يسجلها عليهِ ويعيد ذكرها ويكررها فترسخ في ذهنهِ فيرمي بها وجه صديقه . ليتني أستطيع ان أذرف حياتي دمعاً . هاك خنجري. هاك صدري

العاري صدراً يضمُّ قلباً أعزَّ من مناجم بلوتوس[1] وأثمن من الذهب فانزعهُ مني إن كنتَ رومانياً فان الذي أبى عليك الذهب يجود لكَ بقلبهِ . اطعنّي كما طعنتَ قيصر فلقد كان في أشدّ ساعاتِ كرهك اياه أحبّ اليك مني

بروتوس – ردَّ خنجرك الى غمده . اغضب متى شئت فسأفسح لك المجال . إفعل ما تريد فاني أعدُّ مساوئك سليقةً فيك . ويحك كاسيوس . ان مثل نفسك الساذجة مثل حجر القدح يطير شراره اذا حُكَّ ثم يهمد ويبرد

كاسيوس – رجلاً سخرةً لصاحبه صرت . فالحزن وسرعة الغضب هيّجاني

بروتوس – اي كاسيوس . وأنا أيضاً كنت سريع الغضب عندما خاطبتك بتلك اللهجة

كاسيوس – أتعترف بذلك . هات يدك

بروتوس – وقلبي معها

كاسيوس – آه يا بروتوس

بروتوس – ما لك ؟

كاسيوس – أليس لي عندك ذرةُ حبّ تشفع بي عند ما يشط بي خلقي الموروث عن أمي فأنسى نفسي

بروتوس – نعم . فاذا ما أسأتَ اليَّ بعدّ اليوم حسبتُ السببَ توبيخَ أمك لك فأتركك حتى تهمد

الشاعر – (ينادى من الخارج) دعني أدخل لأرى القائدين . يلوح لي ان شقاقاً وقع بينهما فلا يجدر ان نبقيهما معاً [2]

لوسيليوس – (من الخارج) لستَ بداخل عليهما

---

(١) يقال انها مناجم حجارة كريمة	(٢) في بعض النسخ ان الذي قطع الحديث بين بروتوس وكاسيوس شخص يدعى ماركوس فونيوس احد الفلاسفة المفتونين

الشاعر – (من الخارج) لا يمنعني الاّ الموت . (يدخل الشاعر يتبعـهُ لوسيليوس وتيتينيوس ولوسيوس)

كاسيوس – ما بالكم ؟ ما الأمر ؟

الشاعر – يا للعار أيها القائدان ! ما تقصدان ؟ كونا صديقين وليحب احدكما الآخر فذلك أليق بأمثالكما وأجدر . صدقاني . فاني عشتُ ورأيت سنين كثيرة

كاسيوس – (هازئاً بهِ) ما أرطن تلحينك يا مخالف سنن الناس !

بروتوس – اخرج يا غلام . اذهب أيها الوقح !

كاسيوس – رفقاً بهِ يا بروتوس فانها لعادة بهِ

بروتوس – قد أرفق بهِ في غير هذا المكان فلكل مقام مقال وما شأن هؤلاء المجانين المتشاعرين في الحرب ؟ اخرج يا هذا

كاسيوس – اخرج . اخرج . اذهب (يخرج الشاعر)

بروتوس – (مخاطباً لوسيليوس وتيتينيوس) قولا لقواد الفرق يهيئون مراقد لجيوشهم الليلة

كاسيوس – ارجعا الينا حالاً واحضرا مسلا معكما (يخرج لوسيليوس وتيتينبوس)

بروتوس – لوسيوس ! اليَّ بكأسٍ من الخمر . (يخرج لوسيوس)

كاسيوس – ما ظننت الغضب يبلغ منك ما بلغهُ الآن

بروتوس – اي كاسيوس أسقمتني كثرة أحزاني

كاسيوس – ان جعلت اليأس يتغلّب عليك فقد أضعت حكمتك

بروتوس – ما حمل رجلٌ حزنه حملي . . . ماتت بورسيا

كاسيوس – بورسيا ؟ آه

بروتوس – ماتت

كاسيوس – وكيف نجوت أنا من القتل عند ما أغضبتك . يا لفقدٍ جارح غير محمول ! كيف ماتت ؟

بروتوس – ماتت قلقاً لطول غيابي وحزناً على انتصارات اوكتافيوس وانطونيوس . عند ما علمت بالنصر الذي أحرزاه أضاعت رشدها ثم اغتنمت فرصة غياب خادماتها فذهبت الى نار موقدة وابتلعتها

كاسيوس – أهكذا ماتت ؟

بروتوس – هكذا

كاسيوس – رحماكِ أيتها الآلهة الخالدة . (يدخل لوسيوس بالخمر وبالمشعال)

بروتوس – لا تعد لي ذكرها . أعطني كأساً من الخمر أدفن بها كلَّ غمّ وهمّ . نخبك يا كاسيوس (يشرب)

كاسيوس – ما اظمأ قلبي لشرب نخبك النبيل . املأ يا لوسيوس حتى يفيض الخمر من الكأس فاني لا أرتوي مهما شربت حبًّا ببروتس . (يشرب)

بروتوس – ادخل يا تيتينيوس . (يخرج لوسيوس ويدخل تيتينيوس ومسّلا) أهلاً بمسلاّ . تعالوا نجلس حول هذا المشعال نبحث في شؤوننا

كاسيوس – أكذا تذهبين يا بورسيا ؟

بروتوس – رجوتك لا تزد . أي مسّلا لقد تلقّيت كتباً تنبئ بزحف انطونيوس واكتافيوس علينا بجيشٍ عظيم ووجهتهم فيلبي

مسلاّ – جاءني مثل هذه الكتب

بروتوس – ألم تزدْ لك شيئاً عن كتبي ؟

مسلاّ – ان اوكتافيوس وأنطونيوس ولبدوس قتلوا مائةً من أعضاء مجلس الشيوخ بأحكام ظلم واستبداد

بروتوس – هنا اختلفت الرسائل . فعندي أنهم حكموا على سبعين بالقتل وشيشرون واحد منهم

كاسيوس – أشيشرون منهم ؟

مسلاّ — نعم قُتل شيشرون بأمرهم . هل أرسلتْ لك امرأتك كتاباً يا مولاي ؟

بروتوس — لا يا مسلاّ

مسلاّ — ألم يرد ذكرها في الكتب التي جاءتك

بروتوس — لا . لم يرد شيء

مسلاّ — هذا غريب

بروتوس — ولما تسأل ؟ هل جاءك نبأ عنها ؟

مسلاّ — كلاّ يا مولاي

بروتوس — أستحلفك برومانيتك ان تصدقني الخبر

مسلاّ — فاسمعْ وتلقَّ الخبر الحقَّ كروماني . انها ماتت وكان موتها غريباً

بروتوس — وداعاً يا بورسيا وداعاً . كلنا مسوقون للموت يا مسلا ولا يعزيني عن فقدها الاّ اعتقادي بأنهُ لم يكن لها عن الموت مندوحة (١)

مسلاّ — وكذا يتحمل عظماء الرجال المصائب العظام

كاسيوس — ليس في استطاعتي احتمال مثل مصابك رغمَ تسليم عقلي وعلمي بصحة أقوالك

بروتوس — دعنا من هذا . وهيوا بنا الى العمل ! ما تقولان في زحفنا على فيلبي في الحال

كاسيوس — لا أظنهُ صواباً

بروتوس — والسبب ؟

كاسيوس — ها كهُ : خيرٌ لنا ان يتولى العدوُّ خطة الهجوم فتنهك قوى جنده

(١) أورد شكسبير خبر موت امرأة بروتوس على أثر الخلاف بين الصديقين ليظهر مقدرة بروتوس على حكم قياد نفسه

وتُبدِّد ذخيرتهُ ويصيبهُ الضرّ . أما نحن فنتربص مكاننا متوفرة لنا أسباب الراحة والدفاع وسهولة الحركة

بروتوس — أفضل من هذا الرأي الصائب رأيٌ أفضل منهُ . ان الأهالي القاطنين بين فيلبي وبيننا لا يضمرون لنا الودّ الصحيح بل حاقدون علينا للضرائب التي ابتززناها منهم فاذا ما سار العدوُّ فيهم قادماً الينا انضموا اليهِ فيزداد بهم عدداً وقوةً واقداماً. أما اذا سبقنا العدوَّ الى فيلبي فاننا نمنعهُ هذه الميّزة ونحول بينه وبينهم

كاسيوس — سمعك يا أخي

بروتوس — اذكرْ اننا قد جمعنا كلَّ ما يمكننا جمعهُ من جيش وعدَّة وبلغ استعدادنا مداه فلم يبقَ لنا بعد هذا الصعود الاّ النزول . أما العدوُّ فيزداد يوماً بعد يوم . ان في أعمال الناس مدًّا اذا ركبوه في أُبانهِ سار بهم الى الفلاح أما اذا تباطئوا وأهملوه فانهم يبقون كلَّ رحلتهم في رقراقٍ من التعاسة . نحن الآن عائمون في أعلا مدّ البحر فلنسر مع التيار في سبيله والاّ أضعنا فرصتنا

كاسيوس — فليكنْ ما تريد ولنذهب لملاقاة الاعداء في فيلبي

بروتوس — زحفَ علينا سواد الليل ونحن غارقون في الكلام . لا بدَّ للطبيعة ان تأخذ مجراها فلنرضها بقليل من النوم . هل لكم من كلام تقولونهُ ؟

كاسيوس — لا . طاب ليلك . سنبكّر غداً في القيام ثم نرحل [(١)]

بروتوس — (منادياً الخادم) لوسيوس ! (يدخل الخادم) اعطني جلبابي . (يخرج الخادم) وداعاً مسلاّ . طاب ليلك يا تيتينيوس . وأنتَ أيها النبيل كاسيوس أتمنى لك نوماً هنيئاً

كاسيوس — لقد بدأنا ليلتنا بالخصام أيها العزيز بروتوس فاياك ان تدع مثل ذاك الشقاق يحول بيني وبينك بعد الآن

(١) في التاريخ انهذا الحديث دار بين القائدين قبيل معركة فيلبي تماماً وليس في مثل هذا الوقت

بروتوس — عادت الأمور الى مجاريها

كاسيوس — مُسيتَ بالخير

بروتوس — وأنت أيها الأخ العزيز

تيتينيوس ولوسيليوس — طاب ليلك أيها المولى بروتوس

بروتوس — وداعاً جميعاً . (يخرج الجميع عدا بروتوس) . (يدخل لوسيوس بالجلباب)

بروتوس — هاتِ الجلباب . أين آلةُ الطرب ؟

لوسيوس — هنا في الخيمة

بروتوس — ما بالك تتكلم ناعساً . مسكين لا لوم عليك فقد أضناك الوقوف للحراسة . ادعُ كاوديوس وادع معهُ غيره يناموا هنا على فُرشٍ في خيمتي

لوسيوس — ڤارو ! كلوديوس ! (يدخلان)

ڤارو — هل نادى مولاي ؟

بروتوس — اضطجعا في الخيمة فقد أنهضكما عما قليل وأرسلكما الى أخي كاسيوس

ڤارو — عفوك . بل نبقى واقفين نتلقى أوامرك

بروتوس — لا . لا أريد ذلك بل اضطجعا والاّ غيَّرتُ فيكما ظني . (مخاطباً لوسيوس) ها الكتابُ الذي طلبتهُ منك يا لوسيوس فاني وضعتهُ في جيب جلبابي .

(يضطجع كلوديوس وڤارو)

لوسيوس — اكدتُ لمولاي انهُ لم يعطنيه قط

بروتوس — لا تؤاخذني يا غلام فاني كثير النسيان . هلاّ فتحتَ عينيك المتثاقلتين قليلاً وعزفتَ على الآلة دقةً أو دقتين

لوسيوس — أمرك مطاع يا مولاي

بروتوس — اني أتعبك فوق طاقتك ولكنك مطواع

لوسيوس — ذلك واجب عليّ

بروتوس — يجب ألاّ اسألك فوق ما تستطيع فان دم الشباب يتطلب الراحة

لوسيوس — لقد نمت منذ هنيهةٍ يا مولاي

بروتوس — حسناً فعلت وستنام عما قليل أيضاً فلست بممسكك طويلاً . وسأحسن اليك ان عشتُ . (عزف على الآلة) لحنٌ منوّم (ينام الخادم) يا لك من نعاسٍ قتّال . هل لمست غلامي بعصاك الثقيلة فأنمتهُ على أوتاره . هنيئاً لك النوم يا غلام فلست بمزعجك وموقظك . ان كبوتَ لوجهك كسرت آلتك . سآخذهـا منك . طاب ليلك يا غلام (يعود للقراءة في كتابه) ألم أطوِ الورقة عند ما انقطعت عن القراءة . دعني أرَ . ها هي . (يدخل خيال قيصر)

ما اردأ نور هذه الشمعة . ها ! من القادم ؟ ان ضعف عينيَّ يصوّر لي هذا الخيال المزعج . لقد جاء عليّ . من أنت ؟ آله ؟ أم مَلك ؟ أم شيطان ؟ فقد بردّت الدم في عروقي وأوقفت شعر رأسي . تكلم من أنت ؟

الخيال — أنا روحك الشريرة يا بروتوس

بروتوس — ولمَ أتيت ؟

الخيال — لأخبرك انك ستراني في فيلبي

بروتوس — أأراك مرةً أخرى ؟

الخيال — نعم في فيلبي

بروتوس — اذن سأراك في فيلبي . (يخرج الخيال) لقد هدأ روعي اذ اضمحليت . سيكون لي معك شأن أيها الخيال المشوم

لوسيوس ! يا غلام ! ڤارو ! كلوديوس ! انهضوا جميعاً

لوسيوس — الاوتار رديئة يا مولاي

بروتوس — يظن انهُ لا يزال يضرب على الاوتار . أفق يا لوسيوس

لوسيوس　— مولاي

بروتوس　— هل كنت تحلم عند ما صرخت في نومك ؟

لوسيوس　— ما علمت اني صرخت يا مولاي

بروتوس　— نعم صرختَ . هل رأيت شيئاً ؟

لوسيوس　— لا يا مولاي

بروتوس　— عد الى نومك يا لوسيوس . كلوديوس ! وأنت يا غلام انهض !

ڤارو　— مولاي

كلوديوس — مولاي

بروتوس　— لماذا صحتما في نومكما ؟

الاثنان معاً — هل فعلنا ذلك يا مولاي

بروتوس　— نعم . هل رأيتما شيئاً

ڤارو　— لم أرَ شيئاً يا مولاي

كلوديوس — ولا أنا يا مولاي

بروتوس　— اذهبا لكاسيوس بلّغاه سلامي وقولا له يُعدّ جيوشه و يتقدمنـا فسنلحق بهِ

الاثنان — سنفعل يا مولاي

الفصل الخامس

« المشهد الأول »

سهول مدينة فيليبي . يدخل اوكتافيوس وأنطونيوس بعسا كرهما

اوكتافيوس — ها قد تحققتْ أمانينا يا أنطونيوس . قلتَ ان الاعداء لا ينزلون لملاقاتنا بل يلازمون المرتفعاتِ والتلال فخاب ظنك . ها كتائبهم تقترب وغرضهم مفاجئتنا القتال قبل ان ندعوهم اليهِ

أنطونيوس — اسكت . أنا في ضمائرهم وأعلم لأي غرض يرمون . يودّون لو أتيح لهم الذهاب الى غير هذه الاماكن ولكنهم ظنوا انهم يخيفوننا بهذه المظاهرات الهائلة فنتوهمهم على شجاعةٍ وقوةٍ عظيمتين . ساء ما يخمّنون　(يدخل ساعٍ)

الساعي — تهيأا أيها القائدان فالعدوُّ قادم بمظهر فخمٍ رافعاً راية حر به الحمراء فبداراً الى العمل

أنطونيوس — اوكتافيوس ! تقدَّم بجيشك على مهلٍ وكن على يسار الميدان .

اوكتافيوس — بل سألزم الميمنة والزم أنتَ الميسرة

أنطونيوس — أتقاومني والموقفُ حَرِج

اوكتافيوس — لا أقاومك ولكني سأفعل ما قلتُ　(سير جنود في الخارج)

(صوت طبل . يدخل بروتوس وكاسيوس بعسا كرهما ولوسيليوس وتيتينيوس ومسلاّ وآخرون)

بروتوس　— ها هم واقفون وأظنهم يرغبون في المداولة

كاسيوس　— ألبث مكانك يا تيتينيوس فسنخرج اليهم ونكلمهم

اوكتافيوس — هل نبدأ القتال يا انطونيوس ؟

انطونيوس　— لا بل نلزم خطة الدفاع . تقدّم فان قوادهم يرغبون في المداولة

اوكتافيوس — لا تتحركوا وانتظروا اشارة القتال

بروتوس — الكلام قبل امتشاق الحسام . أليس كذلك بني وطني ؟

اوكتافيوس — ليس لأننا مثلكم نفضل الكلام على الحسام

بروتوس — الكلام الطيب خير من الضرب الخائب يا اوكتافيوس

انطونيوس — انك تلحق ضرباتك الخائبة بكلامٍ طيب يا بروتوس فبينا أنت تنادي ليحيى قيصر اذا بك تطعنه الطعنة النجلاء تخترق قلبه

كاسيوس — أما ضرباتك يا انطونيوس فلم نعلم وجهتها بعد ولكننا نعلم عن كلامك انهُ يسرق من النحل شهدها

انطونيوس — لكنه يُبقي على إبَرِها

بروتوس — نعم ويحرمها طنينها فأنك سرقتهُ منها وانتحلتهُ لنفسك فصرت تهدد قبل ان تلسع

انطونيوس — أما أنتم أيها الانذال فلم تهددوا قيصر قبل ان تكسّرت نصالكم بعضها على بعض في جسده . بل كشرتم عن اسنانكم كالقردة وتذللتم كالكلاب وانحنيتم تقبلون أقدامه كالعبيد بينا كاسكا اللعين يغتاله كالكلب من الوراء يضرب به في عنقه . يا لكم من مداهنين !

كاسيوس — مداهنون ؟ احمد نفسك يا بروتوس الآن فلم يكن هـذا اللسان ليسيئ بمثل هذا الكلام لو كنتَ أصغيت لمشورتي في ذلك الحين[١]

اوكتافيوس — مهلاً مهلاً . ان الجدال يعرّقنا . اما تأييده بالأفعال فيسيل دماءنا . اني قد سللت سيفي على المتآمرين فمتى تظنونه يرجع الى غمده ؟ ليس براجع قبل ان يثأر جراح قيصر الثلاثة والثلاثين أو يسقط قيصر آخر بسيوف الخائنين

بروتوس — اي قيصر انك لن تموت بيد الخائنين الاّ اذا كنت قد أتيت بهم في صحبتك

(١) كل المتآمرين عدا بروتوس كان من رأيهم قتل انطونيوس مع قيصر

اوكتافيوس — صحيح فاني لم أخلق لأموت بسيف بروتوس

بروتوس — لو كنتَ خيرَ من قام في عشيرتك أيها الشاب لما لقيتَ موتاً أشرفَ من موتٍ يجيئك على يدي

كاسيوس — ولدٌ غرٌّ طائش لا يستأهل هذا الشرف يصحبهُ مراء منغمسٌ في الملذات

أنطونيوس — لا تزال كما كنتَ كاسيوس الأحمق السفيه

اوكتافيوس — هلمَّ بنا يا أنطونيوس . وأنتم أيها الخونة ان أعجبكم القتال اليومَ فانزلوا الى ساحتهِ أو تربصوا حتى تميلَ اليهِ نفوسكم (يخرج اكتافيوس وأنطونيوس وعساكرهما)

كاسيوس — اعصفي أيتها الرياح الآن وازبدي أيتها الأمواج ولتشقَّ السفينةُ عبابكِ . ها قد اشتدت الانواء وصار القول الفصل للاقدار

بروتوس — لوسيليوس ! تعال . لي كلمة أسرّها اليك

لوسيليوس — مولاي (يتهامسان)

كاسيوس — مسلاّ

مسلاّ — أمرك أيها القائد

كاسيوس — اسمع يا مسلاّ . هذا يوم ميلادي . في مثل هذا اليوم وُلد كاسيوس هات يدك واشهد اني مثل بومباى قد أُرغمتُ على خوض غمار معركةٍ فاصلةٍ يتوقفُ عليها كياننا (١)

انك تعرفني تلميذاً لابيقورس ولمذهبه . أما الآن فقد تغيّرتُ وصرت اعتقد بنبوءات الاشياء فانّا عند ما رحلنا عن ساردیس في طريقنا الى هنا تبعنا نَسرانِ قويّان وسقطا على قوائم راياتنا الامامية وظلاّ يرافقاننا ويتناولان طعامهما من أيدي

(١) اشارة الى كونه لم يرتأي خطة الهجوم التي اختطها بروتوس

عساكرنا حتى بلغنا فيلبي اليوم فطارا واختفيا عن الأبصار وجاءتنا بدلاً منهما العقبان والغربان والأصقر تحوم على رؤوسنا كأنهـا ترقب فينا فريسة هالكة وتمدُّ لنا من ظلال أجنحتها كنفاً مخيفاً يبيت جيشنا تحته متأهباً للموت

مسلاّ — لا تصدق هذه الأمور

كاسيوس — لا أصدّقها الاّ بعض التصديق فاني عقدت النية على ملاقاة الأخطار بصدر رحيب

بروتوس — وهو كذلك يا لوسيليوس[1]

كاسيوس — اي بروتوس كلّي النبل ليت الآلهة تقف في صفوفنـا وننتصر فنعيش ما بقينا بسلام متحابين . ولكنّ أعمالنا في سرّ الغيب فقد يقع لنا شؤم الانكسار وهذا آخر كلام بيننا . فما الذي عزمتَ عليه ان انكسرنا

بروتوس — أتمسك بالمبدأ الحكيم الذي لمتُ كاتو على مخالفته اذ انتحر ، وأتدرّع بالصبر مترقباً أحكام القوى العليا في شؤوننا الدنيا[2] لأني أرى من الجبن والدناءة تعجيل المرء في القضاء على نفسه فراراً من وقوع ما يخشاه

كاسيوس — فاذا دارت علينا الدائرة رضيت لنفسك ان يقودك المنتصرون في شوارع رومه ؟

بروتوس — لا يا كاسيوس . لا يا ابن رومه . ان بروتوس لن يساق الى رومه أسيراً . انهُ أأبى من ذلك نفساً . اليوم خاتمة أعمال بدأنا بها في خامس عشر مارس ولست أدري ان كان يُتاح لنـا الاجتماع بعد . لذلك أودعك الوداع الأخير . الوداع ، الوداع يا كاسيوس . ان قُدّر واجتمعنا فسيكون اجتماعنا محظوظاً والاّ فأكون قد ودعتك وداعاً جميلاً[3]

---

(١) آخر كلام المهامسة بين بروتوس ولوسيليوس (٢) كاتو أحد عظماء الرومانيين مات منتحراً ولعله حمو بروتوس (٣) أظهر شكسبير بروتوس في جوابه هذا راضياً

كاسيوس — الوداع . الوداع يا بروتوس ان قدّر واجتمعنا فسيكون اجتماعنا محظوظاً والاّ فأكون قد ودعتك وداعاً جميلاً

بروتوس — هلمَّ بنا . آه لو استطعنا علم ما يكنّه لنا هذا اليوم قبل مجيئه . انما حسبنا انهُ سينقضي وحينذاك تعلم النيجة . هيا بنا . (يخرجان)

« المشهد الثاني »

ساحة القتال . صوت بوق . يدخل بروتوس ومسلاّ

بروتوس — اسرع يا مسلاّ . امتطِ جوادك واذهب بأوامري الى الجنود المرابضة على الجانب الآخر . ليهجموا في الحال فاني ألحظ الضعف بادياً على جناح اوكتافيوس فاذا فاجأناه بصدمة قويّة تضعضع وتشتت شمله . اركب واسرع يا مسلاّ دع الجميع يهجموا (يخرجان)

« المشهد الثالث »

ناحية أخرى من ساحة القتال . صوت بوق . يدخل كاسيوس وتيتينيوس

كاسيوس — ويل لهم يا تيتينيوس . ويل لهؤلاء اللئام كيف ولّوا الادبار ، هاك حامل رايتي رأيتهُ يتأهب للفرار فانقلبت عدوًّا له فقتلتهُ وخلصتُ الراية

تيتينيوس — لقد تسرَّع بروتوس بالهجوم وعند ما رجحت كفّتهُ كفّة اوكتافيوس توغل جيشه في السلب وتخلّفوا عن نجدتنا تاركين أنطونيوس يحيق بنا . (يدخل بنداروس)

بالانتحار فراراً من الاسر خلافاً لجوابه السابق وهذا تناقض لا يبرره الا ان يكون قد غير فكره بغتة عند ما ذكر له كاسيوس الاسر الشائن . على ان تاريخ بلوتارك يروي أن بروتوس جاوب كاسيوس وقال « انني عند ما كنت شاباً لم اختبر الدهر كنت ألوم كاتو على انتحاره أما الآن وقد عرفت الدنيا فقد غيرت مذهبي

بنداروس — فراراً مولاي . ابتعد عن هذا المكان . أنطونيوس في خيامك اسرع أيها النبيل كاسيوس وابتعد

كاسيوس — إننا لعلى بُعدٍ كافٍ . أنظر تيتينيوس . أخيامي هذه التي أرى النار مشبوبةً فيها

تيتينيوس — خيامك يا مولاي

كاسيوس — ان كنت تحبني يا تيتينيوس فاركب جوادي واغمد مهمازيك في جنبيهِ الى ان يبلغ بك تلك الكتائب المقبلة . تبيَّنها وعدْ اليَّ واخبرني أَمِن الاصدقاء أو من الاعداء هي

تيتينيوس — سأعود اليك بأسرع من مرّ الفكر (يخرج)

كاسيوس — وأنتَ يا بنداروس ارقَ قمة هذه الرابية وارقب تيتينيوس في سيره وانقل اليَّ ما تراهُ في ساحة القتال فاني لم اكن حادَّ البصر قط . (يصعد بنداروس الى الرابية ويبقى كاسيوس وحده) . في مثل هذا اليوم ولدتُ . دار بي دولاب الزمان دورته فحقَّ لي ان أنتهي حيثُ ابتدأت . لقد اكمل جواد حياتي شوطه . ما الخبر يا غلام ؟

بنداروس — (من على الرابية) آه يا مولاي !

كاسيوس — ما الخبر ؟

بنداروس — أرى فرساناً تسرع لتحيط بتيتينيوس ولكنهُ لا يزال جادًّا نحوهم كادوا يأخذونهُ . لقد ترجل بعض منهم . ترجل هو أيضاً . لقد أسروه . اسمع . انهم يهتفون فرحاً (هتاف في الخارج)

كاسيوس — انزل وكفَّ عن النظر . ما أجبنَ قلبي . أأعيش لأرى أعزَّ أصدقِئي يؤخذُ أمامي ؟ (ينزل بنداروس) اقترب يا غلام . اني أخذتك أسيراً في بارثيا ولكي أبقي على حياتك جعلتك تغاظ لي الايمان ان لا تخالف لي أمراً . تعال

واوفِ بقسمك الآن وكنْ حرًّا . اطعن صدري بهذا السيف الذي مزَّقتُ بهِ أحشاء قيصر . لا تتردَّدْ . خذْ مقبضهُ في يدك فاذا ما غطّيتُ وجهي سدّدْ ساعدك واطعن . (يطعنهُ العبد) ها قد ثُئرتَ يا قيصر الآن بنفس السيف الذي أرداك (يموت)

بنداروس – لقد أصبحتُ حرًّا . فواللهِ لآثرتُ العبودية لو استطعتُ عصيان أمرهِ . وا كاسيوساه ! سيرحل بنداروس عن هذه البلاد الى حيث لا تراه عينُ رومانيّ . (يخرج)

(يدخل تيتينيوس مع مسلاّ)

مسلاّ – الحرب سجال يا تيتينيوس فقد قهر بروتوس اوكتافيوس وفازت جنود أنطونيوس على كاسيوس

تيتينيوس – ستسرّ هذه الانباء قلب كاسيوس

مسلاّ – أين تركته

تيتينيوس – في يأس شديد مع عبده بنداروس على هذه الرابية

مسلاّ – أليس هو ذاك المضطجع على الأرض ؟

تيتينيوس – ما هكذا تضطجع الاحياء . واهٍ يا قلبي

مسلاّ – أهذا هو ؟

تيتينيوس – بل ما كان هو . لم يعد كاسيوس بموجود . ايهٍ أيتهـا الشمس الغاربة لقد غاب كاسيوس في دمه القاني كما تغيبين أنتِ وسط أشعتك الحمراء . غربت شمس رومه وتبدّل نهارنا بغيوم وأمطار وأخطار . قضي الأمر . ان تيقنه اندحاري دفعه الى هذا العمل

مسلاّ – بل شكُّهُ في الانتصار قد دفعه الى هذا العمل ! ويحك أيها الخطأ المبغوض يا ابن اليأس ؟ لِمـا تضع تصورات مكذوبة في عقول الناس السليمة ؟

ويحك ما أسهل مجيئك ! انك لا تغشى السرير مبشراً بميلاد مبخوت حتى تنذر بموت الوالدة !

تيتينيوس — بنداروس ! أين أنت ؟

مسلاّ — ابحث عنه ريثما اذهب لملاقاة بروتوس أخرق أذنيه بهذا النبأ الأليم . نعم أخرق اذنيه . فوقع السيوف القاطعة والسهام المسمومة أسهل على بروتوس من خبر هذا المنظر

تيتينيوس — أسرع يا مسلاّ أما أنا فسأبحث عن بنداروس . (يخرج مسلاّ) وا كاسيوس الشجاع ! لما بعثتني رسولاً ؟ اني لقيت اصدقاءك فضفروا لي اكليل النصر أحمله اليك ! أما سمعت هتاف فرحهم ؟ ويحي انك اسأت تأويل كل شيء ! هاك الاكليل . ضعه على جبينك . أخوك بروتوس أمرني ان أعطيكه وها أنا منفذ أمره . تعال يا بروتوس وانظر كيف توّجتُ كاسيوس . غفرانكِ أيتهـا الآلهة الآن ! ان واجباً رومانياً قد دعاني . تعال يا سيف كاسيوس فتش عن قلب تيتينيوس . (ينتحر)

(صوت بوق . يدخل مسلاّ ومعهُ بروتوس وكاتو الشاب وستراتو وفولمنيوس ولوسيليوس)

بروتوس — أين . أين جثتهُ يا مسلاّ ؟

مسلاّ — هناك يندبها تيتينيوس

بروتوس — أرى تيتينيوس مستلقياً على ظهره !

كاتو — ميت !

بروتوس — أي يوليوس قيصر ! ألا تزال قديراً . أيطوف بنا خيالك فيحدّد سيوفنا لنمزّق بها أحشاءنا ؟ (صوت بوق ضعيف)

كاتو — لله درُّك يا تيتينيوس الشجاع ! أنظر كيف كلّل رأس كاسيوس

بروتوس — أباق في الرومان اثنان كهذين ؟ وداعاً يا آخر أبناء رومه ! ان رومه لضنينة بمثلك ! أي أخواني . اني مدين لهذا الراقد بأكثر مما تروني أذرف من الدمع . سأفيك حقك يا كاسيوس سأفيكه . هلموا الآن وأرسلوا جثته تدفن في ثاسوس [١] فاني أخشى انحلال عزيمتنا ان نحن أقمنا مأتمه بيننا . تعال يا لوسيليوس وأنت يا كاتو هلمّ الى ساحة القتال . أعدّا كتائب الجيش يا لابيو وفلافيوس فانما الساعة الثالثة الآن ولا بد من خوض غمار معركه ثانية قبل حلول الظلام [٢]

(يخرج الجميع)

« المشهد الرابع »

ناحية أخرى من ميدان القتال . صوت بوق . يدخل جنود من الفريقين يتحاربون ثم يدخل بروتوس وكاتو ولوسيليوس وآخرون

بروتوس — اثبتوا قليلاً بعد يا أبناء وطني . ارفعوا رؤوسكم وانشطوا .

كاتو — لقيطٌ لئيمٌ من يتخلَّف ! مَنْ يتبعني ؟ سأكرُّ منادياً باسمي في ساحة الطعان وأنتسب ! أنا ابن ماركوس كاتو ! عدوُّ الظالمين وصديقُ وطني ! أنا ابن ماركوس كاتو ! أنا هو ! (يهجم على الاعداء)

بروتوس — وأنا بروتوس ! ماركوس بروتوس أنا ! بروتوس صديق رومه الحميم ! اعلموا اني بروتوس ! (يهاجم قسماً من جنود الاعداء فيفرّون ويتبعهم . ويتكاثر الجمع على كاتو . يطعنهُ احدهم فيقع ميتاً)

لوسيليوس — أسقطتَ يا كاتو الشابّ النبيل ؟ ما أشبهَ موتك بموت تيتينيوس الشجاع ! اننا سنكرمك يا ابن كاتو

جندي — (يهجم على لوسيليوس) سلّم والاَّ متّ !

(١) هي جزيرة طشيوز الواقعة في بحر ايجه بالقرب من قوله
(٢) وفي التاريخ ان المعركة الثانية وقعت بعد الأولى بعشرين يوم

لوسيليوس — اني أسلّم كي أموت . (يعطيه نقوداً) هذا كلهُ لك ان أنتَ عجّلتَ في قتلي ! اقتل بروتوس فتنال شرفَ قتله !

الجندي　— لا نقتله ، بل نأخذه اسيراً

جندي آخر　— افسحوا مجالاً . بلّغوا أنطونيوس أسر بروتوس

الجندي الاول — سأنقل الخبرَ . ها قد جاء القائد (يدخل أنطونيوس) لقد أسرنا بروتوس يا مولاي . لقد أسرنا بروتوس !

أنطونيوس — أين هو ؟

لوسيليوس — في حرزٍ أمين يا انطونيوس . ان بروتوس لأمنعُ من ان يقعَ لكم . ما من عدوٍّ يستطيع اخذه حيًّا . لتحرسهُ الآلهة من مثل هذا العار العظيم . فاذا ما لقيتموهُ ان حيًّا او ميتاً تلقونهُ هو هو وأشبهَ الناس بنفسهِ !

انطونيوس — (للجندي) ليس هذا بروتوس يا صاح ولكنهُ لا يقلُّ عنهُ قيمةً . احتفظوا بهِ وقولوا له قولاً ليناً . ليت مثل هؤلاء الرجال أعواني لا أعدائي . اذهبوا ابحثوا عن بروتوس . أحيٌّ هو ام ميت . ثم تعالوا قصّوا علينا الخبر في خيمة اوكتافيوس　(يخرج الجميع)

« المشهد الخامس »

ناحية أخرى من ميدان القتال

(يدخل بروتوس وداردانيوس وكليتوس وستراتو وفولمنيوس)

بروتوس — تعالوا يا بقيةَ اخواني نجلس الى هذه الصخرة

كليتوس — لاح لنا ستاتيليوس بمشعاله ولكنهُ لم يرجع بعد فقد يكون أُسر او مات

بروتوس — لقد راج سوقُ الموتِ اليوم وأصبح لفظةً مألوفاً . اقعد يا كليتوس

واصغ لي قليلاً (يكلمهُ همساً)

كليتوس — ماذا ؟ أنا يا مولاي ؟ لا ولو أُعطيتُ ملك العالم !

بروتوس — اذن فاسكت . اسكت لا تتكلم

كليتوس — بل اوثر قتل نفسي

بروتوس — اسمع يا داردانيوس (يكلمهُ همساً)

درداتيوس — أأنا أقدم على هذا العمل ؟

كليتوس — داردانيوس !

درداتيوس — كليتوس !

كليتوس — أيّ شرٍّ طاب منك بروتوس عمله ؟

درداتيوس — ان أقتله . أنظر انهُ شارد الفكر

كليتوس — لقد طفح هذا الاناء الشريفُ حزناً ففاض من عينيهِ

بروتوس — تعال أيها الطيب فولمنيوس . لي كلمةٌ أقولها لك

فولمنيوس — ماذا يريد مولاي ؟

بروتوس — هاك ما اريد . لقد زارني طيفُ قيصر مرتين في الليل مرةً في سارديس وأخرى الليلة هنا في فيلبي . لقد جاءت ساعتي

فولمنيوس — لا . لا يا مولاي

بروتوس — بل أنا واثق من قربها . قد انقلب الزمانُ علينا ودحرَنا الاعداء حتى حافةِ الهوّة فصار الأليقُ بنا ان نثبَ نحن اليها من ان نتربص حتى نُقذفَ قذفاً . أنتَ رفيقي يا فولمنيوس وقد كنا معاً في المدرسة . فبحقِّ الوداد القديم هلاّ امسكتَ سيفي فأرتمي عليهِ

فولمنيوس — ما تلك بمهمة صديق يا مولاي (صوت بوق)

كليتوس — الفرار الفرار يا مولاي ؛ لا مقام هنا بعد

بروتوس — الوداع يا كليتوس . الوداع يا داردانيوس . الوداع يا فولمنيوس .
ستراتو : أكنت مستغرقاً في النوم كل هذه المدة ؟ وداعاً لك . اي أبناء وطني !
ان قلبي ليطرب عند ما أراجع كل تاريخ حياتي فلا أرى رجلاً لم يكن يخلص لي
ولذلك حقَّ لي الفخر هذا اليوم مع الانكسار اكثر من اوكتافيوس وانطونيوس
بالانتصار . الوداع الوداع فقد نطق لساني بكل ماضي حياتي . ان الظلام يغشى
عينيَّ وعظامي تتطلب الراحة التي كانت تسعى لنيلها

(صوت بوق وأصوات اهربوا اهربوا اهربوا)

كليتوس — أهرب يا مولاي أنجُ

بروتوس — اخرجوا أنتم سألحق بكم (يخرج كليتوس وداردانيوس وفولمنيوس)
ابقَ أنت يا ستراتو بقرب مولاك . انك لعبدٌ بارٌّ اصطبغت حياتك بصبغة الشرف .
أدر وجهك عني وأمسك لي سيفي أقع عليهِ . افعل يا ستراتو

ستراتو — هات يدك أولاً . الوداع يا مولاي

بروتوس — الوداع أيها الطيب ستراتو (يقع على سيفه) نم مستريحاً يا قيصر
الآن فاني لم أقدم على قتلك بنصف العزم الذي أقدمتُ بهِ على قتل نفسي (يموت)

(صوت بوق . يدخل اوكتافيوس وانطونيوس ومسلاّ ولوسيليوس والجند)

اوكتافيوس — من الرجل

مسلاّ — هو عبد مولاي . أين مولاك يا ستراتو ؟

ستراتو — حرٌّ من مثل العبودية التي أنت فيها يا مسلاّ . فان يستطيع
المنتصرون الاّ احراقهُ الآن فقد انتصر على نفسه ولم يدع لغيره شرف القضاء عليه

لوسيليوس — وكذا كان رجاؤنا فيهِ . شكراً لك يا بروتوس فقد حققت
قولي فيك

اوكتافيوس — سألحق بي كلَّ من كان في خدمة بروتوس . أتبذلُ سعيك
لي يا غلام ؟

ستراتو – أقبل اذا شفع مسلاّ بي لديك

اوكتافيوس – اشفع بهِ يا مسلاّ

مسلاّ – كيف مات مولاي يا ستراتو ؟

ستراتو – مسكتُ له السيف فوقع عليهِ

مسلاّ – خذه اليك يا اوكتافيوس خذ اليك من قام بآخر خدمة لمولاي

انطونيوس – لقد كان اشرفَ رومانيٍّ في المتآمرين . كلٌّ منهم حاشاه فعل فعلته بقيصر العظيم لحسدٍ وغيرة . اما هو فانضمَّ اليهم ابتغاء مصلحة الأمة وارضاءً لمعتقده الشريف . ما اكرم حياته وما اشرف عنصره . ان الطبيعة نفسها تنادي بأعلى صوتها وتقول ذلكم رجل كامل

انطونيوس – فليكن اكرامنا له على قدر فضيلته وندفنهُ باحترام عظيم . اما الليلة فستبيتُ جثتهُ في خيمتي موضوع الاكرام العسكريَ نادوا بالجيوش تستريحُ وهلموا بنا نتقاسم مفاخر هذا اليوم السعيد . (يخرجون)



« تمت الرواية »

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء العاشر — فبراير (شباط) ١٩١٣ — السنة الثالثة

الجمهورية الفرنساوية

﴿ رئاسة ريمون پوانكاره ﴾

رجلٌ من الشعب صار ملكاً . لم يصر اليهِ الملك بالإرث عن والديه ، بل صار هو الى الملك بجدّه واستحقاقه . هنيئاً للشعب الذي يفسح المجال لكلّ كفوءٍ ان يكون ملكاً

ولدت فرنسا ملوكاً عظاماً . بل لعلّها ولدت أعظم ملوك التاريخ الحديث . ما كانت قط عاقراً ، ولا دبّ اليها العقم في الزمن الأخير . غير أن تمدّنها كان يمشي حثيثاً الى الكمال مشيةَ أخلاقها الى السموّ ، وعلمها الى الارتقاء . وان يكن قد قام فيها قَتَلةُ لويس السادس عشر وماري أنطوانت ، فقد قام فيها بعدهم محرّرو الأمم من الرق ، ومطلقو الممالك من قيود الملوك ، ومعلّمو الشعوب حقوق الشعوب

هذه الحكومة التي استهلّت الأمة رئاستها برجل « كتيارس » لم يولد ملكاً ، ولا ورث الملك وراثةً ؛ ثم تنقلت بها من رئيس الى رئيس ،

حتى وضعتها بين يدي « بوانكاره » انما هي النموذج الاول لما سيصير اليه حكم الأمم في المستقبل البعيد

ان شعباً استطاع ان يكون في يومهِ ، مثال جميع الشعوب في غدها ، لهو الشعب الذي يجب على العالم ان ينحني أمامه باحترام

***

في السابع عشر من شهر ينايرٍ (ك ٢) الماضي انعقد المجلس الوطني الفرنساوي في قصر ڤرسايل على مقربةٍ من باريس ، وانتخب مسيو «رَيمون پوانكارِه» رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية ، رئيساً للجمهورية بدلاً من مسيو « ارمان فاليير » الرئيس الحالي الذي تنقضي رئاسته في السابع عشر من هذا الشهر

دستور سنة ١٨٤٨ — كان الدستور الفرنساوي الذي سُنَّ في سنة ١٨٤٨ يقضي بانتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً شعبياً محضاً ؛ اي انه كان لكل فرنساوي لم يفقد صفته السياسية ، حق الاشتراك في ذلك الانتخاب . غير أن هذا الشكل الدستوري كان خطراً محيقاً بكيان الجمهورية ؛ فان الرئيس الذي تجمع الأمة على ترئيسه ، او ترأُسهُ عليها باغلبية آرائها ، يتأيد بقوة ذلك الاجماع ، او بدعامة تلك الأغلبية على الأقل ، تأييداً اذا عزَّزه الطمع ، دفعهُ الى قلب الحكومة من شكل الى شكل ، والاستئثار بها لنفسه ، كما فعل في سنة ١٨٥١ لويس نابوليون المعروف بناپوليون الثالث . لذلك قام رجال الجمهورية على قانون سنة ١٨٤٨ وأبدلوه بآخر جعلوا فيهِ الرئيس منتَخَب منتخَبي الامة : نوَّابها وشيوخها .

يريدون بهذا إضعافَ تلك القوة المستمدة من الأمة بوضعها اولاً بين أيدي النواب والشيوخ ، ثم بتدرّجها من هؤلاء الى الرئيس . قالوا : وان في تدرّج القوة من الاصل الى الفرع ، ثم الى فرع آخر ، تجزئةً لها ، وان في هذه التجزئة ، على هذا النمط ، اتقاءً للخطر المشار اليهِ ؛ فالرئيس الذي يجمع عليهِ النواب والشيوخ أضعف شوكة ، وأقل صولةً من الرئيس الذي تجمع عليهِ الأمة على بكرة أبيها

المجلس الوطني — يُطلق اسم المجلس الوطني ، او الجمعية الوطنية ، على مجلسَي الشيوخ والنواب ، متى اجتمعا معاً ، في قصر فرسايل ، لانتخاب رئيس الجمهورية . وينعقد هذا المجلس بأمرٍ سامٍ يصدره رئيس الجمهورية قبل انقضاء رئاسته بشهرٍ على الأقلّ . فان لم يفعل ، لأمرٍ ما ، انعقد المجلس لنفسه قبل انتهاء تلك المدة بخمسة عشر يوماً . على انه اذا خلا منصب الرئاسة ، قبل الأجل المقرر ، وذلك اما بموت الرئيس ، وإما باعتزاله ، وإما بخلعه بعد الحكم عليه ، وجب انعقاد المجلس الوطني على الأثر ، بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ ، لانتخاب رئيس جديد . والرئيس المنتخَب حينئذ انما ينتخب الى سبع سنوات جديدة وليس لتكملة السبع التي لم تتمّ . ويرئس هذا المجلس في جميع الأحوال ، الرئيس الأول لمجلس الشيوخ ؛ فيقصر العمل على الانتخاب وحده ، وتحظر المناقشة والجدَل

طريقة الانتخاب — كل فرنساويّ ، متمتع بحقوقه السياسية ، يصحّ أن يكون رئيساً للجمهورية . ولكنّ المجلس الوطني لم ينتخب الى اليوم غير مَن كان من اعضائه . اما الانتخاب فالى سبع سنواتٍ ،

وبالاكثرية المطلقة، على طريقة الاقتراع السري . ويجوز تجديد رئاسة الرئيس وتكرارها، وإن يكن لم تجدَّدْ لأحد من الرؤساء السابقين ؛

مرتب الرئيس — ليس لرئيس الجمهورية مرتّب معين يتقاضاه كموظف في الحكومة . فان النظام الذي وضع في سنة ١٨٧٥ ، ولم يزل معمولاً به الى يومنا الحاضر، أغفل هذا الأمر تاركاً لمجلسي الأمة تقريره سنوياً في ميزانية نظارة المالية . وقد جعلته هذه في العهد الأخير مليوناً ومئتي ألف فرنك : خصّت الوظيفة منها بستمائة ألف فرنك ، وعينت لنفقات القصر ثلاثمائه ألف ، وتركت الثلاثمائة الألف الأخرى لنفقات الأسفار والاحتفالات

حقوق الرئاسة — اذا كانت الجمهورية في فرنسا قد قامت على اكتاف رجال الثورة ، فلأن تلك الاكتاف كان قد أرهقها استبداد الحكم المطلق ، وناء بها حمل الحاكم الفرد . واذا كان الدستور الفرنساوي قد جرَّد رئاسة الجمهورية من معظم حقوق الملكية ، فلأن الدستور يقضي أنّى كان ، بأن تكون الأمة حاكمة نفسها بنفسها بكل معنى الحكم . لذلك كانت السلطة المخوّلة لرئيس الجمهورية ضيقةً، محدّدةً ، تكاد تخلو من كل مسئولية ، ولذلك ايضاً ما اهتمّ لاحراز هذا المقام العالي — بعد تيارس وقبل بوانكاره — أحد الساسة النابغين

كل ما لرئيس الجمهورية من الحقوق لا يتعدى حقاً تشريعياً محصوراً في قليل من السلطة على مجلسَي الامة ، ويسير من التدخل في سنِّ القوانين ، واشتراع الشرائع ؛ وحقاً آخر تنفيذياً مقيداً بقيودٍ

ضيقة الحلقات يتحمل مجلس النظار كل مسئولية فيه

الحق التشريعي — أناط الدستور برئيس الجمهورية حق إشغال مجلسَي الأمة ؛ فهو يجمعهما للعمل او يؤخر اجتماعهما الى أجل . وهو يحل مجلس النوّاب اذا وافقهُ على حله مجلس الشيوخ . غير ان الرئيس لا يستخدم هذا الحق، حسب مطامعه وأهوائه ، ولكن في أحوال معينة نصّ عليها القانون ؛ كأن يتعذر ، على جملة وزارات متعاقبة ، تسييرُ الأعمال ، والقيام بالواجبات ، لاصرار مجلس النواب على المشاكسة في أمرٍ ما ، واستمراره على رأيٍ رآه ، لأول مرة ، في ذلك الأمر ثم لم يتحول عنه . حينئذٍ يقرر الشيوخ وجوب فضّ المجلس فيعمل الرئيس بذلك القرار

وللرئيس ان يشترك بالرأي مع وزرائه في التشريع ، وان يحمل مجلس الأمة على اعادة البحث ، واطالة النظر في كل قانون طرحتهُ الوزارة في المجلس على بساط الجدل والبحث . وعلى مجلس الأمة ان يفعل بمشيئة الرئيس

الحق التنفيذي — يشمل هذا الحق الأمور التالية :

١ً ان يتوّجَ الرئيس باسمه جميع القوانين ، ويراقب تنفيذها

٢ً ان يسامح وان يعفو

٣ً ان يستأثر بقيادة الجيش

٤ً ان يعيّن في الوظائف المدنية والعسكرية

٥ً ان يرأس المجتمعات الوطنية

٦ً ان يمثل الأمة في علاقاتها السياسية الخارجية

أعطيَ الرئيس حق المسامحة والعفو معاً ، ولكنّ الدستور أطلقه في الأول وقيده في الثاني اذ جعله ميسوراً له فقط بموجب قانونٍ يصدّقه مجلسا الأمة ، لأن العفو في عرف السياسة غيرُ المسامحة . هذه لا تمحو الجرم الأصلي بل تمحو جزءًا من عقابه ، أو عقابه كله ، وذاك يلغي الجريمة نفسها كأنه لم تكن جريمة فلم يكن عقاب

وخُوّل الرئيس قيادة الجيش العليا بمعنى أنه رئيس الحكومة الأكبر. غير ان هذا الحق لفظي لا فعلي . فالدستور الذي جعل الرئيس غير مسئول لدى الأمة ، وضع كل مسئولية في اعماله على وزرائه . فمن الصعب جداً ان يعمل الرئيس بهذا الحق ويحمل ناظر الحربية المسئولية عنه . بل الأصعب أيضاً ان يضع مجلس النواب ثقته في ناظرٍ يأخذ على نفسه تبعة هذا الأمر

مسئولية الرئيس — ليس رئيس الجمهورية بمسئول لدى مجلس الأمة بل المسئول عنهُ في جميع أعماله انما هو رئيس الوزارة ، ومجلس الوزراء . غير ان الدستور الفرنساوي قال بوجوب محاكمة الرئيس اذا ارتكب «الخيانة الكبرى» ؛ ولكنهُ لم يفسر هاتين اللفظتين بل ذكرهما مجرّدتين . ثم اعطى مجلسَ النواب حق الاتهام ، ومجلسَ الشيوخ حق الحكم . ونصّ بوجوب تطبيق هذه القواعد نفسها في جرائم الرئيس المدنية كما في جرائمه السياسية

***

ريمون بوانكاره — وُلد في «بارلدوك» من أعمال فرنسا سنة ١٨٦٠

فهو اليوم في الثانية والخمسين من عمره . أما حياته فهي سلسلة جدّ ونشاط، وأما تقدّمهُ فهو تقدم السائر في مراحل الترقي بالسرعة التي يمشي بها كبار الرجال ، فكانت كل درجة من درجات الارتقاء التي وطئها قذّافةً بهِ الى درجة أعلى حتى لقد أصبح في كهولتـهِ في أعلى القمم التي يمكن ان يحلم بالصعود اليها انسان : في الثانية والعشرين من عمره كان سكرتيراً لمؤتمر المحامين ؛ وفي السادسة والعشرين ، عضواً في مجلس النوّاب؛ وفي الثالثة والثلاثين وزيراً للمعارف ؛ وفي السابعة والأربعين عضواً في مجلس نقابة المحامين ؛ وفي الثامنـة والأربعين عضواً في الأكاديمي ؛ وفي الحادية والخمسين رئيساً لمجلس النظار؛ وفي الثانية والخمسين رئيساً للجمهورية .

هذا هو ملخص حياته المجيدة ، وتقدمهِ المدهش . ولا تكون مثل هذه الحيـاة الاَّ لرجلٍ نابغة متفرّد بصفاتهِ . وأهمّ تلك الصفـات ارادة شديدة ، وفكر نيّر، وثبات في العمل ، وميل عن الأوهام الى الحقائق، وحكمٌ صائب ، وشعور دقيق . وقد زانتهُ الطبيعـة بصفات قلما اتفق اجتماعها في نفس واحدة فبينا تراه كاتباً بليغاً اذا بك تراه عالماً مدققاً ، وبينا تقرأه فيلسوفاً مفكراً ، اذا بك تجده شغفاً بالفنون الجميـلة ، وبينا تسمعهُ خطيباً تهتز له أعواد المنابر ، اذا بك تراه هادئاً ساكن الجأش .

قال الأب « مرشال » أستاذه الأول وقد اتصل به صدى خطبه الرنانة : « لو كنت أعلم ان پوانكاره سيستعمل لسانه بمثل هذه الزلاقة ما كنت عاقبتهُ مراراً على الثرثرة في خلال الدروس »

هذا وأما انتخابه لرئاسة الجمهورية فقد كان له أعظم وقع في فرنسا

خصوصاً وفي العالم كله عموماً . واستقبلتهُ الجرائد على اختلاف نزعاتها ولغاتها بكلمات الاجلال والاحترام . قالت جريدة التيمس عنهُ : «ان فوزه يعدُّ فوزاً لمبادىء الجمهورية العاقلة المعتدلة » . وقالت الدايلي مايل : « لم يرأس الجمهورية الفرنساوية بعد «تيارس» رجل ذو تفوُّق حقيقي، ومحاط باحترام عام مثل پوانكاره » . وقالت عنهُ غازتة المانيا الشمالية : « ان لهُ الفضل الأعظم في حفظ السلم في أوروبا ابَّان الأزمة البلقانية »

اقتراح على شعرائنا — لم تترك صحف اوروبا شيئاً الاَّ ذكرته عن الرئيس الجديد . فامامنا الآن اول مقالةٍ نشرها في الجرائد، واول مرافعة له في المحاكم، ومأثورات جمة عن صباه وجميع أطوار حياته . ومما قرأناه له أبيات شعرية نظمها يوم انتقل من حضن الحياة العائليـة الى ميدان العمل والجهاد . وهذه هي ترجمة تلك الابيات لعلَّ بين شعرائنا من يسبكها في قالب النظم . قال بعنوان « الفراق الاول »

«ان الذي أتأسف عليهِ هنا ليس الصفاء ولا الراحة المضرَّة . ونفسي القلقة ما كانت لتتكدر من أجل دواعي الافراح والملذات التي أُغادرها

ان الذي أتأسف عليهِ هو نارٌ مدفئة في الشتاء، وسماءٌ صافيـة في الصيف

ان الذي أتأسف عليهِ هو أخٌ وصديقٌ ووالدٌ محبوب . هوأمٌّ ساهرة ابداً على ولدها

انقضت الايام الجميلة . فالذي أتأسف عليـه — ويا له من أسف لا يجدي — لن يرجع ابداً . . ! »

حرفة الأدب

« للشيخ أبي السامي مصطفى صادق الرافعي »

لا أريد من معنى هذه الحرفة ما يتجوز به المتكلمون من إملاق أهل الأدب وسوء أثر الزمان عليهم كسوء أثره على بعض الكتب القديمة .. ولا ما يترسلون به من جفاء الأديب واطراحه دون منزلته وتقديره بما ليس من كفايته ، وذهابهم الى أن الأقدار ما برحت تنصرف بسعادته الى غيره ، وبشقاء غيره اليه ، كأنه في لغة الأقدار باب من الطرد والعكس ... ولا ما يتمثلونه من قبح مكافأة كل اديب لنفسه ، وجنايته عليها وابتغائه بها المراميَ في كل ما أجرى اليه من قصد ، واستهدف له من غرض ، كأنها غير نفسه أو نفس غيره ، فما إن يزال ينصب ويتهالك فيما يعاني من أمر الادب لا يرفق بها ولا يستجمّ لها ، حتى تسترخيَ جوانبها ، وتتناثر بما فيها من قوة ، فيحتف عليها كل بلاء ، ويمكّن منها لكل قضاء ، وهو يرى أن لا بأس على نفسه من شيء ولو كان الموت ما دام قد استيقن أن لا بأس في لبه

لا أريد ذلك وما اليه مما عسى ان تبلغ به بلاغة القوم في تفضيل هذه الحرفة [١] اذا هم جمعوا أطراف البيان وأخذوا في متاحي القول ؛ وانما أشير الى معنى الحرفة على الحقيقة ، وأريد أن أصف شيئاً من اخلاق جماعة يحترفون من الادب صناعة كسائر المهن ؛ والصناعات التي بها قِوام

(١) استوفى الرافعي تاريخ كلمة حرفة الادب وبيان الاطوار الاجتماعية التي تقلبت عليها في الفصل الاول من المجلد الاول من كتابه تاريخ آداب العرب

العيش لهؤلاء المستأكلين والمتكسبين من السوقة والمرتزقة لا على جهة ما تحتاج اليه الحرفة من نفاق السوق ، وتحرّك الصناعة ، وتوفير الغلّة مما تزكو به الثروة ويستطيل النّماء ، وتتصل أسباب الفائدة ، ولكن على جهة الحاجة اللازمة في كل حرفة الى الأدوات والآلات ، والى التمرّس بالاسباب والوجوه ثم الى نزعة اللؤم التي لا بدّ منها في كثير من أهل الحرف والصناعات عند ما يعرض من اهتضام الحق وبخس المماكسة ؛ وعند تقليب النظر في أحوال الحرفاء وما أفاء الله عليهم من خير وبسط لهم من سعة ؛ وعند اهتمام القلب بكسادٍ إن وقع في الحرفة ، وفوتٍ ان فات من الربح ، وضعف ان أخذ في اطراف العمل ، وصداع ان ضرب في رأس المال ؛ وعند نصب البدن واستفراغ الذّرع وترميق الصبر ؛ فهذا كله وما يكون من بابه ويتصل بأسبابه رأيناه في كثير من أهل الأدب الذين اتخذوا من الأدب حرفة يُعرفون بها دون أن تعرف بهم ، وذهبوا يتجرون في أخلاقهم على الناس ، ولعل أحدهم أن يكون اسوأ من الحمق ، واذمّ من الحسد ، وأقبح من الجهل ؛ ثم لعله ان يكون مع ذلك أضعف مَن أنت واجد ممن يدّعي الفهم ، ويتنبل بالعلم ويتنفق بالادب ، ولكنه يمضي ممدوداً له في غيّه ، وينطلق منفّساً له في باطله ، ولا يزال قد ملكه السرف ونزت به الضراوة ، وبعث منه التسلط ، حتى يأخذ في كل فنّ من الحمق ، ويضرب في كل ناحية من السخف ، زرايةً على هذا ونفاسة على ذلك وتربصاً بغيرهما . ثم هو في جماع ينزع الى لؤم الحرفة ويتسكع في كل وجه من السفه منتحلاً ما شاء ان يتنحل

من الأسماء يصنع منها المعاذير ، ويستر بها على نفسه فضيحة من الاخلاق كان الرأي ان يتوقاها قبل ان تظهر ، لا ان يحاول سترها وقد ظهرت ؛ فربما زعم انه منتقد أو متصفح أو هو يصلح عيباً أو يبغي مرمة ولا بدَّ في هذا ومثل هذا بزعمه من سورة حمق ونزوة غضب ومن كلمة كزجرة المؤدب ، وأخرى كغمزة المثقف ، ونحوها مما يكون انتقاماً ويسمى في مذهبهم انتقاداً ولعناً ، ويسمى في اصطلاحهم طعناً ... وربما كان الرجل من الحماقة وفساد الاخلاق بحيث يرى سوء الادب أدباً ، والجنف عن الحق الواضح قصداً ، والتنطع فيما يجهل علماً ، وبحيث لا يرى له حجة ظاهرة على أحد الاّ في العناد وركوب الهوى والمخاطرة بالنصفة والمعدلة فمن ثَمَّ لا يرى عليه لأحد حجة ظاهرة ، ولا يرى ان احداً يقوم له في الحجاج او يثبت معهُ في الخصام ، او يرجح بالحق عليه وعلى باطله وهو ما هو ؛ غبي قَدَمُ الى الجفاء والغلظة والى السجف والغسولة وتراه على ذلك يجمع الى ضعف الرأي قوة العجب والى قلة الصواب كثرة التخطئة والى بطء الفهم سرعة الحكم ويرى كأن الله لم يخلق لأحد من الناس عقلاً الاَّ على قياس من رأسه ... فان أنت جئته بما يعلو عن فهمه ويخرج عن طاقته بادر فقطع فيهِ برأيه وجزم عليهِ بالركاكة والإِحالة والإِفساد وسوء التعبير . ولِمَهْ ؟ لانهُ هو لا يفهمه فلا يوجد من يفهمه البتة اذ كان ما زاد عن قياس رأسه لم يكن الى العقل بل الى الجنون .. وان هو أراد ان يبتَّ الرأي في كلام من الكلام ويتعسف في الجزم عليهِ بانهُ محال لا يستقيم ، مفسد لا يصح ، مضطرب لا يتماسك ، زعم

لك بلا حياء انهُ لا يفهم . وعليك أن تكون ذكياً بالوراثة منطيقياً بالفطرة لتنتهي من هذه المقدمة المسلمة . . . الى النتيجة الطبيعية . . . فتقطع بان ما لا يفهمهُ هو لا يُفهم بتةً إذ لا يوجد من يستبطن حقيقته في الجيل كله ما دام علم الهستولوجيا (الانسجة) لا يقيم عليهِ البرهان بان رأسه غير ذلك الرأس الذي نصبهُ الله في أرضهِ مقياساً للعقول . . . !

وبعد فان من لؤم هذه الحرفة ان ترى صاحبها ساقط الحرمة ذمر المرؤة ، زريّ النفس بذيئاً متعهراً فحّاشاً في هجائه أستغفر الله بل في انتقاده . . يضع لسانه حيث شاء من عِرض أو خلُق أو صيغة لا يبالي في كل ذلك ان يكون صدق وبرّ أو كذب وفجرَ ، بل همهُ ان يكون قد أوجع وأمضّ ، وطبّق المفصل الذي يحزُّ فيهِ لا ينكر من ذلك على نفسهِ نكيراً ولا يغير منهُ تغييراً . ولا بدع فاني رأيت أن أحداً من الناس لا يخلو من الفضيلة الاّ كان فيهِ ما يعتدُّه في رأي نفسهِ فضيلة وان فضيلة اللئيم التي يراها أن لا يخذله لؤمه دون الاستطالة والتمكن ؛ فلو كذب وعقّ وكفر النعمة ، وغمط الحق ، وجاء بكل مخزية ومندية ، ثم كان له أن يستطيل ويغلب ، لقام ذلك عنده مقام الصدق والمبرة والشكر والإقرار والاحسان ، ولكان عند نفسهِ أفضل أهل الفضائل جميعاً ؛ فهو لذلك لا يتورّع عن قول بذيء ولا يتنزه عن فعل دنيء ولا يأبى ان يكون أسخف الناس عند الناس اذا كان من نفسهِ ما عرفت

والغرور نعوذ بالله منه فهو ألأم اللؤم في محترفي الادب خاصة قلما يؤتى أحدهم الاّ من جهته ، ولا يعرض له الشيطان الاّ من قبله ؛ وانه

لجنون هؤلاء العقلاء اذا كان لكل امرئ شعبة من الجنون . فلو رأيت ذلك المغرور ، وَرِم أنفه ، ان يكون أحد أولى منه بالحق أو أحق بالصوت فلجّ في العناد ، وجنح الى الباطل ، وأصرّ واستكبر استكباراً ! ولو رأيتـه قد زيّن له الغرور وسوّلت له نفسه الخبيثة أن يهتف بأحد هتفة مشؤمة أو يقوم فيه مقاماً مشهوداً لجعل يفتري الكذب ويصنع الباطل وينقض الحق ويحيل الصدق حتى يصف لك أفضل خلق الله فلا تراه في ألفاظه الاّ غثاً بارداً سمجاً ، وأكرم خلق الله فلا تعرفه الاّ كزّاً لئيماً متوقحاً ، وأعلم خلق الله فلا تصيبـه الاّ جاهلاً غبياً فدْماً ، وأفصح خلق الله فلا تجده الاّ عياً بكيئاً حصِراً ؛ وهذا لا يزال يجترئ على الله ، ويمثل بخالقه هذا التمثيل ، ويمسخ منهم هذا المسخ حتى لكأن الله إله المخلوقين وهـذا المغرور اله الاخلاق ، وكأن لله جلّ شأنه قوة الخلق ولهذا الأحمق في معارضتها قوة الاختلاق

ولو قيل لي إن في أديب من الادباء مائة فضيلة وفيه الغرور ، لما صدّقت أن تكون فيه مع هذه الرذيلة فضيلة ؛ فان الغرور لا يكون الاّ من سوء تقدير المرء لنفسه وتقدير نفسه للناس ، وهما خصلتان لا غاية لهما الاّ تجاوز غاية المدح وغاية الذم ؛ وما أسرف امرء في مدح الاّ كاذباً ولا أفرط في ذمّ الاّ كاذباً ومتى كانت مع الكذب فضيلة ؟ ولولا هذا الغرور ما استنكف المخطئ ان يفيء الى الصواب ، والضال ان يثوب الى الحق والجاهل ان ينزل الى حيث يتعلم ، والناقص ان يخرج الى طلب الكمال من غيره وهذا كله تراه على أهونه وأقله في عوام الناس وطغامهم

وحثالتهم من لا يثبتون على الباطل الاَّ بمقدار ما يفهمون الحق ؛ ولكنه على أعظمه وأتمه في هؤلاء الذين يحترفون الأدب لأنهم أهل زلاقة ولَسَن وصنعة من الكلام ، وانما قلوبهم عند النضال في حصون من وراء أفواههم فلا تزال تصرع دون قلوبهم كل حجة ، أو ترد على أعقابها مهزومة أو كالمهزومة وهيهات هيهات ان تصل اليها مطاقة ، أو تنزل فيها ان نزلت الاَّ موثقة . وصفة المغرور ان يكون لسانه فوق عقله ، وتكون نفسه تحت لسانه ، فكيف تراه يكون لو تمت له مع هذه الصفة قوة اللسان وشرعة البديهة وشدّة العارضة واستجابة المعاني وهي أخصّ أدوات حرفة الأدب ؟

على أني يعلم الله ما رأيت كالغرور من هؤلاء الادباء يذم لك الغرور وينتفي منه ويعتده السيئة المجترَحة التي لا تكفّر عنها الحسنة بالغةً ما بلغت ، ثم لا تجده الا أشدّ الناس كلفاً بأن يكون كل ما يؤثر عن المغرورين مسند اليه ، متظاهراً عنه وأن تفشوَ له بذلك فاشية في الألسنة وتذهب عنه القالة في المجالس ليكون مرهوب الجانب ، متقى اللسان ، مخشيّ المعرّة مستعاذاً بالله منه ، وليُعرف أنه لا يضع جانبه لخصم ، ولا يغتمز فيهِ عدوّ غميزة ، وليس أحد معه أبداً الا على خطأ ، وليس هو مع أحد أبداً الا على الصواب ؛ وأنه على ذلك سريع البادرة قبيح الازراء موجع القذع حاصد اللسان ؛ وان من حمل نفسه عليه فقد حملها على التهلكة وأخطرها لما لا يملك له دفعاً دفعاً ، وطلب بها ما انّ المعجزة كلها في أيسره ؛ وان من أخلد اليهِ وشدّ بهِ يده والتمس مناصرته ، فذلك

الذي يضرع كل عدو الى أمانه ، ويخرّ كل قلم ساجداً يطلب المغفرة من لسانه . الى صفات أخرى من أمثال هذه لا يكون الغرور بدونها غروراً ، ولا تكون هي في أحد الا بخذلان من الله

فما أشأم حرفة الأدب على أهلها وعلى الناس من أهلها . . . على أنه ما من خير الا وفيه جهة قريبة من الشرّ تجعله كله شراً ان أُريد ، ولا من شرّ الا وفيه جهة من الخير تحيله كله خيراً ؛ فالأمور بأسبابها ، والآداب بأخلاق أربابها ، وقلما نبغ أديب الا كان انساناً فوق الانسان ، واذا اعتبرتَ أخلاقه لا تراه الاّ أقرب الى الملَك أو أقرب الى الشيطان

كيف نقيس الزمان

الزمان ؛ ما هو الزمان ؟

يمرّ بنا ونمرّ به ، يُحيينا ونحييه ، يلاشينا ونلاشيه ، ولا نعرف ماهية كيانه . ويعبر جسر الحياة تاركاً بين جوانب الأحياء جروحاً ، ناثراً على سواد الشَعر بياض القِدَم ، طابعاً على الجباه الوضّاحة تجعدات المجاهدة والملل ، دون أن نحاول ارهابه او الاقتصاص منه : الشيخوخة قبلةُ الزمان للبشر . لكن ما هي الشيخوخة ، وما هو الارهاب ، وماذا يعني العقاب ؟

والزمان . . . ما هو الزمان ؟

أراد لبنتز تحديده فقال فيه أنه « تتابع الاشياء المتواردة » . وسواء

كان هذا التحديد كافياً او غير كافٍ على الاطلاق ، فهو دائماً يعبر نوعاً عن أهم أحوالنا البسيكولوجية والفيسيولوجية البسيكولوجية المنقسمة الى ثلاثة ظروفٍ هي سلسلة حياة الانسان : الماضي والحاضر والمستقبل . ولـكلٍّ من هذه الظروف علاقة كلية بالآخر يستحيل فيهـا الحذف والالغاء ، لانها ان لم تـكن تلاشى الظرفان وتلاشى الزمان ، وهـذا من ضروب المحال

فالحاضر بمفهوميتنـا هو ما يقع تحت ادراك الحواس اللمسيّ أو المعنويّ ، في آنٍ كائنٍ بين خطين وهميين كل منهما اكثر أو أقلّ وضوحاً : خط الذكرى وخط الأمل، أي خط الماضي وخط المستقبل ؛ والحاضر مزيج من الاثنين ، وفي الوقت نفسه لا هو هذا ولا هو ذاك . بيدَ ان العلم المجرَّد يكاد يلغي هذه الازمنـة الثلاثة ، وليس الزمان في نظره الاّ تتابع أشياءٍ وأوقات لا بداية فيها ولا نهاية ، كما ان الفضاء مسافة لا تحدّ ، ولا أعالي فيهـا ولا أداني . « وجميع أجزاء الوقت التي لا نعيها كساعات النوم وساعات الغيبوبة تمتزج بعضاً ببعض وتتيه في هاوية الزمان » (كانْت)

فالزمان — كالمسافة — كائن وان لم تتوارد فيهِ أشياء متتابعة ، لأن ما لا نراه نحن يراه غيرنا ، وما لا يراه غيرنا يستمد من الطبيعـة قوةً ، ويتبادل مع أنواع متشابهة متضادة حركته الحيوية الدائمة . وفروغ الزمان — كفروغ المسافة — كلمة لا تعني شيئاً ، ويتعذَّر على الانسان تصوُّر مسافة أو زمن خاوٍ خالٍ من كل ما يقع في دائرة الحواس : فهنالك دائماً

هواءٌ ونور أو ظلام؛ وذرّات صغيرة هي عالم بذاتها، ودقائق أثيرية إن هي الاَّ جراثيم الحياة

أما قياس الزمان مجرداً كما هو فأمرٌ مستحيل لأن ادراكنا متناهٍ والزمان غير متناهٍ ، فضلاً عن ان القياس يستوجب مشابهة حجم الى حجم من نوع ثانٍ . فكيف نقيس الماضي وهو قد انقضى ولم يبق منهُ الاَّ الذكر — أي أمانة في الحواس — بالمستقبل الذي لا نتامس خياله الاَّ في دوائر الرموز والتقادير؟

على أنّا وان لم نقوَ على قياس الزمان طولاً وعرضاً فتأثيراتنا النفسانية ميزان بخله وكرمه، ولا قيمة الاَّ بما يورثه الينا من السعد والشقاء. أرواحنا ملك مشيئته ولا ينفك جائلاً فيها — حتى يرضى . وهل يعرف الزمان معنى الرضى؟

وهناك أقيسة عامية رياضية آلية تترتب عليها حركات الاجتماع وقد اصطلح البشر على استعمالها والسير بموجب قواعدها

***

منذ فجر الوجود كانت الحوادث الفلكية الطبيعية أساس تقسيم الزمان ، وأهم هذه الحوادث لدينا هي دورة الشمس ودورة النجوم . والاوقات في علم الهيئة السماوية ثلاثة : يوم شمسي ، ويوم متوسط ، ويوم نجميّ . وكلٌّ من هذه الايام ينقسم الى أربع وعشرين ساعة ، وكل ساعة تتركب من ستين دقيقة كما ان كل دقيقة تتألف من ستين ثانية

فالوقت الشمسيّ يقاس بمرور الشمس تتابعاً في مكان غير ثابت

وهو أطول من اليوم النجمي". وأطول يوم شمسي" هو ٢٣ دسمبر، وأقصر يوم يومُ ١٦ من الشهر نفسه

والوقت المتوسط أوجده الفلكيون لاصلاح الوقت الشمسي، وذلك باختراع شمسين آليتين تدوران على محورهما. أولهما تجتاز القوس السمتية بحركة متعادلة متوازنة، بنوع انها تصلح حركة الشمس الحقيقية المتباطئة بسيرها من البعد الأدنى الى البعد الأقصى، المتسرعة بسيرها من البعد الأقصى الى البعد الأدنى. والشمس الثانية أو المتوسطة، تجتاز خط الاستواء السرعة التي تجتاز بها الشمس الأولى القوس السمتية، فتمران في آن واحد في خط معادلة الليل والنهار. وحركة هذه الشمس المتوسطة اليومية هي اليوم المتوسط وهو أصلح جميع الايام الشمسية على تعددها واختلافها

والوقت النجمي يقاس بمرور نجمةٍ تتابعاً في مكان واحد في ساعة معينة، والمسافة بين المروو والمرور هي اليوم النجمي" وهو أقصر قليلاً من اليوم الشمسي، ذلك لأن بينا الأرض تدور دورة تامة على محورها تتبع الشمس في القوس السمتية انحناءً ملائماً لحركتها الخصوصية غير انه نقيض حركة النجوم اليومية. وأعظم فرق بين اليوم الشمسي واليوم النجمي هو في ٢٣ دسمبر وقدره ثلاثون ثانية. وأقصر فرق بينها في ١٦ من الشهر نفسه وقدره ٢١ ثانية. واليوم النجمي" هو في ٢٣ دسمبر وقدره ٢١ ثانية. واليوم النجمي" أقصر قليلاً من اليوم المتوسط

ان كانت حركة الفلك أساس قياس الزمان فالساعات والمقاييس

(Chronomètres) تدوّن تلك الحركة . وأول آلة كان يستخدمها الأقدمون هي بناية حجرية أو خشبيـة (Gnomon) تحدد الساعات وتقيس ارتفاع الشمس بموجب اتجاه الظـل نحو الشرق والغرب ، نحو الشمال والجنوب . ويقال ان الأهرام شيدت لهذه الغاية ايضاً . ففي اهرام مصر اذاً درس مهم من هذا القبيل

وأعقبت الساعة الشمسية هذا النوع من قياس الوقت . وأقدم ساعة شمسية يذكرها التاريخ هي ساعة اشازملك اورشليم سنة ٧٤٠ قبل المسيح وردّد ذكر هذه الساعـة صدى الاجيال ناقلاً خبر أعجوبة النبيّ اشعيا الذي اخّر الظلّ في الساعة عشر درجات . اما الآن فلا نرى أعجوبة في مثل هذا الفعل لأنه يتجدد يومياً في ساعة تنعت بالرجعية من اختراع فلاماريون في مدينة جوفسي

ووجدت أول ساعة ثمينة في اثينا في سنة ٤٣٣ قبل المسيح ، وأول ساعة في رومية في سنة ٣٠٦ ق . م .

هذه كانت أقيسة النهار . وكانوا في الليل يستعملون ساعـة الماء (Clepsydre) أو الساعة الرملية (Sablier) وهذه الساعة عبارة عن حوض صغير وفي قعره ثِقبٌ يسيل منه الماء — او الرمل — نقطة فنقطة في أنبوب ذي درجات محصاة تدلّ الملآنة والفارغة منها على عدد الساعات . وكانت هذه المقاييس مصطلحاً عليها بين جميع فلكيّي الشرق من كلدان وصينيين ويونان . وقد أهدى هارون الرشيد الى شارلمـان ساعة ماء قيل انها اجمل ساعات ذلك العصر . وكان ذلك بمناسبة اتفاقهما

ضدّ يونان الاستانة ومسلمي اسبانيا

وأول من أوجد حركة ساعاتنا الحالية راهبٌ عاش في القرن العاشر يدعى الأب جربر وقد صار بعد ذلك بابا رومية وسمي سلفسترس الثاني . واشتغلت الشعوب على اختلافها في تحسين الآت الساعة وضبط حركتها الدقيقة ، وبرع في ذلك المانيا وفرنسا فأوصلتا قياس الزمان الى حدّ قصيّ من الدقة الصناعيـة والاتقان الذي لا اتقان بعده . اما اشهر ساعة أوروبية فهي ساعة ستراسبورج وقد استمرّ اساتذة الصناعة على الاشتغال بها مدة جيلين ونيف ولا تزال باقيـة الى ايامنا هذه . غير ان حكومة ستراسبورج اضطرت الى تغيير بعض عقاربها وتبديل بعض آلاتها في القرن الماضي

* * *

لم يكتف زعماء التقدم الآليّ بقياس الزمان بل ارادوا قياس الارتقاء في الكون بواسطة الآلات . فما اكثر دعوى الانسان ! فقد اخترع هاينرتش شميد تلميذ هيكل ساعة لا تعدّ الساعات بل الاجيال ، وتدل عقاربها الى الدرجة التي وصلتها الانسانية في سلم الارتقاء

كل ساعة في هذه الآلة التاريخية عبارة عن عشرين ألف عام ، وكل دقيقة تمثل ثلاثة اجيال ، وكل ثانيـة تعني خمس سنوات . فليس ما يذكر في النهار الانساني قبل الساعة العاشرة صباحاً — أي العصور الميثولوجية . وقبل الظهر بعشرين دقيقة تدل العقارب على ظهور آثار الارتقاء الأولي في مصر وبابل . ومنذ سبع دقائق — بالنسبة الينـا — تجلت شمس

الفلسفة اليونانية وانتشرت مبادىء العلوم . ولم يمض بعد اكثر من نصف دقيقة على ظهور الآلات البخارية ، كذا ولم ننتبه غيبوبة الجهل الى عالم المعرفة الاّ منذ دقيقة و بعض الثواني

هذه فكاهة علمية فلسفية . لكنها كجميع الفكاهات تضمر تهكماً ودعوى ، وتمكن في اعماق معانيها مرارة في رغبة المعرفة ، وألماً في استكشاف ما اغمض عن العقول في ضمير الوجود

فياليت شعري لماذا كانت الايام ولماذا كنا ؟ ! ألندوّن حركات النجوم بعقارب معدنية ، أم لنقابل نبضات القلب في الصدر بخفيف الافلاك في الأثير ؟ ألنرى الزمان تائهاً في دوائره الابدية التي لا مجال للمدارك فيها ، أم لنشعر بأقدام خياله دائسة على الارواح فتطبع عليها ما شاءت من آثار حاسة مجهولة بذاتها ، نسميها ألماً أو سروراً بحسب ما تُسر به الى أعصابنا من الاهتزازات المريحة أو المضنية . . . ؟

أم كانت الايام وكنا لنرتقي بها وتتعظم بنا ؟　　　　مي

خطرات

« لكارمن سيلفا — ملكة رومانيا الحالية »

* ما يُخجل في الصبى ، يُبكي في الكهولة ، و يُضحك في الشيخوخة
* النار تغلي الماء والماء تطفئها ؛ لا تكرم الجحود لئلا يطفئك
* البيت لا أولادَ فيه كالجرس لا مطرقة له !
* غيرة الخاطب محمدة ، وغيرة الزوج اهانة
* الحب قويّ يفلّ السلاسل ، ويكسر القيود ، ولكنه يقتله تثاؤب بسيط !

في رياض الشعر

الشعر والشعراء

هل عرفتم لعاشقٍ نُظراءَ　　عشقَ الأرضَ قلبهُ والسماءَ
تقطعُ البَرَّ منهُ لحظةُ عينٍ　　حين يجتاز فكرُهُ الجوزاءَ
يُصلحُ الحسنُ عندَه كلَّ خلقٍ　　فيسوّي الاحياءَ والاشياءَ
شبَّ مذ شبَّ عاشقاً لا يبالي　　حكمةً كان عشقهُ أم خطاءَ
عشقَ الروضَ والغياضَ وأزها　　رَ الروابي والأغصنَ الخضراءَ
وصغارَ النجوم تبدو وتخفى　　والدراري والقبَّةَ الزرقاءَ
وفضاءَ البحار والسحبُ تحكي　　سُفناً تحتها تشقُّ الماءَ
وسكونَ الدجى كأنَّ الكرى أُلْـ　　ـقيَ عليهِ مع الظلامِ غطاءَ
هامَ بالغابِ زانها الشجرُ العا　　لي وزانَ الفضاءَ والصحراءَ
يسمعُ الوحشَ والطيورَ فيهوى　　كلَّ صوتٍ كأنَّ فيهِ غناءَ
أيُّ تاجٍ يتوّجُ الغابَ في كـ　　ـلّ صباحٍ يُزالُ عنها مساءَ
دررٌ من أشعة الشمسِ صيغت　　ملأتْها مهابةً وبهاءَ
واذا الشمسُ بالحجابِ توارتْ　　تكتسي الغابُ حلةً سوداءَ
تحتها تنضوي الطيورُ فتمسي　　دونها كلُّ جنةٍ غنَّاءَ
انَّ في الغاب للقوافي عروساً　　جمَّةَ الحسنِ تفتنُ الشعراءَ
تتراءى فلا يَراها سواهم　　وَهيَ ليستْ لغيرهم تتراءى
ولذا يرتجي من الزمنِ الشا　　عرُ لو أنهُ يجيبُ رجاءَ
عيشةً في الخلاء لا عيب فيها　　غيرَ أنْ ليس يسمعُ الضوضاءَ

حيثُ لا خبثَ في الهواء ولا في الـ ـتربِ والماءُ يجلبُ الادواء
حيث لا رزقَ كلما ركض المر ءُ مجداً وراءهُ يتناءى
فهْوَ ما بينَ خوفِ سبقٍ وكدٍّ كغريقٍ يصارعُ الانواء
لا تطيبُ الحياةُ الاَّ لمن يهـ ـربُ منها ويهجرُ الاحياء

* * *

ليت شعري متى أرى شعراء الـ ـشرقِ يوماً بفضلهم أغنياء
ورثوا مَنْ تقدَّموهم فنالوا شرَّ إرثٍ مذلةً وشقاء
بين هجوٍ كالسبِّ أو هوَ أدنى ومديحٍ تعـدُّهُ آستجداء
عوِّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ فيهم حينَ يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سمٌّ حين يلهو بيعاً بها وشراء
انما الشعرُ للنفوس غذاءٌ أفسدوهُ فصيَّروهُ هُذاء
يتبعُ الشعرُ أهلهُ فامتهاناً وابتذالاً أوْ عزَّةً وإباء

* * *

أيها الشاعرُ اتَّقِ اللهَ واذكرْ أنَّ للشعرِ حكمةً علياء
كنْ دليلاً الى سبيلٍ سويٍّ ومناراً يبـدِّدُ الظلماء
ثمَّ لا تنسَ موطناً كان يوماً لكَ كالأمِّ نسبةً ونماء
فاحترمْ عهدَهُ وعهدَ بنيـهِ ثمَّ علِّمهمُ كذاكَ الوفاء
علِّم الشعبَ انَّ للشعب ديناً يمنحُ النفسَ قوةً ورجاء
قلْ لهُ إنهُ كذلك حرٌّ يعبدُ اللهَ مطلقاً كيف شاء
خُلقَ الدينُ رحمةً غير أنَّ الناس كانوا لبعضهم أعداء
هدموهُ سرًّا وشادوهُ جهراً وأقاموا منهم لهُ رؤساء
فانبرى بعضُهم عدوًّا لبعضٍ يخدعون الجهَّال والبسطاء

عمرَكَ اللهَ ليس أعجب أمراً　　من رؤوسٍ تهشّمُ الاعضاء

* * *

ليس هذا القريض الاَّ حديثَ الـ　　روح أوحت بنظمهِ إيحاء

فتملَّكْ بِهِ العواطف واملأ　　كلَّ نفس فضيلةً وعلاء

واتخذْهُ الى القلوب سبيلاً　　وتلطَّفْ تصطدْ بهِ العنقاء

لا تهاجمْ بِهِ عفافَ العذارى　　لا تُضلَّ الاحداثَ والضعفاء

لُذْ برأي الجمهور في كلّ صعب　　وَصُنِ العدلَ وارحمِ البؤساء

لا تصفْ أيّ حالةٍ قبل أن تد　　رسَ منها الافعالَ والاسماء

لا تقلّدْ فيهِ ولا تتكلفْ　　في المعاني مشقةً وعناء

قلْ سلامٌ على القديم ودعهُ　　فكفانا تقلّدُ القدماء

وتعلّمْ اذا رأيتَ دعيًّا　　كيف تعمى عن أن ترى أدعياء

وتجلّدْ لصنعةٍ مَنَح اللاَّ　　هُ ذويها تجلداً وعزاء

لهوًى في نفوسهم زاولوها　　وكذا اللهُ يخلقُ الاهواء

عشقوها فأسكرتهم زماناً　　ثم ماتوا من سكرهم فقراء

فهمُ كالشموعِ تفنى احتراقاً　　وهمُ كالشموعِ تلقي ضياء

رحمَ اللهُ مَن مضى ولنفاخرْ　　أن للعلمِ عندنا شهداء

نقولا رزق الله

❊ شكوى شاعر ❊

يا نسيمَ الشيح ان جزتَ حمًى　　يستقي الدمعَ على البعدِ رَهاما

أبلغِ المحبوبَ عني سلوتي　　قبلَ أن تُبلغهُ عني السلاما

علّهُ يبلو اناساً بعدنا　　فيرى مَن ذا على العهدِ أقاما

ربما أعلنتَ مرضاةَ الهوى　　سرَّ من تهوى فقطَّعتَ الذماما
أيها الباذرُ حبًّا في الرُّبى　　جئتَ تصطادُ فطيَّرتَ الحماما
قد سكرنا فوجدنا دولةً　　وصحونا لم نجد الاَّ المُداما
وَبذرْنا العمرَ حُبًّا ومُنىً　　وحصدناهُ انشقاقاً وانقساما
ولقد عشنا كِراماً في الهوى　　فاذا مُتنا بهِ مُتنا كِراما

عبد الحليم المصري

﴿ نظرة بعيدة ﴾

ويح العيونِ أكلّ شيءٍ أبصرتْ　　أغرى بها ألماً وهاجَ شُجونا
القبحُ يقذيها وتسبلُ دمعها　　غرُّ المحاسنِ حسرةً وفتونا
فانظرْ كأنك حين تنظرُ لا ترى　　أو عِشْ معنًى في الحياةِ حزينا
أو قلْ لغاويةِ العيونِ تقدَّمي　　عهدَ الملاحةِ والشبابِ سنينا
ان الذي يسبيكِ سوف ترَينهُ　　قوساً ولكنْ لا تُصيبُ طعينا
قد كان يُذكركِ السماء فقد غدا　　حدِباً يحنُّ الى الترابِ حنينا
الدهرُ أغرى بالجمالِ جنودَهُ　　لولاهُ جُنَّ العاشقونَ جنونا
ان أبدعتْ أيدى الطبيعة صورةً　　جاء الزمانُ فأفسدَ التلوينا
فأعاد نضرتَها البهيةَ سُفعةً　　وأحالَ سوداء الغدائرِ جُونا
حاشايَ أشمتُ بالجمالِ وانما　　أجدُ الخيالَ على الخيالِ معينا

عباس محمود العقاد

فرسايل

VERSAILLES

اتخذ الانسان الحروف ، والانغام ، والألوان ، والاحجار ليعبر عن افكار عقله وعواطف قلبه . فنشأ عن ذلك فنّ الكتابة وفنّ الموسيقى وفنّ التصوير وفنّ الهندسة . وكل فنٍ من هذه الفنون يُعدّ مظهراً من مظاهر العقل البشري ، وشكلاً من الاشكال التي تجلى بها في خلال الاجيال والعصور ؛ فنبغ الكتّاب البارعون ، والموسيقيون المطربون ، والمصوّرون الحاذقون ، والنقاشون الصانعون . وكانت درجة نبوغهم بنسبة حذقهم في استعمال المادة الأوّلية — من ألفاظٍ وأنغامٍ وألوانٍ وأحجار — في إبراز مولّدات أفكارهم وبنات قرائحهم

ان البصير المتأمل يقرأ تاريخ الفكر البشري تارة مدوّناً في كتاب ، وطوراً موقّعاً في لحن ، وحيناً ممثلاً في رسم ، وآونة منقوشاً في بناء ، حسبما كتبهُ القوم بحروف أو نغم أو لون أو حجر

وما اهرام مصر ، وبعلبك الشام ، وحدائق بابل ، واكروبول آثينا ، وكابيتول رومة ، وايوان كسرى ، والخورنق والسدير ، وبرج إيفل ، وجسر بروكلين الاّ صفحات كبيرة من ذلك الكتاب العظيم المدوّن فيهِ تاريخ البشر القديم والحديث بحروف من حجارة وحديد . فنقرأ فيها عادات القوم وأخلاقهم وأميالهم وأطوارهم كما نقرأها في أقوال بنتاؤور وهوميرس وفرجيل وامرىء القيس وغيرهم ؛ أو كما نسمعها في نغمات

الموقّعين ونراها في ألوان المصوّرين منذ القِدَم حتى اليوم

***

من أجمل فصول هذا التاريخ المكتوب بالحجر المنحوت قصر ڤرسايل الشهير . واذا كانت عظمة المنشىء تتجلى في ما ينشيء ، وابّهة الواضع تظهر في ما يضع ، فاننا نصف هذا القصر بأبلغ وصف اذا قلنا أنه أثرٌ من آثار لويس الرابع عشر الكبير الذي ازدهرت العلوم والمعارف والآداب والفنون والصنائع في عصره ازدهاراً قلما عرفتهُ من قبل ومن بعد ، حتى أُطلق عليهِ اسم «الملك — الشمس» وعلى عصره اسم « العصر الذهبي »

وهذا القصر قائم في البلدة المعروف باسمها ، وهي واقعة على مسافة ثمانيـة عشر كيلومتراً من باريس جنوباً بغرب ، وقد ورد ذكرها لأول مرة في التاريخ في النصف الاول من القرن الحادي عشر . ولم تكن في بداية عهدها سوى مزرعة قائمة في ظهرانيّ العاصمـة ، يقصدها ملوك فرنسا — وأخصهم هنري الرابع ولويس الثالث عشر — للصيد والقنص في غابتها ، الى ان شاء لويس الرابع عشر ان يجعلها مقرّاً ملكياً له ، فتبارى رجال الفنون والصنائع حتى أقاموا فيها ذلك الصرح الشاهق ، فقام تحفّ به العظمة والجلال ، ويكنفهُ الذوق والجمال ، مثـل كل ما تمَّ على عهد هذا الملك المجيد من الاعمال . وقد بدأ العمل في بناء القصر سنة ١٦٦١ ؛ وظلّ البنّاؤون والرسامون والمصوّرون يعملون فيهِ مدة احدى وعشرين سنة متوالية ، وكان الملك يطّلع على كل الرسوم والمقايسات ويراقب بنفسه تنفيذها . ويبتدىء تاريخ بلدة ڤرسايل في الحقيقة من ذلك العهد .

لأن الملك امر ان تقام حول قصره منازل لضباط بلاطه ورجال حاشيته . وأخذ الأمراء يتسابقون لتشييد القصور لهم حتى يكونوا على مقربة من سيدهم ومولاهم . فاتسع نطاق البلدة وزاد عمارها . ولم يسمح لأحد ان يزيد بناء داره عن دور واحد . وشذَّ عن هذه القاعدة قصر كلانيي (Clagny) الذي أراده الملك مضاهياً لقصره رونقاً وجمالاً ، وأعدَّ لسكنى « مدام ده مونتسپان » ؛ على انه هُجر فيما بعد وهدم بأمر الملك سنة ١٧٦٩

وظلت البلدة في عمار متواصل على عهد لويس الخامس عشر . وفي ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٨٧ عُقدت فيها جمعية الاعيان، فكانت بداية الثورة الفرنسوية الكبرى ، لأن هذه الجمعية قررت تقسيم البلاد الى مقاطعاتٍ تديرها مجالس محلية . وهذا أشبه شيء باللامركزية التي يطلبها العثمانيون اليوم

وجاءت سنة ١٨٨٩ فكانت ڤرسايل ميداناً لحوادث خطيرة يطول تفصيلها لأنها صفحة كبيرة من تاريخ الثورة . ففي ٥ مايو من تلك السنة كان انعقاد الجمعية العمومية في ڤرسايل ؛ وفي ٢٠ يونيو اجتمع فيها مندوبو الأمة وأقسموا ألاَّ يتفرّقوا قبل ان يسنّوا للبلاد نظاماً دستورياً تسير عليه ؛ وفي ٥ اكتوبر هجم شعب باريس على ڤرسايل ، ودخلوا القصر عنوةً ، وعادوا ثاني يوم بالملك والملكة أسيرين الى باريس . وظلت المدينة في هدوٍ وسكينة بعد انتقال مقرّ الحكام منها حتى سنة ١٨١٤ اذ احتلها جيش المتحالفين المهاجمين فرنسا ، وقد أحلَّ بها البروسيان في السنة

التالية الخراب والدمار . ولكن الملك لويس فيليب أعاد لڤرسايل سنة ۱۸۳۷ رونقها وبهاءها باقامة متحف فيها جامع لكل آثار فرنسا المجيدة ؛ على انه أبى ان يسكنها كما أبى ذلك ايضاً نابوليون الثالث بعد تبوّئِهِ عرش الامبراطورية ، كأن ذكرى ما حلّ بلويس السادس عشر ظلت تخيف الرؤوس المتوّجة فلم يأمن رأس منهما ان يستظلّ سماء ذلك المكان

وفي الحرب السبعينية احتلت جيوش بروسيا مدينة ڤرسايل ، وظلّ معسكرهم العام فيها من ۱۸ سبتمبر سنة ۱۸۷۰ الى ۷ مارس سنة ۱۸۷۱ . وفى القصر الذي بناه لويس الرابع عشر ملك فرنسا الاكبر ، نودي بغليوم الاول ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا

وبعد جلاء الجيش الألماني عن أرض فرنسا قامت في البلاد حرب أهلية ، فتألفت حكومة لمقاومة الثورة وجعلت مركزها ڤرسايل

وفي ٥ مايو سنة ۱۸۸۹ أقيمت في ڤرسايل احتفالات باهرة بمناسبة التذكار المئوي للثورة الفرنسوية الكبرى . وفي ۱۸ اكتوبر سنة ۱۸۹٦ استقبلت حكومة فرنسا امبراطور وامبراطورة روسيا استقبالاً رسمياً

* * *

أما القصر القائم في مدينة ڤرسايل والمعروف باسمها فهو من أفخم آثار فرنسا واجملها . فهو فخمٌ جميلٌ بنفسه ، فخمٌ جميلٌ بما جرى فيه من الحوادث ، فخمٌ جميلٌ بما يضمّ الآن من الآثار النفيسة وطرَف الفنون والصنائع التي يندر أن يوجد لها مثيل

وفي الجزء الأوسط من القصر قاعة السلام ، وقاعة الحرب وقاعة ديانا ، إلاهة الصيد ، وقاعة ابولون ، وغيرها كثير ، وهناك ايضاً حجر الملك وفيها سريره وهو اشبه شيء بعرش للملك لا بسرير للنوم . وفي المؤخر قاعة المرائي الشهيرة وطولها ٧٢ متراً زانها المصوّر لبرون برسوم بديعة الصنع

والى جانبي باحة الرخام الكبرى ينبسط جناحا القصر ، كل جناح على طول ١٢٠ متراً . وكان الايسر منهما خاصاً بسكنى ماري انطوانت التي قيدت من تلك المقاصير الفخمة الى ساحة العذاب إبان الثورة المشهورة . ولا تزال الى اليوم حجرتها الخاصة كما تركتها في ذلك العهد . وكان الجزء الاسفل مسكناً لوليّ العهد . اما الجناح الأيمن فكانت فيه مخادع الملك الخاصة . وفيها نافذة محجوبة يطلّ منها الملك على باحة الرخام الكبرى فيرى ولا يُرى

وبعد ان حوّل الملك لويس فيليب القصر الى متحف في سنة ١٨٣٧ جعل من الجناح الايمن معرضاً لرسوم الحوادث والوقائع العسكرية ومن الجناح الأيسر معرضاً لصور ورسوم ونقوش تتعلق بتاريخ فرنسا وآثارها المجيدة

وكان في طرف الجناح الأيسر المصلّى وهو آية في جمال الهندسة ورونق الزخرفة ، وفي طرف الجناح الأيمن الملعب الذي اتخذه المجلس الوطني مكاناً لاجتماعه من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٥ ثم تحوّل الى مجتمع لمجلس الشيوخ الى سنة ١٨٧٩ . وفي سنة ١٨٧٥ أعدت الحكومة في

الجزء الاوسط مكاناً فسيحاً لمجلس نوّاب الأمة وهو اليوم مجتمع المجلسين « النوّاب والشيوخ » عند انعقادهما معاً كاجتماعهما في أواسط الشهر الماضي لانتخاب رئيس الجمهورية ، كما رأى القارئ ذلك مفصّلاً تفصيلاً في صدر هذا الجزء

وفي جنبات القصر وفسحاته وحدائقه تماثيل عديدة من الرخام او البرونز لمشاهير رجال التاريخ الفرنسي يتوسطها في الباحة الكبرى تمثال باني القصر لويس الرابع عشر ممتطياً جواده

ومَنْ ذَكر فرسايل فقد ذكر قصرَي التريانون الكبير والصغير المتصلة حدائقهما بحدائق القصر الأكبر. وقد بُني التريانون بأمر من لويس السادس عشر وأهداه الى الملكة ماري انطوانِت

اما حدائق فرسايل ، فعند وصفها يقف القلم واجماً واللسان عيياً . أهي جنة الله في أرضه ؟ أم هي احدى الجنان التي ورد ذكرها في اقاصيص « ألف ليلة وليلة » ؟ فسماؤها وارضها ، وهواؤها وماؤها ، واشجارها وغياضها ، وأطيارها وأزهارها فتنة العقول والعيون ، وآية من آيات الجمال والابداع

وبعد هذا — وما هو الاّ يسير من كثير — ألا يصح القول بان مثل هذه الآثار صفحات حية من تواريخ الأمم تقرأ فيها آيات مجدها ، واسفار عظمتها

في جنائن الغرب

« ضريح الشاب »

« للشاعر الروسي الشهير بوشكين »

هبّتْ سموم الحياة فأذوت وردة الربيع . قصفتهـا قبل ان يفوح شذاها العطر ؛ نزعتها عن الغصن ووارتها التراب

حجب ، فاعتاض عن المحبة والمسرات سكوناً وبرداً مخيفين

كان يحب العذارى عندما كنّ يجتمعنَ أيام الربيع تحت الاشجار ؛ والآن لا صوت له في مجتمعاتهنّ وانديتهنّ . كم حسدته اعين الشيوخ ، وكم خفقت لمرآه قلوب العذارى ! كم وكم تهامس الشيوخ عند مرآه « كنا نحن أيضاً شباناً ، وكان فينـا نضارة ونشاط . ستتوالى السنون وتصبح ايها الشاب مثلنا » . وآسفاه ألم يصبح مثلكم ؟ انه ذوى قبل ان يجني ثمر الحياة . لم يكد ينشأ حتى قصفته يد المنية . كان بالامس ففقد . وكما تتلاشى أنوار النجوم أمام عظمة الشمس ، تلاشت حياته امام ملاك الموت

لا يزال الشيوخ في قيد الحياة وهو ذوى في ربيعها ، وصديقات الشاب عاكفات على المسرات كأنه لم يكن . وقلّ ان يرد ذكره في الاحاديث . ولعلّ واحدة هنالك من اللواتي أحببنه تسكب الدمع على ضريحه

هنالك ضريح الشاب فى آخر الطريق — حيث نبتت السروة تمايل أسفاً على زهرة الحياة الذابلة — عبثاً ترسل الشمس أشعتها ، ويسبح البدرُ

في أوقيانوس الفضاء ، وتنساب الساقيــة قرب الضريح مرددةً انينها المنسجم ! عبثاً تمايل اغصان الغابة ، وعبثاً تأتي الحسناء في طلب الاثمار وتضع رجلها وجلة في المياه الباردة . . . لن يوقظه من ظلمات قبره شيء !

عبده ابو جمره

الزهور

الزهور أحلى خلائق الله التي نسيَ ان يضع فيها نفساً ناطقة

ه . و . بتشر

الزهور شِعرُ الأرض المطرب — دي مونتغميري

ان الزهور كتاب مفتوح قد وضعهُ الخالق لتعليم الانسان اللطف والتسامح في كل شيء ؛ وأحسن برهان على ذلك ان الانسان يدوسها تحت قدميه ، أما هيَ فترفع رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة ، واذا أدناها من أنفهِ اشتمَّ رائحة ذكية وهذا معنى الآية « احسنوا الى مبغضيكم »

دي مونتغميري

خلق الله الزهورَ لزينــة الأرض وجمالها ، ولتعزية الانسان ؛ ولكنَّ أغبط البشر وأسعدَهم مَن يجمعُ آيات الحكمة السماوية من زهرة واحدة

وورد ورث

الزهور تعزية الانسانية ، وكنز القروي الحقير — رسكن

ان العالم بلا زهور كوجهٍ بلا ابتسام ، ووليمة لا يرحب أصحابها بالمدعوين ، بل يقابلونهم بكل عبوسة . أليس الزهور كواكب الأرض، والكواكب زهور السماء ؟

مسز بلفور

(الخرطوم) تعريب بباوي غالي

قصر سان جيمس

مرّ بالقارىء في غير هذا المكان شيء عن قصر « ڤرسايل » كتبناه بمناسبة الجمعية التي عُقدت فيه لانتخاب رئيس الجمهورية الفرنسوية . ورأينا بمناسبة اجتماع المندو بين العثمانيين والبلقانيين في قصر « سان جيمس » بلندن ان ننشر كلمةً عن هذا القصر كتبها خصيصاً لمجلة « الزهور » كاتبٌ اديبٌ فاضل زاره في العام الماضي قال :

سرْ كيفما شئت في شوارع عاصمة الانجليز ، لا تجد فيها من عظمة البناء ما تشاهده في غيرها من عواصم الغرب . وما ذلك الاَّ لأن الانجليز أبعد الناس عن الابّهة الظاهرة ، وأشدهم تمسكاً بالعظمة الحقيقية . فاذا نظرت الى قصور ملوكهم لا تجدها تمتاز بشيءٍ من فخامة البناء التي تمتاز بها صروح اللوڤر وڤرسايل والتويلري ؛ ولكنك اذا دخلت اليها وقفت عندها حاسر الرأس خاشع الطرف ، مما يتمثل لك من عظمة الملك ورفعة السؤدد

ولعلّ الانجليز أحرص الناس على آثار ملوكهم ، وقصور عظمائهم . والعبرة عندهم بما وقع في تلك القصور من الحوادث التاريخية الخطيرة . ولذلك تراهم ينظرون الى قصر « سان جيمس » مثلاً ، فتطربهم ذكرى ما وقع فيه وطرأ عليه

مررتُ بهذا القصر لاوّل مرة ، فوجدته ذا منظر حقير من الخارج ، حتى ظننتني واقفاً أمام بيت رجل من طبقة العامة . ولولا صديق لي

كان معي ولفت نظري اليهِ ما صدَّقت أني واقف أمام قصر من أعظم قصور الانجليز

بني هذا القصر في عهد الملك هنري الثامن الذي اتخذه مسكناً له . الا أن ملوك انجلترا الذين جاءوا بعده لم يتخذوه مقرًّا خاصاً حتى عهد الملك وليم الثالث . ويظهر أنه لم يبقَ اليوم من بنائه الأصلي الا آثار قليلة ، فان ناراً هائلة التهمت معظمه في سنة ١٨٠٩ ، فدمرت جناحه الشرقي . ثم أُعيد بناؤه بالنسق الذي هو عليهِ اليوم . اما الدخول اليه فيقتضي طلب اذن خاص الا في بعض المواسم التي يعرض فيها الجيش في فناء القصر اذ يستطيع الزائرون الدخول الى الباحة الكبرى ليشاهدوا حفلة العرض

ولهذا القصر تاريخ يترنح له الانجليز ويطربون لذكراه . فان اسمه مقرونٌ عندهم بذكر ملوك وملكات وساسة وعظماء تركوا بعدهم ذكراً مجيداً . فهو القصر الذي سكنه الملك هنري الثامن وادورد السادس والملكة اليصابات . واليه لجأت الملكة ماري عند غياب زوجها ، وأقامت به حتى وفاتها . وكان هذا القصر مقرّ الملك شارلس في أهنإِ أيام ملكه ، وفيه ولد معظم أولاده . ولما حُكِم عليه بالموت صلّى صلاته الاخيرة في البيعة التي في داخله ، ثم خرج منها واجتاز في حديقتهِ محاطاً بثلةٍ من من الجند الذين اقتادوه الى المشنقة كما هو معروف عند دارسي التاريخ . وقد ودَّعهُ اولاده في ذلك اليوم وداعاً اتخذه كثيرون من الرسّامين موضوعاً تفننّوا بهِ وأبدعوا ما شاءَ لهم الفنّ . وكان القائد مونك الشهير

يعقد مؤامراتهِ السياسية في هذا الصرح ويسعى لاعادة الملك المخلوع . وفيـهِ ايضاً وُلد البرنس جيمس فردرك ادورد الذي كان مطالباً بعرش انجلترا . وكان البعض يعتقدون انهُ لم يكن ابناً شرعياً بل نقل الى غرفة امهِ الملكة بطريقة الخداع . ومن أدلتهم على ذلك ان السرير الذي وُجد فيهِ الطفل مقمطاً كان الى مؤخرة الدَّرَج التي في داخل القصر بعيـداً جداً عن أمهِ . على ان هذا الزعم لم يبقَ من يؤيدُه اليوم في انجلترا

ومن الحوادث الخطيرة التي وقعت في هذا القصر ان الملك جيمس الثاني نام فيهِ في الليلة التي سبقت تتويجهُ . ومن هناك هرب ولم يرجع الى انجلترا قط . ولما جآء وليم اوف اورنج اتخذه مقرًّا له ريثما يستتب له العرش . وبلغ قصر سان جيمس ذروة شهرتهِ على عهد الملكة حنة وزوجها ؛ فانهُ اصبح منذ ذلك الحين مركزاً لسائر الحفلات والمقابلات الرسمية . وسكن فيهِ جورج الاول والثاني والثالث والرابع . ولما جاء وليم الرابع اتخذه هو والملكة ادلائيد مقرًّا لهما ؛ وأقاما فيهِ كثيراً من الحفلات الرسمية ؛ الاَّ ان شمس سعده آذنت بالافول عند ارتقاء الملكة فيكتوريا الى العرش فانها أهملتهُ ووقفتهُ على بعض الحفلات الرسمية فقط . وربما كان آخر الحفلات التي جرت فيهِ حفلة اليمين التي أقسمها المرحوم الملك ادورد السابع عند ارتقائهِ العرش ، ثم حفلة اجتماع المندوبين الاتراك بمندوبي البلقان للبحث في شروط الصلح كما يعلم القراء

س . ع .

في حدائق العرب

الانتقاد

انتقادُ الخنساء لشعر حسَّان بن ثابت مشهورٌ ؛ والخنساء من شهيرات شواعر العرب ، وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد المضريّ . والخنساء لقبٌ غلب عليها ، وكنيتها أمُّ عمرو . وقد ضرب بها المثل في حزنها على أخيها صخر . ومعظم شعرها في رثائهِ ورثاء معاوية أخيها الآخر . قيل لجرير : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا ، لولا هذه الخبيثة . يعني الخنساء . وقال بشّار : لم تقُلِ امرأةٌ الشعرَ الاَّ تبيَّن الضعفُ فيهِ . قيل : أوَ كذلك الخنساء ؟ . قال : تلك فوق الرجال . أما انتقادها الذي أشرنا اليهِ فاليك خبره :

أنشدت الخنساء النابغةَ قصيدةً في أحد المواسم . فقال لها « انكِ أشعر من كل ذات ثديين » وكان حسَّان بن ثابت ممن أنشدوا في ذلك الموسم ، فغضب من اطراء النابغةِ الخنساءَ ، وقال « أنا أشعر منكَ ومنها » فقال النابغة « خاطبيهِ يا خنساء » فقالت لحسان « ما أجوَد بيت في قصيدتك » قال : هذا البيت

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دَما

فقالت : ضعَّفتَ افتخارك ، وأنزرتهُ في ثمانية مواضع من هذا البيت ؛ فقد قلتَ « لنا الجفنات » والجفنات ما دون العشر ، ولو قلتَ « الجفان » لكان اكثر ؛ وقلتَ « الغرُّ » والغرَّة بياض في الجبهة ، ولو قلتَ « البيضُ » لكان اكثر اتساعاً ؛ وقلتَ « يلمعنَ » واللمع شيءٌ يأتي بعد شيء ، ولو قلت « يشرقنَ » لكان أفضل ؛ وقلتَ « بالضحى » ولو

قلتَ « بالدجى » لكان اكثر طراقاً ؛ وقلتَ « أسيافنا » والاسياف ما دون العشرة ، ولو قلتَ « بسيوف » لكان اكثر ؛ وقلتَ « يقطرنَ » ولو قلتَ « يسلنَ » لكان اكثر ؛ وقلتَ « دَماً » والدِماء اكثر من الدم . فسكت حسان ولم يحِرِ جواباً

ثمرات المطابع

« حديث عيسى بن هشام »

« لمحمد بك المويلحي »

كلفتني « الزهور » ان أنتقد « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحي . فكرهت في أول الامر ان أضع نفسي بين الادباء في موضع يحقُّ لهم ان ينكروه عليَّ ، لانني ما كتبت قبل الآن فكيف بهم ان رأوني دسست نفسي بينهم لانتقد كتاباً أنشأه كبير من كبارهم ، والمنتقد مكروه عندهم ولو كان ذا اطلاع واسع ومادة غزيرة . ولكنني آنست من اسم المويلحي فائدة للناس كالفائدة التي عادت علينا جميعاً من « ما هنالك » للمرحوم أبيه ، فقرأت كتاب الابن متيمناً باسم الوالد

كنت اذا أتاني كتاب عربيٌّ أُلقي عليه نظرة لأرى حجمه ؛ فان كان غليظاً ثخيناً قرأت اسم المنشيء ؛ فان كان ذلك الكتاب اول عهد المؤلف بالتأليف قلت ان في الرجل بعض الغرور لأني لا أتوسم خيراً في رجل لم يروّض نفسه على التأليف من قبل ، ثم هو يرمي الى القراء كتاباً

ضخماً لا يقدم عليه الا كل محنَّك في هذه الصناعة ؛ لأن الانشاء كبقية الصنائع يجب على الانسان ان أراد التفوّق فيه ان يمارسه كثيراً ، ويجهد نفسه في كل يوم لتقويم اعوجاجه ، وتصحيح هفواته . وخير طريق للمرء تبلغه ذلك ، الاقتداء بكبار المنشئين ، والمقارنة اليومية بين عمله وعملهم ، واسلوبه واسلوبهم ، في مؤلفات صغيرة ينشئها من حين الى آخر . فان ارتاحت نفسه الى المقارنة ، وآنس منها الفلاح ، جازله بعد ذلك التعرض للمواضيع الواسعة وتأليف المؤلفات الضخمة

أضف الى ذلك ان من عرّض نفسه للتأليف وجب عليه ان يضع نصب عينيه التفوّق فيه ، ذلك اولاً لان المؤلف حرّ في ان يظهر كتابه متى شاء فاحرِ به ان لا يظهره الا بعد ان يكون أتم بنيانه ، وأحكمه ، ومحص كلياته وجزئياته . فان أظهره قبل ذلك عدّ مغروراً او محتاجاً ، والقارئ لا يغتفر له غروره وليس عليه سدّ احتياجاته ، وثانياً لأن المنشئ يعلل نفسه بان كتابه سيعمّر طويلاً ، والعمر الطويل في البنية الصحيحة

وهناك قاعدة اخرى أشير اليها اشارة خفيفة لأنها لا تحتاج الى بيان كبير ، وهي تنحصر في ان كل مؤلف يعتمد على جهل قرائه في عدم كشف خطاءِه لهو شرّ المؤلفين

***

هي قواعد اولية ، تكاد تكون بديهية ؛ ويسؤني ويسوء كل مجتهد ان نرى بعضاً من جماعة المؤلفين العربيين أغفلوها في عصرنا هذا . ولذلك حوّل المجتهدون وجوههم شطر كتب الافرنج فانكبّوا عليها . ولا غرابة

في ذلك لان حبّ الكمال والجمال طبيعة في الانسان يهتز له فيسعى اليه من كل صوب

خذ اكثر الكتب العربية التي أنشئت في هـذه السنين الاخيرة وأنا الكفيل لك ان ترى فيها احدى الخلال الآتية : اما ان يكون الكتاب متين اللغة تافه الموضوع ، واما تافه الموضوع وركيك اللغة معاً ، وقلما وجدت كتاباً متيناً لغة وموضوعاً

موضوع « حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن » بسيط . وخلاصته ان عيسى بن هشام ، رأى في المنام ، انه بينما هو سائر بين القبور يحدث نفسه بغرور الانسان اذا برجّةٍ عنيفة من خلفه . فرأى قبراً قد انشقّ وخرج منه دفين كان في حياته أحد الباشاوات المعاصرين لمحمد علي باشا، وطلب اليه ان يسير معه في انحاء القاهرة . وعند خروجهما من المقبرة تعرض لهما مكاريّ مكّار واراد خدعهما، فتشاجروا فأدّت بهم المشاجرة الى تداخل البوليس فقاد الجميع الى القسم ، ومن القسم الى النيابة ، فالمحكمة . وبعد انتهاء المحاكمة أراد الباشا التطواف في القاهرة فسار يصحبه عيسى بن هشام وزارا منتدياتها وحوانيتها ومحال اللهو فيها الى غير ذلك

وغرض الكاتب من هذا كله انتقاد كل شيء وقع النظر عليه من « الحمّار » المكار الى الهرم الكبير

والكتاب يقع في ٤٤٧ صفحة على هذا المنوال وكل ما جاء فيها رآه عيسى بن هشام في المنام

قبل كل شيء أرى ان محمد بك المويلحي اخطأ في تسمية كتابهِ حديث « عيسى بن هشام » لان عيسى بن هشام هذا يعرفهُ صغار التلاميذ وكل ناطق بالضاد أنهُ رجل بديع الزمان الهمذاني عزى اليهِ البديع رواية المقامات التي ابتدعها . واني لأخاف ان يرى المجتهدون في هذه التسمية حيلة على ترويج الكتاب

عجبت من هذه التسمية كما يعجب محمد بك المويلحي نفسه لو رأى كتاباً لي ومن وضعي اسمهُ « كليلة ودمنة » او « سقط الزند »

وزاد تعجبي ايضاً عندما رأيت ان المنشيء اقتصر في اهداء كتابه الى أرواح ابيهِ الاديب ، وجمال الدين الافغاني الحكيم ، ومحمد عبده العالم ، والشنقيطي اللغوي ، والبارودي الشاعر ، وأغفل عمداً او عن غير عمدٍ بديع الزمان . ليس من العدل ان يؤخذ اسم رجل شهرهُ البديع حتى صار كناز على علم ويزان به كتاب توخى فيه الكاتب اسلوب البديع في الانشاء والتسجيع ثم يضنّ عليهِ بهدية معنوية لا قيمة لها

***

حدث « عيسى بن هشام » انهُ رأى في المنام القبور تفتح ويخرج منها دفين ، وحمّاراً يخدع الدفين ، وشرطياً يحابي الحمار ، ومأموراً يحابي الشرطي ، ومفتشاً يحابي المأمور ، ونيابة تحابي المفتش ، وقاضياً يحابي النيابة ولجنة مراقبة تحابي القاضي ، وناظر حقانية يحابي لجنة المراقبة ، ومحامياً يخدع الجميع

كل هذا رغبة منهُ في انتقاد الحمّار والعسس والمأمور والمفتش

والنيابة والقاضي ولجنة المراقبة والحقانية والمحامي ولكنهُ لم ينتقد شيئاً فيهم بل طعن عليهم ، والانتقاد شيء والطعن شيء آخر . ويجب على المنتقد ان يأتي بالبرهان الصادق ، والبرهان مشقة عقلية ، فاختار المؤلف الطعن لكي لا يتكلف البرهان . المنتقد يصف الدوآء والطاعن لا يصف شيئاً

نظامنا الحالي أرقى نظام وجد الى الآن . فيهِ اضرار وفيهِ منافع ولكن منافعه اكثر من ضرره . فمسخهُ على هذه الصورة ، وعرضهُ على الناس بهذا الشكل القبيح ليس من العدل في شيء ولا من حسن الانشاء ايضاً

زار الباشا يصحبهُ عيسى بن هشام القسم فقلم السوابق فغرفة التحقيق فمحكمة اول درجة ، فمحكمة الاستئناف فمكتب المحامي ، فلم يرَ سوى الرشوة والاهمال والنصب والكسل والمحاباة والاغتيال والسرقة . ان هذا التعميم تحامل معيب لا يصدقهُ فيهِ احد واني انكره عليه وادعوه الى دار المحكمة الاهلية يوماً لينظر بعينيه كيف يعامل المتقاضون ويسمع بأذنيهِ الاحكام التي يصدرها القضاة

وسار الباشا يصحبهُ عيسى الى الحانات والفنادق واندية المقامرين وقال فيهم ما قال مالك في الخمر . فلا ارى بأساً ؛ غير ان كلامه عليهم اصبح مبتذلاً يعلمه الخاص والعام وقد ردده الناس منذ ابينا نوح اول من سكر الى اليوم فلم يأتِنا المؤلف بشيء جديد من عنده

ثم تحامل المؤلف على هيئتنا الاجتماعية تحاملاً لا يبرره شيء حتى ان الباشا تعامى عن كل عمل صحيح فيها . سار الباشا ما سار وطاف ما

طاف ، فلم يرَ خط الترامَوى ولا اوتومو بيلاً ولا تلفوناً ولا نوراً كهربائياً ، وان رأى شيئاً من ذلك عرضاً لم يسأل عنهُ ولم يتعجب منه . ذلك اما ان يكون لضعف في التأليف واما لغرض في نفس المؤلف لكي لا يسوقه الكلام في ذلك الى مدح مدنيتنا التي قد لا تروقه

وسمع عيسى بن هشام ما سمع ورأى ما رأى وطاف ما طاف ، في منام واحد لم يستيقظ منهُ لحظة واحدة لا فزعاً من الدفين الخارج من القبر ، ولا على صياح الباعة وضوضاء المدينة ، ولا من شيء آخر . وكنت قد أملّت ان المؤلف سيوقظه في آخر الكتاب بعد ٤٤٧ صفحة فخاب ما أمّلت واظنه لا يزال نائماً الى اليوم

لا بل ذكر المؤلف ان عيسى بن هشام رأى في المنام انهُ دخل الى غرفتهِ ونام صفحة ٤٤٣

تالله لم يبقَ للتعجب موضع

⁂

لو أردت ان اتتبع المؤلف في كل خطواته لاضطررت الى انشاء كتاب اضخم من كتابه انتقاداً عليه واني ما اعتدت الكتابة الاّ قليلاً فاحجمت عن ارتكاب خطإٍ وقع هو فيه

ولكني لا اختم هذه المقالة قبل ان اذكر للقراء شيئاً من حسن ذوق المؤلف في التأليف ، واختياره البرهان الصحيح على ما يقدمه من المقدمات . قال : « كان محمد علي باشا الكبير معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلوّ الهمة وبعد النظر . . . . واني اعرف له قصة في حسن

الاجمال والادماج وذلك ان صدر امره الى المرحوم حسن باشا الانجير كويلي بتعيينه حاكماً على السودان فامتنع الرجل وأظهر عجزه لجهله باللغة العربية وقال كيف يمكني ان اتولى امور قوم لا اعرف حرفاً واحداً من لغتهم فدعاه محمد علي وقال: ليست معرفة اللغة مما تقتضيه ولاية الاحكام ولا هي اداة لازمة للحكم يختل بفقدها ، وما عليك في منصبك هـذا الاّ ان تكتفي بمعرفة كلمتين اثنتين في اللغة العربية يجري بهما لسانك وهمـا (فلوس) (كرباج) »

ويحه ألم يخجل من خديوينا حفيد ذلك الرجل الكبير . انها فرية على محمد علي باشا وهو « معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلو الهمة وبعد النظر » ان من كان ذلك الرجل لا يقول هذا القول　ا . ي .

التصوير الشمسي والزنكوغراف [١] — لشكري افندي صادق ولعٌ خاص بالفنون الجميلة والصنائع . وقد أتحف قرّاء العربية بابحاث جليلة في هذا الباب . والكتاب الذي نحن بصدده الآن يبحث في صناعة التصوير الشمسي والحفر على الزنك من الوجهتين العلمية والعملية ، وهو مزين بصور ورسوم كثيرة تساعد القارىء على تفهّم ما فيه من القواعد والشروح . ولا غنى لطلاب التصوير الشمسي من اقتناء مثل هذا الكتاب الحافل بالفوائد

تاريخ الفنون الجميلة اليونانية [٢] — هذا الكتاب ايضاً للشاب

(١) طبع بالمطبعة الجمالية بمصر · عدد صفحاته ٢٦٤
(٢) طبعة بمطبعة التوفيق بمصر · عدد صفحاته ١٤٤

النشيط الأديب شكري افندي صادق . ومن عرف الشأو البعيد الذي بلغته الفنون عند قدماء اليونان يعرف الفائدة التي يمكننا ان نجنيها من درس تاريخ الفنّ اليوناني الذي عبرّوا عنه بكلمة واحدة وهي « الجمال » فنثني على شكري افندي الثناء الجميل ذاكرين له اعتناءه بالفنون الجميلة على قلة المعتنين بها اليوم في الشرق

قانون الزواج[١] — هو أكبر كتاب علمي فيسيولوجي صدر في بابه في اللغة العربية . وضعه حضرة الكاتب الفاضل الياس أفندي الغضبان صاحب « تاريخ الانسان الطبيعي » وضمّنه نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والأدبية وأهم ما توصل اليه العلم والاستقراء فيما يتعلق بتعليل الجنس والحمل والولادة والمولود والامراض الناشئة من الافراط وغير ذلك . وقد عمد حضرته في وضع هذا السفر الكبير الى أحدث ما كتبه علماء الغرب في هذا الباب والى ما جمعه من كتب العرب مراعياً في ذلك الأنسب لعاداتنا وللمحيط الذي نحن فيه ، فجاء كتابه ملآناً بالفوائد والملاحظات الطبية التي يهم المتزوجين وطلّاب الزواج ان يطلعوا عليها ، فيستفيدوا مما فيها من النصائح والارشادات التي كثيراً ما يتوقف عليها هناء الزوجين مادياً وأدبياً . والكتاب مزين برسوم كثيرة وهو مكتوب بعبارة سهلة منسجمة

روض الرياحين[٢] — أو الجزء الأول مما كتبه حضرة الأديب

(١) مطبعة الهلال عدد صفحاته ٥٢٣ وثمنه ١٥ غرشاً ويطلب من محل الانصاف في شارع الغورية بمصر والمكتبات الشهيرة (٢) مطبعة المقتطف والمقطم

ظاهر افندي الريس قبل الثلاثين . وهو مجموعة الرسائل التي نشرها في جريدة المقطم . ولما كانت هذه الرسائل تتناول مواضيع شتى من أدبٍ وسياسة وفكاهة واقتصاد ، فانها لم تفقد جدتها بفوات الحوادث التي كتبت بصددها . ولذلك يمكن القارىء ان يجد فيها لذة وفائدة لا سيما وان كاتبها الفاضل بعيد عن الدعوى يروي الحقائق كما يراها ليستفيد منها وليشاركه غيره في الفائدة . وهذه صفة من أجلّ صفات الكتّاب والمنشئين

تاريخ الصحافة العربية — أنجز حضرة الفاضل الفيكونت فيليب دي طرازي كتاب « تاريخ الصحافة العربيـة » ومثله للطبع على ورق صقيل بحجم كبير . وهو يبحث عن مجمل اخبار صحافتنا الشريفة وآدابها منذ ظهورها حتى الآن في العالم كله . ويشتمل ايضاً على حوادث كل جريدة أو مجلة أو نشرة موقوتة بلا استثناء واحدة منها مع رسوم اصحابها والمحررين فيها . وقد أضاف الى ذلك تراجم مشاهير الصحافيين حرصاً على صيانة آثارهم وتنويهاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم في القرون اللاحقة . ولا شك ان مثل هذا العمل المجيد قد اقتضى من حضرة الكاتب عملاً شاقاً ، وجلداً كبيراً . فنحن نثني على همته كل الثناء ، ونتمنى لكتابه الرواج الكبير

الصحة والآداب[1] — كتاب وضعه الدكتور پول جود من أطباء البحرية الفرنساوية وعرّبه حضرة الأديب الفاضل فريد افندي يوسف

(١) طبع بمطبعة الاخبار ويطلب من مكتبة بدروس متاتيان بالظاهر

بزري . وقد عرف العلماء مزية هذا المؤلَّف فنقلوه الى لغات شتى وجعلوه بين ايدي الناشئة ليتعلموا منه ما يجب عليهم لحفظ صحتهم وآدابهم فللمترجم الأديب الشكر الوافر

مواليد شهر فبراير (شباط)

يزعم الكثيرون ان لليوم والشهر اللذين يولد فيهما الانسان تأثيراً في أخلاقه وحياته . وها نحن ناشرون على سبيل الفكاهة شيئاً من ذلك عن شهر فبراير (شباط)

فالذين يولدون في :

١ منه ثوريّون يحبون الحرية وينزعون اليها

٢ « من عشاق الثوب العسكري ، تطربهم خفخفة الاقاب وصليل السيوف

٣ « سيئو الاخلاق ، محرومون من لذة المعيشة العائلية

٤ « يحبون التنقل في الاعمال ، ويوفّقون في الغالب الى وجودها

٥ « معسرون في شبابهم وعزوبتهم ويثرون بزواجهم

٦ « أفكارهم سامية ، ويميلون الى الاجتماعات

٧ « أخلاقهم سيئة ويحبون الانفراد

٨ « كبار العقول مفكرون ولهم بالمصائب أعظم درس ويميلون الى الاشغال الرياضية

٩ « ذوو رزانة وحزم ، بطيئو الحركة ، معتدلون في طلباتهم

١٠ « حسّاد كسالى ، يتمنون ولا ينالون

١١ « حمقاء يحبون الخصام سريعو الغضب سريعو الرضى

١٢ « سيئو الادارة معرضون دائماً الى خطر الفقر

١٣ منه قساة القلوب ، متصلبو الرأي عديمو الحركة أمام مصائب الزمان

١٤ « ذوو أمزجة حادة ، يتأثرون لأقلّ الأمور وينظرون لكل شيء بعين الاستغراب

١٥ « يطرون الانتحار ويلجأون اليه متى تعسرت أمورهم

١٦ « يميلون الى الاشتغال بالزراعة ، وأمامهم مستقبل حسن

١٧ « طائشون تملكهم العادات الشريرة ولا ينجون منها الاَّ بصعوبة في أيام كهولتهم

١٨ « سريعو الخاطر ، جريئون ويفوزون بالمناصب العسكرية

١٩ « ذوو أفكار عالية وآراء صائبة وينالون الشرف والثروة

٢٠ « لينو العريكة ذوو صدور رحبة يوفقون الى سعادة المعيشة العائلية

٢١ « بطيئو الحركة يجلبون لأنفسهم الخسائر المالية

٢٢ « ميالون الى الاشغال الادارية ويصلحون للمراكز السامية

٢٣ « سعداء في حياتهم قانعون بما بلغوا اليهِ

٢٤ « ضعفاء العقول متقلبو الرأي مع شيء من الحمق

٢٥ « يُحيطهم الشقاء كيفما اتجهوا ولكنهم صبورون ويفوزون في النهاية

٢٦ « يتزوجون من غير جنسهم طمعاً بالثروة ويعيشون بهناء

٢٧ « أسفارهم محفوفة بالمخاطر

٢٨ « مهددون بالخراب ويوفقون لتربية ابنائهم تربية صالحة فيسعدون بهم

ا . غ .

رأي في اللغة

قلنا كلمة في جزء سابق عن « حديث القمر » وهو الكتاب الذي وضعه حضرة الكاتب المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي . وكان ان انتقد المؤلف احد الكتاب وآخذه ببعض ألفاظ قال انها من استعمال العامة . فنشر الرافعي رداً على ذلك نقتطف منه ما يأتي ، قال :

... كأننا لا نزالُ نحتاجُ في استعمال كلّ حرفٍ ووضع كل كلمة الى نصوص هؤلاء (أصحاب الصحاح واللسان والقاموس) وكأنّ هذه اللغة لا تجري على قواعد يمكن ان تنزل منزلة السنن الطبيعية في الحياة ، بحيث لا تأبى في عصرٍ من العصور أن يُضافَ اليها شيءٌ من المستحدثات الزمنية . والاَّ فكيف وضعها العرب اذن ، وكيف تبسطوا فيها حتى بلغت بهم ما بلغت من السعة ، وكيف جاء القرآن الكريم من ألفاظهم نفسها وأجراه فيما لم يستعملوه ولا لهم بهِ عهد ، وهو مُعجزة القوم ، وكيف فصحت الالفاظ المولَّدة وأسماء المستحدثات العلمية حتى ألحقت بمادة اللغة ؟؟

إنَّ القول بأن هذه فصيحة ، وهذه مولّدة قد مضى زمنه . فانما كان الباعث عليهِ قرب عهد الرُواة من فصحاء الأعراب في الصدر الأول ، ثم تقليد علماء اللغة من المتأخرين لأولئك الرواة تحقيقاً بشروط هذا العلم الذي يحملونهُ وبآدابه التاريخية

اذا كنَّا في كلّ كلمةٍ نقول : نصَّ الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان ، ونغفل عما وراءَ ذلك مما تنصُّ عليهِ طبيعة اللغة من أوزانها وقواعدها وطُرُق الوضع والاستعمال فيها ، فما نحن بأهل هذه اللغة ولا بالقائمين عليها ، ولاهي لغة عصرنا ، انما هي لغة الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان

لستُ أتردّد في القول بأن سبب الضعف الذي طرأ على هذا اللسان انما هو في هذه العقول الضعيفة التي تقوم عليهِ أسوأ القيام ، لا بالنظر ولكن بالتقليد الأعمى ، فلا نزال نرجع بكل لفظة الى حدود البادية ؛ كأنَّ هذه البادية العربية هي جغرافية اللغة ، وانما يستقيم مثل هذا اذا كانت اللغة ميتة ليس فيها قوة النموّ كهذه العقول التي يغني عنها كلها كتابٌ واحد كلسان العرب

أبو السامي الرافعي

(٧٣)

فهرس ١

مواد السنة الثالثة مرتبة على حروف المعجم

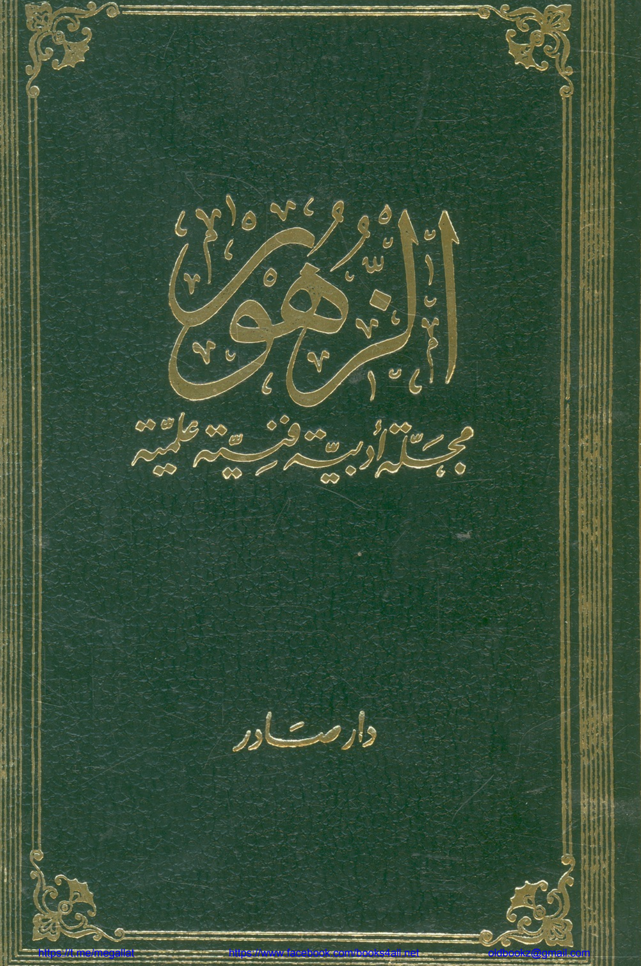
فهرس ٢

كتّاب « الزهور » ومقالاتهم

فهرس ٣

﴿ الصوَر والرسوم ﴾




الزهور
مجلة أدبية فنية علمية
دار صادر





مجلة ادبية فنية علمية

لأصحابها : الجميّل وتقي الدين وشركائهما

السنة الرابعة

١٩١٣

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

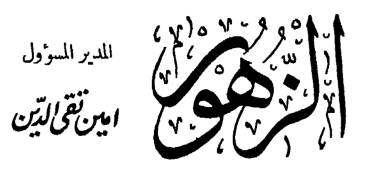
REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

QUATRIÈME ANNÉE

1913

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

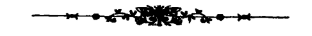
الجزء الاول — مارس (اذار) ١٩١٣ — السنة الرابعة

السنة الرابعة

للزهور

يبتدىء في هذا الشهر الجميل فصل الربيع ، فتتفتح الأزهار ، وتتزيّن الطبيعة بأبهى حُلاها . وفي هذا الشهر ايضاً تبتدىء « الزهور » السنة الرابعة من حياتها ، ولزهور الأدب أسوة بأزهار الرياض

وها نحن اليومَ آخذون ، مع أنصار هذه المجلة من أفاضل الكتّاب والشعراء ، بجمع باقةٍ جديدة نقتطفها للقراء من جنان الآداب والمعارف ، لتُضمَّ الى اخواتها السابقة . ونحن على رجاء اننا قد أحسنّا في عملنا الماضي ، وعلى أمل ان نحسنَ العمل في الآتي



القسطنطينية

بناها قسطنطينُ على أنقاض بيزنطية . كانت عاصمةً لمملكة الرُّوم الشرقية ، كما كانت رومة قاعدةً للامبراطوريّة الغربية . اختان تشابهتا بالعزّ، وعاشتا زمناً ، لكلٍّ مجدُها المؤثل ، وجلالها المهيب . وهي كرومة قائمة على سبع تلال مرتفعات ، في مثل شبه جزيرة مثلَّثة الزوايا يحيطُ بها الماء من جهاتٍ ثلاث : تطلُّ على بحر مرمره من الجنوب ، وتُماشي البُسفور من الشرق، وتلمس خليجَ قرن الذهب من الشمال . ثمَّ ينبسط اليها من الغرب سهلٌ يقف حذاءها ، متهيّباً جلالها ، فتُشرف عليهِ من مكانها العالي كالنسر باسطاً جناحيهِ

حصَّنها الرُّوم منذ القِدَم ردًّا لغارات الاعداء ، وعزَّزها الترك على أثرهم صدًّا لهجمات الطامعين . فبنى الأوّلونَ سورها وابراجها ، وشادَ الآخرون حصونها وقلاعها . ولكن الطبيعة بزَّت أولئك وهؤلاء في كل ما بنوهُ وشادوهُ ، فنمَّت موقعها بالهضاب المتسلسلة ، والبواغيز الضيِّقة ؛ فاذا هي كعقاب الجوّ ، لا تؤخذ ، واذا هي ، كحلقِ الليث ، لا تباح

أرادها العرب ، يوم كانوا يستطيعون ما يريدون ، ففشلوا ، وحاصروها حين لم تكن مدافع ولا قنابل ، فارتدّوا عنها عاجزين . وظلت تردُّ بمنعتها غوائل الاعداء ، وتدافع بعزّتها كوارث الأيام ؛ الملك عزيز بها ، وسلالة بانيها تتوارث مجدها وتتنعَّم بجاهها ، حتى دبَّ الضعف الى الرُّوم ، وتغلغلَ الوهَن في نفوسهم ، يوم ابطرتهم نعمة العيش ،

واسكرتهم غبطة السلطان ، فمشى عليها محمد الفاتح ، وحاصرَها من البحر والبرّ ، ثم اخذها عنوة واقتداراً في سنة ١٤٥٣

* * *

محمدُ ! كسرتَ جناحَ النسرِ ، فأهوى من سمائه ، واقتلعتَ ناب الليث ، فاستبحتَ حماه !

بناها قسطنطين ، واستأثرتَ بها أنت ؛ كانت للرُّوم فصيَّرتها الى الترك ؛ ما خفق عليها الصليب ، حتى رفعتَ فوقها الهلال ؛ بينا هي قاعدة الامبراطورية ، اذا بها دار الخلافة !

فتحتَها بيأسك ، وصنتها بحولك ومجدك ، ثمَّ تَوارثها ابناؤك من بعدك !

ما نمتَ عنها ولكن نامَ بنوك !

عجباً ينام الترك عنها ، وعيون الروم يقظى عليها !

أمغتصبَ الروم ملكهم ، قم انظر الى بقايا ملكك العظيم

النسرُ الذي اصطدتَهُ قد استنسرت أفراخهُ ؛

والليث الذي اقتنصتَهُ قد استأسدتْ أشبالُه ؛

البلغارُ على ابوابِ فروق ، والرومُ أمام الدردنيل !!

* * *

ليست فروقُ عروسَ الشرق وحدَه ، بل هي عروس الدنيا جميعها.

خُلقت صورة مكبَّرة للجمال ، ومثالاً مصغَّراً لجنان النعيم !

هي إنجيل الطبيعة أُنزلت فيهِ آيات الحسن ، ونمّق الدهر صفحاتهِ

بطراز البديع ! فيهِ وحيُ الحب ، والهام الشعر ؛ وكلّ لفظةٍ يحتويها ، تحتوي ألف معنىً من معاني العظمة والجلال !

فَرُوقُ درَّة في فمِ البُسفور ، ولؤلؤة في عُنق الدردنيل ؛ هي عقد من الماس يصل بحر مرمره بالبحر الأسود ؛ هي تاجٌ من الجوهر على مفرقِ آسيا وأوروبا ؛ هي كوكب وقّاد أطلعتهُ الطبيعةُ بين الشرق والغرب !

ربِّ ان سمحتَ بأن نَعبُدَ الجمال فلِفروق السجودُ والعبادة !

* * *

وقفتُ على البوسفور حيث تمشّى من البحر الاسود ، وماشيتهُ الى حيث التقى بجر مرمره ، فلم أجد منظراً أعظم تأثيراً في النفس ، من مشية ذلك البوغاز الضيق ، العميق ، الطويل ، المتلوّي في مسيره ، كما تتلوّى الأفعى في زحفها

أحاطت بهِ من على ضفتّيهِ : الأسيوية والأوروبية ، ربوع خضراء زاهية ، ومغانٍ مشجَّرة تعانِق سهولها الماء في ذلك الوادي ، ثم تتدرّج في الصعود حتى تراها تلالاً عالية ، قريبة المآخذ ، متصلة الرؤوس بالكعاب كالرمح أنبوبٌ على أنبوب

وأطلّت مآذن الجوامع على قرنهِ الذهبي فتماوجت خيالاتها سابحةً في مياههِ الرائقة ؛ وتراكضت أشعة الشمس اليهِ ، فانعكست عنهُ الى جانبيهِ ، فتلهّى النسيم يلعبُ بها ، كما يتلهّى وليدٌ يلعبُ بانعكاس النور عن المرآة

ورأيتهُ ، ليلةَ عيد الدستور ، في أوائل الصيف ، وقد راق الجوّ

وصفا أديمُ السماء ، وتلألأت الأنوار على ضفتَّيهِ ، ومشت فيهِ البواخر مشعشعةً بالأضواء ، ونزلت اليهِ نجوم الفلك تغتسل فيهِ الى جانب الأشعة المتحدرة اليهِ من برّي آسيا واوروبا ، في وسط الأنوار المتدفقه عليهِ من تلك البواخر السارحات الرائحات ؛ فأخذ هـذا المنظر بمجامع قلبي ، وسكتُّ مخافة ان يشغلني الـكلام بوصفهِ ، عن التمتع لحظةً بجمالهِ ؛ غير اني أسررتُ الى نفسي هذه الـكلمات :

طوبى لمن دفنهُ عبـد الحميد في البُسفور فقد ذهب الى الجنة من أقرب طريق !

* * *

أكان البسفور طريقَ الأحرار الى الجنة ، كما كان طريقَ وليِّ الدين بك يكن الى سيواس ؟؟؟ لست أدري ! غير ان وليّ الدين نفسهُ يقول في وداع فروق يوم نفيَ منها :

« . . . واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الأعين على أحسن منهما : شطّي آسيا وأوروبا ، يتناغيان بالمصابيح . عاشقان ضنَّت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما أم مرّا بنا . لا أعلم . صحائف أجاد الحسن فيها منمقةُ . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم . فرائيها متخيّل وعارفها متوّهم . ما شكّ ناظر الى السماء واليها انـ تلك المصابيح كواكب سقطت عليها . عهدي بها في حالتيها ، بينا هي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلةُ عندليب . تتجاور بهـا مسارح آرام ومصارع كرام . تسقى من ماء معين ، ومن دم مهراق . تطالعها

وجوه ضاحكة، وأخرى مجهشة. تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتىً، وآونةً مصيف، وحيناً مربع. جنة يحرسها حارس جهنم. فروق يا ظلوم. خذي روحي فما هبطت عليَّ الاَّ فيكِ. كان بكِ مهدي. وأريد أن يكون بكِ لحدي. الوداع الوداع يا فروق. وسلام الله عليكِ وعلى بنيكِ كلهم. هذا طريد جديد. مظلوم يلحق بمظلومين. يخرجونني منكِ ليلاً لأراكِ في ثوب حدادكِ. أمن أجلي كل هذا؟ كلا. بل حدادكِ على اختكِ الغزالة. أنا أضيعُ فيك من دمعة على خد مهجور. أنا أهون على الدهر من ذرّة من ذراتك ضلّت بين ثنيات الأثير.....»

ما هذهِ بلاغة الواصف، إنْ هيَ إلاَّ حقيقة الموصوف!

*
* *

رويداً رويداً أيها الدّهر! ترفّقْ بفروق؛ أقصرْ خطوَبكَ عنها. فروقُ بنت الأجيال الطويلة؛ مدينة الأمبراطرة، وكرسيّ السلاطين. أفي كلّ يومٍ نكبةٌ تروعها، وفي كلّ ساعةٍ كارثة تساق اليها؟ بنوها يتآمرون على بنيها؛ وشعوبها تقاتل الشعوب دفاعاً عنها. لوّثوا محاسنها بالدمِ المسفوك على مذابح المطامع والأنانية؛ ضجّت الأرض لهول ما تلقاهُ من فظائع حربهم، واتّخمت ذئابُ الفلاةِ من اشلاء قتلاهم!

رويداً أيها الدهر! هل أتعب مرورُ الأجيالِ كاهل بيزنطية؟

خذ بيدها! ان أنقاضها تحرّك تحت فروق!!

مدنية المصريين الأقدمين

نقتطف الصفحات التالية من كتاب في « تاريخ مصر القديم والحديث [1] » لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة هند كريمة سعادة اسكندر عمون بك المحامي الشهير. وقد بحثت حضرتها بحثاً دقيقاً في مدنية مصر ، في أزمنتها الأولى ، فتكلمت عن الديانة والشرائع والعلوم والآداب والصنائع والكتابة كلاماً كثير الفائدة ولكننا اقتصرنا على نقل ما ورد فيهِ عن ديانة المصريين وشرائعهم . قالت :

سبق قدماء المصريين شعوبَ العالم قاطبةً في مضمار التمدُّن والترقي ، وأدركوا من العلوم والمعارف والآداب مالم تبلغ اليهِ أُمةٌ في تلك الأعصر الخوالي ، حتى انه ليصحُّ ان تُعدَّ المدَنيةُ المصرية أماً لمدَنيات شعوبٍ كثيرة أخذت عنها واقتدت بها . وقد خلّف لنا المصريون من الآثار المجيدة ما ينطق بما كانوا عليهِ من التقدُّم الأدبي والمادي والصناعي ؛ ولا يزال علماء العاديات يكتشفون في أيامنا هذهِ أدلةً على أزدهار المدَنية المصرية القديمة . وفي ما يلي شيءٌ مما كانت عليهِ حالةُ مصر الدينية والأدبية والمادية :

الديانة المصرية — كان قدماء المصريين من أشدّ الأمم تمسكاً بالدّين ؛ يدلُّ على ذلك المعابد والهياكل الكثيرة التي لا يزالُ معظمها قائماً حتى يومنا . وأصلُ دينهم مجهول ، ولعلهم أتوا بهِ من آسيا عندما هاجروا منها الى مصر . وكانوا في بداية أمرهم موحدين يؤمنون باللهِ واحدٍ أزليّ مبدع الأرض والسماء ، تعجز العقول عن إِدراك جوهرهِ . ثم أَخذوا

(١) يطبع اليوم في مطبعة المعارف بمصر

يعبدون ذلك الالهَ في مظاهرهِ المتعدّدة ؛ فرمزوا الى كل صفة من صفاتهِ بتمثالٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ أو غيرِ ذلك ؛ فأدّى بهم هـذا الى الشركِ والوثنية ؛ وقسموا الآلهة الى ثلاث طوائف : آلهة الموتى ، والآلهة الشمسية ، وآلهة العناصر . ومن أعظم آلهـة الموتى « أوزيريس » إلهُ الخير ورمزُهُ النيل ، و « وإيزيس » إلاهة الخصب والحياة ورمزُها التربةُ السوداء ، و « أنوبيس » حافظ الموتى ورمزُهُ ابن آوى . ومن أعظم الآلهة الشمسية « رع » الالهُ الاكبر ورمزهُ الشمس ، و « تم » إلاهة الغروب ورمزها العجل منيفس . أما آلهـة العناصر فأعظمها « نو » إلهُ الماء ورمزُهُ المحيط ، « وتيفون » إلهُ الشر والفاقة ورمزُهُ الصحراء . وقد تختلف اسماء هذهِ الآلهة باختلاف الاعصر والأماكن التي عُبدت فيها . وكان قدماء المصريين يعتقدون أن آلهتهم تتزاوج ، وتتألم ، وتموت ، وترعى حقوق الجوار ، وتأكل وتشرب ، فكانوا يقرّبون لها القرابين والضحايا من الحيوان والحبوب والأثمار . وكانوا يعتقدون أيضاً أن مقام الإلهِ بالنسبة الى سائر الالهة هو مقام البلد المعبود فيهِ بالنسبة الى سائر البلدان ؛ فعندما سيطرت طيبة مثلاً على وادي النيل ، جعلت إلهها أمون سيداً لجميع الآلهة . ولما دالت دولتها ، أصبح أمون في المرتبة الثانية بين الآلهة . ومن أشهر الرموز التي أُلّهت وعبدت ابن آوى رمز أنوبيس ، والعجل « أبيس » والجُعَل وكلاهما رمز « فتاح » وغيرها من الحيوانات كالقرد والهرّ والتمساح وفرس الماء والبازي والجعَل أي الجعران . وكانوا يعبدون العجل مدة ٢٥ سنة فاذا لم يمت بعد هذهِ المدة أخذوهُ في مهرجان عظيم

وأغرقوهُ في النيل ، ثم أخرجوهُ وحنّطوهُ ودفنوهُ في مدفن العجول بقرب سقارة ولبسوا عليهِ شعائر الحداد الى أن ينتقوا لهم عجلاً آخر يعبدونهُ

وكانوا يحزنون حزناً شديداً عند هبوط منسوب النيل ويقدمون لهُ القرابين استرضاءً . وفي إبّان فيضانهِ كانوا يطرحون فيهِ فتاة عذراء يسمونها « عروس النيل » وقد بقيت هذهِ العادة متبعة حتى نسخها عمرو بن العاص لدُن فتح مصر . وعيد وفاء النيل من المواسم التي يحتفل بها حتى اليوم في البلاد

ولما دخل مصر اليونانيون ثم الرومانيون أخذ كل فريق عن الآخر بعض معبوداتهِ ؛ وصار المصريون يؤمنون بوحي أپولّون ومينرڤا وديانا وجوپيتر (المشتري) ومارس . ثم ظهرت النصرانية وانتشرت في العالم فاعتنقها فريق من المصريين . وظلت تنتشر في البلاد حتى أصبحت دينها الرسمي ، واضمحلت الوثنية في مصر بنهي طيودوسيوس عنها . وفي سنة ٦٤١ فتح عمرو بن العاص مصر فدخلها معهُ الاسلام

وقد اعتقد قدماء المصريين بالخلود والثواب والعقاب . وكان الإلهُ الديان اوزيريس ، وكانت مملكتهُ اولاً في بطائح الدلتا . فلما ضاقت برعاياهُ نقلهم منها الى السماء ، وسمّى مملكتهُ الجديدة « حقول الفول » إشارة الى خصبها . وكان قومهُ هناك متمتعين بالسعادة التامة والملذات على اختلاف أنواعها ، يطوفون مع الإله « الشمس » في زورقهِ ولا ينالهم أذى . ولم يكن يتمكن من الوصول الى مملكة الاموات هذهِ الاَّ من حنّطهُ قومهُ وأقاموا له بعض الطقوس الدينية . فمن تمَّ لهُ ذلك بُعث من

قبره وسافر الى حقول الفول ، فان كان عاقلاً شجاعاً تغلب على ما يلاقيه من المصاعب ، وبلغ سالماً مملكة الاموات حيث يمثل بحضرة الديان أوزيريس وأعضاء مجلسه الاثنين والاربعين . فيسمع المجلس اعترافهُ ، ثم يزن الإلهُ « توت » قلبهُ بميزان الحق ، فان كان صالحاً أجازوا لهُ الاقامة معهم والا حكموا عليهِ بالنفي المؤبد والتعذيب الأليم . وكان الماثل بحضرة الديان ينفي عن نفسهِ اولاً ارتكاب المحرّمات ، فيقول : «لم أُعذّب الارملة ، ولم أخدع أحداً ، ولم اكذب قط ، ولم أعبث بالحق ، ولم أعرف الخيانة ولا الكسل ولا التعجرف ، ولم أُدنس الاشياء المقدسة ، ولم أسعَ الى ضرر العبد لدى مولاهُ ، ولم أُجوّع أحداً ، ولم أُبكِ أحداً ، ولم افتك بأحد غدراً أو ظلماً ، ولم أحمل أحداً على ارتكاب جريمة القتل ، ولم أحمّل العامل فوق طاقتهِ ، ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم أشهد زوراً ، ولم أسرق خبز المعابد ، ولم أُحرز مالاً حراماً الخ »

ثم يعدّد بعد ذلك الحسنات التي أتاها فيقول : «لقد عشت بالعدل ، وتغذيت بالحق ، ونشرتُ الافراح في كل صوب ، وأطعمتُ الجياع ، وسقيتُ العطاش ، وكسوتُ العراة ، ومددتُ للغرقى يد النجاة »

شرائع المصريين وآدابهم — من أمعن النظر في الذنوب والآثام التي تتنصل منها الموتى وفي الصالحات التي تدّعيها يوم المعاد ، أدرك ما كان عليهِ المصريون من الاخلاق الراقية والمناقب الحميدة . وقد عثر الباحثون في الآثار المصرية على كتابات عن شرائع المصريين وآدابهم نقتطف منها ما يلي :

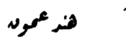
كان يُعاقَب بالقتل كلُّ من يحلف يميناً كاذبة أو يحنث بيمينهِ ؛ ومن يرى رجلاً يعتدي عليهِ معتدٍ ولا يغيثهُ وهو قادرٌ على ذلك ؛ فان لم يقدر ولم يرفع أمر المعتدي الى أولياء الأمر عوقب بالجلد ومنع عنهُ الطعام ثلاثة أيام . ويُعاقب بالقتل أيضاً كل من يرفع الى قاضٍ وثيقةً كاذبة ؛ ومن يقتل عمداً سواءٌ كان المقتول عبداً أو حرًّا ؛ وكذلك من يقتل حيواناً مقدساً

وكان يعاقَب بقطع اللسان كل من يُفشي أسرار الحكومة للاعداء ؛ ومن لم يكن لهُ عملٌ او حرفة يحترفها لتحصيل رزقهِ ؛

ومن شرائعهم ايضاً ان ناكر الدَّين يُصدَّق بيمينهِ اذا لم يكن عند المدَّعي سندٌ يؤيد دعواهُ ؛ وان للدائن حقاً على ممتلكات المدين لا على شخصهِ ، فلا يجوز للدائن ان يسجن المدين او يمسَّهُ بأذى لانهُ تابع لوطنهِ يخدمهُ في الحرب والسلم

ولم يكن يجوز لاحدٍ ان يحترف حرفةً غير حرفة أبيهِ فكانوا بذلك يتوارثون الصنائع والحرف

وكانت المرأة المصرية حرة كنسائنا اليوم ، نصيبها من الارث نصيب الرجل ، وقد أباح لها شرعهم ان تتصرف بارثها بعد زواجها كيف شاءت ، ولقبوها وهي مزوجة « بسيدة البيت »



انتقام النسيم

من أرباب النظيم

لسعادة سليم بك عنحوري الدمشقي شهرة واسعة في الأدب . فهو شاعر قدير وكاتب مجيد ، وله من الآثار في هاتين الصناعتين ما تناقلته المجلات والصحف العربية من كل مكان . وقد أراد حضرته — وهو نزيل مصر اليوم — ألاّ يحرم الزهور من نفثاته ، فبعث اليها بالمقال التالي ، قال :

لستُ أدري وأبيك ما سرُّ هذه الصحبة القديمة القائمة بين الشعراء والنسيم منذ عهد امرىء القيس فآتياً ، ولا ماهيــة تلك العلاقة الرابطة بين هذه النسمات الرقيقة ، وبين رصفائي امراء الكلام ، فانه لم يكفهم ، وهم أرباب الذوق ، وسادة اللطف ، بل هم وحدهم «الناس» على مذهب شاعر الامير الذي يقول :

جاذبتني ثوبي العصيَّ وقالت أنتم الناس ايهــا الشعراء

أنهم يتنسمون النفحات الهابة من مواطن الاحبة ، فيتبردون بانفاسها التي توليهم طيباً ، وهم يكسبونها من زفراتهم المتوهجة بالوجد شرراً ولهيباً . ولم يرضهم ان يتخذوا النسيم بريداً ورسولاً يحملونه السلام ، ويستقضونه لبانات الغرام ، وهم يكلمونهُ بصيغة الأمر كانهُ بعض الخدَّام كما فعل صاحبنا ابن زيدون في قولهِ يتغزل بولاَّدة الاندلس

ويا نسيم الصبا « بلّغ » تحيتنا من لو على البعد حيًّا كان يُحيينا

بل يعرّضونه بسبب هذه الرسائل السمجة للخزي والطرد والحجاب كما فعل ابن ماني ، بحسب اقراره عن نفسه اذ قال :

حجبوهـا عن الرياح لأني　　.قلتُ يا ريح بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجابِ هانَ ولكن　　منعوها عند الوداع الكلاما

فانهُ لولا رسالتهُ تلك ما حجب الرياح أُحد عن الاستمتاع بملامسة ذلك المحيّا الفتان ، ولم يقنعهم انهم يبثّون تلك النسمات الشكوى ، فتقاسمهم البلوى ، وتشاطرهم الكمد ، وتعتلّ لاعتلالهم ، وترثي لحالهم ، كما جرى لابن هاني القائل :

ومرَّ بيَ النسيمُ فرَقَّ حتى　　كأني قد شكوتُ اليه ما بي

اي نعم ، لم يكفهم ولم يغنِهم كل هذا حتى زادوا — على ما اشتهر من رقتهم — غلظةً ، وتمادوا بفضولهم حرصاً وأنانية ، فطفقوا يسومون تلكم النفحات الطيّبات حملَ ما تتقاصر دونهُ هممُ الرجال وتنوء ببعضهِ قلل الجبال . فقد زيّن ، للوزير مجد الدين الطغرائي ، الغرورُ بما نال من شرف الوزارة ، مضافاً الى مزية اللسن ، وحلاوة النظم ، وشدة العارضة ، أن يسخّر الريح التي يلوح من تضاعيف كلامهِ انهُ طالما استخدمها في قضاء أغراضهِ الغرامية ، وحاجات نفسهِ السرية ، بأن تقيم بين الاصداغ والطرر وتشوشها ، وتنتهز الفضلات ، وتحين الفرص لتحوم حول الثغور وتقبّلها . ثم تسلك بين الأجسام والغلائل ، وتستبضع من ذلك الحانوت الحافل بكل شائقٍ رائق ، ما يطيب بهِ خاطر الوزير ، وترفرف عليهِ أمانيهُ ، ثم تأتيهِ على مهلٍ ، مستترة بأجنحة الليل الهادي ، فتنبههُ من نومهِ اللذيذ الهنيء وتنتفض عليهِ انتفاضاً ، لعل نفحة الطيب المستمدة من ذلك البدن الخصيب الرطيب تقضي لبانات فؤادهِ المعنى الكئيب . وان كنت ،

أيهذا القارئ اللبيب ، في شكٍّ مما أقول توهماً منك أن رجلاً كالطغرائي الذي يقول

أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ　　وحلية الفضل حلّتني لدى العطلِ

لهو أعقل وأدهى وأمتن وأرصن من أن يسترسل الى مثل هـذا الهذر والفضول ، فاليك أبياتهُ بحرفها الواحد تقرأها فتزداد يقيناً :

بالله يا ريح ان مُكّنتِ ثانيةً　　من صدغهِ فاقيمي فيهِ واستتري

وراقبي غفلةً منـه لتنتهزي　　لي فرصةً وتعودي منه بالظفرِ

وباكري ورد عذبٍ من مقبّلهِ　　مقابل الطعم بين الطيب والخصرِ

ولا تمسّي عذاريهِ فتفتضحي　　بنفحة المسكِ بين الوردِ والصدرِ

وان قدرتِ على تشويش طرّتهِ　　فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

ثم اسلكي بين برديهِ على مهلٍ　　واستبضعي واثني منهُ على قدرِ

ونبهيني دون القوم وانتفضي　　عليّ والليل في شكّ من السحرِ

لعلّ نفحـة طيب منكِ نائبةٌ　　تقضي لبانة قلب عاقرِ الوطرِ

ولقد صار — جنابهُ العالي — مثالاً حسناً جرى عليـهِ بعدهُ كثيرون، وفي جملتهم المرحوم فرنسيس مراش الحلبي . بل زاد هذا على طنبوره نغمة اخرى اذ قال :

نسيم الصَّبا ان سرتِ بين نهودها　　خذي ليَ عرفَ الياسمين وعرّجي

وان ترفعي ذاك اللثامَ فتلثمي　　لماها فبالله اذكري قلبيَ الشجي

ومن العجيبِ أنّ أحد هؤلاء المتنطسين تمادى في تحامله ، وزاد في غلوائهِ ، حتى أتهم تلك النسماتِ الطيبات بارتكاب الجنايات اذ قال :

خطراتُ النسيم تجرحُ خدَّيـ　　ـهِ ولمسُ الحرير يُدمي بنانَهْ

كأنَّ الرياح ذات سيوفٍ ورماح ، تجرح من تحبُّ ، وتقتل من تريد بلا حساب ، وما عليها من جناح . بل أضاف بعضهم على ذلك فحسبها ممن يحبلنَ ويلدنَ فقال :

قد رقَّ حتى خلتُهُ   بحشى النسيم تخلَّقا

فهل سمعت بربّك أو رأيت مثل هذه الصقاعة والرقاعة ؟ ؟ ؟

والانكى من كل هذا أن تلك الحالة على بردها وثقلها ، وانتقادنا الشديد على أصحابها ، قد لجَّ بنا داعي التقليد والحرص على التحدي ، أن نتلبس بها ، ونزاولها فقلنا ، ونحن نتوب الى الله من هذه الوصمة :

يا نسيماً يأوي الغداة جِنانا   حُورها العِيْن يستلبنَ الجَنانا
مازَجتْهُ أجسامنـا وهي قَتلى   فاستردَّت أرواحها موتانا
وسرى في مسامّ صرعى الغواني   فاغتدى الكلُّ ناشطاً جذلانا
هل تموَّجتَ فوق سوسَن خدٍّ   ضمّ ورداً يجاور الاقحوانا
او لمست النسرينَ حول جبينٍ   ألبستْهُ ألبابنـا التيجانا
او تسللتَ بين بُردٍ ونهـدٍ   فوق صدرٍ رمَّانةُ قد رمانا
اوتطرَّقتَ الاعضاد تمشي الهوينا   وحللتَ العروش والايوانا
وسرقتَ الشذا المعطّرَ منهـا   وانتشقتَ الخزام والسيسبانا
وأتيتَ الرفاقَ تختـال عُجباً   ثملاً من أنفاسها نشوانا
تتهادى ما بين نفحٍ وطيبٍ   صيَّر العقل صاحياً سكرانا ؟
اي وربّي فعلتَ هـذا والاَّ   من تراه أولاك ما أحيانا ؟

ثم انظر ناشدتك الله الى التحكم البـادئ من شاعرٍ آخر يخاطب نسيماً جاءهُ من نجد :

ألا يا صبا نجدٍ متى جئتَ من نجدِ　　　لقد زدتني واللهِ وجداً على وجدِ

ومَن تراهُ خوّل الشعراء هذا الحق فيسألون النسيم كيف راح ، ومتى جاء ، ثم يقترحون عليهِ أموراً ، ويتهمونهُ بأمور ، ويعنتونهُ اعناتاً طالما شكا الى الله منهُ في هذا العصر ، عصر الحرية والنور ، وهم عنهُ متغافلون ، وفي طغيانهم مستدرجون . وهل يعجب أهل مصر بعد هذا اليوم — وهي كعبة الشعراء ومنبت البلغاء — أن يأتيهم النسيم في شهر افريل (نيسان) سموماً ، لا بارداً ولا كريماً ، فيجعل جناتهم جحيماً ، وماء نيلهم حميماً ، وهو موتور من أهل النظام ، مظلوم يطلب الانتقام ؟ ؟

سليم عنحورى

أقوال في المرأة

« المرأة اكمل المخلوقات »	كنفوشيوس
« المرأة تعلّمنا الظرف والأدب »	ڤولتير
« ليس لروايات شكسبير أبطال بل بطلات »	رسكن
« المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة ان تعيدنا اليهِ »	هوتير
« تكون المرأةُ على اكملها عند ما تكون على أتمها تأنثاً »	غلادستون
« المرأة آخر من بقي عند الصليب ، وأول من أسرع الى القبر »	باريت
« المرأة الجميلة جوهرة . والمرأة العاقلة كنز »	سندي
« تجد المرأة في بدء كل شيء »	دمرتين
« أعذبُ ما في الحياةِ تحية الزوجة المحبة »	ولز
« أيُّ شِعرٍ يفوق عَيني المرأة في السحر »	شكسبير
« ان السماء لا تعرف شيئاً أرقَّ من قلب المرأة الذي تسكنهُ الشفقة »	لوثير

الأدب في العراق

السيد محمد سعيد حبّوبي العراقي

ولد في النجف ، وبها نشأ وحصل . وقضى شطراً من شبيبته في بلاد نجد حيث تشتغل أسرته بالتجارة . ثم هو اليوم في النجف يعد في صدور العلماء المجتهدين ، وعمره ستون سنة ونيف

تأثير الاقليم — للإقليم ولنوع المعيشة أثر كبير في تكوين أخلاق الانسان وملكاتهِ النفسية . واذا التفتنا الى من نترجم اليوم رأينا الشاهد على ذلك . الوسط الذي وُجد فيهِ الرجل ، أول ما وُجد ، كان مباءة علمٍ وأدبٍ وشعور ، والسماء التي رمقها ، أول ما رمق ، وضَّاءة جميلة . الحرارة شديدة الوقع ، ولون النور ناصع بياضه . فأهّلهُ ذلك ، فوق ما في فطرتهِ من الاستعداد ، لأن يكون ملك الشعر والشعور ، وربَّ الفصاحة والبلاغة ، الساحر بيانه ، الفاتن عيانهُ

ولم يكن ذلك كلّ ما جعل الرجل كذلك ؛ بل انه وُجد في مهد البساطة ، وتمكنت من نفسه آداب الفطرة الصحيحة ، فصفا ذهنهُ ، واتّقد خاطرهُ ؛ وقد انتشق نسيم بلاد العرب الجافّ المعتدلة حرارته ، وشاهد الأودية والجبال والشعاب النضرة ، فانعكست في لوح باطنهِ صوَر تلك المشاهدات الغريبة ، وطالع رياض الجزيرة وأرباضها ، فأجال طرفه هناك في بساتين الطبيعة العامرة ؛ هناك في موطن الحب والعواطف ، موطن الدموع ، وفي مهبط الشعر والعشق والحياة الخفيفة

الهنية ، وفي محط رحال الكلف والهيام ، والضلال والحيرة

في النجف وُلد ، وفي نجدٍ والحجاز وُجد ؛ فجاء آيةً في الشعراء الحقيقيين الذين لم يوجدوا الاّ ليكونوا أمثلة للروح الإلهية المقدسة ، وأشباحاً للنفس الملكوتية الطاهرة . اولئك هم أنوار العالم ، وهم متمّمو نقصان الوجود

كلمة في شعره — فسدت معاني الشعر العربيّ ، قبل فساد ألفاظه ، بزمنٍ طويلٍ عهدهُ ، فخرج بالشعر كثير من ذوي القرائح عن غايتهِ ، وانقلبوا خرّاصين قوّالين ما لا يفعلون ، غالينَ في المدح ، وتأليهِ العظماء ، واكبارِ الجبّارين . وقد اكتسبهم بالمال عشّاق الشهرة والمجد الباطلَين ، فأفسدوا فطرتهم . على انه لم تخلُ تلك الفترات من نبيٍّ للشعراء يرسل كأبي العلاء ابن المعرّة . وقد كانت ألفاظ ذلك الشعر عامرةً على فساد معانيه . ثم جاء دور الألفاظ فأفسدها ابن نباتة والقيراطي وابن حُجة والصفدي والحلّي صفي الدين ، بصناعتهم اللفظية ؛ فماد الشعر العربي ، من جهة المعاني ، مدحاً ورثاءً كلهما كذب واغراق ، ومن جهة الألفاظ ، كلماتٍ مهملة أو معجمة ، يتأمل كيف يضع الشاعر بعضها الى بعض ، أو كيف يقابل بعضها ببعض ، ناسياً ان ليس الشعر الاّ لحناً جميلاً تؤلفهُ الأرواح الشاعرة ، أو أنهُ ليس الاّ روحاً تبعثها ألحان الضمائر ، وهي منقطعة الى مناجاة الله والطبيعة

ويمتاز شعرُ مَن نحن بصددهِ ، برجوعهِ الى حقيقة الشعر في الاكثر إن من جهة الألفاظ ، وإن من جهة المعاني . أما الألفاظ فانها السهلة

الجزلة ، تجمع الى الرقة المتانة ، ونظمها يحوز الى فخامة التأليف ، وجلال التركيب ، جمال الأساليب . وأما معانيهِ فانها في الأغلب وصفٌ وتصوير ، وتجسيمٌ للخواطر ، ونعت الطبيعة ، ولهجة شديدة في العشق ، وفي الحب والأحباب . واذا تصفحتَ مجموع شعره رأيتَ سفرَ دموعٍ وعواطف ، ووجدت ثمة ديانة الشعراء ، وأهازيج الأرواح ، وتهليلاً وتسبيحاً يتصاعد من عالم النفس ، الى عالم الحس ؛ ويشهد على سلوكه ومذهبه في المحبة الخالصة مثلُ قوله :

والحبّ من دون البريةِ كلّها ديني الذي وشجتْ عليهِ عروقي

وقوله :

اني اتخذتُ هواهمُ حَسَباً أُعزى اليهِ ، وحبّهم شَرعا

وقوله في موشح :

ليت دين الحبّ لما عرَفا لم تقُم بيعتهُ في عُنُقي

وقوله :

لستُ أنسى عهدكَ الماضي وانْ مرَّ بالعينِ خيالاً لستُ أنسى
طفتُ سَبعاً حولَ مغناكَ كما قمتُ أقضي الصلواتِ الخمسَ خمسا

فها أنت ترى نوعاً من عبادة السالكين الذين تجردوا عن الاتصال بالمادّة ، وأصبحوا أرواحاً محصنة حائمة حول سراج الحقيقة ، حيامَ الفراش على النار . ولماذا تودّ اللحاق بالحقيقة ؟ ؟ لأنها للحقيقة خلقت ، ومن الحقيقة بدأت ، والى الحقيقة تعود

ولست أدري ماذا كان يلمُّ بهذا الشاعر حين ينقطع الى التأمل في

جمال الطبيعة ؛ أكانت الطبيعة تنقطع الى شهوده ، فتجده مظهراً من مظاهرها الجميلة ، وتكاشفهُ ، فتفيض أسرارها الغامضة على لسانه ؟ بلى ! وانهُ لسانٌ ناطق للطبيعة ، فقد كان مرأى الأزهار يؤثر فيهِ ، وخطرانُ الغصون الميس يعبث بلبّه ، فيحملهُ على أن يقول :

يا بانة الجزعِ ، لا والنازلين بهِ ، ما كنتِ عارفةً لولاهمُ الهيفا

ويقول :

مالتْ فقلتُ لها يا بانةُ آعتدلي وأن جُبلتِ على التعطافِ والميَلِ

ويقول :

وذكرت في ذي البان ميسَ قدودِهم فطفقتُ من شغفٍ أضمّ غصونهُ

ويظهر من لهجتهِ في شعره ، انهُ كان شديد التمسك بمبداءِ (الحب) تمسكاً يمثّل له أن الهلاك والحيرة منجاة وهدًى فيـهِ ، وان طغيانه عليهِ عدل وانصاف تلزم معهما الطاعة . فتراه يقول :

منَح الصبابةَ أضلُعاً وفؤادا وعصتهُ سلوة مُقصرٍ فتمادى

وطغى عليهِ الحبُّ وهو أميرُه فأطاعَ جامح قلبـه وآنقادا

وربما أصيب ، كدأب الحائرين من هذه الطائفة المعذبة ، بمن لا عاطفة ، بل لا قلب له ، فيطعن في سلوكهِ ، فيضطر ان يواجـه هؤلاء بمثل قوله :

يا عاذِليَّ في الهوى تورّعوا واطّرحوا نفسي ومَن تيّمهـا

قالوا الغرام مهلكٌ قلتُ لهم ما عيشتي ان لم أكن مغرمَا

وقوله :

يا لائميَّ اليومَ في حُبّهِ مهلاً فـا شانكما شاني

هاموا هيامي فيكَ لو أنهم　　قد عرفوا مَعنـاكَ عُرفاني

شعره — وقد آن لنا ان نُثبت شيئاً من شعره ؛ فهو الذي يقول :

لُح كوكباً ، وامشِ غصناً ، والتفتْ ريما　　فإنْ عداكَ اسمُها لم تعدكَ السيما
وجهاً أغرَّ وجيـداً زانهُ جيَـدٌ　　وقامةً تُخجلُ الخطّيَّ تقويمـا
يا مَن تجـلَّ عن التمثيلِ صورتهُ　　لأنتَ مثَّلتَ روحَ الحسنِ تجسيما
لو أبصرتك النصارى في كنائسها　　مُصوَّراً رَبَّعتْ فيكَ الأقانيمـا
نطقتُ بالشعر سحراً فيكَ حين غدا　　هاروتُ طرفكَ ينشي السحرَ تعليما
اذا سفرتَ تولّى المتقي صنماً　　وان نظرتَ توقّى الضيغمُ الريمـا
من لي بألمى ، نعيمي بالعذاب بهِ ،　　والحبُّ أنْ تجد التعذيبَ تنعيما
ألقى الوشاحَ على خصرٍ توهّمـهُ　　وكيف وشّحَ بالمرئيِّ موهوما
أشيمُ برقَ ثنـاياه فيوهمني　　تألّق البرقِ نجديًّا اذا شيما
يا نازلي الرمل من نجـدٍ أُحبكمُ　　وإنْ هجرتم ففيما هجركم فيما
هل توردونَ ظماءً عذبَ مائكمُ　　أم تُصدرون الأماني حُوَّماً هيما
لي بينكم ، لا أطـالَ اللهُ بينكمُ ،　　غضيضُ طرفٍ يردُّ الطرف مسجوما
أنا رضيعُ هواهُ منـذ نشأتهِ　　ونشأتي لن تروني عنـهُ مفطوما
يا جائراً وعلى عمـدٍ أحكّمهُ　　أعدلْ وجُرْ بالذي ولاّكَ تحكيما
حرَّمتَ وصلي كما حلّلتَ مقتلتي　　صدّقتُ شرعكَ تحليلاً وتحريمـا

ولهُ :

دموعي وهيَ حمرٌ مُرسَلاتُ　　وشت بي عند أهلِكَ لا الوشاة
أتنكرُ يا أخا القمرينِ لثمي　　وفي شفتيكَ من شفتي سِماتُ
فلو نزعتْ لحاظُك عن قسيٍّ　　لما اختـارتْ سواهنَّ الرماة

فسلْ كبدي ففي كبدي سهامٌ ... بأهدابِ الجفونِ مُريّشاتُ
وسلْ عطفيكَ كم طعنا فؤادي ... اذا علمتْ بموقعها القناةُ
أتحكي السمرُ قدَّك باعتدالٍ ... وما ثُقّفتَ وهيَ مثقّفاتُ

وله :

يا غزالَ الحِمى ، وقلتُ غزالاً ، ... حين أبصرتُ في ضلوعي كناسا
حسبوا غنجَ مقلتيكَ نعاساً ... ومن الغنج ما يكونُ نُعاسا
مَن كسا خدَّكَ الشقيقَ كساني ... من بَهارِ الضنَّا عليكَ لباسا
فاسقني، لاعطشتَ ، ثغراً وريقاً ... يومَ نسقي النديمَ خمراً وكاسا
وارعَ لي ذمةً لديكَ وعهدًا ... يومَ تنسى العهودَ أو تتناسى
هبْ جميع الورى أحبّتك حبي ... غير أني قاسيتُ ما لا يقاسى

وله :

خطرتْ فجدَّ وشاحُها بخفوقِ ... فكأنها اتشحتْ بقلب مشوقِ
وعلى الدلالِ تماسكتْ فتلاعبتْ ... كفُّ الصبّى بقوامها الممشوقِ
شربتْ بوجنتها دمي واستخدمتْ ... لخضاب أنملها دَمَ الراووقِ
قمنَ الولائدُ اذ نهبٌّ من الكرى ... من حول واضحةٍ كنارِ فريقِ
قرّبنَ قضبانَ الأراكِ فجلّلتْ ... بَرَداً تُقيّدُه لثاتُ عقيقِ
وضفرنَ جثلاً من أثيثٍ عثا كلٍ ... نُضّدنَ فوق المتن نضدَ عذوقِ
الحسنُ حوزُتها ولكن غيرُها ... بالمستعار أتى أوِ المسروقِ
والحبّ من دون البريةِ كلّها ... ديني الذي وشجت عليهِ عروقي
يا أسمَ جادكمِ السحابُ اذا سرى ... متجلّلاً برواعدٍ وبروقِ
جون اذا احتلب المهبّ ضروعهُ ... هدرتْ رواعدُهُ هدير فنيقِ
اني وثقتُ بحبكم فتكاثرت ... عللٌ تُقلّلهُ فقلَّ وثوقي

وله :

شمس الحميّا تجلّت في يَدِ الساقي | فشعَّ ضوءُ سناها بين آفاقِ
سترتُها بفمي كي لا تنمّ بنا | فأجّجت شعلةً ما بين آماقي
خُذْها كواكبَ اكوابٍ ويشفعُها | ما يجتني الطرفُ من أقداحِ أحداقِ
وبتُّ أُسقى وباتت وهيَ ساقيتي | نحسو الكؤوسَ ونسقي الأرض بالباقي
ضممتُها فتثنّت وهي قائلةٌ | بالغنج مهلاً لقد كسَّرتَ أطواقي
مسودّةُ الشعرِ لولا ضوءُ غرّتِها | لما هدتني اليها غيرُ أشواقي
يهدى اليكَ بمرآها ومسمعِها | جمال يوسف في الحانِ اسحاق

وقال :

للهِ يومَ وداعِهم من عُصبةٍ | وقفت وقد سَرتِ الجمالُ وخادا
وَقفت بهم أقدامُهم ان يركضوا | أثرَ النياقِ فأركضوا الأكبادَا
فوق الركائبِ أنجمٌ لا تجتلى | ورياضُ حسنٍ تمنعُ الرُّوادا
عَربٌ ، معاطفُ غيدِهم ورماحهم | سيَّانِ ، كلٌّ ينثني ميّادا
بعثوا الخيالَ ، وما رقدتُ ، وليتهم | بعثوا اليَّ مع الخيالِ رُقادا
أُحيي الدُّجى أرَقاً كأنَّ نواظري | خُلقت محاجرها قذًى وسُهادا
بذمامِ ذيّاكَ الغزالِ حشاشةٌ | أُسرت ولم يَقبل فدًى فتُفادى
يا غارساً بالجزعِ روضةَ حسنهِ | ومخيفَ رائدِها قَناً وصعادا
كَنّيتُ عنكَ بمن سواكَ مُوريًا | بهوى سعادَ وما هويتُ سُعادا
أعرضتَ عني وادَّعيتَ مودّتي | أرأيتَ إعراضاً يكونُ ودادا
اني لأسترُ عِفتي بخلاعةٍ | وأرومُ فيما أنتحيهِ مُرادا
والضدُّ قد يبدو بمظهرِ ضدّهِ | أوَ ما ترى نورَ العيونِ سوادا
يا ربعَ لذّاتي ومربعَ جيرتي | حيًّا معاهدَكَ الغمامُ وجادا

لا أبتغي للوصلِ فيكَ نهـايةً أبداً ولا للعيشِ فيك نَفـادا
لا والذي سَمَكَ السمواتِ العُلى وأقامهن وما أقامَ عمـادا
لا أرتضي غيرَ الأكارم معشرًا يوماً ولا غيرَ العراقِ بلادا

وقال :

ومودّعٍ للركب ودَّ بأنهُ لو قد أسالَ عن الفؤادِ شؤونَهُ
لم تقطعِ الاظعان ميلاً في السُرى الاّ وكحّل بالسُهادِ جفونَهُ
قطعتْ بهم سهلَ الغميم وَحزنَهُ فسقى الغميمُ سهولَهُ وحزونَهُ
فترى الدموعَ تخالُها بحراً طمى وترى الحمولَ تخالهن سفينـةُ
يا قلبُ حسبكَ بالغرامِ رهينـةً شطَّ الغريمُ وما قضاكَ ديونَهُ
فلأُنهكنَّ القلبَ من حسراتِهِ يوم الترحّل او يُجنَّ جنونَهُ
قالوا أشابَ البينُ مفرقَ رأسِهِ كلاّ ولكن قد أشابَ عيونَهُ
وذكرتُ في ذي البان ميسَ قدودِهم فطفقتُ من شغفٍ أضمُّ غصونَهُ

وقال :

يا ساكني الزوراء حسبُكمُ النَّوى فلقد وهى جلدي بكم وتجلّدي
أمرَضتموني بالبعـادِ وانمـا أقصى شقائي ان أراكم عوَّدي
كثرتْ عليَّ النائحاتُ صوارخاً ان لم اكثِّرْ في هَواكم حُسَّدي
موَّهتُ عنكِ بلَعلعٍ وبحـاجرٍ ولأنتِ من تلك العبارة مقصدي
فليحلُ بالزوَراء عيشُكِ سائغـاً إني أغصُّ بكلّ عيشٍ أرغـدِ
وليهنِ أعينَكِ الرُّقادُ فانَّ لي عيناً اذا رَقَد الملا لم ترقـدِ
إن أسلمتكِ يدُ الغرام فإنني مُلقىً بقبضتِهِ أروحُ وأغتـدي

وله من قصيدة :

أجدّك علّمني لوصلِك حيـلةً فأنتَ الذي علّمتني الهيَمانا

وهبْ انَّ سمعي قانعٌ بحديثكم ألعينِ مَعنىً أو تراكَ عيـانا
الى النزوانِ العيسُ تلوي أعنَّةً وهيهـاتِ ليست تملكُ النَّزوانا
وليست تشيمُ البرقَ من أبرقِ الحمى بلى! قد تشمُّ الشيحَ والعَلَجانا
فيـا أخويَّ المدلجين كليهما اذا جزتمـا الجرعاء فانتظرانا
ويا صاحبي لا تلوِ عنها مُعرِّجاً هلمَّ لنَلقى من نحبُّ كِلانا
وقمْ نجتلي النـارَ التي قال خابطٌ من الناس حسبي ان رأيتُ دخانا
وان لمعتْ فاقصد لمشرقِ ضوئها وأمَّ شروقَ الضوءِ لا اللمعانا

وله :

وإن أقضي بحبكِ مستهـاماً فكم قبلي قضى صبٌّ معنّى
قضى القيسانِ قبليَ : قيسُ ليلى من الهجرِ الطويلِ وقيسُ لبنى

هذا وقد أثبتُّ كل ما مرَّ اشارة بذكر اديب دقَّ خطرُه ، وتطلّس أثرُه ، لنبوغه بين قومٍ لا يحتفون بنابغة ، ولا يحتفلون بنبيل ، حمله استخفافهم بالشعر وذويه على الاشاحة عنـهُ بوجهه ، ودعاهُ اهتضامهم للادب وأهله ، الى الاضراب عن معاناته ، فانصرف منذ عهدٍ بعيد عن قرض الشعر ، ولولا ذلك لعُدَّ اليوم في صفِّ المتفوِّقين من غواة هذا الفنِّ الجميل ، وقليلٌ ما هم

(النجف) محمد رضا الشبيبي

(الزهور) رأى القراء في شعر الشيخ الحبوبي وفي ما نشرته هذه المجلة سابقاً عن ادباء العراق ان في تلك الاصقاع شعراء مجيدين يذكروننا بأسلافهم لفحول شعراء العرب . فنشكر لكاتب هذه المقالة انه عرّف الى ادبائنا اليوم واحداً من هؤلاء الشعراء النابغين

الزهور



المرء روح خفيٌ لست تنظره ... الاَّ بمرآتهِ من هذه الصوَرِ
ان كان ظاهره عنوان باطنه ... فهاكمُ عن فؤادي أصدقَ الخبرِ

عبد الحميد الزهراوي

للسيد عبد الحميد افندي الزهراوي شهرة في الادب لا تقلّ عن شهرته في السياسة . ولئن كانت سوريا قد عرفته سياسياً ماهراً ، ومبعوثاً غيوراً على مصلحتها ، فان مصر عرفته من قبل كاتباً مجيداً ، وصحافياً قديراً . على ان شواغل السياسة لم تصرفه عن الكتابة فقد طالما أنشأ المقالات الضافية ، وكتب الفصول الشائقة في جريدته «الحضارة» الغراء . ولقد اغتنمنا فرصة وجوده في هذه الاثناء في مصر ، فسألناه ان يزين بعض صفحات « الزهور » بفصل يكتبه خصيصاً لها ، فتفضل بالمقال التالي ، قال :

رغبتم ، أيّد الله بكم دولة العلم والأدب ، ان أضع بين زهوركم ورقة يتمثل عليها شيء من تفكراتي ، ولو اطلعتم على قلبي ، وعرفتم كم أقدر الزهور حق قدرها ، وكيف أتهيّب ان أضع بينها مثل هذه الورقات ، لما سمحت مكارمكم الأدبية ان تضعوني بين مشكلَين من تلبية هذه الرغبة الشريفة ، والاحجام عنها . أما وقد قضى حظّي ان تخفى عليكم حالي ، مع وضوحها وقوة فراستكم ، فان الاقدام رجح عندي على الاحجام ، وشجعني على ذلك انَّ فوضى الأقلام قد تستطيع تعاريجها ان تخفي مثل هذه الورقات فلا تنفذ اليها اعين الحذاق

ولا أكتم عنكم ان ما شغل الأفكار هذه الايام من هبوب عواصف السياسة من الغرب على الشرق ، ومن الشرق بعضه على بعض ، قد حال بيننا وبين مجالات الكتابة ؛ لأن المجال ان كان في السياسة ، فهي قاضية ان ليس كل ما يعلم فيها يقال ، وان كان في الادب ، فمعلوم انه لا محل للموسيقى حين تكون المدافع قائمة بدورها على ابواب البلاد ، وان كان في الفلسفة ، فلها رجال لا أرى اني من طبقتهم ، ولا تسمح نفسي ان تحشر في زمرة الطبقة التي لا تستحق في نظر الناس الاَّ ان توسم بالتقليد ؛ فلأجل هذا كله وقفت طويلاً امام تكليف صديقي صاحب الزهور وقفة الحائر ، ثم انطلق لساني يقول : « كيف الخلاص من الزهور »

ولما قلت هذه الكلمة وجدت ضالتي ؛ فان ذهني انتقل الى موضوع يصح ان نسميهُ جليلاً . ذلك ان لاحت لي العلاقة العظمى التي بين البشر والازهار ، ورأيت ان هذا النوع بأجمعه غير مستغنٍ عن الأزهار . فلما

ورأيت الناس تربطهم بها هذه الرابطة العظمى ، بحيث لاينفكّون كلهم عن طلابها ، والخضوع لتجلياتها — لما رأيت هذا المرأى الغريب الذي يقلّ التنبه له ، هان عليّ عدم امكان التخلص والتملص من أمر « الزهور » وسهل عليّ الدخول في موضوع قد يصح ان يأوي الى هذه الرياض لأنه متعلق بالزهور

العلاقة التي بيننا وبين الأزهار :

قلت ان العلاقة بيننا وبينها عظيمة والآن ازيد فأقول : هي عظيمة جداً . وهذا اراه يحتمل شرحاً كثيرا ، وأبدي أسفي على اني لم اجد من الوقت ، ومن تفرّغ الفكر ما استخدمه في هذا الشرح على مقدار ما يحتمل الموضوع ، فانا اكتفي باشارات قليلة فاني لا أخال ان للزهور قرّاء من غير الاذكياء ، واولئك تكفيهم الاشارة

ان العلاقة بيننا وبين الازهار هي علاقة التربية ؛ اي اننا نحن نربّيها وهي تربينا ، وهي مساعدة في حفظ نوعنا ، ونحن مساعدون في حفظ أنواعها . ولما كان من حكمة ذي العناية ان يكون طلبنا لما نحتاج اليه من الاشياء الضرورية بسوائق طبيعية ، وضع فينا سوائق جمة متنوعة بتنوع ما نحتاج اليه ؛ واعظم هذه السوائق « حبّ الجمال » . ووضع سبحانه فيما نحتاج اليه ، ويحتاج الينا ، جواذب جمة متنوعة اعظمها « الجمال »

في الازهار قوى تجذبنا ، وفينا قوى تسوقنا الى محبتها. ولست ادري أ شاعرة تلك الحبائب بهؤلاء المحبين ، وأنّ بيننا لجواذب فينا تجذبها ،

وسوائق فينا تسوقها الى ذلك ؟ نم لا أدرى هذا! فأتركه لسبح خيال بعض الفلاسفة . . .

كيف تربّينا الأزهار

اما تربية الأزهار إيانا فعلى اساليب شتى ، بعضها شديد الظهور . فمن ذلك : تربيتها أبداننا ؛ ذلك ان قسماً عظيماً من أغذيتنا يتمثل في أهم أدواره زهراً ، ثم ينقلب حبّاً ، او فاكهةً ، او لبّاً . ولا ينبغي ان ننسى ان الاعشاب هي الأساس في تربية أبدان جمهور الحيوانات ؛ لأن أواكل اللحوم منها ، انما تتغذى بلحوم اواكل الأعشاب في الغالب ، ولأنها (أعني أواكل اللحوم) اذا وجدت في اللحوم غذاءها ، لا تجد فيها شفاءها اذا أصابها مرض ، بل تلتمسه في الاعشاب كما ينقله المشاهدون . واذا كانت الاعشاب هي الأساس في التغذية ، ومن الحبوب والفواكه والألباب قسم كبير من الاغذية والادوية ، كان واضحاً معنى تربية الازهار أبداننا

أما تربيتها لأفكارنا وعواطفنا فهذا الذي يحتاج الى الشرح ؛ ولعله يكفي ان نقول : ان أعظم أسباب رقيّ الانسان انما هو « حب الجمال » وان أعظم حامل للواء الجمال هي هذه الازهار التي لا يستطيع أبلغ البلغاء ان يدخل في تفاصيل بهائها وازدهارها وتشكلها بالألوف من الالوان التي يفرق بعضها عن بعض امتيازات في غاية الدقة . فكلما ألف الانسان المزيد من التمتع بجمالها وعُني بتربيتها وترتيبها ازداد ذوقه سلامة ، وطبعه لطفاً ، وروحه نشاطاً

وهناك اسلوب آخر من تربيتها ايانا يذوقه الصوفيون ، والفلاسفة الروحيون ؛ فلا نتعرض له ههنا

كيف نربّي الازهار

هذا المطلب من الموضوع نترك بعض جهاته لعلماء الزراعة ، ونأخذ نحن بجهة واحدة منه ؛ وهي أن التقليد الذي يدخل في كل شيء قد دخل ايضاً في تربية الأزهار التي اعتاد الناس ان يزينوا بها حدائق البيوت . ذلك اننا رأينا اكثر الحدائق انما تحتوي على أصناف من الازهار معهودة عند الكل في الغالب ، في حين ان الازهار التي تحتوي عليها أرض الله الواسعة تكاد لا تحصى . وهذا التقليد قد يذكّرنا بجمود اكثر الافكار على ما عرف الاولون ، من غير تأمل ، في ذلك الذي عرفوه خطأً او صواباً ؛ واذا انتقل الفكر من الجمود في تربية الازهار ، الى الجمود في تربية العقول والنفوس ، يرجف القلم ويستعفي من الخوض فيه ؛ فليعذره القارئ اذا أراد ان لا يترك لذة الوقوف مع الزهور ، وقفة الذاكر جميلها وجمالها ، المتعلم من حكمة ارشادات أوضاعها وحالها ؛ وقد تذكرت الآن هذه الحكمة التي تتجلى لي كلما رأيتها تزين الرياض والحدائق ، وهي ان تسبيح بديع الاكوان كلها يكون بالروح والجنان ، كما يكون باللسان ، « وإنْ مِنْ شيء إلاّ يُسبّحُ بحَمْدِهِ ولكنْ لا تفقهُونَ تسبيحهُم »

عبد الحميد الزهراوى

أي الرجال تفضله النساء

« من كان طويل القامة ، قوي البنية ، جميل الطلعة ، ذا ذكاء لا يباهي به ، لين العريكة ، متسامحاً بالجزئيات ، غيوراً في الحب ، رؤوفاً بالضعيف ، يركن اليه في كل الاحوال ويمكن خداعه احياناً . واني وان كنت أرى صعوبة التعميم في أمور كهذه ، فلا ريب عندي ان اكثر النساء يرغبنَ في الرجل المتصف بمثل هذه الاخلاق ، وأخالف من قال بأن النساء يملنَ الى الرجل الذي يستأثر بالسلطة ، وان يكن بعضهنَّ يفضلن الاستبداد على الاهمال ، لأن المستبد شرس الطباع ، مكروه في الغالب »

وردت هذه الجملة في آخر رواية كتبتها آدا ليفرسون ، فلفتت نظر مدير مجلة «الستراند » ، فاتخذها موضوعاً اقترحه على اديبات الانكليز فوردته الاجوبة التاليـة :

لا يصح التعميم في قضية كهذه ؛ فان لكلٍ من الناس في الحبّ مذهباً ولولا ذلك لساد في الأرض الشقاء . وأنا أوافق السيدة ليفرسون على كره الرجل المستبدّ ، وحب الرؤوف . أما رأيي الخاص فاني أقدّم الحيطة والرعاية على باقي الصفات ، اذ لا شيء عندي أبغض من الاهمال وعدم الاكتراث . ولستُ أُعلّقُ على المنظر الشخصي كبير أهميةٍ ؛ فاني أعشق في الرجل أخلاقهُ لا أسنانهُ البيض وشاربهُ المفتول مود أنسلي

ان وصف آدا ليفرسون يصدق بالاجمال على النوع الذي تفضّله النساء . غير انَّ بعضهنَّ يفضّلنَ ذا النفس الكريمة ، ولو كان قبيح الصورة ، والقويَّ على الضعيف . أما المستبدُّ الشكس الطباع فلا يُطاق . وقد أصاب «هزلت» في قولهِ : ان المرأة تعشق الرسم الذي اعتادت تصويرهُ في مخيلتها ادلايد أرنولد

ليس أبغضُ لديَّ من الشاب الجميل . غير اني اشترط في من أحب ان يكون منظرهُ مقبولاً ، ذا عينين لطيفتين ، وذقن تدلُّ على القوّة ، وان لا يكون

في وجهه ما يدلُّ على الدناءة ؛ يحب الاولاد والكلاب قادراً على استمالتهم اليه . وأُفضّل من زادَ على هذا الذكاء ، وسعة الاطّلاع ، وكرم النفس ، والقوة الحقيقية . فانَّ القويَّ لا يظلم ولا يستبد . واكرهُ الجبان الغيور . ومن الحكمة ان لا تفحص المرأة عن ماضي رجلها ، وان تثق بهِ كل الثقة

مسز اسكيو

إنّ الاستبدادَ في الرجل كثيراً ما يكون عنوان الضعف ؛ فالمرأة الحكيمة تعرف كيف تحصل على السلطة الحقيقية ، باظهارها الطاعة واللين ، ويمكنها الفوز باكثر رغائبها اذا تظاهرت بعكس ما تروم . أما الرجل الرؤوف الذكيّ ، الثقة ، فهو عطية الآلهة . واني استغرب ممن تفوز ببعلٍ كهذا كيف يخطر لها خداعه في بال

كاثرين بايتس

يستحيل على امرأةٍ واحدة ان تجيب على هذا السؤال المهم ؛ فان لكلّ امرأةٍ ميلها . وبصفة كوني عضواً من الجنس اللطيف أجيب : انني أفضّل الرجل الذي ينزع للسلطة ، واكرهُ الرجل الضعيف النفس ، كما تكرهُ الكثيرات منا ضعيف البنية ، واحتقر الرجل البسيط الذي يُخدع . أما الخصال التي لها الميزة عندي فهي الشجاعة والذكاء والمؤاساة وخفّة الروح . وان أضفت اليها دماثة الخلق والكرم بلغت حدّ الكمال

مارجري بون

ان قلنا إننا نفضّل الرجل الطويل الجميل الذكيَّ القوي ، فلا نضلّ ؛ اذ نكون قد اخترنا أفضل النوع المذكر . ومن منا لا تميل الى الرجل المتسامح في صغائر الأمور ؟ غير اني أرى اللواتي يفضّلنَ محبَّ الأثرة ، على ضلال مبين ؛ فهنّ يستحسنَّ منهُ مظاهر القوة في زمن الخطبة ، ثم لا يلبثنَ ان يسمينها استبداداً مشيناً بعد الزواج . ومما لا يُعارض فيهِ أنَّ المرأة تحبُّ الغيرة في الرجل ، لأنها لا تريد ان تُشرك فيهِ ولا ان يُشرك فيها . واما من يمكن خداعهُ أحياناً فهذا شرط يستغنى عنهُ لأنَّ الرجل الذي لا تقدر المرأة على خداعهِ لم يولد حتى الآن

صوفيا كول

ان الزمان الذي كانت تميل المرأة فيهِ الى ذوي السيادة والأثرة من الرجال قد مضى مع الجيل الغابر ، فاننا بنات القرن العشرين نودُّ ان نرى في الرجل العصريّ المجاملة والمروءة التي ينبغي ان تكون بين القوي والضعيف؛ أما اذا وجدت المرأة رجلاً تقدر ان تثق بهِ ثقةً دائمة ، فينبغي ان تخجل من ان تقدم على خداعهِ

مسز كرسبيني

ان رأي مسز ليفرسون هو رأيٌ ناضج ناشئٌ عن خبرةٍ وتدبر . وهذا لا يتم الاَّ لمن قضت في الزواج او العزوبة عقداً طويلاً . اما الفتيات اللواتي يهمهنَّ في الدرجة الأولى ، ما نحن في صددهِ ، فانهنَّ يملنَ مع القلب وليس مع العقل . واني أرى الصفة الفضلى في ما يسمونهُ بالسمر والغزَل ؛ فان كل بنات جنسنا مهما كنَّ متعقلات يُرضيهنَّ من أزواجهنَّ أمور في الحقيقة صغيرة كمثل نظرةٍ او قبلة عند الوداع ، او حديث رقيق ، او لمسة تحبب ، او باقة زهر . والرجل الذي يحسن هذه المجاملات البسيطة تغتفر لهُ المرأة ذنوباً كثيرة . ويسرُّها ان ترى الغيرة فيهِ ما دامت ترى فيهِ آثار الحبّ الصادق اذ لا تقدر المرأة ان تعيش بلا حبيب

ماي ارجنتون

ليس لي رأي خاص في هذه المسئلة سوى اني اعتقد ان جنسنا ينقسم الى قسمين كبيرين : قسم يميل الى التحكُّم ، وقسم يرغب في ان يكون محكوماً . ولكل منهما فئةٌ تقابلهُ من الجنس الآخر . واعتقد ايضاً بالمبدإ القائل « شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ » وان شذَّ بعض الأحيان

ألينور غلن

لو عُرض الازواج في السوق كالبرانيط الجديدة ما ترددت النساء في اختيار أجملهم صورةً ، وأطولهم قامةً ، وأقواهم بنيةً . ولكنها ترى في من تحب الكمال ولو كان على عكس ذلك . ومما يدهش أن بعضاً من الرجال الذين تفتتن بهم كثيرات من النساء ، ليسوا على شيء من المواهب الطبيعية . وأنا أحتقر المرأة التي ترضى باستبداد زوجها ، ولا أحب الغيور فهو لا يطاق كرفيق العمر ؛ ومن كان هذا طبعهُ فلا يسهل عليهِ تغييرهُ . واليك ما أفضّلهُ في الرجل : ان يكون محباً

سليم الذوق ، كريم الطباع ، سريع الفهم ، خفيف الروح ، محباً للمجون . فان المجون يخفف أثقال الحياة مسز بنروز

تختلف النساء في الذوق اختلاف الرجال فيه ؛ وما يقضي بالعجب ان صنفاً من النساء والرجال لا نرى فيه من المميّزات ما يكفي بأن يجعله الفائز بالشهرة في الحب . انما السر ان هذا النوع لا يشعر بالحب الحقيقي ؛ وهو ذو العواطف الهادئة ، من اذا رأى امرأةً تعرض عنهُ يقدر ان يظهر لها وكأنهُ يقول « اني أستغني عنكِ أنتِ بكل سهولة » لأن من يهزّهُ الحبُّ الصادق لا يمكنهُ ان يعلق بأكثر من شخص واحدٍ . واذا تصفحتَ التاريخ تجد انَّ الرجال الذين اشتهروا بشدةِ سلطتهم على قلوب النساء ، والنساء اللواتي كنَّ يلعبنَ بقلوب الرجال ، كانوا بلا استثناء ، فاتري العاطفة ، شديدي الأنانية مسز بايلي

أميل الى من كان يرمي الى غرضٍ معلوم في الحياة ، وهو قويٌّ ثابت ؛ من يتكلُ على نفسهِ ، ويقتصر في مظاهراتهِ الحبية على ما يكفي انهُ يُفهِمَ زوجته انهُ يُحبها . وأُريدُه طويل الاناة دمِثَ الاخلاق ريتا

ان مُعظم النساء يعبد القوة ، ويكرهُ في الرجل التأنُّث . ولذا فلا يهمّ الجمال هذا الفريق ؛ لأن الرجل الجميل يغلُبُ ان يكون معجباً بجمالهِ ، وهو محتقر ومرذول من النساء . ويلذُّ للمرأة ان ترى الغيرة في من تحب ، ولا تكره سلطة الرجل ، وان كانت لا تعترف بذلك جهراً حتى ولا لنفسها مسز ستانلي

كصديقٍ أفضلُ الرجل المجوني الحلو الطباع ، المتوسطَ الذكاء ، من يقدر ان يجعل المرأة تعتقد بأنها أجمل وجهاً ، وأبهج عشرةً ، وأفخر زينةً من كل امرأةٍ سواها ، فتصدّقهُ وترضى عنهُ ولو قال نفسَ الكلام لكثيراتٍ غيرها . ولكن لحبيب وزوج أشتهي المفكّر في غيرهِ الرؤوف الرقيق . مَن يحب الاولاد والحيوانات البكم ومَن يَحسُن الاتكال عليهِ دائماً مود باردلى

ع ٠ ع

الرسميات

لم يكد انتخاب المسيو بوانكاره يذيع حتى أعلن رغبتهُ في خلع نير الرسميَّات وميله الى حرية المعيشة . فهو يريد أن يؤمَّ هذا المكان ، أو يختلف الى ذلك الموضع بغير عين ولا رقيب . وهو يبتغي ان يثابر على مشاطرة المجمع العلمي الفرنساوي أعمالهُ . وان يتناولَ الطعام عند أصدقائهِ اينَ شاء دون ان يحاذر لومة لائم على مخالفتهِ لقواعد العادات المرعية في الرسميَّات

إن الرغبة التي أبداها المسيو بوانكاره على أثر انتخابهِ لرئاسة الجمهورية الفرنساوية تدلُّ على عواطف ديموقراطية حقيقية كامنة في صدر ذلك الرجل العظيم الذي أجمعت الكلمة على استحسان انتخابهِ لذلك المنصب الرفيع. وهي لعمر الحق عواطف لا يسع كلَّ ذي عقل سامٍ الاَّ اطراؤها

أجل ان الرسميات المقضي على رئيس الجمهورية الفرنساوية التقيّد بها في هذه الايام، لم تعد معدودةً شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الرسميات الكثيرة التعقيد التي كان العمل جارياً بموجبها في العصور الماضية في قصور ملوك فرنسا . ومع ذلك فان المسيو بوانكاره أنف من الخضوع لها

وهبْ سلّمنا بوجوب العمل بمقتضى قواعد الرسميات في بعض الحفلات التي تقتضي تصدُّر رئيس الجمهورية فيها ، كالأعياد العمومية واستقبال رؤساء الحكومات الاجنبية وسفرائهم ، فلا يمكننا التسليم بضرورة بقاء ذلك الرئيس مقيداً بتلك القواعد في معيشتهِ البيتية

في جلسة عقدت في ٢١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٧٩٢ اقترح مانويل ان يقيَّد زعيم الجمعية العمومية بقواعدَ رسمياتٍ تُعيد الى الذهن ذكرى بعض القواعد التي كانت مرعية في عهد الملكية الملغاة . فللحال ارتفعت أصوات الاعتراض على اقتراحه وأُقيم النكير عليهِ بالصوت الحيّ . وكان من جملة مقال تاليان في ذلك الصدد :

« اني ليدهشني تباحثكم في أمر الرسميات . فلا يمكن ان يوضع موضع المناقشة

استئثار رئيس الجمعية بميزة خاصة حين لا يكون مزاولاً لأعمال منصبه . وهو حين يكون خارج هذه الردهة يعتبر فرداً من جملة أفراد الأمة »

وكأننا بالمسيو بوانكاره يرغب ، حين هو لا يزاول أعمال الرئاسة ، في ان يكون حرًّا يتصرف في أعماله كفردٍ بسيط من أفراد الأمة . فكأن روح أجداده قد تقمصت فيه فدعته الى اجراء ذلك العمل الذي استوجب له الثناء

يرجع أصل الرسميات في فرنسا الى الملك فرنسيس الاول (١٤٩٤-١٥٤٧) وقد كان ملوك فرنسا قبله على غاية من البساطة في معيشتهم . فأراد هذا الملك ان يقتدي بمناظره العاهل شارل الخامس في الأبهة والعظمة المورو ثتين عن أجداده دوقات برغونيا

هذا كان بدء ادخال الرسميات الى بلاط فرنسا . وقد زادها هنري الثالث تعقيداً . وأما هنري الرابع فانهُ بذل المجهود لجعلها بسيطة . وعالج مناوأتها غير مرة . غير ان ماري المديشية زوجته كانت من قوم شديدي الاستمساك بأهداب الرسميات فانتصرت لها ، وزادتها تعقيداً على تعقيد

وكانت الرسميات في بلاط لويس الرابع عشر من أصعب الامور المقضي على الانسان العمل بها . فلم يكن الملك يُجري حركة أو اشارة الاّ ويبادر الى قضاء أمره شخص من الاشخاص المعينين لتلك المهمة بموجب قانون الرسميات

فاذا نهض الملك من السرير ، قضت الرسميات على بعض الاشخاص ان ينهضوا باعباء خدمته . فهذا يقدّم له قميصهُ ، وذاك سراويلهُ . واذا جلس الى المائدة ، قام على خدمته جمهورٌ من رجال البلاط يقدمون له بالتناوب ألوان الطعام وأنواع الشراب

فكانوا يأتونهُ بالشواء في حفلة منظمة ؛ فيسير في المقدمة جنديان يحمل كلٌّ منهما رمحاً على كتفهِ . ويتلوهما خادم يحمل الشواء يتبعهُ أربعة من الحراس يحملون البنادق على اكتافهم . وكل ذلك لأجل قطعة من اللحم المشوي . ولو كانت هذه

الحفلة تزيد في لذة الطعام لكانت مغتفرة . ولكنها كانت تذهب بلذتهِ لأن الطعام كان يبرد في اثناء ذلك

وظلت تلك الحفلات الرسمية المستهجنة معمولاً بها حتى اتقدت نيران الفتنة الكبرى فأخذت الملكة ماري انطوانت ، زوجة الملك لويس السادس عشر ، منذ قدومها الى الديار الفرنساوية، تتذمر من تلك الرسميات برسائل كانت تخطها الى والديها . ولما زُجّت في السجن بعد الثورة قالت : « اني استفدتُ شيئاً من الثورة فقد تخلصتُ من الرسميات »

فليحكم القارئ من الحادثة الآتية عما اذا كانت الملكة مصيبة او مخطئة في قولها هذا :

حدث ذات يومٍ من أيام الشتاء أن الملكة ماري انطوانت كانت تغيّر ملابسها وقد تعرّت ، واوشكت ان تلبس قميصها . وكانت عقيلة كامبان قيّمة غرفة الملكة حاملة القميص مطويًّا . فدخلت احدى نساء الشرف ، ونزعت قفازيها ، وتناولت القميص من القيّمة — ولا بدَّ من ان يعلم القارئ ان الرسميات كانت تقضي على كل شخص يقدّم شيئاً ما الى الملك او الملكة بأن يكون عاري اليدين — فأخذت سيدة الشرف القميص وهمت باعطائهِ الى الملكة . واذا بالباب يُحكُّ — وينبغي للقارئ ان يعلم ايضاً انهُ لم يكن يجوز لأحد ان يقرع باب الملك او الملكة ، بل كانت الرسميات تقضي ان يُحكَّ الباب قبل فتحهِ — فتح الباب ودخلت دوقة اورليان — وهنا تبدو صعوبة أخرى وهي ان قواعد الرسميات كانت تقضي بأنهُ اذا دخل على الملك أميرٌ من الأسرة المالكة ، او دخلت على الملكة أميرة من بيت الملك ، حين يكون الملك او الملكة يلبسان ثيابهما ، كان من حقّ الأمير او الأميرة ان يقوما مقام السيد او السيدة المنوط بهما أمر تقديم الملابس للملك او الملكة

دخلت دوقة اورليان ونزعت قفازيها ، وهمت بأخذ القميص من سيدة الشرف . ولكن الرسميات لم تكن تجيز لهذه السيدة اعطاءها القميص فأعادتها الى

عقيلة كامبان وهذه ناولتها للأميرة . وبينا هنَّ على تلك الحال حُكَّ الباب مرة أخرى ، وولجت كونتة بروفانس ؛ ولما كانت هذه الأميرة سلفة الملكة كان لها الأفضلية على دوقة اورليان فسلمت القميص اليها . وفي اثناء ذلك كانت الملكة العريانة ترتجف من شدة البرد . وكل ذلك كان لئلا تتخطى حدود قواعد الرسميات . ولما رأت عقيلة كامبان ان الأمر قد طال . وانهُ يُخشى ان تصاب الملكة بزكام من ذلك البرد ، وان قواعد الرسميات لا تدفع عنها غوائله الذميمة ، تناولت القميص وبادرت الى إلباس الملكة دون ان تنزع قفازيها ، ودون ان تحترم قبّة الشعر العالية المبنية فوق رأسها . فتبسمت الملكة لعمل عقيلة كامبان ، وان يكن قد ساءها من جهةٍ خرق حرمة الرسميات

* * *

قال الكاتب بولس لويس كوريه : ان الرسميات تصيّر الملوك عبيداً للبلاط . ولقد أصاب وايم الحق هذا الكاتب في قوله ، لأن اولئك الملوك لم يكونوا يستطيعون ان يخطوا خطوة واحدة ، أو يبدوا أدنى اشارة ، دون ان يتدخل للحال في أمرهم انسان ليس منهُ فائدة

ومما هو أغرب من ذلك ان هذه الرسميات مع صرامتها في بعض الشؤون العادية كانت في غالب الأحيان مهملة في أمور كثيرة عظيمة الأهمية

كان للملك لويس الخامس عشر عدد كبير من الخدام القائمين على خدمته في لبس ثيابهِ وعلى المائدة وغير ذلك . ولكنهُ لم يكن لديهِ خادم يوقد النار في غرفتهِ ليدفئها . وقد قال لعقيلة دي باري انهُ كان غير مرة في فصل الشتاء يضطرّ بذاتهِ الى ايقاد النار في غرفتهِ ليصطلي عليها

أقبح ما في الرسميات ان المقرّبين من الملك كانوا يضربون حولهُ نطاقاً يحول دون وصول الحقائق اليهِ ؛ فيبقى بينهُ وبين الشعب حاجزٌ حصين ، فالرسميات التي كانت تحجب حاجات الشعب وأمانيهُ عن علم الملك ، كانت داعياً الى اضرام نيران الفتن . فقد حدث في اسبانيا من الفتن ما لم يحدث في غيرها من البلدان .

ويعزى ذلك الأمر الى الرسميات التي يُعمل بها في تلك المملكة أكثر مما يُحافظ عليها عند سواهم من الشعوب

وقد نظم ڤيكتور هوغو الشاعر الفرنساوي المشهور عقد رواية حسناء سماها « روي بلاس » أدار رحى الكلام فيها على قطب الرسميات ، وما يتخللها من العادات التي يمجُّها الذوق السليم ، دون ان يركب مركب المغالاة ، او يتمادى في المبالغة بهذا الموضوع

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نورد هنا نكتتين لطيفتين تأتيان مصداقاً لما نحن في صددهِ : أمر ملك اسبانيا في خالي الحين أن يقدّموا للملكة جياداً من كرام الجياد الاندلسية لتختار منها فرساً كريماً . فانتقت منها جواداً مطهماً وركبتهُ . ولم تكد تمتطي صهوتهُ حتى جعل يرفس ، فهوت الى الأرض وبقيت رجلها معلقة بالركاب . فأجفل الحصان جامحاً ، وجرّ وراءه الملكة . وكان ذلك الأمر في عرصة القصر والملك ينظر من الشرفة ، والاضطراب والقنوط بالغان منهُ . وكان في العرصة عدد غير قليل من الخفراء ورجال البلاط ينظرون الى الملكة ولا يجسرون على الدنو منها لتمليص رجلها من الركاب لأنهُ كان محظوراً على أيٍّ من الناس ان يمسّ شخص الملكة ولا سيما رجلها

وكان ثمت فارسان اسبانيولیان ، فدفعتهما الحمية الى انقاذ الملكة ولو سامهما ذلك الأمر الى اقتحام غمرات الحمام . فقبض أحدهما على لجام الحصان وأوقفهُ ، وملص الآخر رجل الملكة من الركاب . ثم انهما برحا القصر لساعتهما مسرعين الى منزلهما ، وأسرجا جوادين ، وتركا المدينة هاربين من غضب الملك

وفقد في اسبانيا أيضاً أحد الملوك حياتهُ بسبب تمسكه وتمسك رجال بلاطهِ بالرسميات . وذلك انهُ كان للملك فيليب الثالث موقد في غرفتهِ أضرمت فيهِ النار وارتفع لهيبها . فاندلع لسانها اندلاعاً كاد يحرق وجه الملك . وحدث أن الشخص الموكول اليهِ أمر العناية بتلك النار كان غائباً . فلم يدر في خلد أحدٍ من الحضور في حضرة الملك ان يقوم مقامهُ . وظن الملك ان كرومة مقامهِ تمنعهُ الابتعاد عن تلك

النار او ابعادها عنهُ . ولذلك ظلّ قاعداً على عرشهِ حتى أثرت بهِ النار تأثيراً أحرق وجههُ ، وكان سبباً لوفاتهِ بعد بضعة أيام

اما الملكة فكتوريا الانكليزية فقد كانت أعقل من ملك اسبانيا من هذا القبيل ؛ فان في عملها والكلمات التي فاهت بها في الحال التي سنبينها ، انتقاداً مرًّا لتلك الرسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان

كانت الملكة فكتوريا ذات ليلةٍ جالسة في ردهة من ردهات قصرها وقد التفَّت حولها عصابة من الامراء والاميرات وكبار رجال المملكة . فجعل المصباح يدخّن . فنهضت الملكة وخفضت الذبالة . وكان من وراء عملها هذا دهشٌ شديد استولى على الحاضرين . فصاحت احدى سيدات الشرف : أو مثل جلالتك تتنازل بذاتها . . . فأجابتها الملكة : نعم . فلو اني قلت ان القنديل يدخّن ، لكانت سيدة من سيدات الشرف قالت للحاجب : ألا ترى يا حضرة السيد ان قنديل الملكة يدخّن؟ وحينئذٍ كان هذا الاخير ينادي خادماً لاصلاحهِ . ولا يخفى ان هذا الامر يستغرق وقتاً من الزمان يمكن ان يلتهب القنديل في خلاله . ولذا قد آثرت تولّي اصلاحهِ بذاتي . . .

وقد انتسخت الرسميات أو كادت في عصرنا من قصور الملوك في بلدان أوروبا الشمالية . ففي كوبنهاغن أو ستوكهولم أو كريستيانا لا يتعجب أحد من رؤيتهِ الملك يتنزه وحدهُ في الشوارع حاملاً عصاه بيده ، أو يركب الترامواي كأنهُ من سوقة الناس . وأما الرسميات في بلدان أوروبا الجنوبية فانها لا تزال مرعية كما كانت في الماضي . وهي تعتبر ارثاً اتصل بالشعوب اللاتينية من بيزنطة

وعندنا ان أفضل شيء هو ما جرى عليهِ القوم في أوروبا الشمالية من البساطة في المعيشة . والتحرز من قيود الرسميات الثقيل . ورحم الله مرمونتل القائل « فلنهزأ بالرسميات ، وبالتربة التي أنبتتها »

الياس طنوس الحويّك

يوسف شكور باشا [1]



أيها السادة !

عادة الاعتذار عن التقصير أصبحت من مبتذلات العادات في مستهلّ كلام الخطباء . غير انكم تغتفرون لخطيب اليوم أن يجري عليها ، اذ لا يرى مندوحة عنها ، فيسألكم المعذرة اذا بقيَ دون المقام الذي يجب ان يكون فيهِ . كيف لا ويحقُّ لأيّ خطيبٍ ان يتهيّب هذا الموقفَ أمام مثل هذا المحفل الحافل بوجوه البلاد أدباً وعلماً ومقاماً ، ويُحجمَ إزاء الموضوع الخطير الذي دُعيتُ للكلام فيهِ . بل إنني أمام

(١) ننشر التأبين الذي لفظه منشيء هذه المجلة في حفلة الاربعين التي أقامتها جمعية المساعي الخيرية المارونية في ٢١ فبراير المنصرم تذكاراً للمرحوم المغفور له يوسف باشا شكور

هذا الجمع الموقَّر، وفي تكريم فقيدنا الجليل ، لا أرى أجدر من ذلك الفقيد نفسهِ بالوقوف مؤبناً وخطيباً ، يجول جولاته المعروفة ، ويتدفق بفصاحتهِ المشهورة

على أنهُ اذا كانت يد الموت قد عقلَتْ ذاكَ اللسان الزلق ، وأخمدت ذلك الصوت العالي ، وأبلت ذيَّاكَ الصدر الرحب ، فلا أقلَّ من ان تسمعوا اليومَ صوتاً — ولو ضعيفاً — يندبُ تلك المناقبَ الغراء ، ويرثي هاتيك الهممَ الشماء ، فيترامى هـذا الصوت الضئيل الى مسامعكم ، كما يترامى الصدى محمولاً على تموّجات الهواء

أيها السادة

عقدت الجمعية الخيرية هذه الحفلة ، ودعتكم اليهـا ، قياماً بالواجب عليها نحو رجل تفتخرُ بأن تعدّه من أعضائها ، وإحياءً لذكر فردٍ تعتزّ أمتهُ بأنهُ كان من أفرادها . ولستُ أدَّعي الإتيانَ على سرد حياة فقيدنا الكبير ، وحياتهُ كانت حياةً عمومية عرَفهـا القاصي والداني ؛ كما انني لا ابغي تعدادَ مناقبِهِ وخلاله ، وأنتم أعرَف بها ، وما فيكم الاَّ القريب والصديق والرفيق . ولكنَّ في إعادة ذكر السلف تنشيطاً للخلف ، وفي تمجيد فضائل السابقين إرشاداً وعظة للاَّحقين . وما أحوَجنا ، شبيبـة اليوم ، الى مثل هذه الامثال الناجعة ، تستفزُّ هممنا ساعة الخزل ، وتبعث فينا روحَ الإقدام وقتَ اليأس ، وتضيء طريقنـا إبَّان الظلام ، وترفعُ رؤوسنا الى العلى في عصر الماديات . وما أجمل المثل الذي يتجلى لنا من هذا القبيل في حياة ابن شكور ، وهي صورة الاخلاص والنزاهة ، وعفة

النفس ورحابة الصدر ، والإقدام والذكاء والهمة العلياء

تالله ! إن من كانت هذه حياته ، يحق لأسرتهِ ، بل لأمتـه ، ان يعظُمَ في عينها مماته ، فتقدرَهُ حقَّ قدره ، وتذرف العبرات على قبره . وهذا ما تفعله اليوم أسرته ، وطائفته ، وأمته . بل يبكيهِ وطناه : وطن سلالته ، ووطن نشأته . فيحقُّ ان يُقال فيهِ ما قال شوقي في موت احد نوابغ رجالنا :

حلَّ بالأمتين خطبٌ جليلُ　　رجلٌ مات والرجالُ قليلُ

* * *

أيها السادة

من الصفات الكثيرة التي عُرِف بها فقيدنا ، يلذُّ لي أن اقف عند اثنتين وهما : نزاهتهُ وهمته اللتان لم يختلف فيهما اثنان . وقد ورث هذه المناقب عن النبعة الكريمة التي يتحدَّر منها ، وسهر على هذا الارث الادبي الثمين سهرَ الحريص على درهمهِ . فلم يسمح بأن تمتد اليه يدٌ ، أو أن تشوبه شائبة . فجمع بين تليد المرؤة وطارفهـا . وخدم مصر وأميرها خِدَماً صادقة ، كما خدمهما ذووه من قبله . فان جده الأكبر ، شكور كنعان ، هاجر من جبل لبنان — وكم انبت هذا الجبل الأشم من الفروع الكريمة ! — وجاء مصر مع أخيه يوسف كنعان شكور . فدخل هذا في خدمةِ الطيب الذكر الخالدِ الأثرِ ، محمد علي باشا الكبير . فعرف ذلك النابغة قدر ابن شكور اللبناني — ومن أعظم مزايا كبار الرجال معرفة قدر الرجال — فدرَّ عليه نعماءه ، وولاَّه ادراة دار الضرب ، ثم

عهد اليهِ تنظيم جمارك دمياط ، ولا تزال آثار همته ونزاهته مدوَّنة في تاريخ مصر . وقد توارث ابناؤه تلك الهمة والنزاهة ؛ ويا ما أجملَ ما تجلتا بهِ في شخص حفيدهِ — فقيدنا ، منذ درج من مهده ، حتى أُدرج في لحده . فكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف شكور التلميذ ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف افندي شكور الموظف بالمالية ؛ وكان هماماً نزيهاً ، .وهو يوسف بك شكور المراقب في الأموال غير المقرّرة ؛ كما عرفه الجميع هماماً نزيهاً ، وهو يوسف باشا شكور مدير بلدية الاسكندرية ؛ كما ظلّ هماماً نزيهاً في خطبه وكتاباته : خلتان عرف بهما يافعاً وشاباً وكهلاً وشيخاً

وغنيٌّ عن البيان أنّ هاتين الخلتين لا تنتجان الاَّ عن فضائل جمة مستكنة في الصدر ؛ كما انهما تُنتجان فضائل جمة تتجلى بها النفس : فالنزاهة تفرض الاخلاص وسلامة النية وطهارة الطوية ؛ والهمة تفرض الذكاء وعزة النفس والميل الغريزي الى الأمور السامية . ومن هذه وتلك يتولد شرف المبدإِ والترّفعُ عن الدنايا والرمي الى عظائم المقاصد . وقد برهن فقيدنا الكريم على ذلك في كل طورٍ من أطوار حياته وشهد له بذلك كلٌّ من عرفه من رئيس ومرؤوس

في مدرسة ليون الكبرى ، حيث تلقى دروسه ، كان آيةً في الذكاء والاجتهاد ، حتى بزَّ أقرانه ، ونال قصبات السبق في لغة الاجانب على أبناء تلك اللغة ؛ فعاد مكللاً باكاليل الغار ، حاملاً شهادة البكالوريا العلمية

وفي نظارة المالية ، أظهر من المقدرة على العمل والدراية في الأمور ما لفت اليهِ نظر رؤسائهِ ، ففتحوا له باب التقدم سريعاً . فولجه ، وهو

على تمام الاستعداد ، وأخذ يصعد في درجات الترقي قفزاً ، حتى صار مراقباً في الأموال غير المقررة . وعرف رياض باشا ونوبار باشا الطيبا الذكر قدر ذلك الموظف النزيه النشيط ، فولّياه أمور مالية صعيد مصر

ولما صحت العزيمة على انشاء بلدية الاسكندرية المختلطة سنة ١٨٩٠ ، رأت الحكومة ان تعهد بهذه المهمة الى رجل كفوء للقيام بها ، فوقع اختيارها على يوسف شكور بك . فنظّم تلك البلدية أحسن تنظيم ، واشتهرت مقدرته ودرايته بين الوطنيين والاجانب ، حتى رأت الحكومة ان تعين مديراً لأول بلدية مصرية دولية ذاك الذي أنشأها ورتب شؤونها . فذلل ما كان هناك من الصعاب ، وأزال ما كان من العقبات . وظلّ في تلك الوظيفة عاملاً مجتهداً ، مدة اثنتي عشرة سنة . وخرج منها طاهرَ الذيل، ناصع الجبهة ، مخلّفاً في تلك المدينة — وهي مسقط رأسه — مآثر غير دواثر تنطق الى الابد بجليل عمله وعظيم نزاهته واخلاصه

وقد يطولُ بي تعداد ما أتاه هناك من الاعمال الخطيرة والاصلاحات الجليلة ، حتى بات لا يذكر اسم الاسكندرية والاصلاح فيها الا ويُقرن باسم شكور باشا . وقد رأت تلك البلدية بعد موتهِ ان تُطلق على أحد شوارع المدينة اسم رجلها الكبير ومصلحها العظيم . ويا نعم ما فعلت !

وفي سنة ١٩٠٣ غادر خدمة الحكومة نهائياً . على ان تلك النفس الكبيرة الناهضة أبت التمتع بالراحة التي استحقتها بعد جهادٍ طويل ؛ فتولى شكور باشا ادارة شركات مالية مختلفة . أزهرت على يده وأثمرت ؛ وكانت برهاناً جديداً على علوّ همة الرجل ، ومضاء عزمه ، وثاقب فكره .

ورأى من الواجب عليهِ ان يخدم مصر ، حتى آخر رمق من حياته ؛ فعكف على خدمتها بقلمه ولسانه . فكان ذلك الكاتب البليغ الذي لا يُجارى ، وذياك الخطيبَ الفصيحَ الذي لا يبارى . فشغل ساعات فراغهِ بتحبير تلك المقالات الشائقة في مواضيع اقتصادية وعمرانية ومالية . وكم كان له في هذا الميدان من الجولات الصادقة ، والآراء الصائبة ، التي تناقلتها صحف البلاد . وكم سمعناه في المحافل العمومية قارعاً أعواد المنابر يتدفق كالسيل الجارف ، بفصاحته السلاّبة ، وبلاغتهِ الخلاّبة . فكانت شباة قلمه كنصل الرمح أو أقوى ، وحدُّ لسانهِ كحدِّ السيف أو أمضى . وقد أخلص في خدمة سموّ اميرنا العباس ، كما أخلص جدُّه من قبل في خدمة جد الأسرة الخديوية الكريمة

شهد له بما سردتُ وعددت من جليل الأعمال وباهر الصفات كل من عرفه — وما هم بالنزر اليسير من وطنيين وأجانب . وقد ذكره اللورد كرومر في تقاريره الرسمية اكثر من مرة بالخير والثناء . ومما قاله فيه — ومثل هذه الشهادة لا يستهان بها : « ان مدير عموم بلدية الاسكندرية ، يوسف شكور باشا ، رجلٌ سوري ذو نشاط كبير ودراية عظيمة . ولا شك في ان اصلاحات خطيرة قد تمت على عهده في مدينة الاسكندرية ، ويجب عليّ أن أجاهر بأن تحريات لجنة التحقيق لم تمكن من وجود ما يشين نزاهة شكور باشا . على أن تلك النزاهة لم تكن قط موضوع الريب »

هذا قليلٌ من كثير ، أيها السادة ، مما عرف به فقيدنا الكريم .

ولكنت استوقفكم طويلاً ، لو شئت أن أدرس حياته كموظف وكرجلٍ وكمفكر . ولذلك أكتفي بأن أقولَ بالاجمال : ان تلك الحياة كانت صفحة ناصعة البياض ، لم تخط فيها الاَّ سطور الهمة والنزاهة والشهامة والمروّة

واني لاذكر ابداً آخر مرة قابلته فيها ، وكان يُعد مقالاتٍ ضافية في بعض المواضيع الاقتصادية الوطنية ، ولا أزال أرى ذاك الذكاء اللامع ، وذلك الاخلاص المجسَّم ، وهو يشرح نظريته ورأيه في ذاك الموضوع الحيوي . كما انني لاأزال اذكر آخر مرةٍ سمعتهُ فيها خطيباً ، وقد وقف يؤبن أحد عظماء رجالنا ، فكان ينادينا بأعلى صوته « الى العلى ! الى العلى . . ! » . وكأني الآن بروحه الطاهرة تشرف علينا من الأخدار العلوية وتنادي بنا « الى العلى ! الى العلى . . ! »

الى العلى ! يا سادتي . فلتكن هذه الكلمة شعاراً لنا . . الى العلى ! يا شبيبة الشرق الناهضة . فلتكن هذه الآية السامية العظة التي نستخلصها من حياة ذلك الرجل الكبير . الى العلى ، في أقوالنا وأعمالنا ! الى العلى ، في مقاصدنا وآمالنا ! . . .

النهر

ونهرٍ حالَفَ الأهواء حتى غدا طوعاً لها في كلّ أمرِ
اذا سرقتْ حُلى الأزهارِ ألقتْ اليهِ بها فيأخذُها ويجري

عبد العزيز الانصاري

ثمرات المطابع



احمد افندى الكاشف

* ديوان الكاشف[١] — أحمد افندي الكاشف شاعرٌ من شعراء

(١) طبع بمطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٢٥ وثمنه ٥ غروش ويطلب من ناظمه في مصر شارع الركية

مصر المعدودين ، يشهد له حافظ ابرهيم بانه « مستقلٌ في بيانهِ ومبدإهِ ووجدانهِ » ويرى شوقي في شعرهِ « روح الاخلاص » كما يرى اسماعيل صبري ان في ذلك الشعر « ما يستحقُّ ان يقف له القارئ إعجاباً واجلالاً » ، ويقول خليل مطران ان الكاشف « يلقي اليك أبياتاً شائقة اللفظ ، شريفة المعنى ، متينة القوافي » ويرى السيد المنفلوطي ان الكاشف « الشاعر الوحيد الذي عرف الناس من أمره .انه اذا نطق فانما ينطق بلغة نفسهِ ، واذا حدّث فانما يحدّث عن حسهِ » وينعته احمد محرّم بانه « صادق الاسلوب ، واضح السنن ، صافي العبارة » ويقول فيهِ صاحب المنار انه « ينظم الشعرَ للذة نفسهِ ، وإمتاع وجدانه »

وقد شهد للكاشف بذلك كل من قرأ شعره ، ودرس نظمه . ولكننا أوردنا أقوال مشاهير شعرائنا وكتّابنا لنزيد القراء معرفة بالشاعر الذي ننشر اليوم رسمه بمناسبة اهدائهِ الينا الجزء الثاني من ديوانه

وقد امتاز الكاشف على معظم الشعراء بانه يرمي في قصائده الى تأييد آراء خصوصية ومذاهب له في السياسة والدين ، فهو يدعو الى الجامعة الاسلامية ، وتحرير الشرق ، وتأييد الخلافة في بني عثمان ، وقد يحدو بهِ ذلك أحياناً الى الغلوّ والتشيع ، مما يجعله شاعر فئةٍ مخصوصة ، يطربُ لشعره بعض الافراد ، لا شاعراً اجتماعياً تهتزّ لأقواله أمة بأسرها لما تتضمنه من الدروس العمرانية ، والابحاث النفسية كما هي حقيقة وظيفة الشاعر . ولكن في اخلاص الكاشف لاكبر شفيع له . وهو من هذه الوجهة اكبر وأسمى في القسم الثاني من ديوانهِ منهُ في القسم الاول

وقد أهدى الكاشف ديوانهُ الى سمو عزيز مصر ، فكانت هذه الهدية من جملة الأدلة على اخلاصه المأثور للاريكة الخديوية التي طالما نظم فيها القصائد الغراء

* علم الاقتصاد [1] — الثروة ركنٌ من أهم اركان المدنية الحديثة ، بل قاعدة من أثبت القواعـد التي قامت عليها أمم اليوم وعليها طبّقت قوانينها ونظاماتها . ولذلك أصبحت حياة البلاد في علم الاقتصاد الذي يبحث في تلك الثروة وكيفية استحصالها وتقسيمها وتداولها واستهلاكها . ولا يزال هذا العلم الذي وجّهت اليه اوروبا عنايتها متقهقراً بل معدوماً في بلاد الشرق ، مع ما يتعلّق عليه من الفوائد الجلّى . وقد سرّنا أن رأينا حضرة الحقوقي الفاضل رفيق افندي رزق سلوم يتناول هذا الموضوع الجليل ويدرسهُ درساً جلياً وافياً في كتابٍ وضعهُ لهذا الغرض ، أورد فيه زبدة اقوال العلماء الاقتصاديين وارائهم فيما يتعلّق بالثروة والتجارة والصناعة والزراعة ورأس المال والعمّال والاحتكار والشركات الخ . واننا نبتهج بأن نرى ناشئتنا التي تتلقى العلوم العالية في اوربا تعود الينا وهي حاملة بذور العلم الصحيح فتبذره في ربوعنا لتعدّ للغد حصاداً طيباً . فنهنيء رفيق افندي ونثني على عمله واجتهاده

والكتاب مهدى الى حضرة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي

* التربية والتعليم [2] — مهما كثرت الابحاث في هـذا الموضوع

(١) طبع في حمص بمطبعة يني عدد صفحاته ١٢٨ وثمنه ربع ريال

(٢) طبع في مطبعة التقدم بمصر عدد صفحاته ١١٤ وثمنه ٥ غروش

الجليل لا نزال في حاجة الى المزيد ، ولا سيما الى ما كان منها وافياً بالمقصود قائماً على نظرية صحيحة . ومن هذا النوع كتاب «التربية والتعليم» لحضرة الباحث الفاضل محمد افندي امين ، وقد شخّص فيه علّة الأمة ووصف لها الدواء الناجع في جميع أطوارها : في البيت ، وفي المدرسة ، وفي المجتمع . والتربية البيتية هي أساس التربية . وعماد البيت المرأة . ومن أقوال المؤلف : « أرأيت بيتاً يتلألأ ضوء السعادة بين حيطانهِ ، وتحطّ السكينة والطمأنينة بين جدرانهِ ، ويبزغُ نور الهدى من خلال بنيانهِ ، وتحفُّ بهِ الملائكة صفاً صفاً ، ثمَّ لم يكن مركز دائرتهِ امرأة صالحة ! »

ونحن نشكر لمحمد افندي امين توفيقهُ في هذا البحث المفيد ، ونرجو لمؤلَّفهِ كل رواج . ومقدمة الكتاب مدبّجة بيراع حضرة الاستاذ احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة »

* مذكرات حي[1] — هي صفحة من حياة أحد شبان العصر المتألمين ، لصاحبها الأديب الياس افندي منسى ، وقد أملاها عليه قلب جريح يشكو من الزمان واهلهِ مرّ الشكوى ، وكتبها بقلم كثيراً ما مزج الدموع الحارة بمدادهِ ، فجاء الكتاب من أوله الى آخره زفرات متصاعدة ، وأنفاساً متحرّقة ، وأنيناً مؤلماً . على انه اذا كانت القلوب قلقة في الصدور في سن الشباب ، لأنها تتغذى بالأحلام التي يصعب تحقيقها ، أو لأنها تنبض خفّاقة كلما مست يدُ المصائب أوتارها ، فلا يحسن بها ان تستسلم الى اليأس ، وتضيع في وهاد القنوط . بل يجب ان يكون للعقل سلطة

(١) طبع بمطبعة الاخبار وثمنه ٥ قروش صاغ

على العواطف فلا تجمح بصاحبها جموحاً قد يضرّ به . ونحن نأمل « لمذكرات حيّ » إقبالاً من القراء يمهد لمؤلفها السبيل الى نشر مذكرات أخرى تكون ثورة العواطف فيها قد سكنت واضطراب الفؤاد قد هدأ

* ذكرى الحبيب[1] — هي مجموعة المراثي التي قيلت في الأديب المرحوم حبيب الجمّال، وقد جمعها اخوه الآسف حضرة القانوني الفاضل ابراهيم افندي جمّال صاحب جريدة ؛ « الحقوق » وأودعها شيئاً مما نظمه وكتبه في فقيدهِ الحبيب ، فنسأل لرصيفنا العزاء ولشقيقه الرحمة

* الزّهرات[2] — للاستاذ يوسف افندي الفاخوري مقام كبير بين حَمَلَة القلم في سوريّا . فهو كاتب شاعر يُعرف بالاجادة في هاتين الصناعتين . والزهرات ، وهي مختارات من نظمهِ ونثرهِ تؤلف باقة جميلة جمعت من روضة أدب غضّ

ازهار واشواك

درس في الجغرافيا

قرأت الفصل الجغرافي الآتي في جريدة البيان النيويركية ، أورده كما هو ، تاركا لذكاء القارىء معرفة البلد المقصود . قال الكاتب :

. . . بلاد من بلاد الله يحدّها شمالاً بحر حب الوظائف ؛ وجنوباً مملكة الذُل ؛ وشرقاً نهر الجهل ونهر التعصب ؛ وغرباً جزيرة الزعامة ؛ وفيها بحيرة تدعى بحيرة الاحزاب ؛ ويخترق تلك البلاد جبال شامخة تدعى

(١) طبع بمطبعة المعارف بالفجاله (٢) طبع فيالمطبعة الكاثوليكية في بيروت وثمنه ١٢ قرشاً

جبال المواربة ؛ وفيها سهول اختلف الجغرافيون في تسميتها فبعضهم يسميها سهول الخبث ، والبعض الآخر يطلق عليها اسم سهول الخداع ، ومن مدن هذه البلاد مدينة الكذب والتدليس ، والخضوع للحاكم

تجارة تلك البلاد النفاق والشقاق — ولكن الاهلين وجدوا ان هذه التجارة كادت تذهب بأموالهم فتركوها ، وهم الآن يتاجرون بالحرية والمساواة والصدق — وأصبح عندهم بورصة هي بورصة الحب والسلام

أما مزروعات هذه البلاد فخصبة جداً ؛ زرعوا في الماضي الجهل فحصدوا الاختلافات ، وهم الآن يزرعون العلم لأنهم وجدوا أن غلالهُ أجود غلة ومبيعاته في الداخل كثيرة وللخارج اكثر

وفي هذه البلاد معادن كثيرة ، منها معادن اللطف والظرف والجمال ، ومنها معدن العفاف والكرم ، وقد بدأوا باستخراج هذه المعادن من عهد قريب

المرأة والمرآة

لي حديثٌ اتجاذب وقارئاتي أطرافهُ وذيولهُ من حينٍ الى حين ، فتارةً يرضيهنّ ، ويُغضبهنّ تارةً ، وأنا على كل حال أجدُ فيهِ بعض اللذّة ، لأن معاكسة الاصدقاء ، أو مداعبة الصديقات — تحلو كما تحلو المسامرة والمجاملة . وهذا الحديث هو عن المرأة . — وحديثها أو حديثٌ عنها يطربني . حديثي عن المرأة والمرآة — ولو كنت من علماء الاشتقاق والنحت لوجدت بين اللفظتين قرابةً لغوية فوق القرابة المعنوية .

والمرأة بطبيعتها ميّالة الى المرآة ، وقد اخترعتها منذ عهدٍ بعيد . فانّ أُمنا حوّاء — عليها أشرف السلام — قد اتّخذت لها من مياه النهر الصافية مرآةً تستشيرها في معاني جمالها ودلالها ، وكذلك فعلت بناتها وحفيداتها ، قبل ان يخترع علماء الكيميـاء — إرضاءً للمرأة — ذلك الطلاء الذي طلوا به الزجاج لجعلوه يعكس ما يُعرَض أمامه من الصوَر

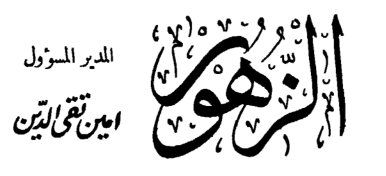
والمرأة أمينة لمرآتها ، ثابتة على صداقتها . ودليلي على ذلك الاحصاء الذي وضعهُ أحد الثقات قال ، والارقام لذلك الرجل الثقة ، والتعليق لي :

تقضي الفتاة بين السادسة والعاشرة من عمرها ٧ دقائق كل يوم أمام مرآتها ؛ وبين العاشرة والخامسة عشرة ١٥ دقيقة ؛ ثم تشتدّ روابط الصداقة بين هذه وتلك ، فتقضي الصبية بين الخامسة عشرة والعشرين ٢٢ دقيقة ، وتزداد هذه العاطفة بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، فتبقى في المرأة يومها أمام المرآة نصف ساعة ؛ ثم تأخذ هذه العلاقة بالتراخي ، فتنزل الجلسة اليومية أمام المرآة الى ٢٤ دقيقة بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، والى ١٨ دقيقة بين الخامسة والثلاثين والاربعين . والى ٦ دقائق فقط فيما بعد حتى الستين . فمن هذه الدقائق من حياة المرأة أمام المرآة يتألف مجموع ٣٤٩٥٧٤ دقيقة ، أي ٢٤٢ يوماً ونيف

أليس في هذا الثبات اكبر تفنيد لمن يتهم الأنثى بعدم الثبـات ، وينسب الى بنات حواء التقلب في أميالهنّ وعدم الامانة . . ؟

ماصر

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني — افريل (نيسان) ١٩١٣ — السنة الرابعة

أدرنه

هيَ عاصمةُ التركِ الأولى في أوروبا . آخر أثرٍ في البلقان لمجد بني عثمان . أخذها «فردينانُ» بالأمس كما أخذها «مرادُ الأول» من قبل . كلاهما بذل في سبيلها ثمناً غالياً من مالٍ ومن رجال

روضةٌ غنَّاء في منبسطٍ ريَّان الصدر ، مخضرّ الأديم . تترامى حولها سهول فسيحة يتسلل فيها نهر « أردَهْ » ، وينساب في غياضها نهر « تُوندجه » ، حتى اذا هما بلغاها لاقاهما أمامها نهر « ماريتزا » فماتقاهُ وتمشّى الثلاثة معاً الى خليج إينوس

هيَ بنتُ القِدَم ، وأمُّ الحوادث الجسام . بناها «أدريان» امبراطور الرُّومان ، بناءً مثلَ همّتهِ وطيداً ، فكانت من بعدهِ معقلَ الملوك ، وأبعد غايات الجيوش ، وأجلّ هموم الفاتحين

هيَ راوية التاريخ : مرّت بالأجيال الوسطى وشهدت مطامع أقوامها .

كم خميسٍ لَجِبٍ صادَمها، وكم ملكٍ همامٍ زحف عليها . لا هيَ ناسيةٌ وقائعَ «قسطنطين» و«ليسينيوس»، ولا مجازرَ «الغوط» وقومِ الامبراطور «فالانس» . ملَكان تلاقيا أمامها وتناجزا على مرأى منها طمعاً فيها . فلمَّا تغلَّبَ «قسطنطين» فتحت لهُ صدرَها، ومدَّت اليهِ ذراعيها . وشعبانِ تطاحنا عندها رغبةً في حيازتها، فلما قهر «الغوط» «فالانس» نبذت هذا، وأباحت حماهـا لقاهريه . هي تحبُّ الغالب، وتزدري المغلوب!

ثم حاصَرَها البلغار، ورموها بالحجارة والنار، فدفعتهم بمنعتها وردَّتهم عنها خاسرين؛ حتى اذا ضيَّقوا عليها الخناق، وأرهقوها بالجوع، تمكَّنوا منها، فدخلوها مهلِّلين مكبِّرين . مَنِ استطاع أخْذَها عنوةً فقد استطاع شبهَ المستحيل

هيَ سبيـلُ الغربِ الى الشرق : آوتِ الصليبيين في طريقهم الى بيت المقدس، والطريق اليهِ يومئذٍ نار ودم، وجمعت في ذراها امبراطور الروم، وفردريك بَرْبَروس، فتعاهدا تحت ظلِّها وتحالفا، وكانت لهما الشاهدَ العدل

ثم مشى بها الدهر أو ماشتهُ . لا صروفهُ هيِّنة، ولا عزائمها واهنة . كلما أنشبَ فيها ظفراً أنشبت فيهِ ناباً وظفراً . لاقت بهِ طاغيةً عتيًّا، ولاقى بها صبوراً حمَّالةً للخطوب . قوَّتان متكافئتان

هي الحلَقة الأولى من سلسلة الفتوحات العثمانية في اوروبَّا . فتَحها

مراد الأول واتخذها عاصمة للسلطنة . متى تغلّب فاتحٌ عليها فقد تغلّب
على سائر البلقان . ربَّ حلقةٍ اذا سقطت ، سقطت وراءها حلقات

حينئذٍ مدَّ النصرُ لها يدهُ فصافحتهُ بيدِ بايزيد الأول ، ثم حالفتَهُ
بيد مراد الثاني ؛ فتمشّت هيبتها في طليعة جيوشها ، فملَك قومها مقدونيا
وبعضَ بلاد الروم ، واكتسحوا ألبانيا ، ودوَّخوا الفلاخَ ، وفتحوا
بلغراد . ثم مشى منها محمد على فروق حيث بنى عرشهُ على بقايا عرش
قسطنطين ، ووطَّد الخلافة على انقاض الامبراطورية

أسعدَها بنو عثمان يوم كان نجمهم زاهراً ملء دائرته في سمائه ،
والهلال خفّاقاً بالنصر على رؤوس الترك ؛ فبنى فيها سليم الثاني جامعهُ
الشهير رافعاً قبّتهُ على أعمدةٍ من المرمر مباهياً بها قبة « آيا صوفيا » في
فروق ، وشاد غيره جملةً من الجوامع حتى أربى عددها فيها على أربعين
هي وقبورُ بعض السلاطين كلُّ ثروتها من الآثار

* * *

عزٌّ مضى ومجدٌ تولَّى . لا حالٌ الاَّ تحول ، ولا دولةٌ الاَّ تدول

عجباً لها ! بينا هي سبيلُ السلاطين الى الغرب ، اذا هيَ طريق
القياصرة الى الشرق : مرَّ بها سليمان الثاني الى فِينَّا ، ومرَّ بها اسكندر
الثالث الى فروق !

كُرَةٌ لصوالجة الفاتحين يتراماها ملوكٌ ، ويتلقَّفُها ملوك . ما دخلها
القائد « بوسكيه » ابَانَ حرب القرم حتى خرج منها عقيبهَا . تؤخذ اليوم

بالسيف ، وتنتزع غداً بالسياسة . فتحها « جورجو » قائدُ الروس ، وانتزعتها منهُ معاهدةُ سان استفانوس !

جوَّادةٌ بما لا تملك . لم تحرَّر قط ، ولكنها وهبت الشعوب الحرية ، ولم تنم بالاستقلال حقبةً من الدهر ، ولكنها أنعمت بهِ على جاراتها . لو استطاعت لأخذت مثل ما وهبت !

سِجلٌ يَكتبُ فيهِ القلم كما يكتبُ فيهِ السيف . لهذا صفحة تنطوي على دمٍ وعلى نار ، ولذاك صفحة تنفتحُ على عهودٍ ومواثيق . ما كانت الأولى غير اسباب ، وما كانت الأخرى سوى نتائج . كذلك وقَّع فيها السلطان محمود معاهدةَ صلحهِ مع قيصر الروس ، تلك المعاهدةَ التي وسَّعت منطقة روسيا في آسيا ، وكتبتْ للسربِ ورومانيا فاتحة عهدهما بالاستقلال ، وكذلك دُوِّنَ فيها اعتراف التركِ بتحرّر الرُّوم ، ذلك الاعترافُ الذي أعزَّ هؤلاء ، وأطلقهم من ربقة الاستعباد

مَيدانٌ للحرب ، لا ميدانٌ للعقل . ضَرَبت فآلمتْ ، وقاتلتْ فقتلتْ ، ما أنكر أحدٌ بأسَها ، ولا استخفَّ ملكٌ حملها . ليتها كانت ربّةَ رأيٍ مثلما كانت ربّةَ حسام . للقوَّةِ شأنٌ ، وللسياسةِ شأن . ما وفّقت بينهما ، ولا استفادت من جمعهما . فالبلادُ التي أغارت عليها عادت اليها مكتسحةً مغيرة ، والقومُ الذين أراقت دماءهم ، قويَ ساعدهم عليها فأراقوا دمها . وانما الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك . مَن استفاد من نِعَم الأوَّل هوَّن عليهِ شرورَ الثاني

أدِرنَه أخت بلاڤنا . كلتاهما كانت عريناً للأسود ، ومعقلاً لأبطال التاريخ . أختان شقيقتان حمى عرضيهما أخوان شريفان . ما تسلّم قيصرُ الرّوس الأولى الاّ مغموسةً بدماء الألوف من عساكره ، ولا بلغ قيصر البلغار الأخرى الاّ مشياً على جثث جنوده . ملكان اُبتليا بملكَين . ذانك أعزّهما تاجاهما ، وهذان شرّفهما سيفاهما . ربّ سيفٍ أعادهُ اسكندرُ الثالث الى عثمان إجلالاً واكباراً ، وربّ سيفٍ ردّهُ فرديناند الى شكري احتراماً واكراماً . غازيانِ لكلٍّ حقهُ من الشرف والجاه . لتعتزّ أدرنه بفاتحيها . اسودٌ اقتنصتها من اسود !

* * *

أيها الفاتحون ادِرنه المغتصبون حماها . هل فتحتم مدينةً أعزّ أم اُغتصبتم حمىً أجلّ . أما واللهِ لو لم تكونوا لها أهلاً ، ما ملكتم منها قيدَ شبر ، ولا تطلعتم الى اسوارها الأعن كثب . لم يبعها الترك رخيصة القدر ، ولا اشتريتموها بخسة الثمن . فاذا وقفتم بقبور السلاطين فيها ، قفوا خاشعين لذويها . الكريم مَن يعرف قدر الكريم . اولئك ملوك كبار أجلّهمُ من قبلكم ملوك كبار . مَن ذا يقول لهم عنّا : سلامٌ عليكم سلاطين عظاماً ، وسلامٌ عليكم فاتحين أعزّاء . هـذا آخرُ عهدنا بكم . لتبقَ قبوركم مزارَ الأبطال وذكرى خالدةً لمجدكم الخالد . مباركةٌ هي تلك القبور ، ومباركةٌ حولها قبور حُماتها البواسل

في ذمّةِ البلغار ما في ادِرنه من رفات كريمة !! سلامٌ عليها وواهاً على عهدنا بها !! ؟

الجريحة الابدية

قطرةُ الندى العالقة بغصن الشجرة ، عند ما تنعكسُ عليها أشعةُ الشمس المشرقة تكون أشبه شيء باللؤلؤة الصافية

تلك القطرةُ اللؤلؤية ، اذا هبَّ عليها النسيم الخدَّاع فأسقطها الى الحضيض ، امتزجت بالتراب ، فتحوَّلت الى وحل

ولكن يكفي ان يُصيبها شعاعٌ من الشمس المنعشة ، حتى يُبخّرها فيطهّرها مما لحق بها من الاقذار ، ويعيدها الى صفائها الاول . . .

كذلك قل عن المرأة الطاهرة . فان قلبها هو أشبهُ شيء بتلك اللؤلوة الجميلة قبل سقوطها من على الغصن ، بل هو أبهى وأسنى

فاذا هبَّت عليهِ لوافح الشهوات والاهواء ، أسقطتهُ الى وهدة الرذائل ، فمرَّغتهُ في حمأة الدنايا

ولكن يكفيهِ شعاعٌ من الحب الطاهر حتى يخلصهُ من كل شائبة ويعيده الى ما كان عليهِ من الجمال والبهاء

*
* *

مسكينة المرأة ، وتعس حظّها في هذه الحيـاة . نفحتها قريحة الشعراء بألطف الأسماء ، وجادت عليها مخيّلة العشاق بأجمل الالقاب :

سموها الشمس والقمر ، وهي المسكينة المظلمة الفؤاد

رأوا فيها الغزال الشارد ، وهي الرازحة المثقلة بتقاليد هذه الحياة

شبهوها بالزهرة النضرة ، وهي المهشمة القلب الدامعة العينين في بلائها الشديد

لقّبوها بالحمامة البيضاء السابحة في الفضاء ، وهي العصفور المقصوص الجناحين في قفص الحديد

صورٌ وتشابيه ، وأسماء وألقاب ، هيهات ان تنطبق على حقيقة الواقع وواقع الحال . وليس من اسم ينطبق على هذا المسمى المسكين أحسن من الاسم الذي وضعهُ « ميشله » المؤرّخ الفرنسوي الشهير لما سمى المرأة « الجريحة الابدية » . كيف لا وهي جريحة ابنةً وزوجةً وأماً . . . ؟

بل كلها جروح دامية اذا تناولها اعصار هذه الحياة فتلاعب بها كما يتلاعب باوراق الخريف ، وطرحها أخيراً في مواخير البغاء ، فتصبح ثغراً ضحوكاً باسماً ، وقلباً خفوقاً دامياً ؛ تغازل باليمين ، وتبكي بالأخرى ؛ وتداعب باليد ، وباليد الثانية تسند فؤاداً تُصدّعهُ الذكرى

* * *

جمع أحد مشاهير المصوّرين حياة احدى هذه التعيسات في خمسة رسوم بديعة الوضع والصنع . ففي الاول : صورة فتاة طاهرة ساذجة عنـد وصولها من قريتها الى المدينة ؛ وفي الثاني : وقوعها بين مخالب أحد الذئاب البشرية ؛ وفي الثالث : نزولها الى بيوت الفحشاء ؛ وفي الرابع : نزولها في السجن ، لأن الفاقة ساقتها الى السرقة ؛ وفي الخامس : امرأة ناحلة جرداء ، عليها أسمال بالية ، وهي تمدُّ يدَها الى المارّين تستعطيهم هاتفةً : « أعطوني حفظ الله ابناءكم من بناتي . . ! »

* * *

هذه هي صورة اكثر النساء اللواتي وُصمنَ بوصمة العار وهي صورة غنية عن الشرح والتعليق . ولكنَّ هناك فرضاً واجباً يتحتم علينا قضاؤه . فقلب هذه المرأة المسكينة كان ضحية الهيأة الاجتماعية . فعلى الهيأة الاجتماعية أن تضمد جرحه ، وهي أدمتهُ ؛ وتداوي قرحه ، وهي أحدثتهُ . فتسكب عليه بلسماً ، لا خلاً يزيده ألماً

قال فيكتور هوغو : « أيها الرجل — وكلنا هذا الرجل — لا تحتقر أبداً امرأة سقطت ، لأنك لا تعرف تحت أي حمل ثقيل رزحت نفسها المسكينة »

أجل لا يليق بالانسان أن يزدري تلك المخلوقة التي أعيتها أثقال هذه الحياة فسقطت الى الحضيض ، بل يجب عليهِ ان يمدَّ اليها يداً كريمة فينتشلها من سقطتها ويرفعها من كبوتها

* * *

في فرنسا جمعية يرئِسُها الموسيو ليون بورجوا الوزير الفرنساوي السابق ، هي أفضل من الجمعيات الخيرية ، وأسمى غاية وأنبل مقصداً من سائر الاعمال المعروفة بالأعمال الانسانية ؛ خصص أعضاؤها ذواتهم بزيارة تلك المنازل النتنة التي دُفنت فيها الانفس الحية فصارت تشبهُ القبور المكلّسة : ظاهرها الرونق والبهاء ، وداخلها التعاسة والشقاء . يزورون تلك الخبايا المظلمة ، فيزورها معهم شعاع الحياة والرجاء فينعش الافئدة الذابلة ويحيي القلوب المائتة . يزورون تلك المنازل فيأخذون من طُرِح فيها من سفالة البشرية ، ويضعونهُ في كير التنشيط ويدنونهُ من نار الامل ، فتُطهره ويصوغون منهُ نفساً جديدة طاهرة لا عيب فيها ولا دنس

* * *

ونحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الجمعية التي تخدم البلاد أجلّ خدمة فتعلّم السعيدات ما هي الشفقة والرحمة ، وتعلّم التعيسات ما هو الصبر والرجاء

﴿ أقوال مأثورة ﴾

* كن على حذر من الكريم اذا هوّنتهُ . ومن الاحمق اذا مازحتهُ . ومن العاقل اذا أغضبتهُ . ومن الصديق اذا أفشيت بسرّه (ابن عبد ربهِ)

* قال بعضهم : انظر الى المتنصح فان أتاك بما لا ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ شرّير . وان أتاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ طامع . وان أتاك بما ينفعك ولا يضرُّ غيرك . فاصغَ اليه وعوّل عليهِ (الراغب الاصفهاني)

روسيا وبنو رومانوف

سبق للزهور أن نشرت صورة الشيخ يوسف الخازن صاحب « الاخبار » المحتجبة . وهو الكاتب المجيد الذي طالما طرب القراء لمقالاته الشائقة وابحاثه الدقيقة . ويسر ان تقدم اليوم لقرائنا المقالة التالية منه ، قال :

في أوائل الشهر الماضي خُتِم القرن الثالث لجلوس مخائيل رومانوف على عرش روسيا ، وهو جَدُّ الدولة المالكة فيها اليوم ، فاحتفل الروسُ بذلك احتفالاً باهراً توفّرت فيه مظاهرُ الأُبهة والعظمة على ما يليق بالدولة التي تظلّلُ رايتها سدس بلاد الله مساحةً وعُشر عباده عدداً . فحجَّ القيصر الى بيت جدهِ في موسكو ، حيث يُحفَظُ المهد الذي ضمَّهُ واللعَب التي لها بها وسائر الذخائر المتروكة عنهُ ، مما يحفظهُ الابناء برًّا بالآباء وافتخاراً بهم ؛ واقيمت الصلوات الحافلة في عاصمة روسيا تذكاراً للاموات ودعاء للاحياء ، بحضرة ستة عشر مطراناً يتقدّمهم بطريرك انطاكية ، وقد جيء به خصيصاً من الديار الشامية لهذه الغاية ؛ ووزّعت الصدقاتُ وأطلق السجناء وعفي عن كثيرين من المنفيين ، ووردت على القيصر التهانئ من الملوكِ ورؤساء الحكومات وذوي الحيثيات ، على ما فصّلت ذلك الجرائد اليومية

ولا غرابة اذا احتفلت روسيا مثل هذا الاحتفال بذكرى مخائيل رومانوف فان لابنائهِ فضلاً عظيماً عليهـا ، ومآثر عديدة تخلّدُ ذكرى كثيرين منهم في التاريخ وتسوّغ الافتخار بهم : فانهم تولّوا روسيا ، ومساحتها ثمانية ملايين كيلومتر مربع بما فيها سيبريا ؛ والبحران البلطيق والأسود مقفلان في وجهها ، فلا منفذ لها الاّ على البحر الأبيض حيث الجليد يكاد يجعل كلَّ منفذ والهواء سواء ؛ واسوج على كتفها قوية الساعد شديدة البأس ، تضطرها الى التنازل لها عن بعض الولايات ؛ وبولندا حاجز قويٌّ بينها وبين دول الغرب تعزلها عنها ، ولا تدع لها رأياً في مجالسهنَّ ؛

وفتوحات الترك تقصر نصيبها من ارث السلطنة الرومانية الشرقية على لقب وشعار[1]؛ والعنصر السلافي ، بوجه الاجمال ، ضعيف الشأن ، خامل الذكر لا يُعبأ بهِ ، ولا يكترث له

وها هي الآن بعد ثلاث مئة سنة من حكمهم على ما ترى : فانهم ما اكتفوا بالمحافظة على ما ورثوه واسترداد ما اضطرتهم الأحوال الى التنازل عنهُ في بداية ملكهم ، بل زادوه كثيراً بما ضموا اليهِ من الأملاك الواسعة في اوربا وآسيا واميركا . على انهم عادوا فباعوا ولايتهم الاميركيـة للولايات المتحدة ، كما باعت فرنسا من قبل ولاية لويزيانا ، ومع ذلك فمساحة روسيا الآن تناهز ثلاثة أضعاف ما كانت عليهِ في أوائل القرن السابع عشر ، عدا الامارات المستظلة بظلها والمناطق الداخلة في نفوذهـا . ومما يزيد هذه المساحة قيمة كونهـا قطعة واحدة من الغرب الى الشرق . فان روسيا ، من هذا القبيل ، لا يضارعها سوى الصين والولايات المتحدة . أما الصين فانحطاطها لم يدع لها شأناً بين الدول ولسنا نظن أن مستقبلها يكون خيراً من ماضيها اذا اقتصرت عوامل الاصلاح على تغيير هيئة الحكومة ونظاماتها فان مثل هذا التغيير ما كان يوماً دواءً شافياً لأمراض الضعف والانحطاط . وكفى بمصير البلاد العثمانية اليوم شاهداً . واما الولايات المتحدة فمساحتها تسعة ملايين كيلومتر حال كون مساحة روسيا اثنين وعشرين مليوناً . نعم ان للولايات المتحدة مزية عظيمة على روسيا بالنظر الى الموقع الجغرافي ووحدة الأمة وقابلية البلاد للعمران ولكن ما دامت دفة السياسة في يد أهل القارة القديمة فشأن روسيا أعظم وأرجح

اما البحر الأسود فقد أصبح بحيرة روسية لا ينازعها فيهِ منازع بفضل كاترين التي بسطت يدها على ساحله ، وتقولا الذي دافع عنهُ دفاع الجبابرة ، واسكندر

(١) لقب « قيصر » وشعار « النسر المزدوج الرأس » الذي اتصل بالروس بمصاهرتهم لبني بليولوج أصحاب القسطنطينية

الذي فك القيود وحل العقود وجدد فيه المعاقل والحصون رغم الانوف . وما قيل عن البحر الأسود يقال عن البحر البلطيق وقد قامت عاصمة الروس على ساحله تفاخر رصيفتها الأسوجية فتفخرها على حداثة عهدها وترسل اليهـا مع كل موجة ذكرى بطرس الاكبر قاهر كرلوس الثاني عشر ومؤسس عظمة الدولة السلافية على انقاض الدولة السكندينافية

اما بولندا فقد امّحت من سجل الدول وكاد الانتصار لها لا يتعدّى حركات كحركة المسيو فلوكه الصائح في وجه الامبراطور اسكندر الثـاني على سبيل الاحتجاج عند زيارته باريس : « لتحيَ بولندا يا مسيو ! » على ان فلوكه هذا هو نفسه الذي تغدى فيما بعد على مائدة الامبراطور نقولا الثاني في بطرس برج ناسياً بولندا والبولنديين . لكن كيف كانت الحال فالأولى بالاحتجاج أن يوجّه الى النمسا لأنهُ اذا كان اغتصاب الروس لبولندا ينم على الطمع فاغتصاب الساسة النمسويين لها لا ينم عن الطمع فقط بل عن قلة الوفاء ونكران الجميل ايضاً فانهُ لا يخفى على أحد انهُ لولا بولندا لباتت فيانا مرتعاً لخيل الترك ونالها منهم ما نال غيرها من العواصم التي فتحوها ، ولا يزال النمسويون يحفظون حتى اليوم في بعض متاحفهم جمجمة يزعمون انها جمجمة قره مصطفى وهو الوزير الذي وقف عند اسوار فيانا يتهدد النمسويين ويتوعدهم بقطع رؤوسهم والتمثيل بهم وكاد ينفذ وعيده لولا المعونة التي جاءتهم من بولندا . وقد اكبر النصارى كلهم يومئذٍ عمل البولنديين وتغنّوا بهِ في كل مكان وكلّف البابا نقّاشاً من خيرة النقاشين ان يخلد ذكراه على الرخام ويزيّن بهِ كنيسة ماري بطرس في رومية . اما الترك فقد حقدوا على بولندا من أجل ذلك فكانوا أول من فكّر في تقسيمها واقترحوه على روسيا قبل ان يخطر ذلك ببالهـا ولم تقدم عليهِ الاّ فيما بعد بالحاح النمسا وبروسيا

اما الهواجس التي جاءت من جانب الترك فمـا لبثت حتى زالت وتلاشت ولم

يبقَ لها أثر في الصدور . نعم ان الترك أحرجوا بطرس الاكبر يوماً فاضطر الى توقيع معاهدة بروت على شروط لا ترضيهِ ولكن خلفاءه انتقموا له أيما انتقام : وهذه معاهدة قينارجه — وقد أبت كاترين أن يوقعها الروس الاَّ في مثل اليوم الذي وقعت فيهِ معاهدة بروت — ومعاهدة ادرنة ومعاهدة سان ستفانو كلهـا تشهد بأن نجم بني رومانوف كان أعلى من نجم بني عثمان وتبين الاسباب التي جعلت كلمة روسيا في الاستانة فوق كل كلمة

اما العنصر السلافي فقد كان ارتقاء روسيا وصعود نجمها في العالم السياسي خير منشط لهُ فدبت فيهِ روح جديدة وأخذ أبناء السلاف في كل مكان يحولون أنظارهم اليها ويسعون الى الاستظلال بظلها وأثبتت الأيام انهُ لا تقوم لهم قائمة الاَّ بالانضمام اليها والاتحاد معها وان من خالف ذلك منهم عاد بصفقة المغبون . وما كان بنيامين السلاف[1] ليقف وقفتهُ اليوم ويخاطب النمسا ومن يشد مشدَّها بلهجة تحجم عنها الدول الكبرى لولا ان روسيا من ورائهِ تثبت عزمه وتشدّ أزره ، ويبض القطا بحضنهُ الأجدلُ

والحق ان روسيا قد فعلت في سبيل ابناء جنسها ما لم يفعلهُ غيرها في القرون الحديثة وربما كان السبب في ذلك ان ابناء جنسها أكثر حاجة من سواهم الى المساعدة والتعضيد . ولم تنحصر عناية الروس بابناء السلاف فقط بل تناولت جميع الذين على مذهب الارثوذكسية ايضاً فكان لليونان والسوريين حظ وافر منها والمشهور انهُ لولا الروس ما قُرع جرس في سوريا ولا ارتفع صليب في جنازة مسيحية ولذلك كنت ترى المسيحيين العثمانيين بوجه الاجمال ضالعين مع روسيا في حربها مع اليابان ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى نفر من تلاميذ المدارس الاميركية لم تبلغهم عبر الماضي او ظنوا ان الانتصار لدولة غير مسيحية على دولة مسيحية يعد دليلاً على

(١) الجبل الاسود

الارتقاء وسعة الحلم والتنزه عن التعصب

* * *

على أن الارتقاء الاجتماعي في عهد بني رومانوف لم يبلغ في روسيا شأوَ الارتقاء السياسي وربما كان السبب الأكبر في ذلك ان الارتقاء السياسي يكفي للقيام بهِ أفراد معدودون تتوفر لهم الاسباب اللازمة وجلها مادية وذلك ميسور في كل آن حال كون الارتقاء الاجتماعي لا بدَّ له من ارتقاء الأمة نفسها وهو أبعد منالاً لأنهُ موقوف على عوامل لا يمكن الاستغناء عنها وجلها معنوية ومرهون بأوقات معينة قلما يمكن تعجيلها بلا ضرر . لذلك اذا صحَّ أن ينسب فضل الارتقاء السياسي الى بني رومانوف لا يصح أن ينسب اليهم التأخر الاجتماعي . ومع ذلك فقد اخذت روسيا تخطو خطوات واسعة في ترقية الشؤون الاجتماعية نظرياً وعملياً

* * *

هذا ما صارت اليهِ روسيا في عهد اربعة عشر قيصراً وأربع قيصرات تولوها مدة ثلاث مئة سنة وقل منهم من لم يترك مأثرة يعرف بها في التاريخ : فمخائيل رومانوف منظم الشؤون الداخلية ، وألكسيس ضابط القوانين ومنقح الكتب المقدسة ، وفيودور ممهد سبل الاتفاق برفع أسباب النزاع والشحناء بين الأعيان والأمراء ، وبطرس الاكبر مؤسس روسيا الحديثة ، وكاترين الاولى منقذة زوجها وجيشه برباطة جأشها وحسن فطنتها ، واليصابات ماحية عقوبة الاعدام اجابة لنداء المروءة ، وكاترين الثانية الملقبة بسميراميس الشمال ، واسكندر الاول صديق نابليون وخصمهُ ، ونقولا الاول امين الملوك على حقوقهم الالهية ، واسكندر الثاني محرر الفلاح ، واسكندر الثالث حليف فرنسا

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد أن العائلة المالكة اليوم في روسيا ليست من بني رومانوف حقيقة ولا يربطها بها الّا رابطة الرحم فقط فانها من سلالة بطرس

الثالث وهو امير الماني ارتقى عرش روسيا بعهد من خالته القيصرة اليصابات وقد انقرضت بها دولة رومانوف في روسيا كما انقرضت بسميتها دولة تيودور في انكلترا ، وكاترين نفسها ليست من بني رومانوف ولا هي رومانوف ولا هي روسية مطلقاً

فالعائلة المالكة في روسيا من هذا القبيل كالعائلة المالكة في النمسا فانها تنسب الى بني هبسبورج مع انها ليست منهم الاّ من جانب النساء فان جدها الامبراطور فرنسيس الاول من بيت لورين ولكنهُ تزوج ماريا تيريزا ابنة الامبراطور كرلوس السادس آخر بني هبسبورج و بواسطتها اتصل الملك بزوجها واولاده منها ولكنهم ظلوا ينتسبون الى عائلة امهم . فروسيا والحالة هذه من جملة الممالك التي تحكمها دولة المانية كأنكلترا و بلغاريا ورومانيا

ويتصل نسب بني رومانوف من جانب النساء ايضاً ببني روريك وهم الدولة التي تولّت روسيا منذ أواسط القرن التاسع للميلاد وقد أدركوا في عصرهم شأناً عظيماً وصاهروا بني بليولوج أصحاب الاستانة و بني كابه أصحاب فرنسا . ومن النوادر التي تذكر عن مصاهرتهم لملوك فرنسا ان بسببهـا سمي ابن هنري الأول ملك فرنسا فيليب : وذلك ان امرأة هنري الأول كانت من بني روريك وكانت تتصل ببني بليولوج من جانب النساء وهم يزعمون انهم من سلالة فيليب المقدوني فسمت ابنها فيليب احياء لاسم أبي الاسكندر جدها المزعوم

ومما يجدر ذكره ايضاً عن بني رومانوف في هـذا الباب انهُ بينما كانت معظم الدول الاوروبية تتهافت على نابليون الأول لتزوجه بنتاً من بناتها بعد تطليقه جوزفين أبى بنو رومانوف ان يصاهروه . نعم ان نابليون لم يطلب مصاهرتهم صريحاً ولكن بدا من سفيرهِ في بطرس برج ما يدل على رغبـة مولاه في اخت اسكندر الأول فبادرت والدتها وزوجتهـا زوجاً آخر حتى تسد السبيل في وجه نابليون . ولا يبعد إن يكون ذلك من الاسباب التي زادتهُ حنقاً على روسيا

ومن عادة بني رومانوف انهم يشترطون بقاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي اذا تزوجنَ بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية ان تدخل زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل — بقطع النظر عن العقيدة — على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر بهِ

يوسف الخازن

المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرمي في ما ننشره لكتاب مختلفين من اصقاع مختلفة الى جعل هذه المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب الانشائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حيــاة المرءِ في دنياهُ ركبٌ يجوب الارضَ في طولٍ وعرضِ
فتغويرٌ لهُ في أرض قومٍ وتعريسٌ له في غير أرضِ
وأيام الشهور هي المطــايا تحثُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضِ
وما عيشُ الفتى الاَّ غرورٌ كظل زائلٍ او خفق ومضِ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها ، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ، طائر القلبَ اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ؛ يطلب منها الوفاء وهي تغدر بهِ ويتوسل الى قربهــا بكل وسيلة وهي تخدعهُ ، وتمنّيه بالوعد . « وما مواعيدها الاّ الاباطيل » ! »

ولو علم الانسان — أن الدنيا غادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ، وان اعطت منعت . نعيمها بؤس ، وحلوها مرّ ، وراحتها تعب ، وبقاؤها فناء ، وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها — ما ركن اليها بكله ، وما سعى لهــا كلَّ

السعي ، وما بات وليس له من شغل شاغل سواها ، ولا ذكر الاّ ذكراها . . .

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا زخرُفها ، واطمعته امانيُّها ، واستغوته شهواتها ، واستغوته زينتها وطلاوتها ، وانطلى عليهِ محالها . اصخ السمع ، وعِ القلب ، الى وصف حال الدنيا وسيرتها مع أهلها ولا أظنك بمصغٍ ولا بواع . !

أيها الانسان إن الدنيا كما جاء وصفها في القرآن المجيد ولا ابلغ من ذلك الوصف شيئ « كماء انزلناه من السماء ، فاختلط بهِ نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ؛ وكان الله على كل شيئ مقتدراً . »

بينما تراها مقبلةً عليك بنضرتها ، وبهجتها ، ليس لها بعل غيرك ، ولا دار سوى منزلك ، ولا نظرة الاّ اليك ، تراها بأسرع من لمح البصر قطعتك الوداد ، ومنحتك الصد والبعاد ، فانقلب سرورك حزناً ، وحلو عيشك مراً ، وصفو شرابك رنقاً كدراً ، وتركتك وحيداً فريداً ، في مفازة من ضنك العيش ، ووحشة الفقر ، لا مؤنس لك ولا متوجّع ، ولا ناصر لك ولا معين ، كمن جاءه الموج من كل مكان ، جفاك بجفائها الاصحاب ، وانكرك الاقارب والأباعد والأهل والجيران. وصارت كل خلة كانت لك في الغنى مدحاً ذماً

فأضحى الذي يوّد أن تكون لك حاجة عنده ، فيتقرّب اليك بها ويتشرف بقضائها يتشاغل عن ردِّ سلامك اذا ما سلمتَ عليهِ لا لشيئ هناك بل وفاء منك بالودّ له ! فهو يترك واجباً ويفعل محرماً ، حذراً من ان تقول له قد بتُّ البارحة أنا وزوجي وأطفالي لا فراش لنـــا سوى التراب ، ولا غطاء لنا سوى السحاب ، ولا طعام لنا سوى الماء والهواء ، فهل لك ان تكرم عزيز قوم ذلّ ، وشريفاً حسبه الجاهلون غنياً من التعفف ؟

وأمسى الذي يوسط الواسطات الى الحضور بين يديك أكره شيئ في عينـــه النظر الى وجهك . ولو في ليل ادلهمّت دياجيره ، كأنمـــا ينظر اليك بعينين غير عينيهِ الأولين

وبات الذي كان يفتخر بمجالستك ، ومنادمتك في سفرك ومحاضرتك يستنكف من جلوسك الى جنبهِ ، ولو في قفر من الأرض لا رائح فيهِ ولا غاد

وعاد الذي كان يسعى في حسن خدمتك من قبل ، أقبح شيْ يراه حسن خدمتك له ، فتراه يتأمر عليك ، ويتذمر منك ، ويحكم فيك حكم السادة على العبيد ، ولا يرى حقاً لنعمتك التي أسبغتها عليهِ فيما مضى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !

وراح الذي كان يتبرّك بلباس ثوبك الخلق ، يفرّ منك « فرار السليم من الأجرب »

وصار الذي كان يستنجدك في الملمات ، ويلجأ اليك في المهمّات ، يتربص لك الدوائر وينصب لك المكايد ، ويؤلّب عليك اذا استنجدته في الخلاص من ورطة وقعت فيها ، فاذا الذي يستنصرك بالأمس يستصرخك

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا ظواهرها ، وخفيت عليهِ بواطنها ، فقام لها على قدم وساق ، وشمّر لها عن ساعد الجد والاجتهاد ، واحبّها حباً اعشى بصره عن مساوئها ، وأعمه قلبه ، وخامر عقله ولبّه ، حتى استحوذ عليهِ شيطانها ، وأخذت بمجامع قلبه شهواتها . ويا أيها الانسان الذي يتفانى في حبّ الدنيا ولا يلهج الا بذكرها ، ولا ينشد الاّ ضالتها ، ولا يعرف الاّ إياها ، ولا ينظر الى سواها ، هلاّ اعتبرتَ بما عاملتْ بهِ تلك الدنيا آباءك المتقدمين ، وأجدادك السالفين ، أهل القرون الأولى والقوم الجبارين ؟ فكم أفنت من دول ، وكم أبادت من الملوك الأُول ، أرباب السطوة والسلطان ، والأسرّة والتيجان ، الذين عمروا فيها عمر نوح ، وملكوا ملك سليمان ، وبنوا بناء الاسكندر ، وطغوا طغوّ قارون ، وصالوا صولة النمرود ، وحكموا حكم القياصرة ، وعاشوا عيش الأكاسرة

أين أين الملوك أين الرعايا　أين أين القوّاد للاجنادِ
أين أين البناةُ أين المباني　أين من شيّدوا كذات العمادِ

أين اسكندرٌ وأين هِرَقْلٌ أين نمرود أين ذو الأوتادِ
أين قارون أين فرعون موسى أين كسرى وقيصر ذو الآدِ
أين من كتّبوا الكتائبَ للحر ب وصالوا بالمرهفات الحدادِ
أين من كانوا يحرصون على الما ل ومن كان كعبةَ القصّادِ
هــذه دورُهم تجيبك عنهم لو يجيب الجمادُ صوت المنادي
صرعتهم كأسُ المنون ولمّا يستفيقوا حتى ليوم التنــادي
وغدوا يُحملون من بعد عرش الـ ـملك في موكب على الأعوادِ
وغــدا ما لهم وما جمّعوهُ للأعادي إرثاً وللحسّادِ
وجفــاهم اخوانُهم وبنوهم وجميــع الحجّاب والقوّادِ
وثووا في القبور من بعد ما كا نوا بعالي القصور كالأطوادِ
واستقروا في ضيّق اللحد يا سـ ـعدَ مقرّ السيوف في الأغمــادِ
ورضوا بالتراب بعــد فراش من حريرٍ موثّرٍ ووسادِ
جمعتهم دارُ المنونِ جميعاً وهمُ من قبائل وبلادِ
فغدا الضدّ يألف الضدّ طوعاً وغريبٌ تآلف الاضــداد
ومليك الزمان منهم له الدو دُ نديم بعد الحسان الخرادِ

فاذا كان هذا مسير الانسان ومصيره ، فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا نظر معتبر ، وان يجعل مقامه فيها مقام مسافر ، نزل دارها اليوم ويرحل عنها غداً . وان يحاذر منها كل الحذر ، لأنها عدوّ في ثيابِ صديق ، وان يبذر فيها ما طاب غرسه ، وزكا أصله ، ونما فرعه ، واينع ثمره ، وحلا ذوقه ، واعذوذب طعمه . لأنها مزرعة الآخرة ، والمرء يحصد ما زرع : وان لا يحزن على شيْ فاته منها ، ولا على شيْ انقطع عنه بعد ما اصابه منها ، بل ينبغي له أن ينزل ما اصاب منها ، منزلة ما لم يصب . لأن جوهرها عرض زائل ، وكسبها خسران مبين . وان لا يتزوّد من الدنيا الا

بقدر ما تمسّ الحاجة اليهِ . وأن يقنع بالشيء اليسير منها ، اذ لا شيء اغنى من القناعة . « ومن هضمَ دنياه وزهدَ فيها لآخرته ، لم يحرمهُ الله بذلك نصيبه من الدنيا ؛ ولم ينقصه من سروره فيها . » وان لا يبيع آخرته بدنيا غيره حتى ولا بدنياه

وينبغي للعاقل أن يستقرئ أخبار السالفين وأعمالهم ، فيأخذ بالاحسان منها عملاً ، ويترك القبيح ، ويذهب مذهب من سلك طريقاً هداه الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ويتجنّب منهاج قوم يجرُّ ناهجه الى الضلال ، وسوء المنقلب . وان لا يكون غير ذي دين ، فان الدين رابطةُ الانسان بحلاله وحرامهِ ، وان لا يظن الاّ حسناً ، ولا يكون سيء الاعتقاد في الناس ، فان سوء الاعتقاد روح الفساد

وينبغي للعاقل أن لا يُبغّض الى نفسهِ عبادة ربه ، وان يساوي بين معاشهِ ومعاده ، وان لا يترك مجالاً لنفوذ احدهما على الآخر . وأن يعمل فيها عمل من يأمل أن يموت هرماً ، وعمل من يرجو أن يموت غداً . وان لا يفرح بالكثير من المال اذا ناله ، ولا يحزن لقلته اذا فقد الكثير منه . وان يصنع المعروف مع كل فردٍ من ابناء جنسه . وان يجود على الناس بما وسع الله عليه من الرزق ، وينتهز فرصة نعم الله عليهِ ، فيتفضل بها قبلَ زوالها . لأن الغد ورآء الغيب ، والمرء لا يعلم من نفسه الاّ ماضيها وحاضرها . فهو في مستقبله كالأعمى السالك طريقاً وعراً في ليلة ليلاء ، لا يدري أينَ يضع قدمه ، في النار أم في البحر

وينبغي للعاقل أن يكون جلداً صبوراً اذا ما انتابته نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان . وان لا يترك حاسديه يشعرون بما اصابه من المصائب . وان يكون ذا حزم واقدام ، وان لا يصدّه أدنى عائق يعيقه عما يحاوله من صعاب الامور . وان لا يتهاون بصغار الاشياء ولا يستعظم في عين كبارها . فان الصغار يلدن الكبار . ومن هاب الشيء العظيم خسر ما دونه

وينبغي للعاقل أن ينظر الى عيب نفسه ، قبل أن ينظر الى عيب غيره . وان

يغض طرفه عن عيب أخيه ولا يفاتحه بمخافة أن يفاتحه بمثله . وأيّ الرجال المهذب

وينبغي للعـاقل أن يتعلم العقل من المجنون ، والحلم من رأي السفيه ، وحسن الاخلاق من سيئها ، والعلم من الجاهل ، والأدبَ من السافل، والدين من الكافر . وان يأخذ الوفاء عن غدر اللئيم ، والعبرة عن الدهر . واللبيب من اتعظ بغيره

وينبغي للعاقل تهذيب نفسه وتعويدها فعل الخير وكل ما ينفع الناس عامّة ، ورفض ما يضرُّ بهم

وينبغي للعاقل أن يكون صادق اللهجة ، حسن العشرة ، طلق المحيا في سرائه وضرائه . خفيف الطبع وقوراً وفيّاً ، تصدق اقواله وافعاله . وان يكون اميناً محبّاً للفضل وأهله ، منصفاً يتبع الحق حيث كان ، ويطلبه حيث وُجد

وينبغي للعاقل أن لا يعمل عملاً حتى يتدّبر عاقبة امره كيف تكون — فان كانت حسنة بادر اليه بلا توان ، وان كانت سيئةً وخيمة تركه بلا فشل وندم — فربّ احجام خير من اقدام

وينبغي للعاقل أن يكون سليم القلب واسع الصدر سمحاً صفوحاً ، محبّاً للسلم مبغضاً للحرب لأن الحرب داء قتال ، يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً . وان لا يبغي على أحد ، لأن البغي شر والشر يورث الدماء ، وان لا يعادي أحداً ، ولا يضمر سوءا لأحد ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بأصحابه

وينبغي للعاقل أن لا يحتقر صغيراً لصغره ، ولا يوقر كبيراً لكبره ، اذ المرء بأصغريه أو كما قال ابو الحسن علي : «المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا تحت طيلسانه» وأن يأخذ الحكمة ولو نطق بها مجنون ويأخذ ما يوافق رأيه من قول غيره ، ولا ينتقد ما يخالف رأيه منه كونه خالفه . فلكل فردٍ من البشر رأي والكمال لله وحده

(بغداد) كاظم الدجيلي

في رياض الشعر



انتَ يا مَن انتَ في عيـ ني وفي قلبي مصوَّرْ
لك اهدي صورتي فانـ ظرْ اليهـا وتذكَّرْ

نقولا رزق الله

﴿ عرس في معركة ﴾

نظمت في سنة ١٩٠٢ عقيب ثورة البكسر في الصين

وَقَفَا للوداعِ ذاتَ عشيّهْ هُوَ يبكي كالطفل وهْيَ شجيّهْ
وقفةً كلٌّ منهما ودّع الآ خَرَ فيهـا مستقبلاً للمنيّهْ
حالَ دونَ العشـاق بينهما كتـ ـمانُ تلك المحبةِ السرّيهْ
ففؤَادانِ يخفقانِ ولحظٌ يتنـاجى ولوعـةٌ عذريّهْ
بينما كانَ والداهـا الى الفلـ ـك يؤمّان «مركباً» حربيّهْ
وهْيَ فيهـا مَسُوقةٌ مثلما كا نت تُساقُ الذبائح البشريّهْ
وهديرُ الأمواج يدوي وقلبُ الـ ـصبِّ عند النوى يهابُ دويّهْ
وصفيرُ البخـارِ يُنذرُ بالبيـ ـنِ وغوغاءُ عصبةٍ نوتيّهْ
رشقتْهُ بنظرةٍ ثمَّ قالت لستُ أنسى هواكَ ما دمتُ حيّهْ
لِيَ حبّي الذي عرفتَ ووجدي ولكَ العهـدُ والوفاءُ وصيّهْ

* * *

نشأا عاشقَينِ طفلَينِ كلٌّ منهما يحسَب الغرامَ سَجيّهْ
حفظا في الطريقِ والبيتِ والكُـ ـتّابِ سرَّ الهوى وفي البريّهْ
شهدَ الناسُ أنَّ بين الصغيريـ ـنِ ائتلافاً وصحبةً أخويّهْ
ثمَّ شبَّ الهوى كذاكَ رويداً وكذا للهوى تكونُ المزيّهْ
وقضى اللهُ بالنوى حين جدَّ الـ ـوَجدُ بين الفتى وبين الصبيّهْ
اذ قضى الدهرُ أن يكونَ أبوها كاتباً في السفارةِ الصينيّهْ
نازحاً عن معاهدٍ مرّت النبُـ ـطةُ فيهـا بسرعةٍ برقيّهْ
من بلادِ الألمـانِ موطنِ قومٍ عُرِفوا بالجهادِ في الوطنيّهْ

وهيَ أرضٌ يعيشُ تحتَ سماء الـ ـعلمِ فيهـا من شاءَ والمدنيّةْ
سارَ عنهـا لكي يجاورَ أقوا ماً تساوَوا في الجهلِ والهمجيّةْ
صحبتهُ زوجٌ لهُ وابنةٌ عـ ـذ راءُ كانت كأنهـا مسبيّةْ
نبذت داعيَ الغرامِ وقامت بفروضِ المحبّةِ البنويّةْ

* * *

قبل عهدِ التاريخ في الصين أقوا مٌ أقامت مجهولةَ الذريّهْ
من بني آدمٍ اذا كانَ حقاً والداً للسُلالةِ البشريّهْ
جهلوهُ وأنكروا كلَّ دينٍ غيرَ ما أشركت بهِ الوثنيّهْ
كلُّ شيءٍ لديهم قدَّستهُ روحُ ربٍ تجول فيـهِ خفيّهْ
يجدُ البـاحثُ المؤرخُ فيهم اممًا ميتـةً وتُحسَبُ حيّهْ
وقفتْ بين ان تموتَ وتحيي وقفةً خِيلَ أنَّهـا أبديّهْ
وأبى الغربُ أن تظلَّ كسدٍّ في سبيلِ الحضارةِ العصريَّهْ
فصلاَها حرباً يشبُّ لظـاها بينَ عصرِ العلومِ والجـاهليّهْ
وهيَ حربٌ في الصينِ قامت لأنَّ الصينَ تهوى بقاءهـا صينيّهْ
وترى كلَّ دولةٍ دونهـا شأ ناً وبطشاً ونجـدةً وحميَّهْ
والحديثَ المصنوعَ ألعوبةَ الطفـ ـلِ تراهُ او بدعـةً وحشيَّهْ
والعدوَّ اللدودَ كلَّ غريب فهي تقضي بقتـلهِ أمنيَّهْ
مَن يمتْ في قتـالهِ من بنيهـا نال حظَّ الشهيـدِ في الأبديَّهْ
سنةٌ ناصبوا بهـا الشرقَ والغر بَ عـداءً والعلمَ والحريَّهْ
وتداعوا فقامَ كلٌّ ينـادي اقتلوا الأجنبيَّ والأجنبيَّـهْ
لا تظنُّوا مالاً نهبتم حراماً لا تظنُّوا نفساً قتلتم بريَّهْ

* * *

بينما كانت الشوارعُ في « باكينَ » تُكسى بحلّةٍ قرمزيَّهْ
نسجتْهـا أعضاءُ ميتٍ قتيلٍ او جريحٍ مستهدفٍ للمنيَّـهْ
ومرائي السماء سوداءُ يغشا ها دُخانُ القذائف النـاريَّهْ
برزت للعُداةِ بكرٌ رداحٌ تتجلّى كأنهـا حوريَّهْ
تقذفُ النارَ من يديهـا فيرتدُّ ونَ عنهـا بأوجهٍ مشويَّهْ
وهي تلك التي وصفنـا جَواها ووصفنـا شؤونها الحبيَّـهْ
كانتْ في قلبهـا بقيةُ صبرٍ ثم زالت باليأسِ تلك البقيَّـهْ
أغضبتْها الحيـاةُ كالحلمِ تمضي وديارُ الحبيبِ عنهـا قصيَّهْ
ورأت انَّ قومَها بين حصرٍ واسارٍ أشدَّ منـهُ أذيَّهْ
والمنـايا اليهم تمشي عابساتٍ لكنْ خُطاهـا بطيَّهْ
فارتمت تقحمُ العدى وتنـادي أيُّها الموت خذْ حياتي الشقيَّهْ
ثم دمِّرْ مني سفينـةَ يأسٍ بينَ امواجِ دهرِهـا مرميَّهْ
رُبَّ صبٍّ قضى شهيدَ هواهُ وشجاعٍ في الحربِ ماتَ ضحيَّهْ

* * *

قال منهم مقـدَّمٌ فتنتـهُ، مذ رآها، ألحاظُها البـابليَّهْ
لا تمدُّوا يداً اليهـا بسوءٍ بل خذوها اسيرةً او سبيَّـهْ
واذا صائحٌ يصيحُ فِراراً يا رجالَ الديانةِ البوذيَّهْ
داهمتكم مدافعٌ مهلكاتٌ وجنودٌ على الجنودِ قويَّهْ
نجـدة لو دفعتموها لخلَّتْ دُورَ « باكينَ » من بنيها خليَّهْ
ثمَّ وافى من الفرنجة جنـدٌ هو عنوانُ وحـدةٍ دوليَّـهْ
فلغـاتٌ في النُطقِ مختلفاتٌ ونفوسٌ لم تختلفْ في النيَّهْ
فوقَهـا كلُّ رايةٍ أنزلَ المجـدُ عليهـا آياتهِ الحربيَّـهْ

نظّمتهُ ممالكُ الأرض جيشاً | تتباهى بمثله الجندية
يتمنى الجُنديُّ لو انهُ الجـ | ـثةُ في بعض رايةٍ مطويّهْ
وغدا فارسٌ يشقُّ غبارَ الحـ | ـربِ بين الكتائبِ البكسريّهْ
وقعت عينُه على غادةٍ تُنـ | ـساقُ للسبيِ وهيَ غضبى عصيَّهْ
بين قومٍ صفرٍ اذا الحربُ ثارت | نفروا كالنعامِ في بريّهْ
سامَ فيها حبيبةً سامهُ طو | لُ نواها والوجدُ كلَّ بليّهْ
هيَ كانت مناهُ لمّا تردّى | برضاهُ الملابسَ العسكريّهْ
فدنَا لا يرى قيادةَ غيرِ الـ | ـحبّ بالطوعِ والخضوعِ حريّهْ
ونجا بالفتاةِ من ربقة السبـ | ـيِ الى حفلةِ الزواجِ الهنيّهْ
فاستظلاّ منها برحمةِ أيدٍ | شأنها الرفق انها والديّهْ
سُرَّ ذاك الزواجُ غيرِ العروسَيْـ | ـنِ أباً صالحاً وأمّاً تقيّهْ
ورفاقاً في الحرب كانوا جنودا | ثم صاروا من بعدها جمعيّهْ
تسأل اللهُ ان يباركَ عِرساً | قامَ بين المعاركِ الدمويّهْ

نقولا رزق الله

﴿ بين الشريف وصبري ﴾

سمع اسماعيل صبري باشا بيتي الشريف الرضي ، وهما :

أرى بعد وردِ الماء في القلبِ غِلّةً | اليكِ ، على أني من الماء ناقعُ
وإني لأقوى ما اكونُ طماعةً | اذا كذبتْ فيكِ المُنى والمطامعُ

فقال مجاراةً لهُ :

يا مورِداً كنتُ أغنى ما اكونُ بهِ | عن كلّ صافٍ اذا ما باتَ يُرويني
عندي لمائكَ، والاقداحُ طوعَ يدي | ملأى من الماء ، شوقٌ كاد يُرديني

﴿ في سبيل الشرق ﴾

لم يبقَ لي الاّ الشبابُ ، وانهُ ديباجةٌ ضمن الأسى إخلاقَها
نزلتْ بنهلانَ الهمومُ فلم يُطقْ حتى نزلنَ بكاهلي فأطاقها
وكرهتُها ، ومن الغرائبِ أنني لشديدِ إلفنها كرهتُ فراقها
أشتاقُ أطرحُ الهمومَ ويقتضي ظمأي الى الآلام أن أشتاقها
ولربما عرف المحبُّون التي تجني الشقاء فأصبحوا عشّاقها
شأن الفراشةِ واللهيبِ فإنها تغشاهُ وهو مسببٌ احراقها
يشكو الصبابةَ كلَّ يوم مدَّعٍ وأحقُّنا دعوًى بها من ذاقها
لو أنصفتْ تلك الحمامةُ لوعتي نضتِ الخضابَ ومزّقت اطواقها
يا هذهِ ، حتى الغصونُ لما بها نثرَتْ على وجه الثرى أوراقها
مثلَ التي لَزِمَ الخفوقُ جناحَها أصبحتْ مرتكضَ الحشا خفّاقها
داءٌ تحاماه الطبيبُ ، وعلّةٌ طلب العليلُ فلم يجد إفراقها
مرَّتْ بنا الأممُ الطليقةُ، وانثنتْ أخرى تُعالج أسرها ووثاقها
هذي الجياد ، فمن تعاطى شأوَها يا شرقُ فيك ومن اراد سباقها ؟
يا مشرقَ الشمسِ المنيرةِ ، انها وأبيكِ شمسك فارقت إشراقها
اما ليـاليكَ التي قد أقمرتْ فلقد طوت لكَ محوها ومحاقها
فاقتْ وبزّتْ امةٌ غربيّـةٌ من بزّها في المشرقين وفاقها
واذا اراد اللهُ رقدةَ امـّةٍ حتى تضيعَ ، أضاعها اخلاقهـا
ملَكَ الضلالُ زمامها ، فاذا حبت أو أمسكت سببَ المعالي عاقها
رأت العدالةَ لا تروقُ لعينها فتلمّستْ في الليل ظلماً راقها
عجلت على البلوى فساقت نفسها للموت ، او عجل البلاء فساقها

ما عذرُ طائفةٍ أضاعت مصرها ... ان لا تُضيعَ شآمها وعراقها
برزتْ وقابلها الزمان بسيفهِ ... فأطنَّ ساعدها وعرقبَ ساقها
أين الذين اذا اكفهرَّتْ اوجهٌ ... هبُّوا لنا طَلْقَ الوجوه عتاقها
للهِ اطماعٌ اصابت خُلفها ... فيهم وآمالٌ رأتْ إخفاقها
نظرتْ الى الحُلم الجميل فهاجها ... ورنت الى الطيفِ الملمّ فشاقها
او ما تشوقُكَ يا خيالُ بقيةٌ ... في أنفسٍ لك كابدتَ أشواقها؟

(النجف) محمد رضا الشبيبي

﴿ رائع الشيب ﴾

دَبَّ قتيرُ الشيبِ في مفرقي ... سبحانَ من طرَّز هذا الشعارْ
طار الغرابُ الجونُ من فرعهِ ... ما لغرابٍ فوق فرعٍ قرارْ
قد كنتُ من فوديَّ في ليلةٍ ... يا ليت لم يطلع عليَّ النهارْ
أغضبَني الشيبُ ملمًّا وقد ... اعذرُهُ لو يكتفي بالعذارْ
سحابةُ الشعرِ اذا صرَّحت ... بالبرق فاضت بالدموع الغزارْ
مُلْكُ النجاشي في نواحي الورى ... ليس سوى بعضِ ليالٍ قصارْ
يسودُّ بختي بالبياض الذي ... بانَ على الهامةِ بعد السرارْ
جفَّ رطيبُ الجسمِ يا عاذلي ... فصرتُ أخشى فيهِ وقعَ الشرارْ
تأمل النسرين في لمتي ... قابلَ في الوجنة لونَ البهارْ
قد ضحكَ الشيبُ برأسي وقد ... ضحكتُ لما قيل هذا الوقارْ

نسيب ارسلان

مصارع الادباء

بلغ من بغضيَ للشعر أن صرتُ أعرض عن سوانح معانيه في لوامع قوافيه . القاعد بالجدود عن منازل الشرف ، المتواكل بالعزمات عن بلوغ نهايات الأرب . احدى فتن الخيال . تجري بها البداءة فتتلقاها مسامعُ بالقَبول ، وتتلقاهـا مسامعُ بالملل . أبعدْ به و بطلاّبه

يتهادى امراء الذّهب بين « شولر » و بين « سبلندِدْبار » تُساقِط اعطافهم الجنيهات ، ويطوفون حول معاهد الصبوة في عواصم الغرب من « مُنْتْ كارلو » الى « مُنْتْ كارلو » . ثم يأوون الى بيوتٍ كثرت فيها الديكة والحمائم ، ثمَّ يصبحون في لزباتهم يهبون المال في دعاوي ومخاصمات : فطلاق وزواج وميراث وشركة يتخلل ذلك كله لعب الورق واستشارة الوكيل وإدلال الكاتب ، وما ادراك ما الكاتب ، و بيع الاطيان واقتراض المال . بدراتٌ تفيض المسجدَ ، وتنفجر عن ذوب اللُّجين ، والشاعر يريد ان يبيع ديوانهُ « بقرص ٍ من الطعميّة » فلا يجد مشترياً ، والكاتب يعرض دفاتره مجّاناً فلا يرى قارئاً فسبحان الله !

علَمٌ من أعلام العراق . هو أبو القصائد المحبَّرة والقوافي المحكمة . نزيلٌ بمصر ، مقيمٌ في دار حزنه يعالج أيامهُ ، و يعاني شدائدهـا وليس بمصر مَن يقول له أين أصبحتَ أيها الأديب العظيم ؟ « أحمد مفتاح » رجلُ البلاغة ، يموت ويدفن ولم تكتب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت . و « محمد امام العبد » وهو شاعر مجيد يُوسَّدُ بالأمس التراب ، ولا يتقدَّم أحد ليقيم له ليالي مأتمه . وفي بلاد الغرب يصنعون التماثيل للشعراء ، و يسمّون باسمائهم الشوارع والدوارع ، و يجعلون لميلادهم ولموتهم اياماً في كل سنة هي بمنزلة أيام الأعياد . ويقولون بمصر : الدستور والجلاء والمؤتمر ، وتكتب الجرائد ليحيَ وليسقط . من يحيي ومن يسقط ايها المساكين ؟

لكل آمريء في هذه الأمـة موضع يميّزه ؛ والناس في درجاتهم متقاربون . وليس رجلٌ ينكرهُ معارفه ، ويتجافاه أقرب أقاربه الاّ الأديب . فهو اذا برّز على أقرانه حسدوه ، وان أقصر عنهم حقّروه ، وان ولج جماً جالت فيهِ أبصار المستهزئين . ولله في خلقه اناسٌ يفخرون بملابسهم ، وليست بصنع أيديهم ، ولا انسجتها من نسجهم ، ولا اثمانها من كسبهم ، ولا زينتُها تجمل ما قبح من اشكالهم . اولئك يطاوئون الهامات ، ويذلّون الرقاب ، ويتهادون في كل مزدحم ، تهاديَ الكواعب الرُّود في الوشي والبرود . طواويسُ الرجال يقضون طوال الأعوام في ديوان الحياة ، ثم يخرجون منهُ كما تخرج الأنعام من تحت السقائف ، لا متزودين ولا مستخلفين . الى حيث ألقت رحلها !

*

نتظر الى الكتاب المطبوع باحدى اللغات الأجنبية فنرى مكتوباً على جلدهِ : الطبعة العشرون والطبعة الخمسون واكثر من ذلك . وقد يكون عدد نسخ الكتاب ، في الطبعة الواحدة ، عشرة آلاف على الأقل ، وليس في الشرق كتاب طُبع مرّتين الاّ نادراً او ما كان متضمناً للمجون . وجرائدنا يأكل مشتركوها اثمان اشتراكهم فيها ، ويكتفي قرّاؤها بنسخ يأخذونها من المشتركين ، او يقرأونها في القهوات . وقد يبالغ في الغرابة بعضهم فيردّ الجريدة مكتوباً عليها (مرفوضة) بعد ان يكون قرأها أشهراً وأياماً . وأغرب منهم من جاءته جريدة « الجامعة العثمانية » وهي جريدة كانت تنشرها « الجامعة العثمانية » في بيروت ، وتعطيها من دون ثمن ، ويُكتب على غلافها « مجاناً » فردَّ الرجل الجريدة بعد ان كتب على غلافها بالعربية والفرنساوية « مرفوضة » . رفضَ الفضل ورفض الكرامة . لا طال ذنب زمانه ! ولم يخجله كرَمُ الذين أحسنوا بها عليهِ احساناً لم يقع على مستحقّهِ . ومثل هؤلاء المخلوقات كثير بيننا ولا فخر !

يموت ادباؤنا ، وتُطفأ أنوار المعاني في عقولهم ، وتبقى بيوتهم خاليةً وأجداثهم داثرةً ، وليس فينا من تحدثهُ نفسهُ بأن ينقّبَ عن آثارهم ، وينشرَ للأمة ما طويَ من معارفهم إقراراً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، واستفادة من آثار قرائحهم . ونحاول بعد ذلك أن نجاري الأمم او أن نُشبه عباد الله . ما أكبرَ جهلنا باقدارنا ، وما أبعدنا عن مواضع الانصاف

لا أديبُ العراق أجدتهُ فرائده ، ولا الاستاذ مفتاح هنأته بلاغته ، ولا امام العبد أغناهُ شعره . وانّ نسخة من قصة « القاضي والحرامي » او قصة « دليلة المحتاله » لأحبُّ الى عامتنا ، وأشهى الى خاصّتنا من درر هؤلاء العظماء وجواهرهم ، وأدعى للشجون ثم أبعثُ للطرب من قصائدهم وفصولهم . سقاهم الله ! رعاهم الله ! عاشوا مظلومين وماتوا مظلومين . وأودعتْ بطون المقابر كنوزاً يتباهى بامثالها ملوكُ الأرض . يروى أنّ بعض الانكليز يقول « لو خُيّرنا بين أن نخسر الهند كلها أو نخسرَ شكسبير لاخترنا خسارتنا للهند ، ولأبقينا شاعرَنا عوضاً عنها » ونحن ماذا نقول ؟ نقول لتحيَ الديكة والحمائم ، أم نصيح ليحيي الدستور ؟ ؟

انا لنطمعُ اليوم في ان ننال ما لا يتاح لنا الاّ بعد خمسين عاماً فمَثَلنا مثَل جماعة من العميان قيل إنّهم ركبوا أحدَ المعابر (القوارب) ليعبروا النيل . فقال قائلهم : هل لكم في الخروج من المركب من غير ان تدفعوا اجراً ؟ قالوا بلى . قال : اذن فاسمعوا لما أقول . اذا قارب المعبرُ الشاطىء صاح النوتي . « فلّق » . فثبُوا هنالك وثبةَ رجل واحد ، وتفرّقوا هرباً ، واعلموا أنهُ لا يترك معبرَهُ ويعدو وراءكم . فقبلوا المشورة . وكان النوتيُّ يسمع المؤامرة وهم لا يشعرون . فلما توسّط النهر صاح . « فلّق » . فوثبَ العميان فوقعوا في البحر وغرقوا . واني لأخشى ان ينادينا الغرورُ نداء النوتيّ فنغرق غرق العميان

الأمة في حاجة الى نوابغها ، ونوابغها غرباء بينهـا ، والصوت الأرنّ والقول

المسموع ما يهتف بهِ قوم صمتت ألبابهم ، ونطقت ألسنتهم . هم المسيطرون وهم الزعماء
حَسْبُ الأديب في الشرق نعوتاً تكال له كيلَ الحشف . فهو الأديب الفاضل ،
والشاعر البليغ ، والكاتب البارع ، واللوذعيّ والالمعيّ وغير ذلك . وليت هـذهِ
النعوت تحبى لمن تصدق فيهِ ، او فيمن تـكاد تصدق فيهِ . ولكنهُ مشارك فيها
مشاركة الغبن . أهل البلدة كلهم ادباء فضلاء بلغاء فصحاء ، ما سلم من ذلك ملكٌ
ولا سوقة . واظنُّ هذه هي المساواة التي يطلبهـا مجانين الدستور ، لا المساواة في
الحقوق التي يثني عليها أهل الانصاف

ألا مَن مبلغٌ عني كلَّ أديب في الشرق أنهُ أديب وانهُ فاضل ، وانهُ لوذعيٌ ،
وانهُ ألمعي ، وانهُ فصيح ، وانهُ بليغ وانهُ عند الناس وجودُهُ مثل عدمهِ ، وانهُ أهون
على امراء الذهب من ديكٍ من ديكة الهند ، او من حمامةٍ من حمائم اليمن

كنت ذات يوم راجعاً من دار البريد وفي يدي سيكارةٌ هي أخرى اخواتها .
فمرَّ بجانبي رجلٌ يسرع في مشيتهِ ، فاستطارها من يدي حتى وقعت على الأرض !
وكان اليومُ شديدَ الهاجرة لافحَ الحر . فلما توسطت الشارع رأيت عربةً نظيفة
فيها رجلٌ من رعاع القوم ، وامامه اثنانِ من الأوزّ . ثلاث رفقةٍ في خير عربةٍ ،
يقودها جوادانِ مطهَّمان . فرفعت طرفي الى السماء وقلت : يا ربّ تُلهمني الشعرَ ،
وتُجري يراعيَ بما يستطيعُ من النثر ، وتجعلُ عبادك يدعونني بالأديب إن صدقاً
وان كذباً ، ثمَّ أرى أني أحقرُ من الاوز في هذا الشرق ؟؟ ثم انصرفت صابراً

هذا ميدان واسع ، يتعب الجائل في ارجائهِ . ولولا حقوقٌ للأدب وأهله ما
سطّرتها . ثلاثة اخوانٍ : مكروبٌ ودفينان . أما الرثاء فبعضُ ما يجب ولن يفوتني
ما استطعت منهُ ، وأما النحيبُ فاني سوف انتحب . فمَن لي بمَن يساجلني الدمعَ ،
ويشاركني في الشكاية . اما أنّا لمظلومون !!　　ولي الدين يكن

تأثير الدين في المدنية

أهمُّ المبادئ التي تسير عليها الأمم، وتُعتبر منار التاريخ وعماد الحضارة، المبادئ الدينية؛ وقد كانت على الدوام أهمَّ عنصر في حياة الأمم، وهي لذلك أهمُّ عنصر في تاريخها. فأكبر حوادث التاريخ التي أنتجت أعظمَ الآثار هو قيامُ الديانات وسقوطُها. وأوّلُ المسائل الأساسية، في الأزمان الغابرة وفي الأزمان الحاضرة، المسائلُ الدينية. ولو ان الانسانية رضيت بموت جميع آلهتها لكان هذا الحادث أعظمَ الحوادث التي تمّت فوق وجه الارض منذ ظهرت المدنيات الاولى

لا ينبغي لنا أن ننسى أنّ جميع النظامات السياسية والتدبيرات الاجتماعية قامت، منذ بداية التاريخ، على معتقدات دينية، وأن الآلهة هي التي لعبت أكبر دور في الحياة الإنسانية، وأنّ الدّين أسرع مؤثر في الاخلاق لا يدانيهِ مؤثر اللهمَّ الاّ الحب؛ والحب دينٌ، الاّ أنهُ دِين ذاتيٌّ غير دائم. واذا أردت ان تعرف على أي حال تكون الامة التي اهتاجها خيالُها فانظرْ الى فتوحات العرب والحروب الصليبية والاضطهاد الاندلسي وحال انكلترا أيام «البوريتيين» و «سانت بارتلمي» في فرنسا وحروب الثورة الفرنساوية. الاّ أن للأوهام سحراً مستمرًا شديدَ التأثير يتغير بهِ المزاج العقلي تغيراً كلياً. خَلَقَ الانسانُ الآلهةَ ولكنها ما لبثت ان استعبدتهُ. وانها بنتُ الأمل لا بنتُ الخوف كما وصفها «لوقريس» لذلك كان تأثيرها سرمديًا. لقد كان من تأثيرها فيهِ أن جعلت عقله متشبعاً بفكرة السعادة فامتازت بذلك على كل مؤثر سواها، وقصرت الفلسفة عن ادراك هذه الغاية حتى الآن

نتيجةُ كل حضارةٍ ان لم نقل غايتها، وكلِّ فلسفة، وكلِّ دِين، تكوينُ حالاتٍ عقلية خاصة، بعضها يقتضي السعادة، وبعضها لا يقتضيها. وترجع السعادة

الى أحوال النفس اكثر مما ترجع الى الاحوال الخارجة عنها . فلربما كانت الضحايا فوق مواقدها أسعد من قاتليها . وكم فالح ارض بيديه يقضمُ الكسرة مفروكةً بالثوم أسعدُ بكثيرٍ من موسر متدفق الثروة تكاثفت حولهُ الهموم

ومن دواعي الأسف أنَّ الحضارة في هذا الزمان خلقت للانسان جماً من الحاجات ، ولم تُعطهِ وسائلَ دَفعها ، فتولَّدَ من ذلك عدمُ الرضاء في النفوس . قالوا الحضارة بنت الرقيّ . نعم وهي أمُّ الاشتراكية وأمُّ الفوضى . وهما صوتان مريعان تصيح بهما جموعٌ قلَّ ايمانها فاستولى اليأس على قلوبها . أين حال الأوروبي الذي تولاَّه القلق ، وهاجت اعصابهُ وأصبح غير راضٍ بحظهِ ، من حال الشرقي الراضي بما قدر له . انما الفرق بينهما في حالة النفس دون سواها . وانما يُغيّر الامة مَن يُغيّر من تَصوّرها ، ويجعلها تفكّرُ وتعمل غيرَ ما عملت

يجبُ على الهيئة ان تسعى في ايجادِ حال عقلية يكون فيها الفرد سعيداً والاّ فأجَلُ الامة قصير . فما قامت الأمم حتى الساعة الاّ متكئةً على خيالٍ فيـهِ قوّةُ اجتذاب النفوس، وما سقطت واحدة منها الاّ بزوال سلطان هذا الخيال

من اكبرِ خطأ هذا الزمان اعتقادُ الناس انَّ النفس تجدُ السعادة في الاشياء الخارجة عنها. قل انَّ السعادة فينا ونحن الذين نوجدُها. وشذَّ ما كانت بعيدة عنا . انّا هدمنا خيال العصر الماضي فصرنا نرى انهُ لا حياة لنا من بعد هذا الخيال ، وانّا اذا لم نوفق الى الاستعاضة عنهُ فإنا هالكون

اكبرُ المحسنين لبني الانسان الذين يجب على الأمم ان تُقيمَ لهم أفخم التماثيل من الذهب الوهاج، هم اولئك السحَرة القادرون الذين خلقوا لها الخيالات . اولئك يولدون احياناً بين البشر، ولكنهم لا يولدون الاّ قليلاً . أقاموا امامَ سيول الآمال الفانية — وهي الحقائق التي لا قدرة للانسان على معرفة غيرها ، وفي وجه هذه الدنيا العبوس الجامدة — حجاباً من الأوهام القوية فسروا عن الانسانية ، وستروا ما في

الحياة من غضاضة ومَضض ، وخلقوا جناتِ النعيم فنيطَ بها الرجاء وتوالت الاحلام

واذا رجعنا الى الجهة السياسية علمنا أيضاً كيف كان تأثيرُ المعتقداتِ شديداً . والسببُ في قوة الدين العظيمة كونهُ العاملَ الوحيدَ الذي تتوحَّد بهِ وقتاً ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها . فيقوم المبدأ الديني بذلك دفعة واحدة مقامَ غيره من العناصر التي يتكوَّن منها روحُ الأمة والتي لا تنتج هذه النتيجة الاَّ اذا أربت وتمَّ نضجها بالوراثة . نعم لا يتغير مزاج الأمة العقلي بمجرَّد استيلاء دين على قلبها ؛ غير انَّ جميع القوى تتَّجه نحو غاية واحدة هي الانتصار للمعتقد الجديد ، وفي ذلك سرّ قوتها العظمى . لذلك تجد ان قيام الأمم بأعظم الأعمال كان في عصر هذا التطوُّر الوقتي أعني عصرَ تديّنها ، وتأسيسَ اكبر الممالك التي ادهشت العالم كان في عصر تدينها . كذا اتحدت بعض قبائل العرب بفكرة محمد (صلى الله عليهِ وسلم) فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء . وشادوا تلك الدولة الكبرى

وعليهِ يتضح انهُ كان للدّين شأن كبير في سياسة الأمم لأنهُ هو العامل الوحيد سريعُ التأثير في أخلاقها . نعم ان الآلهة ليسوا خالدين ، ولكنَّ المبدأ الديني باقٍ لا يزول . يغفو زماناً ، ثم ينشط متى ظهر ربّ جديد . وهو الذي استطاعت بهِ فرنسا وحدَها منذ قرن ان تقاوم اوروبا كلها. فعرف البشر مرَّة اخرى درجة تأثير المعتقداتِ الدينية . لأن الافكار التي امتلكت العقول في ذلك العصر كانت في الحقيقة ديناً جديداً نفخَ في الأمة من روحهِ فأنعشها . لكنَّ الآلهة التي برزت من خلال تلك المعتقدات كانت لطيفة المادة فلم تدم الاَّ قليلاً ؛ على ان سلطانها ، مدَّة وجودها ، كان سلطاناً كبيراً

بعد ذلك نقول أن قدرة الديانات على تغيير روح الأمم قدرة فانية . فقلما تدوم المعتقدات على قوَّتها الاولى زمناً يكفي لتغيير الخلق تغييراً تاماً : سببهُ انَّ قوَّة الاحلام لا تلبثُ أن تفتر ويرجع المأخوذُ بسكرتها بعض الرجوع الى اليقظة فتظهر حقيقة الخلق العتيق

يظهر على الدوام خُلق الأمة حتى وسلطان الدين في منتهى شدته فتراه في الصبغة التي انصبغ بها الدين عند الامة التي اعتنقتهُ ، وفي المظاهر التي تنشأ عنهُ . انظرْ الى الفرق العظيم بين المعتقَد الواحد في انكلترا واسبانيا وفرنسا تجد انهُ كان من المستحيل ظهور « البروتستنتية » في اسبانيا أو رضى انكلترا باقامة الاضطهاد (محكمة التعذيب) بين ربوعها ؛ بل تأمل حال الأمم التي دانت بالبروتستنتية تظهر لك أخلاقها الأساسية الاولى بادية عليها ، وأنها بالرغم من افتتانها بمعتقداتها ، لا تزال محتفظة بمميزاتِ مزاجها العقلي ، اعني الاستقلالَ ومضاء العزيمة وتدبّرَ الامور قبل الأخذ بها وإباء الخنوع والاستذلالَ لسيّد يصدر في امره عن الهوى

يتولّد تاريخ الأمم السياسي والادبي والفنّي من معتقداتها ؛ الاّ ان هذه كما تؤثر في الخُلق تتأثر ايضاً بهِ . فمفاتيح حياة الامّة خلقها ودينُها . والاول دائم من حيث صفاته الاولى ، وعدمُ تغيره هو السببُ في وحدة تاريخ كل امة واطراده . أما المعتقدات فقابلة للتغير . وتغييرُها هو السبب في انَّ التاريخَ يحكي كثيراً من الانقلابات في الامم

اليوم تميل الامم القديمة الى السقوط . فهي تهتزّ من الوهن ، ونظاماتها تتداعى واحداً إثر واحد . وعلة ذلك فقدانها كل يوم شيئاً من ايمانها الذي قامتَ عليهِ حتى الآن . فاذا فقدتهُ كله قامت حتماً مقامهُ حضارةٌ جديدة مؤسسة على معتقد جديد . لأن التاريخ يدلنا على ان الأممَ لا تحيا طويلاً بعد اختفاء معبوداتها ، وأنَّ الحضارات التي جاءت مع تلك المعبودات تذهب بذهابها . ألا لا شيء أفعل في التخريب من أثرِ معبودٍ يموت

احمد فتحي زغلول
وكيل نظارة الحقانيـة

في جنائن الغرب

✱ أنشودة روسية ✱

من العادات المتبعة في روسيا انه يحق للقيصر ان يطلق امرأته ويبعدها الى أحد الاديرة اذا لم تضع له ولياً للعهد . وقد عثرنا على أنشودة يتغنى بها القرويون في روسيا تصف حالة القيصرة عند تركها القصر الامبراطورى ، فأحببنا ان نترجمها لقراء « الزهور »

كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأنَّ القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينهِ
أرسلها إلى هناكَ ، الى ما وراءَ جدران الدير
و بينما كانتِ الأميرةُ تمرُّ بالقصر ، أخذت تنوحُ وتبكي قائلةً :
« أيها القصرُ الأبيض المفروش بالمخمل والحرير ، أما من عودةٍ اليك ؟
« أما من عودةٍ اليك ، فأروّحَ النفس بين جدرانك ، وفي رياضك الغنّاء ؟
« أما من عودةٍ اليك ، فأرى سيدي القيصر ، وأسمعَ كلامهُ العذب ؟ »
كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأن القيصر غضِب على القيصرة ، وأبعدها عن عينيهِ
خَرَجت القيصرة من القصر ، وقفتْ في السلّم ، فتنهدت وقالت للحرس بصوت متقطّع ، والعَبَراتُ تخنقها :
« أسرجوا الخيلَ للرحيل ، فقد أزفت ساعةُ الفراق ، سيروا رويداً ، واخرجوني على مهل من موسكو
عسى سيدي أن يرقَّ ، عساهُ ان يرثي لحالي »
وكان جواب الحرَس « عساه أن يرقّ ، عساه ان يرثي لحالكِ ! »
لكنَّ قلبَ القيصرِ كجدران قصرهِ صَلْبٌ ، لا يرقُّ ولا يلين
في الدير ، تقرعُ الاجراس حزناً لاستقبال القيصرة الحزينة
كلٌّ في موسكو حزينٌ ، لأن القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينيهِ !

﴿ الدموع ﴾

أنِست بسمعي حنين «دمع الفتاة»[١]؛ وكتِبتُ في نفسي لذرف دمع العذراء . ورشفت بيدي كأس دمع الفؤاد . فأحزنني الاول ساعةً ذكرتها العمر؛ وسهّدني الثاني ليلةً سقمت بعدها الشهر؛ وأسكرني الثالث مدةً آلمتني الدهر

ما هاجت اشجان الروح الاَّ وسالت من الأنامل على الأوتار دموعاً؛ وما امتلأ اناء النفس الاَّ وفاض من المقل على الخدود دموعاً . وما اشتدَّت لوعةُ الفؤاد الاَّ وانسكبت في الصدر دموعاً

الدموع أنشودةُ النفس مع تسابيح الملائكة

همسُ القلب في أذن الفضاء

حديثٌ بلسان الحمام النائح

الدموع أكاليلٌ، أزهاره الكآبة الصامتة، ينثرها اليأس على ضريح الأمل

قريض تنظمه العيون

عبير العنبر المحترق

أشواك ورد الهوى

أزهار العاطفة، تنبتها المحبة، ويسقيها الحنان، فيجنيها الجوى

بنات الشعور، يحبل بها الألم، وتتمخض بها النفس، فتلدها الحسرة

فديتُ بنفسي عواطف تتحرَّك في الصدر فتئنُّ لها الجوامد . تذرفها الروح دموعاً من الأنامل فتكفكفها الملائكة بأنفاسها وتجففها بخفيف أجنحتها لتصعدها الى العرش الأعلى كبخور العفاف او كبخار ذبيحة الطهر

دموعٌ ليست عبرات فردي[٢] الاّ أبردها ناراً، وأخفها ألماً

---

(١) دمع الفتاة (Larmes de jeune fille) قطعة موسيقية لواضعها كوستاف لانج

(٢) العبرات (Le lagrime) قطعة من الترافياتا (La Traviata) اوبره لواضعها فردي (Verdi) الموسيقي الشهير

والهف قلبي على شعائر شواعر ، يثيرها الشجن فتحمّر الخدود ، ثم تنصبُّ في المحاجر كما يصبّ الصبح الندى في أفواه الصدَف لتتحوّل الى قطرات لا تبلغ لآلئ العالم بأسرها عشر معشار ثمنها

ويح الحشا من قطرةٍ . لو سقطت على الحجر القاسي لرقّ وذاب حرقةً

اما الفؤاد الذي كان نصيبه من الجهاد لهفةً ودموعاً ، فليشرب الكأس حتى الثمالة . عساها ان تبرّد بمرارتها لهيباً أشعله الوجد ، ونفخت فيهِ الصبا . ليكِ بدمع المداد و بمقلة الغمام ، مع الصفصاف المستحي والزهرة المائلة الى الذبول ، والنجم السائر الى الأفول . والقدّ المائل الى النحول

ليكفّرَ بدمعه عما جناه بحبهِ فكان عليـهِ عوضاً عن النعمة نقمة ، وعن العذوبة عذاباً . لعل النحيب يروي غليله و يشفي عليله

لو لم تخفف الدموع اشجان الروح ، وتسكّن احزان النفس ، وتبرّد حسرة الفؤاد . لذابت معها الحياة ، وذوت في ربيعها زهرة العمر

(حلب) يوسف نوتل

الصداقة

قال عليّ بن أبي طالب لابنهِ الحسين : ابذلْ لصديقك كلّ المودّة ، ولا تطمئن اليهِ كلّ الطمأنينة ؛ واعطهِ كلّ المؤاساة ، ولا تفشِ اليهِ كل الاسرار

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات . طبقة كالغذاء ، لا يُستغنى عنهُ ، وطبقة كالدواء يُحتاجُ اليهِ ، وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليهِ

في حدائق العرب

﴿ حبُّ الوطن ﴾

قال عُمر بنُ الخطّاب : لولا حبُّ الوطن لخرب بلدُ السوء . وكان يُقال · بحب الأوطان ، عمرتِ البلدان

وقال جالينوس : يتروَّحُ العليل بنسيم أرضهِ ، كما تتروَّحُ الأرضُ الجدبة ببلّ المطر

وقال بقراط : يداوى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضهِ ، فان الطبيعة تنزعُ الى غذائها . ومما يؤكدُ ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر ، فقيل لهُ : ما تشتهي ؟ — فقال : مخيضاً رويًّا ، وضبًّا مشويًّا

وقيل : إحفظ أرضاً أرسخك رضاعُها ، وأصلحك غذاؤهـا ، وارعَ حمى اكتنفك فناؤه

وقيل : من علامة الرشد ان تكون النفس الى اوطانها مشتاقة ، والى مولدها توَّاقة

وحدَّث بعض بني هاشم ، قال : قلت لاعرابي : من أين أقبلت ؟ — قال من هذه البادية . قلت : وأين تسكنُ منها ؟ قال : بساقط الحمى ، حمى ضرّية ، ما إن لعمر اللهِ أُريد بها بديلاً ، ولا ابتغي عنهـا حولاً ، حفَّتها الفلوات ، فلا يملولحُ ماؤها ، ولا تحمى تربتها ، ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعكٌ ولا موم ؛ ونحن بأرفه عيشٍ ، وأوسع معيشة ، وأسبغ نعمة ؟ قلتُ : مما طعامكم ؟ قال : بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيّات ، وربما واللهِ أكلنا القد ، واشتوينا الجلد ، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ؛ فالحمدُ للهِ على ما رزق من السعة ، و بسط من حسن الدعة

وقيل لاعرابي : : كيف تصنع بالبادية ، اذا انتصف النهار ، وانتعل كلُّ شيء ظلَّهُ ؟ فقال : وهل العيش الاَّ ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً ، فيرفض عرقاً كأنهُ الجمان ، ثمَّ ينصبُ عصاهُ ويلقي عليهـا كساهُ ، وتقبل الرياحُ من كل جانب فكأنهُ في ايوان كسرى

وقيل لآخر : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية ، ولزوم الاوطان ، والجلوس مع الاخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال : التنقُّل في البلدان ، والتنحي عن الاوطان

وكان يُقال : الغريب عن وطنهِ ومحل رضاعهِ كالفرس الذي زايل أرضهُ ، وفقد شربهُ ، فهو ذاوٍ لا يُثمر ، وذابل لا ينضر . . . والجالي عن مسقط رأسهِ كالعير النـاشز عن موضعهِ الذي هو لكل سبعٍ فريسة ، ولكل كلبٍ قنيصة ، ولكل رامٍ رمية

وقال الشاعر :

نقِّلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوى . ما الحبُّ الاَّ للحبيبِ الأولِ

كم منزلٍ في الأرض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لأول منزلِ

(عن الجاحظ)

المتوفى سنة ٢٥٥ هـ =٨٦٨ م

✱ خواطر ✱

« لكارمن سيلفا ملكة رومانيا الحالية »

* يسمّون غالباً بسليم الطويّة مَن ليس بذي عقل نبيه !

* متى وُجـد المرء في حالة محزنة ومركز حرج غلبت على لسانه الترّهات . ألا ترى ان الكلب يعوي متى خاف

* ذوو العقول يحجبهم ذوو العظمة كما تُحجَب النجوم امام الشمس !

أندية الأدباء الحرة

نعت « الماتين » الى قرائها ، في احد اعدادها الاخيرة ، قهوة من قهوات باريس المعدودة وهي القهوة الانكليزية Café Anglais وقالت ان أعضاء « الجوكي كلوب » حضروا احتضارها واحتفلوا تحت رئاسة البرنس يواقيم مورات بتأبينها وعزى بعضهم البعض على تصرم أنفاسها ثم ودعوها الوداع الاخير بأن شربوا مئات من زجاجات الخمور التي طال عليها القدم منها ما يرجع عهد عصيره الى سنة ١٨٧٤ والى سنة ١٨٦٥ والى سنة ١٨٥٨

ومن غريب الاتفاق ، انني بعد مطالعة هذا النعي ، أتاني صديق من زبائن الاسبلندد بار وقال : البقية في حياتك ! فقد عزمت شركة استين على استئجار نصف عمارة الخاصة الخديوية المشرفة على شارع كامل فتصبح الاسبلندد بار ، وهي محط رحال الأدباء ورجال القلم ، أثراً بعد عين ! ! فأخبرت صديقي بنبأ الماتين عن القهوة الانكليزية وقلت له : اذا صحَّ خبرك فليست الاسبلندد بار اول نادٍ حر للأدباء تذهب بِهِ الأيام او ينطوي ذكره ولا يخلد له خبر

وربما لا يوجد الآن في مصر عشرة يذكرون قهوة « انطون » وهي قهوة خشبية كانت مجمعاً للأدباء والمشتغلين بالسياسة والفلسفة في أواخر ايام اسماعيل . ففيها جلس جمال الدين ومحمد عبده وسليم تقلا وتحت ظلال اشجارها غرست اول بذرة لفك الشرقيين من قيود الاستعباد الفكري . وبقيت ملتقى لذوي الافكار الناضجة حتى عهد الثوره العرابية . ثم تحوَّلت ندوة للمغنى والرقص «البلدي» وأنشئت في مكانها عمارة بنك الكريدي ليونيه الحاضرة

ورغب الكثيرون من اهل الأدب ، بعد الاحتلال الانكليزي ، عن السياسة وتفرغ رجال النهضة الأدبية الى الأدب الخالص فاتخذوا قهوة « كتكوت » بشارع

المشهد الحسيني محطاً لرحالهم فكنت ترى في هذه القهوة « البلدية » الشيخ الشنقيطي الكبير ، والشيخ حسن الطويل ، وسلطان بك محمد — ايام كان شيخاً معمماً — والشيخ محمد النجار ، ومحمد افندي ابا الفضل ، والشيخ أحمد القوصي، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم . وكانت مجالسهم الليلية في هذه القهوة مجالس ادب راقية يتناشدون فيها الشعر وينثرون درر النثر ، ويتنقلون في رياض الأدب والتاريخ والمنطق من القديم الى الحديث . ثم فرقت بينهم أيدي الحدثان فمات البعض واشتغل البعض بشؤون الحياة وأصبحت قهوة « كتكوت » وقد خلت جوانبها من ذوي الالباب والفطن

وانشقّ اساتذة مدرسة دار العلوم وطلبتها عن اخوانهم طلبة الازهر الشريف فتألفت من اولئك حلقة جديدة في « قهوة باب الخلق » كان زعماؤها الشيخ أحمد مفتاح والشيخ الحلاوي والشيخ محمود ابو النصر والشيخ محمد المهدي يحيط بهم عدد من الانصار والمريدين من تلاميذ المدارس العالية وطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

ثم تغلب الاشتغال بالسياسة على النظر في الادب فكانت قهوات عمارة « متاتيا » الواقعة الى جانب البوستة والمحكمة المختلطة مثابةً لرجال القلم . فكان يجلس في طرفها المدعو « القهوة العمومية » الشيخ عبد القادر المغربي وعبد الحميد افندي الزهراوي والمرحوم حسين وصفي رضا — أخو صاحب المنار — وامام العبد والشيخ محمد الشرباتلي وعهدنا بالآخر ليس بعيداً . فقد كان يحرّر في القهوة كل يوم اربع او خمس جرائد اسبوعية فيأتيه صاحب احدى هذه الجرائد ويدفع له الاجرة فيقوم بعد ساعة ومعهُ كتابة تزيد على حاجة جريدته

واحتلّ القسم الاوسط المسمى قهوة « جراسمو » المرحوم ابراهيم بك المويلحي والى جانبه احمد افندي فؤاد صاحب الصاعقة وحافظ بك ابراهيم — قبل ان يضع رواية البؤساء ومحمود افندي واصف

واستأثر بقهوة « اسطمبول » — في عمارة متاتيا ايضاً — كتّاب الترك الاحرار

الذين نفتهم الحكومة العثمانية في عهد عبد الحميد ففيها كتب محمد افندي قدري — الكاتب التركي العربي الشهير — وأحمد بك سعيد — ناظر الضربخانة العثمانية سابقاً — وصاحب « ميزان » أبلغ رسائلهم التي هزّوا بها اركان السلطنة العثمانية وفيها بدأ السيد عبد الرحمن الكواكبي يبث آراءه الحرة في اصلاح الشرق وأهله

واتخذ بعض الادباء السوريين قهوة « مصوبع » بالفجالة « محلاً مختاراً » لاجتماعهم وكان يرأس هذه الاجتماعات الاستاذ ابراهيم افندي الجمال ويحضرها المرحوم ميشيل الحكيم وابراهيم افندي النجار والمرحوم خليل الجاويش وأخوه نجيب افندي الجاويش فيقضون ساعة ظهر كل يوم الى جانب البنك فيتناولون « الابريتيف » ممزوجاً بما رقّ وراق من بدائع المنثور والمنظوم

وراقت قهوة الشانزيليزيه في عيني حضرة العالم الفاضل صاحب الهلال ولكنهُ أبى ان يختلط بزبائنها فألف له حلقة من الادباء وبعض كبار موظفي الحكومة الذين يميلون الى الادب والادباء . فكان يحضر جلستهم كل ليلة سليم بك باخوس مدير الاموال المقررة في محافظة مصر وعزيز بك ابو شعر الموظف في نظارة الاشغال وحبيب بك دبانة من كبار موظفي المالية سابقاً ونعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في نظارة الحربية. وكان يتردَّد اليهم من حين الى آخر الشيخ يوسف الخازن ونجيب افندي مشعلاني واخوه تسيب وانطون الجميّل وامين تقي الدين وولي الدين بك يكن وسليم افندي سركيس . ومع ان القهوة عامة فان الغرف التي حجزت لهذه الفئة المباركة لم يكن يجسر على ولوجها غير اصدقائهم ومن يدعونهم لمشاركتهم في مباحثهم الادبية الرائقة

وكانت « المحروسة بار » معروفة لسنوات خلت بأنها مؤتمر عصبة شاعر الامير احمد بك شوقي . وكان شوقي نقطة الدائرة ويزين المكان بجانبه خليل المطران ويحيط بهم عشرات من ادباء المصريين ورجال القلم الفرنسويين وفي مقدمتهم كاستنر وكولورا وغيرهما فيقرعون الكاس بالكاس ثم ينصرف كلٌّ الى مكتبتهِ

و يعتشق قلبه لجارية زميله الذي شرب معهُ المدامة سائغة ! !

وزهت دولة التمثيل والممثلين تحت زعامة المطرب المبدع الشيخ سلامه حجازي فعمدوا الى « بار بريكلي » امام مرسح اسكندر افندى فرح فلم تكن تقع العين في هذا البار الاّ على ملحن ينشد دوراً او ممثلة تراجع فصلاً او مترجماً ينقل رواية جديدة فني ناحية فهيم وأبو العدل وعلى مائدة مريم سماط وميليا ديان . وفي منعرج الياس افندي فياض وعبد الرزاق بك عنايت وفي غرفة اللعب جماعة آخرون ممن ضايقتهم جلبة زملائهم ففضلوا عليهم كسب او خسارة بضع قروش في لعبة السبعة ونصف

وأنشأ المسيو « اندريا » في شارع عابدين قهوة خصصها لطلبة مدرسة الحقوق الخديوية وعنونها باسم مدرستهم فتهافتوا عليها وانضم اليهم جماعة من طلبة مدرسة القضاء الشرعي و بعض طلبة المدارس العالية الذين يسكنون في حي عابدين . فكان الجالس في هذه الندوة لا يسمع الاّ اسم فوستان هيلي ودالوز ومناقشات فتيان القضاء في الشؤون الادبية الحاضرة والاحوال السياسية الداخلية . ولبثت هذه القهوة زاهرة بأهلها حتى أنشيء نادي المدارس العالية وعنيت الحكومة بمراقبة التلاميذ ومنعتهم عن الاشتغال بالسياسة ثم سميت قهوتهم قهوة « الحزب الوطني » فقهوة و بار « القمر » ولا يزال الكثيرون من المحامين ورجال النيابة والقضاة الشبان يحنون الى هذه القهوة و يذكرون بها أحلى ايامهم التي قضوها فيها مشتغلين بالادب ودرس القانون

وقد اندرست هذه الاندية الحرة بتحوّل الأدباء عنها ولم يبق غير الاسبلندد بار التي يهددوننا بزوالها بعد ان رنت في ساحتها اصوات الادباء وأهل السياسة عشرين سنة متوالية ولم ينصفها احد بكلمة قبل حضرة الكاتب الفاضل اسكندر افندي شاهين رئيس المحرّرين في جريدة الوطن او بعده اذ كتب عن جمعيتها مقالة في مجلة سركيس منذ سنة هي كل ما أرخت بهِ هذه الندوة السياسية الحرة

توفيق حبيب

ثمرات المطابع



ما كان أهنأني وأسعدني لو كان ينفعُ معشري قلبي
أنا لي فؤادٌ لا أُنزّهُهُ لكن يراقبُ ما يقول في

ولي الديه بكمه

* التجاريب[1] — كتابٌ عني بطبعهِ ونشرهِ حضرة الفاضل فؤاد افندي مفيغب ، وهو مجموعة مقالات اجتماعية خطّها يراعُ أديبٍ من خيرة أدباء العصر ،

(١) مطبعة غرزوزي ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة وثمنه ٥ قروش صاغ

وأنزههم قلماً ، وأمضاهم بلاغةً ، عنينا به ولي الدين بك يكن الكاتب المشهور ، وصديق قرّاء « الزهور »

« التجاريب » تكاد تكون صفحةً من «الصحائف السود» ، ولم ينسَ القرّاء ما في « الصحائف السود » من تنهدات وزفرات تأخذ بمجامع الفؤاد ، وتحرّك كامن العواطف . في هــذه وفي تلك ، كما في « المعلوم والمجهول » أنّةُ رجلٍ حرّ صادق ، يردّد صداها قلم شاعرٍ ملَكَ أسرار البلاغة واستسلمت له عرائس المعاني . ولكنّ الشاعر في « التجاريب » كثيراً ما يشفُّ عن الوطني الذي يتألم مما آل اليهِ وطنهُ المفدّى ، ويحاول ان ينزل الى ميدان السياسة ليناضل عن حوزتهِ . ما جرى قلم وليّ الدين قط الاّ بما خفق بهِ قلبهُ وتحرّك له لبُّهُ ، وهــذا سرُّ تأثير كتاباتهِ . إقرأ مقدمة موءلفهِ الجديد تفهمَ بعض ما يخالج ذلك الصدر . وهاك المقدمة مكتوبة بخط يده

بمقدمة المؤلف بخط يده

كل ما يتعلمه المرء من حوادث الأيام تجربة . وما يستفيد التجربة مستفيدها الا وقد اشتراها بثمن يجره من الألم . ولو كنا نعنى بتقييد العظات وهي أنفع ما يبقى لفاضت من الكتب الضخمة رسالات . وجل ما يسلم من النسيان قليل . وفي ذلك الفضل ذكرى اذا استفادها المرء وجد راحة في استفادتها . هذه آلام مصورة وشكاوى متحجرة . هذه هدية الفؤاد المقروح الى الأفئدة المقروحة . من الأفئدة منجيا تتعارف به من تتآلف اذا لم تنفع اليوم تنفع غدا

ولي الدين

فنشكر صاحب « التجاريب » على هديتهِ ، ونحن واثقون أن فيها النفع الجزيل لكلّ من يطالعها ، وان كلّ أديب يحبُّ الأدب وذويه سينافس باقتنائهـا وهي خير مقتنى

* سرّ تطوُّر الأمم [١] — اذا سألتَ عن افراد رجال القانون والقضاء والتشريع في مصر ، يُذكر لك في مقدمة من يُذكر سعادة احمد فتحي باشا زغلول المحامي فالقاضي فوكيل نظارة العدل . واذا سألت عن نخبة المؤلفين والكتّاب الاجتماعيين الذين أفادوا بلادهم بما كتبوا وسطّروا ، يُورد لك ، في طليعة الاسماء اسم احمد فتحي زغلول ، صاحب « سرّ تقدُّم الانكليز السكسونيين » و « روح الاجتماع » و « سرّ تطوُّر الأمم » الخ . وعند ما سألنا ، في السنة الماضية ، جمهور القراء عن نوابغ مصر الاحياء ، ورد ذكر فتحي زغلول في جملة هؤلاء النوابغ . فكلُّ ذلك ينبئُ عن قدر الرجل وفضله واجتهاده ، وعن تقدير الأمة والحكومة لخدماتهِ الجليلة ولصفاتهِ العالية

وآخر أثرٍ أتحف بهِ سعادتهُ عالم المطبوعات هو كتاب « سرّ تطوُّر الأمم » لواضعهِ الكاتب الاجتماعي « الدكتور جوستاف لوبون [٢] » وقد تناول فيهِ ابحاثاً خطيرة وموضوعات جليلة فبحث في مذاهب المساواة في العصر الحاضر وروح التاريخ ، وطباع الشعوب النفسية ، وظهور أخلاق الأمم في عناصر مدنيتها ، وتاريخ الأمم باعتباره مشتقاً من أخلاقها ، وتحوُّر صفات الأمم بتأثير المبادئ والمعتقدات الدينية ، وتحلُّل الخُلق وسقوط الأمم الى غير ذلك من الابحاث الاجتماعية التي بأتت تشغل الخواطر وتستوقف أبصار المفكّرين . وقد نشرنا في غير هذا المكان من هذا الجزء فصلاً يدلُّ على نمط الكتاب واسلوب المترجم

---

(١) طبع بمطبعة المعارف عدد صفحاته ٢٢٠ وثمنه ١٠ قروش صاغ

(٢) L'Evolution des Peuples par Gustave Lebon

قال حضرة الكاتب المفكّر احمد لطفي بك السيد في فصل كتبه في « الجريدة » عن الكتاب الذي نحن بصدده انهُ عاد فتحي باشا في منزله وقد ابلَّ من انزعاج ألمَّ بهِ فوجده في مكتبهِ بين أوراقهِ ومحابره مشتغلاً بوضع شرح للقانون المدني المصري ، فسأله : « أبهذا ترتاض يا سيدي الباشا ؟ » فقال : « هذه رياضتي » وأشار الى كتاب « سرّ تطوُّر الأمم »

فرجلٌ هذه رياضتهُ وهو على ما يعرفهُ الناس في مركزٍ يشغل معظم وقتهِ ويستغرق عمله الجهد العظيم لجديرٌ باحترام الأمة التي يخدمها بامانةٍ وعقلٍ ونشاط

« تاريخ الصحافة العربية [1] — من الأعمال الشاقة على المؤرخ كتابة تاريخ صادق عن الصحافة العربية . وقد طالما بحث الباحثون في هذا الموضوع ولكنهم لم يفوهُ حقهُ ، ولا محَّصوا اخباره ، لكثرة ما اعترضهم من المصاعب فان الصحف التي ظهرت في بدء النهضة الحالية قد أمست اليوم نسياً منسيًّا ومات اكثرها بموت أصحابها فلم تحفظها مكتبة ، ولا ادَّخرها أديب . لذلك حاول حضرة الوجيه الفاضل الفيكونت فيليب دي طرَّازي ان يكتب هذا التاريخ غير مكترث لتلك العقبات فنقَّب كثيراً وبحث مُجدًّا حتى توفَّق الى معرفة ما فات غيره من الحقائق فوضع التاريخ المذكور وهو يحتوي على اخبار كل جريدة وكل مجلَّة عربية ظهرت في العالم حتى يومنا الحاضر ، مع جملة حسنة من صوَر أصحابها ومنشئيها وكتَّابها ، وشفع ذلك كله ببيانات وافية عن حياة كل جريدة ونزعتها السياسية أو خطتها الأدبية فكان مؤلَّفه هذا أشبه بقاموس يُرجع اليهِ ، ويستفاد بهِ . وبين أيدينا الآن الجزء الأول منهُ وهو يقع في ١٥٠ صفحة مطبوعة طبعاً جيلاً . فنثني على الكاتب احسن الثناء ونتمنى ان يقدّر الأدباء عمله قدره فيكون لكتابه ما يستحقه من الرواج

---

(١) طبع في المطبعة الادبية في بيروت ويطلب منها ومن مؤلفه

* القواعد الجلية في علم العربية [1] — هذا الكتاب لواضعهِ المفضال حضرة الأب جبرائيل ادّه اليسوعي من اشهر الكتب المدرسية في علمي الصرف والنحو وقد درس فيهِ قواعدَ العربية عددٌ كبيرٌ من النشـأة وعرفوا سهولة اساوبهِ وحسن ترتيبهِ . وقد أعاد طبعهُ الآن حضرة العالم الأب خليل ادّه وأبرزه في حلة جديدة من حيث التقسيم والضبط فزاد في جلائهِ وضبطهِ وزفّهُ الى تلاميذ الصفوف المختلفة في ثلاثة أجزاء جميلة الشكل ، متقنة الوضع ، مثل كلّ ما تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين

* دمعة القلم [2] — جمع تحت هذا العنوان حضرة الفاضل حنا افندي نقّاش ما قاله الادباء ونظمهُ الشعراء في رثاء الوجيه المحسن المرحوم جورج كرم احد اعيـان السوريين في الاسكندرية وكلها تدلُّ على ما كان للفقيد الكريم من المكانة والمنزلة السامية في قلوب عارفيه على اختلاف طبقاتهم

* من امير الى سلطان — رسالة قدَّمها المغفور له البرنس مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ . وهي تتضمن آراء في اصلاح المملكة العثمانية مبنية على نظريات صادقة واختبارات شتى ترجمها الى العربية سعادة احمد فتحي باشا زغلول ونشرتها مطبعة المعارف . وهي من الرسائل التي يجدر بالقراء مطالعتها في الآونة الحاضرة

ثلاثة تُكبّر الانسان عما هو : الرزانة والكرم والعفو

وثلاثة تُبقي الانسان على ما هو : التشبث بالرأي ، والاحتفاظ بالفوائد ، والبعد عن النصيحة

وثلاثة تصغّر الانسان عما هو : البخل والأنانية واللؤم

---

(١) المطبعة الكاثوليكية في بيروت　　(٢) مطبعة غرزوزي بالاسكندرية

ازهار واشواك

مصائب قوم...

قرأتُ في الجرائد أنّ فريقاً من أقارب غرقى الباخرة « تيتانيك » التي يذكر القراء خبر غرقها منذ مدة في لجج الاوقيانوس ينوون ان يقاضوا الشركة امام المحاكم ويطالبوها بالتعويض المالي . ويبلغ مجموع ما يطلبون ثمانية ملايين ريال او اكثر

وفي مقدمة المطالبين بالتعويض — بل المطالبات لأن الاكثر نساء — مسز هريس فانها تطلب ٢٠٠ الف جنيه مقابل غرق قرينها و ٥٥٠٠ جنيه قيمة الامتعة التي فقدتها هي وفي جملتها عقد من اللؤلؤ ثمنه الفا جنيه

ومنهنَّ مسز كارديزا تطالب بمبلغ ٣٥ الف جنيه ثمن ما فقدت من الملابس والحلي : بينها ماسة قرنفلية اللون قيمتها أربعة آلاف جنيه ، ودبابيس لبرنيطتها قيمتها مئة جنيه ، وجونلاً بيضاء قيمتها ١٩ جنيهاً !!

ومنهنَّ مسز ملت تطالب بمبلغ ٢٠ الف جنيه ثمن قرينها المفقود . ومسز فورتيل تطالب بمبلغ ٦٠ الفاً ثمن قرينها ايضاً وبمبلغ ٢٠ الفاً ثمن صورة بالزيت تمثّل « جركسية في الحمام » وبمبلغ ١١ ألف جنيه ثمن ١١٠ آلاف قدم من الرقوق التي تطبع الصور المتحركة عليها

ومنهنَّ الكونتس رودس تطالب بألفي جنيه مقابل أمتعتها الشخصية منها خاتم ماس ثمنه ٢٠٠ جنيه

وبين أصحاب القضايا رجل وامرأته يطالبان بمبلغ ٣٠ ألف جنيه عن ابن فقد هو وقرينته وأولاده كلهم . صدق والله الشاعر القائل :

بذا قضتِ الأيام ما بين أهلها   مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

من وليّ الدين

بين ولي الدين بك يكن وصاحبَي « الزهور » إلفةٌ بلا كلفة . وقد دارت بينهم مراسلة لطيفة منذ سافر ولي الدين الى الثغر الاسكندري . واعتاد صاحب « المعلوم والمجهول » في رسائلهِ ان يجعل مدير هذه المجلة ومنشئها شخصاً واحداً بأن يشتقّ لهما اسماً مركباً من شطرٍ من اسم هذا وشطرٍ من اسم ذاك

ولعلَّ في هذا الاشتقاق خير ردٍّ على الدكتور شميّل وغيرتهِ . ومن محاسن الاتفاق ان وقعت بيدي آخر رسالةٍ كتبها ولي الدين ، فأحببت ان أضمها الى أزهاري لما فيها من عرف الإِخلاص وأريج المودّة الصادقة ، قال :

رمل الاسكندرية — محطة مظلوم باشا في ٧ مارس سنة ١٩١٣

أخي انطون تقي الدين

أنا أسير الفراش من منذ آخر كتاب أنفذته اليك . وهذا الكتاب أسطّره على ذلك المضجع الخشن . طال أمد السقام وأوحشتني الصحة . ويا ليتني اذ لم أفز بالصحة فزت برقدة يستريح الجسم فيها . لا هذه ولا تلك . افٍ لأحكام المقدور . قصارى الانتصاف أن اكون لديه صاغراً .

مضت لياليَّ كلها في سهادٍ مطّرد . ما عالجتُ النوم مرّة ، وقرَّبته مني قيد شعرة . أضطجعُ على سريري ، وآخذ الكتاب من الكتب أقرأهُ حتى آتي على آخرهِ . ولقد أقرأهُ وأنا لا أفهم ما فيهِ . تلك استعانتي على أهاويلِ الدياجي ، استعانة الضعيف بأضعفِ الحيَل

ولقد صبَّحتني اليوم « زهورُك » ، وأنا على سريري قائمٌ كأنفِ عبد الحميد على وجههِ . فاذا « الزهور » تبشّرنا باستهلال سنتها الرابعة — أطال الله عمرَ الزهور

وعمرَي كاتبيها وصاحبيها . الآن وجبت التهنئة . ولكن هيهات ! لا يهبط الالهام على الشاعر الموجع

أمّا وصفك « لفروق » ونوحُك عليهـا ، فقد هزّا روحي هزّا . رعى الله « فروق » ما أفتنها . هي أوّلُ ثغرٍ بسم لوجهي بعد ثغرَي الوالدين . ثمَّ لم ألقها بعد ذلك الاَّ باكيةً وباكياً . إئتلفت العناصر فقامت بها الاشياء . وقامت «فروقُ» من عنصر واحدٍ لست أدري ما هو ، ولكنَّهُ عنصر يُظلم عنده الراديوم . كنت أشتاق الى « فروق » وأنا فيها ، فما أنا صانع وأنا ناءٍ عنها . ان أمَّة تضيع مثل « فروق » لمضياع . غير أن « فروق » ناشز . لا تدوم على ودّ . ليتها لم تكن . وليتها اذ كانت كانت في دون هذا الجمال

عفا اللهُ عنك ! أثرتَ شجوني ، وأنا أكاد أعجز عن اجالة القلم ضعفاً . ولقد قلت

ما لهـذا السقام لازَمَ جسمي　　حَلّ مني ما بينَ عظمي وجلدي

كلَّ يومٍ أذوبُ شيئاً فشيئاً　　ولقد ذابَ قبلَ ذلك كبدي

فاذا صرتُ في التراب دفيناً　　خبّروا الشعرَ أنهُ ماتَ بعدي

تعبتُ وكنت أودُّ أن لا أتعب ، لأحدّثك طويلاً ، لأساجلك الدموع . وانَّ أمامي لثلاث قصائد كاملة هي هديتي « للزهور » ولكني لا استطيع نسخها ، وخطها مشوّش . فاصبر ، عسى ان تراجع الحياة شاعرها ، فيصدقك روايتها ، سلامٌ عليكَ وشكر لك على ما تولبني من العناية . *** ليس بشاعر . ولكنـهُ رصّاص سرّاق وهو ينسج على منوال الطبقة السافلة من أمثال ابن النبيه والصفي الحلي والشابّ الظريف وابن الفارض من الشعراء الحشّاشين او شعراء البديع . وما زال يعانق غصنَ البان والأراكِ حتى لواهُ — لواهُ الله !

اكرر سلامي وتحياتي . وافني باخبارك سلامتك　　　　أخوك

ولي الدين يكن

خمسة جنيهات للرافعي

بيتان من الشعر أُعجب بهما الشيخ احمد آل ابرهيم أحد سراة الهند ، فأحبَّ ان يعرف شاعرهما ، فسأل عنهُ وديعاً البستاني سميرَه الأديب ، فخانتهُ الذاكرة ، فسأل صديقتهُ مجلة « الزهور » فلم توفق اكثر منهُ ، فحوّلت السؤال بدورها اليَّ ، فكان حظي من الشاعر حظ من سُئل قبلي ، فطرحتُ السؤال على قرّائي في جزء سابق ، فلم تخب آمالي ، لأنّ بين قرّائي نخبة الادباء المتضلّعين ، وجاءني الجواب الشافي من أبي السامي مصطفى صادق الرافعي وقد نشرته (ص ٤٩٤ سنة ٣) وضمنتُ له حينئذٍ جائزةً من آل ابرهيم . فُحققّت آمالي للمرة الثانية ، وكان حظي من قرّائي الاغنياء حظي من قرّائي الادباء . فما لبث بريد مصر ان حمل الى الهند ذلك الجواب حتى وافاني بريد الهند بكتابٍ تضمن الجائزة المؤمَّلة ، وهي حوالة بخمسةٍ من الذهب ، أدفعها للرافعي حين الطلب . . .

بورك في آل ابرهيم الكرام ، وبورك في البستاني الصغير ، وبورك في الرافعي الأديب ، بركة شملتهم جميعاً ولم ينلني منها لا خيرٌ ولا أذى ، وانما حسبي من أبي السامي الرضى . . . حاصر

ثروة هائلة

تقولُ العربُ في أمثالها « أغنى من قارون » . ولكن التاريخ لم ينبئنا عن مبلغ غنى الرجل ، لنقابل بين ثروتهِ وثروة ملوك المال في عصرنا هذا : توفي في الشهر الغابر المثري الاميركي الشهير بيير بونت مورغن عن ثروةٍ قلما اجتمعت لرجلٍ ، وقد قدَّرتها الدايلي تلغراف بمبلغ يتراوح بين العشرين مليوناً والمئة مليون جنيه ، وقالت ان السبب في هذا الاختلاف الكبير في التقدير كون مورغن يملك كثيراً

من التحف القديمة التي دفع بها أموالاً طائلة كالصورة التي اشتراها بمبلغ ١٠٠ الف جنيه . فاذا أريد بيعها لم يشترها أحد بذلك المقدار . وقالت أيضاً ان ثروته الخصوصية دون ثروة المستر روكفلر والمستر كارنيجي بكثير ولكن قيمة الشركات والاعمال المالية التي كان يتولاها مورغان تفوق كل ما تولاه انسان قبله . وقد قدرتها التيمس بمبلغ الفي مليون جنيه وهو قدر يبلغ عشرة أضعاف الغرامة الهائلة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حربهما المشهورة . على ان كاتباً في الديلي تلغراف قدَّر تلك القيمة بمبلغ ١٣٠٠ مليون جنيه وقال ان هذا القدر يزيد ٢٠٠ مليون جنيه على الدخل السنوي لأمم الارض الكبرى وعدتها ٤٣ امة . وهو يزيد ٤٠٠ مليون جنيه على جميع ما في الارض من الذهب المسكوك نقوداً وغير المسكوك

ولو بدأ انسان يعد هذا المال من ساعة ولادته على نسبة جنيه في الثانية وبقي يعد ويحسب الايام كلها بلياليها من غير انقطاع لانتهى من العد وهو ابن ٦٣ سنة

على ان أعظم من هذا القدر هو قيمة الاعمال المالية التي كان مورغن يتولاها وللمستر روكفلر سهم كبير فيها . ففي السنة الماضية عين مجلس النواب الاميركي لجنة لتحقيق ما لهذه الشركة من التأثير في شؤون البلاد المالية والصناعية . وبعد تحقيق دام عدة أشهر وضعت اللجنة تقريراً قالت فيه إن في أيدي الرجلين ٣٦ بالمئة من ثروة أميركا المتداولة بين الأيدي ومصادرها الطبيعية وقدَّرت قيمة ما تمتلكه هذه الشركة بمبلغ ٧٩٥٠ مليون جنيه . منهُ نحو ٣٠٠٠ مليون قيمة أعمال صناعية . ونحو ٣٤٠٠ مليون قيمة سكك حديد . ونحو ٨٠٠ مليون قيمة بنوك وغيرها من المعاهد المالية . و ٢ مليون قيمة مناجم من بترول وغيره . ونحو ذلك قيمة اعمال اخرى

ولبيان عظم هذا القدر تصوَّرْ ان رجلاً شرع يعدُّه على نسبة جنيه في الثانية من عهد موت كرومويل في انكلترا ومزاران في فرنسا لانتهى من عدّهِ في هذه السنة الجارية بفرض انهُ عاش هذه المدة كلها وطولها نحو ٢٥٠ سنة . ولو شرع في عدّه من الآن لانتهى سنة ٢١٦٣

ولما توفي مورغن أوقفت بورصة نيويورك الاعمال حداداً عليهِ خمس دقائق وهذه أول مرة أوقفت البورصة أعمالها هذه المدة الطويلة ! ! منذ نشأتها اكراماً لرجل من الناس

كان مورغن قليل الكلام كثير الكلف بالايجاز . قابل امبراطور المانيا فقال : « قابلت الامبراطور فأحببتهُ » . أما الامبراطور فقال فيهِ :

« لم أجد في حديثهِ دليلاً على انهُ مدرك تمام الادراك ما في العالم التجاري من أسباب الائتلاف والاختلاف . وقد أدهشني جهله لتقدم الامم التاريخي والفلسفي . وليس في سياستهِ الاقتصادية (أو اقتصاده السياسي) محل للاهتمام بالاشتراكية التي ستصبح عن قريب أعظم المسائل حيثما كان . وقد اعترف بأنهُ لم يهتم بها الى حد ان يعرف حقيقة ماهيتها »

تزوج مرتين . ففي الاولى قصد باريز سنة ١٨٥٩ لرؤية خطيبته وكانت مريضة بل مسلولة فامتنعت عن الزواج طبعاً فأقنعها مورغن بأن تتزوجه وقال : « اني أدور بك الارض لتعود اليكِ صحتكِ » . فاقترن بها سنة ١٨٦١ وانقطع عن الاعمال وتفرَّغ لعمل كل ما يُحسّن صحتها . ولكن ذلك كله لم يجدِ نفعاً ، فتوفيت بعد زواجها ببضعة أشهر . وعاد فأكبّ على أعماله كعادته ولم يتزوَّج ثانية الاّ بعد مضي ثلاث سنوات على زواجه الاول

كان مورغن لا يضنّ بدفع الرواتب الهائلة عند الحاجة . واكبر راتب دفعهُ هو او غيره الى مستخدم ، ما عدا رواتب الملوك ، هو مبلغ خمسين الف جنيه للمستر دوكنس وكيل المالية المصرية سابقاً والسير كلتون دوكنس فيما بعد . فانهُ لم يكد يستعفي من مصر ويعين عضواً مالياً في مجلس والي الهند حتى عرض عليهِ مورغن خدمة عنده بالراتب المذكور وضمن له الراتب . فقبل ولكن لم تطل مدة خدمته عنده لأنهُ مات بعد سنوات قليلة من فرط الجهد وتراكم العمل عليهِ

دروس

« يجب ان نأخذها من النحلة »

تعلمنا النحلة : —

١ المثابرة على العمل ، لأن النحلة لا تتخلّى عن عملها قط
٢ الاخلاص والطاعة ، لأن النحل يحب ملكتهُ و يطيعها
٣ محبة الأوطان ، لأن النحلة لا تترك بيتها الاّ للضرورة ولوقت قصير
٤ النظافة ، اذ لا أنظف من بيت النحلة وخليتها
٥ الرفق والعطف على الآخرين ، فالنحلة لا تترك رفيقة لها في ضيق
٦ وجوب الاستيقاظ باكراً
٧ وجوب التمتع بالهواء النقي
٨ المسالمة والمودّة ، فقلما تشاجر النحل

وصايا الحكماء

* أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك . ويوم أنتَ فيهِ لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهلهُ (الابشيهي)

* اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقيل اذا ارتفع الشريف تواضع واذا ارتفع الوضيع تكبَّر (القيرواني)

* سُئل سقراط : لماذا لا تتكلم. أجاب : خلق لي أذنان وفم واحد لكيما يسمع الانسان اكثر مما يتكلم

* قال رجلٌ : أصعبُ الاشياء ان ينال المرء ما لا يشتهيهِ . فسمع كلامهُ بعض الحكماء فقال : أصعب من ذلك ان يشتهي ما لا ينالهُ (العاملي)

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقيّ الدين

الجزء الثالث — مايو (ايار) ١٩١٣ — السنة الرابعة

شاعرية خليل مطران [1]

على راية الفرقة يعلّق القائدُ شارةَ المجد والشرف ، عند ما يبلي أفراد تلك الفرقة البلاء الحسن في مواقع القتال . . .

وفي ميدان النهضة الادبية الحديثة أبلى شعراؤنا بلاءً حسناً ، فكأن سموّ افندينا المعظّم قد علّق تلك الشارة على رايتهم اذ وضعها على صدر شاعرنا خليل مطران . . .

فليهنأ الخليل حامل لواء الشعر العصري ؛ وليهنأ النيشان الذي حلّ على صدر يحوي الدرّ والجوهر؛ وليُحمَد مليكُ البلاد على آلائه وليُشكر...

أما بعد . فقد رأيت أن خير ما يصاغ من التهاني في مثل هذا الاحتفال الزاهر هو حديثٌ أُطارحكم اياه ، ايها السادة ، عن المحتفَل بهِ وعن شاعريته . فأقول :

« منشدٌ للغرامِ لم يشدُ إلاّ كان إنشادُهُ نواحاً شجيًّا »

(١) خطاب قدّمه منشىء هذه المجلة الى « مجلة سركيس » بمناسبة حفلة تكريم خليل افندي مطران

« شاعرٌ كان عمرُهُ بيتَ تشبيبٍ　　وكان الأنينُ فيهِ الرويَّا »

« إنَّ في نظمهِ لحسًّا لطيفاً　　باقياً منهُ في السطورِ خفيًّا »

هي أبيات كتبها خليل مطران على الصفحة الأولى من ديوان الشاعر الفرنسوي « ألفرد ده موسه » . ولا يسع من ينظر فيها الا ان يقابل بين حالتَيْ الواصف والموصوف ، وشعر الأول والثاني ، فيجدها تنطبق أتمّ الانطباق على الاثنين : كأن الشاعرَ العربي وصف حاله لما وصف حال الشاعر الافرنجي . . .

من المعروف أن لحياة الكاتب ، والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيهِ تأثيراً كبيراً في كتابته . ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل :

دبّ شاعرنا وشبّ تحت سماء سوريا الجميلة ، بين جبالها وقممها البيضاء ، أمام بحرها الصافي وأمواجه الزرقاء ، فجاء شعره رقيقاً لطيفاً... ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة ، فكان إنشاده نغماً عظيماً . عاش تارة في القرى والجبال، فتشرّب حب الفضيلة والطبيعة ، فأسمعنا الشعر زاهراً طاهراً ؛ وعاش طوراً في المدن ، فراعه ما فيها من التعاسة والشقاء ، فألقى علينا إنشاده مبكياً زاجراً

قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجهُ مدارجةً تمثّلهُ لديهِ في كل حالة مرَّ بها » ولقد أصاب في ذلك ، فان شعره بالحقيقة رسمٌ تمثّلت لنا فيهِ كل أطوار صاحبه ، وارتسمت بين أبياتهِ كل عواطف قلبه ، وتأثرات فؤاده . وهذا سرُّ محاسن شعره العديدة

وصف لنا خليلٌ حياته في صباه ، بين آثار بعلبك ، فتمثلناه :

« نَزَقاً بينَهنَّ غرًّا لعوباً لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبارِ »
« مستقلاًّ عظيمَها مستخفاًّ ما بها مِن مهابةٍ ووقارِ »
« نتبارى عَدْواً كأنَّا فراشا روضة ما لنا من استقرارِ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

« في هجرةٍ لا انسَ فيها للغريبِ ولا صفاء
تتقاذفُ الآفاقُ بي قَذْفَ العواصف للهباء
وتُحيطُ بي لججُ الصروف فمن بلاءٍ في بلاء »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطراً شطراً ، من مطالعة ديوانه سطراً سطراً

قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر ؛ وهذا ما قوّى فيهِ الخيال والشعور . ومعروفٌ أن هاتين القوّتين هما جناحا الشاعر يحلّق بهما الى أعلى سماء الشعر ؛ ويأمن تهشمهما اذا كان العقل رائدهُ في حياته العلوية . وقد قال في مقدّمة ديوانهِ إنَّ شعرَه هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال» أي انَّ الذي أوحاهُ هو الحسُّ والعقل والمخيَّلة . وهذا هو التقسيم الذي نتبعه في درس شعره :

١ — الخيال :

هو أقوى قوانا العقلية لأنه وحده القوة الفاعلة الموجِدة ، وسائر القوى ، كالحس والحافظة والعقل ، ليست الا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدَّه مرمونتل « صورة تتكلم او كلاماً

يصوّر » ، وهو كذلك ، يكون الخيال شرط الشاعرية الأول . وقد قيل: « الشعر هو ابنُ الخيال البكر » . وبفضل هذه القوّة يفوق الشاعرُ المصوِّرَ ، لأنه بكلمة واحدة كثيراً ما يمثّلُ لنا مشهداً يقتضي تصويره ألواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيراً ما رأينا « خليلاً » أدقّ تصويراً وأبلغ رسماً من أمهر المصوّرين ، فاذا وصف مثلاً الجنديَّ الجريح وقائده يقلّدُهُ وساماً ، قال :

« . . . . . فقلّده وساماً		وكلُّ جراحةٍ فيهِ وسامُ »

واذا كانت نفسهُ مثقلةً بالهمّ ، يرى ذلك الهم

« . . . . كبحرٍ		ضمَّ في جوفهِ البعيد غريقا »

واذا شكت عينهُ المسهَّدة طول الليل ، فهي :

« تحسب السرجَ في حشاهُ قروحاً		وترى الشهبَ في سماهُ حروقا »

وهذا بيتٌ تكاد تكون كلُّ كلمةٍ فيهِ صورةً حسية

واذا تبسم أمامه عبدٌ يرى ابتسامهُ

« . . . مثل وميضٍ في حالكٍ مسودّ »

ويرى الليلة الجميلة :

« أشبهَ بالجاريةِ الغراء		في حلةٍ شفافةٍ سوداء »

واذا تمثّل الشمسَ منيرةً في كبد السماء ، تصوِّر له مخيلتهُ المتقدة هذا المنظر تصويراً يعجز عنه قلم المصوّر ، فيقول :

تبعثُ الشمسُ باهراتِ شعاعٍ		تقتدي بانحدارِهـا شبهَ زُبدِ
فهي في الافق تارةً مسحاتٌ		ـن بهارٍ وتارةً نثرُ وردِ

وهي بين الغصون نسج دقيقٌ   من نضارٍ يشفُّ عن لازوردِ

واذا خاطب الغادة الحسناء، قال لها :

أنتِ ابتسامٌ صيغ في قطرةٍ   من الندى في قَبَسٍ من صباح

واذا رأى قرطين (حلقاً) في أُذن تلك الحسناء تصوَّرها « دُرًّا جرى من صَدَف »

واذا رآها مكللةً بزهر الفل أعجب « بالورد يحمل فلاً »

واذا كانت تلك الغادة مقبلةً رآها :

« .... كالغصنِ أثقلهُ الجنى   فمال قليلاً واستوى متقوّما »

واذا وصف الصبيةَ اللعوبَ الطروب، قال فأبدع وصفاً وتشبيهاً :

« ضحّاكةٌ كالنَورِ في الزهَرِ   رقّاصةٌ كالغصنِ في الوادي »

« كرّارةٌ كنسيمة السحرِ   ثرثارةٌ كالطائرِ الشادي »

وهل تكون مثل هذه الفتاة اذا نزل بها همٌّ الاّ :

« كطائرٍ راقهُ غديرٌ   فرفّهُ جانحاً وطارْ »

واذا عبث الهواء بشعرَها قال :

« وتناثرت ضفرُ الفتاةِ غمائماً   سترت عن الأبصار طلعة نجمها »

واذا وصف الولد الذي لا يقرُّ له قرار، قال :

« كزهرة روض تمرُّ بها   فتقلقها النُسُمُ السائره »

واذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها كالجنّ في جدِّ العواصف تلعب » واذا وصف سلطة الملك صاحب الشوكة والاقتدار، قال :

« أنت الرجاء فأي شيء ترتجي والروعُ انت فأي شيء ترهبُ »
« والملكُ جسمٌ أنت فيــهِ هامةٌ ويداك مشرقُ شمسهِ والمغربُ »

أو قال ايضاً فأجاد :

« وكأنَّ درَّة سيفهِ عينٌ ترى ما تحت قائمِ سيفــهِ آجالا »

فما أبلغ هذه الاستعارات والتشابيه وما أجمل !

واذا وصف جبلاً مزحلقاً صوَّره :

« كثيرَ الثلوم كأنَّ الفتى اذا زلّ يهوي على مبردِ »

وهو بيتٌ من قصيدةٍ عصماء عنوانها « فتاة الجبل الاسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاءَ التفنن . من ذلك انه عندما يصفُ جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحةِ القتال لا يصفهُ كما وصف جمال غيرها من الحسان ، بل يراعي مقتضى الحال ، ويستعير كل صوره من التعابير الحربية ، فيقول :

« لهيبُ الحروبِ على وجنتيهِ والنقعُ في شعرهِ الأسودِ »
« وفي عينهِ مثلُ برقِ السيوفِ وظلُّ المنيــةِ في الأثمدِ »

وعند ما تنكشف حقيقة هذا الفتى — أو بالأحرى هذه الفتاة — فتكشف عن صدرها أمام قائد الأعداء ، يُبدع خليل في وصفها أيما ابداع اذ يقول :

وأبرز نهدَي فتاةٍ كَعابٍ بطرفٍ حيّي ووجهٍ ندي
كَحُقَّيْ لُجَيْنٍ بقفلَي عقيقٍ وكنزين في رَصَدٍ مرصدِ
فكبَّر مما رآهُ الأميرُ وهلّل كلٌّ من الشُّهَّدِ

وراعهمُ ذانك التوأمان وطوقاهما من دم الأكبدِ
ووثبُهما عنـد ما أُطلقا الى ظاهر الدرع والجسدِ
كوثبِ صغار المها الظامئاتِ نفرْنَ خفافاً الى موردِ

ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحي المخيلة الى شاعرنا من لطائف الابتكار . وله قصيـدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع الصورَ وملعب الخيال . وقد جعلتهُ بحقٍّ يسمى «شاعر بعلبك والاهرام» وبالاجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليهِ أبصاره ، فيحقّ له ان يقولَ كما قال لعروس شعره :

وأبدلُ نور الشمس ما شاءتِ المنى عقيقاً وتبراً ساكباً ونضارا
وأنظمُ من زُهر الدجى لكِ خاتماً وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا
وأصنعُ نوطاً باهراً من هلالها وأنسج من غزل الضياء دثارا

وهذا الذي وضع خليل في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف .

اما في الشعر القصصي والخطة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب ، فاقرأوا « عين الأم » و « نابليون الاول » و « ليمون يوسف افندي » و « حكاية شاعر » و « شهيد المروْة » و « العصفور » و « العقـاب » و « مقتل بزرجمهر » و « الطفلة البوبرية » و « حكاية عاشقيـن » و « الجنين الشهيد » الخ تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع

على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً . اذ يكون نظمهُ والحالة هذه بارداً جامداً ، نرتاح اليهِ ونجد فيهِ بعض البهجة ، لكنهُ لا يحرّك فينا ساكناً ، ولا يثير شعوراً كامناً ، كما نرى ذلك في شعراء الوصف ؛ فان هناك ركناً آخر يقوم عليهِ بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ — الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الاّ مدامع ذرفتها ، وزفرات صعّدتها ، وقطع من الحياة بدّدتها ؛ ثم نظمتها فتوهمت اني استمدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » . بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثر في النفس وان خلا من كل صورة ، لانهُ صورة الحياة الحقيقية . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . كقوله مثلاً في « مشاكاة » وهي من اوليات قصائده :

« أرى مثل سهديَ في الكوكبِ ... أحلَّ بهِ مثلُ ما حلَّ بي
يهيمُ هياميَ من وجدهِ ... ويهربُ من مهدهِ مهربي
ونجتازُ هـذا الفضاء الرحيبَ ... إلاَّ بنـا فهو لم يرحبِ
فيا نجمُ ما النـارُ تُفني حشاكَ ... وما سيلُ مدمعك الصيّبِ
أسِرٌّ هواكَ الى صاحبٍ ... يؤاخيك في همك المنصبِ
اما كلُّ ذي كلفٍ متعبٍ ... شريكٌ لذي الكلفِ المتعبِ »

فهذه أبيات كلها رقةٌ وشعور على خلوّها من الصوَر وأساليب البديع . وان في المواضيع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل لبرهاناً واضحاً على شعورٍ كبير مقرون بخيالٍ حادّ . فالحادثة البسيطـة تُهيج عواطفَهُ وتثير اشجانهُ . فينظمها ويجيء نظمُها محرّكاً عواطف قارئهِ مهيجاً احزانه . اسمعهُ يتكلم عن مهد الطفل تظنهُ الأم الحنون :

ويهزّهُ خفقُ الفؤادِ　　على مناجاةِ الضمير

واذا سمع ذاك الطفل يناغي في مهده ، فضَّل مناغاته على هديل الطيور وتغريد البلابل

« . . . . فكأنما　　أنشدَ علّم الطيورَ النغما »

« وجمعَ الأملاك حول المهدِ　　يُسمعها شدوَ المنى والسعدِ »

هو يشعر بالألم فيصوّر لنا الفؤادَ المتألم :

« كشلوٍ بأنيابِ الهمومِ مبضّعِ » .

ويدري اي تأثير يصيبُ القلبَ المجروح فيمثّل عواطفهُ المكسورة

« كجرحٍ قد ألفتُهُ بلمسي　　وإن هو مسّهُ غيري أُضامُ »

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال «لامرتين» ان فيها من الشعر اكثر مما في دواوين جميع الشعراء ، فيمثّل لنا الدموعَ غاسلة كل إثم ، مطهرة من كل دنس

هو ذاق من الحب حلوهُ ومرّهُ فيمثّل لنا الحب تارة غاية الحياة ، وطوراً الباعث على كل أمرٍ عظيم

والحبُّ ألزمُ للارواحِ ما عظمت　　وقد يكونُ لها أدعى الى العِظَمِ

أما تحديده للحب فهو :

الحبُّ في المعنى العميم الكامل　　معنى المراحم والفداء الشامل

يعرف أن قلب الانسان يعيش ويفنى من هذه العاطفة في وقت معاً فيقول :

اسكريني على الدوام وأفني　　مهجتي أدمعاً وعزمي حريقا

وينصح اخوانه اذ يقول :

أحبابي اني مذ أفقتُ من الهوى شقيٌّ فكونوا الدهرَ فيهِ سكارى

اما الذي لم يُدرك هذه العاطفة فهو لم يُدرك سرَّ هذه الحياة :

مَن لم يُحِبَّ فما الصفاءُ لهُ صفوٌ وما أكدارُهُ كدرُ

ويرى الحياةَ ولا يعيشُ كما مرَّت على مرآتها الصوَرُ

ويقول عن قلبه وهو يعني كل قلب

يبغي الشفاءَ من الولوعِ ولا شفاء مع الولوعْ

ألف الصبابةَ فهي أمٌّ مُرضع وهو الرضيعْ

والطفلُ يشقى بالفطامِ فكيفَ يقبلُهُ مطيعْ

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب من العواطف ، كحنينه الى الوطن ، وعطشهِ الى ذلك المنهل الصافي الذي روى صباه ، ووفائه لأصدقائه ونزوعه الى كل أمر نبيل . فان فؤادهُ كصحيفةٍ حساسة ينطبع عليها كل ما يمرّ بها ، بل هو الغصن الرطب يميل بهِ كل نسيم ، أو وجه البحيرة الصافي يحرِّكه كل ريح . وهو القائل عن نفسه :

والذي درعهُ فؤادٌ رقيقٌ فجريحٌ إن يقتحَمْ أو يقاحم

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ يبيت

« وفي الجسم نارٌ يلذعُ القلبَ وقدُها وفي القلبِ نارٌ مثلها تلذعُ الجسما »

واذا كان صاحب القلب الرقيق شاعراً من طبقة خليل فهو يصيح:

« أنا الألم الساجي لبعد مزافري أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي »

« أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى　　أنا الرسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ »

رقّت حواشي مهجته وشفّت عن محرّكات نفسهِ ، فسمعنا خفوق قلبه ، ورأينا ذلك القلب كما يصوّره :

« وقلبيَ مسموعُ الخفوق معلَّقٌ　　بمنهدمِ الاركان أجوفَ معتلِّ »

بل ما أبلغ التصوير وما أشدّ التأثير عندما ينادي :

اللهَ في صدرٍ وهى　　وتقوّست منهُ العظـامْ
خاوٍ كجوف الغـار تمـ　　ـلأهُ المخـاوف والظلامْ
إلاّ سراجاً حائلاً　　فيــهِ يُنير بلا ابتسامْ
روحٌ تضيءُ على ضر　　يحٍ في صميم القلب قامْ

المجال واسع لكتابة درس من أبلغ الدروس النفسيـة في شعور الشاعر يُقتبَسُ من شعر الخليل . بل انــ في قصيدته « المساء » التي أنشدها وهو عليلٌ في مكس الاسكندرية كفاية . فمن يطالعها يرى « قلباً أذابته الصبابة والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره الى البحر وهو :

ثاوٍ على صخر أصمَّ وليت لي　　قلباً كهذي الصخرة الصماءِ
ينتابهـا موجٌ كموجِ مكارهي　　ويفتُّهـا كالسقمِ في اعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانب ضائقٌ　　كمداً كصدري ساعةَ الامساءِ
تغشى البريةَ كدرةٌ وكأنهـا　　صعدت الى عينيّ من احشائي

ومن كانت هذه حالته يرى في غروب الشمس دمعة تذرفها الطبيعة على موته فيخال تلك الشمس المؤذنة بالزوال :

مرَّت خلالَ غمامتين تحدُّراً　　وتقطَّرت كالدمعةِ الحمراءِ
فكأنَّ آخرَ دمعةٍ للكونِ قد　　مُزِجَتْ بآخرِ أدمعي لرثائي

فمن منا لم يشعر بمثل هذه الكآبة . ولكن قليلٌ من له مثلُ هذه المقدرة على إبراز هذه العواطف في ذلك القالب الفتان . يتمنى شاعرنا أن يكون له قلبٌ « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ، ليأتي بمثل هذه الآيات البيّنات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤهـا الاّ من جراحها فكذلك قلبُ الشاعر لا يسيلُ شعره الا من جراحه . أو كما أن العنقود لا يجود بعصيره الطيب ، ما لم تضغطهُ الآلة العاصرة ، كذلك قلب الشاعر ، لا يجود برقيق القول ، ما لم تضغطه يد الأحزان والشقاء...
قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان فكتور هوغو ، وفيهِ ما فيهِ من توجّع فؤاده : « فليتبارك الربُّ الذي يُرسل لنا مثل هـذه المصائب ، ليُخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع . . ! »

٣ — العقل

أيها السادة . رأينا في شعر خليـل عمل القوّتين الأساسيتين في الشعر — أي الخيال والشعور ؛ وهما قوّتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة — وهي العقل — تخفف من غلوائهمـا . وقد أصاب قدماء اليونان اذ صوَّروا الشاعر في مركبـة يقودها جوادان جامحان — هما الخيال والشعور — وجعلوا زمامهما في يد « العقل » ، لئلا يطوّحا بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بأنهُ « الفلسفة

تحمل زهراً » وهذا ايضاً ما أراده خليل ، لما قال إن شعره « شعر خيال وحياة وحقيقة » . فهو الشاعر الفيلسوف الذي يمعن النظر في حوادث هذا الكون وعللها ومعلولاتها ، ويستنتج منها العبَر والحكم . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون احتفالاً أُقيم اكراماً لنابليون الثالث ، فنظر الى الشعب المتجمهر الهاتف هتاف النصر نظرة غضب وازدراء ، وقال لمن حوله « هكذا يخلقون الظُلّام . . ! » هذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي ، فاليكم ما قاله شاعرنا العربي عن كسرى وقومه :

هم حكّموهُ فاستبدَّ تحكُّماً ... وهمُ أرادوا أن يصولَ فصالا
والجهلُ داءٌ قد تقادمَ عهدُهُ ... في العالمينَ ولا يَزالُ عضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلُّهم ... إلاّ خلائقَ اخوةً أمثالا
لكنّ خفضَ الاكثرين جناحهم ... رفعَ الملوكَ وسوَّد الأبطالا
واذا رأيتَ الموجَ يسفلُ بعضهُ ... ألفيتَ تاليَهُ طغى وتعالا
نقصٌ لفطرةِ كلّ حيٍّ لازمٌ ... لا يرتجي معهُ الحكيمُ كمالا

فهذه أبيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشنّ شاعرنا الغارة على السلطة بل يريدها مبنيةً على العقل والتروي ، ألا وهو القائل « والحكم أعدلُ ما يكون جدالا » ولكن هو الاستبداد يملي عليهِ مثل هذه الابيات :

نعم هي دارٌ للملوكِ عتيقةٌ ... ولكن غَدَتْ للفحش داراً و بئسما
بناءٌ بمالِ الناسِ قام جبايةً ... ولو ذوّبوا تذهيبَهُ لجرى دما

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة انما رآهـا . اسمعوه يخاطب ملوك مصر بناة الاهرام

لم يُغنِكم منهُ البنـاء عاليا　　والأرضُ نهباً والملوك أعبُدا

وكان يُغنيكم جميلُ الذكرِ لو　　خفضتمُ اللحدَ وشدتم بالهدى

وهو القائل ايضاً :

معرَّةُ الظلمِ على مَن ظلم　　وحُكم مَن جارَ على مَن حكَمْ

كل هذا لأن الخليل فهم مهمة الـكاتب ، ولا سيما الشاعر ، وهي مناصرة الخير ومناهضة الشرّ ؛ فاذا رأى القويّ يعبث بحقوق الضعيف يهتف :

فيمَ احتباسك للقلمْ　　والأرضُ قد خُضبت بدمْ

سدِّدْ قويمَ سنانهِ　　في صدرِ مَنْ لم يستقمْ

اليوم يوم القسطِ قد　　قامَ الأُولى ظَلَموا فقمْ

ثم ينبه قومه للنهوض من ثبات الجهل فيقول :

نمنـا على جهلٍ وقد　　عاشَ الكرامُ ونحن لمْ

فاذا انقضت آجالنـا　　فمن الرُّقادِ الى العدَمْ

واذا بُعثنَا بعدهـا　　فكأنها رُؤيا حلمْ

يرى الخليل أجيال الناس « تجيءُ وتنقضي » . يرى الممالك « تشيد بالصوارم » وتفنى بالمعايب . فبعد ذلك يقول :

ولم أرَ شيئاً كالفضيلة ثابتاً　　نَبَتْ عنهُ آفاتُ البلى والمعاطبُ

ثم نراه ، وقد كادت المصائب تصرعه ، يصيح من قلب مكلوم :

غلبتني صروف دهري على صبـ ـري وأفنته نارُها في الملاحم
الأمانَ الأمانَ ألقيتُ سيفي وطويتُ اللواء تسليمَ راغم

ولكن إنْ هيَ الا نفثة مصدور، لا يلبث بعد تفريجها ان يعود فيظهر مظهر الرجل الجلد :

شأني مكافحةُ الخطوب اذا دجا نقعُ الحوادثِ في الليالي السودِ

وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاء فيها من المبادئ الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقَين » و « الجنين الشهيد » و « الطفل الطاهر » الخ .

***

كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل — وهناك أيضاً غير ذلك محاسن عديدة . وبدائع شتى — وهي على ما رأيتم فيها من الجمال والسناء كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتموها منظومة في عقدها لا منثورة مستقلة كما أوردتها

وقد عرف شاعرنا أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ؛ فاحترس بصبغة العرب في التعبير . وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير . فكانت نتيجة ذلك انه ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سنّ له من القواعد القديمة . قلنا بلا تقييد ولا تقليد لأن خليلا نزوع الى الحرية في كتاباته كما هو شغف بها في حياتهِ

هذا بعض الشيء عن شاعرية خليل مطران وعبقريته . وقد رأيتم ايها السادة الخطة الجديدة التي اختطها للشعر العربي — وهي خطة المستقبل . فحق لنا بعد ذلك ان نعده استاذاً علَماً في هذا الفن . وحق لعصرنا ان يفاخر به وبأمثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية

أجل يا سادة ، جال الشعراء في عصر العباس جولة وصلوا بها حبل النسب بين العصرَين الزاهرَين ، والعهدَين الناضرَين : عهد الرشيد والمأمون ، وعهد عباسنا الميمون . فعقدت في ذلك الالوية لابن الوليد وابن هانئ . وعقدت في هذا لشوقي وصبري وحافظ ومطران . فوضع مولانا — حرسه الله — بيده الكريمة آية رضاه على صدر علَمها الخفاق فوق رأس فارسها السباق . كما يضع القائد شارة الفخر على لواء النصر — ولفرسان البيان اسوة بفرسان الميدان

﴿ اليمين ﴾

انما يحمل الرَّجلَ على الحلف احدى هذه الخِلال : إما مهانة يجدها في نفسه وضرَعٌ وحاجةٌ الى تصديقِ الناس اياه ؛ وإما عيٌّ بالكلام حتى يجعل الأيمان لهُ حشواً ووصلاً ؛ وإما تهمةٌ قد عرَفها من الناس لحديثهِ فهوَ يُنزل نفسهُ منزلةَ مَن لا يُقبَل منهُ قولٌ الاَّ بعد جهد اليمين ؛ واما عبثٌ في القول ، أو ارسال اللسان على غيرِ رويَّةٍ ولا تقدير

(ابن المقفّع)

خواطر

« في الخيرات والشرور »

ترك الأوّلون من البشر للأخلاف كثيراً من الخيرات ، وخلّفوا لهم وافراً من الشرور ؛ وقد مرّ الدهرُ تلوَ الدهرِ ، وجاءت أجيالٌ خلف أجيال ، وتلك الشرور ثابتة لم تزحزحها العقول ، ولم تمتنع عليها النفوس ؛ بل كأنّ السعيد الفائز من الاخلاف ، هو المحتفظ الضنين بذلك التراث ، فاذا ما تأملنا في أبديّة هذه الأسواء وشبهِ ازليتها ، وجب علينا ان لا ننظر الى محافظة الأجيال على تلك التركة المباركة بنظر التهاون ، وان لا نجعل علّتها التصادف ، بل يجب ان نحني الرأس قليلا امام ما هنالك من المجهولات التي اقتضت هذا الأمرَ ، عسى ان يُفتحَ لنا بابٌ من ابواب العلم بعد تأدية هذه السجدة سجدة الاعتراف بوفرة اسرار الكون وعظمتها ، وليس ما يخفى على اكثر البشر إلاّ من الاسرار

ولقد اختلف كثيراً نظرُ المفكرين في الموازنة بين الخير والشرّ ، ومآل الأقوال كلها الى ثلاثة : من يرى ان الشرّ اكثر، ومن يرى ان الخير أغلب ، ومتوسط يرى ان بين الخير والشر تعادلاً مع رجحان خفيف لجانب الخير

يقول مغلّبو الشر : ألم ترَ ايها الانسان الى كثرة الامراض ، ووفرة الأحزان ، وشدة العدوان ، وغلبة الحرمان ، وشيوع الشكوى ، وعموم البلوى ؟ . . ألم ترَ كيف يقلُّ أولو اليسار حتى يستطاعَ عدُّهم ، وكيف

يكثر المعسرون حتى يفوقوا العدّ ، ويعيَ عن لحاقهم المقدار ؟ . . ألم ترَ كيف يشيع الجهل حتى يصعد كل تلعة ، ويهبط كل واد ، ويدخل كل بلدة ، ويزور كل بيت ، ويحلّ كل دماغ ، وكيف يتقاصرُ العلم ، ويتقاعس ويختبئ وينطوي حتى تُشَدَّ اليهِ الرحال ، وتُحملَ في سبيله الاثقال ، وتُبذل في التفتيش عليهِ الاموال ، وتُنفق فيهِ السنون الطوال ، حتى اذا ما اهتدى الطالبون الى جنابه ، وجدوا حوله طائفةً من الحواجز ، فيرجع بأكثرهم الملل والضجر واليأس ، وما يفوز باقتحام تلك الحواجز الا قليل من الطالبين ، وما الطالبون بكثير . . . ألم ترَ الى العقول السليمة — على قلّتها — كيف يؤذيها الجهل المُجذِر [1] بما اخترع من حكايات وتهاويل ، وكيف يسمُّها العلم الابتر بما وضع من شروح وتآويل ؛ والى النفوس الكريمة كيف يقزّزها ظهور القبيح واذاعته ، وكيف يؤلمها خفاء الجميل واضاعته ؟ . . وانظر الى الشهوات كيف تطغى ولا تقف عند حد ، وكيف قضت علينا بالاستمرار في النصب ؛ وانظر الى قلة من تألفه النفس ، والى كثرة ما يحول مع هذا بينها وبين إلفها ، والى ما يصيبها بعد هذا كله من سهام الفراق ، وما يعروها بسببه من الجوى ؛ وتأمل في قصر الآجال مع طول الآمال ، وقلة المعاضدين مع كثرة المعاندين، وضعف الوسائل مع قوة الرغائب ، وتهجم الظلمات مع تحجب النور ؛ وارمِ ببصرك الى كثرة الزمنى والمبرسمين وأرباب العاهات ، ولا تتغافل عما يرافق العجز والاحتياج من المهانة ، وللاحساس بالمهانة آلام

(١) العريق ذو الجذور الراسخة

عظيمة ، وقل لي بعيشك ما أكثر العجز والاحتياج في هذه الحياة ؟ بل قل لي أي الناس يفارقه شيء من العجز وشيء من الاحتياج ؟ هبك مليكاً ، ألا ترى انك عاجز عن كثير ، ومحتاج الى كثير ؟ فماذا يخامر قلبك كلما وجد طعم العجز ، وماذا تجده نفسك كلما ذاقت الاحتياج ، وما هذه الدنيا التي لم يسلم من آلامها صغير ولا كبير ، ولا جليل ولا حقير ، ومتى يكون خيرها أكثر من شرّها اذا كان هذا شأنها من ادّخار الآلام لكل ذي روح على اختلافٍ وتفاوتٍ بينهم في المقادير فقط ؟ ؟

ويقول مغلّبو الخير : لقد جعل الفاطر لنا البصرَ لنرى به كلّ محسوس ، وأكرمنا بالبصيرة لنطّلع بها على ما وراء المرئي ، وقد ملأ السموات والأرضَ بما لا يُعدُّ ولا يحدُّ مما يبهج النفوس ويسرُّها ، فلماذا تعمى الأبصار والبصائر عنها كلها ، ولا ترى إلاّ الأمراض وآثارها ؟ أفننسى نِعَم الشمس ، أم آلاء الأرض ؟ أتسخير البحر ننسى أم استخدام البرّ ، أنغفل عما يُفيضهُ التعاون البشريّ العام من بركات العقول ، وثمرات الهمم والنفوس ، أم عما توحيه الفطرة الانسانية من تعاطف القلوب ، وما تؤتيه من لذيذ العلاقة بين المحبّ والمحبوب ؟ يا للعجب كيف تقعُ الأبصار على بعض الأقذاء ، وتعجز عن أن تمسحها بالتفاتة الى روضة فيها أطيبُ الأقوات للسمع والشم والبصر ؟ أين ذهب عن الأبصار جمال هذه القبة الزرقاء وقد طرحت عنها جلبابَ الغيوم ، وحسرت لثام الدجون ، فأشرق محيّاها ، فقابلته الأرض راقصةً تترنّح أعطافها الأغصان ، وتصفّق أكفّها النسائم ، وأين ذهب عن البصائر جمال الحيّ

القيوم الذي نفخ من روحهِ في والد هـذه الذرّية المباركة الحاملة لواء خلافته في الأرض (نعني النوع الانساني) ألا ترزق البصيرة تجلياً من تجلياتهِ تضيءُ بهِ الدنيا كلها لها فلا يبقى أمامها الاّ مسابح نور، ومسارح آمال ورجاء وسرور

لو صحّ أن الشرّ في هذه الدنيا هو الأغلب ، لكان سير هذا النوع الانساني الى ما هو أقبح وأنقص ، لا الى ما هو أجمل وأكمل ، مع أن المشاهد هو أنهُ كان طول دهره سائراً الى التكمّل ، وآخذاً بالتعلي والتجمّل ، فلقد كان الانسان كهذه الحيوانات السارحة في القفار ، أليفَ آجام وحليفَ أوجار ، يدور يلتمس لمأكله ورقاً وعشباً ، ويردُ الغدران والأنهار فيعبّ منها عباً ، لا يزرع ولا يصنع ، ولا يقني ولا يجمع ، لا أداة لديه ولا ماعون ، ولا عهد عنده ولا قانون ، ثم قفز من بيئتهِ تلك قفزةً إذ ألهمه الفاطر أن يتخذ شيئاً من الأداة ، فاصطنع من الحجارة قواطعَ وقواشرَ ونواحتَ ، وفصّل بهذه الأدوات الحجرية ما شاء أن يفصّل من أعواد الشجر على حسب ما هدته اليهِ الحاجة . فعمل من الأعواد مِخيَطاً ومسماراً ، ومخرزاً ومحفاراً ، ومقياساً ومعياراً ، وظلّ كذلك يتدرّج بهذه الصناعات الابتدائية حتى توصّل الى الحديد ، وهُدِيَ الى معرفة التصرُّف فيهِ فيومئذٍ دخل في دور جديد فصله عن الأدوار الاولى، ومن بعد ذلك بدأ يأتي بالبدائع والطرَف من الصناعات حتى أصبح بيتـه وماعونه وآنيته وأكسيته وأثاثه ورياشه وسائر طُرَف زينته أشياء لا تقف عند حدّ ! وقد تحسنت عند ذلك سحنتهُ وبنيتهُ ،

وتهذَّبت طباعهُ ، وانقلب شتاتهُ اجتماعاً ، وفوضاه نظاماً ، وبلغ من العلم حظاً تقصر كل مبالغة عن وصف عظمه ؛ وما الجهل الباقي بشيءٍ يصح أن يسمى عقبةً في سبيل سلطان العلم الماضي الحكم لأن كثير الجهل قليل ، فألفُ ألف جاهل مثلاً يستطيع أحد العقلاء أن يجعلهم تابعين لكلمته كما تتبع الغنم صوت راعيها . . . هذا وما نحن بمنكرين كثرة الشرور ، ولكنَّا مع كثرتها قلما رأينا شيئاً منها الاَّ ورأينا أمامه قوىً بها يحتمل الناس شدائدها . فاذا صح أن نسمي كلَّ شيءٍ من الشدائد مثلاً شراً لزم ان يصح تسمية ما يقابلها من القوى خيراً على أنه ليس من الحق أن نُطيِّر بالشدائد ، ونتبرَّم بها ، وننقم عليها في حين أن كثيراً منها مربيات ومرقيَّات للأفراد والجماعات ، ويا لله كيف يكون طعم الهناء لولا العناء ؟ وكيف كنا نستطيع أن نعرف سائر الأنواع المسماة خيرات لولا ما يقابلها من أضدادها إذ لولا المرض ، لقال قائلٌ : ما هي نعمة الصحة ، ثم ما هي الفضيلة لولا الرذيلة ، وما هو الانبساط لولا الانقباض ، وما هو الذكاء لولا البلادة ، وما هو المجد والرفعة لولا المهانة ؟ فكأن هذه الشرور انما وجدت ليكمل بها حظنا مما هي أضدادها

يشكو مغلّبو الشرّ من الامراض وبديهي ان صحة اكثر الافراد هي الأغلب فان مرض أحدهم في العمر مرة أو مرتين أو اكثر كان ذلك لتتضاعف لذته يوم يرجع اليهِ بعد الهجر حبيبه العظيم الذي هو العافية ؛ وان كانت نهاية بعض الأمراض الموت فذلك — والموت محتوم — خير من اختطافه خطفة واحدة على حين غرة ، ولوقوع موت الفجأة في بعض

الاحيان نعرف فضل المرض الذي به يتمكن المرء من وضع بعض الوصايا ومن التهيؤ لاستقبال الأبدية بنفس مطهرة بالندم على بعض الزلات ، وبه يتمكن أهله من حسن توديعه فيزودون نفسه بأثمن شيء عند النفس وهو شذى الاخلاص ، ويتزودون من مرآه برؤية أعلى شيء وهو إباء الحبيب ان يفارق أحباءه ، فهو والحالة هذه ينشدهم بلسان الحال :

ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا ولكنْ لا خيارَ مع الزمانِ

وهم ينشدونه :

اذا ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

ويشكو مغلّبو الشرّ من الجهل ، ولو فقهوا لدروا أن ليس كل جهل يُعَدُّ شرّاً ، فانه لو أصبح كل الناس فلاسفة لحلّ بالدوران البشري ما يحلّ بهِ اذا أصبحوا كلهم أغنياء . على ان من يمعن النظر كثيراً يجد في غباوة كثير من البشر فائدةً ليست بأقلّ من الفائدة التي يجدها في ذكاء بعض الافراد ، وحسبك من فوائد الغباوة لأصحابها أنهم أقلّ تذمراً وامتعاضاً ، فهم لا يذوقون الآلام التي يذوقها النبهاء من مشاهدتهم عيوب مجتمعهم وتقصيره عن غيره مثلاً . وحسبك من فوائد تلك الغباوة للمجتمع أن أصحابها لهم مما يدورون حوله من رحى الاعمال التي عرفوها شغل شاغل عن احداث الفتن والمشاغبات التي توجع الرأس أحياناً على قلة نفع . وتلك الاعمال التي أشرنا اليها قلّ ان يصبر عليها سواهم مع انها قد تكون مما تشتدُّ اليها حاجة الجمهور

وبعد فأيّ شيء ينقمون مما يسمونه الشرور ، وهي إمّا من اللاتي

تعمُّ فيهوّنها ذلك العموم ، واماً من اللاتي يقلُّ وقوعها ، فتمرُّ وتنقلب الى خيرٍ أحياناً . تأمّلْ مهما تعاظم مُصابُ أهل بيت بميتهم ، تجدْ كلَّ واحدٍ يستطيع أن يهجم على نيران حزنهم برشةٍ من التسلية التي يدور محورها على كون هذا الموت أمراً محتوماً ، وشيئاً طبيعيًّا ، وأنه سبيل الأحياء أجمعين ، وأنه ما من أهل بيت الاّ وقد أُصيبوا بمثل هذا على أنَّ الفوائد التي يعرفها العقلاء في الموت يمنعهم عن إدخاله في زمرة ما يسمى الشرور

ينظرون الى الحاضر ولا يتفكّرون في العواقب ، فتعظم بمثل هذا شكواهم ، تأمّلْ كم من فقير قد آلمه فقرُهُ ، فساقهُ حثيثاً الى السعي والاكتساب ، فلم يلبث غير قليلٍ حتى ذاق لذّةَ الغنى . فهل كان فقرهُ السابق شرًّا أم كان باعثاً لتحصيل لذّة الغنى المكتسب التي تفوق لذّة الغنى الموروث ... وتأمل كم من مريضٍ أزعجهُ المرضُ وأخافهُ ، فتذكّرَ ما كان أهمله في الصحة ، فلما أُتيح له عناق العافية هبَّ نشيطاً للأخذ بما كان قد أهمله ؛ فهل كان مرضه شرًّا ، أم كان باعثاً لتحصيل لذّة عمل الواجب بعد اهماله ، ومولّداً للذة عناق العافية بعد الصدود ... وتأملْ كم من عاجزٍ قد أقعده عجزهُ عن كثير مما يأتيه أُولو الأشر والبطر ، فأحدث له ذلك صيتاً حسناً ، وآتاه حسنُ الصيت قوةً أصبح قادراً بها على نيل بعض ما كان محروماً منه ؛ فهل كان عجزهُ شرًّا أم كان موجداً للذاتهِ من حسن الصيت ثم القوة ثم الفوز ... لعمرك ليس الشرُّ أن لا تكون الآن قويًّا ، فانك قد تقوى وتجد لذةً عظيمة ؛ وكم من ضعيف

قوي ، وانما الشرّ أن تكون قوياً فتفقد هذه القوة . وكم من قوي قد ضعف ، فما كثرة الضعفاء العتيدين أن يقووا سوى كثرة أبواب الأمل الذي هو روح الحياة وباعث النشاط ، والخير كل الخير في هذا ، وما قلّة الأقوياء المعرّضين لفقد القوة سوى قلة أبواب الوجل الذي هو باعث الغمّ والانقباض ، والشر كل الشر في هذا . فسبحان من هذا نظامهُ وأثر حكمته ورأفته ، والله رؤف بالعباد

ويقول المتوسطون : ان أعجب ما في الخيرات والشرور أنك تراها متقابلةً كفريقين من العسكر قد وقف أمام كل صف آخرُ مثله في الجانب المقابل كأنما قد وُكل اليها أن لا يألو كلٌّ فريق منها جهده في حفظ القلعة التي هو قائم عليها . بيد ان الجيوش التي نعهدها لا تلبث ساعة أو بعض ساعة من الدهر ، حتى يقرع أحدها الآخر ويفلّه ، وأما جيشا المِنن والمِحَن فانهما ما برحا متواقفين منذ أولية هذا النوع ، ولعلهما سيظلاّن مكانهما ما دار بنا المدار ، ولكن من سير الانسان نحو التكمل نفقه أن ثمّةَ رجحاناً لجانب الخير على جانب الشرّ الا انه رجحانٌ خفيف جداً جداً اذ لولا ذلك لما كان الخطو الى التكمل بطيئاً بهذه الدرجة

كل هذا قاله المفكرون . وقد أكثر مغلّبو الشرّ من ترداد شواهدهم والتغني بفلسفتهم ، كأنهم وجدوا المجال واسعاً ، والنغَم مؤثراً ، اذ لا أوقع في نفس المفجّعين من اظهار التألم مثلهم ، وذمّ الدنيا التي هي مثار فجائعهم ، ومدار محَنهم ، وكثير من أهل هذا الرأي كانوا شعراء قد ضاقت عليهم مذاهب المعاش ، فأشبعوا دنياهم ذماً وهجواً وملأوا الأسفار بوصف

شرورها من مثل قول حريريهم :

إيّاكَ والدنيا الدنيَّة إنها شركُ الردى وقرارة الأكدارِ
دار اذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً تبًّا لها من دارِ

أما مغلّبو الشر فلم نرَ لفلسفتهم كثيراً من الشروح الضافية ، وانما وقفنا على قليل منها في أخبار وآراء بعض الصوفية والفلاسفة . وقد رأينا بعضهم لا يكتفي بتغليب الخير ، بل يذهب الى أنه لا شرّ على الاطلاق ، وأن الكون كله خيرٌ محضٌ من خيرٍ محض

وما اختلاف المفكرين والفلاسفة وأصحاب الأديان بتعريف الخير والشرّ ، وتعيين أنواع كل واحد منهما بأقلّ من اختلافهم في الموازنة بينهما . كلاّ ، بل هو أكثر بكثير . واذا ما نحن استطعنا أن نُرجع الى ثلاثةٍ عددَ مذاهب المختلفين في الموازنة فاننا لا نستطيع ان نُرجع الى عدد معيّنٍ مذاهبَ المختلفين في التعريف وتعيين الأنواع . ولا يدري مقدار عذر هؤلاء في استلافهم هذا الاّ من جال نظره طويلاً في ميادين الطبيعة البشرية وسبر كثيراً أحوال الافراد والجماعات ، وتأمل مليّاً فيما يقعُ فيهِ الحسُّ والعقل من الأغلاط ، وعرف جيداً ما للعادات والتقاليد من النفوذ والتأثير ، وما لها من المنافع والمضارّ ، فرجل أوتي هذا النصيب العظيم من الخبرة يعرف أنه ليس من البديهيّ معرفة ما هو الخير ، وما هو الشرّ . فلا يهزأ حينئذٍ بكثرة اختلاف المختلفين فيهما من أهل الاديان والفلسفات ، ولا يتهكم على أقوام رأوا الخير كل الخير في تعذيب النفس وحرمانها من الشهوات الحيوانية ، ولا على آخرين ضادّوهم كل

المضادَّة فرأوا أن الخير كل الخير في اللذات وانالة النفس كل ما تشتهيه . وكذلك لا يعجب من قد وصفنا حظه من الاطلاع لأقوام يبكون ، لكثرة ما يضحك الناس ، وآخرين يضحكون من كثرة ما يبكون ، فسبحان من خلق بين هؤلاء البشر جذور الائتلاف والاختلاف ، وجعل هذا التباين في الأفكار ، آيةً خالدةً قاضيةً بمزيد التبصر والاعتبار

عبد الحميد الزهراوي

الحب

« بين شوقي وولي الدين »

تراءت له على مستشرف حجرتها صبحاً ، حين لم يلقِ عن اعطافهِ ثيابَ الكرى ، والصبحُ كبسمةِ الرضى على الثغر الالمى ، والروضُ كالأمل الغضّ في الفؤاد الفتيّ . فلمّا اعتدلت في نظرهِ جانست محاسنُها محاسنَ الوجود ؛ فترامى اللحظانِ ، وتناجى القلبان ، وطارت رسائل الوجد بين الروحَين على أجنحة الزفرات تبعثُ حنيناً وأنيناً وهياماً شديداً ؛ فذلك حيث يقول شاعر الشرق شوقي بك :

نظرةٌ　...　...　...　...　...

ثم توالى كرورُ الاصباح ، وكما تكبُر الاجسادُ تكبُر الارواح ، وكما تكبُر الارواح تكبُر الصبابات ؛ واللواعجُ ثمارٌ تُسقى مغارسُها بالدموع ، والشبابُ خصبٌ تنضج به اللواعجُ ، ونسائم السَحر تُغري الاشواق ،

ووجهُ الربيع يزيد الجرأة على الفتنة . واذ طال تمارُض الوجهين ، وتقابُلُ النظرَين ، جاءت طمأنينةٌ تمسكُ الروح ساعة اضطرابها ، فتألّقَ لها على الشفتين بارقٌ افترَّ عن مثل الدرِّ المنظم ؛ فذلك حيث يقول شاعر الجمال:

... فابتسامٌ ... ...

ثم استمرَّ الغرامُ ، وتراضى القلبان ، واذِنَ كلٌّ لصاحبه بما اذن ؛ فكانت حاجة الى الإعلان ، فارتفعت يمينٌ كورَقة الآس ، أُمِرَّتْ على جبين كنفس الطفل ، واذا في الوجهةِ المقابلةِ رأسٌ يخفضُ اجلالاً وخشوعاً وكذلك يضرع المطيعُ للمطاع ؛ فذلك حيث يقول شاعر الخيال :

... ... فسلامٌ ... ...

ثم نما الهوى وارباهُ التراضي ، فاشتاقت الاذانُ الى مثل حظّ الاعين ، ولا بدَّ لما يُسَرُّ من الإعلان ؛ فتساجلَ الشكايةَ صريماها ، وقام اللسانان سفيرَين عن القلبين . هنالك حلاوةٌ تمازجها المرارةُ ، وراحةٌ يتخلّلها التعب ، وللوجدِ بيانٌ لا تركّبهُ الفاظٌ ، ولا تؤديه عبارة . فبهما فاض ماء النفسِ من الثغرين المتباعدَين ؛ فذلك حيث يقول شاعر البيان :

... ... فكلامٌ ... ...

ثم تعارضت في الروحين قوّتان من السلب والايجاب ، وقعت شرارتهما على الحسّ فاضطرَم . غير ان الحكمة اطفأت ذاك الأُوار ، والصبرُ في اوائل الصبابة يغلبُ عليها ، فتعالَجَ الحبَّان بالامانيّ وما زالا يتواصيان بالرأي حتى غلبا عليه ، فاستثار الشوق كمينَ النفسين ، فاتفقتا

على التداني ؛ فذلك حيث يقول شاعر الحُبّ :

. ... فموعدٌ ...

فلمّا بلغَ الامرُ اقاصيَهُ ، وعصفت شرّةُ الشباب بالرأي والجلَد فاستطارتهما ، ضربَ الصبّانِ على سلاسل الأسر فتساقطت حلقاتهما في صلصلةٍ تصمّ الآذان ، وانطاقَ سهيلٌ يطلب الثّريا ، وضمَّ الروحينَ عناقٌ هو خاتمة السعادة والشقاء .

لله انت يا شوقي بك ؛ اذ تقول :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　　فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

هذه روايةُ الغرام في بيت واحد ، لو نطق به الدهر لتاهت به صروفه .　　　ولي الدين يكن

الزهر

رأيت صباح اليوم أزهار الربيع على أكمل ما تكون ، إمّا في أكمامها ، وآثار الصحة بادية عليها ؛ وامّا زاهية قد مزقت أكمامها وأسفرت من حجابها بينَ بين . لا هُنَّ نواشز خالعات العذار ، ولا هنَّ متخذات ستوراً من الاكمام والافنان . أسفرنَ فكانهنَّ قرة للعين ولذة للشم ومبعث لحركات العواطف . لا أعرف عن طريق اليقين الوجه في جمال هذه الزهور ولكنها في الواقع جميلة . كذلك لا أعرف الصلة الخفية بين رؤية الأزهار وشمّها وبين آيات الحب . جلّت حكمة الله أن تتناولها عقولنا . ولكن الأستقراء دلّ

على أن هذا النوع الأنساني منذ نشأ الى اليوم يتعشق الزهر ، ولا يطيب له مجلس لهوٍ الا اذا كان للزهر فيه المقام الاول منثوراً ومنظوماً صحباً أو اشتاتاً . بل كلنا يود أن يكون له بستان فيه زهر . ومن لم يجد هرع وقت فراغه الى الحدائق العمومية . ومَن لم يجد من الفلاحين أعجبه كثيراً أن يقيم وقتَ أنسه على قرب من زهر الفول . ومن لم يجد اتخذ له صورة بستان أو خيال بستان من الزهر في آنية الفخّار يضع فيها القرنفل والورد في شبابيك داره . بل أصبح من القضايا البديهية أن الدلالة الوضعية على رقي أمة عنايتها بالزهر واستمتاعها به . وما هذا الاستقراء التام الا جاعل نسباً ثابتاً بين الزهر والانس ومسارح العواطف وحركات القلوب . لقد يسمج التعليل المنطقي في موضوع كهذا خفيفٍ بطبعه لا يحتمل ثقل المنطق ورصانة التدليل . ولكني أستأذن القارئ ان أستدل بهذا الاستقراء على أن الزهر من دواعي التقريب بين القلوب ، ومن عوامل الائتلاف بين الجنسين . وقد كان دائماً مفتاحاً تستفتح به هدايا الوداد . بل اتخذت ألوانه المتنوعة وأنواعه المتعددة علامات على المشاعر المختلفة التي لها علاقة بذلك المعنى المعروف بآثاره المجهول بكنهه وهو الحب

واذا كان الزهر من دواعي الحب ، وكان الحب داعية حفظ النوع ، وكان الربيع خير الفصول في وفرة زهره وجماله ، فهل يستطاع الامل بان هذا الربيع يدعو اللواة الماطلين من أبنائنا وبناتنا الى فك «الاعتصاب» الذي لزمهم أو لزموه هذه السنين الاخيرة عن اكبر واجب حيوي ؟ فينزل

كل منهم عن المثل الأعلى في خياله الى ما دونه من الأمثلة . ولا يتشدّد في التمسك بالاعتبارات الاضافية كفقر الزوج أو مركز أبيها في الحكومة .... الخ وأن يتساهلوا بعض الشيء ولو في بعض الشروط المعقولة عندهم غير المقبولة عندنا نحن الآباء لا بحجة العقل ولا الدين ولكن بحكم العادة الطويلة . هل يستطاع الأمل بأن هؤلاء المماطلين المتصبين يخففون عنا كابوس الخوف من قلة النسل في الفرقة المتعلمة من الطبقة الوسطى ؟ انهم لو ذاقوا تلك السعادة الزوجية ، وشملهم سلام العيشة العائلية، وشعروا بلذة عواطف الابوّة لما احتاجوا الى الحافنا في المسئلة، ولندموا على ما ضيعوا من ربيع الحياة

احمد لطفي السيد

❋ أقوال مأثورة ❋

* قال لقمان لابنه : لا يكوننّ الديك أكيسَ منك ينادي وقت السحر وأنت نائم

* عاتب أخاك بالاحسان اليه ، واردد شرَّه بالانعام عليه

* قيل لحكيم : أيُّ الملوك أفضل : ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال : من ملك غضبهُ وشهوتهُ فهو أفضل

* ما رأيت أحداً الا ظننتهُ خيراً مني ، لأني من نفسي على يقين ومنهُ على شكّ　　(العاملي)

* لا تفرح بالغنى والرخاء ، ولا تغتمّ بالفقر والبلاء ؛ فانّ الذهب يجرَّب بالنار والمؤمن يجرَّب بالبلاء　　(الامام علي)

في رياض الشعر

ذكرت الهوى

ذكرتُ الهوى أيامَ يصفو فنحتسي ... ويضفو الصبى عن جانبَيهِ فنكتسي
نقضّي مُنانا من رياضٍ وأوجهٍ ... ونشفي صَدانا من شفاهٍ وأكؤسِ
لذاذاتُ عيشٍ صالحٍ كُنَّ أنعماً ... فأُعقبنَ من حدثانِ دهرٍ بأبؤسِ
طوينا بقاياهـا ففاضت من الأسى ... بقايا قلوبٍ جازعاتٍ وأنفسِ
خلت أربُع الأهواءِ الّا من البلى ... يعفّي بهـا آثارَ ملهًى ومجلسِ
تعوّضتُ عنهـا بالياً بعد مُونقٍ ... وبُدّلتُ منها موحشاً بعد مؤنِسِ
ألا هل لأيامِ الشبيبةِ رجعـةٌ ... فأطمعَ في ماضٍ من العيشِ مونسِ
تمتعتُ من دهري بظبيٍ مربّبٍ ... فقـد عاد يرميني بسِيذٍ عمَلَّسِ
أقول لنفسي والأسى يستثيرُهـا ... مكانكِ ان النفسَ بالنفسِ تأتسي
ألم تعلمي أنّ الزمانَ بأهله ... يدورُ وأنَّ الصفوَ نغبةُ محتسٍ ؟
متى تطلبي ما ليسَ للدهر شيمةٌ ... تُمـاقي عن الأمرِ المرومِ وتُحبَسي
أجدّكِ هل تقضين كلَّ لُبـانةٍ ... بطول التمنّي أو بطولِ التلمُّسِ
اذا الحاجُ لم تُقدَرْ فليس بنـافعٍ ... تقحّمُ إصليتٍ وإقـدامُ مُدعسِ
صرفتُ رَجائي عن مطالبَ جمّةٍ ... وليس الذي يرجو المحـالَ بكيّسِ
وعفتُ الدنايا فاحتفظتُ بمنصبي ... وأبقيتُ عرضي طاهراً لم يدنّسِ
سجيّةُ حرِّ النفسِ لا متعرّضٍ ... لعوراءَ يبغيهـا ولا متمرّسِ
كريم متى ما يَغـدُ كفّيه منفسٌ ... يُدِلَّ بأغلى منـهُ قدراً وأنفَسِ
وما فاتني غُنْمٌ اذا عفَّ مطعمي ... وعرّيَ من سوءِ الأحاديثِ ملبسي

اذا ضرّس اللؤمُ الوجوهَ فشانَها بقيتُ ووجهي وافرٌ لم يضرَّسِ
وما راعني الاّ حسودٌ يعيبني على ما يرى من طيبِ عودي ومغرسي
لقد عجمتني الحادثاتُ فلم يلنْ مجسّي على بؤسِ الحياةِ وملمسي
أخوضُ الخطوبَ السودَ غير منكّبٍ وألقى المنايا الحمرَ غير معبّسِ
وأسمو الى العاني أفرّجُ همَّهُ اذا ما عتهُ كربةٌ لم تنفّسِ
ولم تُخزني في مشهدٍ ألمعيّتي ولا خانني رأيي وصدقُ تفرّسي
ولست كساعٍ بالأباطيلِ والرُّقى الى الناسِ يُزجيها بضاعةَ مفلسِ
متى ما أقلْ قولاً فلستُ بكاذبٍ أصادي بهِ نفعاً ، ولا بمدلّسِ
تعوَّدَ مني الدهرُ شيمةَ فاضلٍ وما اعتدتُ منهُ غير شيمة مومسِ
كلانا على ما آستنَّ جارٍ ومن يُقَدْ الى الشيمةِ العسراءِ يُعصَ ويشمسِ
وأعلمُ أني ما حييتُ مقلّبٌ فؤادي وعيني في ضياءٍ وحندسِ

احمد محرم

« فؤاد » حافظ

يا خافقاً قُلْ لي متى تسكنُ للهِ ما تُخفي وما تُعلنُ
ياليتَ شعري عنك في أضلعي ماذا تقاسي أيُّها المُثخَنُ
وما الذي أبقاهُ من مهجتي ومن حياتي داؤكَ المزمنُ
يا ثغرَهُ من ذا الذي يجتني بَرد ثناياكَ ولا يؤمنُ
يا قدَّه هذي قلوبُ الورى معروضةً طوبى لمن تطعنُ
يا لحظهُ مُرْنا بما نشتهي كلّ مُحالٍ في الهوى ممكنُ

حافظ ابراهيم

﴿ زهرة ورد ﴾

أممتُ الحديقةَ عنـد السحَرْ أشمُّ نسيمَ الصبَّا والزهَرْ
وقد نشرَ الفجرُ أسلاكَهُ فدبَّ بجفنِ النيامِ الشررْ
وأنشدَتِ الطيرُ آيَ الصباحِ فأيقظتِ الزهرَ مثل البشرْ
ومرَّ النسيم يقظى الرُّبى فبثَّ بهِ كلُّ ثغرٍ عطرْ
وكانت الى جانبي زهرةٌ بثوبِ الكرى والندى المنهمرْ
فأيقظتُها وهي في كِمّهـا كبكرٍ ببُرد الحيـا تستترْ
فهبَّت ، وفي جفنهـا فترةٌ وفي خدّها حمرةٌ ، تعتـذرْ
وفي شفتيهـا الندى مالكٌ عليها الكلامَ كثغرٍ حصرْ
فـالت اليَّ كأني بهـا تسائلُ عن حالتي والخبرْ
فقلتُ : أراكِ بأسر الكرى كأنكِ مغرمـةٌ بالسَّمرْ
فهل أنتِ مثليَ مفتونةٌ بمـا في الطبيعة يَسبي البصرْ
فقالت : وقد طار عنها الندى، أيُعذَلُ صبٌّ يُطيل السهرْ
فما أنتَ منـا بأسمى شعوراً وليس الهوى فيكمُ محتكَرْ
فقلتُ : وأنّى لمثلكِ قلبٌ خفوقٌ بنـار الجوى يستعرْ
نشدتكِ لا تدَّعي بالغرامِ ففاهِمُ أسرارهِ قد ندَرْ
يضنُّون في حبّهم بالقشورِ ولبُّ الهوى عنهمُ مستترْ
وهل يتمشى الهوى في النباتِ وبعضُ قلوبِ الورى كالحجرْ
فقالت : أما زنتَ صدر حبيبٍ فؤادك في باقةٍ كالزُهرْ
أنا زهرةُ الوردِ رمزُ الغرامِ حياةِ النفوس وروحِ الفِكَرْ
عشقتُ الطبيعة روحَ الجمال وحسبيَ في شمسِها والقمرْ

تبثُّ الحيـاةَ بهذا الوجودِ فتقرأُ آياتُهـا في الصوَرْ
وأما الغرامَ فلا ندَّعي وليس لنـا منطقٌ للهذَرْ
وانّا علِمنـا من الحكماء بأنَّ السكوتَ وِعاء الدُرَرْ
فنحن سُكوتٌ وفي صمتِنا لَننطقُ في معجزات السوَرْ

* * *

واذا جاء دوري بردّ الجوابِ أتت هندُ في الموعد المنتظرْ
فعرَّفتُ بينهمـا ناشراً لِطيِّ حديثٍ شذاهُ انتشرْ
وحكَّمتُها بيننـا بالرضى فقالت وقد بادلتني النظَرْ
هي الجـاذبيّةُ بين النفوسِ تدسُّ الغرامَ بسلكِ البصرْ
هي الجاذبيّةُ بين العنـاصرِ إنْ تَعْدُ منظومها ينتثرْ
وفي عالم الزهرِ تمشي الحيـاةُ وما من شعورٍ لها أو وطرْ
فقلتُ : وأنّى لها مثلَنـا شعورٌ نغذّيه منذُ الصغَرْ
عشقتكِ ما فتنتني العيونُ ولا ثغركِ المتلي بالدُرَرْ
ولكن بنفسكِ لي جاذبٌ هو الكهرباء فأين المفرْ
هو الحبُّ يحيا بروحِ الجمال ولا تستبيهِ الحِلى والحِبَرْ
وأنتِ الجمالُ فمَنْ عاذري اذا لم اكن فيـهِ ممن شَعَرْ
فجودي على شاعرٍ بهواكِ بآي السنى حليـةً للفكَرْ
فما الشعرُ دونكِ مهما علا بأكثر من طَلَلٍ مندثِرْ

* * *

وذي زهرة الورد رمزُ الهوى أزفُّ الى صدركِ المزدهرْ
فكلٌّ تلفَّتَ بي شاكراً وبشَّ بصاحبـهِ وافتخرْ
وجاء الضحى ناثراً عقدَنا الى الملتقى في رياضِ السحرْ

(لبنان) احمد تقي الدين

اذا ذهب الربيع . . .

أطلتِ تدلُّلاً وأطلتُ صبرًا كلانا باذلٌ ما يستطيعُ
لقد أودعتِ قلبكِ ما بقلبي فضاعَ وكنتُ أحسبُ لا يضيعُ
رددتِ تضرُّعي ورددتِ دمعي فليس يُجاب عنـدكِ لي شفيعُ
فيـا ويلاهُ من قلبٍ عصيٍّ يذوبُ بحبـهِ قلبٌ مطيعُ
ويا لهفي على امل مبـاحٍ يُدافع دونه يأسٌ منيعُ
ويا حزني على هذه الاغاني أردّدُها وليس لهـا سميعُ

* * *

أسيدتي الرفيعةَ إنَّ روحي يقرّبهـا اليكِ هوى رفيعُ
وأيام الصفاء وإن توانت يُطاردُ ركبها نأيٌ سريعُ
اذا ذهب الربيعُ ولم أُمتَّعْ بنضرتهِ فلا عاد الربيعُ

ولي الدين يكن

شاعر يسلو

مَن مبلغُ الغيدِ عني قصـةً عجباً تَبكي وتَضحكُ منها الغيد في حينِ
اني سلوتُ فلا هجر فيهدمني بهِ الغرامُ ولا وصل فيبنيني
فلتلبسِ الغيد من نسج الضحى حُللاً ولتعلم اليوم اني غير مفتونِ
وليُمتعِ النفسَ غيري في خمائلهـا وليقطفِ الورد من تلك البساتينِ
وليهتَصِرْهـا أفانينـاً مُهدَّلةً وليجنِ رمّانَ هاتيكَ الأفانينِ
تلك الغصونُ وكم لوَّيتها بيدي وبتُّ احصي جناها بالموازينِ
حين المحبةُ تحت الكرم تُرضعنـا والسحبُ ترضعُ أولادَ الرياحينِ

عبد الحليم المصري

الانشاء المترهل

شرع الدكتور شميل يطبع كتابه « حوادث وخواطر » وأتيح لنا ان نقف على مقدمته فاقتطفنا منها الكلمة الآتية في انتقاد هذا النوع من الانشاء الذي ضاع فيه فريق من كتاب العصر قال :

عنيتُ في الصيف الماضي (١٩١٢) بتقييد بعض حوادث مما مرَّ عليَّ ، وتعليق بعض خواطر مما يعنّ لي ، عسايَ ان أجد فيها ما أشغل بهِ أوقات الفراغ . وأفرّج كُرَب العزلة . حتى اذا كاد الصيفُ ينقضي نشبتِ الحرب البلقانية ، فوقفتُ في تلك حيث وقفت ، وعلَّقت على هذه ما علَّقت . — ثم ضممتُ الى ذلك بعض ما تيسر لي العثور عليهِ من مطويٍّ لم يُنشر ، ومنشورٍ مبعثر . وجمعتُ الكل في هذا الكتاب ، فجاء « من كل حرش عصا » او — من كل نبتة زهرة — على ذوق القارئ . وسمَّيتهُ « حوادث وخواطر »

حوادث هي بعض مذكَّراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعتزال . ان لم تتسع للرواية فقد تستوقف بدقة التحليل ؛ وان أقفرت من القديم المأنوس فقد يكون فيها شيءٌ من الجديد الطليّ ؛ وان كثر فيها الجدُّ فقد لا تخلو من الفكاهة ؛ وان كثرت فيها المعلَّقات الخصوصية فلم أُهمِل من خلالها المرامي العمومية . — حوادث لم أنقلها عن يومية مدوَّن فيها كلُّ ما كان يعرض لي كما يفعل البعض ، ولا سيما الافرنج في مذكَّراتهم ، ولكنني اعتمدتُ فيها على ذاكرةٍ قلما تخونني في الوقائع ، وان كانت تتعثر كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض أفكاري أُطلقها تجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى أعماق نفسي ، وتنطق عن نظري الخاصّ ولو خالفت أحكامي أحكام سواي . وان لم أدَّعِ لها العصمة فاني أربأُ بها ان تميلَ مع الهوى ولو لَقيَتْ ما لَقيَتْ من عواصف

العواطف الغالبة حتى الساعة على أفعال سائر الناس ، والمتمكنة فينا اكثر من سوانا على نوع خاصّ

حوادث وخواطر سردتها سرداً كما جاءت غير متّبعٍ فيها نهجاً مخصوصاً . ولم أتعمَّل فيها غالباً لئلاَّ يجمح بي جواد المبنى فيخرجني عن جادَّة المعنى . فهجرت الوحشيَّ الفحليَّ ، ولم أقع في الحضريّ المترهّل ، وتقرَّبتُ كثيراً من العامة ، عسى ان تكون البلاغة في ما كان أدنى الى تبليغ المراد

قلت الحضريّ المترهّل لأني أرى اليوم مَيلاً كبيراً للتباري في نهج من الانشاء إن أجاد فيهِ البعض فقد قلَّ فيهِ المفلحون . وان حلا في بعض المواقف فمن المُصاب ما يُغني . يترقق فيهِ اللفظ حتى لا يكاد يغشى السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمطر دموع الملائكة ، ويثير أشجان القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمهِ اذا تقصَّاه الى لبّه . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مراثي أرميا ، ولا هو مصابرة أيوب ، حتى ولا هو تسبيح داود على قيثارتهِ . أو هو خليط منها يتلألأ ولكن كالبرق الخلَّب . ولا يبقى من جيّده في الذهن الا أثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئهِ الا أثر الكابوس في الحالم . وشأنهُ في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حليةٌ للتنافس ، ولا هو الفحم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فحم متبلور . — كأننا لم نهجر التقعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكر مقتولة على مذبح هيكل العواطف الثائرة او الذابلة . — ولكم عرض لي وأنا أسمع هذا الشعر الجديد المنثور ، ان تذبل عيناي ، وتتدلى يداي ، ويتهادى ذراعاي ، كأنهما جناحان هبَّا بي للتصفيق ولكنهما هبَّا متكسرين كأني بهما الطير الواقع . — وما الناس بحاجة الى هذا التنويم المخدّر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمّر

قلت اني تقرَّبت كثيراً من العامة ، ولا أريد بذلك اني تنزَّلت اليهم ، بل اريد اني تحديتُ الأسلوب الذي ينفتح للجميع على حد سواء ، بدون أن يُضطرَّ فيهِ الى تعمُّلٍ يوجبه التأنق في الانشاء ، كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يستمهل

فهم القارئ حيث يجب ان يُستحثّ ، ونحن ان لم نكن في عصر بالقياس الينا فالى عصر بالقياس الى سوانا الوقت فيه ثمين ، عسانا أن لا نبقى مقيدين في الأغلال على الاجيال . واستعملتُ كثيراً من ألفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد ، والتي ان وجد بعد العناء في معجم اللغة ما يقوم مقامها ، فقد يعزُّ حتى على الأديب مغزاه حتى يتقصاه في مكانه ، والمقصود من الكتابة ليس الإغلاق . كما اني أثبتُّ كثيراً من كلامهم الجاري مجرى المثل ، لأن الأمثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم ومجرى أفكارهم في كل أطوارهم . ونهجت نهج الأمم الراقية من متقدمين ومتأخرين ، ونهج العرب أنفسهم في ابّان حضارتهم في مستحدثات الصناعة ومستنبطات العلم ، فلم اتحوّل عن مسمياتها في لغاتها ، الاّ حيث أمنت اللبس ولم أخشَ التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل يوم تدفق السيل ، حتى صار التحوُّل عنهُ الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المأنوس المدرك الى الوحشيّ المغلَق ، متبعاً في كل ذلك سنّة التحوُّل التي تتناول كل شيء في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون من جمودهم مهما جمدوا

حوادث وخواطر لم أدارِ فيها ولم أحابِ ، وان أغضب ذلك النفوس التي لم تألف الا المدهدة . واذا كنتُ أُكثر فيها من الانتقاد أطلقهُ على ما حولي وأتناول بهِ حتى نفسي فلأن الانتقاد يبعث على التفكير . عسى ان يغلب علينا ما لا نحبّ مما يُحمد « فنحسّ بفكرنا » لا اننا « نفتكر دائماً بشعورنا » وقلما تنجح أعمال العقل اذا غلبته العواطف

ولا أخشى حملات العقلاء ، فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاصغاء الى كل نظرٍ واجب . – وأدفع حملات سواهم متستنصراً عليهم أبناءهم من أصلابهم فهم الذين يثأرون منهم . يثأرون الافراد المجنيّ عليهم والمجتمع الذي يسيئون اليهِ . وسرعان ما يكون هذا الاثار اليوم

الدكتور شميل

نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، و بيانها الخالد ، بها تنهض ، وتسمو ، وتماشي الدهر ، و بها تستعز ؛ ولكم من أمة كفل لها بيانُ لغتها بعثَها بعد أن طوى جهل حكامها صحيفة وجودها ؛ وفي بعث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والروملي خير دليل و برهان ، فلئن هبّ علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم انما أرادوا باحيائها احياء لغة اليونان . فقد ضمنت اقلام كتبة آثينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفوهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كتبوه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة .

للّغات كالأمم أدوار عزةٍ وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولها ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقيّها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن و برلين . فكانت تغصّ اروقة حلقات الدرس في مدنها — وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر — بمئات الطلاب القادمين اليها انتجاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلاّب الشرق ، ولم أرَ أمة شذّت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيع في شرحها وتعليلها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرقى الامم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها مئات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند اسوار ڤينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدحرجها ضخامة الى أن ضعفت فأضمحلت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلت

الامم التي تقدمتها بفعل هذه النواميس نفسها . ولقد بلغت الامة التركية هذا المبلغ من الرقي والنهوض ، ولغتها في الحضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكأن تلك الحروب والفتوحات جرفت الأمة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد ان الامة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرّض مقاتل افرادها الى الهلاك الاّ على قَدَر . وما كان اولئك الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابناء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام ووقفوا أجسامهم على خدمة الحرب ، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خافقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضربها على أعناق الدهر خالدةً خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وستجيء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك . فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبزغ بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذّ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابنائه الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنمو برغم الحوائل التي حالت دون نموّها في الثلاثين سنة التي مرّت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جلّ مؤلفات كتّاب الغرب وعلمائهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدهم على ذلك وجود حكومةٍ لهم منهم تمدّهم بعضدها ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلأت مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أحرج أدوار حياتها تنتقل من انكسار الى انكسار ، ولعلّ السبب في إقبالهم على النهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائدها

لا لذاتها ، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالمُلك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء المُلك

ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبّار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاستانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليهِ منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتّب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرَّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم .

وقد رأى ادباء الترك ان لا مفرّ لهم من انشاء نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيهِ بايجاد الالفاظ ونحت المعاني و بعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليهِ اسم (فجر . آتي) لم يَخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرَّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجدّين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتّاب اللغتين العربية والتركية في هذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزرَ مادة ، وأصحّ سنداً ، وأقوى بياناً .

ليس مَن ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، الاّ ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفةً من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مفقود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه بهِ وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ بهِ السلف الصالح . ففي مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط ذويها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المنال . وفي نظارة المعارف

رجل كحشمت باشا دلّت سوابق أياديهِ على اللغة العربية على ان يديه لا تنكمشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسنّ لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بغرّة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبية دليلاً على حياة الأمة العربية ففي تنظيمها وتسييرها في سبلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء

(مصر)　　ابراهيم سليم نجار

عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليكِ مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنهُ كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . تودّين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لكِ احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبين ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير منتظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لكِ ، لانكِ لن تحزريه . وليس ذلك لأنهُ لا يحدث مثله كلَّ يوم وكلَّ ساعة بل لأنهُ كان عندنا غير محتمل الوقوع

أقول لكِ بلا تطويل في المقدّمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراكِ وانتِ تترددين في تصديق هذا النبإ ، بل ان ارى دهشتك وقد تحققتِ صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الانذهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا

الحادث عنكِ الى حين اللقاء . نعم ان أمينة نسيت او تناست ذلك الحبَّ الشريف الشديد المتبادل الذي كان يربط روحينا برابطٍ كنتُ اظن أن ما من قوة في الوجود تقدر على قطعه حتى ولا الموت . فهل تصدقين هذا النبأ

أنتِ صديقتها الحميمة ومستودع سرّ فؤادها . أنتِ التي طالما رأت الوجد يُسيل من مآقيها العبرات ، وطالما سمعت الهوى يصعّد من صدرها الزفرات ، وطالما رنّت في آذانك أقسامها المغلظة بأن « اتوس » هو حبيبها الوحيد الدائم ، وانها انما بحبه تحيا . انتِ التي تعرفين كلَّ ذلك . هل تصدقين انني صرت لديها كغريب ، كأنْ لم يكن شيء مما كان .

نعم هكذا حصل . والأدهى انها لا تريد ان تقدم سبباً لهذه المقاطعة سوى « ان هذا الحب لا حاجة اليه ولا فائدة منه »

لَكَم قلت لها — وأرجوكِ عذراً وصفحاً — ان قلوب النساء متقلبة ، وانها بقدر تسرُّعها في الميل تتسرع في الانحراف ؛ فكانت تقول لي « لستُ من تلك النساء . ان حبي لكِ لهو دمي الذي يجري في عروقي ؛ فحياتي هي البرهان على دوام وجوده » . وها هي الآن تحيا وتزداد يوماً عن يوم عافية ونضارة

يقولون ان جسم الانسان مجموعٌ مؤلف من خلايا حيوية صغيرة جداً دائمة الفناء والتجدد . فهل تظنين ان هذا الناموس الطبيعي — أي الفناء والتجدد — يغيّر هوية الشخص فيصيّره اليوم غير ما كان منذ سبع سنين

ان اميال النفس المختلفة — وسيدها الحب — لا توجد في الانسان عفواً ، بل لا بدَّ لها من سبب . ولا أنكر ان هذه الأميال تتغير أو تضمحل ، ولكنها كما وُجدت بسبب ، فزوالها يجب ان يكون لسبب ايضاً ، و بقدر ما يكون الميل شديداً ، يكون سببه عظيماً . فزوال هذا الميل الشديد يقتضي ان يكون سببهُ عظيماً ايضاً .

فهل تستطيعين ان تستخرجي لي من أعماق صدرها سبب هذا الانقلاب العظيم

انتِ تعرفين تاريخ حبنا كلهُ وتقدرينه قدره من الاعتبار لأنهُ حبٌّ روحي كنا بكل جرأة نباهي بهِ ونفاخر . ولكني لا أعلم اذا كنتِ تعرفين كيف نبت هذا الحبّ ونما ، فاعلمي يا أنيسة انني أنا الذي كنت ضحية هذا الحب بلا ذنب

كنت يوماً اتنزه مع نسيبةٍ لي ، فالتقينا اتفاقاً بأمينة تتنزه مع قريب لها ، وكان بيني وبين قريبها تعارف سابق ، و بينها و بين نسيبتي مثله ، فتبادلنا التحيات واجتمعنا نتحدث في شؤون مختلفة ، فما انتهت جلستنا حتى شعرت بأني نزلت من فؤاد امينة منزلاً حسناً . ثم تلاقينا فمدَّت اليَّ يد التودد ، فمددت لها يد الترحاب ، وكل منا يعجب بسجايا الآخر ، وهكذا نما الحب واشتد وتمكن مني

لم أتعشقها من نظرة كما يقولون ، ولا سعيت في جذب قلبها نحوي بالنصبي ، وهي خالية الذهن مني ، ولا سبقتها بيث الحب . بل لطالما عملتُ على اطفاء ما كان يتقد في نفسها من الشغف بي اتقاء لمبادلتها هذا الوجد خشية ان تنقلب عليَّ يوماً ، ويكون ولعي بهـا قد أزمن ، فلا يبقى الى الشفاء سبيل فأشقى وتسعد ، وأتألم ولا تبالي ؛ ولكنها كانت قادرةً ، فاقتحت دمي بمكروب هواها ، وتركتني هازئة ، ولسان حالها يقول : اشفَ ان قدرت

هل أقول ان مظاهرها تلك كانت تفنناً في اختلاب الألباب واستهواء العقول . انكِ لا توافقيني على هذا القول ، وأنا لا أجسر على الجزم بهِ . انكِ تعرفين منها أنَّ حبها كان حقيقياً كحقيقة وجودها ، ولكن يمكنني الآن ان اكرر قولي لكِ – ولو ساءك – اكرره ولا أقبل فيهِ جدالاً ، ولا بضده اقتناعاً انقلب المرأة سريع الميل سريع الانحراف . ان حبّ المرأة فجائي الحدوث فجائي الزوال ولعلها في هذا الخلق أسعد حظاً من الرجل ، فلا تأسف على هناء ضاع ولا تذكر حباً كان ، في حين ان ثبات الرجل في حبٍ لا أمل له فيه ولا عزاء ، انما هو كل الشقاء

ان الراويات الموضوعة التي تمثل وفاء المرأة وخيانة الرجل في الحب ، انمـا هي

تخيلات يُقصد بها التأثير على طبع المرأة الفطري لجعلها وفية ولو خانها الرجل ، ولكن عبثاً يتعب هولاء القصاصون

لقد اطلتُ القول وانتِ تنتظرين ان تعرفي كيف صارت هذه المقاطعة . نعم ، واليك البيان :

تعلمين أنا كنا نتقابل ونتكاتب ، فزرتها يوماً فوجدتها غائبة عن منزلها ، فكتبتُ اليها فلم آخذ جواباً ، فكتبت ثانية فجاءني منها الكتاب الآتي نصهُ :

١٠ ابريل حضرة الفاضل الكريم المحترم

تشرفت بكتابيك الأول والثاني ، المؤرخين في ٧ و ٩ الجاري ، وها أنا اجاوب حضرتك عليهما معاً ، فأقول : لقد رأيت بعد التفكر الطويل ان علاقتنا القديمة لا حاجة اليها ولا فائدة منها ؛ ولذا أرجوك أن تعذرني على عدم تمكني في المستقبل من مكاتبتك ومقابلتك ، بيدَ اني أبقى ذا كرة على الدوام مكارم اخلاقك وحسن شمائلك ؛ ولا أزال اعتبر نفسي الصديقة المخلصة أمينة

دهشت من هذا الكتاب ، ولم أفهم ما اقرأ لأول وهلة ، فكررتُ القراءة على مهل ، ويداي ترتجفان ، وعيناي تحدقان في هذه الحروف المرسومة ، لعلي استنتج من أشكال رقمها حالة الانفعال النفساني التي كانت امينة عليها عند كتابتها ؛ فوجدتها متناسقة جميلة ، على أحسن ترتيب ، مما يدلُّ على ان الكاتبة كانت على اتمّ ما يكون من الرواق والارتياح ؛ وجعلت أفسر هذا الكتاب الوجيز كما يفسرون طلسماً مبهماً ، فأخذ تفسيره عندي ما لو كتب للأ مجلداً

صرت بعد « العزيز والحبيب » حضرة الفاضل الكريم المحترم

نعم ما دام أن قلبها قد انقلب ، فقد صار حبنا لا حاجة اليه ولا فائدة منه . على أنهُ قد كان ذا فائدة ، واليه حاجة فيما مضى ، قد كان الدم الذي بهِ تحيا ..

والمرء يحب الذكرى اللذيذة ؛ فأخذت مجموعة رسائل أمينة وجعلت أقلب في

صفحاتها ، فوقع نظري للحال على كتاب سأنقل اليكِ بعضاً منهُ . قالت :

« الوقت الآن نصف الليل . الناس نيام والطبيعة هادئة ساكنة . لا صوت ، ولا حركة . لم استطع النوم فقمت الى الحديقة لأناجيك . جلست على المقعد وتخيّلتك واقفاً بجانبي ترنو اليّ بتلك النظرات وتبسم لي . نسيم لطيف يمرّ بجانب وجهي فأحمله اليك تحيتي . ليتك الآن خارج غرفتك فكنت تسمع النسيم ينقل اليك قولي « أحبك دائماً » . تنشق هذا النسيم فان روحي صائرة معه اليك »

ولا يخلو كتاب من كتبها من مثل هذا المعنى

قلت لها مرة ؛ بل غير مرة : يا أمينة تحدثني نفسي بأن حبك هذا لا يدوم ، ويالشدّ ما أخشى زواله ؛ فقالت : بل يدوم الى الأبد . قلت : اسمعي . لا ينشأ الحب عبثاً ، بل لا بد أن يكون في المحبوب مزية او مزايا راقت في نظر المحب فأحب صاحبها ، واذا كنتِ قد رأيت بي مزية تحبينها ، فلست متفرداً بها وحدي ، بل أنها توجد في غيري ، وربما بصورة أعظم وأجلّ . وقد يوجد من يتحلى بمزايا ومحاسن متعددة ، والقلب يميل الى الافضل . قالت لقد رأيت كثيراً ولم أرَ مثلك . قلت سترين في المستقبل . قالت لن يوجد مثلك أبداً

راجعت ضميري فلم أجدني أتيت سبباً يوجب هذا الانقلاب . وأنت تعلمين انها حرّة بفؤادها وسلوكها ، فالسلطة الادبية لا تؤاخذها على حبها هذا الشريف ولا سلطة شرعية عليها تحول دون استمراره واعلانهِ . فليس اذاً هنالك سبب خارجي دعا الى هذا الانقلاب والسبب منها ولا شك . فما هو ؟

لقد صح انذاري . ورأت من هو أفضل مني حاولت الجمع بين حبين ، ولكن غيرة الحبيب الجديد قطعت صلة الحبيب القديم . هي تظنني أجهل هذا السبب فدعيها مطمئنة الى ظنها . . . هنيئاً لها . . . !

انوسى

ثمرات المطابع

* دليل لبنان وسوريا (١) — صدر الجزء الأول من هذا المؤلف الذي يهتمُّ بوضعهِ حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد ، وقد تناول فيه البحث جغرافية سوريا الطبيعية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بتجارة تلك البلاد وصنائعها وفنونها وأديانها وطوائفها ولغاتها وحضارتها الى غير ذلك من الابحاث التي تدلّ على اجتهاد عظيم وتنقيب كبير لجمع المعلومات والمستندات اللازمة وإبرازها في أحسن قالب والكتاب مقدم الى دولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي الذي عرف السوريون قاطبةً أياديه وأيادي الأسرة العلوية عليهم وعلى بلادهم . ولا نشك في أن الاقبال سيكون عظيماً على هذا الكتاب لا سيما في مطلع فصل الصيف حيث يكثر عدد مرتادي لبنان وسوريا انتجاعاً للعافية فيجدون في « دليل لبنان وسوريا » كل ما يبتغون من الفوائد عن البلاد التي يقصدونها . وقد اهتمَّ الاجانب كثيراً بوضع مثل هذا الدليل لبلادهم تشويقاً للسائحين وتسهيلاً للمسافرين . فلم يكن بدٌّ من تأليف مثله عن لبنان وعدد المصطافين فيه يزداد عاماً فعاماً . فنشكر لمسعد افندي خدمته هذه ونثني على جده ونشاطهِ

* الترجمان الطلياني (٢) — عنيت ادارة المكتبة العمومية المشهورة بما لها من الآثار الطيبة في عالم المطبوعات بوضع هذا الترجمان الطلياني باللفظ العربي ، فجاء شاملاً وافياً بالغرض المقصود . وهو مصدَّر بملحوظات مفيدة عن اللغة الطليانية وكيفية النطق بحروفها ، يليها معجم وافٍ في مفرداتها مرتبة حسب المعاني ، ثمّ فصول عديدة للتخاطب في مواضيع متنوّعة . وقد وُضع بعد كل كلمة أو جملة معناها العربي وكيفية التلفُّظ بها بحروف عربية حتى انهُ ليسهل على الراغب في اللغة الطليانية أن يتعلّمها وحده لفظاً وفهماً بدون مساعدة استاذ

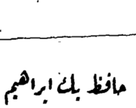
(١) طبع في مصر ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالفجالة . وفي سوريا من المكتبة العمومية وثمنه ٣ فرنكات

(٢) طبع في المطبعة العلمية في بيروت وثمنه فرنك ونصف مع ربع فرنك اجرة البريد



شبلي بك ملاَّط
مندوب ادباء سوريَّا





حافظ بك ابراهيم

﴿ مثال من خط خليل مطران ﴾

مقطع من قصيدته الشهيرة « الجنين الشهيد »

الحفلة الاكرامية

« لخليل افندي مطران »



حُيِّيتَ يا وطناً تصبو القلوبُ الى　　أرجائهِ وبهِ الأرواحُ تغتبطُ
شمسُ المعارفِ في علياهُ جامعةٌ　　أطرافَهُ وهي فيما بينهما وَسَطُ
ففي ذرى « الأرزِ » حبلٌ من اشعَّتها　　يُلقى وحبلٌ على « الاهرام » منبسطُ

ابرهيم اليازجي

في الحفلة التي أقامتها « مجلة سركيس » في الرابع والعشرين من الشهر الماضي ، احتفالاً بالانعام على خليل افندي مطران بالمجيدي الثالث ، تجلَّت هذه « الشمس » بأجلى مظاهرها ، والقت من قرصها الذهبي المتقد أشعة الحبّ والوئام والصفاء على مصر وسوريا اللتين كان يمثلهما في دار « الجامعة » نخبة الادباء والفضلاء والوجهاء في القطرين الشقيقين .

المحتفَل بهِ رجلٌ عرفهُ عشراؤه بالمروءة ودماثة الخلق وسعة الصدر وعفة اللسان والوفاء للصديق ، فأحبه الجميع . وكأن الشاعر عناه بقوله :

اذا كنتَ من كل الطباع مركبًا فأنتَ الى كل القلوب حبيبُ

هذه بعض صفات الرجل ؛ اما الشاعر الذي في بُرْدَي خليل ، فقد عرَفتهُ النفوس خلاَّبًا ساحرًا ، والافئدة محرّكاً مستفزًّا . شهدت له بكلّ ذلك نبضات قلوب قرّائه ، كما شهد له اخوانه في الأدب بقوّة بيانه ، وذكاء جنانه ، فاسمعْ ما قالوا فيه في تلك الحفلة ، وشهادة مثل هؤلاء حجة . قال حافظ بك ابرهيم :

قد سمعنا خليلكم فسمعنا شاعراً أقعد النهى وأقاما
وطمعنا في شأوهِ فقعدنا وكسرنا من عجزنا الاقلاما
نظمَ الشامَ والعراقَ ومصراً سلكُ آياتهِ فكانَ الإماما
فمشى النثر خاضعاً ومشى الشعـ ـرُ وألقى الى الخليل الزماما
فعقدنا له اللواءَ علينا واحتفلنا نزيدُهُ إكراما

وما أبلغ هذه الشهادة اذا جاءت تزكيتها من حفني بك ناصف القائل:

يا شعر مطرانٍ لعبـ ـتَ بلبِّنا ونفثتَ سحرَكْ
للهِ ما أحلاكَ يا سحرَ البيان وما أمرَّكْ
ان ملتَ يوماً للثنا ء نثرتَ في الاسماع دُرَّكْ
واذا استفزَّك عابثٌ يوماً كفانا اللهُ شرَّكْ
واذا هويتَ خلبتَ مَنْ تهواهُ واستنزلتَ بدركْ

وقال نقولا افندي رزق الله :

تأمّلْ كرافائيلَ وارسمْ فهذهِ أمامَك دنيانا وأنتَ المصوّرُ

صفِ الجوَّ والأفلاكَ والأرضَ والسما وما تُظهِرِ الأيامُ منها وتُضمرُ
ترنّم ببيتِ الشعرِ تُنعِشْ نفوسنا فنحنُ ومن في الشرقِ نُصغي ونكبرُ

وقال نعوم بك شقير :

ويبدو كما شاء في شعرهِ فطيرُ الأراكِ وليث الأجمْ
اذا رامَ ذمًّا فجمرُ الغضى وإن رامَ مدحاً فزهرُ الأكَمْ
فقلتُ : أشاعرُ هذا الزمانِ خليلٌ ؟ فقال الزمانُ : نعمْ !

وقال احمد افندي نسيم :

قوافٍ ، لو آنَّ الحسنَ صاغَ حروفها بعقدٍ ، لكانت لؤلؤاً وزبرجدا
ولو سمعتها الطيرُ في وكناتِها لقالت هديل الشعرِ عاد وغرَّدا
ففي شعرهِ روحُ المهلهلِ تارةً وآونةً روحُ الوليدِ اذا شدا

وقال اسعد افندي داغر :

أمير القوافي الذي صيتهُ كشمسِ الضحى عمَّ تسيارهُ
فرنّت قصائدهُ في العراقِ وجابت تهامةَ أشعارُهُ
وفي مصر ديوانُهُ عامرٌ ورهط البلاغةِ نظّارُهُ

كل هذه الشهادات الثمينة سجّلها لمطران استاذُ الشعر في هذا العصر اسماعيل باشا صبري اذ قال :

قلمٌ تصدرُ الحقائقُ عنهُ حالياتٍ في أجملِ الأبرادِ
ولسانٌ يعسي يُدبّرهُ فكـ ـرٌ كبيرُ النهى كبيرُ المرادِ

وكان رئيس الحفلة وهلالها الساطع دولة الامير الخطير البرنس محمد علي باشا شقيق مليك مصر، فجاءت شهادته لوحدها جامعةً لشهادة الادباء

والاصدقاء ، والشعراء والقرّاء فقال من خطبته النفيسة :

« ولقد سمعتُ منذ زمانٍ طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت ، فابتهجتُ بما وصل اليّ من أفكاره السديدة التي تنبئُ عما هو عليهِ من علوٍّ في الهمة ، وثبات في الرأي ، ووفور في العلم . ولم يكن إعجابي بهِ لما أوتيهِ من المواهب الجليلة في دولة العلم فقط ، بل لما تحلّى بهِ ايضاً من الأخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة ، وتباعد بينه وبين التحقير للغير ، حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار ، متأهباً لنيل المجد والفخار . . »

ولستُ أدَّعي ان اقدّم لقراء « الزهور » في بضع صفحات كل ما قيل في هذه الحفلة النادرة وقد كلَّف سركيس جمعُهُ مئة وستين صفحة من مجلتهِ ، ولا أن أصف في سطور قلائل ما شهدتُ ورأيت في دار الجامعة وقد تقصر عن ذلك الصفحات الطوال . غير انه لا يسعني الاَّ ان أخصَّ بالذكرِ اخواننا أُدباء لبنان وسوريا ، فانهم أحبوا اغتنام هذه الفرصة لاحكام الروابط الادبية المتينة التي تربط الامتين، فأوفدوا أديبهم الكبير وشاعرهم البليغ شبلي بك ملاَّط ليمثلهم في هـذه الحفلة ، فقام بمهمتهِ خير قيام ، وأنشد قصيدة عصماء اهتزَّ لها السامعون طرباً ، كما يحقُّ لموفديهِ ان يهتزُّوا لها عجباً ، وقد اكرمت مصر في شخصهِ الكريم ادباء سورية قاطبة، فاحتفى بهِ امراؤها وسراتها وأعيانها وأدباؤها ، وعن اكرام المصريين للضيوف الادباء حدّث ولا حرج . . . .

أعود الى الحفلة فأقول : وقد أراد فريقٌ من اصدقاء خليل مطران

والمعجبين بهِ ان يقدّموا له شيئاً غير الشعر الثمين والنثر الغالي ؛ فأهدت اليهِ السيدة النبيلة مدام تقلا باشا والدة صاحب « الاهرام » ديوانه مجلداً في غلافٍ نفيس من الفضة المحلاَّة بالذهب فكانت الهدية غايةً في الذوق اللطيف ، وأهدى اليهِ سعادة عبدالله باشا صفير قلماً ذهبياً ، رمزاً الى التبر الذي يسيل من قلم الشاعر ، وقدَّم اليهِ عزتلو حبيب بك لطف الله النيشان المجيدي المنعم عليهِ بهِ . وحمل اليه مندوب سوريا من سعادة سليم بك ايوب ثابت ساعةً ذهبية جميلة . وأهدت اليه السيدة الفاضلة لبيبه هاشم صاحبة مجلة « فتاة الشرق » أبياتاً من الشعر في اطار جميل كتبتها بخطها الظريف

وقدَّمت له الكاتبة الشهيرة الآنسة مي باقةً جميلة — في شكل خطبة غراء — جمعت ازهارها من رياض الخيال ، ورياحينها من حدائق الشعور ، فعطَّر شذاها الارجاء وأنعش الارواح

هذا بعض ما جمعتهُ لقرائي عن تلك الحفلة التي تحدَّثت بها أنديتنا ومجتمعاتنا الأدبية كل هذه الأيام

اما صديقي سليم سركيس فكل ثناءٍ عليهِ يظلُّ دون همته وتفانيه وكفاه بنجاح فكرته مدحاً وتقريظاً . ولئن كان « الخليل » اهلاً لكل ثناءٍ قيل فيه فان « السليم» الذي كان « زنبلك » كل هذه الحركة يستحقّ ايضاً حظاً وافراً من الثناء . وقد بتنا نتوقع له نصيباً من انعامات أمير النيل لنعقدَ له حفلة لم ترَها عين ، ولم تسمع بها اذن ، ولا خطرت على قلب بشر

عصا حافظ وجزمة الشميّل

حافظ ابرهيم وخليل مطران يشتغلان الآن معاً بترجمة كتاب «علم الاقتصاد» للكاتب الفرنسوي «ليروى-بوليو»؛ فتراهما يروحان ويجيئان بين المكتبة والمطبعة، ويبحثان وينقّبان عن لفظة عربية تؤدّي معنى الاصطلاحات الافرنجية. وليس ذلك دائماً بالأمر السهل؛ وسأعود الى زيادة التفصيل عن هذه المسألة في جزء آتٍ. ولم أذكر اليوم كتاب «علم الاقتصاد» إلاّ عرَضاً فقط، لأنهُ جمعني في ٦ ابريل الماضي بأحد نصفي المعرّب حافظ بك ابرهيم، فلمحتُ في يدهِ عصا عليها شارةٌ نُقِشَ فيها تاريخ إهدائها اليهِ، فاذا هو «٦ ابريل ١٩٠٧». اتفاقٌ غريب! وأغربُ منهُ ان تلك العصا قد رافقت «حافظاً» ستةَ أعوامٍ كاملة، سلمت فيها من البيع والرهن والسرقة

عجباً له حفظ العنانَ بأنملٍ　　ما حفظُها الاشياء من عاداتها

ولعلّي أدركتُ السرَّ في بقائها، فهو يهشُّ بها على غنمهِ ولهُ بها مآرب أُخرى: فبها يضربُ القوافي فتتفجّرُ لَهُ سحراً حلالاً، كما كان موسى يضربُ بعصاهُ الصخرَ فيتفجّرُ لهُ ماءً زلالاً. أو لعلَّ «عصا حافظ» لها منزلة من نفسهِ كمنزلة «جزمة» الدكتور شميّل، وقد أودعها كلّ ضروب الفلسفة

وحكاية هذه «الجزمة» انني زرتُ يوماً الدكتور الحكيم برفقة رهطٍ من الادباء، فوجدناه في غرفة عيادتهِ جالساً الى مكتبهِ، وهو في ملابس البيت؛ فحادثَنا وحادثناهُ مدةً؛ ثم اشتدَّ الجدالُ على مسألةٍ من المسائل، فقال الحكيم هازلاً «دعوني أشدّ جزمتي، فأكون أقوى حجةً، واكثر استعداداً للمناقشة» قال، ونهض الى مخدعهِ، وعاد على تمام الأهبة بعد أن «شدَّ جزمتهُ»، فقلتُ له: «قد أدركتُ سرَّك يا حكيم، وعرفتُ مواطن الضعف فيك، فانَّ منزلة هذه «الجزمة»

منك منزلة شعر شمشون منهُ » فضحك الشميّل ضحكتهُ المعتادة ، فزدتُ جرأةً وقلت : « متى اشتدَّ تقريعك لنا في « جلسات سبلندد بار » سنعمد الى جزمتك ، وننزعها من رجليك ، فندعك أعزل بلا سلاح . . . »

أما وقد عرف القرّاء سرَّ حافظ والشميّل ، فلينزعوا من الأوّل عصاه ، وليسلخوا من الثاني جزمتهُ ، اذا أرادوا ان يستريحوا من فلسفة هذا وشعر ذاك . على انني أخشى ، وقد بحتُ بالسرّ ، ان يتحوّل القراء الى جزمجية وحطّابين ، حتى يتمتعوا طويلاً بذلك الشعر الرّيق ، والنثر الشيّق

ناصر

من كل حديقة زهرة

* ابتدع أحد الاطباء الاميركان طريقةً لخدمة المرضى ، وهي أنه ربَّى كثيراً من الحمام الزاجل وجعل أوكار هذا الحمام الى جانب صيدليته . فاذا ما دُعي لمعالجة مريض ، حمل معه بعض الحمام فيكتب الوصفة ، ويعلّقها بعنق الحمامة ، ثم يُطلقها الى الصيدلية ، فيتناول الصيدلي الوصفة ، ويركّبها ، ويرسلها الى المريض مع راكب درّاجة

* دعا مدير سجن سنت كوانتن في سان فرنسيسكو الممثلة ساره برنار لتمثل أمام ١٩٠٠ سجين في ملعبٍ أقامه في فناء السجن . وبعد التمثيل ناط المسجونون بواحدٍ منهم تلاوة خطابٍ باسمهم وجّهوه الى الممثلة الشهيرة

وحدث في سجن ريفرهرد ان سجينةً شكت مدير السجن لانه يعاملها معاملة سيئة . فاظهر التحقيق أن السجّانين يقيمون حفلات رقص وغناء داخل السجن للنساء والرجال ، فالسجّانون ومديرهم كانوا يفضّلون الرقص مع الفتيات الاصغر عمرًا من الشاكية التي أربى عمرها على الخامسة والاربعين

* وأنشأ الاميركان في نيويوك سجناً للازواج المطلّقين الذين يأبون دفع النفقة لنسائهم جعلوه نادياً يلعب فيه المسجونون ويأكلون ويستحمون ويتعاملون كأنهم في أحد لانديه . وقد دلّ احصاء السجون الاميركية وميزانيتها على ان هذه الحكومة تُنفق على السجين من هولاء في كل عام ١٨٥٠٠ فرنك

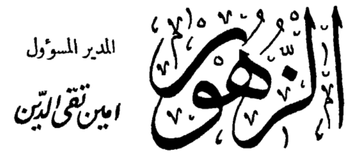
* يعرفُ علماء الفراسة أخلاقَ الانسانِ من أسرَّةِ وجهه وتقاطيع رأسه . ويعرفُ فريقٌ منهم هذه الاخلاق والاميال والاهواء في الانسان من خطوط يدهِ . وقد ظهر في اوروبا مذهبٌ جديدٌ ، وهو ان الانسان يُعرَفُ من تركيب رجليهِ وقدميهِ . واصحاب هذا المذهب يقولون « الرِّجلُ هي الرَّجُلُ » واشتهرت الكونتس دي روشفو كولد في ذلك والفت في هذا الفن كتاباً

* سنّت ولاية ايلينوا الاميركية قانوناً للصحافة يقضي بألاّ يُسمح لاحدٍ بتعاطي الحرفة الصحافية في تلك الولاية دون أن يكون حاملاً الشهادة بذلك بعد أن يقضي أربع سنين في تلقي هذا الفن . ولا يعطى الشهادة الا اذا امتُحِنَ امامَ لجنةٍ تثبتُ قدرتهُ وأدبهُ وطيب أخلاقهِ . ومن راسل جريدةً دون أن يكون حاملاً الشهادة يغرَّم من دولار الى خمسة دولارات وتغرَّم بمثل ذلك الجريدة نفسها

* سئل كثيرون من كبار الفرنسويين رأيهما في تخويل المرأة حق الانتخاب كالرجل ؛ فكانت الغالبية من المنكرين على المرأة هذا الحق . ولكنَّ فريقاً منهم استثنى من ذلك المرأة التي لا يمثّل عائلتها أحدٌ في الانتخاب . فهذه تخوَّلُ حقَّ الانتخاب . أما المتزوجة فيرى ان زوجها ينوب عنها

* في أمثال الصينيين في الزواج « ان الزواج قلعـةٌ محاصَرة : من كان خارجاً عنها ، يودُّ الدخول اليها ؛ ومن كان فيها ، يودُّ الخروج منها »

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الرابع يونيو (حزيران) ١٩١٣ السنة الرابعة

معاهد التعليم

« في مصر »

وقعت الينا نسخةٌ من كتاب « الاحصاء السنوي العام للقطر المصري » وهو الكتابُ الذي أخذتْ تنشرهُ منذ أربع سنوات ادارة الاحصاء الأميرية . فوقفنا فيهِ عند الفصل الذي يبحث في المدارس وما يتعلّقُ بها ، لأنّ الأذهان منصرفة في الآونةِ الحاضرة الى معاهدِ التعليم ؛ وأفكار التلاميذ ووالديهم حائمةٌ حولَ الامتحانات التي جرت أخيراً لنيل الشهادتين الابتدائية والثانوية ؛ والجميع يتسقّطون أخبار النتيجة النهائية ؛ إذ ان مستقبل الفريق الكبير من الناشئة متوقفٌ على تلك النتيجة

طالعنا الفصل المذكور مرتاحين الى ما أظهرتهُ لنا الأرقام الموجودة فيهِ من دلائل التقدُّم والتحسين المستمرّ في معاهدنا العلمية ، من حيث ترقيها وازدياد عددها ، وتكاثر الطلاّب المقبلين عليها . وقد طالما سمعنا في المدّة الأخيرة إطناباً جماً في ارتقاء المعارف في ربوعنا ، وثناءً وافراً على

النهضة الأدبية في مصر ، على اننا لم نرَ ، للدلالة على هذه النهضة وذلك الارتقاء ، أبلغ برهاناً وأنصع بياناً من الأرقام التي جمعناها عن مدارسنا وعددها وعدد أساتذتها وتلاميذها ؛ وها نحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا على الصورة الآتية :

نوع المدارس	عددها	عدد اساتذتها	تلاميذها		مجموع التلاميذ
			ذكور	اناث	
مدارس الحكومة	٧٠	١٠١٤	١٤٢٢٢	٧٥١	١٤٩٧٣
« الاوقاف	١٩	٩٧٧	١٧٨٧٧	١٨٢	١٨٠٥٩
مدارس مجالس المديريات ومدارس تساعدها الحكومة	٧٤	٦٤٦	٧٥٠١	١٧٤١	٩٢٤٢
مدارس حرّة	٤٢٨	٢٥١٠	٤٥٩٩٦	١٠٥٢٧	٥٦٥٢٣
كتاتيب الحكومة	١٤٦	٥٠٧	٩٩٠١	٥٢٦٨	١٥١٦٩
كتاتيب حرّة	٣٥٥٦	٧٤١٤	١٩١٦٨٧	١٨٧٥٨	٢١٠٤٤٥
مدارس أجنبية	٤٧٩	٢٧٦٩	٣٣٥٩١	٢١٠٧٤	٥٤٦٦٥
المجموع	٤٧٧٢	١٥٨٣٧	٣٢٠٧٧٥	٥٨٣٠١	٣٧٩٠٧٦

فيؤخذ من هذا الجدول أن عدد المدارس في القطر المصري بين أميرية وحرّة ، وأهلية وأجنبية ، يبلغ ٤٧٧٢ . وفيها الكتّابُ والمدرسة الثانوية والابتدائيـة ، والمدارس الصناعيـة ، والمدارس العالية للطب والحقوق والزراعة والتجارة الخ . ويبلغ عدد المختلفين اليها ٣٧٩,٠٧٦ تلميذاً وشاباً يردون فيها موارد العلم الصافية ، ويستقون منهـا مناهل الآداب العذبة ، حتى تنمو في صدورهم ثمار المعارف والفضيلة ، فيكونوا لبلادهم وأمتهم فخراً ومجداً

هذا عدا الذين يتلقون العلم في جامعات اوربا وكلياتها الكبرى سواء كان في ارساليات الحكومة ، أو على نفقتهم الخاصة ، وليس هؤلاء بالعدد القليل

وبمثل هذا الجيش من الطلبة والشبيبة المتعلمة يتعزّز مقام الأمم ، وترفع رايتها ، ويزداد عمرانها وفلاحها

أما عدد الاساتذة فقد بلغ ١٥,٨٣٧ . وكفانا لبيان خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم إيراد ما قالهُ بسمرك داهية الالمان اثر انتصارهِ على فرنسا في حرب السبعين : «اننا غلبنا جارتنا بعلم المدرسة» . فعلى الحكومة والحالة هذه ان تمهد لبلادها سبل الانتصار في معترك هذه الحياة بانتقاء اساتذة المدارس الأميرية من نخبة الرجال ادباً وفضلاً وعلماً ، وان تعني بوضع قانونٍ يضمن توفر هذه الشروط في اساتذة المدارس الحرَّة

ومما يراهُ القارئ أيضاً في الجدول الذي قدّمناهُ ان للاجانب ٤٧٩ مدرسة في القطر المصري يدرس فيها ٥٤,٦٦٥ طالباً وطالبة . وهذا العدد هو تقريباً سُبْعُ مجموع التلاميذ في مصر ، وهي مأثرة تذكر للاجانب مع الشكر الوافر

أما احصاء هذه المدارس الأجنبية من حيث عددها ، فأن للامير يكان منها ١٨٨ مدرسة ، وللفرنسويين ١٥٢ ، وللايطاليين ٤٩ ، ولليونان ٤٢ ، وللانكليز ٣٠ ، وللنمسويين ٨ ، وللهولنديين ٢ ، و ٣ لامم مختلفة . وأما من حيث عدد التلاميذ فان المدارس الفرنسوية تأتي في مقدّمة المدارس

الأجنبية ، اذ ان عدد تلاميذها ٢١,٠١٩ ، وتليها مدارس الاميركان وعدد تلاميذها ١٤,٧٤٩

***

هذه حالة معاهدنا العلمية مثبتة بالأرقام المأخوذة من أوثق المصادر. وقد رأينا تكملةً للفائدة ان نقارنَ بينها وبين ما جمعنا من الأرقام عن حالة تلك المدارس منذ اربع سنوات ليتبين القارئ درجةَ الترقي والتقدُّم التي بلغتها في هذه المدّة من الزمن . واليك المقابلة بينَ الحالتين :

السنة المدرسية	عدد المدارس	عدد التلاميذ	ذكور	أُناث
١٩٠٧ — ١٩٠٨	٤٠٩٤	٢٩٤,٩٣٧	٢٥٣,٩٢٣	٤١,٠١٤
١٩١١ — ١٩١٢	٤٧٧٢	٣٧٩,٠٧٦	٣٢٠,٧٧٥	٨٥,٣٠١

ومن هذا الجدول يُستدلُّ أنّ عدد المدارس زاد في اربع سنوات ٦٧٨ مدرسة ، بمعدَّل ١٦٩ أو ١٧٠ مدرسة جديدة في السنة . وهذه نتيجة تبهج وتسرّ . ومن المعلوم ان من يفتح مدرسة يقفل سجناً

أما مجموع عدد التلاميذ ، فقد زاد في المدة نفسها ٨٤,١٣٩ اي بمعدَّل ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة وهو عددٌ لا يستهانُ بهِ ترك جيوش الجهل لينضمّ الى جيش النور والعرفان . واذا أخذنا عدد التلاميذ منذ اربع سنوات نجد ان نسبة الطالبين الى المجموع هي نسبة ٨٦,٠٩ الى ١٠٠ ونسبة الطالبات الى نفسَ ذلك المجموع هي نسبة ١٣,٩١ الى ١٠٠ . أما في السنة المدرسية ١٩١١ — ١٩١٢ فان نسبة الطالبين هي ٨٤,٦٢ الى ١٠٠ ونسبة الطالباتَ هي ١٥,٣٨ الى ١٠٠ . فيظهر من هذه المقابلة أن

نسبة التلميذات الى مجموع التلاميذ قد زادت بعض الزيادة . على انها لا تزال قليلة جدًّا ؛ فكأنهُ ليس عندنا مقابل كل ٨٥ تلميذاً على وجه التقريب الأ ١٥ تلميذة . وهذا نقصٌ في إدارة التعليم عندنا يجب التذرّع بأنجع الوسائل لملافاته ، لأنه لا يخفى ما يترتب على هذا الفرق البيّن من الأضرار . فاننا اذا أعددنا فتياناً متعلمين ، يجب ان نهيء لهم فتياتٍ متعلمات يفهمنَ أفكارَهم ، ويُدركنَ عواطفهم ، فيشاركنهم في الحياةِ مشاركة حقيقية . وشأن المرأة في تدبير المنزل وتربية العائلة معروف لا حاجة بنا الى تفصيله في هذا المقام . ولا شكَّ في ان هذا التقصير في تعليم البنات هو السبب الاكبر لإعراض شبأننا عن الزواج أو للبحث عن شريكة حياتهم بين الأجنبيات . والنساء نصف الأمة . فهل تُعَدُّ الأمة متعلمةً راقيةً اذا علّمنا نصفها ، وأهملنا — أو كدنا — النصفَ الآخر

هذا ، واذا ظلَّ التقدّم في معاهدنا مطّرداً على هذه النسبة ، أي بزيادة ١٧٠ مدرسة و ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة ، فانّهُ لا يمضي على مصر زمنٌ طويل حتى تصبحَ في مصاف البلاد الراقية في آدابها ومعارفها وعلومها ، ولاسيما اذا لاحظنا العناية بتنقيح برنامج الدروس شيئاً فشيئاً وتطبيقهِ على حاجات الزمان والمكان . وقد رأينا من وزير معارفنا المفضال احمد حشمت باشا همةً تذكر لهُ مع الشكر الجميم في مواصلة السعي وبذل الجهد للوصول الى هذه الغاية الجليلة في هذا العصر ، عصر المنافسة في مضمار العلوم والآداب

امام مهدها ...

كتبها ولي الدين في طفلة له رآها
تحتضر وهي في الشهر الثالث من عمرها

أَقصرتْ عنكِ وسائلُ العناية ، وخابت في استبقائكِ آمال القلبين المشفقين اللذين طال خفوقهما عليكِ في الليالي الطويلة . وها أنتِ اليوم على وشك التوديع . لم تتعلمي ما يقولُ المودّعون ، لأنكِ لم تبلغي سنّ القول . ولستِ تفهمين ما يُقالُ فيكِ ، لأنكِ لم تصلي الى زمن الفهم

أشفقتُ عليكِ من أَوجاع تُحسّين بها ولا تُدركينها . ثلاثةُ أشهرٍ كثلاثِ طرفاتٍ بالجفن ، مضت وكأنها لم تكن . ليت الشفاهَ التي لامست قبلاتها تينك الوجنتين الذابلتين جفّت قبلَ أن تكونَ ممرًّا للتأوّهِ .. ! وليت تلك الانفاس التي سرتْ على وجهكِ الغضّ التهبت في احشائنا قبل ان تنقلب زفرات .. !

أعددتك ذخراً ، واذا بكِ مسلوبة . ظننتكِ لي ، فاذا بكِ للثرى . لهفي عليكِ اذ تذهبين ، ولم تري من سطوري ما يكون لكِ عظةً من بعدي ! بل لهفي عليَّ إذْ أَستندي عيونَ النيّرات بمصراعٍ ارتجلهُ ، وأنا أطلبُ اليومَ فيكِ كلامَ الرثاء ، فلا تساعفني المعاني

إن يخطئكِ الحِمام ، وهيهات ما أظنهُ فاعلاً ! فقد أبقى لي الدهرُ أملاً كاد يزمع الرحيل . وإنْ يأخذكِ كما اخذ اجدادَكِ وجدّاتكِ من قبل ، فقد اسرعتِ في قطع طريق يتظالع في قطعها الخلائق

أتيتِ نقيةً ، وتذهبين نقية ، كقطرة الطَلّ على ورقةٍ من الورد ، تلمعُ بكرةً ، ولا تلبث ان تُستطار بخاراً

بين نوحات الثاكلات ، وترجيع الحمائم بالاسحار ، وبكاء السماء ، وابتسام الارض تضادٌّ يغيظ الموجَع . لا أشكو بي فيكِ ؛ ولكني استبقيه لأعتصرَ منهُ ذوبَ الشجون ، ولأخاطبَ بهِ نفسي ناصحاً كلما غلبت عليها غفلات هذه الدار ، وكادت تكون لها فتنة . لا استطيع دفعاً لشيءٍ يسوقهُ المقدور ، ولكني وفيٌّ اضمن لكِ ألاَّ يلتام جرح يومك هذا

تزولين أنتِ وتبقى ذكراكِ . كذاك الحياة ، تزول الهيولى وتبقى الصوَر . . .				ولي الدين يكن

الاغاني في الحروب

ذهب فريق من العلماء الى أنَّ منشأ اللغات الغناء . لأن الغناء في عرفهم هو صورة الخيال الواقعة تحت الحس ، أو استفاضة مما في النفس عند امتلائها . وفي تاريخ الاقدمين ان امفيون باني اسوار طيبة كان يدفع العمال الى العمل بجد ونشاط بالغناء والاناشيد ، ألا تراهم في مصر يفعلون ذلك حتى الآن ؛ وفي اساطير اليونان ان الشعب انتصر في معركة سلامين باغاني سولون ، فنجى البلاد بعد سقوطها . وفي التوراة ان الاسرائيليين كانوا اذا خرجوا لحربٍ يسير مغنوهم أمامهم . وفي التاريخ الحديث ان الفرنساويين لما سمعوا انشودة «المرسيليز» سنة ١٧٩٢ ، وقد

اجتاح العدوُّ بلادهم ، وقبض على ناصية أرضهم ، تولتهم الحماسة ، وهزَّتهم النخوة ، فألفوا صفوفهم الممزَّقة ، وقوَّتهم الضائعة ؛ فبرز ضعافهم أشداء ، وجبناؤهم شجعاناً ، ومتطوعتهم منتظمة ، فانتصروا

وفي وصايا بولس رسول النصرانية « رتلوا وغنوا » الصلاة . وفي الآيات القرآنية : « ورتلِ القرآن ترتيلاً » ، وفي التوراة نشيد الاناشيد ، وفي اخبار داود انه ما كان يزيل كربته اذا ذكر أمرُ شاوول الاّ الغناء

وفي اخبار السحرة والعرّافين انهُ ما استأثروا الالباب ولعبوا بالعقول إلا بعد ترويضها بالغناء . ويؤكد هوراس أنّ مصر تقدَّمت غيرها من أُمم الأرض بالمدنية والحضارة ، لانها تقدَّمت غيرها بالغناء . وفي اقوال أحد شعراء الفرنساويين :

(اذا تآخت الأَصوات ، دنت القلوب من الوئام)

واذا اجتمع الناس لامرٍ ، لا تتفق عواطفهم ولا تحد أميالهم الاّ اذا اتّحدت اصواتهم بأنشودةٍ واحدة

وكان الاطباء يداوون المرضى بالاغاني . وروى هوميروس وبلوتارك أن القدماء كانوا اذا جلسوا بعد الاكل والقصف يغنون فيفثأون من ثمولهم

ومن أقوال لوبز في الغناء انهُ في الكلام كاللون في الصور .

ومن الاغاني ما يبكي ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل والشوق الى الوطن والبكاء على الشباب والمراثي والزهد . ومنها ما يطرب، وهو لما كان في نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس والصبوح والدساكر ، ومنها ما يشوقُ وترتاح اليهِ النفس كصفة الازهار والاشجار

والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسرّ ويفرح ويحث على الكرم والجود ، وهو لما كان في المديح والفخر وصفة الملوك

ومنها ما يشجع وهو لما كان في الحرب وذكر الوقائع والغارات والاسرى والنصر والفوز والفخر

ولكل امة أغانيها وأناشيدها ، ومن هذه الاناشيد والاغاني تعرف عاداتها وأخلاقها وتاريخها وأطوارها . وتتوارث السلالات ذلك جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، حتى ان نوتية المراكب في نيل مصر يغنون اليوم رعمسيس توارثاً وتقليداً بقولهم وهم يجذفون « يا رمسو يا رمسو » وفي سوريا يلقبون أغاني الحرب والقتال بالحوربة ، ويشقون منها فعل « حورب » كما انهم يلقبون أغاني الفرح بالهوبرة ويشقون منها فعل « هوبر » ولربما ورثوا هذه اللفظة من « هورا » الرومانية والأغريقية ، فضلاً عن « الحدو » الذي ينشدونهُ عند السير والمشي لا وراء القوافل والظعن فقط ، بل في كل سير سريع يتطلّب الحماسة والنشاط

وكان غزاة العرب الذين دوّخوا المشارق والمغارب اذا خرجوا لغزوةٍ أو لقتالٍ أو لحرب ، تغنوا باشعارهم الحماسية ، فيفور الدم في عروقهم وتهيج أعصابهم وتحمى نفوسهم ، ويدفعهم الفخر الى اتيان العجائب . وكانوا اذا اشتبك الأبطال بالقتال ، وكفوا عن التغني بالاشعار يوقفون نساءهم يغنينهم ، وفي يد الواحدة منهن مقرعة تضرب بها الفارين ، وفي يدها الاخرى قارورة ماء تسقي منها الجرحى . وهذه العادة لا تزال عادتهم في حروبهم وهي أيضاً من عادات الأرناؤوط وشعوب البلقان ، حتى قال

أحد الضباط الاوروبيين الذين شهدوا المعارك البلقانية ان الأناشيد والتغني بحكايات الأبطال كانت من أقوى العوامل في فوز البلقانيين . والشعوب السلافية تلقت هذهِ العادة عن الشعوب الشرقية الحربية كالعرب منذ أربعة قرون . والأغاني والأناشيد هي التي صانت قومية البلقانيين من الضياع وصانت لغاتهم من النسيان ؛ فهم منها حفظوا تاريخ اسلافهم ومجد اجدادهم واسماء أبطالهم

وقد تفرّد في نظمها العميان اذ كانوا يطوفون القرى والدساكر ، وينشدون هذهِ الأناشيد على توقيع الرباب والقزلة . واذا ذكرنا نحن أشعار عنترة والمهلهل ، عرفنا كيف يكون تأثير هذه الأناشيد في نفوس الأمم وعصابات الشبان وطوائف الجند . وتاريخ الافرنج طافح بمثل ذلك بما رووهُ عن غيليوم تل والسيد وورولان

وفي حكايات الصربيين والبلغاريين حكاية بطلٍ من أبطالهم في القرن الخامس عشر يسمونهُ ماركو قره لجيفيتش ، كان يلبس جلد الذئب ، ويتسلّح بخنجرٍ مرصع بالذهب والفضة ، ويركب جواداً يسمّى شاراتز ؛ ولهم فيهِ القصائد والأناشيد التي يحفظها كبارهم وصغارهم ، ويتغنون بها في البيوت والمنازل والأفراح والمآتم والحقول والمتنزهات ، حتى انهُ لا يوجد طفلٌ واحدٌ بلقاني لا يتمنى ان يكون ماركو . واليك ما يقولون عنه :

« اذا ضرب ماركو بسيفهِ ترك خصمهُ شفعاً بعد أن كان وتراً

« اذا طعن ماركو برمحهِ أطار خصمهُ الى ما فوق رأسهِ

« واذا دار ماركو دورتين فلَّ الجيش بدورانه »

ومن قولهم فيه ، في تخليصه الاسرى :

« يا غابتي الخضراء ، ما أذبلكِ ،

ويا مروجي الزهراء ، ما أيبسكِ ،

اصابك الزمهرير فأيبسك ،

أم اتقد فيك السعير فأحرقك ؟ »

فردت الغابة على ماركو بصوت خافت :

« يا بطلي المفدّى ، وأشجع بطل !

مرَّ بي عربيٌّ أسود ،

وبيده سلاسل الاسر الثلاث :

في واحدة الفتيات ،

وفي الاخرى العرائس ،

وفي الثالثة الزوجات»

وفي قصيدة أُخرى تخاطب ماركو جدّته بهجر القتال الى الحرث والزرع ، فيصغي الى نصيحتها ويأخذ بزرع الحقل الى جانب الطريق ، الى ان يهبط محصلو الاعشار على الفلاحين فيسلبوهم أموالهم ومزارعهم فيترك ماركو المحراث الى السيف ويخلّص المال من سالبيه ، ثم يحمله الى اصحابهِ وهو يخاطب جدتهُ بقولهِ :

« انظري اني لحارث ،

لا الحقول ولا المزارع ،

بل طريق الملك والسلطان »

وروت احدى صحف بلغراد أنه أثناء معركة بريليب ضعف الصربيون وجبنوا وأخذوا بالتقهقر ، فصاح ضابطٌ من ضباط الفرقة : « هناك مقام ماركو وهنا وطنه فاهربوا ، اهربوا الى جدار منزله » وبالقرب من محل القتال كان موطن ماركو على ما جاء في حكاياتهم . فارتدّت الفرقة الى الهجوم وقاتلت حتى انتصرت

ومن اناشيد الاروام :

« لن تصير تركية تلك الهضاب التي ينزلها الارناؤوط ،
فاناريوس حيٌّ يهزأ من الباشاوات ،
فما دام الثلجُ يكسو الاكام ،
وما دام زهرُ الربيع يكسو المروج ،
وما دامت الاودية تغصُّ بالماء ،
لا نخضع ولا نستكين ،
ولنجعل مغاور الذئب مساكننا ،
ولنترك العبيد يسكنون الدور محني الظهور »

وفي أغاني البلغاريين ان يوجانا الفتاة البلغارية رأت موكباً لكريمة الفتاة التركية ؛ فهجمت على خفر الموكب فمزّقتهُ ، وقالت لكريمة شعراً :

لم يبقَ الآكِ يا كريمة
في المركبة المذهبة
فاخرجي رأسك الابيض

لأقطعه بحد الحسام »

ومنذ عشرين سنة ألَّف ملك الجبل الاسود روايةً سماها « امبراطورة البلقان » ومن اشعاره فيها :

« فلتبقَ أرض البلقان ، أرضاً لشعبنا !

ولتخرج أرض البلقان ، حرَّةً من قيد الغريب !

والاَّ فالموت للبلقان ، خيرٌ من الاستعباد ! »

وقس على ماذكر ما لم نذكر من قصائدهم وأشعارهم وأناشيدهم التي أثارت الحمية في رؤوسهم اثناء القتال ، وحفظت تاريخهم وجنسيتهم وأمالهم وشجاعتهم قبل الحرب ، بل أعدَّت نفوسهم للثورات كما أعدَّتها للنصر

ونحن العرب الشرقيين عندنا كثير من هذه الأناشيد والأشعار الملأى بها الأسفار . ولكنَّ الأغاني في مجالسنا تُثبِّط اليوم هممنا ، وتضعف نفوسنا . فهي عبارة عن ندبٍ وبكاءٍ ونواح للوصال ، وذلٍّ في الليل وصغار في النهار . فهل يريد المغنون والمنشدون والناظمون والسامعون ان يخرجوا من الذلة وضعف النفس الى الفخر والحماسة والمجد ؟

لقد آن لنا ان نعرف أنَّا شعبٌ حيٌّ موجودٌ ذو تاريخ وأبطال وأقوال بل أفعال

***

وهذه الأغاني التي درج عليها المغنون العرب نُقلت عن مغني الخلفاء في بغداد ، بعد ان أخذهم الترف وتولاَّهم النعيم ، وانصرفت نفوسهم

الى اللهو والزهو والخلاعة ، كالرومان في آخر عهدهم . فنقلها عنهم الحضر وسكان المدن . ولكنَّ أَهلَ البادية والجبال ظلُّوا على ما كان عليهِ آباؤهم ، ولا يزالون على ذلك حتى الآن في غنائهم وعيشتهم وتقاليدهم وفخارهم وشجاعتهم . فاذا أردنا العود الى مجدنا فلنعد الى صلب الشعب في بواديهِ وقفاره ، حيث نجد الكرَم والجود والشجاعة والحماسة والنبل والشرف والعزّة والانفة　　داود بركات

الجامعة المصرية

« في خمس سنوات »

في اليوم الاخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر مصطفى بك كامل الغمراوي ، احد اعيان مديرية بني سويف ، دعوة على صفحات الجرائد المصرية سأل فيها سراة المصريين وأفاضلهم التعاون على انشاء مدرسة جامعة . وختم دعوته بقوله « انني اكتتب لهذا العمل الخطير بمبلغ ٥٠٠ جنيه »

ثم حضر الى العاصمة وخاطب بعض الافاضل وذوي الرأي في المسئلة فلقي منهم كل رعاية وانعطاف . وكان في طليعة منشطيه سعادة سعد باشا زغلول — وكان يومذاك مستشاراً في محكمة الاستئناف — فدعا الى منزله في حي المنيرة الراغبين في اتمام أمنية الغمراوي بك فاجتمعوا لأول مرة في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر سنة ١٩٠٦

وكان أول عمل فكروا فيهِ هو ابعاد المشتغلين بالصحافة عن المشروع وانتخبوا سعادة سعد باشا زغلول وكيلا للرئيس — الذي يكونون قد اتفقوا عليه فيما بعد — وقاسم بك امين سكرتيراً ، وأصدروا أول منشور باسم الجامعة جاء فيهِ : « ان المقصود هو انشاء مدرسة علوم وآداب لكل طالب مهما كان جنسه ودينه بدون مداخلة في السياسة . ويقتصر فيها على إلقاء دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنوّر عقول الطالبين وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم الكمال في أنواع ما يتلقونه بها من العلوم »

***

مضى على هذه الجلسة شهران ولا شاغل للاقلام الاَّ الجامعة وتنشيطها ؛ ونهض لما كستهم نفر قالوا انه لا يجب الاقدام على العمل ولا التشجيع عليهِ الاَّ اذا صبغت الجامعة بالصبغة الدينية . ولكن هذا الرأي لم يصادف هوى من قلوب المشتغلين بالمسئلة

ثم عقدت الجلسة الثانية وأعلن فيها سعادة سعد باشا زغلول تخليه عن المشاركة العملية في لجنة الجامعة لتعيينه ناظراً للمعارف العمومية وأكد انه لا يفتر عن تعضيد المشروع . وألقى المرحوم قاسم بك امين خطبة ضمنها خلاصة ما تم للمشروع في شهرين وهو :

اولاً — اهتم كثيراً في البحث عمن يرئس اللجنة من الأمراء فلم يفلح ولذلك وقفت حركة الاكتتاب

ثانياً — خاطب احد امراء البيت الخديوي في ان يكون رئيساً للجامعة فلم يقبل ولم يرفض

ثالثاً — طلب مساعدة الحكومة فلم تقبل لأنها تعتقد ان مشروعاً كبيراً كمشروع الجامعة لم يأتِ الوقت المناسب لأن تقوم بهِ الأمة

رابعاً — ان سمو الخديوي أظهر ارتياحاً الى المشروع والقائمين بهِ

وانتخب قاسم بك امين رئيساً ، وانتدب حضرة محمد بك فريد لأعمال السكرتارية . ثم عهد فيها الى حفني بك ناصف فعبد العزيز بك فهمي . وسارت اللجنة في أعمالها بهمة ونشاط ولم يعترها كلل ولا ملل مع وفرة ما صادفتهُ من العقبات وتثبيط العزائم ، فاكتتب له الكثيرون — وفي مقدمتهم سمو الخديوي — بمبالغ طائلة من المال . ووقف له بعضهم مساحات واسعة من الاراضي . وكان في مقدمة الواقفين المرحوم حسن باشا زايد احد اعيان مديرية المنوفية حيث وقف لها مئة فدان ، ثم عوض بك عريان المهدي من اعيان بني سويف وقد وقف لها ٨٣ فداناً . ويقدر ثمن أطيان الجامعة كلها بمبلغ ١٧٠ ألف جنيه وبلغ ريعها في السنة الماضية ٨٦١ جنيهاً و ٦١٥ مليماً

وقبل صاحب الدولة البرنس أحمد فؤاد باشا ان يكون رئيساً للجامعة . وكان أول عمل أتاهُ ارسال عشرة من الشبان المصريين الحاصلين على الشهادة الثانوية وبعض ديبلومات المدارس العالية الى اوربا لدرس العلوم العالية حتى اذا أتموا دروسهم عادوا الى مصر للتدريس في الجامعة المصرية

وفي اول مايو سنة ١٩٠٨ سمي سعادة احمد باشا زكي مدرّساً لتاريخ التمدن الاسلامي واحمد بك كمال لتدريس تاريخ الشرق القديم . وتقرر ان

يلقي اساتذة ثلاثة : فرنساوي وانكليزي وايطالي محاضرات في آداب لغاتهم ثم تترجم الى العربية بعد القائها

واستؤجر معمل سجاير المسيو جنا كليس بائع الدخان اليوناني الشهير ، في قصر النيل للجامعة فمحي اسمه من على واجهتها المبنية على الطراز العربي الأنيق ، وأُبدل باسم الجامعة المصرية وتاريخ انشائها مكتوباً باللغتين العربية والفرنسوية . وفتحت أبوابها لالقاء المحاضرات في اول اكتوبر سنة ١٩٠٨ ثم أُعلن افتتاحها رسمياً بعد ذلك بشهر واحد تحت رئاسة سمو الخديوي المعظم

***

وانعقدت الجمعية العمومية للجامعة يوم ٢٩ ابريل الماضي وقدَّم مجلس الادارة تقريراً للأعضاء عن حالة الجامعة جاء فيه انهُ «لم يمضِ سوى أربع سنوات منذ حظيت الجامعة برعاية سمو الأمير مولانا الخديوي المعظم (عباس حلمي الثاني) وهي فترة لا تعد شيئاً في عمر الجامعات اذ لو راجعنا تاريخها وما لزم لتكوينها من الوقت الطويل لوجدنا ان الجامعة المصرية خطت خطوات واسعة في هذا الزمن القصير»

ولا جدال في ان القائمين بأمر الجامعة وفي مقدمتهم دولة الرئيس لم يفتروا ساعة واحدة عن ترقية هذا المعهد الكبير . وفي خلال السنوات الأربع الماضية كان دولة الرئيس يقضي فصل الشتاء في مشاركة الاعضاء في الإشراف على جميع أعمال الادارة ، فاذا حل الصيف يمضي معظم أوقاته وهو بعواصم اوربا في مفاوضة بعض العلماء في الحضور الى مصر

للتدريس في الجامعة ، ويخاطب وزراء المعارف ورؤساء الجامعات بفرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا في مساعدة تلاميذ الجامعة المصرية باوربا على تلقّي العلوم في المعاهد العامية الكبرى ، ويحث هؤلاء التلاميذ على الجدّ والاجتهاد في التحصيل حتى يشرّفوا أمتهم بعلمهم

ولكن هذه المجهودات لم تمر الثمرة المنتظرة منها فان « المتأخّر من الاكتتابات لم يُدفع منهُ شيء للجامعة » . ولم يكتتب لها أحد بشيء في السنة الماضية ، وامتنع احمد بك الشريف عن ان يدفع للجامعة دخل المئة الفدان التي حبسها عليها « فاضطر مجلس الادارة الى النظر في أمر مقاضاتهِ »

ورأت الادارة ان الإِقبال قليل على حضور محاضرات التاريخ القديم والاقتصاد الزراعي فألغتهما . وكذلك ألغت الفرع النسائي « ريثما توفّق لوضع برنامج الخطة التي تتبعها فيهِ بحيث يكون موافقاً لحاجات السيدات المصريات » وكان عدد اللائي يحضرن هذه الدروس ٤١ سيدة

واصبحت العلوم التى تلقى في الجامعة قاصرة على الاداب وتاريخها والفلسفة وتقويم البلدان والتاريخ الاسلامي . ويدرّس آداب اللغة العربية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرس آداب تاريخ هـذه اللغة المسيو جاستون فيت . ويدرّس تاريخ الأمم الاسلامية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرّس علم تقويم البلدان ووصف الشعوب الاستاذ اسماعيل بك رأفت. ويدرّس الفلسفة العربية وعلم الأخلاق الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري . ويدرّس تاريخ المذاهب الفلسفيـة الاستاذ لويز ماسنيون .

ويدرّس تاريخ آداب اللغــة الانكليزية الاستاذ المستر برسى وايت .
ويدرّس تاريخ آداب اللغة الفرنسوية الاستاذ المسيو لويس كليمان

وقد عني اثنان من طلبة الجامعة منذ أربع سنوات بجمع المحاضرات وطبعها في مجلة خاصة . ولكنهما لم يجدا شيئاً من الاقبال عليها فعطلاها . وأخذ مجلس الادارة على عاتقه طبع هذه المحاضرات في كتب مستقلة فبلغ ما أنفقهُ على طبعها في السنة الماضية ٢٣٦ جنيهاً و ٩٦١ مليماً

وكان عدد الطلبة الذين قيدوا أسماءهم في السنــة الاولى نحو ٣٠٠ طالب منهم عدد كبير من طلبة المدارس العالية والازهر ، ثم أخذ عددهم يتناقص شيئاً فشيئاً ، فكان في السنــة الماضية ١٢٣ طالباً ، وفي هذه السنة ٧٥ طالباً فقط

وتدل الانباء الواردة من اوربا عن حالة ارسالية الجامعة ان أعضاءها « قد برهنوا بما أبدوه من مثابرتهم وجدّهم في تحصيل المعارف على انهم أهل لأن تعتمد عليهم الجامعة في خدمتها خدمة خالصة »

وعهد مجلس الادارة الى سكرتير الجامعة في ترتيب المكتبــة على النسق المتبع في مكاتب اوربا العمومية ، وينتظر اتمام هذا الترتيب بعــد سنة ، ثم تُفتح أبواب المكتبة للجمهور

* * *

وفي جلسة الجمعية العموميــة الأخيرة طلب دولة الامير فؤاد باشا اقالته من رئاسة الجامعة . فقبلهــا الاعضاء آسفين وقرروا اسناد رئاسة الشرف اليه، ودوّنوا هذا القرار في خطاب حمله اليه وفد مؤلف من أصحاب

السعادة حسين رشدي باشا واحمد شفيق باشا وعبد الخالق ثروت باشا .
ثم قرروا باتفاق الآراء ان يعهدوا في الرئاسة الى البرنس يوسف كمال باشا

والرئيس الجديد خير خلف لخير سلف . فهو منشئ مدرسة الفنون الجميلة ، وصاحب الايادي البيضاء على الجامعة ونادي المدارس العاليــة . فقد وهب الجامعة بمئة فدان ، وأعطى النادي قطعة أرض مساحتها ١٢٠٠ متر في الجيزة ، وتبرع بمبلغ ألفي جنيه لبناء دار للنادي في هذه الأرض ، وتعهد بانشاء مكتبة للنادي عهد في ترتيبها لحضرة حيدر بك فاضل سُناسي . وقد اعلن خبر هذه المنحة السنيــة سعادة احمد باشا زكي على ملإٍ من الادباء والافاضل في جلسة عقدت بنزل الكونتيننتــال ، وختم خطبته بقوله ان الامير يوسف كمال أصبح بعطيته خليقاً بان يلقب « بحامي المعارف والآداب ، ونصير الأساتذة والطلاّب »

ولا تزال الحكومة ثابتة على رأيها الذي أبدته منذ سبع سنوات ، وصرّح بهِ فخامة اللورد كرومر في أحد تقاريره وهو انه « لم يحن الوقت الذي يكون فيهِ للمصريين مدرسة جامعة » وقد تناقلت الألسنة اشاعة فحواها ان فخامة اللورد كتشنر خاطب دولة البرنس فؤاد في ضم الجامعة الى الحكومة او جعلها تحت اشراف نظارة المعارف . فلم يوافقهُ الامير على هذا الطلب . ولكن الكثيرين يؤكدون انه لا بد من ضم هــذا المعهد العلمي الكبير الى الحكومة آجلاً او عاجلاً ، فيصبح الى جانب مدارس الطب والحقوق والهندسة والزراعة مدرسة للعلوم الادبية يتخرَّج منها ادباء بدبلومات ! !

توفيق حبيب

في رياض الشعر

بين شاعرين

في الشهر الماضي انتخب اهالي دير القمر حضرة الفاضل داود بك عمون مندوباً عنهم في مجلس ادارة جبل لبنان ، وقد برح مصر لهذا الغرض ، فاذكرتنا هذه المناسبة مراسلة شعرية كانت قد جرت بينه وبين صديقه حافظ بك ابرهيم في سنة ١٩٠٢ ، وكان داود بك مصطافاً في لبنان ، فرأينا ان ننشرها لقراء الزهور وهي من خير ما قاله شعراء العصر

كتب حافظ الى عمون :

شَجَتنــا مطالعُ أقمارِهــا ... فسالت نفوسٌ لتذكارِهــا
وبتنــا نحنُّ لتلك القصورِ ... وأهلِ القصورِ وزوَّارِهــا
قصورٌ كأنَّ بروجَ السماءِ ... خدورُ الغواني بأدوارِهــا
ذكرنا حماها وبين الضلوعِ ... قلوبٌ تَلَظّى على نارِهــا
فمرَّت بأرواحِنــا هِزَّةٌ ... هيَ الكهرباءُ بتيَّــارِها
وأرض كستها كِرام الشهورِ ... حرائرَ من نسجِ آذارِهــا
اذا نقَّطتها أكفُّ الغمامِ ... أرتكَ الدراري بأزهارِهــا
وان طالعتها ذُكاءُ الصباحِ ... أرتك اللُّجينَ بأنهارِهــا
وان دبَّ فيها نسيم الأصيلِ ... أتاك النسيمُ بأخبارِهــا

* * *

وخلٍ أقامَ بأرض الشآمِ ... فبــاتت تدلُّ على جارِها
وأضحت تتيهُ بربِّ القريضِ ... كتيهِ البوادي بأشعارِهــا
وللنيلُ أولى بذاك الدلالِ ... ومصر أحقُّ بيشَّارِهــا
فشمِّرْ وعجِّل اليهــا المآبَ ... وخلِّ الشآمَ لأقدارِهــا

فكيف لعمري أطقتَ المقامَ ... بأرضٍ تضيق بأحرارِها
وأنتَ المشمّرُ إثرَ المظا ... لِمِ تسعى الى محوِ آثارِها
ثأرتَ الليالي وأقعدتها ... بمصقولِ عزمِك عن ثارِها
اذا ثُرتَ ماجت هضاب الشآم ... وباتت ترامى بثوّارِها
ألستَ فتاها ومختارَها ... وشبلَ فتاها ومختارِها
اذا قلتَ أصغت ملوكُ الكلام ... ومالت اليكَ بأبصارِها
أداودُ حسبك أن المعاليَ ... تحسبُ دارك في دارِها
وأنَّ ضمائرَ هذا الوجود ... تبوحُ اليك بأسرارِها
وأنك إمّا حللت الشآمَ ... رأيناك جذوةَ أفكارِها
وان كنتَ في مصر نعم النصير ... اذا ما أهابت بأنصارها

حافظ ابراهيم

فكتب اليهِ عمّون :

أمِنْ ذكرِ سلمى وتذكارِها ... نثرتَ الدموعَ على دارِها
وعفتَ القصورَ لأجلِ الطلولِ ... تطالعُ طامسَ آثارِها
وقفتُ بها ليلتي ناشداً ... عساها تبوحُ بأسرارِها
وللدارُ أنطقُ آياتُها ... من الراويات وأخبارِها
تعيدُ عليكَ ليالي الحمى ... بأنجمِها وبأقمارِها
سلامٌ عليكَ زمانَ الشبابِ ... ربيعَ الحياةِ بآذارِها
لأنتَ مخفّفُ أحزانِها ... وأنتَ مسوّغُ أكدارِها
ولولا الشبابُ وذكرى الشبابِ ... لعاشَ الفتى عمرَهُ كارِها
قطفنا الحياةَ به حلوةً ... وقد جاء إبّانُ إمرارِها

***

أطوّفُ في الشرقِ علّي أرى بلاداً تطيبُ لأحرارِها
فلم أرَ الاّ أموراً تسوء وتصدَعُ أكبادَ نظّارِها
فظلمٌ بتلك وذلٌّ بهذي وجهلٌ مُغشٍّ لأبصارِها
تعوقُ مراحمَ رُعيانها وترعى الولاءِ لجزّارِها
اذا شاء « قاسمُ » رفعَ الحجابِ تسمَّيهِ هاتكَ أستارِها
فلا قولَ الاّ لجهّالها ولا رأيَ الاّ لأغرارِها
يدبُّ التراخي على تربها ويجري الخمولُ بأنهارِها
منالُ الترقّي بإرغامها ومَرجى الفلاحِ بإجبارِها
أهذا الذي أورثتْ أهلَها بلادُ العلومِ وأنوارِها

***

عدمتُ حياتي اذا لم أقِفْ حياتي على نفعِ أقطارِها
« أحافظُ » هذا مجالُ العُلى فشمّرْ لسبقِ بمضمارِها
« أشوقي أحافظُ » طالَ السكوتُ وتركُ الأمورِ لأقدارِها
فصوغا القوافيَ مصقولةً وشقّا الجلودَ بيتّارِها
عساها تحرّكُ اوطاننا وتنشرُ ميّتَ أفكارِها
اقولُ واعلمُ أني سأُرمى بأني محرّكُ ثوّارِها
وأني الدخيلُ وأني الغريبُ وأني النصيرُ لفُجّارِها
أحبُّ بلادي على رُغمِها وإنْ لم ينلْني سوى عارِها
ولست باوّلِ ذي همّةٍ تصدّى الزمانُ لإنكارِها

داوُد عمون

﴿ الأنفة في الحب ﴾

من جيد الشعر وأطيبه القصيدة التي ننشرها هنا وقد رأيناها في بعض الجرائد على اشكال مختلفة : فالبعض اغفل اسم شاعرها جهلاً به ، والبعض اقتضب ابياتاً منها ، وغيره أبدل او حذف في ألفاظها . وهي لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب بموفق الدين ، الاربلي اصلاً ومنشأ ، البحراني مولداً ، المتوفى في سنة ٥٨٥ للهجرة وقد مدح بها بعض الامراء فاقتصرنا منها على النسيب لرقته ، قال :

رُبَّ دارٍ بالغضى طالَ بَلاَها ... عكف الرَّكبُ عليها فبكاها

درَسَتْ الاَّ بَقايا أسطرٍ ... سمح الدَّهرُ بها ثُمَّ محاها

كان لي فيها زمانٌ وانقضى ... فسقى اللهُ زماني وسقاها

وَقَفتْ فيها الغوادي وقفةً ... ألصقتْ حَرَّ حياها بثراها

وبكتْ اطلالها نائبةً ... عن جفوني أحسنَ اللهُ جزَاها

قلْ لجيرانِ مواثيقهمُ ... كلَّما أحكمْتُها رثَّت قواها

كنتُ مشغوفاً بكم إذْ كنتمُ ... شجَراً لا تبلغُ الطيرُ ذُراها

لا تبيتُ الليلَ الاَّ حولها ... حَرسٌ ترشحُ بالموتِ ظباها

وإذا مُدَّتْ الى أغصانها ... كفُّ جانٍ قُطعتْ دون جَناها

فتراخى الأمرُ حتى أصبحتْ ... هَمَلاً يطمعُ فيها مَن يَراها

تُخصبُ الأرضُ فلا أطرقُها ... رائداً الاَّ إذا عَزَّ حِماها

لا يَراني اللهُ أرعى روضةً ... سَهلةَ الأكنافِ مَن شاءَ رعاها

واذا ما طمعٌ أغرى بكم ... عرَضَ اليأسُ لنفسي فثناها

فصباباتُ الهوَى اوَّلُها ... طمعُ النفسِ وهذا مُنتهاها

لا تظنُّوا لي اليكم رجعةً ... كشفَ التجريبُ عن عيني عماها

* * *

ان زينَ الدين اولاني يداً ... لم تدع لي رغبةً فيما سواها

﴿ ذكرى الشباب ﴾

نُمسي تذكّرنا الشبابَ وعهدَهُ حسناء مرهفةُ القوام فنذكرُ
هيفاء أسكرَها الجمالُ وبعضُ ما أوفى على قدر الكفاية يُسكرُ
تثِبُ القلوبُ الى الرؤوس اذا بدت وتُطلُّ من حَدَقِ العيونِ وتنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالنحور قلائدٌ فاذا دنت من نحرها تستغفرُ
ويزيدهُ في فيها اللآلئُ قيمةً حتى يسودَ كبيرَهنَّ الأصغرُ

اسماعيل صبري

﴿ سكر الصبابة ﴾

أبَتِ الصَّبابةُ مورداً الاّ شؤونك وهي شكرى
يا ساقيَ الدمعِ الذي من مقلتيهِ يسيلُ خمراً
لا غروَ ان بدت الصبا بة وهي في عينيكَ سكرى

خليل مطران

﴿ دمعة على الشباب ﴾

ضحكاتُ الشيبِ في الشعَرِ لم تدع في العيشِ من وطرِ
هنَّ رسلُ الموتِ سانحةٌ قبلَهُ والموت في الأثرِ
يا بياضَ الشيبِ ما صنعت يدُك العسراء في الطررِ
انت ليلُ الحادثاتِ وإن كنتَ نورَ الصبحِ في النظرِ
ليت سوداءَ الشبابِ مضت بسوادِ القلبِ والبصرِ
فالصبى كلُّ الحياة، فان مرَّ، مرَّتْ غبطةُ العمرِ

مصطفى لطفي المنفلوطي

مجدلية اخرى

لم تكن أوّلَ مَن اساَء اليها الرجلُ فانَّ أمثالها كثيراتٌ ممن دفعهنَّ الجهلُ الى ارتكاب ما ارتكبنهُ ، والقاء تحيَّة الوداع على الفضيلة والعفاف . أليست أزقّتنا مزدحمة بأقدام هولاء البائسات ؟ أليست المدن الكبرى قائمة على أطلال بابل ، والرذيلة تمثّلُ أفظعَ أدوارها في زواياها المظلمة ؟ أَليس السين والتاميز وارثَين لماء التيبر الذي شربته رومية الفاجرة ، وماء الفرات الذي ارتوت بهِ نينوى الزانية ؟ أليست شوارعنا مسارح لتمثيل تلك الأدوار التي تقشعرُّ لها الأبدان ، وتتململ لها العظام التي في القبور ؟ أَهذهِ مدنيّتك أيها العالم ، وهذهِ فضيلتك أيها الانسان ؟ مستبدٌّ أنت ؟

ان كنت ملكاً فكن عادلاً ؛ وان كنت بشراً فكن عاطفاً ؛ وان كنت غنياً فانفق ثروتك في غيرِ الزوايا المظلمة . لماذا تحفر هاويةً لسقوط المرأة ؟ كفى ما أوصلتها اليهِ من البؤس والشقاء

***

تائهة في باريس !

في تلك المدينــة العظيمة ؛ في ذلك الاوقيانوس المتلاطم ؛ وحيدة لا بيتَ لها فتأوي اليهِ ، ولا سقف فتبيت تحته . للطيور أوكار ، وللبهائم زرائب . واما هي فليس لها أين تسند رأسها

الرواية القديمة : باعت نفسها لرجل سامها في عرضها . أعطتهُ قلباً

مملوءا اخلاصاً . فنقدَها ثمنهُ خزياً وعاراً . فتحت لهُ صدراً رحيباً ، فحفر لها مهواةً أرحب . تركت العالم من أجله فترك لها كل مذلة وهوان رحماك ! الى أين تقذف بي أيها الانسان ؟

* * *

اصرخي ما شئتِ أيتها البائسة ؛ أغضبتِ أبويكِ فطرداكِ ؛ أَغضبتِ العالم فنبذكِ ؛ أَغضبتِ اللهَ فأدار وجههُ عنكِ

أصرخي ما شئتِ . قولي لذلك الجالس على كرسي العدل ، الرابض على عرش الرحمة : « الهي الهي لماذا تركتني ؟ » أَلستِ مرفوعةً على صليب الهوان ، وتحت قدميكِ هاوية الأبدية اللاقرارَ لها

علامَ تلومين البشر ؟ هلاّ بعتِ عفافكِ الاّ للوحوش الضارية ؟ هلاّ ساومتِ في عرضكِ الاّ على قوارع الطرق ؟ ألم تعلمي ان الازهار التي يفترشها لكِ الانسان الوحش ، وأنتِ في ثوب العفاف ، تنقلب اشواكاً متى خلعتِ ذلك الثوب ؟ هوذا الأحلام التي كنتِ تعللين بها نفسكِ قد انقلبت الى خيالات مرعبة فهي تصوّر لكِ الآن ظلمات الأبدية وتمثّل لعينيكِ هاوية الشقاء اللاقرار لها

* * *

الدير ؟ . . .

وهل تمادى بكِ الغرورُ حتى زعمتِ ان الدير مأوى الساقطات ؟

هل توهمّتِ ان السقف الذي يظلل بنات الله الطاهرات يظلل أمثالكِ من الفتيات اللواتي لسنَ عذارى ولا أُمهات ؟ . .

أَيكون الدير مأوًى لراحاب وهيروديا ومرغريت وفرناند ؟

الدير ؟ . . .

هل يكون الدير ملجأً للواتي كسرنَ وصية الله القائل لا تزنِ ؟

هل يكون الدير مأوًى لمن هجرنَ العفاف واسأنَ الى المجتمع العمراني وآثرنَ منعطفات الطرق على الهياكل والمعابد ؟

هل الدير ملجأ لكل امرأةٍ يطاردها العالم لينزل بها العقاب على ما أتتهُ من الشرور والمآثم ؟

***

أجل ! ان لم يكن الدير ذلك فيجب ان يكون كذلك ؛ يجب ان يكون أوَّل محطة على الطريق الى السماء

***

تائهة في باريس ! . . .

بيت أبيها موصدٌ في وجهها ؛ وباب الدير موصد في وجهها ؛ وباب السماء موصد في وجهها ! فالى أين تأوي ؟

هنيئاً لكِ يا خالعة ثوب العفاف . ألم تتنعمي بالسعادة التي كنتِ تحلمين بها ؛ فماذا تطلبين بعد ؟

مبيتاً ؟ . . .

هوذا قوارع السبيل !

هوذا مهاوي الشقاء !

هوذا القبر !

ووراء ذلك القبر وحشة الأبدية اللانهاية لهـا ، وحجاب الظلمة يكتنف النفس فيزيد في عذابها ، وكلّ لحظة قرون واحقاب مملة

***

رحماك اللهم ! ان عرشك ليس عرشَ العدل فقط بلَ عرش الرحمة ايضاً . فانظر اليّ من فوق عرشك هذا دون عرشك ذاك . واذكر انك جبلت المرأة على الضعف ، وقذفت بها بين براثن الرجل المستبد

رحماك اللهمّ ! انك تؤدّب ولكنك انزه من أن تنتقم . فقاصص ولكن اجمل مع القصاص متّسماً من الرحمة . عاقب ، ولكن اجعل مع الشدة منفذاً . انك ارحم من أن تجل على شقية مثلي بنظرة شفقـة واحسان

الى أين اذهب يا الله ؟ ألم تجعل للطيور اعشاشاً ، وللثعالب أوكاراً ، وللبهائم زرائب ؟ فأين أسند رأسي في هذا الليل الحالك — في هذه المدينة المظلمة — في هذا الاوقيانوس المتلاطم ؟ الم تعفُ عن راحاب وتغفر للمجدلية ؟ ألم تقل لتلك البائسة التي شكوها اليك : « ولا أنا ادينكِ . اذهبي ولا تخطئي بعـد ؟ » ألم تقل ان الأعلاّء هم الذين يحتاجون الى طبيب ؟

يا لك من عصرٍ شديد النحسِ ضاعت بهِ الرحمة تحتَ الشمسِ
لم تلق مأوىً فيهِ غيرَ الرمسِ وغيرُهـا متَّعٌ بالأنس
في عالم أحلامُـهُ غرورٌ

سليم عبد الاحد

أسباب الحرب البلقانية

من الكتب الماثلة للطبع في الآونة الحاضرة كتاب « الحرب في البلقان » لحضرة الكاتب البليغ يوسف افندي البستاني وهو جامع لجميع أسباب الحرب وحوادثها ونتائجها ، ولنحو اربعين رسماً من رسوم رجالها ، ولأهم آراء الكتاب الحربيين والمؤلفين في هذا الموضوع . وقد اقتطفنا من كلامه عن أسباب الحرب الفصل التالي . قال :

من رام أن يقف على حقيقة تلك الحرب الهائلة ويدرك أثرها العظيم في الشرق والغرب يلزمه أن يعرف أسبابها وحوادثها ونتائجها. وانّا بادئون بذكر تلك الأسباب واحداً فواحداً مع الايجاز ، ومعتمدون على نخبة من أقطاب السياسة وصفوة المؤرخين والباحثين في المسألة الشرقية . فان الحرب البلقانية ليست الاّ مشهداً كبيراً فاجعاً من رواية تلك المسألة التي تعددت فيها الفصول وأدمت مشاهدها العيون

يخلق بنا أن نحسب رأس الأسباب ما انطوت عليه الضلوع ، وغلت به الصدور من الحقد القديم والضغينة الكامنة بين الأتراك والامم الاربع المتحالفة فان كل أمّة منها جعلت تربيةَ الحقد في صدور أبنائها على دولة آل عثمان فرضاً مقدّساً وآيةً من آيات الوطنية . فاذا ورد ذكر التركي على أحد أساتذتها جعلهُ عنواناً للظلم ، ومثلاً للقسوة ، وعدواً ابدياً يجب على كل فرد أن يرضع بغضه مع حليب أمهِ

أنظر الى اليونان تجد الاساتذة والوالدين والوالدات وكلّ عجوز بالية يردّدون ذكرَ مجدهم القديم ، ويعدّون التركي مغتصباً لأرضهم هدّاماً لدولتهم ، هضّاماً لحقوقهم ، ويمزجون ما يحويهِ تاريخهم من الحقائق الجارحة بخرافات وحكايات نظمها لهم أساتذتهم وشعراؤهم ليربّوا فيهم كراهة التركي ، ويحملوهم على التفكير المستمرّ في استرجاع ما وقع في قبضته من ملكهم القديم ، ويجعلوا طلب الثأر نصب

أعينهم الى أن يأتي وقته . ثم تراهم يهتمون اهتماماً خاصاً بأخبار أبطالهم والمنظومات الحماسية لشعرائهم القدماء وفي طليعتهم هوميروس صاحب الالياذة الخالدة ، ويرددون على الاخص ، من الحوادث الغابرة ، قصة يسمونها «حكاية علي باشا في يانيا» فيعزون اليه من الفظائع والاهوال ما يشيب الطفل في مهده ، ويزعج الميت في لحده . وهم يجعلون فيها القطرة بحراً والصفر سفراً ويرتبونها كما يشاء الخيال ، اذ لا يهمهم منها الا أن تجيء في شكل يُبكي النساء والاطفال ، ويُثير قلوب الرجال . قال كاتب فرنساوي كبير « يمكننا ان نقول ولا نخشى الخطأ ان حكاية يانيا حضت الامة اليونانية على الجهد الذي بذلتهُ في الحرب الاخيرة حضًّا كبيراً وأثرت فيها تأثيراً شديداً . فانك تجد كل قرية وكل دسكرة في الجزر اليونانية تأخذها الرعدة من تذكار يانيا . وترى النساء ينقلنَ تلك الحكاية الى اولادهنَّ ويذكرنَ ما أتته بعض اليونانيات من الأعمال في مجال القتال . وما من أثر أبقى في النفوس وأقوى في القلوب من حكايات وطنية تعيدها الأم وهي جاثية أمام سرير ولدها »

واضفْ الى حوادث التاريخ القديم والمتوسط حادث الفشل الكبير الذي حلَّ بهم في حرب سنة ١٨٩٧ . فانهم لبثوا بعدها يتطلعون الى الثأر واستقدموا جماعةً من الضباط الفرنساويين فنظَّموا لهم جيشهم ، وجددوا مدافعهم . وكان يزيدهم حقداً على حقد أنَّ الحكومة العثمانيــة ظلّت واقفة لدى الحكومة اليونانية ويدُها على مقبض السيف لتوقع الرُعب في قلبها وتمنعها من ضمّ جزيرة كريت الى أملاكها . وكانت جرائد الاستانة تنذر اليونان في كل يوم بالزحف على اثينا اذا قبلوا المندوبين الكريتيين في البرلمان اليوناني كما طلب اهل تلك الجزيرة

* * *

واذا رجعنا الى تاريخ البلغاريين وجدنا أنَّ الحقدَ ينمو في قلوبهم منذ سنة ١٣٩٣ أي السنة التي سقطت فيهــا الدولة البلغارية في قبضة تركيا . واذا اراد

القاريء أن يعرف مبلغ بغضهم للتركي — وكلّ موظفٍ عثماني هو تركي عندهم — فحسبهُ ان يقرأ شيئاً مما يلقونهُ على أولادهم أو يسمع ما يقوله الشيوخ والعجائز منهم . ذكر لي صديقي حقي بك العظم انهُ زار صوفيا ، عاصمة البلغار ، منذ بضعة أعوام ، وذهب يوماً مع نسيبٍ له كان معتمداً عثمانياً سامياً في مركبة الوكالة العثمانيــة الى بعض أحياء المدينة ؛ وبينما كانا مارّين أمام بيت احدى العجائز ، خرجت هذه وبيدها قدرٌ من الأقذار المختلفة وقذفت بهِ على طربوشيهما وملابسهما العثمانية

وليس يدلنا على اعتنائهم الشديد بتربية الحقد على الأتراك وزيادة النفور منهم مثل أمر مأثور . وهو أنهم تركوا محلةً صغيرة في عاصمتهم على أسوإ حال لتكون عبرةً لكلّ بلغاري فيتذكر على الدوام ما كانت عليهِ بلادهم في عهد الحكم التركي . والواقع ان تاريخ البلغار (منذ سقوط دولتهم سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٨٧٧) كان تاريخ ذُلٍّ وهوانٍ فانهم كانوا أرقّاء تلعب الاكفُّ التركية في رقابهم ، واذا شكوا حكمت السيوف في هاماتهم . ولبثوا سنواتٍ عديدة على أثر سقوط ملكهم يحسبون الأتراك من محتدٍ أشرف من محتدهم حتى صحّت فيهم حكمة القــائل « ان الاستعباد يُفقدَ الشعوبَ نصف فضيلة الرجولية »

على انهم كانوا مثل كل شعب مغلوبٍ على أمره وله تاريخ قديم ، يذكرون استقلالهم الذي تغلغل في طياتِ الزمان ويحنّون اليهِ وهم في زوايا بيوتهم ، ويشكون بصوتٍ خافتٍ من حكامهم . ولبثوا على تلك الحال من الجبن والمسكنةِ حتى سنحت الفرصة لانفجار حقدهم الكامل قُبيلَ معـاهدة برلين . وكانت عوامل ايقاظهم ثلاثة : أولهـا انّ ولاة أمورهم غلوا أشدَّ غلوٍّ في الضغط عليهم فكانت نتيجة هذا الضغط انفجار ذاك الحقد ؛ والثاني أن روسيا العدوَّة القديمة لتركيا كانت تحضنهم وتمدهم بالعون والمدد ؛ والثالث ان تحريرهم من قيد الكنيسة اليونانية أنشأ فيهم روح الاستقلال

بقيت تلك العوامل الثلاثة تعدّ نفوسهم للثورة وتزيد حقدهم المتأجج حتى هبوا ينفضون عنهم غبار الذُلّ العتيق . ولما ثارت البوسنه والهرسك سنة ١٨٧٥ رأى ذوو الإقدام منهم أنّ الفرصة كانت موافقة للثورة وشفاء النفوس من الضغينة على انهم لم يكتفوا بالخروج على الحكومة بل ارتكبوا جناية ذبح المسلمين في بعض القرى . ولم تكن ثورتهم وقتئذٍ عامةً لان قسماً كبيراً منهم كان لا يزال خائفاً من سادته الاتراك . وما ترامى خبر فتنتهم الى الباب العالي حتى عقد العزيمة على تأديبهم وكان التأديب واجباً . الاّ انهُ أخطأ الطريقة المثلى فاطلق عليهم ألوفاً من الجنود غير المنظمة بدلاً من أن يسير اليهم جنوداً نظامية تحت أمرة قائد عاقل يضع اللينَ في محله والشدة في موضعها . وروى قنصلا فرنسا وانكلترا في تقاريرهما الرسمية « ان عدد الذين ذبحتهم تلك الجنود من رجال ونساء وأطفال يبلغ ما بين ١٥ و٢٠ الف نفس »

فكان لذلك الحادث صدى عظيم في أوروبا ، وهبّ غلادستون فالقى خطبتهُ الشهيرة عن تركيا والأتراك ونسي الاوربيين ان البلغاريين فتكوا هم أيضاً بالمسلمين الآمنين . ولا غرو فان الحادث الاكبر ينسي الحادث الاصغر ؛ وهناك سبب آخر وهو ان شعور كل فئة بنكبات أهل دينها أشد من شعورها بارزاء الآخرين ، وهذا طبيعي تجده عند جميع الامم والملل ولا يتغير ما دام الانسان انساناً . وقليل هم لسوء طالع الانسانية أولئك الذين يضعون الحق فوق كل شيء

على ان هذا كلهُ بعضُ ما جرى بين العدوّين وهو يكفي للدلالة على ان الجيش البلغاري لم يزحف وحدهُ من صوفيا بل زحف هو وحقدُ خمسماية سنة !..

* * *

وليس حقدُ الصربيين وأهل الجبل الاسود على الاتراك باخفّ من حقد اليونانيين والبلغاريين . فانهم مثل حلفائهم يربّون في ابنائهم محبة الثأر من تركيا ،

ولا ينسون انتصار الأتراك عليهم وفتكهم الذريع بهم . ذكر الموسيو « البير مالي » الاستاذ الكبير في التاريخ السياسي ان المؤرخ الصربي « ليوبا كوانتشفيتش » وقف يرثي ابنه الذي قتل في احدى معارك الحرب البلقانية فقال :

(يا بنيَّ نم بسلام فقد اوفيتَ دينك للوطن . وقل لدوشان ولازار بل قل لجميع شهداء قوصوه ان أمتهم ثأرت لقوصوه ...) . ولقد دلت الحرب على ان الثأر الذي اشار اليهِ هذا المؤرخ الصربي هو امنية كل فرد من امته ، وانَّ الحقد على الأتراك شامل لطبقاتها . قال ايضاً الموسيو « البير مالي » ان معارك قوصوه – التي حدثت من نحو ٥٠٠ سنة – ما زالت تذكر عندهم كما تذكر حوادث حرب السبعين عند الفرنساويين، وما برحوا يرددون تذكار القيصر دوشان والقيصر لازار حتى الآن

ثم روى الاستاذ نفسه دليلاً على احتفاظ الصربيين بما يُضرم الضغينة في قلوبهم على الأتراك قال : ان الفاً من الصربيين كانوا سنة ١٨٠٩ محصورين في احد المعاقل على مقربة من مدينة نيش ، فرأوا ان الأتراك أوشكوا ان يستولوا على موقعهم عنوةً ؛ فاختاروا ان ينسفوا معقلهم بما كان عندهم من البارود على ان يقعوا احياء في ايدي اعدائهم ؛ ثم جاء الأتراك بعد نسفه وفصلوا رؤوسهم عن الجثث وجعلوا منها شبه برج . ولما دخل الصربيون مدينة نيش سنة ١٨٧٨ كان ذاك البرج محفوظاً على شكله ؛ فرفعوا الجماجم ودفنوها في مقبرةٍ وابقوا البرج ليراه الابناء والاحفاد ، ولقبوهُ ببرج الجماجم ، واصبح امره موضوع قصص العجائز والوالدات في البيوت والاساتذة في المدارس

وليس من غرض هذا الكتاب أن نفيض في شرح الوقائع التاريخية التي اشعلت نار ذاك الحقد . فانا نختم الكلام عن هذا السبب الاول من أسباب الحرب بما تضمنهُ قانون أصدرتهُ حكومة الجبل الاسود سنة ١٤٨٤ ليكون دليلاً آخر على

الحقد القديم في صدور أهل ذاك الجبل أيضاً وهو :

« اذا نشبت الحرب بيننا و بين الأتراك فلا يجوز لاحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال الا بامر رئيسه . وكلّ من يفرّ أمام الترك يفقدْ شرفه الى الابد ويُصبح محتقراً منبوذاً من آلهِ ، ثمَّ يُلبس ثوب امرأة ويُعطى مغزلاً ليشتغل بهِ مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهنَّ الى طرده كما يطرد الجبان الذى يخون وطنه »

وهنا ندع القاريء يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر　　يوسف البستاني

سفراء الدول

يلعب السفراء في الآونة الحاضرة دوراً خطيراً في الحوادث التي تشغل الآن العالم قاطبة . وبهذه المناسبة ننشر للقراء المقالة الآتية التي كتبها خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب المجيد اسكندر افندي شاهين « صاحب الرأي العام » ورئيس تحرير « الوطن » . قال :

اذا كان لك على الزمان قضية وفي صدرك الكريم من أهل الزمان غلة لأنهم لم ينصفوك او لأن عامتهم نسبت فضلك الى سواك فاعلم ان لك في هذا الظلم شركاء يقومون بكبير الأعمال ويُمدح غيرهم من سراة الرجال . هم السفراء ينوبون عن ملوك الأرض وشعوبها .ويُنجزون المهام العسيرة على مهلٍ ، ويحلّون المعضلات من وراء الحجاب فلا يدري الجمهور بما فعلوا ويزعم الأفراد ان الفضل في الحل لمعاشر الملوك والوزراء . ولطالما تغنّت الأقوام بمدح ملك وردّدت ذكر ذكائهِ الشديد ورأيهِ السديد مع ان الملك لم يكن الاّ عاملاً برأيِ سفيرهِ ، ولو ترك الأمر لهُ لبقيت الحالة كما كانت او ساءت وتغيّر تاريخ بني الانسان . وربما وقع الوزير في

خطإٍ يحمله على الخروج من منصبهِ وتحمُّل مرارة الذم وسخط المواطنين ، أو رأى الناس يكتبون التاريخ مقلوباً على عادتهم من قدم، وينسبون اليهِ الغلط في السياسة والتدبير وهو مع ذلك بلا ذنب يوجب الملام غير انهُ وثق بأحد السفراء، وعمل برأيهِ أو تحمَّل تبعة غلطهِ الكبير

فالسفير في هذه الممالك هو القوَّة الكامنة وراءَ العرش وهو المحرّك خفيَّ عن الأَبصار يدير المسائل ، ويقضي في الأُمور بالنيابة عن الملوك والوزراء ولكن عامة الخلق لا تفطن الى وجودهِ في كثير من الأَحوال ولا تنصفه حين توزّع مدائحها على جليل الأَعمال . ما سمعت بسفير نال حقّه من ثناء الجمهور الاَّ حين عُقد مؤتمر السفراء في لندن وعهدت الدول الى اعضائهِ الحاليين تسوية المشاكل والبتّ في معظم ما يتعلق بحرب البلقان ومستقبل الشرق القريب.

قلت ان السفير نائب الملك او للدولة في البلاد التي ينتدب لانتيابها فهو اكبر من الوزير مقاماً يتقدَّمهُ في المحافل الرسمية وقد يتقدَّم بعضَ الأُمراءِ ايضاً فما يعلوهُ في موضع عملهِ غير ملك البلاد او الرئيس . وراتب الوزير على الجملة أقل من راتب السفير لأَن وزراءَ الغرب يقتضون حوالي خمسة آلاف جنيه في السنة وأما السفراء فرواتبهم من ستة آلاف الى عشرة في العام . وربما كان سفير الجمهورية الفرنسية في لندن أعظم الاقران راتباً لأنهُ ينال من مال بلادهِ ٢٦٠ ألف فرنك او اكثر من عشرة آلاف جنيه ؛ ولهُ في عاصمة الانكليز قصر منيف ومقام عظيم . ولا يقلّ السفراء في العواصم الكبرى مقاماً عمن ذكرت ولو ان الراتب

أقل ألفاً أو ألفين فان السفير واحد في الكرامة سواء كان في لندن أو في غيرها من العواصم التي يُعرف فيها وكلاء الدول العظمى باسم السفراء وهي باريز وبطرسبرج وبرلين وڤينا ورومية والاستانة وواشنطون وتوكيو وبكين . وأما الدول الثانية مثل اسبانيا والبلجيك وبقية هذه الممالك والجمهوريات فان مندوبي الدول فيها يعدّون وكلاء سياسيين ورواتبهم تختلف ما بين ألف جنيه في السنة وسبعة آلاف وهو راتب وكيل الدولة الانكليزية في مصر ومدريد وريودي جانيرو عاصمة جمهورية البرازيل . وليس يعدّ هذا الراتب كبيراً على السفير أو وكيل الدولة لأنهُ ينبغي لهُ ان يعيش عيشة الملوك وأن يحيي الليالي الراقصة ويولم الولائم ويكون في مقدمة أهل البذل والعطاء . وقد كان السفراء قبل هذه الأيام يأخذون معهم من بلادهم جيشاً جرّاراً من العمّال والصنّاع والخدَمة والأطباء وسواهم حتى يكون كل ذي علاقة بقصر السفير من أهل بلادهِ وتعد سفارتهُ مملكة ثانية لملكهِ في عاصمة الدولة الأخرى ولكنهم قللوا من هذا الاسراف في الزمان الأخير

وما زالت السفارة في كل بلاد تعدّ جزءاً من أرض المملكة التي جاء منها السفير : فسفارة الروس في باريز قطعة من أرض روسيا تسري فيها الاحكام الروسية ولا سلطة لفرنسا وقانونها على من دخل أرض هذه السفارة وقس على هذا ما جرى مجراه . يذكرني ذلك بما كان من أمر ملك الانكليز وامبراطور النمسا في احدى السنين الماضية فان الامبراطور كان قد وعد بزيارة الملك في لندن ثم رأى أنَّ الكبر أقعد همتهُ وصيَّر

السفر خطراً عليهِ فعدل عن تلك الزيارة ولما ذهب ملك الانكليز بعد ذلك الى ڤينا قام الامبراطور لاستقباله وذهب للسلام عليهِ في السفارة الانكليزية وتعشى فيها معهُ ليقال أنهُ زار قرينهُ في أرض انكليزية وهي سفارة انكلترا في عاصمة النمسا . ويذكر من هذا القبيل ايضاً أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة لا يدخل سفارة أجنبية لان قانون الجمهورية يحظر عليهِ السياحة في الاقطار الخارجية مدة الرئاسة ، والسفارة عندهم أرض أجنبية كما تقدم البيان . فمقام السفير مقام ملك ولهذا تراهم يهتمون غاية الاهتمام لانتقاء السفراء وقد يتنازل رئيس الوزارة عن كرسيه حتى يذهب سفيراً الى عاصمة من العواصم الكبيرة وتعرض الوزارة من حين الى حين على بعض السفراء فيأبونها. مثل المسيو وادنتون سفير فرنسا السابق في لندن كان رئيس الوزارة الفرنسية ومثل اللورد دفرن سفير انكلترا السابق في باريز عرضت عليهِ الوزارة مراراً فلم يقبلها. ولقد قال اللورد بامرستون يوماً وهو أحد وزراء الانكليز المشهورين انه ليس في كل عشرة ملايين رجل اكثر من واحد يصلح للسفارة . وقوله صحيح لما أن السفير يدير سياسة الدولة التي ترسله والدولة التي تقبله على السواء فهو في يده السلم والحرب اذا كان قليل الميل الى السلام كان اضرام الحرب على يده من أسهل الأمور

ولما كان هذا مقام السفير وهذا شأنه فهم قد خصُّوه بامتيازات شتى حتى جعلوه مساوياً لملك البلاد التي يقيم فيها واذا شاء السفير أن يخاطب القيصر أو الملك رأساً في كل أمر فلا سبيل الى ارجاعهِ عما يريد . ولكن

السفراء وهم دهاة الامم وجبابرة العقول يؤثرون الوصول الى غاياتهم بطرق اللطف والمجاملة فلا يصرّون على حق لهم يولد الجفاء أو يدعو الى النفور. وقد بدأوا بأعطاء السفير حقوق الملك من نحو ١٨٥ سنة . وكان منشأ هذا الامتياز في لندن اذ حدث فيها ان بعض المتآمرين واصحاب الدسائس قبضوا على سفير روسيا في لندن وخطفوهُ من وسط المدينة ، وأودوا به لاسباب تتعلق بسياسته في داخلية روسيا . فكبر الأمر على حكومة الانكليز وأصدرت أمراً باعتبار سفراء الدول الكبيرة مثل ملك انكلترا في الامتيازات والحقوق حتى لا يبقى سبيل الى الاعتداء عليهم كما حدث لسفير الروس . واجتمع بعد ذلك مؤتمر للدول في باريز رأى أعضاؤه أن انكلترا أصابت في منح هذه الامتيازات للسفراء، فاجمعوا على تعميم هذا المبداء في جميع العواصم على السواء

وعلى هذا فان السفير مثل الملك فوق القانون يمكنـهُ أن يأتي ما شاءَ من المنكرات ولا حرج عليهِ ولا سلطة تقوى على رده ؛ فكل ما يمكن فعله في هذه الحالة أن الدولة ترجو دولة السفير المذكور اقالته أو نقله من بلادها . ولكن هذا لا يحدث من السفراء وهم رجال الأدب الباهر واللطف المشهور والعقول الكبرى في كل زمان . كذلك عمَّال السفارات وأقاربهم يعدون من اصحاب الامتيازات لا سلطة للحكومة المحلية عليهم. فاذا اقترف احد كتَّاب السفارة اثماً نجا من سلطة الحكومة المحلية بقوة هذا الامتياز وقد تجري محاكمته داخل السفارة حسب قانون بلاده الاصلية . ولكن هذا لا يحدث أيضاً الا فيما قلّ. واكثر السفراء يتنازلون عن حق

سفارتهم فيما لو حدث أمر يخالف قانون البلاد من أحد عمالهم ويسلمون ذلك العامل للحكومة المحلية احتراماً لها ولقانونها. حدث مثل هذا من عهد غير بعيد في لندن اذ اعتدى روسي على احد الاهالي وصفعه على وجهه في قارعة الطريق فلما علم السفير الروسي بما جرى أمر عامله في الحال أن يذهب الى المخفر ويسلم نفسه للبوليس الأنكليزي أو يخرج من خدمة السفارة فآثر الرجل عدل انكلترا على ضياع المركز وحكم عليه بغرامة مع انه كان يمكن انقاذه من العقاب. ومن هذا القبيل أن سفير الاميركان في باريز صدمت عربته عاجلة صغيرة لأحد الاهالي فحطمتها ولما رأى السفير ذلك عرض على الرجل ان يعوض عليه ما فقد في الحال ولكن الرجل كان ذا نزق فلم يكلم السفير واقام عليه قضية وكان كاتب المحكمة جاهلا مثل صاحب القضية فقبلها وأرسل انذاراً الى السفير كأنما السفير تحت سلطة القانون. فاعرض السفير الاميركي عن الانذار وأرسله الى وزارة الخارجية وكانت النتيجة ان الانذار الغي في الحال والكاتب عزل وحقوق الرجل ضاعت بقوة الامتياز الذي خص بمعاشر السفراء.

ويحق لنساء السفراء ما يحق للملكات لان السفير يتقدم وزراء الامة التي يقيم في ارضها ولزوجته حق التقدم ايضاً على كل نساء المملكة ما خلا الاميرات. وقد حدث أشكال بسبب امتياز النساء هذا في رومية من بضعة اعوام لان احدى الاميرات دعت علية القوم الى ليلة راقصة فلما انتهى الرقص دعت الاميرة بعض صاحباتها وقريباتها للطعام ولم تدع زوجة السفير الفرنسي ولا زوجة السفير الانكليزي الى المائدة فخرجت

السيدتان من قصر الاميرة مغضبتين. وانكر السفيران فعل الاميرة وطلبا من حكومة ايطاليا أن تحملها على الاعتذار وكانت حكومة الطليان في أول الامر مستخفة بالحكاية فلما كثرت عليها المسائل والرسائل من لندن وباريز اضطرت الى العدول عن رأيها وارضت السفيرين

ويعفى السفراء من الضرائب المحلية والعوائد ورسوم الجمارك حتى ان الاشياء الواردة باسم السفير أو أحد عماله من الخارج ترسل بلا تفتيش ولا تنقيب . وربما ذكر القراء ما حدث في الاسكندرية من زمان قريب بشأن هذا الامتياز فان قنصل روسيا وقع في مشكلة ورأى عمال الجمرك ان الصناديق التي ترد باسمهِ أو بأسماء مختلفة لترسل على يده الى من يشاء كثرت فيها المهربات فافضى الامر الى ان الحكومة الروسية عزلت قنصلها أو نقلتهُ من الاسكندرية ولكن حكومة مصر لم يكن لها سلطة عليه مع انهُ أهانها وهرَّب الممنوع الى بلادها على طريقة كان لها دوي كبير

على ان السفير لا يجوز له شيء واحد لقاء كل هذه الامتيازات هو التدخل في السياسة الداخلية المتعلقة بالبلاد التي يقيم فيها فاذا عرف عنهُ تداخل من هذا القبيل ولو كان صغيراً سقط من مقامهِ العالي واضطرَّ الى الرحيل . وقد يحدث من هذا القبيل ما يوقع السفير في حيرة وعقدة لا حلَّ لها مثل ان يكون حزب الاحرار في انكلترا مخالفاً لحزب المحافظين في عقد المحالفة مع روسيا فاذا سئل سفير الروس رأيهُ يوماً وهو يعلم ان عقد المحالفة يفيد بلاده لم يجز له ان يمدح حزباً ويذم حزباً

في البلاد ولا ان يعضد فريقاً بقول له أو رأي لان أقل اشارة بهذا المعنى تعدّ تدخلاً في السياسة الداخلية لا يجوز . وهذا ايضاً قليل حدوثه . اعلمُ من قبيله حادثة واحدة قديمة جرت في لندن حين تدخل سفير النمسا في سياسة الاحزاب الداخلية تدخلاً لو تمّ المراد منهُ لأدى الى سقوط وزارة الانكليز . وقد كان صنيع هـذا السفير يومئذٍ شاذاً الى الغاية القصوى وموجباً للغضب حتى ان حكومة الانكليز اعرضت عن المجاملة وامتياز السفراء وقبضت على هذا السفير وأمرت بمحاكمته فحكم عليهِ القاضي بالحبس . ولما علمت النمسا ببيان ما فعل سفيرهـا في لندن تبرأت منهُ ورضيت بمحاكمتهِ ومعاقبته فلم ينشأ اشكال ولا حرب

واذكر حادثة اخرى قريبة العهد من هذا النوع هي ان رجلاً من الاميركيين أرسل الى سفير انكلترا في واشنطون كتاباً يسأله فيـهِ رأيه عن اي الرجال اصلحهم لرئاسة الجمهورية الاميركية وكان الرئيس يومئذٍ المستر كليفلاند وهم يسعون في اعادة انتخابه فكتب السفير — واسمه اللورد ساكفيل — رداً الى صاحبه الاميركي يقول ان كل اميركي يحب الخير لبلاده يجب ان يسعى في بقاء المستر كليفلاند رئيساً لجمهوريتها . ونشرت بعض الصحف الاميركية هذا الكتاب فهاج الجمهور ولا سيما الحزب المخالف لكليفلاند وعدوا تدخل السفير الانكليزي في امورهم الداخلية اثماً لا يغتفر حتى ان المستر كليفلاند اضطر الى طلب اقالته وأعاد اليهِ أوراق تعيينه فكان لتلك الحادثة صدى ودوي من نحو عشرين سنة وكادت تؤدي الى وقوع الحرب بين الانكليز والاميركان

لان اللورد سولسبري وهو يومئذٍ وزير الانكليز عدَّ فعل الرئيس اهانة لسفيره فلم يعيّن سفيراً بدله حتى انتهت الانتخابات الاميركية وخرج كليفلاند من منصب الرئاسة

هذا الذي لا يجوز للسفراء واما الذي يجوز فاكثر منهُ كما رأيت وليس في الارض فئة اخرى تتنعم بكل هـذه النعمة وهذا الامتياز في ديار المتمدنين

اسكندر شاهين

الاندلس الجديدة

ننشر لقراء « الزهور » في الصفحات التالية قصيدة عصماء في رثاء مقدونيا وخروجها من يد الدولة العثمانية بعد عقد الصلح في مؤتمر لندرا . وهذه القصيدة من أبدع ما جاءت به قريحة شاعر عربي ، فقد جمعت من جزالة اللفظ ومتانة السبك وسموّ الخيال وبلاغة الارشاد ما يستفز القارىء طرباً عند كل بيت من أبياتها ، ويستوقفه معجباً بكل معنى من معانيها . اما ناظم دررها الغوالي فيحق له ان يجلس على عرش دولة البيان ويلقب بأمير الشعر في هذا العصر ، كما يسلم بذلك كل من يطالع هذه القصيدة النفيسة ، وان كان يؤاخذ شاعرها بانه مزج الدين بالسياسة — ولا دين للسياسة . فها هي الدول التي كانت معادية لتركيا بالامس تكاد اليوم تنهش بعضها على بعض حرباً طاحنة وهي على دين واحد ومعتقد واحد :

يا أختَ أندَلُسٍ عليكِ سلامُ　　هوَتِ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ

نزلَ الهلالُ عن السماءِ فليتَهـا　　طُويت وعمَّ العالمينَ ظلامُ

أزرى بِهِ وأزالَهُ عن أوجِهِ　　قَدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تَمـامُ

جرحانِ تمضي الأمَّتانِ عليهما　　هذا يسيلُ وذاكَ لا يَلتـامُ

بكما أُصيبَ المسلمونَ وفيكما　　دُفِنَ اليراعُ وغيِّبَ الصمصامُ

لم يُطوَ مأتمُهـا وهذا مأتمٌ　　لبِسُوا السوادَ عليكِ فيـهِ وقاموا

ما بين مصرعِها ومصرعكِ انقضت　　فيما نحبُّ ونكرهُ الأيَّامُ

خلَتِ القرونُ كليلةٍ وتصرَّمت　　دولُ الفتوحِ كأنها أحلامُ
والدهرُ لا يألو الممالكَ منذراً　　فاذا غفلنَ فما عليهِ مَلامُ

* * *

مقدونيا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ،　　كيف الخؤولةُ فيكِ والأعمامُ ؟
أتراهمو هانوا وكانَ بعزّهم　　وعلوّهم يتخايلُ الاسلامُ ؟
اذ أنتِ نابُ الليثِ ، كلُّ كتيبةٍ　　طلعت عليكِ فريسةٌ وطعامُ
ما زالت الأيامُ حتى بُدّلت　　وتغيَّر الساقي وحالَ الجامُ
أرأيتِ كيف أُديلَ من أُسدِ الشرى　　وشهدتِ كيف أُبيحت الآجامُ
زعموكِ همّاً للخلافة ناصباً　　وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ
ويقولُ قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ　　وأراكِ سائغةً عليكِ زحامُ
ويراكِ داء المُلكِ ناسٌ جهالةٌ　　بالمُلكِ منهم علّةٌ وسقامُ
لو آثروا الاصلاحَ كنتِ لعرشهم　　ركناً على هامِ النجومِ يقامُ
وهمٌ يقيّدُ بعضُهم بعضاً بهِ　　وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صُوَرُ العمى شتّى وأقبحُها اذا　　نظرتْ بغيرِ عيونهنَّ الهامُ
ولقد يقامُ من السيوفِ وليسَ من　　عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيامُ

* * *

ومبشّرٍ بالصلحِ قلتُ لعلَّهُ　　خيرٌ عسى أن تصدقَ الأحلامُ
تركَ الفريقانِ القتالَ وهذهِ　　سَلْمٌ أمرُّ من القتالِ عقامُ
ينعى الينا المُلكَ ناعٍ لم يطأْ　　أرضاً ولا انتقلتْ بهِ أقدامُ
برقٌ جوائبهُ صواعقُ كلُّها　　ومن البروقِ صواعقٌ وغمامُ
ان كانَ شرٌّ ، زارَ غيرَ مفارقٍ ،　　أو كانَ خيرٌ ، فالمزارُ لمامُ
بالأمسِ أفريقا تولّت وانقضى　　مُلكٌ على جيدِ الخضمِّ جسامُ

نظم الهلالُ بهِ ممالكَ أربعاً أصبحنَ ليس لعِقدهنَّ نظـامُ
من فتحِ هاشمَ أو أميَّةَ لم يضَعْ آساسَهَا تترٌ ولا أعجامُ
واليوم حُكمُ اللهِ في مقدونيـا لا نقضَ فيـهِ لنا ولا ابرامُ
كانت من الغربِ البقيةُ فانقضت فعلى بني عثمانَ فيهِ سلامُ

*
* *

أخذَ المدائنَ والقرى بخناقهـا جيشٌ من المتحالفينَ لهامُ
غطَّت بهِ الأرضُ الفضاءُ وجوهَها وكست مناكبهَا بهِ الآكامُ
تمشي المناكرُ بين أيدي خيلهِ أنَّى مشَى والبغيُ والإجرامُ
ويحثُّهُ باسم الكتابِ أقسَّةٌ نشطوا لما هو في الكتاب حَرامُ
ومسيطرون على الممالكِ سُخِّرت لهم الشعوبُ كأنها أنعامُ
من كلِّ جزَّارٍ يرومُ الصدرَ في نادي الملوكِ وجَدّهُ غنَّامُ
سكِّينهُ ويمينـهُ وحزامـهُ والصولجانُ جميعُهـا آثامُ

*
* *

عيسَى سبيلُك رحمـةٌ ومحبةٌ فـي العالمينَ وعصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفَّاكَ الدماءِ ولا آمراً هانَ الضعافُ عليـهِ والأيتامُ
يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورى كثُرت عليـهِ بآسمكَ الآلامُ
أنت الذي جعلَ العبادَ جميعَهم رَحِماً وبآسمك تُقطعُ الأرحامُ
أتتِ القيامةُ في ولايةِ يوسفٍ[1] واليومَ بآسمكَ مرتين تقامُ
كم هاجَهُ صِيدُ الملوكِ وهاجَهم وتكافأ الفرسانُ والأعلامُ
البغيُ في دينِ الجميعِ دنيّـةٌ والسلمُ عهدٌ والقتالُ ذمامُ
واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ همُ للالهِ وروحهِ ظُلَّامُ

(١) يوسف صلاح الدين الايوبي

خنطوا صليبَك والخناجرَ والمُدى … كلٌّ اداةٌ للأذى وحِمامُ
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانَهم … بين البيوتِ كأنهم أغنامُ
كم مُرضَعٍ في حجر نعمتِهِ غدا … ولهُ على حدِّ السيوفِ فطامُ
وصبيةٍ هُتكت خميلةُ طهرها … وتناثرت عن نورِهِ الاكمامُ
وأخي ثمانينَ آستبيح وقارُهُ … لم يغنِ عنهُ الضعفُ والأعوامُ
وجريحِ حربٍ ظاميءٍ وأدُوهُ لم … يعطفهمو جرحُ دمٍ وأوامُ
ومهاجرينَ تنكَّرت أوطانُهم … ضلّوا السبيلَ من الذهولِ وهاموا
السيفُ ان ركبوا الفرارَ سبيلُهم … والنطعُ ان طلبوا القرارَ مقامُ
يتلفّتونَ مودِّعينَ ديارَهم … واللحظُ ماءٌ والديارُ ضرامُ

*
* *

يا أمةً بفروقَ فرَّقَ بينهم … قَدرٌ تطيشُ اذا أتى الأحلامُ
فيما التخاذلُ بينكم ووراءكم … أممٌ تُضاعُ حقوقُها وتضامُ
الله يشهد لم أكن متحزّباً … في الرزءِ لا شيَعٌ ولا أحزابُ (١)
واذا دعوتُ الى الوئام فشاعرٌ … أقصى مناه محبةٌ ووئامُ
من تُضجرُ البلوى فغايةُ جهدهِ … رُجعى الى الأقدار واستسلامُ
لا يأخذنَّ على العواقب بعضكم … بعضاً فقِدماً جارتِ الأحكامُ
تقضي على المرءِ الليالي أو لهُ … فالحمد من سلطانها والذامُ
من عادةِ التأريخ ملءُ قضائهِ … عدلٌ وملءُ كنانتيهِ سهامُ
ما ليس يدفعهُ المهنّدُ مصلتاً … لا الكتْبُ تدفعهُ ولا الأقلامُ
انَّ الأُلى فتحوا الفتوح جلائلاً … دخلوا على الأُسْدِ الغياضَ وناموا
هذا جناه عليكمو آباؤكم … صبراً وصفحاً فالجناة كرامُ

(١) الاحزاب وزناً ومعنى

رفعوا على السيف البنــاء فلم يَدُمْ　　ما للبنــاء على السيوف دوامُ
أبقى الممالكِ ما المعــارف أسُّهُ　　والعدل فيــهِ حائطٌ ودعامُ
فاذا جرى رشداً ويمناً أمرُكم　　فامشوا بنورِ العــلم فهو زمامُ
ودعوا التفاخرَ بالتُراث وان غلا　　فالمجد كسبٌ والزمانُ عصامُ
انّ الغرور اذا تملَّك أمةً　　كالزهر يُخفي الموت وهو زؤامُ
لا يعدلنَّ المُلك في شهواتكم　　عَرَضٌ من الدنيــا بدا وحُطامُ
ومناصبٌ في غير موضعها كما　　حلّت محلَّ القدرة الأصنــامُ
الملكُ مرتبة الشعوبِ فان يفتْ　　عزَّ السيــادة فالشعوب سوامُ
ومن البهائم مُشبَعٌ ومدلَّلٌ　　ومن الحرير شكيمةٌ ولجامُ
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارقٍ»　　اليأس خلفٌ والرجاء أمامُ
الصبر والإقدام فيهِ اذا همــا　　قَتلاَ فأقتلُ منهمــا الإحجامُ
يُحصي الذليلُ مدى مطالبهِ ولا　　يُحصي مدى المستقبَلِ المقدامُ
هذي البقية لو حرصتم دولةٌ　　صال الرشيد بهــا وطال هشامُ
قِسمُ الأئمةِ والخلائف قبلكم　　في الأرض لم تُعدَل بهِ الأقسامُ
سرَت النبوَّة في طهورِ فضائهِ　　ومشى عليهِ الوحيُ والإلهــامُ
وتدفَّقَ النهرانِ فيــهِ وأزهرت　　بَغداد تحت ظلالهِ والشامُ
أثرتْ سواحله وطابت أرضــهُ　　فالدرّ لجٌّ والنُضار رغامُ

* * *

شرَفاً أدِرْنَةُ هكذا يقف الحمى　　للغاصبين وتثبت الأقــدامُ
وتَردُّ بالدمِ بقعــةٌ أُخذت بهِ　　ويموت دون عرينــهِ الضرغامُ
والمُلك يؤخذُ أو يُرَدُّ ولم يزل　　يرث الحسامَ على البلاد حُسامُ
عِرضُ الخلافةِ ذاد عنهُ مجاهدٌ　　في الله غازٍ في الرسول همامُ

تستعصِمُ الأوطانُ خلف ظباتِهِ وتعزُّ حول قناتِهِ الأعلامُ
عثمانُ في بردَيه يمنع جيشهُ وابن الوليـد على الحمى قوَّامُ
علِمَ الزمانُ مكان «شكري» وانتهى شكر الزمان اليهِ والإعظامُ

* * *

صبراً أدِرْنَةُ كل مُلكٍ زائلٌ يوماً ويبقى المالك العلاَّمُ
خفَتَ الإذانُ فما عليكِ موحّدٌ يسعى ولا الجُمَع الحسانُ تقامُ
وخبت مساجدُ كنَّ نوراً جامعاً تمشي اليـهِ الأسد والآرامُ
يدرجنَ في حرم الصلاة قوانتاً بيضَ الازار كأنهنَّ حمامُ
وعفَت قبور الفاتحين وفُضَّ عن حُفَرِ الخلائف جنـدل ورجامُ
نُبشت على قعساءِ عزّتهـا كما نُبشت على آستعلائها الاهرامُ
في ذمة التـاريخ خمسةُ أشهرٍ طالت عليكِ فكل يوم عامُ
السيف عار والوباء مسلطٌ والسيـل خوفٌ والثلوج ركامُ
والجوع فتَّاكٌ وفيكِ صحابةٌ لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنُّوا بعرضكِ أن يباعَ ويُشترى عِرضُ الحرائر ليس فيهِ سوامُ
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتهُ فلكٌ ومقذوفاتهـا أجرامُ
ورمى العدى ورميتِهم بجهنّمٍ ممـا يصبُّ الله لا الأقوامُ
بعتِ العدوَّ بكل شبرٍ مهجةً وكذا يباع المُلك حين يرامُ
ما زال بينكِ في الحصار وبينهُ شمُّ الحصون ومثلهنَّ عظامُ
حتى حواكِ مقابراً وحويتـهِ جثثاً فلا غبنٌ ولا استذمامُ

ازهار واشواك

نقل رفات اليازجي



أمضي وتبقى صورتي فتعجَّبوا تمضي الحقائقُ والرسومُ تقيمُ
والموت تجلبهُ الحيـاةُ فلو حوى روحاً لمات الهيـكلُ المرسومُ

الشيخ ناصيف اليازجي

لا يحقُّ لنا بعد الآن ان تقولَ ان الشرق لا يزال يجهل قدر أُدبائهِ ونوابغهِ . فانّ الحركة التي رأيناها في هذه السنة لاكرام الاحياء من ادبائنا وكتَّابنا ، وتخليد ذكر الدارجين منهم تدلُّ على نهضةٍ مباركةٍ في

النفوس وترقٍ محمود في الأخلاق

أقول ذلك بمناسبة الحفلة المؤثّرة التي أُقيمت على أحد أرصفة



أنت في الدنيا كضيف نازلٍ		حلّ في الاحياء حيناً وانصرفْ

فاحيَ بالذكرِ اذا العمرُ انقضى		واجملِ الرسمَ من الجسمِ خلَفْ

الشيخ ابرهيم اليازجي

محطة مصر في الرابع من الشهر الجاري وداعاً لعظامٍ بالية كانت تحييها بالأمس روح نابغةٍ من نوابغ كتّابنا ، وقد أتى جمهورٌ من الادباء والوجهاء

والفضلاء في مصر يشيعون تلك العظام بتجلة واكرام كما يُشيَّع الامراء والملوك ، واحتشدوا يبكون سليل الأسرة اليازجية ويعددون فضلهُ ومناقبهُ

افتتح التأبين والمراثي سعادة احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار فأطنب في مدح الفقيد وغيرتهِ على لسان العرب ورثاهُ باسم مصر بكلام فصيح بليغ، ونحا نحوهُ حضرة رفيق بك العظم ، فأتى في خطاب جامعٍ على لمحةٍ من تاريخ اللغة العربيــة ونهضتها منذ نصف قرن على يد أمثال البستاني والنقاش واليازجي والأسير والشدياق . وتكلم على الأثر الدكتور خليل بك سعاده موجهاً الخطاب الى الفقيد الكريم وقد أخذ التأثر منهُ ومن الحاضرين مبلغه . ثمَّ ألقى خليل مطران قصيدةً من شعرهِ المعروف بسموّ الافكار وابتكار المعاني ، قال في مطلعها :

أحننتَ من شوقٍ الى لبنانِ ... وا رحمتا لكَ من رهينٍ عانِ
شوقٌ تكابدهُ ويثوي منكَ في ... مثوى الرُّؤَى من مهجة الوسنانِ
جسُّوا مظنَّةَ حسِّهِ ، أفنابضٌ ... فيها فؤادُ متيَّمٍ ولهانِ
واستطلعوا الرسمَ المحيلَ فهل بهِ ... يومَ المآبِ لقرَّةٍ عينانِ

وقال في ختامها مخاطباً نعش الفقيد :

ابلغْ وديعتَنا الى أحبابنا ... واحمل تحيَّتنا الى الأوطانِ
كنا نودُّ بك المصيرَ الى الحمى ... وتأسّيَ الإِخوانِ بالإِخوانِ
لكن عدانا البينُ دون عناقِهِم ... فتولَّ وليتعانقِ الدمعانِ

وأنشد أسعد افندي داغر أبياتاً جميلة استنهض بها سوريا لتستقبل الوديعة الثمينة التي تردّها اليها مصر اليوم

ثمَّ صفر البخار مؤذناً في الرحيل وقطر العجلة الخصوصية التي تقلُّ رفات فقيد اللغة وقد كُسيت باكاليل الزهر والريحان . وسارت وراءها الأبصار والقلوب تشيعها من القطار الى الباخرة ومن الباخرة الى ثغر بيروت حيث يستقبلها ادباء سوريا كما ودَّعها ادباء مصر لتُضمَّ هناك عظام ابرهيم الى عظام أبيهِ ناصيف ، وشقيقهِ ، خليل في مدفنٍ واحد وقد كُتبت عليهِ تلك الأبيات التي تصدق في الوالد والولد وهي من نظم الفقيد :

هذا مقامُ اليازجيِّ فقفْ بهِ　وقُل السلامُ عليكَ يا علَمَ الهدى
حَرَمٌ تحجُّ اليـهِ أربابُ الحجى　أبداً وتدعو بالمراحمِ سَرمدا
هو مغربُ الشمسِ التي كم اطلعت　في شرقِ آفاقِ البلاغة فرقَدا
فخرُ النصارى صاحبُ الغُرر التي　ضرَبتْ على ذكرِ «البديع» و «احمدا»
هذا عمادُ العلم مال بهِ القضا　فأمال ركناً للعلوم مشيَّدا
أمسى تجاهَ البحر جانبَ تربةٍ　هي «مجمع البحرين» أشرف محتدا
فعليك يا ناصيفُ خيرُ تحيـةٍ　طابت بذكرك حيثُ فاح مردَّدا
لو أنصفتك النائبـات لغيَّرت　عاداتهـا ووقَتكَ حادثة الرَّدى
تتنزلُ الأملاكُ حولك بالرضى　ويجودُ فوقك باكراً قطرُ الندى
وجميلُ حظِّك في المماتِ برحمةٍ　أرِّخ وفضلكَ في الصحائفِ خلِّدا

هذا بعض ما يسمح لي المقام بذكرهِ عن حفلة مساء يوم الاربعاء على محطة مصر . وقد زاد الموقف وقاراً وخشوعاً وجود أخت الفقيد السيدة وردة اليازجي الشاعرة المجيدة وهي متشحة بالسواد ، مكسورة الفؤاد . نظرتُ اليها عن بعدٍ محترماً حزنها ، راثياً لمصائبها ، ولم اتمالك من سكب دمعة عند منظر هذه «الخنساء الجديدة»　**ماصر**

ثمرات المطابع



فتحي باشا زغلول

* شرح القانون المدني[1] — هذا كتاب لم يوجد في مصر باللغة العربية من قبل اليوم ؛ ورُبَّ كتابٍ واحدٍ يعدل جملة كتب . وضعهُ سعادة المفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقَّانية ؛ وكفى بذكر اسم

(١) يطلب من مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة بمصر وثمنه مئة قرش صاغ

ذلك الرجل دليلاً على فضله . وقد رمى سعادته بنشر هذا المؤلَّف النفيس الى ثلاثة أغراض : «اولها تقريب قواعد القانون المدني من أذهان الكافة تسهيلاً لمعرفة أحكام المعاملات ؛ وثانيها افادة طلبة الحقوق في درسهم بما يجدونه فيهِ من المرشد الى المعلومات التي يحتاجون لمراجعتها فيكون لهم منهُ متنٌ يذكّرهم بما تلقّوه ؛ وثالثها استنهاض همة القانونيين الى الاشتغال بالقانون المدني ووضع ما يحتاجه من الشروح باللغة العربية ليكون لنا من وراء عملهم مؤلفات تغنينا عن التماس علم القانون من غيرنا على الدوام » . فالكتاب ، على ما ترى ، مفيد من ثلاث جهات ، ولازم لكل جهة على حدة . وليس يعرف ما عاناه المؤلف الفاضل من التعب في وضع هذا الكتاب سوى المشتغلين بعلم الحقوق من طلبَةٍ ومحامين وقضاة . فان القانون المدنيّ المصري انما أُخذ في معظمهِ عن القانون المدني الفرنساوي أخذاً انتقده المتشرّعون ، وعابهُ القانونيون من وجوه شتى ، فلا جرَم ان يكون قد لقي فتحي باشا في وضع الشرح المذكور عقبات كؤوداً ، وكابد مشقّات جلّى ، حتى تسنّى له ان يُخرج للناس هذا المؤلَّف المفيد . والى هذا أشار سعادتهُ بقوله : «أتعبني النصُّ الفرنساوي بايجازه المخلّ وتشويش ترتيبه الذي يشتت الذهن ويضيع الوقت ؛ ولكنّ النصّ العربي أعياني اعياءً » . وقد قسم الكتاب الى أربعة أقسام هي : قسم الاشخاص والاموال وما يترتب عليها من الحقوق ؛ وقسم التعهدات والالتزامات ؛ وقسم العقود المعينة والتأمينات ؛ وقسم الأدلة . واعتمد في ذلك جميعه الرجوع الى أشهر المؤلفين باللغتين العربية

والفرنساوية فجاء الكتاب الذي نحن بصدده مرجعاً يُرجع اليه ، ومورداً سائغاً يُستقى منه

« فشرحُ القانون المدني » حلقة جديدة أُضيفت الى سلسلة ذهبية مما ألّفهُ وترجمهُ احمد فتحي زغلول تلك السلسلة التي تعلّق اسم هذا الرجل المفضال الى جانب أسماء الرجال الذين عملوا حقيقةً على افادة الأمة المصرية ، وخدموها اجلّ الخدمات ، فحفظ لهم التاريخ الذكر الطيّب والجميل العظيم

* محاسن الطبيعة [1] — للمرحوم اللورد افبري شهرة واسعة بين أهل العلم والأدب لا يجهلها أحد ممن وقف على مؤلفاتهِ الكثيرة وآرائهِ الشهيرة . وقد نُقلت مؤلفاته الى معظم اللغات الاوروبية وغيرها وكان للغة العربية حظ باربعة منهـا عني بنقلها اليها حضرة الكاتب الأديب وديع افندي البستاني وهي : « معنى الحياة » و « مسرات الحيـاة » و « السعادة والسلام » و « محاسن الطبيعة » . وقد ظهر الكتاب الأخير حديثاً فاذا بهِ كسائر مؤلفات ذلك الرجل العظيم آية من آيات السحر الحلال اذ بحث فيهِ المؤلف في عالَمي الحيوان والنبات ثمَّ تناول وصف المناظر التي يتألف منها عالم الشهادة كالبحور والانهار والبراكين والجبال والأودية والافلاك على اختلاف أنواعها . فوصف محاسن كلٍ منها بما لم يبقَ معهُ مطمعٌ لمستزيد ، ونسّق كلامهُ احسن تنسيق بحيث يأخذ بمجامع الفؤاد فلا يكاد القارئ يفرغ من قراءة وصف حتى يتشوّق الى

(١) طُبع بمطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٦ قروش صاغ

غيره، وهذه احدى مميزات هذا الكتاب

ولا شك ان اللغة العربية في افتقار شديد الى أمثال هذه المؤلفات الأدبية مع أنها غنية بالكتب التي كان يجب ان تكون غنيةً عنها . ويسرنا أن نرى اليوم في الشرق يقظةً لمطالعة المؤلفات الأدبية مما يبشرنا بنهضة جديدة يكون للغة من ورائها حياة جديدة . ولا يخفى ان مقياس ارتقاء كل امة هو مؤلفاتها الأدبية فبقدر انتشار هذهِ المؤلفات تكون رفعة شأنها ومبلغ عظمتها

والمجال أضيق من أن يتناول اسهاباً في وصف كتاب « محاسن الطبيعة » المشار اليهِ فهو حافل بفوائد تضيق هذه السطور عن تعدادها ويكفي القول بانهُ من الكتب التي قد اهتمت مطبعة المعارف بنقلها ونشرها مع ما هو معروف عن هذه المطبعة من الحرص في نشر الكتب الجزيلة النفع بين ابناء اللغة العربية

ومما يزيد في قدر الكتاب الذي نحن بصدده انهُ صدر بيننا على أثر وفاة مؤلفهِ اللورد افبري ؛ فقد نعاه الينا البرق منذ نحو اسبوع بعد ان ناهز الثمانين من عمره . فذهب مبكياً عليهِ وترك وراءهُ ذكراً يبقى ما بقي العلم والأدب

س .

* لسان العرب — مجلة « تاريخية اجتماعية علمية أدبية » يصدرها في الاستانة مرّة في كلّ شهر حضرة الفاضل احمد عزت افندي الاعظمي. وقد تصفحنا ما ورد علينا منها فراقنا ما احتوتهُ من المواضيع ورجونا لها سعة الانتشار

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس		يوليو (تموز) ١٩١٣		السنة الرابعة

الرئيس بوانكاره

« في بلاد الانكليز »

ثلاثةٌ من رؤساء الجمهورية الفرنسوية زاروا عاصمة بريطانيا العظمى في السنوات العشر المنقضية :

زارها مسيو اميل لوبه سنة ١٩٠٣ ، وكانت الدولتان لا تزالان في مناظرةٍ شديدة ، فأُبرم في السنة التي تلت الاتفاقُ الانكليزي الفرنسوي الذي قلب سياسة العالم ، وغيَّر موقف دول اوروبا تجاه بعضها بعض

وزارها مسيو أَرمان فاليير سنة ١٩٠٨ ، وكانت الدولتان العظيمتان قد ادركتا فوائد اتفاقهما ، وشعر العالم بنتيجة اتحادهما ؛ وجاء المعرض الانكليزي الفرنسوي الذي أُقيم في لندرا محكمًا تلك الروابط الجديدة بين ابناء « السين » وأَبناء « التاميز » .

وزارها مسيو ريمون بوانكاره في الشهر الفائت ، فبالغ الشعب

البريطاني في إكرامهِ والاحتفاء بهِ . وتجلّى اتفاق فرنسا وانكلترا بأبهى مجاليه ، وأسنى مظاهره

قال أحد كبار الساسة الانكليز منذ نصف قرنٍ « ما اتفقت فرنسا وانكلترا على أمرٍ ، إلاَّ وكان ذلك الأمر لخير الانسانية وتأييد العدل »

والآن نسمع شعوباً كثيرة تئنُّ ، وأُمماً عديدة تشكو . ونرى من جهةٍ ثانية فرنسا وانكلترا متصالحتين متفقتين . فهل يكون هذا الاتفاق لخير تلك الأمم الشاكية ، وإنصاف هاتيك الشعوب المظلومة . . ؟

هذا ما يرجوهُ المتعطشون الى العدل ، الراغبون في الحرية ، التائقون الى الحياة

***

اكرمت بريطانيا العظمى في شخص زائرها الكريم دولة الحرية والمساواة والاخاء ، تلك الكلمات الثلاث التي ستعيّد لها الأمة الفرنسوية في الرابع عشر من هذا الشهر ، والتي تحاول كلُّ أُمَّةٍ من الأمم المتمدينة أن تجعلها شعاراً لها

اكرم الانكليز في شخص رئيس الجمهورية ممثّل صديقة اليوم ، وحليفة الغد ، ونصيرة النور والعرفان

واكرموا فيهِ فوق ذلك الرجل الممتاز بصفاته العالية واخلاقهِ السامية ، الخطيب المفوّه ، والكاتب النحرير ، والسياسي القدير الذي أجمع الجميع على احترام شخصيته

فقال لهُ ملك بريطانيا وامبراطور الهند في خطبة الترحيب ، ما لم

نسمعه في الخطب التي يتبادلها رؤساء الحكومات واصحاب التيجان ، قال :
« أنا سعيدٌ بان أرى في ضيافتي رجلاً ممتازاً بخدمهِ الجليلة ، ذا شهرةٍ بعيدة ، ليس فقط في عالم السياسية ، بل أيضاً في تلك الجمعية الاكاذمية التي هي موضوع مجدٍ لفرنسا منذ ثلاثة قرون تحسدها عليهِ أوروبا جمعاء »

هذا ما قالهُ جورج الخامس الذي لا تغيبُ الشمس عن أملاكه لابن الشعب الذي توصَّل بجده واجتهاده الى أعلى مقام يحلمُ بهِ الانسان

أماَّ الأمة الانكليزية فقد عبَّرت عن إعجابها وابتهاجها ، كما يُعبّر الشعب ، بلا تصنُّعٍ ولا تكلُّفٍ . فكان هتاف التحية والنصر يتصاعدُ من كل الصدور ، لفرنسا ولرئيسها وللحرية ؛ ولم ينسوا في هتافهم اللورين ، أم الرئيس ، وابنة فرنسا المفقودة !

وكان الرجالُ والنساء حاملين الازهار الزرقاء والبيضاء والحمراء : ألوان الراية الفرنسوية . وفي أحد الشوارع سُمع صوت الفونوغراف يحيي الرئيس وينشد المرسليز ، كما سمع صوت الببغاء يحيي اغسطوس قيصر عند دخوله رومه . . .

* * *

ثلاثة أيامٍ قضاها بوانكاره في عاصمة الانكليز بين مجالي الابتهاج ومظاهر الحفاوة : عند وصوله حيَّاهُ الاسطول الانكليزي باطلاق المدافع ؛ وعند سفره شيَّعتهُ ست طياراتٍ محلقةً فوق البارجة التي تقلّه . وهكذا ارادت انكلترا ان تحيي فرنسا وطن فنّ الطيران

وقد كان للطيارين شأن يذكر في هذه الزيارة . فان جريدة «الماتن» سألت كبار رجال السياسة والادب رأيهم في زيارة الرئيس لانكلترا وطبعت من العدد الذي نشرت فيه الاجوبة ثلاث نسخ على الحرير ، ولم ترسلها في البريد بل سلمتها الى أحد الطيارين الفرنسويين ، فحملها طائراً من باريس الى لوندرا ، ودفع نسخةً منها الى الملك جورج ، ونسخةً الى الرئيس ، ونسخةً الى محافظ لوندرا

* * *

ولم تنقضِ هذه الزيارة دون ان نسمع صوتاً للشعراء — صوتاً واحداً — ولو كان ذلك عندنا لسمعنا ألف صوت . . !

شاعر انكلترا الكبير روديرد كيبلنغ (Rudyard Kipling) حيّا الرئيس بقصيدة وجهها الى فرنسا ، قال :

« انتِ التي عرفت كلّ شقاء معروف وتغلبت عليه
لانكِ تحملين في صدرك حب الحياة السليم : وهو درع بلاد غاليا[1]
ففي مغامر النعمة لا تعرفين حداً . وفي مواطن الجهد لا تعرفين ضعفاً
انت الرهيبة بقوةٍ تستمدينها من تربةٍ لا ينفد غناها
تحكمين أشدّ الاحكام على قدرك وشانك . وانتِ الأمة الرؤوفة بالغير
انتِ الأولى في اتباع الحقيقة الجديدة ، والاخيرة في ترك الحقائق القديمة
انتِ فرنسا التي تحبها كل نفس عطوفة الى حب الناس

* * *

أتذكرين انا قبل مولدنا كنا جنباً الى جنب نضطرب ، كنا معاً في حجر رومة متحرجين لنبدأ بالعراك ،

(١) اسم بلاد فرنسا القديمة

قبل ان يعرفوا تباين لغاتنا كانوا يعرفون مستقبل مهمتنا

كل واحد من هذين الشعبين كان في آن واحد يهيئ مستقبله ، ويرتب مصير أخيه

فلهذا هززنا نحن الاثنين الانسانية الى أن صارت الارض كلها أرضنا !

ومن أقصى العالم الى أقصاه أثارت منازعاتنا السلطات وشيدت عروشاً وقوضت عروشاً

وذلك لكي يسد الواحد منا الطريق في وجهِ الآخر

تلك شعوب اتخذناها مقدَّماتٍ لنا . فكانت اجيرات سخطنا وغضبنا

لهذا ملأنا البحار عواصف ، واجتزنا أبواب العالمين الجديدة دون ان نعرف من منا نحن الاثنين كان السابق

أتذكرين ؟ ويد كل واحد منا على قائم سيفه . وكلنا مستعد ليضرب . وكلنا واثق بأن الملتقى ، مهما كان ، آئل الى المعركة . كنا شاكي السلاح ، لا يخطو احدنا خطوة الاَّ اوقفته قوة الآخر ، أو دفعته الى الأمام .

لقد اجتزنا طول العصور والاحقاب وقطعنا عرض البحار كلها

٭٭٭

فأين تقهقرتِ أمامنا ؟ ؟ ومتى تقهقرنا أمامكِ ؟ ؟

سلي أمواج البحار : كل موجة منها قد عرفت احدى معاركنا

أجل حالت بيننا احياناً شعوب اخرى . لكننا كنا نتركها لنعاود الكرة على بعضنا بعض ، لأننا كنا نلذ جميعاً بتعادلنا في الجلاد

كان كل واحد منا للآخر سراً وجزعاً وحباً ، كنا نتقابل بشعارنا

فأية معركة كانت تشرّف احدنا بالعراك كمعاركنا ونحن الخصمان الباسلان

كان أحدنا ينتزع من حلق الآخر شهادة له بيسالته ، وهتاف اعجاب به

وكلانا صب في جام أخيه دمه ممزوجاً بدمعه : افراح البأس ، والآمال بلا حد ، والاشجان الشديدة .

وكل ما لوَّث الحياة ، وكل ما رفعها وأعلاها منذ ألف عام ، أعمال تنوء بها القوى ، ومعارك تحت كل شمس وسماء : هذه هي افعالنا المشتركة يا فرنسا الصديقة !

***

متعانقين الآن تحت عبء واحد من الذكرى والندم أصبحنا نتوق الى الراحة ، ضاحكين من الخدع القديمة التي صرنا الآن نراها ألاعيب

وننظر الى اقبال سنين جديدة متسائلين هل يمكن أن تثور عواصف أشد من التي أثرناها . والآن نسمع أصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل وتتفاخر وتنادي كما كنا ننادي صاخبين ، عند ما تتدفق جماهيرنا : أتذكرين ؟ ؟

حباً بالحياة ذاتها كان أحدنا يتفحَّص حسام الآخر ، فأي دمٍ وأي حسام يفعلان اكثر مما فعلنا ؟ ؟

فيا لها من مدرسة صارمة تعلمنا فيها أن يعرف الواحدُ منا الثاني

نحن الذين تغازينا سواحلنا وتناهبنا منازلنا

من يوم رنَّ سيفُ برنّوس[1] وهو واقع في ميزان رومه !

ونحن اليوم نتماسك ثانية جسماً لجسم لصون سلام الأرض بالسهر عليه نقياً من كل دم »

فكان لهذه القصيدة أعظم وقعٍ في النفوس ، وتناقلتها صحف الأمتين معلقة عليها الكلمات الطيبة لما تضمنتهُ من الشعور الصحيح والخيال الراقي . وانبرى لردّ التحية الشاعر الفرنسوي فرنان غريك ، ونحن نقتطف من قصيدته بعض مقاطعها :

« أجل أيها الرفاق ! كلانا أبلى في القتال بلاءً حسناً .

---

(١) Brennus احد القواد الغالين غلب رومة وفرض عليها جزية باهظة . وبينما كان الرومان يزنون الذهب شكوا من تلاعب الوزانين ، فرمى برنوس بسيفه في كفة الميزان ليزنوا ايضاً ثقله ذهباً وقال : ويل للمغلوبين!

كان اسطولانا يجوبان البحار ، ويطرقان الموانى ، يبحث الواحد عن الثـاني

كان اسطولكم ضخماً قوياً متغلباً على ثبَج البحر

وكان اسطولنا رشيقاً فتاً كاً مزيناً بالاعلام وكلاهما ملك البحر والهواء

رآهما العالم من بريطانيـا العظمى الى اميركا يتقاتلان في أماكن لا اسم لها ولا ذكر وقد أصبحت مشهورة بعد معاركنا . . .

والآن ، وقد اطرحنا الحقد ، يمكننا ان تقص على بعضنا بعض تاريخ مواقعنا الهائلة دون ان نخجل من الماضي

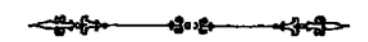
أما جان دزك ونابوليون فان احترامكم وتمجيدكم لهما الآن يمحو كلّ ذكرٍ سيء . . .

بلى يقال عنا معشر الفرنسويين اننا نملأ الأرضَ ضجيجاً ، ونصمّ الآذان بمناداتنا بالحرية والمساواة والاخاء

بلى ولكننـا كثيراً ما نجتزّ رؤوس بعضنا بعض من أجل هذه الكلمات ، وذلك ليستفيد العالم !

فلنأتلف يا انكلترا ذات العقل الشريف واليد القوية

فنقوى حينئذٍ على تسكين آلام العالم وسدّ ينابيع الدمّ . »



عطلة الصيف

هذا هو الجزء الأخير الذي يصدر من مجلة الزهور قبل عطلة الصيف . وموعدنا والقراء الكرام اوّل اكتوبر القادم

***

أصدرت ادارة هذه المجلة في سنتها الأولى ، بعنوان مصر وسوريا عدداً كبيراً ممتازاً جمعت فيه اقوال الكتّاب والشعراء قديماً وحديثاً في القطرين الشقيقين ، كان لهُ احسن وقع في عالم الأدب

وقد عزمت في هذه السنة أيضاً على اصدار عددٍ ممتازٍ في موضوع خاص شأن المجلات الكبرى في اوروبا . ولما كانت الزهور لم تفتأ منذ نشأتها تواصل السعي في ايجاد صلة تعارفٍ بين ادباء الأقطار العربية ، رأت — اتماماً للفائدة ، وإجابة لرغبة الكثيرين من القرّاء — ان تجعل موضوع ذلك العدد الخصوصي

مراكش والجزائر وتونس وطرابلس

وسنجمع فيه خلاصة ما يهم القرّاء معرفتهُ عن تلك البلاد العربية ، وحالتها الأدبية والاجتماعية ، ومشاهير كتّابها وشعرائها ، ومدارسها وصحافتها وانديتها ، الى غير ذلك من الشؤون المتعلقة بها . وسنسعى الى الحصول على الصور والرسوم اللازمة زيادة في التفكهة والفائدة

ونحن نرغبُ الى قرائنا ان يمدّونا بآرائهم ، ويوافونا بما لديهم من من المعلومات عن هذا الموضوع ، لتكون هذه الهدية التي نعدُّها لهم اكثر فائدة ، وأتمّ رونقاً

زواج ابنة غليوم الثاني

او مصالحة أُسرتي هانوفر وهوهنزُلرن ٢٤ ايار ١٩١٣

كثر عدد الذين خافوا على الامبراطورية الالمانية من سنة ١٩١٣ . وذهب القوم في تأويل هـذا الخوف وتعليله مذاهب شتى . وقد رووا لنـا — وكانت مجلة « الزهور » في جملة الراوين — ما تنبأ بهِ بعضهم للامبراطور غليوم الاول من ان سنة ١٩١٣ ستكون سنة شؤم وبؤسٍ على أُسرة هوهنزلرن ، وانهُ يخشى فيهـا على الامبراطورية الالمانية من الانقراض . وها قد مضى من هذه السنة نصفها ، ولم نرَ فيها ما يُنذر بتحقيق تلك النبوة ، بل إنّ عامنا هذا لم يحمل حتى الآن في طيات أيامهِ ولياليهِ إلاَّ ما سرّ له الالمان وابتهجوا . فقد وقع فيهِ تذكاران مجيدان كانا داعيةً لاقامة الافراح والاعياد في المانيا عامةً وفي بروسيا خاصةً : أولهما تذكار مرور مئة سنة على قيام الشعوب الالمانية ونهضتهـا في وجه الفاتح الكبير نابوليون الاوّل ، وثانيهما تذكار مرور خمس وعشرين سنة لجلوس الامبراطور غليوم الثاني على عرش مملكة بروسيا وامبراطورية المانيـا ، فاحتفل في الشهر الفائت بالعرس الفضي لملكـهِ ، كما احتفل بالعرس الفضي لزواجه . وقد شاءت الأقدار ان تزداد افراحُ الامبراطورية الالمانية والسلالة المالكة بحادثٍ لم يكن منتظراً ، لا بل كان بعيد الامكان ، ألا وهو مصالحـة سلالة هوهنزُلرن المالكة مع سلالة ملوك

هانوفر المعروفة باسم سلالة برنزويك . فرأينا بهذه المناسبة ذكر لمحة تاريخية عن هذا الحادث الذي علّقت عليه الصحف أهمية كبرى فنقول :

لا يخفى أنّ امبراطورية المانيا الحالية حديثة العهد ، نادى بها المتحالفون الالمان وقت سكرهم بخمرة الانتصار على فرنسا ، وهم مجتمعون في قصر « فرسايل » في بداية سنة ١٨٧١ وحيّوا كبيرهم وعميدهم ملك بروسيا بلقب امبراطور المانيا ، وذلك انتقاماً لشعوبهم من الفرنسويين اذ كان نابوليون الاوّل قد ألغى بمعاهدة برسبورغ لقب امبراطور المانيا وذلك في أواخر سنة ١٨٠٥ . وكانت امبراطورية المانيا الاولى التي ألغاها نابوليون قد تأسّست سنة ٩٦٢ ميلادية وقد أكملت ترتيب نظامها الأساسي والاداري في أواسط القرن الرابع عشر فكان يرئسها امبراطورٌ كاثوليكي المذهب تعترف له الشعوب المسيحية الغربية بميراث ملوك الغرب الرومانيين . وكان ينتخبهُ سبعة أمراء ألمان : أربعة من العلمانيين ، وثلاثة من علية الاكليروس . وكان يطلق على كل من هؤلاء الامراء السبعة لقب « المنتخِب » . ولكن لما ظهرت الانقسامات الدينية منذ بداية القرن السادس عشر ، وكثرت الاضطرابات والحروب والمداخلات الأجنبية ، أصبحت سلطة الامبراطور وهمية وشرفية اكثر مما هي فعلية ؛ وصار كلُّ واحدٍ من الامراء يعتبر ذاته مستقلاً ، حتى انه لما حدثت الثورة الفرنسوية ، كان في الاراضي المعروفة باسم الامبراطورية الالمانية ما لا يقلُّ عن ٣٥٠ مملكة وامارة ودوقية ومدينة حرّة تدّعي كل منها الاستقلال التامّ . وكانت تقسم الى ثلاث طبقات

١ً — طبقة المنتخبين وهي فوق سائر الطبقات ، وكانت مؤلفة من رئيس اساقفة مايانس ، ورئيس اساقفة كولونيا ، ورئيس اساقفة تريف ومن الكونت بالاتين وملك بوهيميا والدوق دي ساكس وامير برندبورج. وكان قد أُضيف اليهم منتخِبان وهما الدوق دي باڤاريا في سنة ١٦٢٤ ، والدوق دي هانوفر في سنة ١٦٩٢ . فصار الأمراء المنتخبون تسعة . ثمَّ ان الامبراطور ضمَّ لقب بوهيميا الى القابه ، وصار أمير برندبورج ملكاً على بروسيا في سنة ١٧٠١ ، والدوق دي هانوفر ملكاً على انكلترا سنة ١٧١٤ وانقرض فرع باڤاريا سنة ١٧٧٩ . فأصبح لقب منتخِب محصوراً في الواقع بخمسة امراء يعترفون بتابعيتهم للامبراطور . وبعد حروب الثورة الاولى منح الامبراطور لقب منتخب لكلٍّ من دوق ورتمبرغ ، وأمير هس كاسيل تعويضاً لهما عما خسراه من الاراضي التي أخذتها فرنسا

٢ً — طبقة الامراء وفيها اكثر من ٢٩٠ اميراً من الاكليروس والعلمانيين ، واول هؤلاء الامراء حامل لقب ارشيدوق دوتريش وقد ارتقى صاحب هذا اللقب اريكة الامبراطورية منذ سنة ١٢٧٤ ، وحصر المنتخبون الملكَ في سلالتهِ فعلياً منذ سنة ١٤٣٩

٣ً — طبقة المدن الحرّة ، وعددها ٥١ مدينة ، اشهرها «فرنكفورت» حيث كان يصير انتخاب الامبراطور

هذه هي الامبراطورية الالمانية التي ألغاها نابوليون سنة ١٨٠٥

ولما سقط هذا العاهل وانت الدول المنتصرة ترتب هيئة اوروبا في مؤتمر ڤينا سنة ١٨١٥ ، أصبحت ألمانيا أو البلدان الجرمانية تؤلف تحالفاً

أو اتحاداً يُدعى « الاتحاد الجرماني » يحتوي على ٣٩ دولة ودويلة ، في مقدمتها امبراطورية النمسا وممالك بروسيا وباڤاريا وهانوڤر وورتمبرج وساكس . وكانت النمسا تفضّل بقاء هذا الترتيب لأن امبراطورها كان حاصلاً على رآسة هذا الاتحاد ، وسلطتها كانت ممتدّة على شعوب غير المانية كالمجر وشمالي ايطاليا وبوهيميا وبولونيا . أما بروسيا فانها كانت متضايقة من هذا النظام أولاً لبقائها تابعة للنمسا وبنوع ما تحت سيادتها، وثانياً لان أملاكها وولاياتها كانت منفصلة عن بعضها بعض ، ومتفرقة الى أقسام متباعدة الأطراف ، وكان فريدريك الثاني اكبر ملوكها قد قضى مدّة ملكه الطويلة بالحروب رغبةً في الحصول على توحيد حدود مملكتهِ ، فلم يدرك إلاّ بعض غايتهِ . وعليهِ كان جلّ همّها تغيير الحالة الموجودة في سنة ١٨١٥ والتوثب على جيرانها الالمانيين لتسوية حدودها بضمّ ما هو موافق لاملاكها . وكانت مملكة هانوڤر أهم العقبات في سبيل تلك الغاية وكانت مساحتها نحواً من ٣٩ الف كيلومتر وسكانها اكثر من ثلاثة ملايين . وكان دوقها قد نال لقب منتخب منذ سنة ١٦٩٢ ، وهو المنتخب ارنست اغوستوس ؛ وتوفي ١٦٩٨ ، وفي سنة ١٧١٤ صعد ابنه المنتخب جورج على عرش انكلترا فعرِف بالملك جورج الأوّل ، ذلك لأن جدّته لأمهِ كانت ابنة الملك « جاك » أو « جمس » الانكليزي . فكان أقرب نسيب بروتستاني للملكة حنة ستوارت المتوفاة بدون عقب . فجمع بشخصه السلطة على انكلترا وعلى هانوڤر . وجعل مؤتمر ڤينا هانوڤر مملكةً سنة ١٨١٥ . ولكن لما كانت هذه المملكة تحت سلطة ملوك

انكلترا لم يكن ملوك بروسيا ليتجاسروا على التحرش بها . فلما توفي وليم الرابع الانكليزي سنة ١٨٣٧ آلت نوبة الملك في انكلترا الى ڤيكتوريا ابنة أخيه . وأما في هانوفر فلما كانت الشريعة تحرّم جلوس النساء على العرش آل الملك الى اخيهِ ارنست اغوست، وهو اصغر من والد ڤيكتوريا ، فصار ملكاً باسم ارنست الأوّل حتى سنة ١٨٥١ حيث توفي وورثه ابنه جورج الخامس . وفي عهده حدثت حروب فرنسا وسردينيا ضد النمسا ففشلت هذه وخسرت اكثر املاكها في ايطاليـا ، كما ان حرب القرم كانت قد افقدتها ثقة روسيا . فاغتنمت بروسيا هذه الحوادث وعملت بتدابير بسمارك الداهية الدهماء فاضطرت النمسا الى اتباع سياستهـا في الوثوب على مملكة الدنمرك وافتتاح ولايتي سلسڤيك وهولستين ودوقيـة لوينبورغ . ولكنَّ اتفاقهما لم يطل فوقع الاختلاف بين المنتصرين وحاول كلٌّ منهما اتخاذ مجلس الاتحاد آلة بين يديه . ولكنَّ الاكثرية انضمت الى النمسا وفي مقدمتها ملك هانوفر ، ودوق ناسو ومنتخب هسّ كاسل . فشهرت بروسيا الحرب عليهم ، وما لبثت جنودها ان اقتحمت حدود خصومها . وفي أقل من ثلاثة اشهر انتهت الحرب بانتصار بروسيا التام على النمسا وجميع محالفيها ؛ واشهر مواقع هذه الحرب موقعـة سادوڤا (تموز سنة ١٨٦٦) . وعقد الصلح بين بروسيا والنمسا ، فقبلت هذه بخروجهـا من التحالف وبكل ما تجريه بروسيا في جرمانيـا . فاعلنت بروسيا ضمَّ مملكة هانوفر ودوقيـة ناسو وامارة هسّ كاسّل ومدينـة فرنكفورت الى اراضيها ، فاصبحت جميعها ولايات بروسية عادّية ثم ارغمت

بروسيا سائر امراء وملوك الاراضي الواقعة شمالي نهر المين (Mein) على الانضمام اليها بتحالف دعي تحالف المانيا الشمالية . وهكذا اصبحت اراضي مملكة بروسيا كلها متصلة بعضها ببعض لا يتخللها ارض مملكة غريبة . فاحتج جورج الخامس على سلب مملكته وضمها لبروسيا بمنشور ارسله من ڤينا الى جميع ملوك اوروبا . لكن احتجاجه لم يجده نفعاً اذ ان نسيبتهُ وابنة عمهِ فيكتوريا ملكة انكلترا كانت حماةً لولي عهد بروسيا فلم تحرّك ساكناً . وكان احتجاجه سبباً لغيظ ملك بروسيا الذي ضبط حينئذٍ املاك جورج الخامس الخصوصية وحجز على دخلها ووضعت هذه الاموال في صندوق دُعي « بمال اسرة كولف » Fonds Guelfe ولما انتصرت بروسيا على فرنسا وتألف من البلدان المنتصرة امبراطورية جامعة لخمس وعشرين مملكة وامارة ومدينة حرّة ولولاية الالزاس واللورين احتج ايضاً جورج الخامس على هذا الانضمام

وفي سنة ١٨٧٨ توفي جورج الخامس فخلفهُ ابنهُ الوحيد ارنست اغوست المولود سنة ١٨٤٥ ، فأعلن الملوك والحكام وفاة والدهِ وجلوسهُ بعدهُ معيداً ومكرّراً احتجاجه على كل ما أجري في المانيا منذ سنة ١٨٦٦ وانه يكتفي (مع حفظ حقوقه بمملكة هانوفر) بأن يدعى دوق دي كمبرلند (وهو لقب جده في انكلترا قبل أن يكون ملكا على هانوفر) ودوق دي برنزويك ولونبرج . وفي السنة نفسها اقترن بثالثة بنات خريستان التاسع ملك الدنمرك فصار عديلاً لولي عهد انكلترا (ادوار السابع) وولي عهد روسيا (اسكندر الثالث) . ولما انقرض فرع أسرتهِ

المالك على برنزويك بوفاة الدوق غليوم بدون عقب سنة ١٨٨٤ ، كان يجب ان يصير هو دوقاً على برنزويك التي هي احدى ممالك وامارات المانيا المتحدة ولكن الامبراطور ومجلس التحالف رفضا إعطاءه هذه الدوقية ما لم يقبل بضم الهانوفر ويستعيد منشورات اعتراضه السابقة ، فرفض ؛ وبقيت دوقية برنزويك تحت ولاية وصيٍّ الى اليوم . وفي العام الماضي ١٩١٢ ، لما توفي فردريك الثامن ملك الدنمرك فجأةً في همبرغ وتعين ميعاد دفنهِ في ٢٤ ايار في كوبنهاغ ، توجه ابنُ اختهِ وهو بكر الدوق ارنست المذكور في اتوموبيل مجتازاً المانيا ذاهباً الى الدنمرك لحضور المأتم . فحدث اصطدامُ الاتوموبيل ، وسقط الامير الشاب قتيلاً وهو في الثانية والثلاثين من عمره ونقلت جثته الى كوبنهاغ فاحتفل بدفنه مع خاله بوقتٍ واحد فكان لهذا الحادث المكدر تأثير سيئ في كل العالم لا سيما وانه كان قد جرت مفاوضات سرية ليتنازل الدوق ارنست عن حقوقهِ لابنه هذا وهو يخضع لما جرى في المانيا فيصير دوقاً مالكاً على برنزويك . فسعى الأقارب والأمراء بين الامبراطور وهذا الدوق التعس الحظّ حتى نجحت مساعيهم بواسطة الحب لأن الابن الوحيد للدوق ارنست ، واسمهُ كابيه ، ارنست اغوست ، رأى ابنة الامبراطور وعلق بحبها فتصالحت الاسرتان وخطبت الاميرة للأمير . وفي ٢٤ أيار احتفل بزواجها في برلين في حفلةٍ شائقة سار فيها الامبراطور مع الدوقة ثم الدوق مع الامبراطورة ، ثم سائر الملوك والامراء الالمان المتحالفين وامراء من كل الأسر المالكة . وبلغت التحف والهدايا المقدمة الى العروسين ١٢

مليون فرنك . وهكذا عاد الصفاء بين السلالتين المتعاديتين منذ نحو ٥٠ سنة ، وعادت دوقية برنزويك الى امرائها الاصليين ؛ ولم يبقَ في انكلترا امراء من الدم الملكي القديم . بل عادوا الى المانيا ، وهي مسقط رأسهم الأول . ولم يعد باقياً اثر للمداوات والمناوآت القديمة التي كانت بين بروسيا ومخاصميها في المانيا لان الامبراطور الالماني اضحى على وفاق تام مع جميع الذين غلبهم جدُّه ووزيرهُ بسمارك　　سليم مُطار الدمداح

﴿ حكمة قاضٍ ﴾

من اغرب الاحكام الصينية ان اربعةً من تجار القطن خافوا أن يسطوا الفأر على قطنهم فابتاعوا هرًّا بان دفع كل واحد منهم ثمن فخذ . فحدث ان الهرّ جرح بفخذٍ من افخاذه فربط جرحه بالقطن وبلّ بالغاز . فقضت الصدفة التعسة بالتهاب الضماد وفرار الهرّ الى اكداس القطن فاحرقها . فاقام أصحاب الافخاذ الثلاث السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح . فاصدر القاضي حكمهُ بأن الفخذ الجريح لم يحمل الهرّ الى القطن ولكن الافخاذ السليمة هي التي حملته . فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح

---

* ثلاثة لا يعرفون الاّ في ثلاثة مواضع . لا يعرف الشجاع الاّ عند الحرب . ولا الحكيم الاّ عند الغضب . ولا الصديق الاّ عند الحاجة اليه　　(للمستعصمي)

الحركة الصهيونية

الحركة الصهيونية حركة ملية اجتماعية ذات قواعد مقرَّرة يرمي بها فريقٌ من بني اسرائيل الى ايجاد وطنٍ خاص لشعبهم تحقيقاً لما ورد في نبؤات ارميا و يوئيل من انهُ « تأتي ايام يردُّ الله (فيها) سبي شعبه اسرائيل فيقيمون مدنهم الخربة ، ويسكنون بها ، ويغرسون كروماً ، ويشربون خمورهم » وقوله بلسان عاموس النبي : « واغرسهم في ارضهم ، ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتهم » وقوله بلسان اشعيا وميخا : « ان الخلاص يأتي من صهيون ؛ والقدس تكون المركز الذي تصدر منه الشريعة » ثم ما جاء في التلمود وغيره مشيراً الى ان المسيا بن يوسف يجمع بني اسرائيل حوله ويزحف على القدس ، ويتغلب على قوة الاعداء ويعيد العبادة الى الهيكل ، ويقيم ملكه

وقد طفق القوم يفكرون في هذا الموضوع ، ويحاولون تنفيذه بعد ان خرَّب طيطس هيكل سليمان في سنة ٧٠ للمسيح . ولكن لم يتجاوز تفكيرهم حد الكتابة شعراً ونثراً حتى دعاهم الى العمل شبتاي زيبي في القرن السابع عشر ، فلبّاه بعضهم ؛ الاَّ انه لم يفلح في ما أراد . ثم حاول غيره الاقتداء بهِ فتألفت العصابات وأُنشئت الجمعيات ، ورمى القوم بابصارهم الى اميركا تارة والى فلسطين طوراً . وجدّ الكتّابُ في التذكير والحض وتكوين رأي اسرائيلي عام . وكتب سلفادور المؤرخ اليهودي رسالة في سنة ١٨٣٠ قال فيها : ان مجرَّد عقد مؤتمر في اوروبا يعيد فلسطين

الى اليهود . فتألفت جمعية الاليانس (الاتحاد) الاسرائيلي وبدأ القوم باستعمار فلسطين فأنشأوا مدرسة « مكوى اسرائيل » على مقربة من يافا ثم ظهرت كتب ورسائل مختلفة في الموضوع اهمها كتاب « واجبات الأمم في ان يُعيدوا الى الشعب اليهودي قوميته » ورسالة « اعادة القومية اليهودية » وفي هذه الرسالة التي نشرت سنة ١٨٦٨ صرح فرنكل لأول مرة « بأعادة تشييد حكومة يهودية في فلسطين وذلك بشراء البلاد من تركيا » وقال — من باب الاحتياط الكلي — : « انه اذا لم يكن ابتياع فلسطين ميسوراً فلنطلب وطناً معيناً في جهة اخرى من الكرة الارضية لأن الغاية الوحيدة هي ان يكون لليهود وطنٌ وان يكونوا احراراً فيه »

والّف المسيو موريتس ستينشنيدر حوالي سنة ١٨٤٠ جمعية من طلبة المدارس الاسرائيلية لنشر فكرة استعمار فلسطين. ثم أُلِفت سنة ١٨٦٦ الجمعية الفلسطينية العمومية وجمعية الاستعمار السوري الفلسطيني . وخاطب المستر « لورانس الفانت » الحكومةَ العثمانية في مدّ خطٍّ حديدي في وادي الفرات لاسكان مهاجري اليهود على جانبيه وانشاء مهجر لليهود في نواحي السلط فلم يُجَبْ له طلب . ولكن القوم لم ينثنوا عن سعيهم في جمع المال وتأليف الجمعيات هنا وهناك حتى تمكنوا في سنة ١٨٧٤ من انشاء اول مستعمرة اسرائيلية في فلسطين

وبينما هم في جدٍّ واجتهاد ظهرت في اوربا حركة الانتيسيميتزم اي مضادة اليهود فصرفت فريقاً كبيراً منهم عن التفكير في مسئلة الاستعمار وطفقوا يحاربون اعداءهم بقوة القلم حيناً وبقوة المال حيناً اخر . ولكن

هذه الحركة اتسع نطاقها وأخذت حكومات عديدة ترغم اليهود على الجلاء عن بلادها فزاد تشبثهم بايجاد ذياك الوطن المنتظر لجمع شملهم وتحريرهم من عبودية الحكومات المتفننة في ايذائهم

ونشر المسيو هرتسل العالم الاسرائيلي النمسوي في سنة ١٨٩٥ كتابه اليودنستات (الوطن اليهودي) وقال فيه: « ان الانتيسيمتزم خطر لا يُهدّد اليهود فقط بل العالَم باسره ، ولا يمكن اجتنابه لأن اليهود شعب يتعذّر امتزاجه بمن حواليه في الحياة الاجتماعية ؛ فلا بدّ من تملكهم متسعاً من الكرة الأرضية يكفيهم لأن يجتمعوا فيه ويقيموا لهم وطناً خاصاً بهم» ثم اقترح تشكيل لجنة تقوم بالاعمال الاولية العلمية والسياسية وشركة للاستعمار يكون رأس مالها خمسين مليون جنيه انكليزي لامتلاك الارجنتين او فلسطين وادخال اليهود اليها بطريقة منظمة

فتقبَّل اليهود وجمعياتهم رأيه بالرضى والارتياح وعينوه رئيساً للجمعيات التي اشتركت في تنفيذ اقتراحه فدعاها الى مؤتمر عام عقدوه في مدينة باسّل وحضره ٢٠٤ اعضاء يمثل بعضهم جمعيات مختلفة وقرروا فيه ترويج تعليم اللغة العبرانية وانشاء لجنة خصوصية للاداب اليهودية وتأسيس صندوق مالي للاعانة وتأليف جمعية عاملة تنفذ اقتراحات المؤتمر فالِّفتْ هذه الجمعية واشتغلت بطبع خطب هرتسل وماكس نوردو واعدّت ما يلزم لتأليف نقابة استعمارية اسرائيلية

وانعقد المؤتمر الثاني في اغسطس سنة ١٨٩٨ بمدينة باسل وقرر تأليف النقابة وجعل اللسان العبراني لغة قوم موسى وتربية الاسرائيليين

بحسب قواعد التهذيب الحديثة

ثم انعقد المؤتمر الثالث في ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٩ بمدينة باسل وقرئت فيه عدّة تقارير دلّت على نجاح الجمعيات الصهيونية وتكاثر عدد المنتظمين في سلكها ، واقترح بعضهم استعمار قبرص فرفض طلبه بدون مناقشة فيه

وانعقد المؤتمر الرابع في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٠ بمدينة لندن . وتمكن هرتسل من مقابلة السلطان عبد الحميد مرّتين فانعم جلالته عليه بالنيشان المجيدي

ثم انعقد المؤتمر الخامس في مدينة باسل في يوم ٢٦ دسمبر سنة ١٩٠١ وتقرّر فيه عقد المؤتمر مرة كل سنتين وان تنعقد في الفترات الواقعة بين المؤتمرات اجتماعات يحضرها اعضاء الجمعية الكبرى

ولاحظ زعماء الاسرائيليين أنهم غير ناجحين في استعمار فلسطين فخاطبوا فخامة اللورد كرومر في استعمار العريش فلم تجبهم الحكومة المصرية جواباً يحسن الوقوف عنده . ثمّ خاطبوا الحكومة الانكليزية في استعمار أفريقيا الشرقية . ولكن فريقاً كبيراً من ذوي الرأي لم يوافقوا على استعمار احدى الجهتين وقال المسيو هرتسل : « ان شرقي أفريقيا ليست صهيون ولا يمكن أن تكون كذلك » وقال الاستاذ ماكس نوردو : « لو أمكن احداث مثل هذا المقر — يعني أفريقيا الشرقية — فهو لا يكون الا دار عزلة مظلمة »

وتوفي هرتسل في ٣ يوليو سنة ١٩٠٣ فوصفتهُ دائرة المعارف

الاسرائيلية بقولها : « انه السياسي اليهودي الوحيد الذي كرَّس حياتهُ لخدمة قومه واستطاع ان يقوم بما لم يستطعهُ فرد ولا جماعة في سبيل اعلاء شأن الصهيونية وتثبيتها ؛ فقد كانت هذه المسئلة في بدئها مسئلة خيرية زراعية ، فصيرها هرتسل اقتصادية سياسية »

وانتخب الاستاذ ماكس نوردو الفيلسوف الألماني المعروف خلفاً لهرتسل في رياسة المؤتمرات والجمعية العاملة ؛ فرأس المؤتمر السابع الذي عقد في ٢٧ يوليو سنة ١٩٠٥ وصدق على قرار خلاصته ان الهيئة الصهيونية تبقى ثابتة لا تحول عن اعداد وطن لليهود في فلسطين

ولا تزال المؤتمرات الاسرائيلية تعقد مرة كل سنتين في عاصمة من عواصم أوربا والجمعيات الصهيونية تنتشر في جميع الاقطار الشرقية والغربية ويتسع نطاقها فبلغت ألوفاً واشترك فيها مئات الالوف من الاسرائيليين على اختلاف طبقاتهم يمدونها بالآراء ويساعدونها بالمال كلٌّ على قدر طاقته ؛ فتمكنوا من انشاء « المصرف اليهوي الاستعماري » ثمَّ صندوق « الذخيرة الوطنية الاسرائيلية »

والمقصود بهذه الذخيرة المال الذي يجمعهُ اليهود لاسترداد أرض فلسطين وجعلها مقراً لليهود المتشتتين في انحاء المعمورة المعرضين لاضطهادات الحكومات المختلفة وازدرائها بهم . ومركز رياسة اللجنة العاملة لصندوق الذخيرة في مدينة كولونيا الالمانية . وقد بلغ رأس ماله ١٢٠ الف جنيه انكليزي في سنة ١٩٠١

وللقوم في جمع المال طرق مختلفة أبانوها في منشوراتهم المطبوعة

بالفرنسوية والانكليزية والألمانية ؛ وأهمها طريقة الصناديق الخصوصية وهي صناديق مقفلة ذات ثقب ترمى منهُ النقود ، ويرسل منها صندوق لكل من اراد فيضع فيه ما يفيض عن نفقاته او ما يقرّره على ذاته اسبوعياً او شهرياً ثم يأتي مندوب الجمعية في وقتٍ معيّن ويفتح هذا الصندوق ويأخذ ما فيه ويقفله . وتقول الجمعية في نشراتها ان الادّخار في الصندوق الخاص هو خير وسيلة لتدريب الصغار على معرفة الواجب عليهم نحو شعبهم

ومنها طوابع البريد والتلغراف وتذاكر التهنئة والتعزية : وهي اوراق خاصة يبتاعها الصهيونيون ويستخدمونها في مكاتباتهم الخاصة

ومنها الكتاب الذهبي : وهو سفر مطبوع على ورقٍ صقيل ومجلد تجليداً مزخرفاً فخماً يشتمل على اسم مَنْ يدفع للجمعية ١٠ جنيهات

ومنها دفاتر المذكرات : وهي تحتوي على قلم رصاص وتقويم وكمية من ورق الكتابة تخصص لتدوين ما يتبرع الصهيونيون بهِ في الاحتفالات العامة والخاصة لتنفيذ فكرة الصهيونية

ومنها أشجار الزيتون . فكل من يدفع ٣٠ غرشاً تُغرَس باسمه شجرة زيتون في احدى مزارع الاستعمار الصهيوني

ومنها تسجيل الاراضي باسم اهل الخير . فكل من يدفع جنيهين يشترى باسمهِ — لحساب الجمعية — دونم وترسل اليه حجة تملكه

ولا تفتر جمعية الذخيرة يوماً عن ايجاد طرق جديدة لحث الاسرائيليين على البذل . وقد تمكنت بان تأتي بما جمعته باعمال خطيرة جليلة اهمّها شراء

ستة الاف دونم من الاراضي على مقربة من بحيرة طبريا ، وانشاء مزرعتين كبيرتين للزيتون في حولدا وبن شامن وعدة حدائق لزراعة البرتقال والليمون والاترنج في شدراح وجنينة صامويل

أما المدارس الصناعية والزراعية والعالية التي انشئت بمال الذخيرة في حيفا ويافا والقدس لتربية النشء الاسرائيلي وتعليمه فحدّث عنها ولا حرج . وهكذا قل عن المستعمرات الزراعية وبيوت العمّال التي انشئت في انحاء فلسطين فتحوّل بها القفر البلقع الى روض ازهر

وقد اتاحت لي الظروف التعرف الى جماعة من المشتغلين بهذا الموضوع في القاهرة والاختلاط بهم فعلمت ان لهم مندوباً خاصاً يتردّد على بعض المدارس الابتدائية ويلقي على تلاميذها دروساً يبين فيها حقيقة الصهيونية وما يجب على كل اسرائيلي عمله لتنشيطها ومساعدتها ولهم مجلة فرنساوية شهرية اسمها «النهضة الاسرائيلية» يوافيها أئمة الكتاب الصهيونيين بمباحثهم العلمية النافعة ، وتنشر فيها شهرياً اخبارُ الحركة الصهيونية وانصارها. وقيمة اشتراكها السنوي ثلاثة فرنكات . ولهم نادٍ خاص كبير في حيّ الاسماعيلية . ونحو عشر جمعيات تشتغل بجمع المال وارساله الى اللجنة الرئيسية في كولونيا . ويعني صهيونيو مصر بمطالعة كل ما يردُ عنهم في الجرائد المحلية ويعقبون عليه

وقد انعقدت الجمعية العاملة للصهيونيين في مدينة ڤينا يوم ١٠ يونيو مقدمة للمؤتمر الذي سينعقد في شهر سبتمبر القادم وينظر المسائل المعروضة عليه ثم يأخذ في تنفيذها بقوة مالهِ ورجالهِ

نوفيق مبيب

أثر عربي ثمين

« في مبحث الصوت ، وأسباب حدوث الحروف »

ممّا يقولُهُ بعضُهم في الموازنة بين علم الشرق في الزمن الغابر ، وعلم الغرب في الوقت الحاضر ، أنَّ تقدُّمَ العلم الغربيّ مسيَّرٌ في الغالب بيد الصناعة ، وأن للغاية الاقتصادية تأثيراً على مبدئه . فهو مثلُ الحضارة الغربية عمليٌّ اكثر منهُ نظريّ ، والى الماديّ أقربُ منهُ الى الأدبيّ . أمَّا العلم الشرقيّ فانّ مدنية الشرق لم تنحُ بهِ نحواً خاصاً . ولذلك كان ينمو مع المدارك البشرية على قدرهـا . ولو أتيح له الاستمرار في طريقهِ حتى يُدركَ عصرَ الطباعة فالبخارِ والكهرباء ، لكان لهُ في المستقبل شأنٌ غيرُ شأنهِ في الماضي

هذا ما يقولُهُ بعضهم في الموازنة بين العلمين ؛ ويقولون زيادة على ذلك إنَّ العلمَ النظريَّ لم يبلغْ في أوربا اليومَ المنزلة التي بلغها في آسيا من قبل . ولعلّ الخاطرَ الأوّل الذي خطر لي عند اطّلاعي على رسالةِ الرئيس أبي عليّ الحسين بن سينا في أسباب حدوث الصوت والحروف كان من هذا القبيل ، فقد قلتُ في نفسي ساعتئذٍ : « لماذا تفيضُ الفلسفةُ الطبيعية الحديثة في بيان أشكالِ النور وألوانهِ وتحلُّله وتركّبِهِ عند مرورهِ بالمنشور البلّوري ، مثلاً ، ولا تفيض هي أو الفنون المتفرّعة عنها في بيان أشكال الصوتِ وأوصافهِ عند مرورهِ بالحنجرة وعبث اللسان بهِ في أطراف الفم ، كما فعل ابن سينا قبل تسعمائة سنة في الكتاب الذي هو موضوعُ بحثنا الآن » ؟

نبّهني الى كتاب ابن سينا عالمٌ جليلٌ محقّق ، فرأيتهُ من أنفس مدّخرات خزانة العالمِ الفاضلِ أحمد تيمور بك ، ولكنهُ ، وا أسفاه ! قد تناولتهُ يدُ التحريف والتصحيف حتى لا يكاد الانسانُ يثقُ ببقاء جملةٍ منهُ على أصلها . فزادني هذا الأمرُ شوقاً الى نشره وإحيائهِ تعريفاً للخلفِ بمآثر السلَف ، وإعلاماً بما للعرب

من فضيلة السبق في تحقيق أسباب حدوث الصوت ، وخدمةً للغة بلفت الانظار الى مبحثٍ آخر من مباحثها ، وهو أسباب حدوث الحروف وكيفية حدوثها

واصلنا البحث عن نسخة ثانية من هذا الأثر العربيّ الثمين ، واستعنا بكثير من الاخوان ، الى أن عثر صديقي المسيو لويس ماسينيون أستاذ تاريخ مذاهب الفلسفة العربية في الجامعة المصرية على اسم هذا الكتاب في فهرس المكتبة البريطانية في لوندرة ثمَّ أراد أن يكون عملهُ أكملَ فكتب الى من أخذ لنا نسخةً فطوغرافية منهُ ؛ فاذا هي لا تقلُّ عن النسخة الأولى تحريفاً ، إلا أنَّ معارضة النسختين ومراجعة الكتب التي نقل أصحابها عن رسالة الحروف لابن سينا مثل كتابي المواقف والمقاصد ، وكتاب التفسير الكبير للفخر الرازي ، ومبحث تشريح الحنجرة واللسان من قانون ابن سينا ، قد صححت لنا الأغلاط التي يظهر أنها هي التي حالت دون عناية المستشرقين بنشر الكتاب : فظهرت لنا من كلتيهما نسخة تغلب الصحة عليها ، ويطمئنُّ القلب اليها

***

الرسالة اسمها « أسباب حدوث الحروف » وهي في ستة فصول هذا بيانها :

الفصل الأول — في سبب حدوث الصوت ،

الفصل الثاني — في سبب حدوث الحروف ،

الفصل الثالث — في تشريح الحنجرة واللسان ،

الفصل الرابع — في الأسباب الجزئية لحرفٍ حرفٍ من حروف العرب ،

الفصل الخامس — في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب ،

الفصل السادس — في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تُسمع

***

يقول ابن سينا في سبب حدوث الصوت :

أظنُّ أنَّ الصوتَ سببهُ القريب تموُّجُ الهواءِ دفعة وبقوة وبسرعة من أيّ

سبب كان . ثم ذلك الموج يتأدّى الى الهواء الراكد في الصماخ فيموّجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه

والذي يُشترط فيهِ من أمر القرع عساه أن لا يكون سبباً كلياً للصوت ، بل كأنهُ سببٌ اكثريّ ؛ ثم إن كان سبباً كلياً فهو سببٌ بعيدٌ ، ليس السببَ الملاحق لوجود الصوت ، والدليل على أن القرع ليس سبباً كلياً للصوت أن الصوت قد يحدث أيضاً عن مقابل القرع وهو القلع

فاذن العلة القريبة — كما أظن — هو التموّج

فالتموّج نفسهُ — كما يقول ابن سينا — هو الذي يفعل الصوت

وأما حال التموّج من جهة الهيئات التي تستفيـدها من المخارج والمحابس في مسالكه فتفعل الحروف

وتعريف الحرف في كتاب ابن سينا « هو هيئة للصوت عارضة لهُ يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزاً في المسموع »

والحروف بعضها — من حيث الصوت — مفردة ؛ وبعضها مركبة . فالمفردة تحدث عن حبسات تامة للصوت — أو للهواء الفاعل للصوت — تتبعها اطلاقات دفعة ، والمركبة تحدث عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات

والمفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الاطلاق ، وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحس فيه بصوتٍ حادث عن الهواء وهو مستكن بالحبس ، وزمان الاطلاق لا يحس فيه بشيءٍ من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة انما هي مع ازالة الحبس فقط

وأما الحروف الأُخرى فانها تمتد زماناً ، وتفنى مع زمان الاطلاق التام ، وانما تمتد في الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الاطلاق

* * *

ويقول ابن سينا في تشريح الحنجرة انها مركبة من غضاريف ثلاثة :

١ — الغضروف الدرقي ، وهو موضوع الى قدّام وينالهُ الحبس في المهازيل

عند أعلى العنق تحت الذقن . وشكله شكل القصعة ، حدبته الى خارج والى قدام وتقعيره الى الداخل والى خلف ،

٢ — عديم الاسم ، وهو خلف الدرقي مقابل سطحه ،

٣ — الغضروف الطرجاري ، وهو كقصعة مكبوبة على الغضر وفين السابقين

ويقول في تشريح اللسان انه مركب من ثماني عضل : اثنتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنةً ويسرة ، وتتصلان بجانبي اللسان ، فاذا تشنجتا عرضتاه . واثنتان تأتيان من أعالي العظم اللامي وتنفذان وسط اللسان ، فاذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان الى قدام فتبعها جزء منه وامتد وطال . واثنتان من العضلين السالفين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المرضين والمطولين ويحدث عنهما توريب اللسان . واثنتان موضوعتان تحت هاتين واذا تشنجتا بطحتا اللسان

* * *

هذا ملخص الفصول الثلاثة الأولى ؛ وكلها مقدمات لبيان كيفية حدوث كل حرف من الحروف العربية والحروف الأخرى التي توجد فيما عرفه ابن سينا من لغات آسيا المنتشرة يومئذٍ في فارس وما يليها

وهو يقول مثلاً في بيان كيفية لفظ حرف الخاء انهُ يحدث من ضغط الهواء الى الحدّ المشترك بين اللهاة والحنك ضغطاً قويًّا مع اطلاق ، تهتزّ فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك الى قدّام ، فكلما كادت تحبس الهواء زوحمت ، وقسرت الى خارج في ذلك الموضع بقوَّةٍ

والقاف يحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تامّ . وأما الهواء فمقداره ومواضعه فذلك بعينه

ويقول في كيفية لفظ الجيم انهُ يحدث من حبس تام بطرف اللسان وبتقريب الجزء المقدّم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض مع سَعة من ذات اليمين واليسار واعداد الرطوبة ، حتى اذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذاً يصفر لضيق المسلك ، إلا انهُ يتشذب لاستراضهِ ويتم صفيرهُ خلالُ

الأسنان وتنقص من صفيره وترده الى الفرقعة الرطوبةُ المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ، ثم تتفقأ ، الا أنها لا يمتد بها التفقُّع الى بعيـد ولا تتسع ، بل تفوقها في المكان الذي يطلق فيه الحبس

والشين تحدث كما يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتة ، فكأنما الشين جيم لم يحبس وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أطلقت

ويقول في كيفية لفظ الصاد ان الذي يفعله هو حبس غير تامّ أضيق من حبس السين وأيبس وأكثر أجزاء حابس طولاً الى داخل مخرج السين والى خارجه حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والمنخر ويتسرَّب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء فيه من وراء ويخرج من خلل الأسنان

وأما السين فتحدث عن مثل حدوث الصاد الا أن الحابس من اللسان فيه أقلّ طولاً وعرضاً فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان ، لا بكليتهـا بل بأطرافهـا

ويقول في وصف الفاء التي تكاد تشبه الباء (ڤ — V) انها تقع في لغة الفرس عند قولهم (ڤرندي) [١] تفارق الباء لانهُ ليس فيها حبس تام . وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد يحدث بسببه في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز

ومن ذلك البـاء المشدّدة (پ — P) الواقعة في لغة الفرس عند قولهم (پيروزي) [٢] وتحدث بشد قوي للشفتين عنـد الحبس وقلع بعنف وضغط الهواء بعنف

* * *

وأما الفصل الأخير فهو من أغرب المباحث وألطفها واكثرها حاجة الى الدرس

---

(١) فارسية بمعنى جوهر السيف وقد عربت . والفرس يلفظونها الآن « پرند » . وقد زال من لغة الفرس حرف (ڤ) بعد ابن سينا ولم يبق الاّ في لغة قبائل الكرد

(٢) بمعنى الانتصار والظفر

والبحث والتدقيق لأن ابن سينا حاول أن يأتي فيهـا لكل واحد من الحروف العربية بما يشبهه من الحركات الغير النطقية ، مثل صدور صوت يشبه حرف القاف عن شق الأجسام وقلعها . والغين عن غليان الرطوبة في أجزاء كبار تندفع الى جهة واحدة . والكاف عن قرع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله . والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذها في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة. والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هنالك هواء له دويٌّ . والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعاً بقوة . والفاء عن حفيف الأشجار

***

و بعد فان الذي يطالع الرسالة كلها يظهر له أن ابن سينا كان جديراً بأن يقول في آخرها : « اني قد بلغت الكفاية ، وعبرّت عن المقدار الذي تبلغه مني المعرفة » . وقد أهداها الى الاستاذ أبي منصور محمد بن علي بن عمر الخيَّام وهو الذي اقترح عليه تصنيفها ، ولا يعقل أن يكون أبو منصور هذا حفيد الخيام الخراساني صاحب الرباعيات لأن الخراساني كان معاصراً للرئيس ابن سينا وتلميذاً له

وعلى كل حال فهذا الكتـاب الصغير نموذج للعلم الشرقي الذي لو أتيح له الاستمرار في طريقه حتى يدرك عصر الطباعة فالبخار والكهرباء لكان له شأن غير شأنه

(القاهرة)　　　　محب الدين الخطيب

---

* لا يتعادل الحبُّ بين اثنين ؛ بل يكون قويًّا في احدهما ، وهذا الذي يتألَّم ، وضعيفاً في الآخر ، وهو الذي يضجر

* إربأ بنفسكَ أن تكون الحبيبَ الذي يلي حبيباً جار أو ظلم ؛ لان الثأر يُؤخذ منكَ وأنت بريء من الذنب

في رياض الشعر

وعشنا على بؤسٍ ...

ليالِيَّ ، أبلي من همومي وجدّتي　　لكِ الأمرُ ، لا تقوى على ردّه يَدِي
فما أرتجي والأربعون تصرّمت　　ولا عيشَ إلاّ ينتهي حيثُ يبتدي
سكتُّ سكوتاً لا يَرِبْكِ آمتدادُهُ　　فلا خاطري باقٍ ولا الشعر مُسعدي
ولا فيَّ من روح الشبابِ بقيةٌ　　ولستُ بمشتاقٍ ولستُ بموجَدِ
حزنتُ على الماضي ضلالاً ومنْ يَعشْ　　كما عشتُ لم يحزنْ ولم يتجلَّدِ
ومالِيَ منهُ خاطرٌ غير أنني　　عدلتُ فلم أفتكْ ولم أتعبَّدِ

* * *

سقى الله داراتِ القرافةِ ديمةً　　ترفُّ على قوم هنالك هُجَّدِ
تعوَّدَ كلٌّ بؤسها ونعيمَها　　وعشنا على بؤسٍ ولم نتعوَّدِ
أحنُّ الى تلك المراقدِ في الثرى　　ولو آستطيعُ اليومَ لآخترتُ مرقدي
فأنزلتُ جسمي منزلاً لا يملّهُ　　يكونُ بعيداً عن أعادٍ وحُسَّدِ
وما يتمنّى الحرُّ في ظلّ عيشةٍ　　تمرُّ لأحرارٍ وتحلو لأعبُدِ
كأنَّ بها وقراً على كلّ كاهلٍ　　فمن يتكبَّدْ حملَهُ يتكبَّدِ

* * *

لقد أتعبتني ، والمتاعبُ جمّةٌ ،　　مسيرةُ يومي بين أمسيَ والغدِ
ألما يئنْ أن يستريح مجاهدٌ　　ألما يئنْ أن يبلغَ المنهلَ الصَّدِي
تزهدتُ في وصل المعالي جميعها　　ومن يَطَّلِبْها كالطّلابيَ يزهدِ
وبتُّ تساوت في فؤادي مناهجٌ　　تُؤدّي لخفضٍ أو تؤدي لسؤددِ

وإنيَ في بيتٍ صغيرٍ مهدَّمٍ ... كأنيَ في قصرٍ كبيرٍ مشيَّدِ
عنا اللهُ عن قومٍ أتانيَ غَدْرُهم ... فربَّ مسيءٍ لم يُسِئ عن تعمُّدِ
وكم من نفوسٍ يستطيلُ ضلالُها ... ولكن متى ما تُبصرِ النورَ تهتدِ
فزعتُ من الآمالِ باليأس عائذاً ... فإن تُدْنني منها اللُباناتُ أبعدِ
فلا ترتعي مني بقلبٍ معذَّبٍ ... ولا تنجلي مني لطرفٍ مسهَّدِ
فيا ريحُ إن يعصفْ بيَ الشجوُ سكّني ... ويا غيثُ إن يُضرِمْنيَ الوجدُ أخمدِ
ويا ساكناتِ الطيرِ في دولة الدُّجى ... أرى، إن دعاكِ الصبحُ، أن لا تغرّدي
لديَّ شكاياتٌ وأنتِ شجيَّةٌ ... فإن تستطيبها لشجوكِ أنشدي
ولا تحسَبي التقليدَ يُذهبُ حسنَها ... فكم حسناتٍ قد أتت من مقلّدِ

* * *

تركتُ الغنى لا عاجزاً عن طلابِهِ ... وأنزلتُ نفسي من منازلِ محتدي
وهذي بحمدِ اللهِ مني براءةٌ ... فيا أفقُ سجّلْها ويا أنجمُ اشهدي

ولي الدين يكن

الى الله ..!

يا ربِّ اين تُرى تقامُ جهنَّمُ ... للظالمين غداً وللأشرارِ
لم يُبقِ عفوُكَ في السماواتِ العلى ... والأرضِ شبراً خالياً للنار
يا ربِّ أهِّلْني لفضلك واكفِني ... شَطَطَ العقولِ وفتنةَ الأفكارِ
ومرِ الوجود يشفَّ عنك لكي أرى ... غضبَ اللطيف ورحمةَ الجبَّارِ
يا عالِمَ الاسرارِ حسبيَ محنةً ... علمي بأنك عالمُ الاسرارِ
أخلقْ برحمتك التي تسعُ الورى ... ألاَّ تضيقَ بأعظمِ الاوزارِ

اسماعيل صبري

لكنّ مصراً ..

ناظم هذه القصيدة شاعر مطبوع ، عرفته مصر يوم كان ينشر في صحفها باكورة ثمار قريحته . ثم نشر هنا ديوانه ، فتوسمنا فيه سليقة شعرية ما زالت تتجلي في كل ما نظمه بعدئذ . وقد أرسل الينا من الولايات المتحدة – حيث هو يقيم الآن – القصيدة الآتية يحيي بها مصر ويحن الى وادي النيل :

أشقى البرية نفساً صاحب الهمم ... وأتعسُ الخلق حظاً صاحبُ القلمِ

عافَ الزمانُ بني الدنيا وقيّدَهُ ... والطيرُ يُحبَسُ منها جيّدُ النغَمِ

وحكّمت يدُه الاقلامَ في دمِهِ ... فلم تصنهُ ولم يعدل الى حكمِ

لكلّ ذي همةٍ في دهرِهِ أملٌ ... وكلُّ ذي أملٍ في الدهرِ ذو ألمِ

ويلُ الليالي لقد قلّدنني ذرباً ... أدنى الى مهجتي من مهجةِ الخصمِ

ما حدّثتنيَ نفسي أن احطّمَهُ ... إلاّ خشيتُ على نفسي من الندمِ

فكلما قلتُ زهدي طاردٌ كلَفي ... رجعتُ والوجدُ فيهِ طاردٌ سأمي

يأبى الشقاء الذي يدعونهُ أدباً ... أن يضحكَ الطرسُ الا إن سفكتُ دمي

لقد صحبتُ شبابي واليراع معاً ... أودى شبابي ... فهل أبقي على قلمي ؟

كأنما الشعراتُ البيضُ طالعةً ... في مفرقي أنجمٌ اشرقنَ في الظُلَمِ

تضاحكَ الشيبُ في رأسي فعرّضَ بي ... ذو الشيب عند الغواني موضعُ التهمِ

فكلُّ بيضاء عند الغيدِ فاحمةٌ ... وكل بيضاء عندي ثغرُ مبتسمِ

قلْ للتي ضحكت من لمّتي عجباً ... هل كان ثمَّ شبابٌ غير منصرمِ

قد صرتُ أنحلَ من طيفٍ وأحيرَ من ... ضيفٍ واسهرَ من راعٍ على غنمِ

* * *

وليلةٍ بتُّ أجني من كواكبها ... عقداً كأني أنالُ الشهبَ من أممِ

لا ذاقَ طرفي الكرى حتى تنالَ يدي ... ما لا يفوزُ به غيري من الحلمِ

ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي ... ولا البكاء على ما فاتَ من شيَمي
لكنّ مصراً وما نفسي بناسيةٍ ... مليكة الشرق ذات النيلِ والهرمِ
صرفت شطرَ الصبى فيها فما خشيت ... رجلي العثارَ ولا نفسي من الوصَمِ
في فتيةٍ كالنجومِ الزُهر أوجهُم ... ما فيهم غير مطبوعٍ على الكرمِ
لا يقبضونَ مع اللأواء أيديَهم ... وقلما جادَ ذو وَفرٍ مع الأزمِ
في ذمةِ الغربِ مشتاقٌ ينازعهُ ... شوقٌ الى مهبطِ الآياتِ والحِكَمِ
ما تغربُ الشمسُ الا أدمعي شفقٌ ... تنسى العيونُ لديهِ حمرةَ العنمِ
وما سرت نسماتٌ نحوها سحراً ... ألا وددتُ لو آني كنت في النسمِ
ما حالُ تلك المغاني بعد عاشقها ... فإنني بعدها للسُهد والسقمِ
بين الجوانحِ همٌّ ما يخامرُني ... الا وأشرقني بالباردِ الشبمِ
جادَ الكنانةَ عني وابلٌ غدِقٌ ... وان يكُ النيل يغنيها عن الديَمِ
الشرقُ تاجٌ ومصرٌ منه درّتهُ ... والشرقُ جيشٌ ومصر حاملُ العلَمِ
هيهات تطرفُ فيها عينُ زائرها ... بغير ذي أدبٍ أو غير ذي شمم
أحنى على الحرّ من أمٍّ على ولدٍ ... فالحرُّ في مصرَ كالورقاء في الحَرمِ
ما زلتُ والدهرُ تنبو عن يدي يدُهُ ... حتى نبتْ ضلةً عن أرضها قدمي

(الولايات المتحدة) ... ايليا ابو ماضي

❋ مكارم الأخلاق ❋

سلوتُ بحمدِ الله عنها وأصبحتْ ... دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها
على أنني لا شامتٌ إن أصابها ... بلاءٌ ولا راضٍ بوجهٍ يعيبها

شيخ النحاة

عشرون عاما

في عالم التحرير



اسكندر شاهين

في أواسط الشهر الجاري يغادر مصر حضرة الكاتب المعروف اسكندر افندى شاهين رئيس تحرير جريدة « الوطن » قاصداً الديار البرازيلية—وحضرته من الكتّاب المجيدين في اللغتين العربية والانجليزية فأحببنا بهذه المناسبة ان ننشر للقرّاء صورة هذا الصحافي القديم ، وان نُشيّعَهُ بكلمة وداع باسم الصحافة التي خدمها زهاء ربع قرن ، سائلين له في غربته كلّ توفيق ونجاح . وقد نشرنا في الصفحات التالية كلمته في وداع مصر ، قال :

في مثل هذا اليوم من عشرين سنة مضت — في اليوم الأوّل من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ — رأيتُ ان أبتاع من بعضهم جريدةً أسبوعيـة اسمُها « الرأي العام » كنت أطبعُها لشابّين سوريَّين لم يتفقا على تحريرها، ولكنهما اتفقا على تركها لي ؛ فاشتغلتُ بها من ذلك اليوم ، وجعلتُ أُغيّر ما بها على مهلٍ ، وأحرّرها من رقّ الرياء ، لأنها نشأت على عبادة السلطان عبدالحميد ومدح أبي الهدى ، وما بقيَ من أساليب الوطنية التي كانت شائعةً في ذلك الزمان ، حتى جعلتها « الرأيَ العام » المعروف في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي . وتدرَّجتُ منها الى الإشتغال بتحرير الجرائد اليومية ، وبغير هذا من فنون القلم الى ان بلغتُ هذا النهارَ من عمريَ الصحافي ، وذكرتُ ذيَّاك العمرَ الطويلَ وهـاتيك الحوادث الكثيرة والعبر المتوالية ؛ فقلت إني آنَ لي أن أستريحَ قليلاً من عناء حرفةٍ لم تفـارقني ولم أخنْ عهدَها في كلّ هذه السنين ؛ لعلَّ الراحةَ تجدّد القوى وتنسي بعض الذي مرَّ من متاعب التحرير والتحبير

وماذا أقول وما الذي أسطّر هنا من خزانةٍ وعت أموراً تضيق بها المجلدات ، وذاكرةٍ طالما أغنتني عن بعيد الكتب وعزيز المؤلفـات ؟ لعمركَ لو انني أسطرُ عشرَ الذي يجول الان في ذهني بينا أنا أخطّ هذه السطور لاغنيتك عن مطالعات أسبوعٍ أو شهرٍ من الزمان . أقول ذلك لانني ذاهبٌ الى ابعد القـارّاتِ عن هذا القطر لاقضي فيها اشهراً ، وليس يدري غيرُ الله كيف يكون الختام . ان النفسَ ألفت بلاداً قضيت فيها زهرةَ العمر وجنتها من نحو ٢٩ عاماً ؛ فعسيرٌ عليها أن تحنّ الى وادٍ

غير وادي النيل ، أو ان تطلبَ اللقاء بخلاَّنٍ غير الذين عاشرتهم كل هذا العمر الطويل . فسواءٌ جرت سفينة الارزاق بما تشتهي نفسي وتمنى جوارحي ، أو سارت الاقدار بي في سبيلٍ آخر ، فلأذكرنَّ عهد الولاء الى آخرِ العمر . واللهُ يفعل بعباده ما يشاء

ولقد ساءَني اناسٌ مدةَ هذه السنين وساءَ ظنهم بي فكانوا يتهمونني في أوّل الأمر بخيانة الدولةِ وعداءِ السلطان ؛ ثم رجعوا الى رأيي بعد ان طال عهد الجفاء . واتهموني بعد ذلك بصانعة الدولة الانكليزية لانتفعَ بأموالها ؛ ثم ظهر ان التهمةَ أبعد عن الصدق مما بين القطبين . وقالوا انّي كنتُ مفرّقاً بين طوائفِ المصريين ، فثبت نقيضُ الذي قالوا بعد ان تغيرت بعضُ الخواطر الى حين . وقد مضى الآن زمان هذه المزاعم ومضى تأثيرها ، فكان على الجملة كما اتمنى ، وبقيَ في الاذهان عامةً حقيقة اعدُّها اثمنَ من المال المكنوز ؛ الا وهي انني خدمت الحقَّ في كل حياتي الصحافية خدمةَ الذي يقدِّمُ الحقَّ على كل مصلحة أو شأن . وعرفتُ بالصدق لا يختلفُ ضميري عن لساني ، ولا تخون نفسي الحقَّ في حال من الاحوال . هذا هو فخري وهذا جزائي من الناس بعد الاشتغالِ عشرين سنة بالكتابة والتحرير ؛ ونعم الجزاءِ ونعم الاجرُ الكبير

وليس يؤخذُ مما تقدَّم أنني ادَّعي العصمةَ والكمال ؛ بل إن خطتي كانت خطةَ الصراحة والصدق . فسواء صدقت آرائي في هذه المسائل المديدة التي كتبتُ فيها أو أخطأت ، فانَّ القولَ كان صادراً عن اعتقاد بصحته ، وعن عزمٍ على ايراد الحقيقة واهمال كل مصلحة يفيد فيها

الكذب والرياء . فاذا قدّر لي أن أعودَ الى هذا القلم رجعتُ اليهِ ولم ارجع عن المبدإ الذي أفخر بهِ وقد رأيته انفعَ من مبادئ الذين يتقلبون مع الاهواء ، ويبدون في كل يوم بشكل جديد

واسأتُ في ما مضى الى كثيرين ايضاً ربما كان معظمهم من الزملاء الذين يقضي اختلافُ الرأي بمجادلتهم من حين الى حين . والله يشهدُ أنني ما جرحتُ نفساً بقصد ايلامها ولا تهجمت على رجل بالطعن ، وأنني كنتُ أحزنُ لما يصيبُ الخصمَ الصحافي ولا حزنَ اصحابه والاخصاء الاقربين . على ان المطاعنَ الصحافية كلها خطأ قبيح ، ولا بدَّ أن يكون قلمي قد زلَّ مراراً وأغضبَ بعض الرفاق فاسألهم الصفحَ والمعذرة ، وأرجو ان يكون عامنا الحالي اخرَ أعوامِ التجريح والمشاتمة في عالم التحرير

قلتُ انَّ الذي تعيذاكرتي من حوادث هذا العمر الصحافي والذي يعنُّ لي ايرادهُ شيء كثير. فاذا شاء قراء الوطن ان اوافيهم بشيء من هذا ومما يفيدني الاختبار القادم في قارة اميركا الجنوبية فعلتُ بعد ان اذوق الراحة أياماً . واماَّ اليوم فاكتفي بشكرٍ عام ارسلهُ الى كل صديق كريم وذي وداد طلب لي الخير فيما مضى؛ وأسأل الله ان يوفق كلاً منا الى الغرض الذي يطلبه ، وان يديمَ ايامَ الصفاء والهناء لجميع الاخوان الذين عرفتهم في وادي النيل

اسكندر شاهين

صاحب البرق



عشتُ شقيًّا ولم أبالِ ولم يمرَّ الهنا ببالي
اعلّلُ النفسَ في نهاري والزمُ الدرسَ في الليالي
رقَّ شعوري فرقَّ جسمي ورقَّ ديني ورقَّ مالي

بشاره خوري

اذا قلتَ في تعريف « البرق » : إنها « جريدة اجتماعية ادبيـة انتقادية » — كما هو مكتوب في صدرها — فانك لم تخصصها بهذا القول؛ ولـكنك اذا قلتَ فيها : إنها جريدة يحبّها النشءُ السوري المتأدب ، وإنها

في سوريا جريدة السوريين المهاجرين في الأقطار الأميركية فقد ميزتها حينئذٍ بصفتين خصيصتين بها

نشأت في بيروت على أثر اعلان الدستور في تركيا ، ولم يكن لها رأس مالٍ ماديّ قط ، ولا معنويّ سوى أدب منشئها ونشاطهِ ، وسوى تلك الفوضى الهائلة التي انتشرت في البلاد يومئذٍ . على أنها ما برحت سائرة في طريقها يدفعها نشاط الشباب الى الأمام ، وتحببها حرية القلم الى القرّاء حتى بلغت اليوم السنة الخامسة من حياتها وقد بلغت معها شأواً كبيراً من النجاح

هذه هيَ جريدة البرق التي اثنى عليها حضرة الكاتب الشهير سليم افندي سركيس ذلك الثناء الطيّب في حفلة اكرام خليل افندي مطران الشاعر المحبوب ؛ فانّ البرق دعت انصار الأدب في سوريا الى الاشتراك في تكريم شاعر القطرين وارسلت اليهِ باسم اولئك الأدباء هدية جميلة اعترافاً بفضله ونبوغهِ

أما صاحب البرق ، بشاره افندي الخوري ، ففي ما دون الثلاثين من العمر . وهو ذكيُّ الفؤاد ، عصبي المزاج ، سريع التأثر . اذا كتب راضياً سالت كلماتهُ رضىً وصفاءً ، واذا كتب غاضباً قطر قلمهُ سمّاً زعافاً . وهو شاعر مجيد ليس للصناعة أثرٌ ما في شعره وان كان أثرها يظهر على الغالب في نثره ؛ ذلك لأنهُ يقول الشعر عفوَ الخاطر غير مغصوبٍ عليهِ ، ويكتب على الأكثر محمولاً على الكتابة إما بحكم السياسة وإما بحكم الأحوال . ولقد أُتيح « للزُّهور » أن تنشر شيئاً من شعره في بعض

أجزائها السابقة — والزُّهور كما يعهدها القرّاء لا تنشر من الشعر الاّ الجيّد المختار — فكان في الذي روته لهُ ، على قلّتهِ ، دليلٌ على الإجادة والمقدرة . على انّ ذلك القليل لم يكن كافياً لاظهار الشاعر بمظهرهِ الحقيقي من الشاعرية فرأينا أن نختار اليوم مما وقع الينا من شعره ما لعلّه ان يكون ادلّ على فضلهِ ، وافصح عن بيانهِ وادبهِ

قال من قصيدة :

يا هندُ قد ألِفَ الخميلةَ بلبلٌ		يشدو فتصطفقُ الغصونُ وتطربُ
هوَ شاعرُ الأطيارِ لا متكبّرٌ		صَلِفٌ ولا هو بالإمارةِ معجَبُ
تتعشّقُ الأزهارُ عذْبَ غنائهِ		فاذا شدا فبكلِّ ثغرٍ كوكبُ
والغصنُ—والاوراقُ آذانٌ لهُ—		ماذا تُرى فيها النسيم يتبتبُ ؟
واذا الضُحى لمعت بوارقُ ثغرهِ		نادى باجناد الطيورِ تأهبوا
فسمعتَ للأطيار موسيقى على		نغماتِها يأتي النهارُ ويذهبُ
والصوتُ موهبةُ السماءِ فطائرٌ		يشدو على غصنٍ وآخرُ ينعبُ
هي للهزارِ مكانةٌ من أجلها		دبّت بافئدةِ الحواسدِ عقربُ
فتألبوا من حولِ أشمطَ أشيبٍ		يحدو بِهِ للشرِّ أشمطُ أشيبُ
فاذا همُ حولَ الغرابِ عصابة		باحطَّ من أخلاقها تتعصّبُ
فشكوا لبعضهمِ الهزارَ وجذوةً		بفؤادِ كلٍّ منهمُ تتلهّبُ
وتشاوروا فاذا الوشايةُ خيرُ ما		شَرَكٍ به يقعُ الهزارُ فيُعطبُ
فسعوا بهِ فاذا الهزارُ مقفَّصٌ		والبومُ منطلِقُ الجوانحِ يلعبُ

* * *

يا هندُ إني كالهزارِ فان يكنْ		هو مذنباً فانا كذلك مذنبُ

وقال من قصيدة :

ايهِ لبنـانُ والجداولُ تجري فيك برداً فتنعش الظمآنـا
ايهِ لبنانُ والنسيمُ عليلاً يتهـادى فيعطف الأغصانا
حبذا السفح معبداً لصغار الـ طير تشدو لربهـا الألحانا
خافقات الجنـاح للشمس آناً خافقـات الفؤاد للحب آنا
آمنات في السفح كاسرة الجـوِّ فـلا تأتلي بهِ طَيَرانا
فترفّ الاديمَ تختلس الحـبَّ وتظمى فتقصدُ الغدرانـا
واذا الشمس ودَّعت ودَّعت تلـك السواقي والزهرَ والافنـانا
واستقرَّت في وكرها آمناتٍ كلُّ قلبين يخفقان حنانـا
مطبقات الجفون يحفظها الأمـن كما الجفن يحفظ الانسانـا

* * *

ايّهاذي الطيور مَن قسم الحـظَّ ومَن قال للشقا كن فكانا
ايّهاذي الطيور حسبكِ في السفـح انطلاقـاً جوانحاً ولسانا
اتجيدينهُ البيان على الأفنـان والنـاس لا تجيد البيانا
وتعيشين والرجال بلبنـان يموتون شقوةً وهوانـا
ان كفّاً تفصّل الثوب للعرس لكفٌّ تفصّل الاكفانـا

ولهُ في بكاءِ والده :

وقفتُ حيالَ القبر ما انا نابسٌ بشعرٍ ولكن مقلتي تنبس الشعرا
وهل كنتُ عند القبر غيرَ قصيدةٍ بواكي قوافيها تُرى دون ان تُقرا
فتىً دامع العينين مضطرب الحشا يكفكف باليمنى ويسند باليسرى
وفي عينه ما يعجز الوصفَ بعضهُ وفي صدره ما بعضهُ يُحرج الصدرا

وله من قصيدة ضمّنها حكاية قال :

فتىً يتعثَّرُ في لؤمِهِ • كما يتعثرُ في جهلِهِ
نواظرُهُ تحت أقدامِهِ كباحثةٍ ثَمّ عن اصلِهِ
لتسقطُ امُّ الجنين آبنَها اذا حلمت بفتىً مثلِهِ
ولو ابصرت عينُهُ وجهَهُ لقلتُ العفاء على نسلِهِ

ولهُ وقد طالما جلس الى الكأس حزيناً فما زال بها حتى سُرّيَ عنه وفارقها يتهادى انبساطاً :

تبسمْ وشعشعْ لي السلافة في الكاسِ فثغرك في ليل الحوادث نبراسي
ولا تلمسِ الكأسَ التي قد رشفتَها أخاف على كفَّيك من حرّ انفاسي
يقول ليَ الآسي فؤادك موجعٌ فمَن انبأَ الآسي بفعلك يا قاسي
وينصحني الاخوانُ بالخمر إنها على زعمهم تشفي من الألم الراسي
فها انا استشفي بها كلَّ ليلةٍ الم ترَني استتبعُ الكأسَ بالكاسِ
واعجبُ من نفسي ودائي بمهجتي أعالجهُ بالخمر ترقى الى رأسي

وله من قصيدة في وصف ارز لبنان الشهير :

جبالٌ على شكل الهلال محيطةٌ بمفرق قاديشا تناجي الغواديا
قوائمُ حول الأرز منّاعةٌ له اذا صادمتــه الحادثات عواديا
وما الارز الا آية اللهِ في الورى فبوركَ ضخمَ الجزع ريّانَ ناميا

أ وليس في هذه المختارات القليلة ما ينمُّ عن شاعرية فطرية تُحلّ صاحبها منزلةً عاليــة بين الشعراء المجيدين ؟ انّ المستقبل بسّام لصاحب البرق والوسائل متوافرة لديه من ذكاء عزم وتوقّد فكرة ونشاط شباب

ثمرات المطابع

* خواطر في الحقوق والادب — هذه مجموعة تلك المقالات الغراء التي كان ينشرها في جريدة الاخبار حضرة الكاتب الفاضل سامي افندي الجريديني المحامي المشهور. وانَّ الادباء ليذكرون مقدار التأثير الذي كانت تؤثره مباحثهُ الطليّة في النفوس، وصدى الاستحسان الذي كانت تجده كل مقالة منها. جمعها حضرتهُ ضناً بفائدتها وحرصاً عليها فجاءت كتاباً شاملا ابحاثاً دقيقة في مواضيع شتىً كالربا والطلاق وحقوق الملاّك وحقوق الحياة ونظريات صادقة في اداب اللغة العربية مفرغة جميعها في قالب لطيف رشيق العبارة سهل المأخذ لا يبعد عن الافهام، مؤيدة دائماً بالدليل تلو الدليل والحجة أثر الحجة مع ظرف وكياسة في التعبير وذوق سليم في الانتقاد. وقد عرف قراء الزهور مقدرة سامي افندي في الكتابة، واجادته في التعبير من ترجمته لرواية يوليوس قيصر التي نشرت متسلسلة في هذه المجلة فكان لها وقع حسن جداً في النفوس واتخذها تلاميذ المدارس معواناً لهم على تفهّم شكسبير واستيعاب اغراضه ومعانيه. فنثني على حضرته كل الثناء

* الإسعاف الاوّلي[١] — لم يعجب أحدٌ من عارفي فضل الدكتور محمد عبدالحميد ونشاطهِ في خدمة العلم من وجود اسمهِ في الشهر الفائت مدرجاً بين اسماء الذين أنعمت عليهم الحضرة الفخيمة الخديوية بلقب

(١) يُطلب من مؤلفهِ في قليوب ومن مكتبة المعارف في مصر وثمنهُ ١٠ قروش

البكوية ، بل قابل الجميعُ هذا الانعام بالاستحسان التـامّ بالنظر الى ما لحضرة هذا الطبيب المجتهد من الخدم الجليلة في سبيل العلم . فان كتبهُ الطبية التي يتابع نشرها باللغة العربية أصبحت تؤلف مكتبة قائمة بنفسها وآخر كتاب اتحفنا بهِ هو كتاب « الاسعاف الاولي » الذي يتضمن ما يجب عملهُ حين حدوث اصابة أو وقوع طارئ ريثما يحضر الطبيب ، مما يجب أن يعرفهُ الجميع . ولا يخفى ما في هذا الموضوع من الفـائدة . فنثني على همة الدكتور عبدالحميد بك ونرجو لمؤلفاتهِ النفيسة كل رواج

* تاريخ الحرب البلقانية [١] — يحملُ الينا البريد اكداساً من الكتب الافرنجية الموضوعة في تاريخ الحرب التي تأججت نيرانها هذه السنة في شبه جزيرة البلقان . وقد رأينا فريقاً من كتاب العربية طرقوا أيضاً هذا الموضوع ، مما دلّنـا ان المؤلفين عندنا اخذوا ايضاً يضعون الكتب في الحوادث الجارية لفائدة القراء ، ومن هذا النوع «تاريخ الحرب البلقانية» لـكاتبـه المنشيء المتفنن سليم افندي العقاد الصحافي البيروتي المعروف . وقد تناول فيه لمحةً من تاريخ الدول البلقانية وجغرافية بلادها ومقدمات تلك الحرب الطاحنة وما جرى فيها من المواقع ، وما دار من المفاوضات كلّ ذلك بعبارة طلية منسجمة تنمّ عن عهدٍ مكين بين الكاتب والقلم . والكتاب مزين باربعة عشر رسماً وخريطتين حربيتين

* رجال المعلّقات العشر [٢] — كتـابُ نفيس وسفرٌ جليل اهدتهُ

(١) مطبعة الهلال — ثمنهُ ٤ قروش ويطلب من المكاتب ومن موءلفه في شارع المهراني بالفجالة (٢) طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت . ويُطلب في مصر من مكتبة المنار

الينا مكتبة المنار الشهيرة في مصر . وقد وضعهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى الغلاييني مدرّس اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت ، وضمّنهُ تاريخ شعراء المعلقات العشر وانسابهم ونفيس اشعارهم وما اتفق لهم من الحوادث مما يجدُ القارئ فيه لذةً وفائدة كبيرتين . وقد ضبط الشعر بالشكل الكامل وشرحهُ شرحاً وافياً لمساعدة المطالع على تفهّم المفردات والمعاني . وصدّر الكتاب بمقدمتين جليلتي النفع ضافيتي الذيول : الاولى تتضمن خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام ، والثانية تشتمل خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي حتى الزمن الحاضر . ولم يدّخر المؤلف وسعاً في مراجعة الدواوين وكتب الأدب القديمة والحديثة ، حتى جاء عمله متقناً وافياً بالغرض . ولا نشك في ان الاقبال سيكون عظيما على هذا الكتاب الجميل في ابان النهضة العربية الحاضرة

* منتخبات الشيخ أمين الحدّاد — قلنا في « الزهور » (سنة ٣ صفحة ٣٠٧) كلمةً في المرحوم الشيخ امين الحداد من حيث هو كاتبٌ وشاعر ، فلا حاجة بنا اليوم الى زيادة القراء تعريفاً بهِ . انما يسرّنا ان نعلن محبي النظم الرائق والنثر الطلي انهُ صدر في عالم المطبوعات كتابٌ نفيس جمع بين دفّتيهِ مئتين وثلاثين موضوعاً من المواضيع التي جال فيها قلم الفقيد . والفضل في نشر هذا الكتاب عائد لحضرة الأديب المشهور الشيخ سلامه حجازي الذي اراد ان يطبعه على نفقتهِ الخاصة تخليداً لمآثر ابناء الحداد وتذكاراً لاشتغاله مع المرحوم الشيخ نجيب بفن التمثيل

العربي الذي بلغ على يدهما مبلغاً بعيداً من الاتقان

* صحيفة طفل [١] — الانسة اوليفيا عبد الشهيد الأقصرية كاتبة يحقُّ ان يقال فيها انها تغمس قلمها عندما تكتب في دموع عينيها او دم فؤادها لأن كتابها النفيس العائلة المصرية (زهور سنة ٣ صفحة ٣٢٥) كله حسّ وشعور اما كتيّبها الجديد فهو « صحيفة طفلٍ » كتبها « شقيقها الوديع » وعلقت هي عليها « ابتسامة فتاةٍ » ، ابتسامة جميلة تترقرق في خلالها دمعة مؤثرة

* آداب المراسلة [٢] — كتابٌ وضعهُ حضرة العالم الفاضل الخوري بطرس البستاني ، وضمّنه كلّ ما يجب على الطالب معرفته من اصول المراسلة وقواعدها وانواعها المتعددة ، وشفعهُ بامثلةٍ كثيرة تمرّن التلميذ على تطبيق تلك القواعد . وفي ذيل الكتاب مواضيع شتى ليتوسع فيها الطالب فتتقوّى فيهِ ملكة الانشاء . كل ذلك باسلوبٍ جليّ واضح ، مما يجعل لهذا الكتاب فائدةً كبرى

* حديث القلوب [٣] — عرّفنا القراء بالكاتب الشهير لامينه في الزهور (سنة ٢ صفحة ٢٩٣) يومَ نشرنا فصلاً له ترجمه لهذه المجلة الاديب حنا افندي صاود . وقد اكمل حضرتهُ ترجمة الكتاب برمتهِ ونشره لقراء العربية فجاءت الترجمة سلسة العبارة فصيحة الاسلوب

(١) مطبعة التوفيق في مصر

(٢) طبع في المطبعة العلمية ويطلب من المكتبة العمومية الشهيرة في بيروت وثمنه فرنك ونصف (٣) مطبعة جرجي افندي غرزوزي في الاسكندرية

* التصريف الملوكي[1] — هذا كتيّب في التصريف من صنعة أبي الفتح عثمان بن عبدالله ابن جنّي النحوي المشهور عنيَ بتصحيحهِ وشرحهِ السيد محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي وطبعته شركة التمدن الصناعية. وهو كتاب حريّ بطلبة قواعد اللغة وأصولها ان يطالعوه بامعان وتدقيق لما فيه من الفوائد

* زهرة الشباب في لغة الأعراب[2] — جاءنا الجزء الاوَّل من هذا الكتاب لمؤلفهِ الأديب السيد عثمان افندي لطفي من المدرسين بمدرسة سعيد الأوَّل، وهو يشتمل على قواعد النحو على طريقة السؤال والجواب ، ويلي كلّ درس تمرين على القواعد التي مرّ شرحها . فنشكر للمؤلف غيرته على لسان العرب

* تربية الطفل[3] — للدكتور سرو بيان طبيب مستشفى لادي كرومر وطبيب ملجإِ الاطفال اللقطاء في مصر عناية خصوصية بنشر الكتب الطبيَّة المفيدة التي لا غنى عن الرجوع اليها . ومن هذه الكتب كتاب تربية الطفل وهو على صغر حجمه جامع لفوائد جلّى اذا نشّئ الطفل بحسبها نشأ قويّ البنية جيد الصحة . فنوجه انظار الامهات خصوصاً الى هذا المؤلَف المفيد ونتمنى له الرواج

---

(١) يُطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنهُ قرشان صاغ
(٢) مطبعة جرجي افندي غرزوزي بالاسكندرية وثمنه قرشان
(٣) طبع في مطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٤ غروش صاغ

جناية شبرا

مررت مُبكّراً في الصباح بدار بوليس الازبكية في ميدان باب الحديد ، ودخلت على حضرة المأمور أروم محادثتهُ لعلّي أن استفيد منهُ خبراً ما لجريدتي « الأيام » التي أنشرها في مصر منذ عهدٍ بعيــد . وكانت بيني وبين هذا الموظّف النشيط صداقة قديمة العهد لم يكن يمنعني من أجلها شيئاً يجيزهُ لهُ القانون . وفيما نحن نتحدّث سمعنا ضجيجاً عالياً في باحة الدائرة ، وصارخاً يصرخ ملء فيه : أين المأمور ؟ أين المأمور ؟ فالتفتَ اليَّ صاحبي وقال : انَّ خلف هذا الصياح أمراً جللاً . فتبسمت وقلت : ذلك ما جئت اليك من أجله . ولم اكد ألفظ الكلمة الأخيرة حتى دخل علينا رجل فوق الخمسين من العمر تدلُّ ملامحهُ على القلق والخوف . ولم يتمهَّل ريثما يسألهُ صاحبي عما يريد من مفاجأتهِ لنــا على تلك الصورة بل قال : تفضَّل يا حضرة المأمور الى منزلي نمرة ١٣ بشارع سلامه في شبرا ، فقد ارتُكبَت الليلةَ فيهِ جناية فظيعة . انَّ يداً أثيمةً امتدَّت الى ابنتي في سريرها فقتلتها شرَّ قتلة . . مسكينة ادماء ! واهاً عليكِ يا ادماء !

فقال المأمور وقد مدَّ يدهُ الى التلفون : ومَن القاتل ؟

فأجاب الرجل : لا أعرفهُ يا سيدي . اننا أطلنا السهرَ الليلة البارحة اذ كنَّا نعدُّ المعدَّات لحفلات هذا النهار ، فقد كان اليوم موعداً لزواج ادماء بابن عمّها ووارثي الوحيد بعدها ، ونمنا على أن نبكّر الى العرس فبكَّر الينا المأتم

وفيما كان الرجل يتكلم ، كان المأمور قد أخذ يخاطب بالتليفون وكيل النيابة العمومية

ولم تمضِ الاَّ دقائق قليلة حتى وقفت بنا العربات أمام المنزل المعيّن . وكنتُ

قد استأذنتُ صديقي في مرافقتهِ فركبت الى جانب والد ادماء ، وفاتحهُ الحديث قائلاً : ألا تشرّفني بمعرفتك يا سيّدي ؟ أما انا فاسمي : وسيم الريّان صاحب جريدة « الايام » ورئيس تحريرها فقال : وانا فرج الله خوري تاجر مصوغات وجواهر في الخان الخليلي

وكانت باحة المنزل حين وصولنا قد كادت تغصّ بالناس وهم يتهامسون بينهم؛ فامر المأمور رجالهُ بتفريقهم ، ثمَّ دخل ودخلنا وراءه فلقينا الخادمة تبكي بمرارة وتتأوّه على سيدتهـا . وكان هنالك أيضاً شابٌ في نحو الثلاثين من العمر يروح ويجيء قلقاً مضطرباً ، ولم يكن في عينيهِ اثر للبكاء قط ؛ غير انَّ بياض المقلتين كان قد تحوّل الى احمرار قرمزيّ كأن الدم جال فيهما بدَلَ الدمع

ثمَّ سأل المأمور صاحب الدار عن مكان وجود الجثة ، فمشى امامنا الى غرفة في أقصى المنزل وقال : هنا . . هنا غرفة أدماء . ودخلنا فابصرنا على سرير في احدى الزوايا فتاةً شاحبة اللون، واحدى يديها ملقاة على جانبها الأيسر حيث تدفّق الدمُ فضرَّج ملابس نومها البيضاء واغطية فراشها . وهي ما تزال في السرير كأنها نائمة نومةً طبيعية ، ممّا دلّ على أن قاتلها فتك بها في خلال رقادها . وكانت على الارض، حذاء السرير ، سكّين حادّة من السكاكين التي تُستعمل في مطابخ البيوت ؛ وهي ملوّثة بالدم أيضاً . أما الجاني فلم يكن أحد يعرف شيئاً عنهُ ؛ غير انَّ خفير الحيّ شهد بعدئذٍ بأنهُ أبصر في المنزل المقابل غرفةً بقيت مُنارةً معظمَ الليل ، وخيالَ شابٍ كان يروح ويجيء فيها حيناً بعد حين . ثمَّ انطفأ نورها في نحو الساعة الثالثة صباحاً

وأثّر فينا جميعنا منظر الجثة وعلى مقربة منها الآلة القاتلة فارتعشنا واقشعرّت ابداننا . وكان الطبيب قد دخل الغرفة حينئذٍ ؛ فجسَّ نبض الفتاة ، ثمَّ انحنى باذنه على صدرها يتسمّع خفقان قلبها . وكأنما خامرَهُ شكّ في موتها فأخذ مرآة وادناها من فمها برهة ، ثم تأملها فأبصر عليها شبه غشاوة مما دلهُ على انهُ لم تزل في ذلك

الجسم بقية من الحياة . فالتفت الينا وقال : هي حية لم تمت بعد ! وكأن لفظة الحياة نبّهت خطيب الفتاة فأجفل وتقدّم خطوة الى السرير محملقاً في الطبيب كمن فوجيء بما لم يكن يتوقع . أما الأب فترامى على أقدام الطبيب وهو يقول لهُ : أحيها . . . بربّك أحيها . ثمَّ جثا يصلّي

ورأيت في تلك الساعة ما لم أرَهُ من قبل : أباً جاثياً يدعو الله وملء نفسه خشوع ورجاء وملء ناظرَيه ذلّة وحزن ؛ وعاشقاً تتنقّل نظراته من السرير الى الطبيب الى السكّين ؛ ورجالَ حكومة واجمين ينظرون بلهفة وأمل ؛ وطبيباً أحدقت به القلوب كأنّ كهربائية انتقلت منها الى يديه فحركتهما على ذلك الجسم المسجّى بدون حراك . ورأيتني وحدي في ذلك الموقف ثابت الجأش أرى وألاحظ ، وأعي غير ذاهل ، حتى لقد ظننتني اسمع خفقة كلّ قلبٍ في كلّ صدر ، واحسّ دبيب كلّ خاطرٍ في كلّ ضمير

حينئذ أشار الطبيب فخرج الجميع من الغرفة ، واقام هو وحده يعالج الفتاة . وبثَّ المأمور رجاله في المنزل وحواليه ، ثمَّ أخذ في التحقيق الأوّليّ فعرف أنّ ربَّ البيت يسمّى فرج الله خوري وأنّه يتّجر في الخان الخليلي بالمصوغات والحجارة الكريمة ، وأن ابنته وحيدة لهُ واسمها أدماء وقد توفيت والدتها وهي في نحو الخامسة من عمرها فربّاها ابوها وأدّبها في المدارس ولم يشأ أن يتزوج ثانية حبًّا بها وغيرة عليها . امّا الشاب خطيب ادماء فاسمه سليم خوري وهو ابن أخٍ للخواجا فرج الله ؛ هاجر بعد وفاة ابيه الى الترانسفال واقام فيها نحواً من عشر سنوات ، ثمَّ جاء القاهرة للتزوّج بأدماء والاقامة في هذا القطر

وفي نحو الساعة التاسعة جاء وكيل النيابة العمومية وشرع في التحقيق الدقيق فلم يلبث أن توصّل الى معرفة الجاني ؛ فان الخادمة المطلعةُ على علاقات أدماء بفتىً يدعى «فؤاد اليافي» يسكن منزلاً مجاوراً . وكان كثيراً ما يحادث أدماء من النافذة

متى خيّم الليل ونام الخواجا فرج الله . وكانت الخادمة تنقل رسائله الى سيدتها وتحمل أجوبتها اليه ؛ قالت وأن آخر رسالة جاءت بها منه كانت في نفس الليلة التي ارتكبت فيها الجناية وقد ناولها اياها بيدٍ مرتجفة وفي نظراته معنى الاضطراب والغضب . . .

وعثر وكيل النيابة على تلك الرسالة تحت وسادة ادماء فاذا هي هذه :

« وعدتِ ثم أخلفتِ . ويلٌ لكِ يا ظالمة ! أعقبي حبّنا ان تكوني زوجةً لسواي ؟ ؟ تالله لن يكون ذلك ابداً . ليس والدك الذي أراد ، بل أنتِ التي آثرتِ ابن عمك عليَّ . كذبتِ في غرامكِ ، كما كذبتِ في عهودكِ . أمّا أنا فلن اكذب في عزمي . آليتُ ألاّ يسعد ابن عمّكِ بك ، وأشقى أنا بدونك . الويل لي اذا كان المأتم غداً بدلاً من العرس ! ! » فؤاد

ثمَّ طرق رجال البوليس منزل فؤاد اليافي وقد اقتنع وكيل النيابة كلّ الاقتناع بأنّ فؤاداً هو الجاني لا غيره ، وبأن الذي دفعه الى ارتكاب الجريمة انما هو الغيرة والغرور . ومما ايّدَ هذا الاقتناع أن فؤاداً لم يبت ليلتهُ كلّها في منزله ؛ فقد جاء في نحو الساعة السابعة مساء ، وخلا بنفسهِ في غرفتـهِ الخاصة دون ان يتناول طعام العشاء . ولما افتقدَه أهله في الصباح لم يجدوه ، ولكنهم وجدوا رسالة منهُ على مكتبهِ . فأمَرَ وكيل النيابة بها فاذا فيها ما يأتي :

الى والديَّ العزيزين

ليس في استطاعتي ان أشهد غداً عرس جارتنا ادماء لأن الغيرة تأكل قلبي لذلك أنا ذاهبٌ الساعةَ الى حيث لا أدري . ومتى شفيَت نفسي من آلامها عدتُ اليكما . سامحا زلّتي ، وترقّبا أخباري فؤاد

ودقّقتِ النيابة في استجلاء حقيقة العلاقات بين فؤاد وادماء ، فوقعت على رسائل كثيرة في حوزة الفتاة ازالت كلَّ شبهة عن غرام فؤادٍ وغيرته . واتصلت بها من شهودٍ كثيرين امور تافهة في حدّ ذاتها ، ولكنها اذا أضيفت الى مجمل القرائن

كانت دلائلَ قوية على ثبوت الجريمة على ذلك الشاب . ولما توافرت الأدلّة على هذا الشكل أمرت النيابة بتعقّب الجاني، وضيّقت عليهِ سُبُل الفرار من القطر المصري بما بثّتهُ من العيون والارصاد

وفي ذلك النهار نفسهِ ورد على نيابة مصر تلغراف من بوليس الاسكندرية يُفيد القاء القبض على المتهم وهو يتأهب للسفر الى أوروبّا على احدى البواخر . فجاء هذا دليلاً جديداً على أنَّ فوءاداً هو الجاني ، لأنَّ سفرَه الفجائي لم يكن الاَّ بغيةَ الفرار من وجه القضاء والعدل

واتّصل خبرُ الجنـاية بصحف العاصمة فنشرتهُ ، كعادتها في أمثاله ، مقتضباً ومذيّلاً بكلمات الثناء على مهارة النيابة العمومية ، وتيقّظ رجال البوليس . أما أنا ، وقد رأيتُ بعيني ، وسمعت بأذني ، فاني رويتُ الحادث في « الأيام » مسهباً في تفصيل وقائعهِ كلَّ الاسهاب . ثمَّ قلت في ختام كلامي : انَّ على النيابة أن لا تغشى عينيها الأدلّةُ التي اعتبرتها مثبتةً للجريمة على فوءاد افندي اليافي ، فقد يحتمل ان تكون تلك الأدلة من نحو الشذوذ في الاتفاق فيكون فوءاد بريئاً من التهمة التي ألصقها بهِ نكد الحظّ

لم أقل ذلك عفوَ الخاطر او من قبيل التفلسف في الامور ؛ وانما بنيت قولي على توافرِ عقائد في نفسي حسبتها براهين تجيزُ ليَ نفيَ التهمة عن فوءادٍ ، والقاءها على عاتق سواه . فعزمت على ان استكشفَ الحقيقة مهما اقتضتهُ من عناء ومال ، لأنَّ الصحافي الماهر هو مَن بذل جهدهُ لمعرفة الحقائق ، ثم سبق الى نشرها ؛ وانما بهذين اشتهرت « الأيّام » ومشت في طليعة الجرائدِ العربيّة الكبرى

أمّا شكوكي فبدأت حيث بدأ اقتناع النيابة العمومية . هي كانت ترى كلَّ شيءٍ ايجاباً في حين كنت أراهُ أنا سلباً . فغيرة فوءاد وتهديدهُ ، وسهرهُ وقلقهُ ، ورسالتهُ الى والديهِ ، وسفرهُ الى الاسكندرية ، وعزمهُ على مغادرة القطر ، كانت جميعها

دلائل وقرائن عليه في نظر مَن يأخذ الأمور بظواهرها . غير انّ النيابة ذهب عن بالها ان تبحث ، في الدرجة الأولى ، عن الطريق التي سلكها فؤاد الى الغرفة النائمة فيها أدماء حتى تمكّن من ارتكاب الجناية . أمّا أنا فلم أغفل هذا الأمر قط ، فقد عرفتُ أنّ الخواجه فرج الله أقفل بيده باب المنزل قبل أن نام ، وترك المفتاح في ثقب الغال من الداخل . ثمّ علمت انّ الخادمة ، لمّا أفاقت في الصباح ، وجدت الباب مفتوحاً فاستنكرت ذلك كما استنكرهُ سيّدهـا والخواجه سليم ايضاً . ولو تنبّهَ رجال التحقيق الى انّ الغال لا يمكن فتحهُ بمفتاحٍ من الخارج ، ما دام انّ المفتاح متروك في ثقبه من الداخل ، لأدركوا مثلي أنّ الجاني إمّا أن يكون غريباً ، وإمّا أن يكون بعضَ أهل أدماء . فان كان الأوّل اقتضى أن يكون لهُ شريك ممّن في المنزل فمكّنهُ من الدخول ؛ وإن كان الآخر وجب ان يكون أحد اثنين : إمّا الخادمة ، وإمّا الخواجه سليم . وأمّا أن يكون الجاني قد دخل البيت من غير بابه فما لم يكن معقولاً قط لأن العلوّ شاهق جدًّا ، والبيت مطلٌّ من جميع جهاته على الشوارع المنارة حيث الخفراء والمارّة لا يبرحون بين رواحٍ ومجيءٍ . أضِفْ الى هذا كله انّ البرد كان قارساً في تلك الليلة ، وأن النوافذ جميعها بقيت مقفلةً حتى الصباح

ولما تشبّعت من هذه الحقائق بحثت عن سيرة الخادمة مُنقباً مستقصياً فعرفت أنها قديمة العهد في منزل الخواجه فرج الله ، وأنها اعتنت بادماء بعد وفاة والدتها ، وحنَت عليها كما لو كانت أمّها الحقيقية ، وأحبّتهـا باخلاصٍ شديد ، فكانت لها خادمةً وأمًّا وصديقةً معاً . أوَ بعد هذا ما يستوقف شبهاتي عليها؟ ولكنني وقعت حينئذٍ في حيرةٍ شديدة : فلا ظنوني بواقفة عنـد الخواجه فرج الله ، ولا شكوكي بمنتقلةٍ الى الخواجه سليم . ذلك والدٌ وهذا خطيبٌ وابن عمّ

فمن الجاني اذاً ؟ أشيطانٌ من جهنم ، أم ملكٌ من السماء ؟؟

ولقد حاولت كثيراً أن أذهب مذهبَ النيابة العمومية في اتّهام فؤاد الباقي فلم

استطع . وزادني تشبثاً في رأيي هذا أنَّ فؤاداً لم ينكر الجريمة كلَّ الانكار فقط ، بل بكى بُكاء مرًّا حين درى بها اشفاقاً منهُ وحناناً على ادماء . وقد جرَّب اقناع رجال التحقيق بأنَّ تهديدهُ لحبيبتهِ لم يكن الاَّ تهديداً كاذباً حاول ان يتعلَّق بهِ ، وهو آخر سلاح كان قد بقيَ لهُ ، كما يحاول الغريق التعلُّق بالطحلب في الماء ، وان عزمهُ على السفر لم يكن الاَّ يأساً وقنوطاً لأن نفسه لم تكن تطيق ان يرى أدماء لسواه . على انَّ كلّ ذلك لم يفدهُ شيئاً ، بل أحالتهُ النيابة العمومية على محكمة الجنايات ليحاكم أمامها كقاتل متعمد . وراجعتُ نفسي مراراً في اتهام الخواجه سليم خوري فما ازددتُ الاَّ اعتقاداً بكونهِ الجاني الاثيم . فقد تبيَّنتُ أموراً جديرةً بالاعتبار ، أغفل وكيل النيابة بعضها ، وحملَ بعضها الآخر على محامل شتى . من ذلك : أنَّ الخادمة عرفت السكّين التي طُعنت بها أدماء أنها سكّين مطبخها ، مما دلَّني على أنَّ اليد التي استعملتها وصلت الى مكانها بدون عناء . وهل يُعقل أنَّ قاتلاً متعمداً يجيءُ ليقتل، تحت جنح الليل، فيجيءُ بدون سلاح على نيَّةٍ أن يجد لهُ سلاحاً ما في المكان الذي نوى الجناية فيهِ ؟ ومن ذلك انَّ الجاني كان على يقينٍ من ان ادماء لا تقفل بابها من الداخل في الليل. وانَّى لغريبٍ عن المنزل أن يكون على بيِّنةٍ من هذا الأمر ؟ ومن ذلك أيضاً انَّ سليماً كان يحسَب الطعنة قاتلة ؛ فلما فاجأهُ الطبيب بقولهِ إنَّ ادماء حيَّة لم تمت ، أجفل في مكانهِ اجفال مؤمّلٍ بوغتَ بضياع أملهِ . ومن ذلك أخيراً انَّ سليماً كان أشدّ الشهود رغبةً في القاء التهمة على فؤاد . وكانت هذهِ الرغبة تبدو عليهِ في أقوالهِ وحركاتهِ جميعها . فكلُّ ذلك قوَّى اعتقادي بأنَّ اليد التي جنت انما هي يدُ سليم دون سواه . ولكنَّ إقدامي على اتهام الرجل في « الأيام » كان محفوفاً بالخطر . فالبيِّنات على خطورتها كان يمكن دحضها بمثلها . ولذلك عوَّلت بعد التفكير الطويل على كتمان شكوكي في نفسي ، مع مواصلة التحرّي الدقيق . وكان أوَّل خاطر خطر لي أن ابحث عن ماضي سليم وتاريخهِ في

الترنسفال . فأرسلت رسالةً برقية الى زميلي صاحب جريدة « جوهنسبورج دايلي نيوز » في مدينة جوهنسبورج أطلعتهُ فيها على دخائل نفسي وطلبت اليهِ ، بما للزميل على الزميل من الحقوق ، أن يوقفني على حقيقة سليم ؛ فجاءني تلغراف منهُ بعد أيام قصيرة محتوياً على هذه الكلمات «شكوك في محلّها . التفصيل مع البريد »

وكانت ادماء في خلال هذه المدة قد تماثلت للشفاء ، وأخذت تعاودها العافية على مهل . اما شهادتها لدى وكيل النيابة العمومية فكانت قاصرةً على أنها بادلت فؤاداً المحبة ووعدتهُ بالزواج ، ولكنها أُكرهت على النكث بعهدها أمام ارادة والدها وإلحاحهِ الشديد وقد أطلعت خطيبها سليماً على علاقاتها السابقة بفؤاد ولم تكتمهُ شيئاً منها . ولما جاءتها رسالة التهديد لم تحفل بها كثيراً . ثم نامت ولم تدرِ ما جرى كيف جرى

وأقمتُ انتظر بريد الترنسفال وأنا على مثل الجمر حتى وردت عليَّ بعد مضيّ شهر الرسالة التي نبّئت بها تلغرافيًا ، فنشرتها في « الأيام » وعلّقتُ عليها خواطري وظنوني وخلاصة هذه الرسالة ما يأتي : انَّ الخواجه سليم خوري ، الحمويّ الأصل والنشأة ، هاجر الى الترنسفال منذ عشر سنوات لم يأتِ في خلالها عملاً نافعاً قط ، بل كان على العكس من ذلك فاسد السيرة ، سافل الأخلاق . وقد حكمت عليهِ محاكم جوهنسبورج ثلاث مرّات لثلاث جرائم ارتكبها كانت خاتمتها سرقة قضى أربع سنوات محبوساً من أجلها ، ولما أُخرج من السجن علق بفتاةٍ روميةٍ مجهولة النسب فتزوّجها . وكان يحبُّها حبًّا عظيماً ورزق منها ابنتين وولداً ذكراً

هذا مجمل ما حوتهُ الرسالة . أمَّا النيابة العمومية فاستدعت سليماً اليها على أثر ما نشرتهُ « الأيام » ولم تزل بهِ حتى أقرَّ بأنهُ هو الذي ارتكب الجناية التي اتُّهم بها فؤاد افندي اليافي . قال انهُ نكب في الترنسفال بالفقر المدقع ولم يكن يعلم انَّ عمَّهُ يملك ثروة كبيرة في مصر . وقد كتب عمّهُ اليهِ في الزمن الأخير ملحًّا عليهِ بأن

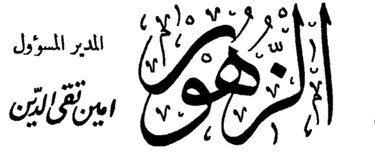
يجيء القطر المصري فيزوّجهُ بابنتهِ الوحيدة فتتحوَّل اليهِ ثروة طائلة . فحار في أمرهِ بين أن يأبى وأن يقبل فإنَّ زواجهُ السابق في جوهنسبورج يحول دون زواجهِ الآخر في مصر وانَّ حبَّهُ لزوجتهِ وأولادهِ يمنعهُ من التخلّي عنهم رغم ما كان يمكن ان يعقب تخلّيهِ من الحوادث والمشاكل . ورأى من جهة أخرى انهُ اذا لم يأتِ مصر حرم مالاً وفيراً كان في اشدّ الحاجة اليهِ . لذلك وجد انَّ الطريقة المثلى ان يحتال على ثروة عمّهِ بكلّ انواع الحيل فإن لم تسعده هذه ارتكب الجناية غير هيّاب ولا وجل . وساعده على تحقيق امانيّهِ وجودُ العلاقات الحبيَّة بين ادماء وفؤاد اليافي وتجاور بيتيهما . فأقام يترصد فرصة مناسبة لاغتيال الفتاة بدون ان يكون موضعاً للشبهات ولكنهُ احجم اكثر من مرَّة عن ارتكاب الجناية حتى كانت ليلة الزواج وقد اطلعتهُ ادماء على رسالة فؤاد التهديدية فلم يجد خيراً من تلك المناسبة ؛ فأشار على ابنة عمهِ بوجوب الاحتفاظ بالرسالة ، على نية ان يجعلها مرشداً لرجال التحقيق ، ودليلاً يصرف شبهاتهم عنه الى فؤاد ، وقد فتح الباب ليوهم دخول القاتل منهُ ، وهو يحسب ان رسالة التهديد وفتح الباب دليلان كافيان لاثبات التهمة

. . . .

واشتهر بين الناس فضلي باستكشاف حقيقة هذه الجناية فأكبر الجميع عملي ، واعلن ولاة الأمر شكرهم لي . اما انا فلم يسرَّني هذان الإكبار والشكر بقدر ما سرَّني زواج فؤاد افندي اليافي بادماء كريمة الخواجه فرج الله خوري . وكان ذلك على اثر صدور الحكم على سليم الجاني بالاشغال الشاقة

وسيم الريّاني
صاحب جريدة الايام
ورئيس تحريرها

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس   اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٣   السنة الرابعة

ڤردي

رواية « عائدة » – الأوپرا الخديوية

نبغ فى ايطالية طائفة من رجال الفنون الجميلة شرّفوا اسم بلادهم، وأعلوا مقامها بين الأمم، فأولوها فخراً لم تنلهُ هي ولا غيرها بالحروب والفتوحاتِ الجسام . ولقد ينقلبُ وجهُ العالم السياسيّ فتبيد دولٌ وتُشاد دول، ويبقى لايطالية المجدُ المؤثّل والعزُّ الوطيد، ما دام للشعر والموسيقى والتصوير دولةٌ ورجال، ودولة هذه الفنون الجميلة دائمة ما دام للإنسان قلبٌ يخفق ونفسٌ تتعشّقُ الجمال

تحتفل تلك البلاد فى هذه السنة بعيد ڤردي أحد نوابغها المشهورين فى عالم الأنغام، بمناسبة مرور قرنٍ كامل على ولادتهِ، ولا تسلْ عن معالم الأفراح وحفلات التكريم التي تُقام فى هاتيك الربوع احتفاءً بذاك اليوم السعيد . وهكذا الأمم الحيّة الراقية تكرم ذكرى رجالها النوابغ، فتبعثُ فى صدور أبنائها روح النشاط والهمة

ليس ڤردي بالرجل الغريب عنا حتى ندعَ عيدهُ يمرُّ دون أن تقول فيهِ كلمة، ونطرح على ضريحهِ باقةً من الزهر اسوةً بسائر الأمم التي هبت لتكريم ذكرهِ . فهو مؤلّف « عائدة » وعائدة أول رواية ملحّنةٍ ظهرت على مسرحنا الوطني الأكبر « الأوبرا الخديوية » وضعها بناءً على طلب خديوي مصر الأسبق، وجعل وقائعها فى مصر، ومثّلت لأول مرة فى مصر، ولا تزال الأجواق الأوربيـة التي تجيءُ البلاد فى كل شتاء تمثّلها بنجاحٍ عظيم؛ لذلك رأينا أن نقول كلمةً فى الرجل وأعمالهِ وروايتهِ وعلاقتهِ بنا

* * *

وُلد فرنسيس يوسف ڤردي فى العاشر من شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ فى احدى قرى دوقيـة پارمه التي كانت تابعةً فى ذلك العهد لإحدى مقاطعات فرنسة . وكان والداهُ يُديران فُنْدُقاً صغيرًا يُساعدهما دخلهُ على تربية أولادهما؛ فأظهر منذ حداثة سنهِ ميلاً الى علم الأنغام والتوقيع. فكان يقصدُ فى كل صباح كنيسة القرية فيخدم القدّاس ويتمرّنُ مقابل ذلك على الضرب على أرغن قديم كان فى الكنيسة . ولم يلبث أن أتقن كل الانغام الدينية والترانيم الطقسية فعُهد اليـهِ بادارة جوقة الكنيسة . وكان مستخدماً عند أحد باعة الخمور لقاءَ راتبٍ يمكّنهُ من القيام بحاجاتِ معيشتهِ . وظلّ على هذه الحالة حتى الثامنة عشرة من عمره . وكان صاحب الحانة نفسهُ مولعاً بالموسيقى فرأى فى الفتى استعداداً لهذا الفن الجميل، فوالاه بمساعداته حتى مهّد له السفر الى مدينة ميلانو والبقاء فيها ثلاث

سنوات كاملة يأخذ الفنَّ عن مشاهير أربابهِ . وقد اقترن في غضون ذلك بابنة مساعدهِ بائع الخمر ، فكانت له خير شريكة في حياته

ولمَّا أنس ڤردي من نفسه الإستعدادَ اللازم ، أخذ يضع قطعاً موسيقية ، ويؤلِّف روايات ملحّنة من المعروفة عند الافرنج بالأوپرا . فلاقى نجاحاً يذكر ، وعُرِف اسمهُ بين كبار الموسيقيين . ولم تكن العقبات التي لاقاها لتُضعِف عزيمتهُ ، أو تُخمد نار همته ؛ بل كان يواصل الدرس والعمل ليصلح من أسلوبهِ ، ويصقل أنغامه . فلحَّن في خلال سبع عشرة سنة عشرين روايةً أشهرها : نبوكدنصَّر ، وأورشليم ، وهرناني ، ومكبث (عن شكسبير) ، وريجولِتُّو (عن رواية مضحك الملك لفكتور هوغو) وتراڤياتا (عن لادام أو كاميليا لدوماس)

وعظمت شهرتهُ على أثر تلحينه رواية « مكبث » ؛ فانهُ تمكّن من أن يبرز بالألحان والأنغام تلك العواطف المتنوّعة التي عبَّر عنها شكسبير ببيانهِ السحريّ . ففي الليالي الثلاث الأولى لتمثيلها كان المسرح مكتظاً بالحاضرين ، وقد أخذ الطرب منهم كلَّ مأخذ ، فكانوا يطلبون المؤلف كل ليلةٍ فوق الثلاثين مرةً ، وأركان القاعة تكاد تتقوّض من شدة التصفيق وهتاف الإعجاب . وكانوا في ختام التمثيل يطوفون به المدينة ويرافقونه الى منزله مهللين مكبرين . ورأى مواطنوهُ وجوب تكريم عبقريتهِ فقدَّموا لهُ اكليلَ غارٍ من الذهب إشارةً الى تبوّئهِ عرش الموسيقى

ومن ثمَّ تجاوزت شهرة ڤردي حدود وطنه وعظُم اسمهُ في أوربة ، فمثِّلت رواياتهُ في اكثر العواصم والمدن الكبرى

وكما ان المصاعب التي لاقاها لم تقعد بهمته فكذلك لم يُسكره نجاحهُ الباهر، بل ظلّ عاملاً مجدًّا يرتقي من الحسن الى الأحسن . وهذا شأن النابغين

*
* *

وكانت مملكة سردينيا فى ذلك العهد تسعى الى انشاء مملكة ايطالية الجديدة بخلع نير النمسة وتأليف الوحدة الوطنية الايطالية . فلعب ڤردي دوراً خطيراً فى تلك الحوادث السياسية ، وكان ينتمي الى الحزب الإستقلالي فجاهد فى سبيلهِ جهاداً مذكوراً . وكان الشعب يرى فى رواياته تلميحاً ظاهراً وإشارة بيّنة الى الأماني الوطنية التي كانت تشغل أفكار ذلك الجيل ؛ فساعد ذلك على بعد صيتهِ وانتشار شهرتهِ

وكان شعار حزب الاستقلال « فيكتور عمانوئيل ملك ايطالية Vittorio Emmanuele Re d'Italia. » ومن غرائب الاتفاق انك لو أخذت الحرفَ الأوّل من كل كلمة من هذه الكلمات لكان لديك اسم ڤردي V.E.R.D.I. وهكذا ظلّ اسمهُ مدةً شعاراً لطلاب استقلال المملكة الإيطالية ، فكانوا ينادون به فى جميع الاحتفالات القومية والمظاهرات الشعبية

وعلى أثر تأليف مجلس النوّاب الإيطالي ، انتخب ڤردي عضواً فيه (سنة ١٨٦١) وفى نوفمبر سنة ١٨٧٤ انتخب عضواً فى مجلس أعيان المملكة . ولما احتفلت ايطالية سنة ١٨٨٩ بيوبيلهِ الماسي ، أرادت الحكومة أن تنعم عليهِ بلقب « مركيز » فأبى قبول هذا اللقب

وكانت وفاتهُ سنة ١٩٠١

***

ومن أشهر رواياتهِ رواية « عائدة » التي سبقت الاشارة اليها في صدر هذا المقال . وضعها بناءً على طلب المغفور له الخديوي الأسبق



اسماعيل باشا ، وكانت أول روايةٍ مُثِّلت في الاوبرا الخديوية (دسمبر سنة ١٨٧١) ولا يزال الكثيرون في مصر يذكرون تلك الحفلة الشائقة. ولا تزال رواية عائدة عروس المسارح وموضوع اعجاب محبي الموسيقى ، وقد ترجمها الى اللغة العربية المرحوم سليم نقاش ، وهي من الروايات التي يمثلها الشيخ سلامه حجازي

أما موضوعها فنلخِّصهُ في ما يأتي :

وقعت « عائدة » ابنــة ملك الحبشة « أمونسرو » أسيرةً في يد فرعون مصر . فأهداها الى ابنتــهِ « أمنريس » لتكون من وصيفاتها . وكانت على جانبٍ عظيمٍ من الجمال والظرف فنالت حظوةً لدى مولاتها، وصارت في وقتٍ قصير صديقة حميمة لها بل أختاً محبوبة

ورآها « رادامِس » كبيرُ قوّادِ فرعون ، فأحبها ؛ وأحبتهُ لبسالتهِ وكرم أخلاقه . فلم يلبثا أن تعاهدا على الود الدائم

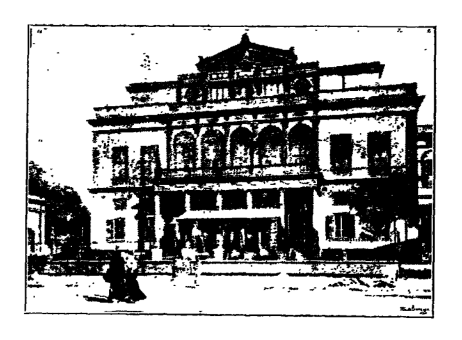
وكانت « امنريس » ابنــة فرعون تكتم في فؤادها لرادامِس حباً شديداً تخامرها ريبٌ في أمرهما وأخذت تُراقبهما سرًّا لتقف على دخيلة الأمر وقد آلت على نفسهــا أن تنتقم من « عائدة » اذا ما أيقنت من حبها لرادامِس

وفي تلك الأثناء زحف « أمونسرو »ملك الحبشة بجيوشه على مصرَ، واستولى على « طيبة » فنهب وسبا ، فخرج عليه رادامِس من « منف » بجيوشٍ جرّارة وهزمهُ شرَّ هزيمة ، ودخل « طيبة » منصوراً مثقلاًبالغنائم ومعهُ عددٌ كبيرٌ من الأسرى . وكان بينهم ملك الحبشة نفسهُ متخفياً بلباس ضابط

ثمَّ عاد القائد الظافرُ الى « منف » حيث جرى له استقبالٌ باهر، ووضعت على رأسه أكاليلُ الغار ، وأقيمت الحفلات الدينية في الهيا كل شكراً للآلهة . وسأل رادامس فرعونَ مصر أن يعفو عن الأسرى ، فأجابهُ الى سؤلهِ ، وأطلق سراحهم جميعاً ماعدا « أمونسرو » فانهُ أبقاهُ أسيرًا مع « عائدة » وكان قد عرف أنهُ أبوها

وأراد فرعون أن يجزل لرادامس المكافأة فعرض عليه أن يزوّجهُ ابنتهُ « أمنريس »

على أن القائد كان لا يزالُ أميناً على عهد « عائدة » وقد عقد النية على الاقتران بها كيف كان الحال . فأوعز اليها أن توافيهُ ليلاً الى مكان قرب هيكل « إِيزيس »



الاوبرا الخديوية

وكان « أمونسرو » قد عرف في مدة اسره شغف قائد المصريين بابنته ، فرأى أن يستخدم هذا الحبّ للتغلُّب على مصر ، لا سيما وان الحبشان كانوا يتأهبون لاستئناف القتال . فكمن للحبيبين قرب الهيكل ، وهكذا تمكن من أن يسمعَ القائدَ المصريَّ يتفق مع عائدة على الهرب ويعين لها الطريق الذي سيسيران فيه لئلا يلتقيا بالجيوش المصرية الزاحفة لمقابلة الجيوش الحبشية . ولما ظهر من مخبإِهِ ذُعر رادامس وأدرك أنه خان

بلادَهُ لأن عدوها اطلع على خطة الجيش

واتفق أن امنريس كانت في تلك الأثناء في هيكل إيزيس ، وبينا هي خارجة مع الكاهن رأت المجتمعين وسمعت بعض حديثهم . فلم يرَ رادامس إلاَّ أن يسلم نفسهُ لخائنٍ لوطنه ، وفاز أمونسرو مع ابنته بالهرب

أما رادامس فحكم عليه بأن يدفن حياً ، فعرضت عليه ابنة فرعون عفو أبيها إن هو أعرض عن « عائدة » فأبى ؛ ولما أُنزل في القبر المعدّ لهُ وجد أن عائدة قد سبقتهُ اليه : فدُفنا معاً

***

وقد وقفنا على العقد الذي وُضع بشأن رواية « عائدة » فأحببنا أن نطلعَ القراءَ عليه ، والأصل محفوظٌ في سجلات الاوبرا الخديوية وهذه ترجمتهُ :

بين الموقعين أدناه :

مسيو أوغست مارييت بك باسم وإذن سمو اسماعيل باشا خديوي مصر من جهةٍ ، ومسيو جوزف ڤردي مؤلف موسيقيّ من جهة ثانية

تم الاتفاق على ما يلي :

يتعهد مسيو ڤردي بتأليف موسيقى رواية ملحنــة « أوبرا » مؤلفة من أربعة فصول عنوانها « عائدة » التي قبل بموضوعها (مع حفظ حق التعديلات التفصيلية التي قد يوافق إدخالها)

تُمثل هذه الأوبرا في تياترو الأوبرا الخديوية في القاهرة خلال شهر يناير سنة ١٨٧١

ينظم أشعارها الإيطالية شاعرٌ يختاره مسيو ڤردي

ولا يكلف مسيو ڤردي الحضور الى القاهرة لمراقبتها وحضور مراجعاتها، بل يمكنهُ أن يرسل من قبله شخصاً يختاره لإدارة العمل وإعداده حسب رغائبه اذا وجد ذلك ضرورياً

بعد تمثيل عائدة في القاهرة يحقُّ لمسيو ج. ڤردي أن يمثلها في أوروبة على المسرح أو المسارح التي يختارها

يختار مسيو ڤردي في جوقة التمثيل الإيطالية الموجودة في القاهرة الممثلين الذين يقومون بأدوار الرواية

الموسيقى والكلام في رواية عائدة يكونان في مصر ملكاً تاماً لسموّ الخديوي

يحفظ مسيو ڤردي لنفسه ملكية الكلام والموسيقى في سائر أقطار العالم

يرسل مسيو ڤردي الى مصر، أو يسلم في باريس في الوقت المناسب، الى مندوب سمو الخديوي نسخة ملحنة من موسيقى « عائدة »

يتقاضى مسيو ڤردي مقابل هذا العمل مبلغ ١٥٠ الف فرنك

يُدفع هذا المبلغ على قسطين : خمسين الف فرنك يوم توقيع الاتفاق، ومئة الف فرنك يوم يسلم مسيو ڤردي أو يرسل الى سمو الخديوي موسيقى عائدة

كتبت من هذا العقد نسختان في باريس في ٢٩ يوليو ١٨٧٠

مقرٌّ بما فيه

الامضاء : ا . ماريت

أقبل هذا العقد مع التعديلات الآتية :

اوّلا : الدفع يجب أن يكون ذهباً

ثانياً : اذا حدث حادث غير منتظر مهما كان ولا علاقة لي أنا بهِ أعني لغيرِ تقصيرٍ مني فلم تمثّل الأوبرا في القاهرة خلال شهر يناير من سنة ١٨٧١ ، يكون لي الحق في تمثيلها أينما شئت بعد مضيّ ستة أشهر (من ذلك التاريخ) الامضاء : جوزبي فردى

الى القراء

كان في النية — كما وعدنا القرّاء — أن نخصّص هـذا الجزءَ من « الزهور » بأبحاث أدبية اجتماعية عن حالة « مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب » كما خصّصنا الجزئين ٦ و٧ من السنة الاولى لهذه المجلة بموضوع « مصر وسورية » وذلك رغبةً منّا في زيادة القراء معرفة بالأقطار العربية وأخبار نهضتها الفكرية . على أنهُ لم يتيسر لنا تهيئة جميع المعدات اللازمة بالنظر الى صعوبة الحصول على المعلومات التي يقتضيها الموضوع . فرأينا ، من أجل ذلك ، أن نؤجلَ إصدار الجزء الموعود بهِ ، ريثما تصلنا التفاصيل والمعلومات التي طلبناها من أنحاء مختلفة ، فتتوافر لدينا المعدّات اللازمة لجعل البحث مستوفياً يُرضي القراء ويفيدهم ؛ وسيتمّ لنا ذلك عن قريب ، إن شاء الله

تجاه البحر

ذهبتُ الى الاسكندرية أصطاف . . . أستغفر الله ؛ كَبُرَتْ كلمة الاصطياف بواسع معناها على ما يمكنني من سوانح الفراغ

بل ذهبت لقضاء أيامٍ ألتمسُ فيها راحةً من عناء الأعمال . فلماً بلغتُ النَزْلَ كان أوَّل مطلبٍ لي أن أرى البحر ؛ فتمشيت اليهِ،وحاذيت إفريزَهُ الجديد، متخطرًا على رَسلي ، حتى انتهيتْ الى حدّ الرصيفِ غرباً فعمدتْ الى صخرةٍ وثويتْ عليها

ثويتُ مفترجاً متخلّياً متروّحاً

غير أنني لم ألبث أن وجدتُني قد أُخِذت

أُخِذْت بمحاسن ما أرى، واغتربتُ عن نفسي ساعةً . فلماً عدتُ من غربتي ، حسبتُني هيكلاً يتلهّب بين تلك البسطةِ المائيَّـةِ التي تُحيطُ بي

لم يكن إلاّ أن رسوتُ بجسمي مطِلاًّ على ذلك الفضاء المتحشرج اللّين، المتضرّب المتلوّن ، حتى مضى نظري طافياً فوق اللجج ، طاوياً أبعادها ، ملماًّ بآفاقها . وتدافعت خواطري متخذةً من أشعة النظرِ أسباباً ترتقي عليها أو سفائن تستقلّها

فارْقَتْ جسمي كما تفارقُ النحلُ الخليَّة ، وانصرَفتْ أشتاتاً بين السماء والماء

إنّ للخواطر جنىً عذباً تجنيـهِ من آيات الماء الملحِ . . جنَى معهُ

التعب ، وتعبهُ هو الراحة ، على حدّ قول القائل [١]

إنما الراحة تبديـــلٌ لنوع التعَبِ
والتداوي نَصَبٌ يُشفى بهِ من نَصَبِ

ما صفةُ ذلك الجنى . . ؟

لا تكلّفوها شاعراً قديراً ، ولا كاتباً نحريراً ، ولا حكيماً خبيراً ؛ بل ليسأل كلٌّ منكم نفسهُ عما أحسَّ وتصوَّر حين جلسَ الى البحر مثل تلك الجلسَةِ

جنيت من تلك الرحلة الفكريةِ تعباً مُريحاً ، وأردت تدوينَ ما كسبهُ ذهني من محصولها ، فعجزت عن أقلّهِ ، ولم يسعني سوى أن أتنفس الصعداءَ بهذا النداء :

أيها البحرُ الشائقُ المهيبُ !

ماذا يبلغ علمُ إنسانٍ جاهلٍ ضعيف من أسرار جلالك وجمالك ؟

اذا طغَت الموجةُ من أمواجك فاستجمعَت خضراءَ ، وانحذفت رابيةً شماءَ ، تأخذ العنان بعفرتها البيضاء ، فأيّ فكرٍ يُكبرُها إكبارَها ، وإن هي منك إلاّ أُلعوبة تجدُّدُ كلَّ ثانيةٍ ، وأعجوبة بينا هي الأولى اذا هي الثانية

فاذا ملك النفسَ وملأَ الحسَّ إعظامُ تلك الآياتِ ، فما الذى تفعله الرّوعةُ بالمتطلّع حين تهبطُ الرابيـة ، وتنفغر لها الهاوية ، فتقصف وهي متداعية ، حتى تَنِشَّ نشيشاً ، وقد تكسّرت الى ألوف أجزاءٍ من الماس

(١) هو نفس صاحب المقالة

المتشعّب واللؤلوء والمختلف النضار الساكب أو المتبسّط والجمان المصوغ أو المتناثر

فاذا التمس العقلُ مزيداً وتعمّق الى مضطرَب الذرّات فما حيرتهُ ودهشتهُ لدى كل قطرةٍ ، وفي القطرة جُزَيئاتٌ لا تُعَدُّ : هذه تبسِمُ وردية ، وتلك ترقص لازوردية ؛ إحداها تحجلُ محمرّة ، وأختها تزحفُ مخضرّة ؛ بعضها ينظرُ باللُّجين شزراً ، وبعضها يُضمِرُ النارَ ويصفو مفترّاً

أيها البحر الشائقُ الجميلُ !

تُجاهك لا يحسنُ إلاّ التعجُّبُ والسكوت؛ وانّ مع السرور برؤيتك لأسفاً دوياً من أنك أنت أيضاً حيٌّ وأنت أيضاً ستموت

خليل مطران

أين أقام في مصر

العلماء الذين صحبوا نابليون بونابرت

كان مسيو جورج لجران Georges Legrain قد قدّم الى المجمع العلمي المصري في شهر مارس سنة ١٩١٣ درساً عن منزلٍ في القاهرة عاش فيهِ فريقٌ من العلماءِ الذين رافقوا بونابرت الى مصر ، وهذا المنزل لا يزال محفوظاً الى اليوم وهو قرب ميدان الناصرية في شارع الكومي عند آخر حارة حسن كاشف الواقعة بين مدرسة الناصرية ومكتب البوستة . وكان في سنة ١٧٩٨ إبان الحملة الفرنسوية مُلكاً لابراهيم السناري الأسود ، وهو اليوم ملك الأوقاف . وقد تمنى مسيو لجران على المجمع العلمي المصري أن يتخذ الطرق اللازمة لحفظ هذا الأثر من الدمار . فأجيبت أمنيتهُ وعيَّنت لجنة « حفظ الآثار العربية » مبلغاً من المال للشروع

فى ترميم المنزل . وفى آخر أغسطس الماضي اجتمع في المنزل نفسهِ فريقٌ من الجالية الفرنسية يتقدمهم مسيو فوشه وكيل معتمد فرنسة ومسيو كرترون قنصلها في مصر فألقى عليهم مسيو ليجران خطاباً [١] نلخصهُ في ما يأتي :

هذا المنزلُ القديم الآن كان حديث البناء عندما فتح القائد بونابرت مصر سنة ١٧٩٨ . فان البنّائين والرسّامين كانوا قد أتموا تشييدهُ ونقشهُ منذ مدة يسيرة . وهذه المِطفرة الناشفة الآن كانت تُلطّف الهواءَ ؛ والطنافس لثمينة تفرش هذا الرخام الأبيض ، والمقاعد حول هذه القاعة تنتظر سيّد المنزل ، وهو ابرهيم السنّاري الأسود وكيل مراد بك الشهير الذى كان ينازع ابرهيم بك الكبير سيادة مصر في ذلك العهد

وكان ابرهيم السناري الأسود كما يدلُّ اسمهُ قاتم اللون أميَل الى السواد منهُ الى السمرة . ويؤخذ من تاريخ الجبرتي أنهُ وُلد في دنقله حوالي سنة ١٧٧٠ ؛ فهجر بلاده وهو يافع، ونزل النيل حتى بلغ القاهرة. فلم يجد فيها سبيلاً لكسب معاشه ، فتابع السير حتى المنصورة حيث اضطر ان يكون بواباً فى أحد المنازل

على أن ابرهيم كان على جانبٍ من الذكاء فتعلم القراءة والكتابة ثمَّ التركية والحساب . وانصرف من ثَمَّ الى الفنون السحرية ، فأصبح أشهر من « قال البخت » أو أعدّ الطلاسم والتعاويذ . ونال حظوةً في عيني المملوك الشابوري ، فاستصحبهُ الى الصعيد ، حيث توصل ابراهيم الى التقرُّب من مراد بك . فكان ذلك بداية افترار ثغر الدهر لهُ . ولم يلبث

---

(١) أهدى الينا صورة هذا الخطاب مسيو پول تريبيه صاحب مكتبة جيله :
Librairie Gillet, P. Tribier, Successeur

أن أصبح صديق سيده وموضع ثقته ، فغمرهُ هذا بالهدايا والنعم . ولما نزل مراد في الجيزة (في السراي التي قامت محلها اليوم اصلاحية الاحداث على طريق الأهرام) عيّنَ السناري وكيلاً له في القاهرة . فكان ابراهيم يفاوض أمراء المماليك باسم مولاه ، وصار منذ ذلك العهد مسموع الكلمة بعيد النفوذ

وكان له في القاهرة أبنية عديدة عند ما صحّت عزيمتهُ على بناء هذا المنزل الذي نحن فيهِ، ولم يدّخر وسيلةً في توفير أسباب الهناء والرخاء في منزله الجديد، ويمكننا أن نتثبَّت ذلك بالعيان ممّا بقي أمامنا من الآثار، وان كان قد ذهب معظمها ولعبت بهِ يدُ الدهر التي لا تُبقي ولا تَذَر .ولو قدرت هذا الجدران على الكلام لافادتنا أنهُ عند انتشار خبر وصول الفرنسيين الى القطر بقيادة الجنرال بونابرت واستيلائهم على الاسكندرية ، ترك مراد بك مزاحِمهُ ابراهيم بك يحشد رجاله بالقرب من بولاق ، وجمع هو جموعهُ وزحف لمقابلة الفاتح . وفي ١٤ يوليو ١٧٩٨ تقابل الفريقان في شبراخيت ، فولى المماليك الأدبار . وبعد ثمانية أيام نازلهم بونابرت في انبابة حيث توجد الآن المحطة الحالية . وفي مساء ذلك اليوم نام بونابرت في سراي مراد بك عدوّهِ المغلوب . أما مراد بك ففرَّ الى الصعيد ؛ ولحق ابرهيم السناري بسيدهِ ولم يفارقهُ مدة الثلاث سنوات التي ظلّ يناوش الفرنسيين أثناءها . وهكذا ترك السناريّ المنزل الذي نحن فيهِ

وعهد بونابرت بعد انتصاره هذا الى لجنة في أن تختار منزلاً له

ولأركان حربهِ . فوقع اختيارهـا على منزل محمد بك الألفي وكان قد تمَّ بناؤه منـذ ثلاثة أسابيع فقط ، وكان هذا المنزل قائماً شمالي ميدان الأزبكية بين فندق شبرد والنادي الفرنسي الحاليين . ولا صحـة لما يُروى عن أن في القاهرة اليوم منازل عديدة قـد سكن فيها بونابرت . ولكن المرجح أن القائد الفرنسي ذهب الى الديوان الأكبر الذي لا يزال منهُ بعض حجر في شارع الرّويعى وشارع البواكي فوق محل سبيرو؛ وقد زار بونابرت أيضاً منزل الشيخ السادات والشيخ البكري ، ولكنني لم أجد قط ما يدلّ على أنهُ اتخذ لسكنه محلاً غير منزل الفي بك

أمَّا الحاشية العسكرية والملكية فقـد اتخذت لسكناها سرايات البكوات والماليك حول الأزبكية ، وقد درست آثارها كلها

وكان مع الحملة العسكرية بعثة علمية مؤلفة من ١٣٥ عضواً ولم يكن بدٌّ من ايجاد منازل لهم وللمجمع العلميّ المصريّ الذي ألَّفوه . فوقَّع بونابرت أمراً صريحاً بهذا المعنى يقضي باسكانهم بقرب المعسكر العام بالأزبكية . ولا ندري ما الذي حال دون تنفيذ ذلك الأمر . على أن المقرّر أن « مونج » و « برتوله » و « كافارلي » قصدوا الى السيدة زينب ؛ واحتلوا منازل عديدة كان قد تركها الماليك أنصار مراد بك

وكان أجمل هذه البنايات منزل حسن بك الكاشف الذي قامت على أنقاضهِ مدرسة الناصرية الحاليـة . وكان تجاه هذا المنزل قصرٌ فخم لقاسم بك حيث يوجد الآن مكتب البريد الجديد ، ومن الجهة الثانية للشارع كانت حديقة متسعة الأطراف والى جانبها سراي لعلي بك وقد

محا معول الهادمين كل هذه الآثار، ولم يبقَ إلاَّ منزل ابراهيم السناري الذي نحن فيهِ الآن

هذه هي المنازل التي سكنها أعضاء لجنة العلوم والفنون التي رافقت الحملة الفرنسية . فاتخذ قصر حسن بك الكاشف مقرًّا للمجمع العلمي، وحوّلت حديقة قاسم بك الى معرض للتاريخ الطبيعي، فجمع فيها العالم « جوفروى سانتهيلير » عدداً كبيرًا من الحيوانات، واستنبت البذور التي قد استحضرها من فرنسة . وكان هنالك أيضاً مكتبة عمومية يرتادها من يشاء، ومعامل كيماوية كان يُجري فيها العالم برتوله تجاربهُ ويلقي دروسهُ، فأمّها الكثيرون من الوطنيين وأخذوا يدرسون مدنية الغرب . وأقام « كونته » الى جانب المعامل ورشاً أخرجت للمستعمرة الجديدة كل ما تحتاجهُ من آلاتٍ وأدواتٍ ومعدّات . وكان قصر قاسم بك من نصيب المغني « فيلّوتو » الذي درس أصول الموسيقى العربية على أربابها، وألّف فيها وصنّف

وسكن سائر علماء الحملة من فلكيين ومهندسين ومستشرقين وغيرهم حول تلك البقعة

أما منزل السنارى هذا فوضع تحت تصرُّف المصوّر « ريغو » لأن هذه القاعة الفسيحة كانت فى غاية الموافقة . وكان بونابرت قد عهد الى ذلك المصوّر فى تصوير أعيان البلاد ووجهائها . وفى هذا المكان رُسمت صور الشيخ السادات والشيخ البكري وغيرهما من أعيان الديوان الكبير والديوان الصغير . وكان نابوليون وهو منفيٌّ في جزيرة القديسة هيلانة

يذكر الرسوم البديعة التي زين بها المصوّر ريغو سراياه في الأزبكية

وحدث لريغو في هذا المنزل حوادث متنوّعة فكان السذّج ينظرون اليه كأنهُ ساحرٌ ويشيعون أن أعضاء بشرية معلقة الى حائط القاعة التي يسكنها مشيرين بذلك الى الصور العديدة التي كانت عنده . واتفق يوماً أنهُ أراد تصوير أحد النوبيين القادمين الى مصر ، فرضي النوبي بذلك ولما جلس المصوِّر أمامهُ ، ومزج الألوان ، وأخذ يرسم على القماش تقاطيع الرجل وهيئته ، قام هذا مذعوراً وخرج مستجيراً من شرّ ابليس

وكان جماعة العلماء يعيشون في راحةٍ وصفاء منصرفين الى أبحاثهم ودروسهم ، الى أن حدثت فتنة القاهرة في أواخر اكتوبر سنة ١٧٩٨ ، فوجدوا أنفسهم منفصلين عن المعسكر العام . وكان عندهم شيء من السلاح للدفاع ، على أنهم كانوا قليلي الخبرة في استعماله ؛ ففكّروا هنيهة في أن يتركوا مقرّهم ويلجأوا الى الأزبكية ، ولكنهم خافوا على المكتبة والمجموعات العلمية من أن تذهب فريسة الثائرين ، فآثروا البقاء حيث كانوا وإن عرّضوا حياتهم للخطر ، وتحصّنوا في المنازل وأقاموا الخفراء عند مدخل شارع حسن كاشف وقرب سبيل السيدة زينب ، الى أن تمكّن الجنرال « لانّ » من نجدتهم واعادة المياه الى مجاريها

وبعد سكون الفتنة رجع العلماء الى أعمالهم حتى يناير سنة ١٨٠٠ فسافروا الى الاسكندرية على نية الرجوع الى فرنسة بموجب اتفاقية العريش . فحال دون ذلك نقض الاتفاقية . ثم حدثت موقعة المطرية ،

وثورة القاهرة الكبرى وعودة ابراهيم بك الى العاصمة فاضطراه الى مغادرتها لمعاودة القتال . وهكذا رجع العلماء ثانيةً الى المنازل المتقدّم ذكرها ، ولكنّ إقامتهم هذه المرة كانت أشبه شيء بالمنفى . وجاء الطاعون فزاد موقف الفرنسيين حرجاً . ولما غُلبَ القائد « مينو » وتقهقر الى الاسكندرية ، أصدر القائد « بليار » نائبه في القاهرة الأمر الى العلماء بأن يوافوه الى القلعة حيث يكونون بمأمنٍ من الطوارئ . فرفضوا بتاتاً لأنهم كانوا يشعرون بأنهم بين أصدقائهم الوطنيين في حرزٍ حريزٍ . ولم يذكر العلماء قطّ أنهم وجدوا بين المصريين رجلاً واحداً أساء اليهم أو لم يحسن معاملتهم . وظلوا كذلك الى أن جلت الحملة الفرنسية نهائياً عن الديار المصرية

أما ابرهيم السناري فانهُ عاد الى منزلهِ هذا ، ولكنهُ لم يذق فيهِ الراحة طويلاً ، لأن القائد العثماني لم يدّخر وسعاً في إبادة سلطة المماليك وتوطيد سلطة الباب العالي في مصر ، وقد روى لنا الجبرتي مقتل السناري في الاسكندرية . ولكان هذا الرجل اليوم نسياً منسياً لولا ان فريقاً من العلماء احتلوا منزله ، وهم الذين عرّفوا مصر القديمة الى العالم ، وذلك لخير العلم والإنسانية

سُئل اعرابيٌّ : هل لك في الزواج ؟
فقال : لو استطعتُ لطلقتُ نفسي

عظة الحسون

عشيَّةَ يومٍ وقد أخذت عين الشمس المحمرَّة تغمض وتذبل ، وقف الحسون على غصن صفصافةٍ قد تدلّت أغصانها فوق جدول ماءٍ صافٍ ؛ حيث اصطفت على ضفتيهِ الطيور على تباين أشكالها واختلاف أجناسها

قال الحسون وقد سرَّهُ ائتلاف إخوانه الطيور حول ذاك الجدول، تستقي من مائهِ، ومن ثمَّ تتفيأُ بظلّ تلك الصفصافة دون أدنى حسد أو تنازُع :

« إخواني، كنت ظننتُ أن تفاوت طبقاتكم وأجناسكم يحدث بينكم شيئاً من القلاقل والمشاغب ، ولكني والحمد لله رأيت خلاف ما ظننت ، فكأن تعدد مشاربكم ، وتشتت جماعاتكم ، وتباعد مساكنكم ، كل هذا لم يكن إلاَّ دافعاً لكم لتسلكوا سبيل الالفة والمحبة ، فضلاً عن أنكم سمحتم لمثلي أنا ابن الشعب الصغير فيكم بأن أعظكم كأني عظيمكم ، فالمولى يوفقكم وينميكم ويرزقكم بُرّاً وماءً

أما عظتي التي أعددتها لمثل هذا الاجتماع لتلقى على مسامعكم في أوّل هذا الفصل فهي :

ترون ولا شك أن الربيع قد برز بحلته وظهر بحسن طلعته ؛ وأخذت أنفاسه المنعشة تمرُّ مقبّلةً مباسم الزهور، وزهور الثغور . وأخذتم أيضاً تشعرون بالواجب عليكم ، وأنهُ يقتضي علينا أن نمزّق جماعاتنا المتحدة أفواجاً ونتفرّق اثنين اثنين ؛ بحيث نتآلف أزواجاً « تصفيق أجنحة

وتغريد ألسنة » أرى أن السرور قد استفزّكم وأنا أعذركم على هذا ، إذ ليس أشهى من قرب الأحباب ، ولا ألذّ من العزلة لعشيقين افترقا مدة فذاقا الأمرّين

أجل ، إننا سنفترق الآن لنجتمع غداً . نفترق الآن اثنين اثنين ، لنعود أربعة وخمسة ؛ نفترق الآن لكي نعشش فنعتاض مما أفقدتنا تعديات البشر القساة ؛ نفترق لنعلّم الانسان كيف يجب عليهِ أن يسعى لأولاده ، ويجتهد بمساعدة زوجته . نفترق لنصير أزواجاً أصحاب عمل وأرباب بيوت فنكون أعضاء عاملين في محيطنا الأدبي والمادّي . نذهب الآن ليفتش كل عصفور منا على عصفورة تناسبهُ وتعجبهُ ، فيحبها وتحبهُ ، ويتعاونان على تربية أفراخهما الصغيرة

إياكم أن يعتدي أحدكم على عصفورة صاحبه ؛ لأن ذلك يؤدي الى الخصام والمقاتلة . وقد قال الحكيم « الغيرة قاسية كالموت والمحبة عميقة كالهاوية » . إياكم أن يبقى أحد منكم دون حليلة ، لأنهُ يكون عرضة للانتقاد وإلقاء الشبهات ، والويل لمن تقع الشكوك عن يده ، ويقود أخاه الى عمل الإثم . اخواني ان الزيجة واجبة لازمة لا سيما وانها لا تكلفنا شيئاً نحن جماعة الطيور : بيت من القش اليابس ، وحبة حنطة من الحقل وقطرة ماء من النهر — هذا كلّ ما تتكلفهُ ، فلا نحتاج القصور ، لأن قصورنا الجدران العالية والأشجار الباسقة ، ولا نطلب الرياش ، فكل ما في الطبيعة من تلك التي لم يلبس سليمان كواحدة منها هو لنا ، ولا نطمع بالحلى ، فان ملابسنا لا تتغير فهي ثابتة مثل قلوبنا

تناسلوا وتكاثروا ، وعيشوا اثنين اثنين طول هـذا الفصل بمحبة وأمانة ؛ وليرعَ بعضكم بعضاً ، وليكن كلٌّ منكم أميناً على عهـد زوجته ، لا تخونوا لأن الخيانة من طباع اللئام . أوصوا فراخكم بأن يحبوا فراخ سواكم لأننا بدون محبة ووفاق لا يمكننا أن نعيش ونحفظ كياننا

قبل أن نفترق الى أعمالنا ألفت أنظاركم الى شيء مهم . وهو أنهُ غداً يأتي الأولاد ، فيخربون بيوتنا ويسرقون أفراخنا ويأكلونهم ؛ ولو كنت ممن يميلون الى فعـل الشرّ لقلت لـكم : افقأوا أعينهم ! ولكن لا . فهذا يضرُّ بنا لأن ابن آدم حقود ، فتجنبوا البشر كثيراً ، لأنهم اذا كانوا يقتلون ويأكلون بعضهم بعضاً ، فكيف تكون حالهم معنـا ؟ . لا تتمثلوا بهم ، اذ يأتون اليكم وبينهم المسيحي والسنيّ واليهودي ، وكلهم قد اتفقوا على الشرّ والاعتداء عليكم . أقول لـكم اتحدوا ، ولكن على الخير لا على الشرّ ، فكما انهم يتحدون على الشرّ دون الخير كذلك أنتم اتحدوا ولكن على الخير لا على الشرّ

غداً يؤمُّنـا الصيادون . فلنهرب ! أتعرفون الى أين ؟ الى مكان لا تظنونهُ موافقاً وأميناً ولكنـهُ على عكس ما تظنون . غداً بعد ما يتم نتاجنا ، ويجتمع شتيتنا ، وتلتئم أسرابنا ، نقصد بلاد البلقان هناك يلهو عنا الانسان بقتل أخيهِ الانسان

مراد ابي نادر

ليس لكذوب مرؤة ، ولا لضجورٍ رياسة ، ولا لملولٍ وفاء ، ولا لبخيل صديق

الفضيلة

وجدتني يوماً من أيام هذه الحياة في عاصمةٍ من عواصم هذا العالم استفزتني فيها مشاهد متباينة أضحكنَ وابكينَ ؛ وظللتُ متجوّلاً في مشارعها وشوارعها ، وأنديتها وأوديتها ، كأني ناشد ضالةً وهل تنشد في ظلمات هذه المدنية الاّ الفضيلة الضائعة لا بل (الضالة) لأنها هبطت من المحل الأرفع وهوت من الفضاء الى ثرى الغبراء ، ومن عالم النور والسيّارات والشموس ، الى عالم الظلمة ظلمة الفضاء والعقول والنفوس ، ونزلت من السماء سماء الصمت والسكون والراحة الأبدية ، الى حضيض جلبة الانسان ، وعجيج الحيوان ، فضلّت هـذه الفضيلة وأضلّت . ضلّت حين لم تجد سكناً تأوي اليهِ في جديد مُستقرّ اختارته ، وعرفت انها التائت بحمأة الخطيَّة ، وأضلّت لأنها تركت الفلاسفة والشعراء كحاطبين في الظلام . أضلّتهم لأنها ربة عَبَدها الناس، لا جميع الناس، ولكن عبدها الشاعر والفيلسوف ، وسجد لها الأدبيون والأخلاقيون وهم لا يدرون أين يضعون لها شطر الوجوه ، فضلُّوا وأضلُّوا كما فعلت الآلهة من قبل . فيا لضلال العابد والمعبود !

ضائعة أنت أيتهـا الفضيلة وأنتم أيها الفلاسفة والشعراء واركان الحكمة والآداب كل منكم فضيلةٌ أرضية ضائعةٌ ضياع فضيلة السماء في الأرض ؛ كل منكم فضيلة ضائعة ولكن ليست بأرضيةٍ كما قيل ، لأنكم أرواح سماوية ، وجواهر مجرَّدة ، هبطت مع الآلهة الى الأرض ، فضاعت

آلهتكم وضعتم معها أنتم في ثنيات القرون . حقيقة كشفتموها ومثل ضربتموه هو ان الأرض الخبيثة لا ينبت فيها الطيّب بل الخبيث

الأرض الخبيثة تبخل على الزهرة بشيء من قواها الحيوية فتخرجها ضعيفة القوام لا تقوى على الفواعل. تتأثر حتى من النسيم البليل ، وتحرقها حتى حرارة شمس الخريف المعتدلة ، ثم انها تودّع الحياة غير شبعانةٍ من الأيام كأنها أمل في صدر الفتاة ما عتم القضاء ان رماه باليأس فأطفأ نوره

اما الأشواك فلها من التربة السوداء كل حياةٍ تجعلها راسخة الجذور رسوخ حب الأثرة في نفوس الجبّارين ، وتبرزها محدّدة الرؤوس كأنها حراب الجنود المسخّرة لتدمير الشعوب الضعيفة ، وتكوّنها جاثيةً على الرمال كأنما هي رؤوس الأرواح الشريرة نافرةً من بطون الأرضين على وجه البسيطة

الفضيلة تلك الزهرة الضعيفة القوام لا تلبث أشواك الاجتماع ان تقضي عليها ، لأن نفوس البشر تربة خبيثة لا تغذّي الازهار ولكنها تغذّي الأشواك السامة ، تبسطها على طريق المصلحين فتدمي أقدامهم ، وتملأ بها سبيل التعساء فتزيد آلامهم ، فيا تعست تلك التربة الخبيثة وتعس من ورائها الجناة الآثمون !

الفضيلة زهرة عطرة لا تحب أن تخرجها الأرض ، لا بل لا تحب هي ان تخرج من الأرض ، لأنها لا تريد أن تتغذّى بعناصر أشقياء هذا العالم تدكّهم عروش الظالمين ، وتحشرهم في الأجداث المظلمة ، فتحلهم الطبيعة غذاءً لها ، فبئس غذاء الأشواك لا غذاء الورود ، وبئست تلك

الهياكل المحنَّطة التي أنفوا عليها حتى من فعل الطبيعة ، والتي تحبّ الكبرياء حتى وهي في أجداثها العميقة ، والتي أقامت من الأهرام دليلاً على الجبروت

الفضيلة زهرة لا تحبّ أن تستمد من هواء هذه الأرض لأن هذه أنفاس وتلك حسرات ممتزجة بجواهره الفردة . نفثات صدور وآلام ، وحسرات كرام، لا تحب أن تنمو عليها تلك الزهرة الطاهرة، لأنها لا تريد ان تجتذب من الهواء آلام البشر وحسرات الانسانية الشقية ، ولا تحب أن تعيش في محيط تلك الأمواج الاثيرية التي يبعثها أنين المظلومين ، وعجيج الفقراء ، وأصوات الحزانى

حقاً ان الزهرة قصيرة مدى الحياة لأنها شاعرة حسّاسة ذات ضمير ووجدان لا يوجدان في ظواهر هذه النفوس البشرية ، فلذلك تتأثر وتتألم وتذبل فتموت . فسلام على الزهرة !

ما أشبه تلك الزهرة بالفضيلة ، ما أشبهها بتلك التي تخالج صدر الأديب وتعالج نفس الفيلسوف ، تريد أن تنمو لتكون فيّاضة الوجود على العالم بأسره ، فتمنعها الرذيلة فيموت حاملها وتموت هي قصيرة مدى الحياة بموته ، فيا لرزية الانسانية بفقدكِ أيتها الفضيلة !

(النجف)　　محمد رضا الشبيبي

في رياض الشعر

﴿ الى الأمير عمر باشا طوسون ﴾

تألفت في مصر جمعيتان لمدّ يد المساعدة للدولة العثمانية وتخفيف ويلات القتال في الحرب الطرابلسية والحرب البلقانية ، وهما جمعية «إعانة الدولة » وجمعية « الهلال الاحمر » وقد ترأس الاولى دولة الأمير عمر باشا طوسون ، والثانية دولة الأمير محمد علي باشا ، فطاف الأميران البلاد مستنهضين الهمم ، مستندبين الأكفّ ، فبذل المصريون المال وكل أنواع المساعدة بكرمٍ وسخاء ، فاستطاعت جمعية جمع الإعانات إمدادَ الدولة بما فرّج كربتها وسهّل عسرها ، وتمكّنت جمعيـة الهلال الأحمر من تضميد جروح المقاتلين وإسعاف المنكوبين ومؤاساتهم ، مما رفع قدر مصر في عين الإنسانية ، وخلّد ذكر أُمرائها الفخام وأبنائهـا الكرام ، وجعلهم مضرب مثلٍ إذا ما ذُكر الكرم والمروءة

ولقد كان أبسط الجميع كفاً ، واكرمهم يداً ، وأبعدهم عزمةً دولة الأمير الخطير البرنس عمر باشا طوسون ، فجاد بالمبالغ الطائلة من مالهِ الخاص ، وبذل ما له من النفوذ البعيد وما عُرف بهِ من الهمة العلياء لجمع الإعانات للجيش العثماني ، حتى أُعجب الجميع بسخائهِ وحميّتهِ ، وإن كانوا قد عرفوا دولة الامير سبّاقاً الى كل مكرمـة وتعوّدوا أن يروا له في كل مأثرةٍ يداً

وقد أعرب عن هذه العواطف كبير شعرائنا وأستاذهم — سعادة

اسماعيل صبري باشا — بأبياتٍ كالذهب الأبريز رونقاً وجلاءً، فسألناه أن نحلّيَ بها جيد «الزهور» اعترافاً بمآثر الأمير، وحفظاً لهذا الشعر الجميل، فأجاب ملتمسنا، وهذه هي الأبيات :

لكَ الإمارةُ، والاقوامُ ما برحت ... بكلّ عالي الذرى في الكون تأتمرُ
لو لم تَرِثها لما ألقت أعنّتها ... الاّ اليك خلالٌ كلها غررُ
يا ابنَ الأُلى لو أطلّوا من مضاجعهم ... يوماً عليك لقالوا : إيهٍ يا عُمَرُ
أعدتَ أيامهم في مصرَ ثانيةً ... حتى توهَّم قومٌ أنهم نُشِروا
وسرتَ سيرتهم حتى كأنهمُ ... اذا خطرتَ بأرضٍ مرَّةً خطروا
للهِ درُّكَ كم نبَّهت من هممٍ ... تثني على أهلها الآصال والبكَرُ
وكم تعهدتَ جرحى من أسودِ وغىً ... ان يكسرِ الدهرُ عن أحداثهِ كسروا
مستنجداً من بني مصر أُلي شممٍ ... اذا رأوا ثلمةً في حوضهم جبروا
مستهمياً هامياً والنيلُ في وجلٍ ... من أن تجودَ بهِ أيمانكم حذِرُ
حتى تفاهمت الأرحامُ واذّكرت ... ما بينها الأهلُ والخلاّنُ والأسرُ
وآذنَ البرُّ بالسقيا وما فتئت ... منهم ومنك صنوفُ البرّ تنتظرُ
وحرَّكت كلَّ كفٍّ بالندى مِقةً ... حتى تعجبتِ الأنهارُ والغدُرُ
والناسُ ان قام يستسقي الكريمُ لهم ... سحائب الفضل، بشّرهم فقد مُطِروا
أبي علاءٍ سعيدٍ أن يشابههُ ... الاّ ابنُ دوحتهِ ان قام يفتخرُ
ما زال يحمدهُ رائيكَ مدَّكراً ... والأصل بالفرعِ ان حاكاهُ يُدَّكرُ

اسماعيل صبري

﴿ رثاء ڤردي ﴾

نشرنا في صدر هذا الجزء كلمةً عن « ڤردي » وحياتهِ وروايتهِ « عائدة » ، وتتحف القرّاء الآن بأبيات غراء ، نظمها أمير الشعر والالهام في رثاء أمير الانغام ، قال :

فتى العقلِ والنغمةِ العاليه ... مضى ومحاسنه باقيهْ
فلا سوقةٌ لم تكن أنسَهُ ... ولا ملك لم تزن ناديهْ
ولم تخلُ من طيبها بلدةٌ ... ولم تخلُ من ذكرها ناحيه
يكاد اذا هو غنَّى الورى ... بقافيةٍ ينطقُ القافيه
يتيه على الماس بعضُ النحاس ... اذا ضمَّ ألحانهُ الغاليه
وتحكم في النفس أوتارهُ ... على العود ناطقةً حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارها ... وتغشى سريرتَها الخافيه
وكم آيةٍ في الاغاني لهُ ... هي الشمس ليسَ لها ثانيه
اذا ما تنادى بها العازفون ... قل البرق والرعد من غاديه
فان همسوا بعد جهر بها ... فخفق الحليّ على الغانيه
لقد شاب «ڤردي» وجاز المشيب ... و « عَيدا » شبيبتها زاهيه
تمثّل مصرَ لهذا الزمان ... كما هي في الأعصر الخاليه
ونذكر تلك الليالي بها ... وننشد تلك الرؤى الساريه
ونبكي على عزّنا المنقضي ... وندب أيامنا الماضيه
فيا آل ڤردي نعزيكمُ ... ونبكي مع الأسرة الباكيه
فقدنا بمفقودكم شاعراً ... يقلُّ الزمانُ لهُ راويه

شوقي

﴿ شاعرة تهاجرُ شاعرا ﴾

تُمسين ناسيةً وأُمسي ذاكرا　　عجباً أشاعرةٌ تهاجرُ شاعرا
فهل الملائكُ كالحسانِ هواجرٌ　　إن الملائكَ لا تكونُ هواجرا
ان كنتُ لا أسعى لدارِكِ زائراً　　فلكم سعى فكري لدارِكِ زائرا
وأخو الوفاء يصونُ منهُ غائباً　　أضعافَ ما هو صانَ منهُ حاضرا

***

يُصبيك طيرُ الروض في ترجيعهِ　　يا ليتني في الروض أصبحُ طائرا
ويهزُّ منكِ الزَّهرُ في زفراتهِ　　نفساً تظلُّ لها النفوسُ زوافرا
قد عشت دهركِ بالمحاسن صبَّةً　　وقضيتُ دهري بالمحاسن حائرا
هذا اتّحادٌ في الرغائبِ والهوى　　أبداً ترينَ من المشاهد ما أرى
انّا اقتسمنا السحرَ فيما بيننا　　لله ساحرةٌ تساجلُ ساحرا

***

لا بدَّ في هذي الحياةِ من الهوى　　انَّ الهوى يهب الحياةَ نواظرا
ولقد تهبُّ عليهِ يوماً سلوةٌ　　فتُنيمُ ساهرةً وتتركُ ساهرا
يا ويحَ ذي قلبٍ يناجي مثلهُ　　يدعوه مؤنسهُ فيبقى نافرا
قلبان : ذو صبرٍ يعاني هاجراً　　أو هاجرٌ ظلماً يعذّبُ صابرا
متوافقانِ على الشكايةِ في الهوى　　كم جائرٍ في الحبِّ يشكو جائرا

***

ان كانَ قلبي في التصبرِ مذنبا　　فليُمسِ قلبكِ في التصبر عاذرا
سيعود ذاك الودُّ أبيض ناصعاً　　ويصير هذا العهد أخضر ناضرا

ولي الدين يكن

﴿ الليالي الماضيات ﴾

نشرنا في الجزء الأخير من السنة الماضية في معرض الكلام عن رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد – مسيو ريمون پوانكاره – ترجمة أبياتٍ (صحيفة ٥٣٦) نظمها يوم انتقل من حضن الحياة العائلية الى ميدان الجهاد والعمل؛ واقترحنا على شعرائنا ان ينظموها شعراً عربيًّا . فكان خير ما جاءنا من هذا القبيل الأبيات التالية وان كان ناظمها قد توسَّع في المعنى وتصرَّف بالأصل ، قال :

هي الأيامُ سلسلةُ الحياةِ ... وماضي العيش منها غيرُ آتِ

وقد جعل المهيمن من قديم ... مصيرَ العالمين الى المماتِ

وليس بخالدٍ للناس شيءٌ ... سوى حسناتهم والسيئاتِ

وأعمالُ الفتى ان مات كانت ... ممثَّلةً لهُ احدى الصفاتِ

يكرِّرُ ذكرها التاريخ دهراً ... وترويها أحاديثُ الرواةِ

وخيرُ الناس من يحيا سعيداً ... سليمَ العِرض من غمز العداةِ

رغيداً عيشهُ ما دام حيًّا ... وأيُّ فتىً كذلك أو فتاةِ

اليكِ اليكِ يا دنياي عنّي ... فإني قد سئمتُ من الحياةِ

* * *

وما أسفي على عيشٍ رغيدٍ ... ولا وقتٍ صفا من حادثاتِ

ولا أسفي على كسلٍ مضرٍّ ... يسمَّى راحةً عند الوُناةِ

ونفسي لم تكن ان غادرتني ... دواعي البشر تأسى للفواتِ

* * *

ولكني أسفت على سماءٍ ... صفت في الصيف من كل الجهاتِ

ونارٍ أصطليها في شتاء ودفء في الليالي الباردات
واخوانٍ صفوا وأبٍ ودودٍ وخلٍّ ذي وعودٍ صادقات
ذوائبَ أسرةٍ وسراة قومٍ وأخوة شدّةٍ وبني ثقات
وأم من ذوات العطف تحنو على طفلٍ حنوّ المرضعات
تبيت الليل ساهرةً عليهِ وتأتي من العشيّ الى الغداة

* * *

وأيامي الجميلةُ قد تقضّت وولّت بالشبيبة مدبرات
على أنّ التأسّفَ ليس يُجْدي على تلك الليالي الماضيات

بغداد كاظم الدجيلي

﴿ استبداد واستبداد ﴾

يَكرُمُ المرءُ مستبدًّا بخصمٍ حيث لاقى كفوءاً لهُ فاستبدّا
فاذا ما استبدَّ يوماً بخصمٍ غير كفوءٍ لهُ اعتدى وتعدّى

خليل مطران

﴿ تحت صورة شمسية ﴾

سرقت بحيلةٍ يا شمسُ رسمي فأشرقَ زاهياً غضّ الإهاب
اذا وافى المشيبُ أقولُ فيهِ : « على رُغمِ الزمانِ أرى شبابي ! »

حليم دموس

الصحافة

الصحافة صناعة الصحف . والصحف جمع صحيفة وهي قرطاس مكتوب . والصحافيون القوم ينتسبون اليها ويشتغلون فيها . والمراد الآن بالصحف أوراق مطبوعة تنشر الأنباء والعلوم على اختلاف مواضيعها بين الناس في أوقات معينة . فانَّ فيها من تواريخ الأُوَل وأخبار الدول وفكاهات الروايات وغرائب الاكتشافات وأسعار التجارة وفنون الصناعة وضروب الانتقاد وشؤون الاقتصاد وأخلاق الغرباء وعادات البعداء ما يغني عن التوجه الى بلادهم ومخالطة شعوبهم والوقوف على أحوالهم . ولذلك عوَّل الفضلاء على إنشاء الصحف ، بحيث أصبح سكان أقاصي المشرق يصل اليهم خبر أقاصي المغرب بأقرب حين ، بعد ان كانت الأنباء تجاوز الأيام العديدة للوصول من مكان الى مكان آخر مجاور لهُ . فتأتي مختلَفاً فيها لا يكاد الباحث عنها يعلم الحقيقة

وأوَّل من استعمل لفظة « الصحافة » بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب الحداد منشئ جريدة « لسان العرب » في الاسكندرية وحفيد الشيخ ناصيف اليازجي . واليهِ يرجع الفضل في اختيارها ، فقلّدهُ سائر الصحافيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في أول عهدها « الوقائع » ومنها جريدة « الوقائع المصرية » كما دعاها بهِ رفاعة بك الطهطاوي . وسُميت أيضاً « غزتة » نسبة الى قطعة من النقود بهذا الإسم كانت تباع الصحيفة بها فعُرّفت كذلك . وقيل أيضاً انَّ أول صحيفة ظهرت في

البندقية سنة ١٥٦٦ كانت تسمى « غزتة » فشملت هذه التسمية كل صحيفة بلا استثناء . ولما نشأت الصحافة العربية أُطلقت عليها لفظة غزتة لأنَّ هذه الصناعة كانت حديثة العهد عند الناطقين بالضاد ولا أثر لها لدى كتابهم الأقدمين

ولما أنشأ خليل الخوري سنة ١٨٥٨ « حديقة الأخبار » في بيروت أطلق عليها لفظة « جرنال » وهي كلمة فرنسية معناها « يومي » أي المنسوب الى اليوم للدلالة على الصحف اليومية بينما كانت جريدتهُ أسبوعية

وإليك ما كتبهُ أديب اسحق في نبذة لهُ عنوانها « مباحث في الجرائد » قال : « ولا مناسبة بين الجرنال وبين الجريدة إلاَّ أن يقال انهُ أُطلق أولاً على الصحائف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليهِ ثمَّ عممهُ الإصطلاح فعرفت بهِ الجرائد يومية كانت أو غير يومية »

ثمَّ رأى الكونت رُشَيد الدحداح اللبناني صاحب جريدة « برجيس باريس » الباريسية سدَّ هذه الثلمة فاختار لفظة « صحيفة » وجرى مجراه اكثر أرباب الصحف في ذاك العهد وبعده . فما كان من احمد فارس الشدياق اللبناني صاحب « الجوائب » في القسطنطينية ومناظر الكونت رُشَيد الدحداح في بعض المسائل اللغوية إلاَّ أنهُ عقد العزيمة على استعمال لفظة « جريدة » وهي « الصحف المكتوبة » كما ورد في معجمات اللغة. ومن ذاك الوقت شاع اسم الجريدة لدى جميع الصحافيين بمعناها العصري

ومنهم من استعمل غير ذلك من المسميَّات كالقس لويس صابونجي السرياني صاحب « النحلة » الذي اتخذ لفظة « نشرة » بمعنى جريدة أو

مجلة . وهكذا صنع المرسلون الأميركيون أصحاب « النشرة الشهرية » و « النشرة الأسبوعية » في بيروت وغيرهم . ومن تلك المسميات أيضاً « الورقة الخبرية » أو « الرسالة الخبرية » وقد استعملتهما جريدة المبشر مع اكثر الصحف الدورية في بلاد الجزائر المغربية التابعة لحكومة فرنسا ومنها « أوراق الحوادث » وهو الاسم الذي أطلقهُ للدلالة على صحف الأخبار نجيب صوايا منشئ مجلة « كوكب العلم » في القسطنطينية

وكان الصحفيون لا يفرّقون أولاً بين الجريدة (Journal) وبين المجلة (Revue) في الاستعمال . ومن المعلوم أن الافرنج أطلقوا اسم المجلة (Revue) على الصحف الدورية التي تصدر على شكل الكراسة

فلما تولى الشيخ ابرهيم اليازجي ادارة مجلة « الطبيب » البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتورين بشاره زلزل وخليل بك سعاده أشار باستعمال لفظة « مجلة » وهي صحيفة علمية أو دينية أو أدبية أو انتقادية أو تاريخية أو ما شاكل تصدر تباعاً في أوقات معينة . فأثبتها بمعناها العصري وتابعته في هذا الإصطلاح جميع المجلات التي صدرت بعدها والتي كانت قبلها . ثم شاعت في جميع الأقطار العربية شيوعاً أجهز على المعنى الأصلي حتى صار مهجوراً بالمرّة . فلا يتبادر الآن الى ذهن المطالع لدى عثوره على لفظة « مجلة » إلاَّ الصحيفة الدورية دون سواها ولا يطلق أحد من كتاب العصر هذه التسمية على « صحيفة فيها الحكمة» إلاّ اذا كانت تصدر تباعاً في آونةٍ معينة . ومع ذلك اذا طالعت المعاجم العصرية لا ترى فيها للفظة المذكورة معناها الحالي الشائع بل القديم

المهجور . هكذا توفق العرب المولدون الى وضع أسماء لمسميات الصحافة الحديثة . وهو مطلب غير بعيـد على أهل هذه اللغة طالبوه بأسبابه ودخلوه من أبوابه

وتختلف مواضيع الصحف باختلاف غايات أصحابها ونزعاتهم ومشاربهم فتارة تكون دينية وطوراً سياسية وحيناً أدبيـة . وقس عليها العلمية والفنية والإنتقادية والروائية والهزلية والتهذيبيـة والاخبارية والعمرانية والقضائية والاخلاقية والتاريخية وغيرها . ولكل من هذه التقاسيم الكبرى فروع بل فروع فروع يطول بنا شرحها لكثرتها فنضرب عنها صفحاً . وقد أصاب الدكتور شبلي شميل فيما كتبـهُ بهذا المعنى قال : « الصحف أنواع بقدر المواضيع التي تتناولهـا معارف البشر . وربمـا قصروها على فرع من علم بل على مبحث من فرع استيفاءً للبحث . وساعدهم على ذلك كثرة خاصتهم وحب عامتهم لرفع شأن العلم . . . بحيث لم تنقصهم في سبيلهـا النفقات التي هي لحياة الصحف كالغذاء لحياة الأبدان . فتكاثر عددها عندهم جداً حتى صارت فوائد العلم بها قريبة المنال عامة العرفان في كل مكان . اذ ليس للعلم وطن يؤثره على وطن »

ولما كانت الصحف تصدر في آجال معلومة فقـد سماها الأفرنج «الصحف الدورية » أو «الصحف الموقوتة » أعني (Presse périodique) لأنها تنشر شهرية أو أسبوعية أو يومية . بل منها أيضاً ما يصدر مرّتين في الشهر أو الأسبوع أو اليوم أو غير ذلك من المواعيد

فيليب دى طرازى

الحرب والسلم

افتتاح قصر السلام في مدينة « لاهاي »

لا يُنكر أحدٌ أنَّ الحربَ مجلبةُ الدَّمار والبوار، ومدعاةٌ لخراب العباد والبلاد، لما يتقدَّمها ويصحبها ويليها من بذل الاموال وسفك الدماء وتخريب الأمصار. فهي من بقايا الهمجيـة ومن آثار التوحش. لذلك هبَّ قومٌ من دُعاة الإِنسانية يناهضون فكرة التسليح ويعملون على إِبطال القتال بتعميم مبدإِ التحكيم العام والإِستناد اليهِ بدلاً من التعويل على السيف والمدفع. فسخر منهم الآخرون، وعدُّوا أمنيتهم من قبيل الأحلام، وإِن كانوا وإِياهم متفقين على ويلات الحرب وفظائعها. ذلك لانهم يرون الحرب دائمة ما دام الإِنسان ذا طمع، وقد يُدرج الانسان في كفنهِ، ولا يموت الطمع في صدره. والتاريخ شاهـد لا ترد شهادتهُ في هذا الموضوع. فان الحرب في نظرهم شرٌّ ولكنهُ شرٌّ متحتم الوقوع. على أن أنصار السلم لم يعبأُوا بهزء الهـازئين، ولا بتضييع الحوادث أحياناً لآمالهم بل ظلوا يكتبون ويخطبون ويسعون لنشر مباديهم، حتى أخذت فكرة التحكيم العام في المشاكل الدولية ترسخ شيئاً فشيئاً في الاذهان. ورأينا اكثر من مشكلة في هذه السنين تُحَلُّ عقدتها بالطرُق السلمية، بعد أن كانت مثيلاتها في الماضي لا تُحل إِلاَّ بظبي الحراب وباشعال البارود

فكرة السلم العام خطرت لكثيرين من الفلاسفة والإِجتماعيين منذ

زمن بعيد، ولكنها لم تبرز بشكل حسيّ إلاّ منذ نحو ربع قرن . وذلك أنّ فريقاً من كتّاب الإنكليز، وفي مقدمتهم مستر ستِد صاحب مجلة المجلات المشهورة، رأوا وجوب تعميم هذه الفكرة . وأوحي الى البعض أن اسكندر الثالث قيصر الروس يميلُ ميلاً اكيداً الى إيقاف التسليح في العالم . فما كاد هذا الإعتقاد يتجسم في رأس مستر ستِد، حتى نهض يعمل بجدٍّ واجتهاد لتحقيق تلك الأمنية . فكتب عريضة وقّعها من كل ذي مقام في بلاد الانكليز، وقدّمها الى حكومته ملتمساً منها فيها مخاطبة الدول في سبيل إيقاف التسليح وتحديده . فأرسلت وزارة الخارجية الانكليزية تلك العريضة الى القيصر

وبينما القيصر يتحفّزُ للعمل، نشبت الحرب بين الصين واليابان فكان من العبث محاولة إقناع الدول بايقاف التسليح، ودويُّ المدافع يقصف في بعض إنحاء العالم، فاضطر القيصر الى تأجيل العمل وحالت وفاته دون متابعة الأمر . غير أن القيصر الحالي الذي خلفه لم يكن أقلّ منهُ رغبةً في ذلك فدعا الأمم الى السلام، ولبّت الشعوبُ نداءهُ . وكانت نتيجة ذلك عقد المؤتمر الأول في « لاهاي » عاصمة هولندة سنة ١٨٩٩

ثم أراد أحد ملوك المال، مستر اندرو كارنجي، أن يشترك مع ملوك السياسة في هذا العمل المجيد، وأن يضع لمشروع السلام أثراً خالداً، فوضع سنة ١٩٠٣ تحت تصرُّف حكومة هولندة مبلغ مليون ونصف مليون من الريالات لاقامة البناء اللازم لمحكمة لاهاي وإنشاء مكتبة عمومية لمحكمة التحكيم المستديمة . فسرّ ذلك حكومة هولندة وزاد

افتخارها باختيار عاصمتها مركزاً مستديماً للسلام ، وكعبة تحجُّ اليها الآمال، فأرادت أن تشترك في المشروع اشتراكاً فعلياً ، وتُظهر شكرها للمستر كارنجي على هبتهِ العظيمة، فقرّرت إنفاق مبلغ ٥٦ الف جنيه من خزانة الحكومة لابتياع خمسين الف متر مربع من حديقة كانت قسماً من المتنزه الملكي . فتم البيع في آخر يوليو سنة ١٩٠٥

* * *

وقد تمَّ البناء الآن ، وجرى الاحتفال الرسمي بافتتاح قصر السلام في الثامن والعشرين من شهر أغسطس الماضي بحضور مندوبي الدول

وقد جاء هذا البناء فخماً ، لطيف الشكل ، خلواً من كل ما يدلُّ على العظمة الوحشية أو الحربية التي امتازت بها الأبنية الكبيرة حتى الآن . وقد زيّنت واجهة الدور الثاني من القصر بعدَّة تماثيل ترمز الى العلوم والمعارف العصرية والمزايا الإنسانية الراقية . وفي صدر البرج الكبير تمثال للتجارة، وآخر للصنائع ، وبين نافذتي الواجهة قامت تماثيل شتى من اليسار الى اليمين تمثّل « البلاغة » و « حسن الطوية » و « قوّة الإرادة » و « السلطة أو القدرة » و « الدرس والبحث » و « الحكمة » و « الإنسانية » و « الثبات » ونُصِب الى جانبي نافذة القاعة الكبرى تمثالان يمثّلان العدل والقانون كأنهما حارسان يحرسانها . ونُصِب فوق كل ذلك تمثال « ملكة السلام » بشكلها المعروف وقد جعلت يديها على قبضة سيف مسلول ، لفّت حوله خريطةً مكتوبة إشارة الى الشرائع السائدة . وتحت هذا التمثال فوق الرتاج أسدان فاغران فاهيما ، يفصل بينهما برج

بحرسانه رمزاً الى أنهُ لم تبقَ ثمت حاجة الى القوّة الوحشيـة لحراسة الحصون وإنفاذ قرارات السلام

وهناك عدا هذه التماثيل الرمزية اربعـة تماثيل أخرى تمثل أربعة رجال عظام : أحدها تمثال هوجو جروتيوس أول مجاهد في سبيل الشرائع الدولية أهدته جمعيات السلام ؛ والثاني تمثال الملك ادورد السابع أهدتهُ جمعية السلام العام ؛ والثالث تمثال السر رندل كريمر الذي كان يعمل مع كارل ماركس ومازيني فى سبيل التحكيم الدولي ، أهدته لجنـة التحكيم الدولي ؛ والرابع تمثال المستر وليم ستِد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ، أهدته نقابة الصحافيين فى هولندة . فيكون أبطال السلام الذين نُصبت تماثيلهم فى القصر أربعة : قاضٍ وملكٌ دستوريٌ وزعيمُ عمّالٍ وصحافيّ .

أما داخل القصر فغاية في الاتقان والابداع ، وقد نُقشت الرسوم العديدة على زجاج نوافذهِ ، منها فى المدخل الخارجي ما يدلُّ على فظائع الحروب ونكباتها من سيوف مخضبة بالدماء لا تعف حتى عن العجائز ، وأمهات مضطربات جزعاً على أولادهنّ ، وقصور مهدّمة ، وكنوز مبعثرة ، وجثث معفرة يظللها الموت

أما قاعة عقد المؤتمرات الكبرى فطولها نحو ٧٤ قدماً وعرضها ٤١ . وهي تسع نحو ٣٠٠ رجل ، أمام كلّ واحد منهم طاولة للكتابة . وفى صدر القاعة نافذة كبيرة ملوّنة الزجاج ، وضع فى جانبٍ منها تمثال يمثل العدل ، والى يسار هذه النافذة مواضع للجلوس درجات بعضها فوق بعض

أما مكتبة القصر فكبيرة متسعة تشغل جانباً كبيراً منه ، وفيها أثمن

الكتب وأكثرها فائدة وألذها تلاوة . وقد علقت فى إحدى قاعات القصر صورة مكبرة بالزيت تمثل المستر اندروكارنجي الذي تبرع بنفقة هذا البناء الفخم

والهدايا التي فى القصر كثيرة لا تحصى أهدتها اليه حكومات العالم ومن جملتها سجادة ثمينة جاءته من الحكومة العثمانية وهي تملأ أرض قاعة الاجتماع الكبرى

***

فى سنة ١٩١٥ سينعقد مؤتمر السلم العام فى هـذا القصر الذى مرّ وصفهُ . وسيكون لدى المجتمعين أمورٌ خطيرة ومشاكل معضلة يتناولها البحث ، وأهمها زيادة التسليح فى العالم الى حدٍّ كادت ترزح تحتهُ أغنى الحكومات . وقد يصدرُ فى ذلك القصر قرارٌ يقضي بابطال الحروب وتحريمها ، ويُناط أمرُ إنفاذهِ بحكومات العالم بأسرهِ ، فيتمّ ذلك الحلم الجميل وينصرف الإنسان عن قتال أخيـهِ الإنسان الى ما يُرقيّ شؤونهُ أدبياً ومادياً . وقد تكون أوربة فى حربٍ عمومية طاحنـة إبّان عقد المؤتمر ، وقصف المدافع يُصمّ الآذان ، فلا يسمع أحدٌ صوتَ خطباء السلام وأنصار التحكيم ، فيظلّ السلم العام حلماً من الأحلام ، ويبقى العدل نوراً ضئيلاً تحجبـهُ غياهب المطامع والغايات ، ولا ينفك الحقّ متضعضع الأركان تقوّضهُ القوّة وتسحقهُ

افكار وآراء

لا يطيق التردّد الاّ النفوس الصغيرة ، كما ان الشفق لا يسرّ الاّ الخفّاش

هيجو

الساقط من أعلى الشجرة لا يستنكف من أن يتمسك بأصغر الاغصان

هيجو

لا شيء يحقّر الصغير في عيني نفسه كوجوده بجانب العظيم

ارفنك

ما أعظم السرور الذي ينشره محبّ الخير في دائرته ، وما أصدق ما قيل : إن القلب الحنون نبع سرورٍ منعش يجلو الغمّ عن النفوس

ارفنك

لا سلام بلا فضيلة . السلام كقوس قزح ركنه في الارض ، وقوسه يتوارى في الزرقاء ؛ تغسلهُ السماء بألوان النور ، ولا يظهر إلاّ بين الغيوم والدموع ؛ هو انعكاس الشمس الأبدية ، يُعرب عن وجود الأمن والطمأنينة ، هو علامة ميثاقٍ بين الله والناس

لتون

نهر الحزن العميق يجري بهدوء وسكينة

لتون

لصيت الانسان وما يقال عنه تأثيرٌ في مستقبله لا يقلّ عن تأثير أعماله

هيجو

من لا يبتغي ارضاء الناس ، ولا يخشى سخطهم يتمتع بسلام تام

كبس

من ارتكب الرذيلة توصلا الى الفضيلة، أنزل الفضيلة في سوق التجارة
حبّ الذات أصل لكل فضيلة وكل رذيلة . فأسمى الفضائل اساسها
حبُّ الذات ، وأفظع الرذائل ناتجة عن الانانية ، ولذا قيل أحبب قريبك
كنفسك

ما دام الداء مستتراً لا ينجع فيه دواء . أمهر الأطباء من كشف الداء
قبل معالجته . أفظع العلل الرياء لأنه يستر كل داء

السعادة ككل فضيلة تتولد من ضدّين : القناعة والاجتهاد . أفضل
سبيل للانسان ان يتخذ الوسط بين كل طرفين متضادين : كن كريماً
لامسرفاً ولابخيلاً ؛ شجاعاً ، لاجباناً ولامتهوراً ؛ نزوعاً الى العلياء ، لا
حسوداً طامعاً ولا مهملاً متقاعداً　　**فؤاد شطاره**

من كل حديقة زهرة

* قالوا اميركا بلاد العجائب وقد أصابوا . فمن أمثلة ذلك ما تناقلته الصحف
عن المستر بريان وزير الخارجية الاميركية الحالي . رأى هذا الوزير ان مرتبه البالغ
خمسة وستين الفاً وخمسمئة فرنك لا يكفيه فعزم على القاء محاضرات « مأجورة »
واتفق لهذه الغاية مع مدير جوق متنقل يتولى التمثيل في المدن المجاورة لواشنطن
عاصمة الولايات المتحدة . ففي اثناء الفترات بين الالعاب البهلوانية والغناء يقف
الوزير فيلقي محاضرته

وللوزير ٥٠ بالمئة من الدخل . فان قل الدخل ، فله المئتان والخمسون دولاراً
الاولى من دخل كل ليلة

ويضطر الوزير ان ينام ويأكل في القطار ليتسنى له أن يقوم بوظيفتيه مهام الوزارة في النهار والقاء المحاضرات في الليل

* أصدر الاستاذ ويلكوكس في جامعة كورنل (الولايات المتحدة) احصاء اثبت فيه أن الوفيات بين العازبين هي اكثر منها بين المتزوجين . فان المتوفين بين سن ٤٠ و٥٠ كانوا ٩ ونصف في المئة من المتزوجين و ١٩ ونصف من العازبين

أما النساء فانهم لا يكسبن كثيراً بالزواج ولكنه مقرر ان النساء المتزوجات هن اطول عمراً من النساء اللواتي لا ازواج لهن

* قرأت احدى الانكليزيات في الجمعية العلمية الانكليزية مقالا عن عادة قتل الملوك في مصر القديمة . فقالت أن هناك أدلة كثيرة تثبت قتل القدماء لملوكهم تضحية كاليونان وأهل كريت وبابل وسورية والحبشة . وهذه البلاد اما مجاورة لمصر وإما لها علاقة شديدة بها . والفكرة الأساسية في قتل الملوك هي اعتقاد القوم بأن إله الخصب والزكاء مجسد في الملك وأن خير البلاد ورفاهها متوقفان على وجوده متمتعاً بالصحة . فاذا كبر أو جاوز حداً معلوماً من السنين قتل ليتسنى للاله المقيم فيهِ أن ينتقل منهُ الى من هو أصغر منهُ سناً وأقوى بدناً فلا يدركه انحطاط أو هرم

* بعد فتح ترعة السويس خطر للفرنسيين نقض برزخ پناما وفتح ترعةٍ تصلُ بين الأوقيانوسين الهادي والاطلانطيكي، ثمّ اشترى الأميركيون هذا الامتياز، وقدروا النفقات اللازمة لانفاذ المشروع بمبلغ ٧٢٠ مليون فرنك . على أن ما أنفقوه حتى الآن يزيد على ١٥٠٠ مليون ، ولا يزال هناك قسم من العمل غير ناجزٍ، وسيجري الاحتفال بترعة پناما في السنة القادمة وقد دعت حكومة الولايات المتحدة حكومات أوربة للاشتراك فيهِ

ازهار وأشواك

أخبار الأدباء

عاد القرّاء وعدنا ، بعد ما قضوا — ولم نقض — أياماً في أعالي الجبال ، أو على شواطئ البحر ، فنهنئهم بسلامة العودة . أما بعد ، فأول ما أنا محدّثهم به بعد هذه الغيبة هو بعض أخبارٍ عن أُدبائنا واعمالهم وتنقلاتهم ، ومعظمهم من أصدقاء « الزهور » واصدقاء قرّائها :

كثيرون هم الادباء الذين تقلّهم الحكومة في هاتين السنتين من مقاعد التحرير الى كراسي الدواوين ، وقد ذكرتهم في حينهم . وآخر من وضعت يدها عليه في هذا الصيف ولي الدين يكن ، فقد ألحقته بنظارة الحقانية ، فأصبح صاحب « الصحائف السود والمعلوم والمجهول » بقرب « صاحب النظرات »

وقد حدثت في هذا الصيف ايضاً حركة مباركة في ادارات صحفنا اليومية ، فرأينا الاهرام والمقطم على ما هما عليه الآن من كبر الحجم وغزارة المادة وتوفر الاخبار البرقية والمحلية . وقد انضمّ الى تحرير الاهرام سليم سركيس وهو الكاتب المعروف ، وسليم عقّاد وهو آخر صحافي هجر سوريا الى وادي النيل . وعهدت رياسة تحرير « المحروسة » الى فرح انطون ، ورياسة تحرير « الوطن » الى الشيخ يوسف الخازن بعد سفر اسكندر شاهين الى البرازيل ، وترأس تحرير « مصر » توفيق حبيب

هذا أهم ما جرى في الدوائر الصحافية . أما في سائر دوائر الأدب

فان حافظ ابراهيم وخليل مطران قد هجرا سماء الخيال ، وقضيا صيفهما الى جانبي في مطبعة المعارف يشتغلان في ترجمة كتابٍ في علم الاقتصاد ، وقد أنجزا أربعة أجزاء منه ، وهما يُعدّان الآن الجزء الخامس . وقلّما قابلت الواحد منهما الاّ ورأيت حوله هالةً من الكتّاب ، هذا يساعد على وضع لفظة عربية لترجمة بعض المصطلحات ، وذاك يُعيد النظر في البروفة قبل طبعها . . أما شوقي فقد اتصل بي انه سيتحف عالم الادب عن قريب بالجزء الثاني من الشوقيات

هذه جريدة اخبارنا الادبية دوّنتها بكل اختصار

توارد خواطر

كان المارشال دي لكسمبرج من أبسل قوّاد فرنسة وأشجعهم على عهد لويس الرابع عشر ، وقد أحرز من الانتصارات في الحروب ما رفع قدره في بلاده ، وألقى الرعب في قلوب أعدائه . وكان المارشال أحدب الظهر ، على انه لم يكن يرى في ذلك عيباً ، بل كأنه كان يتمثل بقول الشاعر العربي :

لا تظننَّ حدبةَ الظهرِ عيباً　　فهي في الحسن من صفات الهلالِ
وكذاك القسيُّ محدَوْدباتٌ　　وهي أنكى من الظبا والعوالي
كوَّنَ اللهُ حدبةً فيَّ ان شئتَ　　م من الفضلِ او من الافضالِ
فأتت ربوةً على طودِ حربٍ　　واتتْ موجةً ببحر نوالِ
ما رآها النساء الاّ تمنَّت　　أن غدت حليةً لكلّ الرجالِ

واتصل يوماً بالمارشال أن أحد أعدائه قال : « ألا يمكنني أبداً أن

أغلبَ هذا الأحدب ؟ » فأجاب المارشال : « ومن أين عرف الاعداء أني أحدب ، وما ولّيتهم ظهري قطّ . . . ! » فاشتهر جوابهُ ، ودوّنه لنا التاريخ وعُدَّ آيةً في الفخر والدلالة على الشجاعة

ذكرني بالمارشال وجوابه ما روته لنا الجرائد عن الأسود جونسن الاميركي بطل « البوكس » المشهور وزعيم الملاكين الذي لم يقوَ على صرعه أحدٌ حتى الآن . ذلك أنهُ كان يتنزّه في سيارته فصدمته سيارة أخرى ، فأصيب بجرح في ظهره ؛ وبينما كان الطبيب يضمد له الجرح قال جونسن : « نازلت أشدّ المصارعين وأُصبت بلكمات شديدة ، ولكن هذه هي المرة الوحيدة التي أُصبتُ فيها بظهري ! »

. توارد خواطر لطيف بين القائد دي لكسمبورج الفرنسي ، والمصارع الاميركي .

تاريخ جديد

اعتاد الناس أن يؤرّخوا مراسلاتهم بتاريخ الشهر الافرنجي أو الهجري أو القبطي ، ولا أعرف في بلادنا تاريخاً متداولاً بين العامة والخاصة غير هذه التواريخ الثلاثة

لي صديق اديب — والحمد لله كل اصدقائي من الأدباء — موظف في إحدى النظارات ، يراسلني وأراسله مرّة في الاسبوع على الاقل ، لأنه يتعذر علينا الاجتماع دائماً لكثرة المشاغل ، فنعتاض بالمكاتبة — والمكاتبة نصف المشاهدة ؛ هذا فضلاً عما أجده في رسائله من الادب

الجمّ والمُلح المستظرفة . وما كان ليخطر لي ببال أن أذكره لقرّائي لولا الكتاب الأخير الذي جاءني منه ، وقد أعجبتني طريقة تأريخه . صدّر كتابه في الخامس والعشرين من الشهر ، فلم يكتب التاريخ : في ٢٥ من شهر كذا ؛ ولم يقل كما كان يقول العرب : لخمسٍ بقين من شهر كذا ؛ بل كتب : لخمسٍ بقينَ لقبض ماهية الشهر . . . وفي هذه العبارة الموجزة بيانًا على حالة نفس الكاتب وحالة جيبه أوفى وأدلّ من الشكوى بقصيدة تعادل أبياتها تائيّة الفارض عدًّا . . .

للتفكهة

فى قسم الحساب ، الأستاذ يسأل التلاميذ :

لنفرض أنّ لدى ثمانية منكم ٤٨ تفاحة ، و ٣٩ خوخة ، و ٥٦ برتقالة و ١٥ بطيخة و ١٤ شمّامة ، فماذا يصيب كلاً منكم ؟

أحد التلاميذ : وجع بطن . . .

*
* *

— يجب أن تتزوج

— لم أجد حتى الآن ما يوافقني

— ولكن يمكنك أن تجد فتاةً عاقلة حكيمة محبة ظريفة كامرأتي

— إذن سأنتظر ان تترمل امرأتك . .

ماصر

ثمرات المطابع

* تاريخ مصر — عرف القرّاء مما نشرناه للسيدة هند اسكندر عمون فى مجلة « الزهور » من الابحاث الشائقة ان هذه الكاتبة الفاضلة لا تُعالج من المواضيع الاّ التى تقتضي بحثاً وتدقيقاً ، ولكل كاتب اسلوب وولع فى مواضيع خصوصية . ولقد رأت شدة احتياج المدارس الى كتاب يتضمن تاريخ مصر القديم والحديث ، بطريقة جامعةٍ سهلة المنال يقف الطالب فيها على الحوادث مع معرفة عللها ومعلولاتها دون أن يضيع فى التفاصيل ، فأقدمت على هذا العمل الشاق بهمةٍ ونشاط ، وجمعت المعلومات اللازمة من أوثق المصادر وأثبت الموارد ، ووُفقت الى وضع كتاب استوفت فيه شروط الكتابة شكلاً وموضوعاً ، فجمعت فى صفحاته الثلثمئة جميع أطوار التاريخ المصري منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا ، وضمنته نظرات صادقة فى أحوال البلاد ومدنيتها على عهد كل دولة من الدول التي تعاقبت فى حكمها ؛ كل ذلك بأسلوب فصيح رشيق خلو من الحشو والفضول . ولقد اطلعت اللجنة المناط بها فحص الكتب فى نظارة المعارف العمومية على هذا السفر النفيس ، فراقها العمل وقدرت الكتاب حق قدره ، فقررت تدريسه فى المدارس الاميرية كما قرّرته ادارة المدارس الاميريكية ومعظم مجالس المديريات ، فكان اجماع هذه الدوائر العلمية العالية على اقتناء هذا الكتاب خير شهادة على مقدرة المؤلفة وعلى فائدة تأليفها وأهميته

وقد تولّت نشر هذا الكتاب مطبعة المعارف الشهيرة، فأخرجته بحلة جميلة شائقة، وهو مزين برسوم وصورٍ عديدة، مضبوطة أعلامه وكلماته الصعبة بالشكل التام

* تاريخ الصحافة العربية [١] — أشرنا الى الجزء الاول من هذا المؤلف النفيس الذي عني بوضعه حضرة الڤيكونت فيليب ده طرّازي . وفي يدنا الآن الجزء الثاني منه وهو يقع فى ٣٣٦ صحيفة تناول البحث فيها الحقبة الثانية من تاريخ الصحافة العربيــة منذ افتتاح قناة السويس الى التذكار المئوي الرابع لاكتشاف العالم الجديد (١٨٦٩ — ١٨٩٢) . ويكفي تقليب صفحات هذا الكتاب للدلالة على ما بذله مؤلفــه الفاضل من السعي والاجتهاد لجمع هذه المعلومات المتفرقة عن موضوع متشعب الاطراف قليل المستندات . فقد استوعب فيه تاريخ الصحف والصحافيين فى بلاد الدولة والبلاد الاوربية، مع ذكر منشإ كل صحيفة وبحثٍ فى اسلوبهـا وخطتها وتاريخ منشئيها ومحرريها، وصور مشاهير الكتّاب وترجمة حياتهم مما يدلُّ على استقراء وتنقيب وحسن ذوقٍ فى التدبيج والترتيب، فجاء هذا الكتاب حاوياً تاريخ الادب والنهضة العربيــة فى تلك الحقبة، ناشراً ذكر رجال أفاضل وكتّاب مجيدين لم تكن الايام حافظةً عنهم للخلف شيئاً يذكر، بل كانت آثارهم تكاد تُدرس لو لم يهتم حضرة الڤيكونت بهذا العمل الجليل، ولقد أحسن الياس افندي حنيكاتي الاديب البيروتي المعروف فى اقتراحه على الصحافيين والادباء تقديم هدية لناشر

(١) طبع في المطبعة الادبية فى بيروت ويطلب في مصر من مكتبة الهلال

تاريخ الصحافة العربية اقراراً بجميل خدمته الوطنية

وقد نشرنا فى غير هذا المكان من الجزء الحالى نبذةً من هذا الكتاب للدلالة على اسلوبه

* العراقيات [١] — فى العراق طائفة من الكتّاب والشعراء قلّ ما كان يعرفه عنهم أهل بلادنا ، ولقد عنيت «الزهور» بهذا الموضوع كثيراً فأثبتت تراجم البعض منهم ، ونشرت للبعض الآخر شيئاً غير يسير من المنظوم والمنثور . ولقد جاءنا أخيراً كتاب « العراقيات » لجامعيه الادباء « رضا وظاهر وزين » أثبتوا فيهِ مختارات من شعر عشرة من مشاهير شعراء العراق وهم : السيد الحبّوبي والسيد الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد شبيب والشيخ كاظم الأزري والشيخ عباس النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الباقي الفاروقي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي . فاستحق ناشرو هذا الكتاب كل ثناء من محبي الآداب العربية

* حقائق وعبر [٢] — مجموعة مقالات أدبية ومباحث اجتماعية للاديب اسكندر افندي الخوري البيتجالي، نشر بعضها فى مجلة «الزهور» فليس كاتبها إذن بالمجهول لدى قرّائنا ؛ يكتب بما يشعر وكما يشعر ، فيُسمع من خلال كلماته أنّاتٌ ، ويلمح بين سطوره دمعات ، فهو يتألم مما تتألم منه شبيبة العصر . وكتابه جديرٌ بالمطالعة

---

(١) مطبعة العرفان — صيدا — ثمنه فرنكان

(٢) مطبعة القبر المقدس في القدس الشريف وثمن النسخة ١٠ غروش

* آداب اللياقة[١] — هو كتيب يتضمن «قواعد فى الاداب الاجتماعية وأصولاً فى قوانين المعاشرة» استخلصها المؤلف مما أقرّته العادة، وأجمعت عليه الاذواق، وتوافرت على الاخذ به الطبقات المهذبة فى الامم الراقية. فموضوعه نافع مفيد، بل هو لازم لمعرفة آداب السلوك فى المعيشة واللبس والأكل والشرب والحديث والتزاور والمجتمعات الخ. والمؤلف من كتّابنا المجيدين، وهو محمد افندي مسعود، الصحافى وصاحب جريدة «النظام» بالأمس والمحرّر الفني الآن فى نظارة الداخليـة. وقد خدم النشءَ بكتابه هذا خدمةً كبيرة، ورأت نظارة المعارف ان تقرّر « آداب اللياقة » للمطالعة فى مدارسها بالنظر الى عظيم فائدته

* جزيرة الذهب [٢] — عنوان رواية ترجمتها عن الالمانيـة حضرة الفاضلة السيدة ماري قرينة الصحافى القدير ابراهيم افندي نجّار المعروفة لدى قرّاء الجرائد برسائلهـا الاخبارية وابحاثها المتنوعة. والرواية شائقة الحوادث جميلة المغزى طلية العبارة ستلاقي من محبي المطالعة اقبالاً واستحساناً

* أعذب ذكرى — مجموعة مقالات عربيـة وفرنسية وانكليزية فى مواضيع أدبية وأخلاقية مما ألقاه نجباء مدرسة الفرير فى بيروت فى حفلاتهم المدرسية، وهي تنم عن استعداد منشئيها للكتابة وتدلُّ على عناية المدرسة بتثقيف عقول تلاميذها

---

(١) مطبعة التقدم في مصر
(٢) مطبعة جريدة الهدى في نيويرك

مسز لوتي

حادثة محزنة جرت في ضواحي الاسكندرية

بقلم أديب مصطافٍ في « كبوسيزاره »

عرف الدكتور لوتي ، طبيب الأسنان الأميركيُ الطائر الصيت في الاسكندرية ، الفتاة آسين يزبك في بيروت منذ ثماني عشرة سنة أو أكثر مدبّرةً لمنزل طبيب أميركيّ يحترفُ طبَّ الأسنان مثلهُ ، تعاونهُ آناً في مستوصفهِ ، وتعاون زوجتهُ آناً في تدبير منزلها . واتفق أنَّ ذلك الطبيب شاخ واغتنى من صنعتهِ ، فترك للدكتور لوتي مستوصفهُ ، وانتقل مع عائلتهِ الى الولايات المتحدة ، وانتقلت الفتاة آسين الى منزل والدتها ، وبعد أيامٍ أدرك لوتي قدر حاجتهِ اليها ، بالنظر الى حداثة عهدهِ في بيروت وجهلهِ بلغة البيروتيين ، فطلبها ، فأجابت والدتها :

— أنت أعزب ، وهذه بنتٌ ، وليس من عادات البنات في الشرقِ أن يعاشرنَ عزاباً

قال : إني إذاً أخطبها ، وهذه يدي !

فمدّت الفتاةُ اليهِ يدها ، وصافحتهُ ، وأصبح لوتي وآسين من تلك الساعة خطيبين ، كلٌّ منهما موْتنسٌ بالآخر وراضٍ عنهُ كلَّ الرضى

ثمَّ رأى لوتي ، بعد عقد الخطبة ، أنَّ بيروتَ أضيقُ من أن تسع مطامعهُ ، أو تُبلغهُ الشهرة التي تصبو اليها نفسهُ ، فقرَّر السفر الى الاسكندرية والاقامة فيها . وكاشف خطيبتهُ ووالدتها بعزمهِ ، واقترن قبل سفرهِ من بيروت بالآنسة آسين حتى لا يفصلها عنهُ عائق . ثمَّ ركب واياها البحر الى الاسكندرية ، وأصبحت آسين من تلك الساعة مسز لوتي

ولقد حققتِ الأيامُ للطبيبِ آمالهُ في الاسكندرية فطارت شهرتهُ ، وكثر الاقبالُ عليهِ من جميع احياء المدينة ، حتى ضاق مستوصفهُ بالوافدين اليهِ . وكانت آسين تعاونهُ في أعمالهِ ، كما كانت تعاونُ قبلهُ الطبيب الشيخ في بيروت ؛ وكانت المحبةُ تزدادُ بينهما على مرّ السنين حتى أصبحا مضرب المثل في ذلك بين جميع المعارف والاصدقاء

وولدت آسين خلالَ ذلك ولداً وثلاث بنات ، فازدادت بولادتهم روابط المحبة بين الزوجين ، وأصبح لوتي لا يترك مستوصفهُ إلاّ الى زوجهِ يباسطها ، وإلى أولاده يلاعبهم ويداعبهم . ومضى أربعة عشر عاماً وهذه حالهما من الغبطة والهناء ، لم يتكدّر صفوهما ، ولا تسرّب الى قلبيهما همٌّ

وبينما هما يمرحان في بحبوحة الرغد إذا بوالدة لوتي قدمت من الولايات المتحدة لتزور ولدها فلما اجتمعت بهِ وبزوجهِ وأولادهما ، نفرت من الزوجة وانعطفت على الاولاد ، وانطلق لسانها في تعيير أمهم وتحقيرها في أعينهم ، هازئة بها وبجنسيتها قائلة : « أنتم أميركيون ، يشرّفكم انتسابكم الى أبيكم ، ولا يحطّ من قدركم إلاّ أن يعرف الاميركيون أن أمكم آسين ! » وقد تمادت في تنفيرهم منها ، بل حرّضتهم على مقاطعتها والترفع عن ملازمتها ومصاحبتها في الزيارات وأمام أعين الناس

* * *

كانت آسين ترى وتسمع ذلك كلهُ فتكتم الكمد وتظهر الصبرَ والجلد ؛ ولم تكاشف زوجها بشيء مما تعانيه ، ولا خاطبت حماتها بكلمة عتبٍ أو ملام ، الى أن اعتراها ذهولٌ شديد ذهب بلبّها وأفقدها صوابها . فحار زوجها في علتها ونقلها بيديهِ الى المستشفى وأقام ساهراً عليها . وكأنما شعورها بعطفـهِ وحنانهِ كشف عنها ذلك الذهول ، فلم يمضِ عليها أسبوعان حتى عاد اليها صوابها . وكأنّ ما أصابها خلق في

نفسها قوّةً لم تكن فيها من قبل فباحت لزوجها من جهةٍ ، وللقنصلية الاميركية من جهةٍ أخرى ، بما تفعله حماتها فى منزلها مما كان سبب علتها

على أثر ذلك ردّ الدكتور لوتي والدتهُ الى الولايات المتحدة ، وردّ غيابها اليهِ والى زوجهِ وأولادهما تلك العيشة الهنيئة التي كانوا فيها من قبل ، غير أنها لم تطل أكثر من أربعة أعوام اذ عادت أم لوتي ، وقد عقدت عزيمتها على السفر بولدها لوتي ، وأبنائهِ الاربعة دون أمهم الى الولايات المتحدة . وكان الولد قد بلغ السادسة عشرة من عمرهِ ، وبلغت البنت الكبرى الثامنة عشرة ، والصغرى الرابعة عشرة . فاستأنفت سيرتها الاولى مع الام والاولاد ، وزادت عليها انها اغتنمت فرصة بلوغ البنات لتشويقهنَّ الى التزوُّج من بعض الاغنياء الاميركيين ، وتمكنت من استمالتهنّ اليها

ولم ترَ آسين من زوجها فى هذه المرَّة عطفاً فى شيء ، ولم تكشف له عن سريرتها لاعتقادها أنهُ لا تخفى عليهِ خافية من أمر أمهِ وأعمالها وأقوالها ، بل لزمت الصمت ، وتولتها الكآبة والحزن ، ودبَّ في فؤادها اليأس والجزع ، وباتت منغصة العيش تقضي الليالي سهداً و بكاءً ، وتصبح حيرى يتنازعها عاملان بين أن تنتصف لنفسها من حماتها وتظهر سلطتها في منزلها وعلى اولادها ، وهو العامل الأول ، وان تضحي نفسها فدًى لفلذات كبدها ولوالدهم الذي أحبتهُ وأخلصت له الودّ ، وهو العامل الثانى . ومضت عليها أيام في هذه الحيرة حتى أخذ الجزعُ منها كلَّ مأخذ ونحل جسمها ووهنت قواها الى حدّ أنها عافت الطعام والشراب ، وعجزت ركبتاها عن حملها ، فارتمت في مخدعها خائرة العزم ، وقد غلب عليها العامل الثانى . ولو علمت في تلك الساعة بأنّ زوجها نسي حبها واشتغل قلبهُ عنها بحبّ أخرى من النساء لباحت بما تكتمهُ ، بل لربما كانت اختارت العامل الأول . الاّ أنها كانت تحبهُ حبًّا مفرطاً ، ولم يكن ليخطر في مخيلتها أنهُ يخونها في عهد أو ميثاق

* * *

وفي غسق الليل الذي عقدت عزيمتها فيهِ على الانتحار ، أخرجت من خزانة أثوابها قميصاً طرّزتهُ بيدها على أن تقدّمهُ في الصباح هديةً الى زوجها في عيد ميلادهِ وفتحت نافذة غرفتهـا في كبوسيزاره وهي بقميص النوم ، وكان القمر في أتمّ لمعانهِ يتلألأ ضوءهُ على صفحات البحر العجاج ، والامواج تتلاطم وتتكسرُ على الصخور فيسمع لها هديرٌ يطرق الاذن ، وترسل في النفس بعض الرعدة والخوف . غير أن آسين لم ترتعد فرائصها ولم تنثنِ عن عزمها ، بل تراجعت وقد وطنت النفس على اتخاذ رحب البحر قبراً ، وأمواجهُ كفنا . ثم اغلقت النافذة واستدعت اليها بنتها الكبرى ، وسلمت اليها حسابات المنزل وما معها من النقود وقالت لها :

— « اني مريضة يا ابنتي ، وقد بلغتِ انتِ من العمر حدًّا يلزمكِ فيهِ ان تعلمي تدبير المنزل ، فاستلمي الحسابات »

ثمَّ قبلتها ، واستدعت ولدها وأبنتيهـا الآخرين وقبلتهم قبلة الوداع الذي لا لقاء بعدهُ . . .

* * *

وعند الساعة الحادية عشرة من ذلك الليل عادت الى النافذة ، وكان أهل المنزل نياماً ؛ فألقت نظرةً ثانيةً على البحر وأمواجـهِ ؛ ثمَّ أسرعت الى الباب ، ففتحتهُ وانسلّت منهُ الى الشاطئ حتى انتهت الى مكانٍ يشرف على غورٍ عميق ، فألقت بنفسها اليهِ

وكان زوجها قد سمع ، وهو في مخدعـهِ ، رنة الجرس في باب المنزل عند خروجها منهُ ، فظنَّ انَّ شقيقـهُ قد عاد الى المنزل فى تلك الساعة . ولكن مضت بضع دقائق ولم يسمع حركةً تدلُّ على دخول قادم ، فنهض وتفقد الغرف ، فلم يرَ زوجتهُ فى غرفتها ولا فى غيرها فانطلق الى الشاطئ يبحثُ عنها ، فلم يرَ لها اثراً

* * *

عند فجر اليوم التالي نهض شقيقهُ « هرّي » مبكراً ، وهو يجهلُ ما حدث ، واطلّ بمنظارهِ على البحر ، فكان اولُ ما وقعت عينهُ عليهِ جثةً متفخة ضاق عنها قميصها فتمزّق . فنادى شقيقهُ الطبيب ، فأقبل يتبعهُ اولادهُ الاربعة ، فما ابصروا الجثة تتقاذفها الامواج ، حتى صاح الرجل من اعماقِ قلبهِ :

هذه زوجتي . . !

وصاح الاولاد :

هذه أمنا . . !

وخنقتهم العبرات ثمّ تراكضوا واخرجوا الجثة وقد اقتضى استخراجها من البحر استخدام اربعة من الرجال ؛ فستروها ببعض الملابس وحملوها الى المستشفى ومنهُ نقلت الى المرقد الاخير . . .

* * *

هذه حكاية مسز آسين لوتي التي روت الصحف خبر انتحارها في هذا الصيف ، وفي قصتها عبرة وعظة

﴿ الثعلب والعوسجة ﴾

قيل انّ ثعلباً أراد مرّةً أن يصعد حائطاً ، فتعلّق بعوسجةٍ ، فعقرت يده ، فأقبل يلومها ؛ فقالت له :

يا هذا لقد أخطأتَ حتى تعلقت بي ، وأنا من عادتي أن أتعلق بكل شيءٍ

ابن حمدون



منشئ المجلة
انطون الجميل



الجزء السابع　　نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٣　　السنة الرابعة

نابوليون الاول

والمقابلة بينه وبين أعظم مشاهير الرجال

وهو فصل من كتاب تاريخ الأمبراطورية لموسيو تيارس الفرنسوي

بقلم حضرة الشيخ سليم خطار الدحداح

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

نبدأُ بترجمة المؤلف وقد اخذناها ملخصةً عن أشهر المعجمات التاريخية واحدثها عهداً :

هو المسيو لويس ادولف تيارس من أشهر الكَتَبةِ في جيل الفرنسيس لهذا العهد ، ومن أعلامِ ساستها العظام . وُلِدَ في مدينة مرسيليا في الخامس عشر من نيسان (ابريل) سنة ١٧٩٧ لابوين فقيرَين . وكان أبوه أحدَ فعلةِ إدارة المرفإِ في تلك المدينة . وكانت امهُ مولودة الشرق في بيتٍ فرنسوي النجار ولها صلة قربى مع عائلة « شينيه » التي نبغ منها في تلك المدة الشاعران المشهوران . ويظهر أنَّ والدَ الموسيو تيارس تُوفي وهو في حال الصغر ، فاخذتهُ عائلةُ امهِ وربتهُ عندهــا ، وكانت مع فقرها أحسنَ حالاً من أبي صاحب الترجمة . وكانت لا تخلو عن بعض علاقاتٍ مع أُلي الوجاهةِ والنفوذ في تلك المدينة ، فأُتيحَ لها نظم لويس في

عداد طلبة المدرسة الرسمية المسماة « ليسه ده مارسابيل » بلا مُقابل ولا عوَض .
فمكثَ فيها مدةً طويلةً ، حتى أتمَّ دروسه الثانويّة ، وحاز قصَبَ السبق في أكثر
المراتب والحلقات المدرسية – وكثيراً ما يَقعُ مثلُ ذلك للتلاميذ الفقراء في بيوت
العلم ، لما يُكثرون من الجدِ والأجتهاد مُكبّين على التحصيل رجاء المصير الى غايةٍ
تترقىَّ بها حالتهمُ الوضيعة. وفي حالِ خروجهِ من المدرسةِ المذكورة دخل كلية مدينة
« اكس[1] » حيثُ تلقى فنَّ القوانين والحقوق . وحصل في سنة ۱۸۱۹ على
شهادة المحاماة . وفي هذه المدرسة الكليّة تعرَّف بالموسيو « مينيه » ، واستمرَّا
صديقين عزيزين الى آخر حياتهما . وقد ظهر تيارس ، وهو تلميذٌ ، كما عُرِفَ في
سائرِ حياتهِ مجتهداً محبًّا للعلوم والمعارف ، ميَّالاً الى عدم الاقتصار على اتّباع خطةٍ
واحدةٍ ، شأنَ من طُبع على مساماةِ الأمور الجسام ، وتوقد الذهن والحماسة

وفي سنة ۱۸۲۱ قدِم تيارس مدينة باريس ، وكانت حينئذٍ فرنسا في قبضةِ
الملوك البوربونيين ، وجميع شعبها في اضطرابٍ بداعي تلاطمِ أمواج السياسة ،وادبار
المملكة ، ومصيرها الى الهون ، بعد انكسارات نابوليون الأول وتقهقرِ الدولةِ بعد
عظمتها ، ولشمول شدَّة القلقِ قلوبَ الشعبِ ، وتوزُّع خواطرِ الفرنسيس بين
حبّ الملكيين و بغضهم ، والميل الى الجمهورية أو الأسف على الأمبراطورية .
فجاء تيارس ملتجئاً الى « مانويل » ، وهو إذ ذاك أحدُ نوَّاب مجلس الأمة
المعاكسين للبوربون ، فمضى بهِ الى المثري « لافيت » ، وعرَّفهُ بهِ وقدَّمهُ لهُ ،
وكانا كلاهما من أصدقاء الدوق دورليان رئيس الفرعِ الآخر الملكي (وهو الذي
ملك فيما بعد باسم لويس فيليب من سنة ۱۸۳۰ الى سنة ۱۸٤۸) وهكذا توصل
تيارس دفعةً واحدة الى أعلى المراجع ، وتعرَّف بأشهرِ رجالِ الأمة وأخذ يجتهد
و يسعى حتى أحرز ذكراً متشاهراً . وقد أُشرب في قلبهِ لأول وهلةٍ بغض الاسرة
المالكة ، وجعل همَّهُ السعيَ لقلبها وإركاسها ؛ وأخذ يُساعد في انشاء جريدةٍ
شهيرة مدعوة « كونستيتوسيونل » أي الدستوريّ واتّفق أن دخل صديقهُ مينيه في

(۱) مدينة في جنوبي فرنسا وهي ومرسيليا في ولاية واحدة

تحرير جريدة « كوريه فرانسه » ، وشرع تيارس منذ سنة ١٨٢٣ في وضع «تاريخ الثورة الفرنسوية » فأكملهُ سنة ١٨٢٧ . فجاء تأليفاً كبيراً ذا عشرةِ أجزاء بحثَ فيها عن أسبابِ الثورة وحوادثها ونتائجها ، وأعمال دولة فرنسا في خلال السنوات العشر المنقضية بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٩ ، منذ أُخذَت قلعةُ الباستيل الى ان استأثر بونابرت بالسلطة

ولكن يؤخذ على المؤلف في هذا التأليف فرطُ تشيُّعـهِ لدعوة أهل الثورة ، وشدَّة استسلامه للتقاديرِ ، واضطرار الرجال والناس الى التسليم بهذا المعتقَد القدَريّ غير أن هذا التاريخ ، على علاَّتهِ ، قد جعل لصاحبهِ منزلةً رفيعة بين أدباء فرنسا وأوربا بأسرها حتى صار يُحسَبُ من رجال الدنيا المعدودين

وفي غرَّة عام ١٨٣٠ أنشأ هو وميِنيه وأرمان كارول جريدةً سياسيةً ، دعوها « الناسيونال » ، وكان لها شأنٌ كبير فى هبوط شارل العاشر من علاه آخر تموز (يوليو) من تلك السنـة . ثم انَّ تيارس و بعضَ أصحابهِ هم الذين زيَّنوا لويس فيليب للشعب ؛ وكان تزيينهم اياه أقوى سببٍ في صيرورته ملكاً على فرنسا . فأخذ هذا يقرّب اليهِ تيارس مكافأةً لهُ على خدمه . وكان من ثمرات تقرُّبهِ انهُ عاضد وزارة لافيت[1] . ثم لمّا انقلبت هذه الوزارة ، عمد تيارس الى تعزيز وزارة كزيمير برّيي الشهير . ومن بعد موت هـذا السياسي ، انتظم تيارس فى سلك الوزراء إذ سُمّيَ ناظراً للداخليـة ، وذلك فى ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ . وأشهر ما كان لهُ فى عهـد وزارتهِ توصّلهُ الى القاء القبض على الدوقة دى برّي ، والدة الكونت دي شامبور ، التي كانت ساعيـةً لايقاظ راقدِ الفتنة ، وإيقاد نار الثورة ، مُطالبةً بحقوق مُلكِ إبنها الارثية على فرنسا ولكن يُؤخذ على وزيرنا الوسائط الغير الشريفة التي استعملها مع آلته دوتز الاسرائيلي طلباً لهذه الدوقة الأسيرة

ومنذ ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ الى ٢٩ من تشرين الأول

---

(١) ان العادة قد غلبت على تسميـة الوزارة باسم رئيسها أو باسم أهم شخص من أعضائها

سنة ١٨٤٠ أي في مدة ثماني سنين كاملة تولى تيارس منصة الوزارة عدة مرارٍ ، فكان تارةً في وزارة الخارجية وأخرى في الداخليـة ، وأحياناً في وزارة المعارف ، وكثيراً ماتولى كلاً منها على حدةٍ ، أو احداها منضمةً الى رئاسة الوزراء وأظهر في جميعها قوَّة جنانٍ ، ورباطة جأشٍ نادرتين غريبتين . واشتهر بمحافظتهِ على كل ما يؤولُ الى مجد فرنسا ، وبنزعته الى إضعاف سلطة الملك الذاتية . وهو الذي حدَّد القوانين الدستورية بهذه الكلمات الشهيرة « المَلِكُ يملكُ ولا يحكم »

وفي ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٨٤٠ حدث انَّ اللَورد بلمرستون السياسي الانكليزي تمكن من عقد محالفة اوربية دون إدخال فرنسا فيها ، قصدَ طردِ رجال حكومةِ مصر من سوريا والاناضول . فبلغ ذلك الموسيو تيارس ، وكان حينئذٍ رئيساً للوزارة وناظراً للخارجية ، وابتدر إنكار هذا العمل محتجًّا على صاحبهِ ، وحمل المَلِك على إظهار الاستياء ممّا كان ، وما زال بهِ حتى اضطرّهُ الى تحصين باريس ، وتعبئة جيوش فرنسا ، وتسليح صنف الرديف والجند الاحتياطي ، طلباً لشرف فرنسا . وتأهَّبَ للحرب ولكنَّ الملكَ تخوَّف من هذه الاستعدادات ، وأوجبَ على وزيرهِ أن يدَعَ المنصب مستقيلاً ففعـل . وكان تيارس في مدَّةِ وزارتهِ قد حَصَل من لَدُن الانكليز على الرخصة بنقل رفات نابوليون الاول الى فرنسا

ثمَّ خلف تيارس على الوزارةِ مناظرهُ المؤرّخُ غيزو الشهير ، وكان جانحاً الى السلم ومُطاوَعةِ الملك . أمَّا تيارس فانهُ بهذين العملين الاخيرين ، وهما نقلُ بقايا نابوليون واستعدادهُ لمحاربة أوربا ، قد استمال الشعبَ اليهِ وحصل على محبتهِ وثقتهِ ، واستمرَّ تيارس مدَّةَ السنوات الثماني التي مضت على زوال وزارته وسقوطه من منزلته الى حين خلع الملك لويس فيليب ، رئيساً لجميع المناوئين الذين حاولوا اهباط غيزو . . .

وفي الـ ٢٤ من شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ خُلع لويس فيليب من تخت الملك ، فانحاز تيارس الى الجمهورية ، وكان قد شرع بتأليفِ تاريخ لحكومة نابوليون الاول سمَّاهُ الحكومة القنصلية والامبراطورية Le Consulat et l'Empire

وفي عهد الجمهورية الثانية (من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٥٢) كان عضداً للجمهورية ونائباً في المجلس . ولما تولى لويس نابوليون رئاسة الجمهورية ، كان تيارس في عداد خصومهِ . وبالجملة فقد آل الامر بتيارس الى أخذهِ مع من سيقوا الى السجون بحادثة ثاني كانون الاول سنة ١٨٥١ ووضع في سجن قلعة مزاس بضعة ايام ثم أبعد عن فرنسا وفي شهر آب سنة ١٨٥٢ أذن له في الرجوع الى وطنهِ فعاش فيهِ مدة احدى عشرة سنة بعيداً عن السياسة والحكومة ملازماً الوحدة والانفراد منقطعاً الى التأليف فأكمل في سنة ١٨٥٧ كتاب الحكومة القنصلية والامبراطورية السابق الذكر فجاء تأليفاً نفيساً في عشرين جزءاً لم يسبقهُ احد من المؤرخين الى ما وصل إليهِ فيهِ من الدقة والصدق وعلو طبقة الكتابة وخلوّها عن شوائب الكلفة . ومن سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ انتخب نائباً في مجلس الامة وكان من أعظم معاكسي نابوليون الثالث وقد اشتهرت خطبتهُ سنة ١٨٧٠ مخالفة للرأي في شبوب الحرب على بروسيا . وبعد أن شبَّت نارها واشتدَّ اوارها ودارت على فرنسا الدوائر وأسر نابوليون الثالث كان تيارس في عداد الداعين الى تشييد الحكومة الجمهوريّة وذهب من قبل الحكومة الجديدة معتمداً الى لندرة فڤيانا فبطرسبورج ففلورنسا سعياً وراء الحصول على مساعدة واحدة من انكلترة أو النمسا أو الروسية أو ايطالية ضد دولة بروسيا المتصرة فلم يحل باقلّ نتيجة وقد اتمَّ هذه الرحلة الشاسعة بمدة لا تزيد على عشرين يوماً على كثرة تقدُّمهِ في السن وفي الـ ٣٠ من تشرين الاول حصل بواسطة الروسية على الاذن بدخول باريس ليستجيز الحكومة في مخاطبة بروسيا عقداً للصلح

وبعد عقد الهدنة وتسليم باريس شرع الفرنساويون بتنظيم الحكومة وتجديد الانتخابات فانتخب تيارس نائباً من قبل ثلاثين ولاية فاختار النيابة عن ولاية السين على نيابات سائر الولايات وذلك في ٨ شباط سنة ١٨٧١ وفي ١٧ منهُ سمي رئيساً للحكومة الاجرائية ولمَّا شبت نار الثورة المعروفة بالكومونية أو الاشتراكية واستولى دُعاتها على باريس سلّم تيارس قيادة جيش الحكومة الى الماريشال دي مكماهون

ونال من بروسيا الاذن بزيادة عدد الجيش فافتتح مكماهون باريس بعد حرب شهر ونصف آخر وحصار اسبوع كامل . ثم ان مسيو تيارس تمكن بحكمتهِ وجدّه وتعويل الدول عليهِ من تجديد قوة ادبية لفرنسا على أثر حطمتهـا الهائلة و بعث المتموّلين على تأدية أموال الغرامة الباهظة

وفى ١٢ آب سنة ١٨٧١ انتخب رئيساً على الجمهورية وتأتّى لهُ بعد ذلك عقد مقاولات جديدة مع ألمانيا لتقريب آجال الغرامـة الحربية وخروج جنود ألمانيا من فرنسا وفى ٥ أذار سنة ١٨٧٣ أعلن المجلس ، والناس يغبرون مهللين مصفقين بالأيدي ، أن خامس ايلول عامئذٍ هو موعد خروج آخر جندي ألماني من ارض الجمهورية

فقرَّرت ندوتا النواب والشيوخ ان الموسيو تيارس قد استحق معرفة جميل الوطن . . . بيدَ أنهُ لم يستطع طول المكث والاستمرار فى منصبه ، اذ كان معظم النواب ضد الجمهورية؛ و بدا له عندئذ ،فهوّل على الهيئة النيابية بالاستقالة ، فأقيل فى الـ ٢٣ من ايار سنة ١٨٧٣ ، وأديل منهُ الماريشال دي مكماهون رئيساً للجمهورية . فاعتزل تيارس مظاهر السياسة ، إلاّ أنهُ بقي رئيساً فخريًّا لحزب الجمهورية ولمناوئي حكومة الماريشال . وفى ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ نائباً عن ولاية بلفور . وفي خلال سنة ١٨٧٧ توفي في مدينة سان جرمان وقد تجاوز الثمانين سنة من عمره فأقام له الفرنساويون مأتماً عظيماً يندر مثله . ومن آثاره الجليلة عدَّة تآليف نخصّ منها بالذكر تاريخ لاس وأعماله المالية ، طُبع في سنة ١٨٢٦ و ١٨٥٨ ، وحقوق التملك طبع في سنة ١٨٤٨ ومذهب الاشتراكيين سنة ١٨٤٩ والقديسة هيلانة سنة ١٨٦٢ (وهي جزيرة منفى نابوليون الأول) ، وواترلو (آخر مواقع نابوليون الأول) سنة ١٨٦٣

وأشهر مؤلفاتهِ كلها التأليفان اللذان ذكرناهما أولاً في سياق ترجمته ، وهما تاريخ الثورة ، وتاريخ الحكومة القنصلية والامبراطورية. وقد ختم الموسيو تيارس هذا التأليف الأخير بوضع مقابلة أو موازنة بين أعظم مشاهير الرجال – يريد بهم أشهر من جاء

ذكرهم في التواريخ الغربية من فاتحين وملوك وقوّاد — وهم بحسب تواريخ مجيئهم : الاسكندر المكدوني . وانّيبال القرطجني . ويوليوس قيصر الروماني . وشارلمان الفرنكي أو الفرنساوي . وفريدريك الثاني الكبير البروسياني . ونابوليون الاوّل

ولما رأيت طول باع المؤلّف المشار اليهِ في وضع هذه الموازنة وبيان منزلة كل واحد من هؤلاء الرجال الأعاظم خلوًّا عن ضلع أو تشيُّع أحببت نقلها الى اللغة العربية حبًّا بالافادة :

الاسكندر

هو الاسكندر المكدوني المعروف بالكبير الملقب عند العامة بذي القرنين . ولد سنة ٣٥٦ قبل المسيح وخلف أباه فيلبس على ملك مكدونية سنة ٣٣٦ اي في السنة العشرين من سنيه وتوفي سنة ٣٢٣ أي في السنة الثالثة عشرة من ملكه

نشأ الاسكندر على آداب اليونان، وتشرَّب اميالهم ونزعاتهم الى الزهو والخيلاء، وورث عن ابيهِ فيلبس جيشاً حسن الدربة والانتظام. فما لبث بعد استوائهِ على عرش الملك أن نهض للفتوح ، فسطا على اسيا وداخها اذ لم يجد الاّ مملكةَ الفرس الهابطة الساقطة، ومضى قدماً في غزواتهِ حتى انتهى الى أقاصي حدود المعمور المعروفة وقتئذ . ولو لم تثبّطه جنودهُ عن مزيد اقدام في التوغل والاستقصاء، لداوم الزحف الى البحر المحيط الهندي . ولما اضطرَّ الى القفول لم يبقَ له الاّ امنيَّة واحدة وهي تجديد غاراته واستئناف غزواته . ولا تحسبنّ أيها القارئ اللبيب ان الاسكندر كان يقصد بالفتوح نفعاً أو خيراً لوطنهِ الذي لم يكن ليقوى على الاستئثار بتلك المظاهر ، وانما كان أقصى مرادهِ بذلك تمهيد مهيع عظيم في وجه رائد مطامعه وأمانيه ؛ فغاية متمناه بُعدُ الصيت وطائر السمعة والابهة الخيالية وتحرّي مرضاة شعب اثينا

وقد ذكر المؤرّخون شهرته بالكرم والحلم والرحمة والعدل ، الاّ انهُ أقدم على

قتل أشهر قوّاد عساكره برمنيون وفيلوتاس وصديقه كليتوس [١] لانهم أطالوا ألسنتهم تنقُّصاً لاعماله المجدة

وهذه البغية واضرابها كانت ضالّته المنشودة في جميع آماله وأعماله — وما اخيبه قصداً وما اعقمها غايةً ، فهي أسفل غايات عظام الرجال، واخس شيء في مطامعهم — وبينا هو يلتمس لاخر مرة قسطاً من الراحة لجيشه، أملاً في استئناف زحفاته وحملاته مطابقاً بها الأرض من أقاصيها الى أقاصيها ، وقد تبسَّط ملاءةً بموارد الخير والترف والغبطة والهناء في اكناف آسيا، داهمته المنيَّة فقضى وهو على الارجوان مفرطاً في تعاطي الخمور والمسكرات ، منغمساً في المنكرات والملاهي والملاذ الدنوية . . . اجل ان الاسكندر قد بهر عقول كل الاجيال والشعوب ببسالتهِ وسطوته ، ولكن لا حياة في هذه الدنيا أعقم وأشأم وأبلغ في الاسراف وقلة الحيطة والصلاح من حياته ؛ فانهُ لم يجاوز بالتمدن اليوناني الى ما وراء ايونيا (وهي قسم برّ الاناضول المشتمل على ازمير الى حدود القسطنطينية) وسوريّة ؛ وقد كانتا قبله على نحو من ذلك ؛ فذهب مغادراً جيل اليونان والديار التي داسها بالفتوح في حالة الفوضى شاغبة شاغرة برجلها، حتى كأنهُ أعدَّها وجعلها باطرافها عرضة لمستحوذة الرومان : وبالحق قد فضل الفيلسوف على هذه الاعمال الفارغة أعمالَ « فيلبومن » ذلك القائد الحكيم الذي توصل ، مع عدم اشتهاره بمثل هـذه الشهرة العظيمة ، الى أن أطال حياة بلاد اليونان واستقلالها مدة بضع سنوات (للكلام صلة)

---

(١) اعظم قوّاد فيلبس والاسكندر برمنيون وفيلوتاس ابنه قتلهما الاسكندر زاعماً ان لهما يداً في مؤامرة ومكيدة كانت قد دبرت عليه . والصحيح الثابت انه فعل ذلك بهما حسداً لهما وبغياً اذ كان واجداً عليهما ساخطاً لايثارهما اباه عليه « ٣٢٩ » — . اما كليتوس فهو ابن ظئر « مرضعة » الاسكندر شب معه رضيعي لبان كاخوين حقيقيين ، ثم عدا عليه الاسكندر في حال السكر وقتله لانه فضل اعمال أبيه على أعماله وأنبه على قتله برمنيون « ٣٢٦ » . — وكان كليتوس قد نجاه من رجل فارسي كان أوشك أن يفتك به في واقعة ايسوس

التدبير المنزلي

في مدارسنا ومعاهدنا العلميـة نهضةٌ حقيقية تناولتْ جميع فروع التعليم والتدريس . ولنظارة المعارف على هذه الحركة المباركة يدٌ تُذكرُ مع الشكر الجزيل . وقد أصابت مدارسُ البنات قسطاً وافراً من هذه النهضة ، وأصبحت تتدرَّجُ شيئاً فشيئاً في مدارج الترقي والكمال . ومن الموادّ التي وجَّهت اليها النظارة اهتماماً خاصاً ، درس الاقتصاد المنزلي ، ولا يخفى على أحد ما فى هذا العلم من الفوائد الجمة

وقد أحببنا بهذه المناسبة ان ننقل هنا شيئاً عن مزاولة ذلك التعليم في بريطانية العظمى اطلعنا عليهِ حديثاً في احدى المجلات[1] لعل النظارة تجد فيهِ ما يقع لديها موقع الاستحسان

أعارت بريطانية العُظمى ولا سيما انكلترا تعليم تدبير المنزل اهتماماً عظيماً في السنوات الأخيرة ، فشادت عن سعـةٍ مدارس المعلّمات لهذا الغرض ، وأنشأت في المدارس الابتدائيـة والثانوية فروعاً خاصّـةً بتعليم الاقتصاد المنزلي . وازدرى فريق من الانكليز ذلك الفنَّ الجليل فانبرى أشهر خطبائهم وأعظم كتّابهم لرفع شأنهِ ، وأعانهم ذَوو الأمر بنفوذهم الواسع ، وشدَّدت الحكومة على ربّات المنازل في تدبير منازلهنَّ فمن ذلك مثلاً ، أنَّ إحدى المحاكم الانكليزية أصدرت يوماً حكماً على

(١) Le Musée Social: L'enseignement ménager en Angleterre et en Ecosse, par Jeanne Morin.

سيدة بالسجن والغرامة وهذه بعض حيثيات الحكم :

حيث أن زوجة ب . كانت تقضي اكثر أوقاتها أمام وجهات المخازن الكبيرة ، تتأمل القبعات والثياب المعروضة فيها ، وماليتها لا تمكّنها من ابتياع مثل هذه الثياب ؛ وحيث أنّ جيرانها وبعض مفتشي البوليس رأوا رأيَ العين قذارة بيتها وسوء ترتيبه ، وحيث أنهم رأوا زوجها يكنس ويغسل بدلاً منها الخ . فقد حكمت عليها المحكمة بالسجن الخ .

وأصدرت محكمةٌ أُخرى حكماً على امرأة بالغرامة لأنها تحققت قذارة رأس ابنتها . ولم تكتفِ الحكومة بذلك وبما فاه بهِ الخطباء ، وخطّتهُ أقلام الكتّاب مما يرفعُ شأن التدبير المنزلي ، بل أشارت بوضع شهادة جديدة تُدْعى « ليسانس الاقتصاد المنزلي » تعدل قيمة « الليسانس » في العلوم الأُخرى العالية . ولم يلبث أمرُ هذه الشهادة أن نال أهمية كبرى لدى طبقات الانكليز المختلفة . فصار اكثرهم يعتبرُها حلية المرأة ، والشرط المتمّم لتهذيبها ، مثريةً كانت أو فقيرة . وأصبح اليومَ الرأيُ العامّ يمتدح ما كان بالأمس يذمّ ، ويُعظّم ما كان يحتقر . وكانت بعض المدارس الثانوية قد أبدت علناً عدم استحسانها لهذا المشروع ، ورأت وضعَ الطبخ في بروجرامها ازاء اللاتينية واليونانية مُحطاً من قدر العلم . فلم تلبث أيضاً أن انقادت الى الرأي العام ، إِماً لاعتقادها بصحتهِ ، وإِماً اضطراراً وخوفاً من إِعراض الطالبات عنها

ولم يقعد هذا الفوز الباهر ذوي النفوذ في انكلترا عن متابعة السعي في توفير الوسائل التي تحبّب الى الشابات تعلُّم تدبير المنزل والتي تحسّنهُ في

عيون الأفراد ، فأوعزت في « جلوسترشاير » مثلاً الى كلّ ممرّضة من ممرّضات المجلس البلدي أن تعود الفقراء ، وتمرّضهم مجاناً ، وأن تعلّمهم قواعد حفظ الصحة وتنظيف المسكن والملبس ، وأن تترك منزلها مفتوحاً أبداً ليدخلهُ مَن شاء رؤية حسن تدبيرها المنزلي . وقد روى بعض من زاروا تلك المنازل « أنها تلمع كالشمس نظافةً وبهجةً رغمَ بساطة أثاثها »

ولماَّ كان تعليم الشابة تدبير المنزل لا يكفي لجعلها ربَّة بيتٍ فاضلة ما لم تكن هي نفسها من متعشّقات المنزل ومعيشتهِ وواجباتهِ ، فقد رأت بريطانية أن تُرَبِّيَ حُبَّهُ في فؤادها منذ الصغر ، وأن تزرعَ في نفسها — وهي لا تزال خاليةً من كلّ زرع — ولعاً بالترتيب والتنظيف والاقتصاد لا تؤثّرُ فيهِ طوارئُ الحياة وأدوارها ، فأفسحت لتعليم تدبير المنزل مجالاً واسعاً في بروجرام تعليم مدارس الأطفال والمدارس الابتدائيـة والثانوية وفي الجامعات الكبرى . فغدا بذلك أمر الاهتمام بشؤون المنزل يُرافق الفتاة كلَّ أيام دراستها ، كما يُرافقها سائرَ أيام حياتهـا بعد خروجها من المدرسة إذ تصبح ربَّة منزل

﴿ طرق تعليم تدبير المنزل ﴾ سبقت ألمانيـة وبلجيكة وأميريكة بريطانية العظمى الى هذا العلم ، وخبرته السنين الطوال ، ورأت بريطانية أن تستفيدَ من ذلك الاختبار ، لتتقي الوقوع فيما وقعت فيهِ تلك الدولُ من الخطإِ ، فوجَّه وزير المعارف الى تلك البلاد الإرساليات لدرس طريقة التعليم المثلى . ولم يلبث المرسلون أن عادوا اليهِ بتقاريرهم فعرضهـا على المدارس ، وأجاز لكلّ مدرسةٍ ان تختارَ الطريقة التي تراها ملائمةً

لمركزها وظروفها ، عازماً على تقرير أوفاها بالغرض وأحسنها نتيجة في بروجرام المدارس . على ان كلّ هذه الطرق المتّبعة الآن ، وإن فَضُلَ بعضُها البعضَ الآخرَ قليلاً ، طرقٌ حسنةٌ سهلة ، تسير بالطالبة ، خطوةً خطوة ، من أوّل الطريق حتى آخره دون ان تكلّ أو تملّ

﴿ مدارس الأطفال ﴾ الغالب الآن في هذه المدارس الاقتصار على تعليم الصغيرات إزالة الغبار عن الأثاث ، وترتيب الأمتعة بخلاف هذه المدارس في المانية . فانها تعلمهنَّ أيضاً مبادئَ غسل الثياب وطبخ الأطعمة

﴿ المدارس الابتدائية ﴾ تُعطى طالباتها في لندره ٦٠ أُمثولة في فنّ الطبخ يستغرق كلٌّ منها ٣ ساعات ، ولا تأتي التلميذة عليها إلاَّ وتكون قد أَلمَّت علماً بكلّ أصناف الطعام والحلوى وباصطناع الخبز ، وبطرق حفظ الفاكهة والبقول زمناً ، وبطبخ بعض المآكل للمرضى والأطفال

و ٤٠ أمثولة في غسل الثياب وكيِّها على أَحدث الطرق بما فيها الثياب الصوفية والملوَّنة ، وفي رتق البالية منها

و ٤٠ أمثولة في تدبير المنزل وتنظيفه ، وفي منع أضرار المراحيض والمداخن وتطهيرها ، ودروساً أُخرى في قواعد حفظ الصحة والعناية بالأطفال ، وفي علم الحيوان والنبات ، وفي طرق معالجة الأمراض والطوارئ الفجائية ، ريثما يحضر الطبيب ، وفي مضار الكحول ، ودروساً في علم الاقتصاد المنزلي ، وتنسيق الصرف على نسبة الدخل

غير أنَّ هذا البروجرام يختلفُ قليلاً باختلاف المقاطعات ، ففي « جلوسترشاير » مثلاً تراجِعُ الطالباتُ قبل الانتقال الى المدرسة

الثانوية في ١٠ دروس كلَّ ما تكون قد تعلمتهُ في المدرسة الابتدائية

وفي « لينستر » تبدأ الابنة دروسها ، وهي في السابعة من عمرها ، وتُعطى في السنة ٥٠ أمثولة في الطبخ ، يستغرق كلٌّ منها ساعة واحدة ، فإذا ما بلغت الحاديةَ عشرةَ ، تُعطى ٥٠ أُمثولة أُخرى في الغسل . فتبلغ بذلك ساعات درسها المئة سنوياً

وفي « ليفربول » تتعلم التلميذات بعض القواعد الصحية عن ظهر قلوبهنَّ ، كما يتعلمنَ هنا معاً بصوتٍ مرتفع الحروفَ الهجائية . فمن تلك القواعد التي يرددنها : « من يحفظ فمهُ نظيفاً لا تؤلمه أَسنانهُ » و « حيث لا تدخل الشمسُ يدخل الطبيب » . وغيرها من نوعها . أمَّا فيما يختص بتعليمهنَّ العنايةَ بالأطفال ، فإِن المعلِّمة تقودهنَّ فرقاً الى مهد الطفل عند أُمه ، حيث تُريهنَّ رأيَ العين كيفية الاعتناء بالطفل ، وملاعبته ولفّه وتقميطه الخ . وقد تمكنت إِحدى هؤلاء الطالبات بهذه الطريقة من الاعتناء بأخيهـا كلَّ الزمنِ الذي قضتهُ والدتها في المستشفى ، وكان عمرهُ عندما عُهد بهِ الى عنايتها ١٤ يوماً

﴿ المدارس المركزية ﴾ ورأت بعضُ المدارس تعـذُّر وجود جميع الأدوات والمعدّات اللازمة لتعليم تدبير المنزل في كلّ واحدة منها ، فاتفقت على انشاء معهدٍ مركزي عمومي ، اشتركت في تأثيثهِ ، فتذهب اليه طالبات كل مدرسة منها في مواعيد معيَّنة ، حيث يتعلمنَ تدبير المنزل نظرياً وعملياً وفي هذه المدارس المركزية قسمٌ ليليٌّ لتعليم الشابات

﴿ التعليم في المنازل ﴾ ومتى تقدمتِ الطالبـةُ قليلاً في هذا الفنِّ

تذهب مرَّةً في الشهر الى منزل إحدى المعلّمات ، فتُدِيره بمعرفتها ليتسنى لها بذلك تطبيق القواعد العلمية المدرسية على العمل في بيتٍ منفردٍ

وفي « تشستر » و « ليفربول » يؤجّر المجلس البلدي لهذا الغرض بأجرٍ متهاودةٍ منزلاً مؤثثاً لمعلّمات المدينـة ، مشترطاً عليهنّ في مقابل ذلك أن يكلنَ ترتيبهُ الى تلميذات المدارس الابتدائية . وقد أبدت كثيرات من هؤلاءِ التلميذات مهارةً عظيمةً ونشاطاً وذكاءً في العمل ؛ وكثيراً ما توصل البعض منهنّ الى اصطناع أبدع أمتعة المنزل من أشياء قديمة بالية لا قيمة لها . فمن ذلك أنَّ إحداهنَّ أخذت مرَّةً صندوقاً للشحن، وكستهُ قماشاً ظريفاً ، وزانتهُ برسوم جميلة ، فكانت منهُ مكتبة بديعة المنظر تليق بردهة استقبال . وحوّلت أُخرى جرابات صوف باليـة الى ثوب طفل يصلح للأعياد ، واصطنعت غيرُها من علب الحلوى اطاراً للصوَر متقناً جميلاً . ولا ريب في أنَّ مثل هؤلاءِ الطالبات يحوّلنَ منازلهنَّ الى جنَّات غناء

ولا تُتِمُّ الابنةُ دروسها الابتدائية إلاَّ وتكون قد خاطت كلَّ جهازها من القميص حتى القبعة ، ومهرت كذلك في التمريض والعناية بالأطفال ، وفي الغسل والطبخ ، وفنون الاقتصاد ، واصطناع الأبسطـة ، وتنجيد المقاعد والكراسي ، والرسم والتصوير وسائر الأشغال اليدوية

﴿ الاقتصاد المنزلي في المدارس الثانوية ﴾ لم تفسح هـذه المدارس لتدبير المنزل المجال الذي أفسحتهُ المدارس الابتدائية ومدارس الأطفال ، وذلك لأنَّ الطالبة تدخلها وقد أضحت من فضليات ربَّات المنزل ، لا ينقصها الاَّ النزر القليل ، فتراجع فيها كلَّ ما تعلَّمت قبلاً مع التطويل

والإسهاب . وقد أرادت بعضُ هذه المدارس أن تصبغَ علم تدبير المنزل بصبغةٍ علمية ، فضمّتهُ الى علمي الطبيعيات والكيمياء ، وزادت فيهِ تعليم الطالبات كيفية تطبيق المبادىء الكيماوية على الشؤون المنزلية ، فتوسّعت في درس المواد التي يتركب منها كلُّ نوعٍ من أنواع الأغذية وكيفية تحولها الكيماوي بالطبخ والاختمار ، وفحص المآكل بالمجهر ، وطريقة اصطناع المسكّرات والحلويات ، ودرس محلولات خاصة بتنظيف الأمتعة والأقمشة ، وغسلها من أصوافٍ وأجواخ وحرائر وجلد ورخام وزجاج وخشب ، وكذلك في علم الفسيولوجيا والعلوم الرياضية كالجبر والهندسة ، وعلم المثلّثات ، ومبادئ علم الآليات ، وبعض دروس مالية وتجارية ، كتسليف النقود والاسترهان ، وتحرير العقود والصكوك ، ومسك الدفاتر الى غير ذلك مما يطولُ شرحهُ

﴿ مدارس المعلّمات ﴾ أما المعلّمات المكلّفات بالتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية فيتعلمنَ في مدارس عالية خاصة بتحضيرهنّ للتدريس تُعدّهنّ للشهادات المنزلية العليا المقبولة من الحكومة ، وتؤهلهنّ للتعليم برواتب تتراوح بين ٧٠ و ٣٠٠ جنيه سنوياً . ولا تقبل هذه المدارس إلاّ حاملات الشهادات الثانوية . ومن أشهرِها مدرسة « كلافام » في لندره ، ومدة التعليم فيها ٣ سنوات . ومما تتناوله دروسها علم الحياة ، وعلم الميكروبات ، والحقوق المدنية ، والاقتصاد ، ومسك الدفاتر

ومن هذه المدارس كلية تدبير المنزل في « ايدنبرج » وفيها ، عدا ما تقدَّم ذكره في الكليّة السابقة ، أقسامٌ خاصّة بتعليم كلّ فرعٍ من

فروع تدبير المنزل على حدة ، فتقصده كلُّ فتاة تروم الاختصاص بفرع من هذه الفروع ، وتخرج منهُ بعد ٦ أشهرٍ بشهادة « مربية أولاد » أو « مدبّرة منزل » أو « طاهية » الخ

وتُلقي كلية ايدنبرج أيضاً في العاصمة والضواحي محاضراتٍ في حفظ الصحة والتمريض والعناية بالأطفال وما شابه ذلك

فنرى أنّ التعليم المنزلي في بريطانية قد كاد يبلغُ حدَّ الكمال وهو لا يزال في طورهِ الأوّل ، فإنهُ في حالتهِ الحاضرة يمكّن كلَّ انكليزية من اتقان شؤونها المنزلية ، ويعلّمها كيف تُؤَثث منزلها بنفسها ، فتصنع الأبسطة ، وتحبكُ قشَّ الكراسي ، وتُصلح الأقفال ، وتزين الجدران والأمتعة بالرسوم والنقوش ، وتتعهد بنفسها زرع أزهار حديقتها ، وتقي تلك الازهارَ في غرف المنزل من الذبول السريع ، وتختار الألوان التي تتفق مع بعضها بعض في تنسيق الأمتعة وترتيبها بذوقٍ يزيدها جمالاً ورونقاً ؛ فتجعلُ منزلها شعاعاً من نور نفسها ، ونسمةً من حياتها ، يُنير ويُحيي الأفئدة التي يضمُّها بين جدرانهِ . ولقد صدق الوزير الانكليزي الذي قال : إنّ إدارةَ المنزل جيداً تستدعي من المقدرة والبراعة والذكاء فوق ما تستدعيه ادارة مملكة واسعة »

ولا ريب في أن مثل هـذا التعليم في مصر ، يؤثر تأثيراً سعيداً في الحياة العائلية وفي أخلاق الأمة وصحة عقولها وأبدانها ، وفي سلامها ونجاحها ، ويصرف اهتمام شابّاتنا عمّا لا يجديهنّ نفعاً الى ما يضمن سعادة أسرِهنّ

هند اسكندر عمون

الضمير

الضميرُ قوّةٌ من قوى النفس، بها يُقابل الانسانُ أعمالهُ على الناموس الأدبي، ويشعر بالسرور أو الكدَر لمطابقة أعمالِهِ لذلك الناموس أو لمخالفتها. فالضمير يستحثُّ الانسان على إتمام الواجب، ويدفعهُ على عمل الخير، أو يبكّتهُ على ارتكاب المنكر. فهو بشير السعادة الأبدية، ونذير الهلاك الدائم

ليست أفعال الحيوان ناجمةً عن شعورٍ بوجوب قضائها، وتحتُّم إجرائها. بل هي ناتجةٌ إما عن خوفٍ واقع، وإما احتياج دافع. وليس الانسان كذلك، بل انّ المبدع الحكيم خصّهُ بطبيعةٍ أدبية، وصفاتٍ كمالية فطرية. فسنّ له ناموس المحبة الكامل، وجعل له قائداً يُرشدهُ اليهِ، ودليلاً يدلهُ عليهِ، وما ذاك المرشد الدليل إلاَّ الضمير

إذا أردنا أن نحكم على أعمال الغير، نتصوَّر ما يبدو لنا من أعمالهم وما ينبئ عن أفعالهم. ونقابل ذلك على الناموس الأدبي، فيتّضح لنا ما ينطبقُ عليهِ، وما يشذُّ عنهُ، ومن ثَمَّ يكون حكمنا صحيحاً مبنياً على التحقيق، صادراً عن العقل الأدبي وليس عن الضمير، لذلك لا نشعر في هذا الحكم بخزه ولا بمدحه

وليس الضميرُ معلولَ الخوف، اذ انهُ موجودٌ في من تسنَّموا أسمى المراتب، واستلموا زمام الأمور، يديرونها كيفما شاؤوا وشاء الهوى، تخافهم الجميع ولم يخافوا أحداً

وليس الضمير أثراً لملكةٍ استحكمت في الأذهان بالتكرار، ورسخت في النفوس مع تمادي الأدهار، ولا مما تدعو اليه قوّة الوهم، أو صلاح المعيشة، أو حبُّ السلام، فان هذه عللٌ متباينة في ذاتها، فضلاً عن تفاوت الأشخاص، في الميل اليها، والاستعداد الفطري لقبولها، فعلولاتها تكون مختلفة في الماهيــة ومتعدّدة، والضمير لا يتعدّد في الانسان، ولا تتفاوت ماهيته باختلاف الأحوال والأزمان

وقد خلط بعضهم الضمير مع البواعث الأدبية كالميل للرحمة، وايثار العدل، وحبّ الحقيقة . هذه البواعث هي غرائز أدبية، ضرورية لارشاد الانسان ولا سيما في حالته الأولى، حينما كان حجاب الجهل مسدولاً، وهي تظهر في هيئات خصوصية معدودة، وافعال محصورة محدودة، ولا تتضمن واجباً كالضمير، فضلاً عن أنها كثيرًا ما يعارض بعضُها بعضاً، فهي مفتقرة الى قانون يُنظّمها : تعطف الغنيّ عواطفُ الشفقة على الفقراء وتدفعهُ لمساعدتهم، ولربّما جنح بعضهم من جراء ذلك الى الخمول، فانقطع عن العمل، متربعاً على بساط الكسل، فتكون الرحمة لمثل هؤلاء ظلماً، والاحسان اليهم إساءةً وجرماً

وكثيرًا ما تكون الرحمة واجبة، حيث العقاب ضروري اقتضاءً للعدل؛ فان كان العدل مجرّداً، لا دخل للمحبة فيه، تعذّر وجود الرحمة . لذلك لا بدّ لهذه البواعث من شروطٍ تجب مراعاتها، ونظام تجري عليه، حتى الحقيقة فانها لا تقال في كل الأوقات

والضمير يشابه العقلَ في بعض أعماله : فانّ من أعمال العقل

إدراك الأوليَّات ، نحو كل جسم موجود في مكان ، وكل تغير حادث في زمان ، وكل حادث له سبب وما أشبه من البديهيات التي لا تفتقر الى برهان ، ولا يختلف فيها اثنان

كذلك من أعمال الضمير ما هو بديهي لا يحتاجُ الى شروط ووسائط ، كالرغبة في الخير والابتعاد عن الشرّ ، تسديداً لمطالب الناموس الأدبي ، الآمر بعمل الخير ، واجتناب الضير . فمن آثر الشرَّ على الخير يسيء لنفسهِ أولاً ويضعف صوت ضميره ، لعدوله عن سبيل الحق المنير وتسكعه في ظلمات الغرور

وقد يحول بين الضمير والحقيقـة حجابٌ من نسيج الجهل ، أو فاصل من مادة المآرب الشخصية ، أو غشاء من ظلمة التهوُّر في دنايا الدنيا فيجنح المرءُ الى الشرّ بدلاً من الخير ، ويشتري الضلالة بالهدى ، ويسقط من أوج الفضيلة ، الى أقصى دركاتِ الرذيلة ، وبئس المصير ، مصير المنافقين

أمَّا المستقيم في أعماله ، الصادق في أقواله ، المتحلي بحلى الفضائل السالك في منهج الكمال ، فله من راحة ضميره الحيّ سرورٌ لا يحيط بهِ الوصف ، ولا يقوى على تبيان محاسنه البيان . سرور لا يدانيه في التأثير جمال المناظر الطبيعية ، ولا عذوبة الانغام الموسيقية ، فلا غرو إن قيل :

إن الضمير صوت الله في الانسان　　　جرجس عبد الملك

الشرق وأبناؤه

اعتاد دولة الامير الخطير ، « محمد علي باشا » ، شقيق الجناب العالي الخديوي أن يقوم في كل سنةٍ برحلةٍ في ناحيةٍ من انحاء العالم ، وأن يدوّن عند عودتِهِ آراءه وملاحظاتِهِ ووصفَ ما رأى وشاهد في كتابٍ ينشرُهُ ويهديه الى أصدقائِهِ تذكاراً لرحلته . وقد سافر في العام الماضي الى الولايات المتحدة ، وعرف القرآء من الصحف اليومية ضروب الحفاوة والإكرام التي قام بها السوريون في العالم الجديد ترحيباً بالأمير الشرقي المصري الكبير . فنشر دولته في كتابٍ تفصيل رحلتِهِ هذه ، وذكر السوريين بكل اطراء ، واثنى على همّتهم وإقدامهم ، واحتفاظهم بقوميتهم العربية في أقصى الاصقاع . ونحن اليومَ ناقلون عن هذا الكتاب الجليل صفحةً عن حالة الشرق ، عسى أن يكون فيها عبرةً وذكرى . قال الامير حفظه الله :

إنَّ الثلاثين سنة التي قضيتُ معظمها جائلاً في أنحاء أوربا ، والتي لا أُنكر المزايا التي اكتسبتها فيها بمعاشرتي واختلاطي بكبراء رجالها المفكّرين والمصلحين ، قد زادت في قلبي حبَّ بلادي وتعلُّقي بالشرق والشرقيين . فبكلّ جوارحي أُنادي « فليعش الشرق وأبناؤه ! »

جديرٌ بنا أن نفتخرَ ببلادنا العزيزة ، مهبط الأنبياء ، ومنبع الأديان وأصل التاريخ ، ومصدر التمدين . فذكرُ مجد الشرق يُحزنني . فأين نحن الآن من عظمتنا الماضية ؟ أُلقوا معي نظرةً في تاريخ حياة أجدادنا . انهُ كان مجيداً : فكم بلادٍ فتحوها بشفار سيوفهم ، وكم أمم أخضعوها بقوّتهم وشدّة بأسهم ! إنهم لم يتركوا وسيلةً لإعلاء شأنهم ، واظهار عظمتهم ،

ونشر سلطانهم ، الاَّ اتخذوها ، مقْدِمين عليها بلا خوفٍ ولا وَجلٍ . ولم يدَعوا باباً يوصلهم الى غايتهم الشريفة ، الاَّ طرقوه بدون تردُّد أو تهاون . فالتاريخ يشهد اذاً بما كان لهم من صفات الفاتحين ، كالشهامة والإقدام ، ولا سيما التفاف بعضهم حول بعض ، وجمع شملهم ووحدة كلمتهم واخلاصهم وشدَّة حبهم لبلادهم

فبالله ماذا جرى لنا حتى أصبحنا في مؤخرة الأمم المتمدينة ؟ إنَّ بلادنا لم تتغير ، رجالها هم أبناء أولئك الأجداد وأحفاد أولئك الأبطال . فماذا دهانا حتى وصلنا الى هذه الدرجة التي لا تسرّ ؟ أظنُّ أننا تهاوناً في أمورنا ، فحلَّتْ علينا المذلة والمسكنة ، وتركنا شؤوننا فغشينَا من النعس ما غشينَا »

الامير محمد علي

الرقص المصري

قال العلاّمة ويلكنسون المؤرّخ الانكليزي في كلامٍ لهُ عن الحضارة المصرية : « إنَّ نساء قدماء المصريين كنَّ يرقصنَ في الفرح والترح على السواء . وتوجد في المقابر المصرية ، في بني حسن بمديرية المنيا ، صورٌ عديدة تمثّل الراقصات وهنَّ يتمايلن طرباً وسروراً على نغمات الدفوف والعيدان . ولا يختلف رقص بعضهنَّ عن رقص البطن المعروف عند المصريين الآن . وأُضيفُ الى ذلك أنَّ لباسَ الرقص عند بعضهنَّ كان عبارةً عن نسيجٍ رفيع من القطن مفصَّل بشكل الجسم ، ومنهُ يُرى

النحر والبطن والساقان . وكان بعضهنَّ يرقصنَ بهيئةٍ قبيحة ، وفي أيديهنَّ الدفوف والصاجات »

وروى بعضُ المؤرخين أن المصريين تعلموا رقصَ البطن من الفرس، عندما أتوا الى مصر فاتحين . فأتقنتهُ نساؤهم ، وبرعنَ في حركاتهِ وسكناتهِ ، ولبثت الراقصاتُ موضعاً لاحترام العامَّة والخاصَّة ، حتى فتح المسلمونَ مصر، فدالت دولة الرقص . كما قضي على غيرها من فنون قدماء المصريين وعاداتهم

ثم دبّت روح الحياة في مصر في منتصف القرن الماضي . ووجد من سعى الى ترقية الآداب والفنون . فنهضت الموسيقى ، وارتقى الغناء ، وترعرع النثر والنظم . أما الرقص فبقيَ مهملاً ، لأن أبناء البلاد منعتهم أحكام الدين والعرف والعادات عن أن يقتبسوا عن الأفرنج الرقص الذي يشترك فيهِ الجنسان اللطيف والنشيط معاً . بل كانوا يرون أنَّ مجرَّد النظر الى راقصةٍ أمرٌ لا تجيزهُ الآداب . وكاد فن الرقص يُصبح نسياً منسياً لولا نسوةٌ من أهالي الصعيد أتقنَّهُ بعض الاتقان ، ولكنهنَّ لم يكنّ يرقصن جهراً في الأندية أو المراسح خوفاً من الحكومة

وكان بعض التراجمة والأدلآء يقودون السائحين الى بعض مواخير في القاهرة ، فترقصُ النسوةُ أمامهم بتهتُّك شائن ، وحركاتٍ معيبة ؛ بل كان بعضهنَّ يرقصنَ عارياتٍ ، فيخرج السائحون ساخطين على مصر ورقصها ، ويكتبون عن الرقص المصريّ قادحين ، بناءً على ما شاهدوا بعيونهم من الأمور التي لا ترضاها أحطُّ طبقات الأمم المتوحشة ، وكانت

كتابة هؤلاء السائحين من أكبر البواعث لحمل المصريين على مشاهدة هذا الرقص . فكانوا يبذلون العشرات من الجنيهات للتمتع سرًّا برؤية راقصة وهي تشتغل بصناعتها الشائنة

ثمَّ أخذ الرقصُ المصريُّ ينتشر شيئاً فشيئاً في الموالد التي تقام في الوجه القبلي . وقد تعلمتهُ النسوة هناك من فريق من النسوة المبتذلات اللائي أمرت الحكومة بنفيهنَّ من العاصمة وبعض جهات الوجه البحري الى مدينة أخميم

وعرفتُ منذ نحو ٣٥ سنة راقصة تدعى « بنت أبو شنب » كان يحضر رقصها الألوف . ومتى بدأت في العمل صمت الحاضرون كأنهم في معبد . فاذا انتهت طافت بهم « لجمع النقطة » فلا يقلّ ما تجمعهُ في الجلسة الواحدة عن مئتي جنيه ! !

ومن الغريب أنهُ بينما كان الرقص المصري منحطاً في مصر لا يُرى اليهِ إلاَّ بعين الإزدراء ، كان بالغاً أعلى درجات الرقي في أكثر بلاد الشرق والمغرب الأقصى . وجرى حديث في هذا المعنى منذ نحو ٢٥ سنة بين المسيو مانولي يوانيدس «صاحب قهوة ألف ليلة وليلة» ورجل من المغاربة فذكر المغربي أنهُ توجد في تونس نسوة يُجدن الرقص المصري بلا تهتُّكٍ ولا تبذُّل . فاتفق المسيو يوانيدس مع مُحَدِّثهِ على أن يُحضِرَ بعض هؤلاء النسوة للرقص في مصر . فلبَّى الطلب . وفُتِحت أوَّل قهوة للرقص البلدي في شارع كلوت بك خلف قهوة « اللوفر » في سنة ١٨٨٧

وكانت أُجرة الدخول الى هذه القهوة عشرة غروش صاغاً للدرجة

الأولى، وخمسة قروش للدرجة الثانية. ومع أنَّ المسيو يوانيدس كان يدفع لهذه الجوقة التونسية ستة جنيهات في الليلة، فإن مكاسبهِ كانت عظيمة لإقبال المصريين على قهوتهِ واعجابهم برقص أولئك التونسيات. ورأى جماعةٌ من اليونانيين أن يقتدوا بالمسيو يوانيدس فأنشأوا في العاصمة والاسكندرية وبعض مدن الأقاليم قهواتٍ عدَّةٍ للرقص البلدي. وتعلَّمت المصريَّات الصناعة، وأحكمنَ الملابس اللازمة لها. ووضع لهنَّ مشهورو الملحِّنين أدواراً يرقصنَ على أنغامها. وساعدَهنَّ على إتقانها فريقٌ من مشهوري الطبَّالين. ووضع النظام المتبع في القهوات الراقصة، وهو أن يغني المغنون دورهم، ثم تتبعهم الراقصة، فتخرج الى المرسح ملتفةً بعباءة ولا تلبث أن تبدأ بالرقص على نغماتِ العود والقانون والدربكّة، وهي تمايل في كسائها المعروف، وهو قميص من الشاش، وفوقه صدرةٌ حريرية مزركشة تستر الثديين، وتنُّورة مفوَّفة بالأشرطة المذهبة. ومتى أتمَّتْ دورها يعود المغنُّون، فالرقص وهكذا

وبلغ عدد قهوات الرقص البلدي في العاصمة منذ عشر سنوات ١٩ قهوة. ثمَّ فترت حرارة المصريين في الإقبال على هذه القهوات، فانحطَّ عددُها الى ستّ قهواتٍ، منها ثلاث مهدَّدةٌ بالإفلاس

وكانت هذه القهوات عامرةً بعددٍ يُذكر من شهيرات الراقصات، بين مصريات وسوريات وفارسيات ومغربيات، ومنهنَّ مَن حازت ماداليات من اكبر معارض أوربا وأميريكا إعجاباً بصناعتهنَّ. وبلغت أُجور الشهيرات منهنَّ نحو ٦٠ جنيهاً في الشهر

ولكن هؤلاء البارعاتِ المتفنِّنات قد تعب بعضهنَّ وملَّ ، وشاخ البعض ، واكتفى البعض بما جمعنَ من مال وعقار . فأهملنَ الصناعة . ولم يبقَ في القهوات الاّ راقصات مقلّدات لا يزيد راتب اكبرهنَّ عن عشرين جنيهاً في الشهر . ويكتفي بعضهنَّ بأخذ ثلثي قيمة ما يفتحهُ لهنَّ الزبائن من زجاجات البيرة، ويختلف ثمن الزجاجة من عشرة قروش الى ثلاثين قرشاً

وقرن بعضهنَّ الرقص بالغناء . وقد اشتدَّت المزاحمة يوماً بين اثنين من أصحاب القهوات على غانيةٍ مصريةٍ تجيد الفنَّيْن ، فبلغت أُجرتها ١٥٠ جنيهاً في الشهر عدا نصيبها في ثمن ما يُفتح لها من زجاجات البيرة والشمبانيا

ولبثت الحكومة زمناً ، وهي متأثّرة بأقوال أعداء الرقص المصري فصادرتهُ، وأمرت باقفال بعض مراسحهِ . فقاضاها أصحاب هذه المراسح أمام المحاكم المختلطة ، فأصدرت محكمة الاستئناف حكماً قالت فيهِ « إنَّ الرقص المصري فنٌّ من الفنون الجميلة ، وليس فيهِ شيء مخالف للآداب بالمرَّة »

ولكن هـذا الحكم لم يقنع الكثيرين من أدباء المصريين ، فحمل الأديب الكبير محمد بك المويلحي على الرقص وأنديته حملةً شعواء في كتابهِ « حديث عيسى بن هشام »

وزار المستر رودي الكاتب الانكليزي قهوة « النوفرة » عند ما كان يرأس تحرير جريدة الاجبشن ستندرد أحد ألسنة الحزب الوطني ، فأعجب بها ، وأعلن اعجابه في مقالة نشرها في تلك الجَريدة ، فقامت قيامة الصحف المصرية عليهِ ، واتَّهم صاحب « المؤيد » المرحوم مصطفى كامل

منشيء الاجبشن ستندرد بأنهُ يدعو المصريين الى الدّعارة والفجور

ثم أخذ بعض الناقدين وأهل الرأي والمدركين حقيقة الفنون الجميلة يخفّفون من انتقادهم على الرقص البلدي ، ولا سيما بعد أن شاهدوا في أوربا وأمريكا ومصر من الرقص الافرنجي المعيب والتهتك الذي لا زيادة بعده لمستزيد

وقد حدث منذ شهرين أنَّ راقصة انكليزية أرادت السفر الى الهند فقامت الصحف الانكليزية مناديةً بالويل والثبور ، وطلبت من الحكومة منعها عن عزمها بدعوى أن الهنود لا ينظرون الى حركات هذه الراقصة بالعين التي يرى بها اليها أدباء الانكليز

وهكذا شأن القوم معنا ، فمهما تحشّمت الراقصة المصرية ، عدُّوا رقصها تهتكاً وابتذالاً . ومهما تهتكت الراقصة الأجنبية ورقّ الشفوف فأعلن ما استتر وجوباً وجوازاً من أعضائها ، عدُّوا عملها نهاية الرقي العقلي والأدبي . وسبحان مقسم العقول والأرزاق

مصر توفيق حبيب

— الأملُ هو الخبز الذي تتغذى منهُ النفس كلّ يوم

— اذا افتكرتَ بمصائب أمس الدابر ، هانت عليك مصائب اليوم الحاضر

— الابتسامة في ثغر بعض الناس تشبهُ وخز السنان

— أنشد مغنٍّ بين يدَي المأمون هذا البيت :

وإني لمشتاقٌ الى ظلّ صاحبٍ يروقُ ويصفو ان كدرتُ عليهِ

فصاح بهِ الخليفة : ويحك ! جئني بهذا الصديق وخذ نصف المملكة

متاحف الآثار

في مصر

ألقى المسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية خطبةً في الجمعية العلمية الفرنسية في باريس ، تكلم فيها عن أعمال الحفر والآثار في مصر ، جاء فيها عن المتاحف قولهُ :

انَّ انشاء متاحف المديريات في نظري أمرٌ لا بدَّ منهُ . وكنت من أول وصولي الى مصر (١٨٨١ — ١٨٨٦) قد رأيت أنَّ متحفَ بولاق يضيق عن استيعاب كل ما تُخرِجهُ أرض مصر من الآثار ، وانهُ لا بدَّ من انشاء متحفٍ في الاسكندرية ، تُعرض فيهِ آثار العهدِ اليوناني الروماني . لكنَّ الحوادثَ السياسية التي جرت في ذلك الحين حالت دون تحقيق هذة الأمنية

ولما رجعت سنة ١٨٩٩ وجدتُ الآثارَ المجموعة في الجيزة مكدَّسةً بعضها فوق بعض فصمَّمت النية على أنْ أُنشيء في جهاتٍ مختلفة متاحفَ محليةً تُعرَض فيها الآثار المختصة بكل مديريةٍ ، الدالة على تاريخها وحياتها القديمة . أمَّا الآثار التي تتعلَّق بالتاريخ المصري العام فتوضع في متحف القاهرة

وبما ان ميزانية المصلحة لم تكن تقدرُ على القيام بالنفقات الطائلة التي يتطلبها المشروع ، رأينا ان نشركَ الأفراد ، أو بالأحرى الدوائر المحلية ، في الأمر . فبدأنا نحو سنة ١٩٠١ بالاقصر ، لكننا لم ننجح في سعينا . وفي

سنة ١٩٠٥ عاودنا الكرَّةَ ثانيةً ، وفاوضنا شركة ترعة السويس ، فلم نَفُزْ بالنتيجة التي كنّا نرجوها بفضل مساعدة البرنس دارنبرغ ، مع أنهُ كان في الاسماعيلية في ذلك العهد شبهُ متحفٍ جُمعت فيهِ الآثارُ التي كان قد وجدها المسيو كليدا في حفر الترعة

ولم يكن الأمر كما تقدَّم في أسيوط وأسوان . فان مساعيَّ هناك كُلِّلَتْ بالنجاح التام . والفضل في انشاء متحف اسوان عائد الى مصلحة الرّي التي تنازلت لنا في أواخر سنة ١٩١١ عن البناية التي كانت قد شيدتها لمهندسيها في جزيرة « أنس الوجود » . وقد جمعنا في المتحف المذكور الآثار التي وجدها في بلاد النوبة بين ١٩٠٨ و ١٩١١ الخواجات ريسنر وفيرث ، وفتحنا أبواب المتحف للعموم في أول سنة ١٩١٢ وأرصدت لنا نظارة المالية سبعة آلاف فرنك للانفاق عليهِ . فهو والحالة هذه متحف الحكومة المصرية

والفضل في انشاء متحف اسيوط عائد لسيد بك خشبه الذي كان قد نال رخصةً باجراء حفريات في المديرية . وكان يتاجر بالنصف الذي هو حصتهُ من الآثار المكتشفة . لكن أحمد بك كمال المتولي مراقبة الحفر من لَدُن مصلحة الآثار تمكَّن من اقناعهِ بأن الواجب الوطني يقضي عليهِ بأن ينشيء على نفقتهِ في مسقط رأسهِ متحفاً يجمع فيه على الأقلّ قسماً من النصف الذي يخصهُ فأنشأ المتحف وتسلمناه هذا العام

وقد نحا هذا النحو مجلسان آخران ويمكننا القول أن المشروع سائر في أحسن السبل

في رياض الشعر

﴿ المراسلات السامية ﴾

كنا قد نشرنا في السنتين الأولى والثانية « للزهور » شيئاً من المراسلة الشعرية التي دارت بين الشاعرين الكبيرين المرحوم محمود باشا سامي البارودي والأمير شكيب أرسلان ، فلاقى ذلك الشعرُ النفيسُ استحساناً لدى الجميع . وها نحن ننشر اليومَ قصيدةً أرسلها الأمير شكيب ، وهو في طبرية ، الى المرحوم محمود سامي باشا يتشوّق اليهِ ويعزّيه بفقد كريمةٍ له :

أيُّ ريٍّ بالصُّحْف والأقلامِ ... لفؤادٍ الى لقائك ظامِ
وتناجي الأرواحِ بُعداً وفي القر ... بِ تَلاقي الأرواحِ والأجسامِ
كلما شئتُ شدَّ رحلي إلى مصـ ... ـر نَبتَ بي عوائقُ الأيّامِ
تعتفي سَيْرَتي وبيني وبين ... النيل لم يبقَ غيرُ سهمٍ لِرامِ
ولقد طالما تمثّلتُ ذاك المـ ... ـاء يجري وكنتُ في الأوهامِ
كم أراني الخيالُ لقياً وهذا ... غيرُ ما جاد طيفكم من لمامِ
وجذبنا من الحديث غُصوناً ... وسهرنا الى نحولِ الظلامِ
وروينا من القريضِ الذي تسـ ... ـكر منهُ العقولُ من دون جامِ
وَنجزْنا الى القلوب عهوداً ... قد تمادت كذاك شأنُ الذمامِ
سيقولُ الأميرُ ماذا الذي عا ... قَ وماذا يحولُ دون المرامِ
ما نأت دارُ من تُحبُّ وعيبٌ ... نقصُ ذي قدرةٍ على الإتمامِ
بيننا ليلتانِ لكن مع الغيـ ... ـب سواءٌ يومانِ أو ألفُ عامِ
وعزيزٌ اللقاءُ والإلفُ لم تشـ ... ـحط بهِ الدارُ زائدٌ في الهيامِ

ليس ما بيننا سوى البحرِ يوم ... نِ ولكن سواهُ بحرٌ طامِ
دون مصرٍ بحران منهُ ومن آ ... خرَ بحرُ الوشاة والنمَّامِ
ذاك بحرٌ تسيرُ فيهِ سَفينٌ ... من حظوظ اللئام كالأعلامِ
وكلامٌ يدرونهُ أنّهُ الإِف ... كُ ولكن يبغون صيدَ الحُطامِ
ومَقالٌ إنّا من العصبة الفتـ ... ـيانِ والطاعنين في الأحكامِ
أنا أرجو في مصرَ لقيا عظامٍ ... ودُّهم بات سارياً في عظامي
صلةُ الإِلّ بيننا وأرى الآ ... داب أقوى فينا من الأرحامِ
وحنيني الى الذي طالما اشتقـ ... ـتُ بعيداً فكيفَ وهوَ أمامي
الأميرُ المحمود بالاسمِ والفعـ ... ـلِ وكم خالفَ الفعالُ الأسامي
سيدٌ إن تحجَّ كعبةَ علياه ... ـهُ تجدْ ما نسيت منهُ المرامي
باهرُ القدرِ إن تزنْهُ مع الأقو ... امِ في الفضلِ مال بالأقوامِ
مفردٌ خافهُ الزمانُ فناوا ... هُ كذاك العِظامُ حربُ العِظامِ
جدَّ في حصرِ بأسهِ وهوَ لو جا ... لَ لقيدوا طرًّا بغير خزامِ
كحسامٍ خبا سناهُ بغمدٍ ... وسواهُ غمدٌ بغيرِ حُسامِ
ولع الدهرُ بالغرائب والبخـ ... ـتُ أحلَّ الليوثَ تحت النعامِ
أيُّها السيّدُ الهُمامُ ومن يكفـ ... ـيهِ ان قيل فيهِ « محمود سامي »
لك ذكرٌ قد طار في الشرق والغر ... بِ وفضلٌ أدناهُ فوق الهامِ
هل تراهم أخفوا علاك وهل تخـ ... ـفى فِعالُ الليوث في الآجامِ
ولعمري ذكاك مثلُ ذُكاء ... هل تغيب الشموسُ طيَّ الغمامِ
ولأنتَ الذي نشرتَ بذا العـ ... ـصرِ قريضاً طوى أبا تمّامِ
من رواهُ ولم يخَلْ ربَّهُ قد ... عاصر الوحيَ والتقى بالتهامي
أدبٌ حزتَهُ وليس كذا القسـ ... ـم من الحظّ سائرُ الأقسامِ

ولعمري مع ذاك أيُّ علاء … لم تكن منهُ في الذّرى والسنام
أخّرَ الدهرُ منك شهماً تسامى … أن ينال الجوزاءَ بالابهامِ
ولئن جزتَ عن وزارةِ أمرٍ … لم تزل صدرَ دولةِ الأفهامِ
إن صلاك الزمانُ حرباً عواناً … فقديمٌ عدوانهُ للكرامِ
ولعمري الذي دهاك اخيراً … كان وقعَ السهام فوق السهامِ
لا تخَلْ كنتَ في الفجيعةِ فرداً … كلُّ قلب لجرح قلبك دامِ
قد سكبنا نظيرَ شعرك دمعاً … في نواحٍ كنوح وُرق الحمامِ
إن بكينا فقد بكينا على حز … نك والثُّكلُ أعظم الآلامِ
والذي راح فليهنّأْ على فر … قة دارٍ ليست بدار مُقامِ
هذه سنَّةُ الليالي فأدعو … ك الى الصبر سنّةِ الاسلامِ

شكيب ارسلان

الشاعر والليل والطيف

اللهَ في وجدي وفي مأملي … من لي بعود الزمنِ الأوّلِ
قد كنتُ أشكو عذّلي في الهوى … فصرت مشتاقاً الى عذّلي
ملَلْتُ عذبَ اللوم جهلاً بهِ … لو كنت أدري الحبَّ لم أملل
ما أولعَ القلبَ بما يجتني … وأفتنَ العينَ بما تجتلي
أهفو لسهدي . ليتَ لي مثلَهُ … وليتني في ليليَ الأليلِ
إذ أترك الأنجم في أفقها … شوقاً الى نبراسيَ المُشعَلِ
وأُحكم الكوّةَ دون الصبا … وأوصِدُ البابَ على الشَّمألِ
وأعتلي كرسيَّ مستكبراً … كالمَلْكِ فوق العرشِ إذ يعتلي
سيجارتي مشعلة في فمي … ثم يراعي من على أنملي

وقهوتي إبريقُها مُترَعٌ　　اذا أنا أفرغتــهُ يمتلي
في حجرةٍ كالقلب في ضيقهــا　　لو حُمِّلَتْ غيري لم تحملِ
تَسمعُ مني في سكون الدُّجى　　ما يسمع الروضُ من البلبلِ
لهُ يطيبُ اللَّبْثُ في عشه　　ولي يطيب اللبث في منزلي
إنّا اقتسمنا الليــلَ ما بيننا　　لهُ الكرى في الليل والسهد لي
كتبي تناجيني فتمشي بهــا　　عيناي من شكل الى مشكل
ما بين أوراقٍ بهـا غضةٍ　　وبين أوراقــ بها ذبَّل

* * *

يا خلواتِ الوحي في تيهــه　　ملأتِ قلبَ الشاعر المختلي
سوانحي منكِ وفيكِ انجلت　　فأنزلي الآياتِ لي أنزلي

* * *

يا طيفهــا لا ترتجعْ معجلاً　　لا تُقْنعُ الزورةُ من معجل
إني وحدي . حجرتي مأمَنٌ　　فأنسْ الى صبك . لا تجْفِلِ
أُدنُ قليلاً . قد أطلت النوى　　جُـدْ مرةً . بالله لا تبخل
لو لم تكن تشتاقني نفسهــا　　يا طيفها ما كنتَ بالمقبل
عينـاك عيناها كذا كانتا　　والوجـه ذاك الوجهُ . لم يبدل
أعرف لحظيهــا برغم النوى　　فكم أصابا قبــل ذا مقتلي

* * *

جسي بهذا الكفِ صدري ترَي　　ما فيهِ من نار جوى موغل
أظلَّني همٌّ فلم أنتبـهْ　　الا وقــد أوغلتُ في المجهل
إن كان هذا ما دعوه الهوى　　فمثــل هذا الليل لا ينجلي
يا مهجتي . يا جلدي . يا صبا　　إن لم أمت وجداً فلا بد لي

ولى الديه يكمه

﴿ من زوايا الذاكرة ﴾

وناضرةٍ خفَّ فيها النسيمُ ... فخفَّ الى قصدِها محملي
هواءٌ أرقُّ من العاطفـا ... تِ وماءٌ ألذُّ من السلسلِ
تذكرتُ عاطفةَ المغرَمينَ ... فجاورتُ منعطفَ الجدولِ
وآلمني مُجتَلَى وَردةٍ ... تكادُ تذيبُ حشا المجتلي
وذابلةٍ من بناتِ الحقولِ ... ولولا الظما قطُّ لم تَذبلِ
أبخلُ الطبيعـةِ أودى بها ... وحاشا الطبيعـةَ لم تَبخلِ
ستقطُفهـا بعد إهمالها ... يدُ الموتِ كالولدِ المُهْمَلِ

* * *

حسدتُ الزهورَ لأن الزهـ ... ـور كالخوان جامعـةٍ مُثّلِ
وممّا يُجدِّدُ ذِكرى الهوى ... هوا بين أغصانها المُيّلِ
فهذا يقولُ لذاكَ: اعتنقْ ... وذاكَ يُشيرُ لذا: قَبِّـلِ
فما لبني جنسنا الأكرمين ... قـد افترقوا كالمهى الجفَّلِ
يُبيـدُ القويُّ حياة الضعيـ ... ـفِ ويودي المسلّحُ بالأعزلِ
فأين، وداؤكم الاختلا ... فُ، أطباءُ دائكمُ المُعضلِ
فمرتفعونَ لأوج السماءِ ... وهاوون للدَرَكِ الأسفلِ
وأجبنُ من ضافرٍ في الحياةِ ... وأضرى من الأسَدِ المُشبلِ
ومظلمةٍ ساد منهـا السكو ... نُ بليلٍ بعيدِ المدى أليلِ
بصرتُ بها تحتَ جنحِ الظـ ... ـلامِ بأشباحِ ضامرة هزّلِ
رمت بهم لمهاوي الشقاءِ ... يدُ الزمَنِ القلّبِ الحوّلِ
فهم يُنشدون نشيداً عليـ ... ـهِ ملامحُ حالهم المجملِ
فكم نظرَ الناسُ من تحتهم ... وهم ينظرون لنا من علِ

محمد رضا الشبيبي

التداوي بالثمار

﴿ العنب ﴾ العنبُ ثمرٌ لذيذٌ ومفيد للصحة إفادة عظيمة ، لانهُ يحوي كثيراً من الاملاح المعدنية كالبوتاس والكلس والمنيزيا والحديد . وعلى ذلك يكون العنب عبارة عن مزيج مياه معدنية مفيدة . ويُعدُّ العنبُ من الاغذية المهمة ، فهو يقوي العضلات و يسهل الهضم ويكثر الدم ويُنقّيه . ويستَعملُ العنب في اوروبا علاجاً لمن يُصابُ بسوء الهضم وتلبُّكٍ في المعدة أو احتراق في الامعاء ، كما يستَعملُ بنوعٍ خاص ّ ضدّ المغص والإسهال والباسور ، وغير ذلك

وقد قال بعض الاطباء الفرنسويين : إنّ العنب يُستعمَلُ كدواء لالتهابِ الحصيتين ، ولافراز السموم ، حتى ان الفُرْسَ الى اليوم يصفونهُ للمسموم كعلاج نافع ، كما يستعمله للغاية نفسها بعضُ أقوام الهندِ الصينية

ويقسم العنب الى قسمين : العنب الابيض ، والعنب الاسود (وينضم اليهِ العنب الأحمر) وتكثر الموادُّ المعدنية في العنب الاحمر والاسود ، كما ان هذا الاخير يُنبّهُ الاعصاب اكثر من الابيض ، ولذلك يُوصَفُ لمن أُصيب بفقر الدم وضعف القوى العضلية ، في طورِ النقَه ، و يستعمَلُ العنبُ الابيض لتسهيلِ الهضم والادوار

أمَّا التداوِي بالعنب فمدَّتهُ لا تقلُّ عن ثلاثة أيام ، ولا تزيد عن سنة : ففي اليوم الاول يؤ كل مقدارُ كيلو منه ، ثم تزادُ هذه الكميّةُ بالتدريج يومياً ، الى أن يكونَ مقدار التناول في اليوم الاخير خمسة كيلو غرامات . ويجبُ إجراء الرياضة البدنية في هذه المدة بواسطةِ المشي لا أقلَّ من ساعة في الفلوات والحدائق لاستنشاق الهواء النقي الذي يكسب الصحة جودة

والمهم في هذا أن يكونَ العنب جديداً ، كما يُشترَطُ أن يُغسَلَ جيداً حذراً ممَّا يعلق بهِ من الغبار والاوساخ التي لا تخلو منها حوانيت البائعين ، فضلاً عن أن

قشر العنب قابلٌ لتخمُّرِ الميكروبات المتنوعة . ويجبُ طرح بزوره وقشوره عند الاكل . أمَّا اذا كان جديداً نظيفاً فلا حاجة لتقشيره الا اذا كان القصد من تناوله تسهيل الهضم ؛ فحينئذٍ يؤكل ببزوره وتطرح قشوره . وأكثر البلاد تعويلاً على المعالجة بالعنب ، بلاد المانيا المشهورة بترقي فن الطب . ويُقال إنَّ اليونانَ والرومان الاقدمين استعملوا العنب علاجاً . وفي سويسرا واوستريا اليوم مستشفيات خصوصية للمدواة بالعنب ويزداد عددُ المرضى الذين يَفِدون كلَّ سنةٍ اليها

ويجب ألاَّ ننسى أنَّ الفائدةَ المطلوبةَ من التداوي بالعنب لا تتمُّ ولا تكمل الابالتنزّه واستنشاقِ الهواء النقي

ويقول بعض الأطباء إن لعصيرِ العنب أو شرابه في مداواة العلل هذا التأثيرَ عينهُ . ويجب شرب هذا الشراب قبل تناول القهوة بقليل . ويقولون إنَّ تناولَ قدَحٍ من شراب العنبِ يعدل أكل ٢٠٠ – ٤٠٠ غرام منهُ

ويجب حفظ هذا الشراب في آنية نظيفة تحفظ في أماكنَ خاليةٍ من الرطوبة ويرتئي بعضُ الأطباء ان يُسَخِّنَ هذا الشرابُ في (حمام مريم) قبل شربهِ ، فيكون تأثيرهُ أشدَّ وأعظم . وقد تم استعمال هذا الدواء في اوروبا كلها ، والكثيرون يستعملونه علاجاً شافياً لكثير من الامراض المزمنة

﴿ حب التوت الشامي ﴾ اكتشف الاطباء مؤخراً علاجاً دعاهُ الاوروبيون أعظم علاج وجد من الثمار وهو « حب التوت الشامي » وقد جرَّبهُ مكتشفه لمداواة المسلولين ، فكان النجاحُ اليفه . وهو يقول : إنّ لشرابِ التوت هذا التأثيرَ نفسه . وقد بيَّنَ ذلك المسيو « بورت » والمسيو « رمولن » الكيماويان الشهيران بتحليلهما حب التوت تحليلا كيماوياً ، فوجدا أن في هذا الثمر المفيد قليلاً من حمض السالسيليك الذي يجعلُ لهُ رائحةً لطيفةً عند نضجه . ويفيد حبُّ التوت لمداواة الامراض الروماتيزمية ؛ ويُستعمَلُ أيضاً في أوروبا نوع من حبّ التوت يأتي من

جبال « سافوى » لمن أصيبوا بهذا الداء . والسببُ في انتخابِهِ من تلك الجبال أنّ التوتَ هنالك يحوي كثيراً من حمض الساليسيليك بدليل جودة رائحتِهِ ولذة طعمِهِ

ويؤكدُ كثير من الاطباء أنّ حبَّ التوتِ يُفيدُ النزلة الصدرية كما يشفي المصابين بالسلّ الرئوي على ما المعنا سابقاً . وما السلُّ الرئويُّ إلاّ نزلةٌ صدرية تفاقم أمرها . وقد شهد أمهرُ الاطباء في هذا العصر بفائدةِ هذا الثمر ومثل هذه الامراض ، وقالوا إنهُ الترياقُ الشافي

وقد نقل لنا التاريخ عن المحقق « فونتل » أنّهُ كان يُحبُّ حَبَّ التوتِ كثيراً فكان لا يمرُّ بِهِ يومٌ دون أن يتناولَ بقدرِ ما يتيسَّرُ لهُ . وقد قيل إنّهُ كان مريضاً ذاتَ يومٍ ، فزارهُ بعضُ أصدقائه ، وسأله أحدهم قائلاً : كيف صحتك اليوم يافونتل ؟ فأجابهُ هذا على الفور : ليست جيدة ياعزيزي . ان آلام الأمراضِ انهكت قواي ولكن آه ! لو كنّا الآن في فصل الصيف ، ووجد لي قليل من حب التوت لكنتَ ترى كيف تكون صحتي . انني اكون أقوى الناس

ويقال إنّهُ توفي من جراءِ تلك الأمراض قبْل حلول أوان الصيف ومجيءُ موسم حب التوت . وكان يعتقد أن حب التوت سبب تعافيه وطول حياتهِ

اما التداوي بحب التوت فهو يُشبه التداوي ببقية الثمار . ويُشترَطُ في أكلهِ أن يكونَ ، والمِعدَةُ فارغةٌ ، لئلاّ يضرَّ ويُسبّبَ سوء هضم لبرودته . ووقت الصباح أحسن الأوقات لتناوله لأَن المعدة تكونُ فارغةً . وهو لا يُغسل بالماء لئلاّ تذهب رائحتهُ اللطيفة ، غير أنهُ يجبُ الاعتناء بقطفه وان يكون نظيفاً ويترك بعقبه . أما المصابون بالأمراض الجلدية كالجرب والزهري الخ فليتجنبوا حبَّ التوت كلَّ التجنُّب ، لأنّهُ يزيدُ الداء شدةً بتكثيره المادة الدموية في الجلد

﴿ الليمون الحامض ﴾ وما قلناه عن حبّ التوت نقولهُ عن الليمون ، فهو يفيد في أمراض الحلق والنوبات العصبية الخفيفة والإغماء . والليمونُ اكبرُ مضادّ لتعفُّنِ

الامعاء ، كما أنهُ يُفيدُ المصابين بالهيضة (الكوليرا) والصفراء والبلغم وأمراض الكَبِد

وقد شهد طبيبٌ شهيرٌ أنَّ الليمونَ علاجٌ مفيدٌ للمُصابِ بعلة هي من نوع علل « الروماتيزم » وانتشر استعمال الليمون علاجاً لهذه الأمراض في ألمانيا وسويسرا ، ونتج عن استعمالهِ نتائج مفيدة نافعة . واقتصر المُصاب على تناول ١٧٥ — ٢٠٠ ليمونة بكل المدة . والتداوي بالليمون يجري على طريقة التداوي بالعنب ، أي أن يُؤخذَ في اليوم الأول مقدارٌ قليل ، فيزداد يوماً فيوماً ؛ ثم متى حصل الشفاء التامُّ يتناقص رويداً رويداً

ولقائل أن يقولَ : ألا يحصل ضررٌ من اكل مقدار كثير كهذا من الليمون الحامض ، فتتلبّك المعدة وتختلّ وظائفها الهضمية ؟ أو ليس من بأسٍ على الأسنان من ذلك ؟

فالجواب أنهُ ليس من بأسٍ يُذكَرُ ، ولا حذر من جرَّاء ذلك . لأن الليمونَ لا يؤثّر في الهضمِ إلا تأثيراً خفيفاً نافعاً وأما تأثيره في الأسنانِ فقليلٌ جدًّا لا يُعتَدُّ بهِ ، فضلاً عن أنَّ الوسائط اللازمة في ذاك الوقت تمنع كل ضرر

اما طريقة المداواة فاليك بيانها :

يأكل المصاب فى اليوم الأول ليمونةً واحدةً ، ويشرب في اليوم الثاني عصيرَ ليمونتين ، وفي اليوم الثالث اربع ليمونات ، وفى الرابع ست ، وفى الخامس ثماني ، وفى السادس احدى عشرة ، وهلم جراً حتى اليوم العاشر فيشرب عصير خمس وعشرين ليمونة على دفعات متوالية ، ثم تنقص الكمية كما تزايدت ، ولا بأس من مزج عصيره بقليل من السكر لتسهيل تناوله

وسنعودُ فى فرصة قريبة ان شاء الله الى ذكر فوائد غير ما تقدم من الاثمار

(انطاكية) نقولا كى عبد المسيح شكرى

في حدائق العرب

ظهر في الشهر الغابر كتابٌ عنوانه « حديقة الزهر » وضعهُ باللغــة الفرنسية حضرة الاديب واصف بك بطرس غالي، ضمنهُ بحثاً شائقاً في الشعر العربي وأنواعهِ وأساليبهِ، مع ترجمة مقطوعاتٍ شعرية منهُ . فقابل الفرنجُ هذا الكتاب بالارتياح لأنهُ عرَّفهم بشاعرية قومٍ لهم فى عالم الخيال المقام الارفع . ومن جملة ما ترجمهُ واصف بك الحادثة الآتية نرويها لقرَّائنا في أصلها العربي، لما فيها من بلاغة الوصف وجمال الأسلوب:

بشر بن أبي عوانة والأسد

كان بشر بن أبي عوانة العبــدي صعلوكاً . فأغار على ركب فيهم امرأةٌ جميلة، فتزوَّج بها، وقال : ما رأيتُ كاليوم . فقالت :

أعجب بشراً حَوَرٌ فى عيني ... وساعــدٌ أبيضُ كاللجينِ
ودونهُ مسرحُ طرف العينِ ... خمصانةٌ ترفلُ فى حجلينِ
أحسن من يمشي على رجلينِ ... لو ضمَّ بشرٌ بينها و بيني
أطال هجري وأدام بيني ... ولو يقيس زينهــا بزيني
لأسفر الصبحُ لذي عينينِ

قال بشر : ويحكِ من عنيت ؟ فقالت : بنت عمك فاطمة . فقال : أهي من الحسن بحيث وصفتِ ؟ قالت : واكثر وأزيد ، فأنشأ يقول :

ويحك يا ذات الثنايا البيضِ ... ما خلتني عنك بمستعيضِ
فالآن إذ لوَّحتِ بالتعريضِ ... خلوتِ جوًّا فاصفري و بيضي
لا ضُمَّ جفناي على تغميضِ ... إن لم أشل عرضي من الحضيضِ

ثم أرسل الى عمّهِ يخطب ابنته ، ومنعهُ العمُّ أمنيته ، فآلى ألاَّ يرعي على أحدٍ منهم ، إن لم يزوّجه ابنته . ثم كثرت مضرَّاته فيهم ، واتصلت مضرَّاته اليهم . فاجتمع رجال الحيّ الى عمه وقالوا : كفَّ عنا مجنونك . فقال : لا تلبسوني عاراً ، وأمهلوني حتى أُهلكه ببعض الحِيَل . فقالوا : أنت وذاك . ثم قال له عمه : اني آليت أن لا أزوّجَ ابنتي هذه إلاَّ ممن يسوق اليها الف ناقةٍ مَهراً ، ولا أرضاها إلاَّ من نوق خزاعة . وغرض العم كان أن يسلك « بشر » الطريقَ بينهُ وبين خزاعه ، فيفترسهُ الأسد . لأنَّ العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق ؛ وكان فيه أسدٌ يسمَّى داذاً ، وحية تدعى شجاعاً ، يقول فيهما قائلهم :

افتكُ من داذٍ ومن شجاعِ　　ان يكُ داذٌ سيدَ السباعِ
فانها سيّدةُ الافاعي

ثم إنَّ بشراً سلك ذلك الطريق ، فما نصفّه ، حتى لقي الأسد. وقمص مهره ، فنزل وعقره . ثم اخترط سيفهُ الى الأسد ، واعترضه وقطَّهُ ، ثم كتب بدم الأسد على قميصهِ الى ابنة عمه قصيدته المشهورة التي مطلعها

أفاطِمَ ، لو شهدتِ ببطن خبتٍ　　وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشرا

فلماَّ بلغت الأبياتُ عمَّهُ ، ندم على ما منعهُ من تزويجها ، وخشيَ أن تغتالَهُ الحيةُ ، فقام في أثره وبلغه وقد ملكتهُ سورة الحية . فلماَّ رأى عمه ، أخذتهُ حمية الجاهلية ، فجعل يدَهُ في فم الحية ، وحكّم سيفه فيها فقال :

بشرالى المجد بعيدهمهُ　　لما رآه بالعراء عمهُ
قد ثكلته نفسهُ وامه　　جاشت بهِجائشةٌ تهمهُ

قام الى ابنٍ للفلا يؤمه فغاب فيه يدُهُ وكفُهُ

ونفسه نفسي وسمي سمهُ

فلما قتل الحية ، قال عمه : اني عرّضتك طمعاً في أمرٍ ثنى الله عناني عنهُ ، فارجع لازوّجك ابنتي . فلما رجع جعل بشر يملأ فمه فخراً ، حتى طلعَ أمرد كشقّ القمر على فرسه مدجّجاً في سلاحه . فقال بشر : ياعمّ اني اسمع حسّ صيد . وخرج فاذا بغلامٍ على قيدٍ فقال : ثكلتك أُمك يا بشر ، إن قتلت دودة وبهيمةً تملأ ماضغيك فخراً ؟ أنت في أمان ان سلّمت عمك . فقال بشر : من أنت لا أم لك ؟ قال : اليوم الاسود ، والموت الأحمر . فقال بشر : ثكلتك من سلحتك « قذفت بك من بطنها » فقال : يا بشر ومن سلحتك أيضاً . وكرَّ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فلم يتمكن بشرٌ منهُ وأمكن الغلام عشرين طعنةً في كلية بشر ، كلما مسّهُ شبا السنان حماه عن بدنه ابقاءً عليهِ . ثم قال : يا بشر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ؟

ثم القى رمحه واستلّ سيفهُ فضرب بشراً عشرين ضربةً بعرض السيف ، ولم يتمكّن بشرٌ من واحدة . ثم قال : يا بشر سلّم عمّك واذهب في أمان . قال : نعم ولكن بشريطةٍ أن تقولَ لي من أنت . قال : أنا ابنك . فقال : يا سبحان الله ما قارنتُ عقيلةً قط ، فأنّى لي هذه المنحة ؟ فقال : أنا ابنُ المرأة التي دلّتك على ابنة عمك . فقال بشر :

تلك العصا من هذه العصية هل تلد الحيةَ غيرُ الحيه

وحلف لاركب حِصاناً ولا تزوّج حَصاناً ، ثم زوج ابنة عمه لابنه

أبو العلاء المعري [1]

ثقةَ الدهورِ وحجّةَ الأزمان　　خذ من بيانكَ ذمّةً لبياني

أعيي القريضَ فانْ بلغتُكَ خانني　　قلمي وعيٌّ عن المقالِ لساني

رعت القياصرَ والملوكَ وراعني　　ما فيك وحدكَ من جلالِ الشانِ

لكَ في الملوكِ الخالدين على البلى　　أسمى العروشِ وأثمنُ التيجانِ

تهوي الأسرَّةُ والممالكُ تنقضي　　وسريرُ ملككَ راسخُ الأركانِ

مُلكٌ عليهِ من الخلودِ سرادقٌ　　فخمٌ يهابُ جلالَهُ الملوانِ

تهوي جبابرةُ الخطوبِ حيالَهُ　　صرعى منكّسةً على الأذقانِ

وترى الدهورَ اذا مررنَ بساحهِ　　فوضى الخُطى يعثرنَ بالحدثانِ

يدلفنَ من كبرٍ وفرطِ كهولةٍ　　وشبابُ مجدكَ دائمُ الرَّيعانِ

تبني العقولُ وترفعُ الأيدي وما　　يسطيعُ شأوكَ رافعٌ أو بانِ

صدعَ الزلازلَ ما بنيتَ وهدَّها　　ما للزلازلِ بالبروجِ يدانِ

أدركتَ أسرارَ الوجودِ وجُزتَها　　ترتادُ أسرارَ الوجودِ الثاني

تدنو فتبعدُ والمخاوفُ جمّةٌ　　والحجبُ شتّى والحتوفُ دوانِ

تهتاجُ ان ومضت فان هيَ أمسكت　　زادتكَ أشجاناً على أشجانِ

صانعتَ شاردَها فقلنا عاشقٌ　　طربٌ يصانعُ شاردَ الغزلانِ

وشكوتَ هاجرَها فقالوا كاشحٌ　　ظلموكَ ! تلكَ سجيةُ الولهانِ

---

(١) هو الشاعر الشهير أبو العلاء احمد بن عبدالله القضاعي المعرّي التنوخي ولد سنة ٩٧٣ م في معرّة النعمان بالقرب من حماة في بلاد الشام ، وأصيب بالجدري فعمي ، وعاش في حلب وبغداد مدةً طويلةً ثمّ رجع الى بلدته المعرّة . وتوفي سنة ١٠٥٧ م . جمع ما قاله من الشعر في شبابه في ديوان سماه « سقط الزند » وشرحه وسمى الشرح « ضوء السقط » وله ديوان آخر كبير سماه « اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم » وكتاب « ألايك والغصون » وهو المعروف بالهمزة والردف ، ولأبي العلاء آراء فلسفية ونظرات اجتماعية مشهورة

جهلوا مرادَك، والعقولُ مراتب والناسُ بالألباب والأذهانِ

***

أكبرت رزءَ العقلِ حينَ رأيتَهُ رهنَ العمى وغضبت للانسانِ
تجري الأمورُ وليسَ يعلمُ كنهها وهو المراد بهذهِ الأكوانِ
ويقالُ أعمى في الحياةِ وبعدَها، والدينُ والدنيا لهُ عينانِ
كلٌّ له ذكرى وكلٌّ عبرةٌ تجلو اليقينَ وصادقَ الايمانِ
فلئن حجبت عن الغيوبِ فانها لله ذي الجبروتِ والسُلطانِ
أعلى لكَ الغرُفاتِ يومَ لقيتَهُ وحباكَ ما تبغي من الرضوانِ
فرأيتَ منزلَهُ العظيمَ وأجرهُ وحمدت عقبى العلم والعرفانِ

***

شغفتْ بكَ الدنيا تُريدك دامقاً وشغفت بالإعراضِ والهجرانِ
تجلو زخارفَها فتُغمضُ دونها عينَ الحكيمِ وتنثني بأمانِ
فتنت محاسنُها العقولَ ولم تزل في حيرةٍ من عقلكَ الفتانِ
صارمتَها وكشفتَ عن سوآتِها ليُفيقَ مختبلٌ ويقصرُ عانِ
وصددت عن صلفِ الملوكِ وكبرهم متعالياً عن ذِلّةٍ وهوانِ
أغناكَ عن آلائهم وهباتِهم أنفُ الشريفِ وعفّةُ المتغاني
ورضيتَ بيتَكَ هازئاً بقصورهم وجليلِ ما رفعوا من البُنيانِ
بيتٌ أناف على الكواكبِ رفعةً فدنا يمسّحُ ركنَهُ القمرانِ
لم يحكهِ كيوانُ في عليائهِ! بيتُ الحكيمِ أجلُّ من كيوانِ
لو رُدَّ كسرى أو تأخرَ عصرُهُ، فأذنتَ، حجَّ اليكَ بالايوانِ
لو كنتما مني بحيثُ أراكما لَلَثمتُ تربَكما اذاً فشفاني
لحمدتما في الظالمينَ ضراعتي ورفعتما في الخالدينَ مكاني

خيرُ المناسك حلَّ حيث حللتما للناسكين وأنتما الحَرَمانِ

* * *

أوتيتَ من أخلاقِ ربِّكَ رحمةً لم يُؤْتَها بشرٌ وفرطَ حنانِ
أشفقتَ من وطءِ التراب على الأُلى غالَ الترابُ وكلُّ حيٍّ فانِ
يمشي الفتى يختالُ فوقَ رفاتِهم جذلانَ فعلَ الشاربِ النشوانِ
الجوُّ أرواحٌ تفيضُ وأنفسٌ والأرضُ من رممٍ ومن أكفانِ (١)

* * *

عفتَ الأذى ونهيتَ عن مكروهِهِ وأمرتَ بالمعروفِ والاحسانِ
ورحمتَ حتى الوحشَ في فلواتِها وحميتَ حتى الطيرَ في الأوكانِ
ورثيتَ للشاكين من بلوائِهم فحملتَ ما حملوا من الأحزانِ
ومسحتَ دمعَ النائحاتِ معزياً فكففنَ عن نوحٍ وعن إرنانِ
ونسينَ من هولِ الفجائعِ ما مضى وسلَونَ بعد تعذّرِ السلوانِ
شرعٌ بعثتَ بِهِ ودينٌ لم تقمْ فيـهِ لغيرِ الواحدِ الدَّيّانِ

* * *

بوركتَ في دينِ المسيحِ وأحمدٍ ومُدحتَ في الانجيلِ والقرآنِ
الشرقُ معتزٌّ بفضلكَ معجَبٌ والغربُ مغتبطٌ بذكركَ هاني
إملأْ بحكمتكَ المسامعَ والنُّهى واحكمْ فما شيءٌ سوى الاذعانِ
ما زلتَ من قبلِ المماتِ وبعدِهِ شيخَ النُّهى وحكيمَ كلِّ زمانِ
الأرضُ حافلةٌ كعهدِكَ بالأذى والناسُ فوضى والحياةُ أماني

احمد محرم

---

(١) في هذه الأبيات اشارة الى قوله المعرّي :

ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد
خفف الوطءَ ما أظن أديـ ـم الأرض الا من هذه الاجساد

ضرب زيدٌ عمراً

مسكين زيدٌ وعمروٌ فإنهما ما زالا منذ عهد سيبويه يتضاربان « ويترافسان » اكراماً لساداتنا النحاة . فتارةً يكون زيد ضارباً وطوراً يكون مضروباً

لي صديق من العلماء المستشرقين أنفق السنين الطوال في درس اللغة العربيــة والاطلاع على شواردها وضوابطها . دخلتُ عليهِ ذات يوم فرأيتُ وجهه يطفح بشراً وهو يقول : « الحمد لله ! الحمد لله ! »

فقلت : « ما الخبر ؟ »

فقال : « لقد أخذ عمروٌ بثأره »

فقلت : « وكيف ذلك ؟ »

فأجاب : « لقد أنفقتُ عشرين عاماً وأنا أدرس كتب النحاة وأطالع مؤلَّفات الأئمَّة فلم أجد مثالاً للفاعل والمفعول إلاَّ قولهم « ضَرَب زيدٌ عمراً » وقد عثرتُ الآن على مَثلٍ جديد وهو قولهم « ضرب عمروٌ زيداً » فالحمد لله لأن عمراً أخذ بثاره من زيد فضربهُ ولو مرَّة واحدة في الحياة »

في كلام هذا العالِم حكمةٌ سامية. فان الشرقيين يتقاتلون ويتضاربون كتضارب زيدٍ وعمروٍ في كتب النحاة . وما ذلك المثال الا دليل على الطباع والأخلاق

يبدأ الاوربي أجروميته بتصريف فعل « أحبَّ » . ويبدأ الشرقي

أجروميته بتصريف فعل « ضرب » أو « قتل » . ذلك يمرّن على الحب وهذا يمرّن على الضرب والقتل . فيحق للأوربي والحالة هذه اذا أراد أن يتعلّم الصرف العربي أن يتقلّدَ سيفه وترسه اتقاءً لشرّ المضاربات بين زيد وعمرو

رحم الله سيبويه ! ما ضرَّهُ لو أنهُ أَبدل فعل « ضرب » بفعل « أحبَّ » أو غيره من الأفعال التي لا تضطرّ القارىء أن يحمل دروعه وأسلحته ؟ ألم يكن في قاموس اللغة غير ذلك المثل المشؤوم ؟

حقاً لو أراد عمروٌ أن يتقاضى زيداً أمام المحاكم لظلَّ القضاة ينظرون في دعواه أعواماً عديدة . ولو عرض كلاهما نفسه على حكيم الصحة لأمر لهما بمعالجة أربعين عاماً . ولو عددنا الجروح التي في رأس كل منهما لاحتجنا الى جيش من الكتبة والحاسبين . ولو استشهدنا سيبويه ونفطوَيه لشهدا على كلٍّ منهما بالاعتداء على رفيقـهِ . أفما كان الأجدر بقاضي الصلح أن « يصلح بينهما » ويعيد الأمن الى نصابه بين عائلتيهما حفظاً للراحة العمومية ؟

*
* *

في كتب النحو أمثلة أخرى تدل على طباعنا . من ذلك قولهم « مات زيد » وهو وايم الله لا يزال حياً يُرزق يضرب عمراً من جديد . وقد أزْرَقَّ عنقُ عمروٍ وعقِر ظهره من شدَّة الضربات والرفسات . وزاد الطين بلّةً ان جمعية الاسعاف أهملتهُ ولم تشفق عليهِ . فوارحمتاه على عمرو ! انهُ لن يخلص من ضربات زيد ولو مات زيدٌ عشرين مرَّةً في كتب النحاة .

اذ لا تكاد تسمع نعيَّه حتى يعود الى الحياة ويستأنف ضرب عمرٍو. فهو كالسنّور له سبعة أرواح

* * *

ومن أمثلة النحاة أيضاً — أو بالحري علماء الصرف — قولهم: «أحوَل» و «أعوَر» و «أعرج» و «أقطع» الى غير ذلك من الامثلة التي لم تكن تبرح من فكر سيبويه. ولو جمعنا جميع أصحاب العاهات الذين أحيا النحاة ذكرهم لضاقت بهم الأرض والسماء. ولعلّهم أُصيبوا بعاهاتهم من جرّاء ضرب زيدٍ لعمروٍ وغيره

ومن البليَّة أيضاً قول ساداتنا النحاة إِن أمثال الأحوَل والأعوَر والأعرج لا « ينصرفون ». فسيظلون يلازموننا الى أن يقوم رجل أشدّ بطشاً من زيد، فيبطش بهم كما بطش هذا بعمروٍ، ويُريح تلاميذ المدارس منهم

سامحك الله يا سيبويه!

ومن البليَّة أيضاً أنّ « النصب » عند النحاة حالة من حالات الاعراب. ومثلها « الخفض » أيضاً. وقد « يرفعون » من لا يستحق أن يُصفع بالأحذية. فاذا قُلنا « سرق زيدٌ مال عمرو » قالوا يجب « رفع » زيد، لانهُ ارتكب جناية فعل السرقة. ويجب « خفض » عمرو، لأنهُ الشخص المسروق منهُ

ما شاء الله كان! . . .

أيُرفَعَ زيدٌ ويُعلَى شأنهُ لأنهُ سَرق، ويُخفَض عمرو وتُداس حقوقه

لأن زيداً سرَق منهُ ؟ فيالله من هذا الظلم والاستبداد ! ألم يكن في وسع النحاة أن ينصفوا عمرواً ولو مرة واحدة في الحياة ؟

* * *

حاشية — بمزيد السرور وعظيم الابتهاج ننعي الى طلبة الصرف والنحو حضرة الشيخ عمرو ، عدوّ زيد . وجار بكر ، ونسيب نفطويه . انتقل من الديار الفانية بعد عمر قضاه في احتمال الضربات من عدوّه زيد وقد أسلم الروح فراح شهيد النحاة على أثر الجروح المميتة التي أُصيب بها على أُمّ رأسه . « فانصرف » مع أنهُ كان أعوَر . والتمست جمعية الشفقة على الحيوانات من عدوّه زيد أن لا يلحق به الى دار الخلود . وسيُحتفل بتشييع جنازته من دار نفطوَيه الى قبر سيبوَيه ليُدْفَنَ معـهُ وتستريح عظامه المرضوضة

وسيُنْقَش على ضريحهِ : « ضرب زيدٌ عمرواً . . . »

سليم عبد الاحد

حِكَم للإِمام علي

من وَضَعَ نَفْسَهُ مواضِعَ ٱلتُّهمَـةِ فَلاَ يلومَنَّ مَنْ أساءَ بِهِ ٱلظنَّ

النَّاس أعْدَاء ما جَهِلُوا

آلَةُ ٱلرِّئاسةِ سَعَةُ ٱلصَّدْرِ

ما ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلاّ كانَتْ احْدَاهمَا ضَلاَلَة

مَنْ لَمْ يُنَجِّهِ ٱلصبرُ أهلَكَهُ ٱلجَزَعُ

فكاهة

كان رجلٌ يكثرُ الطعامَ على العشاء، فاذا نام غطَّ غطيطاً هائلاً، وشخر شخيرًا متواصلاً، فيقلق زوجتهُ، فتوقظهُ ليُغيّر ضجعتهُ ويريحها من غطيطه، فكان يغضب ويجادلها قائلاً: «ما أنا غططتُ وشخرتُ، بل أنتِ» فتصمتُ، وتصبرُ على مصيبتها حتى عيل صبرها وفارقها جلدها. فعمدت أخيرًا الى حيلةٍ تحجُّهُ بها، وتقنعهُ عساهُ أن يُقلّلَ من نهمتهِ، ولا يغطّ في نومهِ. فجاءتهُ ذاتَ يومٍ، وبيدها الفونوغراف، وأدارتهُ وقالت: أتعلم ما هذا الصوت؟

فقال: هديرُ البعير، بل نهيقُ الحمير، لا بل قباعُ الخنزير، بل مواءُ السنانير، بل طنين الزنابير

وكان كلما أدارت مرّةً، غيَّر حكمهُ في الصوت؛ وهي تقول «لا» حتى ضاق صدره. فقال: قولي لي ما هو، وأريحيني، من هذه الأصوات المنكرة التي تملأُ الجسمَ رعدةً وقشعريرة

قالت: هذه أصواتُ شخيركَ التي صبرتُ عليها الأعوامَ، ولم تصبر عليها أنتَ لحظةً من الزمان. فقد وضعتُ الفونوغراف فوق رأسك وأنتَ نائمٌ، فدوّنَ ما أنتَ سامع. فإذا أيقظتُكَ بعد الآن، فاترك الحِجَاجَ والجدال، وارثِ لحالتي، واطلبْ الى اللهِ أن يُصبّرني على مصيبتي. فسكتَ خجلاً، ثمَّ أطرقَ هُنيهةً وقال: «اثنان لا بُدَّ من تركهما: النهمةُ على العشاء، ومجادلة النساء»

ازهار وأشواك

اللغة والأسرة والحكومة

في مصرَ اليومَ مسائل ثلاث تشغلُ الرأيَ العام : اللغةُ ، والأُسرةُ ، والحكومة . لا يحسُنُ بي أن أَدَعها تمرُّ دون أن أقول فيها كلمتي . سأضطرُّ الى الايجاز ، ولن أُحاول استيعابَ الموضوع ، لأن كلَّ مسألة من هذه المسائل تُعَدُّ من العُقَدِ الاجتماعية التي لا يسهلُ حلُّها :

باتَتْ لغتنا في حاجةٍ قصوى الى الاصلاح ، ولم يبقَ بالامكان الجمود بها على ما كانت عليـهِ حيال النهضة الحديثة التي بدَت طوالعُها . ولقد تنبهت الخواطرُ الى هذا الأمرِ على أثر المنشورات التي أصدرتها نظارةُ المعارف ، فتراجع صداها في صحفنا اليومية ، وتناولتها أقلام الكتّاب بين منتقدٍ ومقرّظٍ . دار البحث أوّلاً على مسألة الكتب المدرسية ووجوب ضبطها بالشكل لكي يعتادَ التلاميذ منـذ حداثة سنّهم ، تقويمَ لسانهم وفصاحة نطقهم . ولا يخفى ما للشكل في اللغة العربية من الأهمية ليستقيم المعنى ويتمّ المقصود ؛ وكم من مرّةٍ نقرأُ الجملةَ على صورةٍ معيّنةٍ حتى إذا ما وصلنا الى آخرها وأحطنا بها ، نجدُ أننا أسأنا تلاوتها على نحو ما تلوناها أوّلاً . فنردّد حينئذٍ ما كان يقول المرحوم قاسم أمين « كلُّ لغةٍ تُقرَأُ لتُفهَم ، إلاّ اللغة العربيـة ، فإنها تُفهَم لتُقرأُ » أُوردُ مثلاً على ذلك جملة قرأْتُها في إحدى المقالات التي كُتِبَت في هذا الموضوع ، وهي « حسن

صرف المال في وجوه الخير » فيمكنك أن تقرأها على وجوه مختلفةٍ لتجرّدها من الحركات فتقول :

١ً — حَسَنٌ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير، أي محمود

٢ً — حَسُنَ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير، أي جَمُلَ

٣ً — حُسْنُ صَرْفِ المالِ في سبيل الخير، أي جمالُ

٤ً — حَسِّنْ صَرْفَ المالِ في سبيل الخير، بمعنى الأمر

٥ً — حَسَنٌ صَرَفَ المالَ في سبيل الخير، أي « سي حسن » هو الذي صرف المال

٦ً — حَسَنُ ! صَرِّفِ المالَ في سبيل الخير، اذا ناديتَ حسناً وأمرتهُ

٧ً — حَسَنُ ! صُرِفَ المالُ في سبيل الخير، اذا ناديت حسناً وأخبرتهُ عن صرْف المال

وفي هذا كفاية على أهمية الشكل في اللغة

* * *

اما المسألةُ الثانيةُ فهي مسألة الأُسرة ، دار عليها البحث بمناسبةِ الحربِ القلمية التي أثارها إنشاء جمعيةٍ في مصر لتحرير المرأة ، وخوض الكتّاب في مسألة الحجاب والسفور . قال فريقٌ « لا سبيل الى اصلاح الأمّة الاّ باصلاح الأسرةِ ، ولا تصلحُ الأسرة الاّ بصلاح المرأةِ ، ولا تصلح المرأة الاّ اذا رفعت الحجاب واشتركت مع الرجل في الحياة ورافقتهُ في نزهاتهِ ورياضاتهِ بدلاً من أن يرتادَ الأندية العمومية فيجالس اساتذة السهر وفلاسفة اللهو والملذّات »

وقام فريقٌ ثانٍ ينادي بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ويستنزل اللعنات على دُعاة السفور ، صارخاً بهم «يا لثارات الدين والقومية ! مكانكم ايها السفهاء ! فوالله ما دعا دعاةٌ الى شرٍّ مما دعوتم ، ولا تحركت الألسن باسوإٍ مما تحرَّكت بهِ ألسنتكم ، ولا جرت الأقلام بأضرّ مما جرت بهِ أقلامكم ، فليت ألسنتكم عُقِدَت ، واقلامكم قُصِفَتْ »

هذا بعض ما اتحفتنا بهِ الجرائد في هذا الموضوع . والغريب العجيب ان سيداتِنا — وهنّ موقداتُ نار هذه الحرب — لم يُبدينَ رأياً ، ولا رفعنَ صوتاً ، ساعة نرى اخواتهنّ الغربيات في هـذهِ الآونة يُزاحمنَ الرجال ، ويطالبنهم بما يريد الرجال ان يُريحوهنّ من متاعب هذه الحياة

أمّا المسألةُ الثالثةُ التي شغلت صحافتنا وكانت موضوع أحاديثنا ، فهي مباشرة الانتخابات للجمعية التشريعية التي حلّت محلّ مجلس شورى القوانين . لستُ أُريدُ الخوضَ في ما إذا كان هذا التغيير يُعَدُّ تدرُّجاً نحو السلطة النيابية ، فليس ذلك من شأني . وقد عرف القراء من جهةٍ ثانية نتيجة الانتخابات الأوليـة ، وقرأوا البروجرامات السياسية التي عرضها المرشَّحون على الرأي العام ، وسنعرف عن قريبٍ أسماء الذين يقرُّ قرارُ الامة على انتخابهم لتمثيلها . إنما الأمرُ الذي أسفنا لهُ ، هو إغضاء الكثيرين عن الانتفاع بحقهم في الانتخاب . قرأَ الغيرُ ، كما قرأتُ ، خبرَ ملكِ ايطاليا وكيف أنهُ اشترك في الانتخاب الذي جرى لمجلس النواب في بلادهِ منذ شهرٍ ، فانهُ ذهب بنفسهِ الى دائرة الانتخاب التابع لهـا ورمى ورقتهُ في الصندوق كأحد أفراد رعيّتهِ . في هذا مثالٌ جميل ، وقدوةٌ حسنة

مَنْ كَتَبَ سَوفَ يكتبُ

يقولُ الأفرنج في أمثالهم « من شَرِبَ سوفَ يشرب » إشارة الى أن مُدْمِنَ الخمرة لن يُقلِعَ عنها . ويصحُّ إن تقولَ « من كتبَ سوف يكتب » بمعنى أنَّ « مُدمِنَ » الكتابةِ لن يكسرَ قَلَمهُ . والصحافة هي « إدمانُ الكتابة » فمن زاولها مدَّةً ، وذاقَ حلوها ومُرَّها لن يعرف أن يعيش بعيداً عنها . والأمثلة على ذلك كثيرة . عَلِمَ القرَّاء أن اسكندر افندي شاهين الصحافي المعروف قد ودَّع الصحافةَ يوم غادر الديارَ المصرية قاصداً البلاد البرازيلية لتَعَاطي التجارة فيها ، بعد أن خدم القلَمَ بأمانةٍ وإخلاص مدَّةَ ربع قرنٍ . وقد أقام لهُ يومئذٍ زملاؤُهُ حفلة لتوديعهِ ، وتمنى عليهِ الكثيرون ألاَّ يهجر الكتابة هجراً تاماً ، لأنَّ لهُ في ميادينها جولاتٍ صادقة ، وكنت بين المشتركين في الحفلة ، فتبسَّمتُ لدى سماعي التعبير عن هذه الأمنية ، لأنَّهُ كان قد بلغني أن الصديق اسكندر قد وَضَعَ في حقيبةِ سفرهِ « كليشه » حفرها في مصر باسم جريدةٍ قد يُصدرها في البرازيل . ولم تلبث الأيام أن جعلت الظنَّ حقيقةً ، فقد حمل الينا البريد منذ أسبوعين رزمةً من أميريكا الجنوبية ، ففضضتها ، واذا فيها جريدةٌ يومية بثماني صفحات عنوانها « أميركا » وأبحاثها متنوّعة لذيذة ، وعبارتها منسجمة طليّة ، وهي لصاحبها ومحرِّرها اسكندر شاهين . فأيقنتُ أنَّ « من كتبَ سوف يكتب » وتمنّيتُ « لأميركا » نجاحاً وخيرًا كثيرًا

ماصر

ثمرات المطابع

* مصر الجديدة — لم يبقَ أحدٌ في مصر لم يسمع باسم رواية «مصر الجديدة» أو لم يقرأ عنها شيئاً في الصحف اليومية ، إذا لم يكن قد توفّق الى حضورها . وهي الرواية التمثيلية التي وضعها الكاتب المعروف فرح افندي انطون منشئ الجامعة ورئيس تحرير جريدة المحروسة الغراء ، وقد مثّلها جوق أبيض في الاوبرا خلال الشتاء الماضي ، فكان الإقبالُ عليها عظيماً

جاءتنا هذه الرواية مطبوعةً فطالعناها بلذةٍ لا تقلُّ عن لذّة مشاهدتها على المسرح لما تضمنتهُ من الآراء الاجتماعيـة والعظات البليغة والأبحاث النفيسة في أحوال الشرقِ عموماً ، وحالة مصر على الخصوص ، بقالبٍ روائي لطيف

* الأمراض المعدية[1] — للدكتور العالم الفاضل عزتلو محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب فضل لا ينكر على اللغة العربية ؛ فقد وضع بها اكثر من أربعة عشر مؤلفاً في الطبّ كانت خلواً منها ؛ وأتحفها اليوم بكتابٍ نفيس في الأمراض المعدية فجاء حلقة جديدة في السلسلة الذهبية التي صاغها من قبل . وفي هذا المؤلف ابحاث مفيدة جدّاً في الأمراض التي تنتقل من المريض الى السليم بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو الشراب أو الملامسة وفي طرق الوقاية منها مما يحسن بكل

(١) طبع بمطبعة المعارف ويطلب منها ومن المؤلف وثمنه ١٠ قروش

قارىءٍ أن يقف عليهِ ويستفيد منهُ . انما نتمنى أن يكون في كلّ بيت مكتبة وأن تزدان كلّ مكتبة بمؤلفات هذا النطاسي الفاضل

* تقويم البشير [١] — هو أوفي تقويمٍ يصدرُ باللغة العربية من حيث الاتقان ودقة المعلومات وتنوّع الابحاث وضعهُ حضرة العالم الفاضل الأَب لويس معلوف مدير جريدة « البشير » وصاحب قاموس « المُنْجِد» وضمَّنهُ كلّ ما يُقال عن تواريخ السنة مع فوائد كثيرة في الجغرافية والتاريخ والمالية والفلك والصحة وآداب اللغة . ويزيد هذا التقويم اتقاناً سنةً فسنةً ، حتى يصحّ أن يُقال إنهُ يتدرّجُ شيئاً فشيئاً ليكون في اللغة العربية كتقويم هاشيت في اللغة الفرنسوية

* النظرات [٢] — هو مجموع المقالاتِ الشائقة ، والنبذ المستملحة التي نسج بردها ، ووشى طرازها الأديبُ المشهور السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وقد نشرنا رأينا في الكتاب وصاحبهِ (الزهور مجلّد ١ ص ٨٠) ، وفي يدِنا الآن الطبعة الثانية من هذا السفر النفيس . فنهنئ المؤلّف برواج كتابهِ وإقبال الجمهور عليهِ

* ملخص التاريخ القديم [٣] — كتيّبٌ صغير جمع في صفحاته ملخّص تاريخ المصريين والفينيقين واليونان والرومانيين والقرطاجنين والفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والدولة التركية ، كل ذلك بعبارةٍ رشيقة وأسلوبٍ جميل يدلُّ على براعةِ المؤلف المتستّر

---

(١) مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
(٢) طبع بمطبعة الجمالية في مصر وثمنه عشرون غرشا
(٣) مطبعة المعارف في مصر

* تاريخ حربَي البلقان[1] — للكاتب السياسي البليغ يوسف افندي البستاني نظرات دقيقة في السياسة وقد أكسبهُ طول عهده بالصحافة اطلاعاً واسعاً ، وخبرةً تامة . فلما شبَّت الحرب البلقانية شرع يتتبَّع حوادثها ، ويستقصي أخبارها من أصدق الموارد ويدرس باعتناءٍ كلَّ ما يقولهُ كتَّاب اوروبا فيها حتى وقف على دقائقها وتفهَّم أسرارها . فأخذ حينئذٍ بكتابة تاريخ لها جامعٍ لأسبابها ووقائعها ونتائجها ، فجاءَ كتابهُ في اكثر من ثلاثمائة صفحة حافلةً بكل الفوائد التي تقتضيها كتابة التواريخ ومحتوية على خريطتين ونحو أربعين رسماً. فنلفت الأنظار الى هذا الكتاب المفيد . ولعلَّنا ان نعودَ الى الكلام عنهُ في جزء قادم لإيفائهِ حقَّهُ

* كيف ينهض العَرَب[2] — عنوان رسالةٍ وضعها الأديب عمر افندي الفاخوري ضمنَّها شذرةً تاريخية في عوامل نهوض العرب وأسباب سقوطهم ، ودعا قومه الى شدّ أواصر العنصرية العربية واعتناق هذا المذهب السياسي دون نظرٍ الى معتقدهم الديني ، وقد بيَّن أن العَرَب لا ينهضون « إلاَّ اذا أصبحت العربية ، أو المبدأُ العربي ، ديانةً لهم يغارون عليها كما يَغارُ المسلمون على قرآنِ النبي الكريم ، والمسيحيّون على انجيل المسيحِ الرحيم الخ » هذه الفكرة يسعى الى تعميمها فريقٌ من أنصار الاصلاح في البلاد العثمانية ، وقد بدأ بصيصُ نورِها يلمَعُ من أنحاء مختلفة

---

(١) يطلب من مكتبة المعارف ومن المؤلف وثمنه ١٥ قرشاً صاغا

(٢) طبع في المطبعة الأهلية في بيروت · ويطلب في مصر من مكتبة المنار وثمنه غرشان

* بين اليمن والشام — عنوان قصيدةٍ غرّاء من نوع الشعر القصصي نظم عقدها حضرة الشاعر الكبير شبلي بك ملاَّط مندوب أُدباء سوريا في حفلة تكريم خليل افندى مطران . وهي قصةّ غرام حدثت وقائعها في عهد الخلفاء الأمويين فسبكها حضرتُهُ بقالبٍ سهل المأخذ رصين التركيب وطبعتها جريدة المراقب الغراء في بيروت

* مفكّرة المعارف — صدرت هذه المفكرة الشهيرة لسنة ١٩١٤ وهي صغيرة الحجم كبيرة الفائدة وتمتاز عن غيرها بما أُضيف اليها من الآيات والأمثال الحكمية في ذيل كل صفحة وتاريخ أشهرَ الاختراعات والاكتشافات وضبط الأعياد الدينية والمدنية . وهي مطبوعة على ورق جيّد ومجلَّدَة تجليداً متقناً وثمنها أربعة غروش صاغ وتُطلَبُ من جميع المكتبات في مصر

* مجلة فرعون — توفيق افندي حبيب من أعرفِ الكتّاب بشؤون مصر وحوادثها الخصوصية ، يعرف منها كثيراً ويروي ما يعرف بأسلوبٍ خفيف يلذّ القارئ ويُسلّي المطالع . وقد أعاد في هذ الآونة إِصادر مجلتهِ « فرعون » التي وقفها على البحث في أحوال الطائفة القبطيـة وشؤونها الاجتماعية . فنتمنى لها رواجاً ومكاناً رفيعاً في عالم الأدب



منشىء المجلة

انطون الجميل



المدير المسؤول

امين تقي الدين

الجزء التاسع   ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٣   السنة الرابعة

الاوقاف في القطر المصري

تاريخها ونظامها وناظرها الجديد[1]

أُنشئَ ديوان الأوقاف لأوَّل مرَّةٍ على عهد المغفور لهُ محمد علي باشا الكبير جدّ الاسرة الخديوية بموجب الأمر الصادر سنة ١٢٥١هـ = ١٨٣٥م. وما لبث أن صدر أمرٌ بالغائهِ بعد ثلاث سنوات . ثمَّ أُلِّفَ للمرَّة الثانية فى ١١ رجب سنة ١٢٦٧ هـ = ١٨٥١ م بناءً على قرار المجلس الخصوصي الذي صدر بأمر المرحوم عباس باشا الأوَّل . وكان هذا القرار يشتمل على عشر موادّ ، خلاصتُها :

« أن يُطلبَ من نظَّار الأوقاف الخيرية بيانٌ عن أعيان الأوقاف الجارية في نظارتهم وما يتجمَّعُ من إيرادها ووجوه إنفاقها ، وما يفضلُ بعد ذلك منها لمراجعتها . وأُطلِقَ على ذلك اسم « المحاسبات » ؛ وأن يكونَ النظَّارُ مسؤولين عما يحدثُ من العجزِ في الأعيان ، وأن يُحالَ

(١) اعتمدنا في المعلومات والارقام التي نوردها في هذا المقال كتب الاحصاء الرسمية وتقويم الحكومة المصرية وتقرير ديوان الأوقاف .

أمرُ من يُخالِفُ منهم شرطَ الواقفِ الى المحكمة الشرعية ، حتى إذا ثبتَ للقاضي اختلاسهُ ، عزلهُ وولىّ بدلاً منهُ ؛ وأن تتكفَّل الحكومةُ بنفقات الديوان من ماهيَّات المستخدمين وغيرها ، لأنَّ شرطَ الواقفين يقضي بأن لا يُنفَقَ شيءٌ في أي وجهٍ كان ممَّا لم يعيّنهُ الواقفُ »

واستمرَّ الديوانُ في مراجعة المحاسبات الواردة من نظَّار الأوقاف لغاية سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م إذ أحيل اليهِ بعضُ أوقافٍ ذات إيراد فقضت الحاجةُ حينذاك بإنشاء خزانةٍ خاصَّةٍ بهِ

وفي السنة التالية صدَر قرارٌ آخرُ على عهد المرحوم محمد سعيد باشا يقضي بأن يُنفَقَ من خزانة الأوقاف ماهيَّات المستخدمين مباشرةً ، وأن تُسدّدَ المالية للديوان قيمة ما يُنفقهُ في هذا الباب

وفي سنة ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م صدرَ أمرٌ عالٍ جاء فيهِ : أنَّ نفقاتِ الديوان تبلغ ٤٧٧٠٢ قرشاً يؤدّي ديوانُ الأوقاف منها ١٩٢٣٤ قرشاً ونصف قرش مما يخصصه على ايرادات الأوقاف التي يبلغ ايرادها ٩٨٨٩٦ قرشاً ، وتدفع خزانة الحكومة الباقي

ثمَّ صدر قرارٌ ثالث سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م على عهد المرحوم اسماعيل باشا خديوي مصر الأسبق متوَّجاً بأمرٍ عالٍ يقضي بأن يُنفِقَ الديوانُ في ماهيَّات مستخدميهِ مبلغ ٢٠٤٧٠ قرشاً ، وأن تُنفِقَ الحكومةُ مبلغ ٢٠٣٥٠ قرشاً . وباشر الديوان صرف الماهيَّات من خزانتهِ ، ووضعها ضمن النفقات التي خصَّصها على ايرادات الأوقاف

ومن هذا العهد أخذ ديوان الأوقاف ينمو ويزداد في الارتقاء ، لأن

أوقافاً كثيرة من مصر والأقاليم أُحيلت اليهِ ، وذلك بعد صدور الفتوى الشرعيـة بأنَّ كلَّ ناظرِ وقفٍ يموتُ أو يختلسُ يُحال ما تحتَ يدِهِ من الوقف الى الديوان . وأول ما اتّصل بهِ من هذا القبيل ما كان من الوقف تحت إدارة ذنون آغا دار السعادة بأمرٍ من الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٨ م . وفي السنة نفسها أُضيفت الى الديوان أوقاف الحرَمين بعـد أن كان لها ديوانٌ خاصٌّ تحت نظارة المرحوم ابرهيم أدهم باشا . وما زالت الأوقافُ تُحال الى الديوانِ وقفاً بعد وقف حتى أربت على المئة وقفٍ في سنة ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٣ م

وفي تلك السنة صَدَرَ أمرٌ عالٍ بانتخاب خمسين شخصاً من نجباء الطلبةِ ، من سنّ العشرين الى الثلاثين ، بعـد امتحانهم ليكونوا معلّمين للّغة العربية والتركية في المدارس الأهلية ، وأن يُدرَّسوا هم في دار العلوم الملحقة بالكتبخانة ما يلزم لإتمام دروسهم ، وأن يُعيَّنَ لكلٍّ منهم مدّة التعليم مئةُ قرش شهرياً . وكان ذلك أولَ ما درج بهِ ديوانُ الأوقاف من الأعمالِ الخيرية في المنفعةِ العامّـةِ

ولما اتسعت دائرة أعمال الديوان ، وأصبح مصلحةً مهمّةً ذات أقلامٍ عديدة رأى أُلو الأمر أَن يحوّلوهُ الى نظارةٍ سنة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م ، وعيِّن محمود سامي باشا البارودي المشهور ناظراً للأوقاف في وزارة رياض باشا . وهكذا جُعِل ديوان الأوقاف لأوّل مرّة نظارةً من نظارات الحكومة كما جُعِل الآن

ثمَّ صدر أمرٌ عالٍ في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ باعادة نظارة الأوقاف

مصلحةً قائمةً بنفسها . ومفادُ ذلك الأمر أنَّهُ من الواجب أن تكونَ الأحكام المختصَّة بمسائل الأوقاف مطابقةً للأحكام الشرعية ، فلا ارتباطَ لها بالنظارات الموكول اليها النظر في الأمور الإدارية والسياسية ؛ ولذلك اقتضت الإرادة جعلها إدارةً قائمةً بذاتها وأن تكون الأوامر التي تصدرُ بشأنها من الجناب العالي مباشرةً

وفي سنة ١٨٩٥ وُضِعت لديوانِ الأوقاف لائحةٌ يجري عليها ويرتبطُ بقيودها ، وقضت تلك اللائحةِ بوضعِ ميزانية منتظمة على الطريقة التي تسير عليها الحكومة في ميزانيتها

ولمَّا أخذت المالية في مباشرة هذا الأمر وجدت أمامها عقبةً حائلةً دون الوصولِ الى الغرَضِ ، وهي أنهُ كان في ديوان الأوقافِ حسابٌ خاصٌّ بكل وقفٍ ، فكانت الطريقة الحسابية عبارةً عن حسابات متعدِّدةٍ بقدر عدد الأوقاف التي تحت إدارتهِ ، وكان لا يستطيعُ وفاءَ ما يظهرُ من العجزِ في إيرادات الأوقافِ الفقيرة بأخذهِ عن زيادةِ إيرادات الأوقاف الغنية . فصدر أمرُ مجلس النظَّار بتعيين لجنةٍ من العلماء لدرس المسألة وتوحيد الحسابات . وصدرت الإرادة السنية سنة ١٨٩٦ باتّباع الطريقة التي أفتى بها العلماء ، وهي أنَّ الأوقافَ الخيريةَ تنقسمُ أقساماً بحسب وجوهِ إنفاقها ، وأنَّ ما يزيدُ في إيرادات تلك الأقسام عن نفقاتها بعد وفاء ما يظهرُ من العجزِ في أيّ قسمٍ من أقسامها يتكوَّن منهُ مالٌ احتياطي لا يمكن التصرُّف فيهِ إلَّا بأمرٍ عالٍ يصدرُ بناءً على طلب مدير الأوقاف بعد أخذ رأي مجلس الإدارة أو المجلس الأعلى حسب الحال .

وقد استثنيت من ذلك أوقاف الحرَمين

وبناءً على المادّة ٥٧ من اللائحة ، انتدبت نظارة المالية حضرة جورج بك طلاماس لمراجعة حسابات الديوان، فوُضعت نماذج الدفاتر والاستمارات للأعمال الحسابية بالاتفاق بين المندوب ورجال الديوان

وقد نصّت اللائحة الصادر بها الأمر العالي المؤرّخ في ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ على اختصاص الديوان بما يأتي :

١ً — إدارة الأوقاف التي تؤول الى الخيرات وليس النظر مشروطاً فيها لأحد

٢ً — إدارة الأوقاف التي لا يُعلَمُ لها جهة استحقاق

٣ً — إدارة الأوقاف التي ترى المحاكم الشرعية وجوب إحالتها الى الديوان موقتاً بضمّ مديرهِ ناظراً مع ناظر الوقف

٤ً — إدارة الأوقاف التي يُقامُ الديوان حارساً قضائياً عليها

٥ً — ادارة الأوقاف التي يَرغبُ نظّارها ومستحقوها في إحالتها الى الديوان من تلقاء أنفسهم

أمّا الوظيفة الدينية والأدبية التي يُؤدّيها ديوان الأوقاف فإنّهُ يُقيم الشعائر الدينية في المساجد، ويُنفّذُ شروطَ الواقفين في وجوهِ البرّ التي عيّنوها، ويبذلُ المساعدةَ على نشر التعليم بالمدارس والكتاتيب والمعاهد العلمية، ويُديرُ ملاجئ أُنشئت للعجزةِ والبائسين، ومستشفيات وعيادات طبية مفتوحة للفقراء مجاناً، ويمدُّ بالمرتبات السنوية عدّةَ جمعياتٍ خيرية ومدارس صناعية، ويتولّى بالصدقات الشهرية مؤاساة كثيرين

من أهل البيوت ذوي الخصاصةِ ممن أخنى عليهم الدهرُ بصروفهِ، ويتصدَّقُ أيضاً على الفقراءِ وابناءِ السبيل في أيام المواسم والأعياد

أمَّا إيراداتُ الأوقاف فقد بلغت في سنة ١٩٠٢ — ٢٤٦٠٠٠ جنيه مصري، وبلغت في العام الماضي ٥١١,١٠٠ جنيه، فتكون الزيادة في مدة عشر سنوات ٢٦٥,١٠٠ جنيه

وقد زادت أيضاً النفقات تبعاً لنموّ الإيرادات، فإنها كانت منذ عشر سنوات ٢٠٩,٣٦٢ جنيهاً فبلغت في العام الغابر ٤٨٠,٨٠٥ جنيهات

ويُدير ديوانُ الأوقاف ١٤٣٥ مسجداً في القطر المصري، منها ٥٣٠ مسجداً في مدينة القاهرة وحدها. ويبلغ عدد خَدَمـةِ هذه المساجد ٨٠٤٧ بين مشايخ ومدرّسين وأئمة وخطباء ومؤذّنين وميقاتيين وقرّاء وملاحظين

أمَّا المعاهد العلمية الدينيـة التي يُنفق عليها الديوان فهي الجامع الأزهر[١] ومشيخة علماء الاسكندرية[٢] ومشيخـة الجامع الأحمدي[٣] ومشيخة الجامع الدسوقي ومشيخة علماء دمياط[٤]، فيها ٦٤٠ عالماً ونحو ٢٠,٥٠٠ طالب

(١) انشئ الجامع الازهر بأمر جوهر القائد عامل الخليفة الامام المعز لدين الله رابع خلفاء الفاطميين وكان الفراغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ = ٩٧٢ م

(٢) في ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت ارادة سنية من الجناب العالي الخديوي عباس باشا حلمي الثاني انشاء معهد علمي في الاسكندرية يكون التدريس فيه ملحقاً بنظام التدريس في الجامع الازهر

(٣) انشأ هذا المسجد الشيخ عبد المتعال بعد وفاة شيخه العارف بالله السيد احمد البدوي سنة ٦٧٥ هـ وجدّد بناءه علي بك الكبير احد ولاة مصر سنة ١١٨٣ هـ

(٤) أسس هذا المعهد في ثغر دمياط الملك الأشرف السلطان قايتباي حوالى سنة ٨٨٠ هـ

ويتبع ديوان الأوقاف ١٥١ مكتباً محالة ادارتها الى نظارة المعارف العمومية مقابل مبلغ ٢٤٫٦٧٧ جنيهاً يدفعهُ الديوان للنظـارة . ويصرف أيضاً مبلغ ١٥٠٠ جنيه بصفة اعانات لمدارس يُراقب إدارتها ، هذا عدا الاعانات المخصَّصة لبعض المدارس الأهلية

وللأوقاف ١١ مستشفى وعيادةً طبية يُنفق عليها في السنة نحواً من ١٧٠٠٠ جنيه ، وهي مستشفى الجذام ومستشفى الأزهر ومستشفى قلاون ، وعيادات المنشية ومصر القديمة وبولاق وطنطا والاسكندرية والبعثة الطبية الحجازية ومخزن الأدوية العمومي والمستشفى العباسي

ويُدير الديوان من التكايا والملاجئ : تكية المدينـة المنوَّرة ، ومكة المكرّمة ، وطره في مصر ، وتكية النساء في مصر أيضاً ، والقباري في الاسكندرية ، وملجأ الأطفال في مصر ، ويبلغ ما يُنفقهُ عليهـا في السنة ٢٢٠٠٠ جنيه تقريباً ، وعدد الفقراء والمعوزين الذين يقيمون فيهـا أو تُصرف لهم الأغذية منها ٧٢٤٥

وتبلغ الإعانات التي يمنحها في السنـة للمدارس والجمعيات الخيرية حوالي ١٣٥٠٠ جنيه ، منها ٥٠٠٠ جنيه للجامعة المصرية ، و١٠٠٠ لجمعية رعاية الأطفال ، و٢٠٠٠ لملجإِ الأيتام بالاسكندرية ، و١٠٠٠ لمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، و٥٠٠ للكتبخانة و٥٠ لجمعية الرفق بالحيوان . الخ

ويُدير ديوان الأوقاف ، غير الأوقاف الخيرية وأوقاف الحرَمين الشريفين ، أوقافاً أهلية تُحال اليهِ ، بعد تقريرهِ في النظر عليها من قِبَل القضاة الشرعيين . وتبلغ هذه الأوقاف ٤٦٥ وقفاً ، يأخذُ الديوان من

مواردها ١٠ في المئة رسم إدارة بموجب لائحة الإجراءات ويُديرهـا كما يدير الأوقاف الخيرية سواء بسواءٍ

* * *

هذا ما يسمحُ المقام بذكرهِ عن ديوان الأوقاف الذي صدرت الإرادة السنية في الشهر الغابر بتحويلهِ الى نظارةٍ من نظارات الحكومة يرأسهـا الوزيرُ الهمام المدبّر أحمد حشمت باشا ناظر المعارف السابق . ويرى القارىءِ مماً تقدّم أنّ المجالَ واسعٌ لرجلٍ كحشمت باشا أن يسير بالأوقاف على المنهاج الذي سار بهِ في المعارف، فانهُ بعث اثناءَ السنوات القلائل التي قضاها في تلك النظارة روحاً جديدة في اللغة العربية بتنشيطهِ التأليف في هذه اللغة ، وتوسيع التعليم بهـا ، وبتقريبهِ كتَّابها وأُدباءَها وشملهم برعايتهِ وتزويدهم بارشاداته ونصائحه ، فرأينا نهضةً حقيقيةً للتأليف في فروع العلوم والآداب كافةً ، ولا شكَّ في أن تاريخ النهضة الحديثة في الآداب العربية سوف لا ينفكُّ مقروناً باسم حشمت باشا . والآمال معقودة الآن على همة هذا الوزير العامل بأنهُ سينهض بالأوقاف ويزيدُ في نموّها ومنفعتها إدارياً وأدبياً ، فنرى لهُ فيها من المآثر ما رأينا لهُ في المعارف، فلا يُلاقي غداً إلاّ ما لاقاهُ بالأمس من الثناء على همتهِ البعيدة ، وإطراء إدارته الرشيدة

رحلة صيف [1]

ذهبتُ الى الاسكندرية، وفي تقديري أن أقضيَ ثمَّتَ يومين، وفي تقدير الله أن أقضيَ شهرين. فما هو إلاّ أن خلَت ليلةٌ حتى باغتني داءٌ، فضربَ وأثقل، ثم تمكّن فأعضل، ثم أناخَ بكلكل. فلمّا صحوتُ بعد أيام من سكرته، ونجوتُ من مضطرَب غمرتهِ، نهضتُ ببقية الجسم الباقية، كما تُلبس الخرقة البالية، وعرضتُ نفسي على الباخرة، فالباخرةُ تحماني إمّا الى الشرق وإما الى الغرب. فقيل: مكانَكَ يا هذا الخيال! إنّ الباخرةَ لا تستقلُّ بك في زمن وباءٍ، وقد تستقلُّ بأشباه الجبال

قال الطبيب: فعليك بالمكس! حَسُنَ هواؤها، وجلّ رواؤها. فقصدتُ المكس وما ادراكَ ما هي الآن

هي إحدى ضواحي الاسكندرية، قليلةُ المساكن حقيرتها، تمتدُّ سلسلة أبنيتها مستطيلةً بين شاطئ البحر والرمل. الهواء فيها جافٌّ نقيٌّ عاصف، والبحرُ شديد الخفوق لا يملُّ من مداعبة الصخور بمثل خشونة الضواري في تداعُبها. والمنظر على الجملة بديعٌ في مطلع الشمس وفي مغربها؛ وللشمس فيها تجلّياتٌ باهرةٌ خلالَ الغمام، وللغمام تشكُّلٌ وتلوُّن فاتنان، وللأفق تأنُّقٌ عجيبٌ في ترتيبٍ قدر المنطقة التي يتحزّم بها وابرازها في ابدع زينةٍ بين الورديّ فالبنفسجيّ فالفستقيّ فالزمرديّ فاللازورديّ

[1] كتبت هذه المقالة في نوفمبر ١٩٠٢

فالسنجابيّ ، فما بينها من الالوان التي تلطف اجتماعها وتزيدها بهاء على التنويع

ومن محاسن المكس أنّ الحكومة مهملتها ، فهي من أجل هذا لم تزل قطعة من الطبيعة يعيشُ فيها الانسان ، كما يُحبُّ أن يعيش المتمتع طالبُ الراحةِ . فاذا مرَّ في طريق ، فالطريقُ غيرُ ممهّدة ولا مستقيمة ولا محفوفةٍ بصفّين من الشجر يحجبان النظرَ ، كما تُحجبُ عيون الخيل التي تجرُّ المركبات ؛ بل هي ضيّقةٌ فواسعة ، صاعدةٌ فمنحدرة ، رملية فحجرية ممتدّةٌ فمنعطفة ، فيها للسائرِ ما لا يألفهُ فيستجدُّهُ كلَّ آنٍ . وفيما حولها من المسافات المفتوحة ما ينطلق معهُ النظرُ على مدى البحر الفسيح تارةً ، وعلى مدى الرملةِ الوعساءِ طوراً

رأيتُ في خلال إقامتي بالمكس بعضَ الأشياءِ التي تجدرُ بالذكر رأيتُ الملاّحاتِ وعلمتُ للمرّةِ الاولى علمَ الشهادةِ والتحقيق كيف يُصنَعُ هذا « المصلح » الذي يُصلِح غذاءنا ، وينزلُ من حاجيّات حياتنا في المنزلة الأُولى ، حتى أن الأمصارَ التي لا يُوجد فيها وتستوردُهُ من بعيد على ظهور الدواب تتداول قطَعَهُ تداولَ النقود

واني لاستحيي أن أصف بالدقة كيف يُصنع الملحُ ، لأنَّ أجهلَ الناسِ يتصوَّرُهُ . ولكنني لا أخاف القولَ إنَّ البلادةَ مستحكمةٌ في قلوبنا ، نحن الشرقيين ، متمكنةٌ من لحمنا ودمنا الى حدّ أنَّنا لا نتكلّفُ الرؤيةَ ولو عن كَثَبَ ، لنعلمَ مِن دقائق الأمر ما لم يُلمَّ بهِ تصوُّرُنا إلماماً تاماً من مجرّد الأخبار

رأيتُ أيضاً مصطنَعَ الحجارةِ الضخمة المربَّعةِ التي تُعَدُّ لإتمام جدارِ الرصيف الشرقي بالاسكندرية ، وقد تمَّ منها ألوفٌ يجدُها الناظرُ معروضةً على خطٍّ مُستطيل ، وهي تُحمَلُ على ظهورِ البواخرِ بواسطةِ مرفعةٍ بخاريةٍ منصوبة على رأس صخرة متقدّمة في البحر

رأيتُ حيث ينتهي النظر من المكس شبه قريةٍ ذات خضرةٍ تدعى « العجمي » عاقني عن تفقُّدها ضعفُ الجسم ؛ فسألتُ أحد ساكنيها ، فقال إنَّها لا مزيَّةَ لها عن سائر القرى المجاورة الاَّ بشيءٍ : وهو أن البحرَ يمدُّ هناك ذراعاً ، ثمَّ يعطفهُ عطفة الضمّ والتطويق ، فينزع قطعةً من الأرض عن أمّها ، ويُحدث منها جزيرة . وفي الجزيرة مقامٌ لوليٍّ يُعرف بالعجمي ، وهذا المقامُ غاصٌّ بالمراكب الصغيرة المُهداةِ اليهِ نذوراً ، والنواتي يعتقدون أنهُ شفيعهُم ، وأنهُ ببركة هذه النذور يرقُّ لهم ويُنقذهم من أخطار البحر

ما أحوجَ الانسانَ الى الإيمان !

هذا كلُّ ما رأيتهُ من جانبٍ ؛ أمَّا من الجانب الآخر ، وهو الذي ينتهي اليهِ « الترام » قادماً من الاسكندرية ، فالذي استلفتني أمران :

أحدهما وجودُ حمَّام هناك واسع متقن ، ومنتديَين للشرب ، هذا من خشبٍ قائم فوق الحمَّام ، وذاك مبنيٌّ من الحجر على شكل سرادق رحيبٍ ، بينهُ وبين الحمَّام خطواتٌ . وفي كل مساءٍ يستقدم أصحاب هذين المنتديَين جوقتَي موسيقى لإطراب الحضور ، الواحدة منهما أرمنية تضرب ألحاناً شرقية وألحاناً غربيــة ، والأُخرى إفرنجية تضرِبُ ألحاناً افرنجية

مختارة باتقان لا تبلغهُ الأولى. ولكنَّ الحانة الأولى التي فوق الحمَّام يزدحم الناس فيها ألوفاً كلَّ يوم ، بخلاف الأخرى التي بجانبها ، فلا يجتمع فيها الاَّ أفرادٌ . ولو شئتُ أن أُفصّل أسباباً لنجاح هذه وفشل تلك ، لفعلت؛ ولكنَّ مذهبي أن السبب الذي ترجع اليه تلك الأسبابُ بجملتها هو نفس السبب الذي تشقى به أحياناً أمةٌ صالحةٌ وأرضٌ خصبة وعملٌ متقَن ، وتسعد بِهِ أمةٌ فاسقةٌ وأرض قحلةٌ وعمل ناقصٌ . فسمِّهِ ماشئت

ويذكرني نجاحُ قهوةِ الحمَّام قهوة أخرى أُنشئت في المنازل منذ تسع سنين ، اي حينما مُدَّ الخطُّ الحديديُّ الى المكس ، فكنَّا إذا شئنا التنزُّهُ ركبنا القطارَ الى المنازل ، ووجدنا الناسَ مزدحمين وقوفاً وجلوساً ، والمكاسبُ تتدفقُ على صاحب المكان من كلّ صوب . فلما افتقدتها هذه المرَّة وجدتُ خربةً ساكنة يتحرَّك في بعض جوانبها آناً بعد آن فاعلٌ يحمل تراباً أو صانعٌ يضربُ قطعة خشب ، كما تتحرَّك الجرذانُ الجسيمة في بعض الخرائب العتيقة

ذلك أَنَّ وجود « الترام » قتَلها ، لأنهُ عطَّل الخط الحديدي، فأبطلهُ ، و « الترام » لا يمتدُّ اليها ، بل هو بعيدٌ عنها .فأيُّ سببٍ نردّ اليه أمثال هذه الانقلابات التي تكون في عالم الغيب ثم تفاجئُ من حيث لا تظن

أما الأمر الثاني الذي استوقفني وشجاني ، فهو ما رأيتهُ على كثيبٍ ممتدٍّ شبه القتَبْ بين البحر وبين طريق « الترام » من المدافع القديمة ادوات الدفاع عن مدخل الثغر

تدلُّ مراكزُ هذه المدافع على انها كانت منصوبةً وراء القتَب ، كما

تَنَسَّقُ الإِبَرُ في ورَقَتِها، وكلُّها من الطراز الضخم، اذا اقبل عليها الناظرُ من بعيد ظنَّها بعض الوحوش الضارية من اسدٍ ونمرٍ وفهدٍ، فاذا دنا منها لم تَزُلْ مهابتها من قلبه، ولكنه رأى الموت قد مدَّ عليها كفناً من اشعَّة النهار وانداء الليل، ثم طبع عليها اصابعَهُ، فهي منقَّطة بنقط صفراء نحاسية، وخضراء طحلبيَّة، على قشر عاتم صادئ، ومنها ما انكسرت له ساق، فانقلب على جانبهِ، ومنها ما اصابتهُ ضربة في شفتهِ، فانشقَّت والتوَت، ومنها ما أدلى بعنقهِ الطويل الى التراب كأنه يعضُّهُ في احشائهِ

منظرُ موتٍ وخراب وعار .

دنوت من هذه الاشياء وانا اسيفٌ أُرسل النظرة الى الغيب، فأرى بها أُمم الشرق كلَّها مجتمعة تدبُّ دبيب الحشرات لاصقةَ الجباه بالارض من الضعف والجبن ودناءة المطالب، وأُطلق الزفرة من صدري، فأؤبن بها مجداً عظيما ملأ العالم زمناً، ثم دفنهُ ذووه في بعض زوايا التَّرك والاهمال، ووكلوا الى الذين اُبتلوا بهِ قديماً أمر البحث عنهُ وجلاء آثاره التي غالها الصدأُ وغشيَها نبات النسيان، حتى نخرها الى الصميم، واذرفُ العبرة فأبكي سماءً اُنطوت طيَّ الجلباب، ونجوماً غارت في التراب، ومعالم عامرة صارت الى تباب

ثم وضعتُ رجلي على عنق الكبير من تلك الضواري الجامدة، وأثقلتُ وطأَتها عليهِ وقلتُ : يا ايها الأسد جُعِلْتَ للزئير فاستنبحوكَ، وللافتراس فكمّوكَ، وللوثب فقيّدوكَ؛ فلينسجِ العارُ عليهم مثل ما نسج على جلدكَ . فاذا نهشتك الايامُ نهش الكلاب الشلوَ، فليشهد عليهم كلُّ

أثر في البلاد من بعدك . فانهم خفضوا رايةً ، واضاعوا جيشَ بَرٍّ ، وأغرقوا اساطيل بحر، وأذلوا أمة ، وأضاعوا وطناً

هذا كل ما في المكس من قديم وحديث وهو قليل؛ غير ان مناظر الطبيعة فيها غاية ما يُتمنَّى؛ ونقاوة الهواء وصفاء الطبع وسلامةُ المعيشة من المصطلحات المزعجة المتعبة افضلُ وسائل التعافي والسرور ونشاط النفس

خليل مطران

* * *

الزهور — في « ديوان الخليل » بضعُ صَفَحاتٍ شعريّةٍ عنوانُها « حكاية عاشقَين » بدأت في سنة ١٨٩٧ وانتهت في سنة ١٩٠٣ . والمقالةُ التي نشرناها في الصّفحاتِ السابقة انما كتبها « خليلٌ » في أواخر عهدهِ بتلك الحكايةِ يومَ ذهبَ الى رَملِ الاسكندرية مستشفياً من داءَين كانا قد ألمّا بهِ ووصفَهما وصفاً بديعاً ملئهُ عواطفُ نفسٍ حزينةٍ يائسةٍ في قصائدَ من أجود الشعر نختارُ الأبيات التالية من إحداها ؛ قال :

إنّي أقمتُ على التعلّةِ بالمنى　　في غُربةٍ قالوا تكونُ دوائي
إن يَشفِ هذا الجسمَ طيبُ هوائها　　أيُلطِّفُ النّيرانَ طيبُ هَواءِ
عَبَثٌ طوافي في البلادِ وعِلّةٌ　　في عِلّةٍ مَنفايَ لاستشفاءِ
متفرِّدٌ بصبابتي متفرِّدٌ　　بكآبتي متفرِّدٌ بعنائي
شاكٍ إلى البحرِ اضطرابَ خواطري　　فيُجيبني برياحهِ الهوجاءِ
ثاوٍ على صخرٍ أصمَّ وليتَ لي　　قلباً كهذي الصخرةِ الصمّاءِ
يَنتابها مَوجٌ كَمَوجِ مكارهي　　ويَفتُّها كالسقمِ في أعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ　　كَمَداً كصدري ساعةَ الإمساءِ

تغشى البريَّةَ كدرَةٌ وكأنَّهــا صعِدتْ الى عينيَّ مِن أحشائي
والأُفقُ معتَكِرٌ قَرِيحٌ جفنُهُ يُغضي على الغَمرَاتِ والإِقذاء

* * *

ولقـد ذكرتُكِ والنَّهارُ مُوَدِّعٌ والقلبُ بينَ مَهابةٍ ورَجاء
وخواطري تبدو تِجاهَ نواظري كَلْمى كداميَةِ السَّحابِ إزائي
والدَّمعُ من جفني يَسيلُ مشعشَعاً بسنى الشعاعِ الغاربِ المترائي
والشمسُ في شَفَقٍ يَسيلُ نُضارُهُ فوقَ العَقيقِ على ذُرًى سوداء
مرَّت خلالَ غمامَتين تحدُّراً وتقطَّرتْ كالدَّمعــةِ الحَمراء
فكأنَّ آخِرَ دَمعةٍ للـكونِ قد مُزِجَتَ بآخِرِ أدمعي لِرِثائي
وكأنني آنستُ يَومِيَ زائلاً فرأيتُ في المرآةِ كيفَ مسائي

﴿ الإنتقاد ﴾

بينَ نَقْدِ المؤلّفات هنا، ونقدِها هناك فرقَان : أحدُهُما يتعلّق بالنّاقِدِ والآخر يتعلّق بأثر النقد في الأذهان . أمّا الأوّل فهو أن الناقد هناك ينتقـد الـكتاب من حيث ذاتهِ؛ فلو لم يكن للـكتاب صَاحبٌ لا نتقدَهُ، وهنا ينتقدهُ باعتبار شخص مؤلفِهِ . أي أنهُ ينتقِدُ الـكتاب بل صَاحبَ الكتاب في كتابه . وأمّا الثاني ، وهو أثرٌ طبيعي للأوّل ، فهو أنَّ للانتقاد هناكَ أثراً ظاهراً في الـكتاب من حيث رواجه وكساده ، وشهرتهِ وخمولهِ . فكما يقول المنتقد يقول الناس بقولهِ . وهنا يمرُّ الانتقاد بالاذهان مرًّا فلا يبقى من آثارهِ فيها إلاّ أثرٌ واحـد وهو أن الكتاب جليل القدر سني القيمة ! !

مصطفى لطفي المنفلوطي

انيبال (1)

هو قائد من أهل قرطجنة ولد فيها سنة ٢٤٧ قبل المسيح ومات سنة ١٨٣

يجدرُ بنا أن نعرضَ عن الكلام في حياة الاسكندر المكدوني الذاهبة على غير طائلٍ وجدوى ، ونأخذَ في ذكر حياةٍ لا يفضلها حياةٌ نبالةً وحماسةً : ألا وهي حياة القائد انيبال فنقول :

هو الرجلُ الذي أتاهُ اللهُ جميعَ مواهبِ العقلِ ، وجودةِ الطبع ، وزيّنهُ بأفضلِ ضروب الاستعداد التام لإتيان أشرفِ المساعي ، وأسمى الاعمال الخطيرة

وُلدَ في بيت قادةٍ اشتهروا بالذود والدّفاع عن استقلال مدينتهم ، حتى المات . وكانت روحهُ كأنها نوعٌ من المعدن قد صيغَ في وسط اتون البغض والحقد المتقد حول رومة بجزلِ مطامعها . واذ بلغ التاسعةَ من عمره فارقَ قرطجنة وصحب أباهُ الى حيث كان مثوى اجداده قصدَ ان يحيا و يموتَ في محاربة الرومان . فدلَّ ذلك ان الأعمال الحربية كانت مرتاد أمانيهِ ومرمى همهِ . فاعتاد منذ صغره الرُّقادَ في ساحات الوغى ومواطن القتال ليكفى بهذا الاعتياد الوجعَ في عُنُقهِ من تعادي خَشنِ الوساد ، وفي سائر جسمه التبرُّم من الاضطجاع على مثل شوك القتاد وليأمن مظانَّ المخاوف ، ويتمرّنَ لبُّهُ على تدبُّر الأعمال الحربية بحيث يكونُ ، في أعظم الأهوال وأشدِّ الحروب ، أفضلَ من غيرهِ في أصفى الأحوال والأوقات .

ثم بعدَ وفاةِ أبيهِ « أميلكار » العظيم ، وصهرهِ « أسد روبال » اللذين قضيا نحبهما قتيلين في حومات الوغى ، انتخبه الجيشُ القرطجني قائداً عاما ، مع أنَّ سنيهِ لم تتجاوزِ الست والعشرينَ اذ ذاك ، خلافاً لرأي مجلس الملاء القرطجني ، لأنهُ كان ينفسُ على بيت بركا — بيت انيبال — عظمَ مكانتهِ وشهرتهِ

ولما استولى انيبال على قيادة الجيش جعلَهُ مثلهُ ممتلئاً حقداً وحنقاً على الرومانيين ، ومُحرِزاً إقداماً وثباتاً بليغين . ثم زحف بهِ في أكباد اوروبا ، وكانت

(1) تابع المقابلة بين نابوليون ومشاهير الرجال

حينئذ مجهولةَ المسالك، كأواسط أفريقية الآن ، واجتازَ جبالَ « البيرينه » وجبال « الالب » في ثمانينَ ألفَ جنديّ ، وقد فقد منهم أكثرَ من خمسين ألفاً في مسيره الشاقّ الشاسع الخارق العادة ؛ واستمرَّ سائراً لا تصدُّهُ الصعابُ والعقباتُ المتنوعة اعتقادَ وجوبِ محاربةِ رومة في بلادها ، للتمكن من الاستحواذ عليها ، الى أن دخل ايطالية ، مشيراً على رومة أتباعها ورعاياها . فوثب على القواد الرومانيين واضطرَّهم الى مزايلة مراكزهم ومعسكراتهم الحصينة ومنازلتهِ، بتظاهره باستصغار شأن بعض القوَّاد ، والاستخفاف بقلة شجاعتهم ، وبما زيَّن لكبرياء وخيلاء قوم آخرين منهم ؛ وما زال بهم حتى ظهر عليهم شيئاً فشيئاً ، وكاد يكبتهم ويقهرُهم كافةً ، لولا أن تصدَّى له قِرْنٌ مكافئٌ له في الشدَّةِ والبأسِ ، وهو « فابيوس » الذي أشار بأنَّ من الواجب أن يُقاومَ هذا الجبارُ ليس بقوَّةِ السلاح في وقائع حرب لا يطمع منها بالغلبة عليهِ ، بل بفضل الثبات الذي هو من فضائل رومة الحقيقية

ولما رأى انيبال غلطـةُ بانكالهِ على « الغاليين » لعدم ثباتهم ، وتحقق عدمَ إمكانهِ أخذ رومة ذهب الى جنوب ايطاليا ، وكانت البلادُ ثمَّةَ متمدّنة وحكوماتها متألفةً من مجالسِ أشرافٍ مستبدَّةٍ برعاع الشعب ، فخضد شوكةَ الشرفاء مع كونه شريفاً ، وسلّم مقاليدَ الحكومة الى الشعب ، وجعل مدينة « كابو » عاصمة حكومتهِ ، متباعداً نزيهاً عن الملاهي والملاذّ خلافاً لما توهم أو أوهم كثيرٌ من المؤرّخين، اذ أنهُ لم يكنْ يعرفُ مواردَ الترفِ والتلذّذ ، ولم يذُقْ طعمها في كل حياتهِ . ثم جدَّد نشأةَ جيشهِ وأغناهُ بسلوبات فتوحِ البلدان . وما منعه خذلانُ أهل وطنهِ اياهُ ان استدعى اليـهِ بشعوب الأرض وشبَّ الحربَ في اليونان وآسيا مستثيراً سكانَ الدنيا قاطبةً لمقاومة الرومان . وما زال مدَّةَ اثنتي عشرة سنة فاتكاً بكلّ جيشٍ روماني يخرُجُ لقتالهِ ، ولهُ من نفسهِ ناصرٌ معين ، وهو رابط الجاش ، رسوخ القدم في ايطاليا ، حتى أنَّ الرومانيين باتوا قانطين من جلائه عن بلاد ايطاليا

ولكن أتى يومٌ نقلوا فيهِ مراكزَ القتال ومواقفهُ الى أفريقية ، تحت أسوار قرطجنة ، فاستغاثت بهِ مدينتـه ، فخرج يقاتلُ العدو بجيشهِ المتضعضع جيشاً منظماً

جديداً ، فنكص جدّهُ الباسق ونقص حظّه السابق ، فلم يجد بدّاً من ان يدين « لسيبيون » الجديد الطالع نزولا على حكم الدهر وتقلبات الأيام ، فعاد متحسراً متقطعاً الى وطنهِ ، وجعل يسعى في لمّ شعثهِ وإصلاح أحواله ، ليصيرَ قادراً على نزال الرومانيين كرّةً ثانيةً . ثم وشى بهِ مواطنوه المتلبسون بالجور والاستبداد (تشيعاً للرومانيين) ، ففرّ الى المشرق لائذاً بحمى « انطويوخوس » الكبير ملك سوريا . ثمّ لجأ الى بلاط « بروز ياس » ملك بيثينيا ؛ فجدّ في طلبهِ جماعةٌ من الرومان مناوئيه الى أن آيس من مداومةِ القتالِ ، فتناول سمّاً وقضى بهذا السبب . وهو آخرُ بطل من أبطال عشيرته لأنهم بأجمعهم ماتوا ميتةً أحراراً في سبيل هذا القصد المقدّس ، وهو مدافعة التسلُّطِ الاجنبي ومقاومته

ومن الممتنع ايجادُ مظهرِ ضعفٍ في تضاعيف حياة هــذا الرجل العجيب المتحلي بكل مزايا المروءة والعقل والإقدام . أجل لا يستطاع التماسُ مثلِ هذا الضعف او هذه النقيصة . ونحن نحاول فيــه وجود ميل ذاتي كحبّ المال او الملذّات او الطمع او غيره ولكن لا نجــدُ في الرجل الاّ ميلاً واحداً وهو بغضهُ اعداء وطنه . قد نسب اليهِ « تيت ليف » المؤرخ الروماني البخلَ والقسوة ولكن تهمتهُ هذه في غير محلها . نعم ان انيبال قد جمع أموالاً طائلةً ، ولكنه لم يستعملها قط لأغراض ذاتية ، وانما كان يخصصها لدفع رواتب جيشهِ

قلنا إنَّ أهلَ وطنــه كانوا قد تركوا نصرتهُ ، والجيش المذكور لم يعصَ قط اوامر قائده انيبال ، لما له من السطوة والهيبــة والحكمة خلافاً لأمثاله من الجيوش المؤلفة من جنود غرباء وعصابات بربرية [1] مختلفة الجنسية والوطن واللغة . وقد

(١) ان معنى لفظة « بربري » في الاصل متوحش او غير متمدن ، فاسم البربر يطلق على كل الشعوب الهمجية الغير الداخلة في الهيئة الاجتماعية . وكان اليونان في سالف الزمن يدّعون التمدن لأنفسهم فقط ، ويطلقون لفظة برابرة على سائر الشعوب . اما الرومان فلما كانوا قد اخذوا التمدن عن اليونان فقد اطلقوا لفظة متمدن على انفسهم وعلى اليونانيين ، ولفظة برابرة على غيرهم من الشعوب — وتطلق الان لفظة برابرة او مغاربــة على سكان تونس ومراكش والجزائر وطرابلس الغرب في شمالي افريقيــة ولكن ليس من رابط معنوي بين الاسم الاول واسم هؤلاء الشعوب الاخيرين

أرسل انيبال الى قرطجنة عدّة امداد ممتلئـةً بالخواتم والفتخ الذهبية التي احذها اسلاباً من قتلى اشراف الرومانيين ولكن لم نجدُ لهُ في تضاعيف التاريخ ذكرَ مُنكر أتاه، ولم يسفكْ دمَ انسانٍ بلا حرب. فينتج من كلامنا انّ شهادةَ المؤرخ الروماني تعودُ على قائدنا هذا بالفخر والشرف

وبالاختصار فان أقوالَ التواريخ والازمنة التي توالت بعد هذا البطل سيردّدها جميعُ الأمم والأجيال الى منقضى العالم. وذلك أنّ مظهرَ حياةِ هذا القائد المجيد، لهو أشرفُ مظاهر الحياة البشرية في هذه الدنيا لدلالتهِ على همةٍ عالية، ومدارك ساميـة يندرُ وجودُها، خصوصاً حياته خلت عن كل أربٍ شخصي، واثرة ذاتية، لم يلابسها الاّ هوى فرد، ألا وهو حبُّ الوطن حتى انهُ قضى أخيراً شهيد محبته لوطنه

يوليوس قيصر

قائد روماني ولد سنة ١٠٠ قبل المسيح وتوفي سنة ٤٤ ق. م.

ها انّا موردون ترجمة شهيد آخر لم يتفانَ في حبّ وطنهِ، ولكن ذهب قتيل الطمعِ — نريد بهِ هذا الرجل العجيب المنقطع النظير، الذي لم يكن يخلو عن ضربٍ من ضروب النقائص والرذائل، وكانت حياتهُ كلهـا عبارةً عن سلسلة تعدّياتٍ على وطنهِ

وبالجملة فانّ هذا الرجلَ هو « قيصر » ثالثُ الرجال العظام المشاهير في في الاقدمين. وُلدَ ونشأ وشبَّ متحلياً بصنوف الصفات، فانهُ كان شجاعاً فصيحاً لطيفاً كريماً جواداً مفرطاً في السخاء؛ بيدَ انهُ كان يؤْثرُ السذاجةَ في اعماله؛ ولكن لم يكن عندَه اقلُّ همّ في ان يفرق بين الخير والشرّ، لا في العمل ولا المبدأ. وكان قصارى همهِ ومبدأ جميع أعماله طلب الغاية التي قصّر عن بلوغها

« ماريوس » و « سيلاّ » [1] تريد بها التسلط على وطنهِ . كان قصد الاسكندر الاستيلاء على جميع العالم المعروف وقتئذٍ ؛ ووقف انيبال حياتهُ كلها على وقاية وطنهِ من النشوب في عبوديةِ الأعداء. أما قيصر فكانت غايتهُ القصوى أن يملك رومة التي تفرَّدت بالاستيلاء على كلّ الدنيا تقريباً . ونراهُ قد اتخذ كلَّ الوسائل إدراكاً لهذه الغاية ، غيرَ متذمّم من الاسفاف الى الذرائع السافلة ، بيدَ أنهُ لم يَرِدْ مواردَ الجور والجنَف تفادياً من الارتطام باغلاط « ماريوس » و سيلاّ » . وقد تدرَّج في الخطط والمراتب من وظيفة إديل [2] الى وظيفة بريتور [3] ثم الى رتبة رئيس أحبار العاصمة ؛ وعقد ديوناً رابيةً ليرشوَ المنتخبين ، لأنَّ كلَّ هذه الوظائف كانت تُنال بالانتخاب ، واستغوى الرجال والنساء ، مستفسداً المتزوّجين وغيرهم استفسادَهُ عامة الشعب . وما كفاهُ ما أتاه من ضروب الفساد حتى عمد الى استعمال الوسائط الأدبية ، فأصبح أعظمَ خطيبٍ في رومة بعد شيشرون . وما زال حتى صار علّة عدة كثيرين من بوادر الفرَح والريب في رومة ؛ فأعيتهُ الاقامةُ بهـا فاتفق مع كراسّوس البخيل ، وبمبيوس المتكبر [4] ، واختصَّ نفسهُ بحكومة ولاياتِ غاليا قصدَ تدويخ هذه البلاد الواسعة ، لا ليزيدَ مجدَ رومة ، بل ليحشدَ عساكرَ قاهرةً ، ويجمع أموالاً وافرةً ، فيقضي ديونهُ وديونَ أشياعهِ

فأقام مدة ثماني سنين في غاليا يحاربُ أيامَ الصيف ، ويعودُ آونة الشتاء الى دسّ الدسائس ، ويدبّرُ من معسكرهِ في ميلانو مجرى عجرفة بمبيوس وبخل

---

(١) ماريوس وسيلا قائدان رومانيان شهيران بانتصاراتهما على اعداء رومة ولاسيما بشدة تعاديهما . ولد الاول سنة ١٥٧ وتوفي سنة ٨٥ ، والثاني ولد سنة ١٣٧ وتوفي سنة ٧٨ وقد استبدّا برومة على التعاقب

(٢) اديل Edile مأمور اخص وظائفه النظر في بنايات المدينة وتولي الالعاب

(٣) بريتور Préteur اي كبير قضاة رومة ، ومن كان في الولايات متقلداً مثل هـذه الوظيفة يدعى حاكماً أيضا

(٤) كراسوس كان أغنى اهل عصره وبمبيوس الكبير كان اعظم الرومانيين بعد قيصر وهما قائدان رومانيان قد شاركا يوليوس قيصر في انشاء ما هو معروف تاريخاً بحكومة الثلاثة الرجال الاولى Premier triumvirat

كراسوس . وبذلك تسلّط مدة عشر سنين على مجرى الأحوال الرومانية . ثم لما توفي كراسوس في آسيا ، ولم يبقَ بينهُ وبين بمبيوس رجلٌ ثالث يمنع تماديهما في الطمع والبغي ، عمد أولاً الى استعمال الحيل لإرجاء القتال بينهما ، اذ كان قد شعر بسوء عاقبتهِ ، حتى انهُ لما تعذَّر عليهِ مجانبةُ القتال ، اجتاز نهر روبيكون[1] وسار لمساورة بمبيوس ، وعسا كرُّهُ اذ ذاك في اسبانيا ، فالجأهُ الى الفرار من ايطاليا الى بلاد ابيروس ، وهناك ترك كما قال مدلاً بسطوته ، قائداً بلا جيش ، وذهب الى اسبانيا فشتت جحافل بمبيوس التي كانت بأمرة افرانيوس . ثم غادر اسبانيا ، واجتاز ايطاليا مسرعاً شاخصاً الى ابيروس إدراكاً لعدوّهِ . فصادف بمبيوس نفسه وجعل يقاتله الكرَّةَ بعد الكرة ، وكانت الوقعة الفاصلة لتلك الحرب الشهيرة سهول « فرسال » فتغلّبَ عليهِ ، واستأثر بالسلطة المطلقة ، فلاذ بمبيوس بالهرب منهُ خوفاً الى ان لاقى اجله قتيلاً في مصر

ثم إنَّ قيصر جعلَ يتعقبُ بقايا حزب بمبيوس في افريقية واسبانيا ، وقهرهم كافةً ، وفتح شمالي آسيا . ثمَّ عاد الى رومية ليتلذَّذ بثمارِ انتصاراتهِ على جميع اعدائهِ ومناوئيهِ . ثم اسَّس فيها ما يعبَّرُ عنهُ بالامبراطوريَّة الرومانية ، ولكنهُ ذهب قتيلاً بفتكةِ الجمهوريين ، لأنهُ اراد الإسراعَ في وضعِ الاسم للمسمَّى ، بعد ان ملك العالم مدة تزيد على اربع سنوات[2]

فما سبق ايرادهُ من اخبار هذه الحياة يرى ان كل الوسائلِ والتدابيرِ المذكورة كانت سيئة كالغاية التي سعى اليها قيصر . ولكن ينبغي ان يعترَف لهُ بالفضل من جهةٍ واحدة وهي انهُ قصد ان يحوّل هيئة الحكومة من كونها جمهوريَّة الى كونها امبراطوريّة . ليس بأنواع القتل وسفك الدماء ، كما فعل ماريوس وسيلاّ ،

---

(١) روبيكون نهر صغير في شمالي ايطاليا قد قضى مجلس النبلاء « الشيوخ » بروءة ان كل ما يعبره مسلحاً يحسب عدواً للرومانيين

(٢) يراد بالقول « وضع الاسم للمسمى » أنه أسس الامبراطورية اي سلطة شخص واحد ولكنه لم يستطع تغيير اسم الحكومة فبقي اسمها جمهورية رومانية وحين اراد المناداة بالملك قتلوه وذلك سنة ٤٤ قبل المسيح

ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوّةِ العقل المناسبة لسموّ مداركهِ . وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ الغريبَ الذي كان من اعظم ارباب السياسةِ ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعاتقاً في الارض فاسدَ الاخلاق ، يظلم بلا رحمةٍ ، ويرحم بغير حدّ ولا قياس ، لهُ مزيّةٌ خاصة بهِ دون سواه . وهي انهُ خُلق عجيب يخبرعنهُ آخر الدهر بكونهِ اكمل انسان وجد على الارض[1]

(للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحَدُ مشاهيرِ كتَّابِ الانكليز « إنَّ الذي يضعُ لحناً وطنياً لقومهِ يضعُ لهم قوانينَ جديدةً » . وهو قول لا مبالغةَ فيهِ . إذ أنَّ الاناشيدَ الوطنيَّةَ هي التي شحذَت السيوفَ ، وحرَّرتِ الأرقاَّء ، وكوَّنتِ الأُممَ ، ورفعتِ الممالك ، ووحَّدَت قلوبَ أهل البلد الواحد

وهي التي تُذَكي نارَ الوطنيَّة ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأ عليها قوَّادُ الأُمم اذا أجهدَهم السيرُ ، ويهشّونَ بها على اتباعِهم اذا حادُوا عن الطريق

ينشدُها الغريبُ فيذكر قومهُ ، ويرفعُ بها المنفي عقيرتَهُ فيتذكَّرُ وطنهُ . فهي روحُ الوطنية ، والوطنيةُ قوامُ البلاد ؛ وهي رسولُ الشُّعور ، والشعورُ منبتُ الوطنية . وهي الصلةُ بين القلوب ؛ والقلوب منشأُ الشعور

وأفعلُ الأناشيدِ الوطنيـةِ في الأفئدةِ وأشدُّها تأثيراً على النفوس ما وافقَ لحنُهُ الموسيقيّ الفاظَهُ فامتزجا بمخيَّلةِ « الشاعر الملحّن » قبل أن

---

(١) يراد باكمل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والخلال من حسنة وقبيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس

يظهرَ لحيّز الوجود . حتى اذا أدّى كلٌّ من القلب والرأس ما يطلبهُ هذا النشيدُ منهما برزَ فكان قوّةً حيَّةً تدفعُ القوم لخدمة وطنِهم ، والذَّود عن حياضِهِ ، والعملِ لرفعة شأنه

سألَ أحدُهم شاعراً من كبار الشعراءِ أن يُعلِّمَهُ الأوزانَ فأجابهُ : « اذا لم يُوحِ قلبُكَ اليك الشعرَ فما تنظمُهُ لا يكونُ شِعراً هكذا الأناشيدُ الوطنيَّة . فانها لا تفعلُ فعلها في النفوسِ إلاّ اذا كان منشأُها القلبُ

ولا أعرفُ نشيداً وطنياً تطيرَ لهُ القلوب ، وتثب الأفئدة ، ويجرى الدم حارًّا في العروق عنـد سماعه ، مثل المرسليز Marseillaise نشيدِ فرنسا الوطني

لم يوضع ليكونَ نشيدَ الثورةِ الأفرنسية ، ولكنهُ هيأَ النفوسَ لها . وُضِعَ عندما كان لويسُ السادسُ عشرَ الآمرَ الناهي . فلما أعلنَ الحربَ على النمسا عام ١٧٩٢ اقترح محافظُ مدينة ستراسبرج وضعَ نشيدٍ يستفزُّ بهِ هِمم الشبّانِ للدّفاعِ عن بلدِهم . فلبّى طلبَـهُ يوزباشي اسمهُ « روجيه دي ليل » . جادت عليه الطبيعةُ بإبداعِ الشاعرِ وابتكارِ الملحّن . فنظمَ النشيد ولحَّنـهُ بين مساءٍ وصباح . وقد كانَ من تأثيرهِ على النفوسِ أن تطوّعَ في الحاميةِ المدافعةِ تسعمائة شابٍّ في يوم واحد

ولم يكن أحدٌ يحلمُ ، ولا لويسُ السادسُ عشرَ نفسهُ ، بما سيكونُ من الأهميَّةِ للمرسييز الذي كان يُسمَّى « نشيد جيش الرين » حتى مشى أهلُ مرسيليا لباريز يترنَّمونَ بهِ طولَ الطريق فنُسِبَ اليهم

ولا يقلُّ نشيدُ غريبالدي عن المارسييز . ويكفي أن تقولَ في

تأثيرَهُ إنَّهُ وحَّدَ ايطاليا المبعثرة ، ونفَخ فيها روحاً صيَّرتها كما نراها الآن بعد أن كانت نهباً مقسَّماً

وأيُّ إنسانٍ لا يتحرَّكُ للعملِ عند ما يسمعُ جارَهُ يُنشدُ « انهضوا يا اخواني ، واطردوا من بلادكم عدوَّها الغريبَ بالسيفِ ، وانشروا أعلامكم ، ولتفرح قلوبُكم التي تقدّمونها بفخرٍ فِداءَ وطنِكم »

أمَّا الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية فلها من الأناشيدِ الوطنيَّةِ حظٌّ وافر . غيرَ أنّ نشيدَها الرسميَّ « منكِ يا بلادي My Country 'Tis of Thee » ليسَ بالنشيدِ الذي يترنَّم بهِ الجمهور . واذا سألتَ أبناءَ الولايات المتَّحدة أن يختاروا من أناشيدِهم واحداً لاختاروا بين (١) ينكي دودل Yankee Doodle و(٢) العَلَم المرصَّع بالنجوم The Star spangled Banner و(٣) جسم جون براون John Brown's Body و (٤) السير في جورجيا Marching through Georgia و (٥) ارض دكسي Dixie Land لأنَّ كلّ هذه الأناشيد وُضِعَتْ إمّاً إبّانَ الحربِ أو في أيام الثورة . فالنشيدان الأوّل والثاني كانَ أوّلُ العهد بهما في الثورةِ الأمريكيـةِ التي فقدت انكلترا فيها أغلى ماسةٍ في تاجها . والثالث هو الذي حرَّر عبيدَ أمريكا ، وأدار رحى الحرب الأهلية بين الولايات الشماليةِ والولاياتِ الجنوبيةِ . والرابع والخامس كانا نشيدَيْ هذهِ الولايات في تلك الحرب

ولقد لحَّنَ أحَدُ اخواننا السوريين نشيداً عنوانهُ « لأجلك يا أمريكا » ووضَعَهُ بين أيدي رجال الولايات المتحدةِ للنظرِ في إحلالهِ محلَّ النشيدِ الرسميّ الحالي

ولم يحفظ التاريخ بين صفحاته ، خلافَ المرسييز وغريبالدي ،
عن نشيدٍ وطنيٍّ أنَّهُ أثر في النفوسِ مثلَ « ربّنا أحفظ الملك »
God save the King عام ١٨٩٦ عند ما كانت تستعدُّ انكلترا لمحاربة
امريكا . فانه أظهرَ ما خفي في صدرِ « جون بل » من العواطف الكامنة .
وما زال منذ ذلك الوقتِ الى يومنا هذا يُنشدُهُ البريطانيّون في انتصارهم
فيملأهم فرحاً وسروراً ، وفي خذلانهم فيوليهم شجاعةً وإقداماً . أما
تاريخهُ فيرجع الى سنة ١٧٦٦ اذ كان يُنشَدُ باللاتينية في عهد جيمس الثاني

الا أنه يوجد في انكلترا نفسها من يعارضُ في جعلهِ نشيداً
رسمياً . والمعارضون قسمان : الأول يقول إنه لا يجوزُ دينياً ان نطلب
من اللهِ سحقَ أعدائنا . فهم ينشدون بدلَهُ « بارك يا رب وطننا »
God bless our native وفيهِ يرجونَ اللهَ حفظَ بلادِهم وحمايتها وانتشارَ
السلامِ في العالم حتى يُصبحَ عدوُّهم صديقاً

والقسمُ الثاني يَضعُ الشعبَ في المقامِ الأوّل ، ويرى أن يُهتَفَ
بأسمهِ لا باسمِ الملوك . فوضَعَ لنفسه « متى تنجّي الشعبَ يا ربّنا »
When wil't thou save the people ومطلعهُ (متى تنجّي الشعب يا ربّنا .
ياإله الرحمة لا الملوك فقط بل الشعوبَ ، لا التيجانَ ، ولكن بني الإنسان

ولا يزالُ في انكلترا من يظنُّ أنَّ « هذا في صحة الملك »
Here's a health unto His Majesty هو أحقُّ بجعلهِ نشيداً وطنياً من
« ربّنا أحفظِ الملكَ » إلاّ أنهُ لا يتّفقُ مع الذّوقِ تحيّةُ ملكٍ من بيتِ
هانوفر بنشيدٍ وُضعَ للتأثيرِ على نُفوسِ الشعبِ لاستردادِ سلالةِ ستوارت

مثل « بني دندي » Bonniee Dunde و « الملك على سطح الماء »
The King over the water

وفي اللغةِ الانكليزية عددٌ غيرُ قليلٍ من الأناشيدِ الوطنيةِ للشعراءِ: « بيرنز وتمسون ومور وكمبل » تُحمّس الجبان، وتحيي ميّتَ الإحساسِ مثل « احكمي يا بريطانيا » Rule Britania

وكثيراً ما نرى انّ النشيدَ الذي تنتخبُهُ الحكومة لا يتفقُ مع ذوق الجمهور فيتركُهُ كما في الولايات المتحدة . كذلك في المانيا؛ فانك في اغلب الاحايين لا تسمعُ الشعبَ يترنمُ بالنشيد الرسمي . بل تجدُهُ يُنشدُ اليوم بحماسٍ « المراقبة على الرين » Wacht am Rhein لا يقلُّ عن حماس آبائهم يومَ كانوا ينشدونه قبلَ أخذِ الالزاس واللورين

غيرَ انّ لنشيدِ « مارتين لوتر » او كما سمّاه الشاعرُ هنريك هين « مرسييز الاصلاح » رنّةٌ لطيفة، وذكرٌ جميل، وتاريخٌ سارٌّ . فهو لا يزالُ يُسمعَ اليوم بالمانيا كما سُمع في معركة « لوتزن » وفي حرب فرنسا . بل كلّما جدّ حادثٌ جَلل

ولقد عناهُ « الفيكونت دي فوج » احد كبار كتّابِ فرنسا في انتقادهِ رواية « السقوط » Débacle لاميل زولا حيث قال (إنّ من سمع الاصوات التي ملأت وادى « الميوز » ليلةَ اوّل سبتمبر سنة ١٨٧٠ يعرف كيف غُلِبَتْ فرنسا على أمرِها)

ولا يجهلُ احدُنا ما كان من التأثير الشديد لنشيدِ الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فالعهدُ ليسَ ببعيد . فقد أشعل نارَ الوطنية في قلوب العثمانيين،

وعلَّمهم أن الحرية حقٌّ ، والعدلَ واجبٌ ، والمساواة طبيعية . فاصبحوا لا يرضونَ بالذُّل ، ولا يرضخون للاستبداد . وما زال كالكهرباء يغلي الدَّم في عروقهم ، ويثيرُ الشعورَ في قلوبهم ، حتى كان منهُ أن خلَع عبد الحميد

اماَّ نشيدُ الجمهورية الصينية فاشهرُ من أن نشيرَ اليهِ . وهو اكبر برهانٍ على أنَّ الاناشيدَ الوطنيةهي التي ترفعُ الامم من وهدة الانحطاط. وهل كان يجول بفكرٍ أحدِنا أنَّ الصين تصيرُ يوماً ما جمهورية ؟ ؟

نظرة الى مصر بعد كل ما مرَّ بنا

لا يوجدُ في هذا القطرِ ما يُطلقُ عليه نشيدٌ وطني سوى سلام الخديو « هذا الخديو له الفخار » وهو ليس مما يدفع القومَ لبذل النفس والنفيس فى سبيل بلادهم . وما عداهُ فاناشيدُ يترنم بها اطفال المدارس في الاحتفالات . وجلُّها بل كلها من نظم شاعرِ الامير « احمد شوقي بك » وهي مماَّ يشكرُ عليها . الاَّ أنها ليسَ لها الوقع الذي لغيرها من الاناشيد الوطنية . والسبب على ما اظنُّ كونْ شوقي بك شاعراً غير ملحِّن

وقد اقترحَ بعضهم في (الجريدة) منذُ ثلاثة اعوام وضع جائزة لمن ينظم احسن نشيدٍ وطني . ولا ارى لذلك فائدة . اذ أنَّ النشيد الذي يجب ان يكون نشيد مصرِ الوطنيّ لا يكون الباعث عليهِ حبُّ المال . واليوم الذي تجتمع فيهِ الوطنية الحقة والشعر والموسيقى في قلب احد أبناء النيل هو اليوم الذي نسمع فيهِ نشيدنا المنتظر ؟

(اتبره — السودان)　　　عز الدين صالح

في رياض الشعر

﴿ البستاني الشاعر والبستاني الوزير ﴾

بين الاستاذ عبد الله افندي البستاني العالم اللغوي الشهير وسليمان افندي البستاني ناظر التجارة والزراعة صلة وداد متينة عدا ما بينهما من صلات القرابة والأدب . فلما ألقيت الى البستاني الوزير مقاليد الوزارة ، كتب اليه البستاني الشاعر بالقصيدة العصماء التي نحن ناشروها هنا . ثم دارت بينهما ، على أثر ذلك ، مراسلة نتوقع الفوز بها لننشرها في الزهور

أما الأستاذ عبد الله فأشهر من أن نعرفه الى القراء وهو أستاذ معظم ادباء سوريا ، وزعيم العلماء اللغويين فيها ، وكبير الشعراء المجيدين في ربوعها . ولقد تلطف حضرته فوعد « الزهور » بأن ينشر فيها سلسلة مقالات لغوية انتقادية تكون تكملة لتلك المباحث اللغوية الشائقة التي كان ينشرها المرحوم اليازجي في الضياء . ولعلنا أن نبدأ بها منذ الجزء القادم

كتب اليه أوّلاً بالتاريخ الآتي :

لي مع سليمانَ قلب لا يُزايلُهُ　　خوفَ الرقيبِ ففيهِ كلُّ أسراري

إنْ نَابني بعدَهُ شوقٌ يؤرّخهُ　　فإنّني مستعيرٌ قلب خطّارِ [1]

١٩١٣

ثمَّ كتبَ اليهِ :

ترَحَّلْ الى مولاكَ يا قلبُ عَجلانا　　وأبقِ لصدري بعدَ بُعْدِكَ نيرانا

كأنّكَ في دارِ الشقاءِ معذّبٌ　　تحنُّ الى « دار السعادةِ » وَلْهانا

فما أنتَ ذا يا قلبُ تهجرُ أضلعاً　　عليكَ آنحنتْ لا تبتغي منك هُجرانا

وأنت الذي أدمنتَ إيقاظَ أعيُنِي　　وأسأمتَ نجمَ الليلِ تخفقُ يقظانا

فكم سكِرتَ بالدمعِ إذ كنتَ خافقاً　　ولكن بصهباءِ الهوى كنتَ سكرانا

ولولاكَ ما آسودَّت لياليَّ إنما　　سيُسفرْنَ بيضاً ، أن قفوتَكَ ، غرّانا

---

(١) يريد به المرحوم خطار البستاني والد سليمان افندي

أتشكو عذاباً في الضلوعِ وأنتَ قد ... جعلتَ بحرّ النار صدريَ حرّانا
جرى الدمعُ غازيًا عليها فزادَها ... سعيراً ولمّا هجتَ خلتُكَ بركانا
وساءكَ أن تتابَها سِنةُ الكرى ... وسرّكَ أن أرعى السوافرَ سهرانا
عهدتكَ ذا رفقٍ بها صائناً لها ... فلا تكُ في عهدٍ لمولاكَ صوّانا
ألم يكُ إنساناً لها ابتهجت به ... ولم تكُ تهوى غيرَهُ قطُّ إنسانا
أتتركها قَرْحَى ومولاك ناظرٌ ... يعزُّ عليهِ أن تُقَرَّحَ أجفانا
كم التمستْ منكَ الهُجُوعَ لأن ترى ... دموعاً بنحرِ الطيفِ تُعقَدُ مَرجانا
فمِمَّن تعلّمتَ الجفاءَ ولم تكن ... ترى غيرَ مولاكَ الأنيسَ الى الآنا
تُنفّذُ أمرَ الدهرِ فيَّ وما عنا ... أبيٌّ لذي حيفٍ لهُ انقاد مِذعانا
أما أنت تدري أنَّ مولاكَ مَوئِلي ... اذا بانَ للعينينِ أو عنهما بانا
وقامَ بنصري منذُ عهدِ صبائهِ ... وما خانَ عهدي قطّ بل غيرُهُ خانا
ولستُ أرَى غيرَ ابن عمّي اخي ولا ... أرى أبداً أبناءَ آدمَ إخوانا
فما اكثرَ الإخوانَ في مَذهبِ الهوى ... وليسوا اذا نالوا هوى النفسِ خلّانا
ومَن عجمَ الأخلاقَ لم يكُ سائلي ... على مَنحِ قلبي لابن عمّيَ برهانا
ولم يُلهِهِ عَنّي نعيمٌ عنَا لَهُ ... وصَعْبُ شقائي ان فكّرتُ بهِ هانا
وهانَ عليهِ أن أحلّ بأرضهِ ... كما حلَّ اسرائيلُ في أرض كنعانا
فموسى من المنّانِ قد نالَ منّه ... ولقياهُ مَنٌّ ما بهِ كانَ منّانا
فيا قلبُ سرْ واسكنْ اليهِ فأنتَ ما ... فُطرتَ لترضى غَيره فيك سكّانا
بحرمةِ أشواقي اليه توقَّ أن ... يرى فيك ناراً لوّعتنيَ أزمانا
فدَعها بصدري خوفَ لذعِ أناملٍ ... على الطرسِ قد خطّت بياناً وتبيانا
وإلّا فكن كالبدرِ بالشمسِ مزهراً ... وما فيهِ نارٌ بل بأنوارها ازدانا
أحبُّ اليهِ أن يراها كما رأى ... بحوريبَ موسى النارَ مرتفعاً شانا

وإياكَ ذِكرى لوعتي بفراقهِ مَخافة أن تلقـاه يلتاعُ أحزانا
وناسمْهُ عني بالسلام يظنُّهُ اذا اشتمَّ ريّاهُ تجسّم ريحانا
فيا قلبُ لم يقنعْ برؤيةِ طيفه فقـد شاقك الجثمان تخفق لهفانا
فكن بارحاً مثواكَ مرتحلاً إلى فروقَ وطب واشهد لمولاك جثمانا
وفي كلِّ نادٍ بالجلالِ مؤرَّخٍ تجلّدْ ولا تخفق بنادي سليمانا

١٩١٣

عبد الله البستاني

﴿ المشيب ﴾

يا شَيبُ عَجَّلتَ على لِمّتي ظُلماً فيا آبنَ النُّورِ ما أظلَمَكْ
بدّلتَ بالكافورِ مسكي وَما أضواهُ في عيني وما أعتَمَكْ
مَنْ يقبلُ الفاضحَ في ساترٍ فهاتِ ليلايَ وخُذْ مريمَكْ
غرّكَ أنّ الشّيبَ عند الورى يُكرَمُ ، هل في الغيد من أكرَمَكْ
نفّرْتَ عني غانياتِ الطلى ويحك قد أسقيتَني عَلقَمَكْ
دعونَني الشيخَ وكنتُ الفتى اخّرَني الدّهرُ الذي قـدّمَكْ
ونالَ من حولي ومن قوّتي جَورُ زمانٍ فيَّ قد حكّمَكْ
سرعانَ ما أذبلتَ من صبوتي بنارِكَ البيضا فما أضرَمَكْ
وشدَّ ما لاقَتْ عيوني فلو ينطقُ لي جفنٌ إذَنْ كلَّمَكْ
ورُبَّ لميـاءَ منيعِ اللّمى تقولُ ما أسقيـهِ إلاّ فمَكْ
تخاطبُ البـدرَ على تمّهِ جلَّ الذي من غرَّتي جسّمَكْ
كنتُ مع العفّةِ أحيا بها وهل بلا ماءٍ يَعيشُ السَمَكْ
فرّتْ كمثلِ الخشفِ مذعورةً لما رأت في مفرقي مخذَمَكْ

وصارتِ النظرةُ لي حسرةً ... تقولُ للطرفِ أغضِ عندَمَكْ
وما كفى يا شيبُ حتى لقدْ ... فضحتَ أسرارَ مَنِ استكتَمَكْ
أيُّ خضابٍ لم يكن ناصلاً ... عنكَ ولو بالليلِ قد عمَّمَكْ
فليتَ أيامَ شبابي التي ... أرقتَها غدراً أراقتْ دَمَكْ
وأنتَ يا ظَبيَ النقا ما الذي ... أغراكَ بالهجرِ ومَنْ عَلَّمَكْ
ما لبياضِ الرأسِ حكمٌ هنا ... لكن سوادُ الحظِ قد ألزَمَكْ
لو لم يُغِرْ هذا على لونِ ذا ... لم تجفُ ذا الشيبَ وما استخصمَكْ
ما خلتُ أن ترضى بنقضِ الوفا ... واللهُ بالحسنِ لقد تمَّمَكْ
يا ربِّ ما طالَ زمانُ الصبى ... كأنهُ طيفٌ سرى وانْهمَكْ
وهكذا الأيامُ تطوى بنا ... سُبحانَكَ اللهمَّ ما أعظمَكْ
رضيتُ يا ربي بما ترتضي ... فلا تخيِّبْ مُذنباً يمَّمَكْ
وأنتَ يا شيبيَ خُذْ بي الى التقـــوى عسى الرحمنُ أن يرحَمَكْ

عبد الحميد الرافعي

﴿ هل أنت في مصر ؟ ﴾

اذا كنتَ في مصرٍ ولم تكُ ساكناً ... على نيلِها الجاري فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ في مصرٍ بشاطئِ نيلِها ... وما لكَ من شيءٍ فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا شيءٍ ولم تكُ صاحباً ... لإلفٍ له لطفٌ فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا إلفٍ ولم تكُ مالكاً ... لكيسٍ حوى ألفاً فما أنتَ في مصرِ
وان حزتَ ما قلنا ولم تكُ هائماً ... بِعَبلٍ لمن تهوى فما أنتَ في مصرِ

﴿ في قينة تُنشد ﴾

يا مَن بكى الرَّبعَ أفنى في معَاهِدِهِ ... شبابَهُ وبَكى الأيَّام والسَّكنَا
تعالَ أُسْمِعكَ شَدْواً يستعيدُ بهِ ... فؤادُك الرَّبعَ والأحبابَ والزمنا

خليل مطران

﴿ أنتِ والدَّهرُ ﴾

أسيدتي . لا الدَّهرُ يُسعِفُ مطلبي ... ولا أنتِ . إنّي حِرْتُ بينكما جدًّا
اذا رُمتُ شيئاً جِئتُماني بِضِدِّهِ ... لقد صِرْتِ لي ضِدًّا وقد صار لي ضدًّا
سألتُكِ ودًّا فاستطبتِ لي الجفا ... وأمَّلتُ قرباً فارتضى الدَّهرُ لي البعدا
تشابهتما جَوْراً وغدراً وقوَّةً ... فصيَّرتهِ ندًّا ولم تقبلي ندًّا
فلا تحرماني لذَّةً من تألُّمٍ ... ولا تسلباني الوجدَ لن أسلوَ الوجدا
خذا جسدي والروحَ فاقتسماهما ... ولكن دعا لي وحدَه ذلك الكبدا
حفظتُ بهِ عهداً واخشى ضياعَهُ ... واني لأُبقي الكبد كي أُبقيَ العهدا

ولي الدين يكن

﴿ يا آسيَ الحيّ ﴾

يا آسيَ الحيِّ هلْ فتّشتَ في كَبِدِي ... وهلْ تبيَّنتَ داءً في زواياها
اوَّاهُ من حُرُقٍ اودتْ بمعظَمِها ... ولم تزَلْ تتمشّى في بقاياها
يا شوقُ رِفقاً بأضلاعٍ عصفتَ بها ... فالقلبُ يخفُقُ ذُعراً في حناياها

اسماعيل صبري

اللينوتيب العربية

اللينوتيب آلة جديدة لجمع حروف الطباعة سطوراً كاملة لم يتوفق اللغويّون حتى الساعة لتعريب اسمها. وصفوة ما توصف بهِ انها آلة مؤلفة من جملة قطع تدار بقوة الكهرباء. ويستخدمها عامل واحد ، يجلس تلقاءها على كرسيّهِ . ويضغط على ازرار مبسوطة امامهُ ، كتب على كل زرٍّ حرف من حروف الهجاء على مثال الآلة الكاتبة. ومتى ضغط على الزر سقطت امامهُ قطعة نحاسية محفور عليها الحرف المطلوب في مصفٍّ خاص وهكذا حتى يتم جمع سطر كامل ، فيقرأه ويصحح ما يكون قد وقع فيهِ من الخطأ برفع الاحرف المغلوطة ، ويضبطهُ بوضع الاسداس وغيرها من اصول صناعة التنضيد . ثم يدير لولباً آخر فينزل على السطر المحفور المصفوف صفاً افقياً جزء من الرصاص المصهور لا يلبث ان يجمد ويتحول الى سطر من احرف مجموعة جمعاً لا شائبة فيهِ الا الخطأ الذي قل ان يسلم منهُ منضدٌ

ويتم الجمع والسبك بهذه الطريقة في مدة لا تتجاوز ثلث المدة اللازمة للجمع باليد . وان كان في الجمع باللينوتيب عيب واحد هو عيب التصحيح فانه اذا وقع خطأ في حرف واحد في السطر وجب تغيير السطر بأكمله

وقد انتشرت اللينوتيب في مشارق الارض ومغاربها من باكين الى طنجة . وتنضد بها الحروف في جرائد فرنسا اليومية عدا ستاً ، منها الجريدة الرسمية

وكان الكثيرون من اهل الصناعة يظنون انه يصعب ايجاد لينوتيب عربية . ولكن بعض المتفننين من عمال المطابع ذلل هـذه الصعوبة . وسبق الكاتب الفاضل نعوم افندي المكرزل ، صاحب جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويرك ، غيره من اصحاب الصحف العربيـة في استخدام اللينوتيب لصف حروف جريدتهِ . واقام يوم بدأ بالعمل بها — وكان ذلك منذ سنتين ونصف على ما اذكر — احتفالاً شائقاً حضرهُ جمهور كبير من رجال الاقلام والمشتغلين بالصحف من سوريين واميركيين

وتأتينا جريدتهُ يوميـاً في ثماني صحف كبيرة مصورة لا تنقص ترتيباً ودقة في صناعتها عن صحف اميركا اليومية . ولا شك في ان الفضل في بلوغ هذه الصحيفة مبلغها من الترقي عائد الى البيئة التي تصدر فيها والى ما هو معروف عن صاحبها من المقدرة في صناعتهِ

*
* *

وكان ينتظر ان يعم استعمال اللينوتيب مطـابع الصحف اليومية في الاستانة لاسباب عدة منها وفرة عدد ما يطبع من كل واحدة من هذه الصحف ، ومهارة صفافي الحروف الاتراك وجمال خط كتابهم ، وتعويلهم على الطريقة الافرنجيّـة من وجهة قسمتهم الكلمة التي تقع في آخر السطر قسمين اذا دعت الحالة الى ذلك فلا يحتاجون الى مراجعة السطور وزيادة عدد الاسداس بين الكلمات كما يعمل صفافو الاحرف العربية لايقاع نهاية الكلمة في آخر السطر . وقد سألتُ احد ادباء الاتراك عن سبب امتناع الصحف التركية الكبرى عن استخدام اللينوتيب فما احار جواباً

وكذلك لم تستخدم اللينوتيب في مطابع القاهرة وبيروت، وهما مركزا النهضة الادبية العربية، ويوجد في كل منهما دور للطباعة لا تنقص اهمية عن دور الطباعة الكبرى في لندن وبرلين وباريس . بل سبقنا اخواننا المراكشيون فى طبع مطبوعاتهم الرسمية والشبيهة لها باللينوتيب . فقد نشرت مجلة Linotype Notes في عددها الصادر في شهر نوفمبر الماضي رسالة وردت اليها من مكاتبها فى طنجة يؤخذ منها انهُ انشئت فى رباط الفتح وفى الدار البيضاء مطبعتان كبيرتان جهزّتا بعدد من اللينوتيبات — على حد قولك اسطرلابات — من بينها لينوتيب عربية وضعت فى مطبعة رباط وتصف بها الآن احرف الجريدة الرسمية لحكومة المغرب الاقصى وجريدة « السعادة » الشبيهة بالرسمية. وزينت المجلة رسالة مكاتبها بصورة اللينوتيب العربية والصحيفة الاولى من الجريدة الرسمية المغربية

وجريدة السعادة المشار اليها جريدة نصف اسبوعية يحررها الأديب اللبناني وديع افندي كرم . وقد عرفتهُ قبل ذهابه الى المغرب الاقصى إذ كان يشتغل في الجرائد اليومية بالقاهرة . وقد مرَّ بنا منذ خمس سنوات قاصداً لبنان فجرى بيني وبينه حديث عن جريدته واقبال المغاربة على مطالعتها فقال لي : إن القوم هناك يعتقدون أن الصحف بدعة يحرّمها الدين . ولم نتمكن من إقناعهم بخطإهم إلاَّ بأن أتينا بشيخين من علمائهم وأجلسناهما في مكتب التحرير كما توضع التماثيل في مخازن تجار الملابس، وأبحنا زيارتنا لكل قاصد من الأُدباء وأهل الفضل . وكلما وفد علينا واحد منهم نشير الى شيخ من الشيخين فيبدأ في شرح الصحافة وفوائدها وعدم

مخالفتها للدين . ولكن هذه العملية لم تكن لتقنع الكثيرين بأن الدين لا يحرّم مطالعة صحف الأخبار !!

فذكَّرتني هذه الحادثة بما جرى بيني وبين الشيخ الكتاني ، وهو أحد أئمة الدين في المغرب الأقصى . وكان قد حضر الى القاهرة في أواخر سنة ١٩٠٣ وأقام بيننا أسبوعين ترددت عليهِ خلالهما غير مرّة . وتحادثنا في عدة شؤون خاصة وعامة . فأتى يوماً ذكر الوراقة والطباعة فقال الأستاذ (رضي اللهعنهُ) : أنا لا أحب السير في أسواق الورّاقين . قلت ولمَ يا مولاي ؟ قال : لأنهم يبيعون فيها الورق الأبيض وربما أُخذ شيءٌ منه وكتب عليهِ ما يخالف القرآن

ولا شبهة في أنهُ عند انتشار اللينوتيب في المغرب الأقصى تبدد بقوّة مطبوعاتها أوهام الشيخ الكتاني وأمثاله وتجدد فرنسا بقوّةالكهرباء ما درستهُ أيدي الظلم من علوم المغرب وآداب أهله الزاهرة

* * *

ومن المصادفات الغريبة أنهُ في الشهر الذي طبعت فيهِ الجريدة الرسمية « للدولة المغربية الشريفة المحمية » باللينوتيب وزّع بعضُهم رسالة مصوّرة على أصحاب المطابع والمشتغلين بالصحف في القاهرة والاسكندرية قال فيها إِنه أنشأ في العاصمة مستودعاً كبيرًا للينوتيب العربية

وقد طبعت هذه الرسالة طبعاً متقناً على اللينوتيب . وضمنها ناشرها بحثاً فنياً في فضل صف الأحرف باللينوتيب على تنضيدها باليد . ثم أخذ تدحض براهين القائلين بصعوبة تصحيح أحرف اللينوتيب . ومما جاء في

هذه الرسالة أن استعمال اللينوتيب ينشأ عنها أمور ثلاثة وهي : زيادة كمية العمل ، وتقليل النفقات، وفتح ابواب جديدة للرزق . ولا يقتصر النفع على اتمام الجمع بسرعة بحروف نظيفة جديدة على الدوام بل ان ترتيب الصحائف يوفر وقتاً كبيراً بدون خوف من وقوع الخطأ

وليس هذا فقط بل إنَّ بعضهم انشأ في القاهرة مدرسة خاصة يديرها مهندس ميكانيكي اختصاصي باللاينوتيب . ولكل من يشتري واحدة او اكثر من عدد اللينوتيب ان يدخل من اراد في تلك المدرسة ليتعلم ادارة اللينوتيب بالمجان

ولكن هذه البيانات والتسهيلات لم تقنع اصحاب المطابع العربية وتدعوهم الى صفّ ابطال الحروف باليد والاستعاضة عنها باللينوتيب . ولهم في ذلك حجج بعضها مالي وبعضها صناعي . وليس هنا مجال تأييد احد الرأيين او تفنيده . وكل ما ارجوه ان يتوفق كتابنا الى تحسين خطهم ويمتنعوا عن التغيير والتبديل في المسوّدات. وحينذاك لا يكون هناك حائل يحول دون استخدام اللينوتيب بشرط ان يزداد عدد ما يطبع سواء من الكتب والمجلات والجرائد فيقوم بنفقات هذه الآلة المدهشة واجور العاملين فيها وما يلزمها من كهرباء ورصاص ثمَّ ان لا ينسى من يؤرخ الصحافة العربية والطباعة ان الفضل في تعميم اللينوتيب عائد كغيره من محسنات الطبع الى الغرب ومخترعيه ؟

القاهرة نوفيق حبيب

افضل الوسائل

لانهاض السلطنة (١)

خطرَ لنا عند الفراغ من تأليفِ هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء نخبة من أكابرِ العلماء وفحول الكتّاب ، عن أفضل وسيلة تنهضُ بالسلطنة بعد كبوتها ،وتزيدُ في يقظةِ الأمّة بعد غفوتها ؛ فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه ، قُبَيل صدورِ هذا المؤلف ، أن يصوغ لنا فكرتهُ الأساسية في أسطر قليلة فتكرّموا بتلبية الطلب ، أدامهم الله زهراً نضيراً في بستان العلم والأدب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها :

قال سعادة فتحي باشا زغلول :

أقرئك السلام وبعد فسؤلك هامٌ ومطلبك أهمّ

الدولةُ العليّةُ ، رعاكـ الله ، مجموعٌ يحتاجُ في سياستهِ وانهاضهِ الى حكمةٍ عاليـةٍ وبصرٍ بالأمور كبير . فاذا غلبَ الرأيُ الهوى ، وبطلَ التفاضلُ بين العناصر ، وأُقيم وزن العدل،وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ؛ واذا خلصت نيّات اهل الزعامة ، وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضّلوا مصالحَ الامة على المنافع الفردية ، وجدّ الكلُّ في طلب الاصلاح فنشروا التعليمَ ، وعنوا بالأمور الاقتصادية فاستبقوا لانفسهم مرافقَ البلاد وكنوزها ، وذلّلوا السبُلَ وأمّنوا السابلة ، وقرّبوا المسافات ثم ازدرعوا واحترفوا واتّجروا فأحرفوا ؛ واذا احكموا نظامَ الجندِ وهذّبوه لا

(١) كتاب تاريخ الحربين البلقانيتين للكاتب السياسي المجيد يوسف افندي البستاني

شك أنَّ الدولةَ ناهضةٌ من سقطتها، وأنّ الأمّةَ ناشطةٌ من عقالها، وأنها نائلةٌ من الحضارة والمناعة مكانا عليّا ؟

وقال الدكتور فارس افندي نمر :

حضرة الفاضل؛ ان كان المقصودُ من « السلطنة » في سؤالكم « الحكومة والأُمّةُ » في حالتهما الحاضرة أي الدستورية فوسائط إنهاضها متعدّدةٌ: منها ماديٌّ ومنها أدبي . ولكلّ واسطةٍ منها قوّة لا يُستغنى عنها وخصوصاً وسائط العلم والمال . على أنَّ في الحكومة وفي الأُمةِ رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يعوزهم إدراكٌ ولا يسار؛ ولكن الذي ينقصُنا هو تربيةُ الحكومة على الاخلاقِ القويمة والصفاتِ المنظَّمة والمرقّيةِ لشؤونِ الهيئة الاجتماعية حتى نستطيعَ الاتحادَ والتعاونَ على تدبير أمورنا وانجاحِ أعمالِنا ، ونحنُ جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبيرَ أمورهم وانَجاح أعمالهم ، وهم أفراد ؟

وقال الدكتور شبلي شميل :

الدولة لا تنهض إلاَّ بثلاثة: رجالٌ ومالٌ ووقتٌ ؛ والرجالُ بالعلم والتربيـة، والمال بالموارِد . فهل ذلك متوفر، ولا سيما الوقتَ وحالنا في الاجتماعِ كما هي من قلَّـةِ التكافؤ مع ما هو عليهِ اليوم من شدَّةِ التنازع ؟ والجواب على ذلك يدل على المصير ؟

وقال السيد رشيد رضا :

الدولة كائن حي يحفظ وجودُها بالسنّة التي تُحفظ بها حياة سائر الأحياء : وهي سلامةُ مزاجها في نفسها ووقايتهُ مما يعدو عليه من الخارج

فأمّا سلامةُ مزاجِ دولتنا العثمانية في نفسهِ فإنما يكون باقامةِ الشرعِ العادل في القضيةِ ، والمساواةِ في الحقوق بين الرعية ، وبناء إدارة المملكة على أساسِ اللامركزية ، وجعلِ السلطة العليا شقَّ الابلمة بين العنصرين الكبيرَين فيها — العربِ والتركِ — بحيثُ يكونانِ منها كالعنصرَين اللّذين يتكوَّن منهما الماء والهواء . وأما وقايتُها مما يعدو عليها من الخارج فهو الآنَ منوطٌ بدولِ أوربةَ الكبرى فهنّ أصحابُ المطامع فيها ومطامعهُنَّ متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنةً على نفسِها من اقتسامهنّ اياها بالقوَّة؛ فيجب أن تتقي استيلاءهنَّ على البلادِ بقوّة المال والسياسةِ أي بالفتح السلمي ، وأن تقوّي مزاج الأمّةِ بالمالِ والعلم واعدادِها للدفاع عن نفسها . فاذا هي فرَّطت في مرافقِها وأملاكِها فباعتها للاوربيّينَ وبقيت على تبذيرِها وتوهمّها انها تستطيعُ أن تحميَ نفسَها منهنّ بقوّتي الدولة : البريةِ والبحريةِ الرسميتين ، ولم تجعل كلّ اعتمادِها على الأمة، فالخطرُ عليها من الفتح السلمي أقربُ وأقوى من خطرِ الفتح الحربي ؟

وقال داود افندي بركات :

رأيي في اصلاحِ السلطنة العثمانية ان تُقسَم مناطقَ ، وأن تكونَ كل منطقة مؤلفةً من العناصر المتفقة في التقاليد والعادات واللغةِ ،

فتُعطى الاستقلالَ الاداريَّ تبتُّ من أموره كلَّ مالا يتناول منطقـة أخرى أو أكثرَ من منطقة . ويُعيَّنَ لكل منقطة مندوبٌ سامٍ يعاونهُ مجلس ادارة يؤلف من الفنّيين في الامور الماليَّة والادارية والقضائيةِ والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزءٌ معينٌ من دخل كل منطقةٍ ، وتُلغى الضرائب العشرية،وتقرَّر ضرائبُ ثابتةمعينة على الاملاك ، وتوضع قوانين للشركات على أختلاف أنواعها ، ويوحّدَ القضاء فلا يكون من اختصاص رجالِ الدين الاَّ الامورُ الشخصيّة . فتكون الدولة مؤلفةمن ولايات متحدة او مناطق متحدة

ذلك رأيي في انهاض السلطنة بسرعة ؟

وقال جرجي بك زيدان :

العلَّة الحقيقيةُ في حالة الدولة العثمانية اليوم فَقرُ المملكة واضطرابُ الحكومة . والحكومة الدستورية في أيدي الامة والأمة العثمانية ضعيفة الاخلاق ، عريقةٌ في الانقسام بسبب ما توالى عليها من أعصرِ الفساد

أما المملكة ونعني الولاياتِ الباقيةَ منها في آسيا فليس فقرُها أصلياً فيها ؛ وكل ولاية منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها : فالعراقُ كانت وحدَها مملكة البابليّين والاشوريين وبها اعتزّ العباسيّون في ابَّان دولتهم وكانت جبايتها ثلثَ جباية مملكتهم الواسعة الممتدّة من حدود الهند الى شواطىء الاتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفةً من عدَّة دُوَل ثم

اعتزّ بها السلوقيّون اجيالاً ؛ وكذلك آسيا الصغرى وظلّت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية

فهذه الولاياتُ اذا أُحسنت سياستُها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتمُّ والأمة كما تقدَّم . فالوسيلة المثلى للنهوضِ بالدولةِ العثمانيةِ أنما هي ترقية الشعب وهو لا يقدرُ ان يرقّي نفسهُ رغم استعدادهِ الطبيعي للرقي . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ؛ أنما يشترط ان يكون مستبدًّا وهذا لا يتيسّر والحكومة دستورية . فلا بدَّ من الاستعانة بالاجانب . وأسلمُ الطرُق أن تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثقُ بصداقتها فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول الاخرى بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وُفّقت الى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها ؟

وقال سامي افندي قصيري

لما كانت الدّولةُ العثمانيةُ فيما مضى دولةً استبداديةً قائمةً على حكومة الفرد كانت تقوى بقوّة ذلك الفرد ، وتضعف بضعفهِ ، وتسعدُ بسعدهِ ، وتشقى بشقائهِ. أما الآن وقد أُعلن فيها الحكمُ الدستوري مراعاةً لاحوال الزمان والمكان، وتبدَّلت حكومة الفرد بحكومة الأمة ، فصلاحُ الحكومةِ قائمٌ بصلاح الامَّة . ولا يكون ذلك في رأيي الاَّ بنشرِ التعليم الحرّ بين طبقاتها ، والفصل بين دُنياها ودينها ، والتأليفِ بين عناصرِها وطوائفِها حتي تُصبحَ جميعها كتلةً واحدةً يحرِّكها من أعلاها الى أسفلها عاملٌ

واحدٌ هو عاملُ الوطنيةِ ، وتجمعُها من اقصاها الى أدناها جامعةٌ واحدةً هي الجامعة العثمانية ؟

وقال اسكندر بك عمون

أصلَحُ نظامٍ للدولة ، على ما بينَ العناصرِ والولاياتِ العثمانيّة من التباُين في الحاجاتِ والاخلاق والعاداتِ والتقاليدِ ، وعلى ما بينَ أهليها من التفاوُتِ في الحضارة ، أن تُجعَلَ ممالكَ أو ولاياتٍ مستقلّةً في جميعِ شؤونها الخاصةِ استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكلِ حكومتها مع ارتباطِها جميعاً في الشؤونِ العموميّةِ على نحو نظامِ الولايات المتّحدةِ الأميركانية ، أو الممالكِ الجرمانية ، فتُسمّى حينئذٍ الولاياتِ أو الممالكَ العثمانيّةَ المتحدة

ولهذا النظام مزيّةٌ على كل نظامٍ آخر وهي : أنهُ النظامُ الوحيدُ الذي يمكنهُ أن يجمعَ بين الولاياتِ والإماراتِ العربيّةِ في جزيرة العربِ وسائر الولايات الأخرى الممتازة وغير الممتازة ؟

وقال امين افندي البستاني

سألتني رأيَ في الدولةِ ومصيرها : جازَ بالدولة في هذا العام عِبرةٌ كبرى اذا لم تعتبر بها نالها ما هو شرٌّ منها . وللدولةِ الآن بقيّةٌ مُلْكِ هو أبعدُ مدًى ، وامنعُ حمًى ، وأطيبُ بقعةً من جلّ الممالك الأوربيةِ . فهل لها أن تعدِلَ الباقي من هذا المُلْكِ وتمنعَهُ حادثاتِ الدهر ؟ الله أعلم

على أنَّ الدولةَ لا تجهلُ أشراطَ المُلْكِ على المالكِ وما هو مُبقٍ لهُ، وما هو ذاهبٌ بِهِ حتى لقد أصبحت الدلالةُ على وجوهِ الإصلاحِ المنشودِ من مبتذَلاتِ الكلامِ، ومَلوكاتِ الأفواه والأقلام. فهلْ للدولةِ أن تعملَ بما علّمها الدهرُ على حينَ لم يبقَ لها من ناصرٍ إلاّ ما تسعى اليهِ من ترميم هذا المُلْكِ العزيز؟ وإلاّ فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانعَ منهُ، وحسبُكم الإشارة يا أَلِبّاء هذه الدولة. فاعدلوا بين ضروبِ الرعيّةِ لأنّ دولتَكم مستمدَّةٌ من جملتِها لا من أبعاضِها، وقدّموا الكفوءَ على غيرهِ مهما كانت نبعتُهُ ومنبتُ اسلتهِ، واستعملوا الأجنبيَّ في تدبيرِ ما أنتم ضعافٌ عن تدبيرِهِ، واسلكوا القصدَ في عملِكم من غير سرفٍ ولا تفريطٍ، وخذوا بالجديدِ الصالحِ، واخلعوا القديمَ المبتذلَ ثم أعدّوا للمُلْكِ عدّتَهُ من رجالٍ ومالٍ؛ والله الواقي في هذا الباقي؟

وكتبَ اليَّ عالِمٌ كبيرٌ لم يشأ أن يُنْشَر اسمهُ قال: «إن الأمر عويصٌ جدًّا لأن في السلطنة فواعل كثيرة متناقضةً وبعضها خفي. ولقد سمعتُ مرّة المرحوم نوبار باشا رئيسَ الوزارة المصرية الأسبق يقول: إن لورد دربي ألقى عليهِ سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أن يرتاءي رأياً، أو يضعَ مشروعاً نافعاً للسلطنة العثمانية؛ قال نوبار: فأخذتُ القلمَ وكتبتُ «أن يُنشأَ في السلطنة محكمةٌ مختلطةٌ مستقلّةٌ تُرفعُ اليها الشكاوى من المأمورين فتحاكمهم وتنفّذَ الحكومة ما تحكم بِهِ عليهم»

فما أدقَّ هذا الانتقادَ، وما أرقَّ هذا التهكّم!..

الممرضة

وضع حضرة الدكتور سروبيان طبيب مستشفى لادي كرومر وملجأ الأطفال كتباً في علم الصحة وقدمها الى نظارة المعارف العمومية لتعليمها في مدارسها ، وقد تناول فيها ما ينبغي على الطلبة معرفته في هذا الفن فكتبه بعبارة واضحة وزين الكتب بالصور والرسوم ، فجاء عمله متمماً وافياً بالغرض منه . وقد نقلنا من احد الفصول الكلمة التالية في وصف الممرضة . قال :

قد يُصابُ عزيزٌ لنا بمرضٍ عُضال فيكون على المرأة وحدَها أن تمرّضهُ وتعتني بهِ . أوَ ليست الرشاقة والرقّة والحنان من الصفات التي تغلب في النساء ويقتضيها فنُّ التَّمريض ؟ غير أن هذه المزايا الجميلة لا تكفي وحدَها بل يجب أن تقترنَ بالخبرة والمعرفة ، وترافقها على الخصوص زلاقةٌ في العمل والحديث . ولئن كان العطفُ شرطاً في معاملة المرضى، فان اللطف من مستلزمات هذا الفنّ الدقيق

لطفٌ في العمل ، وعذوبة في اللسان ؛ كلاهما لا غِنًى عنهُ !

أيتها الممرّضة ، ما للمريض غِنًى عن عذوبتكِ . كلّميهِ بوداعةٍ كما تكلّمين الطفل الصغير . وليكن ملء صوتك دِعةٌ ورزانةٌ ، وعلى شفتَيكِ شبهُ ابتسام

ما للمريض غنى عن لطفكِ ورفقكِ . لِتَمَسَّهُ يدُكِ مساً لا تقسُ عليهِ قساوة . لَمسٌ دون لَهوجةٍ ، ورشاقة دون تسرُّعٍ ، ولطفٌ دون برودةٍ !!

لا تغضبي ولا تنفري . قد تسمعين منهُ سوءًا ، وقد تُلاقين فظاظةً ؛ فلا تُسئكِ إساءتهُ ، ولا تَرُعكِ فظاظتهُ ؛ وقد ينفرُ منكِ ، ويتطلَّبُ بديلاً

عنكِ فلا تنفري منهُ ولا تقابليهِ بغيرِ التسامح واللين

لا تثقل عليكِ شكواهُ وكثرةُ مشتهياتهِ ، فان الممرّضةَ المخلصةَ تجدُ دائماً وسائلَ لتعزية المريض وتلطيف همومه . نفسُها الفاضلة توحي لها ، وقلبُها الشفوق يملي عليها

هي مرآة مريضها . يرى في وجهها صورة ما يحسُّ بهِ في نفسهِ ، ويُبصر في عينيها سيماءَ ما في فؤاده . تشكو لشكواه وترضى لرضاه . فإن حدّثها عن نفسهِ أصغتْ اليه واعيةً أمرَهُ مهتمّةً لشؤونهِ ؛ الهدوء في حركاتها ، والرّزانة في سكناتها . وأمّا الإخلاص والحنان فملءُ عملها الشريف

هذه هي المرضة الفاضلة وتلك هي صفاتها الجميلة ومزاياها الغرّاء !

ومن جملة واجبات الممرّضة أن توصدَ باب مريضها دون عائديهِ ، ولا سيّما متى كان داؤهُ عُضالاً ، وحالهُ خطرة . فيُستقبل العائدون في حجرة أُخرى . وحينئذٍ فان السكينةَ لا بدَّ منها لأن المريض لا يقوى على تحمُّلِ الجلبة

وإذا أَعضل الداء وأَشفى المريض فمن المحتَّم على أهلهِ وممرّضيهِ أن يتحاشوا قدّامهُ كلَّ علامات القلق والخوف فلا يقرأ على وجوههم نبأ انقطاع الرّجاء ، ويرى في عيونهم نذيرَ الشرّ ودُنوّ الأجل . لأن المريض ، في تلك الحال ، كثيرُ الشكوك ، كثيرُ المخاوف ؛ يحاول أن يسترقَ نظرة يفهم منها حقيقة أمرهِ ، أو يختلسُ إشارة يعلمُ بها ما يخفى عليهِ من حالهِ الصائرِ اليها

إنَّ أفضلَ ما يؤاسى به مريضٌ على شفا الموت اعتقادٌ مستمرٌّ في نفسه بزوال الداء وقرب الشفاء

وقال من جملة كلام عن العناية بالطفل :

أما في البيت فلا يُترَك الطفل طول يومهِ في مهدهِ ، بل يُحمل من حينٍ الى حينٍ على الذراع ويُتَمَشَّى به . ومتى بلغ الشهر السادس أو السابع من عمره يوضع كلَّ يوم ، مدَّة من الزمن ، على حصيرٍ أو سجَّادةٍ أو بساطٍ حيث يمكنهُ أن يلهوَ ويلعبَ . فتتقوَّى كُلاَه ، وتشتدُّ رجلاهُ ، وهو يحاول القعود وحده ، ثمَّ الانتقال من مكانه فيحبو ، ثمَّ يدبُّ مستنداً الى يديه وركبتيه . ثم يحاول بعد مدةٍ أن ينهض منتصباً فيستعين بالكراسي أو بما يلاقيهِ قدَّامهُ ، فيتعلَّم بذلك الوقوف على قدميهِ . ثمَّ يأخذ بأن يباعد بين ركبتيه ، ويخطو خطواتهِ الأولى ممسكاً بالمقاعدِ ؛ ومتى أَنِسَ من نفسهِ القوَّة الكافية يترك كلَّ مسند ويمشي وحده



بعد ان يدبَّ الطفل في أول أمره ، يأخذ يتمسك بالكراسي ليقف منتصباً ، ثم يحاول أن يخطو خطواته الاولى

والصغيرُ الذى يتعلم المشيَ على هذه الصورة ينشأُ ثابتَ القدمينِ مستقيم الفخذين

أما محاولة تمشية الطفل قبل الأوان فلا تفيد شيئاً بل قد تعودُ عليه بالضرر . فاذا أُرغمَ على الوقوف على رجليه مثلاً قبل أن تقويا على حملِ جسمه ، تقوَّست رِجلاه ونشأ مشوَّهاً لأن عظمهُ لم يكن قد تصلَّبَ بعد

الدكتور سرو بيانه

العذول والخيال

ابيات تُغنّى في (بَشرَف)

عاذلي فى هَوى الحبيبْ جاءني في دُجَى الظلّامْ
قُلتُ فرّقتَ يارقيبْ بين جفنيَّ والمَنَامْ

* * *

حسبُك السعيُ في النّهارْ بينَ خِلٍّ وخِلّهِ
ساهدٌ فاقِدُ القرارْ أعفُ عنهُ وخَلّهِ

* * *

قال ياعاشِقَ الجمالْ انّما العاذلُ الغيورْ
كيفَ تخلو مع الخيالْ في خفاء ولا أزورْ

خليل مطران

في اي شهر وُلدت ؟

كنا قد نشرنا في بعض أجزاء «الزهور» على سبيل الفكاهة شيئاً مما توصل اليه المغرمون بدرس طوالع الناس من تأثير الشهور والايام في اخلاق المواليد . وقرأنا في جريدة « الشعب » اللبنانية خلاصة لتلك الملاحظات مترجمة عن كتاب « شيرو » فرأينا ان ننشرها في مطلع العام الجديد

ان الذين يولدون في شهر يناير (كانون الثاني) يُولدون أصحابَ أفكارٍ واسعة وعقولٍ راجحة وصبرٍ وثبات أمام المصائب وميلٍ للاشتغال بما هو مفيدٌ للبشر . ولهم افتتانٌ في الحبّ والواجب العمومي ، ولهذا كثيراً ما ينظرُ أصحابهم وخلاّنهم الى أعمالهم بعين الاستغراب

وأخلاق مواليد شهر فبراير (شباط) قريبةٌ من أخلاق مواليد شهر يناير المذكور . ولكن مولود فبراير يمتازُ عن مولود شهر يناير بنجاحهِ في أعمالهِ وبافادتهِ الغير اكثر مماً يُفيد نفسهُ وبطولِ قامتهِ ومزاجهِ الحادّ وسرعة تأثرهِ لأقلّ الأمور

ومواليد شهر مارس (أذار) يتطلعون الى الغد بتشوُّق ، لا لأجل شيء غير معرفتهم كيفية مركزهم ، وماذا يُضمرلهم المستقبل في الغد . وقد لاحظ « شيرو » أنّ أفكارهم هذه ناتجةٌ بالاكثر عن التشوُّق ليعرفوا أرؤساء سيكونون في المستقبل أم مرؤوسين . وأكثر أصحاب الفنون من موسيقيين وشعراء وعلماء وُلدوا في مارس ، ولكن هؤلاء في الغالب يفتقرون للتشجيع قليلاً

وأما مواليد شهر (ابريل ونيسان) فهم متصلبو الرأي ، ذوو إرادةٍ قويّة عشّاق للحروب والمخاصمات ، ويمتازون على غيرهم بمقدرتهم على حسن إدارة الأعمال ، ولكنهم في الغالب يكونون محرومين من

السعادة في الزواج وبالنادر يتزوّجون بمن يحبون

ومواليد شهر مايو (أيار) من خصائص طباعهم وأخلاقهم الإخلاص والمودّة . فهم اذا أحبوا يُحبُّون حبَّ الكرام ، لا يستعظمون التضحيات الكبيرة في إرضاء من يُحبُّون . وإذا جاهروا بالعداوة يُقاتلون أعداءهم بصلابةٍ حتى الموت ، ولا يتكتَّمُون في المقاتلة ، لأنهم يُبغضُون الخداعَ والمداهنة والغشَّ . وقد لاحظ « شيرو » أنَّ مولود مايو لا يتزوّج باكراً وإذا كان خلاف ذلك فإنما يكون نادراً وشاذّاً

وأماً مواليد شهر يونيو (حزيران) فمتقلّبون لا يستقرُّون على حالٍ تتناوب نشاطهم الحرارة والبرودة في وقتٍ واحد . ومن ميولهم الولَع بالتمثيل والمحاماة والخطابة . وأشهرُ الخطباء والمحامين والممثلين وُلدوا في يونيو . ولو كان مواليد هذا الشهر ممن يخصّصون أنفسهم بشيءٍ لبرّزوا في أي حلبة اطَّلبوها في هذه الحياة

ومواليد شهر يوليو (تموز) ميَّالون الى الأسفار ، ولهم ولعٌ بالمقامرة والربح السريع ، ولكنهم متقلّبون أيضاً كمواليد شهر يونيو وقلَّما يشرعون في عمل ويتمّونهُ

ومواليد شهر أغسطس (آب) غالباً ما يكونون من عُشَّاق الثوب العسكري وقيادة الجيوش والاشتغال بالأمور العمومية ، ومن صفاتهم عزّة النفس والحرّية الفكرية والاستقامة ورقّة الشعور والسماح ، وكثيراً ما خُدِعَ مواليد أغسطس بأمورٍ مهمّةٍ ، وانقلبَ سماحهم الى قسوةِ قلبٍ شديدة بغضتهم الى الناس

وأما مواليد شهر سبتمبر (ايلول) فقد اشتهروا بالانتقاد العلمي وسرعة الخاطر وذرابة اللسان وقوَّة الذاكرة وإدراك خطإِ الغير لأوَّل لمحة ؛ ولكنهم قبل كل شيء يصرفون جلَّ اهتمامهم الى أُمورهم الخصوصية

وفي شهر اكتوبر (تشرين الأول) وُلد أشهرُ المقامرين وأكثر المبذّرين الذين لا يكترثون كثيراً للمال . وقد لاحظ « شيرو » ان اكثر مواليد هذا الشهر يميلون الى درس الحقوق ويشتهرون في المحاماة والقضاء والفقه ؛ وأما في زواجهم فنادراً ما يكونون سعداء لأنهم يُعظّمون أقلّ الأمور ويهتمون لها اهتماماً شديداً

وأما مواليد شهر نوفمبر (تشرين الثاني) فقد اختصوا بأخلاق تقضي بالعجب . فان الفضيلة ونقاوة الفكر تلازمانهم قبل بلوغ العشرين من عمرهم . ولكنَّهم في الغالب يكونون ضعفاء الارادة سلِسُو المقادة يميلون كيف تميل بهم الشهوة دون ما اكتراث للنقاوة والأدب . واكثر مواليد هذا الشهر ممن اختصُّوا بقوّةٍ جاذبة يستميلون بها عشراءهم ، ولكن اكثرهم يكون من ذوي النفوس الصغيرة التي تتضاءل عند شدّ النوازل والأمور

وفي شهر دسمبر (كانون الأول) وُلد اكثر العمال النشيطين الذين أدركهم الموت قبل ان يُدركهم الكلال والفتور . ولكن « شيرو » لاحظ انَّهم ينتقلون من حرفةٍ الى أُخرى بسرعة . فبينما يكونون أساتذة ، فاذا بهم كهنة أو تجار أو صيارف . ولكنهم في الغالب لو أُطلقت يدهم في كل عمل يميلون اليهِ لأحرزوا بهِ القدح المعلَّى وما جاراهم فيهِ مجارٍ

ثمرات المطابع

ديوان المازني — عنيَت « الزُّهور » منذ نشأتها بنشر المختار من الشعر العصري فلم يصدر جزءٌ من أجزائها قط الاَّ وفيهِ بضعُ صفحاتٍ جامعة لأجوَد ما نظمهُ في حينهِ كبار شعراء مصر وسوريا والعراق . وكان هؤلاء الأفاضل ، وما برحوا الى اليوم ، يختصُّون هـذه المجلَّة بنفثاتِ قرائحهم حتى حققَّوا غايتها التي انما أُنشئت لها وهي أن تكون صلة تعارفٍ بين أدباء اللغة العربية في كل قطرٍ . على أننا نأسف أن يكون بين شعراء مصر المجيدين شاعر لم توفّق « الزهور » بعدُ الى عرض شعرهِ الطيّب على قرَّائها المتشتتين في الأقطار العربية والأميركية وهو ابراهيم عبد القادر افندي المازني ؛ فان هذا الشاعر العصري كاد أن يكون مجهولاً منَّا ونحن مقيمون في مصر وحضرتهُ من أبنائها الأفاضل ، فكيف بزملائهِ الأدباء في سوريا والعراق وغيرهما . وليس حظ سائر الصحف والمجلاَّت المصرية بأجمل من حظّ الزهور في هـذا المعنى . لذلك يحقُّ لنا أن تقول إنَّ ديوانهُ فاجأنا مفاجأةً في خلال هذا الشهر، ولكن مفاجئة الحَسَن السارّ

قلّبنا هذا الديوان صفحةً صفحةً فما وقعتِ العين فيـهِ على موضوعٍ مبتذل قط . فليس هناك مديح أو رثاء أو تهنئة أو عزاء ؛ بل الديوان في جملهِ مجموعة عواطف جاشت بها النفس فنظمها الفكر شعراً، والشعرَ ماصدرَ عن النفس وأرسلهُ الخاطر عفواً ؛ فالمازني بحكم هذه القاعدة المأثورة شاعر مطبوع لا ينظم إلاَّ خطراتِ خاطرِهِ ، ولا يترجم بمنظومـهِ إلاَّ

عواطف نفسه . واذا صحّ رأينا فيهِ، ونحن لا نعرفهُ، كانت نفسهُ أميلَ الى الحزن واليأس منها الى الفرحِ والرجاء . فاننا ما قرأنا لهُ قصيدةً خاليةً من وصف همومــهِ ومتاعبهِ وشكاياتهِ أو من إشارة الى ذلك على الأقل . فكنا نتخيلهُ من خلال معانيهِ عبوس الوجه معقّد الجبين ليس على شفتيه ابتسام، ولا في ظواهر وجههِ ما ينمّ عن رضًى في نفسه

وفي يقيننا أن نارَهُ التي لم تطفأ منــذ استهلّ ديوانه في الصفحة الأولى بأبيات « الاهداء » حتى ختمهُ في الصفحةِ الأخيرة بالخاتمة « الى صديق » هي التي أحرقت ألفاظهُ وذهبت برونقها، وملأت ديوانهُ عواصف وزوابع، وهموماً وأشجاناً، وآلاماً وأوجاعاً، ويأساً ودموعاً حتى اشتبه علينا قول شوقي : خُلِقَ الشاعرُ سمحاً طرباً

ولقد كنّا نودُّ لو كان المجال أوسعَ فننشر للقراء شيئاً من قصائدهِ يزيدهم معرفةً بهِ ولكننا نجتزئ بالمقتطفات التالية للدلالة على الاسلوب الذي يسير عليهِ والمعاني التي يتناولها في شعره :

قال بعنوان : فتًى في سياق الموت

نعدُّ أنفاسَهُ ونحسبُهـا　　　والليلُ فيـهِ الظلامُ يلتطمُ
اذا خروجُ الحياةِ أجهَدَهُ　　　تساقطت عن جبينِهِ الدِّيَمُ
صدرٌ كصدرِ الخضمّ مضطربٌ　　　جحافلُ الموتِ فيهِ تزدَحِمُ
ان قام ملنا لهُ بمسمَعِنا　　　أو نام خفّت بوطئِنا القدَمُ
كأنما الخوفُ من تردُّدِهِ　　　خيلٌ لها من رجائِنا لُجُمُ
خلناهُ قد ماتَ وهو في سنةٍ　　　ونائمَ الجفنِ وهو مخترمُ
قـد قلّصت ثغرَه منيّتُهُ　　　كأنهُ للحِمامِ يبتسمُ

وقال بعنوان : حالة ثورة النفس في سكونها

فؤادي من الآمال في العيش مجدبُ ... وجوّيَ مسودّ الحواشي مقطّبُ
تمرُّ بيَ الأيّامُ وهي كأنها ... صحائفُ بيضٌ للعيون تقلّبُ
كأنْ لم يخطَّ الدهرُ فيهنَّ أسطراً ... يبيتُ لها الانسانُ يطفو ويرسبُ
شغلتُ بماضي العيشِ عن كل حاضرٍ ... كأنيَ أدركتُ الذي كنتُ أطلبُ
وما كلّتِ الأيّامُ من فرطِ عَدْوِها ... ولا عطّل الأفلاكَ خطبٌ عصبصبٌ
لقد كان للدنيا بنفسي حلاوةٌ ... فأضجرني منها الأذى والتقلُّبُ
وقد كان يُصبيني النسيمُ اذا هفا ... ويعجبني سجعُ الحمامِ ويُطربُ
ويفتنني نومُ الضياء عشيَّةً ... على صفحةِ الغدران وهي تُسبسبُ
فما لي سقى اللهُ الشبابَ وجهلَهُ ... أراني كأني من دمائيَ أشربُ
ومالي كأني ظلّلتني سحابة ... لها من مخفوفاتِ الأساودِ هيدَبُ
سأصرخُ إمّا هاجتِ الرّيحُ صرخةً ... تقولُ لها الموتى ألا أين نهربُ

وقال بعنوان : الملل من الحياة

أكلّما عشتُ يوماً ... أحسستُ أنيَ مُتُّهْ
وكلّما خلتُ أني ... وجدتُ خِلصاً فقدتُهْ
لا أعرفُ الإمن عمري ... كأنني قد رُزِئتُهْ
ما تأخذُ العينُ إلاّ ... ما ملّني ومللتُهْ
كأنّ عينيَ مدلو ... لةٌ على ما كرهتُهْ
تُضيئني الشمسُ لكن ... لاجتلي ما أجمتُهْ
ثوبُ الحياةِ بغيضٌ ... يا ليتني ما لبستُهْ

تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر[1] — أهدى الينا حضرة الكاتب البارع سليم افندي العقاد الجزء الثانى من كتابه « تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر » وهو يقع فى ١٥٠ صفحة ويحتوى تاريخ المواقع منذ شهر الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية حتى ختام هذه المأساة على أبواب الاستانة . والكتاب مصدَّر برسوم الملوك والقوَّاد ورجال السياسة الذين كانَ لهم شأن في هذه الحرب . وإنَّ ما يُعرفُ بصاحب هذا التأريخ من العلم والأدب يضمن لكتابه الانتشار التام ولا سيما أن الجزء الأول منهُ قد تداولتهُ الأيدي ، ولقيَ كلَّ ارتياح من جمهور الأدباء

السلوى[2] — اشتهرت المطبعة الأدبية في بيروت بكل عملٍ حسنٍ ومأثرة غراء . ومن مآثرِها الأخيرة إصدارها مجلةً قصصية أسبوعية سمَّتها « السلوى » ، أودعت فيها أجمل القصص ، وأطيب الفكاهات ، فجاءت سلوًى للشيخ في زاويتهِ ، وتفكهةً للفتاة في خدرها ، وأُنساً للشاب في أوقات فراغه . وهي مكتوبة بلغةٍ سليمةٍ رشيقةٍ ، ومطبوعة طبعاً جيداً أمَّا اشتراكها السنوي فخمسة فرنكات في بيروت وستة في الخارج

فتاة لبنان والرزنامة السليمة — أهدت الينا حضرة الفاضلة الأديبة سليمة أبي راشد نسخةً من روزنامة جميلة وضعتها لمعرفة التواريخ في مدة القرن العشرين ، وهي لطيفة الوضع جميلة الحفر تدلّ على براعةٍ وحسن ذوق . وبهذه المناسبة نذكر أن حضرة الآنسة المشار اليها قد عزمت على إصدار مجلةٍ أدبية باسم « فتاة لبنان » فنتمنى لها النجاح التام

(١) تطلب من المطبعة الادبية فى بيروت
(٢) يطلب من صاحبه بجريدة الاهرام ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٤ قروش

دفع الهجنة[1] — هذا كتابٌ وضعهُ معروف افندي الرصافي الأديب العراقي وقد ضمنّهُ « عدّة كلماتٍ وألفاظ عربيةٍ جمعها من اللغة العثمانية » ليتدبّرها كلُّ أديبٍ عربيّ فتكون « واقية لهُ من العجمة ، وحامية من اللكنة » وقد وصف هذه الألفاظ المجموعة بقولهِ « انَّ منها ما استعمله أهل العثماني في غير معناه العربي ، ومنها ما لم يكن منها عربياً وهم يحسبونهُ عربياً ، وقد أخذها العرب منهم فاستعملوها استعمالهم وهم لا يشعرون » . فوضع حضرتهُ هذه الرسالة وقد سمّاها « دفع الهجنة في انتضاح اللكنة » ليفرق بين معاني تلك الألفاظ العربية ومعانيها العثمانية ونشرها أوّلاً في مجلة « لسان العرب » الغراء ثم طبعتها هذه على حدةٍ ، فاستحقّ الواضع والناشر الثناء الطيّب

الزمان — تُعَدُّ جريدة « الزمان » الصادرة في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية الأميركية من أرقى جرائد السوريين المهاجرين ، وأجلّها فائدةً . فما برحت منذ ثماني سنين تخدم الجالية السورية الخدمات الحسنة وتوفر لها الوقوف على أخبار السياسة وحوادث الوطن ، وتنشر المقالات الشائقة في كلّ موضوعٍ نافعٍ . وقد دخلت منذ حينٍ في عامها التاسع ، فأصدرت لتلك المناسبة عدداً خاصاً منها مزداناً بالرسوم، مشبعاً بالمقالات الغراء ، فلصاحبها الفاضل ، ومديرَيها الأديبين ورئيس تحريرها الكاتب البارع كلُّ ثناء على أدبهم الجمّ ، وسعيهم المبارك في الخدمة العامة

---

(١) يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه ٤ قروش